barcode in 'front'



ألف ليلة وليلة

الطبعة الأولى

مقابلة وتصحيح الشيخ محمد قطة العدوى

أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد

لصاحبها

قاسم محمد الرجب

طبع بمطبعة بولاق سنة ١٢٥٢ هجرية

المجلد الأول

PJ
7711
.B8
1964
v.1



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين (والصلاة والسلام على سيد المرسلين) سيدنا ومولانا محمد وعلى اله صلاة وسلاما دائمين متلازمين الى يوم الدين * وبعد فان سير الاولين صارت عبرة للاخرين * لكي يرى الانسان العبر التي حصلت لغيره فيعتبر * ويطالع حديث الامم السالفة وما جرى لهم فينزجر * فسبحان من جعل حديث الاولين عبرة لقوم آخرين (فمن تلك العبر الحكايات التي تسمى الف ليلة وليلة وما فيها من الغرائب والامثال فقد حكى والله اعلم * واحكم واعزوا كرم * انه كان فيما مضى وتقدم * من قديم الزمان * وسالف العصر والاوان * ملك من ملوك ساسان بجزائر الهند والصين * صاحب جند واعوان وخدم وحشم وكان له ولدان احدهما كبير والاخر صغير وكانا فارسين بطلين وكان الكبير افرس من الصغير وقد ملك البلاد وحكم بالعدل بين العباد واحبه اهل بلاده ومملكته وكان اسم الملك شهرباز وكان اخوه الصغير اسمه الملك شاه رمان وكان ملك سمرقند العجم ولم يزل الامر مستقيما في بلادهما وكل واحد منهما في مملكته حاكم عادل في رعيته مدة عشرين سنة وهم في غاية البسط والانشراح ولم يزالا على هذه الحالة الى ان اشتاق الملك الكبير الى اخيه الصغير فامر وزيره ان يسافر اليه ويحضره فاجابه بالسمع والطاعة وسافر حتى وصل بالسلامة ودخل على اخيه وبلغه السلام واعلمه ان اخاه مشتاق اليه وقصده ان يزوره فاجابه بالسمع والطاعة وتجهز للسفر واخرج خيامه وجماله وبغاله وخدمه واعوانه واقام وزيره حاكما في بلاده وخرج طالبا بلاد اخيه فلما كان في نصف الليل تذكر حاجة نسيها في قصره فرجع ودخل قصره فوجد زوجته راقدة في فراشه معانقة عبدا اسود من العبيد فلما رأى هذا اسودت الدنيا في وجهه وقال في نفسه اذا كان هذا الامر قد وقع وانا ما فارقت المدينة فكيف حال هذه العاهرة اذا غبت عنها مدة ثم انه سل سيفه وضرب الاثنين فقتلهما في الفراش ورجع من وقته وساعته وامر بالرحيل وسار

الى

الى ان وصل الى مدينة اخيه ففرح اخوه بقدومه ثم خرج اليه ولاقاه وسلم عليه وفرح به غاية الفرح
وزين له المدينة وجلس معه يتحدث بانشراح فتذكر الملك شاه رمان ما كان من امر زوجته فحصل عنده
غم زائد واصفر لونه وضعف جسمه فلما رآه اخوه على هذه الحالة ظن فى نفسه ان ذلك بسبب مفارقته بلاده
وملكه فترك سبيله ولم يسأل عن ذلك ثم انه قال له فى بعض الايام يا اخى انى ارالك ضعف جسمك واصفر لونك
فقال له يا اخى انا فى باطنى جرح ولم يخبره بما رأى من زوجته فقال انى اريد ان تسافر معى الى الصيد
والقنص لعلك ينشرح صدرك فابى ذلك فسافر اخوه وحده الى الصيد وكان فى قصر الملك شبابيك
تطل على بستان اخيه فنظر واذا بباب القصر قد فتح وخرج منه عشرون جارية وعشرون عبدا وامرأة اخيه
تمشى بينهم وهى فى غاية الحسن والجمال حتى وصلوا الى فسقية وخلعوا ثيابهم وجلسوا مع بعضهم
واذا بامرأة الملك قالت يا مسعود فجاءها عبد اسود فعانقها وعانقته وواقعها وكذلك باقى العبيد فعلوا
بالجوارى ولم يزالوا فى بوس وعناق ونيك ونحو ذلك حتى ولى النهار فلما رأى ذلك اخو الملك قال فى نفسه والله
ان بليتى اخف من هذه البلية وقد هان ما عنده من القهر والغم وقال هذا اعظم مما جرالى ولم يزل فى اكل
وشرب وبعد هذا اجاء اخوه من السفر فسلما على بعضهما ونظر الملك شهريار الى اخيه الملك شاه رمان وقد تغير
لونه واحمر وجهه وصار يا كل بشهية بعد ما كان قليل الاكل فتعجب من ذلك وقال يا اخى كنت اراك
مصفر اللون والوجه والآن قد رد اليك لونك فاخبرنى بحالك فقال له اما تغير لونى فاذكره لك واعف عنى
من اخبارك برد لونى فقال له اخبرنى اولا بتغير لونك وضعفك حتى اسمعه فقال له يا اخى اعلم انك لما ارسلت
وزيرك الى يطلبنى للحضور بين يديك جهزت حالى وقد برزت من مدينتى ثم انى تذكرت الخرزة التى اعطيتها
لك فى قصرى فوجدت زوجتى معها عبد اسود وهو نائم فى فراشى ففتلتهما وجئت اليك وانا متفكر فى
هذا الامر فهذا سبب تغير لونى وضعفى واما رد لونى فاعف عنى من ان اذكره لك فلما سمع اخوه كلامه قال له
اقسمت عليك بالله ان تخبرنى بسبب رد لونك فاعاد عليه جميع ما رآه فقال شهريار لاخيه شاه رمان مرادى
ان انظر بعينى فقال له اخوه شاه رمان اجعل انك مسافر للصيد والقنص واختف عندى وانت تشاهد ذلك
وتحققه عيانا فنادى الملك من ساعته بالسفر فخرجت العساكر والخيام الى ظاهر المدينة وخرج الملك ثم انه
جلس فى الخيام وقال لغلمانه لا يدخل على احد ثم انه تنكر وخرج مختفيا الى القصر الذى فيه اخوه
وجلس فى الشباك المطل على البستان ساعة من الزمان واذا بالجوارى وسيدتهم دخلوا مع العبيد وفعلوا
كما قال اخوه واستمروا كذلك الى العصر فلما رأى الملك شهريار ذلك الامر طار عقله من رأسه وقال لاخيه
شاه رمان قم بنا نسافر الى حال سبيلنا وليس لنا حاجة بالملك حتى تنظر هل جرى لاحد مثلنا اولا فيكون
موتنا خيرا من حياتنا فاجابه لذلك ثم انهما خرجا من باب سر فى القصر ولم يرا المسافرين اياما واليا الى ان
وصلا الى شجرة فى وسط مرج عندها عين ماء بجانب البحر المالح فشربا من تلك العين وجلسا يستريحان
فلما كان بعد ساعة مضت من النهار واذا هم بالبحر قد هاج وطلع منه عامود اسود صاعد الى السماء وهو
قاصد تلك المرجة قال فلما رأى ذلك خافا وطلعا الى اعلى الشجرة وكانت عالية وصارا ينظران ماذا يكون
واذا بجنى طويل القامة عريض الهامة واسع الصدر والقامة على رأسه صندوق فطلع الى البر واتى الشجرة
التى هما فوقها وجلس تحتها وفتح الصندوق واخرج منه علبة ثم فتحها فخرجت منها صبية غراء بهية
كانها شمس مضيئة كما قال الشاعر

اشرقت فى الدجى فلاح النهار واستنارت بنورها الاشجار
من سناها الشموس تشرق لما تتبدى وتخجل الاقمار
تسجد الكائنات بين يديها حين تبدو وتهتك الاستار
واذا اومضت بروق حماها هطلت بالمدامع الامصار

قال فلما نظر اليها الجنى قال ياسيدة الحرائر التى قد اختطفتها ليلة عرسها اريد ان انام قليلا ثم ان الجنى وضع رأسه على ركبتها ونام فرفعت الصبية رأسها الى اعلى الشجرة فرأت الملكين وهما فوق تلك الشجرة فرفعت رأس الجنى من فوق ركبتها ووضعتها على الارض ووقفت تحت الشجرة وقالت لهما بالاشارة انزلا ولا تخافا من هذا العفريت فقالا لها بالله عليك ان تسامحينا من هذا الامر فقالت لهما بالله عليكما ان تنزلا والا نبهت عليكما العفريت فيقتلكما شر قتلة فخافا ونزلا اليها فقامت لهما وقالت ارصعا رصعا عنيفا والا نبه لكما العفريت فمن خوفهما قال الملك شهريار لاخيه الملك شاه زمان يا اخى افعل ما امرتك به فقال لا افعل حتى تفعل انت قبلى واخذا يتغامزان على نيكها فقالت لهما مالى ارا كما تتغامزان فان لم تتقدما وتفعلا والا نبهت لكما العفريت فمن خوفهما من الجنى فعلا ما امرتهما به فلما فرغا قالت لهما افيقا واخرجت لهما من جيبها كيسا واخرجت لهما منه عقدا فيه خمسمائة وسبعون خاتما فقالت لهما اتدرون ما هذه فقالا لها لا ندرى فقالت لهما اصحاب هذه الخواتم كلهم كانوا يفعلون بى على غفلة من هذا العفريت فاعطيانى خاتما كما انتما الاثنان الاخوان فاعطياها من يديهما خاتمين فقالت لهما ان هذا العفريت قد اختطفنى ليلة عرسى ثم انه وضعنى فى علبة وجعل العلبة داخل الصندوق ورمى على الصندوق سبعة اقفال وجعلنى فى قاع البحر الجاج المتلاطم بالامواج ولم يعلم ان المرأة منا اذا ارادت امرا لم يغلبها شئ كما قال بعضهم

لا تأمنن الى النساء ولا تثق بعهودهن
فرضاؤهن وسخطهن معلق بفروجهن
يبدين ودا كاذبا والغدر حشو ثيابهن
بحديث يوسف فاعتبر متحذرا من كيدهن
او ما ترى ابليس اخرج آدما من اجلهن

وقال بعضهم

كف لوما غدا يقوى الملوما ويزيد الغرام عشقا عظيما
ان اكن عاشقا فما آت الا ما اتته الرجال قبلى قديما
انما يكثر التعجب ممن كان من فتنة النساء سليما

فلما سمعا منها هذا الكلام تعجبا غاية التعجب وقالا لبعضهما اذا كان هذا عفريت وجرى له اعظم مما جرى لنا فهذا شئ يسلينا ثم انهما انصرفا من ساعتهما عنها ورجعا الى مدينة الملك شهريار ودخلا قصره ثم انه رمى عنق زوجته وكذلك اعناق الجوارى والعبيد وصار الملك شهريار كلما يأخذ بنتا بكرا يزيل بكارتها ويقتلها من ليلتها ولم يزل على ذلك مدة ثلاث سنوات ففجعت الناس وهربت بناتها ولم يبق فى تلك المدينة بنت تحمل الوطئ ثم ان الملك امر الوزير ان يأتيه ببنت على جرى عادته فخرج الوزير وفتش فلم يجد بنتا فتوجه الى منزله وهو غضبان مقهور خائف على نفسه من الملك وكان الوزير له بنتان الكبيرة اسمها شهرزاد والصغيرة

اجمعها دينارا وكانت الكبيرة قد قرأت الكتب والتواريخ وسير الملوك المتقدمين واخبار الامم الماضيين
قيل انها جمعت الف كتاب من كتب التواريخ المتعلقة بالامم السالفة والملوك الخالية والشعراء فقالت
لابيها ما لي ارالك متغيرا حامل الهم والاحزان وقد قال بعضهم في المعنى شعر

قل لمن يحمل هما * ان هما لا يدوم

مثل ما يفنى السرور * هكذا تفنى الهموم

فلما سمع الوزير من ابنته هذا الكلام حكى لها ما جرى له من الاول الى الاخر مع الملك فقالت له بالله يا ابتي
زوجني هذا الملك فاما ان اعيش واما ان اكون فداء لبنات المسلمين وسببا لخلاصهم من بين يديه فقال لها
بالله عليك لا تخاطري بنفسك ابدا فقالت له لابد من ذلك فقال اخشى عليك ان يحصل لك ما حصل
للحمار والثور مع صاحب الزرع فقالت له وما الذي جرى لهما يا ابت قال اعلمي يا ابتي انه كان لبعض
التجار اموال ومواش وكان له زوجة واولاد وكان الله تعالى اعطاه معرفة السن الحيوانات والطير وكان
مسكن ذلك التاجر الارياف وكان عنده في داره حمار وثور فاتى يوما الثور الى مكان الحمار فوجده مكنوسا
مرشوشا وفي معلفه شعير مغربل وتبن مغربل وهو راقد مستريح وفي بعض الاوقات يركبه صاحبه لحاجة
تعرض له ويرجع على حاله فلما كان في بعض الايام سمع التاجر الثور وهو يقول للحمار هنيئا لك ذلك
انا تعبان وانت مستريح تاكل الشعير مغربلا ويخدمونك وفي بعض الاوقات يركبك صاحبك ويرجع
وانا دائما للحرث والطحين فقال له الحمار اذا خرجت الى الغيط ووضعوا على رقبتك الناف فارقد ولا تقم
ولو ضربوك فان قمت فارقد ثانيا فاذا رجعوا بك ووضعوا لك الفول فلا تاكله كله كانك ضعيف وامتنع من
الاكل والشرب يوما او يومين او ثلاثة فانك تستريح من التعب والجهد وكان التاجر يسمع كلامهما فلما
جاء للسواق الى الثور بعلفه اكل منه شيأ يسيرا فاصبح السواق يأخذ الثور الى الحرث فوجده ضعيفا فقال
له التاجر خذ الحمار وحرثه مكانه اليوم كله فرجع الرجل واخذ الحمار مكان الثور وحرثه مكانه اليوم كله فلما
رجع آخر النهار شكره الثور على تفضلاته حيث اراحه من التعب في ذلك اليوم فلم يرد عليه الحمار جوابا
وندم اشد الندامة فلما كان ثاني يوم جاء الزراع واخذ الحمار وحرثه الى آخر النهار فلم يرجع الحمار الا مسلوخ
الرقبة شديد الضعف فتأمله الثور وشكره ومجده فقال له الحمار كنت مقيما مستريحا فاضرني الافضولي
ثم قال اعلم اني لك ناصح وقد سمعت صاحبنا يقول ان لم يقم الثور من موضعه اعطوه للجزار ليذبحه
ويعمل جلده قطعا وانا خائف عليك ونصحتك والسلام فلما سمع الثور كلام الحمار شكره وقال في غد
اسرح معهم ثم ان الثور اكل علفه بتمامه حتى لحس المدود بلسانه كل ذلك وصاحبهما يسمع
كلامهما فلما طلع النهار خرج التاجر وزوجته الى دار البقر وجلسا فجاء السواق واخذ الثور وخرج
فلما رأى الثور صاحبه حرك ذنبه وضرط وبرطع فضحك التاجر حتى استلقى على قفاه فقالت له
زوجته من اي شيء تضحك فقال لها شيء رأيته وسمعته ولا اقدر ان ابوح به فاموت فقالت له لابد ان تخبرني
بذلك وما سبب ضحكك ولو كنت تموت فقال لها ما اقدر ان ابوح به خوفا من الموت فقالت له انت
لم تضحك الا على ثم انها لم تزل تلح عليه وتلج في الكلام الى ان غلبت عليه وتحيرا فاحضر اولاده وارسل احضر
القاضي والشهود واراد ان يوصي ثم يبوح لها بالسر ويموت لانه كان يحبها محبة عظيمة لانها بنت عمه وام
اولاده وكان قد عمر من العمر مائة وعشرين سنة ثم انه ارسل احضر جميع اهلها واهل حارته وقال لهم
حكايته وانه متى قال لاحد على سره مات فقال لها جميع الناس ممن حضرها بالله عليك ان تحكي هذا الامر

لئلا يموت زوجك ابوا اولادك فقالت لهم لا ارجع عنه حتى يقول لى ولو يموت فسكتوا عنها ثم ان التاجر قام من عندهم وتوجه الى دار الدواب ليتوضى ثم يرجع يقول لهم ويموت وكان عنده ديك تحته خمسون دجاجة وكان عنده كلب فسمع التاجر الكلب وهو ينادى الديك ويسبه ويقول له انت فرحان وصاحبنا رايح يموت فقال الديك للكلب وكيف ذلك الامر فاعاد الكلب عليه القصة فقال له الديك والله ان صاحبنا قليل العقل انا لى خمسون زوجة ارضى هذه واغضب هذه وهو ماله الا زوجة واحدة ولا يعرف صلاح امره معها فقاله لا ياخذ لها بعضا من عيدان التوت ثم يدخل الى حجرتها ويضربها حتى تموت او تتوب ولا تعود تسأله عن شئ قال فلما سمع التاجر كلام الديك وهو يخاطب الكلب رجع الى عقله وعزم على ضربها ثم قال الوزير لابنته شهرزاد ربما فعل بك مثل ما فعل التاجر بزوجته فقالت له وما فعل قال دخل عليها الحجرة بعد ما قطع لها عيدان التوت وخبأها داخل الحجرة وقال لها تعالى داخل الحجرة حتى اقول لك ولا ينظر فى احد ثم اموت فدخلت معه ثم انه قفل باب الحجرة عليهما ونزل عليها بالضرب الى ان اغمى عليها فقالت له تبت ثم انها قبلت يديه ورجليه وتابت وخرجت هى واياه وفرح الجماعة واهلها وقعدوا فى اسر الاحوال الى الممات فلما سمعت ابنة الوزير مقالة ابيها قالت له لابد من ذلك فجهزها وطلع الى الملك شهريار وكانت قد اوصت اختها الصغيرة وقالت لها اذا توجهت الى الملك ارسل اطلبك فاذا جئت عندى ورأيت الملك قضى حاجته منى فتولى يا اختى حدثينى حديثا غريبا نقطع به السهر وانا احدثك حديثا يكون فيه الخلاص ان شاء الله ثم ان اباها الوزير طلع بها الى الملك فلما رآه فرح وقال ايت بحاجتى فقال نعم فلما اراد ان يدخل عليها بكت فقال لها مالك فقالت ايها الملك ان لى اختا صغيرة اريد ان اودعها فارسل الملك اليها فجاءت الى اختها وعانقتها وجلست تحت السرير فقام الملك واخذ بكارتها ثم جلسوا يتحدثون فقالت لها اختها الصغيرة بالله عليك يا اختى حدثينا حديثا نقطع به سهر ليلتنا فقالت حبا وكرامة ان اذن لى هذا الملك المهذب فلما سمع الملك ذلك الكلام وكان به قلق فرح بسماع الحديث

فلما كانت الليلة الاولى

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه كان تاجر من التجار كثير المال والمعاملات فى البلاد فدركب يوما وخرج يطالب فى بعض البلاد فاشتد عليه الحر فجلس تحت شجرة وحط يده فى خرجه واكل كسرة كانت معه وتمرة فلما فرغ من اكل التمرة رمى النواة واذا هو بعفريت طويل القامة وبيده سيف دنا من ذلك التاجر وقال له قم حتى اقتلك مثل ما قتلت ولدى فقال له التاجر كيف قتلت ولدك قال له لما اكلت التمرة ورميت نواتها جاءت النواة فى صدر ولدى فقضى عليه ومات من ساعته فقال التاجر للعفريت اعلم ايها العفريت انى على دين ولى مال كثير واولاد وزوجة وعندى رهون فدعنى اذهب الى بيتى واعطى كل ذى حق حقه ثم اعود اليك ولك على عهد وميثاق انى اعود اليك فافعل بى ما تريد والله على ما اقول وكيل فاستوثق منه الجنى واطلقه فرجع الى بلده وقضى جميع تعلقاته واوصل الحقوق الى اهلها واعلم زوجته واولاده بما جرى له فبكوا وكذلك جميع اهله ونسائه واولاده واوصى وقعد عندهم الى تمام السنة ثم توجه واخذ كفنه تحت ابطه وودع اهله وجيرانه وجميع اهله وخرج رغما عن انفه فاقاموا عليه العياط والصراخ فمشى الى ان وصل الى ذلك البستان وكان ذلك اليوم اول السنة الجديدة فبينما هو جالس يبكى على ما يحصل له واذا بشيخ كبير قد اقبل عليه ومعه غزالة مسلسة فسلم على ذلك التاجر وحياه وقال له

ما سبب جلوسك فى هذا المكان وانت منفرد وهو مأوى الجن فاخبره التاجر بما جرى له مع ذلك العفريت وبسبب قعوده فى هذا المكان فتعجب الشيخ صاحب الغزالة وقال والله يا اخى ما دينك الا دين عظيم وحكايتك حكاية عجيبة لو كتبت بالابر على اماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر ثم انه جلس بجانبه وقال والله يا اخى لا ابرح من عندك حتى انظر ما يجرى لك مع ذلك العفريت ثم انه جلس عنده يتحدث معه فغشى على ذلك التاجر وحصل له الخوف والفزع والغم الشديد والفكر المزيد وصاحب الغزالة بجانبه واذا بشيخ ثان قد اقبل عليهما ومعه كلبتان سلاقيتان من الكلاب السود فسألهما بعد السلام عليهما عن سبب جلوسهما فى هذا المكان وهو مأوى الجان فاخبراه بالقصة من اولها الى آخرها فلم يستقر به الجلوس حتى اقبل عليهم شيخ ثالث ومعه بغلة زرزورية فسلم عليهم وسألهم عن سبب جلوسهم فى هذا المكان فاخبروه بالقصة من اولها الى آخرها وليس فى الاعادة افادة واذا بغبرة هاجت وزوبعة عظيمة قد اقبلت من وسط تلك البرية فانكشفت الغبرة واذا بذلك الجنى وبيده سيف مسلول وعيونه ترمى بالشرر فاتاهم وجذب ذلك التاجر من بينهم وقال له قم حتى اقتلك مثل ما قتلت ولدى وحشاشة كبدى فانتحب ذلك التاجر وبكى واعلن الثلاثة شيوخ بالبكاء والعويل والنحيب فانتبه منهم الشيخ الاول وهو صاحب الغزالة وقبل يد ذلك العفريت وقال له ايها الجنى وتاج ملوك الجان اذا حكيت لك حكايتى مع هذه الغزالة ورأيتها عجيبة تهب لى ثلث دم هذا التاجر فقال نعم ايها الشيخ اذا انت حكيت لى الحكاية ورأيتها عجيبة وهبت لك ثلث دمه فقال ذلك الشيخ الاول اعلم ايها العفريت ان هذه الغزالة هى بنت عمى ومن لحمى ودمى وكنت تزوجت بها وهى صغيرة السن واقمت معها نحو ثلاثين سنة فلم ارزق منها بولد فاخذت لى سرية فرزقت منها بولد ذكر كانه البدر اذا بدا بعينين مليحتين وحاجبين مزججين واعضاء كاملة فكبر شيأ فشيأ الى ان صار ابن خمس عشرة سنة فطرأت لى سفرة الى بعض المدائن فسافرت بمتجر عظيم وكانت بنت عمى هذه الغزالة تعلمت السحر والكهانة من صغرها فسحرت ذلك الولد عجلا وسحرت الجارية امه بقرة وسلمتهما الى الراعى ثم جئت انا بعد مدة طويلة من السفر فسألت عن ولدى وعن امه فقالت لى جارية منهما توفيت وابنك هرب ولم اعلم اين راح فجلست مدة سنة واناحزين القلب باكى العين الى ان جاء عيد الاضحية فارسلت الى الراعى ان يحضرنى بقرة سمينة فجاء فى بقرة سمينة وهى سريتى التى سحرتها تلك الغزالة فشمرت ثيابى واخذت السكين بيدى وتهيئت لذبحها فصاحت وبكت بكاء شديدا فقمت عنها وامرت ذلك الراعى بذبحها وسلخها فذبحها وسلخها فلم يجد فيها شحما ولا لحما غير جلد وعظم فندمت على ذبحها حيث لا ينفعنى الندم واعطيتها للراعى وقلت له ائتنى بعجل سمين فاتانى بولدى المسحور عجلا فلما رآنى ذلك الجعل قطع حبله وجاء فى وتمرغ على ورلول وبكى فاخذتنى الرأفة عليه وقلت للراعى ائتنى ببقرة ودع هذا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها اختها ما اطيب حديثك والطفه والذه واعذبه فقالت لها واين هذا مما احدثكم به الليلة القابلة ان عشت وابقانى الملك فقال الملك فى نفسه والله ما اقتلها حتى اسمع بقية حديثها ثم انهم باتوا تلك الليلة الى الصباح متعانقين فخرج الملك الى محل حكمه وطلع الوزير بالكفن تحت ابطه ثم حكم الملك وولى وعزل الى آخر النهار ولم يخبر الوزير بشئ من ذلك فتعجب الوزير غاية العجب ثم انفض الديوان ودخل الملك شهريار قصره

فلما كانت الليلة الثانية

قالت دنيازاد لاختها شهرزاد يا اختي اتمم لنا حديثك الذي هو حديث التاجر والجني قالت حبا وكرامة
ان اذن لي الملك في ذلك فقال لها الملك احكي فقالت بلغني ايها الملك السعيد ذو الرأي الرشيد انه لما رأى بكاء
الجمل حن قلبه اليه وقال للراعي ابق هذا الجمل بين البهائم كل ذلك والجني يتعجب من حكاية ذلك الكلام
العجيب ثم قال صاحب الغزالة ياسيد ملوك الجان كل ذلك جرى وابنة عمي هذه لغزالة تنظر وترى وتقول
اذبح هذا الجمل فانه سمين فلم يهن علي ان اذبحه وامرت الراعي ان يأخذه فاخذه وتوجه به ففي ثاني يوم
انا جالس واذا بالراعي مقبل علي وقال ياسيدي انى اقول شيأ تسر به ولي البشارة فقلت نعم فقال ايها
التاجر ان لي بنتا كانت تعلمت السحر في صغرها من امرأة عجوز كانت عندنا فلما كنا بالامس واعطيتني
الجمل دخلت به عليها فنظرت اليه بنتي وغطت وجهها وبكت ثم انها ضحكت وقالت يا ابي قد خس قدري
عندك حتى تدخل علي الرجال الاجانب فقلت لها واين الرجال الاجانب ولماذا بكيت وضحكت فقالت لي
ان هذا الجمل الذي معك ابن سيدي التاجر ولكنه مسحور بسحر تهزوجة ابيه هو وامه فهذا سبب ضحكي
واما سبب بكائي من اجل امه حيث ذبحها ابوه فتعجبت من ذلك غاية العجب وما صدقت بطلوع الصباح
حتى جئت اليك لاعلمك فلما سمعت ايها الجني كلام هذا الراعي خرجت معه وانا سكران من غير مدام من
كثرة الفرح والسرور الذي حصل لي الى ان اتيت الى داره فرحبت بي ابنة الراعي وقبلت يدي ثم ان الجمل
جاء الي وتمرغ علي فقلت لابنة الراعي احق ما تقولينه عن ذلك الجمل فقالت نعم ياسيدي انه ابنك وحشاشة
كبدك فقلت لها ايتها الصبية ان انت خلصتيه فلك عندي ما تحت يدي ابيك من المواشي والاموال فتبسمت
وقالت ياسيدي ليس لي رغبة في المال الا بشرطين * الاول ان تزوجني به * والثاني ان اسحر من سحرته
واحبسها والا فلست آمن مكرها فلما سمعت ايها الجني كلام بنت الراعي قلت ولك فوق جميع ما تحت يد
ابيك من الاموال زيادة واما بنت عمي فدمها لك مباح فلما سمعت كلامي اخذت طاسة وملأتها ماء ثم انها
عزمت عليها ورشت بها الجمل وقالت له ان كان الله خلقك جملا فدم على هذه الصفة ولا تتغير وان كنت
مسحورا فعد الى خلقتك الاولى باذن الله تعالى واذا به انتفض ثم صار انسانا فوقعت عليه وقلت له بالله
عليك احك لي جميع ما صنعت بك وبامك بنت عمي فحكى لي جميع ما جرى لهما فقلت يا ولدي قد قيض الله
لك من خلصك وخلص حقك ثم اني ايها الجني زوجته ابنة الراعي ثم انها سحرت ابنة عمي هذه الغزالة
وجئت الى هنا فرأيت هؤلاء الجماعة فسألتهم عن حالهم فاخبروني بما جرى لهذا التاجر فجلست لانظر
ما يكون وهذا حديثي فقال الجني هذا حديث عجيب وقد وهبت لك ثلث دمه فعند ذلك تقدم الشيخ
الذي صاحب الكلبتين السلاقيتين وقال له اعلم ياسيد ملوك الجان ان هاتين الكلبتين اخوتي وانا اكبرهم
ومات والدي وخلف لنا ثلاثة الاف دينار ففتحت انا دكانا ابيع فيه واشتري وسافر اخي بتجارته وغاب عنا
مدة سنة مع القوافل ثم اتى وما معه شيء فقلت له يا اخي اما اشرت عليك بعدم السفر فبكى وقال يا اخي قدر الله
عز وجل علي بهذا ولم يبق لهذا الكلام فائدة ولست املك شيأ فاخذته وطلعت به الى الدكان ثم ذهبت به
الى الحمام والبسته حلة من الملابس الفاخرة واكلت انا واياه وقلت له يا اخي اني احسب ربح دكاني من السنة
الى السنة ثم اقسمه دون رأس المال بيني وبينك ثم اني عملت حساب الدكان من ربح مالي فوجدته الفي دينار
فحمدت الله عز وجل وفرحت غاية الفرح وقسمت الربح بيني وبينه شطرين واتفق ان بعضنا ايام ثم ان
اخوتي طلبوا السفر ايضا واردوا ان اسافر معهم فلم ارض وقلت لهم اي شيء كسبتم في سفركم حتى اكسب
انا فالحوا علي ولم اطعهم بل اقمت في دكاني ابيع واشتري سنة كاملة وهم يعرضون على السفر وانا لم ارض

حتى مضت ست سنوات كوامل ثم وافقتهم على السفر وقلت لهم يا اخوتى انتا نحسب ما عندنا من المال فحسبناه فاذا هو ستة الاف دينار فقلت ندفن نصفها تحت الارض لينفعنا اذا اصابنا امر ويأخذ كل واحد منا الف دينار ونتسبب فيها قالوا نعم الرأى فاخذت المال وقسمته نصفين ودفنت ثلاثة الاف دينار واما الثلاثة الاف دينار الاخرى فاعطيت كل واحد منهم الف دينار وجهزنا بضائع واكترينا مركبا ونقلنا فيها حوايجنا وسافرنا مدة شهر كامل الى ان دخلنا مدينة وبعنا بضائعنا فربحنا فى الدينار عشرة دنانير ثم اردنا السفر فوجدنا على شاطئ البحر جارية عليها خلق مقطع فقبلت يدى وقالت ياسيدى هل عندك احسان ومعروف اجازيك عليهما قلت نعم ان عندى الاحسان والمعروف ولولم تجازينى فقالت ياسيدى تزوجنى وخذنى بلادك فانى قد وهبتك نفسى فافعل معى معروفا لانى ممن يصنع معه المعروف والاحسان ويجازى عليهما ولا يغرنك حالى فلما سمعت كلامها حن قلبى اليها لامر يريده الله عز وجل فاخذتها وكسوتها وفرشت لها فى المركب فرشا حسنا واقبلت عليها واكرمتها ثم سافرنا وقد احبها قلبى محبة عظيمة وصرت لا افارقها ليلا ولا نهارا واشتغلت بها عن اخوتى فغاروا منى وحسدونى على مالى وكثرة بضاعتى وطمعت عيونهم فى المال جميعه وتحدثوا بقتلى واخذ مالى وقالوا نقتل اخانا ويصير المال جميعه لنا وزين لهم الشيطان اعمالهم فجاؤنى وانا نائم بجانب زوجتى وحملونى انا وزوجتى ورمونا فى البحر فلما استيقظت زوجتى انتفضت فصارت عفريتة وحملتنى وطلعتنى على جزيرة وغابت عنى قليلا وعادت الى عند الصباح وقالت لى انا زوجتك التى حملتك ونجيتك من القتل باذن الله تعالى واعلم انى جنية رأيتك فحبك قلبى لله وانا مؤمنة بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم فحبتك بالحال الذى رأيتنى فيه فتزوجت بى وها انا قد نجيتك من الغرق وقد غضبت على اخوتك ولابد ان اقتلهم فلما سمعت حكايتها تعجبت وشكرتها على فعلها وقلت لها اما هلاك اخوتى فلا ينبغى ثم حكيت لها ما جرى لى معهم من اول الزمان الى آخره فلما سمعت كلامى قالت انا فى هذه الليلة اطير اليهم واغرق مركبهم واهلكهم فقلت لها بالله عليك لا تفعلى فان صاحب المثل يقول يا محسنا لمن اساء كفى المسئ فعله وهم اخوتى على كل حال قالت لابد لى من قتلهم فاستعطفتها ثم انها حملتنى وطارت فوضعتنى على سطح دارى ففتحت الابواب واخرجت الذى خبئته تحت الارض وفتحت دكانى بعدما سلمت على الناس واشتريت بضائع فلما كان الليل دخلت دارى فوجدت هاتين الكلبتين مربوطتين فيها فلما رانى قاما الى وبكيا وتعلقا بى فلم اشعر الا وزوجتى قالت هؤلاء اخوتك فقلت ومن فعل بهم هذا الفعل قالت انا ارسلت الى اختى ففعلت بهم ذلك وما يتخلصون الا بعد عشر سنوات فجئت وانا سائر اليها تخلصهم بعد اقامتهم عشر سنوات فى هذا الحال فرأيت هذا الفتى فاخبرونى بما جرى له فاردت ان لا ابرح حتى انظر ما يجرى بينك وبينه وهذه قصتى قال الجنى انها حكاية عجيبة وقد وهبت لك ثلث دمه فى جنايته -

فلما كانت الليلة الثالثة

قالت بلغنى ان الشيخ الثالث صاحب البغلة قال للجنى انا احكى لك حكاية اعجب من حكاية الاثنين وتهب لى باقى دمه وجنايته ايها الجنى قال نعم فقال الشيخ ايها السلطان ورئيس الزمان ان هذه البغلة كانت زوجتى سافرت وغبت عنها سنة كاملة ثم قضيت سفرى وجئت اليها فى الليل فرأيت عبدا اسود راقدا معها فى الفراش وهما فى كلام وغنج وضحك وتقبيل وهراش فلما رأتنى جعلت وقامت الى بكوز فيه ماء فتكلمت

عليه ورشقني وقالت اخرج من هذه الصورة الى صورة كلب فصرت في الحال كلبا فطردتني من البيت فخرجت من الباب ولم ازل سائرا حتى وصلت الى دكان جزار فتقدمت وصرت آكل من العظام فلما رآني صاحب الدكان اخذني ودخل بي بيته فلما رأتني بنت الجزار غطت وجهها مني وقالت اتجيء لنا برجل وتدخل علينا به فقال ابوها اين الرجل قالت ان هذا الكلب رجل سحرته امرأة وانا اقدر على تخليصه فلما سمع ابوها كلامها قال بالله عليك يا بنتي خلصيه فاخذت كوزا فيه ماء وتكلمت عليه ورشت على منه قليلا وقالت اخرج من هذه الصورة الى صورتك الاولى فصرت الى صورتي الاولى فقبلت يدها وقلت لها اريد ان تسحري زوجتي كما سحرتني فاعطتني قليلا من الماء وقالت اذا رأيتها نائمة رش هذا الماء عليها فانها تصير كما انت طالب فوجدتها نائمة فرشيت عليها الماء وقلت اخرجي من هذه الصورة الى صورة بغلة فصارت في الحال بغلة وهي هذه التي تنظرها بعينك ايها السلطان ورئيس ملوك الجان ثم التفت اليها قال الصحيح هذا فهزت رأسها وقالت بالاشارة نعم هذا صحيح فلما فرغ من حديثه اهتز الجني من الطرب ووهب له ثلث دمه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها اختها يا اختي ما احلى حديثك واطيبه والذه واعذبه فقالت واين هذا مما احدثكم به الليلة القابلة ان عشت وابقاني الملك فقال الملك والله لا اقتلها حتى اسمع بقية حديثها لانه عجيب ثم باتوا تلك الليلة متعانقين الى الصباح فخرج الملك الى محل حكمه ودخل عليه الوزير والعسكر واحتبك الديوان فحكم الملك وولى وعزل ونهى وامر الى آخر النهار ثم انفض الديوان ودخل الملك شهريار الى قصره فلما اقبل الليل وقضى حاجته من بنت الوزير قالت لها اختها دنيازاد يا اختي اتممي لنا حديثك فقالت حبا وكرامة بلغني ايها الملك السعيد ان الشيخ الثالث لما قال للجني حكايته اعجب من الحكايتين تعجب الجني غاية العجب واهتز من الطرب وقال قد وهبت لك باقي جنايته واطلقته لكم فاقبل التاجر على الشيوخ وشكرهم وهنوه بالسلامة ورجع كل واحد الى بلده وما هذه باعجب من حكاية الصياد فقال لها الملك وما حكاية الصياد قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان رجل صياد وكان طاعنا في السن وله زوجة وثلاثة اولاد وهو فقير الحال وكان من عادته انه يرمي شبكته كل يوم اربع مرات لا غير ثم انه خرج يوما من الايام في وقت الظهر الى شاطئ البحر وحط مقطفه وطرح شبكته وصبر الى ان استقرت في الماء ثم جمع خيطانها فوجدها ثقيلة فجذبها فلم يقدر على ذلك فذهب بالطرف الى البر ودق وتدا وربطها فيه ثم تعرى وغطس في الماء حول الشبكة ومازال يعالج حتى اطلعها ففرح ولبس ثيابه واتى الى الشبكة فوجد فيها حمارا ميتا فلما رأى ذلك حزن وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قال ان هذا الرزق عجيب وانشد يقول

يا خائضا في ظلام الليل والهلكه * اقصر عناك فليس الرزق بالحركه

ثم ان الصياد لما رأى الحمار الميت خلصه من الشبكة وعصرها فلما فرغ من عصرها نشرها وبعد ذلك نزل البحر وقال بسم الله وطرحها فيه وصبر عليها حتى استقرت ثم جذبها فثقلت ورسخت اكثر من الاول فظن انه سمك فربط الشبكة وتعرى ونزل وغطس ثم عالج الى ان خلصها واطلعها على البر فوجد فيها زيرا كبيرا وهو ملآن برمل وطين فلما رأى ذلك تاسف وانشد قول الشاعر

يا حرقة الدهر كفي * ان لم تكف فعني
فلا بحظي اعطى * ولا بصنعة كفي
خرجت اطلب رزقي * وجدت رزقي توفى

كم جاهل فى ظهور * وعالم متضفى

ثم انه رمى الزير وعصر شبكته ونتفها واستغفر الله وعاد الى البحر ثالث مرة ورمى الشبكة وصبر عليها حتى استقرت وجذبها فوجد فيها شقافة وقوارير فانشد قول الشاعر

هو الرزق لاحيل لديك ولا ربط * ولا قلم يجدى عليك ولا خط

ثم انه رفع رأسه الى السماء وقال اللهم انك تعلم انى لم ارم شبكتى غير اربع مرات وقد رميت ثلاثا ثم انه سمى الله ورمى الشبكة فى البحر وصبر الى ان استقرت وجذبها فلم يطق جذبها واذا بها اشتبكت فى الارض فقال لاحول ولا قوة الا بالله فتعرى وغطس عليها واصار يعالج فيها الى ان طلعت على البر وفتحها فوجد فيها قمقما من نحاس اصفر ملانا وفمه مختوم برصاص عليه طبع خاتم سيدنا سليمان فلما رآه الصياد فرح وقال هذا ابيعه فى سوق النحاس فانه يساوى عشرة دنانير ذهبا ثم انه حركه فوجده ثقيلا فقال لابد انى افتحه وانظر ما فيه وادخره فى الخرج ثم ابيعه فى سوق النحاس ثم انه اخرج سكينا وعالج فى الرصاص الى ان فكه من القمقم وحطه على الارض وهزه لينكب ما فيه فلم ينزل منه شئ ولكن خرج من ذلك القمقم دخان صعد الى عنان السماء ومشى على وجه الارض فتعجب غاية العجب وبعد ذلك تكامل الدخان واجتمع ثم انتفض فصار عفريتا رأسه فى السحاب ورجلاه فى التراب برأس كالقبة ويد كالمدارى ورجلين كالصوارى وفم كالمغارة واسنان كالحجارة ومناخير كالابريق وعينين كالسراجين اشعث اغبر فلما رأى الصياد ذلك العفريت ارتعدت فرايصه وتشبكت اسنانه ونشف ريقه وعمى عن طريقه فلما رآه العفريت قال لااله الا الله سليمان نبى الله ثم قال العفريت يا نبى الله لاتقتلنى فانى لاعدت اخالف لك قولا ولا اعصى لك امرا فقال له الصياد ايها المارد اتقول سليمان نبى الله وسليمان مات من مدة الف وثمانمايه سنة ونحن فى آخر الزمان فاقصتك وما حديثك وما سبب دخولك فى هذا القمقم فلما سمع المارد كلام الصياد قال لااله الا الله ابشر يا صياد فقال الصياد بماذا ابشرنى فقال بقتلك فى هذه الساعة اشر القتلات قال الصياد تستحق على هذه البشارة يا قيم العفاريت زوال الستر عنك يا بعيد لاى شئ تقتلنى واى شئ يوجب قتلى وقد خلصتك من القمقم ونجيتك من قرار البحر وطلعتك الى البر فقال العفريت تمن على اى موتة تموتها واى قتلة تقتلها فقال الصياد ما ذنبى حتى يكون هذا جزائى منك قال العفريت اسمع حكايتى يا صياد قال الصياد قل واوجز فى الكلام فان روحى وصلت الى قدمى قال اعلم انى من الجن المارقين وقد عصيت سليمان بن داود انا وصخر الجن فارسل لى وزيره اصف بن برخيا فاتى بى مكرها وقادنى اليه وانا ذليل على رغم انفى واوقفنى بين يديه فلما رانى سليمان استعاذ منى وعرض على الايمان والدخول تحت طاعته فابيت فطلب هذا القمقم وحبسنى فيه وختم على بالرصاص وطبعه بالاسم الاعظم وامر الجن فاحتملونى والقونى فى وسط البحر فاقمت مايه عام وقلت فى قلبى كل من خلصنى اغنيته الى الابد فمرت المايه عام ولم يخلصنى احد ودخلت على مايه اخرى فقلت كل من خلصنى فتحت له كنوز الارض فلم يخلصنى احد فمر على اربعمايه عام اخرى فقلت كل من خلصنى اقضى له ثلاث حاجات فلم يخلصنى احد فغضبت غضبا شديدا وقلت فى نفسى كل من خلصنى فى هذه الساعة قتلته ومنيته كيف يموت وها انت قد خلصتنى ومنيتك كيف تموت فلما سمع الصياد كلام العفريت قال يا لله الهب انا ما جئت اخلصك الا فى هذه الايام ثم قال الصياد للعفريت اعف عن قتلى يعفو الله عنك ولا تهلكنى يسلط الله عليك من يهلكك فقال المارد لابد من قتلك فقلت على اى موتة تموتها فلما تحقق ذلك

منه الصياد راجع العفريت وقال اعف عني اكراما لما اعتقتك فقال العفريت وانا ما اقتلك الا لاجل ما خلصتني فقال له الصياد يا شيخ العفاريت هل اصنع معك ملحا فتقابلني بالقبيح ولكن لم يكذب المثل حيث قال

فعلنا جميلا قابلونا بضده * وهذا لعمري من فعال الفواجر
ومن يفعل المعروف مع غير اهله * يجازى كما جوزى مجير ام عامر

فلما سمع العفريت كلامه قال له لا تطمع فلا بد من موتك فقال الصياد هذا جني وانا انسي وقد اعطاني الله عقلا كاملا وها انا ادبر امرا في هلاكه بحيلتي وعقلي وهو يدبر بمكره وخبثه ثم قال للعفريت هل صممت على قتلي قال نعم فقال له بالاسم الاعظم المنقوش على خاتم سليمان اسألك عن شئ وتصدقني فيه قال نعم ثم ان العفريت لما سمع ذكر الاسم الاعظم اضطرب واهتز وقال له اسأل واوجز فقال له كيف كنت في هذا القمقم والقمقم لا يسع يدك ولا رجلك فكيف يسعك كلك فقال له العفريت وهل انت لا تصدق اني كنت فيه فقال الصياد لا اصدقك ابدا حتى انظرك فيه بعيني وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الصياد لما قال للعفريت لا اصدقك ابدا حتى انظرك بعيني في القمقم انتفض العفريت وصار دخانا صاعدا الى الجو ثم اجتمع ودخل في القمقم قليلا قليلا حتى استكمل الدخان داخل القمقم واذا بالصياد اسرع واخذ السدادة الرصاص المختومة وسد بها فم القمقم ونادى العفريت وقال له تمن على اي موتة تموتها الا رميتك في هذا البحر وابني لي هنا بيتا وكل من اتى هنا امنعه ان يصطاد واقول له هنا عفريت وكل من طلعه يبين له انواع الموت ويخيره بينها فلما سمع العفريت كلام الصياد اراد الخروج فلم يقدر ورأى نفسه محبوسا ورأى عليه طبع خاتم سليمان وعلم ان الصياد سجنه في سجن احقر العفاريت واقذرها واصغرها ثم ان الصياد ذهب بالقمقم الى جهة البحر فقال له العفريت لا تفعل فقال الصياد لا بد لا بد فلطف المارد كلامه وخضع وقال ما تريد ان تصنع بي يا صياد قال القيك في البحر ان كنت اقمت فيه الفا وثمانمائة عام فانا اجعلك تمكث فيه الى ان تقوم الساعة اما قلت لك ابقني ببقك الله ولا تقتلني يقتلك الله فابيت قولي وما اردت الا غدري فالقالله في يدي فغدرت بك فقال العفريت افتح لي حتى احسن اليك فقال له الصياد تكذب يا ملعون انا مثلي ومثلك مثل وزير الملك يونان والحكيم رويان فقال العفريت وما شأن وزير الملك يونان والحكيم رويان وما قصتهما فقال الصياد اعلم ايها العفريت انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان في مدينة الفرس وارض رومان ملك يقال له الملك يونان وكان ذا مال وجنود وبأس واعوان من سائر الاجناس وكان في جسده برص قد عجزت فيه الاطبا والحكما ولم ينفعه منهم شرب ادوية ولا سفوف ولا دهان ولم يقدر احد من الاطبا ان يداويه وكان قد دخل مدينة الملك يونان حكيم كبير طاعن في السن يقال له الحكيم رويان وكان عارفا بالكتب اليونانية والفارسية والرومية والعربية والسريانية وعلم الطب والنجوم وعالما باصول حكمتها وقواعد امورها من منفعتها ومضرتها وعالما بخواص النباتات والحشايش والاعشاب المضرة والنافعة قد عرف علم الفلاسفة وحاز جميع العلوم الطبية وغيرها ثم ان الحكيم لما دخل المدينة واقام بها اياما

قلائل سمع خبر الملك وما جرى له فى بدنه من البرص الذى ابتلاه الله به وقد عجزت عن مداواته الاطباء واهل العلوم فلما بلغ ذلك الحكيم بات مشغولا فلما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح وسلمت الشمس على زين الملاح لبس افخر ثيابه ودخل على الملك يونان وقبل الارض ودعى له بدوام العز والنعم واحسن ما به تكلم واعلمه بنفسه فقال ايها الملك بلغنى ما اعترك من هذا الذى فى جسدك وان كثيرا من الاطباء لم يعرفوا الحيلة فى زواله وها انا اداويك ايها الملك ولا اسقيك دواء ولا اداهنك بدهن فلما سمع الملك يونان كلامه تعجب وقال له كيف تفعل فوالله ان ابرأتنى اغتنك لولد الولد وانعم عليك وكل ما تتمناه فهو لك وتكون نديمى وحبيبى ثم انه خلع عليه واحسن اليه وقال له ان برأتنى من هذا المرض بلا دواء ولا دهان قال نعم ابريك بلا مشقة فى جسدك فتعجب الملك غاية العجب ثم قال له ايها الحكيم الذى ذكرته لى يكون فى اى الاوقات وفى اى الايام فاسرع به يا ولدى قال له سمعا وطاعة ثم نزل من عند الملك واكترى له بيتا ووجه فيه كتبه وادويته وعقاقيره ثم استخرج الادوية والعقاقير وجعل منها صولجانا وجوفه وعمل له قصبة وصنع له كرة بمعرفته فلما صنع الجميع وفرغ منها طلع الى الملك فى اليوم الثانى ودخل عليه وقبل الارض بين يديه وامره ان يركب الى الميدان وان يلعب بالكرة والصولجان وكان معه الامراء والحجاب والوزراء وارباب الدولة فاستقر به الجلوس فى الميدان حتى دخل عليه الحكيم رويان وناوله الصولجان وقال له خذ هذا الصولجان واقبض عليه مثل هذه القبضة وامش فى الميدان واضرب به الكرة بقوتك حتى يعرق كفك وجسدك فينفذ الدواء من كفك فيسرى فى سائر جسدك فاذا فرغت واثر الدواء فيك فارجع الى قصرك وادخل بعد ذلك الحمام واغتسل وتم فقد برئت والسلام فعند ذلك اخذ الملك يونان ذلك الصولجان من الحكيم وامسكه بيده وركب الجواد ورميت الكرة بين يديه وساق خلفها حتى لحقها وضربها بقوة وهو قابض بكفه على قصبة الصولجان وما زال يضرب به الكرة حتى عرق كفه وسائر بدنه وسرى له الدواء من القبضة وعرف الحكيم رويان ان الدواء سرى فى جسده فامره بالرجوع الى قصره وان يدخل الحمام من ساعته فرجع الملك يونان من وقته وامر ان يخلوا له الحمام فاخلوه له وتسارعت الفراشون وتسابقت المماليك واعدوا للملك فراشه ودخل الحمام واغتسل غسلا جيدا ولبس ثيابه داخل الحمام ثم خرج منه وركب الى قصره ونام فيه هذا ما كان من امر الملك يونان واما ما كان من امر الحكيم رويان فانه رجع الى داره وبات فلما اصبح الصباح طلع الى الملك واستأذن عليه فاذن له فى الدخول فدخل وقبل الارض بين يديه واشار الى الملك بهذه الابيات

زهت الفصاحة اذ دعيت لها ابا * واذا دعت يوما سوالف لها ابا
ياصاحب الوجه الذى انواره * تمحو من الخطب الكريه غياهبا
مازال وجهك مشرقا متهللا * كى لا ترى وجه الزمان مقطبا
اوليتنى من فضلك المن الذى * فعلت بنا فعل السحاب مع الربا
وصرفت جل المال فى طلب العلا * حتى بلغت من الزمان مآربا

فلما فرغ من شعره نهض الملك قائما على قدميه وعانقه واجلسه بجنبه وخلع عليه الخلع السنية ولما خرج الملك من الحمام نظر الى جسده فلم يجد فيه شيأ من البرص وصار جسده نقيا مثل الفضة البيضا ففرح بذلك غاية الفرح واتسع صدره وانشرح فلما اصبح الصباح دخل الديوان وجلس على سرير ملكه ودخلت عليه الحجاب واكابر الدولة ودخل عليه الحكيم رويان فلما رآه قام اليه مسرعا واجلسه بجانبه

واذا جموائد الطعام قدمدت فاكل صحبته ومازال عنده يناديه طول نهاره فلما اقبل الليل اعطى الحكيم الفي دينار غير الخلع والهدايا واركبه جواده وانصرف الى داره والملك يونان يتعجب من صنعه ويقول هذا داوانى من ظاهر جسدى ولم يدهنى بدهان فوالله ماهذه الاحكمة بالغة فيجب على لهذا الرجل الانعام والاكرام وان اتخذه جليسا وانيسا مدى الزمان وبات الملك يونان مسرورا فرحانا بصحة جسمه وخلاصه من مرضه فلما اصبح خرج الملك وجلس على كرسيه ووقفت ارباب دولته بين يديه وجلست الامراء والوزراء على يمينه ويساره ثم طلب الحكيم روبان فدخل عليه وقبل الارض بين يديه فقام له الملك واجلسه بجانبه واكل معه وحياه وخلع عليه واعطاه ولم يزل يتحدث معه الى ان اقبل الليل فرسم له بخمس خلع والف دينار ثم انصرف الحكيم الى داره وهو شاكر للملك فلما اصبح الصباح خرج الملك الى الديوان وقد احدقت به الامراء والوزراء والحجاب وكان له وزير من وزرائه بشع المنظر شحس الطالع لئيم بخيل حسود مجبول على الحسد والمقت فلما رأى ذلك الوزير ان الملك قرب الحكيم روبان واعطاه هذا الانعام حسده عليه واضمر له الشر كما قيل فى المعنى ما خلى جسد من حسد وقيل فى المعنى الظلم كمين فى النفس القوة تظهره والعجز يخفيه ثم ان الوزير تقدم الى الملك يونان وقبل الارض بين يديه وقال له يا ملك العصر والاوان انت الذى شمل الناس احسانك ولك عندى نصيحة عظيمة فان اخفيتها عنك اكون ولد زنا فان امرتنى ان ابديها ابديتها لك فقال الملك وقد راعه كلام الوزير وما نصيحتك فقال ايها الملك الجليل قد قالت القدماء من لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب وقد رأيت الملك على غير صواب حيث انعم على عدوه وعلى من يطلب زوال ملكه وقد احسن اليه واكرمه غاية الاكرام وقربه غاية القرب وانا اخشى على الملك من ذلك فانزعج الملك وتغير لونه وقال له من الذى تزعم انه عدوى واحسن اليه فقال له ايها الملك ان كنت نائما فاستيقظ فانا اشير الى الحكيم روبان فقال له الملك ان هذا صديقى وهو اعز الناس عندى لانه داوانى بشئ قبضته بيدى وابرانى من مرضى الذى عجزت فيه الاطباء وهو لا يوجد مثله فى هذا الزمان فى الدنيا غربا وشرقا فكيف انت تقول عليه هذا المقال وانا من هذا اليوم لرتب له الجوامك والجرايات واعمل له فى كل شهر الف دينار ولو قاسمته فى ملكى لكان قليلا عليه وما اظن انك تقول ذلك الا حسدا كما بلغنى عن الملك السندباد ثم قال الملك يونان ذكروا لله اعلم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها اختها يا اختى ما احلى حديثك واطيبه والذه واعذبه فقالت لها واين هذا مما احدثكم به الليلة المقبلة ان عشت وابقانى الملك فقال الملك فى نفسه والله لا اقتلها حتى اسمع بقية حديثها لانه حديث عجيب ثم انهم باتوا تلك الليلة متعانقين الى الصباح ثم خرج الملك الى محل حكمه واحتبك الديوان لحكم وولى وعزل وامر ونهى الى آخر النهار ثم انفض الديوان فدخل الملك قصره واقبل الليل وقضى حاجته من بنت الوزير شهرزاد

فلما كانت الليلة الخامسة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك يونان قال لوزيره ايها الوزير انت دخلت الحسد من اجل هذا الحكيم فتريد ان اقتله وبعد ذلك اندم كما ندم الملك السندباد على قتل البازفقال الوزير وكيف كان ذلك فقال الملك ذكر انه كان ملك من ملوك الفرس يحب الفرجة والتنزه والصيد والقنص وكان له باز رباه ولا يفارقه ليلا ولا نهارا ويبيت طول الليل حامله على يده واذا طلع الى الصيد يأخذه معه وهو عامل له طاسة من الذهب معلقة فى رقبته يسقيه منها فبينما الملك جالس واذا بالوكيل على طير الصيد يقول يا ملك الزمان هذا اوان

الخروج الى الصيد فاستعد الملك للخروج واخذ البازى على يده وساروا الى ان وصلوا الى وادٍ ونصبوا شبكة الصيد واذا بغزالة وقعت فى تلك الشبكة فقال الملك كل من فاتت الغزالة من جهته قتلته فضيقوا عليها حلقة الصيد واذا بالغزالة اقبلت على الملك وشبت على رجليها وحطت يديها على صدرها كانها تقبل الارض للملك فطأطأ الملك للغزالة ففرت من فوق دماغه وراحت الى البر فالتفت الملك الى العسكر فرآهم يتغامزون عليه فقال ياوزير ماذا يقول العساكر فقال يقولون انك قلت كل من فاتت الغزالة من جهته يقتل فقال الملك وحياة رأسى لاتبعها حتى اجيء بها ثم طلع الملك فى اثر الغزالة ولم يزل وراءها وصار البازى يلطشها على عينيها الى ان اعماها ودوخها فسحب الملك دبوسا وضربها فقتلها ونزل ذبحها وسلخها وعلقها فى قربوص السرج وكانت ساعة حر وكان المكان قفرا لم يوجد فيه ماء فعطش الملك وعطش الحصان فالتفت الملك فرأى شجرة ينزل منها ماء مثل السمن وكان الملك لابسا فى كفه جلدا فاخذ الطاسة من رقبة البازى وملأها من ذلك الماء ووضع الماء قدامه واذا بالبازى لطش الطاسة فقلبها فاخذ الملك الطاسة ثانيا وملأها وظن ان البازى عطشان فوضعها قدامه فلطشها ثانيا وقلبها فغضب الملك من البازى واخذ الطاسة ثالثا وقدمها للعصان فقلبها البازى بجناحه فقال الملك الله يخيبك ياأشأم الطيور احرمتنى من الشرب واحرمت نفسك واحرمت الحصان ثم ضرب البازى بالسيف فرمى اجنحته فصار البازى يقيم رأسه ويقول بالاشارة انظر الذى فوق الشجرة فرفع الملك عينه فرأى فوق الشجرة حية والذى يسيل سمها فندم الملك على قص اجنحة البازى ثم قام وركب حصانه وسار ومعه الغزالة حتى وصل الى مكانه الاول فالقى الغزالة الى الطباخ وقال له خذها واطبخها ثم جلس الملك على الكرسى والبازى على يده فشهق البازى ومات فصاح الملك حزنا واسفا على قتل البازى حيث خلصه من الهلاك وهذا ما كان من حديث الملك السندباد فلما سمع الوزير كلام الملك يونان قال له ايها الملك العظيم الشان وما الذى فعلته من الضرورة ورأيت منه سوأ انما افعل معك هذا شفقة عليك وستعلم صحة ذلك فان قبلت منى نجوت والا هلكت كما هلك وزير كان احتال على ابن ملك من الملوك كان لذلك الملك ولد مولع بالصيد والقنص وكان له وزير فامر الملك ذلك الوزير ان يكون مع ابنه اينما توجه فخرج يوما من الايام الى الصيد والقنص وخرج معه وزير ابيه فساروا جميعا فنظرا الى وحش كبير فقال الوزير لابن الملك دونك هذا الوحش فاطلبه فقصده ابن الملك حتى غاب عن العين وغاب عنه الوحش فى البرية وتحير ابن الملك فلم يعرف اين يذهب واذا بجارية على رأس الطريق وهى تبكى فقال لها ابن الملك من انت قالت بنت ملك من ملوك الهند وكنت فى البرية فادركنى النعاس فوقعت من فوق الدابة ولم اعلم بنفسى فصرت منقطعة حائرة فلما سمع ابن الملك كلامها رق لحالها وحملها على ظهر دابته واردفها وسار حتى مر بجزيرة فقالت له الجارية ياسيدى اريد ان ازيل ضرورة فانزلها الى الجزيرة ثم تعوقت فاستبطأها فدخل خلفها وهى لاتعلم به فاذا هى غولة وهى تقول لاولادها ياأولادى قد اتيتكم اليوم بغلام سمين فقالوا لها ائتينا به يا امنا نأكله فى بطوتنا فلما سمع ابن الملك كلامهم ايقن بالهلاك وارتعدت فرائصه وخشى على نفسه ورجع فخرجت الغولة فرأته كالخائف الوجل وهو يرتعد فقالت له ما بالك خائفا فقال لها ان لى عدوا وانا خائف منه فقالت الغولة انك تقول انا ابن الملك قال لها نعم قالت له ما لك لاتعطى عدوك شيأ من المال فترضيه به فقال لها انه لايرضى بمال ولا يرضى الا بالروح وانا خائف منه وانا رجل مظلوم فقالت له ان كنت مظلوما كما تزعم فاستعن بالله عليه فانه يكفيك شره وشر جميع ما تخافه فرفع ابن الملك رأسه الى

السماء وقال يا من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء انصرني على عدوي واصرفه عني انك على ما تشاء قدير فلما سمعت الغولة دعاءه انصرفت عنه وانصرف ابن الملك الى ابيه وحدثه بحديث الوزير وانت ايها الملك متى امنت لهذا الحكيم قتلك اقبح القتلات وان كنت احسنت اليه وقربته منك فانه يدبر في هلاكك اما ترى انه ابرأ السقم من المرض من ظاهر الجسد بشيء امسكته بيدك فلا تأمن ان يهلكك بشيء تمسكه ايضا فقال الملك يونان صدقت فقد يكون كما ذكرت ايها الوزير الناصح فلعل هذا الحكيم اتى جاسوسا في طلب هلاكي واذا كان ابرأني بشيء امسكته بيدي فانه يقدر ان يهلكني بشيء اشمه ثم ان الملك يونان قال لوزيره ايها الوزير كيف العمل فيه فقال له الوزير ارسل اليه في هذا الوقت واطلبه فان حضر فاضرب عنقه فتكفي شره وتستريح منه واغدر به قبل ان يغدر بك فقال الملك يونان صدقت ايها الوزير ثم ان الملك ارسل الى الحكيم فحضر وهو فرحان ولا يعلم ما قدره الرحمن كما قال بعضهم في المعنى

يا خائفا من دهره كن آمنا * وكل الامور الى الذي بسط الثرى
ان المقدر كائن لا يمتعي * ولك الامان من الذي ما قدرا

وانشد الحكيم مخاطبا للملك قول الشاعر

اذا لم اقم يوما لحقك بالشكر * فقل لي لمن اعددت نظمي مع النثر
لقد جدت لي قبل السؤال بانعم * اتتني بلا مطل لديك ولا عذر
فعالي لا اعطى ثنائي حقه * واثني على عليائك في السر والجهر
سأشكر ما اوليتني من صنائع * يخف لها في وان انقلت ظهري

وايضا في المعنى

كن عن همومك معرضا * وكل الامور الى القضا
وابشر بخير عاجل * تنسى به ما قد مضى
فلرب امر مسخط * لك في عواقبه رضى
الله يفعل ما يشاء * فلا تكن متعرضا

وايضا في المعنى

سلم امورك للحكيم العالم * وارح فؤادك من جميع العالم
واعلم بان الامر ليس كما تشا * بل ما يشاء الله احكم حاكم

وايضا في المعنى

لا تبتئس وانس الهموم جميعها * ان الهموم تزيل لب الحازم
لا ينفع التدبير عبدا عاجزا * فاترك له تسلم في نعيم دائم

فلما حضر الحكيم رويان قال له الملك اتعلم لماذا احضرتك فقال الحكيم لا يعلم الغيب الا الله تعالى فقال له الملك احضرتك لاقتلك واعدم منك روحك فتعجب الحكيم رويان من تلك المقالة غاية العجب وقال ايها الملك لماذا تقتلني واي ذنب بدا مني فقال له الملك قد قيل لي انك جاسوس وقد اتيت لتقتلني وها انا اقتلك قبل ان تقتلني ثم ان الملك صاح على السياف وقال له اضرب رقبة هذا الغدار وارحنا من شره فقال الحكيم ابقني يبقك الله ولا تقتلني يقتلك الله ثم انه كرر عليه القول مثل ما قلت لك ايها العفريت وانت لا تدعني بل تريد قتلي فقال الملك يونان للحكيم رويان اني لا أمن الا ان قتلتك فانك ابرأتني بشيء امسكته بيدي فلا أمن

ان تقتلنى بشئ اشمه او غير ذلك فقال الحكيم ايها الملك اهذا جزائى منك تقابل المليح بالقبيح فقال الملك لابد من قتلك من غير مهلة فلما تحقق الحكيم ان الملك قاتله ولا محالة بكى وتأسف على ما صنع من الجميل مع غير اهله كما قيل فى المعنى

ان ميمونة من سمات العقل عارية * لكن ابوها من الالباب قد خلق
لم يمش فى يابس يوما ولا وحل * الا بنور هداه يتقى الزلق

وبعد ذلك تقدم السياف وعمى عينيه وشهر سيفه وقال أمذن والحكيم يبكى ويقول للملك ابقنى يبقك الله ولا تقتلنى يقتلك الله وانشد قول الشاعر

نصحت فلم اقبل وغشوا فافلحوا * فاوقعنى نصحى بدار هوان
فان عشت لم انصح وان مت فانع لى * ذوى النصح من بعدى بكل لسان

ثم ان الحكيم قال للملك ايكون هذا جزائى منك فتجازينى مجازاة التمساح قال الملك وما حكاية التمساح فقال الحكيم لا يمكننى ان اقولها وانا فى هذا الحال فبالله عليك ابقنى يبقك الله ثم ان الحكيم بكى بكاء شديدا فقام بعض خواص الملك وقال ايها الملك هب لى دم هذا الحكيم لانا ما رأيناه فعل معك ذنبا وما رأيناه الا بارا لك من مرضك الذى اعيى الاطبا والحكما فقال لهم الملك لم تعرفوا سبب قتلى لهذا الحكيم وذلك لانى ان ابقيته فانا هالك لا محالة ومن ابرءنى من المرض الذى كان بى بشئ امسكته بيدى فيمكن ان يقتلنى بشئ اشمه فانا اخاف ان يقتلنى ويأخذ على جهالة لانه ربما كان جاسوسا وما جاء الا ليقتلنى فلابد من قتله وبعد ذلك أأمن على نفسى فقال الحكيم ابقنى يبقك الله ولا تقتلنى يقتلك الله فلما تحقق الحكيم ايها العفريت ان الملك قاتله لا محالة قال له ايها الملك ان كان لابد من قتلى فامهلنى حتى انزل الى دارى فاخلص نفسى واوصى اهلى وجيرانى ان يدفنونى واهب كتب الطب وعندى كتاب خاص الخاص اهبه لك هدية تدخره فى خزائنك فقال الملك للحكيم وما هذا الكتاب قال فيه شئ لا يحصى واقل ما فيه من الاسرار انك اذا قطعت رأسى وفصته وعددت ثلاث ورقات ثم تقرأ ثلاثة اسطر من الصحيفة التى على يسارك فان الرأس تكلمك وتجاوبك عن جميع ما سألتها عنه فتعجب الملك غاية العجب واهتز من الطرب وقال له ايها الحكيم وهل اذا قطعت راسك تكلمت فقال نعم ايها الملك وهذا امر عجيب ثم ان الملك ارسله مع المحافظة عليه فنزل الحكيم الى داره وقضى اشغاله فى ذلك اليوم وفى اليوم الثانى ثم طلع الحكيم الى الديوان وطلعت الامراء والوزراء والحجاب والنواب وارباب الدولة جميعا وصار الديوان كزهر البستان واذا بالحكيم دخل الديوان ووقف قدام الملك ومعه كتاب عتيق ومكحلة فيها ذرور وجلس وقال ائتونى بطبق فاتوه بطبق وكب فيه الذرور وفرشه وقال ايها الملك خذ هذا الكتاب ولا تعمل به حتى تقطع راسى فاذا قطعتها فاجعلها فى ذلك الطبق وامر بكبسها على ذلك الذرور فاذا فعلت ذلك فان دمها ينقطع ثم افتح الكتاب ففتحه الملك فوجده ملصوقا لحظ اصبعه فى فمه وبله بريقه وفتح اول ورقة والثانية والثالثة والورق ما ينفتح الا بجهد ففتح الملك ست ورقات ونظر فيها فلم يجد فيها كتابة فقال الملك ايها الحكيم ما فيه شئ مكتوب فقال الحكيم قلب الحكيم قلب زيادة على ذلك فقلب فيه زيادة فلم يكن الا قليل من الزمان حتى سرى فيه السم لوقته وساعته فان الكتاب كان مسموما فعند ذلك ترنح الملك وصاح وقال قد سرى فى السم فانشد الحكيم رويان يقول

تحكموا فاستطالوا فى حكومتهم * وعن قليل كأن الحكم لم يكن
لو انصفوا انصفوا لكن بغوا فبغى * عليهم الدهر بالافات والمحن

واصبحوا ولسان الحال ينشدهم * هذا بذا لك لا عتب على الزمن

فلما فرغ رويان الحكيم من كلامه سقط الملك ميتا من وقته فاعلم ايها العفريت ان الملك يونان لو ابقى الحكيم رويان لا بقاه الله ولكن ابى وطلب قتله فقتله الله وانت ايها العفريت لو ابقيتنى لا بقانى الله وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها اختها دنيازاد ما احلى حديثك فقالت واين هذا مما احدثكم به الليلة القابلة ان عشت وابقانى الملك وبانوا تلك الليلة فى نعيم وسرور الى الصباح ثم طلع الملك الى الديوان ولما انفض الديوان دخل قصره واجتمع باهله

فلما كانت الليلة السادسة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الصياد لما قال للعفريت لو ابقيتنى كنت ابقيتك لكن ما اردت الا قتلى فانا افتلك محبوسا فى هذا القمقم والقيك فى هذا البحر صرخ المارد وقال بالله عليك ايها الصياد لا تفعل وابقنى كرما ولا تؤاخذنى بعملى فاذا كنت انا مسيئا كن انت محسنا وفى الامثال السائرة يا محسنا لمن اساء كفى المسئ فعله ولا تعمل كما عمل امامة مع عاتكة قال الصياد وما شأنهما فقال العفريت ما هذا وقت حديث وانا فى السجن حتى تطلعنى منه وانا احدثك بشأنهما فقال الصياد لا بد من القائك فى البحر ولا سبيل الى اخراجك منه فانى كنت استعطفك واتضرع اليك وانت لا تريد الا قتلى من غير ذنب استوجبته منك ولا فعلت معك سوء قط ولم افعل معك الا خيرا لكونى اخرجتك من السجن فلما فعلت معى ذلك علمت انك ردئ الاصل واعلم انى مارميتك فى هذا البحر الا لاجل ان كل من طلعك اخبره بخبرك واحذره منك فيرميك فيه ثانيا فتقيم فى هذا البحر الى آخر الزمان حتى ترى انواع العذاب قال له العفريت اطلقنى فهذا وقت المروآت وانا اعاهدك انى لم اسؤك ابدا بل انفعك بشئ يغنيك دائما فاخذ الصياد عليه العهد انه اذا اطلقه لا يؤذيه ابدا بل يعمل معه الجميل فلما استوثق منه بالايمان والعهود وحلفه باسم الله الاعظم فتح له الصياد فتصاعد الدخان حتى خرج وتكامل فصار عفريتا مشوه الخلقة ورفص القمقم فرماه فى البحر فلما رأى الصياد رمى القمقم فى البحر ايقن بالهلاك وبال فى ثيابه وقال هذه ليست علامة خير ثم انه قوى قلبه وقال ايها العفريت قال الله تعالى واوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا وانت قد عاهدتنى وحلفت انك لا تغدر بى فان غدرت بى يجزك الله فانه غيور يمهل ولا يهمل وانا قلت لك مثل ما قال الحكيم رويان للملك يونان ابقنى يبقك الله فضحك العفريت ومشى قدامه وقال ايها الصياد اتبعنى فمشى الصياد وراءه وهو لم يصدق بالنجاة الى ان خرجوا من ظاهر المدينة وطلعوا على جبل ونزلوا الى برية متسعة واذا فى وسطها بركة ماء فوقف العفريت عليها وامر الصياد ان يطرح الشبكة ويصطاد فنظر الصياد الى البركة وفيها السمك الوانا الابيض والاحمر والازرق والاصفر فتعجب الصياد من ذلك ثم انه طرح شبكته وجذبها فوجد فيها اربع سمكات كل سمكة بلون فلما رآها الصياد فرح فقال له العفريت ادخل بها الى السلطان وقدمها اليه فانه يعطيك ما يغنيك وبالله اقبل عذرى فانى فى هذا الوقت لم اعرف طريقا وانا فى هذا البحر مدة الف وثمان مائة عام ما رأيت ظاهر الدنيا الا فى هذه الساعة ولا تصطد منها كل يوم الا مرة واحدة واستودعتك الله ثم دق الارض بقدميه فانشقت وابتلعته ومضى الصياد الى المدينة وهو متعجب مما جرى له مع هذا العفريت ثم اخذ السمك ودخل به منزله واتى بماجور ثم ملأه ماء وحط فيه السمك فاختبط السمك من داخل الماجور فى الماء ثم حمل الماجور فوق رأسه وقصد به

قصر الملك كما امره العفريت فلما طلع الصياد الى الملك وقدم له السمك تعجب الملك غاية العجب من ذلك السمك الذى قدمه اليه الصياد لانه لم ير فى عمره مثله صفة ولا شكلا فقال القواهذا السمك للجارية الطباخة وكانت هذه الجارية قد اهداها له ملك الروم منذ ثلاثة ايام وهو لم يجربها فى طبيخ فامرها الوزير ان تقليه وقال لها ياجارية ان الملك يقول لك ما ادخرت دمعتى الا لشدتى ففرجينا اليوم على طهيك وحسن طبيخك فان السلطان جاءه اليه واحد بهدية ثم رجع الوزير بعدما ارضاها فامره الملك ان يعطى الصياد اربعماية دينار فاعطاه الوزير اياها فاخذها فى حجره وتوجه الى منزله لزوجته وهو فرحان مسرور ثم اشترى لعياله ما يحتاجون اليه هذا ما كان من امر الصياد واما ما كان من امر الجارية فانها اخذت السمك ونظفته ورصته فى الطاجن ثم انها تركت السمك حتى استوى وجهه وقلبته على الوجه الثانى واذا بحائط المطبخ قد انشق وخرجت منها صبية رشيقة القد اسيلة الخد كاملة الوصف كحيلة الطرف بوجه مليح وقد رجيح لابسة كوفية بخز ازرق وفى اذنيها حلق وفى معاصمها اساور وفى اصابعها خواتم بالفصوص المثمنة وفى يدها قضيب من الخيزران فغرزت القضيب فى الطاجن وقالت ياسمك هل انت على العهد مقيم فلما رأت الجارية هذا غشى عليها وقد اعادت الصبية القول ثانيا وثالثا فرفع السمك رأسه من الطاجن وقال نعم نعم ثم قال جميعه هذا البيت

ان عدت عدنا وان وافيت وافينا ✻ وان هجرت فانا قد تكافينا

فعند ذلك قلبت الصبية الطاجن وخرجت من الموضع الذى دخلت منه والتحمت حائط المطبخ ثم افاقت الجارية فرأت الاربع سمكات محروقة مثل الفحم الاسود فقالت تلك الجارية من اول غزوته حصل كسر عصيته فبينما هى تعاتب نفسها واذا بالوزير واقف على رأسها وقال لها هاتى السمك للسلطان فبكت الجارية واعلمت الوزير بالحال وبالذى جرى فتعجب الوزير من ذلك وقال ما هذا الامر عجيب ثم انه ارسل الى الصياد فاتوا به اليه فقال له ايها الصياد لابد ان تجيبنا باربع سمكات مثل التى جئت بها اولا فخرج الصياد الى البركة وطرح شبكته ثم جذبها واذا باربع سمكات فاخذها وجاء بها الى الوزير فدخل بها الوزير الى الجارية وقال لها قومى اقليها قدامى حتى ارى هذه القضية فقامت الجارية اصلحت السمك ووضعته فى الطاجن على النار فما استقر الا قليلا واذا بالحائط قد انشق والصبية قد ظهرت وهى لابسة ملبسها وفى يدها القضيب فغرزته فى الطاجن وقالت ياسمك ياسمك هل انت على العهد القديم مقيم فرفعت السمكات رؤسها وانشدت هذا البيت

ان عدت عدنا وان وافيت وافينا ✻ وان هجرت فانا قد تكافينا

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه لما تكلم السمك قلبت الصبية الطاجن بالقضيب وخرجت من الموضع الذى جاءت منه والتحم الحائط فعند ذلك قام الوزير وقال هذا امر لا يمكن اخفاؤه عن الملك ثم انه تقدم الى الملك واخبره بما جرى قدامه فقال لابد ان انظر بعينى فارسل الى الصياد وامره ان ياتى باربع سمكات مثل الاولى وامهله ثلاثة ايام فذهب الصياد الى البركة واتاه بالسمك فى الحال فامر الملك ان يعطوه اربعمائة دينار ثم التفت الملك الى الوزير وقال له سوا نت السمك هاهنا قدامى فقال الوزير سمعا وطاعة فاحضر الطاجن

ورمى فيه السمك بعدان نظفه ثم قلبه واذا بالحائط قد انشقت وخرج منها عبد اسود كأنه نور من النيران اومن قوم عاد وفى يده فرع من شجرة خضراء وقال بكلام فصيح مزعج يا سمك يا سمك هل انت على العهد القديم مقيم فرفع السمك رأسه من الطاجن وقال نعم نعم وانشد هذا البيت

ان عدت عدنا او ان وافيت وافينا * وان هجرت فانا قد تكافينا

ثم اقبل العبد على الطاجن وقلبه بالفرع الى ان صار فحما اسود ثم ذهب العبد من حيث اتى فلما غاب العبد عن اعينهم قال الملك هذا امر لا يمكن السكوت عنه ولابد ان هذا السمك له شأن غريب فامر باحضار الصياد فلما حضر قال له من اين هذا السمك فقال له من بركة بين اربع جبال وراء هذا الجبل الذى بظاهر مدينتك فالتفت الملك الى الصياد وقال له مسيرة كم يوم قال له يا مولانا السلطان مسيرة نصف ساعة فتعجب السلطان وامر بخروج العسكر من وقته مع الصياد فصار الصياد يلعن العفريت وساروا الى ان طلعوا الجبل ونزلوا منه الى برية متسعة لم يروها مدة اعمارهم والسلطان وجميع العسكر يتعجبون من تلك البرية التى نظروها بين اربع جبال والسمك فيها على اربعة الوان احمر وابيض واصفر وازرق فوقف الملك متعجبا وقال للعسكر ولمن حضر هل احد منكم رأى هذه البركة فى هذا المكان فقالوا كلهم لا فقال الملك والله لا ادخل مدينتى ولا اجلس على تخت ملكى حتى اعرف حقيقة هذه البركة وسمكها ثم امر الناس بالنزول حول هذه الجبال فنزلوا ثم دعا بالوزير وكان وزيرا خبيرا عاقلا لبيبا عالما بالامور فلما حضر بين يديه قال له انى اردت ان اعمل شيأ فاخبرك به وذلك انه خطر ببالى ان انفرد بنفسى فى هذه الليلة وابحث عن خبر هذه البركة وسمكها فاجلس على باب خيمتى وقل للامراء والوزراء والحجاب ان السلطان متنوش وامرنى ان لا اذن لاحد فى الدخول عليه ولا تعلم احدا بقصدى فلم يقدر الوزير على مخالفته ثم ان الملك غير حالته وتقلد سيفه وانسل من بينهم ومشى بقية ليله الى الصباح فلم يزل سائرا حتى اشتد عليه الحر فاستراح ثم مشى بقية يومه وليلته الثانية الى الصباح فلاح له سواد من بعد ففرح وقال لعلى اجد من يخبرنى بقضية البركة وسمكها فلما قرب من السواد وجده قصرا مبنيا بالحجارة السود مصفحا بالحديد واحد شقيه مفتوح والاخر مغلوق ففرح الملك ووقف على الباب ودق دقا لطيفا فلم يسمع جوابا فدق ثانيا وثالثا فلم يسمع جوابا فدق رابعا دقا مزعجا فلم يجبه احدا فقال لاشك انه خال فشجع نفسه ودخل من باب القصر الى دهليزه ثم صرخ وقال يا اهل القصر انى رجل غريب وعابر سبيل هل عندكم شئ من الزاد واعاد القول ثانيا وثالثا فلم يسمع جوابا فقوى قلبه وثبت نفسه ودخل من الدهليز الى وسط القصر فلم يجد فيه احدا غير انه مفروش وفى وسطه فسقية عليها اربعة سباع من الذهب الاحمر تلقى الماء من افواهها كالدرر والجواهر وفى دائره طيور وعلى ذلك القصر شبكة تمنعها من الطلوع فتعجب من ذلك وتأسف حيث لم ير فيه احدا يستخبر منه عن تلك البركة والسمك والجبال والقصر ثم جلس بين الابواب يتفكر واذا هو بأنين من كبد حزين فسمعه يترنم بهذا الشعر

لما خفيت ضنى ووجدى قد ظهر * والنوم من عينى تبدل بالسهر

فاديت وجدا قد تزايد بالفكر * يا وجد لا تبقى على ولا تذر

هام مهجتى بين المشقة والخطر

فلما سمع السلطان ذلك الانين نهض قائما وقصد جهته فوجد سترا مسبولا على باب مجلس فرفعه فرأى خلف الستر شابا جالسا على سرير مرتفع عن الارض مقدار ذراع وهو شاب مليح بقد رجيح ولسان

فصيح وجبين ازهر وخد احمر وشامة على كرسى خده كترس من عنبر كما قال الشاعر

ومهفهف من شعره وجبينه * مشت الورى فى ظلمة وضياء

ما ابصرت عيناك احسن منظرا * فيما يرى من سائر الاشياء

كالشامة الخضراء فوق الوجنة الحمراء تحت المقلة السوداء

ففرح به الملك وسلم عليه والصبى جالس وعليه قباء حرير بطراز من ذهب لكن عليه اثر الحزن فرد السلام على الملك وقال له ياسيدى اعذرنى فى عدم القيام فقال الملك ايها الشاب اخبرنى عن هذه البركة وعن سمكها الملون وعن هذا القصر وسبب وحدتك فيه وما سبب بكائك فلما سمع الشاب هذا الكلام نزلت دموعه على خده وبكا بكاء شديدا فتعجب الملك وقال له ما يبكيك ايها الشاب فقال كيف لا ابكى وهذه حالتى ومد يده الى اذياله فرفعها فاذا نصفه التحتانى الى قدميه حجر ومن سرته الى شعر رأسه بشر ثم قال الشاب اعلم ايها الملك ان لهذا السمك امرا عجيبا لو كتب بالابر على اماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر وذلك ياسيدى انه كان والدى ملك هذه المدينة وكان اسمه محمودا صاحب الجزائر السود وصاحب هذه الجبال الاربعة فاقام فى الملك سبعين عاما ثم توفى والدى وتسلطنت بعده وتزوجت بابنة عمى وكانت تحبنى محبة عظيمة بحيث اذا غبت عنها لا تاكل ولا تشرب حتى تراانى فمكثت فى عصمتى خمس سنين الى ان ذهبت يوما من الايام الى الحمام فامرت الطباخ ان يجهز لنا طعاما لاجل العشاء ثم دخلت هذا القصر ونمت فى الموضع الذى انام فيه وامرت جاريتين ان يروحا على وجهى فجلست واحدة عند رأسى والاخرى عند رجلى وقد قلقت لغيابها ولم ياخذنى نوم غير انى عينى مغمضة ونفسى يقظانة فسمعت التى عند رأسى تقول للتى عند رجلى يامسعودة ان سيدنا مسكين شبابه وياخسارته مع سيدتنا الخبيثة الخاطئة فقالت الاخرى لعن الله النساء الزانيات ولكن مثل سيدنا واخلاقه لا يصلح لهذه الزانية التى كل ليلة تبيت فى غير فراشه فقالت التى عند رأسى ان سيدنا مغفل حيث لم يسأل عنها فقالت الاخرى ويلك وهل محمد سيدنا علم بحالها او هى تخليه باختياره بل تعمل له عملا فى قدح الشراب الذى يشربه كل ليلة قبل المنام فتضع فيه البنج فينام ولم يشعر بما يجرى ولم يعلم اين تذهب ولا بما تصنع لانها بعد ما تسقيه الشراب تلبس ثيابها وتخرج من عنده فتغيب الى الفجر وتاتى اليه وتبخره عند انفه بشئ فيستيقظ من منامه فلما سمعت كلام الجوارى صار الضياء فى وجهى ظلاما وما صدقت ان الليل اقبل وجاءت بنت عمى من الحمام فدينا السماط واكلنا وجلسنا ساعة زمانية تنادم كالعادة ثم دعوت بالشراب الذى اشربه عند المنام فناولتنى الكاس فتناولت عنه وجعلت انى اشربه مثل عادتى ودلقته فى عبى ورقدت فى الوقت والساعة واذا بها قالت نم لينك لم تقم والله كرهتك وكرهت صورتك وملت نفسى من عشرتك ثم قامت ولبست الخرثيابها وتبخرت وتقلدت سيفا وفتحت باب القصر وخرجت فقمت وتبعتها حتى خرجت من القصر وشقت فى اسواق المدينة الى ان انتهت الى ابواب المدينة فتكلمت بكلام لا افهمه فتساقطت الاقفال وانفتحت الابواب وخرجت وانا خلفها وهى لا تشعر حتى انتهت الى ما بين الكيمان واتت حصنا فيه قبة مبنية بطين لها باب فدخلته هى وصعدت انا على سطح القبة واشرفت عليها واذا بها قد دخلت على عبد اسود احدى شفتيه غطاء وشفته الثانية وطاء وشفاههم تلقط الرمل من الحصى وهو مبتل وراقد على قليل من قش القصب فقبلت الارض بين يديه فرفع ذلك العبد رأسه اليها وقال لها ويلك ما سبب قعودك الى هذه الساعة كان عندنا السودان وشربوا الشراب وصار كل واحد بعشيقته واما رضيت ان

اشرب من شانك فقالت ياسيدى وحبيب قلبى اما تعلم انى متزوجة بابن عمى وانا اكره الخلق فى صورته وابغض نفسى فى صحبته ولولا انى اخشى على خاطرك لكنت جعلت المدينة خرابا يصيح فيها البوم والغراب وانقل بحارتها الى خلف جبل قاف فقال العبد تكذبين ياعاهرة وانا احلف وحق فتوة السودان والا تكون مروتى مروة البيضان ان بقيتى تقعدى الى هذا الوقت من هذا اليوم لا اصاحبك ولا اضع جسدى على جسدك يا خائنة انتقلين على من اجل شهوتك يا منتنة يا اخس البيضان قال الملك فلما سمعت كلامهما وانا انظر بعينى ما جرى بينهما صارت الدنيا فى وجهى ظلاما ولم اعرف روحى فى اى موضع وصارت بنت عمى واقفة تبكى عليه وتتذلل بين يديه وتقول له ياحبيبى وثمرة فؤادى ما احد غيرك لى فان طردتنى ياويلى ياحبيبى يانور عينى ومازالت تبكى وتتضرع له حتى رضى عليها ففرحت وقامت قلعت ثيابها ولباسها وقالت له ياسيدى هل عندك ما تاكله جارتك فقال لها اكشفى اللقان فان تحتها عظام فيران مطبوخة فكليها ومرمشيها وقومى لهذه القوارة تجدى فيها بوظة فاشربيها فقامت واكلت وشربت وغسلت يديها وجاءت رقدت مع العبد على قش القصب وتعرت ودخلت معه تحت الهدمة والشراميط فلما نظرت الى هذه الفعال التى قد فعلتها بنت عمى غبت عن الوجود فنزلت من فوق اعلى القبة ودخلت واخذت السيف من بنت عمى وهممت ان اقتل الاثنين فضربت العبد اولا على رقبته فظننت انه قد قضى عليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فلما اصبح الصباح دخل الملك الى محل الحكم واحتبك الديوان الى اخر النهار ثم طلع الملك قصره فقالت لها اختها دنيازاد ما تممى لنا حديثك قالت حبا وكرامة

فلما كانت الليلة الثامنة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب المسحور قال للملك لما ضربت العبد لاقطع رأسه قطعت الحلقوم والجلد واللحم فظننت انى قتلته فشخر شخيرا عاليا فتحركت بنت عمى وقامت بعد ذهابى فاخذت السيف وردته الى موضعه واتت المدينة ودخلت القصر ورقدت فى فراشى الى الصباح ورأيت بنت عمى فى ذلك اليوم قد قطعت شعرها ولبست ثياب الحزن وقالت يا ابن عمى لا تلمنى فيما افعله فانه بلغنى ان والدتى توفت وان والدى قتل فى الجهاد وان اخوى احدهما مات ملسوعا والاخر ردميا فيحق لى ان ابكى واحزن فلما سمعت كلامها سكت عنها وقلت لها افعلى ما بدا لك فانى لم اخالفك فمكثت فى حزن وبكاء وعديد سنة كاملة من الحول الى الحول وبعد السنة قالت لى اريد ان ابنى لى فى قصرك مدفنا مثل القبة وانفرد فيه بالاحزان واسميه بيت الاحزان فقلت لها افعلى ما بدا لك فبنت لها بيتا للحزن وبنت فى وسطه قبة ومدفنا مثل الضريح ثم نقلت العبد وانزلته فيه وهو ضعيف جدا لا ينفعها بنافعة لكنه يشرب الشراب ومن اليوم الذى جرحته فيه ما تكلم الا انه حى لان اجله لم يفرغ فصارت كل يوم تدخل عليه القبة بكرة وعشيا وتبكى عنده وتعدد عليه وتسقيه الشراب والمساليق ولم تزل على هذه الحال صباحا ومساء الى ثانى سنة وانا اطول بالى عليها الى ان دخلت عليها يوما من الايام على غفلة فوجدتها تبكى وتلطم وجهها وتقول هذه الابيات

عدمت وجودى فى الورى بعد بعدكم ✻ فان فؤادى لا يحب سواكم
خذوا كرما جسمى الى اين ترتموا ✻ واين حللتم فادفنونى حذاكم

وان تذكروا اسمى عند قبرى يجيبكم * انين عظامى عند صوت نداكم

فلما فرغت من شعرها قلت لها وسيفى مسلول فى يدى هذا كلام الخائنات اللاتى ينكرن العشرة ولا يحفظن الصحبة واردت ان اضربها فرفعت يدى فى الهواء فقامت وقد علمت انى انا الذى جرحت العبد ثم وقفت على قدميها وتكلمت بكلام لا افهمه وقالت جعل الله بسحرى نصفك حجرا ونصفك الاخر بشرا فصرت كما ترى وبقيت لا اقوم ولا اقعد ولا انام ولا اناجى فلما صرت هكذا سحرت المدينة وما فيها من الاسواق والغيطان وكانت مدينتنا اربعة اصناف مسلمين ونصارى ويهودا ومجوسا فسحرتهم سحكا فالابيض مسلمون والاحمر مجوس والازرق نصارى والاصفر يهود وسحرت الجزائر الاربع اربعة جبال واحاطتها بالبركة ثم انها كل يوم تعذبنى وتضربنى بسوط من الجلد مائة ضربة حتى يسيل الدم ثم تلبسنى من تحت هذه الثياب ثوبا من الشعر على نصفى الفوقانى ثم ان الشاب بكى وانشد هذا الشعر

صبرا لحكمك يا الهى والقضا * انا صابر ان كان فيه لك الرضا

قد ضقت بالامر الذى قد نابنى * فوسيلتى آل النبى المرتضى

فعند ذلك التفت الملك الى الشاب وقال له ايها الشاب زدنى هما على همى ثم قال له واين تلك المرأة قال فى المدفن الذى فيه العبد راقد فى القبة وهى تجىء كل يوم مرة وعند مجيئها تجىء الى وتجردنى من ثيابى وتضربنى بالسوط مائة ضربة وانا ابكى واصيح ولم يكن فى حركة حتى ادفعها عن نفسى ثم بعد ان تعاقبنى تذهب الى العبد بالشراب والمسلوقة بكرة النهار قال الملك والله يا فتى لافعلن معك معروفا اذكر به وجميلا يؤثر خونه سيرا من بعدى ثم جلس الملك يتحدث معه الى ان اقبل الليل ثم قام الملك وصبر الى ان جاء وقت السحر فتجرد من ثيابه وتقلد سيفه ونهض الى المحل الذى فيه العبد فنظر الى الشمع والقناديل ورأى البخور والادهان ثم قصد العبد وضربه فقتله ثم حمله على ظهره ورماه فى بئر كانت فى القصر ثم نزل ولبس ثياب العبد وهو داخل فى القبة والسيف معه مسلول فى طوله فبعد ساعة اتت العاهرة الساحرة وعند دخولها جردت ابن عمها من ثيابه واخذت سوطا وضربته فقال آه يكفينى ما انا فيه فارحمنى فقالت هل كنت انت رحمتنى وابقيت لى معشوقى ثم البسته اللباس الشعر والقماش من فوقه ثم نزلت الى العبد ومعها قدح الشراب وطاسة المسلوقة ودخلت عليه القبة وبكت وولولت وقالت يا سيدى كلمنى يا سيدى حدثنى وانشدت تقول

قالى متى هذا التجنب والجفا * ان الذى فعل الغرام لقد كفا

كم قد تطيل الهجر لى متعمدا * ان كان قصدك حاسدى فقد اشتفى

ثم انها بكت وقالت يا سيدى كلمنى وحدثنى فخفض صوته وعوج لسانه وتكلم بكلام السودان وقال آه آه لا حول ولا قوة الا بالله فلما سمعت كلامه صرخت من الفرح وغشى عليها ثم انها استفاقت وقالت لعل سيدى صحيح فخفض الملك صوته بضعف وقال يا عاهرة انت لا تستحقى ان اكلمك قالت ما سبب ذلك قال سببه انك طول النهار تعاقبين زوجك وهو يصرخ ويستغيث حتى احرمتينى النوم من العشاء الى الصباح ولم يزل زوجك يتضرع ويدعو عليك حتى اقلقنى صوته ولولا هذا لكنت تعافيت فهذا الذى منعنى عن جوابك فقالت عن اذنك اخلصه مما هو فيه فقال لها الملك خلصيه واريحينا فقالت سمعا وطاعة ثم قامت وخرجت من القبة الى القصر واخذت طاسة ملأتها ماء ثم تكلمت عليها فصار الماء

يغلى كما يغلى القدر ثم رشته منها وقالت بحق ما تلوته ان تخرج من هذه الصورة الى صورتك الاولى فانتفض الشاب وقام على قدميه وفرح بخلاصه وقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالت له اخرج ولا ترجع الى هنا والا قتلتك وصرخت فى وجهه فخرج من بين يديها وعادت الى القبة ونزلت وقالت ياسيدى اخرج الى حتى انظر لك فقال لها بكلام ضعيف اى شئ فعلتيه ارحتينى من الفرع ولم تريحينى من الاصل فقالت ياحبيبى وما هو الاصل قال اهل هذه المدينة والاربع جزائر كل ليلة اذا انتصف الليل يرفع السمك رأسه ويدعو على وعليك فهو سبب منع العافية عن جسمى فخلصيهم وتعالى خذى بيدى واقعيينى فقد توجهت الى العافية فلما سمعت كلام الملك وهى تظنه العبد قالت له وهى فرحانة ياسيدى على رأسى وعينى بسم الله ثم نهضت وقامت وهى مسرورة تجرى وخرجت الى البركة اخذت من مائها قليلا وادرلت شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الصبية الساحرة لما اخذت شيئا من ماء البركة وتكلمت عليه بكلام لا يفهم تحرك السمك ورفع رأسه وصار آدميين فى الحال وانفك السحر عن اهل المدينة وصارت المدينة عامرة والاسواق منصوبة وصار كل واحد فى صناعته وانقلبت الجبال جزائر كما كانت ثم ان الصبية الساحرة رجعت الى الملك فى الحال وهى تظن انه العبد وقالت له ياحبيبى ناولنى يدك الكريمة اقبلها فقال الملك بكلام خفى تقربى منى فدنت منه وقد اخذ صارمه وطعنها به فى صدرها حتى خرج من ظهرها ثم ضربها فشقها نصفين وخرج فوجد الشاب المسحور واقفا فى انتظاره فهناه بالسلامة وقبل الشاب يده وشكره فقال له الملك اتقعد فى مدينتك ام تجيء معى الى مدينتى فقال الشاب يا ملك الزمان اتدرى ما بينك وبين مدينتك فقال الملك يومان ونصف فعند ذلك قال له الشاب ايها الملك ان كنت نائما فاستيقظ ان بينك وبين مدينتك سنة للمجد وما اتيت فى يومين ونصف الا لان المدينة كانت مسحورة وانا ايها الملك لا افارق لحظة عين ففرح الملك بقوله ثم قال الحمد لله الذى من على بك فانت ولدى لا فى طول عمرى لم ارزق ولدا ثم تعانقا وفرحا فرحا شديدا ثم مشيا حتى وصلا الى القصر واخبر الملك الذى كان مسحورا ارباب دولته انه مسافر الى الحج الشريف فهيؤا له جميع ما يحتاج اليه ثم توجه هو والسلطان وقلب السلطان ملتهب على مدينته حتث غاب عنها سنة ثم يسافر ومعه خمسون مملوكا ومعه الهدايا ولم يزالا مسافرين ليلا ونهارا سنة كاملة حتى اقبلا على مدينة السلطان فخرج الوزير والعساكر لمقابلته بعد ما قطعوا الرجاء منه واقبلت العساكر وقبلت الارض بين يديه وهنوه بالسلامة فدخل وجلس على الكرسى ثم اقبل على الوزير واعلمه بكل ما جرى على الشاب فلما سمع الوزير ما جرى على الشاب هناه بالسلامة ولما استقر الحال انعم السلطان على ناس كثيرة ثم قال للوزير على بالصياد الذى اتى بالسمك فارسل الى ذلك الصياد الذى كان سببا لخلاص اهل المدينة فاحضره وخلع عليه وسأله عن حاله وهل له اولاد فاخبره ان له ابنا وبنتين فتزوج الملك باحدى بنتيه وتزوج الشاب بالاخرى واخذ الملك الابن عنده وجعله خازندارا ثم ارسل الوزير الى مدينة الشاب التى هى الجزائر السود وقلده سلطنتها وارسل معه الخمسين مملوكا الذين جاوا معه وارسل معه كثيرا من الخلع لسائر الامراء فقبل الوزير يديه وخرج مسافرا واستقر السلطان والشاب واما الصياد فانه قد صار اغنى اهل زمانه وبنانه زوجات الملوك الى ان اتاهم المميت وما هذا بأعجب مما جرى

للعمال فانه كان انسان من مدينة بغداد وكان اعزب وكان حمالا فبينما هو في السوق يوما من الايام متكئ
على قفصه اذ وقفت عليه امرأة ملتفعة بازار موصلي من حرير مزركش بالذهب وحاشيتاه من قصب
فرفعت قناعها فبان من تحته عيون سود باهداب واجفان وهي ناعمة الاطراف كاملة الاوصاف وبعد
ذلك قالت بحلاوة لفظها هات قفصك واتبعني فاصدق الحمال بذلك واخذ القفص وتبعها الى ان وقفت
على باب دار فطرقت الباب فنزل لها رجل نصراني فاعطته دينارا واخذت منه مقدارا من الزيتون
ووضعته في القفص وقالت له احمله واتبعني فقال الحمال هذا والله نهار مبارك ثم حمل القفص وتبعها فوقفت
على دكان فكهاني واشترت منه تفاحا شاميا وسفرجلا عثمانيا وخوخا عثمانيا وياسمينا حلبيا وبنوفرادة مشقيا
وخيارا بابليا وليمونا مصريا واترجا سلطانيا ومرسينا ريحانيا وتمرحنا واقحوانا وشقائق النعمان وبنفسجا
وجلنار ونسرينا ووضعت الجميع في قفص الحمال وقالت احمل فحمل وتبعها حتى وقفت على جزار وقالت
له اقطع عشرة ارطال لحما فقطع لها ولف اللحم في ورق موز ووضعته في القفص وقالت احمل يا حمال فحمل
وتبعها ثم وقفت على النقلي واخذت من سائر النقل وقالت للجمال احمل واتبعني فحمل القفص وتبعها
الى ان وقفت على دكان الحلواني واشترت طبقا وملأته من جميع ما عنده من مشبك وقطائف بالمسك
محشية وصابونية واقراص ليمونية ومميونية وامشاط واصابع ولقيمات القاضي ووضعت جميع انواع
الحلاوة في الطبق ووضعته في القفص فقال الحمال لو اعلمتيني لجئت معي بغل تحملي عليه هذه الامور
فتبسمت ثم وقفت على العطار واشترت منه عشرة مياه ماورد وماء زهر وماء خلاف وغير ذلك
واخذت قدرا من السكر واخذت مرش ماورد ممسك وحصى لبان ذكر وعودا وعنبرا ومسكا واخذت
شمعا اسكندرانيا ووضعت الجميع في القفص وقالت احمل قفصك واتبعني فحمل القفص وتبعها به الى ان
اتت دارا مليحة وقد امها رحبة فسيحة وهي عالية البنيان مشيدة الاركان بابها بشقتين من الابنوس
مصفح بصفايح الذهب الاحمر فوقفت الصبية على الباب ودقت دقا لطيفا واذا بالباب انفتح بشقتيه
فنظر الحمال الى من فتح لها الباب فوجدها صبية رشيقة القد قاعدة النهد ذات حسن وجمال وقد
واعتدال وجبين كغرة الهلال وعيون كعيون الغزلان وحواجب كهلال رمضان وخدود مثل
شقايق النعمان وفم كخاتم سليمان ووجه كالبدر في الاشراق ونهدين كرمانتين باتفاق وبطن مطوي تحت
الثياب كطي السجل للكتاب فلما نظر الحمال اليها سلبت عقله وكاد القفص ان يقع من فوق رأسه ثم قال
ما رأيت عمري ابرك من هذا النهار فقالت الصبية البوابة للدلالة والحمال مرحبا وهي من داخل الباب
ومشوا حتى انتهوا الى قاعة فسيحة مزركشة مليحة ذات تراكيب وشاذروانات ومصاطب وسدلات
وخزائن عليها الستور من خيات وفي وسط القاعة سرير من المرمر مرصع بالدر والجوهر منصوب عليه
ناموسية من الاطلس الاحمر ومن داخله صبية بعيون بابلية وقامة الفية ووجه يخجل الشمس
المضيئة فكانها بعض الكواكب الدرية او عقيلة عربية كما قال فيها الشاعر

من قاس قدك بالغصن الرطيب فقد * اضحى القياس به زورا وبهتانا

الغصن احسن ما نلقاه مكتسيا * وانت احسن ما نلقاك عريانا

فنهضت الصبية الثالثة من فوق السرير وخطرت قليلا الى ان صارت في وسط القاعة عند اختها وقالت
ما وقوفكم حطوا عن رأس هذا الحمال المسكين فجاءت الدلالة من قدام البوابة من خلفه وساعدتهما
الثالثة وحططن عن الحمال وفرغن ما في القفص وصفوا كل شيء في محله واعطين الحمال دينارين وقلن له

توجه يا جمال فنظر الى البنات وما هن فيه من الحسن والطبايع الحسان فلم ير احسن منهن ولكن ليس عندهن رجال ونظر ما عندهن من الشراب والفواكه والمشمومات وغير ذلك فتعجب غاية العجب ووقف عن الخروج فقالت له الصبية مالك لا تروح هل انت استقليت الاجرة والتفتت الى اختها وقالت لها اعطيه دينارا آخر فقال الجمال والله يا سيدتي ان اجرتي نصفان وما استقليت الاجرة وانما اشتغل قلبي وسري بكن وكيف حالكن وانتن وحدكن وما عندكن رجال ولا احد يؤانسكن وانتن تعرفن ان المنارة لا تثبت الا على اربعة وليس لكن رابع وما يكمل حظ النساء الا بالرجال كما قال الشاعر

انظر الى اربع عندي قد اجتمعت * جنك وعود وقانون ومزمار

وانتن ثلاثة فتفتقرن الى رابع يكون رجلا عاقلا لبيبا حاذقا والاسرار كاتما فقلن له نحن بنات ونخاف ان نودع السر عند من لا يحفظه وقد قرأنا في الاخبار شعرا

صن عن سوال السر لا تودعه * من اودع السر فقد ضيعه

فلما سمع الجمال كلامهن قال وحياتكن اني رجل عاقل امين قرأت الكتب وطالعت التواريخ اظهر الجميل واخفي القبيح واعمل بقول الشاعر

لا يكتم السر الا كل ذي ثقة * والسر عند خيار الناس مكتوم
السر عندي في بيت له غلق * ضاعت مفاتحه والباب مختوم

فلما سمع البنات الشعر والنظام وما ابداه من الكلام قلن له انت تعلم اننا غرمنا على هذا المقام جملة من المال فهل معك شيء تجازينا به فضحن لاندعك تجلس عندنا حتى تغرم مبلغا من المال لان خاطرك ان تجلس عندنا وتصير ندمنا وتطلع على وجوهنا الصباح الملاح فقالت صاحبة الدار اذا كانت بغير المال محبة فلا تساوي وزن حبة وقالت البوابة ان لم يكن معك شيء رح بلاشيء فقالت الدلالة يا اختي نكف عنه فوالله ما قصر اليوم معنا ولو كان غيره ما طول روحه علينا ومهما جاء عليه اغرمه عنه ففرح الجمال وقال والله ما استفتحت بالدراهم الا منك فقلنا له اجلس على الرأس والعين وقامت الدلالة وشدت وسطها وصفت القنانى وروقت المدام وعملت الحضرة على جانب البحر واحضرت ما يحتاجون اليه ثم قدمت المدام وجلست هي واختاها وجلس الجمال بينهن وهو يظن انه في المنام ثم قدمت باطية المدام وملأت اول قدح وشربته والثاني والثالث ثم ملأت وناولت اختها والاخرى ثم ملأت وناولت الجمال فاخذ الجمال منها الكاس وانشد هذا الشعر

اشرب الراح فانزايا العوافي * ان هذا الشراب للداء شافي

وقال ايضا هذا البيت

لا يشرب الراح الا من به طرب * يكون بالسكر في افراحه راقي

وبعد هذا الشعر قبل ايديهن وشرب معهن ثم نزل عند صاحبة المحل وقال يا سيدتي انا عبدك ومملوكك وخداملك وانشد يقول

على الباب عبد من عبيدك واقف * بجودك والاحسان والشكر عارف

فقالت اشرب هنيأ وعافية في مجاري الصحة فاخذ الكاس وقبل يدها وترنم بقول الشاعر

ناولتها شبه خديها مشعشعة * حمراء يحكي سناها ضوء مقباس
فقبلتها وقالت وهي ضاحكة * فكيف تسقى خدود الناس للناس

قلت اشربي فهي من دمعي وحمرتها * دمي ومازجها في الكاس انفاس

فاخذت الصبية القدح وشربته ونزلت عند اختها ولازالن والجمال بينهن في رقص وغناء ومشمومات ولم يزل الجمال معهن في عناق وتقبيل وهذه تكلمه وهذه تجذبه وهذه بالمشموم تضربه وهو معهن حتى لعبت الخمرة بعقولهم فلما تحكم الشراب معهم قامت البوابة وتجردت من ثيابها وصارت عريانة ثم رمت نفسها في تلك البحرة ولعبت في الماء واخذت الماء في فمها وبخت الجمال ثم غسلت اعضائها وما بين فخذيها ثم طلعت من الماء ورمت نفسها في حجر الجمال وقالت له يا حبيبي ما اسم هذا واشارت الى فرجها فقال الجمال رحمك الله فقالت يوه يوه اما تستحي ومسكته من رقبته وصارت تصكه فقال فرجك فقالت غيره فقال كسك فقالت غيره فقال زنبورك فلم تزل تصكه حتى ذاب قفاه ورقبته من الصك ثم قال لها وما اسمه فقالت له حبق الجسور فقال الجمال الحمد لله على السلامة يا حبق الجسور ثم انهم اداروا الكاس والطاس فقامت الثانية وخلعت ثيابها ورمت نفسها في تلك البحرة وعملت مثل الاولى وطلعت ورمت نفسها في حجر الجمال واشارت الى فرجها وقالت يا نور عيني ما اسم هذا قال فرجك قالت اما يقبح عليك هذا الكلام وصكته كفاطن له سائر ما في القاعة فقال حبق الجسور فقالت لا والضرب والصك على قفاه فقال لها وما اسمه فقالت له السمسم المقشور ثم قامت الثالثة وخلعت ثيابها ونزلت تلك البحرة وفعلت مثل من قبلها ثم لبست ثيابها والقت نفسها في حجر الجمال وقالت له ايضا ما اسم هذا واشارت الى فرجها فصار يقول لها كذا وكذا الى ان قال لها وهي تضربه وما اسمه فقالت خان ابي منصور فقال الحمد لله على السلامة يا خان ابي منصور ثم بعد ساعة قام الجمال ونزع ثيابه ونزل في البحرة وذكره يسبح في الماء وغسل مثل ما غسلن ثم طلع ورمى نفسه في حجر سيدتهن ورمى ذراعيه في حجر البوابة ورمى رجليه في حجر الدلالة ثم اشار الى ايره وقال يا سيدتي ما اسم هذا فضحك الكل على كلامه حتى انقلبن على ظهورهن وقلن زبك قال لا واخذ من كل واحدة عضة قلن ايرك قال لا واخذ من كل واحدة حضنا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة العاشرة

قالت لها اختها دنيازاد يا اختي اتممي لنا حديثك قالت حبا وكرامة قد بلغني ايها الملك السعيد انهن لم يزلن يقلن زبك ايرك وهو يقبل ويعض ويعانق وهن يتضاحكن الى ان قلن له وما اسمه قال اسمه البغل الجسور الذي يرعى حبق الجسور ويعلق بالسمسم المقشور ويبيت في خان ابي منصور فضحكن حتى استلقين على ظهورهن ثم عادوا الى منادمتهم ولم يزالوا كذلك الى ان اقبل الليل عليهم فقلن للجمال توجه وارينا عرض اكتافك فقال الجمال والله خروج الروح اهون من الخروج من عندكن دعونا نصل الليل بالنهار وكل منا يروح الى حال سبيله فقالت الدلالة بحياتي عندكن تدعنه ينام عندنا نضحك عليه فانه خليع ظريف فقلن له تبيت عندنا بشرط ان تدخل تحت الحكم ومهما رأيته لا تسأل عنه ولا عن سببه فقال نعم فقلن قم واقرأ ما على الباب مكتوبا فقام الى الباب فوجد مكتوبا عليه بماء الذهب لا تتكلم فيما لا يعنيك تسمع ما لا يرضيك فقال الجمال اشهدوا اني لا اتكلم فيما لا يعنيني ثم قامت الدلالة تجهزت لهم ما كولا فاكوا تم اوقدوا الشمع والعود وقعدوا في اكل وشرب واذا هم سمعوا دق الباب فلم يحتل نظامهم فقامت واحدة منهم الى الباب ثم عادت وقالت قد كمل صفانا في هذه الليلة

لا فى وجدت بالباب ثلاثة اجمام ذقونهم محلوقة وهم الثلاثة عور بالعين الشمال وهذا من اعجب الاتفاق
وهم ناس غرباء قد حضروا من ارض الروم ولكل واحد منهم شكل وصورة مضحكة فان دخلوا نضحك
عليهم ولم تزل تتلطف بصاحبتيها حتى قالتا لها دعيهم يدخلون واشرطى عليهم ان لا يتكلموا فيما
لا يعنيهم فيسمعوا ما لا يرضيهم ففرحت وراحت ثم عادت ومعها الثلاثة العور ذقونهم محلوقة وشواربهم
مبرومة ممشوقة وهم صعاليك فسلموا وتاخروا فقام لهم البنات وقعدوهم فنظر الثلاثة رجال الى الجمال
فوجدوه سكران فلما عاينوه ظنوا انه منهم وقالوا هو صعلوك مثلنا يؤانسنا فلما سمع الجمال هذا الكلام
قام وقلب عينيه وقال لهم اقعدوا بلا فضول اما قرأتم ما على الباب فضحك البنات وقلن لبعضهن
انتا نضحك بين الصعاليك والجمال ثم وضعن الاكل للصعاليك فاكلوا ثم جلسوا يتنادمون والبوابة
تسقيهم ولما دار الكاس بينهم قال الجمال للصعاليك يا اخوتا هل معكم حكاية او نادرة تسلوتنا بها فدبت
فيهم الحرارة وطلبوا الات اللهو فاحضرت لهم البوابة دفا موصليا وعودا عراقيا وجنكا عجميا فقام
الصعاليك واقفين واخذ واحد منهم الدف واخذ واحد العود واخذ واحد الجنك وضربوا بها وغنت البنات
وصار لهم صوت عال فبينما هم كذلك واذا بطارق يطرق الباب فقامت البوابة لتنظر من بالباب وكان
السبب فى دق الباب ان فى تلك الليلة نزل الخليفة هارون الرشيد لينظر ويسمع ما يتجدد من الاخبار هو
وجعفر وزيره ومسرور سياف نقمته وكان من عادته ان يتنكر فى صفة التجار فلما نزل تلك الليلة ومشى
فى المدينة تجاهت طريقهم على تلك الدار فسمعوا آلات الملاهى فقال الخليفة لجعفر انى اريد ان ندخل هذه
الدار ونشاهد صاحب هذه الاصوات فقال جعفر هؤلاء قوم قد دخل السكر فيهم ونخشى ان يصيبنا
منهم شر فقال لا بد من دخولنا واريد ان تحيل حتى ندخل عليهم فقال جعفر سمعا وطاعة ثم تقدم جعفر
وطرق الباب فخرجت البوابة وفتحت الباب فقال لها يا سيدتى نحن تجار من طبريه ولنا فى بغداد عشرة
ايام ومعنا تجارة ونحن نازلون فى خان التجار وعزم علينا تاجر فى هذه الليلة فدخلنا عنده وقدم لنا طعاما
فاكلنا ثم تسادمنا عنده ساعة ثم اذن لنا بالانصراف فخرجنا بالليل ونحن غرباء فتهنا عن الخان الذى
نحن فيه فخرجوا من مكارمكم ان تدخلونا هذه الليلة نبيت عندكم ولكم الثواب فنظرت البوابة اليهم
فوجدتهم بهيئة التجار وعليهم الوقار فدخلت لصاحبتيها وشاورتهما فقالتا لها ادخليهم فرجعت
وفتحت لهم الباب فقالوا لها اندخل باذنك قالت ادخلوا فدخل الخليفة وجعفر ومسرور فلما رأتهم البنات
قمن لهم وخدمنهم وقلن مرحبا واهلا وسهلا باضيافنا ولنا عليكم شرط ان لا تتكلموا فيما لا يعنيكم
فتسمعوا ما لا يرضيكم قالوا نعم وبعد ذلك جلسوا للشراب والمنادمة فنظر الخليفة الى الثلاثة الصعاليك
فوجدهم عورا بالعين الشمال فتعجب منهم ونظر الى البنات وما هم فيه من الحسن والجمال فتحير وتعجب
واستمروا فى المنادمة والحديث واتين للخليفة بشراب فقال انا حاج وانعزل عنهم فقامت البوابة وقدمت
له صفرة من ركشة ووضعت عليها باطية من الصينى وسكبت فيها ماء الخلاف وارخت فيه قطعة من الثلج
ومزجته بسكر فشكرها الخليفة وقال فى نفسه لا بد ان اجازيها فى غد على فعلها من صنيع الخير
ثم اشتغلوا بمنادمتهم فلما تحكم الشراب قامت صاحبة البيت وخدمتهم ثم اخذت بيد الدلالة وقالت
يا اختى قومى لنقضى دينا فقالت لها نعم فعند ذلك قامت البوابة واطلعت الصعاليك خلف الابواب
قدامهن وذلك بعد ان اخلت وسط القاعة ونادين الجمال وقلن له ما اقل مودتك ما انت غريب بل انت من
اهل الدار فقام الجمال وشد وسطه وقال ما تريدن فقالت قف مكانك ثم قامت الدلالة وقالت للجمال

ساعدتى فرأى كلبتين من الكلاب السود فى رقبتيهما جنازير فاخذهما الحمال ودخل بهما الى وسط القاعة فقامت صاحبة المنزل وشمرت عن معصمها واخذت سوطا وقالت للحمال قدم كلبة منهما فجرها فى الجنزير وقدمها والكلبة تبكى وتحرك رأسها الى الصبية فنزلت الصبية عليها بالضرب على رأسها والكلبة تصرخ ولا زالت تضربها حتى كلت سواعدها فرمت السوط من يدها ثم ضمت الكلبة الى صدرها ومسحت دموعها وقبلت رأسها ثم قالت للحمال ردها وهات الثانية فجاءبها وفعلت بها مثل ما فعلت بالاولى فعند ذلك اشتغل قلب الخليفة وضاق صدره وغمز جعفر ان يسألها فقال له بالاشارة اسكت ثم التفتت صاحبة البيت للبوابة وقالت لها قومى لقضاء ما عليك قالت نعم ثم ان صاحبة البيت صعدت على سرير من المرمر مصفح بالذهب والفضة وقالت للبوابة والدلالة اتيا بما عندكما فاما البوابة فانها صعدت على سرير بجانبها واما الدلالة فانها دخلت مخدعا واخرجت منه كيسا من الاطلس بأهداب خضر ووقفت قدام الصبية صاحبة المنزل ونفضت الكيس واخرجت منه عودا واصلحت اوتاره وانشدت هذه الابيات

رداعلى جفنى النوم الذى سلبا * وخبرانى بعقلى ايه ذهبا
علمت لما رضيت الحب منزلة * ان المنام على جفنى قد غضبا
قالوا عهدنا لمن اهل الرشاد فما * اغوالذلت اطلبوا من لحظه السببا
انى له عن دم المسفوك معتذر * اقول حملته فى سفكه تعبا
التى بمرآة فكرى شمس صورته * فعكسها شب فى احشائى اللهبا
من صاغه الله من ماء الحياة وقد * اجرى بقيته فى ثغره شنبا
ماذا ترى فى محب ماذكرت له * الاشكا اوبكى او حن اوطربا
برى خيالك فى الماء الزلال اذا * رام الشراب فيروى وهو ماشربا

وانشدت ايضا

سكرت من لحظه لامن مدامته * ومال بالنوم عيسنى عن تمايله
فما السلاف سلتنى بل سوالفه * وما الشمول شملتنى بل شمائله
لوى بعزمى اصداغ لوين له * وغال عقلى بما تحوى غلائله

فلما سمعت الصبية ذلك قالت طيبك الله ثم شقت ثيابها ووقعت على الارض مغشيا عليها فلما انكشف جسدها رأى الخليفة عليه اثر ضرب المقارع والسياط فتعجب من ذلك غاية العجب فقامت البوابة ورشت الماء على وجهها واتت اليها بحلة والبستها اياها فقال الخليفة لجعفر اما تنظر الى هذه المرأة وما عليها من اثر الضرب فانا لا اقدر ان اسكت على هذا ولا استريح الا ان وقفت على حقيقة خبر هذه الصبية وحقيقة خبر هاتين الكلبتين فقال جعفر يا مولانا قد شرطوا علينا شرطا وهو ان لا نتكلم الا فيما يعنينا فنسمع ما لا يرضينا ثم قامت الدلالة فاخذت العود واسندته الى نهدها وغمزته بانامله وانشدت تقول

ان شكونا الهوى فماذا تقول * او تلفنا شوقا فماذا السبيل
او بعثنا رسولنا يترجم عنا * ما يؤدى شكوى المحب رسول
او صبرنا فما لنا من بقاء * بعد فقد الاحباب الا قليل

ليس الا تأسفا ثم حزنا * ودموعا على الخدود تسيل
ايها الغائبون عن لمح عيني * وهم في الفؤاد مني حلول
هل حفظتم في الهوى عهد صب * ليس عنه مدى الزمان يحول
ام نسيتم على التباعد صبا * شفه فيكم الضنى والنحول
واذا الحشر ضمنا اتمنى * من لدن ربنا حسابا يطول

فلما سمعت المرأة الثانية شعر الدلالة شقت ثيابها كما فعلت الاولى وصرخت ثم القت نفسها على الارض مغشيا عليها فقامت الدلالة والبستها حلة ثانية بعد ان رشت الماء على وجهها ثم قامت المرأة الثالثة وجلست على سرير وقالت للدلالة غني لي لاوفي دين غيري فما سبق غير هذا الصوت فاصلحت الدلالة العود وانشدت هذه الابيات

قالي مني هذا الصدود وذا الجفا * فلقد جرى من ادمعي ما قد كفى
كم قد اطلت الهجر لي متعمدا * ان كان قصدك حاسدي فقد اشتفى
لو انصف الدهر المخوون لعاشق * ما كان يوما للعواذل منصفا
فلمن ابوح بصبوتي يا قاتلي * يا خيبة الشاكي اذا فقد الوفا
ويزيد وجدي في هواك تلهفا * فمتى وعدت ولا رأيتك مخلفا
يا مسلمون خذوا بثار متيم * الف السهاد لديه طرفا ما غفا
ايحل في شرع الغرام تذللي * ويكون غيري بالوصال مشرفا
واقد كلفت بحبكم متلذذا * وغدا عذولي في الهوى متكلفا

فلما سمعت المرأة الثالثة قصيدتها صرخت وشقت ثيابها والقت نفسها على الارض مغشيا عليها فلما انكشف جسدها ظهر فيه اثر ضرب المقارع مثل من قبلها فقال الصعاليك ليتنا ما دخلنا هذه الدار وكنا بقينا على الكيمان فقد تكدر عيشنا هنا بشيء يقطع الصلب فالتفت الخليفة اليهم وقال لهم لم ذلك قالوا قد اشتغل سرنا بهذا الامر فقال الخليفة اما انتم من هذا البيت قالوا لا ولا ظننا هذا الموضع الا للرجل الذي عندكم فقال الجمال والله ما رأيت هذا الموضع الا هذه الليلة وليتني بت على الكيمان ولم ابت فيه فقال الجميع نحن سبعة رجال وهن ثلاث نسوة وليس لهن رابعة فسألهن عن حالهن فان لم يجبننا طوعا اجبرناهن كرها واتفق الجميع على ذلك فقال جعفر ما هذا رأي سديد دعوهن فنحن ضيوف عندهن وقد شرطن علينا شرطا فنوفي به ولم يبق من الليل الا القليل وكل منا يمضي الى حال سبيله ثم انه نهز الخليفة وقال ما بقي غير ساعة وفي غد نحضرهن بين يديك فنسألهن عن قصتهن فابى الخليفة وقال لم يبق لي صبر عن خبرهن وقد كثر بينهن القيل والقال ثم قالوا ومن يسألهن فقال بعضهم الجمال ثم قال لهم النساء يا جماعة في اي شيء تتكلمون فقام الجمال لصاحبة البيت وقال لها يا سيدتي سألتك بالله واقسم عليك به ان تخبرينا عن حال الكلبتين وباي سبب تعاقبينهما ثم تعودين تسكين وتقبلينهما وان تخبرينا عن سبب ضرب اختك بالمقارع وهذا سؤالنا والسلام فقالت صاحبة المكان للجماعة اصحيح ما يقوله عندكم فقال الجميع نعم الا جعفرا فانه سكت فلما سمعت الصبية كلامهم قالت والله لقد آذيتمونا يا ضيوفنا الاذية البالغة وتقدم لنا اثنا شرطنا عليكم ان من تكلم فيما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه اما كفى اننا ادخلناكم منزلنا واطعمناكم زادنا ولكن لا ذنب لكم وانما الذنب لمن اوصلكم الينا ثم شمرت

عن معصمها وضربت الارض ثلاث ضربات وقالت بحلوا واذا بباب خزانة قد فتح وخرج منه سبعة عبيد وبايديهم سيوف مسلولة فقالت كتفوا هؤلاء الكثير كلامهم واربطوا بعضهم ببعض ففعلوا وقالوا ايتها المحتدرة أتذكرى لنا فى ضرب رقابهم فقالت امهلوهم ساعة حتى اسألهم عن حالهم قبل ضرب رقابهم فقال الحمال بالله ياسيدتى لا تقتلينى بذنب الغير فان الجميع اخطؤا ودخلوا فى الذنب الا انا والله لقد كانت ليلتنا طيبة لو سلمنا من هؤلاء الصعاليك الذين لو دخلوا مدينة عامرة لاخربوها ثم انشد يقول

ما احسن العفو عن قادر * لاسيما عن غير ذى ناصر

بحرمة الود الذى بيننا * لا تقتل الاول بالاخر

فلما فرغ الحمال من كلامه ضحكت الصبية وادركها شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية عشر

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الصبية لما ضحكت بعد غيظها اقبلت على الجماعة وقالت اخبرونى بخبركم غابق من عمركم الا ساعة ولولا انتم اعزاء او اكابر قومكم او حكام لجعلت جزاءكم فقال الخليفة ويلك يا جعفر عرفها بنا والا قتلتنا فقال جعفر من بعض ما نستحق فقال له الخليفة لا ينبغى الهزل فى وقت الجد كل منهما له وقت ثم ان الصبية اقبلت على الصعاليك وقالت لهم هل انتم اخوة فقالوا لها والله ما نحن الا فقراء الحجام فقالت لواحد منهم هل انت ولدت اعور فقال لا والله وانما قد جرى لى امر عجيب حين تلفت عينى ولهذا الامر حكاية لو كتبت بالابر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر فسألت الثانى والثالث فقالا لها مثل الاول ثم قالوا ان كل واحد منا من بلد وان حديثنا عجيب وامرنا غريب فالتفتت الصبية لهم وقالت كل واحد منكم يحكى حكايته وما سبب مجيئه الى مكاننا ثم يملس على رأسه ويروح الى حال سبيله فاول من تقدم الحمال فقال ياسيدتى انا رجل حمال حملتنى هذه الدلالة واتت بى هنا وجرى لى معكن ما جرى وهذا حديثى والسلام فقالت له ملس على رأسك وروح فقال والله ما اروح حتى اسمع حديث رفقائى فتقدم الصعلوك الاول وقال لها ياسيدتى اعلمى ان سبب حلق ذقنى وتلف عينى ان والدى كان ملكا وله اخ وكان اخوه ملكا فى مدينة اخرى واتفق ان امى ولدتنى فى اليوم الذى ولد فيه ابن عمى ثم مضت سنون واعوام وايام حتى كبرنا وكنت ازور عمى فى بعض السنين واقعد عنده اشهرا عديدة فزرته مرة فاكرمنى ابن عمى غاية الاكرام وذبح لى الاغنام وروق لى المدام وجلسنا للشراب فلما تحكم الشراب فينا قال لى ابن عمى يا ابن عمى ان لى عندك حاجة مهمة واريد ان لا تخالفنى فيما اريد ان افعله فقلت له حبا وكرامة فاستوثق منى بالايمان العظام ونهض من وقته وساعته وغاب قليلا ثم عاد وخلفه امرأة مزينة مطيبة وعليها من الحلل ما يساوى مبلغا عظيما فالتفت الى والمرأة خلفه وقال خذ هذه المرأة واسبقنى على الجبانة الفلانية ووصفها الى فعرفتها وقال لى ادخل بها التربة وانتظرنى هناك فلم يمكننى المخالفة ولم اقدر على رد سؤاله لاجل اليمين الذى حلفته فاخذت المرأة وسرت الى ان دخلت التربة انا واياها فلما استقر بنا الجلوس جاء ابن عمى ومعه طاسة فيها ماء وكيس فيه جبس وقادوم ثم انه اخذ القادوم وجاء الى قبر فى وسط التربة ففكه ونقض احجاره الى ناحية التربة ثم حفر بالقادوم فى الارض حتى كشف عن طابق قدر الباب الصغير فبان من تحت الطابق سلم معقود ثم التفت الى المرأة بالاشارة وقال لها دونك وما تختارى فنزلت المرأة على ذلك السلم ثم التفت الى وقال يا ابن عمى تمم المعروف اذا نزلت انا فى ذلك الموضع فرد الطابق ورد

عليه التراب كما كان وهذا تمام المعروف وهذا الجبس الذى فى الكيس وهذا الماء الذى فى الطاسة اعجن منه الجبس وجبس القبر فى دائر الاحجار كما كان اولا حتى لا يعرفها احد ولا يقول هذا فتح جديد وبطنه عتيق لان لى سنة كاملة وانا اعمل فيه ومايعلم به الا الله وهذه حاجتى عندك ثم قال لى لا اوحش الله منك يا ابن عمى ثم نزل على السلم فلما غاب عن عينى قمت ورددت الطابق وفعلت ما امرنى به حتى صار القبر كما كان ثم رجعت الى قصر عمى وكان عمى فى الصيد والقنص فمضت تلك الليلة فلما اصبح الصباح تذكرت الليلة الماضية وما جرى فيما بينى وبين ابن عمى وندمت على ما فعلت معه حيث لا ينفع الندم ثم خرجت الى المقابر وفتشت على التربة فلم اعرفها ولم ازل افتش حتى اقبل الليل ولم اهتد اليها فرجعت الى القصر ولم آكل ولم اشرب وقد اشتغل خاطرى بابن عمى من حيث لا اعلم له حالا فاغتممت غما شديدا وبت ليلتى مغموما الى الصباح فجئت ثانيا الى الجبانة وانا افكر فيما فعله ابن عمى وندمت على سعاعى منه وقد فتشت فى التربة جميعا فلم اعرف تلك التربة ولازمت التفتيش سبعة ايام فلم اعرف له طريقا فزاد بى الوسواس حتى كدت ان اجن فلم اجد فرجا دون ان سافرت ورجعت الى ابى فساعة وصولى الى مدينة ابى نهض الى جماعة على باب المدينة وكتفونى فتعجبت كل العجب لانى ابن سلطان المدينة وهم خدم ابى وغلمانى ولحقنى منهم خوف زائد فقلت فى نفسى يا ترى ما جرى على والدى وصرت اسأل الذين كتفونى عن سبب ذلك فلم يردوا على جوابا ثم بعد حين قال لى بعضهم وكان خادما عندى ان ابالك قد غدر به الزمان وخانته العساكر وقتله الوزير ونحن نترقب وقوعك فاخذونى وانا غائب عن الدنيا بسبب هذه الاخبار التى سمعتها عن ابى فلما تمثلت بين يدى الوزير الذى قتل ابى وكان بينى وبينه عداوة قديمة وسبب تلك العداوة انى كنت مولعا بضرب البندق فاتفق انى كنت واقفا يوما من الايام على سطح قصرى واذا بطائر نزل على سطح قصر الوزير وكان واقفا هناك فاردت ان اضرب الطير واذا بالبندقة اخطأت الطير واصابت عين الوزير فاتلفتها بالقضاء والقدر كما قال الشاعر

دع الاقدار تفعل ما تشاء * وطب نفسا بما فعل القضاء
ولا تفرح ولا تحزن بشئ * فان الشئ ليس له بقاء

وكما قال الاخر

مشينا ها خطى كتبت علينا * ومن كتبت عليه خطى مشاها
ومن كانت منيته بارض * فليس يموت فى ارض سواها

ثم قال ذلك الصعلوك فلما اتلفت عين الوزير لم يقدر ان يتكلم لان والدى كان ملك المدينة فهذا سبب العداوة بينى وبينه فلما وقفت قدامه وانا مكتف امر بضرب عنقى فقلت له اتقتلنى بغير ذنب فقال اى ذنب اعظم من هذا واشار الى عينه المتلفة فقلت له فعلت ذلك خطأ فقال ان كنت فعلته خطأ فانا افعله بك عمدا ثم قال قدموه بين يدى فقدموني بين يديه فمد اصبعه فى عينى الشمال فاتلفها فصرت من ذلك الوقت اعور كما ترونى ثم كتفنى ووضعنى فى صندوق وقال للسياف تسلم هذا واشهر حسامك وخذه واذهب به الى خارج المدينة واقتله ودعه للوحوش تأكله فذهب بى السياف وسار حتى خرج من المدينة واخرجنى من الصندوق وانا مكتوف اليدين مقيد الرجلين واراد ان يغمى عينى ويقتلنى فبكيت وانشدت هذه الابيات

جعلتكم درعا حصينا فامتنعوا * سهام العدا عنى فكنتم نصالها
وكنت ارجى عند كل ملمة * تخص يمينى ان تكون شمالها

دعواقصة العذال عنى بمعزل * وخلوا العدى ترمى الى نبالها
اذا لم تقوا نفسى مكايدة العدى * فكونوا سكوتا لا عليها ولا لها

وانشدت ايضا هذه الابيات

واخوان تخذتهموا دروعا * فكانوها ولكن للاعادى
وخلتهموا سها ماصائبات * فكانوها ولكن فى فؤادى
وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن عن ودادى
وقالوا قد سعينا كل سعى * لقد صدقوا ولكن فى فسادى

فلما سمع السياف شعرى وكان سياف ابى ولى عليه الاحسان قال ياسيدى كيف افعل وانا عبد مأمور ثم قال لى فز بعمرك ولا تعد الى هذه الارض فتهلك وتهلكنى معك كما قال الشاعر

ونفسك فز بها ان خفت ضيما * وخل الدار تبعى من بناها
فانك واجد ارضا بارض * ونفسك لم تجد نفسا سواها
عجبت لمن يعيش بدار ذل * وارض الله واسعة فلاها
ومن كانت منيته بارض * فليس يموت فى ارض سواها
وما غلظت رقاب الاسد حتى * بانفسها نوالت ما عناها

فلما قال لى ذلك قبلت يديه وماصدقت بالنجاة حتى فررت وهان على تلف عينى بنجاتى من القتل وسافرت حتى وصلت الى مدينة عمى فدخلت عليه واعلمته بما جرى لوالدى وبما جرى لى من تلف عينى فبكا بكاء شديدا وقال لقد زدتنى هما على همى وغما على غمى فان ابن عمك قد فقد منذ ايام ولم اعلم ما جرى له ولم يخبرنى احد بخبره وبكى حتى اغمى عليه فلما استفاق قال ياولدى قد حزنت على ابن عمك حزنا شديدا وانت زدتنى بما حصل لك ولا بيك غما على غمى ولكن ياولدى بعينك ولا بروحك ثم انى لم يمكنى السكوت عن ابن عمى الذى هو ولده فاعلمته بالذى جرى له كله ففرح عمى بما قلته له فرحا شديدا عند سماع خبر ابنه وقال ارنى التربة فقلت والله ياعمى لم اعرف مكانها الانى رحت بعد ذلك مرات لافتش عليها فلم اعرف مكانها ثم ذهبت انا وعمى الى الجبانة ونظرت يمينا وشمالا فعرفتها ففرحت انا وعمى فرحا شديدا ودخلت انا واياه التربة وازحنا التراب ورفعنا الطابق ونزلت انا وعمى مقدار خمسين درجة فلما وصلنا الى آخر السلم واذا بدخان طلع علينا فغشى ابصارنا فقال عمى الكامة التى لا يخاف قائلها وهى لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم مشينا واذا نحن بقاعة مملئة دقيقا وحبوبا ومأكولا وغير ذلك ورأينا فى وسط القاعة ستارة مسبولة على سرير فنظر عمى الى السرير فوجد ابنه هو والمرأة التى قد نزلت معه صارا فحما اسود وهما متعانقان كانهما القيا فى جب نار فلما نظر عمى ذلك بصق فى وجهه وقال تستحق ياخبيث فهذا عذاب الدنيا وبقى عذاب الاخرة وهو اشد وابقى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية عشر

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الصعلوك قال للصبية والجماعة والخليفة وجعفر يسمعون الكلام ثم ان عمى ضرب ولده بالنعال وهو راقد كالفحم الاسود فتعجبت من ضربه وحزنت على ابن عمى حيث صار هو والصبية فحما اسود ثم قلت بالله ياعمى خفف الهم عن قلبك فقد اشتغل سرى وخاطرى

بما قد جرى لولدك وكيف صار هو والصبية لحما اسودا ما يكفيك ما هو فيه حتى تضربه بالنعال فقال
يا ابن اخي ان ولدي هذا كان من صغره مولعا بحب اخته وكنت انهاه عنها واقول في نفسي انهما صغيران
فلما كبرا وقع بينهما القبيح وسمعت بذلك ولم اصدق ولكني زجرته زجرا بليغا وقلت له احذر من هذه الفعال
القبيحة التي لم يفعلها احد قبلك ولا يفعلها احد بعدك والا تبق بين الملوك بالعار والنقصان الى الممات
وتشيع اخبارنا مع الركبان واياك ان تصدر منك هذه الفعال فاني احفظ عليك وافتلك ثم جبيته عنها وجبتها
عنه وكانت الخبيثة تحبه محبة عظيمة وقد تمكن الشيطان منهما فلما آتى جبيته فعل هذا المكان الذي تحت
الارض خفية وتنقل فيه المأكول كما تراه واستغفلني لما خرجت الى الصيد واتى هذا المكان فغار عليه وعليها
الحق سبحانه وتعالى واحرقهما ولعذاب الاخرة اشد وابقى ثم بكى وبكيت معه وقال لي انت ولدي عوضا
عنه ثم اني تفكرت ساعة في الدنيا وحوادثها من قتل الوزير والدي واخذه مكانه وتلف عيني وما جرى
لابن عمي من الحوادث الغريبة فبكيت ثم اننا صعدنا ورددنا الطابق والتراب وعملنا القبر كما كان ثم رجعنا
الى منزلنا فلم يستقر بنا الجلوس حتى سمعنا دق طبول وبوقات ورحت الابطال وامتلأت الدنيا بالعجاج
والغبار من حوافر الخيل فحارت عقولنا ولم نعرف الخبر فسأل الملك عن الخبر فقيل ان وزيرا خيلك قتله
وجميع العسكر والجنود وجاء بعسكره ليهجموا على المدينة في غفلة واهل المدينة لم يكن لهم طاقة بهم
فسلموا اليه فقلت في نفسي متى وقعت انا في يده قتلني وتراكمت علي الاحزان وتذكرت الحوادث التي حدثت
لابي وامي ولم اعرف كيف العمل فان ظهرت عرفني اهل المدينة وعسكر ابي فيسعون في قتلي وهلاكي
فلم اجد شيأ انجو به الا حلق ذقني فحلقتها وغيرت ثيابي وخرجت من المدينة وقصدت هذه المدينة والسلام
لعل احدا يوصلني الى امير المؤمنين وخليفة رب العالمين حتى احكي له قصتي وما جرى لي فوصلت الى هذه
المدينة في هذه الليلة فوقفت حائرا ولم ادر اين امضي واذا بهذا الصعلوك واقف فسلمت عليه وقلت له
انا غريب فقال وانا غريب ايضا فبينما نحن كذلك واذا برفيقنا هذا الثالث جاءنا وسلم علينا وقال انا غريب
فقلنا له ونحن غربان فشينا وقد هجم علينا الظلام فساقنا القدر اليكم وهذا سبب حلق ذقني وتلف عيني
فقالت الصبية ملس على رأسك ورح فقال لها لا اروح حتى اسمع خبر غيري فتعجبوا من حديثه فقال
الخليفة لجعفر والله انا ما رأيت مثل الذي جرى لهذا الصعلوك ثم تقدم الصعلوك الثاني وقبل الارض وقال
ياسيدي انا ما ولدت اعور وانما لي حكاية عجيبة لو كتبت بالابر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر فانا مالك
ابن مالك وقرأت القرآن على سبع روايات وقرأت الكتب على اربابها من مشايخ العلم وقرأت علم النجوم
وكلام الشعراء واجتهدت في سائر العلوم حتى فقت اهل زماني فعظم حظي عند سائر الكتبة وشاع ذكري
في سائر الاقاليم والبلدان وشاع خبري عند سائر الملوك فسمع بي ملك الهند فارسل يطلبني من ابي وارسل
اليه هدايا وتحفا تصلح للملوك فجهزني ابي في ست مراكب وسرنا في البحر مدة شهر كامل حتى وصلنا الى البر
واخرجنا خيلا كانت معنا في المركب وحملنا عشرة جمال هدايا ومشينا قليلا واذا بغبار قد علا وثار حتى سد
الاقطار واستمر ساعة من النهار ثم انكشف فبان من تحته ستون فارسا وهم ليوث عبوس فتأملناهم واذا هم
عرب قطاع طريق فلما راونا ونحن نفر قليل ومعنا عشرة احمال هدايا لملك الهند رمحوا علينا واشرعوا الرماح
بين ايديهم نحونا فاشرنا اليهم بالاصابع وقلنا لهم نحن رسل الى ملك الهند المعظم فلا تؤذونا فقالوا نحن
لسنا في ارضه ولا تحت حكمه ثم انهم قتلوا بعض الغلمان وهربت الباقون وهربت انا بعدان جرحت جرحا
بليغا واشتغلت عنا العرب بالمال والهدايا التي كانت معنا فسرت لا ادري اين اذهب وكنت عزيزا

فصرت ذليلا وسرت الى ان اتيت رأس الجبل فدخلت مغارة حتى طلع النهار ثم سرت منها حتى وصلت الى مدينة عامرة بالخير قد ولى عنها الشتاء ببرده واقبل عليها الربيع بوروده ففرحت بوصولى اليها وقد تعبت من المشى وعلانى الهم والاصفرار فتغيرت حالتى ولا ادرى اين اسلك فمضيت الى خياط فى دكان وسلمت عليه فرد على السلام ورحب بى وباسطنى وسئلنى عن سبب غربتى فاخبرته بما جرى لى من اوله الى آخره فاغتم لاجلى وقال يا فتى لا تظهر ما عندك فانى اخاف عليك من ملك هذه المدينة لانه اكبر اعداء ابيك وله عنده ثار ثم احضر لى ما كولا ومشروبا فاكلت واكل معى وتحادثت معه فى الليل واخلانى محلا فى جانب حانوته واتانى بما احتاج اليه من فراش وغطاء فاقمت عنده ثلاثة ايام ثم قال لى اما تعرف صنعة تكتسب بها فقلت له انى فقيه طالب علم كاتب حاسب فقال ان صنعتك كاسدة فى بلادنا وليس فى مدينتنا من يعرف علما ولا كتابة غير المال فقلت والله لا ادرى شيئا غير الذى ذكرته لك فقال شد وسطك وخذ فاسا وحبلا واحتطب من البرية حطبا تتقوت به الى ان يفرج الله عليك ولا تعرف احدا بنفسك فيقتلوك ثم اشترى فاسا وحبلا وارسلنى مع بعض الحطابين واوصاهم على فخرجت معهم واحتطبت فاتيت بحمل على رأسى فبعته بنصف دينار فاكلت بعضه وابقيت بعضه ودمت على هذا الحال مدة سنة ثم بعد السنة ذهبت يوما على عادتى الى البرية لاحتطب منها ودخلتها فوجدت فيها خميلة اشجار فيها حطب كثير فدخلت الخميلة واتيت شجرة وحفرت حولها وازلت التراب عن جذارها فاصطكت الفاس فى حلقة نحاس فنظفت التراب واذا هى فى طابق من خشب فكشفته فبان تحته سلم فنزلت الى اسفل السلم فرأيت بابا فدخلته فرأيت قصرا محكم البنيان فوجدت فيه صبية كالدرة السنية تنفى عن القلب كل هم وغم وبلية فلما نظرت اليها وجدت خالقها المابدع فيها من الحسن والجمال فنظرت الى وقالت لى انت انسى ام جنى فقلت لها انسى فقالت ومن اوصلك الى هذا المكان الذى لى فيه خمسة وعشرون سنة ما رأيت فيه انسيا ابدا فلما سمعت كلامها وجدت له عذوبة وقلت لها ياسيدتى اوصلنى الله الى منزلك ولعله يزيل همى وغمى وحكيت لها ما جرى لى من الاول الى الاخر فصعب عليها حالى وبكت وقالت انا الاخرى اعلمك بقصتى فاعلم انى بنت ملك اقصى الهند صاحب جزيرة الابنوس وكان قد زوجنى بابن عمى فاختطفنى ليلة زفافى عفريت اسمه جرجريس ابن رجموس ابن ابليس فطار بى ونزل فى هذا المكان ونقل فيه كل ما احتاج اليه من الحلى والحلل والقماش والمتاع والطعام والشراب وفى كل عشرة ايام يجيئنى مرة فيبيت هنا ليلة وعاهدنى اذا عرضت لى حاجة ليلا او نهارا ان المس بيدى هذين السطرين المكتوبين على القبة فارفع يدى حتى اراه عندى ومنذ كان عندى له اليوم اربعة ايام وبقى له ستة ايام حتى يأتى فهل لك ان تقيم عندى خمسة ايام ثم تنصرف قبل مجيئه بيوم فقلت نعم ففرحت ثم نهضت على اقدامها واخذت بيدى وادخلتنى من باب مقنطر وانتهت بى الى حمام لطيف ظريف فلما رأيته خلعت ثيابى وخلعت ثيابها ودخلت فجلست على مرتبة واجلستنى معها وانت بسكر ممسك وسقتنى ثم قدمت لى مأكولا فاكلنا وتحادثنا ثم قالت لى نم واستريح فانك تعبان ففعلت ياسيدتى وقد نسيت ما جرى لى وشكرتها فلما استيقظت وجدتها تكبس رجلى فدعوت لها وجلسنا نتحادث ساعة ثم قالت والله انى كنت ضيقة الصدر وانا تحت الارض وحدى ولم اجد من يحدثنى خمسة وعشرين سنة فالحمد لله الذى ارسلك الى ثم انشدت

لو علمنا مجيئكم لفرشنا * مهجة القلب او سواد العيون

وفرشنا خدودنا والتقينا * ليكون المسير فوق الجفون

فلما سمعت شعرها شكرتها وقد تمكنت محبتها فى قلبى وذهب عنى همى وغمى ثم جلسنا فى منادمة الى الليل فبت معها ليلة ما رأيت مثلها فى عمرى واصبحنا مسرورين فقلت لها هل اطلعك من تحت الارض وارمحك من هذا الجنى ففحكت وقالت اقنع واسكت فنى كل عشرة ايام يوم للعفريت وتسعة لك فقلت وقد غلب على الغرام فانا فى هذه الساعة اكسر هذه القبة التى عليها النقش المكتوب لعل العفريت يجىء حتى اقتله فانى موعود بقتل العفاريت فلما سمعت كلامى انشدت تقول

ياطالبا للفراق مهلا * بحيلة قد كفى اشتياق

اصبر فطبع الزمان غدر * واخر الصحبة الفراق

فلما سمعت شعرها لم التفت لكلامها بل رفصت القبة رفصا قويا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة عشر

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الصعلوك الثانى قال للصبية ياسيدتى لما رفصت القبة رفصا قويا قالت لى المرأة ان العفريت قد وصل الينا اما حذرتك من هذا والله لقد آذيتنى ولكن انج بنفسك واطلع من المكان الذى جئت منه فمن شدة خوفى نسيت نعلى وفاسى فلما طلعت درجتين التفت لانظرهما فرأيت الارض قد انشقت وطلع منها عفريت ذو منظر بشع وقال ما هذه الزمجرة التى ارعشتينى بها فما مصيبتك فقالت ما اصابنى شئ غير ان صدرى ضاق فاردت ان اشرب شرابا يشرح صدرى فنهضت لاقضى اشغالى فوقعت على القبة فقال لها العفريت تكذبين يا فاجرة ونظر فى القصر يمينا وشمالا فرأى النعل والفاس فقال لها ما هذا الامتاع الانس من جاء اليك فقالت ما نظرتهما الا فى هذه الساعة ولعلهما تعلقا معك فقال العفريت هذا كلام محال لا ينطلى على ياعاهرة ثم انه اعراها وصلبها بين اربعة اوتاد وجعل يعاقبها ويقررها بما كان فلم يهن على ان اسمع بكاءها فطلعت من السلم مذعورا من الخوف فلما وصلت الى اعلى الموضع رددت الطابق كما كان وسترته بالتراب وندمت على ما فعلت غاية الندم وتذكرت الصبية وحسنها وكيف يعاقبها هذا الملعون وهى لها معه خمسة وعشرون سنة وما عاقبها الا بسببى وتذكرت ابى ومملكته وكيف صرت حطابا فقلت هذه الابيات

اذا ما تالك الدهر يوما بنكبة * فيوما ترى يسرا ويوم ترى عسرا

ثم مشيت الى ان اتيت رفيقى الخياط فنقبته من اجلى على مقالى النار وهو لى فى الانتظار فقال انى بت البارحة وقلبى عندك وخفت عليك من وحش او غيره فالحمد لله على سلامتك فشكرته على شفقته على ودخلت خلوتى وجعلت اتفكر فيما جرى لى والوم نفسى على رفضى هذه القبه واذا بصديقى الخياط دخل على وقال لى فى الدكان شخص اعجمى يطلبك ومعه فاسك ونعلك قد جاء بهما الى الخياطين وقال لهم انى خرجت وقت اذان المؤذن لاجل صلاة الفجر فعثرت بهما ولم اعلم لمن هما فدلونى على صاحبهما فدله الخياطون عليك وهاهو قاعد فى دكانى فاخرج اليه واشكره وخذ فاسك ونعلك فلما سمعت هذا الكلام اصفر لونى وتغير حالى فبينما انا كذلك واذا بارض محلى قد انشقت وطلع منها الاعجمى واذا هو العفريت وقد كان عاقب الصبية غاية العقاب فلم تقر له بشئ فاخذ الفاس والنعل وقال لها

ان كنت جرجريس من ذرية ابليس فانا اجيء بصاحب هذه الفاس والنعال ثم جاء بهذه الحيلة الى الخياطين ودخل على سوء يمهلني بل اختطفني وطار وعلا بي ونزل بي وغاص في الارض وانا لا اعلم بنفسي ثم طلع بي القصر الذي كنت فيه فرأيت الصبية عريانة والدم يسيل من جوانبها فقطرت عيناي بالدموع فاخذها العفريت وقال لها يا عاهرة هذا عشيقك فنظرت الي وقالت له لا اعرفه ولا رأيته الا في هذه الساعة فقال لها العفريت اهذه العقوبة ولم تقترى فقالت ما رأيته عمري وما يحل من الله ان اكذب عليه فقال لها العفريت ان كنت لا تعرفينه فخذي هذا السيف واضربي عنقه فاخذت السيف وجاءتني ووقفت على رأسي فاشرت لها بحاجبي ودمعي يجري على وجنتي فنهضت ونمزتني وقالت انت الذي فعلت بنا هذا كله فاشرت لها ان هذا وقت العفو ولساني حالي يقول

يترجم طرفي عن لساني لتعلموا * وبيدو لكم ما كان صدري يكتم
ولما التقينا والدموع سواجم * خرست وطرفي بالهوى يتكلم
تشير لنا عما تقول بطرفها * واومي اليها بالبنان فتفهم
حواجبنا تقضي الحوائج بيننا * فنحن سكوت والهوى يتكلم

فلما فهمت الصبية اشارتي رمت السيف من يدها يا سيدتي فناولني العفريت السيف وقال لي اضرب عنقها وانا اطلقك ولا انكد عليك فقلت نعم واخذت السيف وتقدمت بنشاط ورفعت يدي فقالت لي بحاجبها انا ما قصرت في حقك فهملت عيناي بالدموع ورميت السيف من يدي وقلت ايها العفريت الشديد والبطل الصنديد اذا كانت امرأة ناقصة عقل ودين لم تحمل ضرب عنقي فكيف يحل لي ان اضرب عنقها ولم ارها عمري فلا افعل ذلك ابدا ولو سقيت من الموت كاس الردى فقال العفريت انتما بنكاح مودة ثم اخذ السيف وضرب يد الصبية فقطعها ثم ضرب الثانية فقطعها ثم قطع رجلها اليمين ثم قطع رجلها اليسار حتى قطع اربعها باربع ضربات وانا انظر بعيني فايقنت بالموت ثم اشارت الى بعينها فرآها العفريت فقال لها قد زنيت بعينك ثم ضربها فقطع رأسها والتفت الي وقال يا انسي نحن في شرعنا اذا زنت الزوجة يحل لنا قتلها وهذه الصبية اختطفتها ليلة عرسها وهي بنت اثنى عشر سنة ولم تعرف احدا غيري وكنت اجيئها في كل عشرة ايام ليلة واحدة في زي رجل اعجمي فلما تحققت انها خانتني قتلتها واما انت فلم اتحقق انك خنتني فيها ولكن لابد اني ما اخليك في عافية فتمن علي اي ضرر فرحت يا سيدتي غاية الفرح وطمعت في العفو وقلت له وما اتمناه عليك قال تمن علي اي صورة اسحرك فيها الماصورة كلب واما صورة حمار واما صورة قرد فقلت له وقد طمعت انه يعفو عني والله ان عفوت عني يعف الله عنك بعفوك عن رجل مسلم لم يؤذك وتضرعت اليه غاية التضرع وبقيت بين يديه وقلت له انا مظلوم فقال لا تطل علي الكلام اما القتل فلا تخف منه واما العفو عنك فلا تطمع فيه واما سحرك فلا بد منه ثم شق الارض وطار بي الى الجو حتى نظرت الى الدنيا تحتي كانها قصعة ماء ثم حطني على جبل واخذ قليلا من التراب وهمهم عليه وتكلم ورشني وقال اخرج من هذه الصورة الى صورة قرد فمن ذلك الوقت صرت قردا ابن ماية سنة فلما رأيت نفسي في هذه الصورة القبيحة بكيت على روحي وصبرت على جور الزمان وعلمت ان الزمان ليس لاحد وقد انحدرت من اعلى الجبل الى اسفل وقد سافرت مدة شهر ثم ذهبت الى شاطئ البحر المالح فوقفت ساعة واذا انا بمركب في وسط البحر قد طاب ريحها وهي قاصدة البر فاختفيت خلف صخرة على جانب البحر وسرت الى ان اتيت وسط المركب فقال واحد منهم اخرجوا هذا المشؤوم من المركب

وقال واحد منهم نقتله وقال اخر اقتله بهذا السيف فامسكت طرف السيف وبكيت وسالت دموعي فحن على الرئيس وقال لهم يا تجار ان هذا القرد استجار بي وقد اجرته وهو في جواري فلا احد يتعرض له ولا يشوش عليه ثم ان الرئيس صار يحسن الي ومهما تكلم به افهمه واقضي حوايجه كلها واخدمه في المركب وقد طاب لها الريح مدة خمسين يوما فرسينا على مدينة عظيمة وفيها عالم كثير لا يحصى عددهم الا الله تعالى فساعة وصولنا اوقفنا مركبنا بجانب تمالي من طرف ملك المدينة فنزلوا المركب وهنوا التجار بالسلامة وقالوا ان ملكنا يهنيكم بالسلامة وقد ارسل اليكم هذا الدرج الورق وقال كل واحد منكم يكتب فيه سطرا فقمت وانا في صورة القرد وخطفت الدرج من ايديهم فخافوا اني اقطعه وارميه في الماء فنهروني واراد واقتلي فاشرت لهم اني اكتب فقال لهم الرئيس دعوه يكتب فان خلط الكتابة طردناه عنا وان احسنها اتخذته ولدا فاني ما رأيت قردا افهم منه ثم اخذت القلم واستمديت الحبر وكتبت سطرا بقلم الرقاع ورقمت هذا الشعر

لقد كتب الدهر فضل الكرام * وفضلك للأن لا يحسب
فلا ايتم الله منك الورى * لانك للفضل نعم الاب

وكتبت بالقلم الريحاني هذا الشعر

له قلم عم الاقاليم نفعه * وعم جميع العالمين منافع
وخمسة انهار انامل الني * تسيل على الاقطار خمس اصابع

وكتبت بقلم الثلث هذين البيتين

وما من كاتب الا سيفنى * ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بخطك غير شئ * يسرك في القيامة ان تراه

وكتبت تحته بقلم المشق هذين البيتين

اذا فتحت دواة العز والنعم * فاجعل مدادك من جود ومن كرم
واكتب بحبر اذا ما كنت معتذرا * بذاك شرفت فضلا نسبة القلم

ثم ناولتهم ذلك الدرج الورق فطلعوا به الى الملك فلما تأمل الملك ما في ذلك الدرج لم يعجبه خط احد الا خطي فقال لاصحابه توجهوا الى صاحب هذا الخط والبسوه هذه الحلة وركبوه بغلة وهاتوه بالنوبة واحضروه بين يدي فلما سمعوا كلام الملك تبسموا فغضب منهم ثم قال كيف امركم بامر فتضحكوا علي فقالوا ايها الملك ما نضحك على كلامك بل الذي كتب هذا الخط قرد وليس هو آدميا وهو مع رئيس المركب فتعجب الملك من كلامهم واهتز من الطرب وقال اريد ان اشتري هذا القرد ثم بعث رسلا الى المركب ومعهم البغلة والحلة وقال لابد ان تلبسوه هذه الحلة وتركبوه البغلة وتأتوا به فساروا الى المركب واخذوني من الرئيس والبسوني الحلة فاندهش الخلائق وصاروا يتفرجون علي فلما طلعوا بي الى الملك ورأيته قبلت الارض بين يديه ثلاث مرات فامرني بالجلوس فجلست على ركبتي فتعجب الحاضرون من ادبي وكان الملك اكثرهم تعجبا ثم ان الملك امر الخلق بالانصراف فانصرفوا ولم يبق الا الملك والطواشي ومملوك صغير وانا ثم امر الملك بطعام فقدموا سفرة طعام فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين فاشار الى الملك ان كل فقمت وقبلت الارض بين يديه سبع مرات وجلست آكل معه وقد ارتفعت السفرة وذهبت فغسلت يدي واخذت الدواة والقلم والقرطاس وكتبت هذين البيتين

اناجر الضأن ترياق من العلل * واسمن الحلو فيها منتهى املى
يالهف قلبي على مد السماط اذا * ماجت كنافته بالسمن والعسل

وكتبت ايضا هذين البيتين

اليك اشتياق يا كنافة زائد * وليس غنى لى عنك كلا ولا صبر
فلازلت اكلى كل يوم وليلة * ولازال منهلا بجرعائك القطر

ثم قمت وجلست بعيدا فنظر الملك الى ما كتبته وقرأه فتعجب وقال هل يكون عند قرد هذه الفصاحة وهذا الخط والله ان هذا من عجب العجب ثم قدم للملك شطرنج فقال الملك اتلعب قلت برأسى نعم فتقدمت وصففت الشطرنج ولعبت معه مرتين فغلبته فحار عقل الملك وقال لو كان هذا آدميا لفاق اهل زمانه ثم قال لخادمه اذهب الى سيدتك وقل لها كلمى الملك حتى تجيء فتتفرج على هذا القرد العجيب فذهب الطواشى وعاد ومعه سيدته بنت الملك فلما نظرت الى غطت وجهها وقالت يا ابى كيف طاب على خاطرك ان ترسل الى غيرانى الرجال الاجانب فقال يا بنتى ما عندى سوى المملوك الصغير والطواشى الذى ربالك وهذا القرد وانا ابوك فمن تغطين وجهك فقالت ان هذا القرد ابن ملك واسم ابيه ايمار صاحب جزائر الابنوس الداخلة وهو مسحور بسحر العفريت جرجريس الذى هو من ذرية ابليس وقد قتل زوجته بنت ملك اقناموس وهذا الذى تزعم انه قرد انما هو رجل عالم عاقل فتعجب الملك من ابنته ونظر الى وقال احق ما تقول عنك فقلت برأسى نعم وبكيت فقال الملك لبنته من اين عرفت انه مسحور فقالت يا ابت كان عندى وانا صغيرة عجوز ماكرة ساحرة علمتنى صناعة السحر وقد حفظته واتقنته وعرفت مأية وسبعين بابا من ابوابه اقل باب منها انقل به حجارة مدينتك خلف جبل قاف واجعلها لجة بحر واجعل اهلها سمكا فى وسطه فقال ابوها بحق اسم الله عليك ان تخلصى لنا هذا الشاب حتى اجعله وزيرى وهل فيك هذه الفضيلة ولم اعلم بخلاصيه حتى اجعله وزيرى لانه شاب ظريف لبيب فقالت له حبا وكرامة ثم اخذت بيدها سكينا وعملت دائرة وادرلك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة عشر

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الصعلوك قال للصبية يا سيدتى ثم ان بنت الملك اخذت بيدها سكينا مكتوبا عليها اسماء عبرانية وخطت بها دائرة فى وسط القصر وكتبت فيها اسماء وطلاسم وعزمت بكلام وقرأت كلاما لا يفهم فبعد ساعة اظلمت علينا جهات والقصر حتى ظننا ان الدنيا قد انطبقت علينا واذا بالعفريت قد تدلى علينا فى اقبح صفة بايد كالمراوح ورجلين كالصوارى وعينين كمشعلين يوقدان نارا ففزعنا منه فقالت بنت الملك لا اهلا بك ولا سهلا فقال العفريت وهو فى صورة اسد يا خائنة كيف خنت اليمين اما تحالفنا على انه لا يتعرض احد للاخر فقالت له يا لعين ومن اين لك يمين فقال العفريت خذى ما جاء لك ثم انقلب اسدا وفتح فاه وهجم على الصبية فاسرعت واخذت شعرة من شعرها بيدها وهمهمت بشفتيها فصارت الشعرة سيفا ماضيا وضربت ذلك الاسد فصار نصفين فصارت رأسه عقربا وانقلبت الصبية حية عظيمة وهمت على هذا اللعين وهو فى صفة عقرب فتقاتلا قتالا شديدا ثم انقلب العقرب عقابا فانقلبت الحية نسرا وصارت وراء العقاب واستمرت ساعة زمانية ثم انقلب العقاب قطا اسود فانقلبت الصبية ذئبا فتشاحنا فى القصر ساعة زمانية وتقاتلا قتالا شديدا فرأى القط نفسه

مغلوبا فانقلب وصار رمانة حمراء كبيرة ووقعت تلك الرمانة فى بركة فقصدها الذئب فارتفعت فى الهواء ووقعت على بلاط القصر فانكسرت وانتثر الحب كل حبة وحدها واستلاءت ارض القصر حبا فانقلب ذلك الذئب ديكا لاجل ان يلتقط ذلك الحب حتى لم يترك منه حبة فبالامر المقدر تدارت حبة فى جانب الفسقية فصار الديك يصيح ويرفرف باجنحته ويشير الينا بمنقاره ونحن لا نفهم ما يقول ثم صرخ علينا صرخة تخيل لنا منها ان القصر قد انقلب علينا ودار فى ارض القصر كلها حتى رأى الحبة التى تدارت فى جانب الفسقية فانقض عليها ليلتقطها واذا بالحبة سقطت فى وسط الماء الذى فى البركة فصارت سمكة وقد غاصت فى الماء فانقلب الديك حوتا كبيرا ونزل خلفها وغاب ساعة واذا بنا قد سمعنا صراخا عاليا فارتجفنا فبعد ذلك طلع العفريت وهو شعلة نار فالقى من فمه نارا ومن عينيه ومنخريه نارا ودخانا وانقلبت الصبية لجة نار فاردنا ان نغطس فى ذلك الماء خوفا على انفسنا من الحريق والهلاك فانشعر الاوالعفريت قد صرخ من تحت النيران وصار عندنا فى الليوان ونفخ فى وجوهنا بالنار فلحقته الصبية ونفخت فى وجهه بالنار ايضا فاصابنا الشرر منها ومنه فاما شررها فلم يؤذنا واما شرره فلحقنى منه شرارة فى عينى فاتلفتها وانا فى صورة القرد ولحق الملك شرارة منه فى وجهه فاحرقت نصفه التحتانى بذقنه وحنكه ووقعت اسنانه التحتانية ووقعت شرارة فى صدر الطواشى فاحترق ومات من وقته وساعته فايقنا بالهلاك وقطعنا رجاءنا من الحياة فبينما نحن كذلك واذا بقائل يقول الله اكبر الله اكبر قد فتح ونصر وخذل من كفر بدين محمد سيد البشر واذا بالقائل بنت الملك قد احرقت العفريت فنظرنا اليه فرأيناه قد صار كوم رماد ثم جاءت الصبية الينا وقالت الحقونى بطاسة ماء فجاؤا بها اليها فتكلمت عليها بكلام لا نفهمه ثم رشتنى بالماء وقالت اخلص بحق الحق وبحق اسم الله الاعظم الى صورتك الاولى فصرت بشرا كما كنت اولا ولكن تلفت عينى فقالت الصبية النار النار يا والدى انا ما بقيت اعيش لانى موعودة بالقتل ولو كان من الانس لقتله من اول الامر وما تعبت الا وقت فرط الرمانة حين لقطت حبها ونسيت الحبة التى فيها روح الجنى فلو لقطها لمات من ساعته ولكن ما رأيتها بالقضاء والقدر ولم اشعر الا وهو قد اتانى وجرى لى معه حرب شديد تحت الارض وفى الهواء والماء وكلما فتح على بابا فتحت عليه بابا اعظم منه الى ان فتح على باب النار وقل من فتح عليه باب النار ونجا منه وانما ساعدنى عليه القدر حتى احرقته قبلى وكنت اعهد منه التدين بدين الاسلام وها انا ميتة والله خليفتى عليكم ثم انها لم تزل تستغيث من النار واذا بشرر اسود قد طلع الى صدرها وطلع الى وجهها فلما وصل الى وجهها بكت وقالت اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ثم نظرنا اليها ورأيناها كوم رماد بجانب كوم العفريت فحزنا عليها وتمنيت لو كنت مكانها ولا ارى ذلك الوجه المليح الذى عمل فى هذا المعروف يصير رمادا لكن حكم الله لا يرد فلما رأى الملك ابنته صارت كوم رماد نتف بقية لحيته ولطم على وجهه وشق ثيابه وفعلت كما فعل وبكينا عليها ثم جاء الحجاب وارباب الدولة فوجدوا السلطان فى حالة للعدم وعنده كوم رماد فتعجبوا ودار واحول الملك ساعة فلما افاق اخبرهم بما جرى لابنته مع العفريت فعظمت مصيبتهم وصرخ النساء والجوارى وعملوا العزاء سبعة ايام ثم ان الملك امر ان يبنى على رماد ابنته قبة عظيمة واوقدوا فيها الشموع والقناديل واما رماد العفريت فانهم اذروه فى الهواء الى لعنة الله ثم مرض السلطان مرضا اشرف منه على الموت واستمر مريضا شهرا وعادت اليه العافية فطلبنى وقال لى يا فتى قد قضينا زمانا فى اهنى عيش آمنين من نوائب الزمان حتى جئتنا فاقبلت علينا الاكدار فليتنا ما رأيناك ولا رأيناطلعتك القبيحة التى بسببها

صرنا فى حالة العدم فاولا عدمت ابنتى التى كانت تساوى مأية رجل وثانيا جرى لى من الحريق ما جرى وعدمت اضراسى ومات خادمى ولكن ما بيدك حيلة بل جرى قضاء الله علينا وعليك والحمد لله حيث خلصتك ابنتى واهلكت نفسها فاخرج يا ولدى من بلدى وكفى ما جرى بسببك وكل ذلك مقدر علينا وعليك فاخرج بسلام فخرجت ياسيدتى من عنده وما صدقت بالنجاة ولا ادرى اين اتوجه وخطر على قلبى ما جرى لى وكيف خلونى فى الطريق سالما منهم ومشيت شهرا وتذكرت دخولى فى المدينة غريبا واجتماعى بالخياط واجتماعى بالصبية تحت الارض وخلاصى من العفريت بعد ان كان عازما على قتلى وتذكرت ما حصل لى من المبتدا الى المنتهى فحمدت الله وقامت بعينى ولا بروحى ودخلت الحمام قبل ان اخرج من المدينة وحلقت ذقنى وجئت ياسيدتى وفى كل يوم ابكى واتفكر المصائب التى عاقبتها تلف عينى وكلما اتذكر ما جرى لى ابكى وانشد هذه الابيات

تحيرت والرحمن لاشك فى امرى * وحلت بى الاحزان من حيث لا ادرى
سأصبر حتى يعلم الناس انى * صبرت على شئ امر من الصبر
وما احسن الصبر الجميل مع التقى * وما قدر المولى على خلقه يجرى
سر انا سرى ترجمان سريرتى * اذا كان سر السر سرك فى سرى
ولو ان مابى بالجبال لهدمت * وبالنار اطفاها وبالريح لم يسرى
ومن قال ان الدهر فيه حلاوة * فلابد من يوم امر من المر

ثم سافرت الاقطار ووردت الامصار وقصدت دار السلام بغداد لعلى اتوصل الى امير المؤمنين واخبره بما جرى لى فوصلت الى بغداد هذه الليلة فوجدت اخى هذا الاول واقفا متحيرا فقلت السلام عليك وتحدثت معه واذا باخينا الثالث قد اقبل علينا وقال السلام عليكم انا رجل غريب فقلنا له ونحن غربان وقد وصلنا هذه الليلة المباركة فجئنا نحن الثلاثة وما فينا احد يعرف حكاية احد فساقتنا المقادير الى هذا الباب ودخلنا عليكم وهذا سبب حلق ذقنى وتلف عينى فقالت له ان حكايتك غريبة فلس على رأسك واخرج الى حال سبيلك فقال لا اخرج حتى اسمع حديث رفيق فتقدم الصعلوك الثالث وقال ايتها السيدة الجليلة ما قصتى مثل قصتهما بل قصتى اعجب وذلك ان هذان جاءهما القضاء والقدر واما انا فسبب حلق ذقنى وتلف عينى انى جلبت القضاء لنفسى والهم لقلبى وذلك انى كنت ملكا ابن ملك ومات والدى واخذت الملك من بعده وحكمت وعدلت واحسنت للرعية وكان لى محبة فى السفر فى البحر وكانت مدينتى على البحر والبحر متسع وحولنا جزائر معدة للقتال فاردت ان اتفرج على الجزائر فنزلت فى عشرة مراكب واخذت معى مؤنة شهر كامل وسافرت عشرين يوما فى ليلة من الليالى هبت علينا رياح مختلفة الى ان لاح الفجر فهدأ الريح وسكن البحر حتى اشرقت الشمس ثم اننا اشرفنا على جزيرة وطلعنا على البر وطبخنا شيأ نأكله فاكلنا ثم اقمنا يومين وسافرنا عشرين يوما فاختلفت علينا المياه وعلى الريس واستغرب الريس البحر فقلنا للناظور انظر البحر بتأمل فطلع الصارى ثم نزل ذلك الناظور وقال للريس يا ريس رأيت عن يمينى سمكا على وجه الماء ونظرت الى وسط البحر فرأيت سوادا من بعيد يلوح تارة اسود وتارة ابيض فلما سمع الريس كلام الناظور ضرب الارض بعمامته ونتف لحيته وقال للناس ابشروا بهلاكنا جميعا ولم يسلم منا احد وشرع يبكى وكذلك نحن الجميع نبكى على انفسنا فقلت ايها الريس اخبرنا بما رأى الناظور فقال ياسيدى اعلم اننا تهنا يوم جاءت علينا الرياح المختلفة ولم يهدأ الريح

الا بكرة النهار ثم اقمنا يومين فتهنا فى البحر ولم نزل تايهين احد عشر يوما من تلك الليلة وليس لنا ريح يرجعنا الى ما نحن قاصدون آخر النهار وفى غد نصل الى جبل من حجر اسود يسمى حجر المغناطيس وتجرنا المياه غصبا الى جهته فتتمزق المراكب ويروح كل مسمار فى المركب الى الجبل ويلتصق به لان الله وضع فى حجر المغناطيس سرا وهو ان جميع الحديد يذهب اليه وفى ذلك الجبل حديد كثير لا يعلمه الا الله تعالى حتى انه تكسر من قديم الزمان مراكب كثيرة بسبب ذلك الجبل ويلى ذلك البحر قبة من النحاس الاصفر معقودة على عشرة اعمدة وفوق القبة فارس على فرس من نحاس وفى يد ذلك الفارس رمح من نحاس ومعلق فى صدر الفارس لوح من رصاص منقوش عليه اسماء وطلاسم فيها ايها الملك مادام هذا الفارس راكبا على هذه الفرس تتكسر المراكب التى تفوت من تحته ويهلك ركابها جميعا ويلتصق جميع الحديد الذى فى المركب بالجبل وما الخلاص الا اذا واقع هذا الفارس من فوق تلك الفرس ثم ان الريس يا سيدى بكى بكاء شديدا فتحققنا انها الكون لا محالة وكل منا ودع صاحبه فلما جاء الصباح قربنا من ذلك الجبل وساقتنا المياه اليه غصبا فلما صارت المراكب تحته انفتحت وفرت المسامير منها وكل حديد فيها نحو حجر المغناطيس ونحن دائرون حوله فى آخر النهار وتمزقت المراكب فنا من غرق ومنا من سلم ولكن اكثرنا غرق والذين سلموا لم يعلموا ببعضهم لان تلك الامواج واختلاف الرياح ادهشتهم واما انا يا سيدى فنجانى الله تعالى لما اراده من مشقتى وعذابى وبلوتى فطلعت على لوح من الالواح فالقاه الريح والامواج الى جبل فاصبت طريقا مستطرقا الى اعلاه على هيئة السلالم منقورة فى الجبل فسميت الله تعالى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة عشر

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الصعلوك الثالث قال للصبية والجماعة مكتفون والعبيد واقفون بالسيوف على رؤسهم ثم انى سميت الله ودعوته وابتهلت اليه وحاولت الطلوع على الجبل وصرت امسك بالنقر التى فيه حتى اسكن الله الريح فى تلك الساعة واعاننى على الطلوع فطلعت سالما على الجبل وفرحت بسلامتى غاية الفرح ولم يكن لى دأب الا القبة فدخلتها وصليت فيها ركعتين شكرا لله على سلامتى ثم انى نمت تحت القبة فسمعت قائلا يقول يا ابن خصيب اذا انتبهت من منامك فاحفر تحت رجليك تجد قوسا من نحاس وثلاث نشابات من رصاص منقوشا عليها طلاسم فخذ القوس والنشاب وارم الفارس الذى على القبة وارح الناس من هذا البلاء العظيم فاذا رميت الفارس يقع فى البحر ويقع القوس فخذ القوس من يدك وادفنه فى موضعه فاذا فعلت ذلك يطفو البحر ويعلو حتى يساوى الجبل ويطلع عليه زورق فيه شخص غير الذى رميته فيجيء اليك وفى يده مجداف فاركب معه ولا تسم الله تعالى فانه يحملك ويسافر بك مدة عشرة ايام الى ان يوصلك الى بحر السلامة فاذا وصلت هناك تجد من يوصلك الى بلدك وهذا انما يتم لك اذا لم تسم الله ثم استيقظت من نومى وقمت بنشاط وقصدت الماء كما قال الهاتف وضربت الفارس رميته فوقع فى البحر ووقع القوس من يدى فاخذت القوس ودفنته فهاج البحر وعلا حتى ساوى الجبل الذى انا عليه فلم البث غير ساعة حتى رأيت زورقا فى وسط البحر يقصدنى فحمدت الله تعالى فلما وصل الى الزورق وجدت فيه شخصا من النحاس فى صدره لوح من الرصاص منقوش باسماء وطلاسم فنزلت فى الزورق وانا ساكت لا اتكلم فحملنى الشخص اول يوم والثانى والثالث الى

تمام

تمام عشرة ايام حتى رأيت جزائر السلامة ففرحت فرحا عظيما ومن شدة فرحي ذكرت الله وسميت وهللت وكبرت فلما فعلت ذلك قذفني من الزورق في البحر ثم رجع في البحر وكنت اعرف العوم فعمت ذلك اليوم الى الليل حتى كلت سواعدي وتعبت اكتافي وصرت في الهلكات ثم تشهدت وايقنت بالموت وهاج البحر من كثرة الرياح فجاءت موجة كالقلعة العظيمة فحملتني وقذفتني قذفة صرت بها فوق البر لما يريد الله فطلعت البر وعصرت ثيابي ونشفتها على الارض وبت فلما اصبحت لبست ثيابي وقمت انظر اين امشي فوجدت غوطة فجئتها ودرت حولها فوجدت الموضع الذي انا فيه جزيرة صغيرة والبحر محيط بها فقلت في نفسي كلما اخلص من بلية اقع في اعظم منها فبينما انا متفكر في امري واتمنى الموت اذ نظرت مركبا في ناس فقمت وطلعت على شجرة واذا بالمركب التصقت بالبر وطلع منها عشرة عبيد معهم مساحي فمشوا حتى وصلوا الى وسط الجزيرة وحفروا في الارض وكشفوا عن طابق فرفعوا الطابق وفتحوا بابه ثم عادوا الى المركب ونقلوا منها خبزا ودقيقا وسمنا وعسلا واغناما وجميع ما يحتاج اليه الساكن وصار العبيد مترددين بين المركب وباب الطابق وهم يحولون من المركب وينزلون في الطابق الى ان نقلوا جميع ما في المركب ثم بعد ذلك طلع العبيد ومعهم ثياب احسن ما يكون وفي وسطهم شيخ كبير هرم قد عمر زمنا طويلا واضعفه الدهر حتى صار فانيا ويد ذلك الشيخ في يد صبي قد افرغ في قالب الجمال والبس من الحسن حلة الكمال حتى انه يضرب بحسنه الامثال وهو كالقضيب الرطب يسحر كل قلب بجماله ويسلب كل لب بكماله فلم يزالوا يا سيدي سائرين حتى اتوا الى الطابق ونزلوا فيه وغابوا عن عيني فلما توجهوا تحت ونزلت من فوق الشجرة ومشيت الى موضع الردم ونبشت التراب ونقلته وصبرت نفسي حتى ازلت جميع التراب فانكشف الطابق فاذا هو خشب مقدار حجر الطاحون فرفعته فبان من تحته سلم معقود من حجر فتعجبت من ذلك ونزلت في السلم حتى انتهيت الى آخره فوجدت شيأ نظيفا ووجدت بستانا وثانيا وثالثا الى تمام تسعة وثلاثين وكل بستان ارى فيه ما يكل عنه الوصف من اشجار وانهار واثمار وذخائر ورأيت بابا فقلت في نفسي ما الذي في هذا المكان فلا بد ان افتحه وانظر ما فيه ثم فتحته فوجدت فيه فرسا مسرجا ملجما مربوطا ففككته وركبته فطار بي الى ان حطني على سطح وانزلني وضربني بذيله فاتلف عيني وفر مني فنزلت من فوق السطح فوجدت عشرة شباب عور فلما رأوني قالوا الامر حبابك فقلت لهم اتقبلوني اجلس عندكم فقالوا والله لا تجلس عندنا فخرجت من عندهم حزين القلب باكي العين وكتب الله لي السلامة حتى وصلت الى بغداد فحلقت ذقني وصرت صعلوكا فوجدت هذين الاثنين الاعورين فسلمت عليهما وقلت لهما انا غريب فقالا ونحن غريبان فما سبب تلف عينيك وحلق ذقنك فقالت له ملس على رأسك ورح فقال والله لا اروح حتى اسمع قصة هؤلاء ثم ان الصبية التفتت الى الخليفة وجعفر ومسرور وقالت لهم اخبروني بخبركم فتقدم جعفر وحكى لها الحكاية التي قالها للبوابة عند دخولهم فلما سمعت كلامه قالت وهبت بعضكم لبعض فخرجوا الى ان صاروا في الزقاق فقال الخليفة للصعاليك يا جماعة الى اين تذهبون فقالوا وما ندري اين نذهب فقال لهم الخليفة سيروا وباتوا عندنا وقال لجعفر خذهم واحضرهم لي غدا حتى ننظر ما يكون فامتثل جعفر ما امره به الخليفة ثم ان الخليفة طلع الى قصره ولم يجئه نوم في تلك الليلة فلما اصبح جلس على كرسي المملكة ودخلت عليه ارباب الدولة فالتفت الى جعفر بعد ان طلعت ارباب الدولة وقال ائتني بالثلاث صبايا والكلبتين والصعاليك فنهض جعفر واحضرهم بين يديه فادخل الصبايا تحت الاستار والتفت لهن جعفر وقال لهن قد عفونا عنكن لما استلقين من

الاحسان اليها ولم تعرفن فيها انا اعرفكن واتين بين يدى الخامس من بنى العباس هارون الرشيد فلا تخبرنه الا حقا فلما سمع الصبايا كلام جعفر عن لسان امير المؤمنين تقدمت الكبيرة وقالت يا امير المؤمنين ان لى حديثا لو كتب بالابر على اماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر وادر لنا شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة عشر

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان كبيرة الصبايا لما تقدمت بين يدى امير المؤمنين قالت ان لى حديثا عجيبا وهو ان هاتين الصبيتين اختاى من ابى من غير امى فمات والدنا وخلف خمسة الاف دينار وكنت انا اصغرهن سنا فجهز اختاى وتزوجت كل واحدة برجل ومكثنا مدة ثم ان كل واحد من ازواجهما هيأ متجرا واخذ من زوجته الف دينار وسافر وامع بعضهم وتركونى فغابوا اربع سنين وضيع زوجاهما المال وخسرا وتركاهما فى بلاد الناس فجاءتانى فى هيئة الشحاتين فلما رأيتهما ذهلت عنهما ولم اعرفهما ثم انى لما عرفتهما قلت لهما ما هذا الحال فقالتا يا اختنا ان الكلام لم يفد الآن وقد جرى القلم بما حكم الله فارسلتهما الى الحمام والبست كل واحدة حلة وقلت لهما يا اختاى انتما الكبيرتان وانا الصغيرة وانتما عوض عن ابى وامى والارث الذى نابنى معكما قد جعل الله فيه البركة فكلا من زكاته واحوالى جليلة وانا واياكما سواء واحسنت اليهما غاية الاحسان فمكثتا عندى مدة سنة كاملة وصار لهما مال من مالى فقالتا ان الزواج خير لنا وليس لنا صبر عنه فقلت لهما يا اختاى لم تريا فى الزواج خيرا فان الرجل الجيد قليل فى هذا الزمان وقد جربتما الزواج فلم يقبلا كلامى وتزوجا بغير رضاى فزوجتهما من مالى وسترتهما ومضتا مع زوجيهما فاقاموا مدة يسيرة ولعب عليهما زوجاهما واخذا ما كان معهما وسافرا وتركاهما فجاءتانى وهما عريانتان واعتذرا وقالتا لا تؤاخذينا فانت اصغر منا سنا واكمل عقلا وما بقينا نذكر الزواج ابدا فقلت مرحبا بكم يا اختاى ما عندى اعز منكما وقبلتهما وزدتهما اكراما ولم نزل على هذه الحالة سنة كاملة فاردت ان اجهز لى مركبا الى البصرة فجهزت مركبا كبيرة وحملت فيها البضائع والمتاجر وما احتاج اليه فى المركب وقلت يا اختاى هل لكما ان تقعدا فى المنزل حتى اسافر وارجع او تسافرا معى فقالتا نسافر معك فانا لا نطيق فراقك فاخذتهما وسافرنا وكنت قسمت مالى نصفين فاخذت النصف وخبأت النصف الثانى وقلت ربما يصيب المركب شئ ويكون فى العمر مدة فاذا رجعنا نجد شيأ ينفعنا ولم نزل مسافرين اياما وليالى فتاهت بنا المركب وغفل الريس عن الطريق ودخلت المركب بحرا غير البحر الذى نريده ولم نعلم بذلك مدة وطاب لنا الريح عشرة ايام فلاحت لنا مدينة على بعد فقلنا للريس ما اسم هذه المدينة التى اشرفنا عليها فقال والله لا اعلم ولا رأيتها قط ولا سلكت عمرى هذا البحر ولكن جاء الامر لسلامة فابقى الا ان تدخلوا هذه المدينة وتخرجوا بضائعكم فان حصل لكم بيع بيعوا وتصرفوا فيها وان لم يحصل لكم بيع نرتاح يومين وتتزودون ونسافر فدخلنا المدينة وطلع الريس اليها وغاب ساعة ثم جاءنا وقال قوموا اطلعوا الى المدينة وتعجبوا من صنع الله فى خلقه واستعيذوا من سخطه فطلعنا المدينة فوجدنا كل من فيها مسوخا حجارة سودا فاندهشنا من ذلك ومشينا فى الاسواق فوجدنا البضائع باقية والذهب والفضة باقين على حالهما ففرحنا وقلنا لعل هذا يكون له امر عجيب وتفرقنا فى شوارع المدينة وكل واحد اشتغل عن رفيقه بما فيها من المال والقماش واما انا فطلعت الى القلعة فوجدتها محكمة فدخلت قصر الملك فوجدت جميع الاوانى من

الذهب

من الذهب والفضة ثم رأيت الملك جالسا وعنده حجابه ونوابه ووزراؤه وعليه من الملابس شئ يتحير فيه الفكر فلما قربت من الملك وجدته جالسا على كرسى مرصع بالدر والجوهر فيه كل درة تضئ كالنجمة وعليه حلة مزركشة بالذهب وواقفا حوله خمسون مملوكا لابسين انواع الحرير وفى ايديهم السيوف مجردة فلما نظرت لذلك دهش عقلى ثم مشيت ودخلت قاعة الحريم فوجدت فى حيطانها ستائر من الحرير ووجدت الملكة عليها حلة مزركشة باللؤلؤ الرطب وعلى رأسها تاج مكلل بانواع الجواهر وفى عنقها قلائد وعقود وجميع ما عليها من الملبوس والمصاغ باق على حاله وهى ممسوخة حجرا اسود ووجدت بابا مفتوحا فدخلته ووجدت فيه سلما بسبع درج فصعدته فرأيت مكانا مرخما مفروشا بالبسط المذهبة ووجدت فيه سريرا من المرمر مرصعا بالدر والجوهر ونظرت نورا لامعا فى جهة فقصدتها فوجدت فيها جوهرة مضيئة قدر بيضة النعامة على كرسى صغير وهو يضئ كالشمعة ونورهما ساطع ومفروش على ذلك السرير من انواع الحرير ما يحير الناظر فلما نظرت الى ذلك تعجبت ورأيت فى ذلك المكان شموعا موقدة فقلت فى نفسى لابد ان احدا اوقد هذه الشموع ثم انى مشيت حتى دخلت موضعا غيره وصرت افتش فى الاماكن ونسيت نفسى مما ادهشنى من التعجب من تلك الاحوال واستغرق فكرى الى ان دخل الليل فاردت الخروج فلم اعرف الباب وتهت عنه فعدت الى الجهة التى فيها الشموع الموقدة وجلست على السرير وتغطيت بلحاف بعد ان قرأت شيأ من القرآن واردت النوم فلم استطع ولحقنى القلق فلما انتصف الليل سمعت تلاوة القرآن بصوت حسن رقيق فالتفت الى مخدع فرأيت بابه مفتوحا فدخلت الباب ونظرت المكان فاذا هو معبد وفيه قناديل معلقة موقدة وفيه سجادة مفروشة جالس عليها شاب حسن المنظر فتعجبت كيف هو سالم دون اهل المدينة فدخلت وسلمت عليه فرفع بصره ورد على السلام فقلت له اسألك بحق ما تتلوه من كتاب الله ان تجيبنى عن سؤالى فتبسم وقال اخبرنى انت عن سبب دخولك هذا المكان وانا اخبرك بجواب ما تسألنى عنه فاخبرته باخبرى فتعجب من ذلك ثم انى سألته عن خبر هذه المدينة فقال امهلنى ثم طبق المصحف وادخله فى كيس من الاطلس واجلسنى بجنبه فنظرت اليه فاذا هو كالبدر حسن الاوصاف لين الاعطاف بهى المنظر رشيق القد اسيل الخد زهى الوجنات كأنه المقصود من هذه الابيات

رصد المنجم ليله فبداله * قمر المليح يميس فى برديه
وامده رحل سواد ذوائب * والملك هادى الخال فى خديه
وغدت من المريخ حمرة خده * والقوس يرمى النبل من جفنيه
وعطارد اعطاه فرط ذكائه * وابى السها نظر الوشاة اليه
فغدا المنجم حائرا مما رأى * والبدر باس الارض بين يديه

فنظرت له نظرة اعقبتنى الف حسرة واوقدت بقلبى كل جمرة فقلت له يا مولاى اخبرنى عما سألتك فقال سمعا وطاعة اعلمى ان هذه المدينة مدينة والدى وجميع اهله وقومه وهو الملك الذى رأيته على الكرسى ممسوخا حجرا واما الملكة التى رأيتيها فهى امى وقد كانوا مجوسا يعبدون النار دون الملك الجبار وكانوا يقسمون بالنار والنور والظل والحرور والفلك الذى يدور وكان ابى ليس له ولد فرزق بى فى اخر عمره فربانى حتى نشأت وقد سبقت لى السعادة وكان عندنا مجوز مطاعة فى السن مسلمة تؤمن بالله ورسوله فى الباطن وتوافق اهلى فى الظاهر وكان ابى يعتقد فيها بما يرى عليها من الامانة والعفة وكان يكرمها ويريد

فى اكرامها وكان يعتقد انها على دينه فلما كبرت سلمنى ابى اليها وقال خذيه وربيه وعلميه احوال دينا واحسنى تربيته وقومى بخدمته فاخذتنى العجوز وعلمتنى دين الاسلام من الطهارة وفرائض الوضوء والصلاة وحفظتنى القرأن فلما اتممت ذلك قالت لى يا ولدى اكتم هذا الامر عن ابيك ولا تعلمه به لئلا يقتلك فكتمته عنه ولم ازل على هذا الحال مدة ايام قلائل وقد ماتت العجوز وزادت اهل المدينة فى كفرهم وعتوهم وضلالهم فبينما هم على ما هم فيه اذ سمعوا منادیا ينادى باعلى صوت مثل الرعد القاصف سمعه القريب والبعيد يقول يا اهل هذه المدينة ارجعوا عن عبادة النار واعبدوا الملك الجبار فحصل عند اهل المدينة فزع واجتمعوا عند ابى وهو ملك المدينة وقالوا له ما هذا الصوت المزعج الذى سمعناه فاندهشنا من شدة هوله فقال لهم لا يهولنكم الصوت ولا يفزعكم ولا يردكم عن دينكم فمالت قلوبهم الى قول ابى ولم يزالوا مكبين على عبادة النار واستمروا على طغيانهم مدة سنة حتى جاء ميعاد ما سمعوا الصوت الاول فظهر لهم ثانيا فسمعوه ثلاث مرات على ثلاث سنين فى كل سنة مرة فلم يزالوا عاكفين على ما هم عليه حتى نزل عليهم المقت والسخط من السماء بعد طلوع الفجر فمسخوا حجارة سودا وكذلك دوابهم وانعامهم ولم يسلم من اهل هذه المدينة غيرى ومن يومئذ جرت هذه الحادثة وانا على هذه الحالة فى صلاة وصيام وتلاوة قرأن وقد سئمت من الوحدة وما عندى من يؤانسنى فعند ذلك قلت له يا ايها الشاب هل لك ان تروح معى الى مدينة بغداد وتنظر الى العلماء والى الفقهاء فتزداد علما وفقها واكون انا جارتك مع انى سيدة قومى وحاكمة على رجال وخدم وغلمان وعندى مركب مشحونة بالمتجر وقد رمتنا المقادير على هذه المدينة حتى كان ذلك سببا فى اطلاعنا على هذه الامور وكان النصيب فى اجتماعنا ولم ازل ارغبه فى التوجه حتى اجابنى اليه وادركنى شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة عشر

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الصبية مازالت تحسن للشاب التوجه معها حتى غلب عليها النوم فنامت تلك الليلة تحت رجليه وهى لا تصدق بما هى فيه من الفرح ثم قالت فلما اصبح الصباح قمنا ودخلنا الى الخزائن واخذنا ما خف حمله وغلا ثمنه ونزلنا من القلعة الى المدينة فقابلنا العبيد والرئيس وهم يفتشون على فلما رأونى فرحوا بى وسألونى عن سبب غيابى فاخبرتهم بما رأيت وحكيت لهم قصة الشاب وسبب مسخ اهل هذه المدينة وما جرى لهم فتعجبوا من ذلك فلما رأتنى اختاى ومعى ذلك الشاب حسدتانى عليه وصارتا فى غيظ واضمرتا المكر لى ثم نزلنا المركب وانا بغاية الفرح واكثر فرحى بصحبة هذا الشاب واقمنا ننتظر الريح حتى طاب لنا الريح فنشرنا القلوع وسافرنا فقعدا اختاى عندنا وصارتا يتحدثان فقالتا لى يا اختنا ما تصنعين بهذا الشاب الحسن فقلت لهما قصدى ان اتخذه بعلا ثم التفت اليه واقبلت عليه وقلت يا سيدى قصدى ان اقول لك شيأ فلا تخالفنى فيه فقال سمعا وطاعة ثم التفت الى اختاى وقلت لهما يكفينى هذا الشاب وجميع هذه الاموال لكما فقالتا نعم ما فعلت ولكنهما اضمرتا لى الشر ولم نزل سائرين مع اعتدال الريح حتى خرجنا من بحر الخوف ودخلنا بحر الامان وسافرنا اياما قلائل الى ان قربنا من مدينة البصرة ولاحت لنا ابنيتها فادركنا المساء فلما اخذنا النوم قامت اختاى وحملتانى انا والغلام بفرشنا ورمتانا فى البحر فاما الشاب فانه كان لا يحسن العوم فغرق وكتبه الله من الشهداء واما انا فكتبت من السالمين فلما سقطت فى البحر رزقنى الله بقطعة خشب فركبتها وضربتنى الامواج الى ان رمتنى على ساحل

جزيرة فلم ازل امشى فى الجزيرة باقى ليلتى فلما اصبح الصباح رأيت طريقا فيه اثر مشى على قدر قدم ابن آدم وتلك الطريق متصلة من الجزيرة الى البر وقد طلعت الشمس فنشفت ثيابى فيها وسرت فى الطريق ولم ازل سائرة الى ان قربت من البر الذى فيه المدينة واذا انا بحية تقصدنى وخلفها ثعبان يريد هلاكها وقد تدلى لسانها من شدة التعب فاخذتنى الشفقة عليها فعمدت الى حجر والقيته على رأس الثعبان فمات من وقته فنشرت الحية جناحين وطارت فى الجو فتعجبت من ذلك وقد تعبت فمت فى موضعى ساعة فلما افقت وجدت تحت رجلى جارية وهى تكبس رجلى فجلست واستحييت منها وقلت لها من انت وما شأنك فقالت ما اسرع ما نسيتينى انت التى فعلت معى الجميل وقتلت عدوى فانا الحية التى خلصتينى من الثعبان فانى جنية وهذا الثعبان جنى وهو عدوى وما نجانى منه الا انت فلما نجيتينى منه طرت فى الريح وذهبت الى المركب التى رمالة منها اختالة ونقلت جميع ما فيها الى بيتك واغرقتها واما اختالة فانى سحرتهما كلبتين من الكلاب السود فانى عرفت جميع ما جرى لك معهما واما الشاب فانه غرق ثم حملتنى انا والكلبتين والقطا فوق سطح دارى فرأيت جميع ما كان فى المركب من الاموال فى وسط بيتى ولم يضع منه شئ ثم ان الحية قالت لى وحق النقش الذى على خاتم سليمان اذا لم تضربى كل واحدة منهما فى كل يوم ثلاثمائة سوط لجئت وجعلتك مثلهما فقلت سمعا وطاعة فلم ازل يا امير المؤمنين اضربهما ذلك الضرب واشفق عليهما فتعجب الخليفة من ذلك ثم قال للصبية الثانية وانت ما سبب الضرب الذى على جسدك فقالت يا امير المؤمنين انى كان لى والدان وخلف مالا كثيرا فاقمت بعدهما مدة يسيرة وتزوجت برجل اسعد اهل زمانه فاقمت معه سنة كاملة ومات فورثت منه ثمانين الف دينار بمقتضى ما خصنى بالفريضة الشرعية فعملت عشر بدلات كل بدلة بالف دينار فبينما انا جالسة فى يوم من الايام اذ دخلت على عجوز بوجه مسعوط وحاجب ممعوط وعيونها مغبرة واسنانها مكسرة ومخاطها سائل وعنقها مائل كما قال فيها الشاعر

عجوز الخس ابليس براها * تعلمه الخديعة من سكوت
تقود من السياسة الف بغل * اذا نفروا بخيط العنكبوت

وكما قال الاخر

وعجوز لها الكهانة طبع * حللت فى الحرام ما لا يحوز
بعبصت طفلة وليطت فتاة * وزنت كهلة وقادت عجوز

فلما دخلت العجوز سلمت على وقالت ان عندى بنتا يتيمة والليلة عملت عرسها وانا قصدى لك الاجر والثواب فاحضرى عرسها فانها مكسورة الخاطر ليس لها الا الله تعالى ثم بكت وقبلت رجلى فاخذتنى الرحمة والرأفة فقلت سمعا وطاعة فقالت جهزى نفسك فانى وقت العشا اجيء واخذك ثم قبلت يدى وذهبت فقمت وهيئت نفسى وجهزت حالى واذا بالعجوز قد اقبلت وقالت يا سيدتى ان سيدات البلد قد حضرن واخبرتهن بحضورك ففرحن وهن فى انتظارك فقمت تهيئت واخذت جوارى معى وسرت حتى اتينا الى زقاق هب فيه النسيم وراق فرأينا بوابة مقنطرة بقبة من الرخام مشيدة البنيان وفى داخلها قصر قد قام من التراب وتعلق بالسحاب فلما وصلنا الى الباب طرقته العجوز ففتح لنا ودخلنا فوجدنا دهليزا مفروشا بالبسط معلقا فيه قناديل موقده وشموع مضيئة وفيه الجواهر والمعادن معلقة فمشينا فى الدهليز الى ان دخلنا قاعة لا يوجد لها نظير مفروشة بالفراش الحرير معلقا فيها القناديل المرقدة

والشموع المضيئة وفى صدر القاعة سرير من المرمر مرصع بالدر والجوهر وعليه ناموسية من الاطلس واذا بصبية خرجت من الناموسية مثل القمر فقالت لى مرحبا واهلا وسهلا يا اختى آنستنى وجبرت خاطرى وانشدت تقول

لو تعلم الدار من قد زارها فرحت * واستبشرت ثم باست موضع القدم
واعلنت بلسان الحال قائلة * اهلا وسهلا باهل الجود والكرم

ثم جلست وقالت لى يا اختى ان لى اخا وقد رأته فى بعض الافراح وهو شاب احسن منى وقد احبك قلبه حبا شديدا واعطى هذه العجوز دراهم حتى اتتك وعملت هذه الحيلة لاجل اجتماعى بك ويريد اخى ان يتزوجك بسنة الله ورسوله وما فى الحلال من عيب فلما سمعت كلامها ورأيت نفسى قد انحزت فى الدار قلت للصبية سمعا وطاعة ففرحت وصفقت بيديها وفتحت بابا فخرج منه شاب مثل القمر كما قال الشاعر

قد زاد حسنا تبارك الله * جل الذى صاغه وسواه
قد حاز كل الجمال منفردا * كل الورى فى جماله تاهوا
قد كتب الحسن فوق وجنته * اشهدان لا مليح الا هو

فلما نظرت اليه مال قلبى له ثم جاء وجلس واذا بالقاضى قد دخل ومعه اربعة شهود فسلموا وجلسوا ثم انهم كتبوا كتابى على ذلك الشاب وانصرفوا فالتفت الشاب الى وقال ليلتنا مباركة ثم قال ياسيدتى انى اشرط عليك شرطا فقلت ياسيدى وما الشرط فقام واحضر لى مصحفا وقال احلفى لى انك لا تختارى احدا غيرى ولا تميلى اليه فحلفت له على ذلك ففرح فرحا شديدا وعانقنى فاخذت محبته بمجامع قلبى وقد موا لنا السماط فاكلنا وشربنا حتى اكتفينا ودخل علينا الليل فاخذنى ونام معى على الفراش وبتنا فى عناق الى الصباح ولم نزل على هذه الحالة مدة شهر ونحن فى هناء وسرور وبعد الشهر استأذنته فى انى اسير الى السوق واشترى بعض قماش فاذن لى فى الرواح فلبست ثيابى واخذت العجوز معى ونزلت فى السوق فجلست على دكان شاب تاجر تعرفه العجوز وقالت لى هذا ولد صغير مات ابوه وخلف له مالا كثيرا ثم قالت له هات اعز ما عندك من القماش لهذه الصبية فقال سمعا وطاعة فصارت العجوز تثنى عليه فقلت ما لنا حاجة بثنائك عليه لان مرادنا ان نأخذ حاجتنا منه ونعود الى منزلنا فاخرج لنا ما طلبناه واعطيناه الدراهم فابى ان يأخذ شيأ وقال هذه ضيافتكم اليوم عندى فقلت للعجوز ان لم يأخذ الدراهم اعطيه فتاشه فقال والله لا آخذ منك شيأ والجميع هدية من عندى فى قبلة واحدة فانها عندى احسن من جميع ما فى دكانى فقالت العجوز ما الذى يفيدك من القبلة ثم قالت يا بنتى قد سمعت ما قال هذا الشاب وما يصيبك شئ اذا اخذ منك قبلة وتأخذين ما تطلبينه فقلت لها اما تعرفين انى حالفة فقالت خليه يقبلك وانت ساكتة ولا عليك شئ وتأخذين هذه الدراهم ولا زالت تحسن لى الامر حتى ادخلت رأسى فى الجراب ورضيت بذلك ثم انى غطيت عينى وداريت بطرف ازارى من الناس وحطفه تحت ازارى على خدى فلما قبلنى عضنى عضة قوية حتى قطع اللحم من خدى فغشى على ثم اخذتنى العجوز فى حضنها فلما افقت وجدت الدكان مقفولة والعجوز تظهر لى الحزن وتقول ما دفع الله كان اعظم ثم قالت لى قومى بنا الى البيت واعملى نفسك ضعيفة وانا اجيء اليك بدواء تداوين به هذه العضة فتبرئ سريعا فبعد ساعة قمت من مكانى وانا فى غاية الفكر واشتد بى الخوف ومشيت حتى وصلت الى البيت واظهرت حالة المرض واذا بزوجى

داخل

داخل وقال ما الذى اصابك ياسيدى فى هذا الخروج فقلت له ما انا طيبة فنظر الى وقال لى ما هذا الجرح الذى بخدك وهو فى المكان الناعم فقلت انى لما استأذنتك وخرجت فى هذا النهار لاشترى القماش زاحمنى جمل حامل حطبا فشرمط نقابى وجرح خدى كما ترى فان الطريق ضيق فى هذه المدينة فقال غدا اروح للحاكم واشكوله فيشنق كل حطاب فى المدينة فقلت بالله عليك لا تحمل خطيئة احد فانى ركبت حمارا فنغرنى فوقعت على الارض فصادفنى عود فخدش خدى وجرحنى فقال غدا اطلع لجعفر البرمكى واحكى له الحكاية فيقتل كل حمار فى هذه المدينة فقلت هل انت تقتل الناس كلهم بسببى وهذا الذى جرى لى بقضاء الله وقدره فقال لابد من ذلك وشدد على ونهض قائما وصاح صيحة عظيمة فانفتح الباب وطلع منه سبعة عبيد سود فصعبونى من فرشى ورمونى فى وسط الدار ثم امر عبدا منهم ان يمسكنى من اكتافى ويجلس على رأسى وامر الثانى ان يجلس على ركبتى ويمسك رجلى وجاء الثالث وفى يده سيف فقال ياسيدى أاضربها بالسيف فاقسمها انصفين وكل واحد يأخذ قطعة يرميها فى بحر الدجلة فيأكلها السمك وهذا جزاء من يخون الايمان والمودة وانشد هذا الشعر

ان كان لى فيمن احب مشاركا * منعت الهوى روحى ليتلفنى وجدى

وقلت لها يا نفس موتى كريمة * فلا خير فى حب يكون مع الضد

ثم قال للعبد اضربها ياسعد فجرد السيف وقال اذكرى الشهادة وتذكرى ما كان لك من الحوايج واوصى فان هذا آخر حياتك فقلت له ياعبد الخير تمهل على قليلا حتى اتشهد واوصى ثم رفعت رأسى ونظرت الى حالى وكيف صرت فى الذل بعد العز فبقرت عبرتى وبكيت وانشدت هذه الابيات

اقمتم فراقى فى الهوى وقعدتم * واسهرتم جفنى القريح ونمتم

ومنزلكم بين الفؤاد وناظرى * فلا القلب يسلاكم ولا الدمع يكتم

وعاهدتمونى ان تقيموا على الوفا * فلما تملكتم فؤادى غدرتم

ولم ترحموا وجدى بكم وتلهفى * أأنتم صدوف الحادثات امنتم

سألتكم بالله ان مت فاكتبوا * على لوح قبرى ان هذا متيم

لعل شجيا عارف لوعة الهوى * يمر على قبر المحب فيرحم

فلما فرغت من شعرى بكيت فلما سمع الشعر ونظر الى بكاى ازداد غيظا على غيظه وانشد هذين البيتين

تركت حبيب القلب لا عن ملالة * ولكن جنى ذنبا يؤدى الى الترك

اراد شريكا فى المحبة بيننا * وايمان قلبى لا يميل الى الشرك

فلما فرغ من شعره بكيت واستعطفته وقلت فى نفسى اتواضع له والين له الكلام لعله يعفو عنى من القتل ولو كان يأخذ جميع ما املك ثم شكوت اليه ما اجده وانشدته هذه الابيات

وحقك لو انصفتنى ما قتلتنى * ولكن حكم البين ما فيه منصف

وحملتنى ثقل الغرام وانى * لاعجز عن حمل القميص واضعف

وما عجب اتلاف روحى وانما * عجبت لجسمى بعدكم كيف يصرف

فلما فرغت من شعرى بكيت فنظر الى ونهرنى وشتمنى وانشد هذه الابيات

تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا * واظهرتم الهجران ما هكذا كنا

سنتركم لما تركتم مرامنا * ونصبر عنكم مثل صبركم عنا

ونهوى سواكم مذ جحمتم لغيرنا ❊ ونجعل قطع الوصل منكم ولامنا

فلما فرغ من شعره صرخ على العبد وقال له اشطرها نصفين فليس لنا فيها فائدة فلما تقدم العبد الى ايقنت بالموت ويئست من الحياة وسلمت امرى لله تعالى واذا بالعجوز دخلت ورمت نفسها على اقدام الشاب وقبلتهما وقالت يا ولدى بحق تربيتى لك تعفو عن هذه الصبية فانها ما فعلت ذنبا يوجب ذلك وانت شاب صغير فاخاف عليك من دعائها ثم بكت العجوز ولم تزل تلح عليه حتى قال قد عفوت عنها ولكن لابد ان اعمل فيها اثرا يظهر عليها بقية عمرها ثم امر العبيد فجذبونى من ثيابى واحضر قضيبا من سفرجل ونزل به على جسدى بالضرب ولم يزل يضربنى ذلك الشاب على ظهرى وجنبى حتى غبت عن الدنيا من شدة الضرب وقد يئست من حياتى ثم امر العبيد انه اذا دخل الليل يحملونى ويأخذون العجوز معهم ويرمونى فى بيتى الذى كنت فيه سابقا ففعلوا ما امرهم به سيدهم ورمونى فى بيتى فتعهدت نفسى وداويت جسمى فلما شفيت بقيت اضلاعى كانها مضروبة بالمقارع كما ترى فاستمريت فى مداواة نفسى اربعة اشهر حتى شفيت ثم جئت الى الدار التى جرى لى فيها ذلك الامر فوجدتها خربة ووجدت الرفاق مهدودة من اولها الى اخره ووجدت فى موضع الدار كيمانا ولم اعلم سبب ذلك فجئت الى اختى هذه التى من ابى فوجدت عندها هاتين الكلبتين فسلمت عليها واخبرتها بخبرى وبجميع ما جرى لى فقالت لى من ذا الذى من نكبات الزمان سليم الحمد لله الذى جعل الامر لسلامة ثم اخبرتنى بخبرها وبجميع ما جرى لها مع اختيها وقعدت انا وهى لانذكر خبر الزواج على السفتنا ثم صاحبتنا هذه الصبية الدلالة وفى كل يوم تخرج فتشترى لنا ما نحتاج اليه من المصالح واستمرينا على هذه الحالة الى هذه الليلة التى مضت فخرجت اختنا تشترى لنا ما نحتاج اليه من المصالح على جرى عادتها فوقع لنا ما وقع من مجئ الجمال والصعاليك ومن مجيئكم فى صفة تجار فلما صرنا فى هذا اليوم لم نشعر الا ونحن بين يديك وهذه حكايتنا فتعجب الخليفة من هذه الحكاية وجعلها تاريخا مثبتا فى خزانته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشر

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخليفة امر ان تكتب هذه القصة فى الدواوين ويجعلوها فى خزانة الملك ثم انه قال للصبية الاولى هل عندكم خبر بالعفريتة التى سحرت اختيك قالت يا امير المؤمنين انها اعطتنى شيأ من شعرها وقالت متى اردت حضورى فاحرقى من هذا الشعر شيأ فاحضر اليك عاجلا ولو كنت خلف جبل قاف فقال الخليفة احضرى لى الشعر فاحضرته الصبية فاخذه الخليفة واحرق منه شيأ فلما فاحت رايحته اهتز القصر وسمعوا دويا وصلصلة واذا بالجنية حضرت وكانت مسلمة فقالت السلام عليك يا خليفة الله فقال وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقالت اعلم ان هذه الصبية زرعت معى جميلا ولا اقدر ان اكافئها عليه فهى انقذتنى من الموت وقتلت عدوى ورأيت ما فعله معها اختاها فما رأيت الا انى انتقم منهما فسحرتهما كلبتين بعد ان اردت قتلهما فخشيت ان يصعبا عليها وان اردت خلاصهما يا امير المؤمنين اخلصهما اكراما لك ولها فانى من المسلمين فقال لها خلصيهما وبعد ذلك نشرع فى امر الصبية المضروبة ونفحص عن حالها فاذا ظهر لى صدقها اخذت تارها ممن ظلمها فقالت العفريتة يا امير المؤمنين انا ادلك على من فعل بهذه الصبية هذا الفعل وظلمها واخذ مالها وهو اقرب الناس اليك ثم ان العفريتة اخذت طاسة من الماء وعزمت عليها ورشت وجه الكلبتين

وقالت لهما عودا الى صورتكما الاولى البشرية فعادتا صبيتين سبحان خالقهما ثم قالت يا امير المؤمنين ان الذى ضرب الصبية ولدك الامين فانه كان يسمع بحسنها وجمالها وحكت له العفريتة جميع ما جرى للصبية فتعجب وقال الحمد لله على خلاص هاتين الكلبتين على يدى ثم ان الخليفة احضر ولده الامين بين يديه وسأله عن قصة الصبية الاولى فاخبره على وجه الحق فاحضر الخليفة القضاة والشهود والصعاليك الثلاثة واحضر الصبية الاولى واختيها اللتان كانتا مسحورتين فى صورة كلبتين وزوج الثلاثة للثلاثة الصعاليك الذين اخبروهم انهم كانوا ملوكا وعملهم حجابا عنده واعطاهم ما يحتاجون اليه وانزلهم فى قصر بغداد ورد الصبية المضروبة لولده الامين واعطاها مالا كثيرا وامر ان تبنى الدار احسن ما كانت ثم ان الخليفة تزوج بالدلالة ورقد فى تلك الليلة معها فلما اصبح افرد لها بيتا وجوارى يخدمنها ورتب لها راتبا وشيد لها قصرا ثم قال لجعفر ليلة من الليالى انى اريد ان ننزل فى هذه الليلة الى المدينة ونسأل عن احوال الحكام المتولين وكل من شكا منه احد عزلناه فقال جعفر سمعا وطاعة فلما نزل الخليفة وجعفر ومسرور وساروا فى المدينة ومشوا فى الاسواق مروا برقاق فرأوا شيخا كبيرا على رأسه شبكة وقفة وفى يده عصى وهو ماش على مهله وينشد هذه الابيات

يقولون لى انت بين الورى * بعلمك كالليلة المقمره
فقلت دعونى من قولكم * فلا علم الا مع المقدره
فلو رهنونى وعلمى معى * وكل الدفاتر والمحبره
على فوت يوم لما ادركوا * قبول الرهان الى الاخره
فاما الفقير وحال الفقير * وعيش الفقير فما اكدره
وفى الصيف يعجز عن قوته * وفى البرد يدفى على الجمره
تليه الكلاب اذا ما مشى * واى لئيم ولن ينهره
اذا ما شكا حاله لامرئ * وبين عذرا فلن يعذره
اذا كان هذا حياة الفقير * فاصلح ما كان فى المقبره

فلما سمع الخليفة انشاده قال لجعفر انظر هذا الرجل الفقير وانظر هذا الشعر فانه يدل على احتياجه ثم ان الخليفة تقدم اليه وقال له يا شيخ ما حرفتك قال يا سيدى صياد وعندى عائلة وخرجت من بيتى من نصف النهار الى هذا الوقت ولم يقسم الله لى شيأ اقوت به عيالى وقد كرهت نفسى وتمنيت الموت فقال له الخليفة هل لك ان ترجع معنا الى البحر وتقف على شاطئ الدجلة وترمى شبكتك على بختى وكل ما طلع اشتريه منك بمائة دينار ففرح الرجل لما سمع هذا الكلام وقال على رأسى ارجع معكم ثم ان الصياد رجع الى البحر ورمى شبكته وصبر عليها ثم انه جذب الخيط وجر الشبكة اليه فطلع فى الشبكة صندوق مقفول ثقيل الوزن فلما نظره الخليفة جسه فوجده ثقيلا فاعطى الصياد مائة دينار وانصرف وحمل الصندوق مسرور هو وجعفر وطلعا به مع الخليفة الى القصر واوقدوا الشموع والصندوق بين يدى الخليفة فتقدم جعفر ومسرور وكسروا الصندوق فوجدوا فيه قفة خوص مخيطة بصوف احمر فقطعوا الخياطة فرأوا فيها قطعة بساط فرفعوها فوجدوا تحتها ازارا فرفعوا الازار فوجدوا تحته صبية كانها سبيكة فضة مقتولة ومقطعة فلما نظرها الخليفة جرت دموعه على خده والتفت الى جعفر وقال يا كلب الوزرا اتقتل القتلا فى زمنى ويرمون فى البحر ويصيرون متعلقين بذمتى والله لابد ان اقتص لهذه الصبية ممن

قتلها واقتله وقال لجعفر وحق اتصال نسبي بالخلفاء من بني العباس ان لم تأتني بالذي قتل هذه لاتصفها منه لاصلبنك على باب قصري انت واربعين من بني عمك واغتاظ الخليفة فقال جعفر امهلني ثلاثة ايام قال امهلتك ثم خرج جعفر من بين يديه ومشى في المدينة وهو حزين وقال في نفسه من اين اعرف من قتل هذه الصبية حتى احضره للخليفة وان احضرت له غيره يصير معلقا بذمتي ولا ادري ما اصنع ثم ان جعفر جلس في بيته ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع ارسل اليه الخليفة يطلبه فلما تمثل بين يديه قال له اين قاتل الصبية قال جعفر يا امير المؤمنين هل انا اعلم الغيب حتى اعرف قاتلها فاغتاظ الخليفة وامر بصلبه على باب قصره وامر منادياً ان ينادي في شوارع بغداد من اراد الفرجة على صلب جعفر البرمكي وزير الخليفة وصلب اولاد عمه على باب قصر الخليفة فليخرج ليتفرج فخرجت الناس من جميع الحارات ليتفرجوا على صلب جعفر وصلب اولاد عمه ولم يعلموا سبب ذلك ثم امر بنصب الخشب فنصبوه واوقفوهم تحته لاجل الصلب وصاروا ينتظرون الاذن من الخليفة وصار الخلق يتباكون على جعفر وعلى اولاد عمه فبينما هم كذلك واذا بشاب حسن نقي الاثواب يمشي بين الناس مسرعا الى ان وقف بين يدي الوزير وقال له سلامتك من هذه الوقفة يا سيد الامراء وكيف الفقراء انا الذي قتلت القتيلة التي وجدتموها في الصندوق فاقتلني فيها واقتص لها مني فلما سمع جعفر كلام الشاب وما ابداه من الخطاب فرح بخلاص نفسه وحزن على الشاب فبينما هم في الكلام واذا بشيخ كبير يفسح الناس ويمشي بينهم بسرعة الى ان وصل الى جعفر والشاب فسلم عليهما ثم قال ايها الوزير لا تصدق كلام هذا الشاب فانه ما قتل هذه الصبية الا انا فاقتص لها مني فقال الشاب ايها الوزير ان هذا شيخ كبير خرفان لا يدري ما يقول وانا الذي قتلتها فاقتص لها مني فقال الشيخ يا ولدي انت صغير تشتهي الدنيا وانا كبير شبعت من الدنيا وانا افديك وافدي الوزير وبني عمه وما قتل الصبية الا انا فبالله عليك ان تعجل بالاقتصاص مني فلما نظر الى ذلك الامر تعجب منه واخذ الشاب والشيخ وطلع بهما عند الخليفة وقال يا امير المؤمنين قد حضر قاتل الصبية فقال الخليفة اين هو فقال ان هذا الشاب يقول انا القاتل وهذا الشيخ يكذبه ويقول لا بل انا القاتل فنظر الخليفة الى الشيخ والشاب وقال من منكما قتل هذه الصبية فقال الشاب ما قتلها الا انا وقال الشيخ ما قتلها الا انا فقال الخليفة لجعفر خذ الاثنين واصلبهما فقال جعفر اذا كان القاتل واحد افقتل الثاني ظلم فقال الشاب وحق من رفع السماء وبسط الارض اني انا الذي قتلت الصبية وهذي امارة قتلها ووصف ما وجده الخليفة فتحقق عند الخليفة ان الشاب هو الذي قتل الصبية فتعجب الخليفة وقال ما سبب قتلك هذه الصبية بغير حق وما سبب اقرارك بالقتل من غير ضرب وقولك اقتصوا لها مني فقال الشاب اعلم يا امير المؤمنين ان هذه الصبية زوجتي وبنت عمي وهذا الشيخ ابوها وهو عمي وتزوجت بها وهي بكر فرزقني الله منها ثلاثة اولاد ذكور وكانت تحبني وتخدمني ولم ار عليها شيئا فلما كان اول هذا الشهر مرضت مرضا شديدا فاحضرت لها الاطباء حتى حصلت لها العافية فاردت ان ادخلها الحمام فقالت اني اريد شيأ قبل دخول الحمام لاني اشتهيته فقلت لها وما هو فقالت اني اشتهي تفاحة اشمها واعض منها عضة فقطعت من ساعتي الى المدينة وفتشت على التفاح ولو كانت الواحدة بدينار فلم اجده فبت تلك الليلة واما متفكر فلما اصبح الصباح خرجت من بيتي ودرت على البساتين واحدا واحدا فلم اجده فيها فصادفني خولي كبير فسألته عن التفاح فقال يا ولدي هذا شيء قل ان يوجد لانه معدوم ولا يوجد الا في بستان امير المؤمنين الذي في البصرة وهو عند الخولي يدخره للخليفة فجئت الى

زوجتي وقد حملتني محبتي اياها على ان هيئت نفسي وسافرت خمسة عشر يوما ليلا ونهارا في الذهاب والاياب وجئت لها بثلاث تفاحات اشتريتها من خولي البصره بثلاثة دنانير ثم اني دخلت وناولتها اياها فلم تفرح بها بل تركتها في جانبها وكان مرض الحمى قد اشتد بها ولم تزل في ضعفها الى ان مضى لها عشرة ايام وبعد ذلك عوفيت فخرجت من البيت وذهبت الى دكاني وجلست في بيعي وشرائي فبينما انا جالس في وسط النهار واذا بعبد اسود مر علي وفي يده تفاحة يلعب بها فقلت له من اين اخذت هذه التفاحة حتى آخذ مثلها فضحك وقال اخذتها من حبيبتي وانا كنت غائبا وجئت فوجدتها ضعيفة وعندها ثلاث تفاحات فقالت ان زوجي الديوث سافر من شأنها الى البصرة فاشتراها بثلاثة دنانير فاخذت منها هذه التفاحة فلما سمعت كلام العبد يا امير المؤمنين اسودت الدنيا في وجهي وقفلت دكاني وجئت الى البيت وانا فاقد العقل من شدة الغيظ فلم اجد التفاحة الثالثة فقلت لها اين الثالثة فقالت لا ادري ولا اعرف اين ذهبت فتحققت قول العبد وقت اخذت سكينا وركبت على صدرها ونحرتها بالسكين وقطعت رأسها واعضائها وحطيتها في القفة بسرعة وغطيتها بالازار وحطيت عليها شقة بساط وانزلتها في الصندوق وقفلته وحملتها على بغلتي ورميتها في الدجلة بيدي فبالله عليك يا امير المؤمنين ان تعجل بقتلي قصاصا لها فاني خائف من مطالبتها يوم القيامة فاني لما رميتها في بحر الدجلة ولم يعلم بها احد رجعت الى البيت فوجدت ولدي الكبير يبكي ولم يكن له علم بما فعلت في امه فقلت له ما يبكيك فقال اني اخذت تفاحة من التفاح الذي عند امي ونزلت بها الى الزقاق العب مع اخواني واذا بعبد اسود طويل خطفها مني وقال لي من اين جائك هذه فقلت له هذه سافر ابي وجاء بها من البصرة من اجل امي وهي ضعيفة واشترى ثلاث تفاحات بثلاثة دنانير فاخذها مني وضربني وراح بها فخفت من امي ان تضربني من شأن التفاحة فلما سمعت كلام الولد علمت ان العبد هو الذي افترى الكلام الكذب على بنت عمي وتحققت انها قتلت ظلما ثم اني بكيت بكاء شديدا واذا بهذا الشيخ وهو عمي والد ها قد اقبل فاخبرته بما كان فجلس بجانبي وبكى ولم نزل نبكي الى نصف الليل واقمنا العزا خمسة ايام ولم نزل الى هذا اليوم ونحن نتأسف على قتلها فبحرمة اجدادك ان تعجل بقتلي وتقتص لها مني فلما سمع الخليفة كلام الشاب تعجب وقال والله لا اقتل الا العبد الخبيث وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة عشر

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة اقسم انه لا يقتل الا العبد لان الشاب معذور ثم ان الخليفة التفت الى جعفر وقال له احضر لي هذا العبد الخبيث الذي كان سببا في هذه القضية وان لم تحضره فانت تقتل عوضا عنه فنزل يبكي ويقول من اين احضره ولا كل مرة تسلم الجرة وليس لي في هذا الامر حيلة والذي سلمني في الاول يسلمني في الثاني والله ما بقيت اخرج من بيتي ثلاثة ايام والحق سبحانه يفعل ما يشاء ثم اقام في بيته ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع احضر القاضي واوصى وودع اولاده وبكى واذا برسول الخليفة اتى اليه وقال له ان امير المؤمنين في اشد ما يكون من الغضب وارسلني اليك وحلف انه لا يمر هذا النهار الا وانت مقتول ان لم تحضر له العبد فلما سمع جعفر هذا الكلام بكى وبكت اولاده فلما فرغ من التوديع تقدم الى بنته الصغيرة ليودعها وكان يحبها اكثر من اولاده جميعا فضمها الى صدره وبكى على فراقها فوجد في جيبها شيأ مكببا فقال لها ما الذي في جيبك فقالت له يا ابت تفاحة جاء بها عبد نار يحان ولها

معى اربعة ايام وما اعطاها لى حتى اخذ منى دينارين فلما سمع جعفر بذلك العبد والتفاحة فرح وقال ياقريب الفرج ثم انه امر باحضار العبد فحضر فقال له من اين هذه التفاحة فقال ياسيدى من مدة خمسة ايام كنت ماشيا فدخلت فى بعض ازقة المدينة فنظرت صغارا يلعبون ومع واحد منهم هذه التفاحة فخطفتها منه وضربته فبكى وقال هذه لامى وهى مريضة واشتهت على ابى تفاحا فسافرالى البصرة وجاء لها بثلاث تفاحات بثلاثة دنانير فاخذت هذه العب بها ثم بكى فلم التفت اليه واخذتها وجئت بها هنا فاخذتها سيدتى الصغيرة بدينارين فلما سمع جعفر هذه القصة تعجب لكون الفتنة وقتل الصبية من عبده وامر بسجن العبد وفرح بخلاص نفسه ثم انشد هذين البيتين

ومن كانت رزيته بعبد * خفال النفس تجعله فداها

فانك واجد خدما كثيرا * ونفسا لم تجد نفسا سواها

ثم انه قبض على العبد وطلع به الى الخليفة فامر ان تؤرخ هذه الحكاية وتجعل سيرا بين الناس فقال له جعفر لاتعجب ياامير المؤمنين من هذه القصة فاهى باعجب من حديث الوزير نور الدين مع شمس الدين اخيه فقال الخليفة واى حكاية اعجب من هذه الحكاية فقال جعفر يا امير المؤمنين لااحدثك الا بشرط ان تعتق عبدى من القتل فقال قد وهبت لك دمه فقال جعفر اعلم يا امير المؤمنين انه كان فى مصر سلطان صاحب عدل واحسان وله وزير عاقل خبير له علم بالامور والتدبير وكان شيخا كبيرا وله ولدان كانهما قمران وكان اسم الكبير شمس الدين واسم الصغير نور الدين وكان الصغير اميز من الكبير فى الحسن والجمال وليس فى زمانه احسن منه حتى انه شاع ذكره فى البلاد فكان بعض اهلها يسافر من بلاده الى بلده لاجل رؤية جماله فاتفق ان والدهما مات فحزن عليه السلطان واقبل على الولدين وقربهما وخلع عليهما وقال لهما اتمنى فى مرتبة ابيكما ففرحا وقبلا الارض بين يديه وعملا العزا لابيهما شهرا كاملا ودخلا فى الوزارة وكل منهما يتولاها جمعة واذا اراد السلطان السفر يسافر مع واحد منهما فاتفق فى ليلة من الليالى ان السلطان كان عازما على السفر فى الصباح وكانت النوبة للكبير فبينما الاخوان يتحدثان فى تلك الليلة اذ قال الكبير يا اخى قصدى ان اتزوج انا وانت فى ليلة واحدة فقال الصغير افعل يا اخى ما تريد فانى موافقك على ما تقول واتفقا على ذلك ثم ان الكبير قال لاخيه ان قدر الله وخطبنا بنتين ودخلنا فى ليلة واحدة ووضعتا فى يوم واحد واراد الله وجاءت زوجتك بغلام وجاءت زوجتى ببنت تزوجهما البعض منهما لانهما اولاد عم فقال نور الدين يا اخى ما تاْخذ من ولدى فى مهر بنتك قال اخذ من ولدك فى مهر بنتى ثلاثة آلاف دينار وثلاثة بساتين وثلاث ضياع فان عقد الشاب عقده بغير هذا لا يصح فلما سمع نور الدين هذا الكلام قال ما هذا المهر الذى شرطته على ولدى اما تعلم اننا اخوان ونحن الاثنان وزيران فى مقام واحد وكان الواجب عليك ان تقدم ابنتك لولدى هدية من غير مهر فانك تعلم ان الذكر افضل من الانثى وولدى ذكر ونذكر به بخلاف ابنتك فقال ومالها قال لا نذكرها بين الامراء ولكن انت تريد ان تفعل معى على رأى الذى قال ان اردت ان تطرده فاجعل الثمن غاليا وقيل ان بعض الناس قدم على اصحابه فقصده فى حاجة فغلى عليه الثمن فقال له شمس الدين ان الذى قصدت لانك تعمل ابنك افضل من بنتى ولا شك انك ناقص عقل وليس لك اخلاق حيث تذكر شركة الوزارة وانا ما ادخلتك معى فى الوزارة الا شفقة عليك ولاْجل ان تساعدنى وتكون لى معينا ولكن قل ما شئت وحيث صدر منك هذا القول والله لا ازوج بنتى لولدك ولو وزنت ثقلها ذهبا فلما سمع نور الدين كلام اخيه اغتاظ وقال وانا لا ازوج ابنى ابنتك فقال شمس الدين

انا الا ارضاه لها بعلا ولولا اني اريد السفر لكنت عملت معك العبر ولكن لما ارجع من السفر يفعل الله ما يريد فلما سمع نور الدين من اخيه ذلك الكلام امتلأ غيظا وغاب عن الدنيا وكتم ما به وبات كل واحد في ناحية فلما اصبح الصباح برز السلطان للسفر وعدى الى الجزيرة وقصد الاهرام وصحبته الوزير شمس الدين واما اخوه نور الدين فبات في تلك الليلة في اشد ما يكون من الغيظ فلما اصبح الصباح قام وصلى الصبح وعمد الى خزانته واخذ منها خرجا صغيرا وملأه ذهبا وتذكر قول اخيه واحتقاره اياه وافتخاره عليه فانشد هذه الابيات

سافر تجد عوضا عمن تفارقه * وانصب فان لذيذ العيش في النصب
ما في المقام لذي لب وذي ادب * معزة فارحل الاوطان واغترب
اني رأيت وقوف الماء يفسده * فان جرى طاب او لم يجر لم يطب
والبدر لولا افول منه ما نظرت * اليه في كل حين عين مرتقب
والاسد لولا فراق الغاب ما اقتنصت * والسهم لولا فراق القوس لم يصب
والتبر كالترب ملقى في اماكنه * والعود في ارضه نوع من الحطب
فان تغرب هذا عز مطلبه * وان اقام فلا يعلو الى رتب

فلما فرغ من شعره امر بعض غلمانه ان يشد له بغلة زرزورية عالية سريعة المشي فشدها ووضع عليها سرجا مذهبا بركابات هندية وعباآت من القطيفة الاصبهانية فصارت كانها عروس مجلية وامر ان يجعل عليها بساط حرير وسجادة وان يضع الخرج من تحت السجادة ثم قال للغلام والعبيد قصدي ان اتفرج خارج المدينة واروح نواحي القليوبية وابيت ثلاث ليال فلا يتبعني منكم احد فان عندي ضيق صدر ثم اسرع وركب البغلة واخذ معه شيأ قليلا من الزاد وخرج من مصر واستقبل البرقا جاء عليه الظهر حتى دخل مدينة بلبيس فنزل عن بغلته واستراح واراح البغلة واكل شيأ واخذ من بلبيس ما يحتاج اليه وما يعلق به على بغلته ثم استقبل البرقا جاء عليه الظهر بعد يومين حتى دخل مدينة القدس فنزل عن بغلته واستراح واراح بغلته واخرج شيأ اكله ثم حط الخرج تحت رأسه وفرش البساط ونام في مكان والغيظ غالب عليه ثم انه بات في ذلك المكان فلما اصبح الصباح ركب وسار يسوق البغلة الى ان وصل الى مدينة حلب فنزل في بعض الخانات واقام ثلاثة ايام حتى استراح واراح البغلة وشم الهواء ثم عزم على السفر وركب بغلته وخرج مسافرا ولا يدري اين يذهب فلم يزل سائرا الى ان وصل الى مدينة البصرة ليلا ولم يشعر بذلك حتى نزل في الخان ونزل الخرج عن البغلة وفرش السجادة واودع البغلة بعدتها عند البواب وامره ان يسيرها فاخذها وسيرها فاتفق ان وزير البصرة جالس في شباك قصره فنظر البغلة ونظر ما عليها من العدة الثمينة فظنها بغلة وزير من الوزراء او ملك من الملوك فتأمل في ذلك وحار عقله وقال لبعض غلمانه ائتني بهذا البواب فذهب الغلام الى البواب واتى به الى الوزير فتقدم البواب وقبل الارض بين يديه وكان الوزير شيخا كبيرا فقال للبواب من صاحب هذه البغلة وما صفاته فقال البواب يا سيدي ان صاحب هذه البغلة شاب صغير ظريف الشمائل من اولاد التجار عليه هيبة ووقار فلما سمع الوزير كلام البواب قام على قدميه وركب وسار الى الخان ودخل على الشاب فلما رأى نور الدين الوزير قام ما عليه قام على قدميه ولاقاه واحتضنه ونزل الوزير من فوق جواده وسلم عليه فرحب به واجلسه عنده وقال له يا ولدي من اين اقبلت وماذا تريد فقال نور الدين يا مولاي اني قدمت من مدينة مصر وكان ابي وزيرا فيها

وقد انتقل الى رحمة الله واخبره بما جرى له من المبتدا الى المنتهى ثم قال وقد عزمت فى نفسى انى لا اعود ابدا حتى انظر جميع المدن والبلدان فلما سمع الوزير كلامه قال له يا ولدى لا تطاوع النفس فترميك فى المهالك فان البلاد خراب وانا اخاف عليك من عواقب الزمان ثم انه امر بوضع الخرج على البغلة والبساط والسجادة واخذ نور الدين معه الى بيته وانزله فى مكان ظريف واكرمه واحسن اليه وحبه حبا شديدا وقال له يا ولدى انا بقيت رجلا كبيرا ولم يكن لى ولد ذكر وقد رزقنى الله بنتا تقاربك فى الحسن ومنعت عنها خطابا كثيرة وقد وقع حبك فى قلبى فهل لك ان تأخذ ابنتى جارية لخدمتك وتكون لها بعلا فان كنت تقبل ذلك اطلع الى سلطان البصرة واقول له انه ولدا خى واوصلك اليه حتى اجعلك وزيرا مكانى والزم انا بيتى فانى بقيت رجلا كبيرا فلما سمع نور الدين كلام وزير البصرة اطرق برأسه ثم قال سمعا وطاعة ففرح الوزير بذلك وامر غلمانه ان يصنعوا له طعاما وان يزينوا قاعة الجلوس الكبيرة المعدة لحضور اكابر الامراء ثم جمع اصحابه ودعا اكابر الدولة وتجار البصرة فحضروا بين يديه وقال لهم انه كان لى اخ وزير بالديار المصرية ورزقه الله ولدين وانا كما تعلمون رزقنى الله بنتا وكان اخى اوصانى انى ازوج بنتى لاحد اولاده فاجبته الى ذلك فلما استحقت الزواج ارسل الى احد اولاده وهو هذا الشاب الحاضر فلما جاء فى احببت ان اكتب كتابه على بنتى ويدخل بها عندى فقالوا نعم ما فعلت ثم شربوا السكر وشموا ماء الورد وانصرفوا واما الوزير فانه امر غلمانه ان يأخذوا نور الدين ويدخلوا به الحمام واعطاه الوزير بدلة من خاص ملبوسه وارسل اليه الفوط والطاسات ومجامر البخور وما يحتاج اليه فلما خرج من الحمام لبس البدلة فصار كالبدر ليلة تمامه ثم ركب بغلته ولم يزل سائرا حتى وصل الى قصر الوزير فنزل عن البغلة ودخل على الوزير فقبل يده ورحب به الوزير وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للعشرين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير قام له ورحب به وقال له قم ادخل هذه الليلة على زوجتك وفى غد اطلع بك الى السلطان وارجو لك من الله كل خير فقام نور الدين ودخل على زوجته بنت الوزير هذا ما كان من امر نور الدين واما ما كان من امر اخيه فانه غاب عند السلطان مدة فى السفر ثم رجع فلم يجد اخاه فسأل عنه الخدام فقالوا له من يوم سافرت مع السلطان ركب بغلته بعدة الموكب وقال انا متوجه الى جهة القليوبية فاغيب يوما او يومين فان صدرى ضاق ولا يتبعنى منكم احد ومن يوم خروجه الى هذا اليوم لم نسمع له خبرا فتشوش خاطر شمس الدين على فراق اخيه واغتم غما شديدا لفقده وقال فى نفسه ما سبب ذلك الا انى اغلظت عليه فى الحديث ليلة سفرى مع السلطان فلعله تغير خاطره وخرج مسافرا فلابد ان ارسل خلفه ثم طلع واعلم السلطان بذلك فكتب بطاقات وارسل بها الى نوابه فى جميع البلاد ونور الدين قطع بلادا بعيدة فى مدة غياب اخيه مع السلطان فذهبت الرسل بالمكاتيب ثم عادوا ولم يقفوا له على خبر ويئس شمس الدين من اخيه وقال لقد اغظت اخى بكلامى له من جهة زواج الاولاد فليت ذلك لم يكن وما حصل ذلك الا من قلة عقلى وعدم تدبيرى ثم بعد مدة يسيرة خطب بنت رجل من تجار مصر وكتب كتابه عليها ودخل بها وقد اتفق ان ليلة دخول شمس الدين على زوجته كانت ليلة دخول نور الدين على زوجته بنت وزير البصرة وذلك بارادة الله تعالى حتى ينفذ حكمه فى خلقه وكان الامر كما قالاه فاتفق ان الزوجتين حملتا منهما وقد وضعت زوجة شمس الدين وزير مصر بنتا لا يرى فى مصر احسن منها ووضعت زوجة نور الدين

ولداذ كرلا يرى فى زمانه احسن منه كما قال الشاعر

ومهفهف يغنى النديم بريقه * عن كأسه الملأى وعن ابريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها * فى مقلتيه ووجنتيه وريقه

وقال اخر

ان جاء الحسن كى يقاس به * ينكس الحسن رأسه خجلا
اوقيل ياحسن هل رأيت كذا * يقول اما نظير ذا فلا

فسموه حسنا وفى سابع ولادته صنعوا الولائم وعملوا السماط تصلح لاولاد الملوك ثم ان وزير البصرة اخذ معه نورا لدين وطلع به الى السلطان فلما صار قدامه قبل الارض بين يديه وكان نور الدين فصيح اللسان ثابت الجنان صاحب حسن واحسان فانشد قول الشاعر

هذا الذى عم الانام بعدله * وسطا فهد سائر الافاق
اشكر صنائعه فلسن صنائعا * لكنهن قلائد الاعناق
والثم انامله فلسن انامـلا * لكنهن مفاتح الارزاق

فاكرمهما السلطان وشكر نور الدين على ما قال وقال لوزيره من هذا الشاب فحكى له الوزير قصته من اولها الى اخرها وقال له هذا ابن اخى فقال له وكيف يكون ابن اخيك ولم نسمع به فقال يا مولانا السلطان انه كان لى اخ وزير بالديار المصرية وقدمات وخلف ولدين فالكبير جلس فى مرتبة والده وزيرا وهذا ولده الصغير جاء عندى وحلفت انى لا ازوج بنتى الا له فلما جاء زوجته بها وهو شاب وانا صرت شيخا كبيرا وقل سمعى وعجز تدبيرى والقصد من مولانا السلطان ان يجعله فى مرتبتى فانه ابن اخى وزوج ابنتى وهو اهل للوزارة لانه صاحب رأى وتدبير فنظر السلطان اليه فاعجبه واستحسن رأى الوزير بما اشار عليه من تقديمه فى رتبة الوزارة فانعم عليه بها وامر له بخلعة عظيمة وبغلة من خاص مركوبه وعين له الرواتب والجوامك فقبل نور الدين يد السلطان ونزل هو وصهره الى منزلهما وهما فى غاية الفرح وقالا ان قدم هذا المولود مبارك ثم ان نور الدين توجه ثانى يوم الى الملك وقبل الارض وانشد هذين البيتين

سعادات تجدد كل يوم * واقبال وقد رغم الحسود
فما زالت لك الايام بيضا * وايام الذى عاداك سود

فامره السلطان بالجلوس فى مرتبة الوزارة فجلس وتعاطى امور خدمته ونظر بين الناس فى امورهم وحاكمهم كما جرت به عادة الوزراء وصار السلطان ينظر اليه ويتعجب من امره وذكاء عقله وحسن تدبيره وتبصر فى احواله فحببه وقربه اليه ولما انفض الديوان نزل نور الدين الى بيته وحكى لصهره ما وقع ففرح ولم يزل الوزير يربى المولود المسمى حسنا الى ان مضت عليه ايام ولم يزل نور الدين فى الوزارة حتى انه لا يفارق السلطان فى ليل ولا فى نهار وزادله الجوامك والجرايات الى ان اتسع عليه الحال وصار له مراكب تسافر من تحت يده بالمتاجر وغيرها وعمر املاكا كثيرة ودواليب وبساتين الى ان بلغ عمر ولده حسن اربع سنين فتوفى الوزير الكبير والد زوجة نور الدين فاخرجه خرجة عظيمة وواراه فى التراب ثم اشتغل بعد ذلك بتربية ولده فلما بلغ اشده احضر له فقيها يقرئه فى بيته واوصاه بتعليمه وحسن تربيته فقرأ وعلم فوائد فى العلم بعد ان حفظ القرآن فى مدة سنوات ومازال حسن يزداد جمالا وحسنا واعتدالا كما قال الشاعر

قمر تكامل فى المحاسن وانتهى * فالشمس تشرق من شقائق خده

ملك الجمال بامره فكانما * حسن البرية كلها من عنده

وقد رباه الفقيه فى قصر ابيه ومن حين نشانه لم يخرج من قصر الوزارة الى ان اخذه والده الوزير نور الدين يوما من الايام والبسه بدلة من الفخر ملبوسه واركبه بغلة من خيار بغاله وطلع به الى السلطان ودخل به عليه فنظر الملك حسن بدر الدين ابن الوزير نور الدين فما بهر من حسنه واما اهل المملكة فانه لما مر عليهم اول مرة وهو طالع مع ابيه الى الملك قد تحيروا من فرط حسنه وجماله ورشاقة قده واعتداله وتحققوا فيه معنى قول الشاعر

رصد المنجم ليله فبدا له * قمر المليح يميس فى برديه
وتأمل الجوزاء اذ نثرت به * حب الجمان يلوح فى عطفيه
وامده زحل سواد ذوائب * والمشتري هادى الخال فى خديه
وغدت من المريخ حمرة خده * والقوس يرمى النبل من جفنيه
وعطارد اعطاه فرط ذكائه * وابى السها نظر الوشاة اليه
فغدا المنجم حائرا مما رأى * والبدر بأس الارض بين يديه

فلما رآه السلطان احبه وانعم عليه وقال لابيه يا وزير لابد انك تحضره معك فى كل يوم فقال سمعا وطاعة ثم عاد الوزير بولده الى منزله ومازال يطلع به الى السلطان فى كل يوم الى ان بلغ الولد من العمر خمسة عشر عاما ثم ضعف والده الوزير نور الدين فاحضره وقال يا ولدى اعلم ان الدنيا دار فناء والاخرة دار بقاء واريد ان اوصيك وصايا فافهم ما اقول لك واصغ قلبك اليه وصار يوصيه بحسن عشرة الناس وحسن التدبير ثم ان نور الدين تذكر اخاه واوطانه وبلاده وبكى على فرقة الاحباب وسحت دموعه وقال يا ولدى اسمع قولى فان لى اخا يسمى شمس الدين وهو عمك ولكنه وزير بمصر قد فارقته وخرجت على غير رضاه والقصد انك تأخذ درجا من الورق وتكتب ما املیه عليك فاحضر قرطاسا وصار يكتب فيه كل ما قاله ابوه فاملى عليه جميع ما جرى له من اوله الى اخره وكتب له تاريخ زواجه ودخوله على بنت الوزير وتاريخ وصوله الى البصرة واجتماعه بوزيرها وكتب وصيته موثقة ثم قال لولده احفظ هذه الوصية فان ورقتها فيها اصلك وحسبك ونسبك فان اصابك شئ من الامور فاقصد مصر واستدل على عمك وسلم عليه واعلمه انى مت غريبا مشتاقا اليه فاخذ حسن بدر الدين الرقعة وطواها ولف عليها خرقة مشمعة وخيطها بين البطانة والظهارة وصار يبكى على ابيه من اجل فراقه وهو صغير ومازال نور الدين يوصى ولده حسن بدر الدين حتى طلعت روحه فاقام الحزن فى بيته وحزن عليه السلطان وجميع الامراء ودفنوه ولم يزالوا فى حزن مدة شهرين وولده لم يركب ولم يطلع الديوان ولم يقابل السلطان واقام مكانه بعض الحجاب وولى السلطان وزيرا جديدا مكانه وامره ان يختم على اماكن نور الدين وعلى ماله وعلى عماراته وعلى املاكه فنزل الوزير الجديد واخذ الحجاب وتوجهوا الى بيت الوزير نور الدين يختمون عليه ويقبضون على ولده حسن بدر الدين ويطلعون به الى السلطان ليعمل فيه ما يقتضى رأيه وكان بين العسكر مملوك من مماليك الوزير نور الدين المتوفى فلم يعين عليه ولد سيده فذهب ذلك المملوك الى حسن بدر الدين فوجده منكس الرأس حزين القلب على فراق والده فاعلمه بما جرى فقال له هل فى الامر مهلة حتى ادخل بيتى فاخذ معى شيأ من الدنيا لاستعين به على الغربة فقال له المملوك انج بنفسك فلما سمع كلام المملوك غطى رأسه بذيله وخرج ماشيا الى ان صار خارج المدينة فسمع الناس يقولون ان السلطان ارسل الوزير الجديد الى بيت وزيره المتوفى ليختم على ماله

واما كنه ويقبض على ولده حسن بدر الدين ويطلع به اليه فيقتله وصارت الناس تتأسف على حسنه وجماله فلما سمع كلام الناس خرج الى غيره قصد ولم يعلم اين يذهب فلم يزل سائرا الى ان ساقته المقادير الى تربة والده فدخل المقبرة ومشى بين القبور الى ان جلس عند قبر ابيه وازال ذيله من فوق رأسه فبينما هو جالس عند تربة ابيه اذ قدم عليه يهودى من البصرة وقال له ياسيدى مالى اراك متغيرا فقال له انى كنت نائما فى هذه الساعة فرأيت ابى يعاتبنى على عدم زيارتى قبره فقمت واتاهر عوب وخفت ان يفوت النهار ولم ازره فيصعب على الامر فقال له اليهودى ياسيدى ان ابالك كان ارسل مراكب تجارة وقدم منها البعض ومرادى ان اشترى منك وسق كل مركب قدمت بالف دينار ثم اخرج اليهودى كيسا ممتلئا من الذهب وعد منه الف دينار ودفعه الى حسن ابن الوزير ثم قال له اليهودى اكتب لى ورقة واختمها فاخذ حسن ابن الوزير ورقة وكتب فيها كاتب هذه الورقة حسن بدر الدين ابن الوزير نور الدين قد باع لليهودى فلان جميع وسق كل مركب وردت من مراكب ابيه المسافرين بالف دينار وقبض الثمن على سبيل التعجيل فاخذ اليهودى الورقة وصار حسن يبكى ويتذكر ما كان فيه من العز والاقبال ثم دخل عليه الليل وادركه النوم فنام عند قبر ابيه ولم يزل نائما حتى طلع القمر فتد حرجت رأسه عن القبر ونام على ظهره وصار وجهه يلمع فى القمر وكانت المقابر عامرة بالجن المؤمنين فخرجت جنية فنظرت وجه حسن وهو نائم فلما رأته تعجبت من حسنه وجماله وقالت سبحان الله ما هذا الشاب الا كانه من الحور العين ثم طارت الى الجو تطوف على عادتها فرأت عفريتا طائرا فسلمت عليه وسلم عليها فقالت له من اين اقبلت قال من مصر فقالت له هل لك ان تروح معى حتى تنظر الى حسن الشاب النائم فى المقبرة فقال لها نعم فسارا حتى نزلا فى المقبرة فقالت له هل رأيت فى عمرك مثل هذا فنظر العفريت اليه وقال سبحان من لا شبيه له ولكن يا اختى ان اردت حدثتك بما رأيت فقالت له حدثنى فقال لها انى رأيت مثل هذا الشاب فى اقليم مصر وهى بنت الوزير وقد علم بها الملك فخطبها من ابيها الوزير شمس الدين فقال له يا مولانا السلطان اقبل عذرى وارحم عبرتى فانك تعرف ان اخى نور الدين خرج من عندنا ولا نعلم اين هو وكان شريكى فى الوزارة وسبب خروجه انى جلست اتحدث معه فى شأن الزواج فغضب منى وخرج مغضبا وحكى للملك جميع ما جرى بينهما ثم قال للملك فكان ذلك سببا لغيظه وانا حالف ان لا ازوج بنتى الا لابن اخى من يوم ولدتها امها وذلك نحو ثمانية عشر سنة ومن مدة قريبة سمعت ان اخى تزوج بنت وزير البصرة وجاء منها بولد وانا الا ازوج بنتى الا له كرامة لاخى ثم انى ارخت وقت زواجى وحمل زوجتى وولادة هذه البنت وهى باسم ابن عمها والبنات كثير فلما سمع السلطان كلام الوزير غضب غضبا شديدا وقال كيف يخطب مثلى من مثلك بنتا فتمنعها منه وتحتج بحجة باردة وحياة رأسى لا ازوجها الا لاقل منى برغم انفك وكان عند الملك سايس احدب بحدبة من قدام وحدبة من وراء فامر السلطان باحضاره وكتب كتابه على بنت الوزير بالقهر وامر ان يدخل عليها فى هذه الليلة ويعمل له زفافا وقد تركته وهو بين مماليك السلطان وهم حوله فى ايديهم الشموع موقدة يضحكون عليه ويسخرون به على باب الحمام واما بنت الوزير فانها جالسة تبكى بين المنقشات والمواشط وهى اشبه الناس بهذا الشاب وقد جبروا على ابيها ومنعوه ان يحضرها وما رأيت يا اختى اقبح من هذا الاحدب واما الصبية فهى احسن من هذا الشاب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجنى لما حكى للجنية حكاية بنت وزير مصر وان الملك كتب كتابها على السايس الاحدب وهي في غاية الحزن وانه لا احد يشبهها في الجمال الا هذا الشاب قالت له الجنية تكذب فان هذا الشاب احسن اهل زمانه فرد عليها العفريت وقال والله يا اختي ان الصبية احسن من هذا ولكن لا يصلح لها الا هو فانهما مماثل بعضهما ولعلهما اخوان او ولد اعم فيا خسارتهما مع هذا الاحدب فقالت له يا اخي دعنا ندخل تحته ونحمله ونروح به الى الصبية التي تقول عليها وتنظر ايهما احسن فقال العفريت سمعا وطاعة هذا كلام صواب وليس هنالك احسن من هذا الرأي الذي اخترتيه فاما احمله ثم انه حمله وطار به الى الجو وصارت العفريتة في ركابه تحاذيه الى ان نزل به في مدينة مصر وحطه على مصطبة ونبهه فاستيقظ من النوم فلم يجد نفسه على قبر ابيه في ارض البصرة والتفت يمينا وشمالا فلم يجد نفسه الا في مدينة غير مدينة البصرة فاراد ان يصيح فغمزه العفريت وقال له اعلم اني جئت بك وانا اريد ان اعمل معك شيأ لله فخذ هذه الشمعة وامش بها الى ذلك الحمام واختلط بالناس ولا تزل ماشيا معهم حتى تصل الى قاعة العروسة فاسبق وادخل القاعة ولا تخشى احدا واذا دخلت فقف على يمين العريس الاحدب وكل ما جاك المواشط والمغنيات والمنقشات فخط يدك في جيبك تجده ممتلئا ذهبا فاكبش وارم لهم ولا تتوهم انك تدخل يدك ولا تجده ممتلئا بالذهب فاعط كل من جاءك بالخفنة ولا تخش من شيء وتوكل على الذي خلقك فاذا هذا بحولك وقوتك بل بحول الله وقوته فلما سمع حسن بدر الدين من العفريت هذا الكلام قال ياترى اي شيء هذه القضية وما وجه الاحسان ثم مشى واوقد الشمعة وتوجه الى الحمام فوجد الاحدب راكب الفرس فدخل حسن بدر الدين بين الناس وهو على تلك الحالة مع الصورة الحسنة وكان عليه الطربوش والعمامة والفرجية المنسوجة بالذهب ومازال ماشيا في الزينة وكلما وقفت المغنيات للناس تسقطهن بضع يده في جيبه فيلقاه ممتلئا بالذهب فيكبش ويرمي في الطار للمغنيات والمواشط فيملا الطار دنانير فاندهش عقول المغنيات وتعجب الناس من حسنه وجماله ولم يزل على هذا الحال حتى وصلوا الى بيت الوزير فردت الحجاب الناس ومنعوهم فقالت المغنيات والمواشط والله لا ندخل الا ان دخل هذا الشاب معنا لانه نمرنا باحسانه ولا تجلى العروسة الا وهو حاضر فعند ذلك دخلوا به الى قاعة الفرح واجلسوه برغم انف العريس الاحدب واصطفت جميع نساء الامراء والوزراء والحجاب صفين وكل امرأة معها شمعة كبيرة موقدة مضيئة وكلهن ملثمات وصرن صفوفا يمينا وشمالا من تحت المنصة الى صدر الليوان الذي عند المجلس الذي تخرج منه العروسة فلما نظر النساء حسن بدر الدين وما هو فيه من الحسن والجمال ووجهه يضيء كانه هلال مالت جميع النساء اليه فقالت المغنيات للنساء الحاضرات اعلموا ان هذا المليح ما نقطنا الا بالذهب الاحمر فلا تقصرن في خدمته واطعنه فيما يقول فازدحم النساء عليه بالشمع ونظرن الى جماله فانبهرت عقولهن من حسنه وصارت كل واحدة منهن تود ان تكون في حضنه سنة او شهرا او ساعة ورفعن ما كان على وجوههن من النقاب وتحيرت منهن الالباب وقلن هنيئا لمن كان هذا الشاب له او عليه ثم دعون على ذلك السايس الاحدب ومن كان سببا في زواجه هذه المليحة وكلما دعون الحسن بدر الدين دعون على ذلك الاحدب ثم ان المغنيات ضربن بالدفوف واقبلت المواشط وبنت الوزير بينهن وقد طيبنها وعطرنها والبسنها وحسن شعرها ونحرها بالحلي والحلل

من

من لباس الملوك الاكاسرة ومن جملة ما عليها ثوب منقوش بالذهب الاحمر وفيه صور الوحوش والطيور وهو مسبول عليها من فوق حواجبها وفى عنقها عقد يساوى الالوف قد حوى كل فص من الجوهر ما حاز مثله تبع ولا قيصر وصارت العروسة كانها البدر اذا اقترن فى ليلة اربعة عشر ولما اقبلت كانت كانها حورية فسبحان من خلقها بهية واحدق بها النساء فصارت كالنجوم وهى بينهن كالقمر اذا انجلا عنه الغيم وكان حسن بدر الدين البصرى جالسا والناس ينظرون اليه فخطرت العروسة واقبلت وتمايلت فقام اليها السايس الاحدب ليقبلها فاعرضت عنه وانقلبت حتى صارت قدام حسن ابن عمها ففحكت الناس فلما رأوها مالت الى نحو حسن بدر الدين وحط يده فى جيبه وكبش الذهب ورمى فى طارة المغنيات فرحوا وقالوا كانشتهى ان تكون هذه العروسة لك فتبسم هذا كله والسايس الاحدب وحده كأنه قرد وكلما قاد والله الشمعة طفئت فبهت وصار قاعدا فى الظلام يعقت فى نفسه وهؤلاء الناس محدقون به وتلك الشموع الموقدة بهجتها من عجب الجهاز يتحير من شعاعها اولوا الالباب واما العروسة فانها رفعت كفيها الى السماء وقالت اللهم اجعل هذا بعلى وارحنى من هذا السايس الاحدب وصارت المواشط تجلى العروسة الى اخر السبع خلع على حسن بدر الدين البصرى والسايس الاحدب وحده فلما فرغوا من ذلك اذنوا للناس بالانصراف فخرج جميع من كان فى الفرح من النساء والاولاد ولم يبق الا حسن بدر الدين والسايس الاحدب ثم ان المواشط ادخلن العروسة ليكشفن ما عليها من الحلى والحلل ويهيئنها للعريس فعند ذلك تقدم السايس الاحدب الى حسن بدر الدين وقال يا سيدى آنستنا فى هذه الليلة وغمرتنا باحسانك فلم لا تقوم تروح بيتك بلا مطرود فقال له بسم الله ثم قام وخرج من الباب فالقيه العفريت فقال له قف يا بدر الدين فاذا خرج الاحدب الى بيت الراحة فادخل انت واجلس فى المخدع فاذا اقبلت العروسة فقل لها انا زوجك والملك ما عمل تلك الحيلة الا لانه يخاف عليك من العين وهذا الذى رأيته سايس من سياستنا ثم اقبل عليها واكشف وجهها ولا تخش بأسا من احد فبينما بدر الدين يتحدث مع العفريت واذا بالسايس دخل بيت الراحة وقعد على الكرسى فطلع له العفريت من الحوض الذى فيه الماء فى صورة فار وقال زيق فقال الاحدب ما جاء بك هنا فكبر الفار وصار كالقط ثم كبر حتى صار كلبا وقال عوه عوه فلما نظر السايس ذلك فزع وقال اخسأ يا مشؤم فكبر الكلب وانتفخ حتى صار جحشا ونهق وصرخ فى وجهه هاق هاق فازعج السايس وقال الحق يا اهل البيت واذا بالجحش قد كبر وصار قدر الجاموسة وسد عليه المكان وتكلم بكلام ابن آدم وقال ويلك يا احدب يا ابن السياس فلحق السايس البطن وقعد على الملاقى بانوابه واشتبكت اسنانه بعضها فقال له العفريت هل ضاقت عليك الارض فلا تتزوج الا بمعشوقتى فسكت السايس فقال له رد الجواب والا اسكنك التراب فقال والله مالى ذنب الا انهم غصبونى وما عرفت ان لها عشاقا من الجواميس ولكن انا تائب الى الله ثم اليك فقال له العفريت اقسم بالله ان خرجت فى هذا الوقت من هذا الموضع او تكلمت قبل ان تطلع الشمس لاقتلنك فاذا طلعت الشمس فاخرج الى حال سبيلك ولا تعد الى هذا البيت ابدا ثم ان العفريت قبض على السايس الاحدب وقلب رأسه فى الملاقى وجعلها الى اسفل وجعل رجليه الى فوق وقال له استمر هنا وانا احرسك الى طلوع الشمس هذا ما كان من قصة الاحدب واما ما كان من قصة حسن بدر الدين البصرى فانه خلى الاحدب والعفريت يتخاصمان ودخل البيت وجلس فى داخل المخدع واذا بالعروسة اقبلت ومعها عجوز فوقفت العجوز فى باب المخدع وقالت يا ابا شهاب قم وخذ

عروستك وقد استودعتك الله ثم ولت الجهوز ودخلت العروسة فى صدر المخدع وكان اسمها ست الحسن وقلبها مكسور وقالت فى قلبها والله ما امكنه من نفسى ولو طلعت روحى فلما دخلت الى صدر المخدع نظرت بدر الدين فقالت حبيبى والى هذا الوقت انت قاعد اقد قلت فى نفسى لعلك انت والسايس الاحدب مشتركان فى فقال حسن بدر الدين واى شئ اوصل السايس اليك ومن اين له ان يكون شريكى فيك فقالت ومن زوجى أنت ام هو قال بدر الدين ياسيدتى نحن ما عملنا هذا الامضرية به فنضحك عليه فلما نظرت المواشط والمغنيات واهلك حسنك البديع خافوا علينا من العين فاكتراه ابولة بعشرة دنانير حتى يصرف عنا العين وقد راح فلما سمعت ست الحسن من بدر الدين ذلك الكلام فرحت وتبسمت وضحكت ضحكا لطيفا وقالت والله لقد اطفئت نارى فبالله خذنى عندك وضمنى الى حضنك وكانت بلا لباس فكشفت ثوبها الى نحرها فبان قدامها ووراؤها فلما نظر بدر الدين صفاء جسمها تحركت فيه الشهوة فقام وحل لباسه ثم حل الكيس الذهب الذى كان اخذه من اليهودى ووضع فيه الف دينار ولفه فى سرواله وحطه تحت ذيل الطراحة وقلع عمامته ووضعها على الكرسى وبقى بالقميص الرفيع وكان القميص مطرزا بالذهب فعند ذلك قامت اليه ست الحسن وجذبته اليها وجذبها بدر الدين اليه وعانقها واخذ رجليها فى وسطه ثم ركب المدفع وحرره على القلعة واطلقه فهدم البرج فوجدها درة ما ثقبت ومطية لغيره ما ركبت فازال بكارتها وتملى بشبابها ولم يزل يركب المدفع ويرد الى غاية خمس عشرة مرة فعلقت منه فلما فرغ بدر الدين وضع يده تحت راسها وكذلك الاخرى ووضعت يدها تحت رأسه ثم انهما تعانقا وناما متعانقين وشرحا بعناقهما مضمون هذه الابيات

زر من تحب ودع كلام الحاسد * ليس الحسود على الهوى بمساعد
لم يخلق الرحمن احسن منظرا * من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضى * متوسدين بمعصم وبساعد
واذا تالفت القلوب مع الهوى * فالناس تضرب فى حديد بارد
واذا صفى لك من زمانك واحد * فهو المراد وعش بذاك الواحد

هذا ما كان من امر حسن بدر الدين وست الحسن بنت عمه واما ما كان من امر العفريت فانه قال للعفريتة قومى وادخلى تحت الشباب ودعينا نوديه مكانه لئلا يدركنا الصبح فان الوقت قريب فعند ذلك تقدمت العفريتة ودخلت تحت ذيله وهو نائم واخذته وطارت به وهو على حاله بالقميص وهو بلا لباس ومازالت العفريتة طائرة به والعفريت يحاذيها فاذن الله ملائكة ان ترمى العفريت بشهاب من نار فاحترق وسلمت العفريتة فنزلت بدر الدين فى موضع ما احرق الشهاب العفريت ولم تتجاوزه به خوفا عليه وكان بالامر المقدر ذلك الموضع فى دمشق الشام فوضعته العفريتة على باب من ابوابها وطارت فلما طلع النهار وفتحت ابواب المدينة خرج الناس فنظروا شابا مليحا بالقميص والطاقية بلا عمامة ولا لباس وهو نائم فاسى من السهر غرقان فى النوم فلما رأه الناس قالوا يا بخت من كان هذا عنده فى هذه الليلة ويا ليته صبر حتى لبس حوايجه وقال الاخر مساكين اولاد الناس لعل هذا يكون فى هذه الساعة خرج من المسكرة لبعض شغله فقوى عليه السكر فتاه عن المكان الذى كان قصده حتى وصل الى باب المدينة فوجده مغلقا فنام هاهنا وقد خاض الناس فيه بالكلام واذا بالهوى هب على بدر الدين فرفع ذيله من فوق بطنه فبان من تحته بطن وسرة محققة وسيقان واخذ مثل البلور فصار الناس يتعجبون فانتبه بدر الدين فوجد

روحه على باب مدينة وعليها ناس فتعجب وقال اين انا يا جماعة الخير وما سبب اجتماعكم على وما حكايتى معكم فقالوا نحن رأينا لك عند اذان الصبح ملقى على هذا الباب نائما ولا نعلم من امرك غير هذا فاين كنت نائما هذه الليلة فقال حسن بدر الدين والله يا جماعة انى كنت نائما هذه الليلة فى مصر فقال واحد هل انت تأكل حشيشا وقال بعضهم أأنت مجنون كيف تكون باتيا فى مصر وتصبح نائما فى مدينة دمشق فقال لهم والله يا جماعة الخير لم اكذب عليكم ابدا وانا كنت البارحة بالليل فى ديار مصر وقبل البارحة كنت بالبصرة فقال واحد هذا شئ عجيب وقال الاخر هذا الشاب مجنون وصفقوا عليه بالكفوف وتحدث الناس مع بعضهم وقالوا يا خسارة شبابه والله ما فى جنونه خلاف ثم انهم قالوا له ارجع لعقلك فقال حسن بدر الدين كنت البارحة عريسا فى ديار مصر فقالوا لعلك حلمت ورأيت هذا الذى تقول فى المنام فتحير حسن فى نفسه وقال لهم والله ما هذا منام واين السايس الاحدب الذى كان قاعدا عندنا والكيس الذهب الذى كان معى واين ثيابى ولباسى ثم قام ودخل المدينة ومشى فى شوارعها واسواقها فازدحمت عليه الناس وزفوه فدخل دكان طباخ وكان ذلك الطباخ رجلا مسرفا فتاب الله عليه من الحرام وفتح له دكان طباخ وكان اهل دمشق كلهم يخافون منه بسبب شدة باسه فلما نظر الناس الى الشاب وقد دخل دكان الطباخ افترقوا وخافوا منه فلما نظر الطباخ الى حسن بدر الدين وشاهد حسنه وجماله وقعت فى قلبه محبته فقال له من اين انت يا فتى فاحك لى حكايتك فانك صرت عندى اعز من روحى فحكى له ما جرى من المبتدا الى المنتهى فقال له الطباخ يا سيدى بدر الدين اعلم ان هذا امر عجيب وحديث غريب ولكن يا ولدى اكتم ما معك حتى يفرج الله ما بك واقعد عندى فى هذا المكان وانا مالى ولد فاتخذك ولدى فقال له بدر الدين الامر كما تريد يا عم فعند ذلك نزل الطباخ الى السوق واشترى لبدر الدين اقمشة مفتخرة والبسه اياها وتوجه به الى القاضى واشهد على نفسه انه ولده وقد اشتهر حسن بدر الدين فى مدينة دمشق انه ولد الطباخ وقعد عنده فى الدكان يقبض الدراهم وقد استقر امره عند الطباخ على هذه الحالة هذا ما كان من امر حسن بدر الدين واما ما كان من امر ست الحسن بنت عمه فانه لما طلع الفجر وانتبهت من النوم لم تجد حسن بدر الدين قاعدا عندها فاعتقدت انه دخل المرحاض فجلست تنتظره ساعة واذا بابيها قد دخل عليها وهو مهموم مما جرى له من السلطان وكيف غصبه وزوج ابنته غصبا لاحد غلمانه الذى هو السايس الاحدب وقال فى نفسه اقتل هذا البنت ان كانت مكنت هذا الخبيث من نفسها فمشى الى ان وصل الى المخدع ووقف على بابه وقال يا ست الحسن فقالت له نعم يا سيدى ثم انها خرجت وهى تتمايل من الفرح وقبلت الارض بين يديه وازداد وجهها نورا وجمالا لعناقها لذلك الغزال فلما نظرها ابوها وهى بتلك الحالة قال لها يا خبيثة هل انت فرحانة بهذا السايس فلما سمعت ست الحسن كلام والدها تبسمت وقالت بالله يكفى ما جرى منك والناس يضحكون على ويعايرونى بهذا السايس الذى ما يجى فى اصبعى قلامة ظفر ان زوجى والله ما بات طول عمرى ليلة احسن من ليلة البارحة التى بتها معه فلما تهزء بى وتذكرنى ذلك الاحدب فلما سمع والدها كلامها استرخ بالغضب وازرقت عيناه وقال لها ويلك اى شئ هذا الكلام الذى تقولينه ان السايس الاحدب قد بات عندك فقالت بالله عليك لا تذكره لى قبحه الله وقبح اباه فلا تكثر المزاح بذكره فما كان السايس الا مكترى بعشرة دنانير واخذ اجرته وراح وجئت انا ودخلت المخدع فنظرت زوجى قاعدا بعد ما جلتنى عليه المغنيات ونقط بالذهب الاحمر حتى اغنى الفقراء الحاضرين وقدبت فى حضن زوجى الخفيف الروح صاحب العيون السود والحواجب

المقرونة فلما سمع والدها هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاما وقال لها يا فاجرة ما هذا الذي تقولينه اين عقلك فقالت له يا ابت لقد وقعت كبدي لاي شيء تتغافل فهذا زوجي الذي اخذ وجهي قد دخل بيت الراحة وانى قد علقت منه فقام والدها وهو متعجب ودخل بيت الخلا فوجد السايس الاحدب رأسه مغروزة في الملاقى ورجلاه مرتفعة الى فوق فهبت فيه الوزير وقال اما هذا هو الاحدب فخاطبه فلم يرد عليه وظن الاحدب انه العفريت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان السايس الاحدب لما كلمه الوزير ظن انه العفريت فلم يرد عليه لانه ظن انه لا يكلمه الا العفريت فصرخ عليه الوزير وقال له تكلم والا اقطع رأسك بهذا السيف فعند ذلك قال الاحدب والله يا شيخ العفاريت من حين جعلتني في هذا الموضع ما رفعت رأسي فبالله عليك ان ترفق بي فلما سمع الوزير كلام الاحدب قال له ما تقول فانى ابو العروسة ما انا عفريت فقال ليس عمري في يدك ولا تقدر ان تأخذ روحي فرح الى حال سبيلك قبل ان يأتيك الذي فعل بي هذه الفعال فانتم لا تزوجوني الا بمعشوقة الجواميس ومعشوقة العفاريت فلعن الله من زوجني بها ولعن من كان السبب في ذلك ثم ان السايس الاحدب صار يحدث الوزير والد العروسة ويقول لعن الله من كان السبب في ذلك فقال له الوزير قم واخرج من هذا المكان فقال له هل انا مجنون حتى اروح معك بغير اذن العفريت فانه قال لي اذا طلعت الشمس فاخرج وروح الى حال سبيلك فهل طلعت الشمس اولا فانى لا اقدر ان اطلع من موضعي الا ان طلعت الشمس فعند ذلك قال له الوزير من اتى بك الى هذا المكان فقال انى جئت البارحة الى هنا لاقضي حاجتي وازيل ضرورتي واذا بغبار طلع من وسط الماء وصاح وصار يكبر حتى بقي قدر الجاموسة وقال لي كلاما دخل في اذني فخلني وروح لعن الله العروسة ومن زوجني بها فتقدم اليه الوزير واخرجه من المرحاض فخرج وهو يجري وما صدق ان الشمس طلعت وطلع الى السلطان واخبره بما اتفق له مع العفريت واما الوزير ابو العروسة فانه دخل البيت وهو حائر العقل في امر ابنته فقال يا بنتي اكشفي لي عن خبرك فقالت ان الظريف الذي كنت انجلي عليه بات عندي البارحة وازال بكارتي وعلقت منه وان كنت لم تصدقني فهذه عمامته بلفتها على الكرسي ولباسه تحت الفرش وفيه شيء ملفوف لم اعرف ما هو فلما سمع والدها هذا الكلام دخل المخدع فوجد عمامة حسن بدر الدين ابن اخيه فتى الحال اخذها في يده وقلبها وقال هذه عمامة وزراء الا انها موصلية ثم نظر الى حرز مخيط في طربوشه فاخذه وفتقه واخذ اللباس فوجد الكيس الذي فيه الف دينار ففتحه فوجد فيه ورقة فقرأها فوجد مبايعة اليهودي واسم حسن بدر الدين بن نور الدين المصري ووجد الالف دينار فلما قرأ شمس الدين الورقة صرخ صرخة وخر مغشيا عليه فلما افاق وعلم مضمون القصة تعجب وقال لا اله الا الله القادر على كل شيء وقال يا بنتي هل تعرفين من الذي اخذ وجهك قالت لا قال انه ابن اخي وهو ابن عمك وهذه الالف دينار مهرك فسبحان الله قلبت شعري كيف اتفقت هذه القضية ثم فتح الحرز المخيط فوجد فيه ورقة مكتوبا فيها بخط اخيه نور الدين المصري ابي حسن بدر الدين فلما نظر خط اخيه انشد هذين البيتين

ارا آثارهم فاذوب شوقا * واسكب في مواطنهم دموعي
واسئل من بفرقتهم رماني * بمن علي يوما بالرجوع

فلما

فلما فرغ من الشعر قرأ الحرز فوجد فيه تاريخ زواجه بنت وزير البصرة وتاريخ دخوله بها وتاريخ عمره الى حين وفاته وتاريخ ولادة ولده حسن بدر الدين فتعجب واهتز من الطرب وقابل ما جرى لاخيه على ما جرى له فوجده سواء بسواء وزواجه وزواج الاخر متوافقين تاريخا ودخولهما بزوجتيهما متوافقا وولادة بدر الدين ابن اخيه وولادة بنته ست الحسن متوافقين فاخذ الورقتين وطلع بهما الى السلطان واعلمه بما جرى من اول الامر الى اخره فتعجب الملك وامر ان يؤرخ هذا الامر في الحال ثم اقام الوزير ينتظر ابن اخيه فما وقع له على خبر فقال والله لا عملن عملا ما سبقني اليه احد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير قال والله لا عملن عملا ما سبقني اليه احد ثم اخذ دواة وقلما وكتب فيه امتعة البيت وان الخشخاشة في موضع كذا والستارة الفلانية في موضع كذا وكتب جميع ما في البيت ثم طوى الكتاب وامر بخزن جميع الامتعة واخذ العمامة والطربوش واخذ معه الفرجية والكيس وحفظها عنده واما بنت الوزير فانها لما كملت اشهرها ولدت ولدا مثل القمر يشبه والده في الحسن والكمال والبهاء والجمال فقطعوا سرته وكحلوا مقلته وسلموه الى المرضعات وسموه عجيبا فصار يوميه بشهر وشهره بسنة فلما مر عليه سبع سنين اعطاه جده لفقيه ووصاه ان يربيه ويحسن تربيته فاقام في المكتب اربع سنوات فصار يقاتل اهل المكتب ويسبهم ويقول لهم من فيكم مثلي انا ابن وزير مصر فقامت الاولاد واجتمعوا يشكون الى العريف مما قاسوه من عجيب فقال لهم العريف انا اعلمكم شيأ تقولون له لما يجئ فيتوب عن المجئ للمكتب وذلك انه اذا جاء غدا فاقعدوا حوله وقولوا لبعضكم والله ما يلعب معنا هذه اللعبة الا من يقول لنا على اسم امه واسم ابيه ومن لم يعرف اسم امه واسم ابيه فهو ابن حرام فلا يلعب معنا فلما اصبح الصباح اتوا الى المكتب وحضر عجيب فاحتاطت به الاولاد وقالوا نحن نلعب لعبة ولكن ما يلعب معنا الا من يقول لنا على اسم امه واسم ابيه واتفقوا على ذلك فقال واحد منهم اسمي ماجد وابي علوي وابي عز الدين وقال الاخر مثل قوله وقال الاخر كذلك الى ان جاء الدور الى عجيب فقال انا اسمي عجيب وامي ست الحسن وابي شمس الدين الوزير بمصر فقالوا له والله ان الوزير ما هو ابوك فقال لهم عجيب الوزير ابي حقيقة فعند ذلك ضحكت عليه الاولاد وصفقوا عليه وقالوا انت ما تعرف لك ابا فقم من عندنا فلا يلعب معنا الى من يعرف اسم ابيه وفي الحال تفرق الاولاد من حوله وتضاحكوا عليه فضاق صدره واختنق بالبكاء فقال له العريف هل تعتقد ان ابا لك جدك الوزير ابو امك ست الحسن ان ابا لك ما تعرفه انت ولا نحن لان السلطان كان زوجها للسايس الاحدب وجاءت الجن فناموا عندها فان لم تعرف لك ابا يجعلوك بينهم ولدزنا الا ترى ان البايع يعرف اباه فوزير مصر انما هو جدك واما ابوك فلا نعرفه نحن ولا انت فارجع لعقلك فلما سمع ذلك الكلام قام من ساعته ودخل على والدته ست الحسن وصار يشكي لها وهو يبكي ومنعه البكا من الكلام فلما سمعت امه كلامه وبكاءه التهب قلبها عليه وقالت له يا ولدي ما الذي ابكاك فاحك لي قصتك فحكى لها ما سمعه من الاولاد ومن العريف وقال لها يا والدتي من هو ابي قالت له ابوك وزير مصر فقال لها ليس هو ابي فلا تكذبي علي فان الوزير ابوك انت لا ابي انا فمن هو ابي فان لم تخبريني بالصحيح قتلت روحي بهذا الخبر فلما سمعت والدته ذكر ابيه بكت لذكر ولد عمها وتذكرت محاسن حسن بدر

الدين البصرى وما جرى لها معه وانشدت هذه الابيات

اهاجوا الحب فى قلبى وساروا * وقد شطت بهم تلك الديار
وبان العقل منى حيث بانوا * وفارقنى هجوع واصطبار
وقد ساروا ففارقنى سرورى * وقد عدم القرار فلا قرار
واجروا بالفراق دموع عينى * فادمعها تجاريها البحار
اذا اشتقت يوما ان اراهم * وزادبهم حنينى وانتظار
يمثل شخصهم فى وسط قلبى * غرام واشتياق واذكار
ايامن ذكرهم انحى دثارى * ومالى غير حبهم شعار
احبتنا الى كم ذا التمادى * وكم هذا التباعد والنفار

ثم بكت وصرخت وكذلك ولدها واذا بالوزير دخل فلما نظر الى بكائهما احترق قلبه وقال ما يبكيكما فاخبرته بما اتفق لولدها مع صغار المكتب فبكى الاخر ثم تذكرا خاه وما اتفق له معه وما اتفق لابنته ولم يعلم بما فى باطن الامر ثم قام الوزير فى الحال ومشى حتى طلع الى الديوان ودخل على الملك واخبره بالقصة وطلب منه الاذن بالسفر الى الشرق ليقصد مدينة البصرة ويسال عن ابن اخيه وطلب من السلطان ان يكتب له مراسيم لسائر البلاد اذا وجد ابن اخيه فى اى موضع يأخذه ثم بكى بين يدى السلطان فرق له قلبه وكتب له مراسيم لسائر الاقاليم والبلاد ففرح بذلك ودعا للسلطان وودعه ونزل فى الحال وتجهز للسفر واخذ ما يحتاج اليه واخذ ابنته وولدها عجيبا وسافر اول يوم وثانى يوم وثالث يوم حتى وصل الى مدينة دمشق فوجدها ذات اشجار وانهار كما قال فيها الشاعر

من بعد يومى فى دمشق وليلتى * حلف الزمان بمثلها لا يغلط
بتنا وجنح الليل فى غفلاته * ومن الصباح عليه فرع اشمط
والطل فى تلك الغصون كانه * دريصا فحه النسيم فيسقط
والطير يقرأ والغدير صحيفة * والريح تكتب والغمام ينقط

فنزل الوزير فى ميدان الحصبا ونصب خيامه وقال لغلمانه نأخذ الراحة هنا يومين فدخل الغلمان المدينة لقضاء حوايجهم هذا يبيع وهذا يشترى وهذا يدخل الحمام وهذا يدخل جامع بنى امية الذى ما فى الدنيا مثله ودخل المدينة عجيب هو وخادمه يتفرجان والخادم يمشى خلف عجيب وفى يده سوط لو ضرب به جلا لسقط لم يثر فلما نظر اهل دمشق الى عجيب وقده واعتداله وبهائه وكماله بديع الجمال رخيم الدلال الطف من نسيم الشمال واحلى للنظم أن من الماء الزلال والذمن العافية لصاحب الاعتلال فلما رأه اهل دمشق تبعوه وصارت الخلق تجرى ورأه وتتبعه وتقعد فى الطريق حتى يجئ عليهم وينظرونه الى ان وقف العبد بالامر المقدر على دكان ابيه حسن بدر الدين الذى اجلسه فيه الطباخ الذى اعترف عند القضاة والشهود انه ولده فلما وقف عليه العبد فى ذلك اليوم وقف معه الخدام فنظر حسن بدر الدين الى ولده فاعجبه حين وجده فى غاية الحسن فحن اليه فؤاده وتعلق به قلبه وكان قد طبخ حب رمان محلى واشتدت به المحبة الالهية فنادى من الوجد وقال ياسيدى يامن ملك قلبى وفؤادى وحن اليه كبدى هل لك ان تدخل عندى وتجبر قلبى وتاكل من طعامى ثم فاضت عيناه بالدموع من غير اختياره وتذكر ما كان فيه فيما مضى وما هو فيه فى تلك الساعة فلما سمع عجيب كلام ابيه حن اليه قلبه والتفت الى الخادم وقال له

ان هذا الطباخ حن قلبي اليه وكانه قد فارق ولده فادخل بنا عنده لنجبر قلبه ونأكل ضيافته لعل الله يجمع شملنا بابينا بجبرنا خاطره فلما سمع الخدام كلام سيده عجيب قال والله ياسيدي لا ينبغي كيف نكون اولاد الوزير ونأكل في دكان الطباخ ولكن انا اجنب الناس عنك بهذه العصى خوفا ان ينظروا اليك والا فا يمكنك ان تدخل الدكان ابدا فلما سمع حسن بدر الدين كلام الخادم تعجب والتفت الى الخادم وقد سالت دموعه على خدوده وقال له ان قلبي حبه فقال له الخادم دعنا من هذا الكلام ولا تدخل فعند ذلك التفت ابو عجيب للخادم وقال له يا كبير لاي شئ لا تجبر خاطري وتدخل عندي يا من كانه قصطل اسود وقلبه ابيض يا من قال فيه بعض واصفيه كذا وكذا من المدح حتى ضحك الخادم وقال اي شئ تقول فيا لله قل واوجز فانشد في الحال هذين البيتين

لولا تأدبه وحسن ثقافه * ما كان في دار الملوك محكما

وعلى الحريم فيالها من خادم * من حسنه خدمته املاك السما

فتعجب الخادم من هذا الكلام واخذ عجيبا ودخل دكان الطباخ فغرف حسن بدر الدين زبدية من حب الرمان وكانت بلوز وسكر فاكلوا سواء فقال لهم حسن بدر الدين آنستونا كلوا هنيئا مريا ثم ان عجيبا قال لوالده اقعد كل معنا لعل الله يجمعنا بمن تريد فقال حسن بدر الدين يا ولدي هل بليت على صغر سنك بفرقة الاحباب فقال عجيب نعم يا عم احرق قلبي بفراق الاحباب والحبيب الذي فارقني هو والدي وقد خرجت انا وجدي نطوف على البلاد فواحسرتاه على جمع شملي به وبكا بكاء شديدا فبكى والده لبكائه وتذكر فرقة الاحباب وبعده عن والده ووالدته فقال له الخادم واكلوا جميعا الى ان اكتفوا ثم بعد ذلك قاما وخرجا من دكان حسن بدر الدين فحس ان روحه فارقت جسده وراحت معهم فما قدر ان يصبر عنهم لحظة واحدة فقفل الدكان وتبعهم وهو لا يعلم انه ولده واسرع في مشيه حتى لحقهم قبل ان يخرجوا من الباب الكبير فالتفت الطواشي وقال له مالك يا طباخ فقال حسن بدر الدين لما نزلتم من عندي كأن روحي خرجت من جسمي ولي حاجة في المدينة خارج الباب فاردت ان ارافقكم حتى اقضي حاجتي وارجع فغضب الطواشي وقال لعجيب ان هذا كلة مشؤمة وصارت علينا مكرمة وها هو تابعنا من موضع الى موضع فالتفت عجيب فرأى الطباخ فاغتاظ واحمر وجهه ثم قال للخادم دعه يمشي في طريق المسلمين فاذا خرجنا الى خيامنا وخرج معنا وعرفنا انه يتبعنا نطرده فاطرق رأسه ومشى والخادم ورأه فتبعهم حسن بدر الدين الى ميدان الحصا وقد قربوا من الخيام فالتفتوا وراءه خلفهم فغضب عجيب وخاف من الطواشي ان يخبر جده فامتزج بالغضب مخافة ان يقولوا انه دخل دكان الطباخ وان الطباخ تبعه فالتفت حتى صارت عيناه في عين ابيه وقد بقي جسدا بلا روح ورأى عجيب عينه كانها عين خائن وربما كان ولد زنا فازداد غضبا فاخذ حجرا وضرب به والده فوقع الحجر في جبينه فبطحه فوقع حسن بدر الدين مغشيا عليه وسال الدم على وجهه وسار عجيب هو والخادم الى الخيام واما حسن بدر الدين فانه لما افاق مسح دمه وقطع قطعة من عمامته وعصب بها رأسه ولام نفسه وقال انا ظلمت الصبي حيث غلقت دكاني وتبعته حتى ظن اني خائن ثم رجع الى الدكان واشتغل ببيع طعامه وصار مشتاقا الى والدته التي في البصرة ويبكي عليها وانشد هذين البيتين

لا تسأل الدهر انصافا فتظلمه * ولا تلمه فلم يخلق لانصاف

خذ ما تيسر وازوالهم ناحية * لا بد من كدر فيه وانصاف

ثم ان بدر الدين استمر مشتغلا ببيع في طعامه واما الوزير عمه فانه اقام في دمشق ثلاثة ايام ثم رحل متوجها الى حمص فدخلها ثم رحل عنها وصار يفتش في طريقه اينما حل وجهه في سيره الى ان وصل الى ماردين والموصل وديار بكر ولم يزل سائرا الى مدينة البصرة فدخلها فلما استقر به المنزل دخل الى سلطانها واجتمع به فاحترمه واكرم منزله وسأله عن سبب مجيئه فاخبره بقصته وان اخاه الوزير على نور الدين فترحم عليه السلطان وقال له ايها الصاحب انه كان وزيري وكنت احبه كثيرا وقدمات من مدة خمسة عشر عاما وخلف ولدا وقد فقدناه ولم نطلع له على خبر غير ان امه عندنا لانها بنت وزيري الكبير فلما سمع الوزير شمس الدين من الملك ان ام ابن اخيه طيبة فرح وقال يا ملك اني اريد ان اجتمع بها فاذن له في الحال ان ينزل عندها في دار اخيه فنزل نور الدين ودخل عندها في دار اخيه وجال بطرفه في نواحيها وقبل اعتابها وتذكر اخاه نور الدين علي وكيف مات غريبا وهو مشتاق اليه فبكى وانشد هذه الابيات

امر على الديار ديار ليلى * اقبل ذا الجدار وذا الجدار
وما حب الديار شغفن قلبي * ولكن حب من سكن الديار

ثم دخل من الباب الى فسحة عظيمة فوجد بابا مقوصرا معقودا بالجر الصوان مجزعا بانواع الرخام من سائر الالوان فمشى في نواحي الدار وتفرجها وجال بطرفه فيها فوجد اسم اخيه نور الدين مكتوبا بالذهب على جدرانها فاتى الى الاسم وقبله وبكى واحرقه فراقه فانشد هذه الابيات

استخبر الشمس عنكم كلما طلعت * واسال البرق عنكم كلما لمعا
ابيت والشوق يطوين وينشرني * في راحتيه ولا اشكوله وجعا
احبابنا ان يكن طال المدا فلكم * قد قطع القلب مني بعدكم قطعا
فلو منتم على طرفي برؤيتكم * لكان احسن شيء بيننا وقعا
لا تحسبوا انني بالغير مشتغل * ان الفؤاد لحب الغير ما وسعا

ثم انه صار يمشي الى ان وصل الى قاعة زوجة اخيه ام حسن بدر الدين البصري وكانت في مدة غيبة ولدها قد لزمت البكاء والنحيب بالليل والنهار فلما طالت عليها المدة عملت لولدها قبرا من الرخام في وسط القاعة وصارت تبكي عليه ليلا ونهارا ولا تنام الا عند ذلك القبر فلما وصل الى مسكنها سمع حسها فوقف خلف الباب فسمعها تنشد على القبر هذين البيتين

بالله يا قبر هل زالت محاسنه * وهل تغير ذاك المنظر النضر
يا قبر لا انت بستان ولا فلك * فكيف يجمع فيك الغصن والقمر

فبينما هي كذلك واذا بالوزير شمس الدين قد دخل عليها وسلم عليها واعلمها انه اخو زوجها ثم اخبرها بما جرى وكشف لها عن القصة وان ابنها حسن بدر الدين بات عند ابنته ليلة كاملة ثم فقد عند الصباح وقال لها ان ابنتي حملت من ولدك وولدت ولدا وهو معي وانه ولدك وولد ولدك من ابنتي فلما سمعت خبر ولدها وانه حي ورأت اخا زوجها قامت اليه ووقعت على قدميه وقبلتهما وانشدته هذين البيتين

لله در مبشري بقدومهم * فلقد اتاني بالطايب المسموع
لو كان يقنع بالخلع وهبته * قلبا تقطع ساعة التوديع

ثم ان الوزير ارسل الى بحجيب ليحضره فلما حضر قامت له جدته واعتنقته وبكت فقال لها شمس الدين

ماهذا وقت بكاء بل هذا وقت تجهيزك للسفر معنا الى ديار مصر عسى الله ان يجمع شملنا وشملك بولدك
ابن اخي فقالت سمعا وطاعة ثم قامت من وقتها وجمعت جميع امتعتها وذخائرها وجواريها وتجهزت
في الحال ثم طلع الوزير شمس الدين الى سلطان البصرة وودعه فبعث معه هدايا وتحفا الى سلطان مصر
وسافر من وقته هو وزوجة اخيه ولم يزل سائرا حتى وصل الى مدينة دمشق فنزل على القانون
وضرب الخيام وقال لمن معه اننا نقيم بدمشق جمعة الى ان نشترى للسلطان هدايا وتحفا ثم قال
عجيب للطواشي يا غلام اني اشتقت الى الفرجة فقم بنا ننزل الى سوق دمشق ونعتبر احوالها وننظر
ما جرى لذلك الطباخ الذي قد كنا اكلنا طعامه وشبعنا رأسه مع انه قد كان احسن الينا ونحن
اساأناه فقال الطواشي سمعا وطاعة ثم ان عجيبا خرج من الخيام هو والطواشي وحركته القرابة الى التوجه
لوالده ودخلا مدينة دمشق ومازالا سائرين الى ان وصلا الى دكان الطباخ فوجداه واقفا في الدكان
وكان ذلك قبيل العصر وقد وافق الامر انه طبخ حب رمان فلما قرب منه ونظره عجيب حن اليه قلبه ونظر
الى اثر الضربة بالحجر في جبينه فقال السلام عليك يا هذا اعلم ان خاطري عندك فلما نظر اليه بدر
الدين تعلقت احشاؤه به وخفق فؤاده اليه واطرق برأسه الى الارض واراد ان يدير لسانه في فمه فما قدر على
ذلك ثم رفع رأسه الى ولده خاضعا متذللا اليه وانشد هذه الابيات

تمنيت من اهوى فلما رأيته * ذهلت فلم املك لسانا ولا طرفا
واطرقت اجلالا له ومهابة * وحاولت اخفا الذي بي فلم يخفى
وكنت معدا للعتاب محائفا * فلما اجتمعنا ما وجدت ولا حرفا

ثم قال لهما اجبرا قلبي وكلا من طعامي فوالله ما نظرت اليك ايها الغلام الا حن قلبي اليك وما كنت
اتعتك الا وانا بغير عقل فقال عجيب والله انك محب لنا ونحن اكلنا عندك لقمة فلازمتنا عقبها
واردت ان تهتكنا ونحن لا ناكل لك اكلا الا بشرط ان تحلف انك لا تخرج وراءنا ولا تتبعنا والا لا نعود
اليك من وقتنا هذا فنحن مقيمون في هذه المدينة جمعة حتى ياخذ جدي هدايا للملك فقال بدر الدين
لكم علي ذلك فدخل عجيب هو والخادم في الدكان فقدم لهما زبدية مملئة حب رمان فقال عجيب
كل معنا لعل الله يفرج عنا ففرح بدر الدين واكل معهم وهو لم يغض طرفه عن النظر في وجهه وقد
تعلق به قلبه وصارت كل جوارحه معه فقال له عجيب الم تعلم اني قلت لك انك عاشق ثقيل فحسبك
لا تطل النظر الى والى وجهي فلما سمع بدر الدين كلامه انشد هذه الابيات

لك في القلوب سريرة لا تظهر * مطوية وحديثها لا ينشر
يا فاضح القمر المنير بحسنه * وبوجهه افتضح الصباح المسفر
لي في سنائك امارة لا تنقضي * ومعاهد ابدا تزيد وتكثر
فاذوب من حرقي ووجهك جنتي * واموت من ظمئي وريقك كوثر

فصار بدر الدين يلقم عجيبا ساعة ويلقم الطواشي ساعة وكب على ايديهما الماء حتى غسلا وحمل
فوطة حرير من وسطه فمسح ايديهم بها ورش عليهما ماء الورد من تحقم كان عنده وخرج من الدكان
ثم عاد بقلتين من شربات ممزوجة بماء الورد المسك وقدمها بين ايديهما وقال تمما احسانكما فاخذ
عجيب وشرب وناول الخادم ولم يزالا يشربان حتى امتلأت بطونهما وشبعا شبعا على خلاف عادتهما ثم
انصرفا واسرعا في مشيهما حتى وصلا الى خيامهما ودخل عجيب على جدته ام والده حسن بدر الدين

فقبلته وتذكرت ولدها بدر الدين فتنهدت وبكت ثم انها انشدت هذين البيتين

لو لم ارجى بان الشمل يجتمع * ما كان لى فى حياتى بعدكم طمع

اقسمت ما فى فؤادى غير حبكم * والله ربى على الاسرار مطلع

ثم قالت لعجيب يا ولدى اين كنت قال فى مدينة دمشق فعند ذلك قامت وقدمت له زبدية طعام من حب الرمان وكان قليل الحلاوة وقالت الخادم اقعد مع سيدك فقال الخادم فى نفسه والله ما لنا شهية فى الاكل ثم جلس الخادم واما عجيب فانه لما جلس كان بطنه ممتلئا بما اكل وشرب فاخذ لقمة ونمسها فى حب الرمان واكلها فوجده قليل الحلاوة لانه كان شبعانا فتضجر وقال اى شئ هذا الطعام الوحش فقالت جدته يا ولدى اتعيب طبيخى وانا طبختة ولا احد يحسن الطبيخ مثلى الا والدك حسن بدر الدين فقال عجيب والله يا سيدتى ان طبيخك هذا غير متقن نحن فى هذه الساعة رأينا فى المدينة طباخا طبخ حب الرمان ولكن رائحته ينفتح لها القلب واما طعامه فانه يشهى نفس المتخوم ان تأكل واما طعامك بالنسبة اليه فانه لا يساوى كثيرا ولا قليلا فلما سمعت جدته كلامه اغتاظت غيظا شديدا ونظرت الى الخادم وادرلك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان جدة عجيب لما سمعت كلامه اغتاظت ونظرت الى الخادم وقالت له ويلك هل انت افسدت ولدى لانك دخلت به الى دكاكين الطباخين خاف الطواشى وانكر وقال ما دخلنا الدكان ولكن جزنا جوازا فقال عجيب والله الا دخلنا واكلنا وهو احسن من طعامك فقامت جدته واخبرت اخا زوجها واغرته على الخادم فحضر الخادم قدام الوزير فقال له لم دخلت بولدى دكان الطباخ فخاف الخادم وقال ما دخلنا فقال عجيب بل دخلنا واكلنا من حب الرمان حتى شبعنا واسقانا الطباخ شرابا بثلج وسكر فازداد غضب الوزير على الخادم وسأله فانكر فقال له الوزير ان كان كلامك صحيحا فاقعد وكل قدامنا فعند ذلك تقدم الخادم واراد ان يأكل فلم يقدر ورمى اللقمة وقال ياسيدى انى شبعان من البارحة فعرف الوزير انه اكل عند الطباخ فامر الجوارى ان يطرحنه فطرحنه ونزل عليه بالضرب الوجيع فاستغاث وقال ياسيدى انى شبعان من البارحة ثم منع عنه الضرب وقال له انطق بالحق فقال اعلم انك دخلنا دكان الطباخ وهو يطبخ حب الرمان فعرف لنا منه والله ما اكلت عمرى مثله ولا اطيب من هذا الذى قدامنا فغضبت ام حسن بدر الدين وقالت لابد ان تذهب الى هذا الطباخ وتجيئ لنا بزبدية حب رمان من الذى عنده وتريه لسيدك حتى يقول ايهما احسن واطيب فقال الخادم نعم فى الحال اعطته زبدية ونصف دينار فمضى الخادم حتى وصل الى الدكان وقال للطباخ نحن تراهنا على طعامك فى بيت سيدنا لان هنالك حب رمان طبخه اهل البيت فهات لنا بهذا النصف دينار وادرباللك فى طبهه واتقنه فقد اكلنا الضرب الموجع على طبخك فضحك حسن بدر الدين وقال والله ان هذا الطعام لا يحسنه احد الا انا ووالدتى وهى الان فى بلاد بعيدة ثم انه غرف الزبدية واخذها وختمها بالمسك وماء الورد فاخذها الخادم واسرع بها حتى وصل اليهم فاخذتها والدة حسن وذاقتها ونظرت حسن طعمها وجودته فعرفت طباخها فصرخت ثم وقعت مغشيا عليها فبهت الوزير من ذلك ثم رشوا عليها ماء الورد وبعد ساعة افاقت وقالت ان كان ولدى فى الدنيا فطبخ حب الرمان هذا الا هو وهو ولدى

حسن بدر الدين لاشك فيه ولا محالة لان هذا طعامه وما احد يطبخه غيره الا انا لانى علمته طبيخه فلما سمع الوزير كلامها فرح فرحا شديدا وقال واشوقاه الى رؤية ابن اخى اترى تجمع الايام شملنا به وما نطلب الاجتماع به الا من الله تعالى ثم ان الوزير قام من وقته وساعته وصاح على الرجال الذين معه وقال يمضى منكم عشرون رجلا الى دكان الطباخ ويهدمونها ويكتفونه بعمامته ويجرونه غصبا الى مكانى من غير ايذاء يحصل له فقالوا نعم ثم ان الوزير ركب من وقته الى دار السعادة واجتمع بنائب دمشق واطلعه على الكتب التى معه من السلطان فوضعها على رأسه بعد تقبيلها وقال ومن هو غريمك قال رجل طباخ ففى الحال امر حجابه ان يذهبوا الى دكانه فذهبوا فرأوها مهدومة وكل شئ فيها مكسور لانه لما توجه الى دار السعادة فعلت جماعته ما امرهم به وصاروا منتظرين مجئ الوزير من دار السعادة وحسن بدر الدين يقول فى نفسه يا ترى اى شئ رأوا فى حب الرمان حتى صار لى هذا الامر فلما حضر الوزير من عند نائب دمشق وقد اذن له فى اخذ غريمه وسفره به فلما دخل الخيام طلب الطباخ فاحضروه مكتفا بعمامته فلما نظر حسن بدر الدين الى عمه بكى بكاء شديدا وقال يا مولاى ماذنبى عندكم فقال له انت الذى طبخت حب الرمان قال نعم فهل وجدتم فيه شيأ يوجب ضرب الرقبة فقال له الوزير هذا اقل جزائك فقال له يا سيدى اما تو قفنى على ذنبى فقال له الوزير نعم فى هذه الساعة ثم ان الوزير صرخ على الغلمان وقال هاتوا الجمال واخذوا حسن بدر الدين معهم وادخلوه فى صندوق وقفلوا عليه وساروا ولم يزالوا سائرين الى ان اقبل الليل فحطوا واكلوا شيأ من الطعام واخرجوا بدر الدين فاطعموه واعادوه الى الصندوق ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا الى مكان فاخرجوا حسن بدر الدين من الصندوق وقال له هل انت الذى طبخت حب الرمان قال نعم يا سيدى فقال الوزير قيدوه فقيدوه واعادوه الى الصندوق وساروا الى ان وصلوا الى مصر وقد نزلوا فى الزبدانية فامر باخراج حسن بدر الدين من الصندوق وامر باحضار نجار وقال اصنع لهذا لعبة خشب فقال حسن بدر الدين وما تصنع بها فقال اصلبك عليها وامرك فيها ثم ادور بك المدينة كلها فقال على اى شئ تفعل بى ذلك فقال الوزير على عدم اتقان طبيخك حب الرمان كيف طبختيه وهو ناقص فلفلا فقال له وهل لكونه ناقص فلفلا تصنع معى هذا كله اما كفاك حبسى وكل يوم تطعمونى اكلة واحدة فقال له الوزير من اجل كونه ناقص فلفل ما جزاؤك الا القتل فتعجب بدر الدين وحزن على روحه وصار يتفكر فى نفسه فقال له الوزير فى اى شئ تتفكر فقال له فى العقول السخيفة التى مثل عقلك فانه لو كان عندك عقل ما كنت فعلت معى هذه الفعال لاجل نقص الفلفل فقال له الوزير يجب علينا ان نؤذيك حتى لا تعود لمثله فقال حسن بدر الدين ان الذى فعلته معى اقل شئ فيه اذيتى فقال له لابد من صلبك وكل هذا والنجار يصلح الخشب وهو ينظر اليه ولم يزالوا كذلك الى ان اقبل الليل فاخذه عمه ووضعه فى الصندوق وقال فى غد يكون صلبك ثم صبر عليه حتى عرف انه نام فقام وركب واخذ الصندوق قدامه ودخل المدينة وسار الى ان دخل بيته ثم قال لابنته ست الحسن الحمد لله الذى جمع شملك بابن عمك قومى وافرشى البيت مثل فرشه ليلة الجلا فامرت الجوارى بذلك فقمن واوقدن الشمع وقد اخرج الوزير الورقة التى كتب فيها امتعة البيت ثم قرأها وامر ان يضعوا كل شئ فى مكانه حتى ان الراى اذا رأى ذلك لا يشك فى انها ليلة الجلاء بعينها ثم ان الوزير امر ان يحط عمامة بدر الدين فى مكانها الذى حطها فيه بيده وكذلك السروال والكيس الذى تحت الطراحة ثم ان الوزير امر ابنته ان تقف نفسها كما كانت ليلة الجلا وتدخل المخدع وقال لها اذا دخل عليك ابن عمك فقولى له قد ابطأت

على فى دخولك بيت الخلاء ودعه يبيت عندك وتحدثى معه الى النهار وكتب هذا التاريخ ثم ان الوزير
اخرج بدر الدين من الصندوق بعد ان فك القيد من رجليه وقلع ما عليه من الثياب وصار بقميص النوم
وهو رفيع من غير سروال كل هذا وهو نائم لا يعلم بذلك ثم انتبه بدر الدين من النوم فوجد نفسه فى دهليز
غير فقال فى نفسه هل انا فى اضغاث الاحلام او فى اليقظة ثم قام بدر الدين يمشى قليلا الى باب ثان ونظر
واذا هو فى البيت الذى انجلت فيه العروسة ورأى الخدع والسرور رأى عمامته وحوايجه فلما نظر ذلك
بهت وصار يقدم رجلا ويؤخر رجلا وقال فى نفسه هل هذا فى المنام او فى اليقظة وصار يمسح جبينه
ويقول وهو متعجب والله ان هذا مكان العروسة التى انجلت فيه على فانى انا قد كنت فى صندوق فبينما
هو يخاطب نفسه واذا بست الحسن رفعت طرف الناموسية وقالت له يا سيدى اما تدخل فانك ابطأت
عنى فى بيت الخلاء فلما سمع كلامها ونظر الى وجهها ضحك وقال ان هذا اضغاث احلام ثم دخل وتنهد
وتفكر فيما جرى له وتحير فى امره واشكلت عليه قضيته ولما رأى عمامته وسرواله والكيس الذى فيه الالف
دينار قال الله اعلم انى فى اضغاث احلام وصار من فرط التعجب متحيرا فعند ذلك قالت له ست الحسن
مالى اراك متعجبا متحيرا ما كنت هكذا فى اول الليل فضحك وقال كم عام لى غائبا عنك فقالت له سلامتك اسم
الله حوالينك انت انما خرجت الى الكنيف لتقضى حاجة وترجع فاى شئ جرى فى عقلك فلما سمع بدر الدين
ذلك ضحك وقال لها صدقت ولكننى لما خرجت من عندك غلبنى النوم فى بيت الراحة فحلمت انى كنت
طباخا فى دمشق واقمت بها عشر سنين وكانه جانى صغير من اولاد الاكابر ومعه خادم وحصل من
امره كذا وكذا ثم ان حسن بدر الدين مسح يده على جبينه فرأى اثر الضرب عليه فقال والله يا سيدتى
كانه حق لانه ضربنى على جبينى فشجه فكانه فى اليقظة ثم قال لعل هذا المنام حصل حين تعانقت انا
وانت ونمنا فرأيت فى المنام كانى سافرت الى دمشق بلا طربوش ولا عمامة ولا سروال وعملت طباخا
ثم بهت ساعة وقال والله كانى رأيت انى طبخت حب رمان وفلفله قليل والله ما كانى الا نمت فى بيت
الراحة فرأيت هذا كله فى المنام فقالت له ست الحسن بالله عليك اى شئ رأيته زيادة على ذلك فحكى لها
جميع ما رأه ثم قال والله لولا انى انتبهت لكانوا صلبونى على لعبة خشب فقالت له على اى شئ فقال على قلة
الفلفل فى حب الرمان ورأيت كانهم اخربوا دكانى وكسروا مواعينى وحطونى فى صندوق وجاؤا بالنجار
ليصنع لى لعبة من خشب لانهم ارادوا صلبى عليها فالحمد لله الذى جعل لى ذلك كله فى المنام ولم يجعله
فى اليقظة فضحكت ست الحسن وضمته الى صدرها وضمها الى صدره ثم تذكر وقال والله ما كانه
الا فى اليقظة فانا ما عرفت اى شئ الخبر ولا حقيقة الحال ثم انه نام وهو متحير فى امره فتارة يقول رأيته
فى المنام وتارة يقول رأيته فى اليقظة ولم نزل كذلك الى الصباح ثم دخل عليه عمه الوزير شمس الدين فسلم
عليه فنظر له حسن بدر الدين وقال بالله عليك اما انت الذى امرت بتكتيفى وتسميرى كانى من شأن الحلب
الرمان لكونه قليل الفلفل فعند ذلك قال له الوزير اعلم يا ولدى انه ظهر الحق وبان ما كان مختفيا انت ابن
اخى وما فعلت ذلك حتى تحققت انك الذى دخلت على بنتى تلك الليلة وما تحققت ذلك حتى رأيتك عرفت
البيت وعرفت عمامتك وسروالك وذهبك والورقتين التى كتبتها بخطك والتى كتبها والدك اخى فانى
ما رأيتك قبل ذلك وما كنت اعرفك واما امك فانى جئت بها معى من البصرة ثم رمى نفسه عليه وبكى فلما
سمع حسن بدر الدين كلام عمه تعجب غاية العجب وعانق عمه وبكى من شدة الفرح ثم قال له الوزير يا ولدى
ان سبب ذلك كله ما جرى بينى وبين والدك وحكى له جميع ما جرى بينه وبين اخيه واخبره بسبب سفر والده

الى البصرة ثم ان الوزير ارسل الى بحيب فلما رأه والده قال هذا هو الذى ضربنى بالحجر فقال الوزير هذا ولدك فعند ذلك رمى نفسه عليه وانشد هذه الابيات

واقد بكيت على تفرق شملنا * زمنا وفاض الدمع من اجفانى
ونذرت ان جمع المهيمن شملنا * ما عدت اذكر فرقة بلسانى
هجم السرور على حتى انه * من فرط ما قد سرنى ابكانى

فلما فرغ من شعره التفتت اليه والدته والقت روحها عليه وانشدت هذين البيتين

الدهر اقسم لا يزال مكدرى * حنثت يمينك يا زمان فكفرى
السعد وافى والحبيب مساعدى * فانهض الى داعى السرور وشمرى

ثم ان والدته حكت له جميع ما وقع لها بعده وحكى لها جميع ما قاساه فشكروا الله على جمع شملهم ببعضهم ثم ان الوزير طلع الى السلطان واخبره بما جرى له فتعجب وامر ان يؤرخ ذلك فى السجلات ليكون حكاية على ممر الاوقات ثم ان الوزير اقام مع ابن اخيه وبنته وابنها وزوجة اخيه فى الذ عيش الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات وهذا يا امير المؤمنين ما جرى للوزير شمس الدين واخيه نور الدين فقال الخليفة هارون الرشيد والله ان هذا الشئ عجاب ووهب للشاب سرية من عنده ورتب له ما يعيش به وصار ممن ينادمه ثم ان البنت قالت وما هذا باعجب من حكاية الخياط والاحدب واليهودى والمباشر والنصرانى فيما وقع لهم قال الملك وما حكايتهم قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه كان فى قديم الزمان وسالف الدهر والاوان فى مدينة الصين رجل خياط مبسوط الرزق يحب اللهو والطرب وكان يخرج هو وزوجته فى بعض الاحيان يتفرجان على غرائب المتنزهات فخرجا يوما من اول النهار ورجعا اخره الى منزلهما عند المساء فوجدا فى طريقهما رجلا احدب رؤيته تفعل الغضبان وتزيل الهم والاحزان فعند ذلك تقدم الخياط هو وزوجته يتفرجان عليه ثم انهما عزما عليه ان يروح معهما الى بيتهما ليناد مهما تلك الليلة فاجابهما الى ذلك ومشى معهما الى البيت فخرج الخياط الى السوق وكان الليل قد اقبل فاشترى سمكا مقليا وخبزا وليمونا وحلاوة يتحلون بها ثم رجع وحط السمك قدام الاحدب وجلسوا يأكلون فاخذت امرأة الخياط جزلة سمك كبيرة والقمتها للاحدب وسدت فمه بكفها وقالت والله ما تأكلها الا دفعة واحدة فى نفس واحد ولا امهلك حتى تمضغها فابتلعها وكان فيها شوكة قوية فتصلبت فى حلقه لاجل انقضاء اجله فمات وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان امرأة الخياط لما لقمت الاحدب الجزلة السمك مات لانقضاء اجله فى وقته فقال الخياط لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم هذا المسكين ما كان موته الا هكذا على ايدينا فقالت المرأة وما هذا التوانى اما سمعت قول الشاعر

مالى اعلل نفسى بالمحال على * امر يكون به هم واحزان
ماذا القعود على نار وما خمدت * ان القعود على النيران خسران

فقال لها زوجها وما افعل قالت له قم واحمله فى حضنك وانشر عليه فوطة حرير واخرج انا قدامك وانت وراى فى هذه الليلة وقل هذا ولدى وهذه امه ومرادنا ان نؤديه الى الطبيب ليداويه فلما سمع الخياط هذا

الكلام قام وحمل الاحدب فى حضنه وزوجته تقول ياولدى سلامتك اين محل وجعك وهذا الجدرى كان لك فى اى مكان فكل من رأهما يقول معهما طفل مصاب بالجدرى ولم يزالا سائرين وهما يسألان عن منزل الطبيب حتى دلوهما على بيت طبيب يهودى فقرعا الباب فنزلت لهما جارية سوداء وفتحت الباب ونظرت واذا بانسان حامل صغير وامه معه فقالت الجارية ما خبركم فقالت امرأة الخياط معنا صغير مرادنا ان ينظره الطبيب فخذى هذا الربع دينار واعطيه لسيدك ودعيه ينزل ليرى ولدى فقد لحقه ضعف فطلعت الجارية ودخلت زوجة الخياط داخل العتبة وقالت لزوجها دع الاحدب هنا ونفوز بانفسنا فاوقفه الخياط واسنده الى الحائط وخرج هو وزوجته واما الجارية فانها دخلت على اليهودى وقالت له فى اسفل البيت ضعيف مع امرأة ورجل وقد اعطيانى ربع دينار لك وتصف لهما ما يوافقه فلما رأى اليهودى الربع دينار فرح وقام عاجلا ونزل فى الظلام فاول ما نزل عثرت رجله فى الاحدب وهو ميت فقال باللعزير يا للمولى والعشر كلمات بالهارون ويوشع بن نون كانى عثرت فى هذا المريض فوقع الى اسفل فمات فكيف اخرج بقتيل من بيتى فحمله وطلع به من حوش البيت الى زوجته واعلمها بذلك فقالت له وما قعودك ههنا فان قعدت هنا الى طلوع النهار راحت ارواحنا فانا وانت نطلع به السطح ونرميه فى بيت جارنا المسلم فانه رجل مباشر على مطبخ السلطان وكثيرا ما تأتى القطط فى بيته وتأكل مما فيه من الاطعمة والفيران وان استمر فيه ليلة تنزل عليه الكلاب من السطوح وتأكله جميعه فطلع اليهودى وزوجته وهما حاملان الاحدب وانزلاه بيديه ورجليه الى الارض وجعلاه ملاصقا للحائط ثم نزلا وانصرفا ولم يستمر نزول الاحدب الا والمباشر قد جاء الى البيت وفتحه وطلع البيت ومعه شمعة مضيئة فوجد ابن ادم واقفا فى الزاوية فى جانب المطبخ فقال ذلك المباشر ما هذا والله ان الذى يسرق حوايجنا ما هو الا ابن ادم فيأخذ ما وجده من لحم اودهن ولوخبانه من القطط والكلاب وان قتلت قطط الحارة وكلابها جميعا لا يفيد لانه ينزل من السطوح ثم اخذ مطرقة عظيمة ووكزه بها فصار عنده ثم ضربه بها على صدره فوقع فوجده ميتا فحزن وقال لا حول ولا قوة الا بالله وخاف على نفسه وقال لعن الله الدهن واللعم وهذه الليلة كيف فرغت منية ذلك الرجل على يدى ثم نظر اليه فاذا هو احدب فقال اما يكفى انك احدب حتى تكون حراميا وتسرق اللعم والدهن ياستار استرنى بسترك الجميل ثم حمله على اكتافه ونزل به من بيته فى اخر الليل ومازال سائرا به الى اول السوق فاوقفه بجانب دكان فى رأس عطفة وتركه وانصرف واذا بنصرانى وهو سمسار السلطان وكان سكران خرج يريد الحمام فقال له سكران المسيح قريب فمازال يمشى ويتمايل حتى قرب من الاحدب وجعل يريق الماء فمال له فلاحت منه التفاتة فوجد واحدا واقفا وكان النصرانى قد خطفوا عمامته فى اول الليل فلما رأى الاحدب واقفا اعتقد انه يريد خطف عمامته فطبق كفه ولكم الاحدب على رقبته فوقع فى الارض وصاح النصرانى على حارس السوق ثم نزل على الاحدب من شدة سكره ضربا وصار يخنقه خنقا فجاء الحارس فوجد النصرانى بارکا على المسلم وهو يضربه فقال الحارس قم عنه فقام فتقدم اليه الحارس فوجده ميتا فقال كيف يقتل النصرانى مسلما ثم قبض على النصرانى وكتفه وجاء به الى بيت الوالى والنصرانى يقول فى نفسه يا مسيح يا عذراء كيف قتلت هذا وما اسرع ما مات فى لكمة قد راحت السكرة وجاءت الفكرة ثم ان الاحدب والنصرانى باتا فى بيت الوالى وامر الوالى السياف ان ينادى عليه ونصب للنصرانى خشبة واوقفه تحتها وجاء السياف ورمى فى رقبة النصرانى الحبل واراد ان يعلقه واذا بالمباشر قد شق فرأى النصرانى وهو واقف تحت المشنقة

فسمع الناس وقال للسياف لاتفعل انا الذى قتلته فقال له الوالى لاى شئ قتلته قال انى دخلت الليلة بيتى
فرأيته نزل من السطح وسرق مصاغى فضربته بطرقة على صدره فمات فحملته وجئت به الى السوق
واوقفته فى موضع كذا فى عطفة كذا ثم قال المباشر ما كفانى انى قتلت مسلما حتى يقتل بسببى نصرانى
فلا تشنق غيرى فلما سمع الوالى كلام المباشر اطلق النصرانى السمسار وقال للسياف اشنق هذا باعترافه
فاخذ الحبل من رقبة النصرانى ووضعه فى رقبة المباشر واوقفه تحت الخشبة واراد ان يعلقه واذا
باليهودى الطبيب قد شق الناس وصاح على السياف وقال له لاتفعل فما قتله الا انا وذلك انه جاء فى
فى بيتى ليتداوى فنزلت اليه فعثرت فيه فرجلى فمات فلا تقتل المباشر واقتلنى فامر الوالى بقتل
اليهودى الطبيب فاخذ السياف الحبل من رقبة المباشر ووضعه فى رقبة اليهودى الطبيب واذا بالخياط
جاء وشق الناس وقال للسياف لاتفعل فما قتله الا انا وذلك انى كنت بالنهار اتفرج وجئت وقت العشاء
فلقيت هذا الاحدب سكران ومعه دف وهو يغنى بفرحة فوقفت اتفرج عليه وجئت به الى بيتى
واشتريت سمكا وقعدنا نأكل فاخذت زوجتى قطعة سمك واقمة ودستها فى فمه فزورفمات لوقته
فاخذته انا وزوجتى وجئنا به لبيت اليهودى فنزلت الجارية وفتحت لنا الباب فقلت لها قولى لسيدك ان
بالباب امرأة ورجلا ومعهما مضعيف تعال انظره وصف له دواء واعطيتها ربع دينار فطلعت لسيدها
واسندت الاحدب الى جهة السلم ومضيت انا وزوجتى فنزل اليهودى فعثر فيه فظن انه قتله ثم قال الخياط
لليهودى الصحيح هذا قال نعم والتفت الخياط للوالى وقال له اطلق اليهودى واشنقنى فلما سمع الوالى كلامه
تعجب من امر الاحدب وقال ان هذا امر يؤرخ فى الكتب ثم قال للسياف اطلق اليهودى واشنق الخياط
باعترافه فقدمه السياف وقال هل تقدم هذا وتؤخر هذا ولا تشنق واحدا ثم وضع الحبل فى رقبة الخياط
فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر الاحدب فقيل انه كان مسخرة للسلطان وكان السلطان
لا يقدر ان يفارقه فلما سكر الاحدب غاب عنه تلك الليلة وثانى يوم الى نصف النهار فسأل عنه بعض
الحاضرين فقالوا له يا مولانا طلع به الوالى وهو ميت وامر بشنق قاتله فنزل الوالى ليشنق القاتل فحضر له
ثان وثالث وكل يقول ما قتله الا انا وكل واحد يذكر للوالى سبب قتله فلما سمع الملك هذا الكلام صرخ على
الحاجب وقال له انزل الى الوالى واتنى بهم جميعا فنزل الحاجب فوجد السياف كاد ان يقتل الخياط
فصرخ عليه الحاجب وقال لا تفعل واعلم الوالى ان القضية بلغت الملك ثم اخذه واخذ الاحدب معه محمولا
والخياط واليهودى والنصرانى والمباشر وطلع بالجميع الى الملك فلما تمثل الوالى بين يديه قبل الارض
وحكى له جميع ما جرى من الجميع وليس فى الاعادة افادة فلما سمع الملك هذه الحكاية تعجب واخذه الطرب
وامر ان يكتب ذلك بماء الذهب وقال للحاضرين هل سمعتم مثل قصة هذا الاحدب فعند ذلك تقدم
النصرانى وقال يا ملك الزمان ان اذنت لى حدثتك بشئ جرى لى وهو اعجب واغرب واطرب من قصة
الاحدب فقال الملك حدثنا بما عندك فقال النصرانى اعلم يا ملك الزمان انى لما دخلت تلك الديار اتيت
بمتجر واوقفنى المقدور عندكم وكان مولدى بمصر وانا من قبطها وتربيت بها وكان والدى سمسارا فلما بلغت
مبلغ الرجال توفى والدى فعملت سمسارا مكانه فبينما انا قاعد يوما من الايام واذا بشاب احسن ما يكون
وعليه الخز ملبوس وهو راكب حمارا فلما رأنى سلم على فقمت اليه تعظيما له فاخرج منديلا وفيه قدر من
السمسم وقال كم يساوى الاردب من هذا فقلت له مائة درهم فقال لى خذ التراسين والكيالين واعمد الى خان
الجوالى فى باب النصر تجدنى فيه وتركنى ومضى واعطانى السمسم بمنديله الذى فيه العينة فدرت على

المشترين فبلغ ثمن كل اردب مائة وعشرين درهما فاخذت معي اربعة تراسين ومضيت اليه فوجدته في انتظاري فلما رأني قام الى المخزن وفتحه فكيلناه فجاء جميع ما فيه خمسين اردبا فقال الشاب لك في كل اردب عشرة دراهم سمسرة واقبض الثمن واحفظه عندك وقدر الثمن خمسة الاف لك منها خمسمائة وبقي لي اربعة الاف وخمسمائة فاذا فرغ بيع حواصلي جئت اليك واخذتها فقلت له الامر كما تريد ثم قبلت يديه ومضيت من عنده فحصل لي في ذلك اليوم الف درهم وغاب عني شهرا ثم جاء وقال لي اين الدراهم فقلت ها هي حاضرة فقال احفظها حتى اجيء اليك فآخذها فقعدت انتظره فغاب عني شهرا ثم جاء وقال لي اين الدراهم فقمت وسلمت عليه وقلت له هل لك ان تاكل عندنا شيأ فابى وقال لي احفظ الدراهم حتى امضي واجيء فآخذها منك ثم ولى فقمت واحضرت له الدراهم وقعدت انتظره فغاب عني شهرا ثم جاء وقال بعد هذا اليوم آخذها منك ثم ولى فقمت واحضرت له الدراهم وقعدت انتظره فغاب عني شهرا فقلت في نفسي ان هذا الشاب كامل السماحة ثم بعد الشهر جاء وعليه ثياب فاخرة وهو كالقمر ليلة البدر وكانه قد خرج من الحمام ووجهه كالقمر وهو يخد احمر وجبين ازهر وشامة كانها قرص عنبر وفي مثل ذلك قال الشاعر

البدر والشمس في برج قد اجتمعا * في غاية الحسن والاقبال قد طلعا
وزاد حسنهما للناظرين هوى * فيا له عند ما داعي السرور دعا
في الحسن والظرف قد زادا وقد كملا * اليهما الروح راحت والفؤاد سعى
تبارك الله مخلوقاته عجب * ما شاء رب العلا في خلقه صنعا

فلما رأيته قبلت يديه ودعوت له وقلت له ياسيدي اما تقبض دراهمك فقال مهلا علي حتى افرغ من قضاء مصالحي وآخذها منك ثم ولى فقلت في نفسي والله اذا جاء لاضيفنه لكوني انتفعت بدراهمه وحصل لي منها مال كثير فلما كان اخر السنة جاء وعليه بدلة اخر من الاولى فحلفت عليه ان ينزل عندي ويضيفني فقال لي بشرط ان ما تنفقه من مالي الذي عندك قلت نعم واجلسته ونزلت هيأت ما ينبغي من الاطعمة والاشربة وغير ذلك واحضرته بين يديه وقلت له بسم الله فتقدم الى المائدة ومد يده الشمال واكل معي فتعجبت منه فلما فرغنا غسل يده وناولته ما يمسحها به وجلسنا للحديث فقلت ياسيدي فرج عني كربة لاي شيء اكلت بيدك الشمال لعل في يدك شيأ يؤلمك فلما سمع كلامي انشد هذين البيتين

خليلي لا تسال على ما بي بجتي * من اللوعة الحرا فتظهر اسقام
وما عن رضى فارقت سلمى معوضا * بديلا ولكن للضرورة احكام

ثم اخرج يده من كمه واذا هي مقطوعة زندا بلا كف فتعجبت من ذلك فقال لي لا تعجب ولا تقل في خاطرك اني اكلت معك بيدي الشمال بجحا ولكن اقطع يدي اليمين سبب من العجب فقلت له وما سبب ذلك فقال اعلم اني من بغداد ووالدي من اكابرها فلما بلغت مبلغ الرجال سمعت السياحين والمسافرين والتجار يتحدثون بالديار المصرية فبقي ذلك في خاطري حتى مات والدي فاخذت اموالا كثيرة وهيأت متجرا من قماش بغدادي وموصلي ونحو ذلك من البضائع النفيسة وحزمت ذلك وسافرت من بغداد وكتب الله السلامة لي حتى دخلت مدينتكم هذه ثم بكى وانشد هذه الابيات

قد يسلم الاكمه من حفرة * يقع فيها الباصر الناظر
ويسلم الجاهل من لفظة * يهلك فيها العالم الماهر

ويعسر المؤمن فى رزقه * ويرزق الكافر الفاجر
ما حيلة المرء ما فعله * هو الذى قدره القادر

فلما فرغ من شعره قال فدخلت مصر ونزلت القماش فى خان سرور وفككت احمالى وادخلتها واعطيت الخادم دراهم ليشترى لنا بها شيأ نأكله ونمت قليلا فلما قمت ذهبت بين القصرين ثم رجعت وبت ليلتى فلما اصبحت فتحت رزمة من القماش وقلت فى نفسى اقوم لاشق فى بعض الاسواق وانظر الحال واخذت بعض القماش وحملته لبعض غلمانى وسرت حتى وصلت قيسرية جرجس فاستقبانى السماسرة وكانوا علموا بمجيئى فاخذوا منى القماش ونادوا عليه فلم يبلغ ثمنه رأس ماله فقال لى شيخ الدلالين يا سيدى انا اعرف لك شيأ تستفيد به وهو ان تعمل مثل ما يعمل التجار فتبيع متجرك الى مدة معلومة بكاتب وشاهد وصيرفى وتأخذ ما تحصل من ذلك فى كل يوم خمس واثنين قدرا فتكسب الدراهم كل درهم اثنين وزيادة على ذلك تتفرج على مصر وتليها فقلت هذا رأى سديد فاخذت معى الدلالين وذهبت الى الخان فاخذوا القماش الى القيسريه فبعته الى التجار وكتبت عليهم وثيقة ودفعت الوثيقة الى الصيرفى واخذت عليه وثيقة بذلك ورجعت الى الخان واقمت اياما كل يوم افطر على قدح من الشراب واحضر اللحم الضانى والحلويات حتى دخل الشهر الذى استحقت فيه الجباية فبقيت كل يوم خمس واثنين اقعد على دكاكين التجار ويمضى الصيرفى والكاتب فيجيئان بالدراهم من التجار ويأتيانى بها الى ان دخلت الحمام يوما من الايام وخرجت الى الخان ودخلت موضعى وافطرت على قدح من الشراب ثم نمت وانتبهت فاكلت دجاجة وتعطرت وذهبت الى دكان رجل تاجر يقال له بدر الدين البستانى فلما رأنى رحب بى وتحدث معى ساعة فى دكانه فبينما نحن كذلك واذا بامرأة جاءت وقعدت جانبى وعليها عصابة مائلة وتفوح منها روايح الطيب فسلبت عقلى بحسنها وجمالها ورفعت الازار فنظرت الى احداق سود ثم سلمت على بدر الدين فرد عليها السلام ووقف وتحدث معها فلما سمعت كلامها تمكن حبها من قلبى فقالت لبدر الدين هل عندك تفصيلة من القماش المنسوج من خالص الذهب فاخرج لها تفصيلة فقالت للتاجر هل آخذها واذهب ثم ارسل اليك ثمنها فقال لها التاجر لا يمكن يا سيدتى لان هذا صاحب القماش وله على قسط فقالت ويلك ان عادتى ان آخذ منك كل قطعة قماش بجملة دراهم واربحك فيها فوق ما تريد ثم ارسل اليك ثمنها فقال نعم ولكنى مضطر الى الثمن فى هذا اليوم فاخذت التفصيلة ورمتها فى صدره وقالت ان طائفتكم لا تعرف لاحد قدرا ثم قامت مولية فظننت ان روحى راحت معها فقمت ووقفت وقلت لها يا سيدتى تصدقى على بالالتفات وارجعى بخطواتك الكريمة فرجعت وتبسمت وقالت لاجلك رجعت وقعدت قصادى على الدكان فقلت لبدر الدين هذه التفصيلة كم ثمنها عليك قال الف ومائة درهم فقلت له ولك مائة درهم فائدة فهات ورقة فاكتب لك فيها ثمنها فاخذت التفصيلة منه وكتبت له ورقة بخطى واعطيتها التفصيلة وقلت لها خذى انت وروحى وان شئت هاتى ثمنها الى فى السوق وان شئت هى ضيافتك منى فقالت جزاك الله خيرا ورزقك مالى وجعلك بعلى فتقبل الله الدعوة وقلت لها يا سيدتى اجعلى هذه التفصيلة لك ولك ايضا مثلها ودعينى انظر وجهك فكشفت القناع عن وجهها فلما نظرت وجهها انظرة اعقبتنى الف حسرة وتعلق قلبى بمحبتها فصرت لا املك عقلى ثم ارخت القناع واخذت التفصيلة وقالت يا سيدى لا توحشنى وقد ولت وقعدت فى السوق الى بعد العصر وانا غائب العقل وقد تحكم الحب عندى فمن شدة ما حصل لى من الحب سألت التاجر عنها حين اردت القيام فقال لى ان هذه صاحبة مال وهى

بنت امير مات والدها وخلف لها مالا كثيرا فودعته وانصرفت وجئت الى الخان فقدم الى العشاء فتذكرتها فلم آكل شيأ ونمت فلم يأتني نوم فسهرت الى الصباح ثم قمت فلبست بدلة غير التي كانت علي وشربت قدحا من الشراب وافطرت على شيء قليل وجئت الى دكان التاجر فسلمت عليه وجلست عنده فجاءت الصبية وعليها بدلة اخر من الاولى ومعها جارية فجلست وسلمت على دون بدر الدين وقالت لي بلسان فصيح ما سمعت اعذب ولا احلى منه ارسل معي من يقبض الالف والمائتين درهما ثمن التفصيلة فقلت لها ولاى شيء العجلة فقالت لا عدمناك ونلتني الثمن وقعدت اتحدث معها فاومأت اليها بالاشارة ففهمت اني اريد وصالها فقامت على عجل منها واستوحشت مني وقلبي متعلق بها وخرجت انا خارج السوق في اثرها واذا بجارية تتبعني وقالت ياسيدي كلم سيدتي فتعجبت وقلت ما يعرفني هنا احد فقالت الجارية ما اسرع ما نسيتها سيدتي التي كانت اليوم على دكان التاجر فلان فمشيت معها الى الصيارف فلما رأتني ازورتني لجانبها وقالت ياحبيبي وقعت بخاطري وتمكن حبك من قلبي ومن ساعة رأيتك لم يطب لي نوم ولا اكل ولا شرب فقلت لها عندي اضعاف ذلك والحال يغني عن الشكوى فقالت ياحبيبي اجيء عندك او تجيء عندي فقلت لها انا رجل غريب وما لي مكان يأويني الا الخان فان تصدقت علي بان اكون عندك يكمل الحظ قالت نعم لكن الليلة ليلة الجمعة ما فيها شيء الا ان كان في غد بعد الصلاة فصل واركب حمارك واسأل عن الحبانية فان وصلت فاسأل عن قاعة بركات النقيب المعروف بابي شامة فاني ساكنة هناك ولا تعطيني فاني في انتظارك ففرحت فرحا زائدا ثم افترقنا وجئت للخان الذي انا فيه وبت طول الليل سهرانا فلما صدقت ان الفجر لاح حتى قمت وغيرت ملبوسي وتعطرت وتطيبت واخذت معي خمسين دينارا في منديل ومشيت من خان مسرور الى باب زويلة فركبت حمارا وقلت لصاحبه امض بي الى الحبانية فمضى في اقل من لحظة فما اسرع ما وقف على درب يقال له درب المنقري فقلت له ادخل الدرب واسأل عن قاعة النقيب فغاب قليلا وقال انزل فقلت امشي قدامي الى القاعة فمشى حتى اوصلني الى المنزل فقلت له في غد تجيئني هنا وتوديني فقال الحمار بسم الله فناولته ربع دينار ذهبا فاخذه وانصرف فطرقت الباب فخرج لي بنتان صغيرتان بكران منهدتان كانهما قمران فقالتا ادخل ان سيدتنا في انتظارك لم تنم الليلة لولعها بك فدخلت قاعة معلقة بسبعة ابواب وفي دائرها شبابيك مطلة على بستان فيه من الفواكه جميع الالوان وبه انهار دافقة وطيور ناطقة وهي مبيضة بياضا سلطانيا يرى الانسان وجهه فيها وسقفها مقرنص بذهب وفي دائرها طرازات مكتوبة باللازورد قد حوت اوصافا حسنة واضاءت للناظرين وارضها مفروشة بالرخام المجزع وفي وسطها فسقية وفي اركان تلك الفسقية الدر والجوهر مفروشة بالبسط الحرير الملونة والمراتب فلما دخلت جلست وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب التاجر قال للنصراني فلما دخلت وجلست لم اشعر الا والصبية قد اقبلت وعليها تاج مكلل بالدر والجوهر وهي منقشة مكتبة فلما رأتني تبسمت في وجهي وحضنتني ووضعتني على صدرها وجعلت فمها على فمي وجعلت تمص لساني وانا كذلك وقالت اصحيح اتيت عندي ام هذا منام فقلت لها انا عبدك فقالت اهلا ومرحبا والله من يوم رأيتك ما الذ لي نوم ولا طاب لي طعام فقلت وانا كذلك ثم جلسنا نتحدث وانا مطرق برأسي الى الارض حياء ولم امكث الا قليلا حتى قدمت لي سفرة

من

من الخمر الالوان من محمر ومرقق ودجاج محشى فاكلت معها حتى اكتفينا ثم قدموا الى الطشت والابريق فغسلت يدى ثم تطيبنا بماء الورد الممسك وجلسنا نتحدث فانشدت هذين البيتين

لو علمنا قدومكم لفرشنا * مهجة القلب مع سواد العيون
ووضعنا خدودنا للقاكم * وجعلنا المسير فوق الجفون

وهى تشكو الى ما لاقت وانا اشكو اليها ما لاقيت وتمكن حبها عندى وهان على جميع المال ثم اخذنا نلعب ونتهارش مع العناق والتقبيل الى ان اقبل الليل فقدمت لنا الجوارى الطعام والمدام فاذا هى حضرة كاملة فشربنا الى نصف الليل ثم اضطجعنا وتمنا فمت معها الى الصباح فما رأيت عمرى مثل هذه الليلة فلما اصبح الصباح قمت ورميت لها تحت الفراش المنديل الذى فيه الدنانير وودعتها وخرجت فبكت وقالت يا سيدى متى ارى هذا الوجه المليح فقلت لها اكون عندك وقت العشاء فلما خرجت اصبت الحمار الذى جاء بى بالامس على الباب ينتظرنى فركبت معه حتى وصلت خان سرور فنزلت واعطيت الحمار نصف دينار وقلت له تعالى فى وقت الغروب قال على الرأس فدخلت الخان وافطرت ثم خرجت اطالب بثمن القماش ثم رجعت وقد عملت لها خروفا مشويا واخذت حلاوة ثم دعيت الجمال ووصفت له المحل واعطيته اجرته ورجعت فى اشغالى الى الغروب فجاء فى الحمار فاخذت خمسين دينارا وجعلتها فى منديل ودخلت فوجدتهم مسحوا الرخام وجلوا النحاس وعمروا القناديل واوقدوا الشموع وغرفوا الطعام وروقوا الشراب فلما رأتنى رمت بيديها على رقبتى وقالت اوحشتنى ثم قدمت الموائد فاكلنا حتى اكتفينا ورفعت الجوارى المائدة وقدمت المدام فلم نزل فى شراب ونقل وحفظ الى نصف الليل فمنا الى الصباح ثم قمت وناولتها الخمسين دينارا على العادة وخرجت من عندها فوجدت الحمار فركبت الى الخان فمكث ساعة ثم قمت جهزت العشاء فعملت جوزا ولوزا وتحتهم ارز مفلفل وعملت فلقاسا مقليا ونحو ذلك واخذت فاكهة ونقلا ومشموما وارسلتها وسرت الى البيت واخذت خمسين دينارا فى منديل وخرجت ركبت مع الحمار على العادة الى القاعة فدخلت ثم اكلنا وشربنا وتمنا الى الصباح ولما قمت رميت لها المنديل وركبت الى الخان على العادة ولم ازل على تلك الحالة مدة الى ان بت واصبحت لا املك درهما ولا دينارا فقلت فى نفسى هذا من فعل الشيطان وانشدت هذه الابيات

فقر الفتى يذهب انواره * كاصفرار الشمس عند المغيب
ان غاب لا يذكر بين الورى * وان اتى فعاله من نصيب
يمر فى الاسواق مستخفيا * وفى الفلا يبكى بدمع صبيب
والله ما الانسان فى اصله * اذا ابتلى بالفقر الا غريب

ثم تمشيت الى ان وصلت بين القصرين ولا زلت امشى حتى وصلت الى باب زويلة فوجدت الخلق فى ازدحام والباب منسدا من كثرة الخلق فرأيت بالامر المقدر جنديا فزاحمته بغير اختيارى فجاءت يدى على جيبه فجسسته فوجدت فيه صرة من داخل الجيب الذى يدى عليه فعمدت الى تلك الصرة فاخذتها من جيبه فحس الجندى بان جيبه خف فخط يده فى جيبه فلم يجد شيأ والتفت نحوى ورفع يده بالدبوس وضربنى على رأسى فسقطت الى الارض فاحتاط بنا الناس وامسكوا الجندى فرس الجندى وقالوا من اجل الزحمة تضرب هذا الشاب هذه الضربة فصرخ عليهم الجندى وقال هذا حرامى سارق فعند ذلك اشفقت ورأيت الناس يقولون هذا شاب مليح لم يأخذ شيأ فبعضهم يصدق وبعضهم يكذب

وكثر القيل والقال وجذبني الناس وارادوا خلاصي منه فبالامر المقدر جاء الوالي هو وبعض الحكام في هذا الوقت ودخلوا من الباب فوجدوا الخلق مجتمعين علي وعلى الجندي فقال الوالي ما الخبر فقال الجندي والله يا امير ان هذا حرامي وكان في جيبي كيس ازرق فيه عشرون دينارا فاخذه وانا في الزحام فقال الوالي للجندي هل كان معك احد فقال الجندي لا فصرخ الوالي على المقدم وقال امسكه وفتشه فامسكني وقد زال الستر عني فقال له الوالي اعره من جميع ما عليه فلما اعراني وجدوا الكيس في ثيابي فلما وجدوا الكيس اخذه الوالي وفتحه وعده فرأى فيه عشرين دينارا كما قال الجندي فغضب الوالي وصاح على اتباعه وقال قدموه فقدموني بين يديه فقال لي يا صبي قل الحق هل انت سرقت هذا الكيس فاطرقت برأسي الى الارض وقلت في نفسي ان قلت ما سرقته فقد اخرجه من ثيابي وان قلت سرقته وقعت في العناء فرفعت رأسي وقلت نعم اخذته فلما سمع مني الوالي هذا الكلام تعجب ودعا الشهود فحضروا وشهدوا على منطق هذا كله في باب زويلة فامر الوالي السياف بقطع يدي فقطع يدي اليمين فرق قلب الجندي وشفع في عدم قتلي وتركني الوالي ومضى وصارت الناس حولي وسقوني قدح شراب واما الجندي فانه اعطاني الكيس وقال انت شاب مليح ولا ينبغي ان تكون لصا فاخذته منه وانشدت هذه الابيات

والله ما كنت لصا يا اخا ثقة * ولم اكن سارقا يا احسن الناس
لكن رمتني صروف الدهر عن عجل * فزاد همي ووسواسي وافلاسي
وما رميت ولكن الاله رمى * سهما فطيّر تاج الملك عن راسي

فتركني الجندي وانصرف بعد ان اعطاني الكيس وانصرفت انا ولففت يدي في خرقة وادخلتها عبي وقد تغيرت حالتي واصفر لوني مما جرى لي فتمشيت الى القاعة وانا على غير استواء ورميت روحي على الفراش فنظرتني الصبية متغير اللون فقالت لي ما وجعك وما الى ارى حالتك تغيرت فقلت لها رأسي تعبني وما انا طيب فعند ذلك اغتاظت وتشوشت لاجلي وقالت لا تحرق قلبي يا سيدي اقعد وارفع رأسك وحدثني بما حصل لك اليوم فقد بان لي في وجهك كلام فقلت دعيني من الكلام فبكت وقالت كانك قد فرغ غرضك مني فما في ارالك على خلاف العادة فبكت وصارت تحدثني وانا لا اجيبها حتى اقبل الليل فقدمت لي الطعام فامتنعت وخشيت ان ترآني اكل بيدي الشمال فقلت لا اشتهي ان آكل في هذه الساعة فقالت حدثني بما جرى لك في هذا اليوم ولاي شيء ارالك مهموما مكسور الخاطر والقلب فقلت في هذه الساعة احدثك على مهلي فقدمت لي الشراب وقالت دونك فانه يزيل همك فلا بد ان تشرب وتحدثني بخبرك فقلت لها ان كان ولا بد فاسقيني بيدك فملأت القدح وشربته وملأته وناولتني اياه فتناولته منها بيدي الشمال وفرت الدمعة من جفني فانشدت هذه الابيات

اذا اراد الله امر الامرئ * وكان ذا عقل وسمع وبصر
اصم اذنيه واعمى قلبه * وسل منه عقله سل الشعر
حتى اذا انفذ فيه حكمه * رد اليه عقله ليعتبر

فلما فرغت من شعري تناولت القدح بيدي الشمال وبكيت فلما رأتني ابكي صرخت صرخة قوية وقالت ما سبب بكائك قد احرقت قلبي ومالك تناولت القدح بيدك الشمال فقلت لها ان بيدي حبة فقالت اخرجها حتى انفعها لك فقلت ما هو وقت نفعها الا تطيلي علي فما اخرجها في تلك الساعة ثم شربت القدح ولم تزل تسقيني حتى غلب السكر على فمت مكاني فابصرت يدي بلا كف ففتشتني فرأت معي الكيس الذي فيه

الذهب فدخل عليها من الحزن ما لا يدخل على احد ولازالت تتألم بسببي الى الصباح فلما افقت من النوم وجدتها هيأت لي مسلوقة وقدمتها فاذا هي اربعة طيور من الدجاج واسقتني قدح شراب فاكلت وشربت وحطيت الكيس واردت الخروج فقالت اين تروح فقلت الى مكان كذا لازيح بعض الهم عن قلبي فقالت لا ترح بل اجلس فجلست فقالت لي وهل بلغت محبتك اياي الى ان صرفت جميع مالك علي وعدمت كفك فاشهد لك علي والشاهد الله اني لا افارقك وسترى صحة قولي ولعل الله استجاب دعوتي بزواجك وارسلت خلف الشهود فحضروا فقالت لهم اكتبوا كابي على هذا الشاب واشهدوا الى قبضت المهر فكتبوا كابي عليها ثم قالت اشهدوا ان جميع مالي الذي في هذا الصندوق وجميع ما عندي من المماليك والجواري لهذا الشاب فشهدوا عليها وقبلت انا التمليك وانصرفوا بعد ما اخذوا الاجرة ثم اخذتني من يدي واوقفتني على خزانة وفتحت صندوقا كبيرا وقالت لي انظر هذا الذي في الصندوق فنظرت فاذا هو ملآن مناديل فقالت هذا مالك الذي اخذته منك فكلما اعطيتني منديلا فيه خمسون دينارا الفه وارميه في هذا الصندوق خذ مالك فقد رده الله عليك وانت اليوم عزيز فقد جرى عليك القضاء بسببي حتى عدمت يمينك وانا لا اقدر على مكافئتك ولو بذلت روحي لكان ذلك قليلا ولك الفضل ثم قالت لي تسلم مالك فقبلته ثم نقلت ما في صندوقها الى صندوقي وضممت مالها الى مالي الذي كنت اعطيتها اياه وفرح قلبي وزال همي فقمت قبلتها وسكرت معها فقالت لقد بذلت جميع مالك ويدك في محبتي فكيف اقدر على مكافئتك والله لو بذلت روحي في محبتك لكان ذلك قليلا وما اقوم بواجب حقك علي ثم انها كتبت لي جميع ما تملك من ثياب بدنها وصيغتها واملاكها بحجة وما نامت تلك الليلة الا مهمومة من اجلي حين حكيت لها ما وقع لي وبت معها ثم اقمنا على ذلك اقل من شهر وقوي بها الضعف وزاد بها المرض ولا مكثت غير خمسين يوما ثم صارت من اهل الاخرة فجهزتها ووارتها في التراب وعملت لها ختمات وتصدقت عليها بجملة من المال ثم نزلت من التربة فرأيت لها املاكا واملاكا وعقارات ومن جملة ذلك تلك المخازن السمسم التي بعت لك منها ذلك المخزن وما كان اشتغالي عنك هذه المدة الا لاني بعت بقية الحواصل والى الان لم افرغ من قبض الثمن فارجو منك انك لا تخالفني فيما اقوله لك لاني اكلت زادك فقد وهبتك ثمن السمسم الذي عندك فهذا سبب اكلي بيدي الشمال فقلت له لقد احسنت لي وتفضلت علي فقال لي لابد ان تسافر معي الى بلادي فاني اشتريت متجرا مصريا واسكندرانيا فهل لك مصاحبتي فقلت نعم وواعدته على رأس الشهر ثم بعت جميع ما املك واشتريت به متجرا وسافرت انا وذلك الشاب الى هذه البلاد التي هي بلادكم فباع الشاب متجره واشترى متجرا عوضه من بلادكم ومضى الى الديار المصرية فكان نصيبي في قعودي هذه الليلة حتى حصل ما حصل في غربتي فهذا يا ملك الزمان ما هو اعجب من حديث الاحدب فقال الملك لابد من شنقكم كلكم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ملك الصين لما قال لابد من شنقكم فعند ذلك تقدم المباشر الى ملك الصين وقال ان اذنت لي حكيت لك حكاية اتفقت لي في تلك المدة قبل ان اجد هذا الاحدب وان كانت اعجب من حديثه تهب لنا اروا حنا فقال الملك هات ما عندك فقال اعلم اني كنت الليلة الماضية عند جماعة

عملوا ختمة وجمعوا الفقهاء فلما قرأ المقربون وفرغوا مدوا السماط فمن جملة ما قدموا زرباجة فتقدمنا لنأكل من الزرباجة فتأخر واحد منا وامتنع من الاكل منها فحلفنا عليه فاقسم انه لا يأكل منها فشددنا عليه فقال لا تشددوا على فكفاني ما جرى من اكلها ثم انشد هذا البيت

اذا صديق نكرت جانبه * لم تعيني في فراقه الحيل

فلما فرغنا قلنا له بالله ما سبب استناعك من الاكل من هذه الزرباجة فقال لا اني لا آكل منها الا ان غسلت يدي اربعين مرة بالاشنان واربعين مرة بالسعد واربعين مرة بالصابون فجملتها مائة وعشرون مرة فعند ذلك امر صاحب الدعوة غلمانه فاتوا بالماء وبالذي طلبه فغسل يديه كما ذكر ثم تقدم وهو منكره وجلس ومد يده وهو مثل الخائف ووضع يده في الزرباجة وصار يأكل وهو متغصب ونحن نتعجب منه غاية التعجب ويده ترتعد فنصب ابهام يده فاذا هو مقطوع وهو يأكل باربعة اصابع فقلنا له بالله عليك ما لابهامك هكذا اهو خلقة الله ام اصابه حادث فقال يا اخواني ما هو هذا الابهام وحده ولكن ابهام الاخرى وكذلك رجلاي الاثنان ولكن انظروا ثم كشف ابهام يده الاخرى فوجدناها مثل اليمين وكذلك رجلاه بلا ابهامين فلما رأيناه كذلك ازددنا عجبا وقلنا له ما بقي لنا صبر على حديثك والاخبار سبب قطع ابهامي يديك وابهامي رجليك وسبب غسل يديك مائة وعشرين مرة فقال اعلموا ان والدي كان تاجرا من التجار الكبار وكان اكبر تجار مدينة بغداد في ايام الخليفة هارون الرشيد وكان مولعا بشرب الخمر وسماع العود فلما مات لم يترك شيأ فجهزته وقد عملت له ختمات وحزنت عليه اياما وليالي ثم فتحت دكانه فما وجدته خلف الا يسرا ووجدت عليه ديونا كثيرة فصعبت اصحاب الديون وطيبت خواطرهم وصرت ابيع واشتري من الجمعة الى الجمعة واعطي اصحاب الديون ولا زلت على هذه الحالة مدة الى ان وفيت الديون وزدت على رأس مالي فبينما انا جالس يوما من الايام اذ رأيت صبية لم تر عيني احسن منها عليها حلي وحلل فاخرة وهي راكبة بغلة وقدامها عبد ووراها عبد فاوقفت البغلة على رأس السوق ودخلت ودخل خلفها خادم وقال يا سيدتي اخرجي ولا تعلمي احدا فتطلق فينا النار ثم بجيها الخادم فلما نظرت الى دكاكين التجار لم تجد الخمر من دكاني فلما وصلت الى جهتي والخادم خلفها جلست على دكاني وسلمت على فما سمعت احسن من حديثها ولا اعذب من كلامها ثم كشفت عن وجهها فنظرتها نظرة اعقبتني حسرة وتعلق قلبي بمحبتها وجعلت اكرر النظر الى وجهها وانشدت هذين البيتين

قل للمليحة في الخمار الفاختي * الموت حقا من عذابك راحتي
جودي الي بزورة احيي بها * ها قد مددت الي نوالك راحتي

فلما سمعت انشادها اجابتني بهذه الابيات

عدمت فؤادي في الهوى ان سلاكم * فان فؤادي لا يحب سواكم
وان نظرت عيني الى غير حسنكم * فلا سرها بعد البعاد لقاكم
حلفت يمينا لست اسلي هواكم * وقلبي حزين مغرم بهواكم
سقاني الهوى كاسا من الحب صافيا * فيالينه لما سقاني سقاكم
خذوا رمقي حيث استقرت بكم نوى * واين حللتم فادفنوني حذاكم
وان تذكروا اسمي عند قبري يجيبكم * انين عظامي عند رفع نداكم

فلو قيل لى ماذا على الله تشتهى ✻ اقلت رضى الرحمن ثم رضاكم

فلما فرغت من شعرها قالت يا فتى اعندك تفاصيل ملاح فقلت ياسيدتى مملوكك فقير ولكن اصبرى حتى تفتح التجار دكاكينهم واجيئك بما تريدينه ثم تحدثت انا واياها وانا غارق فى بحر محبتها انه فى عشقها حتى فتحت التجار دكاكينهم فقمت واخذت لها جميع ما طلبته وكان ثمن ذلك خمسة الاف درهم وناولت الخادم جميع ذلك فاخذه الخادم وذهبا الى خارج السوق فقدموا لها البغلة فركبت ولم تذكرلى من اين هى واستحييت انى اذكر لها ذلك والتزمت الثمن للتجار وتكلفت غرامة خمسة الاف درهم وجئت البيت وانا سكران من محبتها فقدموا الى العشاء فاكلت لقمة وتذكرت حسنها وجمالها فاشغلنى عن الاكل واردت ان انام فلم يجئنى نوم ولم ازل على هذه الحالة اسبوعا وطالبنى التجار باموالهم فصبرتهم اسبوعا آخر فبعد الاسبوع اقبلت وهى راكبة البغلة ومعها خادم وعبدان فسلمت على وقالت ياسيدى ابطأنا عليك بثمن القماش فهات الصيرفى واقبض الثمن فجاء الصيرفى واخرج له الطوائى الثمن فقبضته وصرت اتحدث انا واياها الى ان عمر السوق وفتحت التجار فقالت خذلى كذا وكذا فاخذت لها من التجار ما ارادت واخذته ومضت ولم تخاطبنى فى ثمن فلما مضت ندمت على ذلك وكنت اخذت الذى طلبته بالف دينار فلما غابت عن عينى قلت فى نفسى اى شئ هذه المحبة اعطتنى خمسة الاف درهم واخذت شيأ بالف دينار فخفت الافلاس وضياع مال الناس وقلت ان التجار لم يعرفوا الا انها كانت هذه المرأة الا محتالة خدعتنى بحسنها وجمالها ورأتنى صغيرا فضحكت على ولم اسألها عن منزلها ولم ازل فى وسواس وطالت غيبتها اكثر من شهر فطالبنى التجار وشددوا على فعرضت عقارى للبيع واشرفت على الهلاك ثم قعدت وانا متفكر فلم اشعر الا وهى نازلة على باب السوق ودخلت على فلما رأيتها زالت الفكرة ونسيت ما كنت فيه واقبلت تحدثنى بحديثها الحسن ثم قالت هات الميزان وزن مالك فاعطتنى ثمن ما اخذته بزيادة ثم انبسطت معى فى الكلام فكدت ان اموت فرحا وسرورا حتى قالت لى هل انت لك زوجة فقلت لا انى لا اعرف امرأة ثم بكيت فقالت لى مالك تبكى فقلت من شئ خطر ببالى ثم انى اخذت بعض دنانيرها واعطيتها للغلام وسألته ان يتوسط فى الامر ففعل وقال هى عاشقة لك اكثر منك وما لها بالقماش حاجة وانما هو لاجل محبتها لك فخاطبها بما تريد فانها لا تخالفك فيما تقول فرأتنى وانا اعطى الخادم الدنانير فرجعت وجلست ثم قلت لها تصدقى على مملوك واسمعى له فيما يقول ثم حدثتها بما فى خاطرى فاعجبها ذلك واجابتنى وقالت هذا الخادم يأتى برسالتى واعمل انت بما يقوله لك الخادم ثم قامت ومضت وقمت سلمت التجار اموالهم وحصل لهم الربح الا انا فانها حين ذهبت حصل لى الندم من انقطاع خبرها عنى ولم انم طول ليلى فما كان الا ايام قلائل وجاء فى خادمها فاكرمته وسألته عنها فقال انها مريضة فقلت للخادم اشرح لى امرها قال ان هذه الصبية ربتها السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد وهى من جواريها وقد اشتهت على سيدتها الخروج والدخول فاذنت لها فى ذلك فصارت تخرج وتدخل حتى صارت قهرمانة ثم انها حدثت بك سيدتها وسألتها ان تزوجها بك فقالت سيدتها لا افعل حتى انظر هذا الشاب فان كان يشتهيك زوجتك به ونحن نريد فى هذه الساعة ان تدخل بك الدار فان دخلت الدار ولم يشعر بك احد وصلت الى تزويجك اياها وان انكشف امرك ضربت رقبتك فماذا تقول قلت نعم اروح معك واصبر على الامر الذى حدثتنى به فقال له الخادم اذا كانت هذه الليلة فامض الى المسجد الذى بنته السيدة زبيدة على

الدجلة فصلى فيه وبت هنالك فقلت حبا وكرامة فلما جاء وقت العشاء مضيت الى المسجد وصليت فيه وبت هنالك فلما كان وقت السحر رأيت الخادمين قد اقبلا فى زورق ومعهما صناديق فارغة فادخلوها فى المسجد وانصرفوا وتاخر واحد منهما فتأملته واذا هو الذى كان واسطة بينى وبينها فبعد ساعة صعدت الينا الجارية صاحبتى فلما اقبلت قمت اليها وعانقتها فقبلتنى وبكت وتحدثنا ساعة فاخذتنى ووضعتنى فى صندوق واغلقته على ولم اشعر الا وانا فى دار الخليفة وجاء والى بشئ كثير من الامتعة بحيث يساوى خمسين القدرهم ثم رأيت عشرين جارية اخرى وهن نهد ابكار وبينهن الست زبيدة وهى لم تقدر على المشى مما عليها من الحلى والحلل فلما اقبلت تفرقت الجوارى من حواليها فاتيت اليها وقبلت الارض بين يديها فاشارت لى بالجلوس فجلست بين يديها ثم شرعت تسألنى عن حالى وعن نسبى فاجبتها عن كل ما سألتنى عنه ففرحت وقالت والله ما خابت تربيتنا فى هذه الجارية ثم قالت لى اعلم ان هذه الجارية عندنا بمنزلة ولد الصلب وهى وديعة الله عندك فقبلت الارض قدامها ورضيت بزواجى اياها ثم امرتنى ان اقيم عندهم عشرة ايام فاقمت عندهم هذه المدة وانا لا ادرى من هى الجارية الا ان بعض الوصائف تاتينى بالغداء والعشاء لاجل الخدمة وبعد هذه المدة استأذنت السيدة زبيدة زوجها امير المؤمنين فى زواج جاريتها فاذن لها وامر لها بعشرة الاف دينار فارسلت السيدة زبيدة الى القاضى والشهود وكتبوا كتابى عليها وبعد ذلك عملوا الحلويات والاطعمة الفاخرة وفرقوا على سائر البيوت ومكثوا على هذا الحال عشرة ايام اخر وبعد العشرين يوما ادخلوا الجارية الحمام لاجل الدخول بها ثم انهم قدموا بسفرة فيها طعام ومن جملته خافقية زرباجة محشية بالسكر وعليها ماء ورد مسك وفيها اصناف الدجاج المحمرة وغيره من سائر الالوان مما يدهش العقول فوالله حين حضرت المائدة ما امهلت نفسى حتى نزلت على الزرباجة واكلت منها بحسب الكفاية ومسحت يدى ونسيت ان اغسلها ومكثت جالسا الى ان دخل الظلام واوقدت الشموع واقبلت المغنيات بالدفوف ولم يزالوا يجلون العروسة وينقطون بالذهب حتى طافت القصر كله وبعد ذلك اقبلوا بها على ونزعوا ما عليها من الملبوس فلما خلوت بها فى الفراش وعانقتها وانا لم اصدق بوصالها شمت فى يدى رايحة الزرباجة فلما شمت الرايحة صرخت صرخة فنزل لها الجوارى من كل جانب فارتجفت ولم اعلم ما الخبر فقالت الجوارى مالك يا اختنا فقالت لهم اخرجوا عنى هذا المجنون فانا احسب انه عاقل فقلت لها وما الذى ظهر لك من جنونى فقالت يا مجنون لاى شئ اكلت من الزرباجة ولم تغسل يدك فوالله لا اقبلك على عدم عقلك وسوء فعلك ثم تناولت من جانبها سوطا ونزلت به على ظهرى ثم على مقاعدى حتى غبت عن الوجود من كثرة الضرب ثم انها قالت للجوارى خذوه وامضوا به الى متولى المدينة ليقطع يده التى اكل بها الزرباجة ولم يغسلها فلما سمعت ذلك قلت لا حول ولا قوة الا بالله اتقطع يدى من اجل اكل الزرباجة وعدم غسلى اياها فدخلت عليها الجوار وقلن لها يا اختنا لا تؤاخذيه بفعله هذه المرة فقالت والله لابد ان اقطع شيأ من اطرافه ثم راحت وغابت عنى عشرة ايام ولم ارها وبعد العشرة ايام اقبلت على وقالت لى يا اسود الوجه انا لا اصلح لك فكيف تأكل الزرباجة ولم تغسل يدك ثم صاحت على الجوارى فكتفونى واخذت موسى ماضيا وقطعت ابهامى يدى وابهامى رجلى كما ترون يا جماعة فغشى على ثم ذرت على بالذرور فانقطع الدم وقلت فى نفسى لا اكل الزرباجة ما بقيت حتى اغسل يدى اربعين مرة بالاشنان واربعين مرة بالسعد واربعين مرة بالصابون فاخذت على ميثاقا انى لا اكل الزرباجة حتى اغسل يدى كما ذكرت لكم فلما جئتم بهذه الزرباجة تغيرلونى

وقلت فى نفسى هذه سبب قطع ابهامى يدى ورجلى فلما غصبتم على قلت لابد ان اوفى بما حلفت فقلت له والجماعة حاضرون ما حصل لك بعد ذلك قال فلما حلفت لها طاب قلبها وتمت واياها واقنا مدة على هذا الحال وبعد تلك المدة قالت ان اهل دار الخلافة لم يعلموا بما حصل بينى وبينك فيها ومادخلها اجنبى غيرك ومادخلت فيها الا بعناية السيدة زبيدة ثم اعطتنى خمسين الف دينار وقالت خذ هذه الدنانير واخرج واشتر لنا بها دارا فسيحة فخرجت واشتريت دارا مليحة فسيحة ونقلت جميع ما عندها من النعم وما ادخرته من الاموال والقماش والتحف الى هذه الدار التى اشتريتها فهذا سبب قطع ابهامى فاكلنا وانصرفنا وبعد ذلك جرى لى مع الاحدب ما جرى وهذا جميع حديثى والسلام فقال الملك ما هذا باعذب من حديث الاحدب بل حديث الاحدب اعذب من ذلك ولابد من صلبكم جميعا ثم ان اليهودى تقدم وقبل الارض وقال يا ملك الزمان انا احدثك بحديث اعجب من حديث الاحدب فقال ملك الصين هات ما عندك فقال اعجب ما جرى لى فى زمن شبابى انى كنت فى دمشق الشام وتعلمت صنعة فعملت فيها فبينما انا اعمل فى صنعتى يوما من الايام اذا تانى مملوك من بيت الصاحب بدمشق فخرجت له وتوجهت معه الى منزل الصاحب فدخلت فرأيت فى صدر الايوان سريرا من المرمر بصفائح الذهب وعليه آدمى مريض راقد وهو شاب لم ير احسن منه فى زمانه فقعدت عند رأسه ودعوت له بالشفاء فاشار الى بعينه فقلت له يا سيدى ناولنى يدك فاخرج لى يده اليسرى فتعجبت من ذلك وقلت فى نفسى يالله العجب ان هذا الشاب مليح ومن بيت كبير وليس عنده ادب ان هذا هو العجب ثم جسست مفاصله وكتبت له ورقة ومكثت اتردد عليه مدة عشرة ايام حتى تعافى ودخل الحمام واغتسل وخرج فخلع على الصاحب خلعة مليحة وجعلنى مباشرا عنده فى المارستان الذى بدمشق فلما دخلت معه الحمام وقد اخلوه لنا من جميع الناس ودخل الخادم بالثياب واخذ ثيابه التى كانت عليه من داخل الحمام بعد ان تعرى رأيت بيده اليمين قطعا صغيرا فلما رأيته اخذت اتعجب وحزنت عليه ونظرت الى جسده فوجدت عليه اثار ضرب مقارع فصرت اتعجب من اجل ذلك فنظر الى الشاب وقال لى يا حكيم الزمان لا تعجب من امرى فسوف احدثك بحديثى حتى تخرج من الحمام فلما خرجنا من الحمام ووصلنا الى الدار اكلنا الطعام واسترحنا قال الشاب هل للشان تتفرج فى الغرفة فقلت نعم فامر العبيد ان يطلعوا الفرش الى فوق وامرهم ان يشووا اخاروفا وان يأتوا الينا بفاكهة ففعل العبيد ما امرهم به واتوا بالفاكهة فاكلنا واكل هو بيده الشمال فقلت له حدثنى بحديثك فقال لى يا حكيم الزمان اسمع حكاية ما جرى لى اعلم انى من اولاد الموصل وكان لى والد قد توفى ابوه وخلف عشرة اولاد ذكور من جملتهم والدى وكان اكبرهم فكبروا كلهم وتزوجوا ورزق والدى بى واما اخوته التسعة فلم يرزقوا باولاد فكبرت انا وصرت بين اعمامى وهم فرحون بى فرحا شديدا فلما كبرت وبلغت مبلغ الرجال كنت ذات يوم مع والدى فى جامع الموصل وكان اليوم يوم جمعة فصلينا الجمعة وخرج الناس جميعا واما والدى واعمامى فانهم قعدوا يتحدثون فى عجائب البلاد وغرائب المدن الى ان ذكروا مصر فقال بعض اعمامى ان المسافرين يقولون ما على وجه الارض احسن من مصر ونيلها واقدا حسن من قال فيها وفى نيلها هذين البيتين

بالله قل للنيل عنى انى ✻ لم اشف من ماء الفراة غليلا
يا قلب كم خلفت ثم بقينة ✻ واظن صبرك ان يكون جميلا

ثم انهم اخذوا يصفون مصر ونيلها فلما فرغوا من كلامهم وسمعت انا هذه الاوصاف التى فى مصر صار

خاطري مشغولا بها ثم انصرفوا وتوجه كل واحد منهم الى منزله فبت تلك الليلة لم يأتني نوم من شغفي بها
ولم يطب لي اكل ولا شرب فلما كان بعد ايام قلائل تجهز اعمامي الى مصر فبكيت على والدي لاجل الذهاب
معهم حتى جهز لي متجرا ومضيت معهم وقال لهم لا تدعوه يدخل مصر بل اتركوه في دمشق ليبيع
متجره فيها ثم سافرنا وودعت والدي وخرجنا من الموصل ومازلنا مسافرين حتى وصلنا الى حلب فاقمنا
بها اياما ثم سافرنا الى ان وصلنا دمشق فرأيناها مدينة ذات اشجار وانهار واثمار واطيار كانها جنة
فيها من كل فاكهة فنزلنا في بعض الخانات واستأجرنا اعمامي حتى باعوا واشتروا وباعوا بضاعتي
فربح الدرهم خمسة دراهم ففرحت بالربح ثم تركني اعمامي وتوجهوا الى مصر فمكثت بعدهم وسكنت
في قاعة مليحة البنيان يعجز عن وصفها اللسان اجرتها كل شهر دينار ان وصرت اتلذذ بالمأكل والمشارب
حتى صرفت المال الذي كان معي فبينما انا قاعد على باب القاعة يوما من الايام واذا بصبية اقبلت علي
وهي لابسة افخر الملابس ما رأت عيني افخر منها فعزمت عليها فما قصرت بل صارت داخل الباب
فلما دخلت ظفرت بها وفرحت بدخولها فردت الباب علي وعليها وكشفت عن وجهها وقلعت
ازارها فوجدتها بديعة الجمال فتمكن حبها من قلبي فقمت وجئت بسفرة من اطيب المأكول
والفاكهة وما يحتاج اليه المقام واكلنا ولعبنا وبعد اللعب شربنا حتى سكرنا ثم نمت معها في اطيب
ليلة الى الصباح وبعد ذلك اعطيتها عشرة دنانير فحلفت انها لا تأخذ الدنانير مني ثم قالت يا حبيبي
انتظرني بعد ثلاثة ايام وقت المغرب اكون عندك وهي تلنا بهذه الدنانير مثل هذا واعطتني هي
عشرة دنانير وودعتني وانصرفت فاخذت عقلي معها فلما مضت الايام الثلاثة اتت وعليها من المزركش
والحلي والحلل اعظم مما كان عليها اولا وكنت هيئت لها ما يليق بالمقام قبل ان تحضر ثم اكلنا
وشربنا ونمنا مثل العادة الى الصباح ثم اعطتني عشرة دنانير وواعدتني بعد ثلاثة ايام انها تحضر عندي
فهيئت لها ما يليق بالمقام وبعد ثلاثة ايام حضرت في قماش اعظم من الاول والثاني ثم قالت لي يا سيدي
هل انا مليحة فقلت اي والله فقالت هل تاذن لي ان اجيء معي بصبية احسن مني واصغر سنا مني حتى
تلعب معنا ونضحك واياها فانها سألتني ان تخرج معي وتبيت معنا لنضحك واياها ثم اعطتني عشرين
دينارا وقالت لي زدنا المقام لاجل الصبية التي تاتي معي ثم انها ودعتني وانصرفت فلما كان اليوم الرابع
جهزت لها ما يليق بالمقام على العادة فلما كان بعد المغرب واذا بها قد اتت ومعها واحدة ملفوفة
بازار فدخلتا وجلستا ففرحت واوقدت الشموع واستقبلتهما بالفرح والسرور فقمنا ونزعنا ما عليهما
من القماش وكشفت الصبية الجديدة عن وجهها فرأيتها كالبدر في تمامه فلم ار احسن منها فقمت
وخدمت لهما الاكل والشرب فاكلنا وشربنا وصرت اقبل الصبية الجديدة واملأ لها القدح واشرب
معها فغارت الصبية الاولى في الباطن ثم قالت بالله ان هذه الصبية مليحة اما هي اظرف مني قلت اي والله
قالت خاطري ان تنام معها قلت على رأسي وعيني ثم قامت وفرشت لنا فقمت ونمت مع الصبية الجديدة الى
وقت الصبح فلما اصبحت وجدت يدي ملوثة بدم ففتحت عيني فوجدت الشمس قد طلعت فنبهت الصبية
فتدحرجت رأسها عن بدنها فظننت انها فعلت ذلك من غيرتها منها ففكرت ساعة ثم قمت قلعت
ثيابي وحفرت في القاعة ووضعت الصبية ورددت عليها التراب واعدت الرخام كما كان ثم لبست واخذت
بقية مالي وخرجت وجئت الى صاحب القاعة ودفعت له اجرة سنة وقلت له انا مسافر الى اعمامي
بمصر ثم سافرت الى مصر واجتمعت باعمامي ففرحوا بي ووجدتهم قد فرغوا من بيع متجرهم ثم قالوا لي

ما سبب مجيئك فقلت لهم اشتقت اليكم وخفت ان لا يبقى معى شئ من مالى فاقمت عندهم سنة وانا انفرج على مصر وتيلها ووضعت يدى فى بقية مالى وصرت اصرف منه واكل واشرب حتى قرب سفر اعمامى فهربت منهم فقالوا لعله سبقنا ورجع الى دمشق فسافروا وخرجت انا فاقمت بمصر ثلاث سنين وصرت اصرف حتى لم يبق معى من المال شئ وانا فى كل سنة ارسل الى صاحب القاعة اجرتها وبعد الثلاث سنين ضاق صدرى ولم يبق معى الا اجرة السنة فقط فسافرت حتى وصلت الى دمشق ونزلت فى القاعة ففرح بى صاحبها فدخلت القاعة ومسحتها من دم الصبية المذبوحة ورفعت المخدة فوجدت تحتها العقد الذى كان فى عنق تلك الصبية فاخذته وتأملته وبكيت ساعة ثم اقمت يومين وفى اليوم الثالث دخلت الحمام وغيرت ثيابى وانا ما معى شئ من الدراهم فجئت يوما الى السوق فوسوس لى الشيطان لاجل انفاذ القدر فاخذت العقد الجوهر وتوجهت به الى السوق وناولته للدلال فقام لى واجلسنى بجانبه وصبر حتى عمر السوق واخذ ذلك الدلال ونادى عليه خفية وانا لا اعلم واذا بالعقد ممن بلغ ثمنه الفى دينار فجاء فى الدلال وقال لى ان هذا العقد نحاس مصنوع بصنعة الافرنج وقد وصل ثمنه الى الف درهم فقلت له نعم هذا كنا صنعناه لواحدة نفتخل عليها به وورثتها زوجتى فاردنا بيعه فرح واقبض الالف درهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب لما قال للدلال اقبض الالف درهم وسمع الدلال ذلك عرف ان قضيته مشكلة فتوجه بالعقد الى كبير السوق واعطاه اياه فاخذه وتوجه به الى الوالى وقال له ان هذا العقد سرق من عندى ووجدنا الحرامى لابسا لباس اولاد التجار فلم اشعر الا والظلمة قد احاطوا بى واخذونى وذهبوا بى الى الوالى فسألنى الوالى عن ذلك العقد فقلت له ما قلته للدلال فضحك الوالى وقال ما هذا كلام الحق فلم ادر الا وحواشيه جردونى من ثيابى وضربونى بالمقارع على جميع بدنى فاخرقنى الضرب فقلت انا سرقته وقلت فى نفسى ان الاحسن انى اقول انا سرقته ولا اقول ان صاحبته مقتولة عندى فيقتلونى فيها فلما قلت انى سرقته قطعوا يدى وقلوها فى الزيت فغشى على فسقونى الشراب حتى افقت فاخذت يدى وجئت الى القاعة فقال صاحب القاعة حيث ما جرى لك هذا فاخل القاعة وانظر لك موضعا آخر لانك متهم بالحرام فقلت له يا سيدى اصبر على يومين او ثلاثة حتى انظر لى موضعا قال نعم ومضى وتركنى فبقيت قاعدا ابكى واقول كيف ارجع الى اهلى وانا مقطوع اليد والذى قطع يدى لم يعلم انى برئ فلعل الله يحدث بعد ذلك امرا وصرت ابكى بكاء شديدا فلما مضى صاحب القاعة عنى لحقنى غم شديد فتشوشت يومين وفى اليوم الثالث ما ادرى الا وصاحب القاعة جاء فى ومعه بعض الظلمة وكبير السوق وادعى على انى سرقت العقد فخرجت لهم وقلت لهم ما الخبر فلم يمهلونى بل كتفونى ووضعوا فى رقبتى جنزيرا وقالوا لى ان العقد الذى كان معك طلع لصاحب دمشق ووزيرها وحاكمها وقالوا ان هذا العقد قد ضاع من بيت الصاحب من مدة ثلاث سنين ومعه ابنته فلما سمعت هذا الكلام منهم ارتعدت مفاصلى وقلت فى نفسى هم يقتلونى ولا محالة والله لابد انى احكى للصاحب حكايتى فان شاء قتلنى وان شاء عفا عنى فلما وصلنا الى الصاحب اوقفنى بين يديه فلما رأنى قال اهذا الذى سرق العقد ونزل به ليبيعه انكم قطعتم يده ظلما ثم امر بسجن كبير السوق وقال له اعط هذا دية يده والا اشنقك وآخذ جميع

مالك ثم صاح على اتباعه فاخذوه وجروه وبقيت انا والصاحب وحدنا بعد ان فكوا الغل من عنقي باذنه وحلوا وثاقي ثم نظر الى الصاحب وقال لي يا ولدي حدثني واصدقني كيف وصل اليك هذا العقد فقلت يا مولاي اني اقول لك الحق ثم حدثته بجميع ما جرى لي مع الصبية الاولى وكيف جاءتني بالثانية وكيف ذبحتها من الغيرة وذكرت له الحديث بتمامه فلما سمع كلامي هز رأسه وحط منديله على وجهه وبكى ساعة ثم اقبل علي وقال لي اعلم يا ولدي ان الصبية الكبيرة بنتي وكنت اجر عليها فلما بلغت ارسلتها الى ولد عمها بمصر فغاب فجاءني وقد تعلمت العهر من اولاد مصر وجاءتك اربع مرات ثم جاءتك باختها الصغيرة والاثنتان شقيقتان وكانتا محبتان لبعضهما فلما جرى للكبيرة ما جرى اخرجت سرها على اختها فطلبت مني الذهاب معها ثم رجعت وحدها فسألتها عنها فوجدتها تبكي عليها وقالت لا اعلم لها خبرا ثم قالت لا مها سرا جميع ما جرى من ذبحها اختها فاخبرتني امها سرا ولم تزل تبكي وتقول والله لا ازال ابكي عليها حتى اموت وكلامك يا ولدي صحيح فاني اعلم بذلك قبل ان تخبرني به فانظر يا ولدي ما جرى وانا اشتهي منك ان لا تخالفني فيما اقول لك وهو اني اريد ان ازوجك ابنتي الصغيرة فانها ليست شقيقة لهما وهي بكر ولم آخذ منك مهرا واجعل لك مرتبا من عندي وتبقى عندي بمنزلة ولدي فقلت له الامر كما تريد يا سيدي ومن اين لي ان اصل الى ذلك فارسل الصاحب في الحال من عنده بريدا واتاني بمالي الذي خلفه والدي وانا اليوم في ارغد عيش فتجهزت منه واقمت عنده ثلاثة ايام واعطاني مالا كثيرا وسافرت من عنده فوصلت الى بلدكم هذه فطابت لي فيها المعيشة وجرى لي مع الاحدب ما جرى فقال ملك الصين ما هذا بالعجب من حديث الاحدب ولابد لي من شنقكم جميعا وخصوصا الخياط الذي هو رأس كل خطيئة ثم قال يا خياط ان حدثتني بشيء بما يعجب من حديث الاحدب وهبت لكم ذنوبكم فعند ذلك تقدم الخياط وقال اعلم يا ملك الزمان ان الذي جرى لي اعجب مما جرى للجميع لاني كنت قبل ان اجتمع بالاحدب اول النهار في وليمة لبعض اصحابي ارباب الصنائع من خياطين ورزازين ونجارين وغير ذلك فلما طلعت الشمس حضر الطعام لنا كل واذا بصاحب الدار قد دخل علينا ومعه شاب غريب مليح من اهل بغداد وعلى ذلك الشاب احسن ما يكون من الثياب وهو في احسن ما يكون من الجمال غير انه اعرج فدخل علينا وسلم فقمنا له فلما اراد الجلوس رأى فينا انسانا مزينا فامتنع من الجلوس واراد ان يخرج من عندنا فمنعناه نحن وصاحب المنزل وشددنا عليه وحلف عليه صاحب المنزل وقال له ما سبب دخولك وخروجك فقال بالله يا مولاي لا تتعرض لي بشيء فان سبب خروجي هذا المزين الذي هو قاعد فلما سمع منه صاحب الدعوة هذا الكلام تعجب غاية العجب وقال كيف يكون هذا الشاب من بغداد وتشوش خاطره من هذا المزين ثم التفتنا اليه وقلنا له احك لنا ما سبب غيظك من هذا المزين فقال الشاب يا جماعة انه جرى لي مع هذا المزين امر عجيب في بغداد بلدي وكان هو سبب عرجي وكسر رجلي وحلفت اني ما بقيت اقاعده في مكان ولا اسكن في بلد هو ساكن بها وقد سافرت من بغداد ورحلت منها وسكنت في هذه المدينة وانا الليلة لا ابيت الا مسافرا فقلنا له بالله عليك ان تحكي لنا حكايتك معه فاصفر لون المزين حين سألنا الشاب ثم قال الشاب اعلموا يا جماعة الخير ان والدي من اكابر تجار بغداد ولم يرزقه الله تعالى بولد غيري فلما كبرت وبلغت مبلغ الرجال توفي والدي الى رحمة الله تعالى وخلف لي مالا وخدما وحشما فصرت البس احسن الملابس واكل احسن المآكل وكان الله سبحانه بغضني في النساء الى ان كنت ماشيا يوما من الايام في ازقة

بغداد واذا بجماعة تعرضوا لى فى الطريق فهربت ودخلت زقاقا لا ينفذ وارتكنت فى آخره على مصطبة
فلم اقعد غير ساعة واذا بطاقة قصاد المكان الذى انا فيه ففتحت وطلعت منها صبية كالبدر فى تمامه
لم ار فى عمرى مثلها ولها زرع تسقيه وذلك الزرع تحت الطاقة فالتفتت يمينا وشمالا ثم قفلت الطاقة
وغابت عنى فانطلقت فى قلبى النار واشتغل خاطرى بها وانقلب بغضى للنساء محبة فلا زلت جالسا
فى هذا المكان الى المغرب وانا غائب عن الدنيا من شدة الغرام واذا بقاضى المدينة راكب وقدامه
عبيد ووراءه خدام فنزل ودخل البيت الذى طلعت منه تلك الصبية فعرفت انه ابوها ثم انى جئت منزلى
وانا مكروب ووقعت على الفراش مهموما فدخلت على جوارى وقعدن حولى ولم يعرفن ما بى وانا لم ابد
لهن امرا ولم ارد تخطابهن جوابا وعظم مرضى فصارت النساس تعودنى فدخلت على عجوز فلما رأتنى
لم يخف عليها حالى فقعدت عند رأسى ولاطفتنى وقالت يا ولدى قل لى خبرك فحكيت لها حكايتى فقالت
يا ولدى ان هذه بنت قاضى بغداد وعليها الحجر والموضع الذى رأيتها فيه هو طبقتها وابوها له قاعة كبيرة
اسفل وهى وحدها وانا كثيرا ما ادخل عندهم ولا تعرف وصالها الا منى فشد حيلك فتجلدت وقويت
نفسى حين سمعت حديثها وفرح اهلى فى ذلك اليوم واصبحت متماسك الاعضا مستريحا تمام الصحة ثم
مضت العجوز ورجعت ووجهها متغير فقالت يا ولدى لا تسأل عن ما جرى منها لما قلت لها ذلك فانها
قالت لى ان لم تسكتى يا عجوز الخبث عن هذا الكلام لافعلن بك ما تستحقينه ولا بد ان ارجع اليها ثانى مرة
فلما سمعت ذلك منها ازددت مرضا على مرضى فلما كان بعد ايام اتت العجوز وقالت يا ولدى اريد منك
البشارة فلما سمعت ذلك منها ردت روحى الى جسمى وقلت لها لك عندى كل خير فقالت انى ذهبت بالامس
الى تلك الصبية فلما نظرتنى وانا منكسرة الخاطر باكية العين قالت يا خالتى ما لى ارالك ضيقة الصدر فلما
قالت لى ذلك بكيت وقلت لها يا بنتى وسيدتى انى اتيتك بالامس من عند فتى يهوالك وهو مشرف على
الموت من اجلك فقالت وقد رق قلبها ومن اين يكون هذا الفتى الذى تذكرينه قلت هو ولدى وثمرة فؤادى
ورأس الطاقة من ايام مضت وانت تسقين زرعك ورأى وجهك فهام بك عشقا وانا اول مرة اعلمته بما
جرى لى معك فزاد مرضه ولزم الوساد وما هو الا ميت ولا محالة فقالت وقد اصفر لونها على هذا كله من
اجلى قلت اى والله فاذا تأمرين قالت امضى اليه واقرئيه منى السلام واخبريها ان عندى اضعاف ما عنده
فاذا كان يوم الجمعة قبل الصلاة يجيء الى الدار وانا اقول افتحوا له الباب واطلعه عندى واجتمع واياه ساعة
ويرجع قبل مجيء ابى من الصلاة فلما سمعت كلام العجوز زال ما كنت اجده من الالم واستراح قلبى ودفعت
اليها ما كان على من الثياب وانصرفت وقالت لى طيب قلبك فقلت لها لم يبق فى شئ من الالم وتباشر اهل
بيتى واصحابى بعافيتى ولم ازل كذلك الى يوم الجمعة واذا بالعجوز دخلت على وسألتنى عن حالى فاخبرتها انى
بخير وعافية ثم لبست ثيابى وتعطرت ومكثت انتظر الناس يذهبون الى الصلاة حتى امضى اليها فقالت
العجوز ان معك فى الوقت اتساعا زائدا فلو مضيت الى الحمام وازلت شعرك لا سيما من اثر المرض لكان
فى ذلك صلاح لك فقلت لها ان هذا هو الرأى الصواب لكن احلق رأسى اولا ثم ادخل الحمام فارسلت
خلف المزين ليحلق لى رأسى وقلت للغلام امض الى السوق وائتنى بمزين يكون عاقلا قليل الفضول
لا يصدع رأسى بكثرة كلامه فمضى الغلام وانى بهذا الشيخ فلما دخل سلم على فرددت عليه السلام فقال
اذهب الله غمك وهمك والبؤس والاحزان فقلت تقبل الله منك فقال ابشر يا سيدى فقد جاءتك العافية
اتريد تقصير شعرك او اخراج دم فانه ورد عن ابن عباس انه قال من قصر شعره يوم الجمعة صرف الله عنه

سبعين داء وروى عنه ايضا انه قال من احتجم يوم الجمعة لا يامن ذهاب البصر وكثرة المرض فقلت له دع عنك هذا الهذيان وقم فى هذه الساعة احلق لى رأسى فانى رجل ضعيف فقام ومد يده واخرج منديلا وفتحه واذا فيه اصطرلاب وهو وسيع صفا ثم فاخذه ومضى الى وسط الدار ورفع رأسه الى شعاع الشمس ونظر مليا وقال لى اعلم انه مضى من يومنا هذا وهو يوم الجمعة وهو عاشر صفر سنة ثلاث وستين وسبعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام وطالعه بمقتضى ما اوجبه علم الحساب المريخ سبع درج وستة دقائق واتفق انه قارنه عطارد وذلك يدل على ان حلق الشعر جيد جدا ودل عندى على انك تريد الافضال على شخص وهو مسعود لكن بعده كلام يقع وشئ لا اذكره لك فقلت له والله لقد افجعتنى وازهقت روحى وفولت عقلى واما طلبتك الا لتحلق رأسى فقم واحلق رأسى ولا تطل على الكلام فقال والله لو علمت حقيقة الامر لطلبت منى زيادة البيان وانا اشور عليك انك تعمل اليوم بالذى آمرك به بمقتضى حساب الكواكب وكان سبيلك ان تحمد الله ولا تخالفنى فانى ناصح لك وشفيق عليك واود ان اكون فى خدمتك سنة كاملة وتقوم بحقى ولا اريد منك اجرة على ذلك فلما سمعت ذلك منه قلت له انك قاتلى فى هذا اليوم ولا محالة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب قال له انك قاتلى فى هذا اليوم فقال ياسيدى انا الذى تسمينى الناس الصامت لقلة كلامى دون اخوتى لان اخى الكبير اسمه البقبوق والثانى الهدار والثالث يقيق والرابع اسمه الكوز الاصوانى والخامس اسمه العشار والسادس اسمه شقالق والسابع اسمه الصامت وهو انا فلما زاد على هذا المزين بالكلام رأيت ان مرارتى انفطرت وقلت للغلام اعطه ربع دينار وخله ينصرف عنى لوجه الله فلا حاجة لى فى حلاقة رأسى فقال هذا المزين حين سمع كلامى مع الغلام اى شئ هذا المقال يا مولاى والله لا آخذ منك اجرة حتى اخدمك ولابد من خدمتك فانه واجب على خدمتك وقضاء حاجتك ولا ابالى اذا لم اخذ منك دراهم فان كنت لا تعرف قدرى فانا اعرف قدرك وكان والدك رحمه الله تعالى له علينا الاحسان لانه كان كريما والله لقد ارسل والدك خلفى يوما مثل هذا اليوم المبارك فدخلت عليه وكان عنده جماعة من اصحابه فقال لى اخرج لى دما فاخذت الاصطرلاب واخذت له الارتفاع فوجدت طالع الساعة نحسا واخراج الدم فيها صعبا فاعلمته بذلك فامتثل وصبر الى ان اتت الساعة الجيدة واخرجت له فيها الدم ولم يخالفنى بل شكرنى وكذلك شكرنى الجماعة الحاضرون واعطانى والدك مائة دينار فى نظير اخراج الدم فقلت له لا رحم الله ابى الذى عرف مثلك فافعل هذا المزين وقال لا اله الا الله محمد رسول الله سبحان من يغير ولا يتغير ما كنت اظنك الا عاقلا لكنك خرفت من المرض وقال الله فى كتابه العزيز والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وانت معذور على كل حال وما ادرى سبب عجلتك وانت تعلم ان والدك ما كان يفعل شيأ الا بمشورتى وقد قيل ان المستشار مؤتمن وما تجد احدا اعرف منى بالامور فاقعد واقف على اقدامى اخدمك وما ضجرت منك فكيف ضجرت انت منى وانا اصبر عليك لاجل ما لابيك على من الفضل فقلت له والله لقد اطلت على الخطاب وزدت على فى المقال وانا قصدى ان تحلق رأسى وتنصرف عنى واظهرت الغضب واردت ان اقوم وان كان قد بل رأسى فقال قد علمت انه قد غلب عليك الضجر منى لكن لا اؤاخذك لان عقلك ضعيف وانت صبى ومن زمن قريب كنت

احملك على كتفى وامضى بك الى المكتب فقلت له يا اخى بحق الله عليك انصرف عنى حتى اقضى شغلى وقم الى حال سبيلك ثم مزقت ثوابى فلما رأنى فعلت ذلك اخذ الموسى وسنه ولا زال يسنه حتى كادت روحى ان تفارق جسمى ثم تقدم الى رأسى وحلق منها بعضا ثم رفع يده وقال يا مولاى البهلة من الشيطان ثم انه انشد هذين البيتين

تان ولا تعجل لامر تريده * وكن راحما للناس تبلى براحم
فما من يد الا يد الله فوقها * ولا ظالم الا سيبلى بظالم

ثم قال يا مولاى ما اظنك تعرف بمنزلتى فان يدى تقع على رأس الملوك والامراء والوزراء والحكماء والفضلاء وفى مثلى قال الشاعر

جميع الصنائع مثل العقود * وهذا المزين در السلوك
فيعلو على كل ذى حكمة * وتحت يديه روس الملوك

فقلت له دع ما لا يعنيك فقد ضيقت صدرى واشغلت خاطرى فقال اظنك مستبهلا فقلت له نعم نعم فقال تمهل على نفسك فان البهلة من الشيطان وهى تورث الندامة والحرمان وقد قال عليه الصلاة والسلام خير الامور ما كان فيه تأن وانا والله رابنى امرك فاشتهى ان تعرفنى ما الذى انت مستعجل من اجله ولعله خير فانى اخشى ان يكون شيأ غير ذلك وقد بقى من الوقت ثلاث ساعات ثم غضب ورمى الموسى من يده واخذ الاصطرلاب ومضى الى الشمس ووقف حصة مديدة وعاد وقال قد بقى لوقت الصلاة ثلاث ساعات لا تزيد ولا تنقص فقلت له بالله عليك اسكت عنى فقد فتت كبدى فاخذ الموسى وسنه كما فعل اولا وحلق بعض رأسى وقال انا مهموم من عجلتك فلو اطلعتنى على سببها لكان خيرا لك لانك تعلم ان والدك ما كان يفعل شيأ الا بمشورتى فلما علمت ان مالى منه خلاص قلت فى نفسى قد جاء وقت الصلاة واريد ان امضى قبل ان تخرج الناس من الصلاة فان تاخرت ساعة لا ادرى اين السبيل الى الدخول اليها فقلت اوجز ودع عنك هذا الكلام والفضول فانى اريد ان امضى الى دعوة عند اصحابى فلما سمع ذكر الدعوة قال يومك يوم مبارك على اقد كنت البارحة حلفت على جماعة من اصدقائى ونسيت ان اجهز لهم شيأ يأكلونه وفى هذه الساعة تذكرت ذلك وافضيحتاه منهم فقلت له لا تهتم بهذا الامر بعد تعريفك انى اليوم فى دعوة فكل ما فى دارى من طعام وشراب لك ان انجزت امرى وعجلت حلاقة رأسى فقال جزاك الله خيرا صف لى ما عندك لاضيافى حتى اعرفه فقلت عندى خمسة اوان من الطعام وعشر دجاجات محمرات وخاروف مشوى فقال احضرها الى حتى انظرها فاحضرت اليه جميع ذلك فلما عاينه قال بقى الشراب فقلت له عندى قال احضره فاحضرته له قال لله درك ما اكرم نفسك لكن بقى البخور والطيب فاحضرت له درجا فيه ند وعود وعنبر ومسك يساوى خمسين دينارا وكان الوقت قد ضاق حتى صار مثل صدرى فقلت له خذ هذا واحلق لى جميع رأسى بحياة محمد صلى الله عليه وسلم فقال المزين والله ما اخذه حتى ارى جميع ما فيه فامرت الغلام ففتح له الدرج فرمى المزين الاصطرلاب من يده وجلس على الارض يقلب الطيب والبخور والعود الذى فى الدرج حتى كادت روحى ان تفارق جسمى ثم تقدم واخذ الموسى وحلق من رأسى شيأ يسيرا وقال والله يا ولدى ما ادرى أأشكرك ام اشكر والدك لان دعوتى اليوم كلها من بعض فضلك واحسانك وليس عندى من يستحق ذلك وانما عندى زيتون الحمامى وصليع الفانى وعوكل الفوال وعكرشة البقال وحميد الزيال وعكارش اللبان ولكل من

هؤلاء رقصة يرقصها وابيات ينشدها واحسن ما فيهم انهم مثل الملوك وعبدك انا لا اعرف كثرة كلام ولا فضول اما الجمالي فانه يقول ان لم اذهب اليها تجئني بيتي واما الزيال فانه ظريف خليع كثيرا ما يرقص ويقول الخبز عندزوجتي ما صار في صندوق وكل واحد من اصحابي له لطائف لا توجد في الاخر وليس الخبر كالعيان فان اخترت ان تحضر عندنا كان ذلك احب اليك والينا واترك رواحك الى اصدقائك الذين قلت لي انك تريد الذهاب اليهم فان عليك اثر المرض وربما تمضي الى اقوام كثيرين الكلام يتكلمون فيما لا يعنيهم وربما يكون فيهم واحد فضولي وانت قلقت روحك من المرض فقلت ان شاء الله يكون ذلك في غير هذا اليوم فقال لي الانسب ان تقدم حضورك عند اصحابي لتغتنم موانستهم وتفوز بعلمهم وتعمل بقول الشاعر

لا تؤخر لذة ان امكنت * ان الزمان كثير العطب

فضحكت عن قلب مشحون بالغيظ وقلت له اقض شغلي واسرا في امان الله تعالى وتمضي انت الى اصحابك فانهم منتظرون قدومك فقال ما طلبت الا ان اعاشرك يا هؤلاء الاقوام فانهم من اولاد الناس الذين ما فيهم فضولي ولو رأيتهم مرة واحدة لتركت جميع اصحابك فقلت له نعم الله سرورك بهم ولا بد ان احضرهم عندي يوما فقال اذا اردت ذلك وقدمت دعوت اصحابك في هذا اليوم فاصبر حتى امضي بهذا الاكرام الذي اكرمتني به وادعه عند اصحابي يأكلون ويشربون ولا ينتظرون ثم اعود اليك وامضي معك الى اصدقائك فليس بيني وبين اصدقائي حشمة تمنعني عن تركهم والعود اليك عاجلا وامضي معك ايضا توجهت فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم امض انت الى اصدقائك وانشرح معهم ودعني امضي الى اصدقائي واكون معهم في هذا اليوم فانهم ينتظرون قدومي فقال المزين لا ادعك تمضي وحدك فقلت له ان الموضع الذي امضي اليه لا يقدر احد ان يدخل فيه غيري فقال اظنك اليوم في ميعاد واحدة والا كنت تأخذني معك وانا احق من جميع الناس واساعدك على ما تريد فاني اخاف ان تدخل على امرأة اجنبية فتروح روحك فان هذه مدينة بغداد لا يقدر احد ان يعمل فيها شيأ من هذه الاشياء لا سيما في مثل هذا اليوم وهذا والي بغداد صارم عظيم فقلت ويلك يا شيخ الشر اي شئ هذا الكلام الذي تقابلني به فسكت سكوتا طويلا وادركنا وقت الصلاة وجاء وقت الخطبة وقد فرغ من حلق رأسي فقلت له امض الى اصحابك بهذا الطعام والشراب وانا انتظرك حتى تعود وتمضي معي ولم ازل اخادعه لعله يمضي فقال لي انك تخادعني وتمضي وحدك وترمي نفسك في مصيبة لا خلاص لك منها فالله الله لا تبرح حتى اعود اليك وامضي معك حتى اعلم ما يتم من امرك فقلت له نعم لا تبطئ علي فاخذ ما اعطيته من الطعام والشراب وغيره وخرج من عندي فسلمه الى الجمال ليوصله الى منزله واخفى نفسه في بعض الازقة ثم قمت من ساعتي وقد اعلنوا على المنارات بسلام الجمعة فلبست ثيابي وخرجت وحدي واتيت الى الزقاق ووقفت على البيت الذي رأيت فيه تلك الصبية واذا بالمزين خلفي ولا اعلم به فوجدت الباب مفتوحا فدخلت واذا بصاحب الدار عاد الى منزله من الصلاة ودخل القاعة وغلق الباب فقلت من اين علم هذا الشيطان بي فاتفق في هذه الساعة لامر يريده الله من هتك ستري ان صاحب الدار اذ نبت جارية عنده فضربها فصاحت فدخل عنده عبد ليخلصها فضربه فصاح الاخر فاعتقد المزين انه يضربني فصاح ومزق ثوبه وحثى التراب على رأسه وصار يصرخ ويستغيث والناس حوله وهو يقول قتل سيدي في بيت القاضي ثم مضى الى داري وهو يصيح والناس خلفه واعلم اهل بيتي وغلماني فادربت

الاوهم قد اقبلوا يصيحون واسيداه كل هذا والمزين قدامهم وهو ممزق الثياب والناس معهم ولم يزالوا يصرخون وهو في اوائلهم يصرخ وهم يقولون واقتيلاه وقد اقبلوا نحو الدار التي انا فيها فلما سمع القاضي ذلك عظم عليه الامر وقام وفتح الباب فرأى جمعا عظيما فبهت وقال يا قوم ما القصة فقال له الغلمان انك قتلت سيدنا فقال يا قوم وما الذي فعله سيدكم حتى اقتله وادرك شهرزاد الصباح فكفت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان القاضي قال للغلمان ما الذي فعله سيدكم حتى اقتله ومالي ارى هذا المزين بين ايديكم فقال له المزين انت ضربته في هذه الساعة بالمقارع وانا اسمع صياحه فقال القاضي وما الذي فعله حتى اقتله ومن ادخله داري ومن اين جاء والى اين يقصد فقال له المزين لا تكن شيخا محسافا انا اعلم الحكاية وسبب دخوله دارك وحقيقة الامر كله فبنتك تعشقه وهو يعشقها فعلمت انه قد دخل دارك وامرت غلمانك فضربوه والله ما بيننا وبينك الا الخليفة او تخرج لنا سيدنا لنأخذه اهله ولا تحوجنا الى ان ادخل واخرجه من عندكم وبعجل انت باخراجه فالتجم القاضي عن الكلام وصار في غاية الخجل من الناس وقال للمزين ان كنت صادقا فادخل انت واخرجه فنهض المزين ودخل الدار فلما رأيت المزين دخل اردت ان اهرب فلم اجد لي مهربا غير اني رأيت في الطبقة التي انا فيها صندوقا كبيرا فدخلت فيه ورددت الغطاء عليه وقطعت النفس فدخل القاعة بسرعة ولم يلتفت الى غير الجهة التي انا فيها بل قصد الموضع الذي انا فيه والتفت يمينا وشمالا فلم يجد الا الصندوق الذي انا فيه فحمله على رأسه فلما فعل ذلك غاب رشدي ثم مر مسرعا فلما علمت انه ما يتركني فتحت الصندوق وخرجت منه بسرعة ورميت نفسي على الارض فانكسرت رجلي فلما توجهت الى الباب وجدت خلقا كثيرا لم ار في عمري مثل هذا الازدحام الذي حصل في ذلك اليوم فجعلت انثر الذهب على الناس ليشتغلوا به فاشتغل الناس به وصرت اجري في ازقة بغداد وهذا المزين خلفي واي مكان دخلت فيه يدخل خلفي وهو يقول اراد وا ان يفجعوني في سيدي الحمد لله الذي نصرني عليهم وخلص سيدي من ايديهم فما زلت يا سيدي مولعا بالجهل لسوء تدبيرك حتى فعلت بنفسك هذه الافعال فلولا من الله عليك بي ما كنت خلصت من هذه المصيبة التي وقعت فيها وربما كانوا يرمونك في مصيبة لا تخلص منها ابدا فاطلب من الله ان اعيش لك حتى اخلصك والله لقد اهلكتني بسوء تدبيرك وكنت تريد انك تروح وحدك ولكن ما نؤاخذك على جهلك لانك قليل العقل بحول فقلت له اما كفاك ما جرى منك حتى تجري وراي في الاسواق وصرت اتمنى الموت لاجل خلاصي منه فلا اجد موتا يقدني منه فمن شدة الغيظ فررت منه ودخلت دكانا في وسط السوق واستجرت بصاحبها فمنعه عني وجلست في مخزن وقلت في نفسي ما بقيت اقدر ان افترق من هذا المزين بل يقيم عندي ليلا ونهارا ولم يبق في قدره على النظر الى وجهه فارسلت في الوقت احضرت الشهود وكتبت وصية لاهلي وفرقت مالي وجعلت انسانا ناظرا عليهم وامرته ان يبيع الدار والعقارات واوصيته بالكبار والصغار وخرجت مسافرا من ذلك الوقت حتى اتخلص من هذا القواد ثم جئت الى بلادكم فسكنتها ولي فيها مدة فلما عزمتم علي وجئت اليكم رأيت هذا القبيح القواد عندكم في صدر المكان فكيف يستريح قلبي ويطيب مقامي عندكم مع هذا وقد فعل معي هذه الافعال وانكسرت رجلي

بسببه ثم ان الشاب امتنع من الجلوس فلما سمعنا حكايته مع المزين قلنا للمزين احقا ما قاله هذا الشاب عنك فقال والله انا فعلت معه ذلك بمعرفتي ولولا اني فعلت ذلك لهلك وما سبب نجاته الا انا ومن فضل الله عليه بسببي انه اصيب برجله ولم يصب بروحه ولو كنت كثير الكلام ما فعلت معه ذلك الجميل وها انا اقول لكم حديثا جرى لي حتى تصدقوا اني قليل الكلام وما عندي فضول من دون اخوتي وذلك اني كنت ببغداد في ايام خلافة امير المؤمنين المنتصر بالله وكان يحب الفقراء والمساكين ويجالس العلماء والصالحين فاتفق له يوما انه غضب على عشرة اشخاص فامر المتولي ببغداد ان يأتيه بهم في زورق فنظرتهم انا فقلت ما اجتمع هؤلاء الا لعزومة واظنهم يقطعون يومهم في هذا الزورق في اكل وشرب وما يكون نديمهم غيري فقمت ونزلت معهم واختلطت بهم فقعدوا في الجانب الاخر فجاء لهم اعوان الوالي بالاغلال ووضعوها في رقابهم ووضعوا في رقبتي غلا من جملتهم فهذا اجماعة ما هو من مروءتي وقلة كلامي لاني ما رضيت ان اتكلم فاخذونا جميعا في الاغلال وقدمونا بين يدي المنتصر بالله امير المؤمنين فامر بضرب رقاب العشرة فضرب السياف رقاب العشرة وقد بقيت انا فالتفت الخليفة فرأني فقال للسياف ما بالك لا تضرب رقاب جميع العشرة فقال ضربت رقاب العشرة كلهم فقال له الخليفة ما اظنك ضربت رقاب غير تسعة وهذا الذي بين يدي هو العاشر فقال السياف وحق نعمتك انهم عشرة قال عدوهم فعدوهم فاذا هم عشرة فنظر الى الخليفة وقال ما حملك على سكوتك في هذا الوقت وكيف صرت مع اصحاب الدم فلما سمعت خطاب امير المؤمنين قلت له اعلم يا امير المؤمنين اني انا الشيخ الصامت وعندي من الحكمة شيء كثير وما مارزانة عقلي وجودة فهمي وقلة كلامي فانها الى النهاية لها وصنعتي الزيانة فلما كان امس بكرة النهار نظرت هؤلاء العشرة قاصدين الزورق فاختلطت بهم ونزلت معهم وظننت انهم في عزومة فما كان غير ساعة واذا هم اصحاب جرائم فحضرت اليهم الاعوان ووضعوا في رقابهم الاغلال ووضعوا في رقبتي غلا من جملتهم فمن فرط مروءتي سكت ولم اتكلم فعدم كلامي في ذلك الوقت من فرط مروءتي فسار وا بنا حتى اوقفونا بين يديك فامرت بضرب رقاب العشرة وبقيت انا بين يدي السياف ولم اعرفكم بنفسي اما هذه مروءة عظيمة التي احوجتني الى ان اشاركهم في القتل ولكن طول دهري هكذا افعل الجميل فلما سمع الخليفة كلامي وعلم اني كثير المروءة قليل الكلام ما عندي فضول كما يزعم هذا الشاب الذي خلصته من الاهوال قال الخليفة واخوتك الستة مثلك فيهم الحكمة والعلم وقلة الكلام قلت لا عاشوا ولا بقيوا ان كانوا مثلي ولكن ذممتني يا امير المؤمنين ولا ينبغي لك ان تقرن اخوتي بي لانهم من كثرة كلامهم وقلة مروءتهم صار كل واحد منهم بعاهة فمنهم واحد اعرج وواحد اعور وواحد افلج وواحد اعمى وواحد مقطوع الاذنين والانف وواحد مقطوع الشفتين وواحد احول العينين ولا تحسب يا امير المؤمنين اني كثير الكلام ولا بد ان ابين لك اني اعظم مروءة منهم ولكل واحد حكاية اتفقت له حتى صار فيه عاهة وان شئت ان احكي لك فاعلم يا امير المؤمنين ان الاول وهو الاعرج كان صنعته الخياطة ببغداد فكان يخيط في دكان استأجرها من رجل كثير المال وكان ذلك الرجل ساكنا على الدكان وكان في اسفل دار الرجل طاحون فبينما انا الاعور جالس في الدكان في بعض الايام يخيط اذ رفع رأسه فرأى امرأة كالبدر الطالع في روشن الدار وهي تنظر الى الناس فلما رأها انا تعلق قلبه بحبها وصار يومه ذلك ينظر اليها وترك اشتغاله بالخياطة الى وقت المساء فلما كان وقت الصباح فتح دكانه وقعد يخيط وهو كلما غرز غرزة ينظر الى الروشن فمكث على ذلك مدة لم يخيط شيأ يساوي درهما فاتفق

ان صاحب الدار جاء الى اخي يوما من الايام ومعه قماش وقال له فصل لي هذا وخيطه اقمصة فقال
اخي سمعا وطاعة ولم يزل يفصل حتى فصل عشرين قميصا الى وقت العشاء وهو لم يذق طعاما ثم قال له
كم اجرة ذلك فلم يتكلم اخي فاشارت اليه الصبية بعينها الا تأخذ منه شيأ وكان محتاجا الى فلس واستمر
ثلاثة ايام لا يأكل ولا يشرب الا القليل بسبب اجتهاده في تلك الخياطة فلما فرغ من الخياطة التي لهم
اتى اليهم بالاقمصة وكانت الصبية قد عرفت زوجها بحال اخي واخي لا يعلم ذلك واتفقت هي وزوجها
على استعمال اخي في الخياطة بلا اجرة بل يضحكون عليه فلما فرغ اخي من جميع اشغالهما عملا عليه
حيلة وزوجاه بجاريتهما وليلة اراد ان يدخل عليها قال لا لابد الليلة في الطاحون الى غد يكون خيرا
فاعتقد اخي ان لهما قصدا صحيحا فبات في الطاحون وحده وراح زوج الصبية نمز الطحان عليه حتى
انه بدوره في الطاحون فدخل عليه الطحان في نصف الليل وجعل يقول ان هذا الثور بطال مع ان القمح
كثير واصحاب الطحين يطلبونه فانا اعلقه في الطاحون حتى يخلص طحين القمح فعلقه في الطاحون
الى قريب الصبح فجاء صاحب الدار فرأى اخي معلقا في الطاحون والطحان يضربه بالسوط فتركه
ومضى وبعد ذلك جاءته الجارية التي عقد عليها وكان مجيئها في بكرة النهار فخلته من الطاحون
وقالت قد شق علي وعلى سيدتي ما جرى لك وقد حملنا هم فلم يكن له لسان يرد جوابا من شدة الضرب
ثم ان اخي رجع الى منزله واذا بالشيخ الذي كتب الكتاب قد جاء وسلم عليه وقال له حيا الله زواجك مبارك
انك بت الليلة في النعيم والدلال والعناق من العشاء الى الصباح فقال له اخي لا سلم الله الكاذب يا الف
قواد والله ما جئت الا الاطحن في موضع الثور الى الصباح فقال له حدثني بحديثك فحدثه اخي بما وقع له
فقال له ما وافق نجمك نجمها ولكن اذا شئت ان اغير لك عقد العقد اغيره لك باحسن منه لاجل
ان يوافق نجمك نجمها فقال له انظر ان بقي لك حيلة اخرى ثم ان اخي تركه واتى الى دكانه ينتظر احدا يأتي
اليه بشغل ينقوت من اجرته واذا هو بالجارية قد اتت اليه وكانت اتفقت مع سيدتها على تلك الحيلة
فقالت له ان سيدتي مشتاقة اليك وقد طلعت السطح لترى وجهك من الروشن فلم يشعر اخي الا وهي قد
طلعت له من الروشن وصارت تبكي وتقول لاي شيء قطعت المعاملة بيننا وبينك فلم يرد عليها جوابا
فخلفت له ان جميع ما وقع له في الطاحون لم يكن باختيارها فلما نظر اخي الى حسنها وجمالها ذهب
عنه ما حصل له وقبل عذرها وفرح برؤيتها ثم سلم عليها وتحدث معها وجلس في خياطته مدة وبعد
ذلك ذهبت اليها الجارية وقالت له تسلم عليك سيدتي وتقول لك ان زوجها قد عزم على انه يبيت عند
بعض اصدقائه في هذه الليلة فاذا مضى عندهم تكون انت عندنا وتبيت مع سيدتي في الذعيش الى
الصباح وكان زوجها قد قال لها ما يكون العمل في مجيئه عندك حتى آخذه واجره الى الوالي فقالت
دعني احتال عليه بحيلة وافضحه فضيحة يشتهر بها في هذه المدينة واخي لا يعلم شيأ من كيد النساء
فلما اقبل المساء جاءت الجارية الى اخي واخذته ورجعت به الى سيدتها فقالت له والله ياسيدي
اني مشتاقة اليك كثيرا فقال بالله عجلي بقبلة قبل كل شيء فلم يتم كلامه الا وقد حضر زوج الصبية من
بيت جاره فقبض على اخي وقال له والله لا افارقك الا عند صاحب الشرطة فتضرع اليه اخي فلم يسمعه
بل حمله الى دار الوالي فضربه بالسياط واركبه جلا ودوره في شوارع المدينة والناس ينادون عليه هذا جزاء
من يتجرم على حريم الناس ووقع من فوق الجمل فانكسرت رجله فصار اعرج ثم نفاه الوالي من المدينة فخرج
لا يدري اين يقصد فاغتنظت انا فلحقته واتيت به والتزمت باكله وشربه الى الآن فضحك الخليفة من كلامي

وقال احسنت فقلت لا اقبل هذا التعظيم منك دون ان تصغي الى حتى احكي لك ما وقع لبقية اخوتي
ولا تحسب اني كثير الكلام فقال الخليفة حدثني بما وقع لجميع اخوتك وشنف مسامعي بهذه الرقائق
واسلك سبيل الاطناب في ذكر هذه اللطائف فقلت اعلم يا امير المؤمنين ان اخي الثاني كان اسمه بقبق وقد
وقع له انه كان ماشيا يوما من الايام ومتوجها الى حاجة له واذا هو بعجوز قد استقبلته وقالت له ايها الرجل
قف قليلا حتى اعرض عليك امرا فان اعجبك فاقضه لي فوقف اخي فقالت له ادلك على شيء وارشدك اليه
بشرط ان لا يكون كلامك كثيرا فقال لها اخي هاتي كلامك قالت له ما قولك في دار حسنة وماؤها
يجري وفاكهة ومدام ووجه مليح تشاهده وخدا سيل تقبله وقد رشيق تعانقه ولم تزل كذلك
من العشاء الى الصباح فان فعلت ما اشترط عليك رأيت الخير فلما سمع اخي كلامها قال لها يا سيدتي وكيف
قصدتيني بهذا الامر من دون الخلق اجمعين فاي شيء اعجبك مني فقالت لاخي ما قلت لك لا تكن كثير
الكلام واسكت وامض معي ثم ولت العجوز وسار اخي تابعا لها طمعا فيما وصفته له حتى دخلا دارا فسيحة
وصعدت به من ادنى الى اعلى فرأى قصرا نظيفا فنظر اخي فرأى فيه اربع بنات ما رأى الراؤن احسن
منهن وهن يغنين باصوات تطرب الحجر الاصم ثم ان بنتا منهن شربت قدحا فقال لها اخي بالصحة والعافية
وقام ليخدمها فمنعته من الخدمة ثم سقته قدحا فشرب وصفعته على رقبته فلما رأى اخي ذلك منها
خرج مغضبا ومكثر الكلام فتبعته العجوز وجعلت تغمزه بعينها يعني ارجع فرجع وجلس ولم ينطق
فاعادت الصفع على قفاه الى ان اغمي عليه ثم قام اخي لقضاء حاجته فلحقته العجوز وقالت له اصبر قليلا حتى
تبلغ ما تريد فقال لها اخي الى كم اصبر قليلا ولا ابلغ ما اريد فقالت له العجوز اذا سكرت بلغت مرادك فرجع
اخي الى مكانه وجلس فقامت البنات كلهن وامرتهن العجوز ان يجردنه من ثيابه وان يرششن على وجهه
ماء ورد ففعلن ذلك وقالت الصبية البارحة الجمال منهن اعزك الله قد دخلت منزلي فان صبرت على شرطي
بلغت مرادك فقال لها اخي يا سيدتي انا عبدك وفي طبقة يدك فقالت له اعلم ان الله اشغفني بحب الطرب
فمن اطاعني نال ما يريد ثم امرت الجواري ان يغنين فغنين حتى طرب المجلس ثم قالت للجارية خذي
سيدك واقضي حاجته وائتيني به في الحال فاخذت الجارية اخي وهو لا يدري ما تصنع به فلحقته العجوز
وقالت له اصبر ما بقي الا القليل فاقبل اخي على الصبية والعجوز تقول اصبر فقد بلغت ما تريد وانما بقي شيء
واحد وهو ان تحلق ذقنك فقال لها اخي وكيف اعمل في فضيحتي بين الناس فقالت له العجوز انها ما ارادت
ان تفعل بك ذلك الا لاجل ان تصير امرد بلا ذقن ولا يبقى في وجهك شيء يشكها فانها صار في قلبها لك
محبة عظيمة فاصبر فقد بلغت المنى فصبر اخي وطاوع الجارية وحلق ذقنه وجاءت به الى الصبية واذا هو
محلوق الحاجبين والشاربين والذقن محمر الوجه ففزعت منه ثم ضحكت حتى استلقت على قفاها وقالت
يا سيدي لقد ملكتني بهذه الاخلاق الحسنة ثم حلفته بحياتها ان يقوم ويرقص فقام ورقص فلم تدع
في البيت مخدة حتى ضربته بها وكذلك جميع الجواري صرن يضربنه بمثل نار نجة وليمونة وترجة الى
ان سقط مغشيا عليه من الضرب ولم يزل الصفع على قفاه والرجم في وجهه الى ان قالت له العجوز الان
بلغت مرادك واعلم انه ما بقي عليك من الضرب شيء وما بقي الا شيء واحد وذلك ان من عادتها انها اذا
سكرت لا تمكن احدا من نفسها حتى تقلع ثيابها وسراويلها وتبقى عريانة من جميع ثيابها وانت
الآخر تقلع ثيابك وتجري ورأها وهي تجري قدامك كأنها هاربة منك ولم تزل تابعها من مكان الى مكان
حتى يقوم ايرك فتمكنك من نفسها ثم قالت له قم اقلع ثيابك فقام وهو غائب عن الوجود وقلع ثيابه

جميعا وبقى عريان وادر لشهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثلاثون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان اخى المزين لما قالت له العجوز قم اتلع ثيابك قام وهو غائب عن الوجود وقلع ثيابه وصار عريانا فقالت الجارية لاخى قم الان واجر ورائى واجرى انا قدامك واذا اردت شيأ فاتبعنى فجرت قدامه وتبعها ثم جعلت تدخل من محل الى محل وتخرج من محل الى محل آخر واخى ورأها وقد غلب عليه الشبق وايره قائم كانه مجنون ولم تزل تجرى قدامه وهو يجرى ورأها حتى سمع منها صوتا رقيقا وهى تجرى قدامه وهو يجرى ورأها فبينما هو كذلك اذ رأى نفسه فى وسط الزقاق وذلك الزقاق فى سوق الجلادين وهم ينادون على الجلود فرأه الناس على تلك الحالة وهو عريان قائم الاير محلوق الذقن والحواجب والشوارب محمر الوجه فصاحوا عليه وصاروا يضحكون ويقهقهون وصار بعضهم يصفعه بالجلود وهو عريان حتى غشى عليه وحملوه على حمار حتى وصلوه الى الوالى فقال ما هذا فقالوا هذا وقع لنا من بيت الوزير وهو على هذه الحالة فضربه الوالى مائة سوط وخرجت انا خلفه وجئت به وادخلته المدينة سرا ثم رتبت له ما يقتات به فلو لا مروءتى ما كنت احتمل مثله واما اخى الثالث فاسمه قفة ساقته القضاء والقدر الى دار كبيرة فدق الباب طمعا ان يكلمه صاحبها فيسأله شيأ فقال صاحب الدار من بالباب فلم يكلمه احد فسمعه اخى يقول بصوت عال من هذا فلم يكلمه اخى وسمع مشية حتى وصل الى الباب وفتحه فقال له ما تريد قال له اخى شيأ لله تعالى فقال له هل انت ضرير قال له اخى نعم فقال له ناولنى يدك فناوله يده فادخله الدار ولم يزل يصعد به من سلم الى سلم حتى وصل الى اعلا السطوح واخى يظن انه يطعمه شيأ او يعطيه شيأ فلما انتهى الى اعلا مكان قال لاخى ما تريد يا ضرير قال اريد شيأ لله تعالى فقال له يفتح الله عليك فقال له اخى يا هذا الما كنت تقول لى ذلك وانا فى الاسفل فقال له يا اسفل السفلة لم تسألنى شيأ لله حين سمعت كلامى اول مرة وانت تدق الباب فقال اخى وفى هذه الساعة ما تريد ان تصنع بى فقال له ما عندى شئ حتى اعطيك اياه قال له انزل بى الى السلالم فقال له الطريق بين يديك فقام اخى واستقبل السلالم ومازال نازلا حتى بقى بينه وبين الباب عشرون درجة فزلقت رجله فوقع ولم يزل واقعا منحدرا فى السلالم حتى انشجت رأسه فخرج وهو لا يدرى اين يذهب فلحقه بعض رفقائه العميان فقالوا له اى شئ حصل لك فى هذا اليوم فحدثهم بما وقع له ثم قال لهم يا اخوانى اريد ان آخذ شيأ من الدراهم التى بقيت معنا وانفق منه على نفسى وكان صاحب الدار مشى خلفه ليعرف حاله فسمع كلامه واخى لا يدرى بان الرجل يسعى خلفه الى ان دخل اخى مكانه ودخل الرجل خلفه وهو لا يشعر به وقعد اخى ينتظر رفقائه فلما دخلوا عليه قال لهم اغلقوا الباب وفتشوا البيت كى لا يكون احد غريب تبعنا فلما سمع الرجل كلام اخى قام وتعلق بحبل كان فى السقف فطافوا البيت جميعه فلم يجدوا احدا ثم رجعوا وجلسوا الى جانب اخى واخرجوا الدراهم التى معهم وعدوها فاذا هى عشرة الاف درهم فتركوها فى زاوية البيت واخذ كل واحد مما زاد عنها ما يحتاج اليه ودفنوا العشرة الاف درهم فى التراب ثم قدموا بين ايديهم شيأ من الاكل وقعدوا يأكلون فاحس اخى بصوت غريب فى جهته فقال لاصحابه هل معنا غريب ثم مد يده فتعلقت بيد الرجل صاحب الدار فصاح على رفقائه وقال هذا غريب فوقعوا فيه ضربا فلما طال عليهم ذلك صاحوا يا مسلمون دخل علينا لص يريد ان يأخذ مالنا فاجتمع عليهم خلق كثير فتعامى الرجل الغريب صاحب

الدار الذى ادعوا عليه انه اص وانمحض عينه واظهر انه اعمى مثلهم بحيث لا يشك فيه احد وصاح
يا مسلمون انا بالله والسلطان انا بالله والوالى انا بالله والامير فان عندى نصيحة للامير فلم يشعروا الا وقد
احتاط بهم جماعة الوالى فاخذوهم واخى معهم واحضروهم بين يديه فقال الوالى ما خبركم فقال
ذلك الرجل اسمع كلامى ايها الوالى لا يظهر لك حقيقة حالنا الا بالعقوبة وان شئت فابدأ بعقوبتى قبل
رفقائى فقال الوالى اطرحوا هذا الرجل واضربوه بالسياط فطرحوه وضربوه فلما اوجعه الضرب
فتح احدى عينيه فلما ازاد عليه الضرب فتح عينه الاخرى فقال له الوالى ما هذه الفعال يا فاجر فقال
اعطنى الامان وانا اخبرك فاعطاه الامان فقال نحن اربعة نعمل اروا حنا عميانا ونمر على الناس
وندخل البيوت وننظر النساء ونحتال فى فسادهن واكتساب الاموال من طرفهن وقد حصلنا
من ذلك مكسبا عظيما وهو عشرة الاف درهم فقلت لرفقائى اعطونى حتى الفين وخمسمائة فقاموا
وضربونى واخذوا مالى وانا مستجير بالله وبك وانت احق بحصتى من رفقائى وان شئت ان تعرف
صدق قولى فاضرب كل واحدا كثر مما ضربتنى فانه يفتح عينيه فعند ذلك امر الوالى بعقوبتهم
واول ما بدأ باخى ولازالوا يضربونه حتى كاد ان يموت ثم قال لهم الوالى يا فسقة اتجحدون نعمة الله
وتدعون انكم عميان فقال اخى الله الله ما فينا بصير فطرحوه الى الضرب ثانيا ولم يزالوا يضربونه
حتى غشى عليه فقال الوالى دعوه حتى يفيق واعيدوا عليه الضرب ثالث مرة ثم امر بضرب اصحابه
كل واحدا كثر من ثلاثمائة عصى والبصير يقول لهم افتحوا عيونكم والا جددوا عليكم الضرب ثم قال
للوالى ابعث معى من يأتيك بالمال فان هؤلاء ما يفتحون اعينهم ويخافون من فضيحتهم بين الناس فبعث
الوالى معه من اتاه بالمال فاخذه واعطى الرجل منه الفين وخمسمائة درهم على قدر حصته ربما
عنهم ونفى اخى وباقى الثلاثة خارج المدينة فخرجت انا يا امير المؤمنين ولحقت اخى وسألته عن حاله
فاخبرنى بما ذكرته لك فادخلته المدينة سرا ورتبت له ما يأكل وما يشرب طول عمره فضحك الخليفة
من حكايتى وقال صلوه بجائزة ودعوه ينصرف فقلت له والله ما آخذ شيأ حتى ابين لامير المؤمنين ما جرى
لبقية اخوتى واوضح له انى قليل الكلام فقال الخليفة اصدع اذا تنا بخرافة خبرك وزدنا من بحر لك وبحرك
فقلت واما اخى الرابع يا امير المؤمنين وهو الاعور فانه كان جزارا ببغداد يبيع اللحم ويربى الخرفان
وكانت الكبار واصحاب الاموال يقصدونه ويشترون منه اللحم فاكتسب من ذلك مالا عظيما واقتنى
الدواب والدور ثم اقام على ذلك زمنا طويلا فبينما هو فى دكانه يوما من الايام اذ وقف عليه شيخ كبير
اللحية فدفع له دراهم وقال اعطنى بها لحما فاخذ منه الدراهم واعطاه اللحم وانصرف فتأمل اخى فى فضة
الشيخ فرأى دراهمه بيضا بياضها ساطع فعزلها وحدها فى ناحية واقام الشيخ يتردد عليه
خمسة اشهر واخى يطرح دراهمه فى صندوق وحدها ثم اراد ان يخرجها ويشترى غنما فلما فتح الصندوق
رأى جميع ما فيه ورقا ابيض مقصوصا فلطم وجهه وصاح فاجتمع الناس عليه فحدثهم بحديثه
فتعجبوا منه ثم رجع اخى الى الدكان على عادته فذبح كبشا وعلقه داخل الدكان وقطع لحما وعلقه
خارج الدكان وصار يقول فى نفسه لعل ذلك الشيخ يجيء فاقبض عليه فما كان الا ساعة وقد اقبل الشيخ
ومعه الفضة فقام اخى وتعلق به وصار يصيح يا مسلمون الحقونى واسمعوا قصتى مع هذا الفاجر فلما سمع
الشيخ كلامه قال له اى شئ احب اليك ان تعرض عن فضيحتى او افضحك بين الناس فقال له اخى باى شئ
تفضحنى قال بانك تبيع لحم الناس فى صورة لحم الغنم فقال له اخى كذبت يا ملعون فقال الشيخ ما ملعون

الا الذى عنده رجل معلق فى الدكان فقال له اخى ان كان الامر كما ذكرت فحلال لك فقال
الشيخ يا معاشر الناس ان هذا الجزار يذبح الادميين ويبيع لحمهم فى صورة لحم الغنم وان اردتم ان تعلموا
صدق قولى فادخلوا دكانه فهجم الناس على دكان اخى فرأوا ذلك الكبش صار انسانا معلقا فلما رأوا
ذلك تعلقوا باخى وصاحوا عليه يا كافر يا فاجر وصار اعز الناس عليه يضربه ولطمه الشيخ على عينه
ففقعها وحمل الناس ذلك المذبوح الى صاحب الشرطة فقال له الشيخ ايها الامير ان هذا الرجل يذبح
الناس ويبيع لحمهم على انه لحم غنم وقد اتينا له بقهم واقض حق الله عز وجل فدافع اخى عن نفسه
فلم يسمع منه صاحب الشرطة بل امر بضربه خمسمائة عصى واخذوا جميع ماله ولولا كثرة ماله لقتلوه
ثم نفوا اخى من المدينة فخرج هائما لا يدرى اين يتوجه حتى دخل مدينة كبيرة واستحسن ان يعمل اسكافيا
ففتح دكانا وقعد يعمل شيأ يقوت منه فخرج ذات يوم فى حاجة فسمع صهيل خيل فبحث عن سبب ذلك
فقيل له ان الملك خارج الى الصيد والقنص فخرج اخى ليتفرج على الموكب وهو يتعجب من حسن
رأيه حيث انتقل من صنعة الخياطة الى صنعة الاساكفة فالتفت الملك فوقعت عينه على عين اخى فاطرق
الملك رأسه وقال اعوذ بالله من شر هذا اليوم وثنى عنان فرسه وانصرف راجعا فرجع جميع العسكر وامر
الملك غلمانه ان يلحقوا اخى ويضربوه فلحقوه وضربوه ضربا وجيعا حتى كاد ان يموت ولم يدر اخى ما السبب
فرجع الى موضعه وهو فى حالة العدم ثم مضى الى انسان من حاشية الملك وقص عليه ما وقع له ففعل
حتى استلقى على قفاه وقال له يا اخى اعلم ان الملك لا يطيق ان ينظر الى اعور لا سيما ان كان العور شمالا
فانه لا يرجع عن قتله فلما سمع اخى ذلك الكلام عزم على الهروب من تلك المدينة ثم ارتحل منها وتحول
الى مدينة اخرى لم يكن فيها ملك واقام بها زمنا طويلا ثم بعد ذلك تفكر فى امره وخرج يوما ليتفرج فسمع
صهيل خيل خلفه فقال جاء امر الله وفر يطلب موضعا يستتر فيه فلم يجد ثم نظر فرأى بابا منصوبا فدفع
ذلك الباب فوقع فدخل فرأى دهليزا طويلا فاستمر داخلا فيه فلم يشعر الا ورجلان قد تعلقا به وقالا له
الحمد لله الذى امكننا منك يا عدو الله هذه ثلاث ليال ما ارحتنا ولا تركتنا ننام ولا يستقر لنا
مضجع بل اذقتنا طعم الموت فقال اخى يا قوم ما امركم فقالوا انت تراقبنا وتريد ان تفضحنا وتفضح
صاحب البيت اما يكفيك انك افقرته وافقرت اصحابك ولكن اخرج لنا السكين التى تهددنا بها كل ليلة
وفتشوه فوجدوا فى وسطه السكين التى يقطع بها النعال فقال يا قوم اتقوا الله فى امرى واعلموا ان حديثى
عجيب فقالوا وما حديثك فحدثهم بحديثه طمعا ان يطلقوه فلم يسمعوا منه ما قاله ولم يلتفتوا اليه بل
ضربوه ومزقوا ثوابه فلما تمزقت ثوابه وانكشف بدنه وجدوا اثر الضرب بالمقارع على جنبيه
فقالوا له يا ملعون هذا اثر الضرب يشهد على جرمك ثم احضروا اخى بين يدى الوالى فقال فى نفسه قد وقعت
بذنوبى وما يخلصنى الا الله تعالى فلما حضر بين يدى الوالى قال له يا فاجر ما حملك على ان ضربت بالمقارع
الاجرم عظيم ثم ضرب اخى مائة سوط ثم حملوه على جمل ونادوا عليه هذا جزاء من يجمع على بيوت الناس
فلما سمعت به انا خرجت اليه ولا زلت دائرا معه وهم ينادون عليه حتى تركوه فاتيت اليه واخذته وادخلته
المدينة سرا ورتبت له ما يأكل وما يشرب واما اخى الخامس فانه كان مقطوع الاذنين يا امير المؤمنين وكان
رجلا فقيرا يسأل الناس ليلا وينفق ما يحصله بالسؤال نهارا وكان والدنا شيخا كبيرا طاعنا فى السن تخلف
لنا سبعمائة درهم فاخذ كل واحد منا مائة درهم واما اخى الخامس هذا فانه لما اخذ حصته تحير ولم يدر
ما يصنع بها فبينما هو كذلك اذ وقع فى خاطره انه يأخذ بها زجاجا من كل نوع ليتجر فيه ويربح فاشترى

بالمائة درهم زجاجا وجعله فى طبق كبير وقعد فى موضع ليبيع ذلك الزجاج وبجانبه حائط فاسند ظهره اليها وقعد متفكرا فى نفسه وقال ان رأس مالى فى هذا الزجاج مائة درهم وانا ابيعه بمائتى درهم ثم اشترى بالمائتى درهم زجاجا وابيعه باربعمائة درهم ولا ازال ابيع واشترى الى ان يبقى معى مال كثير فاشترى به من جميع المتاجر والعطريات حتى يربح ربحا عظيما وبعد ذلك اشترى دارا حسنة واشترى المماليك والخيل والسروج المذهبة وآكل واشرب ولا اخلى مغنية فى المدينة حتى اجيء بها فى بيتى واسمع مغانيها هذا كله وهو يحسب فى نفسه والقفص الزجاج قدامه ثم قال وابعث جميع الخاطبات فى خطبة بنات الملوك والوزراء واخطب بنت الوزير فقد بلغنى انها كاملة الحسن بديعة الجمال وامهرها بالف دينار فان رضى ابوها حصل المراد وان لم يرض اخذتها قهرا على رغم انفه فان حصلت فى دارى اشترى عشرة خدام صغار ثم اشترى لى كسوة الملوك والسلاطين واصوغ لى سرجا من الذهب مرصعا بالجواهر ثم اركب ومعى المماليك يمشون حولى وقدامى وخلفى حتى اذا رأنى الوزير قام اجلالا لى واقعد فى مكانه ويقعد هو دونى لانه صهرى ويكون معى خادمين بكيسين فى كل كيس الف دينار فاعطيه الف دينار مهر بنته واهدى اليه الالف الثانى انعاما حتى اظهر له مروءتى وكرمى وصغر الدنيا فى عينى ثم انصرف الى دارى فاذا جاء احد من جهة امرأتى وهبت له دراهم وخلعت عليه خلعة وان ارسل الى الوزير هدية رددتها عليه ولو كانت نفيسة ولم اقبلها منه حتى يعلموا انى عزيز النفس ولا اخلى نفسى الا فى اعلا مكانة ثم اقدم اليهم فى اصلاح شأنى وتعظيمى فاذا فعلوا ذلك امرتهم برفافها ثم اصلح دارى اصلاحا بينا فاذا جاء وقت الجلاء لبست الخرثيابى وقعدت على مرتبة من الديباج لا التفت يمينا ولا شمالا لكبر عقلى ورزانة فهمى وتجيء امرأتى وهى كالبدر فى حليها وحللها وانا انظر اليها عجبا وتيها حتى يقول جميع من حضر يا سيدى امرأتك وجاريتك قائمة بين يديك فانعم عليها بالنظر فقد اضر بها القيام ثم يقبلون الارض قدامى مرارا فعند ذلك ارفع رأسى وانظر اليها نظرة واحدة ثم اطرق برأسى الى الارض فيمضون بها واقوم انا واغير ثيابى والبس احسن مما كان على فاذا جاءوا بالعروسة المرة الثانية لا انظر اليها حتى يسألونى مرارا فانظر اليها ثم اطرق الى الارض ولم ازل كذلك حتى يتم جلاؤها واتم شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثلاثون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان اخا المزين الخامس قال ثم اطرق الى الارض ولم ازل كذلك حتى يتم جلاؤها ثم انى امرت بعض الخدام ان يرمى كيسا فيه خمسمائة دينار للمواشط فاذا اخذته المواشط امرهن ان يدخلنى عليها فاذا ادخلنى عليها لا انظر اليها ولا اكلمها احتقارا لها لاجل ان يقال انى عزيز النفس حتى تجيء امها تقبل رأسى ويدى وتقول لى يا سيدى انظر جاريتك فانها تشتهى قربك فاجبر خاطرها بكلمة فلا ارد عليها جوابا ولم تزل كذلك تستعطفنى حتى تقوم وتقبل يدى ورجلى مرارا ثم تقول يا سيدى ان بنتى صبية مليحة ما رأت رجلا فاذا رأت منك هذا الانقباض انكسر خاطرها فمل اليها وكلمها ثم انها تقوم وتحضر لى قدحا فيه شراب ثم ان بنتها تأخذ القدح لتعطينى فاذا جاءت تركتها قائمة بين يدى وانا متكئ على مخدة مزركشة بالذهب لا انظر اليها من كبر نفسى وجلالة قدرى حتى تظن فى نفسها انى سلطان عظيم الشان فتقول يا سيدى بحق الله عليك لا ترد القدح من يد

جارتك فانى جارتك فلا اكلها فتلح على وتقول لابد من شربه وتقدمه الى فمى فانفض يدى فى وجهها وارفصها واعمل هكذا ثم رفص اخى برجله فجاءت فى قفص الزجاج وكان فى مكان مرتفع فنزل على الارض فتكسر كل ما فيه ثم قال اخى الخياط هذا كله من كبر نفسى ولو كان امره الى يا امير المؤمنين لضربته الف سوط واشهرته فى البلد ثم بعد ذلك صار اخى يلطم على وجهه ومزق ثيابه وجعل يبكى ويلطم والناس ينظرون اليه وهم رايحون الى صلاة الجمعة فمنهم من يرحمه ومنهم من لم يفكر فيه وهو على تلك الحالة وراح منه رأس المال والربح ولم يزل جالسا يبكى واذا بامرأة مقبلة الى صلاة الجمعة وهى بديعة الجمال تفوح منها رايحة المسك وتحتها بغلة برذعتها من الديباج مزركشة بالذهب ومعها عدد من الخدم فلما نظرت الى الزجاج وحال اخى وبكائه اخذتها الشفقة عليه ورق قلبها له وسألت عن حاله فقيل لها انه كان معه طبق زجاج يتعيش منه فانكسر منه فاصابه ما تنظرينه فنادت بعض الخدام وقالت له ادفع الذى معك الى هذا المسكين فدفع له صرة فاخذها فلما فتحها وجد فيها خمسمائة دينار فكاد ان يموت من شدة الفرح واقبل اخى بالدعاء لها ثم عاد الى منزله غنيا وقعد متفكرا واذا بداق يدق الباب فقام وفتح واذا بعجوز لا يعرفها فقالت له يا ولدى اعلم ان الصلاة قد قرب زوالها وانا بغير وضوء واطلب منك ان تدخلنى منزلك حتى اتوضأ فقال لها سمعا وطاعة ثم دخل اخى واذن لها بالدخول وهو طائر من الفرح بالدنانير فلما فرغت اقبلت الى الموضع الذى هو جالس فيه وصلت هناك ركعتين ثم دعت لاخى دعاء حسنا فشكرها على ذلك واعطاها دينارين فلما رأت ذلك قالت سبحان الله انى لا يحجب ممن احبك وانت بسعة الصعاليك خذ مالك عنى وان كنت غير محتاج اليه فارددها الى التى اعطتك اياه لما انكسر الزجاج منك فقال لها اخى يا امى كيف الحيلة فى الوصول اليها قالت يا ولدى انها تميل اليك لكنها زوجة رجل موسر فخذ جميع مالك معك فاذا اجتمعت بها فلا تترك شيأ من الملاطفة والكلام الحسن الا وتفعله معها فانك تنال من جمالها ومن مالها جميع ما تريده فاخذ اخى جميع الذهب وقام ومشى مع العجوز وهو لا يصدق بذلك فلم تزل تمشى واخى يمشى ورأها حتى وصلا الى باب كبير فدقته فخرجت جارية رومية وفتحت الباب فدخلت العجوز وامرت اخى بالدخول فدخل دارا كبيرة فلما دخلها رأى فيها مجلسا كبيرا مفروشا وستائر مسبلة فجلس اخى ووضع الذهب بين يديه ووضع عمامته على ركبته فلم يشعر الا وجارية اقبلت ما رأت مثلها الراؤن وهى لابسة افخر القماش فقام اخى على قدميه فلما رأته ضحكت فى وجهه وفرحت به ثم ذهبت الى الباب واغلقته ثم اقبلت على اخى واخذت يده ومضيا جميعا الى ان اتيا الى حجرة منفردة فدخلاها واذا هى مفروشة بانواع الديباج فجلس اخى وجلست بجانبه ولاعبته ساعة زمانية ثم قامت وقالت له لا تبرح حتى اجيء اليك وغابت عن اخى ساعة فبينما هو كذلك اذ دخل عليه عبد اسود عظيم الخلقة ومعه سيف مجرد يا خذ لمعانه بالبصر وقال لاخى يا ويلك من جاء بك الى هذا المكان يا اخس الانس يا ابن الزانية وتربية الخنا فلم يقدر اخى ان يرد عليه جوابا بل انعقد لسانه فى تلك الساعة فاخذه العبد واعراه ولم يزل يضربه بالسيف صفعا ضربات متعددة اكثر من ثمانين ضربة الى ان سقط من طوله على الارض فرجع العبد عنه واعتقد انه مات وصاح صيحة عظيمة بحيث ارتجت الارض من صوته ودوى له المكان وقال اين الملوحة فاقبلت اليه جارية فى يدها طبق مليح فيه ملح ابيض فصارت الجارية تأخذ من ذلك الملح وتحشو الجراحات التى فى جلد اخى حتى تهورت واخى لا يتحرك خيفة ان يعلموا انه حى فيقتلوه ثم مضت الجارية وصاح العبد صيحة مثل الاولى

فجاءت العجوز الى اخى وجرته من رجله الى سرداب طويل مظلم ورمته فيه على جماعة مقتولين فاستقر فى مكانه يومين كاملين وكان الله سبحانه جعل الملح سببا لحياته لانه قطع عروق الدم فلما رأى اخى فى نفسه القوة على الحركة قام من السرداب وفتح طاقة فى الحائط وخرج من مكان القتلى واعطاه الله عزوجل الستر فمشى فى الظلام واختفى فى ذلك الدهليز الى الصبح فلما كان وقت الصبح خرجت العجوز فى طلب صيد آخر فخرج اخى فى اثرها وهى لا تعلم به حتى اتى الى منزله ولم يزل يعالج نفسه حتى برئ ولم يزل يتعهد العجوز وينظر اليها كل وقت وهى تأخذ الناس واحدا بعد واحد وتوصلهم الى تلك الدار واخى لا ينطق بشئ ثم لما رجعت اليه صحته وكملت قوته عمد الى خرقة وعمل منها كيسا وملأه زجاجا وشده فى وسطه وتنكر حتى لا يعرفه احد ولبس ثياب البهم واخذ سيفا وجعله تحت ثيابه فلما رأى العجوز قال لها بكلام البهم يا عجوز هل عندك ميزان يسع تسعمائة دينار فقالت العجوز لى ولد صغير صيرفى عنده سائر الموازين فامض معى اليه قبل ان يخرج من مكانه حتى يزن لك ذهبك فقال اخى امشى قدامى فسارت وسار اخى خلفها حتى اتت الباب فدقته فخرجت الجارية وضحكت فى وجهه فقالت العجوز اتيتكم بلحمة سمينة فاخذت الجارية بيد اخى وادخلته الدار التى دخلها سابقا وقعدت عنده ساعة وقامت وقالت لاخى لا تبرح حتى ارجع اليك وراحت فلم يستقر اخى الا والعبد اقبل ومعه السيف المجرد فقال لاخى قم يا مشؤم فقام اخى وتقدم العبد امامه واخى وراءه ومد يده الى سيفه التى تحت ثيابه وضرب به العبد فرمى رأسه وصحبه من رجله الى السرداب ونادى اين المليحة فجاءت الجارية بيدها الطبق الذى فيه الملح فلما رأت اخى والسيف بيده ولت هاربة فتبعها اخى وضربها فرمى رأسها ثم نادى اين العجوز فجاءت فقال لها اتعرفينى يا عجوز الخمس فقالت لا يا مولاى فقال لها انا صاحب الدنانير الذى جئت وتوضأت عندى وصليت ثم تحيلت على حتى اوقعتنى هنا فقالت اتق الله فى امرى فالتفت اليها وضربها بالسيف فصيرها قطعتين ثم خرج فى طلب الجارية فلما رأته طار عقلها وطلبت منه الامان فامنها ثم قال لها ما الذى اوقعك عند هذا الاسود فقالت انى كنت جارية لبعض التجار وكانت هذه العجوز تتردد على فقالت لى يوما من الايام ان عندنا فرحا ما رأى احد مثله فاحب ان تنظرى اليه فقلت لها سمعا وطاعة ثم قمت ولبست احسن ثيابى واخذت معى صرة فيها مائة دينار ومضيت معها حتى ادخلتنى هذه الدار فلما دخلت ما شعرت الا وهذا الاسود اخذنى ولم ازل عنده على هذا الحال ثلاث سنين بحيلة العجوز الكاهنة فقال لها اخى هل له فى الدار شئ فقالت عنده شئ كثير فان كنت تقدر على نقله فانقله فقام اخى ومشى معها ففتحت له صناديق فيها اكياس فبقى اخى متحيرا فقالت له الجارية امض الان ودعنى هنا وهات من ينقل المال فخرج واكترى عشرة رجال وجاء فلما وصل الى الباب وجده مفتوحا ولم ير الجارية ولا الاكياس وانما رأى شيأ يسيرا من المال ورأى القماش فعلم انها خدعته فعند ذلك اخذ المال الذى بقى وفتح الخزائن واخذ جميع ما فيها من القماش ولم يترك فى الدار شيأ وبات تلك الليلة مسرورا فلما اصبح الصباح وجد بالباب عشرين جنديا فلما خرج اليهم تعلقوا به وقالوا له ان الوالى يطلبك فاخذوه وراحوا الى الوالى فلما رأى اخى قال له من اين لك هذا القماش فقال اخى اعطنى الامان فاعطاه منديل الامان فحدثه بجميع ما وقع له مع العجوز من الاول الى الاخر ومن هروب الجارية ثم قال للوالى والذى اخذته خذ منه ما شئت ودع لى ما اتقوت به فطلب الوالى جميع المال والقماش وخاف ان يعلم به السلطان فاخذ البعض واعطى اخى البعض وقال له اخرج من هذه المدينة والا اشتغل

فقال

فقال السمع والطاعة فخرج الى بعض البلدان فخرجت عليه اللصوص فعروه وضربوه وقطعوا اذنيه فسمعت بخبره فخرجت اليه واخذت اليه ثيابا وجئت به الى المدينة مسرورا ورتبت له ما يأكله وما يشربه واما اخى السادس يا امير المؤمنين وهو مقطوع الشفتين فانه كان فقيرا جدا لا يملك شيأ من حطام الدنيا الفانية فخرج يوما من الايام يطلب شيأ يسد به رمقه فبينما هو فى بعض الطرق اذ رأى دارا حسنة ولها دهليز واسع مرتفع وعلى الباب خدم وامر ونهى فسأل بعض الواقفين هناك فقال هى لانسان من اولاد الملوك فتقدم اخى الى البوابين وسألهم شيأ فقالوا ادخل باب الدار تجد ما تحب من صاحبها فدخل الدهليز ومشى فيه ساعة حتى وصل الى دار فى غاية ما يكون من الملاحة والظرف وفى وسطها بستان ما رأى الراؤن احسن منه وارضها مفروشة بالرخام وستورها مسبولة فصار اخى لا يعرف اين يقصد فمضى نحو صدر المكان فرأى انسانا حسن الوجه واللحية فلما رأى اخى قام اليه ورحب به وسأله عن حاله فاخبره انه محتاج فلما سمع كلام اخى اظهر غما شديدا ومد يده الى ثياب نفسه ومزقها وقال هل اكون انا ببلد وانت بها جائع لا صبر لى على ذلك ووعده بكل خير ثم قال لابد ان تمالحنى فقال يا سيدى ليس لى صبر وانى شديد الجوع فصاح يا غلام هات الطشت والابريق ثم قال له ياضيفى تقدم واغسل يدك ثم اومى كانه يغسل يده ثم صاح على اتباعه ان قدموا المائدة فجعلت اتباعه تغدو اوتروح كانها تهيئ السفرة ثم اخذ اخى وجلس معه على تلك السفرة الموهومة وصار صاحب المنزل يومى ويحرك شفتيه كانه يأكل ويقول لاخى كل ولا تستح فانك جائع وانا اعلم ما انت فيه من شدة الجوع فجعل اخى يومى كانه يأكل وهو يقول لاخى كل وانظر هذا الخبز وبياضه واخى لا يبدى شيأ ثم ان اخى قال فى نفسه ان هذا رجل يحب ان يهزء بالناس فقال له يا سيدى عمرى ما رأيت احسن من بياض هذا الخبز ولا الذ من طعمه فقال هذا خبزته جارية لى كنت اشتريتها بخمسمائة دينار ثم صاح صاحب الدار يا غلام قدم لنا السكباج الذى لا يوجد مثله فى طعام الملوك ثم قال لاخى كل ياضيفى فانك جائع شديد الجوع ومحتاج الى الاكل فصار اخى يدور حنكه ويمضغ كانه يأكل واقبل الرجل يستدعى لونا بعد لون من الطعام ولا يحضر شيأ الا ويامر اخى بالاكل ثم صاح يا غلام قدم لنا الفراريج المحشوة بالفستق فكل ما لم تأكل مثله قط فقال يا سيدى ان هذا الاكل لا نظير له فى اللذة واقبل يومى بيده الى فم اخى حتى كانه يلقمه بيده وكان يعدد هذه الالوان ويصفها لاخى بهذه الاوصاف وهو جائع فاشتد جوعه وصار بشهوة رغيف من شعير ثم قال له صاحب الدار هل رأيت اطيب من اباز بر هذه الاطعمة فقال له اخى لا يا سيدى فقال اكثر الاكل ولا تستح فقال قد اكتفيت من الطعام فصاح الرجل على اتباعه ان قدموا الحلويات فحركوا ايديهم فى الهواء كانهم قدموا الحلويات ثم قال صاحب المنزل لاخى كل من هذا النوع فانه جيد وكل من هذه القطائف بحياتى وخذ هذه القطيفة قبل ان ينزل منها الجلاب فقال له اخى لا عدمتك يا سيدى واقبل اخى يسأله عن كثرة المسك الذى فى القطائف فقال له ان هذه عادتى فى بيتى فدائما يضعون لى فى كل قطيفة مثقالا من المسك ونصف مثقال من العنبر هذا كله واخى يحرك رأسه وفمه يلعب بين شدقيه كانه يتلذذ باكل الحلويات ثم صاح صاحب الدار على اتباعه ان احضروا النقل فحركوا ايديهم فى الهواء كانهم احضروا النقل وقال لاخى كل من هذا اللوز ومن هذا الجوز ومن هذا الزبيب ونحو ذلك وصار يعدد له انواع النقل ويقول له كل ولا تستح فقال له اخى يا سيدى قد اكتفيت ولم يبق لى قدرة على اكل شئ فقال ياضيفى ان اردت ان تأكل وتتفرج على غرائب المأكولات فالله الله لا تكن

جائعا ثم فكر اخى فى نفسه وفى استهزاء ذلك الرجل به وقال والله لا عملن فيه عملا يتوب بسببه الى الله
عن هذه الفعال ثم قال الرجل لاتباعه قدموا لنا الشراب فحركوا ايديهم فى الهواء حتى كانهم قدموا
الشراب ثم اومى صاحب المنزل كانه ناول اخى قدحا وقال خذ هذا القدح فانه ابجلك فقال له ياسيدى
هذا من احسانك واوما اخى بيده كانه يشربه فقال له هل ابجلك فقال له ياسيدى ما رأيت الدهر من
هذا الشراب فقال له اشرب هنيئا وصحة ثم ان صاحب البيت اوما وشرب ثم ناول اخى قدحا ثانيا فخيل انه
شربه واظهر انه سكر ان ثم ان اخى غافله ورفع يده حتى بان بياض ابطه وصفعه على رقبته صفعة رن لها
المكان ثم ثنى عليه بصفعة ثانية فقال له الرجل ما هذا يا اسفل العالمين فقال ياسيدى انا عبدك الذى
انعمت عليه وادخلته منزلك واطعمته الزاد واسقيته الخمر العتيق فكبر وعربد عليك ومقامك اعلى
من ان تؤاخذه بجهله فلما سمع صاحب المنزل كلام اخى ضحك ضحكا عاليا ثم قال له ان لى زمانا طويلا اسخر
بالناس واهزء بجميع اصحاب المزاح والمجون ما رأيت منهم من له طاقة على ان افعل به هذه السخرية ولا من
له فطنة يدخل بها فى جميع امورى غيرك والان عفوت عنك فكن نديمى على الحقيقة ولا تفارقنى ثم امر
باخراج عدة من انواع الطعام المذكورة اولا فاكل هو واخى حتى اكتفيا ثم انتقلا الى مجلس
الشراب فاذا فيه جوار كانهن الاقمار فغنين بجميع الالحان واشتغلن بجميع الملاهى ثم شربا حتى غلب
عليهما السكر وانس الرجل باخى حتى كانه اخوه وحبه محبة عظيمة وخلع عليه خلعة سنية فلما اصبح
الصباح عادا لما كانا عليه من الاكل والشرب ولم يزالا كذلك مدة عشرين سنة ثم ان الرجل مات وقبض
السلطان على ماله واحتوى عليه فخرج اخى من البلد هاربا فلما وصل الى نصف الطريق خرج عليه العرب
فاسروه وصار الذى اسره يعذبه ويقول له لله اشتررحمك منى بالاموال والا اقتلك فجعل اخى يبكى ويقول انا
والله لا املك شيأ يا شيخ العرب ولا اعرف طريق شئ من المال وانا اسيرك وصرت فى يدك فافعل بى ما شئت
فاخرج البدوى الجبار من حزامه سكينا عريضة لو نزلت على رقبة جمل لقطعتها من الوريد الى الوريد
واخذها فى يده اليمين وتقدم الى اخى المسكين وقطع بها شفتيه وشدد عليه بالمطالبة وكان للبدوى زوجة
حسنة وكانت اذا خرج البدوى تتعرض لاخى وتراوده عن نفسه وهو يمتنع حياء من الله تعالى فاتفق ان
راودت اخى يوما من الايام فقام ولاعبها واجلسها فى حجره فبينما هما كذلك واذا بزوجها داخل عليهما فلما
نظر الى اخى قال له يا ويلك يا خبيث اتريد الان ان تفسد على زوجتى واخرج سكينا وقطع بها ذكره وحمله على
جمل وطرحه فوق جبل وتركه وسار الى حال سبيله فجاز عليه المسافرون فعرفوه فاطعموه وسقوه واعلموا
بخبره فذهبت اليه وحملته ودخلت به المدينة ورتبت له ما يكفيه وها انا جئت عندك يا امير المؤمنين وخفت
ان ارجع الى بيتى قبل اخبارك فيكون ذلك غلطا ووراى ستة اخوة وانا اقوم بهم فلما سمع امير المؤمنين
قصتى وما اخبرته به عن اخوتى ضحك وقال صدقت يا صامت انت قليل الكلام ما عندك فضول ولكن
الان اخرج من هذه المدينة واسكن غيرها ثم نفانى من بغداد فلم ازل سائرا فى البلاد حتى طفت الاقاليم
الى ان سمعت بموته وخلافة غيره فرجعت الى المدينة فوجدته مات ووقعت عند هذا الشاب وفعلت معه
احسن الفعال ولولا انا القتل وقد اتهمنى بشئ ما هو فى وجميع ما نقله عنى من الفضول وكثرة الكلام
وكثافة الطبع وعدم الذوق باطل يا جماعة ثم قال الخياط لملك الصين فلما سمعنا قصة المزين وتحققنا
فضوله وكثرة كلامه وان الشاب مظلوم معه اخذنا المزين وقبضنا عليه وحبسناه وجلسنا حوله آمنين
ثم اكلنا وشربنا وتمت الوليمة على احسن حالة ولم نزل جالسين الى ان اذن العصر فخرجت وجئت منزلى

وخشيت

وغشيت زوجتي فقالت انت طول النهار في حظك وانا قاعدة في البيت حزينة فان لم تخرج بي وتفرجني بقية النهار كان ذلك سبب فراقي منك فاخذتها وخرجت بها وتفرجنا الى العشاء ثم رجعنا فلقينا هذا الاحدب والسكر طافح منه وهو ينشد هذين البيتين

رق الزجاج وراقت الخمر * فتشابها وتشاكل الامر

فكانما خمر ولا قدح * وكانما قدح ولا خمر

فعزمت عليه فاجابني وخرجت لاشتري سمكا مقليا فاشتريت ورجعت ثم جلسنا نأكل فاخذت زوجتي لقمة وقطعة سمك وادخلتهما فمه وسدته فمات فحملته وتحايلت حتى رميته في بيت هذا الطبيب وتحايل الطبيب حتى رماه في بيت المباشر وتحايل المباشر حتى رماه في طريق السمسار وهذه قصة ما لقيته البارحة اما هي اعجب من قصة الاحدب فلما سمع ملك الصين هذه القصة امر بعض حجابه ان يمضوا مع الخياط ويحضروا المزين وقال لهم لابد من حضوره لاسمع كلامه ويكون ذلك سببا في خلاصكم جميعا وندفن هذا الاحدب ونواريه في التراب فانه ميت من امس ثم نعمل له ضريحا لانه كان سببا في اطلاعنا على هذه الاخبار العجيبة فما كان الا ساعة حتى جاء الحجاب هم والخياط بعد ان مضوا الى الحبس واخرجوا منه المزين وساروا به الى ان اوقفوه بين يدي هذا الملك فلما رأه تامله فاذا هو شيخ كبير جاوز التسعين اسود الوجه ابيض اللحية والحواجب مقرطم الاذنين طويل الانف في نفسه كبر فضحك الملك من رؤيته وقال ياصامت اريد ان تحكي لي شيأ من حكاياتك فقال المزين يا ملك الزمان ما شأن هذا النصراني وهذا اليهودي وهذا المسلم وهذا الاحدب بينكم ميت وما سبب هذا الجمع فقال له ملك الصين وما سؤالك عن هذا فقال سؤالي عنهم حتى يعلم الملك اني غير فضولي ولا اشتغل بما لا يعنيني واني بريء مما اتهموني به من كثرة الكلام وان لي نصيبا من اسمي حيث لقبوني بالصامت كما قال الشاعر

وقلما ابصرت عيناك ذا لقب * الا ومعناه ان فتشت في لقبه

فقال الملك اشرحوا للمزين حال هذا الاحدب وما جرى له في وقت العشاء واشرحوا له ما حكى النصراني وما حكى اليهودي وما حكى المباشر وما حكى الخياط فحكوا له حكايات الجميع وليس في الاعادة افادة فحرك المزين رأسه وقال والله ان هذا الشيء عجاب اكشفوا لي عن هذا الاحدب فكشفوا له عنه فجلس عند رأسه واخذ رأسه على حجره ونظر في وجهه وضحك ضحكا عاليا حتى انقلب على قفاه من شدة الضحك وقال لكل موتة سبب من الاسباب وموتة هذا الاحدب من عجب العجاب يجب ان تؤرخ في السجلات ليعتبر بما مضى من هو آت فتعجب الملك من كلامه وقال ياصامت احك لنا سبب كلامك هذا فقال يا ملك وحق نعمتك ان الاحدب فيه الروح ثم ان المزين اخرج من وسطه مكحلة فيها دهن ودهن رقبة الاحدب وغطاها حتى عرقت ثم اخرج كلبتين من حديد ونزل بهما في حلقه فالتقطت القطعة السمك بعظمها فلما اخرجها رأها الناس بعيونهم ثم نهض الاحدب واقفا على قدميه وعطس عطسة واستفاق في نفسه ومس بيديه على وجهه وقال لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعجب الحاضرون من الذي رأوه وعاينوه فضحك ملك الصين حتى غشي عليه وكذلك الحاضرون وقال السلطان والله ان هذه قصة عجيبة ما رأيت اغرب منها ثم ان السلطان قال يا مسلمون يا جماعة العسكر هل رأيتم في عمركم احدا يموت ثم يحيى بعد ذلك ولولا رزقه الله بهذا المزين لكان اليوم من اهل الاخرة فانه كان سببا لحياته فقالوا والله ان هذا من عجب العجاب ثم ان ملك الصين امر ان تسطر هذه القصة فسطروها ثم جعلوها في خزانة

الملك ثم خلع على اليهودى والنصرانى والمباشر وخلع على كل واحد خلعة سنية وجعل الخياط خياطه ورتب له الرواتب واصلح بينه وبين الاحدب وخلع على الاحدب خلعة سنية مليحة ورتب له الرواتب وجعله نديمه وانعم على المزين وخلع عليه خلعة سنية ورتب له الرواتب وجعل له جامكية وجعله مزين المملكة ونديمه ولم يزل والى الذعيش واهناه الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات وليس هذا بالعجب من قصة الوزيرين التى فيها ذكر انيس الجليس قال الملك وما حكاية الوزيرين قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه كان بالبصرة ملك من الملوك يحب الفقراء والصعاليك ويرفق بالرعية ويهب من ماله لمن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو كما قال فيه بعض واصفيه

جعل القنا اقلامه وطروسه * مهج العدى ورأى المداده مائها
واظن ان الاقدمين لذا رأوا * ان يجعلوا خطية اسمائها

وكان يقال لهذا الملك محمد بن سليمان الزينى وكان له وزيران احدهما يقال له المعين بن ساوى والثانى يقال له الفضل بن خاقان وكان الفضل بن خاقان اكرم اهل زمانه حسن السيرة اجمعت القلوب على محبته واتفقت العقلاء على مشورته وكل الناس يدعون له بطول مدته لانه محضر خير مزيل للشر والضير وكان الوزير المعين بن ساوى يكره الناس ولا يحب الخير وكان محضر سوء كما قال فيه بعض واصفيه

تجمعت من نطف ذانه * فركبت من عنصر فاسد
ليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم فى واحد

فلكل من هذين الوزيرين نصيب من قول الشاعر

لذبا الكرام بنى الكرام فانما * تلد الكرام بنوا الكرام كراما
ودع اللئام بنى اللئام فانما * تلد اللئام بنوا اللئام لئاما

وكان الناس على قدر محبتهم لفضل الدين ابن خاقان يبغضون المعين بن ساوى بقدرة القادر ثم ان الملك محمد بن سليمان الزينى كان قاعدا يوما من الايام على كرسى مملكته وحوله ارباب دولته اذ نادى وزيره الفضل ابن خاقان وقال له انى اريد جارية لا يكون فى زمانها احسن منها بحيث تكون كاملة فى الجمال فائقة فى الاعتدال جيدة الخصال فقال ارباب الدولة هذه لا توجد الا بعشرة آلاف دينار فعند ذلك صاح السلطان على الخازندار وقال احمل عشرة الاف دينار الى دار الفضل بن خاقان فامتثل الخازندار امر السلطان ونزل الوزير بعد ما امره السلطان ان يعمد الى السوق فى كل يوم ويوصى السماسره على ما ذكره وانه لا تباع جارية ثمنها فوق الالف دينار حتى تعرض على الوزير فلم تبع السماسرة جارية حتى يعرضوها عليه فامتثل الوزير امره واستمر على هذا الحال مدة من الزمان ولم تجىء جارية فاتفق يوما من الايام ان بعض السماسرة اقبل على دار الوزير الفضل بن خاقان فوجده راكبا متوجها الى قصر الملك فقبض على ركابه وانشد هذين البيتين

يا من اعاد رسوم الملك منشورا * انت الوزير الذى لا زال منصورا
احييت ما مات بين الناس من كرم * لا زال سعيك عند الله مشكورا

ثم قال يا سيدى ان الجارية التى صدر بطلبها المرسوم الكريم قد حضرت فقال له الوزير على بها فغاب ساعة ثم حضر ومعه جارية رشيقة القد قاعدة النهد بطرف كحيل وخد اسيل وخصر نحيل وردف ثقيل وعليها احسن ما يكون من الثياب ورضابها احلى من الجلاب وقامتها تفضح غصون البان

وكلامها ارق من النسيم اذا مر على زهر البستان كما قال فيها بعض واصفيها هذه الابيات

لها بشر مثل الحرير ومنطق * رخيم الحواشي لا هراء ولا نذر
وعينان قال الله كونا فكانتا * فعولان بالالباب ما تفعل الخمر
فيا حبها زدني جوى كل ليلة * ويا سلوة الايام موعدك الحشر
ذوائبها ليل ولكن جبينها * اذا اسفرت يوما يلوح به الفجر

فلما رآها الوزير اعجبته غاية الاعجاب فالتفت الى السمسار وقال له كم ثمن هذه الجارية فقال وقف سعرها على عشرة الاف دينار وحلف صاحبها ان العشرة الاف دينار لم تجئ ثمن الفراريج التي اكلتها ولا ثمن الخلع التي خلعتها على معلميها فانها تعلمت الخط والنحو واللغة والتفسير واصول الفقه والدين والطب والتقويم والضرب بالالات المطربة فقال الوزير على بسيدها فاحضره السمسار في الوقت والساعة فاذا هو رجل اعجمي عاش زمنا طويلا حتى صيره الدهر عظما في جلد كما قال الشاعر

ارعشني الدهر اي رعش * والدهر ذو قوة وبطش
قد كنت امشي ولست اعيي * واليوم اعيي ولست امشي

فقال له الوزير ارضيت ان تاخذ في هذه الجارية عشرة الاف دينار من السلطان محمد ابن سليمان الزيني فقال الاعجمي حيث كانت للسلطان فالواجب علي ان اقدمها اليه هدية بلا ثمن فعند ذلك امر الوزير باحضار الاموال فلما حضرت وزن الدنانير للاعجمي ثم اقبل الخصاص على الوزير وقال عن اذن مولانا الوزير اتكلم فقال الوزير هات ما عندك فقال عندي من الرأي ان لا تطلع بهذه الجارية الى السلطان في هذا اليوم فانها قادمة من السفر واختلف عليها الهوى واتعبها السفر ولكن خلها عندك في القصر عشرة ايام حتى تستريح فيزداد جمالها ثم ادخلها الحمام والبسها احسن الثياب واطلع بها الى السلطان فيكون لك في ذلك الحظ الاوفر فتأمل الوزير كلام الخصاص فوجده صوابا فاتى بها الى قصره واخلى لها مقصورة ورتب لها كل يوم ما تحتاج اليه من طعام وشراب وغيره فمكثت مدة على تلك الرفاهية وكان للوزير الفضل بن خاقان ولد كانه البدر اذا اشرق بوجه اقمر وخد احمر عليه خال كنقطة عنبر وفيه عذار اخضر كما قال الشاعر في مثله هذه الابيات

ورد الخدود ودونه شوك القنا * فمن المحدث نفسه ان يجتنى
لا تمدد الايدي اليه فطالما * شنوا الحروب لان مددنا الاعين
يا قلبه القاسي ورقة خصره * هلا نقلت الى هنا من هاهنا
لو كان رقة خصره في قلبه * ما جار قط على المحب ولا جنى
يا عاذلي في حبه كن عاذري * من لي بجسم قد تملكه الضنى
ما الذنب الا للفؤاد وناظري * لولاهما ما كنت في هذا العنا

وكان الصبي لم يعرف قضية هذه الجارية وكان والده اوصاها وقال لها يا بنتي اعلمي اني ما اشتريتك الا سرية للملك محمد بن سليمان الزيني وان لي ولدا ما خلا بصبية في الحارة الا فعل بها فاحفظي نفسك منه واحذري ان تريه وجهك او تسمعيه كلامك فقالت الجارية السمع والطاعة ثم تركها وانصرف واتفق بالامر المقدر ان الجارية دخلت يوما من الايام الحمام الذي في المنزل وقد حماها بعض الجواري والبست الثياب الفاخرة فتزايد حسنها وجمالها ودخلت على زوجة الوزير فقبلت يدها فقالت لها نعيما يا انيس

الجليس كيف حالك فى هذا الحمام فقالت ياسيدتى ما كنت محتاجة الاحضورك فيه فعند ذلك قالت سيدة البيت للجوارى قوموا بنا ندخل الحمام فامتثلن امرها ومضين وسيدتهن بينهن وقد وكلت بباب المقصورة التى فيها انيس الجليس جاريتين صغيرتين وقالت لهما لا تمكنا احدا من الدخول على الجارية فقالتا السمع والطاعة فبينما انيس الجليس قاعدة فى المقصورة واذا بابن الوزير الذى اسمه على نور الدين قد دخل وسأل عن امه وعن العائلة فقال له الجاريتان دخلوا الحمام وقد سمعت الجارية انيس الجليس كلام على نور الدين بن الوزير وهى من داخل المقصورة فقالت فى نفسها يا ترى ما شأن هذا الصبى الذى قال لى الوزير عنه انه ما خلا بصبية فى الحارة الا واقعها والله انى اشتهى ان انظره ثم انها نهضت على قدميها وهى من اثر الحمام وتقدمت جهة باب المقصورة ونظرت الى على نور الدين فاذا هو صبى كالبدر فى تمامه فاورثتها النظرة الف حسرة ولاحت من الصبى التفاتة اليها فنظرها نظرة اورثه الف حسرة ووقع كل منهما فى شرك هوى الاخر فتقدم الصبى الى الجاريتين وصاح عليهما فهربتا من بين يديه ووقفتا من بعيد ينظرانه وينظران ما يفعل واذا به تقدم الى باب المقصورة وفتحه ودخل على الجارية وقال لها انت التى اشتراك ابى فقالت له نعم فعند ذلك تقدم الصبى اليها وكان فى حال السكر واخذ رجليها وجعلهما فى وسطه وهى شبكت يديها فى عنقه واستقبلته بتقبيل وشهيق وغنج ومص لسانها ومصت لسانه فازال بكارتها فلما رأى الجاريتان سيدهما الصغير دخل على الجارية انيس الجليس صرختا وكان قد قضى الصبى حاجته وخرج هاربا وللنجاة طالبا وفر من الخوف عقب الفعل الذى فعله فلما سمعت سيدة البيت صراخ الجاريتين مضت وخرجت من الحمام والعرق يقطر منها وقالت ما سبب هذا الصراخ الذى فى الدار فلما قربت من الجاريتين اقعدتهما على باب المقصورة قالت لهما ويلكما ما الخبر فلما رأيتاها قالتا ان سيدى على نور الدين جاء الينا وضربنا فهربنا منه فدخل على انيس الجليس وعانقها وما ندرى اى شئ عمل بعد ذلك فلما سمعنا ذلك هرب فعند ذلك تقدمت سيدة البيت الى انيس الجليس وقالت لها ما الخبر فقالت ياسيدتى انا قاعدة واذا بصبى جميل الصورة دخل على وقال لى انت التى اشتراك ابى فقلت نعم والله ياسيدتى اعتقدت ان كلامه صحيح فعند ذلك اتى الى وعانقنى فقالت لها هل فعل بك شيأ غير ذلك قالت نعم واخذ منى ثلاث قبلات فقالت ما تركك من غير افتضاض ثم بكت ولطمت وجهها هى والجوارى خوفا على نور الدين ان يذبحه ابوه فبينما هم كذلك واذا بالوزير دخل وسأل عن الخبر فقالت له زوجته احلف ان ما قلته لك تسمعه قال نعم فاخبرته بما فعله ولده فحزن ومزق ثيابه ولطم على وجهه ونتف لحيته فقالت له زوجته لا تقتل نفسك انا اعطيك من مالى عشرة الاف دينار ثمنها فعند ذلك رفع رأسه اليها وقال لها ويلك انا ما لى حاجة بثمنها ولكن خوفى ان تروح روحى ومالى فقالت له ياسيدى ما سبب ذلك قال لها اما تعلمين ان ورانا هذا العدو الذى يقال له المعين ابن ساوى ومتى سمع بهذا الامر تقدم الى السلطان وقال له وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثلاثون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير قال لزوجته اما تعلمين ان ورانا عدو يقال له المعين بن ساوى ومتى سمع بهذا الامر تقدم الى السلطان وقال له ان وزيرك الذى تزعم انه يحبك اخذ منك عشرة الف دينار

واشترى بها جارية ما رأى احد مثلها فلما اعجبته قال لابنه خذها انت احق بها من السلطان فاخذها وازال بكارتها وهاهى الجارية عنده فيقول الملك تكذب فيقول للملك عن اذنك اهجم عليه وآتيك بها فيأذن له فى ذلك فيهجم على الدار ويأخذ الجارية ويحضرها بين يدى السلطان ثم يسألها فما تقدر ان تنكر فيقول له ياسيدى انت تعلم انى ناصح لك ولكن مالى عندكم حظ فيمثل بى السلطان والناس كلهم يتفرجون على وتروح روحى فقالت له زوجته لا تعلم احدا وهذا الامر حصل خفية وسلم امرك الى الله فى هذه القضية فعند ذلك سكن قلب الوزير وطاب خاطره هذا ما كان من امر الوزير واما ما كان من امر على نور الدين فانه خاف عاقبة الامر فكان يقضى نهاره فى البساتين ولا يأتى الا فى آخر الليل لامه فينام عندها ويقوم قبل الصبح ولا يراه احد ولم يزل كذلك شهرا وهو لم يروجه ابيه فقالت امه لابيه ياسيدى هل تعدم الجارية وتعدم الولد فان طال هذا الامر على الولد هج قال لها وكيف العمل قالت له اسهر هذه الليلة فاذا جاء امسكه واصطلح انت واياه واعطه الجارية فانها تحبه وهو يحبها واعطيك ثمنها فسهر الوزير طول الليل فلما اتى ولده امسكه واراد تحرمه فادركته امه وقالت له اى شئ تريدان تفعل معه فقال لها اريد ان اذبحه فقال الولد لابيه هل اهون عليك فتغرغرت عيناه بالدموع وقال له ياولدى كيف هان عليك ذهاب مالى وروحى فقال الصبى اسمع ياوالدى ما قال الشاعر

هبنى جنيت فلم تزل اهل النهى * يهبون للجانى سماحا شاملا
ماذا عسى يرجو عدولك وهو فى * درك الحضيض وانت اعلى منزلا

فعند ذلك قام الوزير من على صدر ولده وشفق عليه وقام الصبى وقبل يد والده فقال ياولدى لو علمت انك تنصف انيس الجليس كنت وهبتها لك فقال ياوالدى كيف لا انصفها قال له اوصيك ياولدى انك لا تتزوج عليها ولا تضارها ولا تبيعها قال له ياوالدى انا احلف لك انى لا اتزوج عليها ولا ابيعها ثم حلف له ايمانا على ما ذكر ودخل على الجارية فاقام معها سنة وانسى الله تعالى الملك قصة الجارية واما المعين ابن ساوى فانه بلغه الخبر ولكنه لم يقدر ان يتكلم لعظم منزلة الوزير عند السلطان فلما مضت السنة دخل الوزير فضل الدين بن خاقان الحمام وخرج وهو عرقان فاصابه الهواء فلزم الوساد ومال به السهاد وتسلسل به الضعف فعند ذلك نادى ولده عليا نور الدين فلما حضر بين يديه قال له ياولدى ان الرزق مقسوم والاجل محتوم ولابد لكل نسمة من شرب كاس المنون وانشد هذه الابيات

من فاته الموت يوما لم يفته غدا * والكل منا على حوض الردى وردا
سوى العظيم بمن قد كان محتقرا * ولم يدع هيبة بين الورى احدا
لم يبق من ملك كلا ولا ملك * ولا نبى بعيش دائم ابدا

ثم قال ياولدى مالى عندك وصية الا تقوى الله والنظر فى العواقب وان تستوصى بالجارية انيس الجليس فقال له ياابت ومن مثلك وقد كنت معروفا بفعل الخير ودعاء الخطباء لك على المنابر فقال له ياولدى ارجو من الله تعالى القبول ثم نطق بالشهادتين وشهق شهقة فكتب من اهل السعادة فعند ذلك امتلأ القصر بالصراخ ووصل الخبر الى السلطان وسمعت اهل المدينة بوفاة الفضل بن خاقان فبكت عليه الصبيان فى مكاتبها ونهض ولده على نور الدين وجهزه وحضرت الامراء والوزراء وارباب الدولة واهل المدينة مشهده وكان ممن حضر الجنازة الوزير المعين بن ساوى وانشد بعضهم عند خروج جنازته من الدار هذه الابيات

قد قلت للرجل المولى غسله * هلا اطاع وكنت من نصحائه

جنبه ما لثم غسله بما * ازرت عيون المجد عند بكائه
وازل مجامع الخنوط ونحها * عنه وحنطه بطيب ثنائه
ومر الملائكة الكرام بحمله * شرفا الست تراهمو بازائه
لانوه اعناق الرجال بحمله * يكفي الذى حملوه من نعمائه

ثم مكث على نور الدين شديد الحزن على والده مدة مديدة فبينما هو جالس يوما من الايام فى بيت والده اذ طرق الباب طارق فنهض على نور الدين وفتح الباب واذا برجل من ندماء والده واصحابه فقبل يد نور الدين وقال ياسيدى من خلف مثلك ما مات وهذا صير سيد الاولين والاخرين ياسيدى طب نفسا ودع الحزن فعند ذلك نهض على نور الدين الى قاعة الجلوس ونقل اليها ما يحتاج اليه واجتمع عليه اصحابه واخذ جاريته واجتمع عليه عشرة من اولاد التجار ثم انه اكل الطعام وشرب الشراب وجدد مقاما بعد مقام وصار يعطى ويكرم فعند ذلك دخل عليه وكيله وقال له ياسيدى نور الدين اما سمعت قول بعضهم من ينفق ولم يحسب افتقر ولقد احسن من قال هذه الابيات

اصون دراهمى واذب عنها * لعلمى انها سيفى وترسى
ابذلها الى اعدى الاعادى * وابذل فى الورى سعدى بنحسى
فيأكلها ويشربها هنيئا * ولا يسخو الى احد بفلس
واحفظ دراهمى عن كل شخص * لئيم الطبع لا يصفو لانسى
احب الى من قولى لنذل * انلنى درهما لغد بخمس
فيعرض وجهه ويصد عنى * فتبقى مثل نفس الكلب نفسى
فيا ذل الرجال بغير مال * ولو كانت فضائلهم كشمس

ثم قال ياسيدى هذه النفقة الجزيلة والمواهب العظيمة تفنى المال فلما سمع على نور الدين من وكيله هذا الكلام نظر اليه وقال له جميع ما قلته لا اسمع منه كلمة فما احسن قول الشاعر

اذا ما ملكت المال يوما ولم اجد * فلا بسطت كفى ولا نهضت رجلى
فهانوا بخيلا قال مجدا ببخله * وهانوا اروني باذلا مات من بذل

ثم قال اعلم ايها الوكيل انى اريد اذا فضل عندك ما يكفينى لغدائى ان لا تحملنى هم عشائى فانصرف الوكيل من عنده الى حال سبيله واقبل على نور الدين على ما هو فيه من مكارم الاخلاق وكل من يقول له من ندمائه ان هذا الشئ مليح يقول هو لك هبة او يقول ياسيدى ان الدار الفلانية مليحة يقول هى لك هبة ولم يزل على نور الدين يعقد لندمائه واصحابه فى اول النهار مجلسا وفى آخره مجلسا الى ان مكث على هذا الحال سنة كاملة وبعد السنة فبينما هو جالس واذا بالجارية تنشد هذين البيتين

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

فلما فرغت من شعرها واذا بطارق يطرق الباب فقام نور الدين فتبعه بعض جلسائه من غير ان يعلم به فلما فتح الباب رأه وكيله فقال له على نور الدين ما الخبر فقال له ياسيدى الذى كنت اخاف عليك منه قد وقع لك قال وكيف ذلك قال اعلم انه ما بقى لك تحت يدى شئ يساوى درهما ولا اقل من درهم وهذه دفاتر المصروف الذى صرفته ودفاتر اصل مالك فلما سمع على نور الدين هذا الكلام اطرق برأسه الى

الارض وقال لا حول ولا قوة الا بالله فلما سمع الرجل الذى تبعه خفية خرج ليتسلل عليه ما قاله له الوكيل رجع الى اصحابه وقال لهم انظروا اى شئ تعملون فان عليا نور الدين قد افلس فلما رجع اليهم على نور الدين ظهر لهم الغم فى وجهه فعند ذلك نهض واحد من الندماء على قدميه ونظر الى على نور الدين وقال له ياسيدى انى اريد ان تأذن لى بالانصراف فقال على نور الدين لماذا الانصراف فى هذا اليوم فقال ان زوجتى تلد فى هذه الليلة ولا يمكننى ان اتخلف عنها واريد ان اذهب اليها وانظرها فاذن له ونهض اخر وقال له ياسيدى نور الدين اريد اليوم ان احضر عند اخى فانه يطاهر ولده وكل واحد يستأذنه بحيلة ويذهب الى حال سبيله حتى انصرفوا كلهم وبقى على نور الدين وحده فعند ذلك دعا جاريته وقال لها يا انيس الجليس اما تنظرين ما حل بى وحكى لها ما قاله الوكيل فقالت ياسيدى من منذ ليال هممت ان اقول لك على هذا الحال فسمعتك تنشد هذين البيتين

اذا جادت الدنيا عليك فجدبها * على الناس طرا قبل ان تتقلت
فلا الجود يفنيها اذا هى اقبلت * ولا الشح يبقيها اذا هى ولت

فلما سمعتك تنشدهما سكت ولم ابد لك خطابا فقال لها على نور الدين يا انيس الجليس انت تعرفين انى ما صرفت مالى الا على اصحابى وانظنهم لا يتركوننى من غير مواساة فقالت انيس الجليس والله ما ينفعونك بنافعة فقال نور الدين فانا فى هذه الساعة اقوم واروح اليهم واطرق ابوابهم لعلى انال منهم شيأ فاجعله فى يدى رأس مال واتجر فيه واترك اللهو واللعب ثم انه نهض من وقته وساعته ولا زال سائرا حتى اقبل على الزقاق الذى فيه اصحابه العشرة وكانوا كلهم ساكنين فى ذلك الزقاق فتقدم الى اول باب وطرقه فخرجت له جارية وقالت له من انت فقال لها قولى لسيدك على نور الدين واقف على الباب ويقول لك مملوكك يقبل ايديك ومنتظر فضلك فدخلت الجارية واعلمت سيدها فصاح عليها وقال لها ارجعى وقولى له ما هو هنا فرجعت الجارية الى نور الدين وقالت له ياسيدى ان سيدى ما هو هنا فتوجه نور الدين وقال فى نفسه ان كان هذا ولد زنا وانكر نفسه فغيره ما هو ولد زنا ثم تقدم الى الباب الثانى وقال كما قال اولا فانكر الاخر نفسه فعند ذلك انشد هذا البيت

ذهب الذين اذا وقفت ببابهم * منوا عليك بما تريد من الندى

فلما فرغ من شعره قال والله لابد ان اعتصنهم كلهم عسى ان يكون فيهم واحد يقوم مقام الجميع فدار على العشرة فلم يجد احدا منهم فتح الباب ولا اراه نفسه ولا امر له برغيف فانشد هذه الابيات

المرء فى زمن الاقبال كالشجره * فالناس من حولها ما دامت الثمره
حتى اذا اسقطت كل ما حملت * تفرقوا واراد وا غيرها شجره
تبا لابناء هذا الدهر كلهم * فلم اجد واحدا يصفو من العشره

ثم انه رجع الى جاريته وقد تزايد همه فقالت له ياسيدى اما قلت لك انهم لا ينفعونك بنافعة فقال والله ما فيهم من ارانى وجهه فقالت له ياسيدى بع من اساس البيت شيأ فشيأ وانفق فباع الى ان باع جميع ما فى البيت ولم يبق عنده شئ فعند ذلك نظر الى انيس الجليس وقال لها ما تفعل الآن فقالت له ياسيدى عندى من الرأى ان تقوم فى هذه الساعة وتنزل بى السوق فتبيعنى وانت تعلم ان والدك كان اشترانى بعشرة الاف دينار فلعل الله يفتح عليك ببعض هذا الثمن واذا قدر الله باجتماعنا نجتمع فقال لها يا انيس الجليس ما يهون على فراقك ساعة واحدة فقالت له ولا انا لكن للضرورة احكام

كما قال الشاعر

تطبى الضرورات فى الامور الى * سلوك مالا يليق بالادب
ما حامل نفسه على سبب * الا لامر يليق بالسبب

فعند ذلك اخذ انيس الجليس ودموعه تسيل على خده ثم انشد هذين البيتين

قفوا زودونى نظرة قبل بينكم * اعلل قلبا كاد بالبين يتلف
فان كان تزويدى بذلك كلفة * دعونى فى وجدى ولا تتكلفوا

ثم مضى وسلمها الى الدلال وقال له اعرف مقدار ما تنادى عليه فقال الدلال يا سيدى نور الدين الاصول محفوظة ثم قال له اما هى انيس الجليس الذى كان اشتراها والدك منى بعشرة الاف دينار قال نعم فعند ذلك طلع الدلال الى التجار فوجدهم لم يجتمعوا كلهم فصبر حتى اجتمع سائر التجار وامتلأ السوق بسائر اجناس الجوارى من تركية ورومية وشركسية وجرجية وحبشية فلما نظر الدلال الى ازدحام السوق نهض قائما وقال يا تجار يا ارباب الاموال ما كل مدورة جوزة ولا كل مستطيلة موزة ولا كل سمراء لحمة ولا كل بيضاء شحمة ولا كل صهباء خمرة ولا كل سمراء تمرة يا تجار هذه الدرة اليتيمة التى لا تقى الاموال لها بقيمة بكم تقتصون باب الثمن فقال واحد من التجار باربعة الاف دينار وخمسمائة واذا بالوزير المعين بن ساوى فى السوق فنظر علينا نور الدين واقفا فى السوق فقال فى نفسه ما باله واقفا فانه ما بقى عنده شئ يشترى به جوارى ثم نظر بعينه فسمع المنادى وهو واقف ينادى فى السوق والتجار حوله فقال الوزير فى نفسه ما اظنه الا افلس ونزل بالجارية ليبيعها ثم قال فى نفسه ان صح ذلك فانا برده على قلبى ثم دعا المنادى فاقبل عليه وقبل الارض بين يديه فقال انى اريد هذه الجارية التى تنادى عليها فلم يمكنه المخالفة فجاء بالجارية وقدمها بين يديه فلما نظر اليها وتأمل محاسنها من قامتها الرشيقة والفاظها الرقيقة اعجبته فقال له الى كم وصل ثمنها فقال له باربعة الاف وخمسمائة دينار فلما سمع ذلك التجار ما قدر واحد منهم ان يزود درهما ولا دينارا بل تأخروا جميعا لما يعلمون من ظلم ذلك الوزير ثم نظر المعين بن ساوى الى الدلال وقال له ما سبب وقوفك رح والجارية على باربعة الاف دينار ولك خمسمائة دينار فراح الدلال الى على نور الدين وقال له يا سيدى راحت الجارية عليك بلا ثمن فقال له وما سبب ذلك قال له نحن فضنا باب سعرها باربعة الاف دينار وخمسمائة فجاء هذا الظالم المعين بن ساوى ودخل السوق فلما نظر الى الجارية اعجبته وقال لى شاور على اربعة الاف دينار ولك خمسمائة وما اظنه الا عرف ان الجارية لك فان كان يعطيك ثمنها فى هذه الساعة يكون ذلك من فضل الله لكن انا اعرف من ظلمه انه يكتب لك ورقة حوالة على بعض عملائه ثم يرسل اليهم ويقول لهم لا تعطوه شيأ فكلما ذهبت اليهم لتطالبهم يقولون فى غد نعطيك ولا يزالون يعدونك ويخلفون يوما بعد يوم وانت عزيز النفس وبعد ان يفجوا من مطالبتك اياهم يقولون اعطنا ورقة الحوالة فاذا اخذوا الورقة منك قطعوها وراح عليك ثمن الجارية فلما سمع على نور الدين من الدلال هذا الكلام نظر اليه وقال له كيف يكون العمل فقال له انا اشور عليك بمشورة فان قبلتها منى كان لك الحظ الاوفر قال وما هى قال تجئ فى هذه الساعة عندى وانا واقف فى وسط السوق وتأخذ الجارية من يدى وتلكمها وتقول لها ويلك قد فديت يمينى التى حلفتها ونزلت بك السوق حيث حلفت عليك انه لا بد من اخراجك الى السوق ومناداة الدلال عليك فان فعلت ذلك ربما تدخل عليه الحيلة وعلى الناس ويعتقدون انك ما نزلت بها الا لاجل ابرار اليمين فقال هذا هو الرأى الصواب

ثم ان الدلال فارقه وجاء الى وسط السوق ومسك يد الجارية واشار الى الوزير المعين بن ساوى وقال يا مولاى هذا مالكها قد اقبل ثم جاء على نور الدين الى الدلال ونزع الجارية من يده واكمها وقال لها ويلك قد نزلت بك الى السوق لاجل ابرار يميني روحي الى البيت وبعد ذلك لا تخالفيني فلست محتاجا الى ثمنك حتى ابيعك انا ولو بعت اثاث البيت وامثاله مرات عديدة ما بلغ قدر ثمنك فلما نظر المعين ابن ساوى الى نور الدين قال له ويلك وهل بقي عندك شيء تبيع او تشتري ثم ان المعين بن ساوى اراد ان يبطش به فعند ذلك نظر التجار الى نور الدين وكانوا كلهم يحبونه فقال لهم ها انا بين ايديكم وقد عرفتم ظلمه فقال الوزير والله لولا انتم لقتلته ثم رمز واكلهم لبعضهم بعين الاشارة وقالوا اما احد منا يدخل بينك وبينه فعند ذلك تقدم على نور الدين الى الوزير بن ساوى وكان نور الدين شجاعا فجذب الوزير من فوق سرجه فرماه على الارض وكان هناك مجنة طين فوقع الوزير في وسطها وجعل على نور الدين يلكمه فجأت لكمة على اسنانه فاختضبت لحيته بدمه وكان مع الوزير عشرة مماليك فلما رأوا نور الدين فعل بسيدهم هذه الافعال وضعوا ايديهم على مقابض سيوفهم واراد وا ان يهجموا على نور الدين ويقطعوه واذا بالناس قالوا للمماليك هذا وزير وهذا ابن وزير وربما اصطلحا مع بعضهما وتكونون مبغوضين عند كل منهما وربما جاءت فيه ضربة فتموتون جميعا اقبح الموتات ومن الرأي ان لا تدخلوا بينهما فلما فرغ على نور الدين من ضرب الوزير اخذ جاريته ومضى الى داره واما الوزير ابن ساوى فانه قام من ساعته وكان قاش ثيابا بيض فصار ملونا بثلاثة الوان لون الطين ولون الدم ولون الرماد فلما رأى نفسه على هذه الحالة اخذ برشا وجعله في رقبته واخذ في يده حزمتين من حلفة وسار الى ان وقف تحت القصر الذي فيه السلطان وصاح يا ملك الزمان مظلوم فاحضروه بين يديه فتأمله فرأه وزيره المعين بن ساوى فقال له من فعل بك هذه الفعال فبكى وانتحب وانشد هذين البيتين

ايظلمني الزمان وانت فيه * وتأكلني الكلاب وانت ليث
ويروى من حياضك كل صاد * واعطش في حماك وانت غيث

ثم قال يا سيدي اهكذا كل من كان يحبك ويخدمك تجري له هذه المشاق قال له ومن فعل بك هذه الفعال فقال الوزير اعلم اني خرجت اليوم الى سوق الجواري لعلي اشتري جارية طباخة فرأيت في السوق جارية ما رأيت في طول عمري مثلها فقال الدلال انها العلي بن خاقان وكان مولانا السلطان اعطى اباه سابقا عشرة الاف دينار ليشتري له بها جارية مليحة فاشترى تلك الجارية فاعجبته فاعطى ولده اياها فلما مات ابوه سلك طريق الاسراف حتى باع جميع ما عنده من الاملاك والبساتين والاوانى فلما افلس ولم يبق عنده شيء نزل بالجارية الى السوق على ان يبيعها ثم سلمها الى الدلال فنادى عليها وتزايدت فيها التجار حتى بلغ ثمنها اربعة الاف دينار فقلت لعقلي اشتري هذه لمولانا السلطان فان اصل ثمنها كان من عنده فقلت يا ولدي خذ ثمنها اربعة الاف دينار فلما سمع كلامي نظر الي وقال ياشيخ انحس ابيعها لليهود والنصارى ولا ابيعها لك فقلت انا ما اشتريها لنفسي وانما اشتريها لمولانا السلطان الذي هو ولي نعمتنا فلما سمع مني هذا الكلام اغتاظ وجذبني ورماني عن الجواد وانا شيخ كبير وضربني ولم يزل يضربني حتى تركني كما ترائي وانا ما اوقعني في هذا كله الا انني جئت لاشتري هذه الجارية لسعادتك ثم ان الوزير رمى نفسه على الارض وجعل يبكي ويرتعد فلما نظر السلطان حالته وسمع مقالته قام عرق الغضب بين عينيه ثم التفت الى من بحضرته من ارباب الدولة واذا باربعين ضارب سيف

وقفوا بين يديه فقال لهم السلطان انزلوا فى هذه الساعة الى دار على ابن خاقان وانهبوها واهدموها واتونى به وبالجارية مكتفين واصحبوهما على وجوههما وأتوا بهما بين يدى فقالوا له السمع والطاعة ثم انهم نزلوا وقصدوا المسير الى نور الدين وكان عند السلطان حاجب يقال له علم الدين سنجر وكان اولا من مماليك الفضل ابن خاقان والد على نور الدين فلما سمع امر السلطان ورأى الاعداء تهيئوا الى قتل ابن سيده لم يهن عليه ذلك فركب جواده وسار الى ان اتى بيت على نور الدين فطرق الباب فخرج له نور الدين فلما رأه عرفه واراد ان يسلم عليه فقال ياسيدى ما هذا وقت سلام ولا كلام واسمع ما قال الشاعر

ونفسك فزبها ان خفت ضيما ✻ وخل الدار تبغى من بناها
فانك واجد ارضا بارض ✻ ونفسك لم تجد نفسا سواها

فقال نور الدين يا علم الدين ما الخبر فقال له انهض وفز بنفسك انت والجارية فان المعين بن سارى نصب العاشر كامنى وقعتما فى يده قتلكما وقد ارسل اليكما السلطان اربعين ضاربا بالسيف والرأى عندى ان تهربا قبل ان يحل الضرر بكما ثم ان سنجر مد يده الى نور الدين بدنانير فعدها فوجدها اربعين دينارا وقال له ياسيدى خذ هذه ولو كان معى اكثر من ذلك لاعطيتك اياه لكن ما هذا وقت معاتبة فعند ذلك دخل نور الدين على الجارية واعلمها بذلك فتحيلت ثم خرج الاثنان فى الوقت الى ظاهر المدينة واسبل الله عليهما ستره ومشيا الى ساحل البحر فوجدا مركبا تجهزت للسفر والريس واقف فى وسط المركب يقول من بقى له حاجة من وداع او زوادة او نسى حاجة فليأت بها فاننا متوجهون فقالوا كلهم لم يبق لنا حاجة ياريس فعند ذلك قال الريس لجماعته هيا حلوا الطرف واقلعوا الاوتاد فقال على نور الدين الى اين يا ريس فقال الى دار السلام بغداد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثلاثون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الريس لما قال لعلى نور الدين الى دار السلام مدينة بغداد طلع على نور الدين وطلعت معه الجارية وعوموا ونشروا القلوع فاندفعت المركب كانها طير بجناحيه كما قال فيها بعضهم هذين البيتين

انظر الى مركب يسبيك منظره ✻ تسابق الريح فى سير بسراء
كانه طائر قد مد جنحته ✻ اتى من الجو منقضا على الماء

فسارت بهم المركب وطاب لهم الريح هذا ما جرى لهؤلاء واما ما جرى للاربعين الذين ارسلهم السلطان فانهم جاؤا الى بيت على نور الدين فكسروا الابواب ودخلوا وطافوا جميع الاماكن فلم يقعوا لهما على خبر فهدموا الدار ورجعوا واعلموا السلطان فقال اطلبوهما من اى مكان كانا فيه فقالوا السمع والطاعة ثم نزل الوزير المعين بن ساوى الى بيته بعد ان خلع عليه السلطان خلعة وقال له لا يأخذ بثارك الا انا فدعا له بطول البقاء واطمان قلبه ثم ان السلطان امر ان ينادى فى المدينة يا معاشر الناس كافة قد امر مولانا السلطان ان من عثر بعلى نور الدين ابن خاقان وجاء به الى السلطان خلع عليه خلعة واعطاه الف دينار ومن اخفاه وعرف مكانه ولم يخبر به فانه يستحق ما يجرى له من النكال فصار جميع الناس فى التفتيش على نور الدين فلم يعرفوا له اثرا هذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر على نور

الدين وجارته فانهما وصلا بالسلامة الى بغداد فقال الريس هذه بغداد وهى مدينة امينة قد ولى عنها
الشتاء ببرده واقبل عليها فصل الربيع بورده وازهرت اشجارها وجرت انهارها فعند ذلك طلع على
نور الدين هو وجارته من المركب واعطى الريس خمسة دنانير ثم سارا قليلا فرمتهما المقادير بين البساتين
فجاءا الى مكان فوجداه مكنوسا مرشوشا بمساطب مستطيلة وقواديس معلقة ملآنة بالماء وفوقه
مكعب من القصب بطول الزقاق وفى صدر الزقاق باب بستان الا انه مغلوق فقال نور الدين للجارية
والله ان هذا لمحل مليح فقالت ياسيدى اقعد بنا ساعة على هذه المساطب فطلعا وجلسا على المساطب
ثم غسلا وجوههما وايديهما واستلذا بمرور النسيم فناما وجل من لا ينام وكان هذا البستان يسمى
بستان النزهة وهنالك قصر يقال له قصر الفرجة وهو للخليفة هارون الرشيد وكان الخليفة اذا ضاق
صدره يأتى الى هذا البستان ويدخل ذلك القصر فيقعد فيه وكان القصر له ثمانون شباكا ومعلق فيه
ثمانون قنديلا وفى وسطه شمعدان كبير من الذهب فاذا دخله الخليفة امر الجوارى ان تفتح الشبابيك
وامر اسحاق النديم والجوارى ان يغنوا فينشرح صدره ويزول همه وكان للبستان خولى شيخ كبير يقال له
الشيخ ابراهيم واتفق انه خرج ليقضى حاجة من اشغاله فوجده المتفرجين معهم النساء اهل الريبة فغضب
غضبا شديدا فصبر الشيخ ابراهيم حتى جاء عنده الخليفة فى بعض الايام فاعلمه بذلك فقال الخليفة كل
من وجدته على باب البستان فافعل به ما اردت فلما كان ذلك اليوم خرج الشيخ ابراهيم الخولى لقضاء
حاجة عرضت له فوجد الاثنين نائمين على باب البستان مغطيين بازار واحد فقال اما عرفا ان الخليفة
اعطانى اذنا ان كل من لقيته هنا اقتله ولكن انا اضرب هذين ضربا خفيفا حتى لا يقرب احد
من باب البستان ثم قطع جريدة خضراء وخرج اليهما ورفع يده فبان بياض ابطه واراد ضربهما فتفكر
فى نفسه وقال يا ابراهيم كيف تضربهما ولم تعرف حالهما وقد يكونان غريبين او من ابناء السبيل ورمتهما
المقادير هنا فانا اكشف وجوههما وانظر اليهما فرفع الازار عن وجوههما وقال هذان حسنان
لا ينبغى ان اضربهما ثم غطى وجوههما وتقدم الى رجل على نور الدين وجعل يكبسها ففتح عينه
فوجده شيخا كبيرا فاستحى على نور الدين ولم رجليه واستوى قاعدا واخذ يد الشيخ ابراهيم وقبلها فقال له
يا ولدى من اين انتم فقال له ياسيدى نحن غرباء وفرت الدمعة من عينه فقال الشيخ ابراهيم يا ولدى اعلم
ان النبى صلى الله عليه وسلم اوصى باكرام الغريب ثم قال له يا ولدى اما تقوم وتدخل البستان
وتتفرج فيه فينشرح صدرك فقال له نور الدين ياسيدى هذا البستان لمن قال يا ولدى هذا البستان ورثته
من اهلى وما كان قصدى الشيخ ابراهيم بهذا الكلام الا ان يطمئنا ويدخلا البستان فلما سمع نور الدين
كلامه شكره وقام هو وجارته والشيخ ابراهيم قدامهما فدخلوا البستان فاذا هو بستان بابه مقنطر عليه
كروم واعنابه مختلفة الالوان الاحمر كانه ياقوت والاسود كانه ابنوس فدخلوا تحت عريشة فوجدوا
فيها الاثمار صنوانا وغير صنوان والاطيار تغرد بالالحان على الاغصان والهزار يترنم والقمرى تملأ بصوته
المكان والشحرور كانه فى تغريده انسان والفاخت كانه شارب نشوان والاشجار قد اينعت اثمارها من كل
مأكول ومن كل فاكهة زوجان والمشمش ما بين كافورى ولوزى ومشمش خراسان والبرقوق كانه لون
الحسان والقراصية تذهل عقل كل انسان والتين ما بين احمر وابيض واخضر من احسن الالوان والزهر
كانه اللؤلؤ والمرجان والورد يفضح بحمرته خدود الحسان والبنفسج كانه كبريت دنا من النيران والآس
والمنثور والخذامة مع شقائق النعمان وتكللت تلك الاوراق بمدامع الغمام وضحك ثغر الاخوان وصار

النرجس ناظر الى الورد بعيون السودان والاترج كانه اكواب واللیمون كبنادق من ذهب وفرشت الارض بالزهر من سائر الالوان واقبل الربيع فاشرق ببهجته المكان والنهر فى خرير والطير فى هدير والريح فى صفير والزمان فى اعتدال والنسيم فى اعتلال ثم دخل بهما الشيخ ابراهيم القاعة المعلقة فابتهجوا بحسن تلك القاعة وما فيها من اللطائف الغريبة وجلسوا فى بعض الشبابيك فتذكر نور الدين المقامات التى مضت له فقال والله ان هذا المكان فى غاية الحسن لقد اذكرنى بما مضى واطفأ من كربى جمر الغضا ثم ان الشيخ ابراهيم قدم لهما الاكل فاكلا كفايتهما ثم غسلا ايديهما وجلس نور الدين فى شباك من تلك الشبابيك وصاح على جاريته فاتت اليه فصارا ينظران الى الاشجار وقد حملت سائر الاثمار ثم التفت على نور الدين الى الشيخ ابراهيم وقال له ياشيخ ابراهيم اما عندك لنا شئ من الشراب لان الناس يشربون بعد ان يأكلوا فجاءه الشيخ ابراهيم بماء حلو بارد فقال له نور الدين ما هذا الشراب الذى اريده فقال له اتريد الخمر فقال نور الدين نعم فقال اعوذ بالله منها ان لى ثلاثة عشر عاما ما فعلت ذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم لعن شاربه وعاصره وحامله فقال له نور الدين اسمع منى كلمتين قال قل ما شئت قال اذا لم تكن عاصرا الخمر ولا شاربه ولا حامله هل يصيبك من اثمهم شئ قال لا قال خذ هذا الدينار وهذين الدرهمين واركب هذا الحمار وقف بعيدا واى انسان وجدته يشترى فصح عليه وقل له خذ هذين الدرهمين واشترى بهذين الدينارين خمرا واحمله على الحمار وحينئذ لا تكون حاملا ولا عاصرا ولا مشتريا ولا يصيبك شئ مما اصاب الجميع فقال الشيخ ابراهيم وقد ضحك من كلامه والله ما رأيت اظرف منك ولا احلى من كلامك فقال له نور الدين نحن صرنا محسوبين عليك وما عليك الا الموافقة فان لنا بجميع ما نحتاج اليه فقال الشيخ ابراهيم يا ولدى هذا كرارى قد املك وهو الحاصل المعد لامير المؤمنين فادخله وخذ منه ما شئت فان فيه فوق ما تريد فدخل على نور الدين الحاصل فرأى فيه اوانى من الذهب والفضة والبلور مرصعة باصناف الجواهر فاخرج منها ما اراد وسكب الخمر فى البواطى والقناني وصار هو وجاريته يتعاطيان واندهشا من حسن ما رأيا ثم ان الشيخ ابراهيم جاءلهما بالمشموم وقعد بعيدا عنهما فلم يزالا يشربان وهما فى غاية الفرح حتى تحكم معهما الشراب واحمرت خدودهما وتغازلت عيونهما واسترخت شعورهما فقال الشيخ ابراهيم مالى قاعدا بعيدا عنهما كيف لا اقعد عندهما اراى وقت اجتمع فى حضرة مثل هذين الاثنين اللذين كانهما قمران ثم ان الشيخ ابراهيم تقدم وقعد فى طرف الايوان فقال له على نور الدين ياسيدى بحياتى عليك ان تتقدم عندنا فتقدم الشيخ ابراهيم عندهما فملأ نور الدين قدحا ونظر الى الشيخ ابراهيم وقال له اشرب حتى تعرف ما لذة طعمه فقال الشيخ ابراهيم اعوذ بالله ان لى ثلاث عشرة سنة ما فعلت شيأ من ذلك فتغافل عنه نور الدين وشرب القدح ورمى نفسه فى الارض واظهر انه غلب عليه السكر فعند ذلك نظرت اليه انيس الجليس وقالت له ياشيخ ابراهيم انظر هذا كيف عمل معى قال لها ياسيدتى ما له قالت دائما يعمل معى هكذا فيشرب ساعة وينام وابقى انا وحدى لا اجد لى نديما ينادمنى على قدحى فاذا شربت فمن يعاطينى واذا غنيت فمن يسمعنى فقال لها الشيخ ابراهيم وقد حنت اعضاؤه ومالت نفسه اليها من كلامها وقال لا ينبغى من النديم ان يكون هكذا ثم ان الجارية ملأت قدحا ونظرت الى الشيخ ابراهيم وقالت له بحياتى ان تاخذه وتشربه ولا ترده فاقبله واجبر خاطرى فمد الشيخ ابراهيم يده واخذ القدح وشربه وملأت له ثانيا ومدت اليه يدها به وقالت له ياسيدى بقى لك هذا فقال آها والله لا اقدر ان اشربه فقد كفانى الذى شربته فقالت له والله لابد منه فاخذ القدح

وشربه

وشربه ثم اعطته الثالث فاخذه واراد ان يشربه واذا بنور الدين هم قاعدا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثلاثون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان عليا نور الدين هم قاعدا فقال له ياشيخ ابراهيم اى شئ هذا الما حلفت عليك من ساعة فابيت وقلت ان لى ثلاثة عشر عاما ما فعلته فقال الشيخ ابراهيم وقد استحيى والله مالى ذنب وانما هى شدت على ففعل نور الدين وقعدوا للمنادمة فالتفتت الجارية وقالت لسيدها سرا ياسيدى اشرب ولا تحلف على الشيخ ابراهيم حتى افرجك عليه فجعلت الجارية تملا وتسقى سيدها وسيدها يملأ ويسقيها ولم يزالا كذلك مرة بعد مرة فنظر لهما الشيخ ابراهيم وقال لهما اى شئ هذا وما هذه المنادمة لا تسقيانى وقد صرت نديمكما فضحكا من كلامه الى ان انحنى عليهما ثم شربا وسقياه ولا زالوا فى المنادمة الى ثلث الليل فعند ذلك قالت الجارية ياشيخ ابراهيم عن اذنك هل اقوم واوقد شمعة من هذا الشمع المصفوف فقال لها قومى ولا توقدى الا شمعة واحدة فنهضت على قدميها وابتدأت من اول الشمع الى ان اوقدت ثمانين شمعة ثم قعدت وبعد ذلك قال نور الدين ياشيخ ابراهيم وانا اى شئ حظى عندك اما تخلينى اوقد قنديلا من هذه القناديل فقال له الشيخ ابراهيم قم واوقد قنديلا واحدا ولا تتناقل انت الاخر فقام وابتدأ من اولها الى ان اوقد ثمانين قنديلا فعند ذلك رقص المكان فقال لهما الشيخ ابراهيم وقد غلب عليه السكر اتما اخرج منى ثم انه نهض على قدميه وفتح الشبابيك جميعا وجلس ومعهما يتنادمون ويتناشدون الاشعار وابتهج بهم المكان فقد ر الله السميع العليم الذى جعل لكل شئ سببا ان الخليفة كان فى تلك الساعة جالسا فى الشبابيك المطلة على ناحية الدجلة فى ضوء القمر فنظر الى تلك الجهة فرأى ضوء القناديل والشموع فى البحر ساطعا فلاحت من الخليفة التفاتة الى القصر الذى فى البستان فرأه يرهج من تلك الشموع والقناديل فقال على بجعفر البرمكى فما كان الا لحظة وقد حضر جعفر بين يدى امير المؤمنين فقال له يا كلب الوزراء اتخدمنى ولم تعلمنى بما يحصل فى مدينة بغداد فقال له جعفر وما سبب هذا الكلام فقال له لولا ان مدينة بغداد اخذت منى ما كان قصر الفرجة مبتهجا بضوء القناديل والشموع وانفتحت شبابيكه ويلك من الذى يكون له قدرة على هذه الفعال الا اذا كانت الخلافة اخذت منى فقال جعفر وقد ارتعدت فرائصه ومن اخبرك بان قصر الفرجة اوقدت فيه القناديل والشموع وفتحت شبابيكه فقال له تقدم عندى وانظر فتقدم جعفر عند الخليفة ونظر ناحية البستان فوجد القصر كانه شعلة نار نورها غلب على نور القمر فاراد جعفر ان يعتذر عن الشيخ ابراهيم الخولى ربما يكون هذا الامر باذنه لما رأى فيه من المصلحة فقال يا امير المؤمنين كان الشيخ ابراهيم فى الجمعة التى مضت قال لى ياسيدى جعفر انى اريد ان افرح اولادى فى حياتك وحياة امير المؤمنين فقلت وما مرادك بهذا الكلام فقال لى مرادى ان تأخذ لى اذنا من الخليفة بانى اظاهر اولادى فى البصرة فقلت له افعل ما شئت من فرح اولادك وان شاء الله اجتمع بالخليفة واعلمه بذلك فراح من عندى على هذا الحال ونسيت ان اعلمك فقال الخليفة يا جعفر كان لك عندى ذنب واحد فصار لك عندى ذنبان لانك اخطأت من وجهين الوجه الاول انك ما اعلمتنى بذلك الوجه الثانى انك ما بلغت الشيخ ابراهيم مقصوده فانه ما جاء اليك وقال لك هذا الكلام الا تعريضا بطلب شئ من المال

يستعين به على مقصوده فلم تعطه شيأ ولم تعلمنى حتى اعطيه فقال جعفر يا امير المؤمنين نسيت فقال الخليفة وحق اباءى واجدادى ما اتم بقية ليلتى الا عنده فانه رجل صالح يتردد الى المشايخ ويحتفل بالفقراء ويواسى المساكين واظن ان الجميع عنده فى هذه الليلة فلا بد من الذهاب اليه لعل واحدا منهم يدعو لنا دعوة يحصل لنا بها خير فى الدنيا والاخرة وربما يحصل له نفع فى هذا الامر بحضورى ويفرح بذلك هو واحبابه فقال جعفر يا امير المؤمنين ان معظم الليل قد مضى وهم فى هذه الساعة على وجه الانقضاض فقال الخليفة لا بد من الرواح عندهم فسكت جعفر وتحير فى نفسه وصار لا يدرى ما يفعل فنهض الخليفة على قدميه وقام جعفر بين يديه ومعهم مسرور الخادم ومشوا الثلاثة متفكرين ونزلوا من القصر وجعلوا يشقون فى الازقة وهم فى زى التجار الى ان وصلوا الى باب البستان المذكور فتقدم الخليفة فرأى البستان مفتوحا فتعجب وقال انظر يا جعفر الشيخ ابراهيم كيف خلى الباب مفتوحا الى هذا الوقت وما هى عادته ثم انهم دخلوا الى ان انتهوا الى آخر البستان ووقفوا تحت القصر فقال الخليفة يا جعفر اريد ان اتسلل عليهم قبل ان اطلع عندهم حتى انظر ما عليه المشايخ من النفحات وواردات الكرامات فان لهم شؤنا فى الخلوات والجلوات لاننا الآن لم نسمع لهم صوتا ولم نر اثرا ثم ان الخليفة نظر فرأى شجرة جوز عالية فقال يا جعفر اريد ان اطلع على هذه الشجرة فان فروعها قريبة من الشبابيك وانظر اليهم ثم ان الخليفة طلع فوق الشجرة ولم يزل يتعلق من فرع الى فرع حتى وصل الى الفرع الذى يقابل الشباك وقعد فوق ونظر من شباك القصر فرأى صبية وصبيا كانهما قمران سبحان من خلقهما ورأى الشيخ ابراهيم قاعدا وفى يده قدح وهو يقول يا سيدة الملاح اشرب بلا طرب غير فلاح الم تسمع قول الشاعر

ادرها بالكبير وبالصغير * وخذها من يد القمر المنير
ولا تشرب بلا طرب فانى * رأيت الخيل تشرب بالصفير

فلما عاين الخليفة من الشيخ ابراهيم هذه الفعال قام عرق الغضب بين عينيه ونزل وقال يا جعفر انا ما رأيت شيأ من كرامات الصالحين مثل ما رأيت فى هذه الليلة فاطلع انت الاخر على هذه الشجرة وانظر لتلا تفوتك بركات الصالحين فلما سمع جعفر كلام امير المؤمنين صار متحيرا فى امره وصعد الى اعلا الشجرة واذا به نظر فرأى نور الدين والشيخ ابراهيم والجارية وكان الشيخ ابراهيم فى يده القدح فلما عاين جعفر تلك الحالة ايقن بالهلاك ثم نزل فوقف بين يدى امير المؤمنين فقال الخليفة يا جعفر الحمد لله الذى جعلنا من المتبعين لظاهر الشريعة المطهرة وكفانا شر تلبيسات الطريقة المزورة فلم يقدر جعفر ان يتكلم من شدة الخجل ثم نظر الخليفة الى جعفر وقال يا ترى من اوصل هؤلاء الى هذا المكان ومن ادخلهم قصرى ولكن مثل هذا الصبى وهذه الصبية ما رأت عينى حسنا وجمالا وقد اعتدالا فقال جعفر وقد استرجى رضاء الخليفة صدقت يا امير المؤمنين فقال يا جعفر اطلع بنا على هذا الفرع الذى هو مقابلهم لنتفرج عليهم فطلع الاثنان على الشجرة ونظراهما فسمعا الشيخ ابراهيم يقول يا سادتى قد تركت الوقار بشرب العقار ولا يلذ ذلك الا بنغمات الاوتار فقالت له انيس الجليس يا شيخ ابراهيم والله لو كان عندنا شئ من آلات الطرب لكان سرورنا كاملا فلما سمع الشيخ ابراهيم كلام الجارية نهض قائما على قدميه فقال الخليفة لجعفر يا ترى ماذا يريد ان يعمل فقال جعفر لا ادرى فغاب الشيخ ابراهيم وعاد ومعه عود فتأمله الخليفة فاذا هو عود اسحاق النديم فقال الخليفة والله ان غنت هذه الجارية ولم تحسن الغناء صلبتكم

كلكم وان غنت واحسنت الغناء فانى اعفو عنهم واصلبك انت فقال جعفر اللهم اجعلها لا تحسن الغناء فقال الخليفة لاى شئ فقال لاجل ان تصلبنا كلنا فيؤانس بعضنا بعضا فضحك الخليفة واذا بالجارية اخذت العود واصلحت اوتاره وضربت ضربا يذيب الحديد ويفطن البليد وجعلت تنشد هذه الابيات

اضحى التنائى بديلا من تدانينا * ومذ دنى طيف لقيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا * بان نغص فقال الدهر آمينا
والله ما الخوف ان تقتلونا فى سنا زلكم * وانما خوفنا ان تأمنوا فينا

فقال الخليفة والله يا جعفر عمرى ما سمعت صوتا مطربا مثل هذا فقال جعفر لعل الخليفة ذهب ما عنده من الغيظ قال نعم ذهب ثم نزل من على الشجرة هو وجعفر ثم التفت الى جعفر وقال اريد ان اطلع واجلس عندهم واسمع الصبية تغنى قدامى فقال يا امير المؤمنين اذا طلعت عليهم ربما تكدروا واما الشيخ ابراهيم فانه يموت من الخوف فقال الخليفة يا جعفر لابد ان تعرفنى حيلة احتال بها على معرفة حقيقة هذا الامر من غير ان يشعروا باطلاعنا عليهم ثم ان الخليفة وجعفر هو وذهبا الى ناحية الدجلة وهما متفكران فى هذا الامر واذا بصياد واقف يصطاد وكان الصياد تحت شبابيك القصر فرمى شبكته ليصطاد ما يقتات به وكان الخليفة سابقا صاح على الشيخ ابراهيم وقال له ما هذا الصوت الذى سمعته تحت شبابيك القصر فقال له الشيخ ابراهيم صوت الصيادين الذين يصطادون السمك فقال انزل وامنعهم من ذلك الموضع فامتنعت الصيادون من ذلك الموضع فلما كانت تلك الليلة جاء صياد يسمى كريما ورأى باب البستان مفتوحا فقال فى نفسه هذا وقت غفلة لعلى استغنم فى هذا الوقت صيدا ثم اخذ شبكته وطرحها فى البحر وصار ينشد هذه الابيات

يا راكب البحر فى الاهوال والهلكه * اقصر عنالك فليس الرزق بالحركه
اما ترى البحر والصياد منتصب * فى ليله ونجوم الليل محتبكه
قد مد اطنابه والموج يلطمه * وعينه لم تزل فى كل الشبكه
حتى اذا بات مسرورا بها فرحا * والحوت قد حط فى فخ الردى حنكه
وصاحب القصر امسى فيه ليلته * منعم البال فى خير من البركه
وصار مستيقظا من بعد رقدته * لكن فى ملكه ظبى وقد ملكه
سبحان ربى يعطى ذا ويمنع ذا * بعض يصيد وبعض يأكل السمكه

فلما فرغ من شعره واذا بالخليفة وحده واقف على رأسه فعرفه الخليفة فقال له يا كريم فالتفت اليه لما سمعه سماه باسمه فلما رأى الخليفة ارتعدت فرائصه وقال والله يا امير المؤمنين ما فعلته استهزاء بالمرسوم ولكن الفقر والعيلة قد حملانى على ما ترى فقال الخليفة اصطد على بختى فتقدم الصياد وقد فرح فرحا شديدا وطرح الشبكة وصبر الى ان اخذت حدها وثبتت فى القرار ثم جذبها اليه فطلع فيها من انواع السمك ما لا يحصى ففرح بذلك الخليفة فقال يا كريم اقلع ثيابك فقلع ثيابه وكانت عليه جبة فيها مائة رقعة من الصوف الخشن وفيها من القمل الذى له اذناب ومن البراغيث ما يكاد ان يسير بها على وجه الارض وقلع عمامته من فوق رأسه وكان له ثلاث سنين ما حلها وانما كان اذا رأى خرقة لفها

عليها فلما قلع الجبة والعمامة خلع الخليفة من فوق جسمه ثوبين من الحرير الاسكندراني والبعلبكي وملوطة وفرجية ثم قال للصياد خذ هذه والبسها ثم لبس الخليفة جبة الصياد وعمامته ووضع على وجهه لثاما ثم قال للصياد اذهب انت الى شغلك فقبل رجل الخليفة وشكره وانشد هذين البيتين

اوليتني مالا اقوم بشكره * وكفيتني كل الامور بامرها
فلاشكرنك ما حييت وان امت * شكرتك مني اعظمي في قبرها

فافرغ الصياد من شعره حتى جال القمل على جلد الخليفة فصار يقبض بيده اليمين والشمال من على رقبته ويرمي ثم قال ياصياد ويلك ما هذا القمل الكثير في هذه الجبة فقال ياسيدي انه في هذه الساعة يؤلمك فاذا مضت عليك جمعة فانك لاتحس به ولاتفكر فيه فضحك الخليفة وقال له ويلك كيف اخلي هذه الجبة على جسدي فقال الصياد اني اشتهي ان اقول لك كلاما ولكني استحي من هيبة الخليفة فقال له قل ما عندك فقال له قد خطر ببالي يا امير المؤمنين انك اردت ان تتعلم الصيد لاجل ان تكون في يدك صنعة تنتفع فان اردت ذلك يا امير المؤمنين فان هذه الجبة تساسبك فضحك الخليفة من كلام الصياد ثم ولى الصياد الى حال سبيله واخذ الخليفة مقطف السمك ووضع فوقه قليلا من الحشيش وأتى به الى جعفر ووقف بين يديه فاعتقد جعفر انه كريم الصياد فخاف عليه وقال ياكريم ما جاء بك هنا الخ بنفسك فان الخليفة هنا في هذه الليلة فلما سمع الخليفة كلام جعفر ضحك حتى استلقى على قفاه فقال له جعفر لعلك مولانا امير المؤمنين فقال الخليفة نعم ياجعفر وانت وزيري وجئت انا واياك هنا وما عرفتني فكيف يعرفني الشيخ ابراهيم وهو سكران فكن مكانك حتى ارجع اليك فقال جعفر سمعا وطاعة ثم ان الخليفة تقدم الى باب القصر ودقه فقام الشيخ ابراهيم وقال من بالباب فقال له انا ياشيخ ابراهيم قال له من انت قال انا كريم الصياد وسمعت ان عندك اضيافا فجئت اليك بشيء من السمك فانه مليح وكان نور الدين هو والجارية يحبان السمك فلما سمعا ذكر السمك فرحا به فرحا شديدا وقالا ياسيدي افتح له ودعه يدخل لنا بالسمك الذي معه ففتح الشيخ ابراهيم الباب فدخل الخليفة وهو في صورة الصياد وابتدأ بالسلام فقال له الشيخ ابراهيم اهلا بالص السارق المقامر تعال ارنا السمك الذي معك فاراهم اياه فلما نظروه فاذا هو حي يتحرك فقالت الجارية والله ياسيدي ان هذا السمك مليح باليته مقلي فقال الشيخ ابراهيم والله صدقت ثم قال للخليفة ياصياد ليتك جئت بهذا السمك مقليا قم فاقله لنا وهاته فقال الخليفة على الرأس والعين واجيء به فقالوا له عجل بقليه والاتيان به فقام الخليفة يجري حتى وصل الى جعفر وقال ياجعفر طلبوا السمك مقليا فقال يا امير المؤمنين هاته وانا اقليه فقال الخليفة وتربة اباني واجدادي ما يقليه الا انا بيدي ثم ان الخليفة ذهب الى خص الخولي وفتش فيه فوجد فيه كل شيء يحتاج اليه من آلة القلي حتى الملح والزعتر وغير ذلك فتقدم للكانون وعلق الطاجن وقلاه قليا مليحا فلما استوى جعله على ورق الموز واخذ من البستان ليمونا وطلع بالسمك ووضعه بين ايديهم فتقدم الصبي والصبية والشيخ ابراهيم واكلوا فلما فرغوا غسلوا ايديهم فقال نور الدين والله ياصياد انك صنعت معنا معروفا في هذه الليلة ثم وضع يده في جيبه واخرج له ثلاثة دنانير من الدنانير التي اعطاه اياها سنجر وقت خروجه للسفر وقال ياصياد اعذرني فوالله لو عرفتك قبل الذي حصل لي سابقا لكنت نزعت مرارة الفقر من قلبك لكن خذ هذا بحسب الحال ثم رمى الدنانير للخليفة فاخذها الخليفة وقبلها ووضعها في جيبه وما كان مراد الخليفة بذلك الا السماع من الجارية وهي تغني فقال له الخليفة احسنت وتفضلت لكن مرادي

من

من تصدقانك العمية ان هذه الجارية تغنى لنا صوتا حتى اسمعها فقال على نور الدين يا انيس الجليس قالت نعم قال لها وحياتى ان تغنى لنا شيأ من شأن خاطر هذا الصياد لانه يريد ان يسمعك فلما سمعت كلام سيدها اخذت العود وغمزته بعد ان عركت اذنه وانشدت هذين البيتين

وغادة لعبت بالعود انملها * فعادت النفس عند الجس تختلس
قد اسمعت بالاغانى من به صمم * وقال احسنت مغنى من به خرس

ثم انها ضربت ضربا غريبا الى ان اذهلت العقول وانشدت تقول هذين البيتين

ولقد شرفنا اذ نزلتم ارضنا * ومحاسنا كم ظلمة الديجور
فيحق لى انى اخلق منزلى * بالمسك والماورد والكافور

فعند ذلك اضطرب الخليفة وغلب عليه الوجد فلم يملك نفسه من شدة الطرب وصار يقول طيبك الله طيبك الله طيبك الله فقال نور الدين يا صياد هل اعجبتك الجارية وتحريكها الاوتار فقال الخليفة اى والله فقال نور الدين هى هبة منى اليك هبة كريم لا يرجع فى عطائه ثم ان نور الدين نهض قائما على قدميه واخذ ملوطة ورماها على الخليفة وهو فى صورة الصياد وامره ان يخرج ويروح بالجارية فنظرت الجارية اليه وقالت يا سيدى هل انت رايح بلا وداع ان كان ولا بد فقف حتى اودعك وانشدت هذين البيتين

لئن غبتم عنى فان محلكم * لفى مهجتى بين الجوانح والحشا
وارجو من الرحمن جمعا لشملنا * وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

فلما فرغت من شعرها اجابها نور الدين وهو يقول

ودعتنى يوم الفراق وقالت * وهى تبكى من لوعة وفراق
ما الذى انت صانع بعد بعدى * قلت قولى هذا لمن هو باق

ثم ان الخليفة لما سمع ذلك صعب عليه التفريق بينهما والتفت الى الصبى وقال له يا سيدى هل انت خائف من جناية او لاحد عليك دين فقال نور الدين والله يا صياد انه جرى لى ولهذه الجارية حديث عجيب وامر غريب لو كتب بالابر على اماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر فقال الخليفة اما تحدثنا بحديثك وتعرفنا بخبرك عسى ان يكون لك فيه فرج فان فرج الله قريب فقال نور الدين يا صياد هل تسمع حديثنا نظما او نثرا فقال الخليفة النثر كلام والشعر نظام فعند ذلك اطرق نور الدين رأسه الى الارض وانشأ يقول هذه الابيات

يا خليلى انى هجرت رقادى * وهمومى نمت لبعد بلادى
كان لى والد على شفوقا * غاب عنى مجاور الالحاد
وجرت لى من بعده الامور * صرت منها مفتت الاكباد
اشترى لى من الحسان فتاة * مثل غصن بقدها الميادى
فصرفت الذى ورثت عليها * وتخيرتها على الاجواد
سمتها البيع اذ تزايد همى * وجوى البين لم يكن بمرادى
واذا ما دعا اليها مناد * زاد فيها شيخ كثير الفساد
فلهذا اغتظت غيظا شديدا * وللكى جذبتها بايادى
فتردى ذاك اللئيم بقبح * ثم قادت فيه لظى الالحاد

من غرامي لكمته بيميني * وشمالي حتى شفيت فؤادي
ومن الخوف قد اتيت لداري * وتيقنت سطوة الاضداد
فهدى مالك البلاد لحبسي * فاتى الحاجب الرشيد السداد
رامز الى انى اسير بعيدا * عن ذراهم مكمدا حسادي
فطلعنا من دارنا جنح ليل * طالبين المقام في بغداد
ليس شئ من الذخائر عندي * دونها منحة الى الصياد
غير اني اعطيك محبوب قلبي * فتيقن اني وهبت فؤادي

فلما فرغ من شعره قال الخليفة ياسيدي نور الدين اشرح لي امرك فاخبره نور الدين بحاله من اوله الى آخره فلما فهم الخليفة هذا الحال قال له اين تقصد في هذه الساعة قال له بلاد الله فسيحة فقال له الخليفة انا اكتب لك ورقة توصلها الى السلطان محمد بن سليمان الزيني فاذا قرأها لا يضرك بشئ وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثلاثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة لما قال لعلي نور الدين انا اكتب لك ورقة توصلها الى السلطان محمد بن سليمان الزيني فاذا قرأها لا يضرك بشئ فقال له علي نور الدين وهل في الدنيا صياد يكاتب الملوك ان هذا شئ لا يكون ابدا فقال له الخليفة صدقت ولكن انا اخبرك بالسبب اعلم اني قرأت انا واياه في مكتب واحد عند فقيه وكنت انا عريفه ثم ادركته السعادة وصار سلطانا وجعاني الله صيادا ولكني لم ارسل اليه في حاجة الا قضاها ولو ارسلت اليه في كل يوم من شأن الف حاجة لقضاها فلما سمع نور الدين كلامه قال له اكتب حتى انظر فاخذ دواة وقلما وكتب بعد البسملة اما بعد فان هذا الكتاب من هارون الرشيد ابن المهدي الى حضرة محمد بن سليمان الزيني المشمول بنعمتي الذي جعلته نائبا عني في بعض مملكتي واعرفك ان الواصل اليك هذا الكتاب صحبة نور الدين بن خاقان الوزير فساعة وصوله عندكم تنزع نفسك من الملك وتجلسه مكانك فاني قد وليته على ما كنت وليتك عليه سابقا فلا تخالف امري والسلام ثم اعطى علي نور الدين بن خاقان الكتاب فاخذه نور الدين وقبله وحطه في عمامته ونزل في الوقت مسافرا هذا ما كان من امره واما ما كان من امر الخليفة فان الشيخ ابراهيم نظر اليه وهو في صورة الصياد وقال له يا احقر الصيادين قد جئت لنا بسمكتين تساويان عشرين نصفا فاخذت ثلاثة دنانير وتريد ان تأخذ الجارية ايضا فلما سمع كلامه صاح عليه واوما الى مسرور فاشهر نفسه وهجم عليه وكان جعفر قد ارسل رجلا من صبيان البستان الى بواب القصر يطلب منه بدلة لامير المؤمنين فذهب الرجل وطلع بالبدلة وقبل الارض بين يدي الخليفة فخلع عليه الخليفة ما كان عليه والبس تلك البدلة وكان الشيخ ابراهيم جالسا على كرسي والخليفة واقف ينظر ما يجري فعند ذلك بهت الشيخ ابراهيم وصار بعض في انامله من الخجل ويقول يا ترى هل انا نائم ام يقظان فنظر اليه الخليفة وقال يا شيخ ابراهيم ما هذا الحال الذي انت فيه فعند ذلك افاق من سكره ورمى نفسه على الارض وانشد هذين البيتين

هب لي جناية ما زلت به القدم * فان للعبد من ساداته كرم
فعلت ما يقتضيه الذنب معترفا * فاين ما يقتضيه العفو والكرم

فعفا عنه الخليفة وامر بالجارية ان تحمل الى القصر فلما وصلت الى القصر افرد لها الخليفة منزلا
وحدها ووكل بها من يخدمها وقال لها اعلمي اني ارسلت سيدك سلطانا على البصرة فان شاء الله نرسل
اليه خلعة ونرسلك اليه صحبتها هذا ما جرى لهؤلاء واما ما جرى لنور الدين علي بن خاقان فانه لا زال
مسافرا حتى دخل البصرة وطلع قصر السلطان ثم صرخ صرخة عظيمة فسمعه السلطان فطلبه فلما
حضر بين يديه قبل الارض قدامه ثم اخرج الورقة واعطاه اياها فلما رأى عنوان الكتاب بخط امير المؤمنين
قام واقفا على قدميه وقبلها ثلاث مرات وقال السمع والطاعة لله تعالى ولامير المؤمنين ثم احضر
القضاة الاربعة والامراء وارادان يخلع نفسه من الملك واذا بالوزير المعين ابن ساوى قد حضر فاعطاه
السلطان ورقة امير المؤمنين فلما قرأها قطعها عن اخرها واخذها في فمه ومضغها ورماها فقال له
السلطان وقد غضب ويلك ما الذي حملك على هذه الفعال قال له هذا ما اجتمع بالخليفة ولا بوزيره
وانما هو علق شيطان مكار وقع بورقة فيها خط الخليفة فزورها وكتب فيها ما اراد فلاي شيء تعزل نفسك
من السلطنة مع ان الخليفة لم يرسل اليك رسولا بخط شريف ولو كان هذا الامر صحيحا لارسل
معه حاجبا او وزيرا لكنه جاء وحده فقال له وكيف العمل قال له ارسل معي هذا الشاب وانا اخذه واتسلمه
منك وارسله صحبة حاجب الى مدينة بغداد فان كان كلامه صحيحا اتينا بخط شريف وتقليد وان كان غير
صحيح يرسلوه الينا مع الحاجب وانا اخذ حقي من غريمي فلما سمع السلطان كلام الوزير ودخل عقله
صاح على الغلمان فطرحوه وضربوه الى ان انغمى عليه ثم امر ان يضعوا في رجليه قيدا وصاح على السجان
فلما حضر قبل الارض بين يديه وكان هذا السجان يقال له قطيط فقال له يا قطيط اريدان تأخذ هذا
وترميه في مطمورة من المطامير التي عندك في السجن وتعاقبه بالليل والنهار فقال السجان سمعا
وطاعة ثم ان السجان ادخل نور الدين في السجن وقفل عليه الباب ثم امر بكنس مصطبة وراء الباب
وفرشها بسجادة ومخدة واقعد نور الدين عليها وفك قيده واحسن اليه وكان كل يوم يرسل الى السجان
ويأمره بضربه والسجان يظهر انه يعاقبه وهو يلاطفه ولم يزل كذلك مدة اربعين يوما فلما كان اليوم
الحادي والاربعون جاءت هدية من عند الخليفة فلما رأها السلطان اعجبته فشاور الوزراء في امرها
فقال بعض لعل هذه الهدية كانت للسلطان الجديد فقال الوزير المعين بن ساوى انما كان المناسب قتله
وقت قدومه فقال السلطان والله لقد ذكرتني به انزل هاته واضرب عنقه فقال الوزير سمعا وطاعة
فقام وقال له ان قصدي ان انادي في المدينة من ارادان يتفرج على ضرب رقبة نور الدين علي بن خاقان
فليأت الى القصر فيأتي جميع الناس ليتفرجوا عليه لاشفي فؤادي واكمد حسادي فقال له السلطان
افعل ما تريد فنزل الوزير وهو فرحان مسرور واقبل على الوالي وامره ان ينادي بما ذكرناه فلما سمع الناس
المنادي حزنوا وبكوا جميعا حتى الصغار في المكاتب والسوقة في دكاكينهم وتسابق الناس ياخذون
لهم اماكن ليتفرجوا فيها وذهب بعض الناس الى السجن حتى يأتي معه ونزل الوزير ومعه عشرة
مماليك الى السجن فقال قطيط السجان ما تطلب يا مولانا الوزير فقال احضر لي هذا العلق فقال
السجان انه في اقبح حال من كثرة ما ضربته ثم دخل السجان فوجده ينشد هذه الابيات

من لي يساعدني على بلواتي * فقد اعتلى داتي وعز دواتي
والدهر اضنى مهجتي وحشاشتي * والدهر ردا حبتي اعدائي
يا قوم هل فيكم رفيق مشفق * يرثي لحالي او يجيب ندائي

فالموت هان علي مع سكراته * وقطعت من طيب الحياة رجائي
يارب بالهادي البشير المصطفى * بحر المكارم سيد الشفعاء
ادعوك تنقذني وتغفر زلتي * وتزيل عني شقوتي وعنائي

فعند ذلك نزع عنه الصبيان ثيابه النظاف والبسه ثوبين وسخين ونزل به الى الوزير فنظر نور الدين فرأه عدوه الذي لا زال يطلب قتله فلما رأه بكى وقال له هل امنت الدهر اما سمعت قول الشاعر

تحكموا فاستطالوا في تحكمهم * وعن قريب كان الحكم لم يكن

ثم قال يا وزير اعلم ان الله سبحانه وتعالى هو الفعال لما يريد فقال له يا علي اتخوفني بهذا الكلام فانا في هذا اليوم اضرب رقبتك على رغم انف اهل البصرة ولا التفت الى نصحك وانما التفت الى قول الشاعر

دع الايام تفعل ما تشاء * وطب نفسا بما فعل القضاء

وما احسن قول الاخر

من عاش بعد عدوه * يوما فقد بلغ المنى

ثم ان الوزير امر غلمانه ان يحملوه على ظهر بغل فقال الغلمان لعلي نور الدين وقد صعب عليهم دعنا نرجمه ونقطعه ولو تروح ارواحنا فقال لهم علي نور الدين لا تفعلوا ذلك ابدا اما سمعتم قول الشاعر

لابد لي من مدة محتومة * فاذا انقضت ايامها مت
لو ادخلتني الاسد في غاباتها * لم تقنها مادام لي وقت

ثم انهم نادوا على نور الدين هذا اقل جزاء من يزور مكتوبا على الخليفة الى السلطان ولا زالوا يطوفون به في البصرة الى ان اوقفوه تحت شباك القصر وجعلوه في منقع الدم وتقدم اليه السياف وقال له انا عبد مأمور فان كان لك حاجة فاخبرني بها حتى اقضيها لك فانه ما بقي من عمرك الا قدر ما يخرج السكان من وجهه من الشباك فعند ذلك نظر يمينا وشمالا وانشد هذه الابيات

فهل فيكم خل شفوق يعينني * سألتكم بالله رد جوابي
مضى الوقت من عمري وحانت منيتي * فهل راحم لي كي ينال ثوابي
وينظر في حالي ويكشف كربتي * بشربة ماء كي يهون عذابي

فتباكت الناس عليه وقام السياف واخذ شربة ماء يناوله اياها فنهض الوزير من مكانه وضرب قلة الماء بيده فكسرها وصاح على السياف وامره بضرب عنقه فعند ذلك عصب عيني علي نور الدين فصاح الناس على الوزير وقاموا عليه الصراخ وكثر بينهم القيل والقال فبينما هم كذلك واذا بغبار قد علا وبحاج ملأ الجو والخلا فلما نظر اليه السلطان وهو قاعد في القصر قال لهم انظروا ما الخبر فقال الوزير حتى تضرب عنق هذا قبل فقال له السلطان اصبر انت حتى تنظر الخبر وكان ذلك الغبار غبار جعفر وزير الخليفة ومن معه وكان السبب في مجيئهم ان الخليفة مكث ثلاثين يوما لم يتذكر قصة علي ابن خاقان ولم يذكرها له احد الى ان جاء ليلة من الليالي الى مقصورة انيس الجليس فسمع بكائها وهي تنشد بصوت رقيق قول الشاعر

خيالك في التباعد والتداني * وذكرك لا يفارقه لساني

وتزايد بكائها واذا بالخليفة قد فتح الباب ودخل المقصورة فرأى انيس الجليس وهي تبكي فلما رأت الخليفة وقعت على قدميه وقبلتهما ثلاث مرات ثم انها انشدت هذين البيتين

ايامن زكى اصلا وطاب ولادة * واثمر غصنا يانعا وزكى جنسا
اذكرك الوعد الذى سمحت به * محاسنك الحسنى وحاشك ان تنسى

فقال الخليفة من انت قالت انا هدية على ابن خاقان اليك واريد انجاز الوعد الذى وعدتنى به من انك ترسلنى اليه مع التشريف والآن لى هنا ثلاثون يوما لم اذق طعم النوم فعند ذلك طلب الخليفة جعفر البرمكى وقال من منذ ثلاثين يوما لم اسمع بخبر على بن خاقان وما اظن الا ان السلطان قتله ولكن وحياة رأسى وتربة ابائى واجدادى ان كان جرى له امر مكروه لاهلكت من كان سببا فيه ولو كان اعز الناس عندى واريد ان تسافر انت فى هذه الساعة الى البصرة وتأتى باخبار الملك محمد بن سليمان الزينى مع على بن خاقان فامتثل امره وسافر فلما اقبل جعفر تنظر ذلك البهرج والمرج والازدحام فقال الوزير جعفر ما هذا الازدحام فذكروا له ما هم فيه من امر على نور الدين بن خاقان فلما سمع جعفر كلامهم اسرع بالطلوع الى السلطان وسلم عليه واعلمه بما جاء فيه وانه اذا كان وقع لعلى نور الدين امر مكروه فان السلطان يهلك من كان السبب فى ذلك ثم انه قبض على السلطان والوزير المعين بن ساوى وامر باطلاق على نور الدين بن خاقان واجلسه سلطانا فى مكان السلطان محمد بن سليمان الزينى وقعد ثلاثة ايام فى البصرة مدة الضيافة فلما كان صبح اليوم الرابع التفت على بن خاقان الى جعفر وقال له انى اشتقت الى رؤية امير المؤمنين فقال جعفر للملك محمد بن سليمان تجهز للسفر فانا نصلى الصبح ونتوجه الى بغداد فقال السمع والطاعة ثم انهم صلوا الصبح وركبوا جميعهم ومعهم الوزير المعين بن ساوى وصار يتندم على ما فعله واما على نور الدين بن خاقان فانه ركب بجانب جعفر ومازلوا سائرين الى ان وصلوا الى بغداد دار السلام وبعد ذلك دخلوا على الخليفة فلما دخلوا عليه حكوا له قصة نور الدين فعند ذلك اقبل الخليفة على على بن خاقان وقال له خذ هذا السيف واضرب به رقبة عدوك فاخذه وتقدم الى المعين بن ساوى فنظر اليه وقال له انا عملت بمقتضى طبيعتى فاعمل انت بمقتضى طبيعتك فرمى السيف من يده ونظر الى الخليفة وقال يا امير المؤمنين انه خدعنى وانشد قول الشاعر

تخدعته بخديعة لما ائى * والحر يخدعه الكلام الطيب

فقال له الخليفة اتركه انت ثم قال لمسرور يا مسرور قم انت واضرب رقبته فقام مسرور ورمى رقبته فعند ذلك قال الخليفة لعلى بن خاقان تمن على فقال يا سيدى انا ما لى حاجة بملك البصرة وما اريد الا مشاهدة وجه خدمتك فقال الخليفة حبا وكرامة ثم ان الخليفة دعا بالجارية فحضرت بين يديه فانعم عليهما واعطاهما قصرا من قصور بغداد ورتب لهما مرتبات وجعله من ندمائه ومازال مقيما عنده الى ان ادركه الممات وليس هذا بالعجب من حكاية التاجر واولاده قال الملك وكيف ذلك قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والاوان تاجر من التجار له مال وله ولد كانه البدر ليلة تمامه فصيح اللسان يسمى غانم بن ايوب المتيم المسلوب وله اخت اسمها فتنة من فرط حسنها وجمالها فتوفى والدهما وخلف لهما مالا جزيلا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثلاثون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ذلك التاجر خلف لهما مالا جزيلا ومن جملة ذلك مائة حمل من القز

والديباج ونوافج المسك ومكتوب على الاحمال هذا بقصد بغداد وكان مراده ان يسافر الى بغداد فلما توفاه الله تعالى ومضت مدة اخذ ولده هذه الاحمال وسافر بها الى بغداد وكان ذلك فى زمن هارون الرشيد وودع امه واقاربه واهل بلدته قبل سيره وخرج متوكلا على الله تعالى وكتب الله له السلامة حتى وصل الى بغداد وكان مسافرا صحبة جماعة من التجار فاستأجر له دارا حسنة وفرشها بالبسط والوسائد وارخى عليها الستور ونزل فيها تلك الاحمال والبغال والجمال وجلس حتى استراح وسلم عليه تجار بغداد واكابرها ثم اخذ بقجة فيها عشر تفاصيل من القماش النفيس مكتوب عليها اثمانها ونزل بها الى سوق التجار فلاقوه وسلموا عليه واكرموه وتلقوه بالترحيب وانزلوه على دكان شيخ السوق وباع التفاصيل مربح فى كل دينار دينارين فقرح غانم وصار يبيع القماش والتفاصيل شيأ فشيأ ولم يزل كذلك سنة كاملة وفى اول السنة الثانية جاء الى ذلك السوق فرأى بابه مقفولا فسأل عن سبب ذلك فقيل له انه توفى واحد من التجار وذهب التجار كلهم يمشون فى جنازته فهل لك ان تكسب اجرا وتمشى معهم قال نعم ثم سأل عن محل الجنازة فدلوه على المحل فتوضأ ثم مشى مع التجار الى ان وصلوا الى المصلى وصلوا على الميت ثم مشى التجار جميعهم قدام الجنازة الى المقبرة فتبعهم غانم الى ان وصلوا بالجنازة الى المقبرة خارج المدينة ومشوا بين المقابر حتى وصلوا الى المدفن فوجدوا اهل الميت نصبوا على القبر خيمة واحضروا الشموع والقناديل ثم دفنوا الميت وجلس القراء يقرون القرآن على ذلك القبر فجلس التجار ومعهم غانم ابن ايوب وهو غالب عليه الحياء فقال فى نفسه انا لم اقدر ان افارقهم حتى انصرف معهم ثم انهم جلسوا يسمعون القرآن الى وقت العشاء فقدموا لهم العشاء والحلوى فاكلوا حتى اكتفوا وغسلوا ايديهم ثم جلسوا مكانهم فاشتغل خاطر غانم ببضاعته وخاف من اللصوص فقال فى نفسه انا رجل غريب ومتهم بالمال فان بت الليلة بعيدا عن منزلى سرق اللصوص ما فيه من المال والاحمال وخاف على متاعه فقام وخرج من بين الجماعة واستأذنهم على انه يقضى حاجة فصار يمشى ويتبع اثار الطريق حتى جاء الى باب المدينة وكان ذلك الوقت نصف الليل فوجد باب المدينة مغلوقا ولم ير احدا غاديا ولا رايحا ولم يسمع صوتا سوى نبيح الكلاب وعى الذئاب فقال لا حول ولا قوة الا بالله كنت خائفا على مالى وجئت من اجله فوجدت الباب مغلوقا فصرت الان خائفا على روحى ثم رجع بنظره محلا ينام فيه الى الصباح فوجد تربة محوطة باربع حيطان وفيها نخلة ولها باب من الصوان مفتوح فدخلها واراد ان ينام فلم يجئه نوم واخذته رجفة ووحشة وهو بين القبور فقام واقفا على قدميه وفتح باب المكان ونظر فرأى نورا يلوح على بعد فى ناحية باب المدينة فمشى قليلا فراى النور مقبلا فى الطريق التى توصل الى التربة التى هو فيها فخاف غانم على نفسه واسرع برد الباب وتعلق حتى طلع فوق النخلة وتدارى فى قلبها فصار النور يقرب من التربة شيأ فشيأ حتى قرب من التربة فتأمل النور فرأى ثلاثة عبيد اثنان حاملان صندوقا وواحد فى يده فاس وفانوس فلما قربوا من التربة قال احد العبدين الحاملين للصندوق مالك يا صواب فقال العبد الاخر منهما مالك يا كافور قال اما كان هنا وقت العشاء وخلينا الباب مفتوحا فقال نعم هذا الكلام صحيح فقال ها هو مغلوق متريس فقال لهما الثالث وهو حامل الفاس والنور وكان اسمه بختيتا ما اقل عقلكما اما تعرفان ان اصحاب الغيطان يخرجون من بغداد ويترددون هنا فيمسى عليهم المساء فيدخلون هنا ويغلقون عليهم الباب خوفا من السودان الذين هم مثلنا ان يأخذوهم ويشوهم ويأكلوهم فقالوا له صدقت وما فينا اقل عقلا منك فقال لهم انكم لم تصدقونى حتى ندخل التربة ونجد فيها احدا واظن انه اذا كان فيها احد ورأى النور

هرب فوق النخلة فلما سمع غانم كلام العبد قال فى نفسه ما امكر هذا العبد قبح الله السودان لما فيهم من الخبث واللؤم ثم قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وما الذى يخلصنى من هذه الورطة ثم ان الاثنان الحاملان للصندوق قالا لمن معه الفاس تعلق على الحائط وافتح لنا الباب يا صواب لاننا تعبنا من حمل الصندوق على رقابنا فاذا فتحت لنا الباب لك علينا واحدة من الذين نمسكهم ونقليه لك قليا جيدا بحيث لا يضيع من دهنه نقطة فقال صواب انا خائف من شئ تذكرته من قلة عقلى وهو اننا نرمى الصندوق وراء الباب لانه ذخير تافقالا له ان رميناه يتكسر فقال انا خائف ان يكون فى داخل التربة الحرامية الذين يقتلون الناس ويسرقون الاشياء لانهم اذا امسى عليهم الوقت يدخلون فى هذه الاماكن ويقسمون ما يكون معهم فقال له الاثنان الحاملان للصندوق يا قليل العقل هل يقدرون ان يدخلوا هنا ثم حملا الصندوق وتعلقا على الحيط ونزلا وفتحا الباب والعبد الثالث الذى هو بخيت واقف لهما بالنور والمقطف الذى فيه بعض من الجبس ثم انهم جلسوا وقفلوا الباب فقال واحد منهم يا اخوتى نحن تعبنا من المشى والشيل والحط وفتح الباب وقفله وهذا الوقت نصف الليل ولم يبق فينا قوة لفتح التربة ودفن الصندوق ولكننا نجلس هنا ثلاث ساعات لنستريح ثم نقوم ونقضى حاجتنا ولكن كل واحد منا يحكى لنا سبب تطويشه وجميع ما وقع له من المبتدا الى المنتهى لاجل فوات هذه الليلة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثلاثون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العبيد الثلاثة لما قالوا لبعضهم كل واحد يحكى جميع ما وقع له قال الاول وهو الذى كان حامل النور انا احكى لكم حكايتى فقالوا له تكلم قال لهم اعلموا يا اخوتى انى لما كنت صغيرا جاء بى الجلاب من بلدى وعمرى خمس سنين فباعنى لواحد جاويش وكان له بنت عمرها ثلاث سنين فتربيت معها وكانوا يضحكون على وانا الاعب البنت وارقص لها واغنى لها الى ان صار عمرى اثنى عشر سنة وهى بنت عشر سنين ولا يمنعونى عنها الى ان دخلت عليها يوما من الايام وهى جالسة فى محل خلوة وكانها خرجت من الحمام الذى فى البيت لانها كانت معطرة مبخرة ووجهها مثل القمر فى ليلة اربعة عشر فلاعبتنى ولاعبتها فنفر احليلى حتى صار مثل المفتاح الكبير فدفعتنى على الارض فوقعت على ظهرى وركبت فوق صدرى وصارت تتمرغ على فانكشف احليلى فلما رأته وهو نافر اخذته بيدها وصارت تحك به على شفائر فرجها من فوق لباسها فهاجت الحرارة عندى وحضنتها فشبكت يديها فى عنقى وقرطت على بجهدها فاخا شعر الا واحليلى فتق لباسها ودخل فرجها فازال بكارتها فلما عاينت ذلك هربت عند بعض اصحابى فدخلت عليها امها فلما رأت حالها غابت عن الدنيا ثم تداركت امرها واخفت حالها عن ابيها وكتمته وصبرت عليها مدة شهرين كل هذا وهم ينادونى ويلاطفونى حتى اخذونى من المكان الذى كنت فيه ولم يذكروا شيأ من هذا الامر لابيها لانهم كانوا يحبونى كثيرا ثم ان امها خطبت لها شابا من زيننا كان يزن اباها وامهرتها من عندها وجهزتها له كل هذا وابوها لا يعلم بحالها وصاروا يجتهدون فى تحصيل جهازها ثم انهم امسكونى على غفلة وخصونى ولما زفوها للعريس جعلونى طواشيا لها امشى قدامها اينما راحت سواء كان رواحها الى الحمام او الى بيت ابيها وقد ستروا امرها وليلة الدخلة ذبحوا على قميصها

حمامة ومكثت عندها مدة طويلة وانا اتملى بحسنها وجمالها على قدر ما امكننى من تقبيل وعناق الى ان ماتت هى وزوجها واسمها وابوها ثم اخذنى بيت المال وصرت فى هذا المكان وقد ارتفقت بكم وهذا سبب قطع احليلى والسلام فقال العبد الثانى اعلموا يا اخوتى انى كنت فى ابتداء امرى ابن ثمان سنين ولكن كنت اكذب على الجلابة فى كل سنة كذبة حتى يقعوا فى بعضهم فقلق منى الجلاب وانزانى فى يد الدلال وامر ان ينادى من يشترى هذا العبد على عيبه فقيل له وما عيبه قال يكذب فى كل سنة كذبة واحدة فتقدم رجل تاجر الى الدلال وقال له كم اعطوا فى هذا العبد من الثمن على عيبه قال اعطوا ستمائة درهم قال ولك عشرون فجمع بينه وبين الجلاب وقبض منه الدراهم واوصلنى الدلال الى منزل ذلك التاجر واخذ دلالته فكسانى التاجر ما ناسبنى ومكثت عنده باقى سنتى الى ان هلت السنة الجديدة بالخير وكانت سنة مباركة مخصبة بالنبات فصار التجار يعملون العزومات وكل يوم على واحد منهم الى ان جاءت العزومة على سيدى فى بستان داخل البلد فراح هو والتجار واخذ لهم ما يحتاجون اليه من اكل وغيره فجلسوا يأكلون ويشربون ويتنادمون الى وقت الظهر فاحتاج سيدى الى مصلحة من البيت فقال يا عبد اركب البغلة وروح الى المنزل وهات من سيدتك الحاجة الفلانية وارجع سريعا فامتثلت امره ورحت الى المنزل فلما قربت من المنزل صرخت وارخيت الدموع فاجتمع اهل الحارة كبارا وصغارا وسمعت صوتى زوجة سيدى وبناته ففتحوا الى الباب وسألونى عن الخبر فقلت لهم ان سيدى كان جالسا تحت حائط قديمة هو واصحابه فوقعت عليهم فلما رأيت ما جرى لهم ركبت البغلة وجئت مسرعا لاخبركم فلما سمع اولاده وزوجته ذلك الكلام صرخوا وشقوا ثيابهم ولطموا على وجوههم فاتت اليهم الجيران واما زوجة سيدى فانها قلبت متاع البيت بعضه على بعض وخلعت رفوفه وكسرت طيقانه وشبابيكه وسخمت حيطانه بطين ونيلة وقالت ويلك يا كافور تعال ساعدنى واخرب هذه الدواليب وكسر هذه الاوانى والصينى فجئت اليها واخربت معها رفوف البيت واتلفت ما عليها ودواليبه واتلفت ما فيها ودرت على السقوف وعلى كل محل حتى اخربت الجميع وانا اصيح واسيداه ثم خرجت سيدتى مكشوفة الوجه بغطاء رأسها لا غير وخرج معها البنات والاولاد وقالوا يا كافور امش قدامنا وارنا مكان سيدك الذى هو ميت فيه تحت الحائط حتى نخرجه من تحت الردم ونحمله فى تابوت ونجيء به الى البيت فنخرجه خرجة مليحة فمشيت قدامهم وانا اصيح واسيداه وهم خلفى مكشوفون الوجوه والرؤس يصيحون وامصيبتاه وانكبتاه فلم يبق احد من الرجال ولا من النساء ولا من الصبيان ولا صبية ولا عجوز الا جاء معنا وصاروا كلهم يلطمون وهم فى شدة البكاء فمشيت بهم فى المدينة فسأل الناس عن الخبر فاخبروهم بما سمعوا منى فقال الناس لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم انا نمضى للوالى ونخبره فلما وصلوا الى الوالى اخبروه وادركه شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثلاثون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انهم لما وصلوا الى الوالى واخبروه قام الوالى وركب واخذ معه الفعلة بالمساحى والقفف ومشوا تابعين اثرى معهم كثير من الناس وانا قدامهم ابكى واصيح واحثوا التراب على رأسى والطم على وجهى فلما دخلت عليهم ورآنى سيدى وانا الطم واقول واسيداه من يحن على بعد سيدى يا ليتنى كنت فداءها فلما رأنى سيدى بهت واصفر لونه وقال مالك يا كافور وما هذا الحال وما الخبر

فقلت له انك لما ارسلتنى الى البيت لاجيئك بالذى طلبته فرحت البيت ودخلته فرأيت الحائط التى
فى القاعة وقعت فانهدمت القاعة كلها على سيدتى واولادها فقال لى وهل سيدتك لم تسلم فقلت له
لا ما سلم منهم احد واول من مات منهم سيدتى الكبيرة فقال وهل سلمت بنتى الصغيرة فقلت له لا فقال لى
وما حال البغلة التى اركبها هل هى سالمة فقلت له لا يا سيدى فان حيطان البيت وحيطان الاصطبل
انطبقت على جميع ما فى البيت حتى على الغنم والاوز والدجاج وصاروا كلهم كوم لحم وصاروا
تحت الردم ولم يبق منهم احد فقال لى ولا سيدك الكبير فقلت له لا فلم يسلم منهم احد وفى هذه الساعة لم يبق
دار ولا سكان ولم يبق من ذلك كله اثر واما الغنم والاوز والدجاج فان الجميع اكلها القطط والكلاب
فلما سمع سيدى كلامى صار الضياء فى وجهه ظلاما ولم يقدر ان يتمالك نفسه ولا عقله ولم يقدر ان يقف
على قدميه بل جاءه الكساح وانكسر ظهره ومزق ثوبه ونتف لحيته ولطم على وجهه ورمى عمامته من
فوق رأسه ولا زال يلطم على وجهه حتى سال منه الدم وصار يصيح آه واولاداه آه وازوجتاه آه
وامصيبتاه من جرى له مثل ما جرى لى فصاحت التجار رفقاؤه لصياحه وبكوا معه ورثوا لحاله
وشقوا ثيابهم وخرج سيدى من ذلك البستان وهو يلطم من شدة ما جرى له واكثر اللطم على وجهه
وصار كانه سكران فبينما الجماعة خارجون من باب البستان واذا هم نظروا غبرة عظيمة وصياحا
باصوات مزعجة فنظروا الى تلك الجهة فرؤا الجماعة المقبلين وهم الوالى وجماعته والخلق والعالم الذين
يتفرجون واهل التاجر وراءهم يصرخون ويصيحون وهم فى بكاء شديد وحزن زائد فاول من لاقى سيدى
زوجته واولاده فلما رآهم بهت وضحك وقال لهم ما حالكم انتم وما حصل لكم فى الدار وما جرى لكم فلما
راؤه قالوا الحمد لله على سلامتك انت ورموا انفسهم عليه وتعلقت اولاده به وصاحوا وابتاه الحمد لله
على سلامتك يا ابانا وقالت له زوجته الحمد لله الذى اراناوجهك بسلامة وقد اندهشت وطار عقلها لما رأته
وقالت له كيف كانت سلامتك انت واصحابك فقال لها وكيف كان حالكم فى الدار فقالوا نحن طيبون
بخير وعافية وما اصاب دارنا شئ من الشر غير ان عبدك كافور اجاءنا منكوش الرأس ممزق الاثواب
وهو يصيح واسيداه واسيداه فقلنا له ما الخبر يا كافور فقال ان سيدى جاس ثمت حائط فى البستان
ليقضى حاجة فوقعت عليه نحات فقال لهم سيدى والله انه اتانى فى هذه الساعة وهو يصيح واسيداه
واولاد سيداه وقال ان سيدتى واولادها ماتوا جميعا ثم نظر الى جانبه فرأنى وعمامتى ساقطة فى رأسى
وانا اصيح وابكى بكاء شديدا واحثوا التراب على رأسى فصرخ على فاقبلت عليه فقال لى ويلك يا عبد النحس
يا ابن الزانية يا ملعون الجنس ما هذه الوقايع التى عملتها ولكن والله لاسلخن جلدك عن لحمك واقطعن لحمك
عن عظمك فقلت له والله ما تقدر ان تعمل معى شيأ لانك قد اشتريتنى على عيبى بهذا الشرط والشهود
يشهدون عليك حين اشتريتنى على عيبى وانت عالم به وهو انى اكذب فى كل سنة كذبة واحدة وهذه
نصف كذبة فاذا كانت السنة كذبت نصفها الاخر فتبقى كذبة كاملة فصاح على يا العن العبيد هل هذا
كله نصف كذبة وانما هو داهية كبيرة اذهب عنى فانت حر فقلت والله ان اعتقتنى انت ما اعتقك انا
حتى تكمل السنة واكذب نصف الكذبة الباقى وبعد ان اتمها فانزل بى السوق وبعنى بما اشتريتنى به
على عيبى ولا تعتقنى فانى ما لى صنعة اقتات منها وهذه المسألة التى ذكرتها لك شرعية ذكرها الفقهاء
فى باب العتق فبينما نحن فى الكلام واذا بالخلائق والناس واهل الحارة نساء ورجالا قد جاؤا يعملون
العزاء وجاء الوالى وجماعته فراح سيدى والتجار الى الوالى واعلموه بالقضية وان هذه نصف كذبة فلما

سمع الحاضرون ذلك منه استعظموا تلك الكذبة وتعجبوا غاية العجب فلعنوني وشتموني فبقيت واقفا انتحل
واقول كيف يقتلني سيدي وقد اشتراني على هذا العيب فلما مضى سيدي الى البيت وجده خرابا وانا الذي
اخربت معظمه وكسرت فيه شيأ يساوي جملة من المال فقالت له زوجته ان كافورا هو الذي كسر
الاواني والصيني فازداد غيظه وقال والله عمري ما رأيت ولدا زنا مثل هذا العبد ويقول انها نصف كذبة
فكيف لو كانت كذبة كاملة فحينئذ كان اخرب مدينة او مدينتين ثم ذهب من شدة غيظه الى الوالي
فضربني علقة شديدة حتى غبت عن الدنيا وغشي علي فاتاني بالمزين في حال غشيتي فخصاني وكواني
فلما استفقت وجدت نفسي خصيا وقال لي سيدي مثل ما احرقت قلبي على اعز الشيء عندي احرقت قلبك
على اعز الشيء عندك ثم اخذني فباعني باغلا ثمن لاني صرت طواشيا ومازلت التي الفتن في الاماكن
التي اباع فيها وانتقل من امير الى امير ومن كبير الى كبير بالبيع والشراء حتى دخلت قصر امير المؤمنين وقد
انكسرت نفسي وضعفت قوتي وعدمت خصاي فلما سمع العبدان كلامه ضحكا عليه وقالا له انك خبيث
ابن خبيث قد كذبت كذبا شنيعا ثم قالوا للعبد الثالث احك لنا حكايتك قال لهم يا اولاد عمي كلما حكا هذا
بطال فانا احكي لكم سبب قطع خصاي وقد كنت استحق اكثر من ذلك لاني كنت نكت سيدي وابن سيدي
والحكاية معي طويلة وما هذا وقت حكايتها لان الصباح يا اولاد عمي قريب وربما يطلع علينا الصباح
ومعنا هذا الصندوق فنفتضح بين الناس وتروح ارواحنا فدونكم فتح الباب فاذا فتحناه ودخلنا
شملنا قلت لكم على سبب قطع خصاي ثم تعلق ونزل من الحيط وفتح الباب فدخلوا وحطوا الشمع وحفروا
حفرة على قدر الصندوق بين اربعة قبور وصار كافور يحفر وصواب ينقل التراب بالقفف الى ان حفروا
نصف قامة ثم حطوا الصندوق في الحفرة وردوا عليه التراب وخرجوا من التربة وردوا الباب وغابوا عن
عين غانم بن ايوب فلما خلا لغانم المكان وعلم انه وحده اشتغل سره بما في الصندوق وقال في نفسه يا ترى
اي شيء في الصندوق ثم صبر حتى برق الفجر ولاح وبان ضياؤه فنزل من فوق النخلة وازال التراب بيده حتى
كشف الصندوق وخلصه ثم اخذ حجرا وضرب به القفل فكسره وكشف الغطاء ونظر فيه فرأى صبية
نائمة مبيضة ونفسها طالع نازل الا انها ذات حسن وجمال وعليها حلي ومصاغ من الذهب وقلائد
من الجواهر تساوي ملك السلطان ماينيف بثمنها مال فلما رأها غانم ابن ايوب عرف انهم تغامزوا عليها
فلما تحقق ذلك الامر عالج فيها حتى اخرجها من الصندوق ورقدها على قفاها فلما استنشقت الارباح
ودخل الهواء في مناخرها ومنافسها عطست ثم شرقت وسعلت فوقع من حلقها قرص بنج لو شمه
الفيل لرقد من الليل الى الليل ففتحت عينيها وادارت طرفها وقالت بكلام فصيح ويلك يا ريح ما فيك رى
للعطشان ولا انس للريان اين زهر البستان فلم يجاوبها احد فالتفتت وقالت صبيحة شجرة الدر نور الهدى
نجمة الصبح انت في شهر نزهة حلوة ظريفة تكلموا فلم يجبها احد فجالت بطرفها وقالت ويلي عند
انزالي في القبور يا من يعلم ما في الصدور ويجازي يوم البعث والنشور من جاءني من بين الستور والخدور
ووضعني بين اربعة قبور هذا كله وغانم واقف على قدميه فقال لها يا سيدتي لا خدور ولا قصور ولا قبور
ها هنا الا عبدك غانم بن ايوب ساقه الملك علام الغيوب حتى يجيئك من هذه الكروب ويحصل لك غاية
المطلوب وسكت فلما تحققت الامر قالت اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله والتفتت الى غانم
وقد وضعت يديها على صدرها وقالت له بكلام عذب ايها الشاب المبارك من جاءني الى هذا المكان
فهل انا قد افقت فقال يا سيدتي ثلاثة عبيد خصيون انوا وهم حاملون هذا الصندوق ثم حكى لها جميع

ما جرى وكيف امسى عليه المساء حتى كان سبب سلامتها والا كانت ماتت بغصتها ثم سألها عن حكايتها وخبرها فقالت له ايها الشاب الحمد لله الذى رماني عند مثلك فقم الآن وحطني فى الصندوق واخرج الى الطريق فاذا وجدت مكاريا او بغالا فاكتره لحمل هذا الصندوق ووصلني الى بيتك فاذا صرت فى دارك يكون خيرا واحكى لك حكايتى واخبرك بقصتى ويحصل لك الخير من جهتى ففرح وخرج الى البرية وقد شعشع النهار وطلعت الشمس بالانوار وخرجت الناس ومشوا فاكترى رجلا يغل واتى به الى التربة فحمل الصندوق بعدما حط فيه الصبية ووقعت محبتها فى قلبه وسارها وهو فرحان لانها جارية تساوى عشرة الاف دينار وعليها حلى وحلل تساوى مالا جزيلا وما صدق ان يصل الى داره ونزل الصندوق وفتحه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للاربعين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان غانما ابن ايوب وصل الى داره بالصندوق وفتحه واخرج الصبية منه ونظرت فرأت هذا المكان محلا ملحا مفروشا بالبسط الملونة والالوان المفرحة وغير ذلك ورأت قماشا محزوما واحمالا وغير ذلك فعلمت انه تاجر كبير صاحب اموال ثم انها كشفت وجهها ونظرت اليه فاذا هو شاب مليح فلما رأته احبته وقالت له هات لنا شيأ نأكله فقال لها غانم على الرأس والعين ثم نزل السوق واشترى خارفا مشويا وصحن حلاوة واخذ معه نقلا وشمعا واخذ معه نبيذا وما يحتاج اليه الامر من المأكوم واتى الى البيت ودخل بالحوايج فلما رأته الجارية ضحكت وقبلته واعتنقته وصارت تلاطفه فازدادت عنده المحبة واحتوت على قلبه ثم اكلا وشربا الى ان اقبل الليل وقد حب بعضهم بعضا لانهما كانا فى سن واحد وحسن واحد فلما اقبل الليل قام المتيم المسلوب غانم بن ايوب واوقد الشموع والقناديل فاضاء المكان واحضر آلة المدام ثم نصب الحضرة وجلس هو واياها وكان يملأ ويسقيها وهى تملأ وتسقيه وهما يلعبان ويضحكان وينشدان الاشعار وزاد بهما الفرح وتعلقا بحب بعضهما فسبحان مؤلف القلوب ولم يزالا كذلك الى قريب الصبح فغلب عليهم النوم فنام كل منهما فى موضعه الى ان اصبح الصباح فقام غانم بن ايوب وخرج الى السوق واشترى ما يحتاج اليه من خضرة ولحم وخمر وغيره واتى به الى الدار وجلس هو واياها يأكلان فأكلا حتى اكتفيا وبعد ذلك احضر الشراب وشربا ولعبا مع بعضهما حتى احمرت وجناتهما واسودت اعينهما واشتاقت نفس غانم بن ايوب الى تقبيل الجارية والنوم معها فقال لها يا سيدتى ائذنى لى بقبلة من فيك لعلها تبرد نار قلبى فقالت يا غانم اصبر حتى اسكر واغيب واسمح لك سرا بحيث لم اشعر انك قبلتنى ثم انها قامت على قدميها وخلعت بعض ثيابها وقعدت فى قميص رفيع وكوفية فعند ذلك تحركت الشهوة عند غانم وقال يا سيدتى اما تسمعين لى بما طلبته منك فقالت والله لا يصح لك ذلك لانه مكتوب على دكة لباسى قول صعب فانكسر خاطر غانم بن ايوب وزاد عنده الغرام لما عز المطلوب فانشد هذه الابيات

سألت من امرضنى * فى قبلة تشفى السقم
فقال لا لا ابدا * قلت له نعم نعم
فقال خذها بالرضى * من الخلال وابتسم
فقلت غصبا قال لا * الا على رأس علم

فلا تسل عما جرى * واستغفر الله ونم
فقلن ما شئت بنا * فالحب يحلو بالتهم
ولا ابالى بعدذا * ان باح يوما او كتم

ثم زادت محبته وانطلقت النيران فى مهجته هذا وهى تمنع منه وتقول مالك وصول ولم يزالا فى عشقهما ومنادمتهما وغانم ابن ايوب غريق فى بحر الهيام واما هى فانها قد ازدادت قسوة وامتناعا الى ان دخل الليل بالظلام وارخى عليها ذيل المنام فنام غانم واشعل القناديل واوقد الشموع وزاد بهجة المقام واخذ رجليها وقبلهما فوجدهما مثل الزبد الطرى فرغ وجهه عليهما وقال ياسيدتى ارحمى اسيرهواك ومن قتلت عيناك كنت سليم القلب لولاك ثم بكى قليلا فقالت له ياسيدى ونور عينى انا والله لك عاشقة وبك واثقة ولكن انا اعرف انك لا تصل الى فقال لها وما المانع فقالت له ساحكى لك فى هذه الليلة قصتى حتى تقبل عذرى ثم انها ترامت عليه وطوقت على رقبته بيدها وصارت تقبله وتلاطفه ثم وعدته بالوصال ولم يزالا يلعبان ويضحكان حتى تمكن حب بعضهما من بعض ولم يزالا على ذلك الحال وهما فى كل ليلة ينامان على فرش واحد وكلما طلب منها الوصال تتعزز عنه مدة شهر كامل وتمكن حب كل واحد منهما من قلب الاخر ولم يبق لهما صبر عن بعضهما الى ان كانت ليلة من الليالى وهو راقد معها والاثنان سكران فمد يده على جسدها ولمس ثم مر بيده على بطنها ونزل الى سرتها فانتبهت وقعدت وتعهدت اللباس فوجدته مربوطا فنامت ثانيا فلمس عليها بيده ونزل بها الى سروالها ودكتها وجذبها فانتبهت وقعدت وقعد غانم الى جانبها فقالت له ما الذى تريد قال اريد ان انام معك وانصافى انا وانت فعند ذلك قالت له انا الان اوضح لك امرى حتى تعرف قدرى وينكشف لك سرى ويظهر لك عذرى قال نعم فعند ذلك شقت ذيل قميصها ومدت يدها الى تكة لباسها وقالت له ياسيدى اقرأ الذى على هذا الطرف فاخذ طرف الدكة فى يده ونظره فوجد مرقوما عليه بالذهب انا لك وانت لى يا ابن عم النبى فلما قراه نثر يده وقال لها اكشفى لى عن خبرك قالت نعم اعلم اننى محظية امير المؤمنين واسمى قوت القلوب وان امير المؤمنين لما رباتى فى قصره وكبرت نظر الى صفاتى وما اعطانى ربى من الحسن والجمال فاحبنى محبة زائدة واخذنى واسكننى فى مقصورة وامر لى بعشر جوارى يخدمننى ثم انه اعطانى ذلك المصاغ الذى تراه معى ثم ان الخليفة سافر يوما من الايام الى بعض البلاد فجاءت السيدة زبيدة الى بعض الجوارى التى فى خدمتى وقالت اذا امتك سيدتك قوت القلوب فخطى هذه القطعة البنج فى انفها او فى شرابها ولك على من المال ما يكفيك فقالت لها الجارية حبا وكرامة ثم ان الجارية اخذت البنج منها وهى فرحانة لاجل المال ولكونها كانت فى الاصل جاريتها فجاءت الى ووضعت البنج فى جوفى فوقعت على الارض وصارت رأسى عند رجلى ورأيت نفسى فى دنيا اخرى ولما قلت حيلتها حطتنى فى ذلك الصندوق واحضرت العبيد سرا وانعمت عليهم وعلى البوابين وارسلتنى مع العبيد فى الليلة التى كنت نائما فيها فوق الطلة وفعلوا معى ما رأيت وكانت نجاتى على يديك وانت اتيت بى الى هذا المكان واحسنت الى غاية الاحسان وهذه قصتى وما اعرف الذى جرى للخليفة فى غيبتى فاعرف قدرى ولا تشهر امرى فلما سمع غانم ابن ايوب كلام قوت القلوب وتحقق انها محظية الخليفة تأخر الى ورائه خيفة من هيبة الخليفة وجلس وحده فى ناحية من المكان يعاتب نفسه ويتفكر فى امره وصار متحيرا فى عشق التى ليس له اليها وصول فبكى من شدة الغرام ولوعة الوجد والهيام وصار يشكو الزمان وما له من العدوان فسبحان

من

من اشغل قلوب الكرام بالمحبة ولم يعط الا ذال منها وزن حبة وانشد هذين البيتين

قلب المحب على الاحباب متعوب * وعقله مع بديع الحسن منهوب
وقائل قال لى ما الحب قلت له * الحب عذب ولكن فيه تعذيب

فعند ذلك قامت اليه قوت القلوب واحتضنته وقبلته وتمكن حبه فى قلبها وباحت له بسرها وما عندها من المحبة وطوقت على رقبته بيديها وقبلته وهو يمنع عنها خوفا من الخليفة ثم تجد ثا ساعة من الزمان وهما غريقان فى بحر محبة بعضهما الى ان طلع النهار فقام غانم ولبس ثوابه وخرج الى السوق على عادته واخذ ما يحتاج اليه الامر وجاء الى البيت فوجد قوت القلوب تبكى فلما رأته سكتت عن البكاء وتبسمت وقالت له اوحشتنى يا محبوب قلبى والله ان هذه الساعة التى غبتها عنى كسنة فانى لا اقدر على فراقك وها انا قد بينت لك حالى من شدة ولعى بك فقم بنا الان ودع ما كان واقض اربك منى قال اعوذ بالله ان هذا شئ لا يكون كيف يجلس الكلب فى موضع السبع والذى لمولاى يحرم على ان اقربه ثم جذب نفسه منها وجلس فى ناحية وزادت هى محبة بامتناعه عنها ثم جلست الى جانبه ونادمته ولاعبته فسكرا وهامت بالافتضاح به فغنت منشدة هذه الابيات

قلب المتيم كاد ان يتفتتا * فالى متى هذا الصدود الى متى
يا معرضا عنى بغير جناية * فعوائد الغزلان ان تتلفتا
صدوهجر زائد وصبابة * ما كل هذا الامر يحمله الفتى

فبكى غانم بن ايوب وبكت هى لبكائه ولم يزالا يشربان الى الليل ثم قام غانم وفرش فرشين كل فرش فى مكان وحده فقالت له قوت القلوب لمن هذا الفرش الثانى فقال لها هذا لى والاخر لك ومن الليلة لا تنام الا على هذا النمط وكل شئ للسيد حرام على العبد فقالت يا سيدى دعنا من هذا وكل شئ يجرى بقضاء وقدر فابى فانطلقت النار فى قلبها وزاد غرامها فيه وقالت والله ما تنام الا سواء فقال معاذ الله وغلب عليها ونام وحده الى الصباح فزاد بها العشق والغرام واشتد بها الوجد والهيام واقاما على ذلك ثلاثة اشهر طوال وهى كلما تقرب منه يمتنع عنها ويقول كلما هو مخصوص بالسيد حرام على العبد فلما تطاول بهما المطال مع غانم بن ايوب المتيم المسلوب وزادت بهما الشجون والكروب انشدت هذه الابيات

بديع الحسن كم هذا التجنى * ومن اغرا الدلال بالاعراض عنى
حويت من الرشاقة كل معنى * وحزت من الملاحة كل فن
واجريت الغرام لكل قلب * ووكلت السهاد بكل جفن
واعرف قبلك الاغصان تجنى * فيا غصن الاراك اراك تجنى
وعهدى بالظبى صيدا لخالى * اراك تصيد ارباب المجن
واعجب ما احدث عنك انى * فتنت وانت لم تعلم بانى
فلا تسمح بوصلك لى فانى * اغار عليك منك فكيف منى
واست بقائل مادمت حيا * بديع الحسن كم هذا التجنى

واقاموا على هذا الحال مدة والخوف يمنع غانما عنها فهذا ما كان من امر المتيم المسلوب غانم ابن ايوب واما ما كان من امر زبيدة فانها فى غيبة الخليفة فعلت بقوت القلوب ذلك الامر ثم صارت متحيرة تقول فى نفسها ماذا اقول للخليفة اذا جاء وسأل عنها وما يكون جوابى له فدعت بجوز كانت عندها واطلعتها

على سرها وقالت لها كيف افعل وقوت القلوب قد فرط فيها الفرط فقالت لها العجوز لما فهمت الحال اعلمى ياسيدتى انه قرب مجئ الخليفة ولكن ارسلى الى النجار وامريه ان يعمل صورة ميت من خشب ويحفر له قبرا وتوقد حوله الشموع والقناديل وامرى كل من فى القصر ان يلبسوا السود وامرى جواريك والخدام اذا علموا ان الخليفة اتى من سفره ان يشيعوا الحزن فى الدهليز فاذا دخل وسأل عن الخبر يقولون له ان قوت القلوب ماتت ويعظم الله اجرك فيها ومن معزتها عند سيدتها فى قصرها فاذا سمع ذلك يبكى ويعز عليه ثم يسهر القراء على قبرها القراءة الختمات فان قال فى نفسه ان بنت عمى زبيدة من غيرتها سعت فى هلاك قوت القلوب اوغلب عليه الهيام فامر باخراجها من القبر فلا تفزعى من ذلك ولو حفروا على تلك الصورة التى على هيئة ابن آدم واخرجوها وهى مكفنة بالاكفان الفاخرة فان اراد الخليفة ازالة الاكفان عنها لينظرها فامنعيه انت من ذلك والاخرى تمنعه وتقول له رؤية عورتها حرام فيصدق حينئذ انها ماتت ويردها الى مكانها ويشكرك على فعلك وتخلصين ان شاء الله من هذه الورطة فلما سمعت السيدة زبيدة كلامها رأته صوابا فخلعت عليها خلعة وامرتها ان تفعل ذلك بعدما اعطتها جملة من المال فشرعت العجوز فى ذلك الامر حالا وامرت النجار ان يعمل لها صورة كما ذكرنا وبعد تمام الصورة جاءت بها الى السيدة زبيدة فكفنتها واوقدت الشموع والقناديل وفرشت البسط حول القبر ولبست السواد وامرت الجوارى ان يلبسن السواد واشتهر الامر فى القصر ان قوت القلوب ماتت ثم بعد مدة اقبل الخليفة من غيبته وطلع الى قصره ولكن ماله شغل الا قوت القلوب فرأى الغلمان والخدام والجوارى كلهم لابسين السواد فارتجف فؤاده فلما دخل القصر على السيدة زبيدة رأها لابسة الاسود فسأل عن ذلك فاخبروه بموت قوت القلوب فوقع مغشيا عليه فلما افاق سأل عن قبرها فقالت له السيدة زبيدة اعلم يا امير المؤمنين انى من معزتها عندى دفنتها فى قصرى فدخل الخليفة بثياب السفر الى القصر ليزور قوت القلوب فوجد البسط مفروشة والشموع والقناديل موقدة فلما رأى ذلك شكرها على فعلها ثم انه صار حائرا فى امره ولم يزل ما بين مصدق ومكذب فلما غلب عليه الوسواس امر بحفر القبر واخراجها منه فلما رأى الكفن واراد ان يزيله عنها ليراها خاف من الله تعالى فقالت العجوز ردوها الى مكانها ثم ان الخليفة امر فى الحال باحضار الفقهاء والمقرئين وقرؤا الختمات على قبرها وجلس بجانب القبر يبكى الى ان غشى عليه ولم يزل قاعدا على قبرها شهرا كاملا وادركه شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والاربعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخليفة لم يزل يتردد على قبرها مدة شهر فاتفق ان الخليفة دخل الحريم بعد انقضاض الامر والوزراء من بين يديه الى بيوتهم ونام ساعة فجلست عند رأسه جارية وعند رجليه جارية وبعد ان غلب عليه النوم تنبه وفتح عينيه فسمع الجارية التى عند رأسه تقول للتى عند رجليه ويلك ياخيزران قالت لها الاى شئ ياقضيب قالت لها ان سيدنا ليس عنده علم بما جرى حتى انه يسهر على قبر لم يكن فيه الا خشبة منجرة صنعة النجار فقالت لها الاخرى وقوت القلوب اى شئ اصابها فقالت اعلمى ان السيدة زبيدة ارسلت مع جارية بنجا ونبقتها فلما تحكم البنج منها وضعتها فى صندوق وارسلتها مع صواب وكافور وامرتهما ان يرمياها فى التربة فقالت خيزران ويلك ياقضيب هل السيدة قوت القلوب لم

تمت

تمت فقالت سلامة شبابها من الموت ولكن انا سمعت السيدة زبيدة تقول ان قوت القلوب عند شاب تاجر اسمه غانم الدمشقي وان لها عنده بهذا اليوم اربعة اشهر وسيدنا هذا يبكي ويسهر الليالي على قبر لم يكن فيه ميت وصارتا يتحدثان بهذا الحديث والخليفة يسمع كلامهما فلما فرغ الجاريتان من الحديث وعرف القضية وان هذا القبر زور وان قوت القلوب عند غانم بن ايوب مدة اربعة اشهر غضب غضبا شديدا وقام واحضر امراء دولته فعند ذلك اقبل الوزير جعفر البرمكي وقبل الارض بين يديه فقال له الخليفة بغيظ انزل يا جعفر بجماعة واسأل عن بيت غانم بن ايوب واهجموا على داره وائتوني بجاريتي قوت القلوب ولا بد لي ان اعذ به فاجابه جعفر بالسمع والطاعة فعند ذلك نزل جعفر هو واتباعه والوالي صحبته ولم يزالوا سائرين الى ان وصلوا الى دار غانم وكان غانم خرج في ذلك الوقت وجاء بقدرة لحم واراد ان يمديه ليأكل منها هو وقوت القلوب فلاحت منها التفاتة فوجدت البلاء احاط بالدار والوزير والوالي والظلمة والمماليك بسيوف مجردة ودار وابه كما يدور بالعين السواد فعند ذلك عرفت ان خبرها وصل الى الخليفة سيدها فايقنت بالهلاك واصفر لونها وتغيرت محاسنها ثم انها نظرت الى غانم وقالت له يا حبيبي فز بنفسك فقال لها كيف اعمل واين اذهب ومالي ورزقي في هذه الدار فقالت له لا تمكث لئلا تهلك وتذهب مالك فقال لها يا حبيبتي ونور عيني كيف اصنع في الخروج وقد احاطوا بالدار فقالت له لا تخف ثم انها نزعت ما عليه من الثياب والبسته خلقانا بالية واخذت القدرة التي كان فيها اللحم ووضعتها فوق رأسه وحطت فيها بعض خبز وزبدية طعام وقالت له اخرج بهذه الحيلة ولا عليك مني فانا اعرف اي شيء في يدي من الخليفة فلما سمع غانم كلام قوت القلوب وما اشارت به عليه خرج من بينهم وهو حامل القدرة وستر عليه الستار ونجا من المكائد والاضرار ببركة نيته فلما وصل الوزير جعفر الى ناحية الدار ترجل عن حصانه ودخل البيت ونظر الى قوت القلوب وقد تزينت وتبهرجت وملأت صندوقا من ذهب ومصاغ وجواهر وتحف مما خف حمله وغلا ثمنه فلما دخل عليها جعفر قامت على قدميها وقبلت الارض بين يديه وقالت له يا سيدي جرى القلم بما حكم الله فلما رأى ذلك جعفر قال لها والله يا سيدتي انه ما اوصاني الا بقبض غانم بن ايوب فقالت اعلم انه حزم تجارات وذهب بها الى دمشق ولا علم لي بغير ذلك واريد ان تحفظ لي هذا الصندوق وتحمله الى قصر امير المؤمنين فقال جعفر السمع والطاعة ثم اخذ الصندوق وامر بحمله وقوت القلوب معهم الى دار الخلافة وهي مكرمة معززة وكان هذا بعد ان نهبوا دار غانم توجهوا الى الخليفة وحكى له جعفر جميع ما جرى فامر الخليفة لقوت القلوب بمكان مظلم واسكنها فيه والزم بها بعجوزا لقضاء حاجتها لانه ظن ان غانما خش بها ثم كتب مكتوبا للامير محمد بن سليمان الزيني وكان نائبا في دمشق ومضمونه ساعة وصول المكتوب الى يديك تقبض على غانم بن ايوب وترسله الى فلما وصل المرسوم اليه قبله ووضعه على رأسه ونادى في الاسواق من اراد ان ينهب فعليه بدار غانم بن ايوب فجاؤا الى الدار فوجدوا ام غانم واخته قد صنعتا لهما قبرا وقعدتا عنده يبكيان فقبضوا عليهما ونهبوا الدار ولم يعلما الخبر فلما احضروهما عند السلطان سألهما عن غانم بن ايوب فقالتا له من مدة سنة ما وقفنا له على خبر فردوهما الى مكانهما هذا ما كان من امرهما واما ما كان من امر غانم بن ايوب المتيم المسلوب فانه لما سلبت نعمته تحير في امره وصار يبكي على نفسه حتى انفطر قلبه وسار ولم يزل سائرا الى اخر النهار وقد زاد به الجوع واضر به المشي حتى وصل الى بلد فدخل في المسجد وجلس على برش واسند ظهره الى حائط المسجد وارخى وهو في غاية الجوع والتعب ولم يزل مقيما هناك الى الصباح وقد خفق قلبه من الجوع وركب جلده

القمل وصارت رايحته منتنة وتغيرت احواله فاتى اهل تلك البلدة يصلون الصبح فوجدوه مطروحا ضعيفا من الجوع وعليه اثار النعمة لا يحتة فلما اقبلوا عليه وجدوه برد ناجانعا فالبسوه ثوبا عتيقا قد بليت اكمامه وقالوا له من اين انت يا غريب وما سبب ضعفك ففتح عينه ونظر اليهم وبكى ولم يرد عليهم جوابا ثم ان بعضهم عرف شدة جوعه فذهب وجاء له بسكرجة عسل ورغيفين فاكل وقعدوا عنده حتى طلعت الشمس ثم انصرفوا لاشغالهم ولم يزل على هذه الحالة شهرا وهو عندهم وقد تزايد عليه الضعف والمرض فتعطفوا عليه وتشاوروا مع بعضهم فى امره ثم اتفقوا على ان يوصلوه الى المارستان الذى ببغداد فبينما هم كذلك واذا بامرأتين سائلتين قد دخلتا عليه وهما امه واخته فلما رآهما اعطاهما الخبز الذى عند رأسه ونام عنده تلك الليلة ولم يعرفهما فلما كان ثانى يوم اتاه اهل القرية واحضروا جملا وقالوا لصاحبه احمل هذا الضعيف فوق الجمل فاذا وصلت الى بغداد فانزله على باب المارستان لعله يتعافى فيحصل لك الاجر فقال لهم السمع والطاعة ثم انهم اخرجوا غانم بن ايوب من المسجد وحملوه بالبرش الذى هو نائم عليه فوق الجمل وجاءت امه واخته يتفرجان عليه من جملة الناس ولم يعلما به ثم نظرتا اليه وتأملتاه وقالتا انه يشبه غانما ابننا فيا ترى هل هو هذا الضعيف اولا واما غانم فانه لم يفق الا وهو محمول فوق الجمل فصار يبكى ويصوح واهل القرية ينظرون امه واخته يبكيان عليه ولم يعرفانه ثم سافرت امه واخته الى ان وصلتا الى بغداد واما الجمال فانه لم يزل سائرا به حتى انزله على باب المارستان واخذ جمله ورجع فمكث غانم راقدا هناك الى الصباح فلما درجت الناس فى الطريق نظروا اليه وقد صار رق الحلال ولم يزل الناس يتفرجون عليه حتى جاء شيخ السوق ومنع الناس عنه وقال انا اكسب الجنة بهذا المسكين لانهم متى ادخلوه المارستان قتلوه فى يوم واحد ثم امر صبيانه بحمله فحملوه الى بيته وفرش له فرشا جديدا ووضع له مخدة جديدة وقال لزوجته اخدميه بنصح فقالت على الرأس ثم تشمرت وسخنت له ماء وغسلت يديه ورجليه وبدنه والبسته ثوبا من لبس جواريها واسقته قدح شراب ورشت عليه ماء ورد فافاق وتذكر محبوبته قوت القلوب فزادت به الكروب هذا ما كان من امره واما ما كان من امر قوت القلوب فانه لما غضب عليها الخليفة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والاربعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قوت القلوب لما غضب عليها الخليفة واسكنها فى مكان مظلم استمرت فيه على هذا الحال ثمانين يوما فاتفق ان الخليفة مر يوما من الايام على ذلك المكان فسمع قوت القلوب تنشد الاشعار فلما فرغت من انشادها قالت يا حبيبى يا غانم ما احسنك وما اعف نفسك قد احسنت لمن اساء اليك وحفظت حرمة من انتهك حرمتك وسترت حريمه وهو سباك وسبى اهلك ولا بد ان تقف انت وامير المؤمنين بين يدى حاكم عادل وتنتصف عليه فى يوم يكون القاضى هو الله والشهود هم الملائكة فلما سمع الخليفة كلامها وفهم شكواها علم انها مظلومة فدخل قصره وارسل الخادم لها فلما حضرت بين يديه اطرقت وهى باكية العين حزينة القلب فقال يا قوت القلوب ارأيتظلمين منى وتنسبينى الى الظلم وتزعمين انى اسأت من احسن الى فمن هو الذى حفظ حرمتى وانتهكت حرمته وسترحريمى وسبيت حريمه فقالت له غانم بن ايوب فانه لم يقربنى بفاحشة وحق نعمتك يا امير المؤمنين فقال الخليفة لا حول ولا قوة الا بالله يا قوت القلوب تمنى على فانا ابلغك مرادك فقالت تمنيت عليك محبوبى غانما ابن

ايوب فلما سمع كلامها قال احضره ان شاء الله مكرما فقالت يا امير المؤمنين ان احضرته تهبني له فقال ان احضرته وهبتك له هبة كريم لا يرد في عطائه فقالت يا امير المؤمنين ائذن لي ان ادور عليه لعل الله يجمعني به فقال لها افعلي ما بدا لك ففرحت وخرجت ومعها الف دينار فزارت المشايخ وتصدقت عنه وطلعت ثاني يوم الى سوق التجار واعطت عريف السوق دراهم وقالت له تصدق بها على الغربا ثم طلعت ثاني جمعة ومعها الف دينار ودخلت سوق الصاغة وسوق الجوهرية فطلبت عريف السوق فحضر فدفعت له الف دينار وقالت له تصدق بها على الغرباء فنظر اليها العريف وهو شيخ السوق وقال لها هل لك ان تذهبي الى داري وتنظري الى هذا الشاب الغريب ما اظرفه وما اكمله وكان هو غانم بن ايوب المتيم المسلوب ولكن العريف ليس له به معرفة وكان يظن انه رجل مسكين مديون سلبت نعمته او عاشق فارق احبته فلما سمعت كلامه خفق قلبها وتعلقت به احشاؤها فقالت له ارسل معي من يوصلني الى دارك فارسل معها صبيا صغيرا فاوصلها الى الدار التي فيها الغريب فشكرته على ذلك فلما دخلت تلك الدار وسلمت على زوجة العريف قامت زوجة العريف وقبلت الارض بين يديها لانها عرفتها فقالت لها قوت القلوب ابن الضعيف الذي عندكم فبكت وقالت ها هو يا سيدتي الا انه ابن ناس وعليه اثر النعمة فالتفتت الى الفرش الذي هو راقد عليه وتأملته فرأته كانه هو بذاته ولكنه قد تغير حاله وزاد نحوله ورق الى ان صار كالخلال وانهم عليها امره فلم تحقق انه هو ولكن اخذتها الشفقة عليه فصارت تبكي وتقول ان الغرباء مساكين وان كانوا امراء في بلادهم ورتبت له الشراب والادوية ثم جلست عند رأسه ساعة وركبت وطلعت الى قصرها وصارت تطلع في كل سوق لاجل التفتيش على غانم ثم ان العريف قد اتى بامه واخته فتنة ودخل بهما على قوت القلوب وقال يا سيدة المحسنات قد دخل مدينتنا في هذا اليوم امرأة وبنت وهما من وجوه الناس وعليهما اثر النعمة لا يح لكنهما لابستان ثيابا من الشعر وكل واحدة منهما معلقة في رقبتها مخلاة وعيونهما باكية وقلوبهما حزينة وها انا اتيت بهما اليك لتأويهما وتصونهما عن ذل السؤال لانهما ليستا اهلا لسؤال اللئام وان شاء الله ندخل بسببهما الجنة فقالت والله يا سيدي اقد شوقتني اليهما وايني هما فامرهما بالدخول فعند ذلك دخلت فتنة واماها على قوت القلوب فلما نظرتهما قوت القلوب وهما ذات جمال بكت عليهما وقالت والله انهما اولاد نعمة ويلوح عليهما اثر الغنى فقال العريف يا سيدتي انا نحب الفقراء والمساكين لاجل الثواب وهؤلاء ربما جار عليهم الظلمة وسلبوا نعمتهم واخربوا ديارهم ثم ان المرأتان بكتا بكاء شديدا وتفكرتا غانما ابن ايوب المتيم المسلوب فزاد تحييهما فلما بكتا بكت قوت القلوب لبكائهما ثم ان امه قالت نسأل الله ان يجمعنا بمن نريده وهو ولدي غانم بن ايوب فلما سمعت قوت القلوب هذا الكلام علمت ان هذه المرأة ام معشوقها وان الاخرى اخته فبكت حتى غشي عليها فلما افاقت اقبلت عليهما وقالت لهما لا باس عليكما فهذا اليوم اول سعادتكما واخر شقاوتكما فلا تحزنا وادر لك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قوت القلوب قالت لهما لا تحزنا ثم امرت العريف ان يأخذهما الى بيته ويخلي زوجته تدخلهما الحمام وتلبسهما ثيابا حسنة وتنوصى بهما وتكرمهما غاية الاكرام واعطته جملة من المال وفي ثاني يوم ركبت قوت القلوب وذهبت الى بيت العريف ودخلت عند زوجته

فقامت اليها وقبلت يديها وشكرت احسانها ورأت ام غانم واخته وقد ادخلتهما زوجة العريف الحمام ونزعت ما عليهما من الثياب فظهرت عليهما آثار النعمة فجلست تحادثهما ساعة ثم سألت زوجة العريف عن المريض الذى عندها فقالت هو بحاله فقالت قوموا بنا نطل عليه ونعوده فقامت هى وزوجة العريف وام غانم واخته ودخلن عليه وجلسن عنده فلما سمعهن غانم بن ايوب المتيم المسلوب يذكرن قوت القلوب وكان قد انتحل جسمه ورق عظمه ردت له روحه ورفع رأسه من فوق المخدة ونادى يا قوت القلوب فنظرت اليه وتحققته فعرفته وصاحت بقولها نعم يا حبيبى فقال لها اقربى منى فقالت له لعلك غانم بن ايوب المتيم المسلوب فقال لها نعم انا اياه فعند ذلك وقعت مغشيا عليها فلما سمعت اخته وامه كلامهما صاحتا بقولهما وافرحتاه ووقعتا مغشيا عليهما وبعد ذلك استفاقتا فقالت له قوت القلوب الحمد لله الذى جمع شملنا بك وباسك واختك وتقدمت اليه وحكت له جميع ما جرى لها مع الخليفة وقالت انى قلت له قد اظهرت لك الحق يا امير المؤمنين فصدق كلامى ورضى عنك وهو اليوم يتمنى ان يراك ثم قالت لغانم ان الخليفة وهبنى لك ففرح بذلك غاية الفرح فقالت لهم قوت القلوب لا تبرحوا حتى احضر ثم انها قامت من وقتها وساعتها وانطلقت الى قصرها وحملت الصندوق الذى اخذته من داره واخرجت منه دنانير واعطت العريف اياها وقالت له خذ هذه الدنانير واشتر لكل شخص منهم اربع بدلات كوامل من احسن القماش وعشرين منديلا وغير ذلك مما يحتاجون اليه ثم انها دخلت بهما وبغانم الحمام وامرت بغسلهم وعملت لهم المسالیق وماء الخلوانجان وماء التفاح بعد ان خرجوا من الحمام لبسوا الثياب واقامت عندهم ثلاثة ايام وهى تطعمهم لحم الدجاج والمسالیق وتسقيهم السكر المكرر وبعد الثلاثة ايام ردت لهم ارواحهم وادخلتهم الحمام ثانيا وخرجوا وغيرت عليهم الثياب وخلتهم فى بيت العريف وذهبت الى الخليفة وقبلت الارض بين يديه واعلمته بالقصة وانه قد حضر سيدها غانم بن ايوب المتيم المسلوب وان امه واخته قد حضرتا فلما سمع الخليفة كلام قوت القلوب قال للخدام على بغانم فنزل جعفر اليه وكانت قوت القلوب قد سبقته ودخلت على غانم وقالت له ان الخليفة قد ارسل اليك ليحضرك بين يديه فعليك بفصاحة اللسان وثبات الجنان وعذوبة الكلام والبسته حلة فاخرة واعطته دنانير بكثرة وقالت له اكثر البذل الى حاشية الخليفة وانت داخل عليه واذا بجعفر اقبل عليه وهو على بغلته فقام غانم وقابله وحياه وقبل الارض بين يديه وقد ظهر كوكب سعده وارتفع طالع مجده فاخذه جعفر ولم يزالا سائرين حتى دخلا على امير المؤمنين فلما حضر بين يديه نظر الى الوزراء والامراء والحجاب والنواب وارباب الدولة واصحاب الصولة وكان غانم فصيح اللسان ثابت الجنان رقيق العبارة انيق الاشارة فاطرق برأسه الى الارض ثم نظر الى الخليفة وانشد هذه الابيات

افديك من ملك عظيم الشان * متتابع الحسنات والاحسان
متوقد العزمات فياض الندى * حدث عن الطوفان والنيران
لا يلهجون بغيره من قيصر * فى ذا المقام وصاحب الايوان
تضع الملوك على ثرى اعتابه * عند السلام جواهر التيجان
حتى اذا شخصت له ابصارهم * خروا لهيبته على الاذقان
ويفيدهم ذاك المقام مع الرضى * رتب العلا وجلالة السلطان
ضاقت بعسكرك الفيافى والفلا * فاضرب خيامك فى ذرى كيوان

واقرى الكواكب بالمواكب محسنا * لشريف ذالك العالم الروحانى
وملكت شامخة الصياصى عنوة * من حسن تدبيرو ثبت جنان
ونشرت عدلك فى البسيطة كلها * حتى استوى القاصى بها والدانى

فلما فرغ من شعره طرب الخليفة من محاسن رونقه واعجبته فصاحة لسانه وعذوبة منطقه وادرك شهرزاد الصباح فسكت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان غانم ابن ايوب لما اعجب الخليفة فصاحته ونظمه وعذوبة منطقه قال له ادن منى فدنى منه ثم قال له اشرح لى قصتك واطلعنى على حقيقة خبرك فقعد وحدث الخليفة بما جرى له من المبتدا الى المنتهى وليس فى الاعادة افادة فلما علم الخليفة انه صادق خلع عليه وقربه اليه وقال له ابرئ ذمتى فابرأ ذمته وقال له يا امير المؤمنين ان العبد وما ملكت يداه لسيده ففرح الخليفة بذلك ثم امر ان يفرد له قصر ورتب له من الجوامك والجرايات شيأ كثيرا فنقل امه واخته اليه وسمع الخليفة بان اخته فتنة فى الحسن فتنة فخطبها منه فقال له غانم انها جارية لك وانا مملوكك فشكره واعطاه مائة الف دينار وراى بالقاضى والشهود وكتبوا الكتاب ودخل هو وغانم فى نهار واحد فدخل الخليفة على فتنة وغانم ابن ايوب على قوت القلوب فلما اصبح الصباح امر الخليفة ان يؤرخ جميع ما جرى لغانم من اوله الى اخره وان يدون فى السجلات لاجل ان يطلع عليه من يأتى بعده فيتعجب من تصرفات الاقدار ويفوض الامر لى خالق الليل والنهار وليس هذا باعجب من حكاية الملك عمر النعمان وولده شركان وولده ضوء المكان وما جرى لهم من العجائب والغرائب قال الملك وما حكايتهم قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه كان بمدينة دمشق قبل خلافة عبد الملك بن مروان ملك يقال له عمر النعمان وكان من الجبابرة الكبار قد قهر الملوك الاكاسرة والقياصرة وكان لا يصطلى له بنار ولا يجاريه احد فى مضمار واذا غضب يخرج من منخريه لهيب النار وكان قد ملك جميع الاقطار ونفذ حكمه فى سائر القرى والامصار واطاع الله له جميع العباد ووصلت عساكره الى اقصى البلاد ودخل فى حكمه المشرق والمغرب وما بينهما من الهند والسند والصين واليمن والحجاز والحبشة والسودان والشام والروم وديار بكر وجزائر البحار وما فى الارض من مشاهير الانهار كسيحون وجيحون والنيل والفرات وارسل رسله الى اقصى العمار ليأتوه بحقيقة الاخبار فرجعوا واخبروه بان سائر الناس اذعنت لطاعته وجميع الجبابرة خضعت لهيبته وقد عمهم بالفضل والامتنان واشاع بينهم العدل والامان لانه كان عظيم الشان وحملت اليه الهدايا من كل مكان وجبى اليه خراج الارض فى طولها والعرض وكان له ولد قد سماه شركان لانه نشأ آفة من افات الزمان وقهر الشجعان واباد الاقران فاحبه والده حبا شديدا ما عليه من مزيد واوصى له بالملك من بعده ثم ان شركان هذا حين بلغ مبلغ الرجال وصار له من العمر عشرين سنة اطاع الله له جميع العباد لما به من شدة البأس والعناد وكان والده عمر النعمان له اربع نساء بالكتاب والسنة لكنه لم يرزق منهن بغير شركان وهو من احداهن والباقى عواقر لم يرزق من واحدة منهن بولد ومع ذلك كان له ثلاثمائة وستون سرية على عدد ايام السنة القبطية وتلك السرارى من سائر الاجناس وكان قد بنى لكل واحدة منهن مقصورة وكانت المقاصير من داخل القصر فانه بنى اثنى عشر قصرا على عدد شهور السنة وجعل فى كل قصر ثلاثين مقصورة فكانت

جملة المقاصير ثلاثمائة وستين مقصورة واسكن ثلك الجوارى فى هذه المقاصير وفرض لكل سرية منهن ليلة تبيت عندها وما يأتيها الا بعد سنة كاملة فاقام على ذلك مدة من الزمان ثم ان ولده شركان اشتهر فى سائر الافاق ففرح به والده وازداد قوة فطغى وتجبر وفتح الحصون والبلاد واتفق بالامر المقدر ان جارية من جوارى عمر النعمان قد حملت واشتهر حملها وعلم الملك بذلك ففرح فرحا شديدا وقال لعل ذريتى ونسلى تكون كلها ذكورا فارخ يوم حملها وصار يحسن اليها فعلم شركان بذلك فاغتم وعظم عليه الامر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان شركان لما علم ان جارية ابيه قد حملت اغتم وعظم عليه ذلك وقال قد جاءنى من ينازعنى فى المملكة فاضمر فى نفسه ان هذه الجارية ان ولدت ولدا ذكرا قتلته وكتم ذلك فى نفسه هذا ما كان من امر شركان واما ما كان من امر الجارية فانها كانت رومية وكان قد بعثها اليه هدية ملك الروم صاحب قسارية وارسل معها تحفا كثيرة وكان اسمها صفية وكانت احسن الجوارى واجملهن وجها واصونهن عرضا وكانت ذات عقل وافر وجمال باهر وكانت تخدم الملك ليلة مبيته عندها وتقول له ايها الملك كنت اشتهى من آله السماء ان يرزقك منى ولدا ذكرا حتى احسن تربيته لك وابالغ فى ادبه وصيانته فيفرح الملك ويعجبه ذلك الكلام فلا زالت كذلك حتى كملت اشهرها فجلست على كرسى الطلق وكانت على صلاح تحسن العبادة فتصلى وتدعو الله ان يرزقها بولد صالح ويسهل عليها ولادته فتقبل الله منها دعائها وكان الملك قد وكل بها خادما يخبره بما تضعه هل هو ذكر او انثى وكذلك ولده شركان ارسل من يعرفه بذلك فلما وضعت صفية ذلك المولود تأملته القوابل فوجدنه بنتا بوجه ابهى من القمر فاعلمن الحاضرين بذلك فرجع رسول الملك واخبره بذلك وكذلك رسول شركان اخبره بذلك ففرح فرحا شديدا فلما انصرف الخدام قالت صفية للقوابل امهلوا على ساعة فانى احس بان احشائى فيها شئ آخر ثم تأوهت وجاءها الطلق ثانيا وسهل الله عليها فوضعت مولودا ثانيا فنظرت اليه القوابل فوجدنه ولدا ذكرا يشبه البدر بجبين ازهر وخد احمر مورد ففرحت به الجارية والخدم والحشم وكل من حضر ورمت صفية الخلاص وقد اطلقوا الزغاريت فى القصر فسمع بقية الجوارى بذلك فحسدتها وبلغ عمر النعمان الخبر ففرح واستبشر وقام ودخل عليها وقبل رأسها ونظر الى المولود ثم انحنى اليه وقبله وضربت الجوارى بالدفوف ولعبت بالالات وامر الملك ان يسموا المولود ضوء المكان واخته نزهة الزمان فامتثلوا امره واجابوا بالسمع والطاعة وافرد لهم الملك من يخدمهم من المراضع والخدام والحشم والدايات ورتب لهم الرواتب من السكر والاشربة والادهان وغير ذلك مما يكل عن وصفه اللسان وسمعت اهل دمشق بما رزق الله الملك من الاولاد فزينت المدينة واظهرت الفرح والسرور واقبلت الامراء والوزراء وارباب الدولة وهنوا الملك عمر النعمان بولده ضوء المكان وبنته نزهة الزمان فشكرهم الملك على ذلك وخلع عليهم وزاد فى اكرامهم من الانعام واحسن الى الحاضرين من الخاص والعام ومازال على تلك الحالة الى ان مضى اربعة اعوام وهو بعد كل قليل من الايام يسأل عن صفية واولادها وبعد الاربعة اعوام امر ان ينقل اليها من المصاغ والحلى والحلل والاموال شئ كثير واوصاها بتربيتهما وحسن ادبهما كل هذا وابن الملك شركان لا يعلم ان والده عمر النعمان رزق ولدا

ذكرا ولم يعلم انه رزق سوى نزهة الزمان واخفوا عليه خبر ضوء المكان الى ان مضت ايام واعوام وهو مشغول بمقارعة الشجعان ومبارزة الفرسان فبينما عمر النعمان جالس يوما من الايام اذ دخلت عليه الحجاب وقبلوا الارض بين يديه وقالوا ايها الملك قد وصلت الينا رسل من ملك الروم صاحب القسطنطينية العظمى وانهم يريدون الدخول عليك والتمثل بين يديك فان اذن لهم الملك بذلك ندخلهم والا فلا مرد لامره فعند ذلك اذن لهم بالدخول فلما دخلوا عليه مال اليهم واقبل عليهم وسألهم عن حالهم وما سبب اقبالهم فقبلوا الارض بين يديه وقالوا ايها الملك الجليل صاحب الباع الطويل اعلم ان الذى ارسلنا اليك الملك افريدون صاحب البلاد اليونانية والعساكر النصرانية المقيم بمملكة القسطنطينية يعلمك انه اليوم فى حرب شديد مع جبار عنيد وهو صاحب قسارية والسبب فى ذلك ان بعض ملوك العرب اتفق انه وجد فى بعض الفتوحات كنزا من قديم الزمان من عهد اسكندر فنقل منه اموالا لا تحصى ومن جملة ما وجد فيه ثلاث خرزات مدورات على قدر بيض النعام وتلك الخرزات من اعلى الجوهر الابيض الخالص الذى لا يوجد له نظير وكل خرزة منقوش عليها بالقلم اليونانى امور من الاسرار ولهن منافع وخواص كثيرة ومن خواصهن ان كل مولود علقت عليه خرزة منهن لم يصبه الم ما دامت الخرزة معلقة عليه ولا يحم ولا يمرض فلما وضع يده عليها ووقع بها وعرف ما فيها من الاسرار ارسل الى الملك افريدون هدايا من التحف والمال ومن جملتها الثلاث خرزات وجهز مركبين واحدة فيها مال والاخرى فيها رجال تحفظ تلك الهدايا ممن يتعرض لها فى البحر وكان يعرف من نفسه انه لا احد يقدر ان يتعدى على مراكبه لكونه ملك العرب لا سيما وطريق المراكب التى فيها الهدايا فى البحر الذى فى مملكة ملك القسطنطينية وهى متوجهة اليه وليس فى سواحل ذلك البحر الا رعاياه فلما جهز المركبين سافرا الى ان قربا من بلادنا خرج عليهما بعض قطاع الطريق من تلك الارض وفيهم عساكر من عند صاحب قسارية فاخذوا جميع ما فى المركبين من التحف والمال والذخائر والثلاث خرزات وقتلوا الرجال فبلغ ذلك ملكنا فارسل اليهم عسكرا فهزموه فارسل لهم عسكرا اقوى من الاول فهزموه ايضا فعند ذلك اغتاظ الملك واقسم انه لا يخرج اليهم الا بنفسه فى جميع عسكره وانه لا يرجع عنهم حتى يخرب قسارية ويترك ارضها وجميع البلاد التى يحكم عليها ملكها خرابا والمراد من صاحب القوة والسلطان الملك عمر النعمان ان يمدنا بعسكر من عنده حتى يصير له الفخر وقد ارسل الينا ملكنا معنا شيأ من انواع الهدايا ويرجو من انعامك قبولها والتفضل عليه بالاسعاف ثم ان الرسل قبلوا الارض بين يدى الملك عمر النعمان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والاربعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان رسل ملك القسطنطينية قبلوا الارض بين يدى الملك عمر النعمان بعد ان حكوا له ثم اعلموه بالهدية وكانت الهدية خمسين جارية من خواص بلاد الروم وخمسين مملوكا عليهم اقبية من الديباج بمناطق من الذهب والفضة وكل مملوك فى اذنه حلقة من الذهب فيها الؤلؤة تساوى الف مثقال من الذهب والجوارى كذلك وعليهم من القماش ما يساوى ما لا جزيلا فلما رآهم الملك قبلهم وفرح بهم وامر باكرام الرسل واقبل على وزرائه يشاورهم فيما يفعل فنهض من بينهم وزير وكان شيخا كبيرا يقال له دندان فقبل الارض بين يدى الملك عمر النعمان وقال ايها الملك ما فى الامر احسن من انك تجهز

عسكرا جرارا وتجعل قائدهم ولدك شركان ونحن بين يديه غلمان وهذا الرأى احسن لوجهين الاول ان
ملك الروم قد استجارك وارسل اليك هدية فقبلتها والوجه الثانى ان العدو لا يجسر على بلادنا فاذا منع
عسكرك عن ملك الروم وهزم عدوه ينسب هذا الامر اليك ويشيع ذلك فى سائر الاقطار والبلاد ولا سيما
اذا وصل الخبر الى جزائر البحر وسمع بذلك اهل المغرب فانهم يحملون اليك الهدايا والتحف والاموال فلما سمع
الملك هذا الكلام من وزيره دندان اعجبه واستصوبه وخلع عليه وقال له مثلك من تستشيره الملوك وينبغى
ان تكون انت فى مقدم العسكر وولدى شركان فى ساقة العسكر ثم ان الملك امر باحضار ولده فلما
حضر قص عليه القصة واخبره بما قاله الرسل وبما قاله الوزير دندان واوصاه باخذ الاهبة والتجهيز للسفر
وانه لا يخالف الوزير دندان فيما يشوربه عليه وامره ان ينتخب من عسكره عشرة الاف فارس كاملين
العدة صابرين على الشدة فامتثل شركان ما قاله والده عمر النعمان وقام فى الوقت واختار من عسكره
عشرة الاف فارس ثم دخل قصره واخرج مالا عظيما وانفق عليهم المال وقال لهم قد امهلتكم ثلاثة ايام
فقبلوا الارض بين يديه مطيعين لامره ثم خرجوا من عنده واخذوا فى الاهبة واصلاح الشأن ثم ان
شركان دخل خزائن السلاح واخذ ما يحتاج اليه من العدد والسلاح ثم دخل الاصطبل واختار منه
الخيل المسومة واخذ غير ذلك وبعد ذلك اقاموا ثلاثة ايام ثم خرجت العساكر الى ظاهر المدينة وخرج
عمر النعمان لوداع ولده شركان فقبل الارض بين يديه واهدى له سبع خزائن من المال واقبل على الوزير
دندان واوصاه بعسكر ولده شركان فقبل الارض بين يديه واجابه بالسمع والطاعة واقبل الملك
على ولده شركان واوصاه بمشاورة الوزير دندان فى سائر الامور فقبل ذلك ورجع والده الى ان دخل
المدينة ثم ان شركان امر كبار العسكر بعرضهم عليه وكانت عدتهم عشرة الاف فارس غير ما يتبعهم ثم ان
القوم حملوا ودقت الطبول وصاح النفير وانتشرت الاعلام والرايات وركب ابن الملك شركان والى جانبه
وزيره دندان والاعلام تخفق على رؤسهم ولم يزالوا سائرين والرسل تقدمهم الى ان ولى النهار واقبل الليل
فنزلوا واستراحوا وباتوا تلك الليلة فلما اصبح الصباح ركبوا وساروا ولم يزالوا سائرين والرسل يدلونهم على
الطريق مدة عشرين يوما ثم اشرفوا فى اليوم الحادى والعشرين على واد واسع الجهات كثير
الاشجار والنبات وكان وصولهم الى ذلك الوادى ليلا فامرهم شركان بالنزول والاقامة فيه ثلاثة ايام
فنزل العساكر وضربوا الخيام وافترق العسكر يمينا وشمالا ونزل الوزير دندان وصحبته رسل افريدون
صاحب القسطنطينية فى وسط ذلك الوادى واما الملك شركان فانه كان فى وقت وصول العسكر وقف
بعدهم ساعة حتى نزلوا جميعهم وتفرقوا فى جوانب الوادى ثم انه ارخى عنان جواده واراد ان يكشف
ذلك الوادى ويتولى الحرس بنفسه لاجل وصية والده اياه فانهم فى اول بلاد الروم وارض العدو فسار
وحده بعد ان امر مماليكه وخواصه بالنزول عند الوزير دندان ثم انه لم يزل سائرا على ظهر جواده فى جوانب
الوادى الى ان مضى من الليل ربعه فتعب وغلب عليه النوم فصار لا يقدر ان يركض الجواد وكان له
عادة انه ينام على ظهر جواده فلما هجم عليه النوم نام ولم يزل الجواد سائرا به الى نصف الليل فدخل به
فى بعض الغابات وكانت تلك الغابة كثيرة الاشجار فلم ينتبه شركان حتى دق الجواد بجافره
فى الارض فاستيقظ فوجد نفسه بين الاشجار وقد طلع عليه القمر واضاء فى الخافقين فاندهش شركان
لما رأى نفسه فى ذلك المكان وقال كلمة لا يحسن قائلها وهى لا حول ولا قوة الا بالله فبينما هو كذلك
خائف من الوحش متحير لا يدرى اين يتوجه فلما راى القمر اشرف على مرج كانه من مروج الجنة فسمع

كلاما

كلاما مليحا وصوتا عاليا وضحكا يسبي عقول الرجال فنزل الملك شركان عن جواده في الاشجار ومشى حتى اشرف على نهر فرأى فيه الماء يجرى وسمع كلام امرأة تتكلم بالعربي وهي تقول وحق المسيح ان هذا ممكن غير مليح ولكن كل من تكلمت بكلمة صرعتها وكتفتها بزنارها كل هذا وشركان يمشي الى جهة الصوت حتى انتهى الى طرف المكان ثم نظر فاذا هو بنهر يسبح وطيور تمرح وغزلان تسنح ووحوش ترتع والطيور بلغاتها المعاني الحظ تشرح وذلك المكان مزركش بانواع النبات كما قيل في اوصاف مثل هذا ان البيتان

ما تحسن الارض الا عند زهرتها * والماء من فوقها يجرى بارسال
صنع الاله العظيم الشان مقتدرا * معطى العطايا ومعط كل مفضال

فنظر شركان الى ذلك المكان فرأى فيه ديرا ومن داخل الدير قلعة شاهقة في الهواء في ضوء القمر وفي وسطها نهر يجرى الماء منه الى تلك الرياض وهناك امرأة بين يديها عشر جوار كانهن الاقمار وعليهن من انواع الحلى والحلل ما يدهش الابصار وكلهن ابكار بديعات كما قيل فيهن هذه الابيات

يشرق المرج بما فيه * من البيض العوالى
زاد حسنا وجمالا * من بديعات الخلال
كل هيفاء قواما * ذات غنج ودلال
راخيات لشعور * كعناقيد الدوالى
فاتنات بعيون * راميات بالنبال
مائسات قاتلات * لصناديد الرجال

فنظر شركان الى هؤلاء العشر جوار فوجد بينهن جارية كانها البدر عند تمامه بحاجب مزجج وجبين ابلج وطرف اهدب وصدغ معقرب كاملة في الذات والصفات كما قال الشاعر في مثلها هذه الابيات

تزهو على بالحاظ بديعات * وقدها مخجل للسمهريات
تبدو لنا وخداها موردة * فيها من الظرف انواع الملاحات
كأن طرتها في نور طلعتها * ليل يلوح على صبح المسرات

فسمعها شركان وهي تقول للجواري تقدموا حتى اصارعكم قبل ان يغيب القمر ويأتي الصباح فصارت كل واحدة منهن تتقدم اليها فتصرعها في الحال وتكتفها بزنارها فلم تزل تصارعهن وتصرعهن حتى صرعت الجميع ثم التفتت الى الجارية العجوز كانت بين يديها وقالت لها وهي كالمغضبة عليها يا فاجرة انفرحين بصرعك للجواري فيها انا عجوز وقد صرعتهن اربعين مرة فكيف تجبين بنفسك ولكن ان كان لك قوة على مصارعتي فصارعيني فان اردت ذلك وثقت لمصارعتي اقوم لك واجعل رأسك بين رجليك فتبسمت الجارية ظاهرا وقد امتلأت غيظا منها باطنا وقامت اليها وقالت لها ياسيدتي ذات الدواهي بحق المسيح اتصارعيني حقيقة او تمزحين معي قالت لها بل اصارعك حقيقة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما قالت لذات الدواهي بحق المسيح اتصارعيني حقيقة قالت لها

اصارعك حقيقة قالت لها قومي للصراع ان كان لك قوة فلما سمعت العجوز منها ذلك اغتاظت غيظا شديدا
وقام شعر يدنها كانه شعر قنفذ وقامت لها الجارية فقالت لها العجوز وحق المسيح لم اصارعك الا وانا عريانة
يا فاجرة ثم ان العجوز اخذت منديلا حريرا بعدان فكت لباسها وادخلت يديها تحت ثيابها ونزعتها من فوق
جسدها ولمت المنديل وشدته في وسطها فصارت كانها عفريتة معطاء اوحية رقطاء ثم انحنت على الجارية
وقالت لها افعلي كفعلي كل هذا وشركان ينظر اليهما ثم ان شركان صار يتأمل في تشويه صورة العجوز
ويضحك ثم ان العجوز لما فعلت ذلك قامت الجارية على مهل واخذت فوطة يمانية وثنتها مرتين وشمرت
سراويلها فبان لها ساقان من المرمر وفوقهما كثيب من البلور ناعم مربرب وبطن يفوح المسك من
اعكانه كانه مصفح بشقائق النعمان وصدر فيه نهدان كفعلي رمان ثم انحنت عليها العجوز وتماسكا بعضهما
فرفع شركان رأسه الى السماء ودعا الله ان الجارية تغلب العجوز فدخلت الجارية تحت العجوز ووضعت يدها
الشمال في شقتها ويدها اليمين في رقبتها مع حلقها ورفعتها على يديها فانقلبت العجوز من يديها وارادت
الخلاص فوقعت على ظهرها فارتفعت رجلاها الى فوق فبانت شعرتها في القمر ثم ضربت ضربتين
عفرت احداهما في الارض ودخنت الاخرى في السماء فضحك شركان منهما حتى وقع على الارض ثم قام
وسل حسامه والتفت يمينا وشمالا فلم ير احدا غير العجوز مرمية على ظهرها فقال في نفسه ما كذب
من سمى الذات الدواهي ثم تقرب منهما ليسمع ما يجري بينهما فاقبلت الجارية ورمت على العجوز ملاءة
من حرير رفيعة والبستها ثيابها واعتذرت اليها وقالت لها يا سيدتي ذات الدواهي ما اردت الا صرعك
لاجمع ما حصل لك ولكن انت انفلت من بين يدي فالحمد لله على السلامة فلم ترد عليها جوابا وقامت تمشي
من خجلها ولم تزل ماشية الى ان غابت عن البصر وصارا الجواري مكتفات مرميات والجارية واقفة
وحدها فقال شركان في نفسه لكل رزق سبب ما غلب على النوم وسار بي الجواد الى هذا المكان الا
لبختي فلعل هذه الجارية ومامعها تكون غنيمة لي ثم ركب جواده ولكزه ففر به كالسهم اذا فر من القوس
وبيده حسامه مجرد من غلافه ثم صاح الله اكبر فلما رأته الجارية نهضت قائمة وحطت قدميها
على جانب النهر وكان عرضه ستة اذرع ووثبت فصارت على جانبه الاخر ثم قامت على رجليها ونادت
برفيع صوتها من انت يا هذا لانك قطعت سرورنا وحين جردت حسامك صرت كانك قد حملت
في عساكر من اين انت والى اين تذهب فاصدق في مقالك فان الصدق انفع لك ولا تكذب فان الكذب
من اخلاق اللئام ولا شك انك تهت في هذه الليلة عن الطريق حتى جئت الى هذا المكان الذي
خلا صك فيه اكبر الغنيمات واعلم انك في مرج لو صرخنا فيه صرخة واحدة لجاء الينا اربعة الاف بطريق
فقل لنا ما الذي تريد فان اردت ان نرشدك الى الطريق ارشدناك وان اردت الرفد رفدناك فلما سمع شركان
كلامها قال لها انا رجل غريب من المسلمين وقد سرت في هذه الليلة منفردا بنفسي اطلب غنيمة اغنمها
فلم اجد غنيمة احسن من هؤلاء الجواري العشرة في هذه الليلة المقمرة فاخذهم وارجع بهم الى اصحابي
فقالت له الجارية اعلم ان الغنيمة ما وصلت اليها والجواري والله ما هن غنيمتك اما قلت لك ان الكذب شين
فقال لها ان السعيد الذي يكتفي بالله عن غيره فقالت له وحق المسيح لولا اني اخاف ان يكون هلاكك على
يدي لكنت صحت صيحة ملأت عليك الارض خيلا ورجالا ولكن انا اشفق على الغرباء وان اردت الغنيمة
فانا اطلب منك ان تنزل عن جوادك وتحلف لي بدينك انك لا تتقرب الى بشيء من السلاح وتصارع انا
وانت فان صرعتني فضعني على جوادك وخذنا كلنا غنيمة وان صرعتك احكم فيك فاحلف لي

فانى اخاف من غدرك وقد ورد فى الاخبار اذا كان الغدر طباعا فان الثقة بكل احد عجز فان حلفت لى
عدت اليك واتيتك وجئت عندك فطمع شركان فى اخذها وقال فى نفسه انها لم تعرف انى بطل من
الابطال ثم ناداها وقال لها احلفينى بما تثقين به انى لا قربك بشئ حتى تأخذى اهبتك وتقولى ادن منى
لاصارعك فحينئذ اتقرب منك فان صرعتينى فان لى من المال ما اشترى به نفسى وان صرعتك انا فهى
الغنيمة الكبرى فقالت الجارية انا رضيت بذلك فتحير شركان فى ذلك وقال وحق النبى صلى الله
عليه وسلم رضيت ان الاخر فقالت له احلف الآن بمن ركب الارواح فى الاجساد وشرع لنا الشرائع فحلف
لها بما وثقت به من الايمان فرضيت بذلك ثم انها وثبت فصارت فى الجانب الاخر من جانبى النهر وقالت
لشركان وهى تضحك بعزعلى فراقك يا مولاى اذهب الى اصحابك قبل الصباح لئلا تأتيك البطارقة
فيأخذوك على اسنة الرماح وانت ما فيك قوة لدفع النسوان فكيف تدفع الرجال الفرسان فتحير شركان
فى نفسه وقال لها وقد ولت عنه معرضة تقصد الدير يا سيدتى اذهبى وتتركين المتيم الغريب المسكين
الكسير القلب فالتفتت اليه وهى تضحك ثم قالت له ما حاجتك فانى اجيب دعوتك فقال كيف اطؤ
ارضك واتحلى بحلاوة لطفك وارجع بلا اكل من طعامك وقد صرت من بعض خدمك فقالت
لا يا بى الكرامة الا لئيم تفضل بسم الله على الرأس والعين واركب جوادك وسر على جانب النهر مقابلى
فانت فى ضيافتى ففرح شركان وبادر الى جواده وركب ولا زال ماشيا مقابلها وهى سائرة قبالته الى
ان وصل الى جسر معمول باخشاب من الحور وفيه بكر بسلاسل من البولاد وعليها اقفال فى كلاليب
فنظر شركان الى ذلك الجسر واذا بالجوارى اللاتى كن معها فى المصارعة قائمات ينظرن اليها فلما اقبلت
عليهن كلمت جارية منهن بلسان الرومية وقالت لها قومى اليه وامسكى عنان جواده ثم سيرى به
الى الدير فصار شركان وهى قدامه الى ان عدى الجسر وقد اندهش عقله مما رأى وقال فى نفسه
يا ليت الوزير دندان كان معى فى هذا المكان وتنظر عيناه الى تلك الجوارى الحسان ثم التفت الى تلك
الجارية وقال لها يا بديعة الجمال قد صار لى عليك الآن حرمتان حرمة الصحبة وحرمة سيرى الى منزلك
وقبول ضيافتك وقد صرت تحت حكمك وفى عهدك فلو انك تعينين على بالمسير معى الى بلاد الاسلام
وتتفرجين على كل اسد ضرغام وتعرفين من انا فلما سمعت كلامه اغتاظت منه وقالت له وحق المسيح لقد
كنت عندى ذا عقل ورأى ولكنى اطلعت الان على ما فى قلبك من الفساد وكيف يجوز لك ان تتكلم بكلمة
تنسب فيها الى الخداع كيف اصنع هذا وانا اعلم انى متى حصلت عند ملككم عمر النعمان لا اخلص منه
لانه ما فى صوره مثلى ولو كان صاحب بغداد وخراسان وبنى له اثنى عشر قصرا فى كل قصر ثلثمائة وستون
جارية على عدد ايام السنة والقصور عدد اشهر السنة فان حصلت عنده ما فزع منى لان اعتقادكم انه يحل
لكم التمتع بمثلى كما فى كتبكم حيث قيل فيها وما ملكت ايمانكم فكيف تكلمنى بهذا الكلام واما قولك
وتتفرجين على شجعان المسلمين فوحق المسيح انك قلت قولا غير صحيح فانى رأيت عسركم لما استقبلتم
ارضنا وبلادنا فى هذين اليومين فلما اقبلتم لم ار تربيتكم تربية ملوك وانما رايتكم طوائف مجتمعة واما قولك
تعرفين من انا فانا لا اصنع معك جميلا لاجل اجلالك وانما افعل ذلك لاجل الغدر ومثلك لا يقول لمثلى
ذلك ولو كنت شركان ابن الملك عمر النعمان الذى ظهر فى هذا الزمان فقال شركان فى نفسه لعلها عرفت
قدوم العساكر وعرفت عدتهم وانهم عشرة الاف فارس وعرفت ان والدى ارسلهم معى لنصرة ملك
القسطنطينية ثم قال شركان يا سيدتى اقسمت عليك بما تعتقدين من دينك ان تحدثينى بسبب ذلك

حتى يظهر لى الصدق من الكذب ومن يكون عليه وبال ذلك فقالت له وحق دينك لولا انى خفت ان يشيع خبرى من انى من بنات الروم لكنت خاطرت بنفسى وبارزت العشرة الاف فارس وقتلت مقدمهم الوزير دندان وظفرت بفارسهم شركان وما كان على فى ذلك عار ولكننى قرأت الكتب وتعلمت الادب من كلام العرب واست اصف لك نفسى بالشجاعة مع انك رأيت منى العلامة والصناعة والقوة فى الصراع والبراعة ولو حضر شركان مكانك فى هذه الليلة وقيل له نط هذا النهر لاذعن واعترف بالعجز وانى اسأل المسيح ان يرميه بين يدى فى هذا الدير حتى اخرج له فى صفة الرجال وآسره واجعله فى الاغلال وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الصبية النصرانية لما قالت هذا الكلام لشركان وهو يسمعه اخذته النخوة والحمية وغيرة الابطال واراد ان يظهر لها نفسه ويبطش بها ولكن رده عنها فرط جمالها وبديع حسنها فانشد هذا البيت

واذا المليح اتى بذنب واحد ✻ جاءت محاسنه بالف شفيع

ثم صعدت وهو فى اثرها فنظر شركان الى ظهر الجارية فرأى اردافها تتلاطم كالامواج فى البحر الرجراج فانشد هذه الابيات

فى وجهها شافع يمحو اساءتها ✻ من القلوب وجيه حيث ما شفعا
اذا تأملتها نادیت من عجب ✻ البدر فى ليلة الاكمال قد طلعا
لو ان عفريت بلقيس يصارعها ✻ مع وصف قوته فى ساعة صرعا

ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى باب مقنطر وكانت قنطرته من رخام ففتحت الجارية الباب ودخلت وسعها شركان وسارا الى دهليز طويل مقبى على عشر قناطر معقودة وعلى كل قنطرة قنديل من البلور يشتعل كاشتعال الشمس فلقيتها الجوارى فى آخر الدهليز بالشموع المطيبة وعلى رؤسهن العصائب المزركشة بالفصوص من سائر اصناف الجواهر وسارت وهن امامها وشركان وراءها الى ان وصلوا الى الدير فوجد بدائر ذلك الدير اسرة مقابلة لبعضها وعليها ستور مكللة بالذهب وارض الدير مفروشة بانواع الرخام المجزع وفى وسطه بركة ماء عليها اربعة وعشرون قارورة من الذهب والماء يخرج منها كاللجين ورأى فى الصدر سريرا مفروشا بالحرير الملوكى فقالت له الجارية اصعد يا مولاى على هذا السرير فصعد شركان فوق السرير وذهبت الجارية وغابت عنه فسأل عنها بعض الخدام فقالوا له انها ذهبت الى مرقدها ونحن نخدمك كما امرت ثم انها قدمت اليه من غرائب الالوان فاكل حتى اكتفى ثم بعد ذلك قدمت اليه طشتا وابريقا من الذهب فغسل يديه وخاطره مشغول بعسكره لكونه لا يعلم ما جرى لهم بعده ويتذكر ايضا كيف نسى وصية ابيه فصار متحيرا فى امره نادما على ما فعل الى ان طلع الفجر وبان النهار وهو يتحسر على ما فعل وصار مستغرقا فى الفكر وانشد هذه الابيات

لم اعدم الحزم ولا كننى ✻ دهيت فى الامر فما حيلتى
لو كان من يكشف عنى الهوى ✻ برئت من حولى ومن قوتى
وان قلبى فى ضلال الهوى ✻ صب وارجو الله فى شدتى

فلما فرغ من شعره رأى عجبة عظيمة قد اقبلت فنظر فاذا هو باكثر من عشرين جارية كالاقمار حول تلك الجارية وهي بينهن كالبدر بين الكواكب وعليها ديباج ملوكي وفي وسطها زنار مرصع بانواع الجواهر وقد ضم خصرها وابرز ردفها فصارا كانهما كثيب بلور تحت قضيب من فضة ونهداها كفجلي رمان فلما نظر شركان ذلك كاد عقله ان يطير من الفرح ونسي عسكره ووزيره وتأمل رأسها فرأى عليها شبكة من اللؤلؤ مفصلة بانواع الجواهر والجواري عن يمينها ويسارها يرفعن اذيالها وهي تتمايل عجبا فعند ذلك وثب شركان قائما على قدميه من هيبة حسنها وجمالها فصاح واحيرتاه من هذا الزنار وانشد هذه الابيات

ثقيلة الارداف مائلة * خرعوبة ناعمة النهد
تكتم ما عندها من جوى * ولست اكتم الذي عندي
خدامها يمشين من خلفها * كالقيل في حل وفي عقد

ثم ان الجارية جعلت تنظر اليه زمانا طويلا وتكرر فيه النظر الى ان تحققته وعرفته فقالت له بعد ان اقبلت عليه قد اشرف بك المكان يا شركان كيف كانت ليلتك يا همام بعد ما مضينا وتركناك ثم قالت له ان الكذب عند الملوك منقصة وعار لا سيما عند اكابر الملوك وانت شركان بن عمر النعمان فلا تكدر نفسك وحسبك ولا تكتم امرك عني ولا تسمعني بعد ذلك غير الصدق فان الكذب يورث البغض والعداوة فقد نفذ فيك سهم القضاء فعليك بالتسليم والرضاء فلما سمع كلامها لم يمكنه الانكار فاخبرها بالصدق وقال لها انا شركان بن عمر النعمان الذي عذبني الزمان واوقعني في هذا المكان فهما شئت فافعليه الان فاطرقت برأسها الى الارض زمانا طويلا ثم التفتت اليه وقالت له طب نفسا وقر عينا فانك ضيفي وصار بيننا وبينك خبز وملح وحديث ومؤانسة فانت في ذمتي وفي عهدي فكن أمنا وحق المسيح لو اراد اهل الارض ان يؤذوك لما وصلوا اليك الا ان خرجت روحي من اجلك فانت في امان المسيح وامانى وجلست الى جانبه فصارت تلاعبه الى ان زال ما عنده من الخوف وعلم انها لو كان لها ارب في قتله لقتلته في الليلة الماضية ثم انها كلمت جارية بلسان الرومية فغابت ساعة ثم رجعت اليها ومعها المدام ومائدة طعام فتوقف شركان عن الاكل وقال في نفسه ربما وضعت شيأ في ذلك الطعام فعرفت ما في ضميره فالتفتت اليه وقالت وحق المسيح ليس الامر كذلك وهذا الطعام ليس فيه شئ من الذي تتوهمه ولو كان خاطري في قتلك لقتلتك في هذا الوقت ثم تقدمت الى المائدة واكلت من كل لون لقمة فعند ذلك اكل شركان ففرحت الجارية واكلت معه الى ان اكتفيا وبعد ان غسلا ايديهما قامت وامرت جارية ان تأتي بالرياحين والات الشراب من اواني الذهب والفضة والبلور وان يكون الشراب من سائر الالوان المختلفة والانواع النفيسة فاتتها بجميع ما طلبته ثم ان الجارية ملأت اول قدح وشربته قبله كما فعلت في الطعام ثم ملأت ثانيا واعطته اياه فشرب فقالت له يا مسلم انظر كيف انت في الذ عيش ومسرة ولم تزل تشرب معه الى ان غاب عن رشده وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية ما زالت تشرب وتسقي شركان الى ان غاب عن رشده من الشراب ومن سكر محبتها ثم انها قالت لجارية يا مرجانة هاتي لنا شيأ من آلات الطرب فقالت سمعا

وطاعة ثم غابت لحظة واتت بعود جلق وجنك عجمي ونای تستری وقانون مصری فاخذت الجارية العود واصلحته وشدت اوتاره وغنت عليه بصوت رخيم ارق من النسيم واعذب من ماء التسنيم وانشدت مطربة بهذه الابيات

عفا الله عن عينيك كم سفكت دما * وكم فوقت منك اللواحظ اسهما
اجل حبيبا جائرا فی حبيبه * حرام عليه ان يرق ويرحما
هنيئا لطرف بات فيك مسهدا * وطوبى لقلب ظل فيك متيما
تحكمت فی قتلی فانك مالكی * بروحی افدی الحاكم المتحكما

ثم قامت كل واحدة من الجواری ومعها آلتها وانشد عليها ابياتا بلسان الرومية فطرب شركان ثم غنت الجارية سيدتهن ايضا وقالت يا مسلم اما فهمت ما اقول قال لا ولكن ما طربت الا على حسن انامل فضحكت وقالت له ان غنيت لك بالعربية ماذا تصنع فقال ما كنت اتمالك عقلی فاخذت آلة الطرب وغيرت الضرب وانشدت هذه الابيات

طعم التفرق مر * فهل لذاك صبر
تعرضت لی ثلاث * صدود بين وهجر
اهوى ظريفا سبانی * بالحسن والهجر مر

فلما فرغت من شعرها نظرت الى شركان فوجدته قد غاب عن وجوده ولم يزل مطروحا بينهن ممدودا ساعة ثم افاق وتذكر الغناء فمال طربا ثم ان الجارية اقبلت هی وشركان علی الشراب ولم يزالا فی لعب ولهو الى ان ولی النهار بالرواح ونشر الليل الجناح فقامت الى مرقدها فسأل شركان عنها فقالوا له انها مضت الى مرقدها فقال فی رعاية الله وحفظه فلما اصبح الصباح اقبلت عليه الجارية وقالت له ان سيدتی تدعوك اليها فقام معها وسار خلفها فلما قرب من مكانها زفته الجواری بالدفوف والمغانی الى ان وصل الى باب كبير من العاج مرصع بالدر والجوهر فلما دخلوا منه وجدوا دارا كبيرة ايضا وفی صدرها ايوان كبير مفروش بانواع الحرير وبدا له ذلك الايوان شبابيك مفتحة مطلة علی اشجار وانهار وفی البيت صور مجسمة يدخل فيها الهواء فتتحرك فی جوفها آلات فيتخيل للناظر انها تتكلم والجارية جالسة تنظر اليهم فلما نظرته الجارية نهضت قائمة اليه واخذت يده واجلسته بجانبها وسألته عن مبيته فدعا لها ثم جلسا يتحدثان فقالت له اتعرف شيأ مما يتعلق بالعاشقين والمتيمين فقال نعم اعرف شيأ من الاشعار فقالت اسمعنی فانشد هذه الابيات

لالا ابوح بحب عزة انها * اخذت علی مواثقا وعهودا
راهبان مدين والذين عاهدتهم * يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها * خروا لعزة ركعا وسجودا

فلما سمعته قالت لقد كان كثير باهر الفصاحة بارع البلاغة لانه بالغ فی وصفه لعزة حيث قال وانشدت هذين البيتين

لو ان عزة حاكمت شمس الضحى * فی الحسن عند موفق لقضى لها
وسعى الى بعيب عزة نسوة * جعل الاله خدودهن نعالها

ثم قالت وقيل ان عزة كانت فی نهاية الحسن والجمال ثم قالت له يا ابن الملك ان كنت تعرف شيأ من كلام

جميل فانشدنا منه قال انى اعرف به من كل احد ثم انشد من شعره جميل هذا البيت

تريد بى قتلى لاتريد بى غيره * ولست ارى قصدا سواك تريد

فلما سمعت ذلك قالت له احسنت يا ابن الملك ما الذى اراد به عزة بجميل حتى قال هذا الشطر اى تريد بى قتلى لاتريد بى غيره * فقال لها شركان ياسيدتى لقد ارادت به ما تريد بى منى ولا برضيك ففحكت لما قال لها شركان هذا الكلام ولم يزالا يشربان الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار فقامت الجارية وذهبت الى مرقدها ونامت ونام شركان فى مرقده الى ان اصبح الصبح فلما افاق اقبلت عليه الجوارى بالدفوف وآلات الطرب على العادة وقبلت الارض بين يديه وقلن له تفضل فان سيدتنا تدعوك الى الحضور عندها فقام شركان ومشى والجوارى حوله يضربن بالدفوف والالات الى ان خرج من تلك الدار ودخل دارا غيرها اعظم من الدار الاولى وفيها من التماثيل وصور الطيور والوحوش ما لا يوصف فتعجب شركان مما رأى من صنع ذلك المكان فانشد هذه الابيات

اجنى رقيبى من ثمار قلائد * درا لنحور منضد بالعسجد

وعيون ما من سبائك فضة * وخدود ورد فى وجوه زبرجد

فكأنما لون البنفسج قد حكى * زرق العيون وكحلت بالاثمد

فلما رأت الجارية شركان قامت له واخذت يده واجلسته الى جانبها وقالت له انت ابن الملك عمر النعمان فهل تحسن لعب الشطرنج فقال نعم ولكن لا تكونى كما قال الشاعر

اقول والوجد يطوينى ويشرينى * ونهلة من رضاب الحب ترويني

حضرت شطرنج من اهوى فلاعبنى * بالبيض والسود لكن ليس يرضيني

كأنما الشاه عند الرخ موضعه * وقد تفقد دستا بالغراز ينى

فان نظرت الى معنى لواحظها * فان لحاظها ياقوم تردينى

ثم قدمت له الشطرنج ولعبت معه فصار شركان كلما اراد ان ينظر الى نقلها نظر الى وجهها فيضع الفرس موضع الفيل ويضع الفيل موضع الفرس ففحكت وقالت ان كان لعبك هكذا فانت لا تعرف شيأ فقال هذا اول دست لا تحسبيه فلما غلبته رجع وصف القطع ولعب معها فغلبته ثانيا وثالثا ورابعا وخامسا ثم التفتت اليه وقالت له انت فى كل شئ مغلوب فقال ياسيدتى مع مثلك يحسن ان اكون مغلوبا ثم امرت باحضار الطعام فاكلا وغسلا ايديهما وامرت باحضار الشراب فشربا وبعد ذلك اخذت القانون وكان لها ضرب القانون معرفة جيدة فانشدت هذه الابيات

الدهر ما بين مطوى ومبسوط * ومثله مثل مجرور ومخروط

فاشرب على حسنه ان كنت مقتدرا * ان لا تفارقنى فى وجه تفريط

ثم انهما لم يزالا على ذلك الى ان دخل الليل فكان ذلك اليوم احسن من اليوم الذى قبله فلما اقبل الليل مضت الجارية الى مرقدها وانصرف شركان الى موضعه فنام الى الصباح ثم اقبلت عليه الجوارى بالدفوف وآلات الطرب واخذنه على العادة الى ان وصلوا الى الجارية فلما رأته نهضت قائمة وامسكته من يده واجلسته بجانبها وسألته عن مبيته فدعا لها بطول البقاء ثم اخذت العود وانشدت هذين البيتين

لا تركنن الى الفراق * فانه مر المذاق

الشمس عند غروبها * تصفر من الم الفراق

فبينما هما على هذه الحالة واذا هما بضجة فالتفتا فرأيا رجالا وشبانا مقبلين وغالبهم بطارقة وبايديهم السيوف مسلولة تلمع وهم يقولون بلسان الرومية وقعت عندنا يا شركان فايقن بالهلاك فلما سمع شركان هذا الكلام قال فى نفسه لعل هذه الجارية الجميلة خدعتنى وامهلتنى الى ان جاءت رجالها وهم البطارقة الذين خوفتنى بهم ولكن انا الذى جنيت على نفسى والقيتها فى الهلاك ثم التفت الى الجارية ليعاتبها فوجد وجهها قد تغير بالاصفرار ثم وثبت على قدميها وهى تقول لهم من انتم فقال لها البطريق المقدم عليهم ايتها الملكة الكريمة والدرة اليتيمة اما تعرفين الذى عندك من هو قالت له لا اعرفه فمن هو فقال لها هذا مخرب البلدان وسيد الفرسان هذا شركان ابن الملك عمر النعمان هذا الذى فتح القلاع وملك كل حصن مناع وقد وصل خبره الى الملك حردوب والدك من العجوز ذات الدواهى وتحقق ذلك والدك ملكا نقلا عن العجوز وها انت قد نصرت عسكر الروم باخذ هذا الاسد المشئوم فلما سمعت كلام البطريق نظرت اليه وقالت له ما اسمك قال لها اسمى ماسورة ابن عبدك موسورة ابن كاشره بطريق البطارقة قالت له وكيف دخلت على بغير اذنى فقال لها يا مولاتى انى لما وصلت الى الباب ما منعنى حاجب ولا بواب بل قام جميع البوابين وشوابين ايدينا كما جرت به العادة انه اذا جاء احد غيرنا يتركونه واقفا على الباب حتى يستأذنوا عليه بالدخول وليس هذا وقت اطالة الكلام والملك منتظر رجوعنا اليه بهذا الملك الذى هو شرارة جمرة عسكر الاسلام لاجل ان يقتله ويرحل عسكره الى الموضع الذى جاؤا منه من غير ان يحصل لنا تعب فى قتالهم فلما سمعت الجارية منه هذا الكلام قالت له ان هذا الكلام غير حسن ولكن قد كذبت العجوز ذات الدواهى فانها قد تكلمت بكلام باطل لا تعلم حقيقته وحق المسيح ان الذى عندى ما هو شركان ولا اسرته ولكنه رجل اتى الينا وقدم علينا وطلب الضيافة فاضفناه فان تحققنا انه شركان بعينه وثبت عندنا انه هو من غير شك فلا يليق بمروءتى انى امكنكم منه لانه دخل تحت عهدى وذمتى فلا تخونونى فى ضيقى ولا تفضحونى بين الانام بل ارجع انت الى الملك ابى وقبل الارض بين يديه واخبره بان الامر بخلاف ما قالته العجوز ذات الدواهى فقال البطريق ماسورة يا ابريزة انا ما اقدر ان اعود الى الملك الا بغريمه فقالت له وقد اغتاظت ويلك ما يخصك بهذا الكلام ارجع انت اليه بالجواب ولا عليك ملام فقال لها ماسورة لا اعود الا به فتغير لونها وقالت له لا تكن كثير الكلام والهذيان فان هذا الرجل ما دخل الينا الا وهو واثق من نفسه انه يحمل على مائة فارس وحده ولو قلت له انت شركان ابن عمر النعمان يقول نعم ولكن لا يمكنكم ان تتعرضوا له فان تعرضتم له لا يرجع عنكم الا ان قتل جميع من كان فى هذا المكان وها هو عندى وها انا احضره بين ايديكم وسيفه وترسه معه فقال لها البطريق ماسورة انا اذا امنت من غضبك لم امن من غضب ابيك وانى اذا رأيته اشير الى البطارقة فانهم يأخذونه اسيرا ويمضون به الى الملك حقيرا فلما سمعت هذا الكلام قالت لا كان هذا الامر فانه عنوان السفه لان هذا رجل واحد وانتم مائة بطريق فاذا اردتم مصادمته فابرزوا له واحدا بعد واحد ليظهر عند الملك من هو البطل منكم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملكة ابريزة قالت للبطريق هذا رجل واحد وانتم مائة بطريق فاذا اردتم مصادمته فابرزوا له واحدا بعد واحد ليظهر عند الملك من هو البطل منكم فقال البطريق

ماسورة وحق المسيح لقد قلت الحق ولكن ما يخرج له اولا غيرى فقالت له الجارية اصبر حتى اذهب اليه واعرفه بحقيقة الامر وانظر ما عنده من الجواب فان اجاب فالامر كذلك وان ابى فلا سبيل لكم اليه واكون انا ومن فى الدير وجوارى فداه ثم اقبلت على شركان واخبرته بما كان فتبسم وعلم انها لم تخبر احدا بامره وانما شاع خبره حتى وصل الى الملك بغير ارادتها فرجع باللوم على نفسه وقال كيف رميت روحى فى بلاد الروم ثم انه لما سمع كلام الجارية قال لها ان بروزهم الى واحدا بعد واحدا اجحاف بهم فهلا يبرزون لى عشرة بعد عشرة وبعد ذلك وثب على قدميه وسار الى ان اقبل عليهم وكان معه سيفه وآلة حربه فلما رأه البطريق وثب اليه وحمل عليه فقابله شركان كانه الاسد وضربه بالسيف على عاتقه فخرج السيف يلمع من امعائه فلما نظرت الجارية ذلك عظم قدر شركان عندها وعرفت انها لم تصرعه حين صرعته بقوتها بل بحسنها وجمالها ثم ان الجارية اقبلت على البطارقة وقالت لهم خذوا بثار صاحبكم فخرج له اخو المقتول وكان جبارا عنيدا فحمل على شركان فلم يمهله شركان دون ان ضربه بالسيف على عاتقه فخرج السيف يلمع من امعائه فعند ذلك نادت الجارية وقالت يا عباد المسيح خذوا بثار صاحبكم فلم يزالوا يبرزون اليه واحدا بعد واحد وشركان يلعب فيهم بسيفه حتى قتل منهم خمسين بطريقا والجارية تنظر اليهم وقد قذف الله الرعب فى قلوب من بقى منهم وقد تأخروا عن البراز ولم يجسروا على البروز اليه بل حملوا عليه حملة واحدة باجمعهم وحمل هو عليهم بقلب اقوى من الحجر الى ان طعنهم طعن الدروس وسلب منهم العقول والنفوس فصاحت الجارية على جواريها وقالت لهن من بقى فى الدير فقلن لها لم يبق احد الا البوابين ثم ان الملكة لاقته واخذته بالاحضان وطلع شركان معها الى القصر بعد فراغه من الحرب وكان بقى منهم قليل كامن له فى زوايا الدير فلما نظرت الجارية الى ذلك القليل قامت من عند شركان ثم رجعت اليه وعليها زردية ضيقة العيون وبيدها صارم مهند وقالت وحق المسيح لم ابخل بنفسى عن ضيفى ولا اتخلى عنه ولو بقى بسبب ذلك معيرة فى بلاد الروم ثم انها تأملت البطارقة فوجدته قد قتل منهم ثمانين وانهزم منهم عشرون فلما نظرت الى ما صنع بالقوم قالت له بمثلك تفتخر الفرسان فلله در لك يا شركان ثم انه قام بعد ذلك يمسح سيفه من دم القتلى وينشد هذه الابيات

وكم من فرقة فى الحرب جاءت * تركت كماتهم طعم السباع
سلوا عنى اذا شئتم نزالى * جميع الخلق فى يوم القراع
تركت ليوثهم فى الحرب صرعى * على الرمضاء فى تلك البقاع

فلما فرغ من شعره اقبلت عليه الجارية متبسمة وقبلت يده وقلعت الدرع الذى كان عليها فقال لها يا سيدتى لاى شئ لبست الدرع الزرد وشهرت حسامك قالت حرصا عليك من هؤلاء اللئام ثم ان الجارية دعت البوابين وقالت لهم كيف تركتم اصحاب الملك يدخلون منزلى بغير اذنى فقالوا لها ايتها الملكة ما جرت العادة اننا نحتاج الى استئذان منك على رسل الملك خصوصا البطريق الكبير فقالت لهم انظنكم ما اردتم الا هتكى وقتل ضيفى ثم امرت شركان ان يضرب رقابهم فضرب رقابهم وقالت لباقى خدامها انهم يستحقون اكثر من ذلك ثم التفتت لشركان وقالت له الان ظهر لك ما كان خافيا فهاانا اعلمك بقصتى اعلم انى بنت ملك الروم حردوب واسمى ابريزة والعجوز التى تسمى ذات الدواهى جدتى ام ابى وهى التى اعلمت ابى بك ولا بد انها تدبر حيلة فى هلاكى خصوصا وقد قتلت بصارقة ابى وشاع انى قد تحزبت مع المسلمين فالرأى السديد انى اترك الاقامة هنا ما دامت ذات الدواهى حية ولكن اريد منك ان تفعل معى مثل ما فعلت

معلنحن الجميل فان العداوة قد وقعت بيني وبين ابي فلا تتولنّ من كلامي شيأ فان هذا كله ما وقع الا من اجلك فلما سمع شركان هذا الكلام طار عقله من الفرح واتسع صدره وانشرح وقال والله لا يصل اليك احد مادامت روحي في جسدي ولكن هل لك صبر على فراق والدك واهلك قالت نعم فحلفها شركان وتعاهدا على ذلك فقالت الان طاب قلبي ولكن بقي عليك شرط آخر فقال وما هو فقالت له انك ترجع بعسكرك الى بلادك فقال لها يا سيدتي ان ابي عمر النعمان ارسلني الى قتال والدك بسبب المال الذي اخذه ومن جملته الثلاث خرزات الكثيرة البركات فقالت له طب نفسا وقر عينا فهانا احدثك بحديثها واخبرك بسبب معاداتنا لملك القسطنطينية وذلك ان لنا عيدا يقال له عيد الدير كل سنة تجتمع فيه الملوك من جميع الاقطار وبنات الاكابر والتجار ويقعدون فيه سبعة ايام وانا من جملتهم فلما وقعت بيننا العداوة ومنعني ابي من حضور ذلك العيد مدة سبع سنين فاتفق في سنة من السنين ان بنات الاكابر من سائر الجهات قد جاءت من اماكنها الى الدير في ذلك العيد على العادة ومن جملة من جاء اليه بنت ملك القسطنطينية وكان يقال لها صفية فاقاموا في الدير ستة ايام وفي اليوم السابع انصرفت الناس فقالت صفية انا ما ارجع الى القسطنطينية الا في البحر فجهزوا الهاصركا فنزلت فيها هي وخواصها فلما حلوا القلوع وساروا في بيغاهم سائرون واذا بريح قد خرج عليهم فانخرج المركب عن طريقها وكان هناك بالقضاء والقدر مركب نصارى من جزيرة السكافور وفيها خمسمائة افرنجي ومعهم العدة والسلاح وكان لهم مدة في البحر فلما لاح لهم قلع المركب التي فيها صفية ومن معها من البنات انقضوا عليها مسرعين فما كان غير ساعة حتى وصلوا الى تلك المركب ووضعوا فيها السكالاليب وجروها وحملوا قلوعهم وقصدوا جزيرتهم فما بعدوا غير قليل حتى انعكس عليهم الريح فجذبهم الى شعب بعدان مزق قلوع مركبهم وقربهم منا فخرجنا فرأيناهم غنيمة قد انساقت الينا فاخذناهم وقتلناهم واغتنمنا ما معهم من الاموال والتحف وكان في مركبهم اربعون جارية ومن جملتها صفية بنت الملك فاخذنا الجواري وقدمناها الى ابي ونحن لا نعرف ان من جملتهن ابنة الملك افريدون ملك القسطنطينية فاختار ابي منهن عشر جواري وفيهن ابنة الملك وفرق الباقي على حاشيته ثم عزل خمسة فيهن ابنة الملك من العشر جواري وارسل تلك الخمسة هدية الى والدك عمر النعمان مع شيء من الجوخ ومن قماش الصوف ومن القماش الحرير الرومي فقبل الهدية ابوك واختار من الخمس جواري صفية بنت الملك افريدون فلما كان اول هذا العام ارسل ابوها الى والدي مكتوبا فيه كلام لا ينبغي ذكره وصار يهدده في ذلك المكتوب ويوبخه ويقول له انكم اخذتم مركبنا من منذ سنتين وكانت في يد جماعة لصوص من الافرنج ومن جملة ما فيها بنتي صفية ومعها من الجواري نحو ستين جارية ولم ترسلوا الى احد يخبرني بذلك وانا لا اقدر ان اظهر خبرها خوفا ان يكون في حق عار عند الملوك من اجل هتك ابنتي فكتمت امري الى هذا العام والذي بين لي ذلك انني كاتبت هؤلاء اللصوص وسألتهم عن خبر ابنتي واكدت عليهم ان يفتشوا عليها ويخبروني عند اي ملك هي من ملوك الجزائر فقالوا والله ما خرجنا بها من بلادك ثم قال في المكتوب الذي كتبه لوالدي ان لم يكن مرادكم معاداتي ولا فضيحتي وهتك ابنتي فساعة وصول كتابي اليكم ترسلوا الى بنتي من عندكم وان اهملتم كتابي وعصيتم امري فلابد انا كافئكم على قبيح افعالكم وسوء اعمالكم فلما وصلت هذه المكاتبة الى ابي وقرأها وفهم ما فيها شق عليه ذلك وندم حيث لم يعرف ان صفية بنت الملك في تلك الجواري ليردها الى والدها فصار متحيرا في امره ولم يمكنه بعد هذه المدة المستطيلة ان يرسل الى الملك عمر النعمان

وبطلبها منه ولاسيما وقد سمعنا من مدة يسيرة انه رزق من جاريته التي يقال لها صفية بنت الملك افريدون اولادا فلما تحققنا ذلك علمنا ان هذه الورطة هي المصيبة العظمى ولم يكن لابي حيلة غير انه كتب جوابا للملك افريدون يعتذر اليه فيه ويحلف له بالاقسام انه لم يعلم ان ابنته من جملة الجواري التي كانت في تلك المركب ثم اظهره على انه ارسلها الى الملك عمر النعمان وانه رزق منها اولادا فلما وصلت رسالة ابي الى افريدون ملك القسطنطينية قام وقعد وارغى وازبد وقال كيف تكون ابنتي مسبية بصفة الجواري وتتداولها ايدي الملوك ويطؤنها بلا عقد ثم قال وحق المسيح والدين الصحيح انه لا يمكنني ان اقاعد عن هذا الامر دون ان آخذ الثار واكشف العار فلابد ان افعل فعلا تتحدث به الناس من بعدي ومازال صابرا الى ان عمل الحيلة ونصب مكائد عظيمة وارسل رسلا الى والدك عمر النعمان وذكر له ما سمعت من الاقوال حتى جهز لك والدك بالعساكر التي معك من اجلها وصيرك اليه حتى يقبض عليك انت ومن معك من عسكرك واما الثلاث خرزات التي اخبر والدك بها في مكتوبه فليس لذلك صحة وانما كانت مع صفية ابنته واخذها ابي منها حين استولى عليها هي والجواري التي معها ثم وهبها الى وهي الآن عندي فاذهب انت الى عسكرك وردهم قبل ان يتوغلوا في بلاد الافرنج والروم فانكم اذا توغلتم في بلادهم يضيقون عليكم الطرق ولم يكن لكم خلاص من ايديهم الى يوم الجزاء والقصاص وانا اعرف ان الجيوش مقيمون في مكانهم لانك امرتهم بالاقامة ثلاثة ايام مع انهم فقدوك في هذه المدة ولم يعلموا ماذا يفعلون فلما سمع شركان هذا الكلام صار مشغول الفكر بالاوهام ثم انه قبل يد الملكة ابريزة وقال الحمد لله الذي من عليك بك وجعلك سببا لسلامتي وسلامة من معي ولكن يعز علي فراقك ولا اعلم ما يجري عليك بعدي فقالت له اذهب انت الان الى عسكرك وردهم وان كانت الرسل عندهم فاقبض عليهم حتى يظهر لكم الخبر وانتم بالقرب من بلادكم وبعد ثلاثة ايام انا الحقكم وما تدخلون بغداد الا وانا معكم فندخل كلنا سواء فلما اراد الانصراف قالت له لا تنس العهد الذي بيني وبينك ثم انها نهضت قائمة معه لاجل التوديع والعناق واطفاء نار الاشواق وبكت بكاء يذيب الاحجار وارسلت الدموع كالامطار فلما رأى منها ذلك البكاء والدموع اشتد به الوجد والولوع ونزح في الوداع دمع العين وانشد هذين البيتين

ودعتها ويدي اليمين لادمعي * ويدي اليسار لضمة وعناق
قالت اما تخشى الفضيحة قلت لا * يوم الوداع فضيحة الغشاق

ثم فارقها شركان ونزل من الدير وقد موا له جواده فركب وخرج متوجها الى الجسر فلما وصل اليه مر من فوقه ودخل بين تلك الاشجار فلما تخلص من الاشجار ومشى في ذلك المرج واذا هو بثلاثة فوارس فاخذ لنفسه الحذر منهم وشهر سيفه واتحدر فلما قربوا منه ونظر بعضهم بعضا عرفوه وعرفهم ووجد احدهم الوزير دندان ومعه امير ان وعندما عرفوه ترجلوا له وسلموا عليه وسأله الوزير دندان عن سبب غيابه فاخبره بجميع ما جرى له مع الملكة ابريزة من اوله الى آخره فحمد الله تعالى على ذلك ثم قال شركان ارحلوا بنا من هذه البلاد لان الرسل الذين جاؤا معنا رحلوا من عندنا ليعلموا ملكهم بقدومنا فربما اسرعوا الينا وقبضوا علينا ثم نادى شركان في عسكره بالرحيل فرحلوا كلهم ولم يزالوا سائرين مجدين في السير حتى وصلوا الى سطح الوادي وكانت الرسل قد توجهوا الى ملكهم واخبروه بقدوم شركان فجهز اليه عسكرا ليقبضوا عليه وعلى من معه هذا ما كان من امر الرسل وملكهم واما ما كان من امر شركان فانه سافر بعسكره مدة خمسة ايام ثم نزلوا في واد كثير الاشجار واستراحوا فيه مدة وبعد ذلك سار وامنه ولم

يزالوا سائرين مدة خمسة وعشرين يوما حتى اشرفوا على اوائل بلادهم فلما وصلوا الى هناك امنوا على
انفسهم ونزلوا لاخذ الراحة فخرج اليهم اهل تلك البلاد بالضيافات وعليق البهائم ثم اقاموا يومين ورحلوا
طالبين ديارهم وتاخر شركان بعدهم فى مائة فارس وجعل الوزير دندان اميرا على من معه من الجيش
فسار الوزير دندان بمن معه مسيرة يوم ثم بعد ذلك ركب شركان هو والمائة فارس الذين معه وساروا
مقدار فرسخين حتى وصلوا الى محل مضيق بين جبلين واذا امامهم غبرة وعجاج فتنعوا خيولهم من السير
مقدار ساعة حتى انكشف الغبار فبان من تحته مائة فارس ليوث عوابس وفى الحديد والزرد غواطس
فلما ان قربوا من شركان ومن معه صاحوا عليهم وقالوا وحق يوحنى ومريم انتما قد بلغنا ما الملناه ونحن
خلفكم مجدون السير ليلا ونهارا حتى سبقناكم الى هذا المكان فانزلوا عن خيولكم واعطونا اسلحتكم
وسلموا الينا انفسكم حتى نجود عليكم بارواحكم فلما سمع شركان ذلك الكلام لاجت عيناه واحمرت وجنتاه
وقال لهم يا كلاب النصارى كيف تجاسرتم علينا وجئتم بلادنا ومشيتم فى ارضنا وما كفاكم ذلك حتى
تخاطبونا بهذا الخطاب اظننتم انكم تخلصون من ايدينا وتعودون الى بلادكم ثم صاح على المائة فارس الذين
معه وقال لهم دونكم وهؤلاء الكلاب فانهم فى عددكم ثم سل سيفه وحمل عليهم وحملت معه المائة فارس
فاستقبلتهم الافرنج بقلوب اقوى من الصخر واصطدمت الرجال بالرجال ووقعت الابطال فى الابطال والتحم
القتال واشتد النزال وعظمت الاهوال وقد بطل القيل والقال ولم يزالوا فى الحرب والكفاح والضرب
بالصفاح الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار فانفصلوا عن بعضهم واجتمع شركان باصحابه فلم يجد احدا
منهم مجروحا غير اربعة انفس حصل لهم جراحات سلمية فقال لهم شركان اما عمرى اخوض بحر الحرب
العجاج المتلاطم من السيوف بالامواج واقاتل الرجال فوالله ما لقيت اصبر على الجلاد وملاقاة الرجال
مثل هؤلاء الابطال فقالوا له اعلم ايها الملك ان فيهم فارسا افرنجيا وهو المقدم عليهم له شجاعة وطعنات
نافذات غير ان كل من وقع منا بين يديه يتغافل عنه ولا يقتله فوالله لو اراد قتلنا لقتلنا باجمعنا فتحير شركان
لما سمع ذلك المقال وقال فى غد نصطف ونبارزهم فهانحن مائة وهم مائة ونطلب النصر عليهم
من رب السماء وباتوا تلك الليلة على ذلك الاتفاق واما الافرنج فانهم اجتمعوا عند مقدمهم وقالوا له انا
ما بلغنا اليوم فى هؤلاء ارب فقال لهم فى غد نصطف ونبارزهم واحد بعد واحد فباتوا على ذلك الاتفاق
ايضا فلما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤس الروابى والبطاح وسلت على محمد
زين الملاح ركب الملك شركان وركبت معه المائة فارس واتوا الى الميدان كلهم فوجدوا الافرنج
قد اصطفوا للقتال فقال شركان لاصحابه ان اعداءنا قد اصطفوا فدونكم والمبادرة اليهم فنادى منادهم من
الافرنج لا يكون قتالنا فى هذا اليوم الا منوبة بان يبرز بطل منكم الى بطل منا فعند ذلك برز فارس من
اصحاب شركان وساق بين الصفين وقال هل من مبارز هل من مناجز لا يبرز لى اليوم كسلان ولا عاجز
فلم يتم كلامه حتى برز اليه فارس من الافرنج غريق فى سلاحه وقماشه من ذهب وهو راكب على جواد
اشهب وذلك الافرنجى لانبات بعارضيه فساق جواده حتى وقف فى وسط الميدان وصادمه فى الضرب
والطعان فلم يكن غير ساعة حتى طعنه الافرنجى بالرمح فنكسه عن جواده واخذه اسيرا وقاده حقيرا ففرح به
قومه ومنعوه ان يخرج الى الميدان واخرجوا غيره وقد خرج اليه من المسلمين آخر وهو اخو الاسير ووقف
معه فى الميدان وحمل الاثنان على بعضهما ساعة يسيرة ثم كر الافرنجى على المسلم وغالطه وطعنه بعقب الرمح
فنكسه عن جواده واخذه اسيرا ولا زال يخرج اليهم من المسلمين منهم واحد بعد واحد والافرنج ياسرونهم

الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار وقد اسر وامن المسلمين عشرين فارسا فلما عاين شركان ذلك عظم عليه الامر فجمع اصحابه وقال لهم ما هذا الامر الذى حل بنا انا اخرج فى غد الى الميدان واطلب برازا الافرنجى المقدم عليهم وانظر ما الذى حمله على ان يدخل بلادنا واحذره من قتالنا فان اباقاتلناه وان صالحناصالحناه وباتوا على هذا الحال الى ان اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ثم ركب الطائفتان واصطف الفريقان فلما خرج شركان الى الميدان رأى الافرنج قد ترجل منهم اكثر من نصفهم قدام فارس منهم ومشوا قدامه الى ان صاروا فى وسط الميدان فتأمل شركان ذلك الفارس فرأه الفارس المقدم عليهم وهو لابس قباء من اطلس ازرق ووجهه فيه كالبدر اذا اشرق ومن فوقه زردية ضيقة العيون وبيده سيف مهند وهو راكب على جواد ادهم فى وجهه غرة كالدرهم وذلك الافرنجى لاثبات بعارضيه ثم انه لكز جواده حتى صار فى وسط الميدان واشار الى المسلمين وهو يقول بلسان عربى فصيح ياشركان يا ابن عم النعمان الذى ملك الحصون والبلدان دونك والحرب والطعان وابرز الى من قد ناصفك فى الميدان فانت سيد قومك وانا سيد قومى فمن غلب منا صاحبه اخذه هو وقومه تحت طاعته فلما استتم كلامه حتى برز له شركان وقلبه من الغيظ ملآن وساق جواده حتى دنى من الافرنجى فى الميدان فكر عليه الافرنجى كالاسد الغضبان وصدمه صدمة الفرسان واخذا فى الطعن والضرب وصارا فى حومة الميدان كانهما جبلان يصطدمان او بحران يلتطمان ولم يزالا فى قتال وحرب ونزال من اول النهار الى ان اقبل الليل بالاعتكار ثم انفصل كل منهما من صاحبه وعاد الى قومه فلما اجتمع شركان باصحابه قال لهم ما رأيت مثل هذا الفارس قط الا انى رأيت منه خصلة لم ارها من احد غيره وهو انه اذا لاح له فى خصمه مضرب قاتل يقلب الرمح ويضربه بعقبه ولكن ما ادرى ماذا يكون منى ومنه ومرادى ان يكون فى عسكرنا مثله ومثل اصحابه وبات شركان فلما اصبح الصباح خرج له الافرنجى ونزل فى وسط الميدان واقبل عليه شركان ثم اخذا فى القتال واوسعا فى الحرب والنجال وامتدت اليهما الاعناق ولم يزالا فى حرب وكفاح وطعن بالرماح الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار ثم افترقا ورجعا الى قومهما وصار كل منهما يحكى لاصحابه ما لاقاه من صاحبه ثم ان الافرنجى قال لاصحابه فى غد يكون الانفصال وباتوا تلك الليلة الى الصباح ثم ركب الاثنان وحملا على بعضهما ولم يزالا فى الحرب الى نصف النهار وبعد ذلك عمل الافرنجى حيلة ولكز الجواد ثم جذبه باللجام فعثر به ورماه فانكب عليه شركان واراد ان يضربه بالسيف خوفا ان يطول به المطال فصاح به الافرنجى وقال ياشركان ما هكذا تكون الفرسان انما هذا فعل المغلوب بالنسوان فلما سمع شركان من ذلك الفارس هذا الكلام رفع طرفه اليه وامعن النظر فيه فوجده الملكة ابريزة التى وقع له معها ما وقع فى الدير فلما عرفها رمى السيف من يده وقبل الارض بين يديها وقال لها ما حملك على هذه الفعال فقالت له اردت ان اختبرك فى الميدان وانظر ثباتك فى الحرب والطعان وهؤلاء الذين معى كلهم جوارى وكلهن بنات ابكار وقد قهرن فرسانك فى حومة الميدان ولولا ان جوادى قد عثر بى لكنت ترى قوتى وجلادى فتبسم شركان من قولها وقال لها الحمد لله على السلامة وعلى اجتماعى بك ياملكة الزمان ثم ان الملكة ابريزة صاحت على جواريها وامرتهن بالرحيل بعد ان يطلقن العشرين اسيرا الذين كن اسرنهم من قوم شركان فامتثلت الجوارى امرها ثم قبلن الارض بين يديها فقال لهن ملكهن من يكون عند الملوك مدخرا للشدائد ثم انه اشار الى اصحابه ان سلموا عليها فترجلوا جميعا وقبلوا الارض بين يدى الملكة ابريزة ثم ركب المشتا فارس وساروا فى الليل والنهار مدة ستة ايام وبعد ذلك

اقبلوا على الديار فامر شركان الملكة ابريزة وجواريها ان ينزعن ما عليهن من لباس الافرنج وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان امر الملكة ابريزة وجواريها ان ينزعن ما عليهن من الثياب وان يلبسن لباس بنات الروم ففعلن ذلك ثم انه ارسل جماعة من اصحابه الى بغداد ليعلم والده عمر النعمان بقدومه ويخبره ان الملكة ابريزة ابنة ملك الروم جاءت صحبته لاجل ان يرسل موكبا لملاقاتهما ثم انهم نزلوا من وقتهم وساعتهم في المكان الذي وصلوا اليه وباتوا فيه الى الصباح فلما اصبح الصباح ركب الملك شركان هو ومن معه وركبت ايضا الملكة ابريزة هي ومن معها واستقبلوا المدينة واذا بالوزيرين قد اقبل في الف فارس من اجل ملاقاة الملكة ابريزة هي وشركان وكان خروجه باشارة الملك عمر النعمان كما ارسل اليه ولده شركان فلما قربوا منهما توجهوا اليهما وقبلوا الارض بين ايديهما ثم ركبوا وركبوا معهما وساروا في خدمتهما حتى وصلا الى المدينة وطلعا قصر الملك ودخل شركان على والده فقام اليه واعتنقه وسأله عن الخبر فاخبره بما قالته الملكة ابريزة وما اتفق له معها وكيف فارقت مملكتها وفارقت اباها وقال له انها اختارت الرحيل معنا والقعود عندنا وان ملك القسطنطينية اراد ان يعمل لنا حيلة من اجل صفية بنته لان ملك الروم قد اخبره بحكايتها وبسبب اهدائها اليك وان ملك الروم ما كان يعرف انها ابنة الملك افريدون ملك القسطنطينية ولو كان يعرف ذلك ما كان اهداها اليك بل كان يردها الى والدها ثم قال شركان لوالده ولم يخلصنا من هذه الحيل والمكايد الا ابريزة بنت ملك القسطنطينية ومارأينا اشجع منها ثم انه شرع يحكي لابيه فيما وقع له معها من اوله الى آخره من امر المصارعة والمبارزة فلما سمع الملك عمر النعمان من ولده شركان ذلك الكلام عظمت ابريزة عنده وصار يتمنى انه يراها ثم انه طلبها لاجل ان يسألها فعند ذلك ذهب شركان اليها وقال لها ان الملك يدعوك فاجابت بالسمع والطاعة فاخذها شركان واتى بها الى والده وكان والده قاعدا على كرسيه واخرج من كان عنده ولم يبق عنده غير الخدم فلما دخلت الجارية ابريزة على الملك عمر النعمان قبلت الارض بين يديه وتكلمت باحسن الكلام فتعجب الملك من فصاحتها وشكرها على ما فعلت مع ولده شركان وامرها بالجلوس فجلست وكشفت عن وجهها فلما رأها الملك حير عقله وبين عقله ثم انه قربها اليه وادناها منه وافرد لها قصرا مختصا بها وبجواريها ورتب لها ولجواريها الرواتب ثم اخذ يسألها على تلك الخرزات الثلاث التي تقدم ذكرها سابقا فقالت له ان تلك الخرزات معي يا ملك الزمان ثم انها قامت ومضت الى محلها وفتحت صندوقا واخرجت منه علبة واخرجت من العلبة حقا من الذهب وفتحته واخرجت منه تلك الخرزات الثلاث ثم قبلتها وناولتها للملك وانصرفت فاخذت قلبه معها وبعد انصرافها ارسل الى ولده شركان فحضر فاعطاه خرزة من الثلاث خرزات فسأله عن الاثنين الاخريين فقال يا والدي قد اعطيت منهما واحدة لاخيك ضوء المكان والثانية لاختك نزهة الزمان فلما سمع شركان ان له اخا يسمى ضوء المكان وما كان يعرف الا اخته نزهة الزمان التفت الى والده الملك عمر النعمان وقال له يا والدي الك ولد غيري قال نعم وعمره الان ست سنين ثم اعلمه ان اسمه ضوء المكان واخته نزهة الزمان وانهما ولدا في بطن واحد فصعب عليه ذلك ولكنه كتم سره وقال لوالده على بركة الله تعالى ثم رمى الخرزة من يده ونفض اثوابه فقال له الملك ما لي ارالك قد تغيرت احوالك لما سمعت

هذا الخبر مع انك صاحب المملكة من بعدى وقد عاهدت امراء الدولة على ذلك وهذه خرزة لك من الثلاث
خرزات فاطرق شركان برأسه الى الارض واستحى ان يكافح والده ثم قام وهو لا يعلم كيف يصنع من شدة
الغيظ ومازال ماشيا حتى دخل قصر الملكة ابريزة فلما اقبل عليها نهضت اليه قائمة وشكرته على فعاله
ودعت له ولوالده وجلست واجلسته فى جانبها فلما استقر به الجلوس رأت فى وجهه الغيظ فسألته
عن حاله وماسبب غيظه فاخبرها ان والده الملك عمر النعمان رزق من صفية ولدين ذكرا وانثى وسمى
الولد ضوء المكان والانثى نزهة الزمان وقال لها انه اعطاهما خرزتين واعطانى واحدة فتركتها وانا الى الان
لم اعلم بذلك الا فى هذا الوقت فخنقنى الغيظ وقد اخبرتك بسبب غيظى ولم اخف عنك شيأ واخشى عليك
من ان يتزوجك فانى رأيت منه علامة الطمع فى انه يتزوج بك فما تقولين انت فى ذلك فقالت اعلم يا شركان
ان اباك ماله حكم علىّ ولا يقدر ان يأخذنى بغير رضائى وان كان يأخذنى غصبا قتلت روحى
واما الثلاث خرزات فما كان على بالى انه ينعم على احد من اولاده بشئ منها وما ظننت الا انه يجعلها
فى خزائنه مع ذخائره ولكن اشتهى من احسانك ان تهب لى الخرزة التى كان اعطاها لك والدك ان
قبلتها منه فقال لها سمعا وطاعة ثم قالت له لا تخف وتحدثت معه ساعة وقالت له انى اخاف ان يسمع
ابى انى عندكم فيسعى فى طلبى ويتفق هو والملك افريدون من اجل ابنته صفية فيأتيان اليكم بعساكر
وتكون ضجة عظيمة فلما سمع شركان ذلك قال لها يا مولاتى اذا كنت راضية بالاقامة عندنا لا تفكرى
فيهم فلو اجتمع علينا كل من فى البر والبحر لغلبناهم فقالت ما يكون الا الخير وهو انتم ان احسنتم الىّ
قعدت عندكم وان اسأتم الىّ رحلت من عندكم ثم انها امرت الجوارى باحضار شئ من الاكل فقدمت
المائدة فاكل شركان شيأ يسيرا ومضى الى داره مهموما مغموما هذا ما كان من امر شركان واما ما كان
من امر ابيه عمر النعمان فانه بعد انصراف ولده شركان من عنده قام ودخل على جاريته صفية ومعه
تلك الخرزات فلما رأته نهضت قائمة على قدميها الى ان جلس فاقبل عليه اولاده ضوء المكان ونزهة
الزمان فلما رأهما قبلهما وعلق على كل واحد منهما خرزة ففرحا بالخرزتين وقبلا يديه واقبلا
على امهما ففرحت بهما ودعت للملك بطول الدوام فقال لها الملك يا صفية حيث انك ابنة الملك
افريدون ملك القسطنطينية لاى شئ لم تعلمينى لاجل ان ازيد فى اكرامك ورفع منزلتك فلما سمعت صفية ذلك
قالت ايها الملك وماذا اريد اكثر من هذا زيادة على هذه المنزلة التى انا فيها فانا مغمورة بانعامك وخيرك
وقد رزقنى الله منك بولدين ذكر وانثى فاعجب الملك عمر النعمان كلامها واستظرف عذوبة الفاظها
ودقة فهمها وظرف ادبها ومعرفتها ثم انه مضى من عندها وافرد لها ولاولادها قصرا عجيبا
ورتب لهم الخدم والحشم والفقهاء والحكماء والفلكية والاطباء والجرايحية واوصاهم بهم وزاد
فى رواتبهم واحسن اليهم غاية الاحسان ثم رجع الى قصر المملكة والمحاكة بين الناس هذا ما كان من
امر ممع صفية واولادها واما ما كان من امر مع الملكة ابريزة فانه اشتغل بحبها وصار ليلا ونهارا
مشغوفا بها وفى كل ليلة يدخل اليها ويتحدث عندها ويلوح لها بالكلام فلم ترد له جوابا بل تقول يا ملك
الزمان انا فى هذا الوقت مالى غرض فى الرجال فلما رأى تمنعها منه اشتد به الغرام وزاد عليه الوجد والهيام
فلما اعياه ذلك احضر وزيره دندان واطلعه على ما فى قلبه من محبة الملكة ابريزة ابنة الملك حردوب واخبره
انها لا تدخل فى طاعته وقد قتل حبها ولم ينل منها شيأ فلما سمع الوزير دندان ذلك قال للملك اذا جن
الليل نخذ معك قطعة بنج مقدار مثقال وادخل عليها واشربه معها شيأ من الخمر فاذا كان وقت الفراغ

من الشرب والمنادمة فاعطها القدح الاخير واجعل فيه ذلك البنج واسقها اياه فانها ما تصل الى مرقدها الا وقد تحكم عليها البنج فتبلغ غرضك منها وهذا ما عندى من الرأى فقال له الملك نعم ما اشرت به على ثم انه عمد الى خزائنه واخرج منها قطعة بنج مكرر لو شمه الفيل لرقد من السنة الى السنة ثم انه وضعها فى جيبه وصبر الى ان مضى قليل من الليل ودخل على الملكة ابريزة فى قصرها فلما رأته نهضت اليه قائمة فاذن لها بالجلوس فجلست وجلس عندها وصار يتحدث معها فى امر الشراب فقدمت سفرة الشراب وصفت له الاوانى واوقدت الشموع وامرت باحضار النقل والفاكهة وكل ما يحتاجان اليه وصار يشرب معها وينادمها الى ان دب السكر فى رأس الملكة ابريزة فلما علم الملك النعمان ذلك اخرج القطعة البنج من جيبه وجعلها بين اصابعه وملاءكاسا بيده وشربه وملاءه ثانيا واسقط القطعة البنج فيه وهى لا تشعر بذلك ثم قال لها خذى اشربى هذا فاخذته الملكة ابريزة وشربته فما كان الا دون ساعة حتى تحكم البنج عليها وساب ادراكها فقام اليها فوجدها ملقاة على ظهرها وقد كانت قلعت السراويل من رجليها ورفع الهوا ذيل قميصها عنها فلما دخل عليها الملك راها على تلك الحالة ووجد عند رأسها شمعة وعند رجليها شمعة تضيء على ما بين فخذيها حيل بينه وبين عقله ووسوس له الشيطان فما تمالك نفسه حتى قلع سراويله ووقع عليها وازال بكارتها وقام من فوقها ودخل الى جارية من جواريها يقال لها مرجانة وقال لها ادخلى على سيدتك كلميها فدخلت الجارية على سيدتها فوجدت دمها يجرى على سيقانها وهى ملقاة على ظهرها فمدت يدها الى منديل من مناديلها واصلحت به شأن سيدتها ومسحت عنها ذلك الدم فلما اصبح الصباح تقدمت الجارية مرجانة وغسلت وجه سيدتها ويديها ورجليها ثم جاءت بماء الورد وغسلت به وجهها وفمها فعند ذلك عطست الملكة ابريزة وتقايأت ذلك البنج فنزلت القطعة البنج من باطنها كالقرص ثم انها غسلت فمها ويديها وقالت لمرجانة اعلمينى بما كان من امرى فاخبرتها انها رأتها ملقاة على ظهرها ودمها سائل على فخذيها فعرفت ان الملك عمر النعمان قد وقع بها وواصلها وتمت حيلته عليها فاغتمت لذلك غما شديدا وحجبت نفسها وقالت لجواريها امنعوا كل من اراد ان يدخل على وقولوا له انها ضعيفة حتى انظر ما ذا يفعل الله بى فعند ذلك وصل الخبر الى الملك عمر النعمان بان الملكة ابريزة ضعيفة فصار يرسل اليها الاشربة والسكر والمعاجين واقامت على ذلك شهورا وهى محجوبة ثم ان الملك قد بردت ناره وانطفأ شوقه اليها وصبر عنها وكانت قد علقت منه فلما مرت عليها الشهر ظهر الحمل وكبرت بطنها ضاقت بها الدنيا فقالت لجاريتها مرجانة اعلمى ان القوم ما ظلمونى وانما انا الجانية على نفسى حيث فارقت ابى وامى ومملكتى وانا قد كرهت الحياة وضعفت همتى ولم يبق عندى من البهمة ولا من القوة شئ وكنت اذا ركبت جوادى اقدر عليه وانا الان لا اقدر على الركوب ومتى ولدت عندهم صرت معيرة عند جوارى وكل من فى القصر يعلم انه ازال بكارتى سفاحا واذا رجعت لابى باى وجه القاه وباى وجه ارجع اليه وما احسن قول الشاعر

بم التعلل لا اهل ولا وطن * ولا نديم ولا كاس ولا سكن

فقالت لها مرجانة الامر امرك وانا فى طوعك فقالت اريد اليوم ان اخرج سرا بحيث لا يعلم بى احد غيرك واسافر الى ابى وامى فان اللعم اذا انتن ماله الا اهله والله يفعل بى ما يريد فقالت لها نعم ما تفعلين ايتها الملكة ثم انها جهزت احوالها وكتمت سرها وصبرت اياما حتى خرج الملك للصيد والقنص وخرج ولده شركان الى القلاع ليقيم بها مدة من الزمان فاقبلت ابريزة على جاريتها مرجانة وقالت لها اريد

ان اسافر فى هذه الليلة ولكن كيف اصنع فى المقادير وقد قرب اوان الطلق والولادة وان قعدت خمسة ايام او اربعة وضعت هنا ولم اقدر ان اروح بلادى وهذا ما كان مكتوبا على جبينى ومقدرا على فى الغيب ثم تفكرت ساعة وبعد ذلك قالت لمرجانة انظرى لنا رجلا يسافر معنا ويخدمنا فى الطريق فانه ليس لى قوة على حمل السلاح فقالت مرجانة والله ياسيدتى ما اعرف غير عبدا اسود اسمه الغضبان وهو من عبيد الملك عمر النعمان وهو شجاع ملازم لباب قصرنا فان الملك امره ان يخدمنا وقد غمرناه باحساننا فها انا اخرج اليه واكلمه فى شأن هذا الامر واعده بشئ من المال واقول له اذا اردت المقام عندنا زوجك بمن شئت وكان قد ذكر لى قبل اليوم انه كان يقطع الطريق فان هو وافقنا بلغنا مرادنا ووصلنا الى بلادنا فقالت لها هاتيه عندى حتى احدثه فخرجت له مرجانة وقالت له ياغضبان قد اسعدك الله ان قبلت من سيدتك ما تقوله لك من الكلام ثم اخذت بيده واقبلت به على سيدتها فلما رأها قبل بين يديها فحين رأته نفر قلبها منه لكنها قالت فى نفسها ان الضرورة تلجئها الى حكام واقبلت عليه تحدثه وقلبها نافر منه وقالت له ياغضبان هل فيك مساعدة لنا على غدرات الزمان واذا اظهرتك على امرى تكون كاتمالة فلما نظر العبد اليها ورأى حسنها ملكت قلبه وعشقها لوقته وقال لها ياسيدتى ان امرتنى بشئ لا اخرج عنه فقالت له اريد منك فى هذه الساعة ان تاخذنى وتأخذ جاريتى هذه وتشد لنا راحلتين وفرسين من خيل الملك وتضع على كل فرس خرجا من المال وشيأ من الزاد وترحل معنا الى بلادنا وان اقمت عندنا زوجناك من تختارها من جوارى وان طلبت الرجوع الى بلادك اعطيناك ما تحب ثم ترجع الى بلادك بعد ان تأخذ ما يكفيك من المال فلما سمع الغضبان ذلك الكلام فرح فرحا شديدا وقال ياسيدتى انى اخدمكما بعينى وامضى معكما واشد لكما الخيل ثم مضى وهو فرحان وقال فى نفسه قد بلغت ما اريد منهما وان لم تطاوعانى قتلتهما واخذت ما معهما من المال واضمر ذلك فى سره ثم مضى وعاد ومعه راحلتان وثلاث من الخيل وهو راكب احداهن واقبل على الملكة ابريزة وقدم اليها فرسا فركبتها وهى متوجعة من الطلق ولا تملك نفسها من كثرة الوجع وركبت مرجانة فرسا ثم سافر بهما ليلا ونهارا حتى وصلوا بين الجبال وبقى بينها وبين بلادها يوم واحد فجاءها الطلق فما قدرت ان تمسك نفسها على الفرس فقالت للغضبان انزلنى فقد لحقنى الطلق وقالت لمرجانة انزلى واقعدى تحتى ولدينى فعند ذلك نزلت مرجانة من فوق فرسها ونزل الغضبان من فوق فرسه وشد لجام الفرسين ونزلت الملكة ابريزة من فوق فرسها وهى غائبة عن الدنيا من شدة الطلق وحين رأها الغضبان نزلت على الارض وقف الشيطان فى وجهه فشهر حسامه فى وجهها وقال ياسيدتى ارحمينى بوصلك فلما سمعت مقالته التفتت اليه وقالت له ما بقى على الا العبيد السود بعد ما كنت لا ارضى بالملوك الصناديد وادركها شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملكة ابريزة لما قالت للعبد الذى هو غضبان ما بقى على الا العبيد السود ثم صارت تبكته واظهرت له الغيظ وقالت له ويلك ما هذا الكلام الذى تقوله لى فلا تتكلم بشئ من هذا فى حضرتى واعلم انى لا ارضى بشئ مما قلته ولو سقيت كاس الردى ولكن اصبر حتى اصلح الجنين واصلح شأنى وارمى الخلاص ثم بعد ذلك ان قدرت على فافعل بى ما تريد وان لم تتركنى فاحش الكلام فى هذا الوقت فانى

اقتل نفسي بيدي وافارق الدنيا وارتاح من هذا كله ثم انشدت هذه الابيات

اياغضبان دعني قد كفاني * مكابدة الحوادث والزمان
عن الفحشاء ربي قد نهاني * وقال النار مثوى من عصاني
واني لا اميل لفعل سوء * بعين النقص دعني لا تراني
ولولم تترك الفحشاء عني * وترمي حرمتي في من رعاني
لاصرخ طاقتي لرجال قومي * واجلب كل قاصيها ودانى
ولو قطعت بالسيف اليماني * لما خليت فحشا يراني
من الاحرار والكبراء طرا * فكيف العبد من نسل الزواني

فلما سمع الغضبان ذلك الشعر غضب غضبا شديدا واحمرت مقلته واغبرت سحنته وانتفخت مناخره واستدلت مشافره وزادت به النفرات وانشد هذه الابيات

ايا ابريزة لا تتركيني * قتيل هواك باللحظ اليماني
فقلبي قد تقطع من جفاك * وجسمي ناحل والصبر فاني
وافظك قد سبى الالباب سحرا * فعقلي نازح والشوق داني
ولو اجلبت ملاء الارض جيشا * لابلغ ما ربي في ذا الزمان

فلما سمعت ابريزة كلامه بكت بكاء شديدا وقالت له ويلك يا غضبان وهل بلغ من قدرك ان تخاطبني بهذا الخطاب يا ولد الزنا وتربية الخنا تحسب ان الناس كلهم سواء فلما سمع ذلك العبد الخس هذا الكلام غضب منها غضبا شديدا وتقدم اليها وضربها بالسيف فقتلها وساق جوادها قدامه بعد ان اخذ المال وفر بنفسه آبقا في الجبال هذا ما كان من امر الغضبان واما ما كان من امر الملكة ابريزة فانها صارت طريحة على الارض وكان الولد الذي ولدته مرجانة في حجرها وصرخت صرخة عظيمة وشقت ثوبها وصارت تحثو التراب على رأسها وتلطم على خدها حتى طلع الدم من وجهها وقالت واخيبتاه كيف قتل سيدتي عبد اسود لا قيمة له بعد فروسيتها فبينما هي تبكي واذا بغبار قد طار حتى سد الاقطار ولما انكشف ذلك الغبار بان من تحته عسكر جرار وكانت تلك العساكر عساكر ملك الروم والد الملكة ابريزة وسبب ذلك انه لما سمع ان ابنته هربت هي وجواريها الى بغداد وانها عند الملك عمر النعمان خرج بمن معه يتشمم الاخبار من بعض المسافرين ان كانوا رأوها عند الملك عمر النعمان فخرج بمن معه ليسأل المسافرين من اين اتوا لعله يعلم بخبر بنته وكان رأى على بعد هؤلاء الثلاثة ابنته والعبد الغضبان وجاريتها مرجانة فقصدهم ليسألهم فلما قصدهم خاف العبد على نفسه فقتلها وتجا بنفسه فلما اقبلوا عليها رأوها ابوها مرمية على الارض وجاريتها تبكي عليها فرمى نفسه من فوق جواده ووقع في الارض مغشيا عليه فترجل كل من كان معه من الفرسان والامراء والوزراء وضربوا الخيام في الجبال ونصبوا قبة للملك حردوب ووقف ارباب الدولة خارج تلك القبة فلما رأت مرجانة سيدها عرفته وزادت في البكاء والنحيب فلما افاق الملك من غشيته سألها عن الخبر فاخبرته بالقصة وقالت له ان الذي قتل ابنتك عبد اسود من عبيد الملك عمر النعمان واخبرته بما فعله الملك عمر النعمان بابنته فلما سمع الملك حردوب ذلك الكلام اسودت الدنيا في وجهه وبكى بكاء شديدا ثم امر باحضار محفة وحمل ابنته فيها ومضى الى قصارية وادخلوها القصر ثم ان الملك حردوب دخل على امه ذات الدواهي وقال لها اهكذا تفعل المسلمون بيني فان الملك عمر

النعمان ازال بكارتها قهرا وبعد ذلك قتلها عبد اسود من عبيده فوحق المسيح لابد من اخذ ثاري
منه وكشف العار عن عرضي والا قتلت نفسي بيدي ثم بكى بكاء شديدا فقالت له امه ذات الدواهي
ما قتل ابنتك الامر جانة لانها كانت تكرهها في الباطن ثم قالت لولدها لا تحزن من جهة اخذ ثارها
فوحق المسيح لا ارجع عن الملك عمر النعمان حتى اقتله واقتل اولاده ولا عملن معه عملا تعجز عنه الدهاة
والابطال وتتحدث به المحدثون في جميع الاقطار ولكن ينبغي لك ان تمتثل امري في كل ما اقوله
وانت تبلغ ما تريد فقال لها وحق المسيح لا اخالفك ابدا فيما تقولينه قالت له ائتني بجوارنهد ابكار واثنتي
بحكماء الزمان واجزل لهم العطايا وامرهم ان يعلموا الجواري الحكمة والادب وخطاب الملوك ومنادمتهم
والاشعار وان يتكلموا بالحكمة والمواعظ ويكون الحكماء مسلمين لاجل ان يعلموهن اخبار العرب
وتواريخ الخلفاء واخبار من سلف من ملوك الاسلام ولواقحنا على ذلك عشرة اعوام وطول روحك واصبر
فان بعض الاعراب يقول ان اخذ الثار بعد اربعين عاما مدته قليلة ونحن اذا علمنا تلك الجواري بلغنا من
عدونا ما نختار لانه ممتحن بحب الجواري وعنده ثلاثمائة جارية وستة وستون جارية وازددن مائة
جارية من خواص جواريك التي كن مع المرحومة فاذا تعلم الجواري ما اخبرتك به من العلوم فاني
آخذهم بعد ذلك واسافرهم فلما سمع الملك حردوب كلام امه ذات الدواهي فرح فرحا شديدا وقبل رأسها
ثم ارسل من وقته وساعته المسافرين والقصاد الى اطراف البلاد ليأتوا اليه بالحكماء من المسلمين فامتثلوا
امره وسافروا الى بلاد بعيدة واتوه بما طلبه من الحكماء والعلماء فلما حضروا بين يديه اكرمهم غاية الاكرام
وخلع عليهم الخلع ورتب لهم الرواتب والجرايات ووعدهم بالمال الجزيل اذا فعلوا ما امرهم به ثم احضر
لهم الجواري وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العلماء والحكماء لما حضروا عند الملك حردوب اكرمهم اكراما زائدا
واحضر الجواري بين ايديهم واوصاهم ان يعلموهن الحكمة والادب فامتثلوا امره هذا ما كان من امر
الملك حردوب واما ما كان من امر الملك عمر النعمان فانه لما عاد من الصيد والقنص وطلع القصر طلب
الملكة ابريزة فلم يجدها ولم يخبره احد عنها فعظم عليه ذلك وقال كيف تخرج هذه الجارية من القصر ولم
يعلم بها احد فان كانت مملكتي على هذا الامر فانها ضايعة المصلحة ولا ضابط لها فما بقيت اخرج الى
الصيد والقنص حتى ارسل الى الابواب من يتوكل بها واشتد حزنه وضاق صدره لفراق الملكة ابريزة فبينما
هو كذلك واذا بولده شركان قد اتى من سفره فاعلمه والده بذلك واخبره انها هربت وهو في الصيد والقنص
فاغتم شركان لذلك غما شديدا ثم ان الملك صار يتفقد اولاده كل يوم ويكرمهم وكان قد احضر العلماء والحكماء
ليعلموهم العلم ورتب لهم الرواتب فلما رأى شركان ذلك الامر غضب غضبا شديدا وحسد اخوته
على ذلك الى ان ظهر اثر الغيظ في وجهه ولم يزل متمرضا بسبب هذا الامر فقال له والده يوما من الايام مالي
ارالك تزداد ضعفا في جسمك واصفرارا في لونك فقال له شركان يا والدي كما رأيتك تقرب اخوتي وتحسن اليهم
يحصل عندي حسد واخاف ان يزيد بي الحسد فاقتلهم وتقتلني انت بسببهم اذا انا قتلتهم فرض جسمي
وتغير لوني بسبب ذلك ولكن انا اشتهي من احسانك ان تعطيني قلعة من القلاع حتى اقيم بها بقية عمري
فان صاحب المثل يقول بعدي عن حبيبي اجل لي واسكن عين لا تنظر وقلب لا يحزن ثم طرق برأسه

الى الارض فلما سمع الملك عمر النعمان كلامه عرف سبب ما هو فيه من التقصير فاخذ بخاطره وقال له
يا ولدى انى اجيبك الى ما تريد وليس فى ملكى اكبر من قلعة دمشق فقد ملكتها من هذا الوقت ثم احضر
للموقعين فى الوقت والساعة وامرهم بكتابة تقليد ولده شركان ولاية دمشق الشام فكتبوا له ذلك وجهزوه
واخذ الوزير دندان معه واوصاه بالمملكة والسياسة وقلده اموره ثم ودعه والده وودعته الامراء واكابر
الدولة وسار بالعسكر حتى وصل الى دمشق فلما وصل اليها دق له اهلها الكاسات وصاحوا بالبوقات
وزينوا المدينة وقابلوه بموكب عظيم سار فيه اهل الميمنة ميمنة واهل الميسرة ميسرة هذا ما كان من امر
شركان واما ما كان من امر والده عمر النعمان فانه بعد سفر ولده شركان اقبل عليه الحكماء وقالوا له
يا مولانا ان اولادك تعلموا العلم والحكمة والادب فعند ذلك فرح الملك عمر النعمان فرحا شديدا وانعم
على جميع الحكماء حيث رأى ضوء المكان كبر وترعرع وركب الخيل وصار له من العمر اربعة عشر سنة
وطلع مشتغلا بالدين والعبادة محبا للفقراء واهل العلم والقرآن وصاروا اهل بغداد يحبونه نساء ورجالا الى ان
طاف ببغداد محمل العراق من اجل الحج وزيارة قبر النبى - صلى الله عليه وسلم فلما رأى ضوء المكان
موكب المحمل اشتاق الى الحج فدخل على والده وقال له انى اتيت اليك لاستأذنك فى ان احج فمنعه من ذلك
وقال له اصبر الى العام القابل وانا اتوجه الى الحج واخذلك معى فلما رأى الامر يطول عليه دخل على
اخته نزهة الزمان فوجدها قائمة تصلى فلما قضت الصلاة قال لها انى قد قتلنى الشوق الى حج بيت الله
الحرام وزيارة قبر النبى - عليه الصلاة والسلام واستأذنت والدى فمنعنى من ذلك فالمقصود ان اخذ شيأ من
المال واخرج الى الحج سرا ولم اعلم ابى بذلك فقالت له اختة بالله عليك ان تأخذنى معك ولا تحرمنى من
زيارة النبى - صلى الله عليه وسلم فقال لها اذا جن الظلام فاخرجى من هذا المكان ولا تعلمى احدا بذلك
فلما كان نصف الليل قامت نزهة الزمان واخذت شيأ من المال ولبست لباس الرجال وكانت قد بلغت
من العمر مثل عمر ضوء المكان ومشت متوجهة الى باب القصر فوجدت اخاها ضوء المكان قد جهز
الجمال فركب واركبها وسار الليلا واختلطا بالحجيج ومشيا الى ان صارا فى وسط الحج العراقى ومازالا سائرين
وكتب الله لهما السلامة حتى دخلا مكة المشرفة ووقفا بعرفات وقضيا مناسك الحج ثم توجها الى
زيارة النبى - صلى الله عليه وسلم فزاراه وبعد ذلك اراد الرجوع مع الحجاج الى بلادهم فقال ضوء المكان
لاخته يا اختى اريد ان ازور بيت المقدس والخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقالت له وانا كذلك واتفقا
على ذلك ثم خرج واكترى له ولها مع المقادمة وجهزا حالهما وتوجها مع الركب فحصل لاخته فى تلك الليلة
حمى باردة فتشوشت ثم شوفيت وتشوش الاخر فصارت تلاطفه فى ضعفه ولم يزالا سائرين الى ان دخلا
بيت المقدس واشتد المرض على ضوء المكان ثم انهما نزلا فى خان هناك واكترى لهما فيه حجرة واستقرا فيها
ولم يزل المرض يتزايد على ضوء المكان حتى انحله وغاب عن الدنيا فاغتمت لذلك اخته نزهة الزمان وقالت
لا حول ولا قوة الا بالله هذا حكم الله ثم انها قعدت هى واخوها فى ذلك المكان وقد زاد به الضعف وهى
تخدمه وتنفق عليه وعلى نفسها حتى فرغ ما معهما من المال وافتقرت ولم يبق معهما ولا درهم فارسلت
صبى الخان الى السوق بشئ من قماشها فباعه وانفقته على اخيها ثم باعت شيأ آخر ولم تزل تبيع من
امتعتها شيأ فشيأ حتى لم يبق لها غير حصير مقطعة فبكت وقالت لله الامر من قبل ومن بعد ثم قال
لها اخوها يا اختى انى قد احسست بالعافية وفى خاطرى شئ من اللحم المشوى فقالت له اختة والله يا اخى انى
ملى وجه للسؤال ولكن غدا ادخل بيت احد من الاكابر واخدم واعمل بشئ نقتات به انا وانت ثم تفكرت

ساعة وقالت له انى لا يهون على فراقك وانت فى هذه الحالة ولكن لابد من طلب المعاش فمهما اعنى فقال لها اخوها ابعد العز نصبحين ذليلة فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم بكى وبكت وقالت له يا اخى نحن غرباء وقد اقمنا هنا سنة كاملة مادق علينا الباب احد فهل نموت من الجوع فليس عندى من الرأى الا انى اخرج واخدم واتيك بشئ نقتات به الى ان تبرأ من مرضك ثم نسافر الى بلادنا ومكثت تبكى ساعة ثم بعد ذلك قامت نزهة الزمان وغطت راسها بقطعة عباءة من ثياب الجمالين كان صاحبها نسيها عندهما وقبلت رأس اخيها واعتنقته وخرجت من عنده وهى تبكى ولم تعلم اين تمضى ومازال اخوها ينتظرها الى ان قرب وقت العشاء ولم تأت فحكث بعد ذلك وهو ينتظرها الى ان طلع النهار فلم تعد اليه ولم يزل على هذه الحالة يومين فعظم ذلك عنده وارتجف قلبه عليها واشتد به الجوع فخرج من الحجرة وصاح على صبى الخان وقال له اريدان تحملنى الى السوق فحمله والقاه فى السوق فاجتمع عليه اهل القدس وبكوا عليه لما رأوه على تلك الحالة فاشار اليهم بطلب شئ يأكله فجاؤاله من بعض التجار الذين فى السوق ببعض دراهم واشتروا له شيأ واطعموه اياه ثم حملوه ووضعوه على دكان وفرشوا له قطعة برش ووضعوا عند رأسه ابريقا فلما اقبل الليل انصرف عنه كل الناس وهم حاملون همه فلما كان نصف الليل تذكر اخته فازداد به الضعف وامتنع من الاكل والشرب وغاب عن الوجود فقام اهل السوق واخذوا له من التجار ثلاثين درهما واكتروا له جملا وقالوا للجمال احمل هذا واوصله الى دمشق وادخله المارستان لعله ان يبرأ فقال لهم على الرأس ثم قال فى نفسه كيف امضى بهذا المريض وهو مشرف على الموت ثم خرج به الى مكان واختفى به الى الليل ثم القاه على مزبلة مستوقد حمام ثم مضى الى حال سبيله فلما اصبح الصباح طلع وقاد الحمام الى شغله فوجده ملقى على ظهره فقال فى نفسه لاى شئ ما يرمون هذا الميت الا هنا ورفصه برجله فتحرك فقال له الوقاد الواحد منكم يأكل قطعة حشيش ويرمى نفسه فى اى موضع كان ثم نظر وجهه فرأه لا تبان بعارضيه وهو ذو بهاء وجمال فاخذته الرأفة عليه وعرف انه مريض وغريب فقال لا حول ولا قوة الا بالله انى دخلت فى خطيئة هذا الصبى وقد اوصى النبى صلى الله عليه وسلم باكرام الغريب لاسيما اذا كان الغريب مريضا ثم حمله واتى به الى منزله ودخل به على زوجته وامرها ان تخدمه وتفرش له بساطا ففرشت له وجعلت تحت رأسه وسادة وسخنت له ماء وغسلت له به يديه ورجليه ووجهه وخرج الوقاد الى السوق واتى له بشئ من ماء الورد والسكر ورش ماء الورد على وجهه وسقاه السكر واخرج له قميصا نظيفا والبسه اياه فشم نسيم العصمة وتوجهت اليه العافية واتكى على المخدة ففرح الوقاد بذلك وقال الحمد لله على عافية هذا الصبى اللهم انى اسألك بسرك المكنون ان تجعل سلامة هذا الشاب على يدى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوقاد قال اللهم انى اسألك بسرك المكنون ان تجعل سلامة هذا الصبى على يدى ومازال الوقاد يتعهده ثلاثة ايام وهو يسقيه السكر وماء الخلاف وماء الورد ويتعطف عليه ويلطف به حتى سرت العصمة فى جسمه وفتح عينه فاتفق ان الوقاد دخل عليه فرأه جالسا وعليه آثار الشظف فقال له ما حالك يا ولدى فى هذا الوقت فقال ضوء المكان بخير وعافية فحمد الوقاد ربه وشكره ثم نهض الى السوق واشترى له عشر دجاجات واتى زوجته وقال لها اذبحى له فى كل يوم اثنتين واحدة فى اول النهار

وواسدة فى آخر النهار فقامت وذبحت له دجاجة وسلقتها واتت بها اليه واطعمته اياها واسقته
من شحمها فلما فرغ من الاكل قدمت له ماء مسخنا فغسل يديه واتكى على الوسادة وغطته بملاءة فنام الى
العصر ثم قامت وسلقت دجاجة اخرى واتته بها وفسختها وقالت له كل يا ولدى فبينما هو يأكل واذا
بزوجها قد دخل فوجده تطعمه فجلس عند رأسه وقال له ما حالك يا ولدى فى هذا الوقت فقال الحمد لله
على العافية جزاك الله عنى خيرا ففرح الوقاد بذلك ثم انه خرج واتى بشراب البنفسج وماء الورد وسقاه وكان
ذلك الوقاد يعمل فى الحمام كل يوم بخمسة دراهم فيشترى له كل يوم بدرهم سكرا وماء الورد وشراب
البنفسج ويشترى له بدرهم فراريج وما زال يلاطفه الى ان مضى عليه شهر من الزمان حتى زالت عنه
آثار المرض وتوجهت اليه العافية ففرح الوقاد هو وزوجته بعافية ضوء المكان وقال له الوقاد يا ولدى
هل لك ان تدخل معى الحمام قال نعم فمضى الى السوق واتى له بمكارى واركبه حمارا وجعل يسنده
الى ان وصل الى الحمام ثم دخل معه الحمام واجلسه فى داخله ومضى الى السوق واشترى له سدرا ودقاقا
وقال لضوء المكان يا سيدى بسم الله اغسل لك جسدك واخذ الوقاد يحك لضوء المكان رجليه وشرع
يغسل له جسده بالسدر والدقاق واذا بيلان قد ارسله معلم الحمام الى ضوء المكان فوجد الوقاد يحك رجليه
فتقدم اليه البلان وقال له هذا تنقص فى حق المعلم فقال الوقاد والله ان المعلم نمرنا باحسانه فشرع البلان
يحلق رأس ضوء المكان ثم اغتسل هو والوقاد وبعد ذلك رجع به الوقاد الى منزله والبسه قيصارا فيعا وثوبا
من ثيابه وعمامة لطيفة واعطاه حزاما وكانت زوجة الوقاد قد ذبحت دجاجتين وطبختهما فلما طلع ضوء
المكان وجلس على الفراش قام الوقاد واذاب له السكر فى ماء الورد وسقاه ثم قدم له السفرة وصار الوقاد
يفسخ له من تلك الدجاج ويطعمه ويسقيه من المسلوقة الى ان اكتفى وغسل يديه وحمد الله تعالى على
العافية ثم قال للوقاد انت الذى من الله على بك وجعل سلامتى على يديك فقال له الوقاد دع عنك هذا
الكلام وقل لنا ما سبب مجيئك الى هذه المدينة ومن اين انت فانى ارى على وجهك آثار النعمة فقال له
ضوء المكان قل لى انت كيف وقعت بى حتى اخبرك بحديثى فقال له الوقاد اما انا فانى وجدتك مرميا
على القمامة فى المسنوقد حين لاح الفجر لما توجهت الى اشغالى ولم اعرف من رماك فاخذتك عندى
وهذه حكايتى فقال ضوء المكان سبحان من يحيى العظام وهى رميم انك يا اخى ما فعلت الجميل الا مع اهله
وسوف تجنى ثمرة ذلك ثم قال للوقاد وانا الآن فى اى البلاد فقال له الوقاد انت فى مدينة القدس فعند ذلك
تذكر ضوء المكان غربته وفراق اخته وبكى حيث باح بسره الى الوقاد وحكى له حكايته ثم انشد
هذه الابيات

لقد حملونى فى الهوى غير طاقتى * ومن اجلهم قامت على قيامتى
الا فارفقوا يا هاجرون بمهجتى * فقد رق لى من بعدكم كل شامت
ولا تمنعوا ان تسمعوا الى بنظرة * تخفف احوالى وفرط صبابتى
سالت فؤادى الصبر عنكم فقال لى * اليك فان الصبر من غير عادتى

ثم زاد فى بكائه فقال له الوقاد لا تبك واحمد الله على السلامة والعافية فقال ضوء المكان كم بيننا وبين
دمشق فقال ستة ايام فقال ضوء المكان هل لك ان ترحلنى اليها فقال له الوقاد يا سيدى كيف ادعك
تروح وحدك وانت شاب صغير فان شئت السفر الى دمشق فانا الذى اروح معك وان اطاعتنى زوجتى
وسافرت معى اقمت هناك فانه لا يهون على فراقك ثم قال الوقاد لزوجته هل لك ان تسافرى معى الى

دمشق الشام او تكون في مقيمة هنا حتى اوصل سيدي هذا الى دمشق الشام واعود اليك فانه يطلب السفر اليها فاني والله لا يهون علي فراقه واخاف عليه من قطاع الطريق فقالت له زوجته اسافر معكما فقال الوقاد الحمد لله على الموافقة ثم ان الوقاد قام وباع امتعته وامتعة زوجته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوقاد اتفق هو وزوجته على السفر مع ضوء المكان وعلى انهما يمضيان معه الى دمشق ثم ان الوقاد باع امتعته وامتعة زوجته ثم اكترى حمارا واركب ضوء المكان اياه وسافروا ولم يزالوا مسافرين ستة ايام الى ان دخلوا دمشق فنزلوا هناك في آخر النهار وذهب الوقاد واشترى شيأ من الاكل والشرب على العادة ومازالوا على ذلك الحال خمسة ايام وبعد ذلك مرضت زوجة الوقاد اياما قلائل وانتقلت الى رحمة الله تعالى فعظم ذلك على ضوء المكان لانه كان قد اعتاد عليها وكانت تخدمه وحزن عليها الوقاد حزنا شديدا فالتفت ضوء المكان الى الوقاد فوجده حزينا فقال له لا تحزن فاننا كلنا داخلون في هذا الباب فالتفت الوقاد الى ضوء المكان وقال له جزاك الله خيرا يا ولدي فالله تعالى يعوض علينا بفضله ويزيل عنا الحزن فهل لك يا ولدي ان تخرج بنا ونتفرج في دمشق لينشرح خاطرك فقال له ضوء المكان الرأي رأيك فقام الوقاد ووضع يده في يد ضوء المكان وصارا الى ان اتيا تحت اصطبل والى دمشق فوجدا جمالا محملة صناديق وفرشا وقماشا من الديباج وغيره وجنائب مسرجة وبخاتي وعبيدا ومماليك والناس في هرج ومرج فقال ضوء المكان يا ترى لمن تكون هؤلاء المماليك والجمال والاقمشة وسأل بعض الخدم عن ذلك فقال له المسؤل هذه هدية من امير دمشق يريد ارسالها الى الملك عمر النعمان مع خراج الشام فلما سمع ضوء المكان هذا الكلام تغرغرت عيناه بالدموع وانشد يقول

ان شكونا البعاد ماذا نقول * او تلفنا شوقا فكيف السبيل
او رأينا رسلا تترجم عنا * ما يؤدي شكوى المحب رسول
او صبرنا فما من الصبر عندي * بعد فقد الاحباب الا القليل

وقال ايضا

رحلوا غائبين عن جفن عيني * وهم في الفؤاد مني حلول
غاب عني جمالهم فحياتي * ليس تحلو ولا اشتياقي يحول
ان قضى الله باجتماعي عليكم * اذكر الوجد في حديث يطول

فلما فرغ من شعره بكى فقال له الوقاد يا ولدي نحن ما صدقنا انك جاءتك العافية فطب نفسا ولا تبك فاني اخاف عليك من النكسة ومازال يلاطفه ويمازحه وضوء المكان يتنهد ويتحسر على غربته وعلى فراقه لاخته ومملكته ويرسل العبرات ثم انشد هذه الابيات

تزود من الدنيا فانك راحل * وايقن بان الموت لاشك نازل
نعيمك في الدنيا غرور وحسرة * وعيشك في الدنيا محال وباطل
الا انما الدنيا كمنزل راكب * اناخ عشيا وهو في الصبح راحل

ثم ان ضوء المكان جعل يبكي وينتحب على غربته وكذلك الوقاد صار يبكي على فراق زوجته ولكنه مازال

يتلطف بضوء المكان الى ان اصبح الصباح فلما طلعت الشمس قال له الوقاد كانك تذكرت بلادك فقال له ضوء المكان نعم ولا استطيع ان اقيم هنا واستودعك الله فانى مسافر مع هؤلاء القوم وامشى معهم قليلا قليلا حتى اصل الى بلادى فقال له الوقاد وانا معك فانى لا اقدر ان افارقك فانى عملت معك حسنة واريد ان اتمها بخدمتى لك فقال له ضوء المكان جزاك الله عنى خيرا وفرح ضوء المكان بسفر الوقاد معه ثم ان الوقاد خرج من ساعته واشترى له حمارا وهيأ زادا وقال لضوء المكان اركب هذا الحمار فى السفر فاذا تعبت من الركوب فانزل وامش فقال ضوء المكان بارك الله فيك واعانى على مكافئتك فانك فعلت معى من الخير ما لا يفعله احد مع اخيه ثم صبرا الى ان جن الظلام فحملا زاده وامتعتهما على ذلك الحمار وسافرا هذا ما كان من امر ضوء المكان والوقاد واما ما كان من امر اخته نزهة الزمان فانها لما فارقت اخاها ضوء المكان خرجت من الخان الذى كانا فيه فى القدس بعد ان التفت بالعباءة لاجل ان تخدم احدا وتشترى لاخيها ما اشتهاه من اللحم المشوى وصارت تبكى فى الطريق وهى لا تعرف اين تتوجه وصار خاطرها مشغولا باخيها وقلبها متفكرا فى الاهل والاوطان فصارت تتضرع الى الله تعالى فى دفع هذه البليات وانشدت هذه الابيات

جن الظلام وهاج الوجد بالسقم * والشوق حرك ما عندى من الالم
ولوعة البين فى الاحشاء قد سكنت * والوجد صيرنى فى حالة العدم
والحزن اقلقنى والشوق احرقنى * والدمع باح بحبى اى مكتتم
وليس لى حيلة فى الوصل اعرفها * حتى ترشح ما عندى من الغمم
فنار قلبى بالاشواق موقدة * ومن لظاها يذل الصعب فى نقم
يا من يلوم على ما حل بى وكفى * انى صبرت على ما خط بالقلم
اقسمت بالحب مالى سلوة ابدا * بين اهل الهوى مبرورة القسم
يا ليل بلغ رواة الحب عن خبرى * واشهد بعلمك انى فيك لم انم

ثم ان نزهة الزمان اخت ضوء المكان صارت تمشى وتلتفت يمينا ويسارا واذا بشيخ مسافر من البدو ومعه خمسة نفر من العرب فلما التفت الى نزهة الزمان فرأها جميلة وعلى رأسها عباءة مقطعة فتعجب من حسنها وقال فى نفسه ان هذه جميلة ولكنها اذا تشفت فان كانت من اهل هذه المدينة او كانت غريبة فلا بد لى منها ثم انه تبعها قليلا قليلا حتى تعرض لها فى الطريق فى مكان ضيق وناداها ليسألها عن حالها وقال لها يا بنية هل انت حرة او مملوكة فلما سمعت كلامه نظرت اليه وقالت له بحياتك لا تتجدد على الاحزان فقال لها انى رزقت ست بنات مات لى منهن خمسة وبقيت واحدة وهى اصغرهن واتيت اليك لاسألك هل انت من اهل هذه المدينة او غريبة لاجل ان اخذك واجعلك عندها لتؤانسها فتشتغل بك عن الحزن على اخواتها فان لم يكن لك احد جعلتك مثل واحدة منهن وصيرتك مثل اولادى فلما سمعت نزهة الزمان كلامه قالت فى سرها عسى ان أمن على نفسى عند هذا الشيخ ثم اطرقت برأسها من الحياء وقالت نعم انا بنت غريبة ولى اخ ضعيف فانا امضى معك الى بيتك بشرط ان اكون عندها بالنهار وبالليل امضى الى اخى فان قبلت هذا الشرط مضيت معك لانى غريبة وكنت عزيزة فاصبحت ذليلة حقيرة وجئت انا واخى من بلاد الحجاز واخاف ان اخى لا يعرف لى مكانا فلما سمع البدوى كلامها قال فى نفسه والله انى فزت بمطلوبى ثم قال لها ما اريد لك الا التؤانسى بقية نهارك وتمضى الى اخيك

ليلا وان شئت فانقليه الى مكانا ولم يزل البدوى يطيب قلبها ويلين لها الكلام الى ان وافقته على الخدمة ومشى قدامها وتبعته ولم يزل سائرا الى جماعته وكانوا قد هيؤا الجمال ووضعوا عليها الاحمال ووضعوا فوقها الماء والزاد وكان البدوى قاطع الطريق وخائن الرفيق وصاحب مكر وحيل ولم يكن عنده بنت ولا ولد وانما قال ذلك الكلام حيلة على هذه البنت المسكينة لامر قدره الله ثم ان البدوى صار يحدثها فى الطريق الى ان خرج من مدينة القدس واجتمع برفقته فوجدهم قد رحلوا الجمال فركب البدوى جملا واردفها خلفه وساروا معظم الليل فعرفت نزهة الزمان ان كلام البدوى كان حيلة عليها وانه مكر بها فصارت تبكى وتصرخ وهم فى الطريق قاصدين الجبال خوفا ان يراهم احد فلما صاروا قريب الفجر نزلوا عن الجمال وتقدم البدوى الى نزهة الزمان وقال لها يا مدنية ما هذا البكاء والله ان لم تتركى البكاء ضربتك الى ان تهلكى يا قطعة حضرية فلما سمعت نزهة الزمان كلامه كرهت الحياة وتمنت الموت فالتفتت اليه وقالت له يا شيخ السوء يا شيبة جهنم كيف استأمنتك وانت تخونني وتمكر بى فلما سمع البدوى كلامها قال لها يا قطعة حضرية الله لسان تجاوبينى به وقام اليها ومعه سوط فضربها وقال ان لم تسكتى قتلتك فسكتت ساعة ثم تفكرت اخاها وما هو فيه من الامراض فبكت سرا وفى ثانى يوم التفتت الى البدوى وقالت له كيف تعمل على هذه الحيلة حتى اتيت بى الى هذه الجبال القفرة وما قصدك منى فلما سمع كلامها صفا قلبه وقال لها يا قطعة حضرية الله لسان تجاوبينى به واخذ السوط ونزل به على ظهرها الى ان غشى عليها فانكبت على رجليه وقبلتهما فكف عنها الضرب وصار يشتمها ويقول لها وحق طرطورى ان سمعتك تبكين قطعت لسانك ودسته فى كسك يا قطعة حضرية فعند ذلك سكتت ولم تردجوابا وآلمها الضرب فقعدت على قرافيصها وجعلت رأسها فى طوقها وصارت تتفكر فى حالها وفى حال اخيها وفى ذلها بعد العز وفى مرض اخيها ووحدته واغترابهما وارسلت دموعها على الوجنات وانشدت هذه الابيات

من عادة الدهر ادبار واقبال * فما يدوم له بؤس ولا حال
وكل شئ من الدنيا له اجل * وتنقضى بجميع الناس آجال
كم احمل الضيم والاهوال يا اسفى * من عيشة كلها ضيم واهوال
لا اسعد الله اياما عززت بها * دهرا وفى طى ذاك العز اذلال
قد خاب قصدى وامالى بها انصرمت * وقد تقطع بالتغريب اوصال
يا من يمر على دار بها سكنى * بلغه عنى ان الدمع هطال

فلما سمع البدوى شعرها عطف عليها ورثى لها ورحمها وقام اليها ومسح دموعها واعطاها قرصا من شعير وقال لها انا لا احب من يجاوبنى فى وقت الغيظ وانت بعد ذلك لا تجاوبينى بشئ من هذا الكلام الفاحش وانا اريد لك رجل جيد مثلى يفعل معك الخير مثل ما فعلت معك قالت نعم ما تفعل ثم انها لما طال عليها الليل واحرقها الجوع اكلت من ذلك القرص الشعير شيأ يسيرا فلما انتصف الليل امر البدوى جماعته ان يسافروا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان البدوى لما اعطى نزهة الزمان القرص الشعير ووعدها ان يبيعها الرجل

جيد مثله قالت له نعم ما تفعل فلما انتصف الليل واحرقها الجوع اكلت من القرص الشعير شيأ يسيرا ثم ان
البدوى امر جماعته ان يسافروا فحملوا الجمال وركب البدوى جملا واردف نزهة الزمان خلفه وساروا
ومازالوا سائرين مدة ثلاثة ايام ثم دخلوا مدينة دمشق ونزلوا فى خان السلطان بجانب باب الملك وقد
تغيرلون نزهة الزمان من الحزن وتعب السفر فصارت تبكى من اجل ذلك فاقبل عليها البدوى وقال لها
ياحضرية وحق طرطورى ان لم تتركى هذا البكاء لا ابيعك الا ليهودى ثم انه قام واخذ بيدها وادخلها
فى مكان وتمشى الى السوق ومر على التجار الذين يتجرون فى الجوارى وصار يكلمهم ثم قال لهم عندى
جارية اتيت بها معى واخوها ضعيف فارسلته الى اهلى فى مدينة القدس لاجل ان يداووه حتى يبرئ
وقصدى ان ابيعها ومن يوم ضعف اخوها وهى تبكى وصعب عليها فراقه واريد ان الذى يشتريها منى
يلين لها الكلام ويقول لها ان اخاك عندى فى القدس ضعيف وانا ارخص له ثمنها فنهض له رجل من
التجار وقال له كم عمرها فقال هى بكر بالغة ذات عقل وادب وفطنة وحسن وجمال ومن حين ارسلت
اخاها الى القدس اشتغل قلبها به وتغيرت محاسنها وانهزل سمنها فلما سمع التاجر ذلك تمشى مع البدوى
وقال له اعلم ياشيخ العرب انى اروح معك واشترى منك الجارية التى تمدحها وتشكر عقلها وادبها وحسنها
وجمالها واعطيك ثمنها واشرط عليك شروطا ان قبلتها نقدت لك ثمنها وان لم تقبلها رددتها عليك
فقال له البدوى ان شئت فاطلع بها الى السلطان واشرط على ما شئت من الشروط فانك اذا اوصلتها الى
الملك شركان ابن الملك عمر النعمان صاحب بغداد وخرسان ربما تليق بعقله فيعطيك ثمنها ويكثر لك
الربح فيها فقال له التاجر وانا لى عند السلطان حاجة وهو ان يكتب الى والده عمر النعمان بالوصية
على فان قبل الجارية منى وزنت لك ثمنها فى الحال فقال له البدوى قبلت منك هذا الشرط ثم مشيا
الاثنان الى ان اقبلا على المكان الذى فيه نزهة الزمان ووقف البدوى على باب الحجرة وناداها يانا جيه
وكان سماها بهذا الاسم فلما سمعته بكت ولم تجبه فالتفت البدوى الى التاجر وقال له هاهى قاعدة دونك
فاقبل عليها وانظرها ولاطفها مثل ما اوصيتك فتقدم التاجر اليها فرأها بديعة فى الحسن والجمال
لاسيما وكانت تعرف بلسان العرب فقال التاجر ان كانت كما وصفت لى فانى ابلغ بها عند السلطان
ما اريد ثم ان التاجر قال لها السلام عليك يا بنية كيف حالك فالتفتت اليه وقالت كان ذلك فى الكتاب
مسطورا ونظرت اليه فاذا هو رجل ذو وقار ووجهه حسن فقالت فى نفسها اظن ان هذا جاء يشترينى
ثم قالت ان امتنعت منه صرت عند هذا الظالم فيهلكنى من الضرب فعلى كل حال هذا رجل وجهه حسن
وهو ارجى للخير من هذا البدوى الجلف ولعله ما جاء الا ليسمع منطقى فانا اجاوبه جوابا حسنا كل ذلك وعينها
فى الارض ثم رفعت بصرها اليه وقالت له بكلام عذب وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ياسيدى بهذا امر
النبى صلى الله عليه وسلم واما سؤالك عن حالى فان شئت ان تعرفه فلا تمنناه الا لاعدائك ثم سكتت فلما سمع
التاجر كلامها طار عقله فرحا بها والتفت الى البدوى وقال له كم ثمنها فانها جليلة فاغتاظ البدوى وقال له
افسدت على الجارية بهذا الكلام لاى شئ تقول انها جليلة مع انها من رعاع الناس فانا لا ابيعها لك
فلما سمع التاجر كلامه عرف انه قليل العقل فقال له طب نفسا وقر عينا فانا اشتريها على هذا العيب
الذى ذكرته فقال البدوى وكم تدفع لى فيها فقال له التاجر ما يسمى الولد الا ابوه فاطلب فيها مقصودك
فقال له البدوى ما يتكلم الا انت فقال التاجر فى نفسه ان هذا البدوى جلف يابس الرأس وانا لا اعرف لها
قيمة الا انها ملكت قلبى بفصاحتها وحسن منظرها وان كانت تكتب وتقرأ فهذا من تمام النعمة عليها

وعلى من يشتريها لكن هذا البدوى لا يعرف لها قيمة ثم التفت الى البدوى وقال له يا شيخ العرب ادفع لذلك فيها مائتى دينار سالمة ليدك بخير الضمان وقانون السلطان فلما سمع ذلك البدوى اغتاظ غيظا شديدا وصرخ على التاجر وقال له قم الى حال سبيلك لو اعطيتنى مائتى دينار فى هذه القطعة العباءة التى عليها ما بعتها لك فانا لا ابيعها بل اخليها عندى ترعى الجمال وتطعن الطحين ثم صاح عليها وقال تعالى يا منتنة انا لا ابيعك ثم التفت الى التاجر وقال له كنت احسبك اهل معرفة وحق طرطورى ان لم تذهب عنى لاسمعنك ما لا يرضيك فقال التاجر فى نفسه ان هذا البدوى مجنون ولا يعرف قيمتها ولا اقول له شيأ فى ثمنها فى هذا الوقت فانه لو كان صاحب عقل ما قال وحق طرطورى والله انها تساوى خزنة من الجواهر وانا ما معى ثمنها ولكن ان طلب منى ما يريد اعطيته اياه ولو اخذ جميع مالى ثم التفت الى البدوى وقال له يا شيخ العرب طوّل بالك وقل لى ما لها من القماش عندك فقال البدوى وما تعمل قطاعة الجوارى هذه بالقماش والله ان هذه العباءة التى هى ملفوفة فيها كثيرة عليها فقال له التاجر عن اذنك اكشف عن وجهها واقلبها كما يقلب التاجر لاجل الاشتراء فقال له البدوى دونك وما تريد الله يحفظ شبابك فقلبها ظاهرا وباطنا وان شئت فعرها الثياب ثم انظرها وهى عريانة فقال التاجر معاذ الله انا ما انظر الا وجهها ثم ان التاجر تقدم اليها وهو خجلان من حسنها وجمالها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان التاجر تقدم الى نزهة الزمان وهو خجلان من حسنها وجلس الى جانبها وقال لها يا سيدتى ما اسمك فقالت له اتسألنى عن اسمى فى هذا الزمان او عن اسمى القديم فقال لها هل لك اسم جديد واسم قديم قالت نعم اسمى القديم نزهة الزمان واسمى الجديد غصة الزمان فلما سمع التاجر منها هذا الكلام تغرغرت عيناه بالدموع وقال لها هل لك اخ ضعيف فقالت اى والله يا سيدى ولكن فرق الزمان بينى وبينه وهو مريض فى بيت المقدس فتحير عقل التاجر من عذوبة منطقها وقال فى نفسه لقد صدق البدوى فى مقالته ثم ان نزهة الزمان تذكرت اخاها ومرضه وغربته وفراقها منه وهو ضعيف ولا تعلم ما وقع له وتذكرت ما جرى لها من هذا الامر مع البدوى ومن بعدها عن امها وابيها ومملكتها فجرت دموعها على خدها وارسلت العبرات وانشدت هذه الابيات

حيثما كنت قد وقالت الهوى * ايها الراحل المقيم بقلبى
ولك الله حيث امسيت جار * حافظ من صروف دهر وخطب
غبت فاستوحشت لقربك عينى * واستهلت مدامعى اى سكب
ليت شعرى باى ربع وارض * انت مستوطن بدار وشعب
ان يكن شاربا بالماء حياة * خضر الورد فالمدامع شربى
او شهدت الرقاد يوما بجفنى * من سهادى بين الفراش وجنبى
كل شئ الا فراقك سهل * عند قلبى وغيره غير صعب

فلما سمع التاجر ما قالته من الشعر بكى ومديده ليمسح دموعها عن خدها فغطت وجهها وقالت له حاشاك يا سيدى ثم ان البدوى قعد ينظر اليها وهى تغطى وجهها من التاجر حيث اراد ان يمسح

دمعها عن خدها فاعتقدانها تمنعه من التقليب فقام اليها يجرى وكان معه مقود جمل فرفعه فى يده وضربها به على اكتافها فجاءت الضربة بقوة فانكبت بوجهها على الارض فجاءت حصاة من الارض فى حاجبها فشقته فسال دمها على وجهها فصرخت صرخة عظيمة وغشى عليها وبكت وبكى التاجر معها فقال التاجر لابدان اشترى هذه الجارية ولو بثقلها ذهبا واريحها من هذا الظالم وصار التاجر يشتم البدوى وهى فى غشيتها فلما افاقت مسحت الدموع والدم عن وجهها وعصبت رأسها ورفعت طرفها الى السماء وطلبت من مولاها بقلب حزين وانشدت هذين البيتين

وارحمتا لعزيزة ✻ بالضيم قد صارت ذليله
تبكى بدمع هاطل ✻ وتقول ما فى الوعد حيله

فلما فرغت من شعرها التفتت الى التاجر وقالت له بصوت خفى بالله لاتدعنى عند هذا الظالم الذى لايعرف الله تعالى فان بت هذه الليلة عنده قتلت نفسى بيدى فخلصنى منه يخلصك الله مما تخاف فى الدنيا والاخرة فقام التاجر وقال للبدوى ياشيخ العرب هذه ليست غرضك بعنى اياها بما تريد فقال البدوى خذها وادفع ثمنها والا اروح بها الى النجع واتركها هنا تلم البعر وترعى الجمال فقال التاجر اعطيك خمسين الف دينار فقال البدوى يفتح الله فقال التاجر سبعون الف دينار فقال البدوى يفتح الله هذا ما هو رأس مالها لانها اكلت عندى اقراصا من الشعير بتسعين الف دينار فقال له التاجر انت واهلك وقبيلتك فى طول عمركم ما اكلتم بالف دينار شعيرا ولكن اقول لك كلمة واحدة فان لم ترض بها غمزت عليك والى دمشق فيأخذها منك قهرا فقال البدوى تكلم فقال بمائة الف دينار فقال البدوى بعتك اياها بهذا الثمن واقدر انى اشتريت بها ملحا فلما سمعه التاجر ضحك ومضى الى منزله واتى له بالمال واقبضه اياه فاخذه البدوى وقال فى نفسه لابد ان اذهب الى القدس لعلى اجد اخاها فاجيء به وابيعه ثم ركب وسافر حتى وصل الى بيت المقدس فذهب الى الخان وسأل عن اخيها فلم يجده هذا ما كان من امره واما ما كان من امر التاجر ونزهة الزمان فانه لما اخذها التى عليها شيأ من ثيابه ومضى بها الى منزله وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان التاجر لما تسلم الجارية من البدوى وضع عليها شيأ من ثيابه ومضى بها الى منزله والبسها الفاخر الملبوس ثم اخذها ونزل بها الى السوق واخذ لها مصاغا ووضعه فى بقجة من الاطلس ووضعها بين يديها وقال لها هذا كله من اجلك ولا اريد منك الا اذا طلعت بك الى السلطان والى دمشق ان تعلميه بالثمن الذى اشترتك به وان كان قليلا فى ظفرك واذا اشترالثمنى فاذكرى له ما فعلت معك واطلب لى منه مرقوما سلطانيا بالوصية على لاذهب به الى والده صاحب بغداد الملك عمر النعمان لاجل ان يمنع من يأخذ منى مكسا على القماش او غيره من جميع ما اتجر فيه فلما سمعت كلامه بكت وانتحبت فقال لها التاجر ياسيدتى انى اراك كلما ذكرت بغداد تدمع عيناك فهل فيها احد تحبينه فان كان تاجرا او غيره فاخبرينى فانى اعرف جميع من فيها من التجار وغيرهم وان اردت رسالة انا اوصلها اليه فقالت والله ما لى معرفة بتاجر ولا غيره وانما لى معرفة بالملك عمر النعمان صاحب بغداد فلما سمع التاجر كلامها ضحك وفرح فرحا شديدا وقال فى نفسه والله انى وصلت الى ما اريد ثم قال لها هل عرضت عليه

سابقا فقالت لابل تربيت انا وبنته فكنت عزيزة عنده ولى عنده حرمة كبيرة فان كان غرضك ان الملك عمر النعمان يكتب لك ما تريد فأنى بدواة وقرطاس فانى اكتب لك كتابا فاذا دخلت مدينة بغداد فسلم الكتاب من يدك الى يد الملك عمر النعمان وقل له ان جارية تك نزهة الزمان قد طرقتها صروف الليالى والايام حتى بيعت من مكان الى مكان وهى تقرئك السلام واذا سألك عنى فاخبره انى عند نائب دمشق فتعجب التاجر من فصاحتها وازدادت عنده محبتها وقال ما اظن الا ان الرجال لعبوا بعقلك وباعوك بالمال فهل تحفظين القرآن قالت نعم واعرف الحكمة والطب ومقدمة المعرفة وشرح فصول بقراط لجالينوس الحكيم وشرحته ايضا وقرأت التذكرة وشرحت البرهان وطالعت مفردات ابن البيطار وتكلمت على القانون لابن سينا وحليت الرموز ووضعت الاشكال وتحدثت فى الهندسة واتقنت حكمة الابدان وقرأت كتب الشافعية وقرأت الحديث والنحو وناظرت العلماء وتكلمت فى سائر العلوم والفت فى علم المنطق والبيان والحساب والجدل واعرف الروحانى والميقات وفهمت هذه العلوم كلها ثم قالت ائتنى بدواة وقرطاس حتى اكتب لك كتابا يسليك فى الاسفار ويغنيك عن مجلدات الاسفار فلما سمع التاجر منها هذا الكلام صاح بخ بخ فيا سعد من تكونين فى قصره ثم اتاها بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما احضر التاجر ذلك بين يديها قبل الارض تعظيما لها فاخذت نزهة الزمان الدرج وتناولت القلم وكتبت فى الدرج هذه الابيات

مابال نومى من عينى قد نفرا * اانت علمت طرفى بعدك السهرا
ومالذكرك يذكى النار فى كبدى * اهكذا كل صب للهوى ذكر
سقيا لايامنا ما كان اطيبها * مضت ولم اقض من لذاتها وطرا
استعطف الريح ان الريح حاملة * الى المتيم من اكنافكم خبرا
يشكو اليك محب قل ناصره * وللفراق خطوب تصدع الحجرا

ثم انها لما فرغت من كتابة هذا الشعر كتبت بعد ذلك هذا الكلام وهى تقول من استولى عليها الفكر واتعبها السهر فظلمتها لا تجد لها من انوار ولا تعلم الليل من النهار وتتقلب على مراقد البين وتكتحل بمراود الارق ولم تزل للنجوم رقيبة وللظلام نقيبة قد اذابها الفكر والنحول وشرح حالها يطول لا مساعد لها غير العبرات وانشدت هذه الابيات

ما غردت سحرا ورقاء فى فنن * الا تحرك عندى قاتل الشجن
ولا تأوه مشتاق به طرب * الى الاحبة الا ازددت فى حزنى
اشكو الغرام الى من ليس يرحمنى * كم فرق الوجد بين الروح والبدن

ثم افاضت دموع العين وكتبت ايضا هذين البيتين

ابلى الهوى اسفا يوم النوى بدنى * وفرق الهجر بين الجفن والوسن
كفى بجسمى نحولا انى دنف * لو لا مخاطبتى اياك لم ترنى

وبعد ذلك كتبت فى اسفل الدرج هذا من عند البعيدة عن الاهل والاوطان الحزينة القلب والجنان نزهة الزمان ثم طوت الدرج وناولته للتاجر فاخذه وقبله وعرف ما فيه ففرح وقال سبحان من صورك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان كتبت الكتاب وناولته للتاجر فاخذه وقرأه وعلم ما فيه فقال سبحان من صور لك وزاد في اكرامها وصار يلاطفها نهاره كله فلما اقبل الليل خرج الى السوق واتى بشيء فاطعمها اياه ثم ادخلها الحمام واتى لها ببلانة وقال لها اذا فرغت من غسل رأسها فالبسيها ثيابها ثم ارسلي اعلميني بذلك فقالت سمعا وطاعة ثم احضر لها طعاما وفاكهة وشمعا وجعل ذلك على مسطبة الحمام فلما فرغت البلانة من تنظيفها البستها ثيابها ولما خرجت من الحمام وجلست على مسطبته وجدت المائدة حاضرة فاكلت هي والبلانة من الطعام والفاكهة وتركا الباقي لحارسة الحمام ثم باتت الى الصباح وبات التاجر منعزلا عنها في مكان آخر فلما استيقظ من نومه ايقظ نزهة الزمان واحضر لها قميصا رفيعا وكوفية بالف دينار وبدلة لباس تركية مزركشة بالذهب وخفا مزركشا بالذهب الاحمر مرصعا بالدر والجوهر وجعل في اذنيها حلقا من اللؤلؤ بالف دينار ووضع في رقبتها طوقا من الذهب وقلادة من العنبر تضرب تحت نهديها فوق سرتها وتلك القلادة فيها عشرا كر وتسعة اهلة كل هلال في وسطه فص من الياقوت وكل اكرة فيها فص من البلخش وثمن تلك القلادة ثلاثة آلاف دينار فصارت الكسوة التي كساها اياها بجملتها بليغة من المال ثم امرها التاجران تتزين باحسن الزينة ومشت ومشى التاجر قدامها فلما عاينها الناس بهتوا في حسنها وقالوا تبارك الله احسن الخالقين هنيئا لمن كانت هذه عنده وما زال التاجر يمشي وهي تمشي خلفه حتى دخل على الملك شركان فلما دخل على الملك قبل الارض بين يديه وقال ايها الملك السعيد اتيت لك بهدية غريبة الاوصاف عديمة النظير في هذا الزمان قد جمعت بين الحسن والاحسان فقال له الملك قصدي ان اراها عيانا فخرج التاجر واتى بها حتى اوقفها قدامه فلما رآها الملك شركان حن الدم الى الدم وكانت قد فارقته وهي صغيرة ولم ينظرها لانه بعد مضي مدة من ولادتها سمع ان له اختا تسمى نزهة الزمان واخا يسمى ضوء المكان فاغتاظ من ابيه غيظا شديدا غيرة على المملكة كما تقدم ولما قدمها اليه التاجر قال له يا ملك الزمان انها مع كونها بديعة الحسن والجمال بحيث لا نظير لها في عصرها تعرف جميع العلوم الدينية والدنيوية والسياسية والرياضية فقال له الملك خذ ثمنها مثل ما اشتريتها ودعها وتوجه الى حال سبيلك فقال له التاجر سمعا وطاعة ولكن اكتب لي مرقوما انى لا ادفع عشرا ابدا على تجارتي فقال الملك اني افعل لك ذلك ولكن اخبرني كم وزنت ثمنها فقال وزنت ثمنها مائة الف دينار وكسوتها بمائة الف دينار فلما سمع ذلك الملك قال انا اعطيك في ثمنها اكثر من ذلك ثم دعا بخازن داره وقال له اعط هذا التاجر ثلثمائة الف دينار وعشرين الف دينار ثم ان شركان احضر القضاة الاربعة وقال لهم اشهدكم اني اعتقت جاريتي هذه واريد ان اتزوجها فكتب القضاة حجة باعتاقها ثم كتبوا كتابه عليها ونثر الملك على رؤوس الحاضرين ذهبا كثيرا وصار الغلمان والخدم يلتقطون ما نثره عليهم الملك من الذهب ثم ان الملك امر بكتابة منشور الى التاجر على طبق مراده من انه لا يدفع على تجارته عشرا ولا يتعرض له احد بسوء في سائر مملكته وبعد ذلك امر له بخلعة سنية وادر لشهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية لستين

قالت

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك امر بكتابة منشور للتاجر على طبق مراده من انه لا يدفع على تجارته عشر ابدا ولا يتعرض له احد بسوء فى تجارته وبعد ذلك امر له بخلعة سنية ثم صرف جميع من عنده ولم يبق عنده غير القضاة والتاجر وقال للقضاة اريد ان تسمعوا من الفاظ هذه الجارية ما يدل على علمها وادبها من كل ما ادعاه التاجر لتحقق صدق كلامه فقالوا الاباس بذلك فامر بارخاء ستارة بينه هو ومن معه وبين الجارية ومن معها وصار جميع النساء التى مع الجارية خلف الستارة يقبلن يديها ورجليها لما علموا انها صارت زوجة الملك ثم درن حولها وقمن بخدمتها وخففن ما عليها من الثياب وصرن ينظرن حسنها وجمالها وجمعت نساء الامراء والوزراء ان الملك شركان اشترى جارية لا مثل لها فى الجمال والعلم والادب وانها حوت جميع العلوم وقد وزن ثمنها ثلثمائة الف دينار وعشرين الف دينار واعتقها وكتب كتابه عليها واحضر القضاة الاربعة لاجل امتحانها حتى ينظر كيف تجاوبهم عن اسئلتهم فطلب النساء الاذن من ازواجهن ومضين الى القصر الذى فيه نزهة الزمان فلما دخلن عليها وجدن الخدم وقوفا بين يديها وحين رأت نساء الامراء والوزراء داخلة عليها قامت اليهن وقابلتهن وقامت الجوارى خلفها وتلقت النساء بالترحيب وصارت تتبسم فى وجوههن فاخذت قلوبهن وانزاتهن فى مراتبهن كانها تربت معهن فتعجبن من حسنها وجمالها وعقلها وادبها وقلن لبعضهن ما هذه جارية بل هى ملكة بنت ملك وصرن يعظمن قدرها وقلن لها يا سيدتنا اصارت بلك بلدتنا وشرفت بلادنا ومملكتنا فالمملكة مملكتك والقصر قصرك وكلنا جواريك فبالله لا تخلينا من احسانك والنظر الى حسنك فشكرتهن على ذلك هذا كله والستارة مرخاة بين نزهة الزمان ومن عندها من النساء وبين الملك شركان هو والقضاة الاربعة والتاجر ثم بعد ذلك ناداها الملك شركان وقال لها ايتها الجارية العزيزة فى زمانها ان هذا التاجر قد وصفك بالعلم والادب وادعى انك تعرفين فى جميع العلوم حتى علم النجوم فاسمعينا من كل باب طرفا يسيرا فلما سمعت كلامه قالت سمعا وطاعة ايها الملك الباب الاول فى السياسات والاداب الملكية وما ينبغى لولاة الامور الشرعية وما يلزمهم من قبل الاخلاق المرضية اعلم ايها الملك ان مقاصد الخلق منتهية الى الدين والدنيا لانه لا يتوصل احد الى الدين الا بالدنيا فان الدنيا نعم الطريق الى الاخرة وليس ينتظم امر الدنيا الا باعمال اهلها واعمال الناس تنقسم على اربعة اقسام الامارة والتجارة والزراعة والصناعة فالامارة ينبغى لها السياسة التامة والفراسة الصادقة لان الامارة مدار عمار الدنيا التى هى طريق الى الاخرة لان الله تعالى جعل الدنيا للعباد كزاد المسافر الى تحصيل المراد فينبغى لكل انسان ان يتناول منها بقدر ما يوصله الى الله ولا يتبع فى ذلك نفسه وهواه ولو تناولها الناس بالعدل لانقطعت الخصومات ولكنهم يتناولونها بالجور ومتابعة الهوى فتسببت عن انهماكهم عليها الخصومات فاحتاجوا الى سلطان لاجل ان ينصف بينهم ويضبط امورهم ولولا ردع الملك الناس عن بعضهم لغلب قويهم على ضعيفهم وقد قال ازدشير ان الدين والملك توءمان فالدين كنز والملك حارس وقد دلت الشرائع والعقول على انه يجب على الناس ان يتخذوا سلطانا يدفع الظالم عن المظلوم وينصف الضعيف من القوى ويكف باس العاتى والباغى واعلم ايها الملك انه على قدر حسن اخلاق السلطان يكون الزمان فانه قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيان فى الناس ان صلحا صلح الناس وان فسدا فسد الناس العلماء والامراء وقد قال بعض الحكماء الملوك ثلاثة ملك دين وملك محافظة على الحرمات وملك هوى فاما ملك الدين فانه يلزم رعيته باتباع دينهم وينبغى ان يكون اديبهم لانه هو الذى يقتدى به فى امور الدين ويلزم الناس طاعته فيما

امره موافقا للاحكام الشرعية ولكنه ينزل الساخط منزلة الراضي بسبب التسليم الى الاقدار واما ملك المحافظة على الحرمات فانه يقوم بامور الدين والدنيا ويلزم الناس باتباع الشرع والمحافظة على المروءة ويكون جامعا بين القلم والسيف فمن زاغ عما سطر القلم زلت به القدم فيقوم اعوجاجه بحد الحسام وينشر العدل في جميع الانام واما ملك الهوى فلا دين له الا اتباع هواه ولم يخش سطوة مولاه الذي ولاه فما زال ملكه الى الدمار ونهاية عتوه الى دار البوار وقالت الحكماء الملك يحتاج الى كثير من الناس وهم محتاجون الى واحد ولاجل ذلك وجب ان يكون عارفا باخلاقهم ليرد اختلافهم الى وفاقهم ويعمهم بعدله ويغمرهم بفضله واعلم ايها الملك ان ازدشير وهو الثالث من ملوك الفرس قد ملك الاقاليم جميعها وقسمها على اربعة اقسام وجعل له من اجل ذلك اربع خواتم لكل قسم خاتم الاول خاتم البحر والشرطة والحاماة وكتب عليه النيابات الثاني خاتم الخراج وجباية الاموال وكتب عليه العمارة الثالث خاتم القوت وكتب عليه الرخاء الرابع خاتم المظالم وكتب عليه العدل واستمرت هذه الرسوم في الفرس الى ان ظهر الاسلام وكتب كسرى لابنه وهو في جيشه لا توسعن على جيشك فيستغنوا عنك وادر لشهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان كسرى كتب لابنه وهو في جيشه لا توسعن على جيشك فيستغنوا عنك ولا تضيق عليهم فيضجروا منك واعطهم عطاء مقتصدا وامنحهم منحا جميلا ووسع عليهم في الرخاء ولا تضيق عليهم في الشدة وروي ان اعرابيا جاء الى المنصور وقال له اجعل كلبك يتبعك فغضب المنصور من الاعرابي لما سمع منه هذا الكلام فقال ابو العباس الطوسي اخشى ان يلوح له غير لئ برغيف فيتبعه ويترك فسكن غيظ المنصور وعلم انها كلمة لا تخطئ وامر للاعرابي بعطية واعلم ايها الملك انه كتب عبد الملك بن مروان لاخيه عبد العزيز بن مروان حين وجهه الى مصر تفقد كتابك وحجابك فان الثابت يخبرك عنه كتابك والتوسيم تعرفك به حجابك والخارج من عندك يعرفك بجيشك وكان عمر بن الخطاب اذا استخدم خادما شرط عليه اربعة شروط ان لا يركب البراذين وان لا يلبس الثياب النفيسة وان لا يأكل من النقي وان لا يؤخر الصلاة عن وقتها وقيل لاعمال اجود من العقل ولا عقل كالتدبير والحزم ولا حزم كالتقوى ولا قربة كحسن الخلق ولا ميزان كالادب ولا فائدة كالتوفيق ولا تجارة كالعمل الصالح ولا ربح كثواب الله ولا ورع كالوقوف عند حدود السنة ولا علم كالتفكر ولا عبادة كالفرائض ولا ايمان كالحياء ولا حسب كالتواضع ولا شرف كالعلم فاحفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى واذكر الموت والبلاء وقال علي اتقوا شرار النساء وكونوا منهن على حذر ولا تشاوروهن في امر ولا تضيقوا عليهن في معروف حتى لا يطمعن في المكر وقال من ترك الاقتصاد حار عقله وقال عمر رضي الله عنه النساء ثلاثة امرأة مسلمة تقية ودود ولود تعين بعلها على الدهر ولا تعين الدهر على بعلها واخرى تراد للولد لا تزيد على ذلك واخرى يجعلها الله غلا في عنق من يشاء والرجال ايضا ثلاثة رجل عاقل اذا اقبل على رأيه وآخر اعقل منه وهو من اذا نزل به امر لا يعرف عاقبته فيأتي ذوي الرأي فينزل عند آرائهم واخر حائر لا يعلم رشدا ولا يطيع مرشدا والعدل لا بد منه في كل الاشياء حتى ان الجواري يحتجن الى العدل وضربوا لذلك مثلا في قطاع الطريق المقيمين على ظلم الناس فانهم لو لم يتناصفوا فيما بينهم ويستعملوا الواجب فيما يقسمونه لاختل نظامهم

وبالجملة فسيد مكارم الاخلاق الكرم وحسن الخلق وما احسن قول الشاعر

بذل وحلم سادفي قومه الفتى * وكونك اياه عليك يسير

وقال الاخر

ففي الحلم اتقان وفي العفو هيبة * وفي الصدق منجاة لمن كان صادقا

ومن يلتمس حسن الثناء بماله * يكن بالندى في حلبة المجد سابقا

ثم ان نزهة الزمان تكلمت في سياسة الملوك حتى قال الحاضرون ما رأينا احدا تكلم في باب السياسة مثل هذه الجارية فلعلها سمعنا شيأ من غير هذا الباب فسمعت نزهة الزمان ما قالوه وفهمته فقالت واما باب الادب فانه واسع المجال لانه مجمع الكمال فقد اتفق ان بني تميم وفدوا على معاوية ومعهم الاحنف بن قيس فدخل حاجب معاوية عليه ليستأذنه لهم في الدخول فقال يا امير المؤمنين ان اهل العراق يريدون الدخول عليك ليتحدثوا معك فاسمع حديثهم فقال معاوية انظروا من بالباب فقالوا بنو تميم قال ليدخلوا فدخلوا ومعهم الاحنف بن قيس فقال له معاوية اقرب مني يا ابا بحر بحيث اسمع كلامك ثم قال يا ابا بحر كيف رأيك لي قال يا امير المؤمنين افرق الشعر وقص الشارب وقلم الاظافر وانتف الابط واحلق العانة وادم السواك فان فيه اثنين وسبعين فضيلة وغسل الجمعة كفارة لما بين الجمعتين وادر لك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الاحنف بن قيس قال لمعاوية لما سأله وادم السواك فان فيه اثنين وسبعين فضيلة وغسل الجمعة كفارة لما بين الجمعتين قال له معاوية كيف رأيك لنفسك قال اوطئ قدمي على الارض وانقلها على تمهل واراعيها بعيني قال كيف رأيك اذا دخلت على نفر من قومك دون الامراء قال اطرق حياء وابدأ بالسلام وادع ما لا يعنيني واقل الكلام قال كيف رأيك اذا دخلت على نظرائك قال استمع لهم اذا قالوا ولا اجول عليهم اذا جالوا قال كيف رأيك اذا دخلت على امرائك قال اسلم من غير اشارة وانتظر الاجابة فان قربوني قربت وان ابعدوني بعدت قال كيف رأيك مع زوجتك قال اعفني من هذا يا امير المؤمنين قال اقسمت عليك ان تخبرني قال احسن الخلق واظهر العشرة واوسع النفقة فان المرأة خلقت من ضلع اعوج قال فما رأيك اذا اردت ان تجامعها قال اكلمها حتى تطيب نفسها والتمها حتى تطرب فان كان الذي تعلم طرحتها على ظهرها وان استقرت النطفة في قرارها قلت اللهم اجعلها مباركة ولا تجعلها شقية وصورها احسن تصوير ثم اقوم عنها الى الوضوء فافيض الماء على يدي ثم اصبه على جسدي ثم احمد الله على ما اعطاني من النعم فقال معاوية احسنت في الجواب فقل حاجتك فقال حاجتي ان تتقي الله في الرعية وتعدل بينهم بالسوية ثم نهض قائما من مجلس معاوية فلما ولى قال معاوية لو لم يكن بالعراق الا هذا الكفى ثم ان نزهة الزمان قالت وهذه النبذة من جملة باب الادب واعلم ايها الملك انه كان معيقب عاملا على بيت المال في خلافة عمر بن الخطاب وادر لك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت واعلم ايها الملك انه كان معيقب عاملا على بيت المال

فى خلافة عمر بن الخطاب فاتفق انه رأى ابن عمر يوما فاعطاه درهما من بيت المال قال معيقب وبعد ان اعطيته الدرهم انصرفت الى بيتى فبينما انا جالس واذا برسول عمر جاءنى فرهبت منه وتوجهت اليه فاذا الدرهم فى يده وقال لى ويحك يا معيقب انى قد وجدت فى نفسك شيأ قلت وماذاك يا امير المؤمنين قال انك تخاصم امة محمد صلى الله عليه وسلم فى هذا الدرهم يوم القيامة وكتب عمر الى ابى موسى الاشعرى كتابا مضمونه اذا جاءك كتابى هذا فاعط الناس الذى لهم واحمل الى ما بقى ففعل فلما ولى عثمان الخلافة كتب الى ابى موسى مثل ذلك ففعل وجاء زياد معه فلما رضع الخراج بين يدى عثمان جاء ولده فاخذ منه درهما فبكى زياد فقال عثمان ما يبكيك قال اتيت عمر بن الخطاب بمثل ذلك فاخذ ابنه درهما فامر بنزعه من يده وابنك اخذ فلم ار احدا ينزعه منه او يقول له شيأ فقال عثمان واين تلقى مثل عمر وروى زيد بن اسلم عن ابيه انه قال خرجت مع عمر ذات ليلة حتى اشرفنا على نار تضرم فقال يا اسلم انى احسب هؤلاء ركبا اضرتهم البرد فانطلق بنا اليهم فخرجنا حتى اتينا اليهم فاذا امرأة توقد نارا تحت قدر ومعها صبيان يتضرعون فقال عمر السلام عليكم اصحاب الضوء وكره ان يقول اصحاب النار ما بالكم قالت اضرنا البرد والليل قال فما بال هؤلاء القوم يتضرعون قالت من الجوع قال فما هذه القدر قالت ما اسكتهم به وان عمر بن الخطاب ليسأله الله عنهم يوم القيامة قال وما يدرى عمر بحالهم قالت كيف يتولى امور الناس ويغفل عنهم قال اسلم فاقبل عمر علينا وقال انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى اتينا دار الصرف فاخرج عدلا فيه دقيق واناء فيه شحم ثم قال حملنى هذا فقلت انا احمله عنك يا امير المؤمنين فقال اتحمل عنى وزرى يوم القيامة لحملته اياه وخرجنا نهرول حتى اتينا ذلك العدل عندها ثم اخرج من الدقيق شيأ وجعل يقول للمرأة تردى الى وكان ينفخ تحت القدر وكان ذو لحية عظيمة فرأيت الدخان يخرج من خلال لحيته حتى طبخ واخذ مقدارا من الشحم فرماه فيه ثم قال اطعميهم واما برد لهم ولم يزالوا حتى اكلوا وشبعوا وترك الباقى عندها ثم اقبل علينا وقال يا اسلم انى رأيت الجوع ابكاهم فاحببت ان لا انصرف حتى يتبين لى سبب الضوء الذى رأيته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والستون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت قيل ان عمر مر برعاء مملوك فاستباعه شاة فقال له انها ليست لى فقال انت اقصد فاشتراه ثم اعتقه وقال اللهم كما رزقتنى العتق الاصغر فارزقنى العتق الاكبر وقيل ان عمر بن الخطاب كان يطعم الخليب للخدم ويأكل الغليظ ويكسوهم اللين ويلبس الخشن ويعطى الناس حقوقهم ويزيد فى عطائهم واعطى رجلا اربعة الاف درهم وزاده الفا فقيل له اما تزيد ابنك كما زدت هذا قال هذا ثبت والده يوم احد وقال الحسن اتى عمر بمال كثير فاتته حفصة وقالت له يا امير المؤمنين حق قرابتك فقال يا حفصة انما اوصى الله بحق قرابتى واما مال المسلمين فلا يا حفصة قد رضيت قومك واغضبت ابالك فقامت تجر ذيلها وقال ابن عمر تضرعت الى ربى سنة من السنين ان يريحنى حتى رأيته يمسح العرق عن جبينه فقلت له ما حالك يا والدى فقال لولا رحمة ربى لهلك ابوك ثم قالت نزهة الزمان اسمع ايها الملك السعيد الفصل الثانى من الباب الثانى وهو باب الادب والفضائل وما ذكر فيه من اخبار التابعين والصالحين قال الحسن البصرى لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا وهو يتأسف على ثلاثة اشياء عدم تمتعه بما جمع وعدم ادراكه لما امل وعدم استعداده بكثرة الزاد لما هو

قادم عليه وقيل لسفيان هل يكون الرجل زاهدا وله مال قال نعم اذا كان متى ابتلى صبر ومتى اعطى شكر وقيل لما حضرت عبد الله ابن شداد الوفاة احضر ولده محمدا فاوصاه وقال له يا بنى انى لارى داعى الموت قد دعانى فاتق ربك فى السر والعلانية واشكر الله على ما انعم واصدق فى الحديث فالشكر يؤذن بازدياد النعم والتقوى خير زاد فى المعاد كما قال بعضهم

ولست ارى السعادة جمع مال * ولكن التقى هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد حقا * وعند الله تلقى ما تريد

ثم قالت نزهة الزمان ليسمع الملك هذه النكت من الفصل الثانى من الباب الاول قيل لها وما هى قالت لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة جاء لاهل بيته فاخذ ما بايديهم ووضعه فى بيت المال ففزعت بنو امية الى عمته فاطمة بنت مروان فارسلت اليه قائلة انه لا بد من لقائك ثم اتته ليلا فانزلها عن دابتها فلما اخذت مجلسها قال لها يا عمة انت اولى بالكلام لان الحاجة لك فاخبرينى عن مرادك فقالت يا امير المؤمنين انت اولى بالكلام ورأيك يستشف ما يخفى عن الافهام فقال عمر بن عبد العزيز ان الله تعالى بعث محمدا رحمة للعالمين وعذابا للقوم آخرين ثم اختار له ما عنده فقبضه اليه وادر لك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والستون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت فقال عمر بن عبد العزيز ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين وعذابا للقوم آخرين ثم اختار له ما عنده فقبضه اليه وترك للناس نهرا يروى عطاشهم ثم قام ابو بكر خليفة بعده فاجرى النهر مجراه وعمل ما يرضى الله ثم قام عمر بعد ابى بكر فعمل خيرا عمال الابرار واجتهد اجتهادا ما يقدر احد على مثله فلما قام عثمان اشتق من النهر نهرا ثم ولى معاوية فاشتق منه الانهار ثم لم يزل كذلك يشتق منه يزيد وبنو امروان كعبد الملك والوليد وسليمان حتى آل الامر الى فاحببت ان ارد النهر الى ما كان عليه فقالت قد اردت كلامك ومذاكرتك فقط فان كانت هذه مقالتك فلست بذاكرة لك شيأ ورجعت الى بنى امية فقالت لهم ذوقوا عاقبة امركم بتزويجكم الى عمر بن الخطاب وقيل لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة جمع اولاده حوله فقال له مسلمة بن عبد الملك يا امير المؤمنين كيف تترك اولادك فقراء وانت راعيهم فما يمنعك احد فى حياتك من ان تعطيهم من بيت المال ما يغنيهم وهذا اولى من ان ترجعه الى الوالى بعدك فنظر الى مسلمة نظر مغضب متعجب ثم قال يا مسلمة منعتهم ايلم حياتى فكيف اشقى بهم بعد مماتى ان اولادى لا بين رجلين اما مطيع لله تعالى فالله يصلح شأنه واما عاص فما كنت لاعينه على معصية يا مسلمة انى حضرت وايالك حين دفن بعض بنى مروان فحملتنى عينى فرأيته فى المنام اقضى الى امر من امور الله عز وجل فهالنى وراعنى فعاهدت الله ان لا اعمل عمله ان وليت وقد اجتهدت فى ذلك مدة حياتى وارجو ان افضى الى عفو ربى قال مسلمة بقى رجل حضرت دفنه فلما فرغت من دفنه حملتنى عينى فرأيته فيما يرى النائم فى روضة فيها انهار جارية وعليه ثياب بيض فاقبل على وقال يا مسلمة لمثل هذا فليعمل العاملون ونحو هذا كثير وقال بعض الثقاة كنت احلب الغنم فى خلافة عمر بن عبد العزيز فمرورت براع فرأيت مع غنمه ذئبا او ذئابا فظننت انها كلابها ولم اكن رأيت الذئاب قبل ذلك فقلت ما تصنع بهذه الكلاب فقال انها ليست كلابا بل هى ذئاب فقلت هل ذئاب فى غنم لم تضرها

فقال اذا صلح الرأس صلح الجسد وخطب عمر بن عبد العزيز على منبر من طين فحمد الله واثنى عليه ثم تكلم بثلاث كلمات فقال ايها الناس اصلحوا اسراركم لتصلح علانيتكم لاخوانكم وتكفوا امر دنياكم واعلموا ان الرجل ليس بينه وبين آدم رجل حي فى الموتى مات عبد الملك ومن قبله ويموت عمر ومن بعده فقال له مسلمة يا امير المؤمنين لو عملنا لك منبرا لتعتمد عليه قليلا فقال اخاف ان يكون فى عنقى منه اثم يوم القيامة ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه فقالت فاطمة يا مريم يا مزاحم يا فلان انظروا هذا الرجل فجاءت فاطمة ونضب عليه الماء وبكى حتى افاق من غشيته فرأها تبكى فقال ما يبكيك يا فاطمة قالت يا امير المؤمنين رأيت مصرعك بين ايدينا فتذكرت مصرعك بين يدى الله عز وجل للموت وتخليك عن الدنيا وفراقك لنا فذاك الذى ابكانا فقال حسبك يا فاطمة فلقد ابلغت ثم اراد القيام فنهض فسقط فضمته فاطمة اليها وقالت بابى انت وامى يا امير المؤمنين ما نستطيع ان نكلمك كلنا ثم ان نزهة الزمان قالت لاخيها شركان وللقضاة الاربعة تمة الفصل الثانى من الباب الاول وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والستون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت لاخيها شركان وهى لم تعرفه بحضور القضاة الاربعة والتاجر تمة الفصل الثانى من الباب الاول اتفق انه كتب عمر بن عبد العزيز الى اهل الموسم اما بعد فانى اشهد الله فى الشهر الحرام والبلد الحرام ويوم الحج الاكبر انى امرق من ظلمكم وعدوان من اعتدى عليكم ان اكون امرت بذلك او تعمدته او يكون امر من امور بلغنى او احاط به علمى وارجو ان يكون لذلك موضعا من الغفران الا انه لا اذن منى بظلم احد فانى مسؤل عن كل مظلوم الا واى عامل من عمالى زاغ عن الحق وعمل بلا كتاب ولا سنة فلا طاعة له عليكم حتى يرجع الى الحق وقال رضى الله عنه ما احب ان يخفف عنى الموت لانه آخر ما يؤجر عليه المؤمن وقال بعض النقاة قدمت على امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وهو خليفة فرأيت بين يديه اثنى عشر درهما فامر بوضعها فى بيت المال قلت يا امير المؤمنين انك افقرت اولادك وجعلتهم عيالا لا شئ لهم فلو اوصيت اليهم بشئ والى من هو فقير من اهل بيتك فقال ادن منى فدنوت منه فقال اما قولك افقرت اولادك فاوص اليهم او الى من هو فقير من اهل بيتك فغير سديد لان الله خليفتى على اولادى وعلى من هو فقير من اهل بيتى وهو وكيل عليهم وهم ما بين رجلين اما رجل يتقى الله فسيجعل الله له مخرجا واما رجل معتكف على المعاصى فانى لم اكن لاقويه على معصية الله ثم بعث اليهم واحضرهم بين يديه وكانوا اثنى عشر ذكرا فلما نظر اليهم ذرفت عيناه بالدموع ثم قال ان اباكم ما بين امرين اما ان تستغنوا فيدخل ابوكم النار واما ان تفتقروا فيدخل ابوكم الجنة ودخول ابيكم الجنة احب اليه من ان تستغنوا قوموا قد وكلت امركم الى الله وقال خالد ابن صفوان صحبنى يوسف بن عمر الى هشام بن عبد الملك فلما قدمت عليه وقد خرج بقرابته وخدمه فنزل فى ارض وضرب له خباء فلما اخذت الناس مجالسهم خرجت من ناحية البساط فنظرت اليه فلما صارت عينى فى عينه قلت له تم الله نعمته عليك يا امير المؤمنين وجعل ما قلدك من هذه الامور رشدا ولا خالط سرورك اذى يا امير المؤمنين انى لم اجد لك نصيحة ابلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك فاستوى جالسا وكان متكئا وقال هات ما عندك يا ابن صفوان فقال يا امير المؤمنين ان ملكا من الملوك

خرج قبلك فى عام قبل عامك هذا الى هذه الارض فقال لجلسائه هل رأيتم مثل ما اتانا فيه وهل اعطى احدا مثل ما اعطيته وكان عنده رجل من بقايا حملة الحجة والمعينين على الحق السالكين فى منهاجه فقال ايها الملك انك سألت عن امر عظيم اتاذن لى فى الجواب عنه قال نعم قال ارأيت الذى انت فيه شيأ لم يزل ام شيأ زائلا فقال هو شئ زائل قال فما ترى اراك قد احببت بشئ تكون فيه قليلا وتسأل عنه طويلا وتكون عند حسابه مرتهنا قال فاين المهرب واين المطلب قال ان تقيم فى ملكك فتعمل بطاعة الله تعالى او تلبس اطمارك وتعبد ربك حتى يأتيك اجلك فاذا كان السحر فانى قادم عليك قال خالدين صفوان ثم ان الرجل قرع عليه بابه عند السحر فرآه قد وضع تاجه وتهيأ للسياحة من عظم موعظته فبكى هشام بن عبد الملك بكاء كثيرا حتى بل لحيته وامر بنزع ما عليه ولزم قصره فاتت الموالى والخدم الى خالدين صفوان وقالوا اهكذا فعلت بامير المؤمنين افسدت لذته ونغصت حياته ثم ان نزهة الزمان قالت لشركان وكم فى هذا الباب من النصايح انى لا عجز عن الاتيان بجميع ما فى هذا الباب فى مجلس واحد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والستون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت لشركان وكم فى هذا الباب من النصايح انى لا عجز عن الاتيان لك بجميع ما فى هذا الباب فى مجلس واحد ولكن على طول الايام يا ملك الزمان يكون خير فقالت القضاة ايها الملك ان هذه الجارية اعجوبة الزمان ويتيمة العصر والاوان فانا ما رأينا ولا سمعنا بمثلها فى زمن من الازمان ثم انهم دعوا للملك وانصرفوا فعند ذلك التفت شركان الى خدامه وقال لهم اشرعوا فى عمل العرس وهيؤا الطعام من جميع الالوان فامتثلوا امره فى الحال وهيؤا جميع الاطعمة وامر نساء الامراء والوزراء وارباب الدولة ان لا ينصرفوا حتى يحضروا الجلاء والعرس فجاء وقت العصر حتى مدوا السفرة مما تشتهى الانفس وتلذ الاعين واكل جميع الناس حتى اكتفوا وامر الملك ان تحضر كل مغنية فى دمشق فحضرن وكذلك جوارى الملك اللاتى يعرفن الغناء وطلع جميعهن الى القصر فلما اتى المساء واظلم الظلام اوقدوا الشموع من باب القلعة الى باب القصر يمينا وشمالا ومشى الامراء والوزراء والكبراء بين يدى الملك شركان واخذت المواشط الصبية لتزينها وتلبسها فرأتها لا تحتاج الى زينة وكان الملك شركان قد دخل الحمام فلما خرج جلس على المنصة وجليت عليه العروس ثم خففوا عنها ثيابها واوصوها بما توصى به البنات ليلة الزفاف ودخل عليها شركان واخذ وجهها وعلقت منه فى تلك الليلة واعلمته بذلك ففرح فرحا شديدا وامر الحكماء ان يكتبوا تاريخ الحمل فلما اصبح جلس على الكرسى وطلع له ارباب دولته وهنوه واحضر كاتب سره وامره ان يكتب كتابا الى والده عمر النعمان بانه اشترى جارية ذات علم وادب قد حوت فنون الحكمة وانه لا بد من ارسالها الى بغداد لتزور اخاه ضوء المكان واخته نزهة الزمان وانه اعتقها وكتب كتابه عليها ودخل بها وحملت منه ثم ختم الكتاب وارسله الى ابيه صحبة بريد فغاب ذلك البريد شهرا كاملا ثم رجع اليه بالجواب وناوله اياه فاخذه وقرأه فاذا فيه بعد البسملة هذا من عند الخائر الولهان الذى فقد الولدان وهجر الاوطان الملك عمر النعمان الى ولده شركان اعلم انه بعد مسيرك من عندى ضاق على المكان حتى لا استطيع صبرا ولا اقدر ان اكتم سرا وسبب ذلك انى ذهبت الى الصيد والقنص وكان ضوء المكان قد طلب منى الذهاب الى الحجاز فخفت عليه نوائب الزمان ومنعته من السفر الى العام الثانى

او الثالث فلما ذهبت الى الصيد والقنص غبت شهرا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك عمر النعمان قال في مكتوبه فلما ذهبت الى الصيد والقنص غبت شهرا فلما اتيت وجدت اخاك واختك اخذا شيأ من المال وسافرا مع الحجاج خفية فلما علمت بذلك ضاق بي الفضاء وقد انتظرت مجيء الحجاج لعلهما يجيبان معهم فلما جاء الحجاج سألت عنهما فلم يخبر في احد بخبرهما فلبست لاجلهما ثياب الحزن وانا مرهون الفؤاد عديم الرقاد غريق دمع العين ثم انشد هذين البيتين

خيالهما عندي وليس بغائب * جعلت له في القلب اشرف موضع
ولولا رجاء العود ما عشت ساعة * ولولا خيال الطيف لم اتمتع

ثم كتب من جملة المكتوب وبعد السلام عليك وعلى من عندك اعرفك انك لا تتهاون في كشف الاخبار فان هذا علينا عار فلما قرأ الكتاب حزن على ابيه وفرح لفقد اخته واخيه واخذ الكتاب ودخل به على زوجته نزهة الزمان ولم يعلم انها اخته وهي لا تعلم انه اخوها مع انه يتردد عليها ليلا ونهارا الى ان كملت اشهرها وجلست على كرسي الطلق فسهل الله عليها الولادة فولدت بنتا فارسلت تطلب شركان فلما رأته قالت له هذه بنتك فسمها ما تريد فقال عادة الناس ان يسموا اولادهم في سابع يوم ولادتهم ثم انحنى شركان على ابنته وقبلها فوجد في عنقها خرزة معلقة من الثلاث خرزات التي جاءت بها الملكة ابريزة من بلاد الروم فلما عاين الخرزة معلقة في عنق ابنته غاب عقله واشتد به الغيظ وحملق عينيه في الخرزة حتى عرفها حق المعرفة ثم نظر الى نزهة الزمان وقال لها من اين جاءتك هذه الخرزة يا جارية فلما سمعت من شركان ذلك الكلام قالت له انا سيدتك وسيدة كل من في قصرك اما تستحي وانت تقول يا جارية وانا ملكة بنت ملك والان زال الكتمان واشتهر الامر وبان انا نزهة الزمان بنت الملك عمر النعمان فلما سمع منها هذا الكلام لحقه الارتعاش واطرق برأسه الى الارض وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان لما سمع هذا الكلام ارتجف قلبه واصفر لونه ولحقه الارتعاش واطرق برأسه الى الارض وعرف انها اخته من ابيه فغاب عن الدنيا فلما افاق صار يتعجب ولكنه لم يعرفها بنفسه وقال لها يا سيدتي هل انت بنت الملك عمر النعمان قالت نعم فقال لها وما سبب فراقك لابيك وبعدك فحكت له جميع ما وقع من الاول الى الاخر واخبرته انها تركت اخاها مريضا في بيت المقدس واخبرته باختطاف البدوي لها وبيعه اياها للتاجر فلما سمع شركان ذلك الكلام تحقق انها اخته من ابيه وقال في نفسه كيف اتزوج باختي لكن انا لا زوجها لواحد من حجابي واذا ظهر امر ادعى انني طلقتها قبل الدخول وزوجتها بالحاجب الكبير ثم رفع رأسه وتأسف وقال يا نزهة الزمان انت اختي حقيقة واستغفر الله من هذا الذنب الذي وقعنا فيه فانني انا شركان بن الملك عمر النعمان فنظرت اليه وتأملته فعرفته فلما عرفته غابت عن صوابها وبكت واطمت وجهها وقالت قد وقعنا في ذنب عظيم ماذا يكون العمل وما اقول لابي وامي اذا قالا لي من اين جاءتك هذه البنت فقال شركان الرأي

ان ازوجك بالحاجب وادعك تربي بنتي في بيته بحيث لايعلم احد اباتك اختي وهذا الذي قدره الله علينا لامر اراده فما يسترنا الا زواجك بهذا الحاجب قبل ان يدري احد ثم صار يأخذ بخاطرها ويقبل رأسها فقالت له وما تسمي البنت قال اسميها قضى فكان ثم زوجها للحاجب الكبير ونقلها الى بيته هي وبنتها فربوها على اكتاف الجواري وواظبوا عليها بالاشربة وانواع السفوف هذا كله واخوها ضوء المكان مع الوقاد بدمشق فاتفق انه اقبل بريد يوما من الايام من عند الملك عمر النعمان الى الملك شركان ومعه كتاب فاخذه وقرأه فرأى فيه بعد البسملة اعلم ايها الملك العزيز اني حزين حزنا شديدا على فراق الاولاد وعدمت الرقاد ولازمني السهاد وقد ارسلت هذا الكتاب اليك فحال حصوله بين يديك ترسل الينا الخراج وترسل صحبته الجارية التي اشتريتها وتزوجت بها فاني احببت ان اراها واسمع كلامها لانه جاءنا من بلاد الروم عجوز من الصالحات وصحبتها خمس جوار نهد ابكار وقد حازوا من العلم والادب وفنون الحكمة مايجب على الانسان معرفته ويعجز عن وصف هذه العجوز ومن معها اللسان فانهن حزن انواع العلم والفضيلة والحكمة فلما رأيتهن احببتهن وقد اشتهيت ان يكن في قصري وفي ملك يدي لانه لا يوجد لهن نظير عند سائر الملوك فسألت المرأة العجوز عن ثمنهن فقالت لا ابيعهن الا بخراج دمشق وانا والله ارى خراج دمشق قليلا في ثمنهن فان الواحدة منهن تساوي اكثر من هذا المبلغ فاجبتها الى ذلك ودخلت بهن قصري وبقين في حوزي فجعل لنا بالخراج لاجل ان تسافر المرأة الى بلادها وارسل الينا الجارية لاجل ان تناظرهن وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للسبعين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك عمر النعمان قال في مكتوبه وارسل الينا الجارية لاجل ان تناظرهن بين العلماء فاذا غلبتهن ارسلتها اليك وصحبتها خراج بغداد فلما علم ذلك شركان اقبل على صهره وقال له هات الجارية التي زوجتك اياها فلما حضرت اوقفها على الكتاب وقال لها يا اختي ما عندك من الرأي في رد الجواب قالت له الرأي رأيك ثم قالت له وقد اشتاقت الى اهلها ووطنها ارسلني صحبة زوجي الحاجب لاجل ان احكي لابي حكايتي واخبره بما وقع لي مع البدوي الذي باعني للتاجر واخبره بان التاجر باعني لذلك وزوجني للحاجب بعد عتقي فقال لها شركان وهو كذلك ثم اخذ بنته قضى فكان وسلمها للمراضع والخدم وشرع في تجهيز الخراج وامر الحاجب ان يأخذ الخراج والجارية صحبته ويتوجه الى بغداد فاجابه الحاجب بالسمع والطاعة فامر له بمحفة يجلس فيها والجارية بمحفة ايضا ثم كتب كتابا وسلمه للحاجب وودع نزهة الزمان وكان قد اخذ منها الخرزة وجعلها في عنق ابنته في سلسلة من خالص الذهب ثم سافر الحاجب في تلك الليلة فاتفق انه خرج ضوء المكان هو والوقاد في تلك الليلة يتفرجان فرأيا جمالا وبغالا محملة ومشاعل وفوانيس مضيئة فسأل ضوء المكان عن هذه الاحمال وعن صاحبها فقال هذا خراج دمشق مسافر الى الملك عمر النعمان صاحب مدينة بغداد فقال ومن رئيس هذه المحامل قيل هو الحاجب الكبير الذي تزوج الجارية التي تعلمت العلم والحكمة فعند ذلك بكى بكاء شديدا وتذكر امه واباه واخته ووطنه وقال للوقاد مابقي لي قعود هنا بل اسافر مع هذه القافلة وامشي قليلا قليلا حتى اصل الى بلادي فقال له الوقاد انا ما امنت عليك من القدس الى دمشق فكيف آمن عليك الى بغداد فانا اكون معك

حتى نصل الى مقصدك فقال ضوء المكان حبا وكرامة فشرع الوقاد فى تجهيز حاله ثم شد الحمار وجعل خرجه عليه ووضع فيه شيأ من الزاد وشد وسطه ومازال على اهبة حتى جازت عليه الاحمال والحاجب راكب على هجين والمشاة حوله وركب ضوء المكان حمار الوقاد وقال للوقاد اركب معى فقال لا اركب ولكن اكون فى خدمتك فقال ضوء المكان لابد ان تركب ساعة فقال له اذا تعبت فاركب ساعة ثم ان ضوء المكان قال للوقاد يا اخى سوف تنظر ما افعل بك اذا وصلت الى اهلى ومازالوا مسافرين الى ان طلعت الشمس فلما اشتد عليهم الحر امرهم الحاجب بالنزول فنزلوا واستراحوا وسقوا جمالهم ثم امرهم بالمسير وبعد خمسة ايام وصلوا الى مدينة حماه ونزلوا واقاموا بها ثلاثة ايام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والسبعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انهم اقاموا فى مدينة حماه ثلاثة ايام ثم سافروا ومازالوا مسافرين حتى وصلوا مدينة اخرى فاقاموا بها ثلاثة ايام ثم سافروا حتى وصلوا الى ديار بكر وهب عليهم نسيم بغداد فتذكر ضوء المكان اخته نزهة الزمان واباه وامه ووطنه وكيف يرجع الى ابيه بغير اخته فبكى وان واشتكى واشتدت به الحسرات فانشد هذه الابيات

خليلى كم هذا التأنى وأصبر * ولم يأتنى منكم رسول يخبر
الا ان ايام الوصال قصيرة * فيا ليت ايام التفرق تقصر
خذوا بيدى ثم ارجعوا الصبابة * ضنت جسدى لكننى اتصبر
فان تطلبوا منى سلوا اقل لكم * فوالله ما اسلوا الى حين احشر

فقال له الوقاد اترك هذا البكاء والانين فانا قريب من خيمة الحاجب فقال ضوء المكان لابد من انشادى شيأ من الشعر لعل نار قلبى تنطفى فقال له الوقاد بالله عليك ان تترك الحزن حتى تصل الى بلادك وافعل بعد ذلك ما شئت وانا معك حيث ما كنت فقال ضوء المكان والله لا افترعن ذلك ثم التفت بوجهه الى ناحية بغداد وكان القمر مضيأ وكانت نزهة الزمان لم تنم تلك الليلة لانها تذكرت اخاها ضوء المكان فقلعت وصارت تبكى فبينما هى تبكى اذ سمعت اخاها ضوء المكان يبكى وينشد هذه الابيات

لمع البرق اليمانى * فشجانى ما شجانى
من حبيب كان عندى * ساقيا كاس التهانى
يا وميض البرق هل * ترجع ايام التدانى
يا عذولى لا تلمنى * ان ربى قد بلانى
بحبيب غاب عنى * وزمان قد دهانى
قد نأت نزهة قلبى * عند ما ولى زمانى
وحوى لى الهم صرفا * وبكاس قد سقانى
وارانى يا خليلى * مت من قبل التدانى
يا زمانا للتصابى * عد قريبا بالتهانى

في سرور مع امان * من سهم هم قد رماني
من لمسكين غريب * بات مرعوب الجنان
صار في الحزن فريدا * بعد نزهات الزمان
حكمت فينا برغم * كف اولاد الزواني

فلما فرغ من شعره صاح وخر مغشيا عليه هذا ما كان من امره واما ما كان من امر نزهة فانها كانت ساهرة في تلك الليلة لانها تذكرت اخاها في ذلك المكان فلما سمعت ذلك الصوت بالليل ارتاح فؤادها وقامت وتضجعت ودعت الخادم فقال لها ما حاجتك فقالت له قم وائتني بالذي ينشد هذه الاشعار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان لما سمعت من اخيها الشعر دعت الخادم الكبير وقالت له اذهب وائتني بمن ينشد هذه الاشعار فقال لها اني لم اسمعه ولم اعرفه والناس كلهم نائمون فقالت له كل من رأيته مستيقظا فهو الذي ينشد الاشعار ففتش فلم ير مستيقظا سوى الرجل الوقاد واما ضوء المكان فانه كان في غشيته فلما رأى الوقاد الخادم واقفا على رأسه خاف منه فقال له الخادم هل انت الذي كنت تنشد الشعر وقد سمعتك سيدتنا فاعتقد الوقاد ان السيدة اغتاظت من الانشاد فخاف وقال له والله ما هو انا فقال له الخادم ومن الذي كان ينشد الشعر فدلني عليه فانك تعرفه لانك يقظان فخاف الوقاد على ضوء المكان وقال في نفسه ربما يضره الخادم بشيء فقال لم اعرفه فقال له الخادم والله انك تكذب فانه ما هنا قاعدا لا انت فانت تعرفه فقال الوقاد انا اقول لك الحق ان الذي كان ينشد الاشعار رجل عابر طريق وهو الذي ازعجني واقلقني فالله يجازيه فقال له الخادم اذا كنت تعرفه فدلني عليه وانا امسكه وآخذه الى باب الحفرة التي فيها سيدتنا وامسكه انت بيدك فقال له اذهب انت حتى اتيك به فتركه الخادم وانصرف ودخل واعلم سيدته بذلك وقال ما احد يعرفه لانه عابر سبيل فسكتت ثم ان ضوء المكان لما افاق من غشيته رأى القمر وصل الى وسط السماء وهب عليه نسيم الاسحار فهيج في قلبه البلابل والاشجان لحسن صوته واراد ان ينشد فقال له الوقاد ماذا تريد ان تصنع فقال له اريد ان انشد شيأ من الشعر لاطفي به نار قلبي قال له انت ما علمت بما جرى لي وما سلمت من القتل الا باخذ خاطر الخادم فقال له ضوء المكان وماذا جرى فاخبره بما وقع فقال يا سيدي قد اتاني الخادم وانت مغشي عليك ومعه عصى طويلة من اللوز وجعل يتطلع في وجوه الناس وهم نائمون ويسأل على من كان ينشد الاشعار فلم يجد من هو مستيقظ غيري فسألني فقلت له انه عابر سبيل فانصرف وسلمني الله منه والا كان قتلني فقال لي اذا سمعته ثانيا فات به عندنا فلما سمع ضوء المكان ذلك بكى وقال من يمنعني من الانشاد فانا انشد ويجري على ما يجري فاني قربت من بلادي وما ابالي باحد فقال له الوقاد انت مار اد لك الا هلاك نفسك فقال له ضوء المكان لا بد من انشادي فقال له الوقاد قد وقع الفراق بيني وبينك من هنا وكان مرادي ان لا افارقك حتى تدخل مدينتك وتجتمع بابيك وامك وقد مضى لك عندي سنة ونصف ما حصل لك مني ما يضر لشغاسبب انشادك الشعر ونحن في غاية التعب من المشي والسهر والناس قد هجعوا ليستريحوا من التعب ونحتاجون الى النوم فقال ضوء المكان لا ارجع عما انا فيه ثم هزته الاشجان

فباح بالكتمان وجعل ينشد هذه الابيات

قف بالديار وحي الاربع الدرسا * ونادها فعساها ان تجيب عسى
فان اجنك ليل من توحشها * اوقد من الشوق في ظلمائها قبسا
ان صل صل عذاريه فلا عجب * ان يجتني لسعا وان اجتني لعسا
ياجنة فارقتها النفس مكرهة * لولا التأسي بدار الخلد مت اسى

وانشد ايضا هذين البيتين

كنا وكانت لنا الايام خادمة * والشمل مجتمع في ابهج الوطن
من لي بدار احبائي وكان بها * ضوء المكان وفيها نزهة الزمن

فلما فرغ من شعره صاح ثلاث صيحات ثم وقع مغشيا عليه فقام الوقاد وغطاه فلما سمعت نزهة الزمان ما انشده من الاشعار المتضمنة لذكر اسمها واسم اخيها ومعاهدهما بكت وصاحت على الخادم وقالت له ويلك ان الذي انشد اولا انشد ثانيا وسمعته قريبا مني والله ان لم تأتني به لانبهن عليك الحاجب فيضربك ويطردك ولكن خذ هذه المائة دينار واعطه اياها وائتني به برفق ولا تضره فان ابا فادفع له هذا الكيس الذي فيه الف دينار فان ابى فاتركه واعرف مكانه وصنعته ومن اي البلاد هو وارجع الي بسرعة ولا تغب وادر لك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان ارسلت الخادم يفتش عليه وقالت له اذا وجدته فلاطفه وأتني به برفق ولا تغب فخرج الخادم يتأمل في الناس ويدوس بينهم وهم نائمون فلم يجد احدا مستيقظا فجاء الى الوقاد فوجده قاعدا مكشوف الرأس فدنا منه وقبض على يده وقال له انت الذي كنت تنشد الشعر فخاف على نفسه وقال لا والله يا مقدم القوم ما هو انا فقال له الخادم لا اتركك حتى تدلني على من كان ينشد الشعر لاني لا اقدر على الرجوع الى سيدتي من غيره فلما سمع الوقاد كلام الخادم خاف على ضوء المكان وبكى بكاء شديدا وقال للخادم والله ما هو انا وانما سمعت انسانا عابر سبيل ينشد فلا تدخل في خطيئتي فاني غريب وجئت من بلاد القدس والخليل معكم فقال الخادم للوقاد قم انت معي الى سيدتي واخبرها بفمك فاني ما رأيت احدا مستيقظا غيرك فقال له الوقاد اما جئت ورأيتني في الموضع الذي انا قاعد فيه وعرفت مكاني وما احد يقدر ان ينفك عن موضعه الا امسكته الحرس فامض انت الى مكانك فان بقيت تسمع احدا من هذه الساعة ينشد شيأ من الشعر سواء كان بعيدا او قريبا لا تعرفه الا مني ثم باس رأس الخادم واخذ بخاطره فتركه الخادم ودار دورة وخاف ان يرجع الى سيدته بلا فائدة فاستتر في مكان قريب من الوقاد فقام الوقاد الى ضوء المكان ونبهه وقال له قم اقعد حتى احكي لك ما جرى وحكى له ما وقع فقال له دعني فاني لا ابالي باحد فان بلادي قريبة فقال الوقاد لضوء المكان لاي شيء انت مطاوع نفسك وهواك ولا تخاف من احد وانا خائف على روحي وروحك فبالله عليك انك لا تتكلم بشيء من الشعر حتى تدخل بلدك وانا ما كنت اظنك على هذه الحالة اما علمت ان زوجتا الحاجب تريد زجرك لانك اقلقتها وكانها ضعيفة او تعبانة من السفر وكم مرة وهي ترسل الخادم يفتش عليك فلم يلتفت ضوء المكان الى كلام الوقاد بل صاح ثالثا وانشد هذه الابيات

تركت كل لائم * ملامه اقلقنى
يعذلنى ومادرى * بأنه حرّ ضنى
قال الوشاة قد سلا * قلت لحبّ الوطن
قالوا فما احسنه * قلت فما اعشقنى
قالوا فما اعزه * قلت فما اذانى
هيهات ان اتركه * لو جرّعت كاس الشجن
وما اطعت لائما * فى الهوى يعذلنى

وكان الخادم يسمعه وهو مستخف فما فرغ من شعره الا والخادم على رأسه فلما رأه الوقاد فرّ ووقف بعيدا ينظر ما يقع بينهما فقال الخادم السلام عليكم ياسيدى فقال ضوء المكان وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقال الخادم ياسيدى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخادم قال لضوء المكان ياسيدى انى اتيت اليك فى هذه الليلة ثلاث مرات لان سيدتى تطلبك عندها قال ومن اين هذه الكلبة حتى تطلبنى مقتها الله ومقت زوجها معها ونزل فى الخادم شتما فما قدر الخادم ان يرد عليه جوابا لان سيدته اوصته انه لا يأتى به الا بمراده هو فان لم يأت معه يعطه المائة دينار فجعل الخادم يلين له الكلام ويقول له ياولدى نحن ما اخطأنا معك ولا جرنا عليك فالقصد ان تصل بخطواتك الكريمة الى سيدتنا وترجع فى خير وسلامة ولك عندنا بشارة فلما سمع ذلك الكلام قام ومشى بين الناس والوقاد ماش خلفه وناظر اليه ويقول فى نفسه يا خسارة شبابه فى غد يشنقونه ومازال الوقاد ماشيا حتى قرب من مكانهم وقال ما اخسه ان كان يقول على هو الذى قال لى انشد الاشعار هذا ما كان من امر الوقاد واما ما كان من امر ضوء المكان فانه مازال ماشيا مع الخادم حتى وصل الى المكان ودخل الخادم على نزهة الزمان وقال لها قد جئت بما تطلبينه وهو شاب حسن الصورة وعليه اثر النعمة فلما سمعت ذلك خفق قلبها وقالت له امره ان ينشد شيأ من الشعر حتى اسمعه من قرب وبعد ذلك فاسأله عن اسمه ومن اى البلاد هو فخرج الخادم اليه وقال له انشد شيأ من الشعر حتى تسمعه سيدتى فانها حاضرة بالقرب منك واخبرنى عن اسمك وبلدك وحالك فقال حبا وكرامة ولكن حيث سألتنى عن اسمى فانه محى ورسمى فنى وجسمى بلى ولى حكاية تكتب بالابر على اماق البصر وها انا فى منزلة السكران الذى اكثر من الشراب وحلت به الاوصاب فتاه عن نفسه واحتار فى امره وغرق فى بحر الافكار فلما سمعت نزهة الزمان هذا الكلام بكت وزادت فى البكاء والانين وقالت للخادم قل له هل فارقت احدا ممن تحب مثل املك وابيك فسأله الخادم كما امرته نزهة الزمان فقال ضوء المكان نعم فارقت الجميع واعزهم عندى اختى التى فرق الدهر بينى وبينها فلما سمعت نزهة الزمان منه هذا الكلام قالت الله يجمع شمله بمن يحب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان لما سمعت كلامه قالت الله يجمع شمله بمن يحب ثم قالت للخادم قل له اسمعنا شيأ من الاشعار المتضمنة لشكوى الفراق فقال له الخادم كما امرته سيدته

فصعد الزفرات وانشد هذه الابيات

ليت شعري لو دروا * اى قلب ملكوا
و فؤادى لو درى * اى شعب سلكوا
اتراهم سلموا * ام تراهم هلكوا
حار ارباب الهوى * فى الهوى وارتبكوا

وانشد ايضا هذه الابيات

اضحى التنائى بديلا من تدانينا * وعند ما عن لقيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا * بان نغص فقال الدهر امينا
ان الزمان الذى مازال يضحكنا * انسا بقربكم قد عاد يبكينا
ياجنة الخلد بدلنا بسلسلها * والكوثر العذب زقوما وغسلينا

ثم سكب العبرات وانشد هذه الابيات

لله نذر ان ازر مكانى * وفيه اخى نزهة الزمانى
لاقضين بالصفا زمانى * ما بين غيد خرد حسان
وصوت عود مطرب الالحان * مع ارتضاع كاس بنت الحان
ورشف الملى فاتر الاجفان * بشط نهر سال فى بستان

فلما فرغ من شعره وسمعته نزهة الزمان كشفت ذيل الستارة عن المحفة ونظرت اليه فلما وقع بصرها على وجهه عرفته غاية المعرفة فصاحت قائلة يا اخى ياضوء المكان فرفع بصره اليها فعرفها وصاح قائلا يا اخى يا نزهة الزمان فالقت نفسها عليه فتلقاها فى حضنه ووقع الاثنان مغشيا عليهما فلما رأهما الخادم على تلك الحالة تعجب فى امرهما والقى عليهما شيأ سترهما به وصبر عليهما حتى افاقا فلما افاقا من غشيتهما فرحت نزهة الزمان غاية الفرح وزال عنها الهم والترح وتوالت عليها المسرات وانشدت هذه الابيات

الدهر اقسم لا يزال مكدرى * حنثت يمينك يازمان فكفرى
السعد وافى والحبيب مساعدى * فانهض الى داعى السرور وشمرى
ما كنت اعتقد السوالف جنة * حتى ظفرت من الملى بالكوثرى

فلما سمع ذلك ضوء المكان ضم اخته الى صدره وفاضت لفرط سروره من اجفانه العبرات وانشد هذه الابيات

ولقد ندمت على تفرق شملنا * ندما افاض الدمع من اجفانى
ونذرت ان عاد الزمان بلمنا * لاعدت اذكر فرقة بلسانى
هجم السرور على حتى انه * من فرط ما قد سرنى ابكانى
ياعين صار الدمع عندك عادة * تبكين من فرح ومن احزانى

وجلسا على باب المحفة ساعة ثم قالت قم داخل المحفة واحك لى ما وقع لك وانا احكى لك ما وقع لى فقال ضوء المكان احكى لى انت اولا فحكت له جميع ما وقع لها منذ فارقته من الخان وما وقع لها من البدوى

والتاجر وكيف اشتراها منه وكيف اخذها التاجر الى اخيها شركان وباعها له وان شركان اعتقها
من حين اشتراها وكتب كتابه عليها ودخل بها وان الملك ابوها سمع بخبرها فارسل الى شركان يطلبها
منه ثم قالت له الحمد لله الذى من علي بك ومثل ما خرجنا من عند والدنا سواء نرجع اليه سواء ثم قالت له
ان اخى شركان زوجنى بهذا الحاجب لاجل ان يوصلنى الى والدى وهذا ما وقع لى من الاول الى الاخر فاحك
لى انت ما وقع لك بعد ذهابى من عندك فحكى لها جميع ما وقع له من الاول الى الاخر وكيف من الله عليه
بالوقاد وكيف سافر معه وانفق عليه ماله وانه كان يخدمه فى الليل والنهار فشكرته على ذلك ثم قال لها
يا اختى ان هذا الوقاد فعل معى من الاحسان فعلا لا يفعله احد فى احد من احبابه ولا الوالد مع ولده حتى
كان يجوع ويطعمنى ويمشى ويركبنى وكانت حياتى على يديه فقالت له نزهة الزمان ان شاء الله تعالى نكافئه
بما تقدر عليه ثم ان نزهة الزمان صاحت على الخادم فحضر وقبل يد ضوء المكان وقالت له نزهة الزمان
خذ بشارتك يا وجه الخير لانه كان جمع شملى باختى على يديك فالكيس الذى معك وما فيه لك فاذهب وائتنى
بسيدك عاجلا ففرح الخادم وتوجه الى الحاجب ودخل عليه ودعاه الى سيدته فاتى به ودخل على زوجته
نزهة الزمان فوجد عندها اخاها فسأل عنه فحكت له ما وقع لهما من اوله الى اخره ثم قالت اعلم ايها
الحاجب انك ما اخذت جارية وانما اخذت بنت الملك عمر النعمان فانا نزهة الزمان وهذا اخى ضوء المكان فلما
سمع الحاجب القصة منها تحقق ما قالته وبان له الحق الصريح وتيقن انه صار صهر الملك عمر النعمان فقال
فى نفسه مصيرى ان اخذ نيابة على قطر من الاقطار ثم اقبل على ضوء المكان وهنأه بسلامته وجمع
شمله باخته ثم امر خدمه فى الحال ان يهيؤا لضوء المكان خيمة ومركوبا من احسن الخيل فقالت له اخته
انا قد قربنا من بلادنا فانا اختلى باخى ونستريح مع بعضنا ونشبع من بعضنا قبل ان نصل الى بلادنا فان لنا
زمنا طويلا ونحن مفترقان فقال الحاجب الامر كما تريدان ثم ارسل اليهما الشموع وانواع الحلاوة وخرج
من عندهما وارسل الى ضوء المكان ثلاث بدلات من اخر الثياب وتمشى الى ان جاء الى المخفة وعرف مقدار
نفسه فقالت له نزهة الزمان ارسل الى الخادم وامره ان يأتى بالوقاد ويهيئ له حصانا يركبه ويرتب له
سفرة طعام فى الغداة والعشى وياْمره انه لا يفارقنا فعند ذلك ارسل الحاجب الى الخادم وامره ان يفعل ذلك
فقال سمعا وطاعة ثم ان الخادم اخذ غلمانه وذهب يفتش على الوقاد الى ان وجده فى اخر الركب وهو يشد
حماره ويريد ان يهرب ودموعه تجرى على خده من الخوف على نفسه ومن حزنه على فراق ضوء المكان
وصار يقول قد نصحته فى سبيل الله فلم يسمع منى يا ترى كيف حاله فلم يتم كلامه الا والخادم واقف على رأسه
ودارت حوله الغلمان فالتفت الوقاد فرأى الخادم واقفا فوق رأسه ورأى الغلمان حوله فاصفر لونه وخاف
وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوقاد لما اراد ان يشد حماره ويهرب وصار يكلم نفسه ويقول يا ترى كيف
حاله فما تم كلامه الا والخادم واقف على رأسه والغلمان حوله فالتفت الوقاد فرأى الخادم واقفا على
رأسه فارتعدت فرائصه وخاف وقال وقد رفع صوته بالكلام انه ما عرف مقدار ما عملته معه من المعروف
فاظن انه غمز الخادم وهؤلاء الغلمان على وانه اشركنى معه فى الذنب واذا بالخادم صاح عليه وقال له
من الذى كان ينشد الاشعار يا كذاب كيف تقول لى انا ما انشدت الاشعار ولا اعرف من انشدها وهو

رفيقك فانا لا افارقك من هنا الى بغداد والذى يجرى على رفيقك يجرى عليك فلما سمع الوقاد كلامه قال فى نفسه ما خفت منه وقعت فيه ثم انشد هذا البيت

كان الذى خفت ان يكون * انا الى الله راجعون

ثم ان الخادم صاح على الغلمان وقال لهم انزلوه عن الحمار فانزلوا الوقاد عن حماره واتوا له بحصان فركبه ومشى صحبة الركب والغلمان حوله محدقون به وقال لهم الخادم ان عدم منه شعرة كانت بواحد منكم ولكن اكرموه ولا تهينوه فلما رأى الوقاد الغلمان حوله يئس من الحياة والتفت الى الخادم وقال له يا مقدم انا ما لى اخوة ولا اقارب وهذا الشاب لا يقرب لى ولا انا اقرب له وانما انا رجل وقاد فى حمام ووجدته ملقيا على المزبلة مريضا وسار الوقاد يبكى ويحسب فى نفسه الف حساب والخادم ماش بجانبه ولم يعرفه بشئ بل يقول له قد افلقت سيد تسابا نشادك الشعر انت وهذا الصبى ولا تخاف على نفسك وصار الخادم يغضب عليه سرا واذا نزلوا اتاهم الطعام فيأكل هو والوقاد فى انية واحدة فاذا اكلوا امر الخادم الغلمان ان يأتوا بقلة سكر فيشرب منها ويعطيها للوقاد فيشرب لكنه لم تنشف له دمعة من الخوف على نفسه والحزن على فراق ضوء المكان وعلى ما وقع لهما فى غربتهما وهما سائران والحاجب تارة يكون على باب المحفة لاجل خدمة ضوء المكان بن الملك عمر النعمان ونزهة الزمان وتارة يلاحظ الوقاد وصارت نزهة الزمان واخوها ضوء المكان فى حديث وشكوى ولم يزالا على تلك الحالة وهم سائرون حتى قربوا من البلاد ولم يبق بينهم وبين البلاد الا ثلاثة ايام فنزلوا وقت المساء واستراحوا ولم يزالوا نازلين الى ان لاح الفجر فاستيقظوا واراد وا ان يحملوا واذا بغبار عظيم قد لاح لهم واظلم الجو منه حتى صار كالليل الداجى فصاح الحاجب قائلا امهلوا ولا تحملوا وركب هو ومماليكه وساروا نحو ذلك الغبار فلما قربوا منه بان من تحته عسكر جرار كالبحر الزخار وفيه رايات واعلام وطبول وفرسان وابطال فتعجب الحاجب من امرهم فلما رأهم العسكر افترقت منه فرقة قدر خمسمائة فارس واتوا الى الحاجب هو ومن معه واحاطوا بهم واحاطت كل خمسة من العسكر بمملوك من مماليك الحاجب فقال لهم الحاجب اى شئ الخبر ومن اين هذه العساكر حتى تفعل معنا هذه الافعال فقالوا له من انت ومن اين اتيت والى اين تتوجه فقال لهم انا حاجب امير دمشق الملك شركان بن الملك عمر النعمان صاحب بغداد وارض خراسان اتيت من عنده باخراج والهدية متوجها الى والده ببغداد فلما سمعوا كلامه ارخوا مناديل لهم على وجوههم وبكوا وقالوا له ان عمر النعمان قد مات ومات الامسوما فتوجه وما عليك بأس حتى تجتمع بوزيره الاكبر الوزير دندان فلما سمع الحاجب ذلك الكلام بكى بكاء شديدا وقال يا خيبتنا فى هذه السفرة وسار يبكى هو ومن معه الى ان اختلطوا بالعسكر فاستأذنوا له الوزير دندان فاذن له وامر الوزير بضرب خيامه وجلس على سرير فى وسط الخيمة وامر الحاجب بالجلوس فلما جلس سأله عن خبره فاعلمه انه حاجب امير دمشق وقد جاء بالهدايا وخراج دمشق فلما سمع الوزير دندان ذلك بكى عند ذكر الملك عمر النعمان ثم قال له الوزير دندان ان الملك عمر النعمان قد مات مسموما وبسبب موته اختلف الناس فيمن يولونه بعده حتى اوقعوا القتل فى بعضهم ولكن منعهم عن بعضهم الاكابر والاشراف والقضاة الاربعة واتفق جميع الناس على ان ما اشار به القضاة الاربعة لا يخالفهم فيه احد فوقع الاتفاق على اننا نسير الى دمشق ونقصد ولده الملك شركان ونأتى به ونسلطنه على مملكة ابيه وفيهم جماعة يريدون ولده الثانى وقالوا انه يسمى ضوء المكان وله اخت تسمى نزهة الزمان وكانا قد توجها الى ارض الحجاز ومضى لهما خمس سنين ولم يقع لهما احد على خبر فلما سمع الحاجب ذلك علم

ان القضية التي وقعت لزوجته صحيحة فاغتم لموت السلطان غما عظيما ولكنه فرح فرحا شديدا وخصوصا بمجيء ضوء المكان لانه يصير سلطانا ببغداد في مكان ابيه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حاجب شركان لما سمع من الوزير دندان ما ذكره من خبر الملك عمر النعمان تأسف ولكنه فرح لزوجته واخيها ضوء المكان لانه يصير سلطانا ببغداد مكان ابيه ثم التفت الحاجب الى الوزير دندان وقال ان قصتكم من اعجب العجائب اعلم ايها الوزير الكبير انكم حيث صادفتموني الان اراحكم الله من التعب وقد جاءكم الامر كما تشتهون على اهون سبب لان الله رد اليكم ضوء المكان هو واخته نزهة الزمان واصلح الامر وهان فلما سمع الوزير هذا الكلام فرح فرحا شديدا ثم قال له ايها الحاجب اخبرني بقصتهما وبما جرى لهما وبسبب غيابهما فحدثه بحديث نزهة الزمان وانها صارت زوجته واخبره بحديث ضوء المكان من اوله الى آخره فلما فرغ الحاجب من حديثه ارسل الوزير دندان الى الامراء والوزراء واكابر الدولة واطلعهم على القصة ففرحوا بذلك فرحا شديدا وتعجبوا من هذا الاتفاق ثم اجتمعوا كلهم وجاؤا عند الحاجب ووقفوا في خدمته وقبلوا الارض بين يديه واقبل الوزير من ذلك الوقت على الحاجب ووقف بين يديه ثم ان الحاجب عمل في ذلك اليوم ديوانا عظيما وجلس هو والوزير دندان على تخت وبين ايديهما جميع الامراء والكبراء وارباب المناصب على حسب مراتبهم ثم بلوا السكر في ماء الورد وشربوا ثم قعد الامراء للمشورة واعطوا بقية الجيش اذنا في ان يركبوا مع بعضهم ويتقدموا قليلا قليلا حتى يتموا المشورة ويلحقوهم فقبلوا الارض بين يدي الحاجب وركبوا وقدامهم رايات الحرب فلما فرغ الكبراء من مشورتهم ركبوا ولحقوا العساكر ثم اقبل الحاجب على الوزير دندان وقال له الرأي عندي ان اتقدم واسبقكم لاجل ان اهيئ للسلطان مكانا يناسبه واعلمه بقدومكم وانكم اخترتموه على اخيه شركان سلطانا عليكم فقال الوزير نعم الرأي الذي رأيته ثم نهض ونهض الوزير دندان تعظيما له وقدم له التقادم واقسم عليه ان يقبلها وكذلك الامراء الكبار وارباب المناصب قدموا له التقادم ودعوا له وقالوا له لعلك تحدث السلطان ضوء المكان في امرنا ليبقينا مستمرين في مناصبنا فاجابهم لما سألوه ثم امر غلمانه بالسير فارسل الوزير دندان الخيام مع الحاجب وامر الفراشين ان ينصبوها خارج المدينة بمسافة يوم فامتثلوا امره وركب الحاجب وهو في غاية الفرح وقال في نفسه ما ابرك هذه السفرة وعظمت زوجته في عينه وكذلك ضوء المكان ثم جد في السفر الى ان وصل الى مكان بينه وبين المدينة مسافة يوم ثم امر بالنزول فيه لاجل الراحة وتهيئة مكان لجلوس السلطان ضوء المكان بن الملك عمر النعمان ثم نزل من بعيد هو ومماليكه وامر الخدام ان يستأذنوا السيدة نزهة الزمان في ان يدخل عليها فاستأذنوها في شان ذلك فاذنت له فدخل عليها واجتمع بها وباخيها واخبرهما بموت ابيهما وان ضوء المكان جعله الرأساء ملكا عليهم عوضا عن ابيه عمر النعمان وهنأهما بالملك فبكيا على فقد ابيهما وسألا عن سبب قتله فقال لهما الخبر مع الوزير دندان وفي غد يكون هو والجيش كله في هذا المكان وما بقي في الامر ايها الملك الا ان تفعل ما اشاروا به لانهم كلهم اختاروك سلطانا وان لم تفعل سلطنوا غيرك وانت لا تأمن على نفسك من الذي يتسلطن غيرك فربما يقتلك او يقع الفشل بينكما ويخرج الملك من ايديكما فاطرق

برأسه ساعة من الزمان ثم قال قبلت هذا الامر لانه لا يمكن التخلي عنه وتحقق ان الحاجب تكلم بما فيه الرشاد ثم قال للحاجب ياعم وكيف اعمل مع اخي شركان فقال ياولدي اخوك يكون سلطان دمشق وانت سلطان بغداد فشد عزمك وجهز امرك فقبل منه ضوء المكان ذلك ثم ان الحاجب قدم اليه البدلة التي كانت مع الوزير دندان من ملابس الملوك وناوله النمشة وخرج من عنده وامر الفراشين ان يختاروا موضعا عاليا وينصبوا فيه خيمة واسعة عظيمة للسلطان ليجلس فيها اذا قدم عليه الامراء ثم امر الطباخين ان يطبخوا طعاما فاخرا ويحضروه وامر السقايين ان ينصبوا حياض الماء وبعد ساعة طار الغبار حتى سد الاقطار ثم انكشف ذلك الغبار وبان من تحته عسكر جرار مثل البحر الزخار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الحاجب لما امر الفراشين ان ينصبوا خيمة واسعة لاجتماع الناس عند الملك نصبوا خيمة عظيمة على عادة الملوك فلما فرغوا من اشغالهم واذا بغبار قد طار ثم محق الهوى ذلك الغبار وبان من تحته عسكر جرار وتبين ان ذلك العسكر عسكر بغداد وخرسان ومقدمه الوزير دندان وكلهم فرحوا بسلطنة ضوء المكان وكان ضوء المكان لابسا خلعة الملك متقلدا بسيف الموكب فقدم له الحاجب الفرس فركب وصار هو وجماليكه وجميع من في الخيام مشى في خدمته حتى دخل القبة الكبيرة وجلس ووضع النمشة على فخذيه ووقف الحاجب في خدمته بين يديه ووقفت جماليكه في دهليز الخيمة وشهروا في ايديهم السيوف ثم اقبلت العساكر والجيوش وطلبوا الاذن فدخل الحاجب واستأذن لهم السلطان ضوء المكان فامر ان يدخلوا عليه عشرة عشرة فاعلمهم الحاجب بذلك فاجابوا بالسمع والطاعة ووقف الجميع على باب الدهليز فدخلت عشرة منهم فشق بهم الحاجب في الدهليز ودخل بهم على السلطان ضوء المكان فلما رأوه هابوه فتلقاهم احسن ملتقى ووعدهم بكل خير فهنوه بالسلامة ودعوا له وحلفوا له الايمان الصادقة انهم لا يخالفون له امرا ثم قبلوا الارض بين يديه وانصرفوا ودخلت عشرة اخرى ففعل بهم مثل ما فعل بغيرهم ولم يزالوا يدخلون عشرة بعد عشرة حتى لم يبق غير الوزير دندان فدخل عليه وقبل الارض بين يديه فقام اليه ضوء المكان واقبل عليه وقال له مرحبا بالوزير والد الكبير ان فعلك فعل المشير العزيز والتدبير يد اللطيف الخبير ثم ان الحاجب خرج في تلك الساعة وامر بمد السماط وامر باحضار العسكر جميعا فحضروا واكلوا وشربوا ثم ان الملك ضوء المكان قال للوزير دندان أمر العسكر بالاقامة عشرة ايام حتى اختلي بك وتخبرني بسبب قتل ابي فامتثل الوزير قول السلطان وقال لابد من ذلك ثم خرج الى وسط الخيام وامر العسكر بالاقامة عشرة ايام فامتثلوا امره ثم ان الوزير اعطاهم اذنا انهم يتفرجون ولا يدخل احد من ارباب الخدمة عند الملك مدة ثلاثة ايام فتضرع جميع الناس ودعوا لضوء المكان بدوام العز ثم اقبل عليه الوزير واعلمه بالذي كان فصبر الى الليل ودخل على اخته نزهة الزمان وقال لها اهل علمت بسبب قتل ابي ولم تعلمي بسببه كيف كان فقالت له لم اعلم سبب قتله ثم انها ضربت لها ستارة من حرير وجلس ضوء المكان خارج الستارة وامر باحضار الوزير دندان فحضر بين يديه فقال له اريد ان تخبرني تفصيلا بسبب قتل ابي الملك عمر النعمان فقال الوزير دندان اعلم ايها الملك ان الملك عمر النعمان لما اتى من سفره الى الصيد والقنص وجاء الى المدينة سأل

عنهما

عنكما فلم يجدكما فعلم انكما قد قصدتما الحج فاغتم لذلك فازداد به الغيظ وضاق صدره واقام نصف سنة وهو يستخبر عنكما كل شارد ووارد فلم يخبره احد عنكما فبينما نحن بين ايادينا يوما من الايام بعد ما مضى لكما سنة كاملة من تاريخ فقد كما واذا بعجوز عليها اثار العبادة قد وردت علينا ومعها خمس جوار نهد ابكار كانهن الاقمار وقد حوين من الحسن والجمال ما يعجز عن وصفه اللسان ومع كمال حسنهن يقرأن القرأن ويعرفن الحكمة واخبار المتقدمين فاستأذنت تلك العجوز في الدخول على الملك فاذن لها فدخلت عليه وقبلت الارض بين يديه وكنت انا جالسا بجانب الملك فلما دخلت عليه قربها اليه لما رأى عليها من آثار الزهد والعبادة فلما استقرت العجوز عنده اقبلت عليه وقالت له اعلم ايها الملك ان معي خمس جوار ما ملك احد من الملوك مثلهن لانهن ذوات عقل وجمال وحسن وكمال يقرأن القرأن بالروايات ويعرفن العلوم واخبار الامم السالفة وهن بين يديك واقفات في خدمتك يا ملك الزمان وعند الامتحان يكرم المرء او يهان فنظر المرحوم والدك الى الجواري فسرته رؤيتهن وقال لهن كل واحدة منكن تسمعني شيأ مما تعرفه من اخبار الناس الماضين والامم السابقين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال للملك ضوء المكان فنظر المرحوم والدك الى الجواري فسرته رؤيتهن وقال لهن كل واحدة منكن تسمعني شيأ مما تعرفه من اخبار الناس الماضين والامم السابقين فتقدمت واحدة منهن وقبلت الارض بين يديه وقالت اعلم ايها الملك انه ينبغي لذي الادب ان يجتنب الفضول ويتحلى بالفضائل وان يؤدي الفرائض ويجتنب الكبائر ويلازم ذلك ملازمة من لو افرد عنه لهلك واساس الادب مكارم الاخلاق واعلم ان معظم اسباب المعيشة طلب الحياة والقصد من الحياة عبادة الله فينبغي ان تحسن خلقك مع الناس وان لا تعدل عن تلك السنة فان اعظم الناس خطرا احوجهم الى التدبير والملوك احوج اليه من السوقة لان السوقة قد تفيض في الامور من غير نظر في العاقبة وان تبذل في سبيل الله نفسك ومالك واعلم ان العدو خصم تخصمه بالحجة وتحترز منه واما الصديق فليس بينك وبينه قاض يحكم غير حسن الخلق فاختر صديقك لنفسك بعد اختباره فان كان من اخوان الاخرة فليكن محافظا على اتباع ظاهر الشرع عارفا ببباطنه على حسب الامكان وان كان من اخوان الدنيا فليكن حرا صادقا ليس بجاهل ولا شرير فان الجاهل اهلك لان يهرب منه ابواه والكاذب لا يكون صديقا لان الصديق مأخوذ من الصدق الذي يكون ناشئا عن صميم القلب فكيف به اذا اظهر الكذب على اللسان واعلم ان اتباع الشرع ينفع صاحبه فاحبب اخاك اذا كان بهذه الصفة ولا تقطعه وان ظهر لك منه ما تكره فانه ليس كالمرأة يمكن طلاقها وهو راجعتها بل قلبه كالزجاج اذا انصدع لا يتجبر

ولله در القائل

احرص على فرط القلوب من الاذى * فرجوعها بعد التنافر يعسر
ان القلوب اذا تنافر ودها * مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

قالت الجارية في آخر كلامها وهي تشير الينا ان اصحاب العقول قالوا خير الاخوان اشدهم في النصيحة وخير الاعمال اجلها عاقبة وخير الثناء ما كان على افواه الرجال وقد قيل لا ينبغي للعبد ان يغفل عن

شكر الله خصوصا على نعمتين العافية والعقل وقيل من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته ومن عظم صغائر المصائب ابتلاء الله بكبارها ومن اطاع الهوى ضيع الحقوق ومن اطاع الواشي ضيع الصديق ومن ظن بك خيرا فصدق ظنه بك ومن بالغ في الخصومة اثم ومن لم يحذر الحيف لم يأمن السيف وها انا اذكر لك شيأ من اداب القضاء اعلم ايها الملك انه لا ينفع حكم بحق الا بعد التثبت وينبغي للقاضي ان يجعل الناس في منزلة واحدة حتى لا يطمع شريف في الجور ولا ييأس ضعيف من العدل وينبغي ايضا ان يجعل البينة على من ادعى واليمين على من انكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا احل حراما او حرم حلالا وما شكلت فيه اليوم فراجع فيه عقلك وتبين به رشدك لترجع فيه الى الحق فالحق فرض والرجوع الى الحق خير من التمادي على الباطل ثم اعرف الامثال واقفه المقال وسو بين الاخصام في الوقوف وليكن نظرك في الحق موقوفا وفوض امرك الى الله عز وجل واجعل البينة على من ادعى فان حضرت بينته اخذت له بحقه والا فالحلف المدعى عليه وهذا حكم الله واقبل شهادة عدول المسلمين بعضهم على بعض فان الله تعالى امر الحكام ان تحكم بالظاهر وهو يتولى السرائر ويجب على القاضي ان يجتنب القضاء عند شدة الالم والجوع وان يقصد بقضائه بين الناس وجه الله تعالى فان من خلصت نيته واصلح ما بينه وبين نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس وقال الزهري ثلاث اذا كن في قاض كان منعزلا اذا اكرم الشام واحب المحامد وكره العزل وقد عزل عمر بن عبد العزيز قاضيا فقال له لم عزلتني فقال عمر قد بلغني عنك ان مقالك اكبر من مقامك وحكي ان الاسكندر قال لقاضيه اني وليتك منزلة واستودعتك فيها روحي وعرضي ومروءتي فاحفظ هذه المنزلة لنفسك وعقلك وقال لطباخه انك مسلط على جسمي فارفق بنفسك فيه وقال لكاتبه انك متصرف في عقلي فاحفظني فيما تكتبه عني ثم تأخرت الجارية الاولى وتقدمت الثانية وادرك شهرزاد الصباح فكفت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ثم تأخرت الجارية الاولى وتقدمت الثانية وقبلت الارض بين يدي الملك والدك سبع مرات ثم قالت قال لقمان لابنه ثلاثة لا تعرف الا في ثلاثة مواطن لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا اخوك الا عند حاجتك اليه وقيل ان الظالم نادم وان مدحه الناس والمظلوم سليم وان ذمه الناس وقال الله تعالى ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم وقال عليه الصلاة والسلام انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى واعلم ايها الملك ان اعجب ما في الانسان قلبه لان به زمام امره فان هاج به الطمع اهلكه الحرص وان ملكه الاسى قتله الاسف وان عظم عنده الغضب اشتد به العطب وان سعد بالرضا امن من السخط وان ناله الخوف شغله الحزن وان اصابته مصيبة ضمنه الجزع وان استفاد مالا ربما اشتغل به عن ذكر ربه وان غصته فاقة اشغله الهم وان اجهده الجزع اقعده الضعف فعلى كل حالة لا صلاح له الا بذكر الله واشتغاله بما فيه تحصيل معاشه وصلاح معاده وقيل لبعض العلماء من اسر الناس حالا قال من غلبت شهوته مروءته وبعدت في المعالي همته فاتسعت معرفته وضاقت معذرته وما احسن ما قاله قيس

وانى لاغنى الناس عن متكلف * يرى الناس اضلالا وما هو مهتدى
وما المال والاخلاق الا معارة * فكل بما يخفيه فى الصدر مرتدى
اذا ما اتيت الامر من غير بابه * ضللت وان تدخل من الباب تهتدى

ثم ان الجارية قالت واما اخبار الزاهد فقد قال هشام بن بشر قلت لعمر بن عبيد ما حقيقة الزهد فقال لى قد بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله الزاهد من لم ينس القبر والبلاء وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه فى الموتى وقيل ان اباذر كان يقول الفقر احب الى من الغنى والسقم احب الى من الصحة فقال بعض السامعين رحم الله اباذرا ما انا فاقول من اتكل على حسن الاختيار من الله تعالى رضى بالحالة التى اختارها الله له وقال بعض النقاة صلى بنا ابن ابى اوفى صلاة الصبح فقرأ ايها المدثر حتى بلغ قوله تعالى فاذا نقر فى الناقور فخر ميتا ويروى ان ثابتا البنانى بكى حتى كادت ان تذهب عيناه فجاؤا برجل يعالجه قال اعالجه بشرط ان يطاوعنى قال ثابت فى اى شئ قال الطبيب فى ان لا تبكى قال ثابت فما افضل عيناى ان لم تبكيا وقال رجل لمحمد بن عبد الله اوصنى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان وقالت الجارية الثانية لوالدك المرحوم عمر النعمان وقال رجل لمحمد ابن عبد الله اوصنى فقال اوصيك ان تكون فى الدنيا ملكا زاهدا وفى الاخرة مملوكا طامعا قال وكيف ذلك قال الزاهد فى الدنيا يملك الدنيا والاخرة وقال غوث بن عبد الله كان اخوان فى بنى اسرائيل قال احدهما للاخر ما اخوف عمل عملته قال له أنى مررت ببيت فراخ فاخذت منه واحدة ورميتها فى ذلك البيت ولكن بين الفراخ التى لم آخذها منها فهذا اخوف عمل عملته فما اخوف ما عملته انت فقال اما انا فاخوف عمل اعمله انى اذا قمت الى الصلاة اخاف ان اكون لا اعمل ذلك الا للجزاء وكان ابوهما يسمع كلامهما فقال اللهم ان كانا صادقين فاقبضهما اليك فقال بعض العقلاء ان هذين من افضل الاولاد وقال عبد بن جبير صحبت فضالة ابن عبيد فقلت له اوصنى فقال احفظ عنى هذين الخصلتين ان لا تشرك بالله شيأ وان لا تؤذى من خلق الله احدا وانشد هذين البيتين

كن كيف شئت فان الله ذو كرم * وانف الهموم فما فى الامر من باس
الا اثنتين فلا تقربهما ابدا * الشرك بالله والاضرار للناس

وما احسن قول الشاعر

اذا انت لم يصحبك زاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ان لا تكون كمثله * وأنك لم ترصد كما كان ارصدا

ثم تقدمت الجارية الثالثة بعد ان تأخرت الثانية وقالت ان باب الزهد واسع جدا ولكن اذكر بعض ما يحضرنى فيه عن السلف الصالح قال بعض العارفين انا استبشر بالموت ولا اتيقن فيه راحة غير انى علمت ان الموت يحول بين المرء وبين الاعمال فارجو امضاعفة العمل الصالح وانقطاع العمل السيء وكان عطاء السلمى اذا فرغ من وصيته انتفض وارتعد وبكى بكاء شديدا فقيل له لم ذلك فقال انى اريد ان اقبل على امر عظيم وهو الانتصاب بين يدى الله تعالى للعمل بمقتضى الوصية ولذلك كان على زين

العابدين ابن الحسين يرتعد اذا قام للصلاة فسئل عن ذلك فقال اتدرون لمن اقوم ولمن اخاطب وقيل كان بجانب سفيان الثورى رجل ضرير فاذا كان شهر رمضان يخرج ويصلى بالناس فيسكت ويبطىء وقال سفيان اذا كان يوم القيامة اتى باهل القرآن فيميزون بعلامة مزيد الكرامة عمن سواهم وقال سفيان لولا ان النفس استقرت فى القلب كما ينبغى لطار فرحا وشوقا الى الجنة وحزنا وخوفا من النار وعن سفيان الثورى انه قال النظر الى وجه الظالم خطيئة ثم تأخرت الجارية الثالثة وتقدمت الجارية الرابعة وقالت وها انا اتكلم ببعض ما يحضرنى من اخبار الصالحين روى ان بشر الحافى قال سمعت خالدا يقول اياكم وسرائر الشرك فقلت له وما سرائر الشرك قال ان يصلى احدكم فيطيل ركوعه وسجوده حتى يلحقه الحدث وقال بعض العارفين فعل الحسنات يكفر السيئات وقال بعض العارفين التمست من بشر بن الحافى شيأ من اسرار الحقايق فقال يابنى هذا العلم لا ينبغى ان تعلمه كل احد فمن كل مائة خمسة مثل زكاة الدرهم قال ابراهيم بن ادهم فاستحليت كلامه واستحسنته فبينما انا اصلى واذا ببشر يصلى فقمت وراءه اركع الى ان يؤذن المؤذن فقام رجل رث الحالة وقال ياقوم احذروا الصدق الضار ولا باس بالكذب النافع وليس مع الاضطرار اختيار ولا ينفع الكلام عند العدم كما لا يضر السكوت عند وجود الجود وقال ابراهيم رأيت بشرا سقط منه دانق فقمت اليه واعطيته درهما فقال لا اخذه فقلت انه من خالص الحلال فقال لى انا لست استبدل نعم الدنيا بنعم الاخرة ويروى ان اخت بشر الحافى قصدت احمد بن حنبل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ان الجارية قالت لوالدك ان اخت بشر الحافى قصدت احمد بن حنبل فقالت له يا امام الدين انا قوم نغزل بالليل ونشتغل بمعاشنا فى النهار وربما تمر بنا مشاعل ولاة بغداد ونحن على السطح نغزل فى ضوئها فهل يحرم علينا ذلك قال لها من انت قالت اخت بشر الحافى فقال ياهل بشر لا ازال استشف الورع من قلوبكم وقال بعض العارفين اذا اراد الله بعبد خيرا فتح عليه باب العمل وكان مالك ابن دينار اذا مر فى السوق ورأى ما يشتهيه يقول يا نفس اصبرى فلا اوافقك على ما تريدين وقال رضى الله عنه سلامة النفس فى مخالفتها وبلاؤها فى متابعتها وقال منصور ابن عمار حجت فقصدت مكة من طريق الكوفة وكانت ليلة مظلمة واذا بصارخ يصرخ فى جوف الليل ويقول الهى وعزتك وجلالك ما اردت بمعصيتى مخالفتك وما انا جاهل بك ولكن خطيئة قضيتها على فى قديم ازلك فاغفر لى ما فرط منى فانى قد عصيتك بجهلى فلما فرغ من دعائه تلى هذه الاية يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعت سقطة لم اعرف لها حقيقة فمضيت فلما كان الغد مشينا الى مدرجنا واذا بجنازة خرجت ووراءها عجوز ذهبت قوتها فسألتها عن الميت فقالت هذه جنازة رجل كان مربينا البارحة وولدى قائم يصلى فتلا آية من كتاب الله تعالى فانفطرت مرارة ذلك الرجل فوقع ميتا ثم تأخرت الجارية الرابعة وتقدمت الجارية الخامسة وقالت وها انا اذكر بعض ما يحضرنى من اخبار السلف الصالح كان مسلمة بن دينار يقول عند تصحيح الضمائر تغفر الصغائر والكبائر واذا عزم العبد على ترك الاثام اتاه الفتوح وقال كل نعمة لا تقرب الى الله فهى بلية وقليل الدنيا يشغل عن كثير الاخرة وكثيرها ينسيك قليلها وسئل ابو حازم من ايسر الناس فقال رجل اذهب

عمره فى طاعة الله قال فمن احمق الناس قال رجل باع آخرته بدنيا غيره وروى ان موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين قال رب انى لما انزلت الى من خير فقير فسأل موسى ربه ولم يسأل الناس وجاءت الجارية ان فسقى لهما ولم تصدر الرعاء فلما رجعتا اخبرتا اباهما شعيبا فقال له جائع ثم قال لاحداهما ارجعى اليه وادعيه فلما اتته غطت وجهها وقالت ان ابى يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فكره موسى ذلك واراد ان لا يتبعها وكانت امرأة ذات عجز فكانت الريح تضرب ثوبها فيظهر لموسى عجزها فيغض بصره ثم قال لها كونى خلفى فحشت خلفه حتى دخل على شعيب والعشاء مهيأ وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان وقالت الجارية الخامسة لوالدك فدخل موسى عليه السلام على شعيب والعشاء مهيأ فقال شعيب لموسى يا موسى انى اريد ان اعطيك اجرة ما سقيت لهما فقال موسى انا من اهل بيت لا نبيع شيأ من عمل الاخرة بما على الارض من ذهب وفضة فقال شعيب لا شاب ولكن انت ضيفى واكرام الضيف عادتى وعادة ابائى باطعام الطعام فجلس موسى فاكل ثم ان شعيبا استأجر موسى ثمانى حجج اى سنين وجعل اجرته على ذلك تزويجه احدى بنتيه وكان عمل موسى لشعيب صداقا لها كما قال تعالى حكاية عنه انى اريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين على ان تأجرنى ثمانى حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك وقال رجل لبعض اصحابه وكان له مدة لم يره انك اوحشتنى لانى ما رأيتك من مندزمان قال اشتغلت عنك بابن شهاب اتعرفه قال نعم هو جارى من منذ ثلاثين سنة الا انى لم اكلمه قال له انك نسيت الله فنسيت جارك ولو احببت الله لاحببت جارك اما علمت ان للجار على الجار حق كحق القرابة وقال حذيفة دخلنا مكة مع ابراهيم بن ادهم وكان شقيق البلخى قد حج فى تلك السنة فاجتمعنا فى الطواف فقال ابراهيم لشقيق ما شأنكم فى بلادكم فقال شقيق انا اذا رزقنا اكلنا واذا جعنا صبرنا فقال كذا تفعل كلاب بلخ ولكننا اذا رزقنا آثرنا واذا جعنا شكرنا فجلس شقيق بين يدى ابراهيم وقال له انت استاذى وقال محمد بن عمران سأل رجل حاتما الاصم فقال ما امرك فى التوكل على الله تعالى قال على خصلتين علمت ان رزقى لا يأكله غيرى فاطمأنت نفسى به وعلمت انى لم اخلق من غير علم الله فاستحيت منه ثم تأخرت الجارية الخامسة وتقدمت العجوز وقبلت الارض بين والدك تسع مرات وقالت قد سمعت ايها الملك ما تكلم به الجميع فى باب الزهد وانا تابعة لهن فاذكر بعض ما بلغنى عن اكابر المتقدمين قيل كان الامام الشافعى يقسم الليل ثلاثة اقسام الثلث الاول للعلم والثانى للنوم والثالث للتعبد وكان الامام ابو حنيفة يحيى نصف الليل فاشار اليه انسان وهو يمشى وقال لاخر ان هذا يحيى الليل كله فلما سمع ذلك قال انى استحى من الله ان اوصف بما ليس فى فصار بعد ذلك يحيى الليل كله وقال الربيع كان الشافعى يختم القرآن فى شهر رمضان ستين مرة كل ذلك فى الصلاة وقال الشافعى رضى الله عنه ما شبعت من خبز الشعير عشرين سنين لان الشبع يقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن القيام وروى عن عبد الله بن محمد السكرى انه قال كنت انا وعمر نتحدث فقال لى ما رأيت اورع ولا افصح من محمد بن ادريس الشافعى واتفق انى خرجت انا والحارث بن لبيب الصفار وكان الحارث تلميذ المزنى وكان صوته حسنا فقرأ قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن

لهم فيعتذرون فرأيت الامام الشافعي تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما افاق قال اعوذ بالله من مقام الكذابين واعراض الغافلين اللهم لك خشعت قلوب العارفين اللهم هب لي غفران ذنوبي من جودك وجملني بسترك واعف عن تقصيري بكرم وجهك ثم قمت وانصرفت وقال بعض الثقاة فلما دخلت بغداد كان الشافعي بها فجلست على الشاطئ لاتوضأ للصلاة اذ مر بي انسان فقال لي يا غلام احسن وضوءك يحسن الله اليك في الدنيا والاخرة فالتفت واذا برجل يتبعه جماعة فاسرعت في وضوئي وجعلت اتفو اثره فالتفت الي وقال هل لك من حاجة فقلت نعم تعلمني مما علمك الله تعالى فقال اعلم ان من صدق الله نجا ومن اشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد في الدنيا قرت عيناه غدا افلا ازيدك قلت بلى قال كن في الدنيا زاهدا وفي الاخرة راغبا واصدق في جميع امورك تنج مع الناجين ثم مضى فسألت عنه فقيل لي هذا الامام الشافعي وكان الامام الشافعي يقول وددت ان الناس ينتفعون بهذا العلم على ان لا ينسب الي منه شيء وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان قالت العجوز لولدك كان الامام الشافعي يقول وددت ان الناس ينتفعون بهذا العلم على ان لا ينسب الي منه شيء وقال ما ناظرت احدا الا احببت ان يوفقه الله تعالى للحق ويعينه على اظهاره وما ناظرت احدا قط الا لاجل اظهار الحق وما ابالي ان يبين الله الحق على لساني او على لسانه وقال رضي الله عنه اذا خفت على عملك العجب فاذكر رضى من تطلب وفي اي نعيم ترغب ومن اي عقاب ترهب وقيل لابي حنيفة ان امير المؤمنين ابا جعفر المنصور قد جعلك قاضيا ورسم لك بعشرة الاف درهم فارضى فلما كان اليوم الذي توقع ان يوفى اليه فيه بالمال صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم ثم جاءه رسول امير المؤمنين بالمال فلما دخل عليه وخاطبه فلم يكلمه فقال له رسول الخليفة ان هذا المال حلال فقال اعلم انه حلال لي ولكني اكره ان يقع في قلبي مودة الجبابرة فقال له لو دخلت اليهم وتحفظت من ودهم قال هل أمن ان الج البحر ولا يبتل ثيابي ومن كلام الشافعي رضي الله تعالى عنه

الا يا نفس ان ترضى بقولي * فانت عزيزة ابدا غنيه
دعي عنك المطامع والاماني * فكم امنية جلبت منيه

ومن كلام سفيان الثوري فيما اوصى به علي ابن الحسن السلمي عليك بالصدق واياك والكذب والخيانة والرياء والعجب فان العمل الصالح يحبطه الله بخصلة من هذه الخصال ولا تأخذ دينك الا عن من هو مشفق على دينه وليكن جليسك من يزهدك في الدنيا واكثر ذكر الموت واكثر الاستغفار واسأل الله السلامة فيما بقي من عمرك وانصح كل مؤمن اذا سألك عن امر دينه واياك ان تخون مؤمنا فان من خان مؤمنا فقد خان الله ورسوله واياك والجدال والخصام ودع ما يريبك الى ما لا يريبك تكن سليما وأمر بالمعروف وانه عن المنكر تكن حبيب الله واحسن سريرتك يحسن الله علانيتك واقبل المعذرة ممن اعتذر اليك ولا تبغض احدا من المسلمين وصل من قطعك واعف عن ظلمك تكن رفيق الانبياء وليكن امرك مفوضا الى الله في السر والعلانية واخش الله خشية من قد علم انه ميت ومبعوث وصائر الى الحشر والوقوف بين يدي الجبار واذكر مصيرك الى احدى الدارين اما جنة عالية واما نار حامية

م ان العجوز جلست الى جانب الجوارى فلما سمع والد لك المرحوم كلامهن علم انهن افضل اهل زمانهن ورأى حسنهن وجمالهن وزيادة ادبهن فاواهن اليه واقبل على العجوز فاكرمها واخلى لها هى وجواريها القصر الذى كانت فيه الملكة ابريزة بنت ملك الروم وتقل اليهن ما يحتجن اليه من الخيرات فاقامت عنده عشرة ايام وكلما دخل عليها يجدها معتكفة على صلاتها وقيامها فى ليلها وصيامها فى نهارها فوقع فى قلبه محبتها وقال لى يا وزير ان هذه العجوز من الصالحات وقد عظمت فى قلبى مهابتها فلما كان اليوم الحادى عشر اجتمع بها من جهة دفع ثمن الجوارى اليها فقالت له ايها الملك اعلم ان ثمن هذه الجوارى فوق ما تتعامل به الناس فانى لا اطلب فيهن ذهبا ولا فضة ولا جواهر قليلا كان ذلك او كثيرا فلما سمع والد لك كلامها تعجب وقال ايتها السيدة وما ثمنهن قالت ما ابيعهن لك الا بصيام شهر كامل تصوم نهاره وتقوم ليله لوجه الله تعالى فان فعلت ذلك فهن ملك لك فى قصرك تصنع بهن ما شئت فتعجب الملك من كمال صلاحها وزهدها وورعها وعظمت فى عينه وقال نفعنا الله بهذه المرأة الصالحة ثم اتفق معها على انه يصوم الشهر كما اشترطته عليه فقالت له وانا اعينك بدعوات ادعو بهن لك فاتنى بكوز ماء فاتاها بكوز ماء فاخذته وقرأت عليه وهمهمت وقعدت ساعة تتكلم بكلام لا نفهمه ولا نعرف منه شيأ ثم غطته بخرقة وختمته وناولته لوالد لك وقالت له اذا صمت العشرة الاولى فافطر فى الليلة الحادية عشر على ما فى هذا الكوز فانه ينزع حب الدنيا من قلبك ويملؤه نورا وايمانا وفى غد اخرج الى اخوانى وهم رجال الغيب فانى اشتقت اليهم ثم اجيء اليك اذا مضت العشرة الاولى فاخذ والد لك الكوز ثم نهض وافرد له خلوة فى القصر ووضع الكوز فيها واخذ مفتاح الخلوة فى جيبه فلما كان النهار صام السلطان وخرجت العجوز الى حال سبيلها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان فلما كان النهار صام السلطان وخرجت العجوز الى حال سبيلها واتم الملك صوم العشرة ايام وفى اليوم الحادى عشر فتح الكوز وشربه فوجد له فى فؤاده فعلا جميلا وفى العشرة ايام الثانية من الشهر جاءت العجوز ومعها حلاوة فى ورق اخضر لا يشبه ورق الشجر فدخلت على والد لك وسلمت عليه فلما رأها قام لها وقال لها مرحبا بالسيدة الصالحة فقالت له ايها الملك ان رجال الغيب يسلمون عليك لانى اخبرتهم عنك ففرحوا بك وارسلوا معى هذه الحلاوة وهى من حلاوة الاخرة فافطر عليها فى آخر النهار ففرح والد لك فرحا زائدا وقال الحمد لله الذى جعل لى اخوانا من رجال الغيب ثم شكر العجوز وقبل يديها واكرمها واكرم الجوارى غاية الاكرام ثم مضت مدة عشرين يوما وابو لك صائم وعند رأس العشرين يوما اقبلت عليه العجوز وقالت له ايها الملك اعلم انى اخبرت رجال الغيب بما بينى وبينك من المحبة واعلمتهم بانى تركت الجوارى عند لك ففرحوا حيث كانت الجوارى عند ملك مثلك لانهم كانوا اذا رأوهن يبالغون لهن فى الدعاء المستجاب فاريد ان اذهب بهن الى رجال الغيب لتحصل نفعاتهم لهن وربما انهن لا يرجعن اليك الا ومعهن كنز من كنوز الارض حتى انك بعد تمام صومك تشتغل بكسوتهن وتستعين بالمال الذى يأتينك به على اغراضك فلما سمع والد لك كلامها شكرها على ذلك وقال لها ولا انى اخشى مخالفتى لك ما رضيت بالكنز ولا غيره ولكن متى تخرجين بهن فقالت له فى الليلة السابعة والعشرين وارجع بهن اليك فى رأس الشهر وتكون انت قد وفيت الصوم وحصل

استبراؤهن وصرن لك وتحت امرك والله ان كل جارية منهن ثمنها اعظم من ملكك مرات فقال لها وانا اعرف ذلك ايتها السيدة الصالحة فقالت له بعد ذلك ولابد ان ترسل معهن من يعز عليك من قصرك حتى يجد الانس ويلتمس البركة من رجال الغيب فقال لها عندى جارية رومية اسمها صفية ورزقت منها بولدين انثى وذكر ولكنهما فقدا من منذ سنين نخذيها معهن لاجل ان تحصل لها البركة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ان ابالك قال للعجوز لما طلبت منه الجوارى ان عندى جارية رومية اسمها صفية ورزقت منها بولدين انثى وذكر ولكنهما فقدا من منذ سنين نخذيها معك لاجل ان تحصل لها البركة ولعل رجال الغيب ان يدعوا الله لها بان يرد عليها ولديها ويجمع شملها بهما فقالت العجوز نعم ما قلت وكان ذلك اعظم غرضها ثم ان والدك اخذ فى تمام صيامه فقالت له يا ولدى انى متوجهة الى رجال الغيب فاحضر لى صفية فدعا بها فحضرت فى ساعتها فسلمها الى العجوز فخاطتها بالجوارى ثم دخلت العجوز محمد عها وخرجت للسلطان بكاس مختوم وناولته له وقالت اذا كان يوم الثلاثين فادخل الحمام ثم اخرج منه وادخل خلوة من الخلاوى التى فى قصرك واشرب هذا الكاس وتم فقد نلت ما تطلب والسلام منى عليك فعند ذلك فرح الملك وشكرها وقبل يدها فقالت له استودعتك الله فقال لها ومتى ارا لك ايتها السيدة الصالحة فانى اود ان لا افارقك فدعت له وتوجهت ومعها الجوارى والملكة صفية وقعد الملك بعدها ثلاثة ايام ثم هل الشهر فقام الملك ودخل الحمام وخرج من الحمام ودخل الخلوة التى فى القصر وامر ان لا يدخل عليه احد ورد الباب عليه ثم شرب الكاس ونام ونحن قاعدون فى انتظاره الى آخر النهار فلم يخرج من الخلوة فقلنا لعله تعبان من الحمام ومن سهر الليل وصيام النهار فبسبب ذلك نام فانتظرناه ثانى يوم فلم يخرج فوقفنا بباب الخلوة واعلنا برفع الصوت لعله ينتبه ويسأل عن الخبر فلم يحصل منه ذلك فخلعنا الباب ودخلنا عليه فوجدناه قد تمزق لحمه وتفتت عظمه فلما رأيناه على هذه الحالة عظم علينا ذلك واخذنا الكاس فوجدنا فى غطائه قطعة ورق مكتوبا فيها من اساء لا يستوحش منه وهذا جزاء من يتحيل على بنات الملوك ويفسدهن والذى نعلم به كل من وقف على هذه الورقة ان شركان لما جاء بلادنا قد افسد علينا الملكة ابريزة وما كفاه ذلك حتى اخذها من عندنا وجاء بها اليكم ثم ارسلها مع عبد اسود فقتلها ووجدناها مقتولة فى الخلاء مطروحة على الارض فهذا ما هو فعل الملوك وما جزاء من يفعل هذا الفعل الا ما حل به وانتم لا تتهموا احدا بقتله فما قتله الا العاهرة الشاطرة التى اسمها ذات الدواهى وها انا اخذت زوجة الملك صفية ومضيت بها الى والدها فريدون ملك القسطنطينية ولابد ان نغزوكم ونقتلكم ونأخذ منكم الديار فتهلكون عن آخركم ولا يبقى منكم ديار ولا من ينفخ النار الا من يعبد الصليب والزنار فلما قرأنا هذه الورقة علمنا ان العجوز خدعتنا وتمت حيلتها علينا فعند ذلك صرخنا ولطمنا على وجوهنا وبكينا فلم يفدنا البكاء شيأ واختلفت العساكر فمن يجعلونه سلطانا عليهم فمنهم من يريد لك ومنهم من يريد الخال شركان ولم نزل فى هذا الاختلاف مدة شهر ثم جمعنا بعضنا واردنا ان نمضى الى الخال شركان فسافرنا الى ان وجدناك وهذا سبب موت السلطان عمر النعمان فلما فرغ الوزير من كلامه بكى ضوء المكان هو واخته نزهة الزمان وبكى الحاجب ايضا

ثم قال

ثم قال الحاجب لضوء المكان ايها الملك ان البكاء لا يفيدك شيأ ولا يفيدك الا انك تشد قلبك وتقوى عزمك وتؤيد مملكتك ومن خلف مثلك ما مات فعند ذلك سكت عن بكائه وامر بنصب السرير خارج الدهليز ثم امر ان يعرضوا عليه العساكر ووقف الحاجب بجانبه والسلحدارية من ورائه ووقف الوزير دندان قدامه ووقف كل واحد من الامراء وارباب الدولة فى مرتبته ثم ان الملك ضوء المكان قال للوزير دندان اخبرنى بخزائن ابى فقال سمعا وطاعة واخبره بخزائن الاموال وبما فيها من الذخائر والجواهر وعرض عليه ما فى خزنته من الاموال فانفق على العساكر وخلع على الوزير دندان خلعة سنية وقال له انت فى مكانك فقبل الارض بين يديه ودعا له بالبقاء ثم خلع على الامراء ثم انه قال للحاجب اعرض على الذى معك من خراج دمشق فعرض عليه صناديق المال والتحف والجواهر فاخذها وفرقها على العساكر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ضوء المكان امر الحاجب ان يعرض عليه ما اتى به من خراج دمشق فعرض عليه صناديق المال والتحف والجواهر فاخذها وفرقها على العساكر ولم يبق منها شيأ ابدا فقبل الامراء الارض بين يديه ودعوا له بطول البقاء وقالوا ما رأينا ملكا يعطى مثل هذه العطايا ثم انهم مضوا الى خيامهم فلما اصبحوا امرهم بالسفر فسافروا ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع اشرفوا على بغداد فدخلوا المدينة فوجدوها قد تزينت وطلع السلطان ضوء المكان قصر ابيه وجلس على السرير ووقف امراء العسكر والوزير دندان وحاجب دمشق بين يديه فعند ذلك امر كاتب السر ان يكتب كتابا الى اخيه شركان ويذكر فيه ما جرى من الاول الى الاخر ويذكر فى آخره وساعة وقوفك على هذا المكتوب تجهز امرك وتحضر بعسكرك حتى نتوجه الى غزو الكفار ونأخذ منهم الثار ونكشف العار ثم طوى الكتاب وختمه وقال للوزير دندان ما يتوجه بهذا الكتاب الا انت ولكن ينبغى ان تتلطف به فى الكلام وتقول له ان اردت ملك ابيك فهو لك واخوك يكون نائبا عنك فى دمشق كما اخبرنا بذلك فنزل الوزير دندان من عنده وتجهز للسفر ثم ان ضوء المكان امر ان يجعلوا له وقادا مكانا فاخرا ويفرشوه باحسن الفرش وذلك الوقاد له حديث طويل ثم ان ضوء المكان خرج يوما الى الصيد والقنص وعاد الى بغداد فقدم له بعض الامراء من الخيول الجياد ومن الجوارى الحسان ما يعجز عن وصفه اللسان فاعجبته جارية منهن فاستخلى بها ودخل عليها فى تلك الليلة فعلقت منه من ساعتها وبعد مدة رجع الوزير دندان من سفره واخبره بخبر اخيه شركان وانه قادم عليه وقال له ينبغى ان تخرج وتلاقيه فقال له ضوء المكان سمعا وطاعة فخرج اليه مع خواص دولته من بغداد مسيرة يوم ثم نصب خيامه هناك لانتظار اخيه وعند الصباح اقبل الملك شركان فى عساكر الشام ما بين فارس مقدام واسد ضرغام وبطل مصدام فلما اشرفت الكتائب وقدمت السحائب واقبلت العصائب وخفقت اعلام المواكب توجه شركان هو ومن معه لملاقاتهم فلما عاين ضوء المكان اخاه اراد ان يترجل اليه فاقسم عليه شركان ان لا يفعل ذلك وترجل شركان ومشى خطوات فلما صار بين يدى ضوء المكان رمى ضوء المكان نفسه عليه فاحتضنه شركان الى صدره وبكيا بكاء شديدا وعزى بعضهما بعضا ثم ركب الاثنان وساروا وساروا والعسكر معهما الى ان اشرفوا على بغداد ونزلوا ثم طلع ضوء المكان هو واخوه شركان الى قصر الملك وباتا تلك الليلة وعند

الصباح خرج ضوء المكان وامر ان يجمعوا العساكر من كل جانب وينادوا بالغزو والجهاد ثم اقاموا ينتظرون مجيء الجيوش من سائر البلدان وكل من حضر يكرمونه ويعدونه بالجميل الى ان مضى على ذلك الحال مدة شهر كامل والقوم يأتون افواجا متتابعة ثم قال شركان لاخيه يا اخي اعلمني بقضيتك فاعلمه بجميع ما وقع له من الاول الى الاخر وبما صنعه معه الوقاد من المعروف فقال له شركان اما كافاته على معروفه فقال له يا اخي ما كافئته الى الان ولكن اكافئه ان شاء الله تعالى لما ارجع من الغزوة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان قال لاخيه ضوء المكان اما كافات الوقاد على معروفه فقال له يا اخي ما كافئته الى الان ولكن اكافئه ان شاء الله تعالى لما ارجع من الغزوة وانفرغ له فعند ذلك عرف شركان ان اخته الملكة نزهة الزمان صادقة في جميع ما اخبرته به ثم كتم امره وامرها وارسل اليها السلام مع الحاجب زوجها فبعثت له ايضا معه السلام ودعت له وسألت عن ابنتها قضى فكان فاخبرها انها في عافية وانها في غاية ما يكون من الصحة والسلامة فحمدت الله تعالى وشكرته ورجع شركان الى اخيه يشاوره في امر الرحيل فقال له يا اخي لما تتكامل العساكر وتأتي العربان من كل مكان ثم امر بتجهيز الميرة واحضار الذخيرة ودخل ضوء المكان الى زوجته وكان مضى لها خمسة اشهر وجعل ارباب الاقلام واهل الحساب تحت طاعتها ورتب لهم الجرايات والجوامك وسافر في ثالث شهر من حين نزول عسكر الشام بعدان قدمت العربان وجميع العساكر من كل مكان وسارت الجيوش والعساكر وتتابعت الجحافل وكان اسم رئيس عسكر الديلم رستم واسم رئيس عسكر الترك بهرمان وصار ضوء المكان في وسط الجيوش وعن يمينه اخوه شركان وعن يساره الحاجب صهره ولم يزالوا سائرين مدة شهر وكل جمعة ينزلون في مكان يستريحون فيه ثلاثة ايام لان الخلق كثير ولم يزالوا سائرين على هذه الحالة حتى وصلوا الى بلاد الروم فنفرت اهل القرى والضياع والصعاليك وفروا الى القسطنطينية فلما سمع افريدون ملكهم بخبرهم قام وتوجه الى ذات الدواهي فانها هي التي دبرت الحيل وسافرت الى بغداد حتى قتلت الملك عمر النعمان ثم اخذت جواريها والملكة صفية ورجعت بالجميع الى بلادها فلما رجعت الى ولدها ملك الروم راسلت على نفسها قالت لابنها قرعينا فقد اخذت لك بثارا بنتك ابريزة وقتلت الملك عمر النعمان وجئت بصفية فقم الان وارحل الى ملك القسطنطينية وردعليه صفية واعلمه بما جرى حتى يكون جميعنا على حذر وتجهز باهبة واسافر انا معك الى الملك افريدون ملك القسطنطينية واظن ان المسلمين لا يثبتون على قتالنا فقال لها امهلي الى ان يترب وا من بلادنا حتى نجهز احوالنا ثم اخذوا في جمع رجالهم وتجهيز احوالهم فلما جاءهم الخبر كانوا قد جهزوا حالهم وجمعوا الجيوش وسارت في اوائلهم ذات الدواهي فلما وصلوا الى القسطنطينية سمع الملك الاكبر ملكها افريدون بقدوم حردوب ملك الروم فخرج لملاقاته فلما اجتمع افريدون بملك الروم سأله عن حاله وعن سبب قدومه فاخبره بما عملته امه ذات الدواهي من الحيل وانها قتلت ملك المسلمين واخذت من عنده الملكة صفية وقالت ان المسلمين جمعوا عساكرهم وجاؤا نريد ان نكون جميعنا يدا واحدة ونلاقاهم ففرح الملك افريدون بقدوم ابنته وقتل عمر النعمان وارسل الى سائر الاقاليم يطلب منهم النجدة ويذكر لهم سبب قتل الملك عمر النعمان فهرعت اليه جيوش النصارى فاقام ثلاثة شهور حتى تكاملت جيوش الروم

ثم اقبلت الافرنج من سائر اطرافها كالفرنسيس والنمسه ودوبره وجورزنه وبندق وجنوبر وسائر عساكر بنى الاصفر فلما تكاملت العساكر وضاقت بهم الارض من كثرتهم امرهم الملك الاكبر افريدون ان يرحلوا عن القسطنطينية فرحلوا واستمرت تتابع عساكرهم فى الرحيل عشرة ايام وساروا حتى نزلوا بواد واسع الاطراف وكان ذلك الوادى قريبا من البحر المالح فاقاموا ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع اراد وا ان يرحلوا فاتتهم الاخبار بقدوم عساكر الاسلام وحماة ملة خير الانام فاقاموا فيه ثلاثة ايام اخرى وفى اليوم الرابع رأوا غبارا طار حتى سد الاقطار فلم تمض ساعة من النهار حتى انجلا ذلك الغبار وتمزق الى الجو وطار ومحت ظلمته كواكب الاسنة والرماح وبريق بيض الصفاح وبان من تحته رايات اسلامية واعلام محمدية واقبلت الفرسان كاندفاع البحار فى دروع تحسبها سحابا مزردة على اثار فعند ذلك تقابل الجيشان والتطم البحران ووقعت العين فى العين فاول من برز للقتال الوزير دندان هو وعساكر الشام وكانوا ثلاثين الف عنان وكان مع الوزير مقدم الترك ومقدم الديلم رستم وبهرام فى عشرين الف فارس وطلع من ورائهم رجال من صوب البحر المالح وهم لابسون زرد الحديد وقد صاروا فيه كالبدور السافرة فى الليالى العاكرة وصارت عساكر النصارى ينادون عيسى ومريم والصليب المعظم ثم انطبقوا على الوزير دندان ومن معه من عساكر الشام وكان هذا كله بتدبير العجوز ذات الدواهى لان الملك اقبل عليها قبل خروجه وقال لها كيف العمل والتدبير وانت السبب فى هذا الامر العسير فقالت اعلم ايها الملك الكبير والكاهن الخطير انى اشير عليك بامر يعجز عن تدبيره ابليس ولو استعان عليه بجزبه المتاعيس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان هذا كله كان بتدبير العجوز لان الملك كان اقبل عليها قبل خروجها وقال لها كيف العمل والتدبير وانت السبب فى هذا الامر العسير فقالت اعلم ايها الملك الكبير والكاهن الخطير انى اشير عليك بامر يعجز عن تدبيره ابليس ولو استعان عليه بجزبه المتاعيس وهو انك ترسل خمسين الفا من الرجال ينزلون فى المراكب ويتوجهون فى البحر الى ان يصلوا الى جبل الدخان ويقيمون هناك ولا يرحلون من ذلك المكان حتى تأتيكم اعلام الاسلام فدونكم واياهم ثم تخرج اليهم العساكر من البحر ويكونون خلفهم ونحن نقابلهم من البر فلا ينجو منهم احد وقد زال عنا العناء ودام لنا الهناء فاستصوب الملك افريدون كلام العجوز وقال نعم الرأى رأيك ياسيدة العجائز الماكرة ومرجع الكهان فى الفتن الثائرة وحين هجم عليهم عسكر الاسلام فى ذلك الوادى لم يشعروا الا والنار تلتهب فى الخيام والسيوف تعمل فى الاجسام ثم اقبلت جيوش بغداد وخرسان وهم فى مائة وعشرين الف فارس وفى اوائلهم ضوء المكان فلما رأهم عسكر الكفار الذين كانوا فى البحر طلعوا اليهم من البحر وتبعوا اثرهم فلما رأهم ضوء المكان قال ارجعوا الى الكفار يا حزب النبى المختار وقاتلوا اهل الكفر والعدوان فى طاعة الرحيم الرحمن واقبل شركان بطائفة اخرى من عساكر المسلمين نحو مائة الف وعشرين الفا وكانت عساكر الكفار نحو الف الف وستمائة الف فلما اختلط المسلمون بعضهم ببعض قويت قلوبهم ونادوا قائلين ان الله وعدنا بالنصر واوعد الكفار بالخذلان ثم تصادموا بالسيف والسنان واخترق شركان الصفوف وهاج فى الالوف وقاتل قتالا تشيب منه الاطفال ولم يزل يجول فى الكفار ويعمل فيهم الصارم البتار وينادى الله اكبر حتى رد

القوم الى ساحل البحر وكان منهم الاجسام ونصر الله دين الاسلام والناس يقاتلون وهم سكارى بغير مدام وقد قتل من القوم فى ذلك الوقت خمسة واربعون الفا وقتل من المسلمين ثلاثة الاف وخمسمائة ثم ان اسد الدين الملك شركان لم ينم فى تلك الليلة لا هو ولا اخوه ضوء المكان بل كانا يبشران الناس ويتفقدان الجرحى ويهنيانهم بالنصر والسلامة والثواب فى القيامة هذا ما كان من امر المسلمين واما ما كان من امر الملك افريدون ملك القسطنطينية وملك الروم وامه العجوز ذات الدواهى فانهم جمعوا امراء العسكر وقالوا لبعضهم انا كنا بلغنا المراد وشفينا الفؤاد ولكن اصابنا بكثرتنا هو الذى خذلنا فقالت لهم العجوز ذات الدواهى انه لا ينفعكم الا انكم تتقربوا للمسيح وتتمسكوا بالاعتقاد الصحيح فوحق المسيح ما قوى عسكر المسلمين الا هذا الشيطان الملك شركان فقال الملك افريدون انى قد عولت فى غد على ان اصف لهم الصفوف واخرج لهم الفارس المعروف لوقا ابن شملوط فانه اذا برز الى الملك شركان قتله وقتل غيره من الابطال حتى لم يبق منهم احد وقد عولت فى هذه الليلة على تقديسكم بالبخور الاكبر فلما سمعوا كلامه قبلوا الارض وكان البخور الذى اراده خرء البطريق الكبير ذى الانكار والنكير فانهم كانوا يتنافسون فيه ويستحسنون مساويه حتى كانت اكابر بطارقة الروم يبعثونه الى سائر اقاليم بلادهم فى خرق من الحرير ويمزجونه بالمسك والعبير فاذا وصل خبره الى الملوك يأخذون منه كل درهم بالف دينار حتى كان الملوك يرسلون فى طلبه من اجل بخور العرايس وكانت البطارقة يخلطونه بخرئهم فان خرء البطريق الكبير لا يكفى عشرة اقاليم وكان خواص ملوكهم يجعلون قليلا منه فى كحل العيون ويداوون به المريض والمبطون فلما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح وتبادرت الفرسان الى حمل الرماح وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه لما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح وتبادرت الفرسان الى حمل الرماح دعا الملك افريدون بخواص بطارقته وارباب دولته وخلع عليهم ونقش الصليب فى وجوههم وبخرهم بالبخور المتقدم ذكره الذى هو خرء البطريق الاكبر والكاهن الاكمر فلما بخرهم دعا بحضور لوقا ابن شملوط الذى يسمونه سيف المسيح وبخره بالرجيع وحنكه به بعد التبخير ونشقه ولطخ له عوارضه ومسح بالفضلة شواربه وكان ذلك الملعون لوقا ما فى بلاد الروم اعظم منه ولا ارمى بالنبال ولا اضرب بالسيف ولا اطعن بالرمح يوم النزال وكان بشع المنظر كان وجهه وجه حمار وصورته صورة قرد وطلعته طلعة الرقيب وخريه اصعب من فراق الحبيب له من الليل ظلمته ومن الابخر نكهته ومن القوس قامته ومن الكفر سيئته وبعد ذلك اقبل على الملك افريدون وقبل قدميه ثم وقف بين يديه فقال له الملك افريدون انى اريد ان تبرز الى شركان ملك دمشق ابن عم النعمان وقد انجلى عنا هذا الشر وهان فقال سمعا وطاعة ثم ان الملك نقش فى وجهه الصليب وزعم ان النصر يحصل له عن قريب ثم انصرف لوقا من عند الملك افريدون وركب الملعون لوقا جوادا اشقر وعليه ثوب احمر وردية من الذهب المرصع بالجوهر وحمل رمحا له ثلاث حراب كانه ابليس اللعين يوم الاحزاب ووجهه هو وحزبه الكفار كانهم يساقون الى النار وبينهم مناد ينادى بالعربى ويقول يا امة محمد صلى الله عليه وسلم لا يخرج منكم الا فارسكم سيف الاسلام شركان صاحب دمشق الشام فلما استتم كلامه الاوضجة فى الفلا سمع صوتها جميع الملا وركضات فرقت الصفين واذكرت يوم حنين

ففزع الشام منها والفتوا الاعناق نحوها واذا هو الملك شركان ابن الملك عمر النعمان وكان اخوه ضوء المكان لما رأى ذلك الملعون فى الميدان وسمع المنادى التفت لاخيه شركان وقال له انهم يريدونك فقال ان كان الامر كذلك فهو احب الى فلما تحققوا الامر وسمعوا هذا المنادى وهو يقول فى الميدان لا يبرز لى الا شركان علموا ان هذا الملعون فارس بلاد الروم وكان قد حلف ان يخلى الارض من المسلمين والا فهو من اخسر الخاسرين لانه هو الذى حرق الاكاد وفزعت من شره الاجناد من الترك والديلم والاكراد فعند ذلك برز اليه شركان كانه اسد غضبان وكان راكبا على ظهر جواد يشبه شارد الغزلان فساقه نحو لوقا حتى صار عنده وهز الرمح فى يده كانه افعى من الحيات وانشد هذه الابيات

الى اشقر سمح العنان مغاير * يعطيك ما يرضيك من مجهوده
ومثقف لدن السنان كانما * ام المنايا اركبت فى عوده
ومهند عضب اذا جردته * خلت البروق تموج فى تجريده

فلم يفهم لوقا معنى هذا الكلام ولا احساس هذا النظام بل لطم وجهه بيده تعظيما للصليب المنقوش عليه ثم قبلها واشرع الرمح نحو شركان وكر عليه ثم طوح الحربة باحدى يديه حتى خفيت عن اعين الناظرين وتلقاها باليد الاخرى كفعل الساحرين ثم رمى بها شركان فخرجت من يده كانها شهاب ثاقب ففجئت الناس وخافوا على شركان فلما قربت الحربة من شركان اختطفها من الهوى فتحيرت عقول الورى ثم ان شركان هزها بيده التى اخذها بها من النصرانى حتى كاد ان يقصفها ورماها فى الجو حتى خفيت عن النظر والتقاها بيده الثانية فى اقرب من لمح البصر وصاح صيحة من صميم قلبه وقال وحق من خلق السبع الطباق لاجعلن هذا اللعين شهرة فى الآفاق ثم رماه بالحربة فاراد لوقا ان يفعل بالحربة كما فعل شركان ومد يده الى الحربة ليختطفها من الهوى فعاجله شركان بحربة ثانية وضربه بها فوقعت فى وسط الصليب الذى فى وجهه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما رأى الكفار لوقا ابن شملوط وقع مقتولا لطموا على وجوههم ونادوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الديور وادركهم شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الكفار لما رأوا لوقا ابن شملوط وقع مقتولا لطموا على وجوههم ونادوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الديور وقالوا ابن الصلبان وتزهد الرهبان ثم اجتمعوا جميعا عليه واعملوا الصوارم والرماح وهجموا اللعب والكفاح والتقت العساكر بالعساكر وصارت الصدور تحت وقع الحوافر وتحكمت الرماح والصوارم وضعفت السواعد والمعاصم وكان الخيل قد خلقت بلا قوائم ولا زال منادى الحرب ينادى الى ان كلت الايادى وذهب النهار واقبل الليل بالاعتكار وافترق الجيشان وصار كل شجاع كالسكران من شدة الضرب والطعان وقد امتلأت الارض بالقتلى وعظمت الجراحات ولا يعرف الجريح ممن مات ثم ان شركان اجتمع باخيه ضوء المكان والحاجب والوزير دندان فقال شركان لاخيه ضوء المكان والحاجب ان الله قد فتح بابا الهلاك الكافرين والحمد لله رب العالمين فقال ضوء المكان لاخيه لم نزل نحمد الله لكشف الكرب عن العرب والعجم وسوف تتحدث الناس جيلا بعد جيل بما صنعت باللعين لوقا محرف الانجيل واخذك الحربة من الهوى وضربك لعدو الله بين

الورى وبقى حديثك الى آخر الزمان ثم قال شركان ايها الحاجب الكبير والمقدام الخطير فاجابه بالتلبية فقال له خذ معك الوزير دندان وعشرين الف فارس وسر بهم الى ناحية البحر مقدار سبعة فراسخ واسرعوا فى السير حتى تكونوا قريبا من الساحل بحيث يبقى بينكم وبين القوم قدر فرسخين واختفوا فى وهدات الارض حتى تسمعوا صيحة الكفار اذا طلعوا من المراكب وتسمعوا الصياح من كل جانب وقد عملت بيننا وبينهم القواضب فاذا رأيتم عسكرنا تقهقروا الى وراء كانهم منهزمون وجاءت الكفار زاحفة خلفهم من جميع الجهات حتى من جانب الساحل والخيام فكونوا لهم بالمرصاد واذا رأيت انت علما عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فارفع العلم الاخضر وصح قائلا الله اكبر واحمل عليهم من ورائهم واجتهد فى ان لا يحول الكفار بين المنهزمين وبين البحر فقال السمع والطاعة واتفقوا على ذلك الامر فى تلك الساعة ثم تجهزوا وساروا وقد اخذ الحاجب معه الوزير دندان وعشرين الفا كما امر الملك شركان فلما اصبح الصباح ركب القوم وهم مجردون الصفاح ومعتقلون الرماح وحاملون السلاح وانتشرت الخلائق فى الربا والبطاح وصاحت القسوس وكشفت الرؤس ورفعت الصلبان على قلوع المراكب وقصدوا الساحل من كل جانب وانزلوا الخيل فى البر وعزموا على الكر والفر ولمعت السيوف وتوجهت الجموع وبرقت شهب الرماح على الدروع ودارت طاحون المنايا على الرجال والفرسان وطارت الرؤس عن الابدان وخرست الالسن وتغشت الاعين وانفطرت المرائر وعملت البوائر وطارت الجماجم وقطعت المعاصم وخاضت الخيل فى الدماء وتقابضوا فى اللحى وصاحت عساكر الاسلام بالصلاة والسلام على سيد الانام وبالثناء على الرحمان بما اولى من الاحسان وصاحت عساكر الكفر بالثناء على الصليب والزنار والعصير والعصار والقسوس والرهبان والشعانين والمطران وتأخروه المكان هو وشركان الى وراءهما وقهقرت الجيوش واظهروا الانهزام للاعداء وزحفت عليهم عساكر الكفر لوهم المهزعة وتهيئوا للطعن والضرب فاستهل اهل الاسلام بقرأة اول سورة البقرة وصارت القتلى تحت ارجل الخيل منثورة وصار منادى الروم يقول يا عبدة المسيح وذوى الدين الصحيح يا خدام الجاثليق قد لاح لكم التوفيق ان عساكر الاسلام قد جنحوا الى الفرار فلا تولوا عنهم الادبار فكنوا السيوف من اقفيتهم ولا ترجعوا من ورائهم والا برئتم من المسيح ابن مريم الذى فى المهد تكلم وظن افريدون ملك القسطنطينية ان عساكر الكفار منصورة ولم يعلم ان ذلك من حسن تدبير المسلمين صورة فارسل الى ملك الروم يبشره بالظفر ويقول له ما نفعنا الا غائط البطريق الاكبر لما فاحت رايحته من اللحى والشوارب بين عباد الصليب حاضر وغائب واقسم بالمعجزات ابريزه النصرانيه المريمية والمياه المعمودية انى لا اترك على الارض مجاهدا بالكلية وانى مصر على سوء هذه النية وتوجه الرسول بهذا الخطاب ثم صاح الكفار على بعضهم قائلين خذوا بثارلوقا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الكفار صاحوا على بعضهم قائلين خذوا بثارلوقا وصار ملك الروم ينادى يا لاخذ ثار ابريزة فعند ذلك صاح الملك ضوء المكان وقال يا عباد الملك الديان اضربوا اهل الكفر والطغيان بيض الصفاح وسمر الرماح فرجع المسلمون على الكفار واعملوا فيهم الصارم البتار وصار ينادى منادى المسلمين ويقول عليكم يا عداء الدين يا محب النبى المختار هذا وقت ارضاء الكريم الغفار يا راجى

النجاة فى اليوم المخوف ان الجنة تحت ظلال السيوف واذا بشركان قد حمل هو ومن معه على الكفار وقطعوا عليهم طريق الفرار وجال بين الصفوف وطاف واذا بفارس مليح الانعطاف قد فتح فى عسكر الكفار ميدانا وجال فى الكفرة حربا وطعانا وملأ الارض رؤسا وابدانا وقد خافت الكفار من حربه ومالت اعناقهم لطعنه وضربه قد تقلد بسيفين لحظ وحسام واعتقل رمحين قناة وقوام بوفرة تغنى عن وافر عدد العساكر كما قال فيه الشاعر

لا تحسن الوفرة الاوهى * منشورة الفرعين يوم النزال
على فتى معتقل صعدة * يعلوها من كل وافى السبال

ويقول الاخر

اقول له لما تقلد سيفه * كفتك سيوف اللحظ عن ذلك العضب
فقال لحاظى سيفها الذوى الهوى * وسيفى لمن لم يدر مالذة الحب

فلما رأى شركان قال اعيذك بالقرأن وآيات الرحمن من انت ايها الفارس من الفرسان فلقد ارضيت بفعالك الملك الديان الذى لا يشغله شأن عن شأن حيث هزمت اهل الكفر والطغيان فناداه الفارس قائلا انت الذى بالامس عاهدتنى فما اسرع ما نسيتنى ثم كشف اللثام عن وجهه حتى ظهر ما خفى من حسنه فاذا هو ضوء المكان ففرح به شركان الا انه خاف عليه من ازدحام الاقران وانطباق الشجعان وذلك لامرين احدهما لغرسنه وصيانته عن العين والثانى ان بقاءه للمملكة اعظم الجناحين فقال له يا ملك انك لقد خاطرت بنفسك فالصق جوادك بجوادى فانى لا امن عليك من الاعداء والمصلحة فى ان لا تخرج من تلك العصائب لاجل ان نرمى الاعداء بسهمك الصائب فقال ضوء المكان انى اردت ان اساويك فى النزال ولا ابخل بنفسى بين يديك فى القتال ثم انطبقت عساكر الاسلام على الكفار واحاطوا بهم من جميع الاقطار وجاهدوهم حق الجهاد وكسروا شوكة الكفر والعناد والفساد فتأسف الملك افريدون لما رأى ما حل بالروم من الامر المذموم وقد ولوا الادبار وركنوا الى الفرار يقصدون المراكب واذا بالعساكر قد خرجت عليهم من ساحل البحر وفى اولهم الوزير دندان مجتدل الشجعان وضرب فيهم بالسيف والسنان وكذا الامير بهرام صاحب دوائر الشام وهو فى عشرين الف ضرغام واحاطت بهم عساكر الاسلام من خلف ومن امام ومالت فرقة من المسلمين على من كان فى المراكب واوقعوا فيهم المعاطب فرموا انفسهم فى البحر وقتلوا منهم جمعا عظيما يزيد عن مائة الف خنزير ولم ينج من ابطالهم صغير ولا كبير واخذوا مراكبهم بما فيها من الاموال والذخائر والاثقال الاعشرين مركبا وغنم المسلمون فى ذلك اليوم غنيمة ما غنم احد مثلها فى سالف الزمان ولا سمعت اذن بمثل هذا الحرب والطعان ومن جملة ما غنموه خمسون الفا من الخيل غير الذخائر والاسلاب بما لا يحيط به حصر ولا حساب وفرحوا فرحا ما عليه مزيد بما من الله عليهم من النصر والتأييد هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر المنهزمين فانهم وصلوا الى القسطنطينية وكان الخبر قد وصل الى اهلها اولا بان الملك افريدون هو الظافر بالمسلمين فقالت العجوز ذات الدواهى انا اعلم ان ولدى ملك الروم لا يكون من المنهزمين ولا يخاف من الجيوش الاسلامية ويرد اهل الارض الى ملة النصرانية ثم ان العجوز كانت امرت الملك الاكبر افريدون ان يزين البلد فاظهروا السرور وشربوا الخمور وما علموا بالمقدور فبينما هم فى وسط الافراح اذ نعق عليهم غراب الحزن والاتراح وانقلبت عليهم العشرون مركبا الهاربة وفيها ملك الروم فقابلهم افريدون ملك القسطنطينية على الساحل

واخبروه بما جرى لهم من المسلمين فزاد بكاؤهم وعلا نحيبهم وانقلبت بشارات الخير بالغم والضير واخبروه ان لوقابن شملوط حلت به النوائب وعكن منه سهم المنية الصائب فقامت على الملك افريدون القيامة وعلم ان اعوجاجهم ليس له استقامة وقامت بينهم المأتم وانحلت منهم العزائم وندبت النوادب وعلا النحيب والبكى من كل جانب ولما دخل ملك الروم على الملك افريدون واخبره بحقيقة الحال وان هزيمة المسلمين كانت على وجه الخداع والمحال قال له لا تنتظر ان يصل من العسكر الامن وصل اليك فلما سمع الملك افريدون ذلك الكلام وقع مغشيا عليه وصار انفه تحت قدميه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك افريدون لما سمع ذلك الكلام وقع مغشيا عليه وصار انفه تحت قدميه فلما افاق من غشيته نفض الخوف جراب معدته فشكا الى العجوز ذات الدواهى وكانت تلك اللعينة كاهنة من الكهان ومتقنة للسحر والبهتان عاهرة مكارة فاجرة غدارة ولها فم ابخر وجفن احمر وخد اصفر وجه اغبش وطرف اعمش وجسم اجرب وشعر اشهب وظهر احدب ولون حائل ومخاط سائل لكنها قرأت كتب الاسلام وسافرت الى بيت الله الحرام كل ذلك لتطلع على الاديان وتعرف ايات القرأن ومكثت فى بيت المقدس سنتين لتحوز مكر الثقلين فهى آفة من الافات وبلية من البليات فاسدة الاعتقاد ليست لدين تنقاد وكان اكثر اقامتها عند ولدها حردوب ملك الروم لاجل الجوارى الابكار لانها كانت تحب السحاق وان تأخر عنها تكون فى انحماق وكل جارية اعجبتها تعلمها الحكمة وتسحق عليها الزعفران فيغشى عليها من فرط اللذة مدة من الزمان فمن طاوعتها احسنت اليها ورغبت ولدها فيها ومن لم تطاوعها تحيل على هلاكها وسبب ذلك علمت مرجانة وريحانة وارجة جوارى ابريزة وكانت الملكة ابريزة تكره العجوز وتكره ان ترقد معها لان صنانها يخرج من تحت ابطيها ورايحة فساها انتن من الجيفة وجسدها اخشن من الليفة وكانت ترغب من يساحقها بالجواهر والتعليم وكانت ابريزة تبرأ منها الى الحكيم العليم ولله در القائل

يا من تسفل للغنى مذلة * وعلى الفقير لقد علا تياها
ويزين شنعته بجمع دراهم * عطر القبيحة لا يفى بغطاها

ولنرجع الى حديث مكرها ودواهى امرها ثم انها سارت وسار معها عظماء النصارى وعساكرهم وتوجهوا الى عسكر الاسلام وبعدها دخل الملك افريدون على ملك الروم وقال له ايها الملك ما لنا حاجة بامر البطريق الكبير ولا بدعائه بل نعمل برأى امى ذات الدواهى وننظر ما تعمل بخداعها غير المتناهى مع عسكر المسلمين فانهم بقوتهم واصلون الينا وعن قريب يكونون لدينا ويحيطون بنا فلما سمع الملك افريدون ذلك الكلام عظم فى قلبه الرعب فكتب من وقته وساعته الى سائر اقاليم النصارى يقول لهم ينبغى انه لا يتخلف احد من اهل الملة النصرانية والعصابة الصليبية خصوصا اهل الحصون والقلاع بل يأتون الينا جميعا رجالا وركبانا ونساء وصبيانا فان عسكر المسلمين قد وطئوا ارضنا فالعجل العجل قبل حلول الوجل هذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر العجوز ذات الدواهى فانها طلعت خارج البلد مع اصحابها والبسهم زى تجار المسلمين وكانت قد اخذت معها مائة بغل محملة من القماش الانطاكى

ما بين اطلس معدني ودبياج ملكي وغير ذلك واخذت من الملك افريدون كتابا مضمونه ان هؤلاء التجار من ارض الشام وكانوا في ديارنا فلا ينبغي ان يتعرض لهم احد بسوء ولا يأخذ منهم عشرا حتى يصلوا الى بلادهم ومحل امنهم لان التجار بهم عمار البلاد وليسوا من اهل الحرب والفساد ثم ان الملعونة ذات الدواهي قالت لمن معها اني اريد ان ادبر حيلة على هلاك المسلمين فقالوا لها ايتها الملكة مرينا بما شئت فنحن تحت طاعتك فلا احبط المسيح عملك فلبست ثيابا من الصوف الابيض الناعم وحكت جبينها حتى صار له وسم ودهنته بدهان دبرته حتى صار له ضوء عظيم وكانت الملعونة نحيلة الجسم غائرة العينين فقيدت رجليها من فوق قدميها وسارت حتى وصلت الى عسكر المسلمين ثم حلت القيد من رجليها وقد اثر القيد في ساقيها ثم دهنتهما بدم الاخوين وامرت من معها ان يضربوها ضربا عنيفا وان يضعوها في صندوق فقالوا لها كيف نضربك وانت سيدتنا ذات الدواهي ام الملك المباهي فقالت لا لوم ولا تعنيف على من يأتي الكنيف ولاجل الضرورات تباح المحظورات وبعد ان تضعوني في الصندوق خذوه في جملة الاموال واحملوه على البغال ومروا بذلك بين عسكر الاسلام ولا تخشوا شيأ من الملام وان تعرض لكم احد من المسلمين فسلموا له البغال وما عليها من الاموال وانصرفوا الى ملكهم ضوء المكان واستغيثوا به وقولوا نحن كنا في بلاد الكفرة ولم يأخذوا منا شيأ بل كتبوا لنا توقيعا انه لا يتعرض لنا احد فكيف تأخذون انتم اموالنا وهذا كتاب ملك الروم الذي مضمونه ان لا يتعرض لنا احد بمكروه فاذا قال وما الذي ربحتموه من بلاد الروم في تجارتكم فقولوا له ربحنا خلاص رجل زاهد وقد كان في سرداب تحت الارض له فيه نحو خمسة عشر عاما وهو يستغيث فلا يغاث بل يعذبه الكفار ليلا ونهارا ولم يكن عندنا علم بذلك مع اننا اقمنا في القسطنطينية مدة من الزمان وبعنا بضائعنا واشترينا خلافها وجهزنا حالنا وعزمنا على الرحيل الى بلادنا وبتنا تلك الليلة نتحدث في امر السفر فلما اصبحنا رأينا صورة مصورة في الحائط فلما قربنا منها تأملناها فاذا هي تحركت وقالت يا مسلمون هل فيكم من يعامل رب العالمين فقلنا وكيف ذلك فقالت تلك الصورة ان الله انطقني لكم ليقوي يقينكم ويهمكم دينكم وتخرجوا من بلاد الكافرين وتقصدوا عسكر المسلمين فان فيهم سيف الرحمن وبطل الزمان للملك شركان وهو الذي يفتح القسطنطينية ويهلك اهل الملة النصرانية فاذا قطعتم سفر ثلاثة ايام تجدوا ديرا يعرف بدير مطروحنى وفيه صومعة فاقصدوها بصدق نيتكم وتحيلوا على الوصول اليها بقوة عزمتكم لان فيها رجلا عابدا من بيت المقدس اسمه عبد الله وهو من ادين الناس وله كرامات تزيح الشك والالباس قد خدعه بعض الرهبان وحبسه في سرداب له فيه مدة مديدة من الزمان وفي انقاذه ارضاء رب العباد لان فكاكه من افضل الجهاد ثم ان العجوز لما اتفقت مع من معها على هذا الكلام قالت فاذا القى اليكم جمعه الملك شركان فقولوا له فلما سمعنا هذا الكلام من تلك الصورة علمنا ان ذلك العابد ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجوز ذات الدواهي لما اتفقت مع من معها على هذا الكلام قالت فاذا القى اليكم جمعه الملك شركان فقولوا له فلما سمعنا هذا الكلام من تلك الصورة علمنا ان ذلك العابد من اكابر الصالحين وعباد الله المخلصين فسافرنا مدة ثلاثة ايام ثم رأينا ذلك الدير فعرجنا عليه ومشينا اليه واتينا

هنالك يوما في البيع والشراء على عادة التجار فلما ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار قصدنا تلك الصومعة التي فيها السرداب فسمعناه بعد تلاوة الايات ينشد هذه الابيات

كيدا كابده وصدري ضيق * وجري بقلبي بحرهم مغرق
ان لم يكن فرج فموت عاجلي * ان الحمام من الرزايا ارفق
يا برق ان جئت الديار واهلها * وعلا عليك من البشائر رونق
كيف السبيل الى اللقاء وبيننا * تلك الحروب وباب رهن مغلق
بلغ احبتنا السلام وقل لهم * اني بدير الروم قاص موثق

ثم قالت اذا وصلتم بي الى عسكر المسلمين وصرت عندهم اعرف كيف ادبر حيلة في خديعتهم وقتلهم عن آخرهم فلما سمع النصارى كلام العجوز قبلوا ايديها ووضعوها في الصندوق بعد ان ضربوها اشد الضربات الموجعات تعظيما لها لانهم يرون طاعتها من الواجبات ثم قصدوا بها عسكر المسلمين كما ذكرنا هذا ما كان من امر هذه اللعينة ذات الدواهي ومن معها واما ما كان من امر عسكر المسلمين فانهم لما نصرهم الله على اعدائهم وغنموا ما كان في المراكب من الاموال والذخائر قعدوا يتحدثون مع بعضهم فقال ضوء المكان لاخيه ان الله نصرنا بسبب عدلنا وانقيادنا لبعضنا فكن يا شركان ممتثلا امري في طاعة الله عز وجل فقال شركان حبا وكرامة ومديده الى اخيه وقال ان جاء ولدا عطيته ابنتي قضي فكان ففرح بذلك وصار يهني بعضهم بعضا بالنصر على الاعداء وهنا الوزير دندان شركان واخاه وقال لهما اعلما ايها الملكان ان الله نصرنا حيث وهبنا انفسنا لله عز وجل وهجرنا الاهل والاوطان والرأي عندي ان نرحل ورامهم ونحاصرهم ونقاتلهم لعل الله ان يبلغنا مرادنا ونستاصل اعدائنا وان شئتم فانزلوا في هذه المراكب وسيروا في البحر ونحن نسير في البر ونصبر على القتال والطعن في النزال ثم ان الوزير دندان ما زال يحرضهم على القتال وانشد قول من قال

اطيب الطيبات قتل الاعادي * واحتمالي على ظهور الجياد
ورسول يأتي بوعد حبيب * وحبيب يأتي بلا ميعاد

وقول الاخر

وان عمرت جعلت الحرب والدة * والمشرفي اخا والسمهري ابا
بكل اشعث يلقى الموت مبتسما * حتى كان له في قتله اربا

فلما فرغ الوزير دندان من شعره قال سبحان من ايدنا بنصره العزيز وظفرنا بغنيمة الفضة والابريز ثم امر ضوء المكان العسكر بالرحيل فسافروا طالبين القسطنطينية وجدوا في سيرهم حتى اشرفوا على مرج فسيح وفيه كل شيء مليح ما بين وحوش تمرح وغزلان تسرح وكانوا قد قطعوا مفاوز كثيرة وانقطع عنهم الماء ستة ايام فلما اشرفوا على ذلك المرج نظروا تلك العيون النابعة والاثمار اليانعة وتلك الارض كانها جنة اخذت زخرفها وازينت وسكرت اغصانها من رحيق الطل فتمايلت وجعلت بين عذوبة النسيم واعتلال النسيم فتدهش العقل والناظر كما قال الشاعر

انظر الى الروض النضير كانما * نشرت عليه ملاءة خضراء
ان ما سنحت بلحظ عينك لا ترى * الا غديرا جال فيه الماء
وترى بنفسك عزة في دوحه * اذ فوق رأسك حيث سرى لواء

وكما قال الاخر

النهر خد بالشعاع مورد * قد دب فيه عذار ظل البان
والماء في سوق الغصون خلاخل * من فضة والزهر كالتيجان

فلما نظر ضوء المكان الى ذلك المرج الذى التفت اشجاره وزهت ازهاره وترنمت اطياره نادى اخاه شركان وقال له يا اخى ان دمشقا ما فيها مثل هذا المكان فلا نرحل منه الا بعد ثلاثة ايام حتى نأخذ لنا راحة لاجل ان تنشط عساكر الاسلام وتقوى نفوسهم على لقاء الكفرة اللئام فاقاموا فيه فبينما هم كذلك اذ سمعوا اصواتا من بعيد فسأل عنهم ضوء المكان فقيل له انهم قافلة تجار من بلاد الشام كانوا نازلين فى هذا المكان للراحة لعل العساكر صادفوهم وربما اخذوا شيأ من بضائعهم التى معهم حيث كانوا فى بلاد الكفار وبعد ساعة جاء التجار وهم صارخون يستغيثون بالملك فلما رأى ضوء المكان ذلك امر باحضارهم فحضروا بين يديه وقالوا ايها الملك انا كنا فى بلاد الكفار ولم ينهبوا منا شيأ فكيف تنهب اموالنا اخواننا المسلمون ونحن فى بلادهم فاتتنا المارأيناعساكركم اقبلنا عليهم فاخذوا ما كان معنا وقد اخبرنا ذلك بما حصل لنا ثم اخرجوا له كتاب ملك القسطنطينية فاخذه شركان وقرأه ثم قال لهم سوف نرد عليكم ما اخذ منكم ولكن كان الواجب ان لا تحملوا تجارة الى بلاد الكفار فقالوا يا مولانا ان الله سيرنا الى بلادهم لنتظفر بما لم يظفر به احد من الغزاة ولا انتم فى غزوتكم فقال لهم شركان وما الذى ظفرتم به فقالوا ما نذكر لك ذلك الا فى خلوة لان هذا الامر اذا شاع بين الناس ربما اطلع عليه احد فيكون ذلك سببا لهلاكنا وهلاك كل من يتوجه الى بلاد الروم من المسلمين وكانوا قد خبؤا الصندوق الذى فيه اللعينة ذات الدواهى فاخذهم ضوء المكان واخوه واختليا بهم فشرحوا لهما حديث الزاهد وصاروا يبكون حتى ابكوهما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان النصارى الذين فى هيئة التجار لما اختلى بهم ضوء المكان واخوه شركان شرحوا لهما حديث الزاهد وبكوا حتى ابكوهما واخبروهما كما علمتهم الكاهنة ذات الدواهى فرق قلب شركان للزاهد واخذته الرأفة عليه وقامت به الحمية لله تعالى وقال لهم هل خلصتم هذا الزاهد ام هو فى الدير الى الان فقالوا بل خلصناه وقتلنا صاحب الدير من خوفنا على انفسنا ثم اسرعنا فى الهرب خوفا من العطب وقد اخبرنا بعض الثقاة ان فى هذا الدير قناطير من الذهب والفضة والجواهر ثم بعد ذلك اتوا بالصندوق واخرجوا منه تلك الملعونة كانها قرن خيار شنبر من شدة السواد والنحول وهى مكبلة بتلك السلاسل والقيود فلما نظرها ضوء المكان هو والحاضرون ظنوا انه رجل من خيار العباد ومن افضل الزهاد خصوصا وجبينها يضئ من الدهان الذى دهنت به وجهها فبكى ضوء المكان واخوه بكاء شديدا ثم قاما اليها وقبلا يديها ورجليها وصارا ينتحبان فاشارت اليهما وقالت كفا عن هذا البكاء واسمعا كلامى فتركا البكاء امتثالا لامرها فقالت اعلما انى قد رضيت بما صنعه بى مولاى لانى ارى ان البلاء الذى نزل بى امتحان منه عز وجل ومن لم يصبر على البلاء والمحن فليس له وصول الى جنات النعيم وكنت اتمنى انى اعود الى بلادى لاجزع من البلاء الذى حل بى بل لاجل ان اموت تحت حوافر خيل المجاهدين الذين هم بعد القتل احياء غير اموات ثم انشدت هذه الابيات

الحصن طور وناد الحرب موقدة * وانت موسى وهذا الوقت ميقات
الق العصى تتلقف كل ماصنعوا * ولا تخف ماحبال القوم حيات
فاقرأ سطور العدى يوم الوغى سورا * فان سيفك فى الاعناق آيات

فلما فرغت العجوز من شعرها تناثرت من عينيها المدامع وجبينها بالدهان كالضوء اللامع فقام اليها شركان وقبل يدها واحضر لها الطعام فامتنعت وقالت انى لم افطر من مدة خمسة عشر عاما فكيف افطر فى هذه الساعة وقد جاد على المولى بالخلاص من اسر الكفار ودفع عنى ماهو اشق من عذاب النار فانا اصبر الى الغروب فلما جاء وقت العشاء اقبل شركان هو وضوء المكان وقدما اليها الاكل وقالا لها كلى ايها الزاهد فقالت ماهذا وقت الاكل وانما هذا وقت عبادة الملك الديان ثم انتصبت فى المحراب تصلى الى ان ذهب الليل ولم تزل على هذه الحالة ثلاثة ايام يأتيها وهى لم تقعد الا وقت التحية فلما رأها ضوء المكان على تلك الحالة ملك قلبه حسن الاعتقاد فيها وقال لشركان اضرب خيمة من الاديم لذلك العابد ووكل فراشا بخدمته وفى اليوم الرابع دعت بالطعام فقدموا لها من الالوان ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين فلم تأكل من ذلك كله الا رغيفا واحدا بملح ثم نوت الصوم ولما جاء الليل قامت الى الصلاة فقال شركان لضوء المكان اما هذا الرجل فقد زهد الدنيا غاية الزهد ولولا هذا الجهاد لكنت لازمته واعبد الله بخدمته حتى القاه وقد اشتهيت ان ادخل معه الخيمة واتحدث معه ساعة فقال له ضوء المكان وانا كذلك ولكن نحن فى غد ذاهبون الى غزو القسطنطينية ولم نجد لنا ساعة مثل هذه الساعة فقال الوزير دندان وانا الاخر اشتهى ان ارى هذا الزاهد لعله يدعو لى بقضاء نحبى فى الجهاد ولقاء ربى فانى زهدت الدنيا فلما جن عليهم الليل دخلوا على تلك الكاهنة ذات الدواهى فى خيمتها فرزها قائمة تصلى فدنوا منها وصاروا يبكون رحمة لها وهى لا تلتفت اليهم الى ان انتصف الليل فسلمت من صلاتها ثم اقبلت عليهم وحيتهم وقالت لهم لماذا جئتم فقالوا لها ايها العابد اما سمعت بكانا حولك فقالت ان الذى يقف بين يدى الله لا يكون له وجود فى الكون حتى يسمع صوت احد او يراه ثم انهم قالوا انا نشتهى ان تحدثنا بسبب اسرك وتدعو لنا فى هذه الليلة فانها خير لنا من ملك القسطنطينية فلما سمعت كلامهم قالت والله لولا انكم امراء المسلمين ما احدثكم بشىء من ذلك ابدا فانى لا اشكو الا الى الله وها انا اخبركم بسبب اسرى اعلموا انى كنت فى القدس مع بعض الابدال وارباب الاحوال وكنت لا اتكبر عليهم لان الله سبحانه وتعالى انعم على بالتواضع والزهد فاتفق انى توجهت الى البحر ليلة ومشيت على الماء فدا خلنى العجب من حيث لا ادرى وقلت فى نفسى من مثلى يمشى على الماء فقسا قلبى من ذلك الوقت وابتلانى الله بحب السفر فسافرت الى بلاد الروم وجلت فى اقطارها سنة كاملة حتى لم اترك موضعا الا عبدت الله فيه فلما وصلت الى هذا المكان صعدت الى هذا الجبل وفيه دير راهب يقال له مطروحنى فلما رأنى خرج الى وقبل يدى ورجلى وقال انى رأيتك منذ دخلت بلاد الروم وقد شوقتنى الى بلاد الاسلام ثم انه اخذ بيدى وادخلنى ذلك الدير ثم دخل بى الى بيت مظلم فلما دخلت فيه غافلنى واغلق على الباب وتركنى فيه اربعين يوما من غير طعام ولا شراب وكان قصده بذلك قتلى صبرا فاتفق فى بعض الايام انه دخل ذلك الدير بطريق يقال له دقيانوس ومعه عشرة من الغلمان ومعه ابنة يقال لها تماثيل ولكنها فى الحسن ليس لها مثيل فلما دخلوا الدير اخبرهم الراهب مطروحنى بخبرى فقال البطريق اخرجوه لانه لم يبق من لحمه ما يأكله الطير ففتحوا باب ذلك البيت المظلم فوجدونى منتصبا فى المحراب اصلى واقرأ واسبح واتضرع الى الله تعالى فلما رؤنى على تلك الحالة قال مطروحنى ان هذا

ساحر من السحرة فلما سمعوا كلامه قاموا جميعا ودخلوا على باتبل على دقيانوس هو وجماعته وضربوني ضربا عنيفا فعند ذلك تمنيت الموت ولمت نفس وقلت هذا جزاء من يتكبر ويعجب بما انعم عليه ربه مما ليس في طاقته وانت يا نفسي قد داخلك العجب والكبر اما علمت ان الكبر يغضب الرب ويقسي القلب ويدخل الانسان النار ثم بعد ذلك قيدوني وردوني الى مكاني وكان سردابا في ذلك البيت تحت الارض وكل ثلاثة ايام يرمون الي قرصة من الشعير وشربة ماء وكل شهر او شهرين يأتي البطريق ويدخل ذلك الدير وقد كبرت ابنته تماثيل لانها كانت بنت تسع سنين حين رأيتها ومضى لي في الاسر خمس عشرة سنة فجملة عمرها اربعة وعشرون عاما وليس في بلادنا ولا في بلاد الروم احسن منها وكان ابوها يخاف عليها من الملك ان يأخذها منه لانها وهبت نفسها للمسيح غيرانها تركب مع ابيها في زي الرجال الفرسان وليس لها مثيل في الحسن ولم يعلم من رآها انها جارية وقد خزن ابوها امواله في هذا الدير لان كل من كان عنده شيء من نفائس الذخائر يضعه في ذلك الدير وقد رأيت فيه من انواع الذهب والفضة والجواهر وسائر الاواني والتحف ما لا يحصى عدده الا الله تعالى فانتم اولى به من هؤلاء الكفرة فخذوا ما في هذا الدير وأنفقوه على المسلمين وخصوصا المجاهدين ولما وصل هؤلاء التجار الى القسطنطينية وباعوا بضاعتهم كلمتهم تلك الصورة التي في الحائط كرامة اكرمني الله بها فجاؤا الى ذلك الدير وقتلوا البطريق مطروحنى بعد ان عاقبوه اشد العقاب وجروه من لحيته فدلهم على موضعي فاخذوني ولم يكن لهم سبيل الا الهرب خوفا من العطب وفي ليلة غدت تأتي تماثيل الى ذلك الدير على عادتها ويلحقها ابوها مع غلمانه لانه يخاف عليها فان شئتم ان تشاهدوا هذا الامر فخذوني بين ايديكم وانا اسلم اليكم الاموال وخزانة البطريق دقيانوس التي في ذلك الجبل وقد رأيتهم يخرجون اواني الذهب والفضة يشربون فيها ورأيت عندهم جارية تغني لهم بالعربي فواحسرتاه لو كان ذلك الصوت الحسن في قرأة القرآن وان شئتم فادخلوا ذلك الدير واكمنوا فيه الى ان يصل دقيانوس ومعه ابنته فخذوها فانها لا تصلح الا للملك الزمان شركان او للملك ضوء المكان ففرحوا بذلك حين سمعوا كلامها الا الوزير دندان فانه ما دخل كلامها في عقله وانما كان يتحدث معها لاجل خاطر الملك وصار باهتا من كلامها ويلوح على وجهه علامة الانكار عليها فقالت العجوز ذات الدواهي اني اخاف ان يقبل البطريق وينظر هذه العساكر في المرج فما يجسر ان يدخل الدير فامر السلطان العسكر ان يرحلوا صوب القسطنطينية وقال ضوء المكان ان قصدي ان نأخذ معنا مائة فارس وبغالا كثيرة ونتوجه الى ذلك الجبل لاجل ان نحملهم المال الذي في الدير ثم ارسل من وقته وساعته الى الحاجب الكبير فاحضره بين يديه واحضر المقدمين والاتراك والديلم وقال اذا كان وقت الصباح فارحلوا الى القسطنطينية وانت ايها الحاجب تكون عوضا عني في الرأي والتدبير وانت يا رستم تكون نائبا عن اخي في القتال ولا تعلموا احدا انا السنا معكم وبعد ثلاثة ايام نلحقكم ثم انتخب مائة فارس من الابطال وانحاز هو واخوه شركان والوزير دندان والمائة فارس واخذوا معهم البغال والصناديق لاجل حمل المال وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان واخاه ضوء المكان والوزير دندان سافروا هم والمائة خيال الى الدير الذي وصفته لهم اللعينة ذات الدواهي واخذوا معهم البغال والصناديق لاجل حمل المال فلما اصبح

الصباح نادى الحاجب بين العسكر بالرحيل فرحلوا وهم يظنون ان شركان وضوء المكان والوزير دندان معهم ولم يعلموا انهم ذهبوا الى الدير هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر شركان واخيه ضوء المكان والوزير دندان فانهم اقاموا الى آخر النهار وكانت الكفار اصحاب ذات الدواهي رحلوا خفية بعد ان دخلوا عليها وقبلوا ايديها وارجلها واستأذنوها في الرحيل فاذنت لهم وامرتهم بما شاءت من المكر فلما جن الظلام قامت العجوز وقالت لضوء المكان هو واصحابه قوموا معي الى الجبل وخذوا معكم قليلا من العسكر فاطاعوها وتركوا في سفح الجبل خمسة فوارس بين يدي ذات الدواهي وصار عندها قوة من شدة فرحها وصار ضوء المكان يقول سبحان من قوى هذا الزاهد الذي ما رأينا مثله وكانت الكاهنة قد ارسلت كتابا على اجنحة الطير الى ملك القسطنطينية تخبره فيه بما جرى وقالت في آخر الكتاب اريد ان تنفذ لي عشرة الاف فارس من شجعان الروم ويكون سيرهم في سفح الجبل خفية لئلا يراهم عسكر الاسلام ويأتون الى الدير ويكمنون فيه حتى احضر اليهم ومعي ملك المسلمين واخوه فاني خدعتهما وجئت بهما ومعهما الوزير ومائة فارس لاغير وسوف اسلم اليهم الصلبان التي في الدير وقد عزمت على قتل الراهب مطروحي لان الحيلة لا تتم الا بقتله فاذا تمت الحيلة فلا يصل من المسلمين الى بلادهم لا ديار ولا من ينفخ نارا ويكون مطروحي فداء لاهل الملة النصرانية والعصابة الصليبية والشكر للمسيح اولا وآخرا فلما وصل الكتاب الى القسطنطينية جاء براج الحمام الى الملك افريدون بالورقة فلما قرأها انفذ الجيش من وقته وجهز كل واحد بفرس وهجين وبغل وزاد وامرهم ان يصلوا الى ذلك الدير هذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر الملك ضوء المكان واخيه شركان والوزير دندان والعسكر فانهم لما وصلوا الى الدير دخلوه فرأوا الراهب مطروحي قد اقبل لينظر حالهم فقال الزاهد اقتلوا هذا اللعين فضربوه بالسيف واسقوه كاس الحتوف ثم مضت بهم الملعونة الى موضع النذور فاخرجوا منه من التحف والذخائر اكثر مما وصفته لهم وبعد ان جمعوا ذلك وضعوه في الصناديق وحملوه على البغال واما تماثيل فانها لم تحضر لاهي ولا ابوها خوفا من المسلمين فاقام ضوء المكان في انتظارها ذلك النهار وثاني يوم وثالث يوم فقال شركان والله ان قلبي مشغول بعسكر الاسلام ولا ادري ما حالهم فقال اخوه انا قد اخذنا هذا المال العظيم وما نظن ان تماثيل ولا غيرها يأتي الى هذا الدير بعد ان جرى لعسكر الروم ما جرى فينبغي انا ننفع بما يسره الله لنا ونتوجه لعل الله يعيننا على فتح القسطنطينية ثم نزلوا من الجبل فامكن ذات الدواهي ان تتعرض لهم خوفا من التفطن لخداعها ثم انهم ساروا الى ان وصلوا الى باب الشعب واذا بالعجوز قد اكمنت لهم عشرة الاف فارس فلما رأوهم احتاطوا بهم من كل جانب واشرعوا نحو الرماح وجردوا عليهم بيض الصفاح ونادى الكفار بكلمة كفرهم وفوقوا سهام شرهم فنظر ضوء المكان واخوه شركان والوزير دندان الى هذا الجيش فرؤه جيشا عظيما وقالوا من اعلم هذه العساكر بنا فقال شركان يا اخي ما هذا وقت كلام بل هذا وقت الضرب بالسيف والرمي بالسهام فشدوا عزمكم وقووا نفوسكم لان هذا الشعب مثل الدرب له بابان وحق سيد العرب والعجم لولا ان هذا المكان ضيق لكنت افنيتهم ولو كانوا مائة الف فارس فقال ضوء المكان لو علمنا ذلك لاخذنا معنا خمسة الاف فارس فقال الوزير دندان لو كان معنا عشرة الاف فارس في هذا المكان الضيق لا تفيدنا شيأ ولكن الله يعيننا عليهم وانا اعرف هذا الشعب وضيقه واعرف ان فيه مغاور كثيرة لاني قد غزوت فيه مع الملك عمر النعمان حيث حاصرنا القسطنطينية وكنا نقيم فيه وفيه ماء ابرد من الثلج فانهضوا بنا نخرج من هذا الشعب

قبل ان يكثر علينا عساكر الكفار ويسبقونا الى رأس الجبل فيرموا علينا الحجارة ولم نمالك فيهم اربا فاخذوا فى الاسراع بالخروج من ذلك الشعب فنظر اليهم الزاهد وقال لهم ما هذا الخوف وانتم قد بعتم انفسكم لله تعالى فى سبيله والله انى مكثت مسجونا تحت الارض خمسة عشر عاما ولم اعترض على الله فيما فعل بى فقاتلوا فى سبيل الله فمن قتل منكم فالجنة ماواه ومن قتل فالى الشرف مسعاه فلما سمعوا من الزاهد هذا الكلام زال عنهم الهم والغم وثبتوا حتى هجمت عليهم الكفار من كل مكان ولعبت فى اعناقهم السيوف ودارت بينهم كاس الحتوف وقاتل المسلمون فى طاعة الله اشد القتال واعملوا فى اعدائه الاسنة والنصال وصار ضوء المكان يضرب الرجال ويجندل الابطال ويرمى رؤسهم خمسة خمسة وعشرة عشرة حتى افنى منهم عدد الا يحصى وجملا لا تستقصى فبينما هو كذلك اذ نظر الملعونة وهى تشير بالسيف اليهم وتقويهم وكل من خاف يهرب اليها وصارت ترمى اليهم بقتل شركان فيميلون الى قتله فرقة بعد فرقة وكل فرقة حملت عليه يحمل عليها ويهزمها وتاتى بعدها فرقة اخرى حاملة عليه فيردها بالسيف على اعقابها فظن ان نصره عليهم ببركة العابد وقال فى نفسه ان هذا العابد قد نظر الله اليه بعين عنايته وقوى عزمى على الكفار بخالص نيته فاراهم يخافونى ولا يستطيعون الاقدام على بل كلما حملوا على يولون الادبار ويركنون الى الفرار ثم قاتلوا بقية يومهم الى آخر النهار ولما اقبل الليل نزلوا فى مغارة من ذلك الشعب من كثرة ما حصل لهم من الوبال ورمى الحجارة وقتل منهم فى ذلك اليوم خمسة واربعون رجلا ولما اجتمعوا مع بعضهم فتشوا على ذلك الزاهد فلم يروا له اثرا فعظم عليهم ذلك وقالوا لعله استشهد فقال شركان انا رأيته يقوى الفرسان بالاشارات الربانية ويعيذهم الايات الرحمانية فبينما هم فى الكلام واذا بالملعونة ذات الدواهى قد اقبلت وفى يدها رأس البطريق الكبير الرئيس على العشرين الفا وكان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا وقد قتله رجل من الاتراك بسهم فجعل الله بروحه الى النار فلما رأى الكفار ما فعل ذلك المسلم بصاحبهم مالوا بكليتهم عليه واوصلوا الاذية اليه وقطعوه بالسيوف فجعل الله به الى الجنة ثم ان الملعونة قطعت رأس ذلك البطريق واتت بها والقتها بين يدى شركان والملك ضوء المكان والوزير دندان فلما رأها شركان وثب قائما على قدميه وقال الحمد لله على رؤيتك ايها العابد المجاهد الزاهد فقال يا ولدى انى قد طلبت الشهادة فى هذا اليوم فصرت ارمى روحى بين عسكر الكفار وهم يهابونى فلما انفصلتم اخذتنى الغيرة عليكم وهجمت على البطريق الكبير رئيسهم وكان يعد بالف فارس فضربته حتى اطحت رأسه عن بدنه ولم يقدر احد من الكفار ان يدنو منى واتيت برأسه اليكم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملعونة ذات الدواهى لما اخذت رأس البطريق رئيس العشرين الف كافر اتت بها والقتها بين يدى الملك ضوء المكان واخيه شركان والوزير دندان وقالت لهم لما رأيت حالكم اخذتنى الغيرة عليكم وهجمت على البطريق الكبير وضربته بالسيف فاطحت رأسه ولم يقدر احد من الكفار ان يدنو منى واتيت برأسه اليكم لتقوى نفوسكم على الجهاد وترضوا بسيوفكم رب العباد واريد ان اشغلكم فى الجهاد واذهب الى عسكركم ولو كانوا على باب القسطنطينية واتيكم من عندهم بعشرين الف فارس يهلكون هؤلاء الكفرة فقال شركان وكيف تمضى اليهم ايها الزاهد

والوادى مسدود بالكفار من كل جانب فقالت الملعونة الله يستر فى عن اعينهم فلا يروني ومن رآني لا يجسر ان يقبل على فانى فى ذلك الوقت اكون فانيا فى الله وهو يقاتل عنى عداه فقال شركان صدقت ايها الزاهد لانى شاهدت ذلك واذا كنت تقدر ان تمضى اول الليل يكون ذلك اجود لنا فقال انا امضى فى هذه الساعة وان كنت تريد ان تجى معى ولا يراك احد فقم وان كان لا بد لك يذهب معنا اخذناه دون غيره فان ظل الولى لا يستر غير اثنين فقال شركان اما انا فلا اترك اصحابى ولكن اذا كان اخى يرضى بذلك فلا بأس حيث ذهب معك وخلص من هذا الضيق فانه هو حصن المسلمين وسيف رب العالمين وان شاء فليأخذ معه الوزير دندان او من يختار ثم يرسل الينا عشرة الاف فارس اعانة على هؤلاء اللئام واتفقوا على هذا الحال ثم ان العجوز قالت امهلونى حتى اذهب قبلكم وانظر حال الكفرة هل هم نيام او يقظانون فقالوا اما نخرج الا معك ونسلم امرنا لله فقالت اذا طاوعتكم لا تلومونى ولوموا انفسكم فالرأى عندى ان تمهلونى حتى اكشف خبرهم فقال شركان امض اليهم ولا تبطئ علينا لاننا ننتظرك فعند ذلك خرجت ذات الدواهى وكان شركان حدث اخاه بعد خروجها وقال لولا ان الزاهد صاحب كرامات ما كان قتل هذا البطريق الجبار وفى هذا القدر كفاية فى كرامة هذا الزاهد وقد انكسرت شوكة الكفار بقتل هذا البطريق لانه كان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا فبينما هم يتحدثون فى كرامات الزاهد واذا باللعينة ذات الدواهى قد دخلت عليهم ووعدتهم بالنصر على الكفرة فشكروا الزاهد على ذلك ولم يعلموا ان هذا حيلة وخداع ثم قالت اللعينة اين ملك الزمان ضوء المكان فاجابها بالتلبية فقالت له خذ معك وزيرك وسر خلفى حتى نذهب الى القسطنطينية وكانت ذات الدواهى قد اعلمت الكفار بالحيلة التى عملتها ففرحوا بذلك غاية الفرح وقالوا ما يجبر خاطرنا الا قتل ملكهم فى نظير قتل البطريق لانه لم يكن عندنا فارس منه وقالوا العجوز الخبيثة ذات الدواهى حين اخبرتهم بانها تذهب اليهم بملك المسلمين اذا اتيت به نأخذه الى الملك افريدون ثم ان العجوز ذات الدواهى توجهت وتوجه معها ضوء المكان والوزير دندان وهى سابقة عليهما وتقول لهما سيرا على بركة الله تعالى فاجاباها الى قولها ونفذ فيهما سهم القضاء والقدر ولم تزل سائرة بهما حتى توسطت بهما بين عسكر الروم ووصلوا الى الشعب المذكور الضيق وعساكر الكفار ينظرون اليهم ولا يتعرضون لهم بسوء لان الملعونة اوصتهم بذلك فلما نظر ضوء المكان والوزير دندان الى عساكر الكفار وعرفوا ان الكفار عاينوهم ولم يتعرضوا لهم قال الوزير دندان والله ان هذه كرامة من الزاهد ولا شك انه من الخواص فقال ضوء المكان والله ما اظن الكفار الا عميانا لا تنا نراهم وهم لا يروننا فبينما هما فى الثناء على الزاهد وتعداد كراماته وزهده وعباداته واذا بالكفار قد هجموا عليهما واحتاطوا بهما وقبضوا عليهما وقالوا هل معكما احد غيركما فنقبض عليه فقال الوزير دندان اما ترون هذا الرجل الاخر الذى بين ايدينا فقال لهم الكفار وحق المسيح والرهبان والجاثليق والمطران انا لم نر احدا غيركما فقال ضوء المكان والله ان الذى حل بنا عقوبة لنا من الله تعالى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الكفار لما قبضوا على الملك ضوء المكان والوزير دندان قالوا لهما هل معكما غيركما فنقبض عليه فقال الوزير دندان اما ترون هذا الرجل الاخر الذى معنا قالوا لا وحق المسيح والرهبان

والجاتليق والمطران اتشاما ترى احدا غير كائن ان الكفار قد وضعوا القيود فى ارجلهما ووكلوا بهما من يحرسهما فى المبيت فصارا يتأسفان ويقولان لبعضهما ان الاعتراض على الصالحين يؤدى الى اكثر من ذلك وجزانا ما حل بنا من الضيق الذى نحن فيه هذا ما كان من امر ضوء المكان والوزير دندان واما ما كان من امر الملك شركان فانه بات تلك الليلة فلما اصبح الصباح قام وصلى صلاة الصبح ثم نهض هو ومن معه من العساكر وتأهبوا الى قتال الكفار وقوى قلبهم شركان ووعدهم بكل خير ثم ساروا الى ان وصلوا الى الكفار فلما رأهم الكفار من بعيد قالوا لهم يا مسلمون انا اسرنا سلطانكم ووزيره الذى به انتظام امركم وان لم ترجعوا عن قتالنا قتلناكم عن آخركم واذا سلمتم لنا انفسكم فانا نروح بكم الى ملكنا فيصالحكم على ان لا تخرجوا من بلادنا ولا تذهبوا الى بلادكم ولا تضرونا بشئ ولا نضركم بشئ فان طاب خاطركم كان الحفظ لكم وان ابيتم فما يكون الا قتلكم وقد عرفناكم وهذا آخر كلامنا معكم فلما سمع شركان كلامهم وتحقق اسر اخيه والوزير دندان عظم عليه ذلك وبكى وضعفت قوته وايقن بالهلاك فقال فى نفسه ياترى ما سبب اسرهما هل حصل منهما اساءة ادب فى حق الزاهد او اعتراض عليه او ماشأنهما ثم نهضوا الى قتال الكفار فقتلوا منهم خلقا كثيرا وتبين فى ذلك اليوم الشجاع من الجبان واختضب السيف والسنان وتهافت عليهم الكفار تهافت الذباب على الشراب من كل مكان وما زال شركان ومن معه يقاتلون قتال من لا يخاف الموت ولا يعتريه فى طلب الغرصة فوت حتى سال الوادى بالدماء وامتلأت الارض بالقتلى فلما اقبل الليل تفرقت الجيوش وكل من الفريقين ذهب الى مكانه وعاد المسلمون الى تلك المغارة ولم يبق منهم الا القليل لم يكن منهم الا على الله والسيف تعويل وقد قتل منهم فى هذا النهار خمسة وثلاثون فارسا من الامراء الاعيان وان قتل بسيفهم من الكفار الاف من الرجال والركبان فلما عاين شركان ذلك ضاق عليه الامر وقال لاصحابه كيف العمل فقال له اصحابه لا يكون الا ما يريده الله تعالى فلما كان ثانى يوم قال شركان لبقية العسكر ان خرجتم للقتال ما بقى منكم احد لانه لم يبق عندنا الا القليل من الماء والزاد والرأى الذى عندى فيه الرشاد ان تجردوا سيوفكم وتخرجوا وتقفوا على باب تلك المغارة لاجل ان تدفعوا عن انفسكم كل من يدخل عليكم فلعل الزاهد ان يكون وصل الى عسكر المسلمين ويأتينا بعشرة الاف فارس فيعيننا على قتال الكفرة ولعل الكفار لم ينظروه وهو ومن معه فقال له اصحابه ان هذا الرأى هو الصواب وما فى سداده ارتياب ثم ان العسكر خرجوا وملكوا باب المغارة ووقفوا فى طرفيه وكل من اراد ان يدخل عليهم من الكفار يقتلونه وصاروا يدفعون الكفار عن الباب وصبروا على قتال الكفار الى ان ذهب النهار واقبل الليل بالاعتكار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان عسكر المسلمين ملكوا باب المغارة ووقفوا فى طرفيه وصاروا يدفعون الكفار عن الباب وكل من اراد ان يهجم عليهم قتلوه وصبروا على قتال الكفار الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار ولم يبق عند الملك شركان الا خمسة وعشرون رجلا لا غير فقال الكفار لبعضهم متى تنقضى هذه الايام فانا قد تعبنا من قتال المسلمين فقال بعضهم قوموا نهجم عليهم فانه لم يبق منهم الا خمسة وعشرون رجلا فان لم نقدر عليهم نضرم عليهم النار فان انقادوا وسلموا انفسهم الينا اخذناهم اسارى وان

ابوا تركناهم حطبا للنار حتى يصيروا عبرة لاولى الابصار فلا رحم المسيح اباهم ولا جعل مستقر النصارى
مثواهم ثم انهم حملوا الحطب الى باب المغارة واضرموا فيه النار فايقن شركان ومن معه بالبوار
فبينما هم كذلك واذا بالبطريق الرئيس عليهم التفت الى المشير بقتلهم وقال له لا يكون قتلهم الا عند الملك
افريدون لاجل ان يشفي غليله فينبغي انا نبقيهم عندنا اسارى وفي غد نسافرهم الى القسطنطينية
ونسلمهم الى الملك افريدون فيفعل بهم ما يريد فقالوا هذا هو الرأى الصواب ثم امر باتكتيفهم وجعلوا
عليهم حراسا فلما جن الظلام اشتغل الكفار باللهو والطعام ودعوا بالشراب فشربوا حتى انقلب كل منهم
على قفاه وكان شركان واخوه ضوء المكان مقيدين وكذلك من معهم من الابطال فعند ذلك نظر شركان
الى اخيه وقال له يا اخي كيف الخلاص فقال ضوء المكان والله لا ادري وقد صرنا كالطير في الاقفاص
فاغتاظ شركان وتنهد من شدة غيظه فانقطع الكتاف فلما خلص من الوثاق قام الى رئيس الحراس واخذ
مفاتيح القيود من جيبه وفك ضوء المكان وفك الوزير دندان وفك بقية العسكر ثم التفت الى اخيه ضوء
المكان والوزير دندان وقال انى اريد ان اقتل من الحراس ثلاثة ونأخذ ثيابهم ونلبسها نحن الثلاثة حتى
نصير في زى الروم ونسير بينهم حتى لا يعرفوا احدا منا ثم نتوجه الى عسكرنا فقال ضوء المكان ان هذا الرأى
غير صواب لاننا اذا قتلناهم نخاف ان يسمع احد شخيرهم فتنتبه الينا الكفار فيقتلوننا والرأى
السديد ان نسير الى خارج الشعب فاجابوه الى ذلك فلما صاروا بعيدا عن الشعب بقليل رأوا خيلا مربوطة
واصحابها نائمون فقال شركان لاخيه ينبغي ان يأخذ كل واحد منا جوادا من هذه الخيول وكانوا خمسة
وعشرين رجلا فاخذوا خمسة وعشرين جوادا وقد القى الله النوم على الكفار لحكمة يعلمها ثم ان شركان
جعل يختلس من الكفار السلاح من السيوف والرماح حتى اكتفى ثم ركبوا الخيل التي اخذوها وساروا
وكان في ظن الكفار انه لا يقدر احد على فكاك ضوء المكان واخيه ومن معهما من العساكر وانهم
لا يقدرون على الهروب فلما خلصوا جميعا من الاسر وصاروا في امن من الكفار التفت اليهم شركان وقال
لهم لا تخافوا حيث سترنا الله ولكن عندي رأى ولعله صواب فقالوا وما هو قال اريد ان تطلعوا فوق الجبل
وتكبروا كلكم تكبيرة واحدة وتقولوا لقد جاءكم العساكر الاسلامية ونصيح كلنا صيحة واحدة بقول
الله اكبر فيفترق الجمع من ذلك ولا يجدون لهم في هذا الوقت حيلة فانهم سكارى ويظنون ان عسكر
المسلمين احاطوا بهم من كل جانب واختلطوا بهم فيقعون ضربا بالسيوف في بعضهم من دهشة السكر
والنوم فنقطعهم بسيوفنا ويدور السيف فيهم الى الصباح فقال ضوء المكان ان هذا الرأى غير صواب
والصواب اننا نسير الى عسكرنا ولا نتطق بكلمة لاننا ان كبرنا تنبهوا النائمة ونأخذهم ولم يسلم منا احد فقال
شركان والله لو انتبهوا النائمة علينا بأس واشتهى ان توافقوني على هذا الرأى وهو لا يكون الا خيرا فاجابوه
الى ذلك وطلعوا فوق الجبل وصاحوا بالتكبير فكبرت معهم الجبال والاشجار والاحجار
من خشية الله فسمع الكفار ذلك التكبير فصاح الكفار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن
الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان قال اشتهى ان توافقوني على هذا الرأى وهو لا يكون الا خيرا
فاجابوه الى ذلك وطلعوا فوق الجبل وصاحوا بالتكبير فكبرت معهم الجبال والاشجار والاحجار من

خشية الله فسمعه الكفار فصاحوا الكفار على بعضهم ولبسوا السلاح وقالوا قد هجمت علينا الاعداء وحق المسيح ثم قتلوا من بعضهم ما لا يعلم عدده الا الله تعالى فلما كان الصباح فتشوا على الاسارى فلم يجدوا لهم اثرا فقال رؤساؤهم ان الذى فعل بكم هذه الفعال هم الاسارى الذين كانوا عندنا فقدونكم والسعى خلفهم حتى تلحقوهم فتسقوهم كاس الوبال ولا يحصل لكم خوف ولا انذهال ثم انهم ركبوا خيولهم وسعوا خلفهم فما كان الا لحظة حتى لحقوهم واحاطوا بهم فلما رأى ضوء المكان ذلك ازداد به الفزع وقال لاخيه ان الذى خفت من حصوله قد حصل وما بقى لنا حيلة الا الجهاد فلزم شركان السكوت عن المقال ثم انحدر ضوء المكان من اعلا الجبل وكبر وكبرت معه الرجال وعولوا على الجهاد وبيع انفسهم فى طاعة رب العباد فبينما هم كذلك واذا باصوات يصيحون بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير فالتفتوا الى جهة الصوت فرأوا جيوش المسلمين وعساكر الموحدين مقبلين فلما رأوهم قويت قلوبهم وحمل شركان على الكافرين وهلل وكبر هو ومن معه من الموحدين فارتجت الارض كالزلازل وتفرقت عساكر الكفار فى عرض الجبال فتبعتهم المسلمون بالضرب والطعان وازاحوا منهم الرؤس عن الابدان ولم يزل ضوء المكان هو ومن معه من المسلمين يضربون فى اعناق الكافرين الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار ثم انحاز المسلمون الى بعضهم وباتوا مستبشرين طول ليلهم فلما اصبح الصباح واشرق نوره ولاح رأوا بهرام مقدم الديلم ورستم مقدم الاتراك ومعهما عشرون الف فارس مقبلين عليهم كاللبوث العوابس فلما رأوا ضوء المكان ترجل الفرسان وسلموا عليه وقبلوا الارض بين يديه فقال لهم ضوء المكان ابشروا بنصر المسلمين وهلاك القوم الكافرين ثم هنوا بعضهم بالسلامة وعظيم الاجر فى القيامة وكان السبب فى مجيئهم الى هذا المكان ان الامير بهرام والامير رستم والحاجب الكبير لما ساروا بجيوش المسلمين والرايات على رؤسهم منشورة حتى وصلوا الى القسطنطينية رأوا الكفار قد طلعوا على الاسوار وملكوا الابراج والقلاع واستعدوا فى كل حصن منها حين علموا بقدوم العساكر الاسلامية والاعلام المحمدية وقد سمعوا قعقعة السلاح وضجة الصياح ونظروا فرأوا المسلمين وسمعوا حوافر خيولهم من تحت الغبار فاذاهم كالجراد المنتشر والسحاب المنهمر وسمعوا اصوات المسلمين بتلاوة القرآن وتسبيح الرحمن وكان السبب فى اعلام الكفار بذلك مادبرته العجوزات الدواهى من زورها وعهرها وبهتانها ومكرها حتى قربت العساكر كالبحر الذاخر من كثرة الرجال والفرسان والنساء والصبيان فقال امير الترك لامير الديلم يا امير انا بقينا على خطر من الاعداء الذين فوق الاسوار فانظر الى تلك الابراج والى هذا العالم الذى كالبحر العجاج المتلاطم بالامواج ان هؤلاء الكفار قد رفاما منا مرة ولا نأمن من جاسوس شره فيخبرهم انا على خطر من الاعداء الذين لا يحصى عددهم ولا ينقطع مددهم خصوصا مع غيبة الملك ضوء المكان واخيه والوزير الاجل دندان فعند ذلك يطمعون فينا لغيبتهم عنا فيحقونا بالسيف عن آخرنا ولا ينجو منا احد ومن الرأى ان تأخذ انت عشرة الاف فارس من المواصلة والاتراك وتذهب بهم الى دير مطروحنى ومرج ملوخنا فى طلب اخواتنا واصحابنا فان اطعتونى كنتم سببا فى الفرج عنهم ان كان الكفار قد ضيقوا عليهم وان لم تطيعونى فلا لوم على واذا توجهتم ينبغى ان ترجعوا الينا مسرعين فان من الحزم سوء الظن فعندها قبل الامير المذكور كلامه وانتخب عشرين الف فارس وساروا يقطعون الطرقات طالبين المرج المذكور والدير المشهور هذا ما كان من امر سبب مجيئهم واما ما كان من امر العجوزات الدواهى فانهن لما اوقعت السلطان ضوء المكان واخاه شركان والوزير دندان فى ايدى الكفار اخذت تلك العاهرة جوادا وركبته

وقالت للكفار انى اريد ان الحق عسكر المسلمين واتحيل على هلاكهم لانهم فى القسطنطينية فاعلمهم ان اصحابهم هلكوا فاذا سمعوا ذلك منى تشتت شملهم وانصرم حبلهم وتفرق جمعهم ثم ادخل انا الى الملك افريدون ملك القسطنطينية وولدى الملك حردوب ملك الروم واخبرهما بهذا الخبر فيخرجان بعساكرهما الى المسلمين ويهلكونهم ولا يتركون احدا منهم ثم انها سارت تقطع الارض على ذلك الجواد طول الليل فلما اصبح الصباح لاح لها عسكر بهرام ورستم فدخلت بعض الغابات واخفت جوادها هناك ثم خرجت وتمشت قليلا وهى تقول فى نفسها لعل عساكر المسلمين قد رجعوا منهزمين من حرب القسطنطينية فلما قربت منهم نظرت اليهم وتحققت اعلامهم فرأتها غير منكسة فعلمت انهم انما غير منهزمين ولا خائفين على ملكهم واصحابهم فلما عاينت ذلك اسرعت نحوهم بالجرى الشديد مثل الشيطان المريد الى ان وصلت اليهم وقالت لهم الجهل الجهل يا جند الرحمن الى جهاد حرب الشيطان فلما رأها بهرام اقبل عليها وترجل وقبل الارض بين يديها وقال لها يا ولى الله ما وراءك فقال لا تسأل عن سوء الحال وشديد الاهوال فان اصحابنا لما اخذوا المال من دير مطروحنى اراد وا ان يتوجهوا الى القسطنطينية فعند ذلك خرج عليهم عسكر جرار ذو بأس من الكفار ثم ان الملعونة اعادت عليهم الحديث ارجافا ووجلا وقالت ان اكثرهم هلك ولم يبق منهم الا خمسة وعشرون رجلا فقال بهرام ايها الزاهد متى فارقتهم فقال فى ليلتى هذه فقال بهرام سبحان الذى طوى لك الارض البعيدة وانت ماشى على قدميك متكئا على جريدة لكنك من الاولياء الطيارة الملهمين وحى الاشارة ثم ركب على ظهر جواده وهو مدهوش حيران بما سمعه من ذات الافك والبهتان وقال لا حول ولا قوة الا بالله لقد ضاع تعبنا وضاقت صدورنا واسر سلطاننا ومن معه ثم جعلوا يقطعون الارض طولا وعرضا ليلا ونهارا فلما كان وقت السحر اقبلوا على رأس الشعب فرأوا ضوء المكان واخاه شركان ينادیان بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير فحمل هو واصحابه واحاطوا بالكفار احاطة السيل بالقفار وصاحوا عليهم صياحا ضجت منه الابطال وتصدعت به الجبال فلما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح فاح لهم من ضوء المكان طيبه ونشره وتعارفوا بعضهم كما تقدم ذكره فقبلوا الارض بين يدى ضوء المكان واخيه شركان واخبرهم شركان بما جرى لهم فى المغارة فتعجبوا من ذلك ثم قالوا البعض اسرعوا بنا الى القسطنطينية لانا تركنا اصحابنا هناك وقلوبنا عندهم فعند ذلك اسرعوا فى المسير وتوكلوا على اللطيف الخبير وكان ضوء المكان يقوى المسلمين على الثبات وينشد هذه الابيات

لك الحمد يا مستوجب الحمد والشكر * فما زلت لى بالعون يارب فى امرى
ربيت غريبا فى البلاد وكنت لى * كفيلا وقد قدرت لى نصرى
واعطيتنى مالا وملكا ونعمة * وقلدتنى سيف الشجاعة والنصر
وخولتنى ظل المليك معمرا * وقد جدت لى من فيض جودك بالغمر
وسلمتنى من كل خطب حذرته * بمشورة الصدر الوزير فتى الدهرى
بفضلك قد صلنا على الروم صولة * وقد رجعوا بالضرب فى حلل حمر
واظهرت انى قد هزمت هزيمة * وعدت عليهم عودة الضيغم الغمر
تركتهم فى القاع صرعى كانهم * نشاوى بكاس الموت لا قهوة الخمر
وصارت بايدينا المراكب كلها * وصار لنا السلطان فى البر والبحر

وباء الينا الزاهد العابد الذى * كرامته شاعت لدى البدو والحضر
اتينا لاخذ الثار من كل كافر * وقد شاع عند الناس ما كان من امرى
وقد قتلوا منا رجالا فاصبحوا * لهم غرف فى الخلد تعلو على نهر

فلما فرغ ضوء المكان من شعره هناه اخوه شركان بالسلامة وشكره على افعاله ثم انهم توجهوا مجدين المسير طالبين عساكرهم هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر العجوز ذات الدواهى فانها لما لاقت عسكر بهرام ورستم عادت الى الغابة واخذت جوادها وركبته واسرعت فى سيرها حتى اشرفت على عسكر المسلمين المحاصرين للقسطنطينية ثم انها نزلت واخذت جوادها وانت به الى السرادق الذى فيه الحاجب فلما رأها نهض لها قائما واشار اليها بالايماء وقال مرحبا بالعابد الزاهد ثم سألها عما جرى فاخبرته بخبرها المرجف وبهتانها المتلف وقالت انى اخاف على الامير رستم والامير بهرام لانى قد لاقيتهما مع عسكرهما فى الطريق وارسلتهما الى الملك ومن معه وكانا فى عشرين الف فارس والكفار اكثر منهم وانى اردت فى هذه الساعة ان ترسل جملة من عسكرك حتى يلحقوهم بسرعة ليلا يهلكوا عن آخرهم وقالت لهم الجهل الجهل فلما سمع الحاجب والمسلمون منها ذلك الكلام انحلت عزائمهم وبكوا فقالت لهم ذات الدواهى استعينوا بالله واصبروا على هذه الرزية فلكم اسوة بمن سلف من الامة المحمدية فالجنة ذات القصور اعدها الله لمن يموت شهيدا ولابد من الموت لكل احد ولكنه فى الجهاد احد فلما سمع الحاجب كلام اللعينة ذات الدواهى دعا باخى الامير بهرام وكان فارسا يقال له تركاش وانتخب له عشرة الاف فارس لابطال عوابس وامره بالسير فسار فى ذلك اليوم وطول الليل حتى قرب من المسلمين فلما اصبح الصباح رأى شركان ذلك الغبار فخاف على المسلمين وقال ان هذه عساكر مقبلة علينا فاما ان يكونوا من عسكر المسلمين فهذا هو النصر المبين واما ان يكونوا من عسكر الكفار فلا اعتراض على الاقدار ثم انه اتى الى اخيه ضوء المكان وقال له لا تخف ابدا فانى افديك بروحى من الردى فان كان هؤلاء من عسكر الاسلام فهذا من مزيد الانعام وان كان هؤلاء اعداؤنا فلابد من قتالهم لكن اشتهى ان اقابل العابد قبل موتى لاسأله ان يدعو لى ان لا اموت الا شهيدا فبينما هم كذلك واذا بالرايات قد لاحت مكتوبا عليها لا اله الا الله محمد رسول الله فصاح شركان كيف حال المسلمين قالوا بعافية وسلامة وما اتينا الا خوفا عليكم ثم ترجل رئيس العسكر عن جواده وقبل الارض بين يديه وقال يا مولانا كيف السلطان والوزير دندان ورستم واخى بهرام اما هم الجميع سالمون فقال بخير ثم قال له ومن الذى اخبركم بخبرنا قال الزاهد وقد ذكر انه لقى اخى بهرام ورستم وارسلهما اليكم وقال لنا ان الكفار قد احاطوا بهم وهم كثيرون وما ارى الامر الا بخلاف ذلك وانتم منصورون فقالوا له وكيف وصول الزاهد اليكم فقالوا له كان سائرا على قدميه وقطع فى يوم وليلة مسيرة عشرة ايام للفارس المجد فقال شركان لا شك انه ولى الله واين هو قالوا له تركناه عند عسكرنا اهل الايمان يحرضهم على قتال اهل الكفر والطغيان ففرح شركان بذلك وحمدوا الله على سلامتهم وسلامة الزاهد وترحموا على من قتل منهم وقالوا كان ذلك فى الكتاب

فلما كانت الليلة الحادية بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان شركان هناه اخوه ضوء المكان بالسلامة وشكره على افعاله ثم انهم توجهوا مجدين المسير طالبين عساكرهم هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر العجوز ذات الدواهى فانها لما لاقت عسكر بهرام ورستم عادت الى الغابة واخذت جوادها وركبته واسرعت فى سيرها حتى اشرفت على عسكر المسلمين المحاصرين للقسطنطينية ثم انها نزلت واخذت جوادها وانت به الى السرادق الذى فيه الحاجب فلما رأها نهض لها قائما واشار اليها بالايماء وقال مرحبا بالعابد الزاهد ثم سألها عما جرى فاخبرته بخبرها المرجف وبهتانها المتلف وقالت انى اخاف على الامير رستم والامير بهرام لانى قد لاقيتهما مع عسكرهما فى الطريق وارسلتهما الى الملك ومن معه وكانا فى عشرين الف فارس والكفار اكثر منهم وانى اردت فى هذه الساعة ان ترسل جملة من عسكرك حتى يلحقوهم بسرعة ليلا يهلكوا عن آخرهم وقالت لهم الجهل الجهل فلما سمع الحاجب والمسلمون منها ذلك الكلام انحلت عزائمهم وبكوا فقالت لهم ذات الدواهى استعينوا بالله واصبروا على هذه الرزية فلكم اسوة بمن سلف من الامة المحمدية فالجنة ذات القصور اعدها الله لمن يموت شهيدا ولابد من الموت لكل احد ولكنه فى الجهاد احد فلما سمع الحاجب كلام اللعينة ذات الدواهى دعا باخى الامير بهرام وكان فارسا يقال له تركاش وانتخب له عشرة الاف فارس لابطال عوابس وامره بالسير فسار فى ذلك اليوم وطول الليل حتى قرب من المسلمين فلما اصبح الصباح رأى شركان ذلك الغبار فخاف على المسلمين وقال ان هذه عساكر مقبلة علينا فاما ان يكونوا من عسكر المسلمين فهذا هو النصر المبين واما ان يكونوا من عسكر الكفار فلا اعتراض على الاقدار ثم انه اتى الى اخيه ضوء المكان وقال له لا تخف ابدا فانى افديك بروحى من الردى فان كان هؤلاء من عسكر الاسلام فهذا من مزيد الانعام وان كان هؤلاء اعداؤنا فلابد من قتالهم لكن اشتهى ان اقابل العابد قبل موتى لاسأله ان يدعو لى ان لا اموت الا شهيدا فبينما هم كذلك واذا بالرايات قد لاحت مكتوبا عليها لا اله الا الله محمد رسول الله فصاح شركان كيف حال المسلمين قالوا بعافية وسلامة وما اتينا الا خوفا عليكم ثم ترجل رئيس العسكر عن جواده وقبل الارض بين يديه وقال يا مولانا كيف السلطان والوزير دندان ورستم واخى بهرام اما هم الجميع سالمون فقال بخير ثم قال له ومن الذى اخبركم بخبرنا قال الزاهد وقد ذكر انه لقى اخى بهرام ورستم وارسلهما اليكم وقال لنا ان الكفار قد احاطوا بهم وهم كثيرون وما ارى الامر الا بخلاف ذلك وانتم منصورون فقالوا له وكيف وصول الزاهد اليكم فقالوا له كان سائرا على قدميه وقطع فى يوم وليلة مسيرة عشرة ايام للفارس المجد فقال شركان لا شك انه ولى الله واين هو قالوا له تركناه عند عسكرنا اهل الايمان يحرضهم على قتال اهل الكفر والطغيان ففرح شركان بذلك وحمدوا الله على سلامتهم وسلامة الزاهد وترحموا على من قتل منهم وقالوا كان ذلك فى الكتاب

مسطورا ثم سار وا مجدين فى سيرهم فبينما هم كذلك واذا بغبار قد طار حتى سد الاقطار واظلم منه النهار فنظر اليه شركان وقال انى اخاف ان يكون الكفار قد كسروا عسكر الاسلام لان هذا الغبار سد المشرقين وملاء الخافقين ثم لاح من تحت ذلك الغبار عمود من الظلام اشد سوادا من حالك الايام ولا زالت تقرب منهم تلك الدعامة وهى اشد من هول يوم القيامة فتسارعت اليها الخيل والرجال لينظروا ما سبب سوء هذا الحال فرأوه الزاهد المشار اليه فازدحموا على تقبيل يديه وهو ينادى يا امة خير الانام ومصباح الظلام ان الكفار غدروا بالمسلمين فادركوا عساكر الموحدين وانقذوهم من ايدى الكفرة اللئام فانهم هجموا عليهم فى الخيام ونزل بهم العذاب المهين وكانوا فى مكانهم آمنين فلما سمع شركان ذلك الكلام طار قلبه من شدة الخفقان وترجل عن جواده وهو حيران ثم قبل يد الزاهد ورجليه وكذلك اخوه ضوء المكان وبقية العسكر من الرجال والركبان الا الوزير دندان فانه لم يترجل عن جواده وقال والله ان قلبى نافر من هذا الزاهد لانى ما عرفت للمتنطعين فى الدين غير المفاسد فاتركوه وادركوا اصحابكم المسلمين فان هذا من المطرودين عن باب رحمة رب العالمين فكم غزوت مع الملك عمر النعمان ودست اراضى هذا المكان فقال له شركان دع هذا الظن الفاسد اما نظرت الى هذا العابد وهو يحرض المؤمنين على القتال ولا يبالى بالسيوف والنبال فلا تغتبه لان الغيبة مذمومة ولحوم الصالحين مسمومة وانظر الى تحريضه لنا على قتال اعدائنا ولولا ان الله تعالى يحبه ما طوى له البعيد بعد ان اوقعه سابقا فى العذاب الشديد ثم ان شركان امر ان يقدموا بغلة توبيسة الى الزاهد ليركبها وقال له اركب ايها الزاهد الناسك العابد فلم يقبل ذلك وامتنع من الركوب واظهر الزهد لينال المطلوب وما دروا ان هذا الزاهد العاهر هو الذى قال فى مثله الشاعر

حلى وصام لامر كان يطلبه * لما قضى الامر لا صلى ولا صاما

ثم ان ذلك الزاهد ما زال ماشيا بين الخيل والرجال كانه الثعلب المحتال للاغتيال وصار يرفع صوته بتلاوة القرآن وتسبيح الرحمن وما زالوا سائرين حتى اشرفوا على عسكر الاسلام فوجدهم شركان فى حالة الانكسار والحاجب قد اشرف على الهزيمة والفرار والسيف يعمل بين الابرار والفجار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان شركان لما ادرك المسلمين وهم فى حالة الانكسار والحاجب قد اشرف على الهزيمة والفرار والسيف يعمل بين الابرار والفجار وكان السبب فى خذل المسلمين ان اللعينة ذات الدواهى عدوة الدين لما رأت بهرام ورستم قد سارا بعسكرهما نحو شركان واخيه ضوء المكان سارت هى نحو عسكر المسلمين وانفذت الامير تركاش كما تقدم ذكره وقصدها بذلك ان تفرق بين عسكر المسلمين لاجل ان يضعفوا ثم تركتهم وقصدت القسطنطينية وفادت بطارقة الروم باعلى صوتها وقالت ادلوا حبلا لاربط فيه هذا الكتاب واوصلوه الى ملككم افريدون ليقرأه هو وولدى ملك الروم ويعملا بما فيه من امره ونواهيه فادلوا لها حبلا فربطت فيه الكتاب وكان مضمونه من عند الداهية العظمى والطامة الكبرى ذات الدواهى الى الملك افريدون اما بعد فانى دبرت لكم حيلة على هلاك المسلمين فكونوا مطمئنين وقد اسرتهم واسرت سلطانهم ووزيرهم ثم توجهت الى عسكرهم واخبرتهم بذلك فانكسرت شوكتهم وضعفت

قوتهم

قومهم وقد خدعت العسكر المحاصرين للقسطنطينية حتى ارسلت منهم اثنى عشر الف فارس مع الامير تركاش خلاف المأسورين وما بقى منهم الا القليل فالمراد منكم انكم تخرجون اليهم بجميع عسكركم فى بقية هذا النهار وتهجمون عليهم فى خيامهم ولكنكم لا تخرجون الا سواء واقتلوهم عن آخرهم فان المسيح قد نظر اليكم والعذراء تعطفت عليكم وارجوا من المسيح ان لا ينسى فعلى الذى قد فعلته فلما وصل كتابها الى الملك افريدون فرح فرحا شديدا وارسل فى الحال الى ملك الروم ابن ذات الدواهى واحضره وقرأ الكتاب عليه ففرح وقال انظر مكرامى فانه يغنى عن السيوف وطلعتها تنوب عن هول اليوم المخوف فقال الملك افريدون لا عدم المسيح طلعة املك ولا اخلانى من مكرك ولؤمك ثم انه امر البطارقة ان ينادوا بالرحيل الى خارج المدينة وشاع الخبر فى القسطنطينية وخرجت العساكر النصرانية والعصابة الصليبية وجردوا السيوف الحداد واعلنوا بكلمة الكفر والالحاد وكفروا برب العباد فلما نظر الحاجب الى ذلك قال ان الروم قد وصلوا الينا وقد علموا ان سلطاننا غائب فربما هجموا علينا واكثر عسكرنا قد توجه الى الملك ضوء المكان واغتاظ الحاجب ونادى ياعسكر المسلمين وحماة الدين المتين ان هربتم هلكتم وان صبرتم نصرتم فاعلموا ان الشجاعة صبر ساعة وما ضاق امر الا وجد الله انساعه بارك الله فيكم وتنظر اليكم بعين الرحمة فعند ذلك كبرت المسلمون وصاحت الموحدون ودارت رحاة الحرب بالطعن والضرب وعملت الصوارم والرماح وملاء الدم الاودية والبطاح وقست القسوس والرهبان وشدوا الزنانير ورفعوا الصلبان واعلن المسلمون بتكبير الملك الديان وصاحوا بتلاوة القرأن واصطدم حزب الرحمن بحزب الشيطان وطارت الرؤس عن الابدان وطافت الملائكة الاخيار على امة النبى المختار ولم يزل السيف يعمل الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار وقد احاطت الكفار بالمسلمين وحسبوا ان ينجوا من العذاب المهين وطمع المشركون فى اهل الايمان الى ان طلع الفجر وبان فركب الحاجب هو وعسكره ورجا أن الله ينصره واختلطت الامم بالامم وقامت الحرب على قدم وطارت القمم وثبت الشجاع وتقدم وولى الجبان وانهزم وقضى قاضى الموت وحكم حتى تطاوحت الابطال عن السروج وامتلأت بالاموات المروج وتأخرت المسلمون عن اماكنها وملكت الروم بعض خيامها ومساكنها وعزم المسلمون على الانكسار والهزيمة والفرار فبينما هم كذلك واذا بقدوم شركان بعساكر المسلمين ورايات الموحدين فلما اقبل عليهم شركان حمل على الكفار وتبعه ضوء المكان وحمل بعدهما الوزير دندان وكذلك امير الديلم بهرام ورستم واخوه تركاش فانهم لما رأوا ذلك طارت عقولهم وغاب معقولهم وثار الغبار حتى ملاء الاقطار واجتمعت المسلمون الاخيار باصحابهم الابرار واجتمع شركان بالحاجب فشكره على صبره وهنأه بتأييده ونصره وفرحت المسلمون وقويت قلوبهم وحملوا على اعدائهم واخلصوا لله فى جهادهم فلما نظر الكفار الى الرايات المحمدية وعليها كلمة الاخلاص الاسلامية صاحوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الديور ونادوا حنى ومريم والصليب المسخم وانقبضت ايديهم عن القتال وقد اقبل الملك افريدون على ملك الروم وصار احدهما فى الميمنة والاخر فى الميسرة وعندهم فارس مشهور يسمى لاويا فوقف وسطا واصطفوا للنزال وان كانوا فى فزع وزلزال ثم صفت المسلمون عساكرهم فعند ذلك اقبل شركان على اخيه ضوء المكان وقال له يا ملك الزمان لا شك انهم يريدون البراز وهذا غاية مرادنا ولكن احب ان اقدم من العسكر من له عزم ثابت فان التدبير نصف المعيشة فقال السلطان ماذا تريد ياصاحب الرأى السديد فقال شركان اريد ان اكون فى قلب عسكر الكفار وان يكون الوزير دندان فى الميسرة وانت فى الميمنة والامير

بهرام فى الجناح الايمن والامير رستم فى الجناح الايسر وانت ايها الملك العظيم تكون تحت الاعلام والرايات لانك عمادنا وعليك بعد الله اعتمادنا ونحن كلنا نفديك من كل امر يؤذيك فشكره ضوء المكان على ذلك وارتفع الصياح وجردت الصفاح فبيناهم كذلك واذا بفارس قد ظهر من عسكر الروم فلما قرب رأوه راكبا على بغلة قطوف تفر بصاحبها من وقع السيوف وبرذعتها من ابيض الحرير وعليها سجادة من شغل كشمير وعلى ظهرها شيخ ملبح الشيبة ظاهر الهيبة عليه مدرعة من الصوف الابيض ولم يزل يسرع بها وينهض حتى قرب من عسكر المسلمين وقال انى رسول اليكم اجمعين وما على الرسول الا البلاغ فاعطونى الامان والا فاله حتى ابلغكم الرسالة فقال له شركان لك الامان فلا تخش حرب سيف ولا طعن سنان فعند ذلك ترجل الشيخ وقلع الصليب من عنقه بين يدى السلطان وخضع له خضوع راجى الاحسان فقال له المسلمون ما معك من الاخبار فقال انى رسول من عند الملك افريدون فانى نصحته ليمتنع عن تلف هذه الصور الانسانية والهيا كل الرحمانية وبينت له ان الصواب حقن الدماء والاقتصار على فارسين فى الهيجاء فاجابنى الى ذلك وهو يقول لكم انى فديت عسكرى بروحى فليفعل ملك المسلمين مثلى ويفدى عسكره بروحه فان قتلنى فلا يبقى لعسكر الكفار ثبات وان قتلته فلا يبقى لعسكر الاسلام ثبات فلما سمع شركان هذا الكلام قال يا راهب انا اجبناه الى ذلك فان هذا هو الانصاف فلا يكن منه خلاف وها انا ابرز اليه واحل عليه فانى فارس المسلمين وهو فارس الكافرين فان قتلتنى فاز بالظفر ولا يبقى لعسكر المسلمين غير الفرار فارجع اليه ايها الراهب وقل له ان البراز يكون فى غد لاننا اتينا من سفر فاعلى تعب فى هذا اليوم وبعد الراحة لا عتب ولا لوم فرجع الراهب وهو مسرور حتى وصل الى الملك افريدون وملك الروم واخبرهما بذلك ففرح الملك افريدون غاية الفرح وزال عنه الهم والترح وقال فى نفسه لا شك ان شركان هذا هو اضربهم بالسيف واطعنهم بالسنان فاذا قتلته انكسرت همتهم وضعفت قوتهم وقد كانت ذات الدواهى كاتبت الملك افريدون بذلك وقالت له ان شركان هو فارس الشجعان وشجاع الفرسان وحذرت افريدون من شركان وكان افريدون فارسا عظيما لانه كان يقاتل انواع القتال ويرمى بالحجارة والنبال ويضرب بالعامود الحديد ولا يخشى من البأس الشديد فلما سمع قول الراهب من ان شركان اجاب الى البراز كاد ان يطير من شدة الفرح لانه واثق بنفسه ويعلم انه لا طاقة لاحد به ثم بات الكفار تلك الليلة فى فرح وسرور وشرب خمور فلما كان الصباح اقبلت الفوارس بسمر الرماح وبيض الصفاح واذا هم بفارس قد برز فى الميدان وهو راكب على جواد من الخيل الجياد معد للحرب والجلاد وله قوائم شداد وعلى ذلك الفارس درع من الحديد معد للبأس الشديد وفى صدره مرآة من الجوهر وفى يده صارم ابتر وقنطارية خولنج من غريب عمل الافرنج ثم ان الفارس كشف عن وجهه وقال من عرفنى فقد اكتفانى ومن لم يعرفنى فسوف يرانى انا افريدون المغمور ببركة شواهى ذات الدواهى ثم اتم كلامه حتى خرج فى وجهه فارس المسلمين شركان وهو راكب على جواد اشقر يساوى الفا من الذهب الاحمر وعليه عدة مزركشة بالدر والجوهر وهو متقلد بسيف هندى مجوهر يقد الرقاب ويهون الامور الصعاب ثم ساق جواده بين الصفين والفرسان تنظره بالعين ثم نادى افريدون وقال له ويلك يا ملعون انتظرنى كى لا قيت من الفرسان ولا يثبت معك فى حومة الميدان ثم حمل كل منهما على صاحبه فصارا كالاسدان كانهما جبلان يصطدمان او بحران يلتطمان ثم تقاربا وتباعدا والتصقا وافترقا ولم يزالا فى كر وفر وهزل وجد وضرب وطعن والجيشان ينظران اليهما وبعضهم يقول ان شركان غالب والبعض

يقول ان افريدون غالب ولم يزل الفارسان على هذا الحال حتى بطل القيل والقال وعلا الغبار وولى النهار ومالت الشمس الى الاصفرار وصاح الملك افريدون على شركان وقال له وحق دين المسيح والاعتقاد الصحيح ما انت الا فارس كرار وبطل مغوار غير انك غدار وطبعك ما هو طبع الاخيار لاني ارى فعلك غير حميد وقتالك قتال الصنديد وقومك ينسبونك الى العبيد وها هم اخرجوا لك غير جواد لك وتعود الى القتال وانى وحق ديني قد اعيانى قتالك واتعبني ضربك وطعانك فان كنت تريد قتالى فى هذه الليلة فلا تغير شيأ من عدتك ولا جوادك حتى يظهر للفرسان كرمك وقتالك فلما سمع شركان هذا الكلام اغتاظ من قول اصحابه فى حقه حيث ينسبونه الى العبيد فالتفت اليهم شركان واراد ان يشير اليهم ويأمرهم ان لا يغيروا له جوادا ولا عدة واذا بافريدون هز حربته وارسلها الى شركان فالتفت وراءه فلم يجد احدا فعلم انها حيلة من الملعون فرد وجهه بسرعة واذا بالحربة قد ادركته فمال عنها حتى ساوى برأسه قربوص سرجه فجرت الحربة على صدره وكان شركان عالى الصدر فكشطت الحربة جلدة صدره فصاح صيحة واحدة وغاب عن الدنيا ففرح الملعون افريدون بذلك وعرف انه قد قتله فصاح على الكفار ونادى بالفرح فهاجت اهل الطغيان وبكت اهل الايمان فلما رأى ضوء المكان اخاه مائلا على الجواد حتى كاد ان يقع ارسل نحوه الفرسان فتسابقت اليه الابطال وانوا به اليه وحملت الكفار على المسلمين والتقى الجيشان واختلط الصفان وعمل اليمانى وكان اسبق الناس الى شركان الوزير دندان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك ضوء المكان لما رأى اللعين قد ضرب اخاه شركان بالحربة ظن انه مات فارسل اليه الفرسان وكان اسبق الناس اليه الوزير دندان وامير الترك بهرام وامير الديلم فلحقوه وقد مال عن جواده فاسندوه ورجعوا به الى اخيه ضوء المكان ثم اوصوا به الغلمان وعادوا الى الحرب والطعان واشتد النزال وتقصفت النصال وبطل القيل والقال فلا يرى الا دم سائل وعنق مائل ولم يزل السيف يعمل فى الاعناق واشتد الشقاق الى ان ذهب اكثر الليل وكلت الطائفتان عن القتال فنادوا بالانفصال ورجعت كل طائفة الى خيامها وتوجه جميع الكفار الى ملكهم افريدون وقبلوا الارض بين يديه وهنئه القسوس والرهبان بظفره بشركان ثم ان الملك افريدون دخل القسطنطينية وجلس على كرسى مملكته واقبل عليه ملك الكفار وقال له قوى المسيح ساعدك ولا زال مساعدك واستجاب من الام الصالحة ذات الدواهى ما تدعو به لك واعلم ان المسلمين ما بقى لهم اقامة بعد شركان فقال افريدون فى غد يكون الانفصال اذا خرجت الى النزال وطلبت ضوء المكان وقتلته فان عسكرهم يولون الادبار ويركنون الى الفرار هذا ما كان من امر الكفار واما ما كان من امر عسكر الاسلام فان ضوء المكان لما رجع الى الخيام لم يكن له شغل الا باخيه فلما دخل عليه وجده فى اسوء الاحوال واشد الاهوال فدعا بالوزير دندان ورستم وبهرام للمشورة فلما دخلوا عليه اقتضى رأيهم احضار الحكماء لعلاج شركان ثم بكوا وقالوا لم يسمح بمثله الزمان وسهروا عنده تلك الليلة وفى آخر الليل اقبل عليهم الزاهد وهو يبكى فلما رأه ضوء المكان قام اليه فجلس بين يديه على اخيه وتلى شيأ من القرآن وعوذه بايات الرحمن ومازال سهرانا عنده الى الصباح فعند ذلك استفاق شركان وفتح عينيه وادار لسانه فى فمه وتكلم ففرح السلطان ضوء المكان

وقال قد حصلت له بركة الزاهد فقال شركان الحمد لله على العافية فانى بخير فى هذه الساعة وقد عمل على هذا الملعون حيلة ولولا انى زغت اسرع من البرق لكانت الحربة نفذت من صدرى فالحمد لله الذى نجانى وكيف حال المسلمين فقال له ضوء المكان هم فى بكاء من اجلك فقال انى بخير وعافية واين الزاهد وهو عند رأسه قاعد فقال له عند رأسك فالتفت اليه وقبل يديه فقال الزاهد يا ولدى عليك بجميل الصبر بعظم الله لك الاجر فان الاجر على قدر المشقة فقال شركان ادع لى فدعا له فلما اصبح الصباح وبان الفجر ولاح برزت المسلمون الى ميدان الحرب وتهيأ الكفار للطعن والضرب وتقدمت عساكر المسلمين فطلبوا الحرب والكفاح وبرزوا السلاح واراد الملك ضوء المكان وافريدون ان يحملا على بعضهما واذا بضوء المكان خرج الى الميدان وخرج معه الوزير دندان والحاجب وبهرام وقالوا لضوء المكان نحن فداك فقال لهم وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لا اقعد عن الخروج الى هؤلاء العلوج فلما صار فى الميدان لعب بالسيف والسنان حتى اذهل الفرسان وتعجب الفريقان وحمل فى الميمنة فقتل منها بطريقين وفى الميسرة فقتل منها بطريقين ووقف فى وسط الميدان وقال اين افريدون حتى اذيقه عذاب الهون فاراد الملعون ان يولى وهو مغبون فاقسم عليه ضوء المكان ان لا يبرح من الميدان وقال له يا ملك بالامس كان قتال اخى واليوم قتالى وانا بشجاعتك لا ابالى ثم خرج وفى يده صارم وتحته حصان كانه عنتر فى حومة الميدان وذلك الحصان ادهم مغاثر كما قال فيه الشاعر

قد سابق الطرف بطرف سابق * كانه يريد ادراك القدر
دهميته تبدى سوادا حالكا * كانها الليل اذا الليل عكر
صهيله يطرب من يسمعه * كانه الرعد اذا الرعد زجر
لو سابق الريح جرى من قبلها * والبرق لا يسبقه اذا ظهر

ثم حمل كل منهما على صاحبه واحترز من مضاربه واظهر ما فى بطنه من عجائبه واخذا فى الكر والفر حتى ضاقت الصدور وقل الصبر للمقدور وصاح ضوء المكان وهجم على ملك القسطنطينية افريدون وضربه ضربة اطاح بها رأسه وقطع انفاسه فلما نظرت الكفار الى ذلك حملوا جميعا عليه وتوجهوا بكليتهم اليه فقابلهم فى حومة الميدان واستمر الضرب والطعان حتى سال الدم بالجريان وضج المسلمون بالتكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير وقاتلوا قتالا شديدا وانزل الله النصر على المؤمنين والخزى على الكافرين وصاح الوزير دندان خذوا بثار الملك عمر النعمان وثار ولده شركان وكشف رأسه وصاح للاثرالك وكان بجانبه اكثر من عشرين الف فارس فحملوا معه جملة واحدة فلم يجد الكفار لانفسهم غير الفرار وتولى الادبار وعمل فيهم الصارم البتار فقتلوا منهم نحو خمسين الف فارس واسروا ما يزيد على ذلك وقتل عند دخول الباب خلق كثير من شدة الزحام ثم غلقوا الباب وطلعوا فوق الاسوار خوف العذاب وعادت طوائف المسلمين مؤيدين منصورين واتوا خيامهم ودخل الملك ضوء المكان على اخيه فوجده فى اسر الاحوال فسجد شكرا للكريم المتعال ثم اقبل عليه وهناه بالسلامة فقال له شركان انتا كلنا فى بركة هذا الزاهد الاواب وما انتصرتم الا بدعائه المستجاب فانه لم يزل اليوم قاعدا يدعو للمسلمين بالنصر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة بعد المائة

قالت

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك ضوء المكان لما دخل على اخيه شركان وجده جالسا والعابد عنده ففرح واقبل عليه وهناه بالسلامة فقال شركان انا كنا في بركة هذا الزاهد وما انتصرتم الا بدعائه لكم فانه ما برح اليوم وهو يدعو للمسلمين وكنت وجدت في نفسي قوة حين سمعت تكبيركم فعلمت انكم منصورون على اعدائكم فاحمد لي يا اخي ما وقع لك فحكى له بجميع ما وقع له مع الملعون افريدون واخبره انه قتله وراح الى لعنة الله فاثنى عليه وشكر مسعاه فلما سمعت ذات الدواهي وهي في صفة الزاهد بقتل ولدها الملك افريدون انقلب لونها بالاصفرار وتغرغرت عيناها بالدموع الغزار ولكنها اخفت ذلك واظهرت للمسلمين انها فرحت وانها تبكي من شدة الفرح ثم انها قالت في نفسها وحق المسيح ما بقي في حياتي فائدة ان لم احرق قلبه على اخيه شركان كما احرق قلبي على عماد الملة النصرانية والعصابة الصليبية الملك افريدون ولكنها كتمت ما بها ثم ان الوزير دندان والملك شركان والحاجب استمروا جالسين عند شركان حتى عملوا له اللزق والادهان واعطوه الدواء فتوجهت اليه العافية وفرحوا بذلك فرحا شديدا واعملوا به العساكر فتباشر المسلمون وقالوا في غدير كب معنا ويباشر الحصار ثم ان شركان قال لهم انكم قاتلتم اليوم وتعبتم من القتال فينبغي ان تتوجهوا الى اماكنكم وتناموا ولا تسهروا فاجابوا الى ذلك وتوجه كل منهم الى سرادقه وما بقي عند شركان سوى قليل من الغلمان والعجوز ذات الدواهي فتحدث معها قليلا من الليل ثم اضطجع لينام وكذلك الغلمان ثم غلب عليهم النوم فصاروا مثل الاموات هذا ما كان من شركان وغلمانه واما ما كان من امر العجوز ذات الدواهي فانها بعد نومهم صارت يقظانة وحدها في الخيمة ونظرت الى شركان فوجدته مستغرقا في النوم فوثبت على قدميها كانها دبة معطا واقفة نقطا واخرجت من وسطها خنجرا مسموما ووضع على حفرة لاذايها ثم جردته من غمده واتت عند رأس شركان وجرته على رقبته فذبحته وازالت رأسه عن جسده ثم وثبت على قدميها واتت الى الغلمان النيام وقطعت رؤسهم لئلا يتنبهوا ثم خرجت من الخيمة واتت الى خيام السلطان فوجدت الحراس غير نائمين فمالت الى خيمة الوزير دندان فوجدته يقرأ القرآن فوقعت عينه عليها فقال مرحبا بالزاهد العابد فلما سمعت ذلك من الوزير ارتجف قلبها وقالت له ان سبب مجيئي الى هنا في هذا الوقت اني سمعت صوت ولي من اولياء الله واماذا هب اليه ثم ولت فقال الوزير دندان في نفسه والله لاتبع هذا الزاهد في هذه الليلة فقام ومشى خلفها فلما احست الملعونة بمشيه عرفت انه وراءها فخشيت ان تفتضح وقالت في نفسها ان لم اخدعه بحيلة فاني افتضح معه فاقبلت اليه من بعيد وقالت ايها الوزير الى سائر خلف هذا الولي لاعرفه وبعد ان اعرفه استأذنه في مجيئك اليه واقبل عليك واخبرك لاني اخاف ان تذهب معي بغير استئذان الولي فيحصل له نفرة مني اذا راك معي فلما سمع الوزير كلامها استحى ان يرد عليها جوابا فتركها ورجع الى خيمته واراد ان ينام فما طاب له منام وكادت الدنيا ان تنطبق عليه فقام وخرج من خيمته وقال في نفسه انا امضي الى شركان واتحدث معه الى الصباح فسار الى ان دخل خيمة شركان فوجد الدم سائلا كالقناة ونظر الغلمان مذبوحين فصاح صيحة ازعجت من كان نائما فتسارعت الخلق اليه فرأوا الدم سائلا فضجوا بالبكاء والنحيب فعند ذلك استيقظ السلطان ضوء المكان وسأل عن الخبر فقيل له ان شركان اخاك والغلمان مقتولون فقام مسرعا الى ان دخل الخيمة فوجد الوزير دندان يصيح ووجد جثة اخيه بلا رأس فغاب عن الدنيا وصاحت كل العساكر وبكوا ودوروا حول ضوء المكان ساعة حتى استفاق ثم نظر الى شركان وبكى بكاء شديدا وفعل مثله الوزير ورستم وبهرام واما الحاجب فانه صاح

واكثر من النواح ثم طلب الارتحال لمثله من الاوجال فقال الملك اما علمتم بالذى فعل باخى هذه الفعال ومالى لا ارى الزاهد الذى عن متاع الدنيا متباعد فقال الوزير ومن جلب هذه الاحزان الا هذا الزاهد الشيطان فوالله ان قلبى نفر منه فى الاول والاخر لانى اعرف ان كل متنطع فى الدين خبيث ما كر ثم ان الناس ضجوا بالبكاء والنحيب وتضرعوا الى القريب المجيب ان يوقع بين ايديهم ذلك الزاهد الذى هو لابات الله جاحد ثم جهزوا شركان ودفنوه فى الجبل المذكور وحزنوا على فضله المشهور وادرلة شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انهم جهزوا شركان ودفنوه فى الجبل المذكور وحزنوا على فضله المشهور ثم ان الملعونة لما فرغت من الداهية التى عملتها والمخازى التى لنفسها بدتها اخذت دواة وقرطاسا وكتبت فيه من عند شواهى ذات الدواهى الى حضرت المسلمين اعلموا انى دخلت بلادكم وغششت بلوحى كراهكم وقتلت سابقا ملككم عمر النعمان فى وسط قصره وقتلت ايضا فى وقعة الشعب والمغارة رجالا كثيرا واخرا من قتلته بمكرى ودهائى وغدرى شركان وغلمانه ولو ساعدنى الزمان وطاوعنى الشيطان كنت قتلت السلطان والوزير دندان وانا الذى اتيت اليكم فى زى الزاهد وانطلت عليكم منى الحيل والمكائد فان شئتم سلامتكم بعد ذلك فارحلوا وان شئتم هلاك انفسكم فعن الاقامة لا تعدلوا فلو اقمتم سنين واعواما فما تبلغون منا مراما وبعد ان كتبت الكتاب اقامت فى حزنها على الملك افريدون ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع دعت بطريقا وامرته ان يأخذ الورقة ويضعها فى سهم ويرميها الى المسلمين ثم دخلت الكنيسة وصارت تندب وتبكى على فقد افريدون وقالت لمن تسلطن بعده لابد ان اقتل ضوء المكان وجميع امراء الاسلام هذا ما كان من امرها واما ما كان من امر المسلمين فانهم اقاموا ثلاثة ايام فى هم واغتمام وفى اليوم الرابع نظروا الى ناحية الصور واذا بطريق معه سهم نشاب وفى طرفه كتاب فصبروا عليه حتى رماه اليهم فامر السلطان الوزير دندان ان يقرأه فلما قرأه وسمع ما فيه وعرف معناه هملت بالدمع عيناه وصاح وتضجر من مكرها وقال الوزير والله لقد كان قلبى نافر امنها فقال السلطان وهذه العاهرة كيف عملت علينا الحيلة مرتين ولكن والله لا احول من هنا حتى املاء فرجها بمسح الرصاص واسجنها سجن الطير فى الاقفاص وبعد ذلك اصلبها من شعرها على باب القسطنطينية ثم تذكر اخاه فبكى بكاء شديدا ثم ان الكفار لما توجهت لهم ذات الدواهى واخبرتهم بما حصل فرحوا بقتل شركان وسلامة ذات الدواهى ثم ان المسلمين رجعوا على باب القسطنطينية ووعدهم السلطان انه ان فتح المدينة فرق اموالها عليهم بالسوية هذا والسلطان لم تنشف دموعه حزنا على اخيه وعرى جسمه الهزال حتى صار كالخلال فدخل عليه الوزير دندان وقال له طب نفسا وقر عينا فان اخاك ما مات الا باجله وليس فى هذا الحزن فائدة وما احسن قول الشاعر

ما لا يكون فلا يكون بحيلة * ابدا وما هو كائن فيكون
سيكون ما هو كائن فى وقته * واخو الجهالة دائما مغبون

فدع البكاء والنواح وقو قلبك لحمل السلاح فقال يا وزير ان قلبى مهموم من اجل موت ابى واخى ومن اجل غيابنا عن بلادنا فان خاطرى مشغول برعيتى فبكى الوزير هو والحاضرون وما زالوا مقيمين على حصار

القسطنطينية مدة من الزمان فبينما هم كذلك واذا بالاخبار وردت عليهم من بغداد صحبة امير من امرائه مضمونه ان زوجة الملك ضوء المكان رزقت ولدا وسمته نزهة الزمان اخت الملك كان ما كان ولكن هذا الغلام سيكون له شأن بسبب ما رأوه له من العجائب والغرائب وقد امرت العلماء والخطباء ان يدعوا لكم على المنابر ودبر كل صلاة وانتم طيبون بخير والامطار كثيرة وان صاحبك الوفاد في غاية النعمة الجزيلة وعنده الخدم والغلمان ولكنه الى الان لم يعلم بما جرى لك والسلام فقال ضوء المكان الان اشتد ظهري حيث رزقت ولدا اسمه كان ما كان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك ضوء المكان لما اتاه الخبر بان زوجته ولدت ولدا ذكرا فرح فرحا شديدا وقال الان اشتد ظهري حيث رزقت ولدا اسمه كان ما كان ثم قال للوزير ندمان اني اريد ان اترك هذا الحزن واعمل لاخي ختمات واجورا من الخيرات فقال الوزير نعم ما اردت ثم امر بنصب الخيام على قبر اخيه فنصبوها وجمعوا من العسكر من يقرأ القرآن فصار بعضهم يقرأ وبعضهم يذكر الله الى الصباح ثم تقدم السلطان ضوء المكان الى قبر اخيه شركان وسكب العبرات وانشد هذه الابيات

خرجوا به والكل بالله خلفه * صعقات موسى يوم دك الطور
حتى انوا جدثا كأن ضريحه * في قلب كل موحد محفور
ما كنت آمل قبل نعشك ان ارى * رضوى على ايدي الرجال تسير
كلا ولا من قبل دفنك في الثرى * أن الكواكب في التراب تغور
امجاور الديماس رهن قرارة * فيها الضياء بوجهه والنور
كفل الثناء له برد حياته * لما انطوى فكانه منشور

فلما فرغ ضوء المكان من شعره بكى وبكى معه جميع الناس ثم اتى الى القبر ورمى نفسه عليه وهو حائر وانشد قول الشاعر

تركت الذي يفنى ونلت الذي يبقى * ومثلك اقوام فقد سبقوا سبقا
وفارقت هذي الدار من غير رغبة * فعن هذه الدنيا نسر بما تلقى
وكنت من الاعداء تبدي وقاية * اذا ما سهام الحرب حاولت الرشقا
ارى هذه الدنيا غرورا وباطلا * وجل مراد الخلق ان يطلبوا الحقا
حباك الاله العرش فوزا بجنة * واسكنك الهادي بها مقعد اصدقا
واني قد امسيت فيك بحسرة * ارى الغرب محزونا بفقدك والشرقا

فلما فرغ الوزير ندمان من شعره بكى بكاء شديدا ونثرت عيونه الدموع درا نضيدا ثم تقدم رجل كان من ندماء شركان وبكى حتى حكت دموعه الخدان وذكر محاسن شركان من المكرمات وانشد هذه الابيات

اين العطاء وكف جودك في الثرى * والجسم تعدك بالسقام قد انبرى
يا حادي الاضعان سر لك ماترى * كتبت دموعي فوق خدي اسطرا
تعني بها وتلذ منها منظرا

والله ما حدثت عنك ضمائري * كلا ولا خطرت علاك بخاطري
الا وقد جرح الدموع محاجري * واذا صرفت الى سواك نواظري
جذب الغرام عنان طرفي في الكرى

فلما فرغ الرجل من شعره بكى ضوء المكان هو والوزير دندان وضج جميع العسكر بالبكاء ثم انهم انصرفوا الى الخيام واقبل السلطان على الوزير دندان واخذا يتشاوران في امر القتال واستمرا على ذلك اياما وليالي وضوء المكان يتضجر من الهم والاحزان ثم قال الى اشتهي سماع اخبار الناس واحاديث الملوك وحكايات المتيمين لعل الله يفرج ما بقلبي من الهم الشديد ويذهب عني البكاء والعديد فقال الوزير ان كان ما يفرج همك الا سماع قصص الملوك من نوادر الاخبار وحكايات المتقدمين من المتيمين وغيرهم فان هذا امر سهل لانه لم يكن لي شغل في حياة المرحوم والدك الا بالحكايات والاشعار وفي هذه الليلة احدثك بخبر العاشق والمعشوق لاجل ان ينشرح صدرك فلما سمع ضوء المكان كلام الوزير دندان تعلق قلبه بما وعده به ولم يبق له اشتغال الا بانتظار مجيء الليل لاجل ان يسمع ما يحكيه الوزير دندان من اخبار المتقدمين من الملوك والمتيمين فحاصدق ان الليل اقبل حتى امر بايقاد الشموع والقناديل واحضار ما يحتاجون اليه من الاكل والشرب والات السرور فاحضروا له جميع ذلك ثم ارسل الى الوزير دندان فحضر وارسل الى بهرام ورستم وترکاش والحاجب الكبير فحضروا فلما حضر جميعهم بين يديه التفت الى الوزير دندان وقال له اعلم ايها الوزير ان الليل قد اقبل وسدل جلابيبه علينا واسبل ونريد ان تحكي لنا ما وعدتنا به من الحكايات فقال الوزير حبا وكرامة وادر لك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك ضوء المكان لما حضر الوزير والحاجب ورستم وبهرام التفت الى الوزير دندان وقال اعلم ايها الوزير ان الليل قد اقبل وسدل جلابيبه علينا واسبل ونريد ان تحكي لنا ما وعدتنا به من الحكايات فقال الوزير حبا وكرامة اعلم ايها الملك السعيد انه بلغني من حكاية العاشق والمعشوق والمتكلم بينهما وما جرى لهم من العجائب والغرائب ما يزيل الهم عن القلوب ويسلي عن مثل حزن يعقوب وهو انه كان في سالف الزمان مدينة وراء جبال اصبهان يقال لها المدينة الخضراء وكان بها ملك يقال له الملك سليمان وكان صاحب جود واحسان وعدل وامان وفضل وامتنان وسارت اليه الركبان من كل مكان وشاع ذكره في سائر الاقطار والبلدان واقام في المملكة مدة مديدة من الزمان وهو في عز وامان الا انه كان خاليا من الاولاد والزوجات وكان له وزير يقاربه في الصفات من الجود والهبات فاتفق انه ارسل الى وزيره يوما من الايام واحضره بين يديه وقال له يا وزيري انه قد ضاق صدري وعيل صبري وضعف مني الجلد لكوني بلا زوجة ولا ولد وما هذا سبيل الملوك الحكام على كل امير وصعلوك فانهم يفرحون بخلفه الاولاد وتتضاعف لهم بهم العدد والاعداد وقال النبي صلى الله عليه وسلم تناكحوا تناسلوا تكثروا فاني مباه بكم الامم يوم القيامة فما عندك من الرأي يا وزير فشر علي بما فيه النصح من التدبير فلما سمع الوزير ذلك الكلام فاضت الدموع من عينه بالانسجام وقال له هيهات يا ملك الزمان ان انكلم فيما هو من خصائص الرحمن اتريدان ادخل النار بسخط الملك الجبار فقال له الملك اعلم ايها الوزير ان الملك اذا اشترى جارية لا يعلم حسبها ولا يعرف نسبها

فهو لا يدرى خساسة اصلها حتى يجتنبها ولا شرف عنصرها حتى يتسرى بها فاذا افضى اليها ربما حملت منه فيجيء الولد مناقفا ظا الماسافكا للدماء ويكون مثلها مثل الارض السبخة اذا زرع فيها زرع فانه يخبث نباته ولا يحسن ثباته ويكون ذلك الولد قد متعرضا لسخط مولاه ولا يفعل ما امره به ولا يجتنب ما عنه نهاه فانا لا اتسبب فى هذا بشراء جارية ابدا وانما مرادى ان تخطب لى بنتا من بنات الملوك يكون نسبها معروفا وجمالها موصوفا فان دللتنى على ذات النسب والدين من بنات ملوك المسلمين فانى اخطبها واتزوج بها على رؤس الاشهاد ليحصل لى بذلك رضاء رب العباد فقال له الوزير ان الله قضى حاجتك وبلغك امنيتك فقال له وكيف ذلك فقال له اعلم ايها الملك انه بلغنى ان الملك زهرشاه صاحب الارض البيضاء له بنت بادعة الجمال يعجز عن وصفها القيل والقال ولم يوجد لها فى هذا الزمان مثيل لانها فى غاية الكمال قويمة الاعتدال ذات طرف كحيل وشعر طويل وخصر نحيل وردف ثقيل ان اقبلت فتنت وان ادبرت قتلت تأخذ القلب والناظر كما قال فيها الشاعر

هيفاء تخجل غصن البان قامتها * لم يحك طلعتها شمس ولا قمر
كانما ريقها شهد وقد مزجت * به المدامة لكن ثغرها درر
معشوقة القد من حور الجنان لها * وجه جميل وفى الحاظها حور
وكم لها من قتيل مات من كمد * وفى طريق هواها الخوف والخطر
ان عشت فهى المنى ما شئت اذكرها * اومت من دونها لم يجد فى العمر

فلما فرغ الوزير من وصف تلك الجارية قال للملك سليمان شاه الرأى عندى ايها الملك ان ترسل الى ابيها رسولا فطنا خبيرا بالامور مجربا للتصاريف الدهور ليتلطف فى خطبتها لك من ابيها فانها لا نظير لها فى قاصى الارض ودانيها وتحتفلى منها بالوجه الجميل ويرضى عليك الرب الجليل فقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا رهبانية فى الاسلام فعند ذلك توجه الى الملك كمال الفرح واتسع صدره وانشرح وزال عنه الهم والغم ثم اقبل على الوزير وقال له اعلم ايها الوزير انه لا يتوجه الى هذا الامر الا انت لكمال عقلك وادبك فقم الى منزلك واقض اشغالك وتجهز فى غد واخطب لى هذه البنت التى اشغلت بها خاطرى ولا تعد الى الا بها فقال سمعا وطاعة ثم ان الوزير توجه الى منزله واستدعى بالهدايا التى تصلح للملوك من ثمين الجواهر ونفيس الذخائر وغير ذلك مما هو خفيف فى الحمل ثقيل فى الثمن ومن الخيل العربية والدروع الداودية وصناديق المال التى يعجز عن وصفها المقال ثم حملوها على البغال والجمال وتوجه الوزير ومعه مائة مملوك ومائة عبد ومائة جارية وانتشرت على رأسه الرايات والاعلام واوصاه الملك ان يأتى اليه فى مدة قليلة من الايام وبعد توجهه صار الملك سليمان شاه على مقالى النار مشغول بحبها فى الليل والنهار وسار الوزير ليلا ونهارا يطوى برارى وقفارا حتى بقى بينه وبين المدينة التى هو متوجه اليها يوم واحد ثم نزل على شاطئ نهر واحضر بعض خواصه وامره ان يتوجه الى الملك زهرشاه بسرعة ويخبره بقدومه عليه فقال سمعا وطاعة ثم توجه بسرعة الى تلك المدينة فلما قدم عليها رافق قدومه ان الملك زهرشاه كان جالسا فى بعض المنتزهات قدام باب المدينة فرأه وهو داخل وعرف انه غريب فامر باحضاره بين يديه فلما حضر الرسول اخبره بقدوم وزير الملك الاعظم سليمان شاه صاحب الارض الخضراء وجبال اصفهان ففرح الملك زهرشاه ورحب بالرسول واخذه وتوجه الى قصره وقال اين فارقت الوزير فقال فارقته فى اول النهار على شاطئ النهر الفلانى وفى غد يكون واصلا اليك وقادما عليك ادام الله نعمته

عليك ورحم والديك فامر زهرشاه بعض وزرائه ان يأخذ معظم خواصه وحجابه ونوابه وارباب دولته ويخرج بهم الى مقابلته تعظيما للملك سليمان شاه لان حكمه نافذ فى الارض هذا ما كان من امر الملك زهرشاه واما ما كان من امر الوزير فانه استقر فى مكانه الى نصف الليل ثم رحل متوجها الى المدينة فلما لاح الصباح واشرقت الشمس على الروابى والبطاح لم يشعر الا ووزير الملك زهرشاه وحجابه وارباب دولته وخواص مملكته قد صواعليه واجتمعوا به على فراسخ من المدينة فايقن الوزير بقضاء حاجته وسلم على الذين قابلوه ولم يزالوا سائرين قدامه حتى وصلوا الى قصر الملك ودخلوا بين يديه فى باب القصر الى سابع دهليز وهو المكان الذى لا يدخله الراكب لانه قريب من الملك فترجل الوزير وسعى على قدميه حتى وصل الى ايوان عال وفى صدر ذلك الايوان سرير من المرمر مرصع بالدر والجوهر وله اربعة قوائم من انياب الفيل وعلى ذلك السرير مرتبة من الاطلس الاخضر مطرزة بالذهب الاحمر ومن فوقها سراد ق مرصع بالدر والجوهر والملك زهرشاه جالس على ذلك السرير وارباب دولته واقفون فى خدمته فلما دخل الوزير عليه وصار بين يديه ثبت جنانه واطلق لسانه وابدى فصاحة الوزراء وتكلم بكلام البلغاء وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان وزير الملك سليمان شاه لما دخل على الملك زهرشاه ثبت جنانه واطلق لسانه وابدى فصاحة الوزراء وتكلم بكلام البلغاء واشار الى الملك بلطف التفات وانشد هذه الابيات

وافى واقبل فى الغلائل لينثنى * يولى الندى للعجتنى والجتنى
ورق فما تغنى التمائم والرقا * والسحر من لحظات تلك الاعين
قل للعواذل لا تلوموا انني * طول المدى عن حبه لا انثنى
حتى فؤادى خانني ووفى له * وكذا الرقاد صبا اليه وملني
يا قلب ما امسيت وحدك رأفة * فامكث لديه وان تكن اوحشتني
لا شئ يطرب مسمعى بسماعه * الا الثناء لزهر شاه اجتنى
ملك اذا انفقت عمرك كله * فى نظرة من وجهه انت الغنى
واذا انتخبت له دعاء صالحا * لم تلتق غير مشارك ومؤمن
يا اهل ذا الملك الذى من فانه * ورجا سواه فلم يكن بمؤمن

فلما فرغ الوزير من هذا النظام قربه الملك زهرشاه واكرمه غاية الاكرام واجلسه بجانبه وتبسم فى وجهه وشرفه بلطيف الكلام ولم يزالوا على ذلك الى وقت الصباح ثم قدموا السماط فى ذلك الايوان فاكلوا جميعا حتى اكتفوا ثم رفعوا السماط وخرج كل من فى المجلس ولم يبق الا الخواص فلما رأى الوزير خلو المكان نهض قائما على قدميه واثنى على الملك وقبل الارض بين يديه ثم قال ايها الملك الكبير والسيد الخطير انى سعيت اليك وقدمت عليك فى امر لك فيه الصلاح والخير والفلاح وهو انى قد اتيتك رسولا خاطبا وفى بنتك الحسيبة النسيبة راغبا من عند الملك سليمان شاه صاحب العدل والامان والفضل والاحسان ملك الارض الخضراء وجبال اصفهان وقد ارسل اليك الهدايا الكثيرة والتحف الغزيرة وهو فى مصاهرتك راغب فهل انت له كذلك طالب ثم انه سكت ينتظر الجواب فلما سمع الملك زهرشاه

ذلك الكلام نهض قائما على الاقدام ولثم الارض باحتشام فتعجب الحاضرون من خضوع الملك للرسول واندهشت منهم العقول ثم ان الملك اثنى على ذى الجلال والاكرام وقال وهو فى حالة القيام ايها الوزير المعظم والسيد المكرم اسمع ما اقول انا الملك سليمان شاه من جملة رعاياه وتتشرف بنسبه وتتنافس فيه وابنتى جاريتى من جملة جواريه وهذا اجل مرادى ليكون ذخرى واعتمادى ثم انه احضر القضاة والشهود وشهدوا ان الملك سليمان شاه وكل وزيره فى الزواج وتولى الملك زهرشاه عقد بنته بابتهاج ثم ان القضاة احكموا عقد النكاح ودعوا لهما بالفوز والنجاح فعند ذلك قام الوزير واحضر ما جاء به من الهدايا ونفائس التحف والعطايا وقدم الجميع للملك زهرشاه ثم ان الملك اخذ فى تجهيز ابنته واكرام الوزير وعم بولائمه العظيم والحقير واستمر فى اقامة الفرح مدة شهرين ولم يترك فيه شيأ مما يسر القلب والعين ولما تم ما تحتاج اليه العروسة امر الملك باخراج الخيام فضربت بظاهر المدينة وعبوا القماش فى الصناديق وهيئوا الجوارى الروميات والوصائف التركيات واصحب العروسة بنفيس الذخائر وثمين الجواهر ثم صنع لها محفة من الذهب الاحمر مرصعة بالدر والجوهر وافرد لها عشر بغال للمسير وصارت تلك المحفة كانها مقصورة من المقاصير وصاحبتها كانها حورية من الحور الحسان وخدرها كقصر من قصور الجنان ثم رزموا الذخائر والاموال وحملوها على البغال والجمال وتوجه الملك زهرشاه معهم قدر ثلاثة فراسخ ثم ودع ابنته وودع الوزير ومن معه ورجع الى الاوطان فى فرح وامان وتوجه الوزير بابنة الملك وسار ولم يزل يطوى المراحل والقفار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير توجه بابنة الملك وسار ولم يزل يطوى المراحل والقفار ويجد السير فى الليل والنهار حتى بقى بينه وبين بلاده ثلاثة ايام ثم ارسل الى الملك سليمان شاه من يخبره بقدوم العروسة فاسرع الرسول بالسير حتى وصل الى الملك واخبره بقدوم العروسة ففرح الملك سليمان شاه وخلع على الرسول وامر عساكره ان يخرجوا فى موكب عظيم الى ملاقاة العروسة ومن معها بالتكريم وان تكونوا فى احسن البهجات وان ينشروا على رؤسهم الرايات فامتثلوا امره ونادى منادى المدينة انه لا تبقى بنت مخدرة ولا حرة موقرة ولا عجوز مكسرة الا وتخرج الى لقاء العروسة فخرجوا جميعا الى لقائها وسعت كبراؤهم فى خدمتها واتفقوا على ان يتوجهوا بها فى الليل الى قصر الملك واتفق ارباب الدولة على ان يزينوا الطريق وان يقفوا حتى تمر بهم العروسة والخدام قدامها والجوار بين يديها وعليها الخلعة التى اعطاها اياها ابوها فلما اقبلت احاط بها العسكر ذات اليمين وذات الشمال ولم تزل المحفة سائرة بها الى ان قربت من القصر ولم يبق احد الا وقد خرج ليتفرج عليها وصارت الطبول ضاربة والرماح لاعبة والبوقات صايحة وروايح الطيب فايحة والرايات خافقة والخيل متسابقة حتى وصلوا الى باب القصر وتقدمت الغلمان بالمحفة الى باب السر فاضاء المكان ببهجتها واشرقت جهاته بحلى زينتها فلما اقبل الليل فتح الخدام ابواب السرادق ووقفوا وهم محتاطون بالباب ثم جاءت العروسة وهى بين الجوارى كالقمر بين النجوم او الدرة الفريدة بين اللؤلؤ المنظوم ثم دخلت المقصورة وقد نصبوا لها سريرا من المرمر مرصعا بالدر والجوهر فجلست عليه ودخل عليها الملك ووقع الله محبتها فى قلبه فازال بكارتها وزال ما كان عنده من القلق والقهر واقام عندها شهرا فعلقت منه فى اول ليلة وبعد تمام الشهر خرج

وجلس على سرير مملكته وعدل فى رعيته الى ان وفت اشهرها وفى آخر ليلة من الشهر التاسع جاءها المخاض عند السحر فجلست على كرسى الطلق وهون الله عليها الولادة فوضعت غلاما ذكرا تلوح عليه علامات السعادة فلما سمع الملك بالولد فرح فرحا جليلا واعطى المبشر مالا جزيلا ومن فرحته توجه الى الغلام وقبله بين عينيه وتعجب من جماله الباهر وتحقق فيه قول الشاعر

الله خوّل منه آجام العلا * اسدا وآفاق الرآسة كوكبا
هشت لمطلعه الاسنة والاسره والمحافل والجحافل والظبى
لاتركبوه على النهود فانه * ليرى ظهور الخيل اوطأ مركبا
ولتغطموه عن الرضاع فانه * ليرى دم الاعداء احلى مشربا

ثم ان الدايات اخذن ذلك المولود وقطعن سرته وكحلن مقلته ثم سموه تاج الملوك خاران وارتضع ثدى الدلال وتربى فى حجر الاقبال ولازالت الايام تجرى والاعوام تمضى حتى صار له من العمر سبع سنين فعند ذلك احضر الملك سليمان شاه العلماء والحكماء وامرهم ان يعلموا ولده الخط والحكمة والادب فكثوا على ذلك مدة سنين حتى تعلم ما يحتاج اليه الامر فلما عرف جميع ما طلبه الملك احضره من عند الفقهاء والمعلمين واحضر له استاذا يعلمه الفروسية فلم يزل يعلمه حتى صار له من العمر اربعة عشر سنة وكان اذا خرج الى بعض اشغاله يفتتن به كل من رآه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة العاشرة بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان تاج الملوك خاران ابن الملك سليمان شاه لما مهر فى الفروسية وفاق اهل زمانه صار من فرط جماله اذا خرج الى بعض اشغاله يفتتن به كل من رآه حتى نظم وافيه الاشعار وتهتكت فى محبته الاحرار لما حوى من الجمال الباهر كما قال فيه الشاعر

عانقته فسكرت من طيب الشذى * غصنا رطيبا بالنسيم قد اغتذى
سكران ما شرب المدام وانما * امسى بخمر رضابه متنبذا
اضحى الجمال باسره فى اسره * فلاجل ذا لعلى القلوب استحوذا
والله ما خطر السلو بخاطرى * مادمت فى قيد الحياة ولا اذا
ان عشت عشت على هواه وان امت * وجدا به وصبابة يا حبذا

فلما بلغ من العمر ثمانية عشر عاما دب عذاره الاخضر على شامة خده الاحمر وزانهما خال كنقطة عنبر وصار يسبى العقول والنواظر كما قال فيه الشاعر

اضحى ليوسف فى الجمال خليفة * تخشاه كل العاشقين اذا بدا
عرج معى وانظر اليه لكى ترى * فى خده علم الخلافة اسودا

وكما قال الاخر

ما ابصرت عينا الناحسن منظرا * فيما يرى من سائر الاشياء
كالشامة الخضراء فوق الوجنة الحمراء تحت المقلة السوداء

وكما قال الاخر

عجبت لخال يعبد النار دائما * بخده لم يحرق بها وهو كافر

واعجب من ذا ان باللحظ مرسلا * يصدق بالايات وهو ساحر
وما اخضر ذاك الخد بتا وانما * لكثرة ما شقت عليه المرائر

وكما قال الاخر

انى لاعجب من سؤال الناس عن * ماء الحياة باى ارض منهمر
ولقد اراه بثغر ظبى اغيد * حلو اللمى وعليه شاربه الخضر
ومن العجائب ان موسى يلتقى * معه هنالك سائلا لم يصطبر

فلما صار بتلك الحالة وبلغ مبلغ الرجال زاد به الجمال ثم صار اتاج الملوك خاران اصحاب واحباب وكل من تقرب اليه يرجو انه يصير سلطانا بعد موت ابيه وانه يكون عنده اميرا ثم انه تعلق بالصيد والقنص وصار لم يفتر عنه ساعة واحدة وكان والده الملك سليمان شاه ينهاه عن ذلك مخافة عليه من آفات البر والوحوش فلم يقبل منه ذلك فانفق انه قال لخدامه خذوا معكم عليق عشرة ايام فامتثلوا ما امرهم به فلما خرج باتباعه للصيد والقنص ساروا فى البر ولم يزالوا سائرين اربعة ايام حتى اشرفوا على ارض خضراء فرأوا فيها وحوشا رائعة واشجارا يانعة وعيونا نابعة فقال تاج الملوك لاتباعه انصبوا الحبائل هنا واوسعوا دائرة حلقتها ويكون اجتماعنا عند رأس الحلقة فى المكان الفلانى فامتثلوا امره ونصبوا الحبائل واوسعوا دائرة خلفها فاجتمع فيها شئ كثير من اصناف الوحوش والغزلان الى ان هجت منهم الوحوش وتنافرت فى وجوه الخيل فاغرى عليها الكلاب والفهود والصقور ثم ضربوا الوحوش بالنشاب فاصابوا مقاتل الوحوش وما وصلوا الى آخر الحلقة الا وقد اخذوا من الوحوش شيأ كثيرا وهرب الباقى وبعد ذلك نزل تاج الملوك على الماء واحضر الصيد وقسمه وافرد لابيه سليمان شاه خاص الوحوش وارسله اليه وفرق البعض على ارباب دولته وبات تلك الليلة فى ذلك المكان فلما اصبح الصباح اقبلت عليهم قافلة كبيرة مشتملة على عبيد وغلمان وتجار فنزلت تلك القافلة على الماء والخضرة فلما رأهم تاج الملوك قال لبعض اصحابه ائتنى بخبر هؤلاء واسالهم لاى شئ نزلوا فى هذا المكان فلما توجه اليهم الرسول قال لهم اخبرونا من انتم واسرعوا فى رد الجواب فقالوا له نحن تجار ونزلنا هنا لاجل الراحة لان المنزل بعيد علينا وقد نزلنا فى هذا المكان لانا مطمئنون بالملك سليمان شاه وولده ونعلم ان كل من نزل عنده صار فى امان واطمئنان ومعنا قماش نفيس جئنا به من اجل ولده تاج الملوك فرجع الرسول الى ابن الملك واعلمه بحقيقة الحال واخبره بما سمعه من التجار فقال ابن الملك اذا كان معهم شئ جاؤا به من اجلى فما ادخل المدينة ولا ارحل من هذا المكان حتى استعرضه ثم ركب جواده وسار وسارت معاليكه خلفه الى ان اشرف على القافلة فقام له التجار ودعوا له بالنصر والاقبال ودوام العز والافضال وقد ضربت له خيمة من الاطلس الاحمر مزركشة بالدر والجوهر وفرشوا له مقعدا سلطانيا فوق بساط من الحرير وصدره مزركش بالزمرد فجلس تاج الملوك ووقفت المماليك فى خدمته وارسل الى التجار وامرهم ان يحضروا بجميع ما معهم فاقبلت عليه التجار ببضائعهم فاستعرض جميع بضاعتهم واخذ منها ما يصلح له ووفى لهم بالثمن ثم ركب واراد ان يسير فلاحت منه التفاتة الى القافلة فرأى شابا جميل الشباب نظيف الثياب ظريف المعانى بجبين ازهر ووجه اغر الا ان ذلك الشاب قد تغيرت محاسنه وعلاه الاصفرار من فرقة الاحباب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان تاج الملوك لاحت منه التفاتة الى القافلة فرأى شابا جميل الشباب نظيف الثياب ظريف المعاني الا ان ذلك الشاب قد تغيرت محاسنه وعلاه الاصفرار من فرقة الاحباب وزاد به الانين والانتحاب وسالت من جفنيه العبرات وهو ينشد هذه الابيات

طال الفراق ودام الهم والوجل * والدمع من مقلتي ياصاح منهمل
والقلب ودعته يوم الفراق وقد * بقيت فردا فلا قلب ولا امل
ياصاحبي قفا معي حتى اودع من * من نطقها تشتفي الامراض والعلل

ثم ان الشاب بعد ما فرغ من الشعر بكى ساعة وغشي عليه وتاج الملوك ناظر اليه وهو يتعجب من امره فلما افاق رنا بفاتك اللحظات وانشد هذه الابيات

خذوا حذركم من طرفها فهو ساحر * وليس بناج من رمته المحاجر
فان العيون السود هي نواعس * تقد السيوف البيض وهي بواتر
ولا تخضعوا من رقة في كلامها * فان الحميا للعقول تخامر
منعمة الاطراف لو مس جسمها * حرير لادماه وهانت فاظفر
بعيدة ما بين المجامل والطلا * واين الشذا من طيبها وهو عاطر

ثم شهق شهقة فغشي عليه فلما رأه تاج الملوك على هذه الحالة تحير في امره وتمشى اليه فلما افاق من غشيته نظر ابن الملك واقفا على رأسه فنهض قائما على قدميه وقبل الارض بين يديه فقال له تاج الملوك لاى شيء لم تعرض بضاعتك علينا فقال يامولاى ان بضاعتي ليس فيها شيء يصلح لسعادتك فقال لابد ان تعرض على ما معك وتخبرني بحالك فاني ارالك باكي العين حزين القلب فان كنت مظلوما ازلنا ظلامتك وان كنت مديونا قضينا دينك فان قلبي قد احترق من اجلك حين رأيتك ثم ان تاج الملوك امر بنصب كرسيين فنصبوا له كرسيا من العاج والابنوس مشبكا بالذهب والحرير وبسطوا له بساطا من الحرير فجلس تاج الملوك على الكرسي وامر الشاب ان يجلس على البساط وقال له اعرض على بضاعتك فقال له الشاب يامولاى لا تذكرني ذلك فان بضاعتي ليست بمناسبة لك فقال له تاج الملوك لابد من ذلك ثم امر بعض غلمانه باحضارها فاحضروها قهرا عنه فلما رأها الشاب جرت دموعه وبكى وان واشتكى وصعد الزفرات وانشد هذه الابيات

بما بجفنك من غنج ومن كحل * وما بقدك من لين ومن ميل
وما بثغرك من خمر ومن شهد * وما بطبعك من لطف ومن ملل
عندي زيارة طيف منك يا أملي * احلى من الامن عند الخائف الوجل

ثم ان الشاب فتح بضاعته وعرضها على تاج الملوك قطعة قطعة وتفصيلة تفصيلة واخرج من جملتها ثوبا من الاطلس منسوجا بالذهب يساوي الفي دينار فلما فتح الثوب وقعت من وسطه خرقة فاخذها الشاب بسرعة ووضعها تحت وركه وقد ذهل عن المعقول وانشد يقول

متى يشتفي منك الفؤاد المعذب * ونجم الثريا من وصالك اقرب
بعادوهجر واشتياق ولوعة * ومطل وتسويف به العمر يذهب

فلا الوصل يحييني ولا الهجر قاتلي * ولا البعد يدنيني ولا انت تقرب
وما منك انصاف ولا لك رحمة * ولا منك اسعاف ولا عنك مهرب
وفي حبكم ضاقت جميع مذاهبي * علي فلا ادري الى اين اذهب

فتعجب تاج الملوك من انشاده غاية العجب ولم يعلم لذلك من سبب ولما اخذ الخرقة ووضعها تحت وركه قال له تاج الملوك ما هذه الخرقة فقال يا مولاي ليس لك بهذه الخرقة حاجة فقال له ابن الملك ارني اياها قال له يا مولاي انا ما امتنعت من عرض بضاعتي عليك الا لاجلها فاني لا اقدر على انك تنظر اليها وادر لك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك انا ما امتنعت من عرض بضاعتي عليك الا لاجلها فاني لا اقدر على انك تنظر اليها فقال له تاج الملوك لابد من كوني انظر اليها ولج عليه واغتاظ فاخرجها من تحت ركبته وبكى وان واشتكى واكثر من الانات وانشد هذه الابيات

لا تعذليه فان العذل يوجعه * قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه
استودع الله في البطحا على قرا * بالحي من فلك الازرار مطلعه
ودعته وبودي لو يودعني * صفو الحياة واني لا اودعه
وكم تشفع بي يوم الفراق ضحى * وادمعي مستهلات وادمعه
لا اكذب الله ثوب العذر مخترق * عني بفرقته لكن ارقعه
لا يستقر بجنبي مضجع وكذا * لا يستقر له مذ بنت مضجعه
وقد سعى الدهر فيما بيننا يد * عسراء تمنعني حظي وتمنعه
وصبت الهم صرفا عند ما ملأت * كأسا تجرع منها ما اجرعه

فلما فرغ من شعره قال له تاج الملوك ارى احوالك غير مستقيمة فاخبرني ما سبب بكائك عند نظرك الى هذه الخرقة فلما سمع الشاب ذكر الخرقة تنهد وقال يا مولاي ان حديثي عجيب وامري غريب مع هذه الخرقة وصاحبتها وصاحبة هذه الصور والتماثيل ثم نشر الخرقة واذا فيها صورة غزال مرقومة بالحرير مزركشة بالذهب الاحمر وقبالها صورة غزال اخر وهي مرقومة بالفضة وفي رقبته طوق من الذهب الاحمر وثلاث قصبات من الزبرجد فلما نظر تاج الملوك اليه والى حسن صنعته قال سبحان الله الذي علم الانسان ما لم يعلم وتعلق قلب تاج الملوك بحديث هذا الشاب فقال له احك لي قصتك مع صاحبة هذا الغزال فقال الشاب اعلم يا مولاي ان ابي كان من التجار الكبار ولم يرزق ولدا غيري وكان لي بنت عم تربيت انا واياها في بيت ابي لان اباها مات وكان قبل موته تعاهد هو وابي على ان يزوجاني بها فلما بلغت مبلغ الرجال وبلغت هي مبلغ النساء لم يحجبوها عني ولم يحجبوني عنها ثم تحدث والدي مع امي وقال لها في هذه السنة نكتب كتاب عزيزة على عزيز ونتفق مع امي على هذا الامر ثم شرع ابي في تجهيز مؤن الولائم هذا كله وانا وبنت عمي تنام مع بعضنا في فراش واحد ولم ندر كيف الحال وكانت هي اشعر مني واعرف وادرى فلما جهز ابي ادوات الفرح ولم يبق غير كتب الكتاب والدخول على بنت عمي اراد ابي ان يكتبوا الكتاب بعد صلاة الجمعة ثم توجه الى اصحابه من التجار وغيرهم واعلمهم بذلك ومضت امي وعزمت اصحابها من النساء ودعت اقاربها فلما جاء

يوم الجمعة غسلوا القاعة المعدة للجلوس وغسلوا رخامها وفرشوا فى دارنا البسط ووضعوا فيها ما يحتاج اليه الامر بعد ان زوقوا حيطانها بالقماش المقصب واتفق الناس على ان يجيؤا بيتنا بعد صلاة الجمعة ثم مضى ابى وعمل الحلويات واطباق السكر وما بقى غير كتب الكتاب وقد ارسلتنى امى الى الحمام وارسلت خلفى بدلة جديدة من افخر الثياب فلما خرجت من الحمام لبست تلك البدلة الفاخرة وكانت مطيبة فلما لبستها فاحت منها رايحة زكية عبقت فى الطريق ثم اردت ان اذهب الى الجامع فتذكرت صاحبى فرجعت افتش عليه ليحضر كتب الكتاب وقلت فى نفسى اشتغل بهذا الامر الى ان يقرب وقت الصلاة ثم انى دخلت زقاقا ما دخلته قط وكنت عرقانا من اثر الحمام والقماش الجديد الذى على جسدى فساح عرقى وفاحت روايحى فقعدت فى رأس الزقاق لارتاح على مسطبة وفرشت تحتى منديلا مطرزا كان معى فاشتد على الحر فعرق جبينى وصار العرق يتحدر على وجهى ولم يمكننى مسح العرق عن وجهى بالمنديل لانه مفروش تحتى فاردت ان اخذ ذيل فرجيتى وامسح به وجنتى فما ادرى الا ومنديل ابيض وقع على من فوق وكان ذلك المنديل ارق من النسيم ورقرقته الطف من شفاه السقيم فحركته يدى ورفعت رأسى الى فوق لانظر من اين سقط هذا المنديل فوقعت عينى فى عين صاحبة هذا الغزال وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة عشر بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فرفعت رأسى الى فوق لانظر من اين سقط هذا المنديل فوقعت عينى فى عين صاحبة هذا الغزال واذا بها مطلة من طاقة فى شباك من نحاس لم تر عينى اجمل منها وبالجملة يعجز عن وصفها لسانى فلما رأتنى نظرت اليها وضعت اصبعها فى فمها ثم اخذت اصبعها الوسطانى والصقتها باصبعها الشاهد ووضعتهما على صدرها بين نهديها ثم ادخلت رأسها من الطاقة وسدت باب الطاقة وانصرفت فانطلقت فى قلبى النار وزاد به الاستعار واعقبتنى النظرة الف حسرة وتحيرت فلم اسمع ما قالت ولم افهم ما به اشارت فنظرت الى الطاقة ثانيا فوجدتها مطبوقة فصبرت الى مغيب الشمس فلم اسمع حسا ولم ار شخصا فلما يئست من رؤيتها قمت من مكانى واخذت المنديل معى ثم فتحته ففاحت منه رايحة المسك فحصل لى من تلك الرايحة طرب عظيم حتى صرت كانى فى الجنة ثم نشرته بين يدى فسقطت منه ورقة لطيفة ففتحت الورقة فرأيتها مضمخة بالروايح الزكيات ومكتوب فيها هذه الابيات

بعثت اليه اشكو من الم الجوى * بخط رقيق والخطوط فنون
فقال خليلى ما الخطك هكذا * رقيقا دقيقا لا يكاد يبين
فقلت لانى فى نحول ودقة * كذا الخطوط العاشقين تكون

ثم بعد ان قرأت الابيات اطلقت فى بهجة المنديل نظر العين فرأيت فى احدى حاشيتيه تسطير هذين البيتين

كتب العذار وياله من كاتب * سطرين فى خديه بالريحان
واحيرة القمرين منه اذ بدا * واذا انثنى واخجلة الاغصان

ومسطرا فى الحاشية الاخرى هذان البيتان

كتب العذار بعنبر فى لؤلؤ * سطرين من سيح على تفاح
القتل فى الحدق المراض اذا رنت * والسكر فى الوجنات لا فى الراح

فلما رأيت ما على المنديل من الاشعار انطلق فى فؤادى لهيب النار وزادت بى الاشواق والافكار واخذت المنديل والورقة واتيت بهما الى البيت واما ادرى لى حيلة فى الوصال ولا استطيع فى العشق تفصيل الاجمال فاوصلت الى البيت الى بعد مدة من الليل فرأيت بنت عمى جالسة تبكى فلما رأتنى مسحت دموعها واقبلت على وقلعتنى الثياب وسألتنى عن سبب غيابى واخبرتنى ان جميع الناس من امرا وكبرا وتجار وغيرهم قد اجتمعوا فى بيتنا وحضر القاضى والشهود واكلوا الطعام واستمروا مدة جالسين ينتظرون حضورى من اجل كتب الكتاب فلما يئسوا من حضورى تفرقوا وذهبوا الى حال سبيلهم وقالت لى ان ابالى اغتاظ بسبب ذلك غيظا شديدا وحلف انه لا يكتب كاتبنا الا فى السنة القابلة لانه غرم فى هذا الفرح مالا كثيرا ثم قالت لى ما الذى جرى لك فى هذا اليوم حتى تأخرت الى هذا الوقت وحصل ما حصل بسبب غيابك فقلت لها جرى لى كذا وكذا وذكرت لها المنديل واخبرتها بالخبر من اوله الى اخره فاخذت الورقة والمنديل وقرأت ما فيهما وجرت دموعها على خدودها وانشدت هذه الابيات

من قال اول الهوى اختيار * فقل كذبت كله اضطرار
وليس بعد الاضطرار عار * دلت على صحته اخبار
ما زيفت على صحيح النقد
فان تشأ فقل عذاب يعذب * او ضربان فى الحشى او ضرب
او نعمة او نقمة اوارب * تأنس النفس به او تعطب
قد حرت بين عكسه والطرد
ومع ذا ايامه مواسم * وثغرها على الدوام باسم
ونفحات طيبها مواسم * وهو لكل ما يشين حاسم
ما حل قط قلب ندل وغد

ثم انها قالت لى فما قالت لك وما اشارت به اليك فقلت لها ما نطقت بشئ غير انها وضعت اصبعها فى فمها ثم قرنتها بالاصبع الوسطى وجعلت الاصبعين على صدرها واشارت الى الارض ثم ادخلت رأسها واغلقت الطاقة ولم ارها بعد ذلك فاخذت قلبى معها فقعدت الى غياب الشمس انتظرانها تطل من الطاقة ثانيا فلم تفعل فلما يئست منها قمت من ذلك المكان وهذه قصتى واشتهى منك ان تعينينى على ما بليت به فرفعت رأسها الى وقالت يا ابن عمى لو طلبت عينى لاخرجتها لك من جفونى ولا بد ان اساعدك على حاجتك واساعدها على حاجتها فانها مغرمة بك كما انك مغرم بها فقلت لها وما تفسير ما اشارت به قالت اما وضع اصبعها فى فمها فانه اشارة الى انك عندها بمنزلة روحها من جسدها وانما تعرض على وصالك بالنواجذ واما المنديل فانه اشارة الى سلام المحبين على المحبوبين واما الورقة فانها اشارة الى ان روحها متعلقة بك واما وضع اصبعيها على صدرها بين نهديها فتفسيره انها تقول لك بعد يومين تعال هنا لينزل عنى بطلعتك العنا واعلم يا ابن عمى انها لك عاشقة وبك واثقة وهذا ما عندى من التفسير لاشاراتها ولو كنت ادخل واخرج بجمت بينك وبينها فى اسرع وقت واستر كما يذيلى قال الغلام فلما سمعت ذلك منها شكرتها على قولها وقلت فى نفسى انا اصبر يومين ثم قعدت فى البيت يومين لا ادخل ولا اخرج ولا آكل

ولا اشرب ووضعت رأسي في حجر ابنة عمي وهي تسليني وتقول لي قوّ عزمك وهمتك وطيب قلبك وخاطرك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فلما انقضى اليومان قالت لي ابنة عمي طب نفساً وقر عيناً وقوّ عزمك والبس ثيابك وتوجه اليها على الميعاد ثم انها قامت وغيرت انوابي وبخرتني ثم شددت حيلي وقويت قلبي وخرجت وتمشيت الى ان دخلت الزقاق وجلست على المصطبة ساعة واذا بالطاقة قد انفتحت فنظرت بعيني اليها فلما رأيتها وقعت مغشياً علي ثم افقت فشددت عزمي وقويت قلبي ونظرت اليها ثانياً فغبت عن الوجود ثم استفقت فرأيت معها مرآة ومنديلا احمر وحين رأتني شمرت عن ساعديها وفتحت اصابعها الخمس ودقت بها على صدرها بالكف والخمس اصابع ثم رفعت يديها وابرزت المرآة من الطاقة واخذت المنديل الاحمر ودخلت به وعادت وادلته من الطاقة الى صوب الزقاق ثلاث مرات وهي تدليه وترفعه ثم عصرته ولفته بيدها وطأطأت رأسها ثم جذبتها من الطاقة واغلقت الطاقة وانصرفت ولم تكلمني كلمة واحدة بل تركتني حيران لا اعلم ما اشارت به واستريت جالساً الى وقت العشاء ثم جئت الى البيت قرب نصف الليل فوجدت ابنة عمي واضعة يدها على خدها واجفانها تسكب العبرات وهي تنشد هذه الابيات

مالي وللاحي عليك يعنف * كيف السلو وانت غصن اهيف
ياطلعة سلبت فؤادي واتنت * ما للهوى العذري عنها مصرف
تركية الالحاظ تفعل بالحشى * ما ليس يفعله الصقيل المرهف
حملتني ثقل الغرام وليس لي * جلد على حمل القميص واضعف
واقد بكيت دما لقول عواذلي * من جفن من تهوى يروعك مرهف
ياليت قلبي مثل قلبك انما * جسمي كعصرك بالنحافة متلف
لله يا امير في الملاحة ناظر * صعب علي وحاجب لا ينصف
كذب الذي قال الملاحة كلها * في يوسف كم في جمالك يوسف
اتكلف الاعراض عنك مخافة * من اعين الرقباء كم اتكلف

فلما سمعت شعرها زاد ما بي من الهموم وتكاثرت علي الغموم ووقعت في زوايا البيت فنهضت الى وحملتني وقلعتني انوابي ومسحت وجهي بكمها ثم سألتني عن ما جرى لي فحكيت لها جميع ما حصل منها فقالت يا ابن عمي اما اشارتها بالكف والخمسة اصابع فان تفسيره تعال بعد خمسة ايام واما اشارتها بالمرآة وابراز رأسها من الطاقة فان تفسيره اقعد على دكان الصباغ حتى يأتيك رسولي فلما سمعت كلامها اشتعلت النار في قلبي وقلت بالله يا بنت عمي انك تصدقيني في هذا التفسير لاني رأيت في الزقاق صباغاً يهودياً ثم بكيت فقالت ابنة عمي قوّ عزمك وثبت قلبك فان غيرك يشتغل بالعشق مدة سنين ويتجلد على حر الغرام وانت لك جمعة فكيف يحصل لك هذا الجزع ثم اخذت تسليني بالكلام واتت لي بالطعام فاخذت لقمة واردت ان اكلها فما قدرت فامتنعت من الشراب والطعام وهجرت لذيذ المنام واصفر لوني وتغيرت محاسني لاني ما عشقت قبل ذلك ولا ذقت حرارة العشق الا في هذه المرة فضعفت وضعفت بنت عمي من

اجلى وصارت تذكر لى احوال العشاق والمحبين على سبيل التسلى فى كل ليلة الى ان اقام وكنت استيقظ فاجدها سهرانة من اجلى ودمعها يجرى على خدها ولم ازل كذلك الى ان مضت الخمسة ايام فقامت ابنة عمى وسخنت لى ماء وحمتنى به والبستنى ثيابى وقالت لى توجه اليها قضى الله حاجتك وبلغك مقصودك من محبوبتك فضيت ولم ازل ماشيا الى ان اتيت الى رأس الزقاق وكان ذلك فى يوم السبت فرأيت دكان الصباغ مقفولة فجلست عليها حتى اذن العصر واصفرت الشمس واذن المغرب ودخل الليل وانا لا ارى لها اثرا ولا اسمع حسا ولا خبرا فخشيت على نفسى وانا جالس وحدى فقمت وتمشيت وانا كالسكران الى ان دخلت البيت فلما دخلت رأيت ابنة عمى عزيزة واحدى يديها قابضة على وتدمد فوق فى الحائط ويدها الاخرى على صدرها وهى تصعد الزفرات وتنشد هذه الابيات

وما وجد اعرابية بان اهلها * فحنت الى بان الحجاز ورنده
اذا آنست ركبا تكفل شوقها * بنار قراه والدموع بورده
باعظم من وجدى بحبى وانما * يرى انى اذنبت ذنبا بوده

فلما فرغت من شعرها التفتت الى فرأتنى فمسحت دموعها ودموعى بكمها وتبسمت فى وجهى وقالت لى يا ابن عمى هنالك الله بما اعطاك فلاى شئ لم تبت الليلة عند محبوبتك ولم تقض منها اربك فلما سمعت كلامها رفصتها برجلى فى صدرها فانقلبت على الايوان فجاءت جبهتها على طرف الايوان وكان هناك وتد فجاء فى جبهتها فتأملتها فرأيت جبينها قد انفتح وسال دمها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة عشر بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فلما رفصت ابنة عمى فى صدرها انقلبت على طرف الايوان فجاء الوتد فى جبهتها فانفتح جبينها وسال دمها فسكتت ولم تنطق بحرف واحد ثم انها قامت فى الحال واحرقت حراقا وحشت به ذلك الجرح وتعصبت بعصابة ومسحت الدم الذى سال على السباط وكان ذلك شئ ما كان ثم انها اتتنى وتبسمت فى وجهى وقالت لى بلين الكلام والله يا ابن عمى ما قلت هذا الكلام استهزاء بك ولا بها وقد كنت مشغولة بوجع رأسى ومسح الدم وفى هذه الساعة قد خفت رأسى وخفت جبهتى فاخبرنى بما كان من امرك فى هذا اليوم فحكيت لها جميع ما وقع لى منها فى ذلك اليوم وبعد كلامى بكيت فقالت لى يا ابن عمى ابشر بنجاح قصدك وبلوغ املك ان هذه علامة القبول وذلك انها غابت عنك لانها تريد ان تختبرك وتعرف هل انت صابر اولا وهل انت صادق فى محبتها اولا وفى غد توجه اليها فى مكانك الاول وانظر ماذا تشير به اليك فقد قربت افراحك وزالت احزانك وصارت تسلينى على مابى وانا لم ازل متزايد الهموم والغموم ثم قدمت لى الطعام فرفصته برجلى فانكبت كل زبدية فى ناحية وقلت كل من كان عاشقا فهو مجنون لا يميل الى طعام ولا يلتذ بمنام فقالت لى ابنة عمى عزيزة والله يا ابن عمى ان هذه علامات المحبة وسالت دموعها ولمت شقاقة الزبادى ومسحت الطعام وجلست تسايرنى وانا ادعو الله ان يصبح الصباح فلما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح توجهت اليها ودخلت ذلك الزقاق بسرعة وجلست على تلك المسطبة واذا بالطاقة قد انفتحت وابرزت رأسها منها وهى تضحك ثم غابت ورجعت ومعها مرآة وكيس وقصرية ممتلئة بزرع الخضر وفى يدها قنديل فاول ما فعلت اخذت المرآة

فى يدها وادخلتها فى الكيس ثم ربطته ورمته فى البيت ثم ارخت شعرها على وجهها ثم وضعت القنديل على رأس الزرع لحظة ثم اخذت جميع ذلك وانصرفت به واغلقت الطاقة فانفطر قلبى من هذا الحال ومن اشاراتها الخفية ورموزها المخفية وهى لم تكلمنى بكلمة قط فاشتد لذلك غرامى وزاد وجدى وهيامى ثم انى رجعت على عقبى وانا باكى العين حزين القلب حتى دخلت البيت فرأيت ابنت عمى قاعدة ووجهها الى الحائط وقد احترق قلبها من الهم والغم والغيرة ولكن محبتها منعتها ان تخبرنى بشئ مما عندها من الغرام لما رات ما انا فيه من كثرة الوجد والهيام ثم نظرت اليها فرأيت على رأسها عصابتين احداهما من الوقعة على جبهتها والاخرى على عينها بسبب وجع اصابها من شدة بكائها وهى فى اسوء الحالات تبكى وتنشد هذه الابيات

ايما كنت انت لم تزل باما ن * ايها الراحل المقيم بقلبى
ولك الله حيث امسيت جار * منقذ من صروف دهر وخطب
غبت فاستوحشت لبعدك عينى * واستهلت مدامعى اى سكب
ليت شعرى باى ارض ومغنى * انت مستوطن بدار وشعب
ان يكن شربك القراح زلالا * فدموعى من المحابر شربى
كل شئ سوى فراقك عذب * كالتجافى بين الرقاد وجنبى

فلما فرغت من شعرها نظرت الى فرأتنى وهى تبكى فمسحت دموعها ونهضت الى ولم تقدر ان تتكلم مما هى فيه من الوجد ولم تزل ساكتة برهة من الزمان ثم بعد ذلك قالت يا ابن عمى اخبرنى بما حصل لك منها فى هذه المرة فاخبرتها بجميع ما حصل لى فقالت لى اصبر فقد آن اوان وصالك وظفرت ببلوغ امالك اما اشارتها لك بالمرآة وكونها ادخلتها فى الكيس فانها تقول لك اصبر الى ان تغطس الشمس واما ارخاؤها شعرها على وجهها فانها تقول لك اذا اقبل الليل وانسدل سواد الظلام وعلى نور النهار فتعال واما اشارتها لك بالقصرية التى فيها الزرع فانها تقول لك اذا جئت فادخل البستان الذى وراء الزقاق واما اشارتها لك بالقنديل فانها تقول لك اذا دخلت البستان فامش فيه واى موضع وجدت فيه القنديل مضيئا فتوجه اليه واجلس تحته وانتظرنى فان هو الله قاتلى فلما سمعت كلام ابنة عمى صحت من فرط الغرام وقلت كم تعذبنى واتوجه اليها ولا احصل مقصودى ولا اجد لتفسيرك معنى صحيحا فعند ذلك ضحكت بنت عمى وقالت لى بقى عليك من الصبر ان تصبر بقية هذا اليوم الى ان يولى النهار ويقبل الليل بالاعتكار فتحظى بالوصال وبلوغ الامال وهذا الكلام صدق بغير مين ثم انشدت هذين البيتين

درج الايام تدريج * وبيوت الهم لا تبج
رب امر عز مطلبه * قربته ساعة الفرج

ثم انها اقبلت على وصارت تسلينى بلين الكلام ولم تجسر ان تأتينى بشئ من الطعام مخافة من غضبى عليها ورجاء ميلى اليها ولم يكن لها قصد الا انها اتت الى وقلعتنى ثيابى ثم قالت يا ابن عمى اقعد معى حتى احدثك بما يسليك الى آخر النهار وان شاء الله تعالى ما يأتى الليل الا وانت عند محبوبتك فلم التفت اليها وصرت انتظر مجيء الليل واقول يارب بعجل بمجيء الليل فلما اتى الليل بكت ابنة عمى بكاء شديدا واعطتنى حبة مسك خالص وقالت لى يا ابن عمى اجعل هذه الحبة فى فمك فاذا اجتمعت بمحبوبتك وقضيت منها حاجتك وسمعت

لك بما تمنيت فانشدها هذا البيت

الا ايها العشاق بالله خبرو * اذا اشتد عشق بالفتى كيف يصنع

ثم انها قبلتني وحلفتني اني لا انشدها ذلك البيت الشعر الا بعد خروجي من عندها فقلت لها سمعا وطاعة ثم خرجت وقت العشاء ومشيت ولم ازل ماشيا حتى وصلت الى البستان فوجدت بابه مفتوحا فدخلته فرأيت نورا على بعد فقصدته فلما وصلت اليه وجدت مقعدا عظيما معقودا عليه قبة من العاج والابنوس والقنديل معلق في وسط تلك القبة وذلك المقعد مفروش بالبسط الحرير المزركشة بالذهب والفضة وهناك شمعة كبيرة موقودة في شمعدان من الذهب تحت القنديل وفي وسط المقعد فسقية فيها انواع التصاوير وبجانب تلك الفسقية سفرة مغطاة بقوطة من الحرير والى جانبها باطية كبيرة من الصيني مملوءة خمرا وفيها قدح من بلور مزركش بالذهب والى جانب الجميع طبق كبير من فضة مغطى فكشفته فرأيت فيه من سائر الفواكه ما بين تين ورمان وعنب وناريج واترج وكباد وبينها انواع الرياحين من ورد وياسمين وآس ونسرين ونرجس ومن سائر المشمومات فهمت بذلك المكان وفرحت غاية الفرح وزال عني الهم والترح لكني ما وجدت في هذه الدار احدا من خلق الله تعالى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فهمت بذلك المكان وفرحت غاية الفرح لكني ما وجدت فيه احدا من خلق الله تعالى ولم ار عبدا ولا جارية ولا من يعاني هذه الامور فجلست في ذلك المقعد انتظر مجيء محبوبة قلبي الى ان مضى اول ساعة من الليل وثاني ساعة وثالث ساعة فلم تأت واشتد بي الم الجوع لان لي مدة من الزمان ما اكلت طعاما لشدة وجدي فلما رأيت ذلك المكان وظهر لي صدق بنت عمي في فهم اشارة معشوقتي استرحت ووجدت الم الجوع وقد شوقتني روايح الطعام الذي في السفرة فلما وصلت الى ذلك المكان واطمأنت نفسي بالوصال فاشتهت نفسي الاكل فتقدمت الى السفرة وكشفت الغطاء فوجدت في وسطها طبقا من الصيني وفيه اربع دجاجات محمرة ومتبلة بالبهارات وحول ذلك الطبق اربع زبادي واحدة حلوى والاخرى حب الرمان والثالثة بقلاوة والرابعة قطائف وتلك الزبادي ما بين حلوى وحامض فاكلت من القطائف وقطعة لحم وعمدت الى البقلاوة واكلت منها ما تيسر ثم قصدت الحلوى واكلت ملعقة او ثنتين او ثلاثا او اربعا واكلت بعض دجاجة واكلت لقمة فعند ذلك امتلأت بطني وارتخت مفاصلي وقد كسلت عن السهر فوضعت رأسي على وسادة بعد ان غسلت يدي فغلبني النوم ولم اعلم بما جرى لي بعد ذلك فما استيقظت حتى احرقني حر الشمس لان لي اياما ما ذقت منا ما فلما استيقظت وجدت على بطني ملحا وخما فانتصبت قائما ونفضت ثيابي وقد تلفت يمينا وشمالا فلم اجد احدا ووجدتني كنت نائما على الرخام من غير فرش فتحيرت في عقلي وحزنت حزنا عظيما وجرت دموعي على خدي وتأسفت على نفسي فقمت وقصدت البيت فلما وصلت اليه وجدت ابنة عمي تدق بيديها على صدرها وتبكي بدمع يباري السحب الماطرات وتنشد هذه الابيات

هب ريح من الحمى ونسيم * فاهاج الهوى بنشر هبوبه

يا نسيم الصبا هلم الينا * كل صب يحظه ونصيبه

لو قدرنا من الغرام اعتنقنا * كاعتناق الحب صدر حبيبه
سرم الله بعد وجه ابن عمى * كل عيش من الزمان وطيبه
ليت شعرى هل قلبه مثل قلبى * ذائب من حر الهوى والهيبه

فلما رأتنى قامت مسرعة ومسحت دموعها واقبلت على بلين كلامها وقالت لى يا ابن عمى انت فى عشقك فدلطف الله بك حيث احبك من تحب وانا فى بكائ وحزنى على فراقك من يلمنى ولكن لا اخذ لك الله من جهتى ثم انها تبسمت فى وجهى تبسم الغيظ ولاطفتنى وقلعتنى اثوابى ونشرتها وقالت والله ما هذه روايح من حظى بمحبوبه فاخبرنى بما جرى لك يا ابن عمى فاخبرتها بجميع ما جرى لى فتبسمت تبسم الغيظ ثانيا وقالت ان قلبى ملان موجع فلا عاش من يوجع قلبك وهذه المرأة تتعزز عليك تعززا قويا والله يا ابن عمى انى شائقة عليك منها واعلم يا ابن عمى ان تفسير الملح هو انك مستغرق فى النوم فكانك داع الطعم بحيث تعافك النفوس فينبغى لك ان تقلع حتى لا تجعك الطباع لانك تدعى انك من العشاق الكرام والنوم على العشاق حرام فدعواك المحبة كاذبة وكذلك هى محبتها لك كاذبة لانها لما رأت انك نائم لم تنبهك ولو كانت محبتها لك صادقة لنبهتك واما الغمم فان تفسير اشارته سود الله وجهك حيث ادعيت المحبة كذبا وانما انت صغير ولم يكن لك همة الا الاكل والشرب والنوم وهذا تفسير اشارتها فالله تعالى يخلصك منها فلما سمعت كلامها ضربت بيدى على صدرى وقلت والله ان هذا هو الصحيح لانى نمت والعشاق لا ينامون فاما الظالم لنفسى وما كان اضر على من الاكل والنوم فكيف يكون الامر ثم انى زدت فى البكاء وقلت لابنة عمى دلينى على شئ افعله وارحمينى يرحمك الله والا اموت وكانت بنت عمى تحبنى محبة عظيمة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة عشر بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب قال لابنة الملوك فقلت لابنة عمى دلينى على شئ افعله وارحمينى يرحمك الله وكانت تحبنى محبة عظيمة فقالت على رأسى وعينى ولكن يا ابن عمى قد قلت لك مرارا لو كنت ادخل واخرج انا كنت اجمع بينك وبينها فى اقرب زمن واغطيكما بذيلى ولا افعل معك هذا الا لقصد رضاك وان شاء الله تعالى ابذل غاية الجهد فى الجمع بينكما ولكن اسمع قولى واطع امرى واذهب الى نفس ذلك المكان واقعد هناك فاذا كان وقت العشاء فاجلس فى الموضع الذى كنت فيه واحذر ان تأكل شيأ لان الاكل يجلب النوم واياك ان تنام فانها لا تأتى لك حتى يمضى من الليل ربعه كفاك الله شرها فلما سمعت كلامها فرحت وصرت ادعو الله ان يأتى الليل فلما اتى الليل اردت الانصراف فقالت لى ابنة عمى اذا اجتمعت بها فاذكر لها البيت المتقدم وقت انصرافك فقلت لها على الرأس والعين فلما خرجت وذهبت الى البستان وجدت المكان مهيئا على الحالة التى رأيتها اولا وفيه ما يحتاج اليه من الطعام والشراب والنقل والمشموم وغير ذلك فطلعت المقعد وشممت رايحة الطعام فاشتاقت نفسى اليه فمنعتها مرارا فلم اقدر على منعها فقمت واتيت الى السفرة وكشفت غطاءها فوجدت صحن دجاج وحوله اربع زبادى من الطعام فيها اربعة الوان فاكلت من كل لون لقمة واكلت ما تيسر من الحلوى واكلت قطعة لحم وشربت من الزردة واعجبتنى فاكثرت الشرب منها بالملعقة حتى شبعت وامتلأت بطنى وبعد ذلك اطبقت اجفانى فاخذت وسادة ووضعتها تحت رأسى وقلت لعلى اتكى عليها ولا انام فاغمضت عينى ونمت

وما انتبهت حتى طلعت الشمس فوجدت على بطني كعب عظم وفردة طاب ونواية بلح وبزرة خروب وليس في المكان شيء من فرش ولا غيره وكانه لم يكن فيه شيء بالامس فقمت ونفضت الجميع عني وخرجت وانا مغتاظ الى ان وصلت الى البيت فوجدت ابنة عمي تصعد الزفرات وتنشد هذه الابيات

جسدنا حل وقلب جريح * ودموع على الخدود تسيح
وحبيب صعب التجني ولكن * كلما يفعل المليح مليح
يا ابن عمي ملأت بالوجد قلبي * ان طرفي من الدموع قريح

فنهرت ابنة عمي وشتمتها فبكت ثم مسحت دموعها واقبلت علي وقبلتني واخذت تضمني الى صدرها وانا اتباعد عنها واعاتب نفسي فقالت لي يا ابن عمي كانك نمت في هذه الليلة فقلت لها نعم ولكنني لما انتبهت وجدت كعب عظم على بطني وفردة طاب ونواية بلح وبزرة خروب وما ادري لاي شيء فعلت هكذا ثم بكيت واقبلت عليها وقلت لها فسري لي اشارة فعلها هذا وقولي لي ماذا افعل وساعديني على الذي انا فيه فقالت على الرأس والعين اما فردة الطاب التي وضعتها على بطنك فانها تشير لك بها الى انك حضرت وقلبك غائب وكانها تقول لك ليس العشق هكذا فلا تعد نفسك من العاشقين واما نواية البلح فانها تشير لك بها الى انك لو كنت عاشقا لكان قلبك محترقا بالغرام ولم تذق لذيذ المنام فان لذة الحب كتمرة الهبت في الفؤاد جمرة واما بزرة الخروب فانها تشير لك بها الى ان قلب المحب متعوب وتقول لك اصبر على فراقنا صبر ايوب فلما سمعت هذا التفسير انطلقت في فؤادي النيران وزادت بقلبي الاحزان فصحت وقلت قد رالله على النوم اقله بحنى ثم قلت لها يا ابنة عمي بحياتي عندك ان تدبري لي حيلة اتوصل بها اليها فبكت وقالت يا عزيز يا ابن عمي ان قلبي ملآن بالفكر ولا اقدر ان اتكلم ولكن روح الليلة الى ذلك المكان واحذر ان تنام فانك تبلغ المرام هذا هو الرأي والسلام فقلت لها ان شاء الله لا انام وانما افعل ما تأمريني به فقامت بنت عمي واتت لي بالطعام وقالت لي كل الان ما يكفيك حتى لا يبقى في خاطرك شيء فاكلت كفايتي ولما اتى الليل قامت بنت عمي واتتني ببدلة عظيمة والبستني اياها وحلفتني ان اذكرها البيت المذكور وحذرتني من النوم ثم خرجت من عند بنت عمي وتوجهت الى البستان وطلعت ذلك المقعد ونظرت الى البستان وجعلت افتح عيني باصابعي واهز رأسي حين جن الليل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فدخلت البستان وطلعت ذلك المقعد ونظرت الى البستان وجعلت افتح عيني باصابعي واهز رأسي حين جن الليل فجعت من السهر وهبت على روايح الطعام فازداد جوعي وتوجهت الى السفرة وكشفت غطاءها واكلت من كل لون لقمة واكلت قطعة لحم واتيت الى باطية الخمر وقلت في نفسي اشرب قدحا فشربته ثم شربت الثاني والثالث الى غاية عشرة وقد ضربني الهوى فوقعت على الارض كالقتيل ومازلت كذلك حتى طلع النهار فانتبهت فرأيت نفسي خارج البستان وعلى بطني شفرة ماضية ودرهم حديد فارتجفت واخذتهما واتيت بهما الى البيت فوجدت ابنة عمي تقول اني في هذا البيت مسكينة حزينة ليس لي معين الا البكاء فلما دخلت وقعت من طولي ورميت السكين والدرهم من يدي وغشي علي فلما افقت من غشيتي عرفتها بما حصل لي وقلت لها اني لم

انل اربى فاشتد حزنها على لما رأت بكائى ووجدى وقالت لى انى عجزت وانا انصحك عن النوم فلم تسمع نصحى فكلامى لا يفيد لك شيأ فقلت لها اسألك بالله ان تفسرى لى اشارة السكين والدرهم الحديد فقالت اما الدرهم الحديد فانها تشير به الى عينها اليمين وانها تقسم بها وتقول وحق رب العالمين وعينى اليمين ان رجعت ثانى مرة ونمت لاذبحنك بهذه السكين وانا خائفة عليك يا ابن عمى من مكرها وقلبى ملاءن بالحزن عليك فاذا قدران اتكلم فان كنت تعرف من نفسك انك ان رجعت اليها الا تنام فارجع اليها واحذر النوم فانك تفوز بحاجتك وان عرفت انك ان رجعت اليها تنام على عادتك ثم رجعت اليها ونمت ذبحتك فقلت لها وكيف يكون العمل يا بنت عمى اسالك بالله ان تساعدينى فى هذه البلية فقالت على عينى ورأسى ولكن ان سمعت كلامى واطعت امرى قضيت حاجتك فقلت لها انى اسمع كلامك واطيع امرك فقالت اذا كان وقت الرواح اقول لك ثم ضمتنى الى حضنها ووضعتنى على الفراش ولا زالت تكبسنى حتى غلبنى النعاس واستغرقت فى النوم فاخذت مروحة وجلست عند رأسى تروح على وجهى الى آخر النهار ثم نبهتنى فلما انتبهت وجدتها عند رأسى وفى يدها المروحة وهى تبكى ودموعها قد بلت ثيابها فلما رأتنى استيقظت مسحت دموعها وجاءت بشئ من الاكل فامتنعت منه فقالت لى اما قلت لك اسمع منى وكل فاكلت ولم اخالفها وصارت تضع الاكل فى فمى وانا امضغ حتى امتلأت ثم اسقتنى نقيع عناب بالسكر ثم غسلت يدى ونشفتها بمعرمة ورشت على ماء الورد وجلست معها وانا فى عافية فلما اظلم الليل البستنى ثيابى وقالت يا ابن عمى اسهر جميع الليل ولا تنم فانها ما تأتيك فى هذه الليلة الا فى آخر الليل وان شاء الله تجتمع بها فى هذه الليلة ولكن لا تنس وصيتى ثم بكت فاوجعنى قلبى عليها من كثرة بكائها وقلت لها ما الوصية التى وعدتنى بها فقالت لى اذا انصرفت من عندها فانشدها البيت المتقدم ذكره ثم خرجت من عندها وانا فرحان ومضيت الى البستان وطلعت المقعد وانا شبعان فجلست وسهرت الى ربع الليل ثم طال الليل على حتى كانه سنة فمكثت ساهرا حتى مضى ثلاثة ارباع الليل وصاحت الديوك فاشتد عندى الجوع من السهر فقمت الى السفرة واكلت حتى اكتفيت فثقلت رأسى واردت ان انام واذا بضجة على بعد فنهضت وغسلت يدى وفمى ونبهت نفسى فاذا كان الاقليل واذا بها اتت ومعها عشر جوار وهى بينهن كالبدر بين الكواكب وعليها حلة من الاطلس الاخضر مزركشة بالذهب الاحمر وهى كما قال الشاعر

تتيه على العشاق فى حلل خضر * مفككة الازرار محلولة الشعر

فقلت لها ما الاسم قالت انا التى * كويت قلوب العاشقين على الجمر

شكوت اليها ما اقاسى من الهوى * فقالت انى صخر شكوت ولم تدر

فقلت لها ان كان قلبك صخرة * فقد نابع الله الزلال من الصخر

فلما رأتنى ضحكت وقالت كيف انتبهت ولم يغلب عليك النوم وحيث سهرت الليل علمت انك عاشق لان من شيم العشاق سهر الليل فى مكابدة الاشواق ثم اقبلت على الجوارى وغمزتهن فانصرفن عنها واقبلت على وضمتنى الى صدرها وقبلتنى وقبلتها ومصت شفتى التحتانية ومصصت شفتها الفوقانية ثم مددت يدى الى خصرها وغمزته ومازلنا فى الارض الاسواء وحلت سراويلها فنزلت فى خلاخل رجليها واخذنا فى الهراش والتعنيق والغنج والكلام الرقيق والعض وحمل السيقان والطواف بالبيت والاركان الى ان ارتخت مفاصيلها وغشى عليها ودخلت فى الغيبوبة وكانت تلك الليلة مسرة القلب وقرة الناظر كما قال فيها الشاعر

اهنى ليالى الدهر عندى ليلة * لم اخل فيها الكاس من اعمال
فرقت فيها بين جفنى والكرى * وجمعت بين القرط و الخلخال

فلما اصبح الصباح اردت الانصراف واذا بها امسكتنى وقالت لى قف حتى اخبرك بشئ وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة عشر بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فلما اصبح الصباح اردت الانصراف واذا بها امسكتنى وقالت قف حتى اخبرك بشئ واوصيك وصية فوقفت فحملت منديلا واخرجت هذه الخرقة ونشرتها قدامى فوجدت فيها صورة غزال على هذا المثال فتعجبت منها غاية العجب فاخذته وتواعدت انا واياها ان اسعى اليها كل ليلة فى ذلك البستان ثم انصرفت من عندها وانا فرحان ومن فرحى نسيت الشعر الذى اوصتنى به بنت عمى وحين اعطتنى الخرقة التى فيها صورة الغزال قالت لى هذا عمل اختى فقلت لها وما اسم اختك قالت اسمها نور الهدى فاحتفظ بهذه الخرقة ثم ودعتها وانصرفت وانا فرحان ومشيت الى ان دخلت على ابنة عمى فوجدتها راقدة فلما رأتنى قامت ودموعها تتساقط ثم اقبلت على وقبلت صدرى وقالت هل فعلت ما اوصيتك به من انشاد البيت الشعر فقلت لها انى نسيته وما اشغلنى عنه الا صورة هذا الغزال ورميت الخرقة قدامها فقامت وقعدت ولم تطق الصبر وافاضت دمع العين وانشدت هذين البيتين

ياطالبا للفراق مهلا * ولا يغرنك العناق
مهلا فطبع الزمان غدر * وآخر الصحبة الفراق

فلما فرغت من شعرها قالت يا ابن عمى هب لى هذه الخرقة فوهبتها لها فاخذتها ونشرتها ورأت ما فيها فلما جاء وقت ذهابى قالت ابنة عمى اذهب محفوظا بالسلامة ولكن اذا انصرفت من عندها فانشدها البيت الشعر الذى اخبرتك به اولا ونسيته فقلت لها اعيديه لى فاعادته ثم مضيت الى البستان ودخلت المقعد فوجدت الصبية فى انتظارى فلما رأتنى قامت وقبلتنى واجلستنى فى حجرها ثم اكلنا وشربنا وقضينا اغراضنا كما تقدم ولا حاجة الى الاعادة فلما اصبح الصباح انشدتها البيت الشعر وهو

الا ايها العشاق بالله خبروا * اذا اشتد عشق بالفتى كيف يصنع

فلما سمعته هملت عيناها بالدموع وانشدت تقول

يدارى هواه ثم يكتم سره * ويصبر فى كل الامور ويخضع

فحفظته وفرحت بقضاء حاجة ابنة عمى ثم خرجت واتيت الى ابنة عمى فوجدتها راقدة وامى عند رأسها تبكى على حالها فلما دخلت عليها قالت لى امى تبا لك من ابن عم كيف تترك بنت عمك على غير استواء ولا تسأل عن مرضها فلما رأتنى ابنة عمى رفعت رأسها وقعدت وقالت لى يا عزيز هل انشدتها البيت الذى اخبرتك به قلت لها نعم فلما سمعته بكت وانشدتنى بيتا آخر وحفظته فقالت بنت عمى اسمعنى اياه فلما سمعتها اياه بكت بكاء شديدا وانشدت هذا البيت

لقد حاول الصبر الجميل ولم يجد * له غير قلب فى الصبابة يجزع

ثم قالت لى ابنة عمى اذا ذهبت اليها على عادتك فانشدها هذا البيت الذى سمعته فقلت لها سمعا وطاعة

ثم ذهبت اليها فى البستان على العادة وكان بيتنا ما كان مما يقصر عن وصفه اللسان فلما اردت الانصراف انشدتها ذلك البيت وهو لقد حاول الى آخره فلما سمعته سالت مدامعها من المحاجر وانشدت قول الشاعر

فان لم يجد صبرا لكتمان سره ✻ فليس له عندى سوى الموت انفع

فحفظته وتوجهت الى البيت فلما دخلت على ابنة عمى وجدتها ملقاة مغشيا عليها وامى جالسة عند رأسها فلما سمعت كلامى فتحت عينيها وقالت ياعزيز هل انشدتها البيت الشعر قلت لها نعم ولما سمعته بكت وانشدتنى هذا البيت فان لم يجد الى آخره فلما سمعته بنت عمى غشى عليها ثانيا فلما افاقت انشدت هذا البيت وهو

سمعنا اطعنا ثم متنا فبلغوا ✻ سلامى على من كان للوصل يمنع

ثم لما اقبل الليل مضيت الى البستان على جرى عادتى فوجدت الصبية فى انتظارى فجلسنا واكلنا وشربنا وعملنا حفلنا ثم نمنا الى الصباح فلما اردت الانصراف انشدتها ما قالته ابنة عمى فلما سمعت ذلك صرخت صرخة عظيمة وتغيرت وقالت والله ان قائلة هذا الشعر قد مات ثم بكت وقالت ويلك ما تقرب لك قائلة هذا الشعر قلت لها انها ابنة عمى قالت كذبت والله لو كانت ابنة عمك لكان عندك لها من المحبة مثل ما عندها لك فانت الذى قتلتها قتلك الله كما قتلتها والله لو اخبرتنى ان لك ابنة عم ما قربتك منى فقلت لها انها ابنة عمى وكانت تفسر لى الاشارات التى كنت تشير بها الى وهى التى علمتنى ما افعل معك وما وصلت اليك الا بحسن تدبيرها فقالت وهل عرفت بنا قلت نعم قالت حسرك الله على شبابك كما حسرتها على شبابها ثم قالت لى رح انظرها فذهبت وخاطرى متشوش ومازلت ماشيا حتى وصلت الى زقاقنا فسمعت عياطا فسألت عنه فقيل لى ان عزيزة وجدناها خلف الباب ميتة ثم دخلت الدار فلما رأتنى امى قالت ان خطيئتها فى عنقك فلا سامحك الله من دمها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك ثم دخلت الدار فلما رأتنى امى قالت ان خطيئتها فى عنقك فلا سامحك الله من دمها نبالك من ابن عم ثم ان ابى جاء وجهزناها وشيعنا جنازتها ودفناها وعملنا على قبرها الختمات ومكثنا على القبر ثلاثة ايام ثم رجعت الى البيت وانا حزين عليها فاقبلت على امى وقالت لى ان قصدى ان اعرف ما كنت تفعله معها حتى فقعت مرارتها وانى باولدى كنت اسألها فى كل الاوقات عن سبب مرضها فلم تخبرنى به ولم تطلعنى عليه فبالله عليك ان تخبرنى بالذى كنت تصنعه معها حتى ماتت فقلت ما عملت شيأ فقالت الله يقتص لها منك فانها ما ذكرت لى شيأ بل كتمت امرها حتى ماتت وهى راضية عنك ولما ماتت كنت عندها ففتحت عينيها وقالت لى يا امرأة عمى جعل الله ولدك فى حل من دمى ولا آخذه بما فعل معى وانما نقلنى الله من الدنيا الفانية الى الاخرة الباقية فقلت يا بنى سلامتك وسلامة شبابك وصرت اسألها عن سبب مرضها فما تكلمت ثم تبسمت وقالت يا امرأة عمى اذا اراد ابنك ان يذهب الى الموضع الذى عادته الذهاب اليه فقولى له ان يقول هذين الكلمتين عند انصرافه منه الوفاء مليح والغدر قبيح وهذه شفقة منى عليه لاكون شفوقة عليه فى حياتى وبعد مماتى ثم اعطتنى لك حاجة وحلفتنى

انى

انى لا اعطيها لك حتى اراك تبكى عليها وتنوح والحاجة عندى فاذا رأيتك على الصفة التى ذكرتها اعطيتك اياها فقلت لها ارنى اياها فحار ضيت ثم انى اشتغلت بلذاتى ولم اتذكر فى موت ابنة عمى لانى كنت طايش العقل وكنت اود فى نفسى ان اكون طول ليلى ونهارى عند محبوبتى وما صدقت ان الليل اقبل حتى مضيت الى البستان فوجدت الصبية جالسة على مقالى النار من كثرة الانتظار فما صدقت انها رأتنى وبادرت الى وتعلقت برقبتى وسألتنى عن بنت عمى فقلت لها انها ماتت وعملنا لها الذكر والختمات ومضى لها اربع ليال وهذه الخامسة فلما سمعت ذلك صاحت وبكت وقالت اما قلت لك انك قتلتها ولو اعلمتنى بها قبل موتها لكنت كافئتها على ما فعلت معى من المعروف فانها خدمتنى واوصلتك الى ولولاها ما اجتمعت بك وانا خائفة عليك ان تقع فى مصيبة بسبب رزيتها فقلت لها انها قد جعلتنى فى حل قبل موتها ثم ذكرت لها ما اخبرتنى به امى فقالت بالله عليك اذا ذهبت الى امك فاعرف الحاجة التى عندها فقلت لها ان امى قالت لى ان ابنة عمك قبل ان تموت اوصتنى وقالت لى اذا اراد ابنك ان يذهب الى الموضع الذى عادته الذهاب اليه فقولى له هاتين الكلمتين الوفاء مليح والغدر قبيح فلما سمعت الصبية ذلك قالت رحمة الله تعالى عليها فانها خلصتك منى وقد كنت اضمرت على ضررك فانا لا اضرك ولا اشوش عليك فتعجبت من ذلك وقلت لها وما كنت تريدين قبل ذلك ان تفعليه معى وقد صار بينى وبينك مودة فقالت انت مولع بى ولكنك صغير السن وقلبك خال عن الخداع فانت لا تعرف مكرنا ولا خداعنا ولو كانت فى قيد الحياة لكانت معينة لك فانها سبب سلامتك حيث انجتك من الهلكة والان اوصيك ان لا تتكلم مع واحدة ولا تخاطب واحدة من امثالنا لا صغيرة ولا كبيرة فايانك ثم ايانك لانك غير عارف بخداع النساء ولا مكرهن والتى كانت تفسر لك الاشارات قد ماتت وانى اخاف عليك ان تقع فى رزية فلا تجد من يخلصك منها بعد موت بنت عمك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك ثم ان الصبية قالت لى انى اخاف عليك ان تقع فى رزية فلا تجد من يخلصك منها بعد موت بنت عمك فواحسرتاه على بنت عمك وليتنى علمت بها قبل موتها حتى اكافئها على ما فعلت معى من المعروف رحمة الله تعالى عليها فانها كتمت سرها ولم تبح بما عندها ولولاها ما كنت تصل الى ايدا وانى اشتهى عليك امرا فقلت ما هو قالت ان توصلنى الى قبرها حتى ازورها فى القبر الذى هى فيه واكتب عليه ابياتا فقلت لها فى غد ان شاء الله تعالى ثم انى نمت معها تلك الليلة وهى بعد كل ساعة تقول لى لينك اخبرتنى بابنة عمك قبل موتها فقلت لها ما معنى هذين الكلمتين اللتين قالتهما وهما الوفاء مليح والغدر قبيح فلم تجبنى فلما اصبح الصباح قامت واخذت كيسا فيه دنانير وقالت لى قم وارنى قبرها حتى ازوره واكتب عليه ابياتا واعمل عليه قبة وارحم عليها واصرف هذه الدنانير صدقة عن روحها فقلت لها سمعا وطاعة ثم مشيت قدامها ومشت خلفى وصارت تتصدق وهى ماشية فى الطريق وكلما تصدقت صدقة تقول هذه الصدقة عن روح عزيزة التى كتمت سرها حتى شربت كاس منيتها ولم تبح بسرها ولم تزل تتصدق من الكيس وتقول عن روح عزيزة حتى وصلنا الى القبر ونفد ما فى الكيس فلما رأيت القبر رمت روحها عليه وبكت بكاء شديدا ثم انها اخرجت بيكارا من الفولاذ ومطرقة لطيفة وخطت بالبيكار على الحجر الذى على رأس القبر خطا لطيفا ورسمت

هذه الابيات

مررت بقبر دارس وسط روضة * عليه من النعمان سبع شقايق
فقلت لمن ذا القبر جاوبنى الثرى * تأدب فهذا القبر برزخ عاشق
فقلت رعاك الله يا ميت الهوى * واسكنك الفردوس اعلى الشواهق
مساكين اهل العشق حتى قبورهم * عليها تراب الذل بين الخلائق
فان استطع زرعا زرعتك روضة * واسقيتها من دمعى المتدافق

ثم بكت بكاء شديدا وقامت وقت معها وتوجهنا الى البستان فقالت لى سألتك بالله انك لا تقطع عنى ابدا فقلت سمعا وطاعة ثم انى صرت اتردد عليها وكلما بت عندها تحسن الى وتكرمنى وتسألنى عن الكلمتين اللتين قالتهما ابنة عمى عزيزة لامى فاعيدهما لها ومازلت على ذلك الحال من اكل وشرب وضم وعناق وتغيير ثياب من الملابس الرقاق حتى غلظت وسمنت ولم يكن بى هم ولا غم ولا حزن ونسيت ابنة عمى ومكثت مستغرقا فى تلك اللذات سنة كاملة وعند رأس السنة دخلت الحمام واصلحت شأنى ولبست بذلة فاخرة ولما خرجت من الحمام شربت قدحا من الشراب وشممت روايح حمائمى المضمخ بانواع الطيب واما خالى القلب من غدرات الزمان وطوارق الحدثان فلما جاء وقت العشاء اشتاقت نفسى الذهاب اليها واما سكران لا ادرى اين اتوجه فذهبت اليها فخال بى السكر الى زقاق يقال له زقاق النقيب فبينما انا ماش فى ذلك الزقاق واذا بعجوز ماشية وفى احدى يديها شمعة مضيئة وفى يدها الاخرى كتاب ملفوف وادركنى شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب الذى اسمه عزيز قال لتجاج الملوك فلما دخلت الزقاق الذى يقال له زقاق النقيب مشيت فيه فبينما انا ماش فى ذلك الزقاق واذا بعجوز ماشية وفى احدى يديها شمعة مضيئة وفى يدها الاخرى كتاب ملفوف فتقدمت اليها وهى باكية العين وتنشد هذين البيتين

لله در مبشرى بقدومكم * فلقد اتى بلطائف المسموع
لو كان يقنع بالخلع وهبته * قلبا تمزق ساعة التوديع

فلما رأتنى قالت لى يا ولدى هل تعرف ان تقرأ فقلت لها نعم يا خالتى العجوز فقالت لى خذ هذا الكتاب واقرأه لى وناولتنى الكتاب فاخذته منها وفككته وقرأته عليها فضمونه انه كتاب من عند الغياب بالسلام على الاحباب فلما سمعته فرحت واستبشرت ودعت لى وقالت لى فرج الله همك كما فرجت همى ثم اخذت الكتاب ومشت خطوتين وغلبنى حصر البول فقعدت فى مكان لا ريق الماء ثم انى قمت وتجمرت وارخيت ثوبى واردت ان امشى واذا بالعجوز قد اقبلت على وقبلت يدى وقالت يا مولاى الله تعالى يهنيك بشبابك ولا يفجعك اترجال ان تمشى معى خطوات الى ذلك الباب فانى اخبرهم بما اسمعتنى اياه فى قرأة الكتاب فلم يصدقونى فامش معى خطوتين واقرأ لهم الكتاب من خلف الباب واقبل دعائى لك فقلت لها وما قصة هذا الكتاب فقالت لى يا ولدى هذا الكتاب جاء من عند ولدى وهو غائب عنى مدة عشر سنين فانه سافر بتجر ومكث فى الغربة تلك المدة فقطعنا الرجاء وظننا انه مات ثم وصل الينا منه هذا الكتاب وله اخت تبكى

عليه

عليه فى مدة غيابه آناء الليل واطراف النهار فقلت لها انه طيب بخير فلم تصدقنى وقالت لى لابد ان تأتينى بمن يقرأ هذا الكتاب فيخبرنى حتى يطمئن قلبى ويطيب خاطرى وانت تعلم يا ولدى ان الحب مولع بسوء الظن فانهم على بقراءة هذا الكتاب وانت واقف خلف الستارة واخته تسمع من داخل الباب لاجل ان يحصل لك ثواب من قضى لمسلم حاجة ونفس عنه كربة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفس عن مكروب كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب الاخرة وفى حديث آخر من نفس عن اخيه كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه اثنين وسبعين كربة من كرب يوم القيامة واما قصدتك فلا تخيبنى فقلت لها سمعا وطاعة تقدمى قدامى فمشت قدامى ومشيت خلفها قليلا حتى وصلت الى باب دار عظيمة وذلك الباب مصفح بالنحاس الاحمر فوقفت خلف الباب وصاحت العجوز بالعجمية فما اشعر الا وصبية قد اقبلت بخفة ونشاط وهى مشمرة اللباس الى ركبتيها فرأيت لها ساقين يحيران الفكر والناظر وهى كما قال فى وصفها الشاعر

يا من يشمر عن ساق ليعرضه * على المحبين حتى يفهم الساقى
وطاف يسعى بكأس نحو عاشقه * ما افتن الناس غير الكاس والساقى

وزان ساقيها اللتين كانهما عمودان من مرمر خلا خل الذهب المرصعة بالجوهر وكانت تلك الصبية مشمرة ثيابها الى تحت ابطيها ومشمرة عن ذراعيها فنظرت معاصمها البيض وفى يديها زوجان من الاساور وفى اذنيها قرطان من اللؤلؤ وفى عنقها عقد من ثمين الجواهر وعلى رأسها كوفية دق المطرقة مكللة بالفصوص المثمنة وقد رشقت اطراف قميصها من داخل دكة اللباس وهى كانها كانت تعمل شغلا فلما رأتنى قالت بلسان فصيح عذب ما سمعت احلى منه يا امى اهذا الذى جاء يقرأ الكتاب فقالت لها نعم فمدت يدها الى بالكتاب وكان بينها وبين الباب نحو نصف قصبة فمددت يدى لاتناول منها الكتاب وادخلت رأسى واكافى من الباب لاقرب منها فما ادرى الا والعجوز قد وضعت رأسها فى ظهرى ودفعتنى ويدى ماسكة الكتاب فالتفت فرأيت نفسى فى وسط الدار من داخل الدهليز ودخلت العجوز اسرع من البرق الخاطف ولم يكن لها شغل الا قفل الباب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فالتفت فرأيت نفسى فى وسط الدار من داخل الدهليز ودخلت العجوز اسرع من البرق الخاطف ولم يكن لها شغل الا قفل الباب ثم ان الصبية لما رأتنى من داخل الدهليز اقبلت على وضمتنى الى صدرها ورمتنى على الارض وركبت فوق صدرى وعصرت بطنى بيدها فغبت عن الوجود ثم اخذتنى بيدها ولم اقدر ان اتخلص منها من شدة ما حضنتنى ثم دخلت بى ودخلت العجوز قدامها والشمعة مضيئة معها حتى قطعت سبع دهاليز وبعد ذلك دخلت بى قاعة كبيرة باربعة لواوين يلعب فيها الخيال بالاكر ثم اجلستنى وقالت لى افتح عينك ففتحت عينى واذا بى خمن شدة ما ضمتنى وعصرتنى فرأيت جميع بناء القاعة من بهيج المرمر وبديع فرشها من الديباج وكذلك المخدات والمراتب وهناك دكان من النحاس الاصفر وسرير من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر لا يصلح الا للملك مثلك ثم قالت لى يا عزيزى احد الثلاثين احب اليك الموت ام الحياة فقلت لها الحياة فقالت اذا كانت الحياة احب اليك فتزوج بى فقلت اما اكره ان اتزوج بمثلك فقالت لى ان تزوجت بى تسلم من بنت الدليلة

الحتالة فقلت لها ومن الدليلة المحتالة فضحكت وقالت كيف لا تعرفها وانت لك فى صحبتها اليوم سنة واربعة شهور اهلكها الله تعالى والله ما يوجد امكر منها وكم قتلت شخصا قبلك وكم عملت عملة وكيف سلمت منها ولم تقتلك او تشوش عليك ولك فى صحبتها هذه المدة فلما سمعت كلامها تعجبت غاية العجب فقلت لها ياسيدتى ومن عرفك بها فقالت انا اعرفها مثل ما يعرف الزمان مصائبه لكن قصدى ان تحكى لى جميع ما وقع لك منها حتى اعرف ما سبب سلامتك منها فحكيت لها جميع ما جرى لى معها ومع ابنة عمى عزيزة فترحمت عليها ودمعت عيناها ودقت يداعلى يد لما سمعت بموت ابنة عمى عزيزة وقالت عوضك الله فيها خيرا يا عزيز فانها هى سبب سلامتك من بنت الدليلة المحتالة ولولاها لكنت هلكت وانا خائفة عليك من مكرها وشرها ولكن ما اقدر ان اتكلم فقلت لها والله ان ذلك كله قد حصل فهزت رأسها وقالت لا يوجد اليوم مثل عزيزة فقلت وعند موتها اوصتنى ان اقول هاتين الكلمتين لا غير وهما الوفاء مليح والغدر قبيح فلما سمعت ذلك منى قالت لى يا عزيز والله ان هاتين الكلمتين هما اللتان خلصتاك منها وبسببهما ما قتلتك فقد خلصتك بنت عمك حية وميتة والله انى كنت اتمنى الاجتماع بك ولو يوما واحدا فلم اقدر على ذلك الا فى هذا الوقت حتى تحيلت عليك بهذه الحيلة وقد تمت وانت الان صغير لا تعرف مكر النساء ولا دواهى الجهائز فقلت لا والله فقالت لى طب نفسا وقر عينا فان الميت مرحوم والحى ملطوف به وانت شاب مليح وانا ما اريد لك الا بسنة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومهما اردت من مال وفراش يحضر لك سريعا وما اكلفك بشئ ابدا وايضا عندى دائما الخبز مخبوز والماء فى الكوز وما اريد منك الا ان تعمل معى كما يعمل الديك فقلت لها وما الذى يعمله الديك فضحكت وصفقت بيدها ووقعت على قفاها من شدة الضحك ثم انها قعدت وقالت لى اما تعرف صنعة الديك فقلت لا والله ما اعرف صنعة الديك قالت صنعة الديك ان تأكل وتشرب وتنيك فجعلت انا من كلامها انى قلت اهذه صنعة الديك فقالت نعم وما اريد لك الا ان تشد وسطك وتقوى عزمك وتنيك جهدك ثم انها صفقت بيدها وقالت يا امى احضرى من عندك واذا بالعجوز قد اقبلت باربعة شهود عدول ثم انها اوقدت اربع شمعات فلما دخل الشهود سلموا على وجلسوا فقامت الصبية وارخت عليها ازارا ووكلت بعضهم فى ولاية عقدها وقد كتبوا الكتاب واشهدت على نفسها انها قبضت جميع المهر مقدما ومؤخرا وان فى ذمتها الى عشرة الاف درهم وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك واشهدت على نفسها انها قبضت جميع المهر مقدما ومؤخرا وان فى ذمتها الى عشرة الاف درهم ثم انها اعطت الشهود اجرتهم وانصرفوا من حيث اتوا فعند ذلك قامت الصبية وقلعت ثوبها واتت فى قميص رفيع مطرز بطراز من الذهب وقلعت لباسها واخذت بيدى وطلعت بى فوق السرير وقالت لى ما فى الحلال من عيب ووقعت على السرير وانسطحت على ظهرها ورمتنى على صدرها ثم شهقت شهقة واتبعت الشهقة بغنجة ثم كشفت الثوب حتى جعلته فوق نهودها فلما رأيتها على تلك الحالة لم اتمالك نفسى دون ان اولجته فيها بعد ان مصصت شفتها وهى تتاوه وتظهر الخشوع والخضوع والبكاء بالدموع واذكرنى فى هذا الحال قول من قال

ولما كشفت الثوب عن سطح كسها * وجدت به ضيقا كخلق وارزاق

فاربجت

فاولجت فيها نصفه فتنهدت * فقلت لها هذا فقالت على الباقى

ثم قالت يا حبيبى اعمل خلاصك فانا جارتك خذ هاته كله بجميانى عندك هاته حتى ادخله بيدى واريح به فؤادى ولم تزل تسمعنى الغنج والشهيق فى خلال البوس والتعنيق حتى صار صياحنا فى الطريق وحفظنا بالسعادة والتوفيق ثم نمنا الى الصباح واردت ان اخرج واذا هى اقبلت على ضاحكة وقالت هل تحسب ان دخول الحمام مثل خروجه وما اظن الا انك تحسبنى مثل بنت الدليلة المحتالة ايالة وهذا الظن فانت الازوجى بالكتاب والسنة وان كنت سكران فافق لعقلك ان هذه الدار التى انت فيها ما تفتح الا فى كل سنة يوما قم الى الباب الكبير وانظره فقمت الى الباب الكبير فوجدته مغلقا مسمرا فعدت واعلمتها بانه مغلق مسمر فقالت لى يا عزيز ان عندنا من الدقيق والحبوب والفواكه والرمان والسكر واللحم والغنم والدجاج وغير ذلك ما يكفينا اعواما عديدة ولا يفتح بابنا من هذه الليلة الا بعد سنة واما اعلم انك ما بقيت ترى روحك خارجا عن هذه الدار الا بعد سنة فقلت لا حول ولا قوة الا بالله فقالت واى شئ يضرك وانت تعرف صنعة الديك التى اخبرتك بها ثم ضحكت فضحكت اما وطاوعتها فيما قالت ومكثت عندها وانا اعمل صنعة الديك اكل واشرب واليك حتى مر علينا عام اثنا عشر شهرا فلما كملت السنة حملت منى ورزقت منها ولدا وعند رأس السنة سمعت فتح الباب واذا بالرجال دخلوا بكعك ودقيق وسكر فاردت ان اخرج فقالت اصبر الى وقت العشاء ومثل ما دخلت فاخرج فصبرت الى وقت العشاء واردت ان اخرج وانا خائف مرجوف واذا هى قالت والله ما ادعك تخرج حتى احلفك انك تعود فى هذه الليلة قبل ان يغلق الباب فاجبتها الى ذلك وحلفتنى الايمان الوثيقة على السيف والمصحف والطلاق انى اعود اليها ثم خرجت من عندها ومضيت الى البستان فوجدته مفتوحا كعادته فاغتظت وقلت فى نفسى انى غائب عن هذا المكان سنة كاملة وجئت على غفلة فوجدته مفتوحا كعادته يا ترى هل الصبية باقية على حالها اولا فلا بد ان ادخل وانظر قبل ان اروح الى امى وانا فى وقت العشاء ثم دخلت البستان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان عزيزا قال لتاج الملوك ثم دخلت البستان ومشيت حتى اتيت الى المقعد فوجدت بنت الدليلة المحتالة جالسة ورأسها على ركبتها ويدها على خدها وقد تغيرلونها وغارت عيناها فلما رأتنى قالت الحمد لله على السلامة وهممت ان اقوم فوقعت من فرحتها فاستحييت منها وطأطأت رأسى ثم تقدمت اليها وقبلتها وقلت لها كيف عرفت انى اجيء اليك فى هذه الساعة قالت لا علم لى بذلك والله ان لى سنة لم اذق فيها نوما بل اسهر كل ليلة فى انتظارك وانا على هذه الحالة من يوم خرجت من عندى واعطيتك البدلة القماش الجديدة ووعدتنى انك تجيء الى وقد انتظرتك فما اتيت لا اول ليلة ولا ثانى ليلة ولا ثالث ليلة فاستمريت منتظرة مجيئك والعائق هكذا يكون واريد ان تحكى لى ما سبب غيابك عنى هذه السنة فحكيت لها فلما علمت انى تزوجت اصفر لونها ثم قالت لها انى اتيتك هذه الليلة واروح قبل الصباح فقالت اما كفاها انها تزوجت بك وعملت عليك الحيلة وحبستك عندها سنة كاملة حتى حلفتك بالطلاق ان تعود اليها قبل الصباح ولم تسمح لك بان تتفسح عندامك ولا عندى ولم يهن عليها ان تبيت عندا حدا ليلة واحدة فكيف حال من غبت عنها سنة كاملة وقد عرفتك قبلها ولكن رحم الله عزيزة فانه جرى لها ما لم يجر لاحد وصبرت على شئ لم يصبر عليه مثلها وماتت مقهورة

منك وهى التى حملتك منى وكنت اظنك تجيء فاطلقت سبيلك مع انى كنت اقدر على حبسك وعلى هلاكك ثم بكت واغتاظت ونظرت الى بعين الغضب فلما رأيتها على تلك الحالة ارتعدت فرائصى وخفت منها وصرت مثل الفولة على النار ثم قالت لى مابقى فيك فائدة بعد ما تزوجت وصار لك ولد فانت لا تصلح لعشرتى لانه لا ينفعنى الا الاعزب واما الرجل المتزوج فانه لا ينفعنى وقد بعتنى بتلك العاهرة والله لاحسرنها عليك وتصير لا لى ولا لها ثم صاحت فما ادرى الا وعشر جواريتين ورمينى على الارض فلما وقعت تحت ايديهن قامت هى واخذت سكينا وقالت لاذبحنك ذبح التيوس ويكون هذا اقل جزائك على ما فعلت مع ابنة عمك فلما نظرت الى روحى وانا تحت جواريها وتعفر خدى بالتراب ورأيت السكين فى يدها تحققت الموت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ثم ان الشاب عزيز قال لتاج الملوك فلما رأيت روحى تحت جواريها وتعفر خدى بالتراب ورأيت السكين فى يدها تحققت الموت فاستغثت بها فلم تزدد الا قسوة وامرتهن ان يكتفنى فكتفنى ورمينى على ظهرى وجلسن على بطنى ومسكن رأسى وقامت جاريتان فمسكا اصابع رجلى وجاريتان جلستا على اقصاب رجلى وبعد ذلك قامت هى ومعها جاريتان فامرتهما ان يضربانى فضربتانى حتى انعمى على وخفى صوتى فلما استغثت قلت فى نفسى ان موتى مذبوحا اهون على من هذا الضرب وتذكرت كلمة ابنة عمى حيث قالت كفانا الله شرها فصرخت وبكيت حتى انقطع صوتى ثم سنت السكين وقالت للجوارى اكشفن عنه فالهمنى الله ان اقول الكلمتين اللتين اوصتنى بهما ابنة عمى وهما الوفاء مليح والغدر قبيح فلما سمعت ذلك صاحت وقالت يرحمك الله يا عزيز سلامة شبابك نفعت ابن عمك فى حياتك وبعد موتك ثم قالت لى والله انك خلصت من يدى بواسطة هاتين الكلمتين لكن لابد ان اعمل فيك اثرا لاجل نكاية تلك العاهرة التى حجبتك عنى ثم صاحت على الجوارى وقالت لهن اركبن عليه وامرتهن ان يربطن رجلى بالحبال ففعلن ذلك ثم قامت من عندى وركبت طاجنا من نحاس على النار وصبت فيه شيرجا وقلت فيه جبنا وانا غائب عن الدنيا ثم جاءت عندى وحلت لباسى وربطت محاشمى بحبل وناولته لجاريتين وقالت لهما جرا الحبل بقوتكما فصرت من شدة الالم فى دنيا غير هذه الدنيا ثم رفعت يدها وقطعت ذكرى بموسى وبقيت مثل المرأة ثم كوت موضع القطع وكبسته بذرور وانا مغمى على فلما افقت كان الدم قد انقطع فاسقتنى قدحا من الشراب ثم قالت لى روح الان لمن تزوجت بها وبخلت على بليلة واحدة رحم الله ابنة عمك التى هى سبب نجاتك ولولا انك اسمعتنى كلمتيها لكنت ذبحتك فاذهب فى هذه الساعة لمن تشتهى وانا ما كان لى عندك سوى ما قطعته والان مابقى لى فيك رغبة ولا حاجة لى بك فقم وامس على رأسك وترحم على ابنة عمك ثم رفصتنى برجلها فقمت وما قدرت ان امشى فمشيت قليلا قليلا حتى وصلت الى الباب فوجدته مفتوحا فرميت نفسى فيه وانا غائب عن الوجود واذا بزوجتى خرجت وحملتنى وادخلتنى القاعة فوجدتنى مثل المرأة فنمت واستغرقت فى النوم فلما صحوت وجدت نفسى مرميا على باب البستان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد المائة

قالت

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال للملك ضوء المكان ثم ان الشاب عزيزا قال لتاج الملوك فلما سمعت وجدت نفسى مرميا على باب البستان فقمت وانا اتفجر وتمشيت حتى اتيت الى منزلى فدخلت فيه فوجدت امى تبكى على وتقول يا هل ترى يا ولدى انت فى اى ارض فدفنوت منها ورميت نفسى عليها فلما نظرت الى ورأتنى وجدتنى على غير استواء وصار على وجهى الاصفرار والسواد وتذكرت ابنة عمى وما فعلت معى من المعروف وتحققت انها كانت تحبنى فبكيت عليها وبكت امى ثم قالت لى يا ولدى ان والدك قدمات فازددت غيظا وبكيت حتى اغمى على فلما افقت نظرت الى موضع ابنة عمى التى كانت تقعد فيه فبكيت ثانيا حتى اغمى على من شدة البكاء ومازلت فى بكاء وتحيب الى نصف الليل فقالت لى امى ان والدك عشرة ايام وهو ميت فقلت لها انا لا افكر فى احد ابدا غير ابنة عمى لانى استحق ما حصل لى حيث اهملتها وهى تحبنى فقالت وما حصل لك فبكيت لها ما حصل لى فبكت ساعة ثم قامت واحضرت لى شيأ من المأكول فاكلت قليلا وشربت واعدت لها قصتى واخبرتها بجميع ما وقع لى فقالت الحمد لله حيث جرى لك هذا وماذ بحتك ثم انها عالجتنى وداوتنى حتى برئت وتكاملت عافيتى فقالت لى يا ولدى الان اخرج لك الوداعة التى وضعتها ابنة عمك عندى فانها لك وقد حلفتنى انى لا اخرجها لك حتى ارالك تتذكرها وتحزن عليها وتقطع علائقك من غيرها والان رجوت فيك هذه الخصال ثم قامت وفتحت صندوقا واخرجت منه هذه الخرقة التى فيها صورة هذا الغزال وهى التى وهبتها لها اولا فلما اخذتها وجدت مكتوبا فيها هذه الابيات

اغتم فؤادى فى الهوى وقعد تمو * واسهر تمو جفنى القريح وتمتمو
وقد حلتمو بين المنام وناظرى * فلا القلب يسلاكم ولو ذاب منكمو
وعاهدتمونى انكم كاتموا الهوى * فاغراكم الواشى وقال وقلتمو
فبالله اخوانى اذا مت فاكتبوا * على لوح قبرى ان هذا متيم

فلما قرأت هذه الابيات بكيت بكاء شديدا واظلمت وجهى وفتحت الرقعة فوقعت منها ورقة اخرى ففتحتها فاذا مكتوب فيها اعلم يا ابن عمى انى جعلتك فى حل من دمى وارجو الله ان يوفق بينك وبين من تحب لكن اذا اصابك شئ من الدليلة المحتالة فلا ترجع اليها ولا لغيرها وبعد ذلك فاصبر على بليتك ولولا اجلك المحتم لهلكت من الزمان الماضى ولكن الحمد لله الذى جعل يومى قبل يومك وسلامى عليك واحتفظ على هذه الخرقة التى فيها صورة الغزال ولا تفرط فيها فان تلك الصورة كانت تؤانسنى اذا غبت عنى وادرلك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال للملك ضوء المكان ثم ان الشاب عزيزا قال لتاج الملوك ان ابنة عمى قالت لى واحتفظ على هذه الخرقة التى فيها صورة الغزال ولا تفرط فيها ابدا فان تلك الصورة كانت تؤانسنى اذا غبت عنى وبالله عليك ان قدرت على من صورت هذه الصورة ينبغى انك تبتاعها عنها ولا تخلها تقرب منك ولا تتزوج بها وان لم تقدر عليها ولا تجد لك اليها سبيلا فلا تقرب واحدة من النساء بعدها واعلم ان التى صورت هذه الصورة تصور فى كل سنة صورا مثلها وترسلها الى اقصى البلاد لاجل ان يشيع خبرها وحسن صنعتها الى يعجز عنها اهل الارض ولما محبوبتك الدليلة المحتالة فانها لما وصلت اليها هذه

الخرقة التى فيها صورة الغزال صارت تريها للناس وتقول لهم ان لى اختا تصنع هذا مع انها كاذبة فى قولها هتك الله سترها وما اوصيتك بهذه الوصية الا لانى اعلم ان الدنيا قد تضيق عليك بعد موتى وربما تتغرب بسبب ذلك وتطوف فى البلاد وتسمع بصاحبة هذه الصورة فتتشوق نفسك الى معرفتها واعلم ان الصبية التى صورت هذه الصورة بنت ملك جزائر الكافور فلما قرأت تلك الورقة وفهمت ما فيها بكيت وبكت امى لبكائى ولا زلت انظر اليها وابكى الى ان اقبل الليل ولم ازل على تلك الحالة مدة سنة وبعد السنة تجهز تجار من مدينتى الى السفر وهم هؤلاء الذين انا معهم فى القافلة فاشارت على امى ان اتجهز واسافر معهم وقالت لى لعل السفر يذهب ما بك من هذا الحزن وتغيب سنة او سنتين او ثلاثا حتى تعود القافلة فاعمل صدرك ينشرح ولا زالت تلاطفنى بالكلام حتى جهزت متجرا وسافرت معهم وانا لم تنشف لى دمعة مدة سفرى وفى كل منزلة تنزل بها انشر هذه الخرقة قدامى وانظر الى هذه الصورة فاتذكر ابنة عمى وابكى عليها كما ترانى فانها كانت تحبنى محبة زائدة وقد ماتت مقهورة منى وما فعلت معها الا الضرر مع انها لم تفعل معى الا الخير ومتى رجعت التجار من سفرهم ارجع معهم وتكمل مدة غيابى سنة وانا فى حزن زائد وما زاد همى وحزنى الا انى جزت على جزائر الكافور وقلعة البلور وهى سبع جزائر والحاكم عليهم ملك يقال له شهرمان وله بنت يقال لها دنيا فقيل لى انها هى التى تصور صورة الغزلان وهذه الصورة التى معك من جملة تصويرها فلما علمت ذلك زادت بى الاشواق وغرقت فى بحر الفكر والاحتراق فبكيت على روحى لانى بقيت مثل المرأة ولم تبق لى الة مثل الرجال ولا حيلة لى ومن يوم فراقى لجزائر الكافور وانا باكى العين حزين القلب ولى مدة على هذا الحال وما ادرى هل يمكننى ان ارجع الى بلدى واموت عند والدتى اولا وقد شبعت من الدنيا ثم بكى وان وانشكى ونظر الى صورة الغزال وجرى دمعه على خده وسال وانشد هذين البيتين

وقائل قال لى لابد من فرج * فقلت للغيظ كم لابد من فرج

فقال لى بعد حين قلت يا عجبى * من يضمن العمر لى يا بارد الحيج

وهذه حكايتى ايها الملك فلما سمع تاج الملوك قصة الشاب تعجب غاية العجب وانطلقت فى فؤاده النيران حين سمع بجمال السيدة دنيا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان فلما سمع تاج الملوك قصة الشاب تعجب غاية العجب وانطلقت فى فؤاده النيران لما سمع بجمال السيدة دنيا وعرف انها هى التى صورت صورة الغزال وزاد به الوجد والبلبال فقال للشاب والله لقد جرى لك شئ ما جرى لاحد غيرك مثله ولكن هذا تقدير ربك وقصدى ان اسألك عن شئ فقال عز برز وما هو فقال تصف لى كيف رأيت تلك الصبية التى صورت صورة الغزال فقال يا مولاى انى توصلت اليها بحيلة وهو انى لما دخلت مع القافلة الى بلادها كنت اخرج وادور فى البساتين وهى كثيرة الاشجار وحارس البساتين شيخ طاعن فى السن فقلت له يا شيخ لمن هذا البستان فقال لى لابنة الملك السيدة دنيا ونحن تحت قصرها فاذا اردت ان تتفرج فافتح باب السر وتفرج فى البستان فتشم رايحة الازهار فقلت له انعم على بأن اقعد فى هذا البستان حتى تمر على ان احظى منها بنظرة فقال الشيخ لا باس بذلك فلما قال ذلك اعطيته بعض دراهم وقلت له اشتر لنا شيأ نأكله ففرح باخذ الدراهم وفتح الباب وادخلنى معه وسرنا ومازلنا سائرين الى ان وصلنا الى مكان لطيف

واحضر

واحضر لى شيأ من الفواكه اللطيفة وقال لى اجلس هنا حتى اذهب واعود اليك وتركنى ومضى فغاب ساعة ثم رجع ومعه خروف مشوى فاكلنا حتى اكتفينا وقلبى مشتاق الى رؤية الصبية فبينما نحن جالسان واذا بالباب قد انفتح فقال لى قم اختف فقمت واختفيت واذا بطواشى اسود اخرج رأسه من الباب وقال ياشيخ هل عندك احد فقال لا فقال له اغلق الباب فاغلق الشيخ باب البستان واذا بالسيدة دنيا طلعت من الباب فلما رأيتها ظننت ان القمر نزل فى الارض فاندهش عقلى وصرت مشتاقا اليها كاشتياق الظمأن الى الماء وبعد ساعة اغلقت الباب ومضت فعند ذلك خرجت انا من البستان وقصدت منزلى وعرفت انى لا اصل اليها ولا انا من رجالها خصوصا وقد صرت مثل المرأة فقلت فى نفسى ان هذه ابنة ملك وانا رجل تاجر فمن اين لى ان اصل اليها فلما تجهز اصحابى للرحيل تجهزت انا وسافرت معهم وهم قاصدون هذه المدينة فلما وصلنا الى هذه الطريق اجتمعنا بك وهذه حكايتى وما جرى لى والسلام فلما سمع تاج الملوك ذلك الكلام اشتغل قلبه بحب السيدة دنيا ثم ركب جواده واخذ معه عزيزا وتوجه به الى مدينة ابيه وافرد له دارا ووضع له فيها كل ما يحتاج اليه ثم تركه ومضى الى قصره ودموعه جارية على خدوده لان السماع يحل محل النظر والاجتماع ومازال تاج الملوك على تلك الحالة حتى دخل عليه ابوه فوجده متغير اللون فعلم انه مهموم ومغموم فقال له ياولدى اخبرنى عن حالك وما جرى لك حتى غير لونك فاخبره بجميع ما جرى له من قصة دنيا من اولها الى اخرها وكيف عشقها على السماع ولم ينظرها بالعين فقال ياولدى ان اباها ملك وبلاده بعيدة عنا فدع عنك هذا وادخل قصر املك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثلاثين بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ان والد تاج الملوك قال له ياولدى ان اباها ملك وبلاده بعيدة عنا فدع عنك هذا وادخل قصر املك فان فيه خمسمائة جارية كالاقمار فمن اعجبتك منهن تخذها وان لم يعجبك جارية منهن نخطب لك بنتا من بنات الملوك تكون احسن من السيدة دنيا فقال له ياوالدى لا اريد غيرها وهى التى صورت صورة الغزال التى رأيتها فلا بد لى منها والا اشيع فى البرارى واقتل روحى بسببها فقال له ابوه ياولدى امهل على حتى ارسل الى ابيها واخطبها منه وابلغك المرام مثل ما فعلت لنفسى مع املك وان لم يرض زلزلت عليه مملكته وجردت عليه جيشا يكون آخره عندى واوله عنده ثم دعا بالشاب عزيز وقال له ياولدى هل انت تعرف الطريق قال نعم قال له اشتهى منك ان تسافر مع وزيرى فقال له عزيز سمعا وطاعة ياملك الزمان ثم احضر وزيره وقال له دبر لى امر ولدى كما تعرف واذهب الى جزائر الكافور واخطب بنت ملكها فاجابه الوزير بالسمع والطاعة ثم عاد تاج الملوك الى منزله وقد زادت به الامراض والحسرات وحين جن عليه الليل انشد هذه الابيات

جن الظلام ودمعى زائد المدد * والوجد من شدة النيران فى كبدى
سلوا الليالى عنى وهى تخبركم * ان كان يرقى لقلبى فى الهوى كمدى
ابيت ارعى نجوم الليل فى سهر * والدمع منهمل فى الخد كالبرد
وقد بقيت وحيدا ليس لى احد * كمثل صب بلا اهل ولا ولد

فلما فرغ من شعره وقع مغشيا عليه ولم يفق الا وقت الصباح فلما اصبح الصباح جاء اليه ابوه فرأه قد

تغير لونه وزاد اصفراره فصبره ووعده بجمع شمله ثم جهز عزيزا مع وزيره واعطاهم الهدايا فسافروا اياما وليالى الى ان اشرفوا على جزائر الكافور فاقاموا على شاطئ نهر وانفذ الوزير رسولا من عنده الى الملك ليخبره بقدومهم وبعد ذهاب الرسول بنصف يوم لم يشعروا الا وحجاب الملك وامرأته قد اقبلوا عليهم ولاقوهم من مسيرة فرسخ فتلقوهم وساروا فى خدمتهم الى ان دخلوا بهم على الملك فقدموا له الهدايا واقاموا عنده اربعة ايام وفى اليوم الخامس قام الوزير ودخل على الملك ووقف بين يديه وحدثه بحديثه واخبره بسبب مجيئه فصار الملك متحيرا فى رد الجواب لان ابنته لا تحب الزواج واطرق رأسه الى الارض ساعة ثم رفع رأسه الى بعض الخدام وقال له اذهب الى سيدتك دنيا واخبرها بما سمعت وبما جاء به هذا الوزير فقام الخادم وغاب ساعة ثم عاد الى الملك وقال له يا ملك الزمان انى لما دخلت على السيدة دنيا اخبرتها بما سمعت فغضبت غضبا شديدا ونهضت على بمسوقة وارادت كسر رأسى فقررت منها هاربا وقالت لى ان كان ابى يغصبنى على الزواج فالذى اتزوج به اقتله فقال ابوها للوزير وعزيز سلما على الملك واخبراه بذلك وان ابنتى لا تحب الزواج وادر لنا شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثلاثون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان قال للوزير وعزيز سلما على الملك واخبراه بما سمعتماه من ان ابنتى لا تحب الزواج فرجع الوزير ومن معه من غير فائدة وما زالوا سافرين الى ان دخلوا على الملك واخبروه بما جرى فعند ذلك امر النقباء ان ينبهوا العسكر الى السفر من اجل الحرب والجهاد فقال له الوزير لا تفعل ذلك فان الملك لا ذنب له وانما الامتناع من ابنته فانها حين علمت بذلك ارسلت تقول ان غصبنى ابى على الزواج اقتل من اتزوج به واقتل نفسى بعده فلما سمع الملك كلام الوزير خاف على ولده تاج الملوك وقال ان حاربت اباها وظفرت بابنته قتلت نفسها ثم ان الملك اعلم انه تاج الملوك بحقيقة الامر فلما علم بذلك قال لابيه يا والدى انا لا اطيق الصبر عنها فانا اروح اليها واتسبب فى اتصالى بها ولو اموت ولا افعل غير هذا فقال له ابوه وكيف تروح اليها فقال اروح فى صفة تاجر فقال الملك ان كان ولا بد فخذ معك الوزير وعزيزا ثم انه اخرج له شيأ من خزائنه وهيأله متجرا بمائة الف دينار واتفقا معه على ذلك فلما جاء الليل ذهب تاج الملوك وعزيز الى منزل عزيز وباتا هناك تلك الليلة وصار تاج الملوك مسلوب الفؤاد ولم يطب له اكل ولا رقاد بل هجمت عليه الافكار وغرق منها فى بحار وهزه الشوق الى محبوبته فافاض دمع العين وانشد هذين البيتين

ترى هل لنا بعد البعاد وصول * فاشكو اليكم صبوتى واقول
تذكركم والليل ناء صباحه * واسهر تموتى والانام غفول

فلما فرغ من شعره بكى بكاء شديدا وبكى معه عزيز وتذكر ابنة عمه ولا زالا يبكيان الى ان اصبح الصباح ثم قام تاج الملوك ودخل على والدته وهو لابس اهبة السفر فسألته عن حاله فاخبرها بحقيقة الامر فاعطته خمسين الف دينار ثم ودعته وخرج من عندها ودعت له بالسلامة والاجتماع بالاحباب ثم دخل على والده واستاذنه ان يرحل فاذن له واعطاه خمسين الف دينار وامر ان تضرب له خيمة فى خارج المدينة فضربت له خيمة عظيمة واقاموا فيها يومين ثم سافروا واستأنس تاج الملوك بعزيز وقال له يا اخى انا ما بقيت اطيق ان افارقك فقال عزيز وانا الاخر كذلك واحب ان اموت تحت رجليك ولكن يا اخى قلبى اشتغل بوالدتى فقال له

تاج الملوك لما تبلغ المرام لا يكون الا خيرا وكان الوزير قد وصى تاج الملوك بالاصطبار وصار عزيز ينشد له الاشعار ويحدثه بالتواريخ والاخبار ولم يزالوا سائرين بالليل والنهار مدة شهرين فطالت الطريق على تاج الملوك واشتد عليه الغرام وزاد به الوجد والهيام فلما قربوا من المدينة فرح تاج الملوك غاية الفرح وزال عنه الهم والترح ثم دخلوها وهم فى هيئة التجار وابن الملك فى زى تاجر ثم اتوا الى مكان يعرف بمنزل التجار وهو خان عظيم فقال تاج الملوك لعزيز اهذا منزل التجار قال عزيز لكنه غير الخان الذى كنت نزلت فيه انا والقافلة التى كنت معها الا انه احسن منه فانا خوافيه مطيهم وحطوا رحالهم ونزلوا امتعتهم فى المخازن واقاموا للراحة اربعة ايام ثم ان الوزير اشار عليهم ان يكتروا لهم دارا كبيرة فاجابوه واكتروا لهم دارا متسعة معدة للافراح فنزلوا فيها واقام الوزير وعزيز يدبران فى حيلة من اجل تاج الملوك وصار تاج الملوك متحيرا لا يدرى ماذا يفعل ولم يجد له حيلة غير انه يفتح له دكانا للتجارة فى سوق البز ثم ان الوزير اقبل على تاج الملوك وعزيز وقال لهما اعلما انه ان كان مقامنا على هذه الحالة فانا لا نبلغ مرادنا ولا يحصل مطلوبنا وقد خطر ببالى شئ راءيه فيه الصلاح ان شاء الله فقال له تاج الملوك وعزيز افعل ما بدا لك فان المشايخ فيهم البركة لا سيما وانت قد مارست الامور فشر علينا بما خطر ببالك فقال لتاج الملوك الرأى انا نكترى لك دكانا فى سوق البز وتقعد فيها للبيع والشراء لان كل واحد من الخاص والعام يحتاج الى البز واذا قعدت فى ذلك الدكان ينصلح امرك ان شاء الله تعالى خصوصا وصورتك جميلة ولكن اجعل عزيزا امينا عندك واجلسه فى داخل الدكان لينا ولك الاحشمة فلما سمع تاج الملوك ذلك الكلام قال ان هذا رأى سديد فعند ذلك اخرج تاج الملوك بدلة تجارية ولبسها وقام يمشى وغلمانه خلفه واعطى لاحدهم الف دينار معه ليقضى بها مصالح الدكان ومازالوا سائرين الى ان وصلوا الى سوق البز فلما رأت التجار تاج الملوك وشاهدوا حسنه وجماله تحيرت عقولهم وصاروا يقولون هل رضوان فتح ابواب الجنان وسهى عنها فخرج هذا الشاب البديع الحسن وبعضهم يقول لعل هذا من الملائكة فلما دخلوا عند التجار سألوا عن دكان شيخ السوق فدلوهم عليه فتوجهوا اليه فلما قربوا منه قام اليهم هو ومن عنده من التجار وعظموهم خصوصا الوزير الاجل فانهم رأوه رجلا كبيرا معها وامعه تاج الملوك وعزيز فقال التجار لبعضهم لا شك ان هذا الشيخ والدهذين الغلامين فقال لهم الوزير من شيخ السوق فيكم فقالوا هاهو فنظر اليه الوزير وتأمله فرأه رجلا كبيرا صاحب هيئة ووقار وخدم وغلمان ثم ان شيخ السوق حياهم تحية الاحباب وبالغ فى اكرامهم واجلسهم جنبه وقال لهم هل لكم حاجة نفوز بقضائها فقال الوزير نعم انى رجل كبير طاعن فى السن ومعى هذان الغلامان وسافرت بهما سائر الاقاليم والبلاد وما دخلت بلدة الا اقمت بها سنة كاملة حتى يتفرجا عليها ويعرفا اهلها وانى قد اتيت بلدكم هذه واخترت المقام فيها واشتهى منك دكانا تكون من احسن المواضع حتى اجلسهما فيها ليتاجرا ويتفرجا على هذه المدينة ويتخلقا باخلاق اهلها ويتعلما البيع والشراء والاخذ والعطاء فقال شيخ السوق لا باس بذلك ثم نظر الى الولدين وفرح بهما واحبهما حبا زايدا وكان شيخ السوق مغرما بغلمان الملفوظات ويغلب حب البنين على البنات ويميل الى الحمولة فقال فى نفسه سبحان خالقهما وصورهما من ماء مهين ثم قام واقفا فى خدمتهما كالغلام بين ايديهما وبعد ذلك سعى وهيأ لهما الدكان وكانت فى وسط السوق ولم يكن اكبر منها ولا اوجه منها عندهم لانها كانت متسعة من خرفة فيها رفوف من عاج وابنوس ثم سلم المفاتيح للوزير وهو فى صفة تاجر وقال جعلها الله مباركة على ولديك فلما

اخذ الوزير مفاتيح الدكان توجه اليها هو والغلمان ووضعوا فيها امتعتهم وامر واغلمانهم ان ينقلوا اليها جميع ما عندهم من البضائع والقماش وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثلاثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير لما اخذ مفاتيح الدكان توجه اليها هو والغلمان ووضعوا فيها امتعتهم وامر واغلمانهم ان ينقلوا اليها جميع ما عندهم من البضائع والقماش والتحف وكان ذلك شيأ يساوي خزائن مال فنقلوا جميع ذلك الى الدكان وباتوا تلك الليلة فلما اصبح الصباح اخذهما الوزير ودخل بهما الحمام فلما دخلوا الحمام تنظفوا واخذوا غاية حظهم وكان كل من الغلامين ذا جمال باهر فصار في الحمام على حد قول الشاعر

بشرى لقيمه اذ لامست يده ✻ جسما تولد بين الماء والنور
ما زال يظهر لطفا من صناعته ✻ حتى جنى المسك من تمثال كافور

ثم خرجا من الحمام وكان شيخ السوق لما سمع بدخولهما الحمام قعد في انتظارهما واذا بهما قد اقبلا وهما كالغزالين وقد احمرت خدودهما واسودت عيونهما ولمعت ابدانهما فكانهما غصنان مثمران او قمران زاهيان فقال لهما يا اولادي حمامكم نعيم دائم فقال تاج الملوك باعذب كلام ليتك كنت معنا ثم ان الاثنين قبلا يديه ومشيا قدامه حتى وصلا الى الدكان تعظيما له لانه كبير السوق وقد احسن اليهما باعطائهما الدكان فلما رأى ارداف هما في ارتجاج زاد به الوجد وهاج وشخر ولم يبق له مصطبر فاحدق بهما العينين وانشد هذين البيتين

يطالع القلب باب الاختصاص به ✻ وليس يقرء فيه مبحث الشركه
لا غرو في كونه يرتج من ثقل ✻ فكم لذا الفلك الدوار من حركه

فلما سمعا منه هذا الشعر اقسما عليه ان يدخل معهما الحمام ثانيا وكانا قد تركا الوزير داخل الحمام فلما دخل معهما شيخ السوق الحمام ثاني مرة سمع الوزير بدخوله فخرج اليه من الخلوة واجتمع به في وسط الحمام وعزم عليه فامتنع فسك في احدى يديه تاج الملوك وفي يده الاخرى عزيز ودخلا به خلوة اخرى فانقاد لهما ذلك الشيخ الخبيث فحلف تاج الملوك ان لا يحميه غيره وحلف عزيز ان لا يصب عليه الماء غيره فقال له الوزير انهما اولادك فقال شيخ السوق ابقاهما الله لك لقد حللت في مدينتنا البركة والسعود بقدومكم وقدوم اتباعكم ثم انشد هذين البيتين

اقبلت فاخضرت لدينا الربى ✻ وقد زهت بالزهر للمبتلى
ونادت الارض ومن فوقها ✻ اهلا وسهلا بك من مقبل

فشكروه على ذلك ومازال تاج الملوك يحميه وعزيز يصب عليه الماء وهو يظن ان روحه في الجنة حتى اتما خدمته فدعا لهما وجلس جنب الوزير على انه يتحدث معه ولكن معظم قصده النظر الى تاج الملوك وعزيز ثم بعد ذلك جاءت لهم الغلمان بالمناشف فتنشفوا ولبسوا حوايجهم ثم خرجوا من الحمام فاقبل الوزير على شيخ السوق وقال له يا سيدي ان الحمام نعيم الدنيا فقال شيخ السوق جعله الله لك ولاولادك عافية وكفاهما الله شر العين فهل تحفظون شيأ مما قالته البلغاء في الحمام فقال تاج الملوك انا انشد لك بيتين وهما

ان عيش الحمام اطيب عيش * غير ان المقام فيه قليل
جنة تكره الاقامة فيها * وجحيم يطيب فيها الدخول

فلما فرغ تاج الملوك من شعره قال عزيز وانا احفظ فى الحمام شيأ فقال شيخ السوق اسمعنى اياه فانشد هذين البيتين

وبيت له من جلد اعفر ازهار * انيق اذا ما اضرمت حوله النار
تراه جحيما وهو فى الحق جنة * واكثر ما فيها شموس واقمار

فلما فرغ عزيز من شعره تعجب شيخ السوق من صباحتهما وفصاحتهما وقال لهما والله لقد خزتما الفصاحة والملاحة فاسمعا اتمامى ثم اطرب بالنغمات وانشد هذه الابيات

ياحسن نار والنعيم عذابها * تحيى به الارواح والابدان
فاعجب لبيت لا يزال نعيمه * غضا وتوقد تحته نيران
عيش السرور لمن الم به وقد * سفعت عليه دموعها الغدران

ثم سرح فى رياض حسنهما نظر العين وانشد هذين البيتين

وافيت منزله فلم ار حاجبا * الا ويلقانى بوجه ضاحك
ودخلت جنته وزرت جحيمه * فشكرت رضوانا ورافة مالك

فلما سمعوا ذلك تعجبوا من هذه الابيات ثم ان شيخ السوق عزم عليهم فامتنعوا ومضوا الى منزلهم ليستريحوا من تعب الحمام ثم اكلوا وشربوا وباتوا تلك الليلة فى منزلهم على اتم ما يكون من الحظ والسرور فلما اصبح الصباح قاموا من نومهم وتوضؤا وصلوا فرضهم واصطبحوا ولما طلع النهار وفتحت الدكاكين والاسواق خرجوا من المنزل وتوجهوا الى السوق وفتحوا الدكان وكان الغلمان قد هيئوها احسن هيئة وفرشوها بالبسط الحرير ووضعوا فيها مرتبتين كل واحدة منهما تساوى مائة دينار وجعلوا فوق كل مرتبة نطعا ملوكيا دائره من الذهب فجلس تاج الملوك على مرتبة وجلس عزيز على الاخرى وجلس الوزير فى وسط الدكان ووقف الغلمان بين ايديهم وتسامعت بهم الناس فازدحموا عليهم وباعوا بعض اقمشتهم وشاع ذكر تاج الملوك فى المدينة واشتهر فيها خبر حسنه وجماله ثم اقاموا على ذلك اياما وفى كل يوم تهرع الناس اليهم فاقبل الوزير على تاج الملوك واوصاه بكتمان امره واوصى عليه عزيزا ومضى الى الدار ليدبر امرا يعود نفعه عليهم وصار تاج الملوك وعزيز يتحادثان وصار تاج الملوك يقول عسى ان يجىء احد من عند السيدة دنيا ومازال تاج الملوك على ذلك اياما وليالى وهو لا ينام وقد تمكن منه الغرام وزاد به الغلول والاسقام حتى حرم لذيذ المنام وامتنع من الشراب والطعام وكان كالبدر فى تمامه فبينما تاج الملوك جالس واذا بجوز اقبلت عليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثلاثون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان فبينما تاج الملوك جالس واذا بجوز اقبلت عليه وتقدمت اليه وخلفها جاريتان ومازالت ماشية حتى وقفت على دكان تاج الملوك فرأت قده واعتداله وحسنه وجماله فتعجبت من ملاحته ورشحت فى سراويلها ثم قالت سبحان من خلقك من ماء مهين سبحان من جعلك فتنة للعالمين ولم تزل تتأمل فيه وتقول ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ثم دنت

منه وسلمت عليه فرد عليها السلام وقام لها واقفا على الاقدام وتبسم فى وجهها هذا كله باشارة
عزيز ثم اجلسها الى جانبه وصار يروح عليها الى ان استراحت ثم ان العجوز قالت لتاج الملوك يا ولدى
يا كامل الاوصاف والمعانى هل انت من هذه الديار فقال تاج الملوك بكلام فصيح عذب مليح والله ياسيدتى
عمرى ما دخلت هذه الديار الا هذه المرة ولا اقمت فيها الا على سبيل الفرجة فقالت لك الاكرام من قادم
على الرحب والسعة ما الذى جئت به معك من القماش فارنى شيأ مليحا فان المليح لا يحمل الا المليح فلما سمع
تاج الملوك كلامها خفق فؤاده ولم يفهم معنى كلامها فغمزه عزيز بالاشارة فقال لها تاج الملوك عندى
كلما تشتهين من الشئ الذى لا يصلح الا للملوك وبنات الملوك فلمن تريدين حتى اقلب عليك ما يصلح لاربابه
واراد بذلك الكلام ان يفهم معنى كلامها فقالت له اريد قماشا يصلح للسيدة دنيا بنت الملك شهرمان
فلما سمع تاج الملوك ذكر محبوبته فرح فرحا شديدا وقال لعزيز ائتنى بالخرما عندك من البضاعة فاتاه عزيز
ببقجة وحلها بين يديه فقال لها تاج الملوك اختارى ما يصلح لها فان هذا شئ لا يوجد عند غيرى فاختارت
العجوز شيأ يساوى الف دينار وقالت بكم هذا وصارت تحدثه وتحمك بين اخذها بكلوته يدها فقال لها
وهل اساوم مثلك فى هذا الشئ الحقير الحمد لله الذى عرفنى بك فقالت له العجوز اعوذ بوجهك المليح رب اغلق
ان وجهك مليح وفعلك مليح هنيا لمن تسام فى حضنك وتضم قوامك الرجيح وتحظى بوجهك الصبيح
وخصوصا اذا كانت صاحبة حسن مثلك فضحك تاج الملوك حتى استلقى على قفاه ثم قال يا قاضى الحاجات
على ايدى العجائز الفاجرات فقالت له يا ولدى ما الاسم قال اسمى تاج الملوك فقالت ان هذا الاسم من اسماء
الملوك ولكنك فى زى التجار فقال لها عزيز من محبته عند اهله ومعزته عليهم سموه بهذا الاسم فقالت
العجوز صدقت كفاك الله شر الحساد ولوفتت بمعاسنكم الاكباد ثم اخذت القماش ومضت وهى
باهتة فى حسنه وجماله وقده واعتداله ولم تزل ماشية حتى دخلت على السيدة دنيا وقالت لها ياسيدتى
جئت لك بقماش مليح فقالت لها ارنى اياه فقالت ياسيدتى ها هو فقلبته وانظرته فلما رأته السيدة دنيا
قالت لها يا دادتى ان هذا القماش مليح ما رأيته فى مدينتنا فقالت العجوز ياسيدتى ان بائعه احسن
منه كان رضوانا فتح ابواب الجنان وسهى يخرج منها التاجر الذى يبيع هذا القماش وانا اشتهى فى هذه
الليلة ان يكون عندك وينام بين نهودك فانه فتنة لمن يراه وقد جاء مدينتنا بهذه الاغشة لاجل الفرجة
فضحكت السيدة دنيا من كلام العجوز وقالت اخزى الله يا عجوز الخمس انك خرفت ولم يبق لك عقل ثم قالت
هات القماش حتى ابصره بصرا جيدا فنا ولتها اياه فنظرته ثانيا فرأته شيأ قليلا وثمنه كثير وتعجبت من
حسن ذلك القماش لانها ما رأت فى عمرها مثله فقالت لها العجوز ياسيدتى فلو رأيت صاحبه لعرفت
انه احسن من يكون على وجه الارض فقالت لها السيدة دنيا هل سألته ان كان له حاجة يعلمنا بها
فنقضيها له فقالت العجوز وقد هزت رأسها حفظ الله فراستك والله ان له حاجة وهل احد يخلو من حاجة
فقالت لها السيدة دنيا اذهبى اليه وسلمى عليه وقولى له شرفت بقدومك مدينتنا ومهما كان لك من
الحوايج قضيناه لك على الرأس والعين فرجعت العجوز الى تاج الملوك فى الوقت فلما رأها طار قلبه من
الفرح ونهض لها قائما على قدميه واخذ يدها واجلسها الى جانبه فلما جلست واستراحت اخبرته
بما قالته السيدة دنيا فلما سمع ذلك فرح غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وقال فى نفسه قد قضيت حاجتى
ثم قال للعجوز لعلك توصلين الينا كتابا من عندى وتأتينى بالجواب فقالت سمعا وطاعة فلما سمع ذلك
منها قال لعزيز ائتنى بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما اتاه بتلك الادوات كتب هذه الابيات

كتب

كتبت اليك ياسؤلى كتابا * بما القاه من الم الفراق
فاول ما اسطر نار قلبى * وثانيه غرامى واشتياقى
وثالثه مضى عمرى وصبرى * ورابعه جميع الوجد باقى
وخامسه متى عينى تراكم * وسادسه متى يوم التلاقى

ثم كتب فى امضاه ان هذا الكتاب من اسير الاشواق المسجون فى سجن الاشتياق الذى ليس له اطلاق الا بالوصال ولو بطيف الخيال لانه يقاسى اليم العذاب من فرقة الاحباب ثم افاض دمع العين وكتب هذين البيتين

كتبت اليك والعبرات تجرى * ودمع العين ليس له انقطاع
ولست بيائس من فضل ربى * عسى يوم يكون به اجتماع

ثم طوى الكتاب وختمه واعطاه للجوز وقال اوصليه الى السيدة دنيا فقالت سمعا وطاعة ثم اعطاها الف دينار وقال اقبلى هذه منى هدية فاخذتها وانصرفت داعية له ولم تزل ماشية حتى دخلت على السيدة دنيا فلما رأتها قالت لها يا دادتى اى شئ طلب من الحوايج حتى نقضيها له فقالت لها ياسيدتى قد ارسل معى كتابا ولا اعلم بما فيه ثم ناولتها الكتاب فاخذته وقرأته وفهمت معناه ثم قالت من اين الى اين حتى يراسلنى هذا التاجر ويكاتبنى ثم لطمت وجهها وقالت لولا خوفى من الله تعالى لصلبته على دكانه فقالت الجوز واى شئ فى هذا الكتاب حتى ازعج قلبك هل فيه شكاية مظلمة او فيه طلب ثمن القماش فقالت لها ويلك ما فيه ذلك وما فيه الا عشق ومحبة وهذا كله منك والا فمن اين يتوصل هذا الشيطان الى هذا الكلام فقالت لها الجوز يا سيدتى انت قاعدة فى قصرك العالى وما يصل اليك احد ولا الطير الطائر سلامتك من اللوم والعتاب وما عليك من نبيح الكلاب فلا تؤاخذينى حيث اتيتك بهذا الكتاب ولا اعلم ما فيه ولكن الرأى ان تردى اليه جوابا وتهددية فيه بالقتل وتنهيه عن هذا الهزيان فانه ينتهى ولا يعود فقالت السيدة دنيا اخاف ان اكاتبه فيطمع فقالت الجوز انه اذا سمع التهديد والوعيد رجع عن ما هو فيه فقالت على بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما احضر والها تلك الادوات كتبت هذه الابيات

يا مدعى الحب والبلوى مع السهر * وما يلاقيه من وجد ومن فكر
اتطلب الوصل يا مغرور من قمر * وهل ينال المنى شخص من القمر
انى نصحتك عن ما انت طالبه * فاقصر فانك فى هذا على خطر
وان رجعت الى هذا الكلام فقد * اتاك منى عذاب زائد الضرر
وحق من خلق الانسان من علق * ومن انار ضياء الشمس والقمر
لئن رجعت الى ما انت ذاكره * لاصلبنك فى جذع من الشجر

ثم طوت الكتاب واعطته للجوز وقالت لها اعطيه له وقولى له كف عن هذا الكلام فقالت لها سمعا وطاعة ثم اخذت الكتاب وهى فرحانة ومضت الى منزلها وباتت فى بيتها فلما اصبح الصباح توجهت الى دكان تاج الملوك فوجدته فى انتظارها فلما رأها كاد ان يطير من الفرح فلما قربت منه نهض اليها قائما واقعدها بجانبه فاخرجت له الورقة وناولته اياها وقالت له اقرأ ما فيها ثم قالت له ان السيدة دنيا لما قرأت كتابك اغتاظت ولكننى لاطفتها ومازحتها حتى اضحكتها ورقت لك وردت لك الجواب فشكرها تاج الملوك على ذلك وامر عزيزا ان يعطيها الف دينار ثم انه قرأ الكتاب وفهمه

وبكى بكاء شديدا فرق له قلب العجوز وعظم عليها بكاؤه وشكواه ثم قالت له يا ولدى واى شئ فى هذه الورقة حتى ابكاك فقال لها انها تهددنى بالقتل والصلب وتنهانى عن مراسلتها وان لم اراسلها يكون موتى خيرا من حياتى فخذى جواب كتابها ودعيها تفعل ما تريد فقالت له العجوز وحياة شبابك لابد انى اخاطر معك بروحى وابلغك مرادك واوصلك الى ما فى خاطرك فقال لها تاج الملوك كل ما تفعلينه اجازيك عليه ويكون فى ميزانك فانك خبيرة بالسياسة وعارفة بابواب الدناسة وكل عسير عليك يسير والله على كل شئ قدير ثم اخذ ورقة وكتب فيها هذه الابيات

امست تهددنى بالقتل واحربى * والقتل لى راحة والموت مقدور
والموت اغنى لصب ان تطول به * حياته وهو ممنوع ومقهور
بالله زوروا محبا قل ناصره * فانتى عبدكم والعبد مأسور
ياسادتى فارحمونى فى محبتكم * فكل من يعشق الاحرار معذور

ثم انه تنفس الصعداء وبكى حتى بكت العجوز وبعد ذلك اخذت الورقة منه وقالت له طب نفسا وقر عينا فلابد ان ابلغك مقصودك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثلاثون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان تاج الملوك لما بكى قالت له العجوز طب نفسا وقر عينا فلابد ان ابلغك مقصودك ثم قامت وتركته على النار وتوجهت الى السيدة دنيا فرأتها متغيرة اللون من غيظها بمكتوب تاج الملوك فناولتها الكتاب فازدادت غيظا وقالت للعجوز ما قلت لك انه يطمع فينا فقالت لها واى شئ هذا الكلب حتى يطمع فيك فقالت لها السيدة دنيا اذهبى اليه وقولى له ان راسلتها بعد ذلك ضربت عنقك فقالت لها العجوز اكتبى له هذا الكلام فى مكتوب وانا اخذ المكتوب معى لاجل ان يزداد خوفه فاخذت ورقة وكتبت فيها هذه الابيات

ايا غافلا عن حادثات الطوارق * وليس الى نيل الوصال بسابق
اتزعم يا مغرور ان تدرك السها * وما انت للبدر المنير بلاحق
فكيف تؤملنا وترجو وصالنا * لتحظى بضم للقدود الرواشق
فدع عنك هذا القصد خيفة سطوتى * بيوم عبوس فيه شيب المفارق

ثم طوت الكتاب وناولته للعجوز فاخذته وانطلقت به الى تاج الملوك فلما رأها قام على قدميه وقال لا اعدمنى الله بركة قدومك فقالت له العجوز خذ جواب مكتوبك فاخذ الورقة وقرأها وبكى بكاء شديدا وقال انى اشتهى من يقتلنى الان فان القتل اهون على من هذا الامر الذى انا فيه ثم اخذ دواة وقلما وقرطاسا وكتب مكتوبا ورقم فيه هذين البيتين

فيا منيتى لا تتبعى الهجر والجفا * وزورى محبا فى المحبة غارق
ولا تحسبينى فى الحياة مع الجفا * فروحى من بعد الاحبة طالق

ثم طوى الكتاب واعطاه للعجوز وقال لها قد اتعبتك بدون فائدة وامر عزيز ان يدفع لها الف دينار وقال لها يا امى ان هذه الورقة لابد ان يعقبها كمال الاتصال او كمال الانفصال فقالت له يا ولدى والله ما اشتهى لك الا الخير ومرادى ان تكون عندك فانك انت القمر صاحب الانوار الساطعة وهى الشمس الطالعة وان لم اجمع

بينكما فليس فى حياتى فائدة وانا قد قطعت عمرى فى المكر والخداع حتى بلغت التسعين من الاعوام فكيف اعجز عن الجمع بين اثنين فى الحرام ثم ودعته وطيبت قلبه وانصرفت ولم تزل تمشى حتى دخلت على السيدة دنيا وقد اخفت الورقة فى شعرها فلما جلست عندها حكت رأسها وقالت ياسيدتى عسالك ان تفلى شوشتى فان لى زمانا ما دخلت الحمام فكشفت السيدة دنيا عن مرفقيها وحلت شعر العجوز وصارت تفلى شوشتها فسقطت الورقة من رأسها فرأتها السيدة دنيا فقالت ما هذه الورقة فقالت كانى قعدت على دكان التاجر فتعلقت معى هذه الورقة هاتيها حتى اوديها له ففتحتها السيدة دنيا وقرأتها وفهمت ما فيها وقالت للعجوز هذه حيلة منك ولولا انك ربيتنى لبطشت بك فى هذا الوقت وقد بلانى الله بهذا التاجر وكل ما جرى لى منه من تحت رأسك وما ادرى من اى ارض جاءنا هذا ولم يقدر احد من الناس ان يتجاسر على غيره وانا اخاف ان ينكشف امرى وخصوصا فى رجل ما هو من جنسى ولا من اقرانى فاقبلت العجوز عليها وقالت لا يقدر احد ان يتكلم بهذا الكلام خوفا من سطوتك وهيبتك ايبك ولا بأس ان تردى له الجواب فقالت يا دادتى ان هذا شيطان كيف تجاسر على هذا الكلام ولم يخف من سطوة السلطان وقد تحيرت فى امره فان امرت بقتله فليس بصواب وان تركته ازداد فى تجاسره فقالت لها العجوز اكتبى له كتابا لعله ينزجر فطلبت ورقة ودواة وقلما وكتبت له هذه الابيات

طال العتاب وفرط الجهل اغراكا * فكم بخطط يدى فى الشعر انهاكا
وانت تزداد عند النهى فى طمع * ولست الا بكتم السر ارضاكا
اكتم هواك ولا تجهر به ابدا * وان نطقت فانى لست ارعاكا
وان رجعت الى ما انت تذكره * فقد اتاك غراب البين ينعاكا
وعن قليل يكون الموت مندفعا * عليك والدفن تحت الارض مثواكا
وتترك الاهل يا مغرور فى ندم * ومن سيوف الهوى قد شط منجاكا

ثم طوت الورقة ودفعتها للعجوز فاخذتها وتوجهت الى تاج الملوك فاعطتها له فلما قرأها علم انها قاسية القلب وانه لا يصل اليها فشكا امره الى الوزير وطلب منه حسن التدبير فقال له الوزير اعلم انه ما بقى شئ يفيد فيها غير انك تكتب لها كتابا وتدعو عليها فيه فقال يا اخى يا عزيز اكتب لها عن لسانى مثل ما تعرف فاخذ عزيز ورقة وكتب هذه الابيات

يارب بالخمسة الاشياخ تنفذنى * ومن بليت به فاجعله فى شجنى
فانت تعلم انى فى جوى لهب * وقد جفانى حبيب ليس يرحمنى
فكم ارق لها فيما بليت به * وكم تجوز على ضعفى و تظلمنى
اهيم فى غمرات لا انقضاء لها * ولا ارى مسعفا يارب يسعفنى
وكم اروم سلوا فى محبتها * وكيف اسلو وصبرى فى الغرام فنى
يا مانعى فى الهوى طيب الوصال فهل * امنت من نائبات الدهر والمحن
الست فى عيشة مسرورة وانا * مغرب فيك عن اهلى وعن وطنى

ثم ان عزيزا طوى الكتاب وناوله لتاج الملوك فلما قرأه اعجبه لحسنه ثم ناوله للعجوز فاخذته العجوز وتوجهت به الى ان دخلت على السيدة دنيا فناولتها اياه فلما قرأته وفهمت مضمونه اغتاظت غيظا شديدا وقالت كل الذى جرى لى من تحت رأس هذه العجوز الخبيثة فصاحت على الجوارى والخدم وقالت امسكوا

هذه العجوز الماكرة واضربوها بنعالكم فنزلوا عليها ضربا بالنعال حتى غشى عليها فلما افاقت قالت لها والله يا عجوز السوء لولا خوفى من الله تعالى لقتلتك ثم قالت لهم اعيدوا عليها الضرب فضربوها حتى غشى عليها ثم امرتهم ان يجروها ويرموها خارج الباب فسحبوها على وجهها ورموها قدام الباب فلما افاقت قامت تمشى وتقعد حتى وصلت الى منزلها وصبرت الى الصباح ثم قامت وتمشت حتى اتت الى تاج الملوك واخبرته بجميع ما جرى لها فصعب عليه ذلك وقال لها يعز علينا يا امى ما جرى لك ولكن كل شئ بقضاء وقدر فقالت له طب نفسا وقر عينا فانى لا ازال اسعى حتى اجمع بينك وبينها واوصلك الى هذه العاهرة التى احرقتنى بالضرب فقال لها تاج الملوك اخبرينى ما سبب بغضها للرجال فقالت لانها رأت منا ما اوجب ذلك فقال لها وما ذلك المنام فقالت انها كانت نائمة ذات ليلة فرأت صيادا نصب شركا فى الارض ويذر حوله قمحا ثم جلس قريبا منه فلم يبق شئ من الطيور الا وقد اتى الى ذلك الشرك ورأت فى الطيور حمامتين ذكرا وانثى فبينما هى تنظر الى الشرك واذا برجل الذكر تعلقت فى الشرك وصار يختبط فنفرت عنه جميع الطيور وفرت فرجعت اليه امرأته وحامت عليه ثم تقدمت الى الشرك والصياد غافل فصارت تنقر العين التى فيها رجل الذكر وصارت تجذبه بمنقارها حتى خلصت رجله من الشرك وطارت هى واياه فجاء بعد ذلك الصياد واصلح الشرك وقعد بعيدا عنه فلم يمض غير ساعة حتى نزلت الطيور وعلق الشرك فى الانثى فنفرت عنها جميع الطيور ومن جملتها الطير الذكر ولم يعد لانثاه فجاء الصياد واخذ الطيرة الانثى وذبحها فانتبهت مرعوبة من منامها وقالت كل ذكر مثل هذا ما فيه خير والرجال جميعهم ما عندهم خير للنساء فلما فرغت من حديثها التاج الملوك قال لها يا امى اريد ان انظر اليها نظرة واحدة ولو كان فى ذلك مماتى فتحيلى لى بحيلة حتى انظر اليها فقالت اعلم ان لها بستانا تحت قصرها وهو برسم فرجتها وانها تخرج اليه فى كل شهر مرة من باب السر وتقعد فيه عشرة ايام وقد جاء اوان خروجها الى الفرجة فاذا ارادت الخروج اجيء اليك واعلمك حتى تخرج وتصاد فيها واحرص على انك لا تفارق البستان فلعلها اذا رأت حسنك وجمالك يتعلق قلبها بمحبتك فان المحبة اعظم اسباب الاجتماع فقال سمعا وطاعة ثم قام من الدكان هو وعزيز واخذا معهما العجوز ومضيا الى منزلهما وعرفاه لها ثم ان تاج الملوك قال لعزيز يا اخى ليس لى حاجة بالدكان وقد قضيت حاجتى منها ووهبتها لك بجميع ما فيها لانك تغربت معى وفارقت بلادك فقبل عزيز منه ذلك ثم جلسا يتحدثان وصار تاج الملوك يسأله عن غريب احواله وما جرى له وصار هو يخبره بما حصل له وبعد ذلك اقبلا على الوزير واعلماه بما عزم عليه تاج الملوك وقالا له كيف العمل فقال قوموا بنا الى البستان فلبس كل واحد منهم الفخر ما عنده وخرجوا وخلفهم ثلاثة مماليك وتوجهوا الى البستان فرأوه كثير الاشجار غزير الانهار ورأوا الخولى جالسا على الباب فسلموا عليه فرد عليهم السلام فناوله الوزير مائة دينار وقال اشتهى ان تأخذ هذه النفقة وتشترى لنا شيأ نأكله فانا غرباء ومعى هؤلاء الاولاد واردت ان افرجهم فاخذ البستانى الدنانير وقال لهم ادخلوا وتفرجوا وجميعه ملككم واجلسوا حتى احضر لكم بما تأكلون ثم توجه الى السوق ودخل الوزير وتاج الملوك وعزيز داخل البستان بعد ان ذهب البستانى الى السوق ثم بعد ساعة اتى ومعه خاروف مشوى ووضعه بين ايديهم فاكلوا وغسلوا ايديهم وجلسوا يتحدثون فقال الوزير اخبرنى عن هذا البستان هل هو لك لم انت مستأجره فقال الشيخ ما هو لى وانما هو لبنت الملك السيدة دنيا فقال الوزير كم لك فى كل شهر من الاجرة فقال دينار واحد لا غير فتأمل الوزير فى البستان فرأى هناك

قصرا عاليا الا انه عتيق فقال الوزير ياشيخ اريد ان اعمل هنا خيرا تذكرني به فقال وما تريد ان تفعل من الخير فقال خذ هذه الثلثمائة دينار فلما سمع الخولي بذكر الذهب قال ياسيدي مهما شئت فافعل ثم اخذ الدنانير فقال له ان شاء الله تعالى نفعل في هذا المحل خيرا ثم خرجوا من عنده وتوجهوا الى منازلهم وباتوا تلك الليلة فلما كان من الغد احضر الوزير مبيضا ونقاشا وصائغا جيدا واحضر لهم جميع ما يحتاجون اليه من الالات ودخل بهم البستان وامرهم ببياض ذلك القصر وزخرفته بانواع النقش ثم امر باحضار الذهب واللازورد وقال للنقاش اعمل في صدر هذا الايوان صورة ادمي صياد كانه نصب شركه وقد وقعت فيه حمامة واشتبكت بمنقارها في الشرك فلما نقش النقاش جانبا وفرغ من نقشه قال له الوزير افعل في الجانب الاخر مثل الاول وصور صورة الحمامة في الشرك وان الصياد اخذها ووضع السكين على رقبتها واعمل في الجانب الاخر صورة جارح كبير قد قنص ذكر الحمام وانشب فيه مخالبه ففعل ذلك فلما فرغ من هذه الاشياء التي ذكرها الوزير ودعوا البستاني ثم توجهوا الى منازلهم وجلسوا يتحدثون فقال تاج الملوك لعزيز يا اخي انشدني بعض الاشعار لعل صدري ينشرح وتزول عني هذه الافكار ويبرد ما بقلبي من لهيب النار فعند ذلك اطرب عزيز بالنغمات وانشد هذه الابيات

جميع ما قالت العشاق من كمد * حويته مفردا حتى وهى جلدى
وان ترد مورد امن ادمعي اتسعت * للواردين بحار الدمع في مدد
وان ترد تنظر العشاق ما صنعت * ايدى الغرام بهم فانظر الى جسدى

ثم افاض العبرات وانشد هذه الابيات

من كان لا يعشق الاجياد والخدق * ثم ادعى لذة الدنيا فما صدق
فان في العشق معنى ليس يدركه * من البرية الا كل من عشق
لا خفف الله عن قلبي صبابته * بمن هويت ولا عن جفني الارق

ثم اطرب بالنغمات وانشد هذه الابيات

زعم ابن سينا في اصول كلامه * ان الحب دواؤه الاحسان
ووصال مثل حبيبه من جنسه * والنقل والمشروب والبستان
فصحبت غيرك للتداوي مرة * واعانني المقدور والامكان
فعلمت ان الحب داء قاتل * فيه ابن سينا طبه هذيان

فلما فرغ عزيز من شعره تعجب تاج الملوك من فصاحته وحسن روايته وقال له قد ازلت عني بعض ما بي ثم قال له ان كان يحضرك شيء من جنس هذا فاسمعني ما حضرك من هذا الشعر الرقيق وطول الحديث فاطرب بالنغمات وانشد هذه الابيات

قد كنت احسب ان وصلك يشترى * بكرائم الاموال والاشباح
وظننت جهلا ان حبك هين * تفنى عليه نفائس الارواح
حتى رأيتك تجتبي وتخص من * احببته بلطائف الامناح
فعلمت انك لا تنال بحيلة * ولويت رأسي تحت طي جناحي
وجعلت في عش الغرام اقامتي * فيه غدوى دائما ورواحي

هذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر العجوز فانها انقطعت في بيتها واشتاقت بنت الملك الى

الفرجة فى البستان وهى لا تخرج الا بالجوز فارسلت اليها وصالحتها وطيبت خاطرها وقالت انى اريد
ان اخرج الى البستان لاتفرج على اشجاره واثماره وينشرح صدرى بازهاره فقالت لها الجوز سمعا
وطاعة ولكن اريد ان اذهب الى بيتى والبس ثيابى واحضر عندك فقالت لها اذهبى الى بيتك
ولا تتأخرى عنى فخرجت الجوز من عندها وتوجهت الى تاج الملوك وقالت له تجهز والبس الفاخر ثيابك
واذهب الى البستان وادخل على البستانى وسلم عليه ثم اختف فى البستان فقال سمعا وطاعة وجعلت
بينها وبينه اشارة ثم توجهت الى السيدة دنيا وبعد ذهابها قام الوزير وعزيز والبسا تاج الملوك بدلة من الفاخر
ملابس الملوك تساوى خمسة الاف دينار وشد فى وسطه حياصة من الذهب مرصعة بالجواهر والمعادن
ثم توجهوا الى البستان فلما وصلوا الى باب البستان وجدوا الخولى جالسا هناك فلما رأه البستانى نهض له
على الاقدام وقابله بالتعظيم والاكرام وفتح له الباب وقال له ادخل وتفرج فى البستان ولم يعلم البستانى
ان بنت الملك تدخل البستان فى هذا اليوم فلما دخل تاج الملوك لم يلبث الا مقدار ساعة وسمع ضجة
فلم يشعر الا والخدم والجوارى خرجوا من باب السر فلما رأهم الخولى ذهب الى تاج الملوك واعلمه بمجيئها
وقال له يا مولاى كيف يكون العمل وقد اتت ابنة الملك السيدة دنيا فقال لا باس عليك فانى اختفى
فى بعض مواضع البستان فاوصاه البستانى بغاية الاختفاء ثم تركه وراح فلما دخلت بنت الملك هى
وجواريها والجوز فى البستان قالت الجوز فى نفسها متى كان الخدم معنا فانتا لا ننال مقصودنا
ثم قالت لابنة الملك يا سيدتى انى اقول لك على شئ فيه راحة لقلبك فقالت السيدة دنيا قولى ما عندك
فقالت الجوز يا سيدتى ان هؤلاء الخدم لا حاجة لك بهم فى هذا الوقت ولا ينشرح صدرك ما داموا معنا
فاصرفيهم عنا فقالت السيدة دنيا صدقت ثم صرفتهم وبعد قليل تمشت فصار تاج الملوك ينظر اليها
والى حسنها وجمالها وهى لا تشعر بذلك وكلما نظرها يغشى عليه مما رأى من بارع حسنها وصارت
الجوز تسارقها فى الحديث الى ان اوصلتها الى القصر الذى امر الوزير بنقشه ثم دخلت ذلك القصر
وتفرجت على نقشه وابصرت الطيور والصياد والحمام فقالت سبحان الله ان هذه صفة ما رأيته فى المنام
وصارت تنظر الى صور الطيور والصياد والشرك وتتعجب ثم قالت يا دادتى انى كنت الوم الرجال وابغضهم
ولكن انظرى الصياد كيف ذبح الطيرة الانثى وتخلص الذكر واراد ان يجىء الى الانثى ويخلصها فقابله
الجارح وافترسه وصارت الجوز تتجاهل عليها وتشاغلها بالحديث الى ان قربا من المكان المختفى
فيه تاج الملوك فاشارت اليه الجوز ان يمشى تحت شبابيك القصر فبينما السيدة دنيا كذلك اذ
لاحت منها التفاتة فرأته وتأملت جماله وقده واعتداله ثم قالت يا دادتى من اين هذا الشاب المليح
فقالت لا اعلم به غير انى اظن انه ولد ملك عظيم فانه بلغ من الحسن النهاية ومن الجمال الغاية فهامت به
السيدة دنيا وانحلت عرى عزائمها وانبهر عقلها من حسنه وجماله وقده واعتداله وتحركت عليها
الشهوة فقالت للجوز يا دادتى ان هذا الشاب مليح فقالت لها الجوز صدقت يا سيدتى ثم ان الجوز اشارت
الى ابن الملك ان يذهب الى بيته وقد التهبت به نار الغرام وزاد به الوجد والهيام فسار وودع الخولى وانصرف
الى منزله الا انه لم يخالف الجوز واخبر الوزير وعزيزا بان الجوز اشارت اليه بالانصراف فصار يصبر انه
ويقول له لولا ان الجوز تعلم ان فى رجوعك مصلحة ما اشارت عليك به هذا ما كان من امر تاج الملوك
والوزير وعزيز واما ما كان من امر بنت الملك السيدة دنيا فانها غلب عليها الغرام وزاد بها الوجد
والهيام وقالت للجوز اما ما اعرف اجتماعى بهذا الشاب الا منك فقالت لها الجوز اعوذ بالله من الشيطان

الرجيم انت لا تريد بن الرجال وكيف حلت بك من عشقه الاوجال ولكن والله ما يصلح لشبابك الا هو فقالت السيدة دنيا يا دادى اسعفينى باجتماعى عليه ولك عندى الف دينار وخلعة بالف دينار وان لم تسعفينى بوصاله فانى ميتة لا محالة فقالت العجوز امض انت الى قصرك وانا اتسبب فى اجتماعكما وابذل روحى فى مرضاتكما ثم ان السيدة دنيا توجهت الى قصرها وتوجهت العجوز الى تاج الملوك فلما رأها نهض لها على الاقدام وقابلها باعز از واكرام واجلسها الى جانبه فقالت له ان الحيلة قد تمت وحكت له ما جرى لها مع السيدة دنيا فقال لها متى يكون الاجتماع قالت فى غد فاعطاها الف دينار وخلعة بالف دينار فاخذتهما وانصرفت ولا زالت سائرة حتى دخلت على السيدة دنيا فقالت لها يا دادى ما عندك من خبر الحبيب فقالت لها قد عرفت مكانه وفى غد اكون به عندك ففرحت السيدة دنيا بذلك واعطتها الف دينار وخلعة بالف دينار فاخذتهما وانصرفت الى منزلها وباتت فيه الى الصباح ثم خرجت وتوجهت الى تاج الملوك وابسته لبس النساء وقالت له امش خلفى وتمايل فى خطواتك ولا تستعجل فى مشيك ولا تلتفت الى من يكلمك وبعد ان اوصت تاج الملوك بهذه الوصية خرجت وخرج خلفها وهو فى زى النسوان وصارت تعلمه فى الطريق حتى لا يفزع ولم تزل ماشية وهو خلفها حتى وصلا الى باب القصر فدخلت وهو ورأها وصارت تخترق الابواب والدهاليز الى ان جاوزت به سبعة ابواب ولما وصلت الى الباب السابع قالت لتاج الملوك قوّ قلبك واذا زعقت عليك وقلت لك يا جارية اعبرى فلا تتوان فى مشيك وهرول فاذا دخلت الدهليز فانظر الى شمالك ترى ابوابا فيه ابواب فعد خمسة ابواب وادخل الباب السادس فان مرادك فيه فقال تاج الملوك واين تروحين انت فقالت له ما اروح موضعا غير انى ربما اتأخر عنك واتحدث مع الخادم الكبير ثم مشت وهو خلفها حتى وصلت الى الباب الذى فيه الخادم الكبير فرأى معها تاج الملوك فى صورة جارية فقال لها ما شأن هذه الجارية التى معك فقالت له هذه جارية قد سمعت السيدة دنيا بانها تعرف الاشغال وتريد ان تشتريها فقال لها الخادم انا لا اعرف جارية ولا غيرها ولا يدخل احد حتى افتشه كما امرنى الملك وادر لك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثلاثون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخادم قال للعجوز انا لا اعرف جارية ولا غيرها ولا يدخل احد حتى افتشه كما امرنى الملك فقالت له العجوز وقد اظهرت الغضب انا اعرف انك عاقل ومؤدب فان كان حالك قد تغير فانى اعلمها بذلك واخبرها انك تعرضت لجاريتها ثم زعقت على تاج الملوك وقالت له اعبرى يا جارية فعند ذلك عبر الى داخل الدهليز كما امرته وسكت الخادم ولم يتكلم ثم ان تاج الملوك عد خمسة ابواب ودخل الباب السادس فوجد السيدة دنيا واقفة فى انتظارها فلما رأته عرفته فضمته الى صدرها وضمها الى صدره ثم دخلت العجوز عليهما وتحيلت على صرف الجوارى ثم قالت السيدة دنيا للعجوز كونى انت بوابة ثم اختلت هى وتاج الملوك ولم يزالا فى ضم وعناق والتفاف ساق على ساق الى وقت السحر ولما اصبح الصباح اغلقت عليهما الباب ودخلت مقصورة اخرى وجلست على جرى عادتها واتت اليها الجوارى فنضت حوايجهن وصارت تحدثهن ثم قالت للجوارى اخرجن الان من عندى فانى اريد ان انشرح وحدى فخرج الجوارى من عندها ثم انها اتت اليهما ومعها شئ من الاكل فاكلوا واخذ فى الهراش الى

وقت السحر فاغلقت عليهما الباب مثل اليوم الاول ولم يزالوا على ذلك مدة شهر كامل هذا ما كان من امر
تاج الملوك والسيدة دنيا واما ما كان من امر الوزير وعزيز فانهما لما توجه تاج الملوك الى قصر بنت الملك
ومكث تلك المدة علما انه لا يخرج منه ابدا وانه هالك لا محالة فقال عزيز للوزير يا والدي ماذا تصنع
فقال الوزير يا ولدي ان هذا الامر مشكل وان لم نرجع الى ابيه وتعلمه فانه يلومنا على ذلك ثم تجهزا
في الوقت والساعة وتوجها الى الارض الخضراء والعمودين وتخت الملك سليمان شاه وسارا يقطعان
الاودية في الليل والنهار الى ان دخلا على الملك سليمان شاه واخبراه بما جرى لولده وانه من حين دخل
قصر بنت الملك لم يعلموا له خبرا فعند ذلك قامت عليه القيامة واشتد به الندامة وامر ان ينادى في مملكته
بالجهاد ثم برز العساكر الى خارج مدينته ونصب لهم الخيام وجلس في سرادقه حتى اجتمعت الجيوش
من سائر الاقطار وكانت رعيته تحبه لكثرة عدله واحسانه ثم سار في عسكر سد الافق متوجها في طلب
ولده تاج الملوك هذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر تاج الملوك والسيدة دنيا فانهما اقاما على
حالهما نصف سنة وهما كل يوم يزداد ان محبتا في بعضهما وزاد على تاج الملوك العشق والهيام والوجد
والغرام حتى افصح لها عن الضمير وقال لها اعلمي يا حبيبة القلب والفؤاد اني كلما اقت عندك ازددت
هياما ووجدا وغراما الى ما بلغت المرام بالكلية فقالت له وما تريد يا نور عيني وثمرة فؤادي ان شئت غير
الضم والعناق والتفاف الساق على الساق فافعل الذي يرضيك وليس لله فينا شريك فقال ليس
مرادي هكذا وانما مرادي ان اخبرك بحقيقتي فاعلمي اني لست بتاجر بل انا ملك ابن ملك واسم ابي
الملك الاعظم سليمان شاه الذي انفذ الوزير رسولا الى ابيك ليخطبك لي فلما بلغك الخبر ما رضيت ثم انه قص
عليها قصته من الاول الى الاخر وليس في الاعادة افادة واريد الان ان اتوجه الى ابي ليرسل رسولا الى ابيك
ويخطبك منه ونستريح فلما سمعت ذلك الكلام فرحت فرحا شديدا لانه وافق غرضها ثم باتا على هذا الاتفاق
واتفق بالامر المقدور ان النوم غلب عليهما في تلك الليلة من دون الليالي واستمرا الى ان طلعت الشمس
وفي ذلك الوقت كان الملك شهرمان جالسا في دست مملكته وبين يديه امراء دولته اذ دخل عليه عريف
الصياغ ويده حق كبير فتقدم وفتحه بين يدي الملك واخرج منه علبة لطيفة تساوي مائة الف دينار
لما فيه من الجواهر واليواقيت والزمرد مما لا يقدر عليه احد من ملوك الاقطار فلما رآها الملك تعجب
من حسنها والتفت الى الخادم الكبير الذي جرى له مع العجوز ما جرى وقال له يا كافور خذ هذه العلبة
وامض بها الى السيدة دنيا فاخذها الخادم ومضى حتى وصل الى مقصورة بنت الملك فوجد بابها مغلقا
والعجوز نائمة على عتبته فقال الخادم الى هذه الساعة وانتم نائمون فلما سمعت العجوز كلام الخادم
انتبهت من منامها وخافت منه وقالت اصبر حتى اتيك بالمفتاح ثم خرجت على وجهها هاربة هذا
ما كان من امرها واما ما كان من امر الخادم فانه عرف انها امر تابة فخلع الباب ودخل المقصورة
فوجد السيدة دنيا مع عاتقه لتاج الملوك وهما نائمان فلما رأى ذلك تحير في امره وهم ان يعود الى الملك فانتبهت
السيدة دنيا فوجدته فتغيرت واصفر لونها وقالت له يا كافور استر ما ستر الله فقال اما لا اقدر ان اخفي شيأ
عن الملك ثم قفل الباب عليهما ورجع الى الملك فقال له الملك هل اعطيت العلبة لسيدتك فقال له الخادم
خذ العلبة هاهي وانا لا اقدر ان اخفي عنك شيأ اعلم اني رأيت عند السيدة دنيا شابا جميلا نائما
معها في فرش واحد وهما متعانقان فامر الملك باحضارهما فلما حضرا بين يديه قال لهما
ما هذه الفعال واشتد به الغيظ فاخذته هم ان يضرب تاج الملوك فرمت السيدة دنيا وجهها

عليه

عليه وقالت لابيها اقتلني قبله فقهرها الملك وامرهم ان يضوا بها الى حجرتها ثم التفت الى تاج الملوك وقال له ويلك من اين انت ومن ابوك وما جسرك على ابنتي فقال تاج الملوك اعلم ايها الملك انك ان قتلتني هلكت وندمت انت ومن في مملكتك فقال له الملك ولم ذلك فقال اعلم اني ابن الملك سليمان شاه وما تدري الا وقد اقبل عليك بخيله ورجله فلما سمع الملك شهرمان ذلك الكلام اراد ان يؤخر قتله ويضعه في السجن حتى يظهر صحة قوله فقال له وزيره يا ملك الزمان الرأي عندي ان تعجل قتل هذا العلق فانه تجاسر على بنات الملوك فقال للسياف اضرب عنقه فانه خائن فاخذه السياف وشد وثاقه ورفع يده وشاور الامراء اولا وثانيا وقصد بذلك ان يكون في الامر توان فزعق عليه الملك وقال له الى متى تشاور ان شاورت مرة اخرى ضربت عنقك فرفع السياف يده حتى بان شعر ابطه واراد ان يضرب عنقه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثلاثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان السياف رفع يده حتى بان شعر ابطه واراد ان يضرب عنقه واذا بزعقات عالية والناس اغلقوا الدكاكين فقال الملك للسياف لا تعجل ثم ارسل من يكشف له الخبر فمضى الرسول ثم عاد اليه وقال له رأيت عسكرا كالبحر الهياج المتلاطم بالامواج وخيلهم في ركض وقد ارتجت لهم الارض وما ادري خبرهم فاندهش الملك وخاف على ملكه ان ينزع منه ثم التفت الى وزيره وقال له اما خرج احد من عسكرنا الى هذا العسكر فاتم كلامه الا وحجابه قد دخلوا عليه ومعهم رسل الملك القادم ومن جملتهم الوزير فابتدأه بالسلام فنهض لهم قائما وقربهم وسألهم عن شأن قدومهم فنهض الوزير من بينهم وتقدم اليه وقال له اعلم ان الذي نزل بارضك ملك ليس كالملوك المتقدمين ولا مثل السلاطين السالفين فقال له الملك ومن هو قال الوزير هو صاحب العدل والامان الذي شاعت بعلو همته الركبان السلطان سليمان شاه صاحب الارض الخضراء والعمودين وجبال اصفهان وهو يحب العدل والانصاف ويكره الجور والاعتساف ويقول لملك ان ابنه عندك وفي مدينتك وهو حشاشة قلبه وثمرة فؤاده فان وجده سالما فهو المقصود وانت المشكور والمحمود وان كان فقد من بلادك او اصابه شيء فابشر بالدمار وخراب الديار لانه يصير بلدك قفرا يبعق فيها الغراب وها انا قد بلغتك الرسالة والسلام فلما سمع الملك شهرمان ذلك الكلام من الرسول انزعج فؤاده وخاف على مملكته وزعق على ارباب دولته ووزرائه وحجابه ونوابه فلما حضروا قال لهم ويلكم انزلوا وفتشوا على ذلك الغلام وكان تحت يد السياف وقد تغير من كثرة ما حصل له من الفزع ثم ان الرسول لاحت منه التفاتة فوجد ابن ملكه على قطع الدم فعرفه وقام ورمى روحه عليه وكذلك بقية الرسل ثم تقدموا وحلوا وثاقه وقبلوا يديه ورجليه ففتح تاج الملوك عينه فعرف وزير والده وعرف صاحبه عزيزا فوقع مغشيا عليه من شدة فرحته بهما ثم ان الملك شهرمان صار متحيرا في امره وخاف خوفا شديدا لما تحقق ان مجيء هذا العسكر بسبب هذا الغلام فقام وتمشى الى تاج الملوك وقبل رأسه ودمعت عيناه وقال له يا ولدي لا تؤاخذني ولا تؤاخذ المسيء بفعله فارحم شيبتي ولا تخرب مملكتي فدنا منه تاج الملوك وقبل يده وقال له لا بأس عليك وانت عندي بمنزلة والدي ولكن الحذر ان يصيب محبوبتي السيدة دنيا شيء فقال يا سيدي لا تخف عليها فما يحصل لها الا السرور وصار الملك يعتذر اليه ويطيب خاطر وزير الملك سليمان شاه ووعده بالمال الجزيل على ان يخفي من الملك ما رأه ثم بعد ذلك امر كبراء دولته

ان يأخذوا تاج الملوك ويذهبوا به الى الحمام ويلبسوه بدلة من خيار ملابس الملوك ويأتوا به سرعة ففعلوا ذلك وادخلوه الحمام والبسوه البدلة التي افردها له الملك شهرمان ثم اتوا به الى المجلس فلما دخل على الملك شهرمان وقف له هو وجميع ارباب دولته وقام الجميع في خدمته ثم ان تاج الملوك جلس يحدث وزير والده وعزيزا بما وقع له فقال له الوزير وعزيز ونحن في تلك المدة مضينا الى والدك فاخبرناه بانك دخلت سراية بنت الملك ولم تخرج والتبس علينا امرك فحين سمع بذلك جهز العساكر ثم قدمنا هذه الديار وكان في قدومنا الفرج والسرور فقال لهما لا زال الخير يجري على ايديكما اولا وآخرا وكان الملك في ذلك الوقت قد دخل على ابنته السيدة دنيا فوجدها تبكي على تاج الملوك واخذت سيفا وركزت قبضته الى الارض وجعلت ذبابته على رأس قلبها بين نهديها وانحنت على السيف وصارت تقول لا بد ان اقتل نفسي ولا اعيش بعد حبيبي فلما دخل عليها ابوها ورأها في هذه الحالة صاح عليها وقال لها يا سيدة بنات الملوك لا تفعلي وارحمي اباك واهل بلدك ثم تقدم اليها وقال لها احاشيك ان يصيب والدك بسببك سوء ثم اعلمها بالقصة وان محبوبها ابن الملك سليمان شاه يريد زواجها وقال لها ان امر الخطبة والزواج مفوض الى رأيك فتبسمت وقالت له اما قلت لك انه ابن سلطان فانا اخليه يصلبك على خشبة تساوي درهمين فقال لها بالله عليك ان ترحمي اباك فقالت له روح اليه وائتني به فقال لها على الرأس والعين ثم رجع من عندها سريعا ودخل على تاج الملوك وسار رده بهذا الكلام ثم قام معه وتوجه اليها فلما رأت تاج الملوك عانقته قدام ابيها وتعلقت به وقالت له اوحشتني ثم التفتت الى ابيها وقالت هل احد يفرط في مثل هذا الشاب المليح وهو ملك ابن ملك فعند ذلك خرج الملك شهرمان ورد الباب عليهما ومضى الى وزير ابي تاج الملوك ورسله وامرهم ان يعلموا السلطان سليمان شاه بان ولده بخير وعافية وهو في الذعيش ثم ان السلطان شهرمان امر باخراج الضيافات والعلوفات الى عساكر السلطان سليمان شاه والد تاج الملوك فلما اخرجوا جميع ما امر به اخرج مائة جواد من الخيل ومائة شجين ومائة مملوك ومائة سرية ومائة عبد ومائة جارية وارسل الجميع اليه هدية ثم بعد ذلك توجه اليه هو وارباب دولته وخواصه حتى صاروا في ظاهر المدينة فلما علم بذلك السلطان سليمان شاه تمشى خطوات الى لقائه وكان الوزير وعزيز اعلماه بالخبر ففرح وقال الحمد لله الذي بلغ ولدي مناه ثم ان الملك سليمان شاه اخذ الملك شهرمان بالحضن واجلسه بجانبه على السرير وصار يتحدث هو واياه ثم قدموا لهم الطعام فاكلوا حتى اكتفوا ثم قدموا لهم الحلويات ولم يمض الا قليل حتى جاء تاج الملوك وقدم عليه بلباسه وزينته فلما رأه والده قام له وقبله وقام له جميع من حضر وجلس بينهم ساعة يتحدثون فقال الملك سليمان شاه اني اريد ان اكتب كتاب ولدي على ابنتك على رؤس الاشهاد فقال له سمعا وطاعة ثم ارسل الملك شهرمان الى القاضي والشهود فحضروا وكتبوا الكتاب وفرح العساكر بذلك وشرع الملك شهرمان في تجهيز ابنته ثم قال تاج الملوك لوالده ان عزيزا رجل من الكرام وقد خدمني خدمة عظيمة وتعب وسافر معي واوصلني الى بغيتي ولم يزل يصبر في حتى قضيت حاجتي ومضى له معنا سنتان وهو مشتت من بلاده فالمقصود انني اتهيأ له تجارة لان بلاده قريبة فقال له والده نعم ما رأيت ثم هيئوا له مائة حمل من اغلى القماش واقبل عليه تاج الملوك وودعه وقال له يا اخي اقبل هذه على سبيل الهدية فقبلها منه وقبل الارض قدامه وقدام والده الملك سليمان شاه ثم ركب تاج الملوك وسار مع عزيز قدر ثلاثة اميال وبعدها اقسم عليه عزيز ان يرجع وقال لولا والدتي ما صبرت على فراقك فبالله عليك لا تقطع اخبارك عني ثم ودعه ومضى الى مدينته فوجد والدته بنت له قبرا في وسط الدار وصارت

تزوره

تزوره ولما دخل الدار وجدها قد حلت شعرها ونشرته على القبر وهي تفيض دمع العين وتنشد هذين البيتين

بالله يا قبر هل زالت محاسنه * ام قد تغير ذاك المنظر النضر
يا قبر ما انت بستان ولا فلك * فكيف يجمع فيك البدر والزهر

ثم صعدت الزفرات وانشدت هذه الابيات

مالي مررت على القبور مسلما * قبر الحبيب فلم يرد جوابي
قال الحبيب وكيف رد جوابكم * وانا رهين جنادل وترابي
اكل التراب محاسني فنسيتكم * وحجبت عن اهلي وعن احبابي

فما تمت شعرها الا وعزيز داخل عليها فلما رأته قامت اليه واحتضنته وسألته عن سبب غيابه فحدثها بما وقع له من اوله الى آخره وان تاج الملوك اعطاه من المال والاغشة مائة حمل ففرحت بذلك واقام عزيز عند والدته متحيرا فيما وقع له من الدليلة المحتالة التي خصته هذا ما كان من امر عزيز واما ما كان من امر تاج الملوك فانه دخل بمحبوبته السيدة دنيا وازال بكارتها ثم ان الملك شهرمان شرع في تجهيز ابنته للسفر مع زوجها وابيها فاحضر لهم الزاد والهدايا والتحف ثم حملوا وساروا وسار معهم الملك شهرمان ثلاثة ايام لاجل الوداع فاقسم عليه الملك سليمان شاه بالرجوع فرجع ومازال تاج الملوك ووالده وزوجته سائرين في الليل والنهار حتى اشرفوا على بلادهم وزينت لهم المدينة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثلاثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك سليمان شاه سار هو وولده وزوجة ولده حتى اشرفوا على بلادهم وزينت لهم المدينة ثم دخلوا المدينة وجلس الملك سليمان شاه على سرير مملكته وولده تاج الملوك في جانبه ثم اعطى ووهب واطلق من كان في الحبوس ثم عمل لولده عرسا ثانيا واستمرت به المغاني والملاهي شهرا كاملا وازدحمت المواشط على السيدة دنيا وهي لا تمل من الجلاء ولا يملان من النظر اليها ثم دخل تاج الملوك على زوجته بعد ان اجتمع على ابيه وامه ومازالوا في التعيش واهناه فعند ذلك قال ضوء المكان للوزير دندان مثلك من ينادم الملوك ويسلك في تدبيرهم احسن السلوك هذا كله وهم محاصرون للقسطنطينية حتى مضى عليهم اربع سنين ثم اشتاقوا الى اوطانهم وضجرت العساكر من الحصار ودامة الحرب في الليل والنهار فامر الملك ضوء المكان باحضار بهرام ورستم وتركاش فلما حضروا قال لهم اعلموا انا قد مللنا هذه السنين وما بلغنا مرادنا فازددنا غما وهما وقد اتينا الخلاص ثار الملك عمر النعمان فقتل اخي شركان فصارت الخسرة حسرتين والمصيبة مصيبتين وسبب هذا كله العجوز ذات الدواهي فانها قتلت السلطان في مملكته واخذت زوجته الملكة صفية وما كفاها ذلك حتى عملت الحيلة علينا واذبحت اخي وقد حلفت الايمان العظيمة انه لابد من اخذ الثار فما تقولون انتم فافهموا هذا الخطاب وردوا على الجواب فاطرق قوارؤسهم واحالوا الامر على الوزير دندان فعند ذلك تقدم الوزير دندان الى الملك ضوء المكان وقال له اعلم يا ملك الزمان انه ما بقي في اقامتنا فائدة والرأي اننا نرحل الى الاوطان ونقيم هناك برهة من الزمان ثم نعود ونغزو اعبدة الاصنام فقال الملك نعم هذا الرأي لان الناس اشتاقوا الى رؤية عيالهم

وانا ايضا اقلقني الشوق الى ولدي كان ما كان والى ابنة اخي قضى فكان لانهما في دمشق ولا اعلم ما كان من امرهما فلما سمعت العساكر ذلك فرحوا ودعوا للوزير دندان ثم ان الملك ضوء المكان امر المنادي ان ينادي بالرحيل بعد ثلاثة ايام فابتدؤا في تجهيز احوالهم وفي اليوم الرابع دقت الكاسات ونشرت الرايات وتقدم الوزير دندان في مقدم العسكر وسار الملك في وسط العساكر وبجانبه الحاجب الكبير وسارت الجيوش ومازالوا مجدين السير بالليل والنهار حتى وصلوا الى مدينة بغداد ففرحت بقدومهم الناس وزال عنهم الهم والباس ثم ذهب كل امير الى داره وطلع الملك الى قصره ودخل على ولده كان ما كان وقد بلغ من العمر سبع سنين وصار ينزل ويركب ولما استراح الملك من السفر دخل الحمام هو وولده كان ما كان ثم رجع وجلس على كرسي مملكته ووقف الوزير دندان بين يديه وطلعت الامراء وخواص الدولة ووقفوا في خدمته فعند ذلك امر الملك ضوء المكان باحضار صاحبه الوقاد الذي احسن اليه في غربته فحضر بين يديه فلما رأه الملك ضوء المكان قام قدما عليه ونهض له قائما واجلسه الى جانبه وكان الملك ضوء المكان قد اخبر الوزير بما فعل معه صاحبه الوقاد من المعروف فعظم في عينه وفي اعين الامراء وكان الوقاد قد غلظ وسمن من الاكل والراحة وصار عنقه كعنق الفيل ووجهه كبطن الدرفيل وصار طائش العقل لانه كان لا يخرج من المكان الذي هو فيه فلم يعرف الملك بسبب ما فاقبل عليه الملك وانبش في وجهه وحياه اعظم التحيات وقال له ما اسرع ما نسيتني فامعن فيه النظر فلما تحققه وعرفه قام له على الاقدام وقال له يا حبيبي من عملك سلطانا ففحك عليه فاقبل عليه الوزير بالكلام وشرح له القصة وقال له انه كان اخالك وصاحبك والان صار ملك الارض ولابد ان يصل اليك منه خير كثير وها انا اوصيك اذا قال لك تمن علي فلا تتمن الا شيأ عظيما لانك عنده عزيز فقال الوقاد اخاف ان اتمنى عليه شيأ فلا يسمح لي به اولا يقدر عليه فقال له الوزير كلما تمنيته يعطيك اياه فقال له والله لابد ان تمنى عليه الشيء الذي في خاطري وكل يوم ارجو منه ان يسمح لي به فقال له الوزير طيب قلبك والله لو طلبت ولاية دمشق موضع اخيه لولاك عليها فعند ذلك قام الوقاد على قدميه فاشار له ضوء المكان ان اجلس فابى وقال معاذ الله قد انقضت ايام تعودي في حضرتك فقال له السلطان لا بل هي باقية الى الان فانك كنت سبب حياتي والله لو طلبت مني مهما اردت لاعطيتك اياه فتمن علي الله فقال له ياسيدي اني اخاف ان اتمنى شيأ فلا تسمح لي به اولا تقدر عليه ففحك السلطان وقال له لو تمنيت نصف مملكتي لشاركتك فيها فتمن ما تريد قال الوقاد اخاف ان اتمنى شيأ لا تقدر عليه فغضب السلطان وقال له تمن ما اردت فقال له تمنيت عليك ان تكتب لي مرسوما بعرافة جميع الوقادين الذين في مدينة القدس ففحك السلطان وجميع من حضر وقال له تمنى غير هذا فقال الوقاد انا ما قلت لك اني اخاف ان اتمنى شيأ لا تسمح لي به او ما تقدر عليه فغمزه الوزير ثانيا وثالثا وفي كل مرة يقول اتمنى عليك ان تجعلني رئيس الزبالين في مدينة القدس او في مدينة دمشق فانقلب الحاضرون على ظهورهم من الفحك عليه وضربه الوزير فالتفت الوقاد الى الوزير وقال له ما تكون حتى تضربني وما لي ذنب فانك انت الذي قلت لي تمن شيأ عظيما ثم قال دعوني اسير الى بلادي فعرف السلطان انه يلعب فصبر قليلا ثم اقبل عليه وقال له يا اخي تمن علي امرا عظيما لا تقاعقا هي فقال له اتمنى سلطنة دمشق موضع اخيك فكتب له التواقيع بذلك وقال للوزير دندان ما يروح معه غيرك واذا اردت العود فاحضر معك بنت اخي قضى فكان فقال الوزير سمعا وطاعة ثم اخذ الوقاد ونزل به وتجهز للسفر وامر السلطان ضوء المكان ان يخرجوا للوقاد تختا جديدا وطقم سلطنة وقال للامراء من كان يحبني فليقدم

اليه

اليه هدية عظيمة ثم سماه السلطان الزيلكان ولقبه بالمجاهد وبعد شهر كملت حوايجه وطلع الزيلكان
وفى خدمته الوزير دندان ثم دخل على ضوء المكان ليودعه فقام له وعانقه واوصاه بالعدل بين الرعية
وامره ان يأخذ الاهبة للجهاد بعد سنتين ثم ودعه وانصرف وسار الملك المجاهد المسمى بالزيلكان بعد
ان اوصاه الملك ضوء المكان بالرعية خيرا وقدمت له الامراء المماليك فبلغوا خمسة الاف مملوك وركبوا
خلفه وركب الحاجب الكبير وامير الديلم بهرام وامير الترك رستم وامير العرب تركاش وساروا فى توديعه
ومازالوا سائرين معه ثلاثة ايام ثم عادوا الى بغداد وسار السلطان الزيلكان هو والوزير دندان ومازالوا
سائرين حتى وصلوا الى دمشق وكانت الاخبار قد وصلت اليهم على اجنحة الطيور بان الملك ضوء المكان
سلطن على دمشق ملكا يقال له الزيلكان ولقبه بالمجاهد فلما وصل اليهم الخبر زينوا له المدينة وخرج
الى ملاقاته كل من فى دمشق ثم دخل دمشق وطلع القلعة وجلس على سرير المملكة ووقف الوزير
دندان فى خدمته يعرفه منازل الامراء ومراتبهم وهم يدخلون عليه ويقبلون يديه ويدعون له فاقبل
عليهم الملك الزيلكان وخلع واعطى ووهب ثم فتح خزائن الاموال وانفقها على جميع العساكر كبيرا
وصغيرا وحكم وعدل وشرع الزيلكان فى تجهيز بنت السلطان شركان السيدة قضى فكان
وجعل لها تحفة من الابريسم وجهز الوزير وقدم له شيأ من المال فابى الوزير دندان وقال له انت قريب
عهد بالملك وربما تحتاج الى الاموال او ترسل اليك تطلب منك مالا للجهاد او غير ذلك والمتهيء الوزير
دندان للسفر وركب السلطان المجاهد الى وداعه واحضر قضى فكان واركبها فى المحفة وارسل معها عشر
جوار برسم الخدمة وبعد ان سافر الوزير دندان رجع الملك المجاهد الى مملكته ليدبرها واهتم بالة السلاح
وصار ينتظر الوقت الذى يرسل اليه فيه الملك ضوء المكان هذا ما كان من امر السلطان الزيلكان
واما ما كان من امر الوزير دندان فانه لم يزل يقطع المراحل بقضى فكان حتى وصل الى الرحبة بعد شهر
ثم سار حتى اشرف على بغداد وارسل اعلم ضوء المكان بقدومه فركب وخرج الى لقائه فاراد الوزير دندان
ان يترجل فاقسم عليه الملك ضوء المكان ان لا يفعل فساروا كلاحتى جاء الى جانبه وسأله عن المجاهد
فاعلمه انه بخير واعلمه بقدوم قضى فكان بنت اخيه شركان ففرح وقال له دونك والراحة من تعب السفر
ثلاثة ايام ثم بعد ذلك تعال عندى فقال حبا وكرامة ثم دخل بيته وطلع الملك الى قصره ودخل على
ابنة اخيه قضى فكان وهى ابنة ثمان سنين فلما رأها فرح بها وحزن على ابيها واعطاها حليا ومصاغا
عظيما وامر ان يجعلوها مع ابن عمها كان ما كان فى مكان واحد وكانت احسن اهل زمانها واشجعهم
لانها كانت صاحبة تدبير وعقل ومعرفة بعواقب الامور واما كان ما كان فانه كان مولعا بمكارم
الاخلاق ولكنه لا يفكر فى عاقبة شيء ثم بلغ عمر كل واحد من الاثنين عشر سنين وصارت قضى
فكان تركب الخيل وتطلع مع ابن عمها فى البر وتتعلمان الضرب بالسيف والطعن بالرمح حتى بلغ عمر
كل منهما اثنتى عشرة سنة ثم ان الملك انتهت اشغاله للجهاد واكمل الاهبة والاستعداد فاحضر
الوزير دندان وقال له اعلم انى عزمت على شيء واريد اطلاعك عليه فاسرع فى رد الجواب فقال الوزير دندان
ما هو يا ملك الزمان قال عزمت على ان اسلطن ولدى كان ما كان وافرح به فى حياتى واقاتل قدامه الى
ان يدركنى الممات فما عندك من الرأى فقبل الوزير دندان الارض بين يدى الملك ضوء المكان وقال له اعلم
ايها الملك السعيد صاحب الرأى السديد ان ما خطر ببالك ملح غيرانه لا يناسب فى هذا الوقت لخصلتين
الاولى ان ولدك كان ما كان صغير السن والثانية ما جرت به العادة من ان من سلطن ولده فى حياته

لا يعيش الا قليلا وهذا ما عندى من الجواب فقال اعلم ايها الوزير انى اوصى عليه الحاجب الكبير فانه صار منا والينا وقد تزوج اختى فهو فى منزلة اخى فقال له الوزير افعل ما بدا لك فنحن ممتثلون امرك فارسل الملك الى الحاجب الكبير فاحضره وكذلك اكابر مملكته وقال لهم ان هذا ولدى كان ما كان قد علمتم انه فارس الزمان وليس له نظير فى الحرب والطعان وقد جعلته سلطانا عليكم والحاجب الكبير وصى عليه فقال الحاجب يا ملك الزمان انما انا غريس نعمتك فقال ضوء المكان ايها الحاجب ان ولدى كان ما كان وابنة اختى قضى فكان اولادهم وقد زوجتها به واشهد الحاضرين على ذلك ثم نقل لولده من المال ما يعجز عنه اللسان وبعد ذلك دخل على اخته نزهة الزمان واعلمها بذلك ففرحت وقالت ان الاثنين ولداى والله تعالى يبقيك لهما مدى الزمان فقال يا اختى انى قضيت من الدنيا غرضى وامنت على ولدى ولكن ينبغى ان تلاحظيه بعينك وتلاحظى امه ثم صار يوصى الحاجب ونزهة الزمان على ولده وعلى زوجته ليسانى واياما وقد ايقن بكأس الحمام ولزم الوساد وصار الحاجب يتعاطى احكام العباد وبعد سنة احضر ولده كان ما كان والوزير دندان وقال يا ولدى ان هذا الوزير والدك من بعدى واعلم انى راحل من الدار الفانية الى الدار الباقية وقد قضيت غرضى من الدنيا ولكن بقى فى قلبى حسرة يزيلها الله على يديك فقال ولده وما تلك الحسرة يا والدى فقال يا ولدى أن اموت ولم تأخذ بثار جدك الملك النعمان وعمك الملك شركان من بحور زيقال لهما ذات الدواهى فان اعطاك الله النصر لا تغفل عن اخذ الثار وكشف العار من الكفار واياك من مكر العجوز واقبل ما يقوله لك الوزير دندان لانه عماد ملكنا من قديم الزمان فقال له ولده سمعا وطاعة ثم هملت عيناه بالدموع وبعد ذلك ازداد المرض بضوء المكان وصار امر المملكة للحاجب فصار يحكم ويأمر وينهى واستمر على ذلك سنة كاملة وضوء المكان مشغول بمرضه وما زالت به الامراض مدة اربع سنين والحاجب الكبير قائم بامر الملك وارتضى به اهل المملكة ودعت له جميع البلاد هذا ما كان من امر ضوء المكان والحاجب واما ما كان من امر كان ما كان فانه لم يكن له شغل الا ركوب الخيل واللعب بالرمح والضرب بالنشاب وكذلك ابنة عمه قضى فكان وكانت تخرج هى واياه من اول النهار الى الليل فتدخل الى امها ويدخل هو الى امه فيجدها جالسة عند رأس ابيه تبكى فيخدمه بالليل واذا اصبح الصباح يخرج هو وبنت عمه على عادتهما وطالت بضوء المكان التوجعات فبكى وانشد هذه الابيات

تفانت قوتى ومضى زمانى * وها انا قد بقيت كما ترانى
فيوم العز كنت اعز قومى * واسبقهم الى نيل الامانى
وقد فارقت ملكى بعد عزى * الى ذل تخلل بالهوان
ترى قبل الممات ارى غلامى * يكون على الورى ملك مكانى
ويفتك بالعداة لاخذ ثار * بضرب السيف او طعن السنان
انا المغبون فى هزل وجد * اذا مولاى لا يشفى جنانى

فلما فرغ من شعره وضع رأسه على الوسادة ونام فرأى فى منامه قائلا يقول له ابشر فان ولدك يملك البلاد وتطيعه العباد فانتبه من منامه مسرورا ثم بعد ايام قلائل طرقه الممات فاصاب اهل بغداد لذلك مصاب عظيم وبكى عليه الرضيع والعظيم ومضى عليه الزمان كانه ما كان وتغير حال كان ما كان وعزله اهل بغداد وجعلوه هو وعياله فى بيت على حدتهم فلما رأت ام كان ما كان ذلك صارت فى اذل

الاحوال ثم قالت لابدلى من قصد الحاجب الكبير وارجو الرأفة من اللطيف الخبير فقامت من منزلها الى ان اتت الى بيت الحاجب الذى صار سلطانا فوجدته جالسا على فراشه فدخلت عند زوجته نزهة الزمان وقالت ان الميت ماله صاحب فلا احوجكم الله مدى الدهور والاعوام ولازلتم تحكمون بالعدل بين الخاص والعام قد سمعت اذنالك ورأت عيناك ما كان فيه من الملك والعز والجاه والمال وحسن المعيشة والحال والان انقلب علينا الزمان وقصدنا الدهر بالعدوان واتيت اليك قاصدة احسانك بعد اسدائى للاحسان لان الرجل اذا مات دلت بعده النساء والبنات ثم انشدت هذه الابيات

كفالك بان الموت بادى الجهائب * وما غائب الاعمار عنا بغائب
وما هذه الايام الا مراحل * موارد ها ممزوجة بالمصائب
وما ضر قلبى مثل فقد اكارم * احاطت بهم مستعظمات النوائب

فلما سمعت نزهة الزمان هذا الكلام تذكرت اخاها ضوء المكان وابنه كان ما كان فقربتها واقبلت عليها وقالت انا الان غنية وانت فقيرة فوالله ما تركنا افتقادك الاخوفا من انكسار قلبك لئلا يخطر ببالك ان ما نهديه اليك صدقة مع ان جميع ما نحن فيه من الخير منك ومن زوجك فبيتنا بيتك ومالنا وعليك ما علينا ثم خلعت عليها ثيابا فاخرة وافردت لها مكانا فى القصر ملاصقا للمقصورتها واقامت عندهم فى عيشة طيبة هى وولدها كان ما كان وخلعت عليه ثياب الملوك وافردت لهما جوارا برسم خدمتهما ثم ان نزهة الزمان بعد مدة قليلة ذكرت لزوجها حديث زوجة اخيها ضوء المكان فدمعت عيناه وقال ان شئت ان تنظرى الدنيا بعدلك فانظر بها بعد غيرك فاكرمى مثواها وادرلى شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثلاثون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان زوج نزهة الزمان قال لها ان شئت ان تنظرى الدنيا بعدلك فانظر بها بعد غيرك فاكرمى مثواها وأغنى فقرها هذا ما كان من امر نزهة الزمان وزوجها وام ضوء المكان واما ما كان من امر كان ما كان وابنة عمه قضى فكان فانهما كبرا وترعرعا حتى صارا كانهما غصنان مثمران او قمران ازهران وبلغا من العمر خمسة عشر عاما وكانت قضى فكان من احسن البنات المخدرات بوجه جميل وخصر نحيل وردف ثقيل وريق كالسلسبيل وقد رشيق وثغر الذمن الرحيق كما قال فيها بعض واصفيها هذين البيتين

كأن سلاف الخمر من ريقها بدت * وعنقودها من ثغرها الدرى يقطف
واعنابها مالت اذا ما ثنيتها * فسبحان خلاق لها لا يكيف

وقد جمع الله كل المحاسن فيها فقدها يخجل الاغصان والورد يطلب من خدها الامان واما الريق فانه يهزء بالرحيق تسر القلب والناظر كما قال فيها الشاعر

ملبحة الوصف قد تمت محاسنها * اجفانها تفضح التكحيل بالكحل
كان الحاظها فى قلب عاشقها * سيف بكف امير المؤمنين على

واما كان ما كان فانه كان بديع الجمال فائق الكمال عز فى الحسن عن مثال الشجاعة تلوح بين عينيه والشجاعة تشهد له لا عليه وتميل كل القلوب اليه وحين اخضر منه العذار كثرت فيه الاشعار

كقول بعضهم

ما بان عذرى فيه حتى عذرا * ومشى الدجى فى خده فتحيرا
رشأ اذا رنت العيون لحسنه * سلت لواحظه عليها خنجرا

وقول الاخر

نسخت نفوس العاشقين بخده * نملا وتم بها النجيع الاحمر
فاعجب لهم شهدا ومسكنهم لظى * ولباسهم فيها الحرير الاخضر

واتفق فى بعض الاعياد ان قضى فكان خرجت تعيد على بعض اقاربها من الدولة والجوارى حواليها والحسن قد عمها وورد الخد يحسد خالها والاخوان يتبسم عن بارق ثغرها فجعل كان ما كان يدور حولها ويطلق النظر اليها وهى كالقمر الزاهر فقوى جنانه واطلق بالشعر لسانه وانشد هذين البيتين

متى يشفى قلب الدنو من البعد * ويضحك ثغر الوصل من زائل الصد
فيا ليت شعرى هل ابيتن ليلة * يوصل حبيب عنده بعض ما عندى

فلما سمعت قضى فكان هذا الشعر اظهرت له الملامة والعتاب وتوعدته باليم العقاب فاغتاظ كان ما كان وعاد الى بغداد وهو غضبان ثم طلعت قضى فكان الى قصرها وشكت ابن عمها الى امها فقالت لها يا بنتى لعله ما اراد لك بسوء وهل هو الا يتيم ومع هذا لم يذكر شيأ يعيبك فايالك ان تعلمى بذلك احدا فانه ربما بلغ الخبر الى السلطان فيقصر عمره ويخمد ذكره ويجعل اثره كأمس الدابر والميت القابر وشاع فى بغداد حب كان ما كان قضى فكان وتحدثت به النسوان ثم ان كان ما كان ضاق صدره وقل صبره واشتغل باله ولم يخف على الناس حاله واشتهى ان يبوح بما فى قلبه من لوعة البين فخاف من غضبها وانشد هذين البيتين

اذا خفت يوما عتاب التى * تغير اخلاقها الصافيه
صبرت عليها كصبر الغنى * على الكى فى طلب العافيه

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثلاثون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الحاجب الكبير لما صار سلطانا سموه الملك ساسان ثم انه بلغه حب كان ما كان قضى فكان فندم على جعلهما معا فى محل واحد ثم دخل على زوجته نزهة الزمان وقال ان الجمع بين الخلفة والنار لمن اعظم الاخطار وليست الرجال على النساء بمؤتمنين مادامت العيون فى دعج والمعاطف فى لين وان ابن اخيك كان ما كان قد بلغ مبلغ الرجال فيجب منعه عن الدخول على ربات الحجال ومنع بنتك عن الرجال اوجب لان مثلها ينبغى ان يحجب فقالت صدقت ايها الملك العاقل والهمام الكامل فلما اصبح الصباح جاء كان ما كان ودخل على عمته نزهة الزمان على جرى عادته وسلم عليها فردت عليه السلام وقالت له عندى لك كلام ما كنت احب ان اقوله ولكن اخبرك به رغما عنى فقال لها وما ذاك الكلام قالت ان الملك سمع بحبك لقضى فكان فامر بحجبها عنك واذا كان لك حاجة فانا ارسلها اليك من خلف الباب ولا تنظر قضى فكان فلما سمع كلامها رجع ولم ينطق بحرف واحد واعلم والدته بما قالت عمته فقالت له انما انشأ هذا من كثرة كلامك وقد علمت ان حديث حبك لقضى فكان

شاع وانتشر فى كل مكان وكيف تأكل زادهم وبعد ذلك تعشق بنتهم فقال انى اريد الزواج بها لانها بنت عمى وانا احق بها فقالت له امه اسكت لئلا يصل الخبر الى الملك ساسان فيكون ذلك سببا لغرقك فى بحر الاحزان ولم يبعثوا لنا فى هذه الليلة عشاء ولو كنا فى بلد غير هذه لمتنا من الم الجوع اوذل السؤال فلما سمع كان ما كان كلام امه زادت بقلبه الحسرات وانشد هذه الابيات

اقلى من اللوم الذى لا يفارق * فقلبى الى من تيمتنى مفارق
ولا تطلبى عندى من الصبر ذرة * فصبرى وبيت الله منى طالق
اذا سامنى اللوام نهيا عصيتهم * وها انا فى دعوى المحبة صادق
وقد منعونى عنوة ان ازورها * وانى والرحمن ما انا فاسق
وان عظامى حين تسمع ذكرها * تشابه طيرا خلفهن بواشق
الا قل لمن قد لام فى الحب انى * وحق الهوى بنت عمى لعاشق

ولما فرغ من شعره قال لامه ما بقى لى عند عمتى ولا عند هؤلاء القوم مقام بل اخرج من القصر واسكن فى اطراف المدينة بجوار قوم صعاليك ثم خرج وفعل كما قال وصارت امه تتردد الى بيت الملك ساسان وتأخذ منه ما تقتات به هى واياه ثم ان قضى فكان اختلت بام كان ما كان وقالت لها يا امرأة عمى كيف حال ولدك فقالت انه باكى العين حزين القلب ليس له من اسر الغرام فكاك ومقتنص من هوالك فى اشراك فبكت قضى فكان وقالت والله ما هجرته بغضا له ولكن خوفا عليه من الاعداء وعندى من الشوق اضعاف ما عنده ولولا عثرات لسانه وخفقان جنانه ما قطع ابى عنه احسانه واولاه منعه وحرمانه ولكن ايام الورى دول والصبر فى كل الامور اجمل ولعل من قضى بالفراق ان يمن علينا بالتلاق ثم افاضت دمع العين وانشدت هذين البيتين

فعندى يا ابن عمى من غرامى * كامثال الذى قد حل عندك
ولكنى كتمت الناس وجدى * فهلا كنت انت كتمت وجدك

فشكرتها ام كان ما كان وخرجت من عندها واعلمت ولدها كان ما كان بذلك فزاد شوقه اليها وقال ما ابدلها من الحور بالعين وانشد هذين البيتين

فوالله لا اصغى الى قول لائم * ولا بحت بالسر الذى كنت كاتما
وقد غاب عنى من ارجى وصاله * وقد سهرت عينى وقد بات نائما

ثم مضت الايام والليالى وهو يتقلب على جمر المقالى حتى مضى له من العمر سبعة عشر عاما وقد كمل حسنه ففى بعض الليالى اخذه السهر وقال فى نفسه مالى ارى جسمى يذوب والى متى لا اقدر على نيل المطلوب ومالى عيب سوى عدم الجاه والمال ولكن عند الله بلوغ الامال فينبغى ان اشرد نفسى عن بلادها حتى تموت او تحظى بمرادها ثم اضمر على هذه العزمات وانشد هذه الابيات

دع مهجتى تزداد فى خفقانها * ليس التذلل فى الورى من شأنها
واعذر فؤاد حشاشتى كصحيفة * لا شك ان الدمع من عنوانها
هابنت عمى قد بدت حورية * نزلت الينا عن رضى رضوانها
من رام الحاظ العيون معارضا * فتاكها لم ينج من عدوانها
ساسير فى الارض الوسيعة منقذا * نفسى وامضيها سوى حرمانها

واعود مسرور الفؤاد بمطلبي * واقاتل الابطال فى ميدانها
ولسوف استاق الغنائم عائدا * واصول مقتدرا على اقرانها

ثم ان كان ما كان خرج من القصر ماشيا حافيا فى قميص قصير الاكمام وعلى رأسه لبدة لها سبعة اعوام وصحبته رغيف له ثلاثة ايام ثم سار فى حندس الظلام حتى وصل الى باب بغداد فوقف هنالك ولما فتحوا باب المدينة كان هو اول خارج منه ثم صار يقطع الاودية والقفار فى ذلك النهار ولما اتى الليل طلبته امه فلم تجده فضاقت عليها الدنيا باتساعها ولم تلتذ بشئ من متاعها ومكثت تنتظره اول يوم وثانى يوم وثالث يوم الى ان مضى عشرة ايام فلم ترله خبرا فضاق صدرها وبكت ونادت قائلة يا مؤنسى قد هيجت احزانى حيث فارقتنى وتركت اوطانى يا ولدى من اى الجهات اماديك وياهل ترى اى بلد تاويك ثم صعدت الزفرات وانشدت هذه الابيات

علمنا بانا بعد غيبتكم نبلا * ومدت قسى للفراق لنا نبلا
وقد خلفونى بعد شدة حالهم * اعالج كرب الموت اذ قطعوا الرملا
لقد هتفت بى جنح ليل حمامة * مطوقة ناحت فقلت لها مهلا
لعمرك لو كانت كمثلى حزينة * لما لبست طوقا ولا خضبت رجلا
وفارقنى الفى فالفيت بعده * دواعى هم لا تفارقنى اصلا

ثم انها امتنعت من الطعام والشراب وزادت فى البكاء والانتحاب وصار بكاؤها على رؤس الاشهاد واشتهر حزنها بين العباد والبلاد وصار الناس يقولون اين عينك ياضوء المكان وياهل ترى ما جرى على كان ما كان حتى بعد عن وطنه وخرج من المكان وكان ابوه يشيع الجيعان ويأمر بالعدل والامان ووصل خبر كان ما كان الى الملك ساسان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للاربعين بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك ساسان وصل اليه خبر كان ما كان من الامراء الكبار وقالوا له انه ولد ملكا ومن ذرية الملك عمر النعمان وقد بلغنا انه تغرب عن الاوطان فلما سمع الملك ساسان هذا الكلام اغتاظ غيظا شديدا وتذكر احسان ابيه اليه وانه اوصاه عليه فحزن على كان ما كان وقال لابد من التفتيش عليه فى سائر البلاد ثم بعث فى طلبه الامير تركاش فى مائة فارس فغاب عشرة ايام ثم رجع وقال ما اطلعت له على خبر ولا وقفت له على اثر فحزن عليه الملك ساسان حزنا شديدا واما امه فانها صارت لا يقر لها قرار ولا يطاوعها اصطبار وقد مضى له عشرون يوما هذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر كان ما كان فانه لما خرج من بغداد صار متحيرا فى امره ولم يدر الى اين يتوجه ثم انه سافر فى البر ثلاثة ايام وحده ولم ير راجلا ولا فارسا فطار رقاده وزاد سهاده وتفكر اهله وبلاده وصار يقوت من نبات الارض ويشرب من انهارها وقيل وقت الحر تحت اشجارها ثم خرج من تلك الطريق الى طريق اخرى وسار فيها ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع اشرف على ارض معشبة الفلوات مليحة النبات وهذه الارض قد شربت من كؤس الغمام على اصوات القمرى والحمام فاخضرت رباها وطاب فلاها فتذكر كان ما كان بلاد ابيه فانشد من فرط ما هو فيه

خرجت وفى املى عودة * ولكننى لست ادرى متى
وشردنى اننى لم اجد * سبيلا الى دفع ماقد اتى

فلما فرغ من شعره اكل من ذلك النبات وتوضأ وصلى ما كان عليه من الفريضة وجلس يستريح ومكث طول ذلك اليوم فى ذلك المكان فلما جاء الليل قام واستمر قائما الى نصف الليل ثم انتبه فسمع صوت انسان ينشد هذه الابيات

ما العيش الى ان يرى لك بارق * من ثغر من تهوى ووجه رائق
والموت اسهل من صدود حبيبة * لم يغشنى منها خيال طارق
يافرحة الندماء حيث تجمعوا * واقام معشوق هنالك وعاشق
لاسيما وقت الربيع وزهره * طاب الزمان بما اليه تسابق
ياشارب الصهباء دونك ماترى * ارض من خرفة وماء دافق

فلما سمع كان ما كان هذه الابيات هاجت به الاشجان وجرت دموعه على خده كالغدران وانطلقت فى قلبه النيران فقام ينظر قائل هذا الكلام فلم ير احدا فى جنح الظلام فاخذه القلق ونزل من مكانه الى اسفل الوادى ومشى على شاطئ النهر فسمع صاحب الصوت يصعد الزفرات وينشد هذه الابيات

ان كنت تضمر ما فى الحب اشفاقا * فاطلق الدمع يوم البين اطلاقا
بينى وبين احبائى عهود هوى * لذا اليهم اظل الدهر مشتاقا
يرتاح قلبى الى تيم ويطربنى * نسيم تيم اذا ما هب اشواقا
ياسعد هل ربة الخلخال تذكرنى * بعد البعاد لنا عهدا وميثاقا
وهل تعود ليالى الوصل تجمعنا * يوما و يشرح كل بعض ما لاقى
قالت فتنت بنا وجدا فقلت لها * كم قد فتنت رعاك الله عشاقا
لامتع الله طرفى فى محاسنها * ان كان من بعدها طيب الكرى ذاقا
يالسعة فى فؤادى ما رأيت لها * سوى الوصال ورشف الثغر ترياقا

فلما سمع كان ما كان هذه الاشعار من صاحب ذلك الصوت ثانى مرة ولم ير شخصه عرف ان القائل مثله عاشق منع عن الوصول الى من يحبه فقال فى نفسه لعلى اجتمع بهذا فيشكو كل واحد منا لصاحبه واجعله انيسى فى غربتى ثم تنحنح ونادى قائلا ايها السائر فى الليل العاكر تقرب منى وقص قصتك على لعلك تجدنى معينا لك على بليتك فلما سمع صاحب الصوت هذا الكلام اجابه قائلا ايها المنادى السامع لانشادى من تكون من الفرسان وهل انت من الانس اومن الجان فهل على بكلامك قبل دنو حمامك فان لى عشرين يوما وانا سائر فى هذه البرية فلم ار شخصا ولم اسمع صوتا غير صوتك فلما سمع كان ما كان هذا الكلام قال فى نفسه ان هذه القصة كقصتى فان لى ايضا عشرين يوما وانا سائر ولم اسمع صوتا فقال له صاحب الصوت ان كنت من الجان فاذهب بسلام وان كنت انسيا فالبث ملياحتى يطلع النهار ويذهب الليل بالاعتكار فلما اصبح الصباح نظر اليه كان ما كان فوجد رجلا من عرب البادية فتقدم اليه وسلم عليه فرد البدوى عليه السلام وقابله بالتحية والاكرام الا انه احتقره لما رأى صغر سنه وحالته حالة فقير وقال له يافتى من اى القوم انت والى من تنتسب من العربان وما قصتك وانت سائر بالليل فان هذا فعل الابطال وقد كلمتنى فى الليل كلاما لا يتكلم به الا كل فارس همام وبطل مصدام وقد صرت الان

فى قبضتى الا انى ارحمك لصغر سنك فاجعلك رفيقى وتكون عندى برسم خدمتى فلما سمع كان ما كان
فظاعة كلامه بعد ما ابداه من حسن نظامه عرف انه احتقره وطمع فيه فقال له بلين الكلام يا وجه العرب
دعنا من صغر سنى وكونى اخدمك واخبرنى عن سبب سيرك بالليل فى القفار وانشادك الاشعار فيما
حملك على هذا فقال له اسمع يا غلام انى صباح ابن رماح بن همام وقومى من عرب الشام ولى بنت عم اسمها
نجمه كل من رأها انتبه النعمة ومات والدى وتربيت عند عمى ابى نجمه فلما كبرت وكبرت حبيبها عنى لما
رأنى فقير الحال قليل المال فسقت عليه العرب الكبار وسادات القبائل فاستحى منهم واجابنى الى زواجها
الا انه اشترط على خمسين رأسا من الخيل وخمسين ناقة وعشرة عبيد وعشر جوار وخمسين حملا قمحا
ومثلها شعيرا وحملنى مالا طيق واكثر على الصداق وها انا مسافر من الشام الى العراق ولى عشرون
يوما ما نظرت احدا سوالك وقصدى ان ادخل ارض بغداد وانظر من يخرج منها من التجار المياسير الكبار
فاخرج فى اثرهم واسلب اموالهم واقتل رجالهم واسوق جمالهم واحمالهم فمن تكون انت من الناس
قال كان ما كان ان قصتى كقصتك غير ان مرضى اخطر من مرضك لان ابنة عمى ابنة ملك واهلها
لا يكفيهم ما ذكرت ولا يرضيهم شئ مثل هذا فقال صباح لعلك مهبول او من كثرة العشق مخبول كيف
تكون بنت عمك بنت ملك وانت ما عليك سمة الملوك وما انت الا صعلوك فقال يا واحد العرب لا تستغرب
هذا الحال على تصرفات الزمان وان شئت منى البيان فانا كان ما كان ابن السلطان ضوء المكان
ابن الملك عمر النعمان صاحب بغداد وارض خرسان وقد جار على الزمان وتسلطن الملك ساسان
وخرجت من بغداد خفية لئلا يرانى انسان وسافرت فى هذه الارض عشرين يوما ما رأيت احدا غيرك
فقصتك كقصتى وطلبتك نظير طلبتى فلما سمع صباح ذلك الكلام صاح وافرحتى قد بلغت منيتى وليس لى
اليوم كسب غيرك لانك من ذرية الملوك وان كنت فى زى صعلوك فلا بد ان اهلك لا يتركونك واذا علموا
مكانك باموالهم يفدونك فادر كافلك يا غلامى وامشى قدامى فقال كان ما كان لا تفعل يا اخا العرب
لان اهلى لا يشترونى بفضة ولا ذهب وانا رجل فقير وماسعى قليل ولا كثير فدع عنك هذه الاخلاق
واتخذنى من الرفاق واخرج بنا من ارض العراق لنجول فى الافاق لعلنا نفوز بالمهر والصداق ونحظى من
بنتى عمنا بالبوس والعناق فلما سمع صباح ذلك غضب وزاد به الالتهاب وقال له ويلك اترادد فى فى الجواب
يا اخس الكلاب ادركافلك والا انزلت عليك العذاب فتبسم كان ما كان وقال كيف ادير الكاف اما عندك
انصاف اما تخشى معايرة العربان حيث تأسر غلاما بالذل والهوان وما اختبرته فى حومة الميدان
وما علمت اهو فارس او جبان فضحك صباح وقال يا لله العجب انك فى سن الغلام ولكنك كبير الكلام لان
هذا القول لا يصدر الا عن البطل المصدام فقال كان ما كان الانصاف انك اذا شئت اخذى اسيرا خادما
لك ان ترمى سلاحك وتخفف لباسك وتصارعنى وكل من صرع صاحبه بلغ منه مرامه وجعله غلامه
فضحك صباح وقال ما اظن كثرة كلامك الا لدنو حمامك ثم رمى سلاحه وشمر اذياله ودنا من كان ما كان
وتجاذبا فوجده البدوى يرجح عليه كما يرجح القنطار على الدينار ونظر الى ثبات رجليه فى الارض
فوجدهما كالماذنتين المؤسستين او الجبلين الراسخين فعرف من نفسه قصر باعه وندم على الدنو من
صراعه وقال فى نفسه ليتنى قاتلته بسلاحى ثم ان كان ما كان قبضه وتمكن منه وهزه فخس ان امعاءه
تقطعت فى بطنه فصاح امسك يدك يا غلام فلم يلتفت الى ما ابداه من الكلام بل حمله من الارض وقصد به
النهر فناداه صباح قائلا يا ايها البطل ما تريد ان تفعل بى قال اريد ان ارميك فى هذا النهر فانه يوصلك

الى الدجلة والدجلة توصلك الى نهر عيسى ونهر عيسى يوصلك الى الفرات والفرات يلقيك الى بلاد لك فيراك قومك فيعرفونك ويعرفون مروءتك وصدق محبتك فصاح صباح ونادى يافارس البطاح لاتفعل فعل القباح اطلقنى بحياة بنت عمك سيدة الملاح فخطه كان ما كان فى الارض فلما رأى نفسه خالصا ذهب الى ترسه وسيفه واخذهما وصار يشاور نفسه على الهجوم عليه فعرف كان ما كان مايشاور نفسه عليه فقال له قد عرفت ما فى قلبك حيث اخذت سيفك وترسك فانه قد خطر ببالك انك ليس لك يد فى الصراع تطول ولو كنت على فرس تجول لكنت بسيفك على تصول وها انا ابلغك ما تختار حتى لا يبقى فى قلبك انكسار فاعطنى الترس واهجم على بسيفك فاما ان تقتلنى واما ان اقتلك فرمى له الترس وجرد سيفه وهجم به على كان ما كان فتناول الترس بيمينه وصار يلاقى به عن نفسه وصار صباح يضربه ويقول له ما بقى الا هذه الضربة الفاضلة فيتلقاها كان ما كان وتروح ضائعة ولم يكن مع كان ما كان شئ يضرب به ولم يزل صباح يضربه بالسيف حتى كلت يده وعرف كان ما كان ضعف قوته وانحلال عزمته فهجم عليه وهزه والقاه فى الارض وكتفه بحمائل سيفه وجره من رجليه الى جهة النهر فقال صباح وما تريد ان تصنع بى يافارس الزمان وبطل الميدان قال الم اقل لك انى ارسلك الى قومك فى النهر حتى لا يشتغل خاطرهم عليك وتتعوق عن عرس بنت عمك فتفجر صباح وبكى وصاح وقال لا تفعل يافارس الزمان واجعلنى لك من بعض الغلمان ثم افاض دمع العين وانشد هذين البيتين

تغربت عن اهلى فيا طول غربتى * ويا ليت شعرى هل اموت غريبا
اموت واهلى ليس تعرف مقتلى * واودى غريبا لا ازور حبيبا

فرحمه كان ما كان واطلقه بعد ان اخذ عليه العهود والمواثيق انه يصحبه فى الطريق ويكون له نعم الرفيق ثم ان صباحا اراد ان يقبل يد كان ما كان فمنعه من تقبيلها ثم قام البدوى الى جرابه وفتحه واخذ منه ثلاث قرصات شعير وحطها قدام كان ما كان وجلس معه على شاطئ النهر واكلا مع بعضهما ثم توضأ وصليا وجلسا يتحدثان فيما القياه من صروف الزمان فقال كان ما كان للبدوى اين تقصد فقال صباح اقصد بغداد بلدك واقيم بها حتى يرزقنى الله بالصداق فقال له دونك والطريق ثم ودعه البدوى وتوجه فى طريق بغداد واقام كان ما كان وقال فى نفسه يانفسى اى وجه للرجوع مع الفقر والفاقة فوالله لا ارجع خائبا ولا بد لى من الفرج ان شاء الله ثم تقدم الى النهر وتوضأ وصلى فلما سجد ووضع جبهته على التراب نادى ربه قائلا اللهم منزل القطر ورازق الدود فى الصخر اسألك ان ترزقنى بقدر تك ولطيف رحمتك ثم سلم من صلاته وضاق به كل مسلك فبينما هو جالس يلتفت يمينا وشمالا واذا بفارس اقبل على جواد وقد انتعد ظهره وارخى عنانه فاستوى كان ما كان جالسا وبعد ساعة وصل اليه الفارس وهو فى اخر نفس لانه كان به جرح بالغ فلما رصل اليه برى دمعة على خده مثل افواه القرب وقال اكان ما كان ياوجه العرب اتخذ فى ما عشت للصدق رفاقا فانك لا تجد مثلى واسقنى قليلا من الماء وان كان شرب الماء لا يصلح للجروح شيئا وقت خروج الروح وان عشت اعطيتك ما يدفع فقرك وان مت فانت المسعود بحسن نيتك وكان تحت الفارس حصان يتحير فى حسنه الانسان ويكل عن وصفه اللسان وله قوائم مثل اعمدة الرخام معد ليوم الحرب والزحام فلما نظر كان ما كان الى ذلك الحصان اخذه الهيام وقال فى نفسه ان مثل هذا الحصان لا يكون فى هذا الزمان ثم انه انزل الفارس ورفق به وجرعه يسيرا من الماء ثم صبر عليه حتى اخذ الراحة واقبل عليه وقال له من الذى فعل بك هذه الفعال فقال الفارس

انا اخبرك بحقيقة الحال انى رجل سلال غيار طول دهرى اسل الخيل واختلسها فى الليل والنهار واسمى غسان آفة كل فرس وحصان وقد سمعت بهذا الحصان فى بلاد الروم عند الملك افريدون وقد سماه بالقاتول ولقبه بالمجنون وقد سافرت الى القسطنطينية من اجله وصرت اراقبه فبينما انا كذلك اذ خرجت عجوز معظمة عند الروم واصر هاعندهم فى الخداع متناهى تسمى شواهى ذات الدواهى ومعها هذا الجواد وصحبتها عشرة عبيد لا غير برسم خدمة ذلك الحصان وهى تقصد بغداد وتريد الدخول على الملك ساسان لتطلب منه الصلح والامان فخرجت فى اثرهم طمعا فى الحصان ومازلت تابعهم ولا امكن من الوصول اليه لان العبيد شداد الحرص عليه الى ان وصلوا الى تلك البلاد وخفت ان يدخلوا مدينة بغداد فبينما انا اشاور نفسى فى سرقة الحصان اذ طلع عليهم غبار حتى سد الاقطار ثم انكشف ذلك الغبار عن خمسين فارسا مجتمعين لقطع الطريق على التجار وريئسهم يقال له كهرداش ولكنه فى الحرب كاسد يجعل الابطال كالفراش وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والاربعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الفارس المجروح قال لضوء المكان فخرج على العجوز ومن معها اكرداش ثم احاط بهم وهاش ونائش فلم تمض ساعة حتى ربط العشرة عبيد والعجوز وتسلم الحصان وسار بهم وهو فرحان فقلت فى نفسى قد ضاع تعبى وما بلغت اربى ثم صبرت حتى انظر ما يؤول اليه الامر فلما رأت العجوز روحها فى الاسر بكت وقالت لكهرداش ايها الفارس الهمام والبطل الضرغام ماذا تصنع بالعجوز والعبيد وقد بلغت من الحصان ما تريد وخادعته بلين الكلام وحلفت انها تسوق له الخيل والانعام فاطلقها هى والعبيد ثم صار هو واصحابه وتبعتهم حتى وصلت الى هذه الديار وانا الاحظه فلما وجدت اليه سبيلا سرقته وركبته واخرجت من مخلاتى سوطا فضربته فلما احسوا بى لحقونى واحاطوا بى من كل مكان ورمونى بالسهام والسنان واما ثبت عليه وهو يقاتل عنى بيديه ورجليه الى ان خرج بى من بينهم مثل النجم الطارق والسهم الراشق ولكن لما اشتد الكفاح اصابنى بعض الجراح وقد مضى لى على ظهره ثلاثة ايام لم استطعم بطعام وقد ضعفت منى القوى وهانت على الدنيا وانت احسنت الى وشفقت على وارانى عارى الجسد ظاهر الكمد ويلوح عليك اثر النعمة فما يقال لك فقال انا يقال لى كان ما كان ابن الملك ضوء المكان ابن الملك عمر النعمان قد مات والدى وربيت يتيما وتولى بعده رجل لئيم وصار ملكا على الحقير والعظيم ثم حدثه بحديثه من اوله الى اخره فقال الرجل السلال وقد رق له انك ذو حسب عظيم وشرف جسيم وليكن لك شأن وتصير افرس هذا الزمان فان قدرت ان تحملنى وتركب وراى وتودينى الى بلادى يكن لك الشرف فى الدنيا والاجر فى يوم التنادى فانه لم يبق لى قوة امسك بها نفسى وان مت فى الطريق فزت بهذا الحصان وانت اولى به من كل انسان فقال له كان ما كان والله لو قدرت ان احملك على اكتافى لفعلت ولو كان عمرى بيدى لاعطيتك نصفه من غير هذا الجواد لانى من اهل المعروف واغاثة الملهوف وفعل الخير لوجه الله تعالى بسد سبعين بابا من البلاء وعزم على ان يحمله على الحصان ويسير متوكلا على اللطيف الخبير فقال له اصبر على قليلا ثم غمض عينيه وفتح يديه وقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وتهيأ للممات وانشد هذه الابيات

ظلمت العباد وطفت البلاد * وامضيت عمرى بشرب الخمور

وخضت السيول لسل الخيول * وهدم الطلول بفعل النكور
وامرى عظيم وجرمى جسيم * وقاتول منى تمام الامور
واملت انى انال المنى * بذاك الحصان فاعيى مسيرى
وطول الحياة اسل الخيول * فكانت وفاتى عند القدير
واخر امرى انى تعبت * لرزق الغريب اليتيم الفقير

فلما فرغ من شعره انخض عينيه وفتح فاه وشهق شهقة ففارق الدنيا فحفر له كان ما كان حفرة ووراه فى التراب ثم مسح وجه الحصان ورأه لا يوجد فى حوزة الملك ساسان ثم اتته الاخبار من التجار بجميع ما جرى فى غيبته بين الملك ساسان والوزير دندان وان الوزير دندان خرج عن طاعة الملك ساسان هو ونصف العسكر وحلفوا انهم ما لهم سلطان الا كان ما كان واستوثق منهم بالايمان ودخل بهم الى جزائر الهند والبربر وبلاد السودان واجتمع معهم عساكر مثل البحر الزاخر لا يعرف لهم اول من آخر وعزم على ان يرجع بجميع الجيوش الى البلاد ويقتل من خالفه من العباد واقسم على انه لا يرد سيف الحرب الى غمده حتى يملك كان ما كان فلما بلغته هذه الاخبار غرق فى بحر الافكار ثم ان الملك ساسان علم ان الدولة انحرفت عليه الكبار والصغار فغرق فى بحر الهموم والاكدار وفتح الخزائن وفرق على ارباب الدولة الاموال والنعم وتمنى ان يقدم عليه كان ما كان ويجذب قلبه اليه بالملاطفة والاحسان ويجعله اميرا على العساكر الذين لم يزالوا تحت طاعته لتقوى به شرارة جمرته ثم ان كان ما كان لما بلغه ذلك الخبر من التجار رجع مسرعا الى بغداد على ظهر ذلك الجواد فبينما الملك ساسان فى ربكته حيران اذ سمع بقدوم كان ما كان فاخرج جميع العساكر ووجهها بغداد لملاقاته فخرج كل من فى بغداد ولاقوه ومشوا قدامه الى القصر ودخلت الطواشية بالاخبار الى امه فجاءت اليه وقبلته بين عينيه فقال يا اماه دعينى امضى الى عمى السلطان ساسان الذى نعمنى بالنعمة والاحسان ثم ان ارباب الدولة تحيروا فى وصف ذلك الحصان وفى وصف صاحبه سيد الفرسان وقالوا للملك ساسان ايها الملك انا ما رأينا مثل هذا الانسان ثم ذهب الملك ساسان اليه وسلم عليه فلما رآه كان ما كان مقبلا عليه قام اليه وقبل يديه ورجليه وقدم اليه الحصان هدية فرحب به وقال اهلا وسهلا بولدى كان ما كان والله لقد ضاقت بى الارض لاجل غيبتك والحمد لله على سلامتك ثم نظر السلطان الى هذا الحصان المسمى بالقاتول فعرف انه الحصان الذى كان رآه سنة كذا وكذا فى حصار عبدة الصلبان مع ابيه ضوء المكان حين قتل عمه شركان وقال له لو قدر عليه ابوك لاشتراه بالف جواد ولكن الان عاد العز الى اهله وقد قبلناه ومنا لك وهنيناه وانت احق به من كل انسان لانك سيد الفرسان ثم امر ان يحضر والكان ما كان خلعة سنية وجملة من الخيل وافرد له فى القصر اكبر الدور واقبل عليه العز والسرور واعطاه مالا جزيلا واكرمه غاية الاكرام لانه كان يخشى عاقبة امر الوزير دندان ففرح بذلك كان ما كان وذهب عنه الذل والهوان ودخل بيته واقبل على امه وقال يا امى ما حال ابنة عمى فقالت والله يا ولدى انه كان عندى من غيبتك ما اشغلنى عن محبوبتك فقال يا امى اذهبى اليها واقبلى عليها لعلها تجود على بنظرة فقالت له ان المطامع تذل اعناق الرجال فدع عنك هذا المقال لئلا يفضى بك الى الوبال فانا لا اذهب اليها ولا ادخل بهذا الكلام عليها فلما سمع من امه ذلك اخبرها بما قاله السلال من ان العجوز ذات الدواهى طرقت البلاد وعزمت على ان تدخل بغداد وقال هى التى قتلت عمى وجدى ولابد ان اكشف العار وآخذ الثار ثم ترك

امه واقبل على عجوز عاهرة محتالة ماكرة فاسمها سعدانة وشكى اليها حاله وما يجده من حب قضى فكان وسألها ان تتوجه اليها وتستعطفها عليه فقالت له العجوز سمعا وطاعة ثم فارقته ومضت الى قصر قضى فكان واستعطفت قلبها عليه ثم رجعت اليه واعلمته بان قضى فكان تسلم عليه ووعدتها انها في نصف الليل تجيء اليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجوز رجعت الى كان ما كان واعلمته بان قضى فكان تسلم عليه ووعدتها انها في نصف الليل تجيء اليه فلما بلغه ذلك الخبر فرح لوعد ابنة عمه قضى فكان فلما جاء نصف الليل اتته بملاءة سوداء من الحرير ودخلت عليه ونبهته من نومه وقالت له كيف تدعي انك تحبني وانت خلي البال نائم على حسن الحال فانتبه وقال والله يا منية القلب اني ما تمت الا طمعا في ان يزورني منك طيف الخيال فعند ذلك عاتبته بلطيف الكلمات وانشدت هذه الابيات

لو كنت تصدق في المحبة ما جفت الى المنام
يا مدعي طرق المحبة في المودة والغرام
والله يا بن السم ما * رقدت عيون المستهام

فاستحى منها كان ما كان وتعانقا وتشاكيا الم الفراق وعظيم الوجد والاشتياق ولم يزالا كذلك الى ان بدت غرة الصباح وطلع الفجر ولاح فبكى كان ما كان بكاء شديدا وصعد الزفرات وانشد هذه الابيات

فيا ناظري من بعد فرط صدوده * وفي الثغر منه الدر في نظم عقده
قبلته القا وعانقت قده * وبت وخدي لاصق تحت خده
الى ان بدا نور الصباح فراعنا * كحد حسام لاح من جوف غمده

فلما فرغ من شعره ودعته قضى فكان ورجعت الى خدرها واظهرت بعض الجواري على سرها فذهبت جارية منهن الى الملك ساسان واعلمته بالخبر فتوجه الى قضى فكان وجرد عليها الحسام واراد ان يضرب عنقها فدخلت عليه امها نزهة الزمان وقالت له بالله لا تفعل بها ضررا فانك ان فعلت بها ضررا يشيع الخبر بين الناس وتبقى معيرة عنده لملوك الزمان ان كان ما كان صاحب عرض ومروءة ولا يفعل امرا يعاب عليه فاصبر ولا تعجل فان اهل القصر وجميع اهل بغداد قد شاع عندهم ان الوزير دندان قاد العساكر من جميع البلدان وجاء بهم ليملكوا كان ما كان فقال لها لابد ان ارميه في بلية بحيث لا ارض تقله ولا سماء تظله وانى ما طيبت خاطره ولا انعمت عليه الا لاجل اهل مملكتي لئلا يميلوا اليه وسوف ترين ما يكون ثم تركها وخرج يدبر امر مملكته هذا ما كان من امر الملك ساسان واما كان من امر كان ما كان فانه اقبل على امه في ثاني يوم وقال لها يا امي اني عزمت على شن الغارات وقطع الطرقات وسوق الخيل والنعم والعبيد والمماليك واذا كثر مالي وحسن حالي خطبت قضى فكان من عمي ساسان فقالت يا ولدي ان اموال الناس غير سائبة لان دونها ضرب الصفاح وطعن الرماح ورجال تقتنص الاسود وتصيد الغهود فقال لها كان ما كان هيهات ان ارجع عن عزيمتي الا اذا بلغت منيتي ثم ارسل العجوز الى قضى فكان ليعلمها انه يريد السير حتى يحصل لها مهرا يصلح لها وقال للعجوز لابد ان تأتيني منها بجواب فقالت له سمعا

وطاعة

وطاعة ثم ذهبت اليها ورجعت له بالجواب وقالت له انها فى نصف الليل تكون عندك فقام مهران الى نصف الليل من قلقه ولم يشعر الا وهى داخلة عليه وتقول له روحى فداك من السهر فنهض لها قائما وقال بامنية القلب روحى فداك من جميع الاسواء ثم اعلمها بما عزم عليه فبكت فقال لا تبكى يا بنت العم فانا اسأل الذى حكم علينا بالفراق ان يمن علينا بالتلاقى والوفاق ثم ان كان ما كان اخذ فى السفر ودخل على امه وودعها ونزل من القصر وتقلد بسيفه وتعمم وتلثم وركب جواده الفارتول ومشى فى شوارع المدينة وهو كالبدر حتى وصل الى باب بغداد واذا برفيقه صباح بن رباح خارج من المدينة فلما رآه جرى فى ركابه وحياه فرد عليه السلام فقال صباح يا اخى كيف صار لك هذا الجواد وهذا المال وانا الان لا املك غير سيفى فقال له كان ما كان ما يرجع الصياد الا بصيد على قدر نيته وبعد فرافنى بساعة حصلت لى السعادة وهل لك ان تأتى معى وتخلص النية فى صحبتى ونسافر فى تلك البرية فقال ورب الكعبة ما بقيت ادعوك الا مولاى ثم جرى قدام الجواد وسيفه على عاتقه وجرابه بين كتفيه ولم يزالا سائرين فى البرارية ايام وهما يأكلان من صيد الغزلان ويشربان من ماء العيون وفى اليوم الخامس اشرفا على تل عال تحته مرابع فيها ابل وغنم وبقر وخيل قد ملأت الروابى والبطاح واولادها الصغار تلعب حول المراح فلما رأى ذلك كان ما كان زادت به الافراح وامتلأ صدره بالانشراح وعول على القتال واخذ النياق والجمال فقال لصباح انزل بنا على هذا المال الذى عن اهله وحيد ونقاتل دونه القريب والبعيد حتى يكون لنا فى اخذه نصيب فقال صباح يا مولاى ان اصحابه خلق كثير وجم غفير وفيهم ابطال من فرسان ورجال وان رمينا ارواحنا فى هذا الخطب الجسيم فاننا نكون من هوله على خطر عظيم ففعلك كان ما كان وعلم انه جبان فتركه وانحدر من الرابية عازما على شن الغارات وترنم بانشاد هذه الابيات

وانا نعمان نحن ذو الهمم ✻ والسادة الضاربون فى القمم
قوم اذا ما الهياج قام لهم ✻ قاموا باسواقه على قدم
تسام عينى الفقير بينهم ✻ ولا يرى قبح صورة العدم
وانى ارتجى معاونة ✻ من مالك الملك بارئ النسم

ثم حمل على ذلك المال مثل الجمل الهائج وساق جميع الابل والبقر والغنم والخيل قدامه فتبادرت اليه العبيد بالسيوف الصقال والرماح الطوال وفى اولهم فارس تركى الا انه شديد الحرب والكفاح عارف باعمال سمر القنا وبيض الصفاح فحمل على كان ما كان وقال له ويلك لو علمت لمن هذا المال ما فعلت هذه الفعال اعلم ان هذه الاموال للعصابة الرومية والفرقة الجركسية الذين ما فيهم الا كل بطل عابس وهم مائة فارس قد خرجوا عن طاعة كل سلطان وقد سرق منهم حصان وحلفوا ان لا يرجعوا من هنا الا به فلما سمع كان ما كان هذا الكلام صاح قائلا هذا هو الحصان الذى تعنون وانتم له طالبون وفى قتالى بسببه راغبون فبارزونى كلكم اجمعون وشأنكم وما تريدون ثم صرخ بين اذنى الفارتول فخرج عليهم مثل الغول وعطف على الفارس وطعنه فاخرج كلاه ومال على ثان وثالث ورابع اعدمهم الحياة فعند ذلك هابته العبيد فقال لهم يا بنى الزوانى سوقوا المال والخيول والا اخضبت من دماكم سنانى فساقوا المال واخذوا فى الانطلاق وانحدر اليه صباح واعلن بالصياح وزادت به الافراح واذ بغبار علا وطار حتى سد الاقطار وبان من تحته مائة فارس مثل الليوث العوابس فلما رأهم صباح فر الى الرابية وترك

البطاح وصار يتفرج على الكفاح وقال ما انا فارس الا فى اللعب والمزاح ثم ان المائة فارس داروا حول كان ما كان واحاطوا به من كل مكان فتقدم اليه فارس منهم وقال له اين تذهب بهذا المال فقال له كان ما كان دونك والقتال واعلم ان من دونه اسد اروع وبطل سميدع وسيف ايغما مال قطع فلما سمع الفارس ذلك الكلام التفت اليه فرأه فارسا كالاسد الضرغام الا ان وجهه كبدر التمام وكان ذلك الفارس رئيس المائة فارس واسمه كهرداش فلما رأى كان ما كان مع كمال فروسيته بديع المحاسن بشبه حسنه حسن معشوقة له يقال لها فاتن وكانت من احسن النساء وجها قد اعطاها الله من الحسن والجمال وكرم الخصال ما يعجز عن وصفه اللسان ويشغل قلب كل انسان وكانت فرسان القوم تخشى سطوتها وابطال ذلك القطر تخاف من هيبتها وحلفت انها لا تتزوج الا من يقهرها وكان كهرداش من جملة خطابها فقالت لابيها ما يقربنى الا من يقهرنى فى الميدان وموقف الحرب والطعان فلما بلغ كهرداش هذا القول اخشى ان يقاتل جاريه وخاف من العار فقال له بعض خواصه انت كامل الخصال فى الحسن والجمال فلو قاتلتها وكانت اقوى منك فانك تغلبها لانها اذا رأت حسنك وجمالك تنهزم قدامك حتى تملكها الان النساء لهن غرض فى الرجال ولا يخفى عنك هذا الحال فابى كهرداش وامتنع من قتالها واستمر على امتناعه من القتال الى ان جرت له مع كان ما كان هذه الافعال فظن انه محبوبته فاتن وقد عشقته لما سمعت بحسنه وشجاعته فتقدم الى كان ما كان وقال ويلك يا فاتن قد اتيت لترينى شجاعتك فانزلى عن جوادك حتى اتحدث معك فانى قد سقت هذه الاموال وقطعت الطريق على الفرسان والابطال كل هذا لحسنك وجمالك الذى ماله مثيل وتزوجينى حتى تخدمك بنات الملوك وتصيرى ملكة هذه الاقطار فلما سمع كان ما كان هذا الكلام صارت نار غيظه فى اضطرام وقال ويلك يا كاب الاجحام دع فاتنا وما به ترتاب وتقدم الى الطعن والضراب فعن قليل تبقى على التراب ثم جال وصال وطاب الحرب والنزال فلما نظر كهرداش اليه علم انه فارس همام وبطل مصدام وتبين له خطأ ظنه حيث لاح له عذار اخضر فوق خده كأس نبت خلال ورد احمر وقال للذين معه ويلكم ليحمل واحد منكم عليه ويظهر له السيف البتار والرمح الخطار واعلموا ان قتال الجماعة للواحد عار ولو كان فى سنان رمحه شعلة نار فعند ذلك حمل عليه فارس تحته جواد ادهم بتحجيل وغرة كالدرهم يحير العقل والناظر كما قال فيه الشاعر

قد جاءك المهر الذى نزل الوغى ✻ جزلان يخلط ارضه بسمائه
وكانما الظلم الصباح جبينه ✻ واقتص منه نخاض فى احشائه

ثم ان ذلك الفارس حمل على كان ما كان وتجاولا فى الحرب برهة من الزمان وتضاربا ضربا يحير الافكار ويعشى الابصار فسبقه كان ما كان بضربة بطل شجاع قطعت منه العمامة والمغفر فمال عن الجواد كانه البعير اذا انحدر وحمل عليه الثانى والثالث والرابع والخامس ففعل بهم كالاول ثم حملت عليه الباقون وقد اشتد بهم القلق وزادت الحرق فما كان الا ساعة حتى التقطهم بسنان رمحه فنظر كهرداش الى هذا الحال فخاف من الارتحال وعرف من نفسه ان عنده ثبات الجنان واعتقد انه اوحد الابطال والفرسان فقال لكان ما كان قد وهبت لك دمك ودم اصحابى فخذ من المال ما شئت واذهب الى حال سبيلك فقد رحمتك لحسن ثبانك والحياة اولى بك فقال له كان ما كان لا عدمت مروءة الكرام ولكن ارحل عنك هذا الكلام وفز بنفسك ولا تخش الملام ولا تطمع نفسك فى رد الغنيمة واسلك النجاة

تفسك طريقة مستقيمة فعند ذلك اشتد بكهرداش الغضب وحصل عنده ما يوجب العطب فقال لكان ما كان ويلك لو عرفت من انا ما نطقت بهذا الكلام فى حومة الزحام فاسأل عنى فانا الاسد البطاش المعروف بكهرداش الذى نهب الملوك الكبار وقطع الطريق على جميع السفار واخذ اموال التجار وهذا الحصان الذى تحتك طلبتى واريدان تعرفنى كيف وصلت اليه حتى استوليت عليه فقال اعلم ان هذا الجواد كان سائرا الى عمى الملك ساسان تحت عجوز كبيرة ولنا عندها ثار من جهة جدى الملك عمر النعمان وعمى الملك شركان فقال كهرداش ويلك ومن ابوك لا ام لك فقال اعلم انى كان ما كان ابن ضنوة المكان ابن عمر النعمان فلما سمع كهرداش هذا الخطاب قال لا يستنكر عليك الكمال والجمع بين الفروسية والجمال ثم قال له توجه بامان فان اباك كان صاحب فضل واحسان فقال له كان ما كان انا والله ما اوقرك يا مهان فاغتاظ البدوى ثم حمل كل منهما على صاحبه فسدت لهما الخيل اذانها ورفعت اذنابها ولم يزالا يصطدمان حتى ظن كل منهما ان السماء قد انشقت ثم بعد ذلك تقاتلا كتكاتش النطاح واختلفت بينهما طعنات الرماح فحاول كهرداش بطعنة فزاغ عنها كان ما كان ثم كر عليه وطعنه فى صدره فاطلع السنان من ظهره وجمع الخيل والاسلاب وصاح فى العبيد دونكم والسوق الشديد فنزل عند ذلك صباح وجاء الى كان ما كان وقال له احسنت يا فارس الزمان انى دعوت لك وقد استجاب ربى دعائى ثم ان صباحا قطع رأس كهرداش فضحك كان ما كان وقال له ويلك يا صباح كنت اظن انك فارس الحرب والكفاح فقال له لا تنس عبدك من هذه الغنيمة لعلى اصل بسببها الى زواج بنت عمى نجمة فقال له لا بد لك فيها من نصيب ولكن كن محافظا على الغنيمة والعبيد ثم ان كان ما كان سار متوجها الى الديار ولم يزل سائرا بالليل والنهار حتى اشرف على مدينة بغداد وعلمت به جميع الاجناد ورؤا ما معه من الغنيمة والاموال ورأس كهرداش على رمح صباح وعرف التجار رأس كهرداش ففرحوا وقالوا لقد اراح الله الخلق منه لانه كان قاطع الطريق وتعجبوا من قتله ودعوا لقاتله واتت اهل بغداد الى كان ما كان بما جرى من الاخبار فهابته جميع الرجال وخافته الفرسان والابطال وساق ما معه الى ان اوصله تحت القصر وركز الرمح الذى عليه رأس كهرداش الى باب القصر ووهب للناس واعطاهم الخيل والجمال فاحبه اهل بغداد ومالت اليه القلوب ثم اقبل على صباح وانزله فى بعض الاماكن الفساح ثم دخل على امه واخبرها بما جرى له فى سفره وقد وصل الى الملك خبره فقام من مجلسه واختلى بخواصه وقال لهم اعلموا انى اريد ان ابوح لكم بسرى وابدى لكم مكنون امرى اعلموا ان كان ما كان هو الذى يكون سببا لانتقالنا عن هذه الاوطان لانه قتل كهرداش مع ان له قبائل من الاكراد والاتراك وامرا معه آيل الى الهلاك واكثر خوفنا من اقاربه وقد علمتم بما فعل الوزير دندان فانه جد معروفى بعد الاحسان وخائن فى الايمان وبلغنى انه جمع عساكر البلدان وقصد ان يسلطن كان ما كان لان السلطنة كانت لابيه وجده ولا شك انه قاتلى بلا محالة فلما سمع خواص مملكته منه هذا الكلام فقالوا له ايها الملك انه اقل من ذلك ولولا اننا علمنا بانه تربيتك لم يقبل عليه منا احد واعلم اننا بين يديك ان شئت قتلناه وان شئت بعده ابعدناه فلما سمع كلامهم قال ان قتله هو الصواب ولكن لا بد من اخذ الميثاق فتحالفوا على انهم لا بد ان يقتلوا كان ما كان فاذا اتى الوزير دندان وسمع بقتله تضعف قوته عما هو عازم عليه فلما اعطوه العهد والميثاق على ذلك اكرمهم غاية الاكرام ثم دخل بيته وقد تفرق عنه الرأساء وامتنعت العساكر من الركوب والنزول حتى يبصروا ما يكون لانهم رأوا غالب العسكر مع الوزير دندان ثم ان ذلك الخبر وصل

الى قفنى فكان لخصل عندها غم زائد وارسلت الى العجوز التى عادتها ان تأتيها من عند ابن عمها بالاخبار فلما حضرت عندها امرتها ان تذهب اليه وتخبره بالخبر فلما وصلت اليه العجوز سلمت عليه ففرح بها واخبرته بالخبر فلما سمع ذلك قال يا بنى بنت عمى سلامى وقولى لها ان الارض لله عز وجل يورثها من يشاء من عباده وما احسن قول القائل

الملك لله من يظفر بفيل منى * يردده قهرا ويضمن عنده الدركا
لو كان لى اولغير قدر انملة * من التراب لكان الامر مشتركا

فرجعت العجوز الى بنت عمه واخبرتها بما قاله وعلمتها بان كان ما كان اقام فى المدينة ثم ان الملك ساسان صار ينتظر خروجه من بغداد ليرسل وراءه من يقتله فاتفق انه خرج الى الصيد والقنص وخرج صباح معه لانه كان لا يفارقه ليلا ولا نهارا فاصطاد عشر غزلات وفيهن غزالة كحلاء العيون صارت تتلفت يمينا وشمالا فاطلقها فقال له صباح لاى شئ اطلقت هذه الغزالة فقتلك كان ما كان واطلق الباقى وقال له ان من المروة اطلاق الغزالات التى لها اولاد وما تتلفت تلك الغزالة الا لان لها اولادا فاطلقتها واطلقت الباقى فى كرامتها فقال له صباح اطلقنى حتى اروح الى اهلى فضحك وضربه بعقب الرمح على قلبه فوقع على الارض يلتوى كالثعبان فبينما هما كذلك واذا بغبرة ثائرة وخيل تركض وبان من تحتها فرسان وشجعان وسبب ذلك ان الملك ساسان اخبره جماعة ان كان ما كان خرج الى الصيد والقنص فارسل اميرا من الديلم يقال له جامع ومعه عشرون فارسا ودفع لهم المال ثم امرهم ان يقتلوا كان ما كان فلما قربوا منه حملوا عليه وحمل عليهم فقتلهم عن آخرهم واذا بالملك ساسان ركب وسار ولحق بالعسكر فوجدهم مقتولين فتعجب ورجع واذا بها اليهم قبضوا عليه وشدوا وثاقه ثم ان كان ما كان توجه بعد ذلك من ذلك المكان وتوجه معه صباح البدوى فبينما هو سائر اذ رأى فى طريقه شابا على باب دار فالتى كان ما كان عليه السلام فرد الشاب عليه السلام ثم دخل الدار وخرج ومعه قصعتان احداهما فيها لبن والثانية فيها ثريد والسمن فى جوانبها يموج ووضع القصعتين قدام كان ما كان وقال له تفضل علينا بالاكل من زادنا فامتنع كان ما كان من الاكل فقال له الشاب مالك ايها الانسان لا تأكل فقال له كان ما كان انه على نذر فقال له الشاب وما سبب نذرك فقال له كان ما كان اعلم ان الملك ساسان غصب ملكى ظلما وعدوانا مع ان ذلك الملك كان لابى وجدى من قبلى فاستولى عليه قهرا بعد موت ابى ولم يعتبر فى اصغر سنى فنذرت انى لا اكل لاحد زادا حتى اشفى فؤادى من غريمى فقال له الشاب ابشر فقد وفى الله نذرك واعلم انه مسجون فى مكان واظنه ان يموت قريبا فقال له كان ما كان فى اى بيت هو معتقل فقال له فى تلك القبة العالية فنظر كان ما كان لى قبة عالية ورأى الناس فى تلك القبة يدخلون وعلى ساسان يلطمون وهو يتجرع غصص المنون فقام كان ما كان ومشى حتى وصل الى تلك القبة وعاين ما فيها ثم عاد الى موضعه وقعد على الاكل واكل ما تيسر ووضع ما بقى من اللحم فى مزوده ثم جلس فى مكانه ولم يزل جالسا الى ان اظلم الليل ونام الشاب الذى ضيفه ثم ذهب كان ما كان الى القبة التى فيها ساسان وكان حولها كلاب يحرسونها فوثب له كلب من الكلاب فرمى له قطعة لحم من الذى فى مزوده ومازال يرمى للكلاب لحما حتى وصل الى القبة وتوصل الى ان صار عند الملك ساسان ووضع يده على رأسه فقال له بصوت عال من انت فقال انا كان ما كان الذى سعيت فى قتله فاوقعك الله فى سوء تدبيرك اما يكفيك اخذ ملكى وملك ابى وجدى حتى تسعى فى قتلى فخلف ساسان الايمان الباطلة انه لم يسع فى قتله

وان هذا الكلام غير صحيح فصفح عنه كان ما كان وقال له اسعى فقال لا اقدر ان الخطو خطوة واحدة لضعف قوتى فقال كان ما كان اذا كان الامر كذلك فأخذ لنا فرسين وتركب انا وانت ونطلب البر ثم فعل كما قال وركب هو وساسان وسارا الى الصباح ثم صلوا الصبح وصاروا لم يرالوا كذلك حتى وصلوا الى بستان فجلسوا فيه يتحدثون ثم قام كان ما كان الى ساسان وقال له هل بقى فى قلبك منى امر تكرهه قال ساسان لا والله ثم اتفقوا على انهم يرجعون الى بغداد فقال صباح البدوى انا اسبقكما لابشر الناس فسبق يبشر النساء والرجال فخرجت اليه الناس بالدفوف والمزامير وبرزت قضى فكان وهى مثل البدر بهى الانوار فى دياجى الاعتكار فقابلها كان ما كان وحنت الارواح للارواح واشتاقت الاشباح للاشباح ولم يبق لاهل العصر حديث الا فى كان ما كان وشهد له الفرسان انه اشجع اهل الزمان وقالوا لا يصلح ان يكون سلطانا علينا الا كان ما كان ويعود اليه ملك جده كما كان واما ساسان فانه دخل على نزهة الزمان فقالت له انى ارى الناس ليس لهم حديث الا فى كان ما كان ويصفونه باوصاف يعجز عنها اللسان فقال لها ليس الخبر كالعيان فانى رأيته ولم ار فيه صفة من صفات الكمال وما كل ما يسمع يقال ولكن الناس يقلد بعضهم بعضا فى مدحه ومحبته واجرى الله على السنة الناس مدحه حتى مالت اليه قلوب اهل بغداد والوزير دندان العادر والخوان وقد جمع له عساكر من سائر البلاد فمن الذى يكون صاحب الاقطار ويرضى ان يكون تحت يد حاكم يقيم ماله مقدار فقالت له نزهة الزمان وعلى ماذا عولت فقال لها عولت على قتله ويرجع الوزير دندان خائبا فى قصده ويدخل تحت امرى وطاعتى ولا يبقى له الا خدمتى فقالت له نزهة الزمان ان الغدر قبيح بالاجانب فكيف بالاقارب والصواب ان تزوجه ابنتك قضى فكان وتسمع ما قيل فيما مضى من الزمان

اذا رفع الزمان عليك شخصا * وكنت احق منه ولو تصاعد
انله حق رتبته تجده * بذيلك ان دنوت وان تباعد
ولا تقل الذى تدريه فيه * تكن ممن عن الحسنى تقاعد
فكم فى الخدر ابهى من عروس * ولكن للعروس الدهر ساعد

فلما سمع ساسان منها هذا الكلام وفهم الشعر والنظام قام مغضبا من عندها وقال لولا انى اعرف انك عجوز لعلوت بالسيف رأسك واخذت انفاسك فقالت حيث غضبت منى فانا امزح معك ثم وثبت اليه وقبلت رأسه ويديه وقالت له الصواب ما تراه وسوف اتدبر انا وانت فى حيلة نقتله بها فلما سمع منها هذا الكلام فرح وقال لها عجلى بالحيلة وفرجى كربتى فلقد ضاق على باب الحيل فقالت له سوف اتحيل لك على اتلاف مهجته فقال لها باى شئ فقالت له بجارية تنا التى اسمها بأكون فانها فى المكر ذات فنون وكانت هذه الجارية من انحس البهائم وعدم الخبث فى مذهبها غير جائز وكانت قد ربت كان ما كان وقضى فكان غير ان كان ما كان يميل اليها كثيرا ومن فرط ميله اليها كان ينام تحت رجليها فلما سمع الملك ساسان من زوجته هذا الكلام قال ان هذا الرأى هو الصواب ثم احضر الجارية بأكون وحدثها بما جرى وامرها ان تسعى فى قتله ووعدها بكل جميل فقالت له امرك مطاع ولكن اريد يا مولاى ان تعطنى خنجرا قد سقى بماء الهلاك لاعجل لك باتلافه فقال لها ساسان مرحبا بك ثم احضر لها خنجرا يكاد ان يسبق القضاء وكانت هذه الجارية قد سمعت الحكايات والاشعار وتحفظ النوادر والاخبار فاخذت الخنجر وخرجت من الديار مفكرة فيما يكون به الدمار وانت الى كان ما كان وهو قاعد ينتظرا

وعد السيدة قضى فكان وكان فى تلك الليلة قد تذكرت عمه قضى فكان فالتهبت من حبها فى قلبه النيران فبينما هو كذلك واذا بالجارية باكون داخلة عليه وهى تقول آن اوان الوصال ومضت ايام الانفصال فلما سمع ذلك قال لها كيف حال قضى فكان فقالت له باكون اعلم انها مشتغلة بحبك فعند ذلك قام كان ما كان اليها وخلع اثوابه عليها ووعدها بكل جميل فقالت له اعلم انى انام عندك الليلة واحدثك بما سمعت من الكلام واسليك بحديث كل متيم امرضه الغرام فقال لها كان ما كان حدثينى بحديث يفرح به قلبى ويزول به كربى فقالت له باكون حبا وكرامة ثم جلست الى جانبه وذلك الخنجر من داخل اثوابها فقالت له اعلم ان اعذب ما سمعت اذنى ان رجلا كان يعشق الملاح وصرف عليهن ماله حتى افتقر وصار لا يملك شيأ فضاقت عليه الدنيا فصار يمشى فى الاسواق ويفتش على شئ يقتات به فبينما هو ماش واذا بقطعة مسمار شكته فى اصبعه فسال دمه فقعد ومسح الدم وعصب اصبعه ثم قام وهو يصرخ حتى جاز على الحمام ودخلها ثم قلع ثيابه فلما صار داخل الحمام وجدها نظيفة فجلس على الفسقية ومازال ينزح الماء على رأسه الى ان تعب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه جلس على الفسقية ومازال ينزح الماء على رأسه الى ان تعب فخرج الى الحوض البارد فلم يجد احدا فاختلى بنفسه وطلع قطعة حشيش وبلعها فساحت فى مخه فانقلب على الرخام وخيل له الحشيش ان مهتارا كبيرا يكبسه وعبدين واقفان على رأسه واحد معه الطاسة والاخر معه الة الحمام وما يحتاج اليه البلان فلما رأى ذلك قال فى نفسه كان هؤلاء غلطوا فى اومن طائفتنا الحشاشين ثم انه مد رجليه فتخيل له ان البلان قال له ياسيدى قد ازف الوقت على طلوعك واليوم نوبتك فضحك وقال فى نفسه ماشاء الله ياحشيش ثم قعد وهو ساكت فقام البلان واخذ بيده وادار على وسطه ميزرا من الحرير الاسود ومشى العبدان وراءه بالطاسات والحوايج ولم يزالوا به حتى ادخلوه الخلوة واطلقوا فيها البخور فوجدها ملانة من سائر الفواكه والمشموم وشقوا له بطيخة واجلسوه على كرسى من الابنوس ووقف البلان يغسله والعبدان يصبان الماء ثم دلكوه دلكا جيدا وقالوا له يا مولانا الصاحب نعيم دائم ثم خرجوا وردوا عليه الباب فلما تخيل ذلك قام ورفع الميزر من وسطه وصار يضحك الى ان غشى عليه واستمر ساعة يضحك ثم قال فى نفسه ما بالهم يخاطبونى خطاب الوزير ويقولون يا مولانا الصاحب ولعل الامر التبس عليهم فى هذه الساعة وبعد ذلك يعرفونى ويقولون هذا زليط ويشبعون صكا فى رقبتى ثم انه استحى وفتح الباب فتخيل ان مملوكا صغيرا وطواشيا قد دخلا عليه فالمملوك معه بقجة ففتحها واخرج منها ثلاث فوط من الحرير فرمى الاولى على رأسه والاخرى على اكتافه وحزمه بالثالثة وقدم له الطواشى قبقابا فلبسه واقبلت عليه مماليك وطواشية وصاروا يسندونه وكل ذلك حصل وهو يضحك الى ان خرج وطلع الليوان فوجد فرشا عظيما لا يصلح الا للملوك وتبادرت اليه الغلمان واجلسوه على المرتبة وصاروا يكبسونه حتى غلب عليه النوم فلما نام رأى فى حضنه صبية فباسها ووضعها بين فخذيه وجلس منها مجلس الرجل من المرأة وقبض ذكره بيده وضمها عنده وعصرها تحته واذا بواحد يقول له انتبه يا زليط قد جاء الظهر وانت نائم ففتح عينه فوجد روحه على الحوض البارد وحوله جماعة يضحكون عليه وايره

قائم والفوطة انحلت من وسطه وتبين له ان كل هذا اصغاث احلام وتخيلات حشيش فاغتم
ونظر الى الذى نبهه وقال كنت اصبر حتى احطه فقال له الناس اما تستحى يا حشاش وانت نائم
وذكر له قائم وصكوه حتى احمرت قفاه وهو جيعان وقد ذاق طعم السعادة وهو فى المنام فلما سمع
ما كان من الجارية هذا الكلام ضحك حتى استلقى على قفاه وقال لها كون يادادتى ان هذا حديث عجيب
فانى ما سمعت مثل هذه الحكاية فهل عندك غيرها فقالت له نعم ثم ان الجارية باكون لم تزل
تحدث كان ما كان بمخارق حكايات ونوادر مضحكات حتى غلب عليه النوم ولم تزل تلك الجارية
جالسة عند رأسه حتى مضى غالب الليل فقالت فى نفسها هذا وقت انتهاز الفرصة ثم نهضت
وسلت الخنجر ووثبت على كان ما كان وارادت ذبحه واذا بام كان ما كان دخلت عليهما فلما رأتها باكون
قامت لها واستقبلتها ثم لحقها الخوف فصارت تنتفض كانها اخذتها الحمى فلما رأتها ام كان ما كان
تهيبت ونبهت ولدها من النوم فلما استيقظ وجد امه جالسة فوق رأسه وكان السبب فى حياته
مجيئها وسبب مجيئها اليه ان قضى فكان سمعت الحديث والاتفاق على قتله فقالت لامه يا زوجة عمى
الحق ولدك قبل ان تقتله العاهرة باكون واخبرتها بما جرى من اوله الى آخره فخرجت وهى لا تفعل شيأ
حتى دخلت فى الساعة التى نام فيها وهمت باكون عليه تريد ذبحه فلما استيقظ قال لامه لقد جئت يا امى
فى وقت طيب ودادتى باكون حاضرة عندى فى تلك الليلة ثم انه التفت الى باكون وقال لها بحياتى عليك
هل تعرفين حكاية احسن من الحكايات التى حدثتنى بها فقالت له الجارية واين ما حدثتك به سابقا
مما احدثك به الان فانه اعذب واغرب ولكن احكيه لك فى غير هذا الوقت ثم قامت باكون وهى لا تصدق
بالنجاة فقال لها مع السلامة وفهمت بمكرها ان امه عندها خبر بما حصل فذهبت الى حالها فعند ذلك
قالت له والدته يا ولدى هذه ليلة مباركة حيث نجاك الله تعالى من هذه الملعونة فقال لها وكيف ذلك
فاخبرته بالامر من اوله الى آخره فقال لها يا والدتى ان الحمى مالها قاتل وان قتل لا يموت ولكن الاحوط
لنا ان نرحل من عند هؤلاء الاعداء والله يفعل ما يريد فلما اصبح الصباح خرج كان ما كان من المدينة
واجتمع بالوزير دندان وبعد خروجه حصلت امور بين الملك ساسان ونزهة الزمان اوجبت خروج نزهة
الزمان ايضا من المدينة فاجتمعت بهم واجتمع عليهم جميع ارباب دولة الملك ساسان الذين يميلون اليهم
فجلسوا يدبرون الحيلة فاجمع رأيهم على غزو ملك الروم واخذ الثار ثم توجهوا الى غزو الروم ووقعوا فى اسر
الملك رومزان ملك الروم بعد امور يطول شرحها كما يظهر من السياق فلما اصبح الصباح امر الملك رومزان
ان يحضر كان ما كان والوزير دندان وجماعتهما فحضروا بين يديه واجلسهم بجانبه وامر باحضار الموائد
فاحضرت فاكلوا وشربوا واطمأنوا بعد ان ايقنوا بالموت لما امر باحضارهم وقالوا لبعضهم انه ما ارسل
الينا الا لانه يريد قتلنا وبعد ان اطمأنوا قال لهم الملك انى رأيت منامًا وقصصته على الرهبان فقالوا
ما يفسره لك الا الوزير دندان فقال له الوزير خيرا رأيت يا ملك الزمان فقال له ايها الوزير رأيت انى فى حفرة
على صفة بئر اسود وكان اقواما يعذبونى فاردت القيام فلما نهضت وقعت على اقدامى وما قدرت على
الخروج من تلك الحفرة ثم التفت فرأيت فيها منطقة من ذهب فمددت يدى لاخذها فلما رفعتها من
الارض رأيتها منطقتين فشددت وسطى بهما فاذا هما قد صارتا منطقة واحدة وهذا ايها الوزير منامى
والذى رأيته فى لذيذ احلامى فقال له الوزير دندان اعلم يا مولانا السلطان ان رؤيا لك تدل على ان لك اخا او ابن
اخ او ابن عم او احدا يكون من اهلك من دمك ولحمك وعلى كل حال هو من العصب فلما سمع الملك هذا

الكلام نظر الى كان ما كان ونزهة الزمان وقضى فكان والوزير دندان ومن معهم من الاسارى وقال
فى نفسه اذا رميت رقاب هؤلاء انقطعت قلوب عسكرهم بهلاك اصحابهم ورجعت الى بلادى عن قريب
لئلا يخرج الملك من يدى ولما صمم على ذلك استدعى بالسياف وامره ان يضرب رقبة كان ما كان
من وقته وساعته واذا بداية الملك قد اقبلت فى تلك الساعة فقالت له ايها الملك السعيد على ماذا عولت
فقال لها عولت على قتل هؤلاء الاسارى الذين فى قبضتى وبعد ذلك ارمى رؤسهم الى اصحابهم ثم احمل
انا واصحابى عليهم جملة واحدة فنقتل الذى نقتله ونهزم الباقى وتكون هذه وقعة الانفصال وارجع الى
بلادى عن قريب قبل ان يحدث بعد الامور امور فى مملكتى فعندما سمعت منه دايته هذا الكلام اقبلت
عليه وقالت له بلسان الافرنج كيف يطيب عليك ان تقتل ابن اختك واختك وابنة اختك فلما سمع الملك من
دايته هذا الكلام اغتاظ غيظا شديدا وقال لها يا ملعونة الم تعلمى ان امى قد قتلت وان ابى قد مات مسموما
واعطيتنى خرزة وقلت لى ان هذه الخرزة كانت لابيك فلم لا تصدقينى فى الحديث فقالت له كل
ما اخبرتك به صدق ولكن شأنى وشأنك عجيب وامرى وامرك غريب فانى انا اسمى مرجانة واسم امك
ابريزة وكانت ذات حسن وجمال وشجاعتها تضرب بها الامثال واشتهرت بالشجاعة بين الابطال
واما ابوك فانه الملك عمر النعمان صاحب بغداد وخراسان من غير شك ولا ريب ولا رجم غيب وكان قد
ارسل ولده شركان الى بعض غزواته صحبة هذا الوزير دندان وكان منهم الذى قد كان وكان اخوك الملك
شركان تقدم على الجيوش وانفرد وحده عن عسكره فوقع عند امك الملكة ابريزة فى قصرها ونزلنا
واياها فى خلوة للصراع فصادفنا ونحن على تلك الحالة فتصارع مع امك وغلبته لباهر حسنها
وشجاعتها ثم استضافته امك مدة خمسة ايام فى قصرها فبلغ ابالذلك الخبر من العبوز شواهى
الملقبة بذات الدواهى وكانت امك قد اسلمت على يد شركان اخيك فاخذها وتوجه بها الى مدينة بغداد
سرا وكنت انا وريحانة وعشرون جارية معها وكنا قد اسلمنا كلنا على يد الملك شركان فلما دخلنا على
ابيك الملك عمر النعمان ورأى امك الملكة ابريزة وقع فى قلبه محبتها فدخل عليها ليلة واختلى بها
فحملت بك وكان مع امك ثلاث خرزات فاعطتهم لابيك فاعطى خرزة لابنته نزهة الزمان واعطى الثانية
لاخيك ضوء المكان واعطى الثالثة لاخيك الملك شركان فاخذتها منه الملكة ابريزة وحفظتها لك
فلما قربت ولادتها اشتاقت امك الى اهلها واطلعتنى على سرها فاجتمعت بعبد اسود يقال له الغضبان
واخبرته بالخبر سرا ورغبته فى ان يسافر معنا فاخذنا العبد وطلع بنا من المدينة وهرب بنا وكانت امك
قد قربت ولادتها فلما دخلنا على اوائل بلادنا فى مكان منقطع اخذ امك الطلق بولادتك فحدث
العبد نفسه بالخنا فانى امك فلما قرب منها راودها عن الفاحشة فصرخت عليه صرخة عظيمة
وانزعجت منه فمن عظم انزعاجها وضعتك حالا وكان فى تلك الساعة قد طلع علينا فى البر من ناحية
بلادنا غبار قد علا وطار حتى سد الاقطار فخشى العبد على نفسه الهلاك فضرب الملكة ابريزة بسيفه
فقتلها من شدة غيظه وركب جواده وتوجه الى حال سبيله وبعد ما راح العبد انكشف الغبار عن
جدك الملك حردوب ملك الروم فرأى امك ابنته وهى فى ذلك المكان قتيلة وعلى الارض جديلة فصعب
ذلك عليه وكبر لديه وسألنى عن سبب قتلها وعن سبب خروجها خفية من بلادها فحكيت له جميع ذلك
من الاول الى الاخر وهذا هو سبب العداوة بين اهل بلاد الروم وبين اهل بلاد بغداد فعند ذلك احتملنا امك
وهى قتيلة ودفناها فى قصرها وقد احتملتك انا وريحانة وعلقت لك الخرزة التى كانت مع امك الملكة

ابريزة ولما كبرت وبلغت مبلغ الرجال لم يمكنى ان اخبرك بحقيقة الامر لانى لو اخبرتك بذلك لثارت بينكم
الحروب وقد امرنى فى جدك بالكتمان ولا قدرة لى على مخالفة امر جدك الملك حردوب ملك الروم فهذا
سبب كتمان الخبر عنك وعدم اعلامك بان اباك الملك عمر النعمان فلما استقليت بالمملكة اخبرتك
وما امكننى ان اعلمك الا فى هذا الوقت يا ملك الزمان وقد كشفت لك السر والبرهان وهذا ما عندى من الخبر
وانت برأيك اخبر وكان الاسارى قد سمعوا من الجارية مرجانة داية الملك هذا الكلام جميعه فصاحت
نزهة الزمان من وقتها وساعتها صيحة عظيمة وقالت هذا الملك رومزان اخى من ابى عمر النعمان وامه
الملكة ابريزة بنت الملك حردوب ملك الروم وانا اعرف هذه الجارية مرجانة حق المعرفة فلما سمع الملك
رومزان هذا الكلام اخذته الحدة وصار متحيرا فى امره واحضر من وقته وساعته نزهة الزمان بين
يديه فلما رآها حن الدم للدم واستخبرها عن قصته فحكت له القصة فوافق كلامها كلام داية مرجانة
فصح عند الملك انه من اهل العراق من غير شك ولا ارتياب وان اباه الملك عمر النعمان فقام من تلك
الساعة وحل كتاف اخته نزهة الزمان فتقدمت اليه وقبلت يديه ودمعت عيناها فبكى الملك لبكائها
واخذته حمية الاخوة ومال قلبه الى ابن اخته السلطان كان ما كان وقام ناهضا على قدميه واخذ
السيف من يد السياف فايقن الاسارى بالهلاك لما رأوا منه ذلك فامر باحضارهم بين يديه وفك وثاقهم
وقال لداية مرجانة اشرحى حديثك الذى شرحته لى لهؤلاء الجماعة فقالت داية مرجانة اعلم ايها
الملك ان هذا الشيخ هو الوزير دندان وهو لى اكبر شاهد لانه يعرف حقيقة الامر ثم انها اقبلت عليهم
من وقتها وساعتها وعلى من حضرهم من مماليك الروم ومماليك الافرنج وحدثتهم بذلك الحديث والملكة
نزهة الزمان والوزير دندان ومن معهما من الاسارى يصدقونها على ذلك وفى آخر الحديث لاحت من
الجارية مرجانة التفاتة فرأت الخرزة الثالثة بعينها رفيقة الخرزتين اللتين كانتا مع الملكة ابريزة
فى رقبة السلطان كان ما كان فعرفتها فصاحت صيحة عظيمة دوى لها الفضاء وقالت للملك يا ولدى
اعلم انه قد زاد فى تلك الساعة صدق يقينى لان هذه الخرزة التى فى رقبة هذا الاسير نظير الخرزة التى وضعتها
فى عنقك وهى رفيقتها وهذا الاسير هو ابن اخيك وهو كان ما كان ثم ان الجارية مرجانة التفتت الى
كان ما كان وقالت له ارنى هذه الخرزة يا ملك الزمان فنزعها من عنقه وناولها للملك الجارية داية الملك
رومزان فاخذتها منه ثم سألت نزهة الزمان عن الخرزة الثالثة فاعطتها لها فلما صارا الخرزتان
فى يد الجارية ناولتهما للملك رومزان فظهر له الحق والبرهان وتحقق انه عم السلطان كان ما كان وان اباه
الملك عمر النعمان فقام من وقته وساعته الى الوزير دندان وعانقه ثم عانق الملك كان ما كان وعلا الصياح
بكثرة الافراح وفى تلك الساعة انتشرت البشائر ودقت الكاسات والطبول وزمرت الزمور وزادت
الافراح وسمع عساكر العراق والشام ضجيج الروم بالافراح فركبوا عن آخرهم وركب الملك الزبلكان
وقال فى نفسه يا ترى ما سبب هذا الصياح والسرور الذى فى عسكر الافرنج والروم واما عسكر العراق
فانهم قد اقبلوا وعلى القتال عولوا وصاروا فى الميدان ومقام الحرب والطعان فالتفت الملك رومزان
فرأى العساكر مقبلين والحرب متهيئين فسأل عن سبب ذلك فاخبروه بالخبر فامر فقضى فكان ابنة
اخيه شر كان ان تسير من وقتها وساعتها الى عسكر الشام والعراق وتعلمهم بحصول الاتفاق وان
الملك رومزان ظهر انه عم السلطان كان ما كان فسارت قضى فكان بنفسها ونفت عنها الشرور
والاحزان حتى وصلت الى الملك الزبلكان وسلمت عليه واعلمته بما جرى من الاتفاق وان الملك رومزان

ظهر انه عمها وعم كان ما كان وحين اقبلت عليه وجدته باكي العين خائفا على الاحراح والاعيان فشرحت
له القصة من اولها الى اخرها فزادت افراحهم وزالت اتراحهم وركب الملك الزبلكان هو وجميع الاكابر
والاعيان وسارت قدامهم الملكة قضى فكان حتى اوصلتهم الى سرادق الملك رومزان فلما دخلوا عليه
وجدوه جالسا مع ابن اخيه السلطان كان ما كان وقد استشاره هو والوزير دندان في امر الملك الزبلكان
فاتفقوا على انهم يسلمون اليه مدينة دمشق الشام ويتركونه ملكا عليها كما كان مثل العادة وهم يدخلون
الى العراق فجعلوا الملك الزبلكان عاملا على دمشق الشام ثم امروه بالتوجه اليها فتوجه بعساكره
اليها ومشوا معه ساعة لاجل الوداع وبعد ذلك رجعوا الى مكانهم ثم نادوا في العسكر بالرحيل الى بلاد
العراق واجتمع العسكران مع بعضهم ثم ان الملوك قالوا لبعضهم ما بقيت قلوبنا تستريح ولا يشفى غيظنا
الا باخذ الثار وكشف العار والانتقام من الجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي فعند ذلك سار الملك
رومزان مع خواصه وارباب دولته وفرح السلطان كان ما كان بعمه الملك رومزان ودعا للبعارية مرجانة
حيث عرفتهم ببعضهم ثم ساروا ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى ارضهم فسمع بهم الحاجب الكبير باسان
فطلع وقبل يد الملك رومزان فخلع عليه ثم ان الملك رومزان جلس واجلس ابن اخيه السلطان كان ما كان
الى جانبه فقال كان ما كان الى عمه الملك رومزان ياعم ما يصلح هذا الملك الا لك فقال له معاذ الله
ان اعارضك في ملكك فعند ذلك اشار عليهما الوزير دندان ان يكون الاثنان في الملك سواء وكل واحد
يحكم يوما فارتضيا بذلك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انهما اتفقا على ان كل واحد يحكم يوما ثم اولموا الولائم وذبحوا الذبايح
وزادت بهم الافراح واقاموا على ذلك مدة من الزمان كل ذلك والسلطان كان ما كان يقطع ليله مع بنت
عمه قضى فكان وبعد تلك المدة بينما هم قاعدون فرحانون بهذا الامر وانصلاح الشأن اذ ظهر لهم
غبار قد علا وطار حتى دار الاقطار وقد اتى اليهم من التجار صارخ يستغيث وهو يصيح ويقول يا ملوك
الزمان كيف اسلم في بلاد الكفر وانهب في بلادكم وهي بلاد العدل والامان فاقبل عليه الملك رومزان وسأله
عن حاله فقال له انا تاجر من التجار ولي غائب عن الاوطان مدة مديدة من الزمان واستغرقت في البلاد
نحو عشرين سنة من الاعوام وان معي كتابا من مدينة دمشق كان قد كتبه لي المرحوم الملك
شركان وسبب ذلك انني كنت قد اهديت اليه جارية فلما قربت من تلك البلاد وكان معي مائة حمل من تحف
الهند واتيت بها الى بغداد التي هي حرمكم ومحل امنكم وعدلكم فخرجت علينا عربان ومعهم اكراد
مجتمعة من جميع البلاد فقتلوا رجالي ونهبوا اموالي وهذا شرح حالي ثم ان التاجر بكى بين يدي الملك رومزان
وحوقل واشتكى فرحمه الملك ورق اليه وكذلك رحمه ابن اخيه الملك كان ما كان وحلفوا انهم يخرجون
اليهم فخرجوا اليهم نحو مائة فارس كل فارس منهم يعد بين الرجال بالوف وذلك التاجر سار امامهم يدلهم على
الطريق ولم يزالوا سائرين ذلك النهار وطول الليل الى السحر حتى اشرفوا على واد غزير الانهار كثير
الاشجار فوجدوا القوم قد تفرقوا في ذلك الوادي وقسموا بينهم احمال ذلك التاجر وبقي البعض فاطبق
عليهم المائة فارس واحاطوا بهم من كل مكان وصاح عليهم الملك رومزان هو وابن اخيه كان ما كان فما كان
غير ساعة حتى اسروا الجميع وكانوا نحو ثلاثمائة فارس مجتمعين من اوباش العربان فلما اسروهم اخذوا

ما معهم من مال التاجر وشدوا وثاقهم وطلعوا بهم الى مدينة بغداد فعند ذلك جلس الملك رومزان هو
وابن اخيه الملك كان ما كان على تخت واحد مع بعضهما ثم عرضوا الجميع بين ايديهما وسألاهم عن حالهم
وعن بكارهم فقالوا ما لنا بكار غير ثلاثة اشخاص وهم الذين جمعونا من سائر النواحي والاقطار فقالا لهم
ميزوهم لنا باعيانهم فميزوهم لهما فامر اباالقبض عليهم واطلاق بقية اصحابهم بعد اخذ جميع ما معهم
من الاموال وتسليمه للتاجر فتفقد التاجر ماشه وماله فوجده قد هلك ربعه فوعدوا نهم يعوضون له جميع
ما ضاع منه فعند ذلك اخرج التاجر كتابين احدهما بخط شركان والاخر بخط نزهة الزمان وقد كان
التاجر اشترى نزهة الزمان من البدوي وهي بكر وقدمها لاخيها شركان وجرى بينها وبين اخيها ما جرى
ثم ان الملك كان ما كان وقف على الكتابين وعرف خط عمه شركان وسمع حكاية عمته نزهة الزمان
فدخل عليها بذلك الكتاب الثاني الذي كانت كتبته للتاجر الذي ضاع منه المال واخبرها كان ما كان
بقصة التاجر من اولها الى آخرها فعرفته نزهة الزمان وعرفت خطها واخرجت للتاجر الضيافات
ووصت عليه اخاها الملك رومزان وابن اخيها الملك كان ما كان فامرا له باموال وعبيد وغلمان من اجل
خدمته وارسلت اليه نزهة الزمان مائة الف درهم من المال وخمسين حملا من البضائع وقد اتحفته
بهدايا وارسلت اليه تطلبه فلما حضر طلعت له وسلمت عليه واعلمته انها بنت الملك عمر النعمان وان اخاها
الملك رومزان وان ابن اخيها الملك كان ما كان ففرح التاجر بذلك فرحا شديدا وهنأها بسلامتها واجتماعها
باخيها وابن اخيها وقبل يد[ا] وشكرها على فعلها وقال لها والله ما ضاع الجميل معك ثم دخلت الى
خدرها واقام التاجر عندهم ثلاثة ايام ثم ودعهم ورحل الى بلاد الشام وبعد ذلك احضر الملوك
الثلاثة اشخاص اللصوص الذين كانوا رؤساء قطاع الطريق وسألوهم عن حالهم فتقدم واحد منهم
وقال اعلموا اني رجل بدوي اقف في الطريق لاخطف الصغار والبنات الابكار وابيعهم للتجار ودمت
على ذلك مدة من الزمان الى هذه الايام واغراني الشيطان فاتفقت مع هذين الشقيين على جمع الاوباش
من الاعراب والبلدان لاجل نهب الاموال وقطع الطريق على التجار فقالوا له احلف لنا على اعجب ما رأيت
في خطفك الصغار والبنات فقال لهم اعجب ما جرى لي يا ملوك الزمان اني من مدة اثنتين وعشرين سنة
خطفت بنتا من بنات بيت المقدس ذات يوم من الايام وكانت تلك البنت ذات حسن وجمال غير انها
كانت خدامة وعليها اثواب خلقه وعلى رأسها قطعة عباءة فرأيتها قد خرجت من الخان فخطفتها
بحيلة في تلك الساعة وحملتها على جمل وسبقت بها وكان في املي اني اذهب بها الى اهلي في البرية واجعلها
عندي ترعى الجمال وتجمع البعر من الوادي فبكت بكاء شديدا فدنوت منها وضربتها ضربا وجيعا
واخذتها وسرت بها الى مدينة دمشق فرأها معي تاجر فتصير عقله لما رأها واعجبته فصاحتها واراد
اشتراءها مني ولم يزل يزيدني في ثمنها حتى بعتها له بمائة الف درهم فعندما اعطيتها له رأيت منها
فصاحة عظيمة وبلغني ان التاجر كساها كسوة ملجمة وقدمها الى الملك صاحب دمشق فاعطاه
قدر المبلغ الذي دفعه الى مرتين وهذا يا ملوك الزمان اعجب ما جرى لي واعمى ان ذلك الثمن قليل في تلك
البنت فلما سمع الملوك هذه الحكاية تعجبوا ولما سمعت نزهة الزمان من البدوي ما حكاه صار الضياء
في وجهها ظلاما وصاحت وقالت لاخيها رومزان ان هذا البدوي الذي كان خطفني من بيت المقدس
بعينه من غير شك ثم ان نزهة الزمان حكت لهم جميع ما جرى لها معه في غربتها من الشدائد والضرب
والجوع والذل والهوان ثم قالت لهم الان حل لي قتله ثم جذبت السيف وقامت الى البدوي لتقتله

واذا هو صاح وقال يا ملوك الزمان لا تدعوها تقتلني حتى احكي لكم ما جرى لي من العجائب فقال لها ابن اخيها كان ما كان يا عمتي دعيه يحكي لنا حكايته وبعد ذلك فافعلي ما تريدين فرجعت عنه فقال له الملوك الان احك لنا حكايتك فقال يا ملوك الزمان ان حكيت لكم حكاية عجيبة تعفوا عني قالوا نعم فابتدأ البدوي يحدثهم بأعجب ما وقع له وقال اعلموا اني من مدة بسيرة ارقت ليلة ارقا شديدا وما صدقت ان الصباح يصبح فلما اصبح الصباح قمت من وقتي وساعتي وتقلدت بسيفي وركبت جوادي واعتقلت رمحي وخرجت اريد الصيد والقنص فواجهني جماعة في الطريق فسألوني عن قصدي فاخبرتهم به فقالوا ونحن رفقاؤك فنزلنا كلنا مع بعضنا فبينما نحن سائرون واذا بنعامة ظهرت لنا فقصدناها فنفرت من بين ايدينا وهي فاتحة اجنحتها ولم تزل شاردة ونحن خلفها الى الظهر حتى رمتنا في برية لا نبات فيها ولا ماء ولم نسمع فيها غير صفير الحيات وزعيق الجان وصريخ الغيلان فلما وصلنا الى ذلك المكان غابت عنا فلم ندر اهي في السماء طارت ام في الارض غارت فرددنا رؤس الخيل واردنا الرواح نهارا فان الرجوع في هذا الوقت الشديد الحر لا خير فيه ولا اصلاح وقد اشتد علينا الحر وعطشنا عطشا شديدا ووقفت خيولنا فايقنا بالموت فبينما نحن كذلك اذ نظرنا من بعيد مرجا افيح فيه غزلان تمرح وهناك خيمة مضروبة وفي جانب الخيمة حصان مربوط وسنان يلمع على رمح مركوز فانتعشت نفوسنا من بعد اليأس ورددنا رؤس خيلنا نحو تلك الخيمة نطلب ذلك المرج والماء وتوجه اليه جميع اصحابي وانا في اولهم ولم نزل سائرين حتى وصلنا الى ذلك المرج فوقفنا على عين وشربنا وسقينا خيلنا فاخذتني حمية الجاهلية وقصدت باب ذلك الخباء فرأيت فيه شابا لا نبات بعارضيه وهو كانه هلال وعن يمينه جارية هيفاء كانها قضيب بان فلما نظرت اليها وقعت محبتها في قلبي فسلمت على ذلك الشاب فرد علي السلام فقلت يا اخا العرب اخبرني من انت وما تكون لك تلك الجارية التي عندك فاطرق الشاب رأسه الى الارض ساعة ثم رفع رأسه وقال اخبرني من انت وما الخيل التي معك فقلت انا حماد بن الفزاري الفارسي الموصوف الذي اعد بين العرب بخمسمائة فارس ونحن خرجنا من محلنا نريد الصيد والقنص فادركنا العطش فقصدت انا باب تلك الخيمة لعلي اجد عندكم شربة ماء فلما سمع مني ذلك الكلام التفت الى الجارية المليحة وقال ائتي الى هذا الرجل بالماء وما حصل من الطعام فقامت الجارية تسحب اذيالها والخجول الذهب تشخشخ في رجليها وهي تتعثر في شعرها وغابت قليلا ثم اقبلت وفي يدها اليمين اناء من فضة مملوء ماء باردا وفي يدها اليسرى قدح ملان تمرا وانا وما حضر من لحم الوحوش فما استطعت ان آخذ من الجارية طعاما ولا شرابا من شدة محبتي لها فتمثلت بهذين البيتين وقلت

كان الخضاب على كفيها * غراب على ثلجة واقف

ترى الشمس والبدر من وجهها * قريبين خاف وذا خائف

ثم قلت للشاب بعد ان اكلت وشربت يا وجه العرب اعلم اني اوقعتك على حقيقة خبري واريد ان تخبرني بحالك وتوقفني على حقيقة خبرك فقال الشاب اما هذه الجارية فهي اختي فقلت اريد ان تزوجني بها طوعا والا اقتلك وآخذها غصبا فعند ذلك اطرق الشاب رأسه الى الارض ساعة ثم رفع بصره الى وقال لي لقد صدقت في دعواك انك فارس معروف وبطل موصوف وانك اسد البيداء ولكن ان هجمت على غدرا وقتلتموني قهرا واخذتم اختي فان هذا يكون عارا عليكم وان كنتم على ما ذكرتم من انكم فرسان تعدون

من الابطال ولا تبالون بالحرب والنزال فامهلونى قليلا حتى البس آلة حربى واتقلد بسيفى واعتقل رمحى واركب فرسى واصير اناواياكم فى ميدان الحرب فان ظفرت بكم اقتلكم عن آخركم وان ظفرتم بى وقتلتمونى فهذه الجارية اختى لكم فلما سمعت منه هذا الكلام قلت له ان هذا هو الانصاف وما عندنا خلاف ثم رددت رأس جوادى الى خلفى وقد زاد بى الجنون فى محبة تلك الجارية ورجعت الى اصحابى ووصفت لهم حسنها وجمالها وحسن الشاب الذى عندها وشجاعته وقوة جنانه وكيف يذكر انه يصادم الف فارس ثم اعلمت اصحابى بجميع ما فى الخباء من الاموال والتحف وقلت لهم اعلموا ان هذا الشاب ما هو منقطع فى تلك الارض الا لكونه ذا شجاعة عظيمة وانا اوصيكم ان كل من قتل هذا الغلام يأخذ اخته فقالوا رضينا بذلك ثم ان اصحابى لبسوا آلة حربهم وركبوا خيلهم وقصدوا الغلام فوجدوه قد لبس آلة حربه وركب جواده ورثبت اليه اخته وتعلقت بركابه وبلت برقعها بدموعها وهى تنادى بالويل والثبور من خوفها على اخيها وتنشد هذه الابيات

الى الله اشكو محنة وكآبة * لعل اله العرش يرهبهم رعبا
يريدون قتلك يا اخى تعمدا * ولا شئ من قبل القتال ولا ذنبا
وقد عرفت ذا الخيل انك فارس * واشجع من حل المشارق والغربا
تحامى عن الاخت التى قل عزمها * فانت اخوها وهى تدعوك الربا
فلا تترك الاعداء تملك مهجتى * وتأخذنى قهرا وتأسرنى غصبا
ولست وحق الله ابقى ببلدة * اذا لم تكن فيها وان ملأت خصبا
واقتل نفسى فى هوالك محبة * واسكن لحدا فيه افترش الترب

فلما سمع اخوها شعرها بكى بكاء شديدا ورد رأس جواده الى اخته واجابها على شعرها بقوله

قفى وانظرى منى وقوع نجائب * اذا ما التقينا حين انخنهم ضربا
وان برز الليث المقدم فيهم * واشجعهم قلبا واثبتهم لبا
ساسقيه منى ضربة ثعلبية * واترك فيه الرمح يستغرق الكعبا
وان لم اقاتل عنك اختى فليقنى * قتيل وليت الطير تنهبنى نهبا
اقاتل عنك ما استطعت تكرما * وهذا حديث بعد ذا يملأ الكتبا

فلما فرغ من شعره قال يا اختى اسمعى ما اقوله لك وما اوصيك به فقالت له سمعا وطاعة فقال لها ان هلكت فلا تمكنى احدا من نفسك فعند ذلك لطمت على وجهها وقالت معاذ الله يا اخى ان اراك صريعا وامكن الاعداء منى فعند ذلك مد الغلام يده اليها وكشف برقعها عن وجهها فلاحت لنا صورتها كالشمس من تحت الغمام فقبلها بين عينيها وودعها وبعد ذلك التفت الينا وقال لنا يا فرسان هل انتم ضيفان او تريدون الضرب والطعان فان كنتم ضيفانا فابشروا بالقرى وان كنتم تريدون القمر الزاهر فاليبرز الى منكم فارس بعد فارس فى هذا الميدان ومقام الحرب والطعان فعند ذلك برز اليه فارس شجاع فقال له الشاب ما اسمك وما اسم ابيك فانى حالف انى ما اقتل من اسمه موافق لاسمى واسم ابيه موافق لاسم ابى فان كنت بهذا الوصف فقد سلمت اليك الجارية فقال له الفارس اسمى بلال فاجابه الشاب بقوله

كذبت فى قولك من بلال * وجئت بالزور وبالمحال

ان كنت شهما فاسمع مقالى * انا مجتدل الابطال فى المجال
بصارم ماض كالهلال * قاصر اطعن مرجف الجبال

ثم حملا على بعضهما فطعنه الشاب فى صدره فخرج السنان من ظهره ثم برز اليه واحد فقال الشاب

يا ايها الكلب رخيم الرجس * فاين غال سعره من بخس
وانما الليث الكريم الجنس * من لم يبال فى الوغى بنفس

ثم لم يمهله الشاب دون ان تركه غريقا فى دمه ثم نادى الشاب هل من مبارز فبرز اليه واحد فانطلق على الشاب وجعل يقول

اليك قبلت وفى قلبى لهب * منه انادى عند صحبى بالحرب
لما قتلت اليوم سادات العرب * فاليوم لاتلقى فكا كا من طلب

فلما سمع الشاب كلامه اجابه بقوله

كذبت بئس انت من شيطان * قد جئت بالزور وبالبهتان
اليوم تلقى فاتك السنان * فى موقف الحرب وفى الطعان

ثم طعنه فى صدره فطلع السنان من ظهره ثم قال هل من مبارز فخرج اليه الرابع وسأله الشاب عن اسمه فقال له الفارس اسمى هلال فانشد يقول

اخطأت اذ أردت خوض بحرى * وجئت بالزور وكل الامر
انا الذى تسمع منى شعرى * اختلس النفس وانت تدرى

ثم حملا على بعضهما واختلف بينهما ضربتان فكانت ضربة الشاب هى السابقة الى الفارس فقتله وصار كل من نزل اليه يقتله فلما نظرت اصحابى قد قتلوا قلت فى نفسى ان نزلت اليه فى الحرب لم اطقه وان هربت ابقى معيرة بين العرب فلم يمهلنى الشاب دون ان انقض على وجذبنى بيده فاطاحنى من سرجى فوقعت مغشيا على ورفع سيفه واراد ان يضرب عنقى فتعلقت باذياله لحمانى بكفه فصرت معه كالعصفور فلما رأت ذلك الجارية فرحت بفعل اخيها واقبلت عليه وقبلته بين عينيه ثم انه سلمنى الى اخته وقال لها دونك واياه واحسنى مثواه لانه دخل فى زمامنا فقبضت الجارية على اطواق درعى وصارت تقودنى كما تقود الكلب وفكت عن اخيها لامة الحرب والبسته بدلة ونصبت له كرسيا من العاج فجلس عليه وقالت له بيض الله عرضك وجعلك عدة للنائبات فاجابها بهذه الابيات

تقول وقد رأت فى الحرب اختى * لوامع غرتى مثل الشعاع
الا لله در لك من شجاع * تذل لحربه اسد البقاع
فقلت لها سلى الابطال عنى * اذا ما فر ارباب القراع
انا المعروف فى سعدى وجدى * وعزمى قد علا اى ارتفاع
ايا حماد قد نازلت ليثا * يريك الموت يسعى كالافاعى

فلما سمعت شعره حرت فى امرى ونظرت الى حالتى وما صرت اليه من الاسر وتصاغرت الى نفسى ثم نظرت الى الجارية اخت الشاب والى حسنها فقلت فى نفسى هذه سبب الفتنة وسرت اتعجب من جمالها واجريت العبرات وانشدت هذه الابيات

خليلى كف عن لومى وعذلى * فانى للملامة غير واع

كانت بغادة لم تبد الا * دعتنى فى محبتها الدواعى
اخوها فى الهوى امسى رقيبى * وصاحب همة وطويل باع

ثم ان الجارية احضرت لاخيها الطعام فدعانى الى الاكل معه ففرحت واستحت على نفسى من القتل ولما فرغ اخوها من الاكل احضرت له آنية المدام ثم ان الشاب اقبل على المدام وشرب حتى شعشع الشراب فى رأسه واحمر وجهه فالتفت الى وقال لى ويلك يا حماد انا عباد بن تميم بن ثعلبة ان الله وهب لك نفسك وابقى عليك عرسك ثم حياني بقدح شربته وحياني بثان وثالث ورابع فشربت الجميع ونادمنى وحلفنى انى لا اخونه فحلفت له الفا وخمسمائة يمين انى لا اخونه قط بل اكون له معينا فعند ذلك امر اخته ان تأتيني بعشر خلع من الحرير وهذه بدلة منها على جسدى وامرها ان تأتينى بناقة من احسن النياق فاتتنى بناقة محملة من التحف والزاد وامرها ايضا ان تحضر لى الحصان الاشقر فاحضرته لى ثم وهب لى جميع ذلك واقمت عندهم ثلاثة ايام فى اكل وشرب والذى قد اعطاه لى موجود عندى الى الان وبعد الثلاثة ايام قال لى يا اخى يا حماد اريد ان انام قليلا لاريح نفسى وقد استأمنتك على نفسى فان رأيت خيلا ثائرة فلا تفزع منها واعلم انهم من بنى ثعلبة يطلبون حربى ثم توسد سيفه تحت رأسه ونام فلما استغرق فى النوم وسوس الى ابليس بقتله فقمت بسرعة وجذبت سيفه من تحت رأسه وضربته ضربة اطاحت رأسه عن جثته فعلمت بى اخته فوثبت من جانب الخباء ورمت نفسها على اخيها وشقت ما عليها من الثياب وانشدت هذه الابيات

الى الاهل بلغ ان ذا الشأم الخبر * وما لامرئ مما الحكيم قضى مفر
وانت صريع يا اخى متجندل * ووجهك يحكى حسنه دورة القمر
لقد كان يوم الشؤم يوم لقيتهم * ورمحك من بعد اطراد قد انكسر
وبعدك لا يرتاح للخيل راكب * ولا تلد الانثى نظيرك من ذكر
واصبح حماد لك اليوم قاتلا * وقد خان ايمانا وبالعهد قد غدر
يريد بهذا ان ينال مراده * لقد كذب الشيطان فى كل ما امر

فلما فرغت من شعرها قالت له يا ملعون الجدين لماذا قتلت اخى وخنته وكان مراده ان يردك الى بلادك بالزاد والهدايا وكان مراده ايضا ان يزوجنى لك فى اول الشهر ثم جذبت سيفا كان عندها وجعلت قائمه فى الارض وطرفه فى صدرها وانحنت عليه حتى طلع من ظهرها فخرت على الارض ميتة فحزنت عليها وندمت حيث لا ينفعنى الندم وبكيت ثم قمت مسرعا الى الخباء واخذت ما خف حمله وغلا ثمنه وسرت الى حال سبيلى ومن خوفى وعجلتى لم التفت الى احد من اصحابى ولا دفنت الصبية ولا الشاب وهذه الحكاية اعجب من حكايتى الاولى مع البنت الخدامة التى خطفتها من بيت المقدس فلما سمعت زهرة الزمان من البدوى هذا الكلام تبدل النور فى عينها بالظلام وادركها شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان زهرة الزمان لما سمعت من البدوى هذا الكلام تبدل الضياء فى عينها بالظلام وقامت جردت السيف وضربت به البدوى حماد على عاتقه فاطلعته من علائقه فقال لها

الحاضرون لاى شئ استعجلت على قتله فقالت الحمد لله الذى فسح فى اجلى حتى اخذت ثارى بيدى
ثم انها امرت العبيد ان يجروه من رجليه ويرموه للكلاب وبعد ذلك اقبلوا على الاثنين الباقيين من
الثلاثة وكان احدهما عبدا اسود فقالوا له ما اسمك انت فاصدقنا فى حديثك قال انا اسمى الغضبان
واخبرهم بما وقع له مع الملكة ابريزة بنت الملك حردوب ملك الروم وكيف قتلها وهرب فلم يتم العبد كلامه
حتى رمى الملك رومزان رقبته بالحسام وقال الحمد لله الذى احيانى واخذت ثارى بيدى واخبرهم ان
دايته مرجانة حكت له عن هذا العبد الذى اسمه الغضبان وبعد ذلك اقبلوا على الثالث وكان
هو الجمال الذى اكتروه اهل بيت المقدس الى حمل ضوء المكان وتوصيله الى المارستان الذى
فى دمشق الشام فذهب به والقاه فى المستوقد وذهب الى حال سبيله ثم قالوا له اخبرنا انت بخبرك واصدق
فى حديثك فحكى له جميع ما وقع له مع السلطان ضوء المكان وكيف حمله من بيت المقدس وهو ضعيف
على ان يوصله الى الشام ويرميه فى المارستان وكيف جاءه اهل بيت المقدس بالدراهم فاخذها وهرب
بعد ان رماه فى مستوقد الحمام فلما تم كلامه اخذ السلطان كان ما كان السيف وضربه فرمى عنقه وقال
الحمد لله الذى احيانى حتى جازيت هذا الخائن بما فعل مع ابى فانى قد سمعت هذه الحكاية بعينها من والدى
السلطان ضوء المكان فقال الملوك لبعضهم ما بقى علينا الا العجوز شواهى الملقبة بذات الدواهى
فانها سبب هذه البلايا حيث اوقعتنا فى الرزايا ومن لنا بها حتى نأخذ منها الثار ونكشف العار
فقال له الملك رومزان عم الملك كان ما كان لابد من حضورها ثم ان الملك رومزان كتب كتابا من وقته
وساعته وارسله الى جدته العجوز شواهى الملقبة بذات الدواهى وذكر لها فيه انه غلب على مملكة دمشق
والموصل والعراق وكسر عسكر المسلمين واسر ملوكهم وقال اريد ان تحضرى عندى من كل بد انت
والملكة صفية بنت الملك افريدون ملك القسطنطينية ومن شئتم من اكابر النصارى من غير عسكر فان
البلاد امان لانها صارت تحت ايدينا فلما وصل الكتاب اليها وقرأته وعرفت خط الملك رومزان
فرحت فرحا شديدا وتجهزت من وقتها وساعتها للسفر هى والملكة صفية ام نزهة الزمان ومن معهم
ولم يزالوا مسافرين حتى وصلوا الى بغداد فتقدم الرسول واخبرهم بحضورها فقال رومزان المصلحة
تقتضى ان نلبس اللبس الافرنجى ونقابل العجوز حتى نامن من خداعها وحيلها فقالوا سمعا وطاعة
ثم انهم لبسوا لباس الافرنج فلما رأت ذلك قضى فكان قالت وحق الرب المعبود لولا انى اعرفكم
لقلت انكم افرنج ثم ان رومزان تقدم امامهم وخرجوا يقابلون العجوز فى الف فارس فلما وقعت العين
فى العين ترجل رومزان عن جواده وسعى اليها فلما رأته وعرفته ترجلت اليه وعانقته فقرط بيده على
اضلاعها حتى كاد ان يقصفها فقالت ما هذا فلم تتم كلامها حتى نزل اليها ما كان والوزير دندان
وزعقا نفرسان على من معهما من الجوارى والغلمان واخذوهم جميعهم ورجعوا الى بغداد وامرهم
رومزان ان يزينوا بغداد ففزينوها ثلاثة ايام ثم اخرجوا شواهى الملقبة بذات الدواهى وعلى رأسها
طرطور احمر مكلل بروث الحمير وقد امها منادى ينادى هذا جزاء من يتجارى على الملوك وعلى اولاد الملوك
ثم صلبوها على باب بغداد ولما رأى اصحابها ما يجرى لها اسلموا كلهم جميعا ثم ان كان ما كان وعمه
رومزان ونزهة الزمان والوزير دندان تعجبوا لهذه السيرة العجيبة وامروا الكتاب ان يؤرخوها فى الكتب
حتى تقرأ من بعدهم واقاموا بقية الزمان فى الذ عيش واهناه الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات
وهذا آخر ما انتهى الينا من تصاريف الزمان بالملك عمر النعمان وولده شركان وولده ضوء المكان

وولد ولده كان ما كان ونزهة الزمان وقضى فكان ثم ان الملك قال لشهرزاد اشتهى ان تحكى لى شيأ من حكاية الطيور فقالت حبا وكرامة فقالت لها اختها لم ار الملك فى طول هذه المدة انشرح صدره غير هذه الليلة وارجو ان تكون عاقبتك معه محمودة وادركه شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والاربعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والاوان طاووس يأوى الى جانب البحر مع زوجته وكان ذلك الموضع كثير السباع وفيه من سائر الوحوش غير انه كثير الاشجار والانهار وذلك الطاووس هو وزوجته يأويان الى شجرة من تلك الاشجار ليلا من خوفهما من الوحوش ويغدوان فى طلب الرزق نهارا ولم يزالا كذلك حتى كثر خوفهما فسارا يبغيان موضعا غير موضعهما يأويان اليه فبينما هما يفتشان على موضع اذ ظهرت لهما جزيرة كثيرة الاشجار والانهار فنزلا فى تلك الجزيرة واكلا من اثمارها وشربا من انهارها فبينما هما كذلك واذا ببطة اقبلت عليهما وهى فى شدة الفزع ولم تزل تسعى حتى اتت الى الشجرة التى عليها الطاووس هو وزوجته فاطمأنت فلم يشك الطاووس فى ان تلك البطة لها حكاية عجيبة فسألها عن حالها وعن سبب خوفها فقالت انى مريضة من الحزن وخوفى من ابن آدم فالحذر ثم الحذر من بنى آدم فقال لها الطاووس لا تخافى حيث وصلت الينا فقالت البطة الحمد لله الذى فرج عنى همى ونجى بقربكما وقد اتيت راغبة فى مودتكما فلما فرغت من كلامها نزلت اليها زوجة الطاووس وقالت لها اهلا وسهلا ومرحبا لا باس عليك ومن اين تصل الينا ابن آدم ونحن فى تلك الجزيرة التى فى وسط البحر فمن البر لا يقدر ان يصل الينا ومن البحر لا يمكن ان يطلع علينا فابشرى وحدثينا بالذى نزل بك واعتراك من ابن آدم فقالت البطة اعلمى ايتها الطاووسة انى فى هذه الجزيرة طول عمرى آمنة لا ارى مكروها فنمت ليلة من الليالى فرأيت فى منامى صورة ابن آدم وهو يخاطبنى واخاطبه وسمعت قائلا يقول لى ايتها البطة احذرى من ابن آدم ولا تغترى بكلامه ولا بما يدخله عليك فانه كثير الحيل والخداع فالحذر كل الحذر من مكره فانه مخادع ماكر كما قال فيه الشاعر

يعطيك من طرف اللسان حلاوة * ويروغ منك كما يروغ الثعلب

واعلمى ان ابن آدم يحتال على الحيتان فيخرجها من البحار ويرمى الطير بالبندقة من طين ويوقع الفيل بمكره وابن آدم لا يسلم احد من شره ولا يخلو منه طير ولا وحش وقد بلغتك ما سمعته عن ابن آدم فاستيقظت من منامى خائفة مرعوبة وانا الى الان لا ينشرح صدرى خوفا على نفسى من ابن آدم لئلا يدهمنى بحيلته ويصيدنى بحبائله ولم يات على آخر النهار الا وقد ضعفت قوتى وبطلت همتى ثم انى اشتقت الى الاكل والشرب فخرجت اتمشى وخاطرى مكدر وقلبى مقبوض فلما وصلت الى ذلك الجبل وجدت على باب مغارة شبلا اصفر اللون فلما رأنى ذلك الشبل فرح بى فرحا شديدا واعجبه لونى وكونى لطيفة الذات فصاح على وقال لى اقربى منى فلما قربت منه قال لى ما اسمك وما جنسك فقلت له اسمى بطة وانا من جنس الطيور ثم قلت له ما سبب قعودك الى هذا الوقت فى هذا المكان فقال الشبل سبب ذلك ان والدى الاسد له ايام وهو يحذرنى من ابن آدم فاتفق انى رأيت فى هذه الليلة فى منامى صورة ابن آدم

ثم ان الشبل حكى لى نظير ما حكيته لك فلما سمعت كلامه قلت له يا اسد انى قد لجأت اليك فى ان تقتل ابن آدم وتحزم رأيك فى قتله فانى اخاف على نفسى منه خوفا شديدا وازددت خوفا على خوفى من خوفك من ابن آدم مع انك سلطان الوحوش ومازلت يا اخى احذر الشبل من ابن آدم واوصيه بقتله حتى قام من وقته وساعته من المكان الذى كان فيه وتمشى وتمشيت وراءه فقرقع بذنبه على ظهره ولم يزل يتمشى وانا امشى وراءه الى مرق الطريق فوجدنا غبرة طارت وبعد ذلك انكشفت الغبرة فبان من تحتها حمار شارد عريان وهو تارة يقمص ويجرى وتارة يتمرغ فلما رأه الاسد صاح عليه فاتى اليه خاضعا فقال له ايها الحيوان الظريف العقل ما جنسك وما سبب قدومك الى هذا المكان فقال له يا ابن السلطان انا جنسى حمار وسبب قدومى الى هذا المكان هروبى من ابن آدم فقال له الشبل وهل انت خائف من ابن آدم ان يقتلك فقال له الحمار لا يا ابن السلطان وانما خوفى ان يعمل حيلة على وبركبنى لان عنده شيأ يسميه البرذعة فيجعلها على ظهرى وشيأ يسميه الحزام فيشده على بطنى وشيأ يسميه الطفر فيجعله تحت ذنبى وشيأ يسميه اللجام فيجعله فى فمى ويعمل لى مخاطا يخطمنى به ويكلفنى ما لا اطيق من الجرى واذا عثرت لعننى وان نهقت شتمنى وبعد ذلك اذا كبرت ولم اقدر على الجرى يجعل لى رحلا من الخشب ويسلمنى الى السقايين فيحملون الماء على ظهرى من البحر فى القرب ونحوها كالجرار ولا ازال فى ذل وهوان وتعب حتى اموت فيرمونى فوق التلال للكلاب فاى شئ اكبر من هذا الهم واى مصيبة اكبر من هذه المصائب فلما سمعت ايها الطاووسة كلام الحمار اقشعر جسدى من ابن آدم وقلت للشبل يا سيدى ان الحمار معذور وقد زاد فى كلامه رعبا على رعبى فقال الشبل للحمار الى اين انت سائر فقال له الحمار انى نظرت ابن آدم قبل اشراق الشمس من بعيد ففررت هربا منه وها انا اريد ان انطلق ولم ازل اجرى من شدة خوفى منه فعسى اجد لى موضعا يأوينى من ابن آدم الغدار فبينما ذلك الحمار يتحدث مع الشبل فى ذلك الكلام وهو يريد ان يودعنا ويروح اذ ظهرت لنا غبرة فهق الحمار وصاح ونظر بعينه الى ناحية الغبرة وضرط ضراطا عاليا وبعد ساعة انكشفت الغبرة عن فرس ادهم بغرة كالدرهم وذلك الفرس ظريف الغرة مليح التحجيل حسن القوائم والصهيل ولم يزل يجرى حتى وقف بين يدى الشبل ابن الاسد فلما رأه الشبل استعظمه وقال له ما جنسك ايها الوحش الجليل وما سبب شرودك فى هذا البر العريض الطويل فقال له يا سيد الوحوش انا فرس من جنس الخيل وسبب شرودى هروبى من ابن آدم فتعجب الشبل من كلام الفرس وقال لا تقل هذا الكلام فانه عيب عليك وانت طويل غليظ وكيف تخاف من ابن آدم مع عظم جثتك وسرعة جريك وانا مع صغر جسمى قد عزمت على ان التقى مع ابن آدم فابطش به واكل لحمه واسكن روع هذه البطة المسكينة واقرها فى وطنها وها انت لما اتيت فى هذه الساعة قطعت قلبى بكلامك وارجعتنى عما اردت ان افعله فاذا كنت انت مع عظمك قد قهرك ابن آدم ولم يخف من طولك وعرضك مع انك لو رفسته برجلك لقتلته ولم يقدر عليك بل تسقيه كأس الردى ففحك الفرس لما سمع كلام الشبل وقال هيهات هيهات ان اغلبه يا ابن الملك فلا يغرك طولى ولا عرضى ولا ضخامتى مع ابن آدم لانه من شدة حيله ومكره يصنع لى شيأ يقال له الشكال ويضع فى اربعة قوائمى شكالين من حبال الليف الملفوفة بالليف ويصلبنى من رأسى فى وتد عال وابقى واقفا وانا مصلوب لا اقدر اقعد ولا انام واذا اراد ان يركبنى يعمل لى شيأ فى رجليه من الحديد اسمه الركاب ويضع على ظهرى شيأ يسميه السرج ويشده بحزامين من تحت ابطى ويضع فى فمى شيأ من الحديد يسميه اللجام ويضع فيه شيأ من الجلد يسميه الصرع فاذا

ركب فوق ظهري على السرج يمسك الصرع بيده ويقودني به ويهمز في بالركاب في خواصري حتى يدميها
ولا تسأل يا ابن السلطان عن ما اقاسيه من ابن آدم فاذا كبرت وانفصل ظهري ولم اقدر على سرعة الجري
يبيعني للطحان ليدور في الطاحون فلا ازال دائرا فيها ليلا ونهارا الى ان اهرم فيبيعني للجزار فيذبحني
ويسلخ جلدي وينتف ذنبي ويبيعهما للغرابلي والمشاخلي ويسلي شعري فلما سمع الشبل كلام الفرس
ازداد غيظا وتمما وقال له متى فارقت ابن آدم قال فارقته نصف النهار وهو في اثري فبينما الشبل يتحدث
مع الفرس في هذا الكلام واذا بغبرة ثارت وبعد ذلك انكشفت الغبرة وبان من تحتها جمل هائج وهو يسمع
ويخبط برجليه في الارض ولم يزل يفعل كذلك حتى وصل اليهما فلما رأه الشبل كبر اغليظا وظن
انه ابن آدم فاراد الوثوب عليه فقلت له يا ابن السلطان ان هذا ما هو ابن آدم وانما هذا جمل وكانه هارب
من ابن آدم فبينما انا يا اختي مع الشبل في هذا الكلام واذا بالجمل تقدم بين ايادي الشبل وسلم عليه فرد
عليه السلام وقال له ما سبب مجيئك الى هذا المكان قال جئت هاربا من ابن آدم فقال له الشبل
وانت مع عظم خلقتك وطولك وعرضك كيف تخاف من ابن آدم ولو رفسته برجلك رفسة لقتلته فقال له
الجمل يا ابن السلطان اعلم ان ابن آدم له دواهي لا تطاق وما يغلبه الا الموت لانه يضع في انفي خيطا ويسميه
خزاما ويجعل في رأسي مقودا ويسلمني الى اصغر اولاده فيجر في الولد الصغير بالخيط مع كبري وعظمي
ويحملوني اثقل الاحمال ويسافرون بي الاسفار الطوال ويستعملوني في الاشغال الشاقة اناء الليل والنهار
واذا كبرت وشخت او انكسرت فلم يحفظ صحبتي بل يبيعني للجزار فيذبحني ويبيع جلدي للدباغين ولحمي
للطباخين ولا تسأل عن ما اقاسي من ابن آدم فقال له الشبل اي وقت فارقت ابن آدم فقال فارقته وقت
الغروب واظنه يأتي عندنا نصرانيا فلم يجدني فيسعى في طلبي فدعني يا ابن السلطان حتى اهيج في البراري
والقفار فقال الشبل تمهل قليلا يا جمل حتى تنظر كيف افترسه واطعمك من لحمه واهشم عظمه
واشرب من دمه فقال له الجمل يا ابن السلطان انا خائف عليك من ابن آدم فانه مخادع ماكر
ثم انشد قول الشاعر

اذا حل الثقيل بارض قوم * فالساكنين سوى الرحيل

فبينما الجمل يتحدث مع الشبل في هذا الكلام واذا بغبرة طلعت وبعد ساعة انكشفت عن شيخ قصير رقيق
البشرة على كتفه مقطف فيه عدة نجار وعلى رأسه شعبة وثمانية الواح وبيده اطفال صغار وهو يهرول
في مشيه ومازال يمشي حتى قرب من الشبل فلما رأيته يا اختي وقعت من شدة الخوف واما الشبل فانه قام
وتمشى اليه ولاقاه فلما وصل اليه ضحك النجار في وجهه وقال له بلسان فصيح ايها الملك الجليل صاحب
الباع الطويل اسعد الله مسالك ومسعاك وزاد في شجاعتك وقواك اجرني عماد هاني وبشره رماني لاني
ما وجدت لي نصيرا غيرك ثم ان النجار وقف بين يدي الاسد وبكى وان واشتكى فلما سمع الشبل بكاءه وشكواه
قال له اجرتك مما تخشاه من الذي قد ظلمك وما انت تكون ايها الوحش الذي ما رأيت عمري مثلك ولا احسن
صورة ولا افصح لسانا منك فما شأنك فقال له النجار يا سيد الوحوش اما انا فنجار واما الذي ظلمني فانه ابن
آدم وفي صباح هذه الليلة يكون عندك في هذا المكان فلما سمع الشبل من النجار هذا الكلام تبدل
الضياء في وجهه بالظلام وشخر ونخر وارغث عيناه بالشرر وصاح وقال والله لا سهرن في هذه
الليلة الى الصباح ولا ارجع الى والدي حتى ابلغ مقصدي ثم ان الشبل التفت الى النجار وقال له اني اري
خطواتك قصيرة ولا اقدر ان اكسر بخاطرك لاني ذو مروءة واظن انك لا تقدر ان تماشي الوحوش فاخبرني

الى اين تذهب فقال له النجار اعلم انى رايح الى وزير والدك الفهد لانه لما بلغه ان ابن آدم داس هذه الارض خاف على نفسه خوفا عظيما وارسل الى رسولا من الوحوش لاصنع له بيتا يسكن فيه ويأوى اليه ويمنع عنه عدوه حتى لا يصل اليه احد من بنى آدم فلما جاء فى الرسول اخذت هذه الالواح وتوجهت اليه فلما سمع الشبل كلام النجار اخذه الحسد للفهد فقال له بحياتى لا بد ان تصنع لى هذه الالواح بيتا قبل ان تصنع للفهد بيته واذا فرغت من شغلى فامض الى الفهد واصنع له ما يريد فلما سمع النجار من الشبل هذا الكلام قال له ياسيد الوحوش ما اقدر ان اصنع لك شيأ الا اذا صنعت للفهد ما يريد ثم اجيء الى خدمتك واصنع لك بيتا يحصنك من عدوك فقال له الشبل والله ما اخليك تروح من هذا المكان حتى تصنع لى هذه الالواح بيتا ثم ان الشبل هم على النجار ووثب عليه واراد ان يمزح معه فلطشه بيده فرمى المقطف من على كتفه ووقع النجار مغشيا عليه فضحك الشبل عليه وقال ويلك يا نجار انك ضعيف وما لك قوة فانت معذور اذا خفت من ابن آدم فلما وقع النجار على ظهره اغتاظ غيظا شديدا ولكنه كتم ذلك عن الشبل من خوفه منه ثم قعد النجار وضحك فى وجه الشبل وقال له ها انا اصنع لك البيت ثم ان النجار تناول الالواح التى كانت معه وسمر البيت وجعله مثل القالب على قياس الشبل وخلى بابه مفتوحا لانه جعله على صورة صندوق وفتح له طاقة كبيرة وجعل لها غطاء وثقب فيه ثقبا كثيرة واخرج منها مسامير مطرفه وقال للشبل ادخل فى هذا البيت من هذه الطاقة لما اقيسه عليك ففرح الشبل بذلك واتى تلك الطاقة فرأها ضيقة فقال له النجار ادخل وابرك على يديك ورجليك ففعل الشبل ذلك ودخل الصندوق وبقى ذنبه خارجا ثم اراد الشبل ان يتأخر الى وراء ويخرج فقال له النجار امهل حتى انظر هل يسع ذنبك معك فامتثل الشبل امره ثم ان النجار لف ذنب الشبل وحشاه فى الصندوق ورد اللوح على الطاقة سريعا وسمره فصاح الشبل قائلا يا نجار ما هذا البيت الضيق الذى صنعته لى دعنى اخرج منه فقال له النجار هيهات هيهات لا ينفع الندم على ما فات انك لا تخرج من هذا المكان ثم ضحك النجار وقال للشبل انك وقعت فى القفص وكنت اخبث الوحوش فقال يا اخى ما هذا الخطاب الذى تخاطبنى به فقال له النجار اعلم يا كلب البر انك وقعت فيما كنت تخاف منه وقد رمالك القدر ولم ينفعك الحذر فلما سمع الشبل كلامه يا اختى علم انه ابن آدم الذى حذره منه ابوه فى اليقظة والهاتف فى المنام وتحققت انه هو بلا شك ولا ريب خفت منه على نفسى خوفا عظيما وبعدت عنه قليلا وصرت انتظر ماذا يفعل بالشبل فرأيت يا اختى ابن آدم حفر حفرة فى ذلك المكان بالقرب من الصندوق الذى فيه الشبل ورماه فى تلك الحفرة والقى عليه الحطب واحرقه بالنار فكبر يا اختى خوفى ولى يومان هاربة من ابن آدم وخائفة منه فلما سمعت الطاووسة من البطة هذا الكلام وادركها الشهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والاربعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الطاووسة لما سمعت من البطة هذا الكلام تعجبت منه غاية العجب وقالت يا اختى انك امنت من ابن آدم لانك فى جزيرة من جزائر البحر ليس لابن آدم فيها مسلك فاختارى المقام عندنا الى ان يسهل الله امرك وامرنا قالت اخاف ان يطرقنى طارق والقضاء لا ينفك عنه آبق فقالت اقعدى عندنا وانت مثلنا ولا زالت بها حتى قعدت وقالت يا اختى انت تعلمين قلة صبرى ولولا انى رأيتك هنا ما كنت قعدت فقالت الطاووسة ان كان على جبيننا شئ نستوفاه وان كان اجلنا دنا فنحن يخلصنا ارلن

تموت نفس حتى تستوفى رزقها واجلها فبينما هما فى هذا الكلام اذ طلعت عليهما غبرة فعند ذلك صاحت البطة ونزلت البحر وقالت الحذر والحذر وان لم يكن مغر من القدر وكانت الغبرة عظيمة فلما انكشفت الغبرة ظهر من تحتها ظبى فاطمأنت البطة والطاووسة ثم قالت البطة يا اختى ان الذى تفزعين منه ظبى وها هو قد اقبل نحونا فليس علينا منه بأس لان الظبى انما تأكل الحشايش من نبات الارض وكما انت من جنس الطير هو الاخر من جنس الوحوش فاطمئنى ولا تهتمى فان الهم يخل البدن فلم تتم الطاووسة كلامها حتى وصل الظبى اليهما يستظل تحت الشجرة فلما رأى الطاووسة والبطة سلم عليهما وقال لهما انى دخلت هذه الجزيرة اليوم فلم ار اكثر منها خصبا ولا احسن منها مسكنا ثم دعاهما لمرافقته ومصافاته فلما رأت البطة والطاووسة تودده اليهما اقبلتا عليه ورغبتا فى عشرته وتحالفوا على ذلك وصار مبيتهم واحدا ومأكلهم سواء ولم يزالوا آمنين اكلين شاربين حتى مرت بهم سفينة كانت تائهة فى البحر فارست قريبا منهم فطلع الناس وتفرقوا فى الجزيرة فرأوا الظبى والطاووسة والبطة مجتمعين فاقبلوا عليهم فشرد الظبى فى البرية وطارت الطاووسة فى الجو فبقيت البطة مخبلة ولم يزالوا بها حتى صادوها وصاحت قائلة لم ينفعنى الحذر من القضاء والقدر وانصرفوا بها الى سفينتهم فلما رأت الطاووسة ما جرى للبطة ارتحلت من الجزيرة وقالت لا ارى الافات الا مرصدة لكل احد ولولا هذه السفينة ما حصل بينى وبين هذه البطة افتراق ولقد كانت من خيار الاصدقاء ثم طارت الطاووسة واجتمعت بالظبى فسلم عليها وهنأها بالسلامة وسألها عن البطة فقالت له قد اخذها العدو وركبت المقام فى تلك الجزيرة بعدها ثم بكت على فراق البطة وانشدت تقول

ان يوم الفراق قطع قلبى ✻ قطع الله قلب يوم الفراق

وانشدت ايضا

تمنيت الوصال بعود يوما ✻ لاخبره بما صنع الفراق

فاغتم الظبى غما شديدا ثم رد عزم الطاووسة عن الرحيل فاقام معها فى تلك الجزيرة آمنين آكلين شاربين غير انهما لم يزالا حزينين على فراق البطة فقال الظبى للطاووسة يا اختى قد علمت ان الناس الذين طلعوا السفينة من المركب كانوا سبب الفراق لنا ولهلاك البطة فاحذريهم واحترسى منهم ومن مكر ابن آدم وخداعه قالت قد علمت يقينا ان ما قتلها غير تركها التسبيح ولقد قلت لها انى اخاف عليك من تركك التسبيح لان كل ما خلقه الله يسبحه فان غفل عن التسبيح عوقب بهلاكه فلما سمع الظبى كلام الطاووسة قال احسن الله صورتك واقبل على التسبيح لا يفتر عنه ساعة وقد قيل ان الظبى يقول فى تسبيحه سبحان الديان ذى الجبروت والسلطان وورد ان بعض العباد كان يتعبد فى بعض الجبال وكان يأوى الى ذلك الجبل زوج من الحمام وكان ذلك العابد قسم قوته نصفين وادخر شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العابد قد قسم قوته نصفين وجعل نصفه لنفسه ونصفه لذلك الزوج الحمام ودعا العابد لهما بكثرة النسل فكثر نسلهما ولم يكن الحمام يأوى الى غير الجبل الذى فيه العابد وكان السبب فى اجتماع الحمام بالعابد كثرة تسبيح الحمام وقيل ان الحمام يقول فى تسبيحه سبحان خالق الخلق

وقاسم الرزق وباني السموات وباسط الارضين ولم يزل ذلك الزوج الحمام في ارغد عيش هو ونسله حتى مات العابد فتشتت شمل الحمام وتفرق في المدن والقرى والجبال وقيل انه كان في بعض الجبال رجل من الرعاة صاحب دين وعقل وعفة وكان له غنم يرعاها وينتفع بالبانها واصوافها وكان ذلك الجبل الذي يأوي اليه الراعي كثير الاشجار والمرعى والسباع ولم يكن لتلك الوحوش قدرة على الراعي ولا على غنمه ولم يزل مقيما في الجبل مطمئنا لا يهمه شيء من امر الدنيا لسعادته واقباله على عبادته فاتفق له انه مرض مرضا شديدا فدخل كهفا في الجبل وصارت الغنم تخرج بالنهار الى مرعاها وتأوي بالليل الى الكهف فاراد الله ان يمتحن ذلك الراعي ويختبره في طاعته وصبره فبعث اليه ملكا فدخل عليه الملك في صورة امرأة حسناء وجلس بين يديه فلما رأى الراعي تلك المرأة جالسة عنده اقشعر بدنه منها فقال لها اينها المرأة ما الذي دعاك الى المجيء هنا وليس لك حاجة معي ولا بيني وبينك ما يوجب دخولك عندي فقالت له ايها الانسان اما ترى حسني وجمالي وطيب ريحي اما تعلم حاجة الرجال الى النساء فما الذي يمنعك مني وقد اخترت قربك واحببت وصالك وقد جئتك طائعة وعليك غير ممتنعة وليس عندنا احد نخشاه واريد ان اقيم معك طول مقامك في هذه الجبال واكون انيسة لك وقد عرضت نفسي عليك لانك تحتاج لخدمة النساء وانت ان باشرتني زال عنك مرضك وعادت اليك صحتك وندمت على ما فاتك من قرب النساء في سالف عمرك وقد نصحتك فاقبل نصيحتي وادن مني فقال الراعي اخرجي عني ايتها المرأة الخداعة الغدارة فلا اركن اليك ولا ادنو منك ولا حاجة لي بقربك ولا بوصالك لان من رغب فيك زهد في الاخرة ومن رغب في الاخرة زهد فيك لانك فتنة الاولين والاخرين والله تعالى لعباده بالمرصاد والويل لمن ابتلي بصحبتك فقالت له ايها التائه عن السداد والضال عن طريق الرشاد اقبل بوجهك الي وانظر الى محاسني واغتنم قربي كما فعل من كان قبلك من الحكماء فقد كانوا اكثر منك تجربة واصوب منك رأيا ومع ذلك لم يرفضوا ما رفضت من التمتع بالنساء بل رغبوا فيما زهدت فيه من مباشرة النساء وقربهن فما اساءهم ذلك في دينهم ولا دنياهم فارجع عن رأيك تحمد عاقبة امرك فقال الراعي ان الذي تقولينه كرهته وجميع ما تبدينه زهدته لانك خداعة غدارة لا عهد لك ولا وفاء فكم من قبيح تحت حسنك اخفيته وكم من صالح فتنته وكانت عاقبته الى الندامة والحزن فارجعي عني ايتها المصلحة نفسها للفساد غيرها ثم القى عباءته على وجهه حتى لا يرى وجهها واشتغل بذكر ربه فلما رأى الملك حسن طاعته خرج وعرج الى السماء وكان قريبا من الراعي قرية فيها رجل من الصالحين لم يعلم بمكانه فرأى في منامه كان قائلا يقول له بالقرب منك في مكان كذا رجل صالح فاذهب اليه وكن تحت طاعة امره فلما اصبح الصباح توجه نحوه سائرا فلما اشتد عليه الحر انتهى الى شجرة عندها عين جارية فجلس في ظل تلك الشجرة ليستريح فبينما هو جالس واذا بوحوش وطيور اتوا الى تلك العين ليشربوا منها فلما رأوا العابد جالسا نفروا ورجعوا شاردين فقال العابد في نفسه انا ما استرحت هنا الا لتعب هذه الوحوش والطيور ثم قام وقال معاتبا لنفسه لقد اضر بهذه الحيوانات في هذا اليوم جلوسي في هذا المكان فما عذري عند خالقي وخالق هذه الطيور والوحوش فاني كنت سببا لشرودهم عن مائهم ومرعاهم فواخجلتي من ربي يوم يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء ثم افاض من جفنه العبرات وانشد هذه الابيات

اما والله لو علم الانام ✻ لما خلقوا لما غفلوا وناموا
فموت ثم بعث ثم حشر ✻ وتوبيخ واهوال عظام

ونحن اذا انتهينا اوامرنا * كاهل الكهف اكثر اياما

ثم بكى على جلوسه تحت الشجرة عند العين ومنعه الطيور والوحوش من شربها وولى هائما على وجهه حتى اتى الى الراعى فدخل عنده وسلم عليه فرد عليه السلام وعانقه وبكى ثم قال له الراعى ما الذى اقدمك الى هذا المكان الذى لم يدخله احد من الناس على فقال العابد انى رأيت فى منامى من يصف لى مكانك ويامرنى بالسير اليك والسلام عليك وقد اتيتك ممتثلا لما امرت به فقبله الراعى وطابت نفسه بصحبته وجلس معه فى الجبل يعبدان الله فى ذلك الغار وحسنت عبادتهما ولم يزالا فى ذلك المكان يعبدان ربهما ويقوتان من لحوم الغنم والبانها متجردين عن المال والبنين الى ان اتاهما اليقين وهذا آخر حديثهما قال الملك لقد زهدتنى يا شهرزاد فى ملكى وندمتنى على ما فرط منى فى قتل النساء والبنات فهل عندك شئ من حديث الطيور قالت نعم زعموا ايها الملك ان طيرا طار وعلا الى الجو ثم انقض على صخرة فى وسط الماء وكان الماء جاريا فبينما الطائر واقف على الصخرة واذا برمة انسان جرها الماء حتى اسندها الى الصخرة ووقفت تلك الجيفة فى جانب الصخرة وارتفعت لانتفاخها فدنا منها طير الماء وتأملها فرأها رمة ابن آدم وظهر له فيها ضرب السيف وطعن الرماح فقال فى نفسه ان هذا لمقتول كان شريرا فاجتمع عليه جماعة وقتلوه واستراحوا منه ومن شره ولم يزل طير الماء يكثر التعجب من تلك الرمة حتى رأى نسورا وعقبانا احاطوا بتلك الجيفة من جميع جوانبها فلما رأى ذلك طير الماء جزع جزعا شديدا وقال لا صبر لى على الاقامة فى هذا المكان ثم طار منه يفتش على موضع يأوى اليه حين افاد تلك الجيفة وزوال سباع الطير عنها ولم يزل طائرا حتى وجد نهرا فى وسطه شجرة فنزل عليها كئيبا حزينا على بعده عن وطنه وقال فى نفسه لم تزل الاحزان تتبعنى وكنت قد استرحت لما رأيت تلك الجيفة وفرحت بها فرحا شديدا وقلت هذا رزق ساقه الله الى فصار فرحى ترحا وسرورى حزنا وهما وافترستها سباع الطير منى وحالوا بينها وبينى فكيف ارجو ان اكون سالما فى هذه الدنيا واطمئن اليها وقد قيل فى المثل الدنيا دار من لا دار له يغتر بها من لا عقل له ويطمئن اليها بماله وولده وقومه وعشيرته ولم يزل المغتر بها راكنا اليها يختال فوق الارض حتى يصير تحتها ويحث عليه التراب اعز الناس عليه واقربهم اليه وما الفتى خير من الصبر على مكارهها وقد فارقت مكانى ووطنى وكنت كارها الفرقة اخوانى واصحابى فبينما هو فى فكرته واذا بذكر من السلاحف اقبل مصعدا فى الماء ودنا من طير الماء وسلم عليه وقال يا سيدى ما الذى ابعدك عن موضعك قال حلول الاعداء فيه ولا صبر للعاقل على مجاورة عدوه وما احسن قول بعض الشعراء

اذا حل الثقيل بارض قوم * ثقالا كنين سوى الرحيل

فقال له السلحف اذا كان الامر كما وصفته والحال مثل ما ذكرته فانا لا ازال بين يديك ولا افارقك لاقضى حاجتك وانى بخدمتك فانه يقال لا وحشة اشد من وحشة الغريب المنقطع عن اهله ووطنه وقد قيل ان فرقة الصالحين لا يعدلها شئ من المصائب ومما يسلى به العاقل نفسه الاستئناس فى الغربة والصبر على الرزية والكربة وارجو ان تحمد صحبتى لك واكون لك خادما ومعينا فلما سمع طير الماء مقالة السلحف قال له لقد صدقت فى قولك ولعمرى انى وجدت للفراق الما وغما مدة بعدى عن مكانى وفراق لاخوانى وخلانى لان فى الفراق عبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر واذا لم يجد الفتى من يسليه من الاصحاب يقطع عنه الخير ابدا ويثبت الشر سرمدا وليس للعاقل الا التسلى بالاخوان عن الهموم فى جميع الاحوال وملازمة

الصبر والتجلد فانهما خصلتان محمودتان يعينان على نوائب الدهر ويدفعان الفزع والجزع فى كل امر فقال له السلحف اياك والجزع فانه يفسد عليك عيشك ويذهب مروءتك ومازالا يتحدثان مع بعضهما الى ان قال طير الماء للسلحف انا لم ازل اخشى نوائب الزمان وطوارق الحدثان فلما سمع السلحف مقالة طير الماء اقبل عليه وقبله بين عينيه وقال له لم تزل جماعة الطير تعرف فى مشورتك الخير فكيف تحمل الهم والضير ولم يزل يسكن روع طير الماء حتى اطمأن ثم ان طير الماء طار الى مكان الجيفة فلما وصل اليه لم ير من سباع الطير شيأ ولا من تلك الجيفة الا عظاما فرجع يخبر السلحف بزوال العدو من مكانه فلما وصل الى السلحف اخبره بما رأى وقال له انى احب الرجوع مكانى واتملى بخلانى فانه لا صبر للعاقل عن وطنه فذهب معه الى ذلك المكان فلم يجدا شيأ مما يخافانه فصار طير الماء قرير العين وانشد هذين البيتين

ورب نازلة يضيق لها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكنت اظنها لا تفرج

ثم سكنا فى تلك الجزيرة فبينما طير الماء فى امن وسرور وفرح وحبور اذ ساق القضاء اليه بازا جائعا فضربه بمخلبه ضربة فقتله ولم يغن عنه الحذر عند فراغ الاجل وسبب قتله غفلته عن التسبيح قيل انه كان يقول فى تسبيحه سبحان ربنا فيما قدر ودبر سبحان ربنا فيما اغنى وافقر هذا ما كان من حديث الطير فقال الملك يا شهرزاد لقد زدتنى بحكايتك مواعظ واعتبارا فهل عندك شئ من حكايات الوحوش فقالت اعلم ايها الملك ان ثعلبا وذئبا الفا وكرا فكانا يأويان اليه مع بعضهما فلبثا على ذلك مدة من الزمان وكان الذئب للثعلب قاهرا فاتفق ان الثعلب اشار على الذئب بالرفق وترك الفساد وقال له ان دمت على عتوك ربما سلط الله عليك ابن آدم فانه ذو حيل ومكر وخداع يصيد الطير من الجو والحوت من البحر ويقطع الجبال وينقلها وكل ذلك من حيله فعليك بالانصاف وترك الشر والاعتساف فانه اهنا لطعامك فلم يقبل الذئب قوله واغلظ له الرد وقال له لا علاقة لك بالكلام فى عظيم الامور وجسيمها ثم لطم الثعلب لطمة فخرت منها مغشيا عليه فلما افاق تبسم فى وجه الذئب واعتذر اليه من الكلام الشين وانشد هذين البيتين

ان كنت قد اذنبت ذنبا سالفا * فى حبكم واتيت شيأ منكرا
انا تائب عما جنوت وعفوكم * يسع المسيء اذا اتى مستغفرا

فقبل الذئب اعتذاره وكف عنه اشراره وقال له لا تتكلم فيما لا يعنيك تسمع ما لا يرضيك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الذئب قال للثعلب لا تتكلم فيما لا يعنيك تسمع ما لا يرضيك فقال له الثعلب سمعا وطاعة فانا بمعزل عن ما لا يرضيك فقد قال الحكيم لا تخبر عن ما لا تسأل عنه ولا تجب ما لا تدعى اليه وذر الذى لا يعنيك الى ما يعنيك ولا تبذل النصيحة للاشرار فانهم يجزونك عليها شرا فلما سمع الذئب كلام الثعلب تبسم فى وجهه ولكنه اضمر له مكرا وقال لابدان اسعى فى هلاك هذا الثعلب واما الثعلب فانه صبر على اذى الذئب وقال فى نفسه ان البطر والافتراء يجلبان الهلاك ويوقعان فى الارتباك

فقد قيل من بطر خسر ومن جهل ندم ومن خاف سلم والانصاف من شيم الاشراف والاداب اشرف الاكتساب ومن الراى مداراة هذا الباغى ولابد له من مصرع ثم ان الثعلب قال للذئب ان الرب يعفو ويتوب على عبده ان اقترف الذنوب وانا عبد ضعيف وقد ارتكبت فى نصحك التعسيف ولو علمت بما حصل لى من الم لطمتك لعلمت ان الفيل لا يقوم به ولا يقدر عليه ولكنى لا اشتكى من الم هذه اللطمة بسبب ما حصل لى بها من السرور فانها وان كانت قد بلغت منى مبلغا عظيما عاقبتها سرور وقد قال الحكيم ضرب المؤدب اوله صعب شديد وآخره احلى من العسل المصفى فقال الذئب غفرت ذنبك واقلت عثرتك فكن من قوتى على حذر واعترف لى بالعبودية فقد علمت قهرى لمن عادانى فسجد له الثعلب وقال له اطال الله عمرك ولا زلت قاهرا لمن عاداك ولم يزل الثعلب خائفا من الذئب مصانعا له ثم ان الثعلب ذهب الى كرم يوما فرأى فى حائطه ثلمة فانكرها وقال فى نفسه ان هذه الثلمة لابد لها من سبب وقد قيل من رأى خرقا فى الارض فلم يجتنبه ويتوقى عن الاقدام عليه كان بنفسه مغرا وللهلاك متعرضا وقد اشتهر ان بعض الناس يعمل صورة الثعلب فى الكرم حتى يقدم اليه العنب فى الاطباق لاجل ان يرى ذلك ثعلب فيقدم اليه فيقع فى الهلاك وانى ارى هذه الثلمة مكيدة وقد قيل ان الحذر نصف الشطارة ومن الحذر ان ابحث عن هذه الثلمة وانظر لعلى اجد عندها امرا يؤدى الى التلف ولا يحملنى الطمع على ان القى نفسى فى الهلكة ثم دنا منها وطاف بها وهو محاذر فرآها فاذا هى حفيرة عظيمة قد حفرها صاحب الكرم ليصيد فيها الوحش الذى يفسد الكرم ورأى عليها غطاء رقيقا فتأخر عنها وقال الحمد لله حيث حذرتها وارجو ان يقع فيها عدوى الذئب الذى نغص عيشى فأستقل بالكرم وحدى واعيش فيه آمنا ثم هز رأسه وضحك ضحكا عاليا واطرب بالنغمات وانشد هذه الابيات

ليتنى ابصرت هذا الوقت * فى ذى البئر ذئبا
طال ما قد ساء قلبى * وسقانى المر غصبا
ليتنى من بعد هذا * ابقى ويقضى الذئب نحبا
ثم يخلو الكرم منه * وارى لى فيه نهبا

فلما فرغ من شعره انطلق مسرعا حتى وصل الذئب وقال ان الله سهل لك الامور الى الكرم بلا تعب وهذا من سعادتك فهنيئا لك بما فتح الله عليك وسهل لك من تلك الغنيمة والرزق الواسع بلا مشقة فقال الذئب للثعلب وما الدليل على ما وصفت قال انى انتهيت الى الكرم فوجدت صاحبه قد مات ودخلت البستان فرأيت الاثمار زاهية على الاشجار فلم يشك الذئب فى قول الثعلب وادركه الشره فقام حتى انتهى الى الثلمة وقد غره الطمع ووقف الثعلب متهافتا كالميت وتمثل بهذا البيت

انطمع من ليلى بوصل وانما * تضربا عناق الرجال المطامع

فلما انتهى الذئب الى الثلمة قال له الثعلب ادخل الى الكرم فقد كفيت مؤنة هدم حائط البستان وعلى الله تمام الاحسان فاقبل الذئب ماشيا يريد الدخول الى الكرم فلما توسط غطاء الثلمة وقع فيها فاضطرب الثعلب اضطرابا شديدا من السرور والفرح وزال عنه الهم والترح واطرب بالنغمات وانشد هذه الابيات

رق الزمان لحالتى * ورثى لطول تحرقى
وانالنى ما اشتهى * وازال عما اتقى

فلا اصفعن عما جنا * ممن الذنوب السبق
حتى جنايته بما * فعل المشيب بمفرق
فالذئب ليس له خلا * ص من هلاله موبق
والكرم لى وحدى وما * لى من شريك احمق

ثم انه تطلع فى الحفرة فرأى الذئب يبكى ندما وحزنا على نفسه فبكى الثعلب معه فرفع الذئب رأسه الى الثعلب وقال له امن رحمتك لى بكيت يا ابا الحصين قال لا والذى قذفك فى هذه الحفرة انما بكيت لطول عمرك الماضى واسفا على كونك لم تقع فى هذه الثلمة قبل اليوم ولو وقعت فيها قبل اجتماعى بك لكنت ارحت واسترحت ولكن ابقيت الى اجلك المحتوم ووقتك المعلوم فقال له الذئب رح ايها المسىء فى فعله لوالدتى واخبرها بما حصل لى لعلها تحتال على خلاصى فقال له الثعلب لقد اوقعك فى الهلاك شدة طمعك وكثرة حرصك حيث سقطت فى حفرة لست منها بسالم الم تعلم ايها الذئب الجاهل ان صاحب المثل يقول من لم يفكر فى العواقب لم يامن المعاطب فقال الذئب للثعلب يا ابا الحصين انما كنت تظهر محبتى وترغب فى مودتى وتخاف من شدة قوتى فلا تحقد على بما فعلت معك فمن قدر وعفى كان اجره على الله وقد قال الشاعر

ازرع جميلا ولو فى غير موضعه * ما خاب قط جميل ايما زرع
ان الجميل وان طال الزمان به * فليس يحصده الا الذى زرع

فقال له الثعلب يا اجهل السباع واحمق الوحوش فى البقاع هل نسيت تجبرك وعتوك وتكبرك وانت لم ترع حق المعاشرة ولم تنتصح بقول الشاعر

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا * ان الظلوم على حد من النقم
تنام عينك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

فقال له الذئب يا ابا الحصين لا تؤاخذنى بسابق الذنوب فالعفو من الكرام مطلوب وصنع المعروف من احسن الذخائر وما احسن قول الشاعر

بادر بخير اذا ما كنت مقتدرا * فليس فى كل حين انت مقتدرا

وما زال الذئب يتذلل للثعلب ويقول له لعلك تقدر على شئ تخلصنى به من الهلاك فقال له الثعلب ايها الذئب الماكر الخادع الغادر لا تطمع فى الخلاص فان هذا جزاء القبيح فعلك وقصاص ثم فعلك بالشدقين وانشد هذين البيتين

لا تكثرن خداعى * فلن تنال منالا
مارمت منى محالا * زرعت فاحصد وبالا

فقال الذئب ثعلب يا حليم السباع انت عندى اوثق من ان تتركنى فى هذه الحفرة ثم افاض دمع العين وانشد هذين البيتين

يا من ايادية عندى غير واحدة * ومن مواهبه تعيو عن العدد
ما نابنى من زمانى قط نائبة * الا وجدتك فيها آخذا بيدى

فقال الثعلب ايها العدو الاحمق كيف صرت الى التضرع والخشوع والذلة والخضوع بعد الانفة والتكبر والظلم والتجبر لقد صحبتك خائفا من عدوانك وتملقت لك لا رغبة فى احسانك والان نزلت بك الرجفة

وحلت بك النقمة وانشد هذين البيتين

يا ايها المتمس الخديعة * وقعت فى نيتك الشنيعة
فذق وبال المحنة الفظيعة * وكن مع الذياب فى قطيعة

فقال له الذئب ايها الحليم لا تكن بلسان العداوة ناطقا وبعينها محدقا وكن وافيا بعهد ائتلافى قبل ان يفوت وقت التلافى وقم وتسبب لى فى حبل تشد طرفه فى شجرة وتدلى طرفه الاخر الى حتى اتعلق به لعلى انجو مما انا فيه وادفع لك جميع ما حوته يدى من الذخائر فقال له الثعلب لقد اكثرت من المحاورة فيما ليس فيه خلاصك فلا ترجو منى نجاة نفسك واذكر ما سلف من سوء فعلك وما انضمر لى من الغدر والمكر واين انت من الرجم بالحجارة واعلم بان ذاتك للدنيا مفارقة ومنها زائلة وعنها راحلة ثم تصير الى الدمار وسوء الدار فقال له الذئب يا ابا الحصين كن قريب الرجوع الى الوداد ولا تصر على ضغائن الاحقاد واعلم ان من خاص نفسا من الهلاك فقد احياها ومن احياها فكانما احيى الناس جميعا ولا تتبع الفساد فان الحكماء تكرهه ولا فساد اظهر من كونى فى تلك الحفرة اتجرع غصص الموت وانظر الى الهلاك وانت قادر على خلاصى من الارتباك فقال له الثعلب ايها اللفظ الغليظ انى اشبهك فى حسن علانيتك وقبح نيتك بالباز مع الحجل قال الذئب وما حديث الباز والحجل قال الثعلب دخلت يوما كرما لاكل من عنبه فبينما انا فيه اذ رأيت بازا انقض على حجل فلما اقتنصه انفلت منه الحجل ودخل وكره واختفى فيه فتبعه الباز وناداه ايها الجاهل انى رأيتك فى البرية جائعا فرحمتك والتقطت لك حبا وامسكتك لتأكل فهربت منى ولم اعرف لهربك وجها الا الحرمان فاظهر وخذ ما آتيتك به من الحب فكله هنيا مريئا فلما سمع الحجل قول الباز صدقه وخرج اليه فانشب مخالبه فيه ومكنها منه فقال له الحجل اهذا الذى ذكرت انك اتيتنى به من البرية وقلت لى كله هنيا مريئا فكذبت على جعل الله ما تأكله من لحمى فى جوفك سما قاتلا فلما اكله وقع ريشه وسقطت قوته ومات لوقته ثم قال له الثعلب اعلم ايها الذئب ان من حفر لاخيه خليبا وقع فيه قريبا وانت غدرت بى اولا فقال الذئب للثعلب دعنى من هذا المقال وضرب الامثال ولا تذكرنى ما سلف منى من قبيح الفعال يكفينى ما انا فيه من سوء الحال حيث وقعت فى ورطة يرثى لى منها العدو فضلا عن الصديق وانظر لى حيلة اتخلص بها وكن فيها غياثى وان كان عليك فى ذلك مشقة فقد يحتمل الصديق لصديقه اشد النصب ويقاسى فيما فيه نجاته العطب وقد قيل ان الصديق الشفيق خير من الاخ الشقيق وان تسببت فى نجاتى لاجمعن لك من الالة ما يكون لك عدة ثم لاعلمنك من الحيل الغريبة ما تفتح به الكروم المخصبة وتجنى الاشجار المثمرة فطاب نفسا وقر عينا فقال له الثعلب وهو يضحك ما احسن ما قالته العلماء فى كثير الجهل مثلك قال الذئب وما قالت العلماء قال الثعلب ذكر العلماء ان الغليظ البائة الغليظ الطبع يكون بعيدا من العقل قريبا من الجهل لان قولك ايها الماكر الاحمق قد يحتمل الصديق المشقة فى تخليص صديقه صحيح كما ذكرت ولكن عرفنى بجهلك وقلة عقلك كيف اصادقك مع خيانتك احسبتنى لك صديقا وافالك عدوشامت وهذا الكلام اشد من رشق السهام ان كنت تعقل واما قولك انك تعطينى من الالات ما يكون عدة لى وتعلمنى من الحيل ما اصل به الى الكروم المخصبة واجتنى به الاشجار المثمرة فمثالك ايها الخادع الغادر لا تعرف لك حيلة تتخلص بها من الهلاك فابعد لك من المنفعة لنفسك وما ابعدنى من القبول لنصيحتك فان كان عندك حيل فتحيل لنفسك فى الخلاص من هذا الامر الذى اسأل الله ان يبعد خلاصك منه فانظر ايها الجاهل ان كان عندك حيلة تخلص

نفسك بها من القتل قبل ان تبذل التعليم لغيرك ولكنك مثل انسان حصل له مرض فاتاه رجل مريض بمثل مرضه ليداويه فقال له هل لك ان اداويك من مرضك فقال له الرجل هل لابدأت بنفسك بالمداواة فتركه وانصرف وانت ايها الذئب كذلك فالزم مكانك واصبر على ما اصابك فلما سمع الذئب كلام الثعلب علم انه لا خير له عنده فبكى على نفسه وقال قد كنت فى غفلة من امرى فان خلصنى الله من هذا الكرب لاتوبن من تجبرى على من هو اضعف منى ولالبسن الصوف ولاصعدن الجبل ذاكرا لله تعالى خائفا من عقابه واعتزل سائر الوحوش ولاطعمن المجاهدين والفقراء ثم بكى وانتحب فرق له قلب الثعلب وكانه لما سمع تضرعه والكلام الذى يدل على توبته من العتو والتكبر اخذته الشفقة عليه فوثب من فرحته ووقف على شفير الحفيرة ثم جلس على رجليه وادلى ذنبه فى الحفيرة فعند ذلك قام الذئب ومد يده الى ذنب الثعلب وجذبه اليه فصار فى الحفيرة معه ثم قال له الذئب ايها الثعلب القليل الرحمة كيف تشمت بى وقد كنت صاحبى وتحت قهرى وقد وقعت معى فى الحفرة وتجعلت لك العقوبة وقد قالت الحكماء لو عاير احدكم اخاه برضاع كلبة لارتضعها وما احسن قول الشاعر

اذا ما الدهر جر على اناس * كلاكله اناخ باخرين

فقل للشامتين بنا افيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

ثم قال الذئب للثعلب فلابد ان اعجل قتلك قبل ان ترى قتلى فقال الثعلب فى نفسه انى وقعت مع هذا الجبار وهذا الحال يحتاج الى المكر والخداع وقد قيل ان المرأة تصوغ حليها اليوم الزينة وفى المثل ما ادخرتك يا دمعتى الا لشدتى وان لم اتحيل فى امر هذا الوحش الظالم هلكت لامحالة وما احسن قول الشاعر

عش بالخداع فانت فى * زمن بنوه كاسد بيشه

وادرق قناة المكر حتى * تستدير رحى المعيشه

واجن الثمار فان تفتك فرض نفسك بالحشيشه

ثم ان الثعلب قال للذئب لاتعجل على بالقتل فتندم ايها الوحش الصنديد صاحب القوة والبأس الشديد وان تمهلت وامعنت النظر فيما احكيه لك عرفت قصدى الذى قصدته وان عجلت بقتلى فلا فائدة لك فيه وتموت جيعا هاهنا فقال له الذئب ايها الخادع الماكر وما الذى ترجوه من سلامتى وسلامتك حتى تسألنى التمهل عليك فاخبرنى بقصدك الذى قصدته فقال له الثعلب اما قصدى الذى قصدته فما ينبغى ان تحسن عليه مجازاتى لانى سمعت ما وعدت من نفسك واعترافك بما سلف منك وتلهفك على ما فاتك من التوبة وفعل الخير وسمعت ما نذرته على نفسك من كف الاذى عن الاصحاب وغيرهم وتركك اكل العنب وسائر الفواكه ولزومك الخشوع وتقليم اظفارك وتكسير انيابك وان تلبس الصوف وتقرب القربان لله تعالى ان نجالك مما انت فيه اخذتنى الشفقة عليك مع انى كنت على هلاكك حريصا فلما سمعت منك توبتك وما نذرته على نفسك ان نجالك الله لزمنى خلاصك مما انت فيه فاذليت اليك ذنبى لكيما تتعلق به وتنجو فلم تترك الحالة التى انت عليها من العنف والشدة ولم تلتمس النجاة والسلامة لنفسك بالرفق بل جذبتنى جذبة ظننت منها ان روحى قد خرجت فصرت انا وانت فى منزلة الهلاك والموت وما ينجينى انا وانت الا شئ ان قبلته منى خلصت انا وانت وبعد ذلك يجب عليك ان تفى بما نذرته واكون رفيقك فقال له الذئب وما الذى اقبله منك قال له الثعلب تنهض قائما ثم اعلو انا فوق رأسك حتى اكون قريبا

من ظاهر الارض فانى حين اصير فوقها اخرج وآتيك بما تتعلق به وتخلص انت بعد ذلك فقال له الذئب لست بقولك واثقا لان الحكماء قالوا من استعمل الثقة فى موضع الحقد كان مخطئا وقيل من وثق بغير ثقة كان مغرورا ومن جرب المجرب حلت به الندامة ومن لم يفرق بين الحالات فيعطى كل حالة حظها بل حمل الاشياء كلها على حالة واحدة قل حظه وكثرت مصائبه وما احسن قول الشاعر

لا يكن ظنك الاسيأ * ان سوء الظن من اقوى الفطن
مار مى الانسان فى مهلكة * مثل فعل الخير والظن الحسن

وقول الاخر

الزم يقينك سوء الظن تنج به * من عاش مستيقظا فاق مصائبه
والق العدو بوجه باسم طلق * وانصب له فى الحشى جيشا يحاربه

وقول الاخر

اعدى عدوك ادنى من وثقت به * فحاذر الناس واصحبهم على دخل
وحسن ظنك بالايام معجزة * فظن شرا وكن منها على وجل

فقال له الثعلب ان سوء الظن ليس محمودا فى كل حال وحسن الظن من شيم الكمال وعاقبته النجاة من الاهوال وينبغى لك ايها الذئب ان تتحيل على النجاة مما انت فيه وتسلم جميعا خير من موتنا فارجع عن سوء الظن والحقد لانك ان احسنت الظن بى لا تخلو من احد امرين اما ان آتيك بما تتعلق به وتنجو مما انت فيه واما ان اغدر بك فاخلص وادعك وهذا مما لا يمكن فانى لا امن ان ابتلى بشئ مما ابتليت به فيكون ذلك عقوبة الغدر وقد قيل فى الامثال الوفاء مليح والغدر قبيح فينبغى ان تثق بى فانى لم اكن جاهلا بحوادث الدهر فلا تؤخر حيلة تخلصنا فالامر اضيق من ان نطيل فيه الكلام فقال الذئب ان مع قلة ثقتى بوفائك قد عرفت ما فى خاطرك من انك اردت خلاصى لما عرفت توبتى فقلت فى نفسى ان كان محقا فيما زعم فانه استدرك ما افسد وان كان مبطلا فجزاؤه على ربه وها انا اقبل منك ما اشرت به على فان غدرت بى كان الغدر سببا لهلاكك ثم ان الذئب انتصب قائما فى الحفرة واخذ الثعلب على اكتافه حتى ساوى به ظاهر الارض فوثب الثعلب عن اكتاف الذئب حتى صار على وجه الارض ووقع مغشيا عليه فقال له الذئب يا خليلى لا تغفل عن امرى ولا تؤخر خلاصى فضحك الثعلب وقهقه وقال ايها المغرور لم يوقعنى فى يدك الا المزح معك والسخرية بك وذلك انى لما سمعت توبتك استخفنى الفرح فطربت ورقصت فتدلى ذنبى فى الحفرة فجذبتنى فوقعت عندك ثم انقذنى الله تعالى من يدك فانى لا اكون عونا على هلاكك وانت من حزب الشيطان واعلم انى رأيت البارحة فى منامى انى ارقص فى عرسك فقصصت الرؤيا على معبر فقال لى انك تقع فى ورطة وتنجو منها فعلمت ان وقوعى فى يدك ونجاتى هو تأويل رؤياى وانت تعلم ايها المغرور الجاهل انى عدوك فكيف تطمع بقلة عقلك وجهلك فى انقيادى اياك مع ما سمعت من غلظ كلامى وكيف اسعى فى نجاتك وقد قالت العلماء ان فى موت الفاجر راحة للناس وتطهيرا للارض ولولا مخافة ان احتمل من الالم فى الوفاء لك ما هو اعظم من الم الغدر لتدبرت فى خلاصك فلما سمع الذئب كلام الثعلب عض على كفه ندما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الذئب لما سمع كلام الثعلب عض على كفه ندما ثم لين له الكلام ولم يجد بدا من ذلك وقال له بلسان خافت انكم معاشر الثعالب من احلى القوم لسانا والطفهم مزاحا وهذا منك مزاح ولكن ما كل وقت يحسن اللعب والمزاح فقال الثعلب ايها الجاهل ان للمزاح حدا لا يجاوزه صاحبه فلا تحسب ان الله يمكنك منى بعد ان انقذنى من يديك فقال له الذئب انك لجدير ان ترغب فى خلاصى لما بيننا من سابق المواخاة والصحبة وان خلصتنى لابد ان احسن مكافاتك فقال الثعلب قد قالت الحكماء لا تواخ الجاهل الفاجر فانه يشينك ولا يزينك ولا تواخ الكذاب فانه ان بدا منك خير اخفاه وان بدا منك شر افشاه وقالت الحكماء لكل شئ حيلة الا الموت وقد يصلح كل شئ الا فساد الجوهر وقد يدفع كل شئ الا القدر واما من جهة المكافاة التى زعمت انى استحقها منك فانى شبهتك فى مكافاتك بالحية الهاربة من الحاوى اذ رأها رجل وهى مرعوبة فقال لها ما شأنك ايها الحية قالت هربت من الحاوى فانه يطلبنى ولئن انجيتنى منه واخفيتنى عندك لاحسنن مكافأتك واصنع معك كل جميل فاخذها اغتناما للاجر وطمعا فى المكافاة وادخلها فى جيبه فلما فات الحاوى ومضى الى حال سبيله وزال عنها ما كانت تخافه قال لها الرجل اين المكافاة وقد انجيتك مما تخافين وتحذرين فقالت له الحية اخبرنى فى اى عضو انهشك وقد علمت انه لا نجاة لك من هذه المكافاة ثم نهشته نهشة مات منها وانت ايها الاحمق شبهتك بتلك الحية مع ذلك الرجل اما سمعت قول الشاعر

لا تامنن فتى اسكنت مهجته * غيظا وتحسب ان الغيظ قد زالا
ان الافاعى وان لانت ملامسها * تبدى العطافا وتخفى السم قتالا

فقال له الذئب ايها الفصيح صاحب الوجه المليح لا تجهل حالى وخوف الناس منى وقد علمت انى اهجم على الحصون واقلع الكروم فافعل ما امرتك به وقم بى قيام العبد بسيده فقال له الثعلب ايها الاحمق الجاهل المحاول بالباطل انى تجبت من حماقتك وصلابة وجهك فيما تأمرنى به من خدمتك والقيام بين يديك حتى كانى عبدك ولكن سوف ترى ما يحل بك من شرخ رأسك بالحجارة وكسر انيابك الغدارة ثم وقف الثعلب على تل يشرف على الكرم ولم يزل يصيح لاهل الكرم حتى بصروا به واقبلوا عليه مسرعين فثبت لهم الثعلب حتى قربوا منه ومن الحفرة التى فيها الذئب ثم ولى الثعلب هاربا فنظر اصحاب الكرم فى الحفرة فلما رأوا فيها الذئب وقعوا عليه بالحجارة الثقال ولم يزالوا يضربونه بالحجارة والخشب ويطعنوه باسنة الرماح حتى قتلوه وانصرفوا فرجع الثعلب الى تلك الحفرة ووقف على مقتل الذئب فرأه ميتا فخر لذا سه من شدة الفرحات وانشد هذه الابيات

اودى الزمان بنفس الذئب فاختطفت * بعدا وسحقا لها من مهجة تلفت
فكم سعيت ايا سرحان فى تلفى * فاليوم حلت بك الافات والتهب
وقعت فى حفرة ما حلها احد * الا وفيها رياح الموت قد عصفت

ثم ان الثعلب اقام بالكرم وحده مطمئنا لا يخاف ضررا وهذا ما كان من حديث الذئب والثعلب ومما يحكى ان فارة وبنت عرس كانا ينزلان منزلا لبعض الناس وكان ذلك الرجل فقيرا وقد مرض بعض اصدقائه فوصف له الطبيب السمسم المقشور فاعطى قدرا من السمسم لذلك الرجل الفقير ليقشره له فاعطاه ذلك الرجل لزوجته وامرها باصلاحه فقشرته تلك المرأة واصلحته فلما عاينت بنت عرس السمسم انتبه اليه ولم تزل تنقل من ذلك السمسم الى جحرها طول يومها حتى نقلت اكثره وجاءت

المرأة فرأت نقصان السمسم وانحاز فجلست ترصد من يأتى اليه حتى تعلم سبب نقصانه فنزلت بنت عرس لتنقل منه على عادتها فرأت المرأة جالسة فعلمت انها ترصدها فقالت فى نفسها ان لهذا الفعل عواقب ذميمة وانى اخشى من تلك المرأة ان تكون لى بالمرصاد ومن لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب ولابد لى ان اعمل عملا حسنا اظهر به براءتى من جميع ما عملته من القبيح فجعلت تنقل من ذلك السمسم الذى فى جحرها فرأتها المرأة وهى تفعل ذلك فقالت فى نفسها ما هذه سبب نقصه لانها تأتى به من جحرها الذى اختلسه ونضعه على بعضه وقد احسنت الينا فى رد السمسم وما جزاء من احسن الا ان يحسن اليه وليست هذه آفة فى السمسم ولكن لا ازال ارصده حتى يقع واعلم من هو فعلمت بنت عرس ما خطر ببال تلك المرأة فانطلقت الى الفارة فقالت لها يا اختى انه لا خير فيمن لا يراعى المجاورة ولا يثبت على المودة فقالت الفارة نعم يا خليلتى وانعم بك وبجوارك فما سبب هذا الكلام قالت بنت عرس ان رب البيت اتى بسمسم فاكل منه هو وعياله وشبعوا واستغنوا عنه وتركوه وقد اخذ منه كل ذى روح فلو اخذت انت الاخرى كنت احق به ممن يأخذ منه فاعجب الفارة ذلك ورقصت ولعبت ذنبها وغرها الطمع فى السمسم فقامت من وقتها وخرجت من بيتها فرأت السمسم منثورا بلمع من البياض والمرأة جالسة ترصده فلم تفكر الفارة فى عاقبة الامر وكانت المرأة قد استعدت بهراوة فلم تمالك الفارة نفسها حتى دخلت فى السمسم وعاثت فيه وصارت تأكل منه فضربتها المرأة بتلك الهراوة فشجت رأسها وكان الطمع سبب هلاكها فغلتها عن عواقب الامور فقال الملك يا شهرزاد والله ان هذه حكاية مليحة فهل عندك حديث فى حسن الصداقة والمحافظة عليها عند الشدة فى التخلص من الهلكة قالت نعم بلغنى ان غرابا وسنورا كانا متآخيين فبينما هما تحت شجرة على تلك الحالة اذ رايا نمرا مقبلا على تلك الشجرة التى كانا تحتها ولم يعلما به حتى صار قريبا من الشجرة فطار الغراب الى اعلى الشجرة وبقى السنور متحيرا فقال للغراب يا خليلى هل عندك حيلة فى خلاصى كما هو الرجاء فيك فقال له الغراب انما تلتمس الاخوة عند الحاجة اليهم فى الحيلة عند نزول المكروه بهم وما احسن قول الشاعر

ان صديق الحق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك نفسه ليجمعك

وكان قريبا من الشجرة رعاة معهم كلاب فذهب الغراب حتى ضرب بجناحه وجه الارض ونعق وصاح ثم تقدم اليهم وضرب بجناحه وجه بعض الكلاب وارتفع قليلا وتبعته الكلاب وصارت فى اثره ورفع الراعى رأسه فرأى طائرا يطير قريبا من الارض ويقع فتبعه وصار الغراب لا يطير الا بقدر التخلص من الكلاب ويطمعها فى ان تفترسه ثم ارتفع قليلا وتبعته الكلاب حتى انتهى الى الشجرة التى تحتها النمر فلما رأت الكلاب النمر وثبت عليه فولى هاربا وكان يظن انه يأكل السنور فنجى منه ذلك السنور بحيلة الغراب صاحبه وقد اخبرتك بهذا ايها الملك لتعلم ان مودة اخوان الصفاء تنجى من الهلكات وحكى ان ثعلبا سكن فى بيت فى الجبل وكان كلما ولد ولدا واشتد ولدها كلمه من الجوع وان لم يأكل ولده اضربه الجوع وكان يأوى الى دوحة ذلك الجبل غراب فقال الثعلب فى نفسه اريد ان اعقد بينى وبين هذا الغراب مودة واجعله لى مؤنسا على الوحدة معاونا على طلب الرزق لانه يقدر من ذلك على ما لا اقدر عليه فدنا الثعلب من الغراب حتى صار قريبا منه بحيث يسمع كلامه فسلم عليه ثم قال له يا جارى ان للجار المسلم على الجار المسلم حقين حق الجيرة وحق الاسلام واعلم بانك جارى ولك على حق يجب قضاؤه وخصوصا مع طول المجاورة على

ان فى صدرى وديعة من محبتك دعتنى الى ملاطفتك وبعثتنى على التماس خوفك فما عندك من الجواب فقال الغراب للثعلب اعلم ان خير القول اصدقه وربما تحدث بلسانك ما ليس فى قلبك واخش ان تكون اخوتك باللسان ظاهرا وعداوتك فى القلب لانك اكل واما مأكول فوجب لنا التباين فى المحبة ولا يمكن مواصلتنا فما الذى دعاك الى طلب ما لا تدرك وارادة ما لا يكون وانت من جنس الوحش وانا من جنس الطير وهذه الاخوة لا تصح فقال له الثعلب ان من علم موضع الاجلاء فاحسن الاختيار فيما يختاره منها ربما يصل الى منافع الاخوان وقد احببت قربك واخترت الانس بك ليكون بعضنا عونا لبعض على اغراضنا وتعقب مودتنا نجاحا وعندى حكايات فى حسن الصداقة ان اردت ان احكيها حكيتها لك فقال الغراب اذنت لك فى ان تبثها فحدثنى بها حتى اعرف المراد منها فقال له الثعلب اسمع يا خليلى يحكى عن برغوث وفارة ما يستدل به على ما ذكرته لك فقال الغراب وكيف كان ذلك فقال الثعلب زعموا ان فارة كانت فى بيت رجل من التجار كثير المال فأوى البرغوث ليلة الى فراش ذلك التاجر فرأى بدنا ناعما وكان البرغوث عطشانا فشرب من دمه ووجد التاجر من البرغوث الما فاستيقظ من النوم واستوى قاعدا ونادى بعض اتباعه فاسرعوا اليه وشمروا عن ايديهم يطوفون على البرغوث فلما احس البرغوث بالطلب ولى هاربا فصادف جحر الفارة فدخله فلما رأته الفارة قالت له ما الذى ادخلك على ولست من جوهرى ولا من جنسى ولست بامن من الغلظة عليك ولا مضاررتك فقال لها البرغوث انى هربت فى منزلك وفزت بنفسى من القتل واتيتك مستجيرا بك ولا طمع لى فى بيتك ولا يلحقك منى شر يدعوك الى الخروج من منزلك وانى ارجو ان اكافيك على احسانك الى بكل جميل وسوف تحمدين عاقبة ما اقول لك فلما سمعت الفارة كلام البرغوث وادركه شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الفارة لما سمعت كلام البرغوث قالت اذا كان الكلام على ما اخبرت فاطمئن هنا وما عليك باس ولا تجد الا ما يسرك ولا يصيبك الا ما يصيبنى وقد بذلت لك مودتى ولا تندم على ما فاتك من دم التاجر ولا تأسف على قوتك منه وارض بما تيسر لك من العيش فان ذلك اسلم لك وقد سمعت ايها البرغوث بعض الوعاظ ينشد هذه الابيات

سلكت القناعة والانفراد * وقضيت دهرى بماذا اتفق
بكسرة خبز وشربة ماء * وملح جريش وثوب خلق
فان يسر الله فى عيشتى * والا قنعت بما قد رزق

فلما سمع البرغوث كلام الفارة قال يا اختى قد سمعت وصيتك وانقدت الى طاعتك ولا قوة لى على مخالفتك الى ان ينقضى العمر بتلك النية الحسنة فقالت له الفارة كنى بصدق المودة فى صلاح النية ثم انعقد الود بينهما وكان البرغوث بعد ذلك يأوى الى فراش التاجر ولا يتجاوز بلغته ويأوى بالنهار مع الفارة فى مسكنها فاتفق ان التاجر جاء ليلة الى منزله بدنانير كثيرة فجعل يقلبها فلما سمعت الفارة صوت الدنانير اطلعت رأسها من جحرها وجعلت تنظر اليها حتى وضعها التاجر تحت وسادة ونام فقالت الفارة للبرغوث اما ترى الفرصة والحظ العظيم فهل عندك حيلة توصلنا الى بلوغ الغرض من تلك الدنانير قال

البرغوث انه لايحسن لمن طلب الغرض الا ان يكون قادرا عليه فان كان ضعيفا عنه وقع فيما يحذره ولم يدرك مراده مع الضعف وان استحكمت قوة المحتال كالعصفور الذى يلتقط الحب فيقع فى الشبكة فيقتنصه صايده وليس لك قوة على اخذ الدنانير ولا على اخراجها من البيت وانا الطاقة لى على ذلك بل ولا على حمل دينار واحد منها فشأنك والدنانير فقالت له الفارة انى اعددت فى جحرى هذا سبعين منفذا اخرج منها متى اردت الخروج واعددت للذخائر موضعا حريزا وان تحيلت انت على اخراجه من البيت فلست اشك فى الظفر ان ساعدنى القدر فقال لها البرغوث قد التزمت لك باخراجه من البيت ثم انطلق البرغوث الى فراش التاجر ولدغه لدغة قوية لم يكن للتاجر بمثلها ثم تنحى البرغوث الى موضع يامن فيه على نفسه من التاجر وانتبه التاجر يفتش على البرغوث فلم يجد شيأ فرقد على جنبه الاخر فلدغه البرغوث لدغة اشد من الاولى فقلق التاجر وفارق مضجعه وخرج الى مصطبة على باب داره فنام هنالك ولم ينتبه الى الصباح ثم ان الفارة اقبلت على نقل الدنانير حتى لم تترك منها شيا فلما اصبح الصباح صار التاجر يتهم الناس ويظن الظنون ثم قال الثعلب للغراب واعلم انى لم اقل لك هذا الكلام ايها الغراب البصير العاقل الخبير الا ليصل اليك جزاء احسانك الى كما وصل للفارة جزاء احسانها الى البرغوث فانظر كيف جازاها احسن المجازاة وكافاها احسن المكافاة فقال الغراب ان شاء المحسن يحسن اولا يحسن وليس الاحسان واجبا لمن التمس صلة بقطيعة وان احسنت اليك مع كونك عدوى اكون قد تسببت فى قطيعة نفسى وانت ايها الثعلب ذو مكر وخداع ومن شيمته المكر والخديعة لا يؤمن على عهد ومن لا يؤمن على عهده لا امان له وقد بلغنى من قريب انك غدرت بصاحبك الذئب ومكرت به حتى اهلكته بغدرك وحيلتك وفعلت به هذه الامور مع انه من جنسك وقد صحبته مدة مديدة فما ابقيت عليه فكيف اثق منك بنصيحة واذا كان هذا فعلك مع صاحبك الذى من جنسك فكيف يكون فعلك مع عدوك الذى من غير جنسك وما مثالك معى الا مثال الصقر مع ضوارى الطير فقال الثعلب وما حكاية الصقر مع ضوارى الطير فقال الغراب زعموا ان صقرا كان جبارا عنيدا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الغراب قال زعموا ان صقرا كان جبارا عنيدا ايام شبيبته وكانت سباع البر وسباع الطير تفزع منه ولا يسلم من شره احد وله حكايات كثيرة فى ظلمه وتجبره وكان دأب هذا الصقر الاذى لسائر الطيور فلما مرت عليه السنون ضعف وجاع واشتد جهده بعد فقد قوته فاجمع رأيه على ان يأتى مجمع الطير فيا كل ما يفضل منها فعند ذلك صار قوته بالحيلة بعد القوة والشدة وانت كذلك ايها الثعلب ان عدمت قوتك ما عدمت خداعك ولست اشك فى ان ما تطلبه من صحبتى حيلة على قوتك فلا كنت ممن يضع يده فى يدك لان الله اعطانى قوة فى جناحى وحذرا فى نفسى وبصرا فى عينى واعلم ان من تشبه باقوى منه تعب وربما هلك وانا اخاف عليك ان تشبهت بمن هو اقوى منك ان يجرى لك ما جرى للعصفور قال الثعلب وما جرى للعصفور فبالله عليك ان تخبرنى به فقال الغراب بلغنى ان عصفورا كان طائرا بمراح غنم فنظر الى المراح واذا بعقاب كبير انقض على رميس من صغار اولاد الغنم فاختطفه بمخالبه وطار فلما رأه العصفور نشر جناحه وقال انا افعل مثل ما فعل هذا واجبته نفسه وتشبه بمن هو

اكبر منه فطار لوقته وانقض على كبش سمين له صوف كثير وقد تلبد صوفه من رقاده على بوله وروثه
فصار صوفه مثل البزاق فلما انقض على ظهره صفق بجناحيه فاشتبكت رجلاه فى الصوف فاراد ان
يطير فلم يستطع الطيران وقد حصل كل هذا والراعى ينظر ما جرى لهما فرجع اليه الصقر غضبانا فقبضه
ونتف اجنحته وربط فى رجليه خيطا واتى به الى اولاده ورماه لهم فقال بعض الاولاد ما هذا فقال هذا
تشبيه بمن هو اعلى منه فهلك وانت كذلك ايها الثعلب احذر لئلا تتشبه بمن هو اقوى منك فتهلك هذا
ما عندى من الكلام واذهب عنى بسلام فلما يئس الثعلب من مصادقة الغراب رجع من حزنه يئن وقرع
للندامة سنا على سن فلما سمع الغراب بكاءه وانينه ورأى كآبته وحزنه قال ايها الثعلب ما نابك حتى قرعت
نابك قال له الثعلب انما قرعت سنى لانى رأيتك اخدع منى ثم انه ولى هاربا ورجع الى بحره طالبا وهذا
ما كان من حديثهما ايها الملك فقال الملك ياشهرزاد ما احسن هذه الحكايات هل عندك شئ مثلها من
الخرافات قالت ويحكى ان قنفذا اتخذ مسكنا بجانب نخلة وكان الورشان هو وزوجته قد اتخذا عشا
فى تلك النخلة وعاشا فوقها عيشا رغدا فقال القنفذ فى نفسه ان الورشان يأكل من ثمر النخلة وانا لا اجد
الى ذلك سبيلا ولكن لابد من استعمال الحيلة ثم حفر فى اسفل النخلة بيتا واتخذه مسكنا له ولزوجته
واتخذ جانبه مسجدا وانفرد فيه واظهر النسك والعبادة وترك الدنيا وكان الورشان يراه متعبدا مصليا
فرق له من شدة زهده وقال له كم سنة وانت هكذا قال مدة ثلاثين سنة قال ما طعامك قال ما يسقط من
النخلة قال ما لباسك قال شوك انتفع بخشونته فقال وكيف اخترت مكانك هذا على غيره قال اخترته على
غير طريق لاجل ان ارشد الضال واعلم الجاهل فقال له الورشان كنت اظن انك على غير هذه الحالة
ولكنى الان رغبت فيما عندك فقال القنفذ انى اخشى ان يكون قولك ضد فعلك فتكون كالزراع
الذى لما جاء وقت الزرع قصر فى بذره وقال انى اخشى ان يكون اوان الزرع قد فات فاكون قد اضعت المال
بسرعة البذر فلما جاء وقت الحصاد ورأى الناس وهم يحصدون ندم على ما فاته من تقصيره من تخلفه
ومات اسفا وحزنا فقال الورشان للقنفذ وماذا اصنع حتى اتخلص من علائق الدنيا وانقطع الى عبادة ربى
قال له القنفذ خذ فى الاستعداد للمعاد والقناعة باكفاف من الزاد فقال الورشان كيف لى بذلك وانا
طائر لا استطيع ان اتجاوز النخلة التى فيها قوتى ولو استطعت ذلك ما عرفت موضعا استقر فيه فقال القنفذ
يمكنك ان تتبرم من ثمر النخلة ما يكفيك مؤنة عام انت وزوجتك وتسكن فى وكر تحت النخلة لالتماس
حسن ارشاده ثم مل الى ما تثبرته من الثمر فانقله جميعه وادخره قوتا للعدم واذا فرغت الثمار وطال
عليك المطال صر الى كفاف من العيش فقال الورشان جزاك الله خيرا حيث دللتنى بالمعاد وهديتنى
الى الرشاد ثم تعب الورشان هو وزوجته فى طرح الثمر حتى لم يبق فى النخلة شئ فوجد القنفذ ما يأكل
وفرح به وملأ مسكنه من الثمر وادخره لقوته وقال فى نفسه ان الورشان هو وزوجته اذا احتاجا الى مؤنتهما
طلبا هما منى وطمعا فيما عندى وركنا الى تزهدى وورعى فاذا سمعا نصيحتى ووعظى دنيا منى
فاقتنصهما وآكلهما ويخلو لى هذا المكان وكلما تساقط من ثمر النخلة يكفينى ثم ان الورشان نزل هو
وزوجته من فوق النخلة بعد ان نثرا ما عليها من الثمر فوجدا القنفذ قد نقل جميع ذلك الى بحره فقال له
الورشان ايها القنفذ الصالح والواعظ الناصح انا لم نجد للثمر اثرا ولا نعرف لقوتنا غيره ثمرا فقال لعله
طارت به الرياح والاعراض عن الرزق الى الرازق عين الفلاح فالذى شق الاشداق لا يتركها بلا ارزاق
ومازال يعظهما بتلك المواعظ وينظم لهما الورع بزخرف الملافظ حتى ركا اليه واقبلا عليه ودخلا

باب وكره وامتنا من مكره فوثب الى الباب وقرع الانباب فلما رأى الورشان منه الخديعة لا يحة قال له
اين الليلة من البارحة اما تعلم ان للمظلومين ناصرا فاياك والمكر والخديعة لئلا يصيبك ما اصاب الخداعين
الذين مكروا بالتاجر فقال القنفذ وكيف ذلك قال بلغني ان تاجرا من مدينة يقال لها سنده كان ذا مال
واسع فشد احمالا وجهز متاعا وخرج به الى بعض المدن ليبيعه فيها فتبعه رجلان من المكرة وحملا شيأ
من مال ومتاع واظهرا للتجار انهما من التجار وسارا معه فلما نزلا اول منزل اتفقا على المكر به واخذ ما معه
ثم ان كل واحد منهما اضمر المكر لصاحبه وقال في نفسه لو مكرت بصاحبي بعد مكرنا بالتاجر لصفا لي
الوقت واخذت جميع المال ثم اضمر البعض منهما على نية فاسدة واخذ كل منهما طعاما وجعل فيه
سما وقربه لصاحبه فقتلا بعضهما وكان يجلسان مع التاجر ويحدثانه فلما ابطأ عليه فتش عليهما
ليعرف خبرهما فوجدهما ميتين فعلم انهما كانا محتالين واراد المكر به فعاد عليهما مكرهما وسلم التاجر
واخذ ما كان معهما فقال الملك نبهتني يا شهرزاد على شيء كنت غافلا عنه افلا تزيدني من هذه الامثال
قالت بلغني ايها الملك ان رجلا كان عنده قرد وكان ذلك الرجل سارقا لا يدخل سوقا من اسواق المدينة
التي هو فيها الا ويرجع بكسب عظيم فاتفق ان رجلا حمل انوابا مقطوعة ليبيعها فذهب بها الى السوق
وصار ينادي عليها فلا يسومها احد وكان لا يعرضها على احد الا امتنع من شرائها فاتفق ان السارق الذي
معه القرد رأى الشخص الذي معه الثياب المقطعة وكان قد وضعها في بقجة وجلس يستريح من التعب
فلعب القرد قدامه حتى اشغله بالفرجة عليه واختلس منه تلك البقجة ثم اخذ القرد وذهب الى مكان خال
وفتح البقجة فرأى تلك الثياب المقطعة فوضعها في بقجة نفيسة وذهب بها الى سوق آخر وعرض البقجة
للبيع بما فيها واشترط ان لا تفتح ورغب الناس فيها لقلة الثمن فرآها رجل واعجبه نفاستها فاشتراها
بهذا الشرط وذهب بها الى زوجته فلما رأت ذلك امرأته قالت ما هذا قال متاع نفيس اشتريته بدون
القيمة لابيعه واخذ فائدته فقالت ايها المغبون ابتاع هذا المتاع باقل من قيمته الا لاذا كان مسروقا اما تعلم
ان من اشترى شيأ ولم يعاينه كان مخطئا وكان مثله مثل الحايك فقال لها وكيف كان ذلك فقالت بلغني ان
حايكا كان في بعض القرى وكان يعمل فلا ينال القوت الا بجهد فاتفق ان رجلا من الاغنياء كان ساكنا
قريبا منه قد اولم وليمة ودعا الناس اليها فحضر الحايك فرأى الناس الذين عليهم الثياب الناعمة يقدم لهم
الاطعمة الفاخرة وصاحب المنزل يعظمهم لما يرى من حسن زيهم فقال في نفسه لو بدلت تلك الصنعة
بصنعة اخف مؤنة منها واكثر اجرة لجمعت مالا كثيرا واشتريت ثيابا فاخرة لارتفع شأني وعظمت في اعين
الناس ثم نظر الى بعض اهل الملاعب الحاضرين في الوليمة وقد صعد سوراشاهقا ثم رمى بنفسه الى الارض
ونهض قائما فقال في نفسه لابد ان اعمل مثل ما عمل هذا ولا اعجز عنه ثم صعد الى السور ورمى نفسه فلما وصل
الى الارض اندقت رقبته فمات وانما اخبرتك بذلك لئلا يمكن منك الشره فترغب فيما ليس من شأنك فقال
لها زوجها اما كل عالم يسلم بعلمه ولا كل جاهل يعطب بجهله وقد رأيت الحاوي الخبير بالافاعي العالم بها ربما
نهشته الحية فتقتله وقد يظفر بها الذي لا معرفة له بها ولا علم عنده بأحوالها ثم خالف زوجته واشترى المتاع
واخذ في تلك العادة فصار يشتري من السارقين بدون القيمة الى ان وقع في تهمة فهلك فيها وكان في زمنه
عصفور يأتي كل يوم الى ملك من ملوك الطير ولم يزل غاديا ورايحا عنده بحيث كان اول داخل عليه وآخر
خارج من عنده فاتفق ان جماعة من الطير اجتمعوا في جبل عال من الجبال فقال بعضهم لبعض انا قد
كثرنا وكثر الاختلاف بيننا ولا بد لنا من ملك ينظر في امورنا فنجتمع كلمتنا ويزول الاختلاف عنا فرجهم ذلك

العصفور فاشار عليهم بتمليك الطاووس وهو الملك الذى يتردد اليه فاختاروا الطاووس وجعلوه عليهم ملكا فاحسن اليهم وجعل ذلك العصفور كاتبه ووزيره فكان تارة يترك الملازمة وينظر فى الامور ثم ان العصفور غاب يوما عن الطاووس فقلق قلقا عظيما فبينما هو كذلك اذ دخل عليه العصفور فقال له ما الذى اخرك وانت اقرب اتباعى الى فقال العصفور رأيت امرا واشتبه على فتخوفت منه فقال له الطاووس ما الذى رأيت قال العصفور رأيت رجلا معه شبكة قد نصبها عند وكرى وثبت اوتادها وبذر فى وسطها حبا وقعد بعيدا عنها فجلست انظر ما يفعل فبينما انا كذلك واذا بكركى هو وزوجته قد ساقهما القضاء والقدر حتى سقطا فى وسط الشبكة فصارا يصرخان فقام الصياد واخذهما فازعجنى ذلك وهذا سبب غيابى عنك يا ملك الزمان وما بقيت اسكن هذا الوكر حذرا من الشبكة فقال له الطاووس لا ترحل من مكانك لانه لا ينفع الحذر من القدر فامتثل امره وقال سأصبر ولا ارحل طاعة للملك ولم يزل العصفور حذرا على نفسه واخذ الطعام الى الطاووس فاكل حتى اكتفى وتناول على الطعام ماء ثم ذهب العصفور فبينما هو فى بعض الايام شاخص واذا بعصفورين يقتتلان فى الارض فقال فى نفسه كيف اكون وزير الملك وارى العصافير تقتتل فى جوارى والله لاصلحن بينهما ثم ذهب اليهما ليصلح بينهما فقلب الصياد الشبكة على الجميع فوقع ذلك العصفور فى وسطها فقام اليه الصياد واخذه ودفعه الى صاحبه وقال له استوثق به فانه سمين ولم اراحسن منه فقال العصفور فى نفسه قد وقعت فيما كنت اخافه وما كان آمنا الا الطاووس ولم ينفعنى الحذر من نزول القدر فلا مفر من القضاء للمحاذر وما احسن قول الشاعر

مالا يكون فلا يكون بحيلة * ابدا وما هو كائن فيكون
سيكون ما هو كائن فى وقته * واخو الجهالة دائما مغبون

فقال الملك يا شهرزاد زيدينى من هذا الحديث فقالت الليلة القابلة ان ابقانى الملك اعزه الله وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه كان فى قديم الزمان فى خلافة هارون الرشيد رجل تاجر له ولد يسمى ابا الحسن علىا بن طاهر وكان كثير المال والنوال حسن الصورة محبوبا عند كل من يراه وكان يدخل دار الخلافة من غير اذن ويحبه جميع سرارى الخليفة وجواريه وكان ينادم الملك وينشد عنده الاشعار ويحدثه بنوادر الاخبار الا انه كان يبيع ويشترى فى سوق التجار وكان يجلس على دكانه شاب من اولاد ملوك العجم يقال له على بن بكار وكان ذلك الشاب مليح القامة ظريف الشكل كامل الصورة مورد الخدين مقرون الحاجبين عذب الكلام ضاحك السن يحب البسط والانشراح فاتفق انهما كانا جالسين يتحدثان ويضحكان واذا بعشر جوار كانهن الاقمار وكل منهن ذات حسن وجمال وقد واعتدال وبينهن صبية راكبة على بغلة بسرج مزركش له ركاب من الذهب وعليها ازار رفيع وفى وسطها زنار من الحرير مطرز بالذهب كما قال فيها الشاعر

لها بشر مثل الحرير ومنطق * رخيم الحواشى لا هراء ولا نذر
وعينان قال الله كونا فكانتا * فعولان بالالباب ما تفعل الخمر

فيا حبها زدني جوى كل ليلة * ويا سلوة الاحباب موعدك الحشر

ولما وصلوا الى دكان ابى الحسن نزلت عن البغلة وجلست على دكانه فسلمت عليه وسلم عليها فلما رأها على بن بكار سلبت عقله واراد القيام فقالت له اجلس مكانك كيف تذهب اذا حضرنا هذا ما هو انصاف فقال والله يا سيدتى انى هارب مما رأيت وما احسن قول الشاعر

هى الشمس مسكنها فى السما * فعز الفؤاد عزاء جميلا

فلن تستطيع اليها الصعو * دولن تستطيع اليك النزولا

فلما سمعت ذلك الكلام تبسمت وقالت لابى الحسن ما اسم هذا الفتى ومن اين هو فقال لها هذا غريب اسمه على بن بكار بن ملك العجم والغريب يجب اكرامه فقالت له اذا جاءتك جارية تأتى به عندى فقال ابو الحسن على الرأس ثم قامت وتوجهت الى حال سبيلها هذا ما كان من امرها واما ما كان من امر على ابن بكار فانه صار لا يعرف ما يقول وبعد ساعة جاءت الجارية الى ابى الحسن وقالت له ان سيدتى تطلبك انت ورفيقك فنهض ابو الحسن واخذ معه على ابن بكار وتوجها الى دار هارون الرشيد فادخلتهما فى مقصورة واجلستهما واذا بالموائد وضعت قدامهما فاكلا وغسلا ايديهما ثم احضرت لهما الشراب فسكرا ثم امرتهما بالقيام فقاما معها وادخلتهما مقصورة اخرى مركبة على اربعة اعمدة وهى مفروشة بانواع الفرش مزينة باحسن الزينة كانها من قصور الجنان فاندهشا مما عاينا من التحف فبينما هما يتفرجان على هذه الغرائب واذا بعشر جوار اقبلن يتمايلن عجبا كانهن الاقمار يدهشن الابصار ويحيرن الافكار واصطففن كانهن من حور الجنان وجاء بعدهن عشر جوار اخرى وبايديهن العيدان وآلات اللهو والطرب فسلمن عليهما وجعلن يضربن العيدان وينشدن الاشعار وكل واحدة منهن فتنة للعباد واقبل بعدهن عشر جوار مثلهن كواعب اتراب بعيون سود وخدود حمر مقرونات الحواجب ناعسات الاطراف فتنة للعابدين ونزهة للناظرين وعليهن من انواع الحرير الملون ما يحير العقول ثم وقفن بالباب وجاء من بعدهن عشر جوار احسن منهن وعليهن الملبوس الفاخر فوقفن بالباب ايضا ثم خرج من الباب عشرون جارية وبينهن جارية اسمها شمس النهار كانها القمر بين النجوم وهى متوشحة بفاضل شعرها وعليها لباس ازرق وازار من الحرير بطرازات من الذهب وفى وسطها حياصة مرصعة بانواع الجواهر ولم تزل تتبختر حتى جلست على السرير فلما رأها على بن بكار انشد هذه الاشعار

ان هذى هى ابتداء سقامى * وتمادى وجدى وطول غرامى

عندها قد رأيت نفسى ذابت * من ولوعى بها وبرى عظامى

فلما فرغ من شعره قال لابى الحسن لو علمت معى خبرا كنت اخبرتنى بهذه الامور قبل الدخول هنا لاجل ان اوطن نفسى واصبرها على ما اصابها ثم بكى وان واشتكى فقال له ابو الحسن يا اخى انا ما اردت لك الا الخير ولكن خشيت ان اعلمك بذلك فيلحقك من الوجد ما يصدك عن لقائها ويحيل بينك وبين وصالها فطب نفسا وقر عينا فهى بعد لك مقبلة وللقائك متوصلة فقال على بن بكار ما اسم هذه الصبية فقال له ابو الحسن تسمى شمس النهار وهى من محاظى امير المؤمنين هارون الرشيدى وهذا المكان قصر الخلافة ثم ان شمس النهار جلست وتأملت محاسن على بن بكار وتأمل هو حسنها واشتغلا بحب بعضهما وقد امرت الجوارى ان تجلس كل واحدة منهن فى مكانها على سرير فجلست كل واحدة قبال

طاقة وامرتهن بالغناء فتسلمت واحدة منهن العود وانشدت تقول

اعد الرسالة ثانيه * وخذ الجواب علانيه
واليك يا ملك الملا * ح وقفت اشكو حالية
مولاى يا قلبى العزيز * ويا حياتى الغاليه
انعم على بقبلة * هبة والا عاريه
واردها لك لا عدمت * بعينها وكما هيه
واذا اردت زيادة * خذها ونفسك راضيه
يا ملبسى ثوب الضنى * يهنيك ثوب العافيه

فطرب على بن بكار وقال لها زيدينى من مثل هذا الشعر فحركت الاوتار وانشدت هذه الاشعار

من كثرة البعد يا حبيبى * علمت طول البكا جفونى
يا حظ عينى ويا مناها * ومنتهى غايتى ودينى
ارث لمن طرفه غريق * فى عبرة الواله الحزينى

فلما فرغت من شعرها قالت شمس النهار لجارية غيرها انشدى فاطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

سكرت من لحظه لا من مدامته * ومال بالنوم عن عينى تمايله
قد السلاف سلتنى بل سوالفه * وما الشمول شلتنى بل شمائله
لوى بعزمى اصداغ لوين له * وغال عقلى بما تحوى غلائله

فلما سمعت شمس النهار انشاد الجارية تنهدت واعجبها الشعر ثم امرت جارية اخرى ان تغنى فانشدت هذه الابيات

وجه لمصباح السما مباه * يبدو الشباب عليه رشح مياه
وقم العذار غلالتيه باحرف * معنى الهوى فى طيها مستناه
نادى عليه الحسن حين لقيته * هذا المتمم فى طراز الله

فلما فرغت من شعرها قال على بن بكار لجارية قريبة منه انشدى انت ايتها الجارية فاخذت العود وانشدت هذه الابيات

زمن الوصال يضيق عن * هذا التمادى والدلال
كم من صدود متلف * ما هكذا اهل الجمال
فاستغنموا وقت السعو * د بطيب ساعات الوصال

فلما فرغت من شعرها تنهد على بن بكار وارسل دموعه الغزار فلما رأته شمس النهار قد بكى وان واشتكى احرقها الوجد والغرام واتلفها الوله والهيام فقامت من فوق السرير وجاءت الى باب القبة فقام على بن بكار وتلقاها وتعانقا ووقعا مغشيا عليهما فى باب القبة فقام الجوارى اليهما وحملنهما وادخلنهما القبة ورششن عليهما ماء الورد فلما افاقا لم يجدا ابا الحسن وكان قد اختفى فى جانب سرير فقالت الصبية اين ابو الحسن فظهر لها من جانب السرير فسلمت عليه وقالت اسأل الله ان يقدرنى على مكافاتك يا صاحب المعروف ثم اقبلت على على بن بكار وقالت له يا سيدى ما بلغ بك الهوى الى غاية الا وعندى امثالها وليس لنا

الا الصبر على ما اصابنا فقال على بن بكار والله يا سيدتى ليس جمع شملى بك بطيب ولا ينطق اليك ما عندى من اللهيب ولا يذهب ما تمكن من حبك فى قلبى الا بذهاب روحى ثم بكى فتزلت دموعه على خده كانها المطر فلما رأته شمس النهار يبكى بكت لبكائه فقال ابو الحسن والله انى عجبت من امركما واحترت فى شأنكما فان حالكما عجيب وامركما غريب هذا البكا وانتما مجتمعان فكيف يكون الحال بعد انفصالكما ثم قال هذا ليس وقت حزن وبكاء بل هذا وقت سرور وانشراح فاشارت شمس النهار الى جارية فقامت وعادت ومعها وصائف حاملات مائدة صحافها من الفضة وفيها انواع الطعام ثم وضعت المائدة قدامهم وصارت شمس النهار تأكل وتلقم عليا بن بكار حتى اكتفوا ثم رفعت المائدة وغسلوا ايديهم وجاءتهم المباخر بانواع العود وجاءت القماقم بماء الورد فتبخروا وتطيبوا وقدمت لهم اطباق من الذهب المنقوش فيها من انواع الشراب والفواكه والنقل ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين ثم جاءت لهم بطشت من العقيق ملآن من المدام فاختارت شمس النهار عشرة وصائف اوقفتهم عندهم وعشر جوار من المغنيات وصرفت باقى الجوارى الى اماكنهن وامرت بعض الحاضرين من الجوارى ان يضربن بالعود ففعلن ما امرت به وانشدت واحدة منهن

بنفسى من رد التحية ضاحكا * يجدد بعد اليأس فى الوصل مطمعى
لقد ابرزت ايدى الغرام سرايرى * واظهرن للعذال ما بين اضلعى
وحالت دموع العين بينى وبينه * كان دموع العين تعشقه معى

فلما فرغت من شعرها قامت شمس النهار وملأت الكاس وشربته ثم ملأته واعطته لعلى بن بكار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان شمس النهار ملأت الكاس واعطته لعلى بن بكار ثم امرت جارية ان تغنى فانشدت هذين البيتين

تشابه دمعى اذ جرى ومدامتى * فمن مثل ما فى الكاس عينى تسكب
فو الله ما ادرى ابا الخمر اسبلت * جفونى ام من ادمعى كنت اشرب

فلما فرغت من شعرها شرب على بن بكار كاسه ورده الى شمس النهار فلاثه وناولته لابى الحسن فشربه ثم اخذت العود وقالت لا يغنى على قدح غيرى ثم شدت الاوتار وانشدت هذه الاشعار

غرائب الدمع فى خديه تطرب * وجد اونار الهوى فى صدره تقد
يبكى مع القرب خوفا من تباعدهم * فالدمع ان قربوا جار وان بعدوا

وقول الشاعر

تنقد الك ساقيا قد كسالك الحسن من فرقك المضى لساقك
تشرق الشمس من يديك ومن فيك الثريا واليدر من اطواقك
ان اقداحك التى تركتنى * غير صاح تدار من احداقك
اوليس الحبيب كونك بدرا * كاملا والمحاق فى عشاقك
الاله انت اذ تميت وتحيى * بتلاقيك من نشا وفراقك

خلق الله من خليقتك الحسن وطيب النسيم من اخلاقك
ما انت من هذه البرية بل انت مليك ارسلت من خلاقك

فلما سمع علي بن بكار وابو الحسن والحاضرون شعر شمس النهار كادوا ان يطيروا من الطرب ولعبوا وضحكوا فبينما هم على هذا الحال واذا بجارية اقبلت وهي ترتعد من الخوف وقالت ياسيدتي قد وصل امير المؤمنين وها هو بالباب ومعه عفيف ومسرور وغيرهما فلما سمعوا كلام الجارية كادوا ان يهلكوا من الخوف فضحكت شمس النهار وقالت لا تخافوا ثم قالت للجارية ردي عليهم الجواب بقدر ما تتحول من هذا المكان ثم انها امرت بغلق باب القبة وارخاء الستور على ابوابها وهم فيها واغلقت باب القاعة ثم خرجت الى البستان وجلست على سريرها وامرت جارية ان تكبس رجليها وامرت بقية الجواري ان يمضين الى اماكنهن وامرت الجارية ان تدع الباب مفتوحا ليدخل الخليفة فدخل مسرور ومن معه وكانوا عشرين وبايديهم السيوف فسلموا على شمس النهار فقالت لهم لاى شئ جئتم فقالوا ان امير المؤمنين يسلم عليك وقد استوحش لرؤيتك ويخبرك انه كان عنده اليوم سرور وحظ زائد واحب ان يكون ختام السرور بوجودك في هذه الساعة فهل تأتين عنده او يأتي عندك فقامت وقبلت الارض وقالت سمعا وطاعة لامر امير المؤمنين ثم امرت باحضار القهرمانات والجواري فحضرن واظهرت لهن انها مقبلة على ما امر به الخليفة وكان المكان كاملا في جميع اموره ثم قالت للخدام امضوا الى امير المؤمنين واخبروه انني في انتظاره بعد قليل الى ان اهيئ له مكانا بالفرش والامتعة فمضى الخدام مسرعين الى امير المؤمنين ثم ان شمس النهار قلعت ودخلت الى معشوقها علي بن بكار وضمته الى صدرها وودعته فبكى بكاء شديدا وقال ياسيدتي هذا الوداع فتعيني به لعله يكون عونا على تلف نفسي وهلاك روحي في هوالك ولكن اسأل الله ان يرزقني الصبر على ما بلاني به من محبتي فقالت له شمس النهار والله ما يصير في التلف الا انا فانك قد تخرج الى السوق وتجتمع بمن يسليك فتكون مصونا وغرامك مكنونا واما انا فسوف اقع في البلاء مخصوصا وقد وعدت الخليفة بميعاد فربما يلحقني من ذلك عظيم الخطر بسبب شوقي اليك وحبي لك وتعشقي فيك وتأسفي على مفارقتك فبأي لسان اغني وبأي قلب احضر عند الخليفة وبأي كلام اتادم امير المؤمنين وبأي نظر انظر الى مكان ما انت فيه وكيف اكون في حضرة لم تكن بها وبأي ذوق اشرب مدامة ما انت حاضره فقال لها ابو الحسن لا تحيري واصبري ولا تغفلي عن منادمة امير المؤمنين هذه الليلة ولا تريبيها ونافيناهم في الكلام واذا بجارية قدمت وقالت ياسيدتي جاء غلمان امير المؤمنين فنهضت قائمة وقالت للجارية خذي ابا الحسن ورفيقه واقصدي بهما اعلى الروشن المطل على البستان ودعيهما هناك الى الظلام ثم تحيلي في خروجهما فاخذتهما الجارية واطلعتهما في الروشن واغلقت الباب عليهما ومضت الى حال سبيلها وصارا ينظران الى البستان واذا بالخليفة قدم وقدامه نحو المائة خادم بايديهم السيوف وحوالية عشرون جارية كانهن الاقمار وعليهن افخر ما يكون من الملبوس وعلى رأس كل واحدة تاج مكلل بالجواهر واليواقيت وفي يد كل واحدة شمعة موقودة والخليفة يمشي بينهن وهن محيطات به من كل ناحية ومسرور عفيف ووصيف قدامه وهو يتمايل بينهم فقامت له شمس النهار وجميع من عندها من الجواري ولاقينه من باب البستان وقبلن الارض بين يديه ولم يزلن سائرات امامه الى ان جلس على السرير والذين في البستان من الجواري والخدم وقفوا حوله والشموع موقودة والالات تضرب الى ان امرهم بالانصراف والجلوس على الاسرة فجلست شمس النهار على سرير بجانب سرير الخليفة وصارت تحدثه كل ذلك وابو الحسن وعلي

ابن بكار ينظران ويسمعان والخليفة لم يرهما ثم ان الخليفة صار يلعب مع شمس النهار وامر بفتح القبة ففتحت وشرعوا طيقانها واوقدوا الشموع حتى صار المكان وقت الظلام كانه نهار ثم ان الخدم صاروا ينقلون الات المشروب فقال ابو الحسن ان هذه الالات والمشروب والتحف ما رأيت مثلها وهذا شئ من اصناف الجواهر ما سمعت بمثله وقد خيل لى انى فى المنام وقد اندهش عقلى وخفق قلبى واما على بن بكار فانه لما فارقته شمس النهار لم يزل مطروحا على الارض من شدة العشق فلما افاق صار ينظر الى هذه الفعال التى لا يوجد مثلها فقال لابى الحسن يا اخى اخشى ان ينظرنا الخليفة او يعلم حالنا واكثر خوفى عليك واما انا فانى اعلم ان نفسى من الهالكين وما سبب موتى الا العشق والغرام وفرط الوجد والهيام ونرجو من الله الخلاص مما بلينا به ولم يزل على بن بكار وابو الحسن ينظران من الروشن الى الخليفة وما هو فيه حتى تكاملت الحضرة بين يدى الخليفة ثم ان الخليفة التفت الى جارية من الجوارى وقال هاتى ما عندك يا غرام من السماع المطرب فاطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

وما وجد اعرابية بان اهلها * فحنت الى بان الحجاز ورنده
اذا آنست ركبا تكفل شوقها * بنار قراه والدموع بورده
يا عظم من وجدى بحبى وانما * يرى انى اذنبت ذنبا بوده

فلما سمعت شمس النهار هذا الشعر وقعت مغشيا عليها من فوق الكرسى الذى كانت عليه وغابت عن الوجود فقام الجوارى واحتملنها فلما نظر اليها على بن بكار من الروشن وقع مغشيا عليه فقال ابو الحسن ان القضاء قسم الغرام بينكما بالسوية فبينما هما يتحدثان واذا بالجارية التى اطلعتهما الروشن جاءتهما وقالت يا ابا الحسن انهض انت ورفيقك واتزلا فقد ضاقت علينا الدنيا وانا خائفة ان يظهر امرنا فقوما فى هذه الساعة والا متنا فقال ابو الحسن فكيف ينهض هذا الغلام معى ولا قدرة له على النهوض فصارت الجارية ترش ماء الورد على وجهه حتى افاق فحمله ابو الحسن هو والجارية ونزلا به من الروشن ومشيا قليلا ثم فتحت الجارية بابا صغيرا من حديد واخرجت ابا الحسن هو وعلى بن بكار على مصطبة ثم صفقت بيديها فجاء زورق فيه انسان يقدف فاطلعتهما الجارية فى الزورق وقالت للذى فى الزورق اطلعهما فى ذلك البر فلما نزلا فى الزورق وفارقا البستان نظر على بن بكار الى القبة والبستان وودعهما بهذين البيتين

مذدت الى التوديع كفا ضعيفة * واخرى على الرمضاء تحت فؤادى
فلا كان هذا آخر العهد بيننا * ولا كان هذا الزاد آخر زادى

ثم ان الجارية قالت للملاح اسرع بهما فصار يقدف لاجل السرعة والجارية معهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملاح صار يقدف لاجل السرعة والجارية معهم الى ان قطعوا ذلك الجانب وعدوا الى البر الثانى ثم انصرفت الجارية وودعتهما وطلعا فى البر وقالت لهما كان قصدى ان لا افارقكما لكننى لا اقدر ان اسير الى مكان غير هذا الموضع ثم ان الجارية عادت وصار على بن بكار مطروحا بين يدى ابى الحسن لا يستطيع النهوض فقال له ابو الحسن ان هذا المكان غير امين ونخشى على انفسنا

من التلف فى هذا المكان بسبب اللصوص واولاد الحرام فقام على بن بكار يمشى قليلا وهو لا يستطيع المشى وكان ابو الحسن له فى ذلك الجانب اصدقاء فقصد من يثق به ويركن اليه منهم فدق بابه فخرج اليه مسرعا فلما رأى همارحب بهما ودخل بهما الى منزله واجلسهما وتحدث معهما وسألهما اين كانا فقال ابو الحسن قد خرجنا فى هذا الوقت واحوجنا الى هذا الامر انسان عاملته فى دراهم وبلغنى انه يريد السفر بمالى فخرجت فى هذه الليلة وقصدته واستأنست برفيق هذا على بن بكار وجئنا لعلنا نظفر به فتوارى منا ولم نره وعدنا بلا شئ وشق علينا العود فى هذا الليل ولم نر لنا محلا غير محلك فجئنا اليك على عوايدك الجميلة فرحب بهما واجتهد فى اكرامهما واقاما عنده بقية ليلتهما فلما اصبح الصباح خرجا من عنده ولم يزالا يمشيان حتى وصلا الى المدينة ودخلاها وجازا على بيت ابى الحسن فخلف على صاحبه على بن بكار وادخله بيته فاضطجعا على الفراش قليلا ثم افاقا فامر ابو الحسن غلمانه ان يفرشوا البيت فرشا فاخرا ففعلوا ثم ان ابا الحسن قال فى نفسه لابد ان اؤانس هذا الغلام واسليه عما هو فيه فانى ادرى بامره ثم ان عليا بن بكار لما افاق استدعى بماء فحضروا له بالماء فقام وتوضأ وصلى ما فاته من الفروض فى يومه وليلته وصار يسلى نفسه بالكلام فلما رأى منه ذلك ابو الحسن تقدم اليه وقال ياسيدى على الاليق بحالك ان تقيم عندى هذه الليلة ليشرح صدرك وتتفرج ما بك من كرب الشوق وتتلاهى معنا فقال على بن بكار افعل يا اخى ما بدا لك فانى على كل حال غير ناج مما اصابنى فاصنع ما انت صانع فقام ابو الحسن واستدعى غلمانه واحضر اصحابه وارسل الى ارباب المغانى والالات فحضروا واقاموا على اكل وشرب وانشراح باقى اليوم الى المساء ثم اوقدوا الشموع ودارت بينهم كؤس المنادمة وطاب لهم الوقت فاخذت المغنية العود وجعلت تقول

رميت من الزمان بسهم لحظ * فاصمانى وفارقت الحبايب
وعاندنى الزمان وقل صبرى * وانى قبل هذا كنت حاسب

فلما سمع على بن بكار كلام المغنية خر مغشيا عليه ولم يزل فى غشيته الى ان طلع الفجر ويئس منه ابو الحسن ولما طلع النهار افاق وطلب الذهاب الى بيته فلم يمنعه ابو الحسن خوفا من عاقبة امره فاتاه غلامانه ببغلة وركبوه وسار معه ابو الحسن الى ان ادخله منزله فلما اطمأن فى بيته حمد الله ابو الحسن على خلاصه من هذه الورطة وصار يسليه وهو لا يتمالك نفسه من شدة الغرام ثم ان ابا الحسن ودعه وادركه شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابا الحسن ودعه فقال له على بن بكار يا اخى لا تقطع عنى الاخبار فقال سمعا وطاعة ثم ان ابا الحسن قام من عنده واتى دكانه وفتحها وصار يرتقب خبرا من الصبية فلم يأته احد بخبر فبات تلك الليلة فى داره فلما اصبح الصباح قام الى ان اتى دار على بن بكار ودخل عليه فوجده ملقى على فراشه واصحابه حوله والحكماء عنده وكل واحد يصف له شيأ ويحسون يده فلما دخل ابو الحسن ورآه تبسم ثم ان ابا الحسن سلم عليه وسأله عن حاله وجلس عنده حتى خرج الناس فقال له ما هذا الحال فقال على بن بكار قد شاع خبرى انى مريض وتسامع بذلك اصحابى وليس لى قوة استعين بها على القيام والمشى حتى اكذب من جعلنى ضعيفا ولم ازل ملقى مكانى كما ترانى وقد ائتت اصحابى

الى زيارتى لكن يا اخى هل رأيت الجارية او سمعت بخبر من عندها فقال ما جاءنى من يوم فارقتنا على شاطئ الدجلة ثم قال له ابو الحسن يا اخى احذر الفضيحة وتجنب هذا البكاء فقال على بن بكار يا اخى لا املك نفسى ثم صعد الزفرات وانشد هذه الابيات

نالت على يدها ما لم تنل يدى * نقش على معصم اوهت به جلدى
خافت على يدها من ثقل مقلتها * فالبست يدها درعا من الزرد
جس الطبيب يدى جهلا فقلت له * ان التألم فى قلبى لا فى يدى
قالت لطيف خيال زارنى ومضى * بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفته لوما من ظمأ * وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
فاستطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

فلما فرغ من شعره قال قد بليت بمصيبة كنت فى امن منها وليس لى اعظم راحة من الموت فقال له ابو الحسن اصبر لعل الله يشفيك ثم نزل ابو الحسن من عنده وتوجه الى دكانه وفتحها فما جلس غير قليل حتى اقبلت عليه الجارية وسلمت فرد عليها السلام ونظر اليها فوجدها خافقة القلب يظهر عليها اثر الكآبة فقال لها اهلا وسهلا كيف حال شمس النهار فقالت سوف اخبرك بحالها كيف حال على ابن بكار فاخبرها ابو الحسن بجميع ما كان من امره فتأسفت وتاوهت وتعجبت من ذلك الامر ثم قالت ان حال سيدى اعجب من ذلك فانكم لما توجهتم رجعت وقلبى يخفق عليكم وما صدقت بنجاتكم فلما رجعت وجدت سيدى مطروحة فى القبة لا تتكلم ولا ترد على احد وامير المؤمنين جالس عند رأسها لا يجد من يخبره بخبرها ولم يعلم ما بها ولم تزل فى غشيتها الى نصف الليل ثم افاقت فقال لها امير المؤمنين ما الذى اصابك يا شمس النهار وما الذى اعتراك فى هذه الليلة فلما سمعت شمس النهار كلام الخليفة قبلت اقدامه وقالت له يا امير المؤمنين جعلنى الله فداك انه خامر فى خلط فاضرم النار فى جسدى فوقعت مغشيا على من شدة ما بى ولا اعلم كيف كان حالى فقال لها الخليفة ما الذى استعملته فى نهارك قالت افطرت على شئ لم آكله قط ثم اظهرت القوة واستدعت بشئ من الشراب فشربته وسألت امير المؤمنين ان يعود الى انشراحه فعاد الى الجلوس فى القبة فلما جئت اليها سألتنى عن احوالكما فاخبرتها بما فعلت معكما واخبرتها بما انشده على بن بكار فسكتت ثم ان امير المؤمنين جلس وامر الجارية بالغناء فانشدت هذين البيتين

ولم يصف لى شئ من العيش بعدكم * فيا ليت شعرى كيف حالكم بعدى
يحق لدمعى ان يكون من الدما * اذا كنتم تبكون دمعا على بعدى

فلما سمعت هذا الشعر وقعت مغشيا عليها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية قالت لابى الحسن ان سيدتى لما سمعت هذا الشعر وقعت مغشيا عليها فامسكت يدها ورششت ماء الورد على وجهها فافاقت فقلت لها يا سيدتى لا تهتكى نفسك ومن يحويه قصرك بحياة محبوبك ان تصبرى فقالت هل فى الامر اكثر من الموت فانا اطلبه لان فيه راحتى فبينما نحن فى هذا القول اذ غنت جارية بقول الشاعر

وقالوا لعل الصبر يعقب راحة * فقلت واين الصبر بعد فراقه
وقد اكد الميثاق بيني وبينه * بقطع حبال الصبر عند عناقه

فلما فرغت من الشعر وقعت مغشيا عليها فنظرها الخليفة فاتى مسرعا اليها وامر برفع الشراب وان تعود كل جارية الى مقصورتها واقام عندها باقى ليلته الى ان اصبح الصباح فاستدعى الاطباء وامرهم بمعالجتها ولم يعلم بما هى فيه من العشق والغرام واقت عندها حتى ظنت انه قد اصلح حالها وهذا الذى عاقنى عن المجيء اليكما وقد خلفت عندها جماعة من خواصها لما امرتنى بالمسير اليكما لاخذ خبر على بن بكار واعود اليها فلما سمع ابو الحسن كلامها تعجب وقال لها والله انى اخبرتك بجميع ما كان من امره فعودى الى سيدتك وسلمى عليها وحثيها على الصبر وقولى لها اكتمى السر واخبريها انى عرفت امرها وهو امر صعب يحتاج الى التدبير فشكرته الجارية ثم ودعته وانصرفت الى سيدتها هذا ما كان من امرها واما ما كان من امر ابى الحسن فانه لم يزل فى دكانه الى اخر النهار فلما مضى النهار قام وقفل دكانه واتى الى دار على بن بكار فدق الباب فخرج له بعض غلمانه وادخله فلما دخل عليه تبسم واستبشر بقدومه وقال له يا ابا الحسن اوحشتنى لتخلفك عنى فى هذا اليوم وروحى متعلقة بك باقى عمرى فقال له ابو الحسن دع هذا الكلام فلو امكن فداك كنت افديك بروحى وفى هذا اليوم جاءت جارية شمس النهار واخبرتنى انه ما عاقها عن المجيء الا جلوس الخليفة عند سيدتها واخبرتنى بما كان من امر سيدتها وحكى له جميع ما سمعه من الجارية فتأسف على بن بكار غاية التأسف وبكى ثم التفت الى ابى الحسن وقال له بالله ان تساعدنى على ما بليت به واخبرنى ماذا تكون الحيلة واسألك من فضلك المبيت عندى هذه الليلة لاستانس بك فامتثل ابو الحسن امره واجابه الى المبيت عنده وباتا يتحدثان فى تلك الليلة ثم ان على بن بكار بكى وارسل العبرات وانشد هذه الابيات

خفرت بسيف اللحظ ذمة مغرى * وفرت برمح القد دزع تصبرى
وجلت لنا من تحت مسكة خالها * كافور فجر شق ليل العنبر
فزعت فضمرت العقيق بلؤلؤ * سكنت فرايده غدير السكر
وتنهدت بزعا فاثر كفها * فى صدرها فنظرت ما لم انظر
اقلام مرجان كتبن بعنبر * بصحيفة البلور خمسة اسطر
ياحامل السيف الصحيح اذا رنت * اياك ضربة جفنها المتكسر
ووقى يارب القناة الطعن ان * حملت عليك من القوام باسمر

فلما فرغ على بن بكار من شعره صرخ صرخة عظيمة ووقع مغشيا عليه فظن ابو الحسن ان روحه خرجت من جسده ولم يزل فى غشيته حتى طلع النهار فافاق وتحدث مع ابى الحسن ولم يزل ابو الحسن جالسا عند على بن بكار الى ضحوة النهار ثم انصرف من عنده وجاء الى دكانه وفتحها واذا بالجارية جاءته ووقفت عنده فلما نظر اليها ومأت اليه بالسلام فرد عليها السلام وبلغته سلام سيدتها وقالت له كيف حال على بن بكار فقال لها يا جارية لا تسألى عن حاله وما هو فيه من شدة الغرام فانه لا ينام الليل ولا يستريح بالنهار وقد انحل السهر وغلب عليه الضجر وصار فى حال لا يسر حبيبا فقالت له ان سيدتى تسلم عليك وعليه وقد كتبت له ورقة وهى فى حال اعظم من حاله وقد سلمتنى الورقة وقالت لا تأتينى الا بجوابها وافعلى ما امرتك به وها هى الورقة معى فهل لك ان تسير معى الى على بن بكار ونأخذ منه الجواب فقال لها

ابو الحسن سمعا وطاعة ثم قفل الدكان واخذ معه الجارية وذهب بها من مكان غير الذى جاء منه ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى دار على بن بكار ثم اوقف الجارية على الباب ودخل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابا الحسن ذهب بالجارية الى دار على بن بكار واوقفها على الباب ودخل البيت فلما رأه على بن بكار فرح به وقال له ابو الحسن سبب مجيئى ان فلانا ارسل اليك جاريته برقعة تتضمن سلامه عليك وذكر فيها ان سبب تأخره عنك عذر حصل له والجارية واقفة بالباب فهل تأذن لها بالدخول فقال على ادخلوها واشار له ابو الحسن انها جارية شمس النهار ففهم الاشارة فلما رأها تحرك وفرح وقال لها بالاشارة كيف حال السيد شفاه الله وعافاه فقالت بخير ثم اخرجت الورقة ودفعتها له فاخذها وقبلها وقرأها ونادى لها ابا الحسن فوجد مكتوبا فيها هذه الابيات

ينبيك هذا الرسول عن خبرى * فاستغن فى ذكره عن النظر
خلفت صبا بحبكم دنفا * وطرفه لا يزال بالسهر
اكابد الصبر فى البلاء فما * يدفع خلق مواقع القدر
وقرعينا وليس تغفل عن * قلبى ولا يوم غبت عن بصرى
وانظر الى جسمك النحيل وما * قد حله واستدل بالاثر

وبعد فقد كتبت لك كتابا بغير بنان ونطقت لك بغير لسان وجملة شرح حالى ان لى عينا لا يفارقها السهر وقلبا لا تبرح عنه الفكر فكانى قط ما عرفت صحة ولا فرحة ولا رأيت منظرا بهيا ولا قطعت عيشا هنيا وكانى خلقت من الصبابة ومن الم الوجد والكآبة فعلى السقام مترادف والغرام متضاعف والشوق متكاثر وصرت كما قال الشاعر

القلب منقبض والفكر منبسط * والعين ساهرة والجسم متعوب
والصبر منفصل والهجر متصل * والعقل مختبل والقلب مسلوب

واعلم ان الشكوى لا تطفئ نار البلوى لكنها تعلل من اعله الاشتياق وانلفه الفراق وانسلى بذكر لفظ الوصال وما احسن قول من قال

اذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضى * فاين حلاوة الرسائل والكتب

قال ابو الحسن فلما قرأتها هيجت الفاظها بلابلى واصابت معانيها مقاتلى ثم دفعتها الى الجارية فلما اخذتها قال لها على بن بكار ابلغى سيدتك سلامى وعرفيها بوجدى وغرامى وامتزاج المحبة بلحمى وعظامى واخبريها انى محتاج الى من ينقذنى من بحر الهلاك وينجينى من هذا الارتباك ثم بكى فبكت الجارية لبكائه وودعته وخرجت من عنده وخرج ابو الحسن معها وودعها ومضى الى دكانه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابا الحسن ودع الجارية ورجع الى دكانه فلما جلس فيه وجد قلبه انقبض وضاق صدره وتحير فى امره ولم يزل فى فكر بقية يومه وليلته وفى اليوم الثانى ذهب الى على

ابن بكار وجلس عنده حتى ذهبت الناس وسأله عن حاله فاخذ فى شكوى الغرام وما به من الوجد والهيام وانشد قول الشاعر

شكى الم الغرام الناس قبلى * وروع بالنوى حى وميت
واما مثل ما ضمت ضلوعى * فانى لا سمعت ولا رأيت

وقول الشاعر

واقيت من حبيك ما لم يلقه * فى حب لبنى قيسها المجنون
لكننى لم اتبع وحش الفلا * كفعال قيس والجنون فنون

فقال له ابو الحسن انا ما رأيت ولا سمعت بمثلك فى محبتك كيف يكون هذا الوجد وضعف الحركة وقد تعلقت بحبيب موافق فكيف اذا تعلقت بحبيب مخالف مخادع فكان امرك لا ينكشف قال ابو الحسن فركن على بن بكار الى كلامى وشكرنى على ذلك وكان لى صاحب يطلع على امرى وامر على بن بكار ويعلم اننا متوافقان ولا يعلم احد ما بيننا غيره وكان يأتينى فيسألنى عن حال على بن بكار وبعد قليل سألنى عن الجارية فقلت له قد دعته اليها وكان بينه وبينها ما لا مزيد عليه وهذا آخر ما انتهى من امرهما ولكنى دبرت لنفسى امرا اريد اعراضه عليك فقال له صاحبه ما هو قال ابو الحسن اعلم انى رجل معروف بكثرة المعاملات بين الرجال والنساء واخشى ان ينكشف امرهما فيكون ذلك سببا لهلاكى واخذ مالى وهتك عيالى وقد اقتضى رأيى ان اجمع مالى واجهز حالى واتوجه الى مدينة البصرة واقيم بها حتى انظر ما يكون من احوالهما بحيث لا يشعر بى احد فان المحبة قد تمكنت منهما ودارت المراسلة بينهما والحال ان الماشى بينهما جارية وهى كاتمة لاسرارهما واخشى ان يغلب عليها الضجر فتبوح بسرهما لاحد فيشيع خبرهما ويؤدى ذلك الى هلاكى ويكون سببا لتلفى وليس لى عذر عند الناس فقال له صاحبه قد اخبرتنى بخبر خطير يخاف من مثله العاقل الخبير كفاك الله شر ما تخافه وتخشاه ونجاك مما تخاف عقباه وهذا الرأى هو الصواب فانصرف ابو الحسن الى منزله وصار يقتضى مصالحه ويتجهز للسفر الى مدينة البصرة فامضى ثلاثة ايام حتى قضى مصالحه وسافر الى البصرة فجاء صاحبه بعد ثلاثة ايام ليزوره فلم يجده فسأل عنه جيرانه فقالوا له انه توجه من مدة ثلاثة ايام الى البصرة لان له معاملة عند تجارها فذهب ليطالب ارباب الديون وعن قريب يأتى فاختار الرجل فى امره وصار لا يدرى اين يذهب وقال يا ليتنى لم افارق ابا الحسن ثم دبر حيلة يتوصل بها الى على بن بكار فقصد داره وقال لبعض غلمانه استأذن لى سيدك لادخل اسلم عليه فدخل الغلام واخبر سيده به ثم عاد اليه واذن له فى الدخول فدخل عليه فوجده ملقى على الوسادة فسلم عليه فرد عليه السلام ورحب به ثم ان ذلك الرجل اعتذر اليه فى تخلفه عنه تلك المدة ثم قال له يا سيدى ان بينى وبين ابى الحسن صداقة وانى كنت اودعه اسرارى ولا انقطع عنه ساعة فغبت فى بعض المصالح مع جماعة من اصحابى مدة ثلاثة ايام ثم جئت اليه فوجدت دكانه مقفولة فسألت عنه الجيران فقالوا انه توجه الى البصرة ولم اعلم له صديقا اوفى منك فبالله ان تخبرنى بخبره فلما سمع على بن بكار كلامه تغير لونه واضطرب وقال لم اسمع قبل هذا اليوم خبر سفره وان كان الامر كما ذكرت فقد حصل لى التعب ثم افاض دمع العين وانشد هذين البيتين

قد كنت ابكى على ما فات من فرح * واهل ودى جميعا غير اشتات
واليوم فرق ما بينى وبينهم * دهرى فابكى على اهل المودات

ثم ان علي ابن بكار طرق رأسه الى الارض يتفكر وبعد ساعة رفع رأسه الى خادم له وقال له امض الى دار ابي الحسن واسأل عنه هل هو مقيم او مسافر فان قالوا مسافر فاسأل الى اى ناحية توجه فمضى الغلام وغاب ساعة ثم اقبل الى سيده وقال انى لما سألت عن ابى الحسن اخبرنى اتباعه انه سافر الى البصرة ولكن وجدت جارية واقفة على الباب فلما رأتنى عرفتنى ولم اعرفها وقالت لى هل انت غلام على بن بكار فقلت لها نعم فقالت ان معى رسالة اليه من عند اعز الناس عليه فجاءت معى وهى واقفة على الباب فقال على ابن بكار ادخلها فطلع الغلام اليها وادخلها فنظر الرجل الذى عند بن بكار الى الجارية فوجدها ظريفة ثم ان الجارية تقدمت عند بن بكار وسلمت عليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للستين بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية لما دخلت على على بن بكار تقدمت عنده وسلمت عليه وتحدثت معه سرا وصار يتبسم فى اثناء الكلام ويحلف انه لم يتكلم بذلك ثم ودعته وانصرفت وكان الرجل صاحب ابى الحسن جوهريا فلما انصرفت الجارية وجد للكلام محلا فقال لعلى بن بكار لاشك ولاريب ان لدار الخلافة عليك مطالبة او بينك وبينها معاملة فقال ومن اعلمك بذلك فقال معرفتى بهذه الجارية لانها جارية شمس النهار وكانت جاءتنى من مدة برقعة مكتوب فيها انها تشتهى عقد جوهر فارسلت اليها عقدا ثمينا فلما سمع على بن بكار كلامه اضطرب حتى خشى عليه التلف ثم راجع نفسه وقال يا اخى سألتك بالله من اين تعرفها فقال له الجوهرى دع الالحاح فى السؤال فقال له على بن بكار لا ارجع عنك الا اذا اخبرتنى بالصحيح فقال له الجوهرى انا اخبرك بحيث لا يدخلك منى وهم ولا يعتريك من كلامى انقباض ولا اخفى عنك سرا وابين لك حقيقة الامر ولكن بشرط ان تخبرنى بحقيقة حالك وسبب مرضك فاخبره بخبره ثم قال والله يا اخى ما حملنى على كتمان امرى عن غيرك الا مخافة ان الناس تكشف استار بعضها فقال الجوهرى لعلى بن بكار وانا ما اردت اجتماعى بك الا لشدة محبتى لك وغيرتى عليك وشفقتى على قلبك من الم الفراق عسى اكون لك مؤنسا نيابة عن صديق ابى الحسن مدة غيبته فطيب نفسا وقر عينا فشكره على بن بكار على ذلك وانشد هذين البيتين

ولو قلت انى صابر بعد بعده * لكذبنى دمعى وفرط نحيبى
وكيف اداري مدمعا جريانه * على صحن خدى من فراق حبيبى

ثم ان عليا بن بكار سكت ساعة من الزمان وبعد ذلك قال للجوهرى اتدرى ما سرتنى به الجارية فقال له لا والله يا سيدى فقال انها زعمت انى اشرت على ابى الحسن بالمسير الى مدينة البصرة وانى دبرت بذلك حيلة لاجل عدم المراسلة والمواصلة فخلفت لها ان ذلك لم يكن فلم تصدقنى ومضت الى سيدتها وهى على ما هى عليه من سوء الظن لانها كانت تصغى الى ابى الحسن فقال الجوهرى يا اخى انى فهمت من حال هذه الجارية هذا الامر ولكن ان شاء الله تعالى اكون عونا لك على مرادك فقال له على بن بكار وكيف تعمل معها وهى تنفر كوحش الفلاة فقال له لا بد ان ابذل جهدى فى مساعدتك واحتيالى فى التوصل اليها من غير كشف ستر ولا مضرة ثم استأذن فى الانصراف فقال له على بن بكار يا اخى عليك بكتمان السر ثم نظر اليه وبكى فودعه وانصرف وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والستون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجوهرى ودعه وانصرف وهو لا يدرى كيف يعمل فى اسعاف على بن بكار ومازال ماشيا وهو متفكر فى امره اذ رأى ورقة مطروحة فى الطريق فاخذها ونظر عنوانها وقرأه فاذا هو من المحب الاصغر الى الحبيب الاكبر ففتح الورقة فراى مكتوبا فيها هذان البيتان

جاء الرسول بوصل منك يطمعنى * وكان اكثر ظنى انه وهما

فما فرحت ولكن زادنى حزنا * علمى بان رسولى لم يكن فهما

وبعد فاعلم ياسيدى انى لم ادر سبب قطع المراسلة بينى وبينك فان يكن صدر منك الجفاء فانا اقابله بالوفاء وان يكن ذهب منك الوداد فانا احفظ الود على البعاد فانا معك كما قال الشاعر

تمهل واستطل اصبر وعز أهن * وول أقبل وقل أسمع ومر أطع

فلما قرأها واذا بالجارية اقبلت وهى تتلفت يمينا وشمالا فرأت الورقة فى يده فقالت له ياسيدى ان هذه الورقة وقعت منى فلم يرد عليها جوابا ومشى ومشت الجارية خلفه الى ان اقبل على داره ودخل والجارية خلفه فقالت له ياسيدى ردلى هذه الورقة فانها سقطت منى فالتفت اليها وقال ياجارية لا تخافى ولا تحزنى ولكن اخبرينى بالخبر على وجه الصدق فانى كتوم الاسرار واحلفك يمينا انك لا تخفى عنى شيأ من امر سيدتك فعسى الله ان يعيننى على قضاء اغراضها ويسهل الامور الصعاب على يدى فلما سمعت الجارية كلامه قالت ياسيدى ماضاع سر انت حافظه ولا خاب امر انت تسعى فى قضائه اعلم ان قلبى مال اليك فانا اخبرك بحقيقة الامر واعطنى الورقة ثم اخبرته بالخبر كله وقالت الله على ما اقول شهيد فقال لها صدقت فان عندى علما باصل الخبر ثم حدثها بحديث على بن بكار وكيف اخذ ضميره واخبرها بالخبر من اوله الى اخره فلما سمعت ذلك فرحت واتفقا على انها تأخذ الورقة وتعطيها العلى بن بكار وبجميع ما يحصل ترجع اليه وتخبره به فاعطاها الورقة فاخذتها وختمتها كما كانت وقالت ان سيدتى شمس النهار اعطتها الى مختومة فاذا قرأها وردلى جوابها اتيك به ثم ان الجارية ودعته وتوجهت الى على بن بكار فوجدته فى الانتظار فاعطته الورقة وقرأها ثم كتب لها ورقة رد الجواب واعطاها لها فاخذتها ورجعت بها الى الجوهرى حكم الاتفاق فض ختمها وقرأها فرأى مكتوبا فيها

ان الرسول الذى كانت رسائلنا * مكتومة عنده ضاعت وقد غضبا

فاستخلصوا لى رسولا منكم ثقة * يستحسن الصدق لا يستحسن الكذبا

وبعد فانى لم يصدر منى جفاء ولا تركت وفاء ولا نقضت عهدا ولا قطعت ودا ولا فارقت اسفا ولا لقيت بعد الفراق الا تلفا ولا عملت اصلا بما ذكرتم ولا احب غيرما احببتم وحق عالم السر والنجوى ما قصدى غير الاجتماع بمن اهوى وشأنى كتمان الغرام وان امرضنى السقام وهذا شرح حالى والسلام فلما قرأ الجوهرى هذه الورقة وعرف ما فيها بكى بكاء شديدا ثم ان الجارية قالت له لا تخرج من هذا المكان حتى اعود اليك لانه قد اتهمنى بامر من الامور وهو معذور وانا اريد ان اجمع بينك وبين سيدتى شمس النهار باى حيلة فانى تركتها مطروحة وهى تنتظر منى رد الجواب ثم ان الجارية مضت الى سيدتها وبات الجوهرى مشوش الخاطر فلما اصبح الصباح صلى الصبح وقعد ينتظر قدومها واذا بها اقبلت وهى فرحانة الى ان دخلت عليه فقال لها ما الخبر ياجارية فقالت مضيت من عندك الى سيدتى ودفعت لها الورقة التى كتبتها على ابن بكار فلما قرأتها وفهمت معناها تحير فكرها فقلت لها ياسيدتى لا تخشى من فساد الامر بينكما بسبب غياب ابى الحسن فانى وجدت من يقوم مقامه وهو احسن منه واعلا مقدارا واهلا لكتمان الاسرار

وقد حدثتها بما بينك وبين ابى الحسن وكيف توصلت اليه والى على بن بكار وكيف سقطت تلك الرقعة منى ووقعت انت عليها واخبرتها بما استقر عليه الامر بينى وبينك فتعجب الجوهرى غاية العجب ثم قالت له انها تشتهى ان تسمع كلامك لاجل ان تؤكد عليه فيما بينك وبينه من العهود فاعزم فى هذا الوقت على المسير معى اليها فلما سمع الجوهرى كلام الجارية رأى ان الدخول عليها امر عظيم وخطر جسيم لا يمكن الدخول فيه ولا التهجم عليه فقال الجوهرى للجارية يا اختى انى من اولاد العوام ولم اكن كابى الحسن لان ابا الحسن كان رفيع المقدار معروفا بالاشتهار متردداً على دار الخلافة لاحتياجهم الى بضاعته واما انا فان ابا الحسن كان يحدثنى وانا ارتعد بين يديه واذا كانت سيدتك رغبت فى حديثى لها فينبغى ان يكون ذلك فى غير دار الخلافة بعيداً عن محل امير المؤمنين لان جنانى لا يطاوعنى على ما تقولين ثم انه امتنع من المسير معها وصارت تتضمن له السلامة وتقول له لا تخش ولا تخف فبينما هما فى هذا الكلام اذ لعبت رجلاه وارتعشت يداه فقالت له الجارية ان كان يصعب عليك الرواح الى دار الخلافة ولا يمكنك المسير معى فانا اجعلها تسير اليك فلا تبرح من مكانك حتى ارجع اليك بها ثم ان الجارية مضت ولم تغب الا قليلا وعادت الى الجوهرى وقالت له احذر ان يكون عندك جارية او غلام فقال ما عندى غير جارية سوداء كبيرة السن تخدمنى فقامت الجارية واغلقت الابواب بين جارية الجوهرى وبينه وصرفت غلمانه الى خارج الدار ثم خرجت الجارية وعادت ومعها جارية خلفها ودخلت دار الجوهرى فاعبقت الدار من الطيب فلما رأها الجوهرى نهض قائما ووضع لها مخدة وجلس بين يديها فمكثت ساعة لم تتكلم حتى استراحت ثم كشفت وجهها فخيل للجوهرى ان الشمس اشرقت فى منزله ثم قالت لجاريتها اهذا الرجل الذى قلت لى عليه فقالت الجارية نعم فالتفتت الى الجوهرى وقالت له كيف حالك قال بخير ودعا لها فقالت انك حملتنا المسير اليك وان نطلعك على ما يكون من سرنا ثم سألته عن اهله وعياله فاخبرها بجميع احواله وقال لها ان لى دارا غير هذه الدار جعلتها للاجتماع بالاصحاب والاخوان وليس لى فيها الا ما ذكرته لجاريتك ثم سألته عن كيفية اطلاعه على اصل القصة فاخبرها بما سألته عنه من اول الامر الى آخره فتأوهت على فراق ابى الحسن وقالت يا فلان اعلم ان ارواح الناس متلاعنة فى الشهوات والناس بالناس لا يتم عمل الا بقول ولا يتم غرض الا بسعين ولا تحصل راحة الا بعد تعب وادر لك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان شمس النهار قالت للجوهرى لا تحصل راحة الا بعد تعب ولا يظهر نجاح الامن ذوى مروءة وقد اطلعتك الان على امرنا وصار بيدك هتكنا وسترنا ولا زيادة لما انت عليه من المروءة فانت قد علمت ان جاريتى هذه كانمة لسرى وبسبب ذلك لها رتبة عظيمة عندى وقد اختصصتها لمهمات امورى فلا يكن عندك اعز منها واطلعها على امرك وطب نفسا فانت آمن مما تخافه من جهتنا وما يسد عليك موضع الا وتفتحه لك وهى تأتيك من عندى باخبار على بن بكار وتكون انت الواسطة فى التبليغ بينى وبينه ثم ان شمس النهار قامت وهى لا تستطيع القيام ومشت فتمشى بين يديها الجوهرى حتى وصلت الى باب الدار ثم رجع وقعد فى موضعه بعد ان نظر من حسنها ما بهره وسمع من كلامها ما حير عقله ثم شاهد من ظرفها وادبها ما ادهشه ثم استمر يتفكر فى شمائلها حتى سكنت نفسه

وطلب الطعام فاكل ما يمسك رمقه ثم غير ثيابه وخرج من داره وتوجه الى على بن بكار فلاقاه غلمانه ومشوا بين يديه الى ان اوصلوه الى سيدهم فوجده ملقى على فراشه فلما رأى الجوهرى قال له ابطات على فزدتنى هما على همى ثم صرف غلمانه وامر بغلق ابوابه وقال له والله ما غمضت عينى من يوم فارقتنى فان الجارية جاءتنى بالامس ومعها رقعة مختومة من عند سيدتها شمس النهار وحكى له ابن بكار على جميع ما وقع له معها ثم قال لقد تحيرت فى امرى وقل صبرى وكان لى ابو الحسن انيسا لانه يعرف الجارية فلما سمع الجوهرى كلام ابن بكار ضحك فقال له ابن بكار كيف تضحك من كلامى وقد استبشرت بك واتخذتك عدة للنائبات ثم بكى وانشد هذه الابيات

وضاحك من بكائى حين ابصرنى * لو كان قاسى الذى قاسيت ابكاه
لم يرث للمبتلى مما يكابده * الا شجٍ مثله قد طال بلواه
وجدى حنينى انينى فكرتى ولهى * الى حبيب زوى القلب مأواه
حل الفؤاد مقيما لا يفارقه * وقتا ولكنه قد عز لقياه
مالى سواه خليل ارتضى بدلا * وما اصطفيت حبيبا قط الاه

فلما سمع الجوهرى منه هذا الكلام وفهم الشعر والنظام بكا لبكائه واخبره بما جرى له مع الجارية من حين فارقه فصار ابن بكار يصغى الى كلامه وكلما سمع منه كلمة يتغير لون وجهه من صفرة الى احمرار ويقوى جسمه مرة ويضعف اخرى فلما انتهى الى آخر الكلام بكى ابن بكار وقال له يا اخى انا على كل حال هالك فليت اجلى قريب واسألك من فضلك ان تكون ملاطفى فى جميع امورى الى ان يريد الله بما يريد وانا لا اخالفك قولا ففال له الجوهرى لا يطفى عنك هذه النار الا الاجتماع بمن شغفت بها ولكن فى غير هذا المكان الخطير وانما يكون ذلك عندى فى بيت جنب بيتى جاءتنى فيه الجارية هى وسيدتها وهو الموضع الذى اختارته لنفسها والمقصود اجتماعكما ببعضكما وفيه تسكنان لبعضكما ما قاسيتما فقال على بن بكار افعل ما تريد والذى تراه هو الصواب قال الجوهرى فاقمت عنده تلك الليلة اسامره الى ان اصبح الصباح وادركنا شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجوهرى قال فاقمت تلك الليلة عند على بن بكار اسامره الى ان اصبح الصباح ثم صليت الصبح وخرجت من عنده وذهبت الى منزلى فما استقريت الا قليلا حتى جاءت الجارية وسلمت على فرددت عليها السلام وحدثتها بما كان بينى وبين على بن بكار فقالت الجارية اعلم ان الخليفة توجه من عندنا وان مجلسنا لا احد فيه وهو استرلنا واحسن فقلت لها كلامك صحيح ولكنه ليس كمنزلى هذا فانه استرانا والبق بنا فقالت الجارية ان الرأى ما تراه انت وانا ذاهبة الى سيدتى لاخبرها بما ذكرت واعرض عليها ما قلت ثم ان الجارية توجهت الى سيدتها وعرضت عليها الكلام وعادت الى منزلى وقالت لى ان سيدتى رضيت بما قلته ثم ان الجارية اخرجت من جيبها كيسا فيه دنانير وقالت لى ان سيدتى تسلم عليك وتقول لك خذ هذا وانفض لنا به ما نحتاج اليه فاقسمت انى لا اصرف شيأ منه فاخذته الجارية وعادت الى سيدتها وقالت لها انه ما قبل الدراهم بل دفعها الى وبعد رواح الجارية ذهبت الى دارى الثانية وحولت اليها من الالات والفرش ما يحتاج اليه الحال ونقلت اليها اوانى الفضة والصينى

وهيأت جميع ما نحتاج اليه من المأكل والمشرب فلما حضرت الجارية ونظرت ما فعلته اعجبها وامرتني باحضار علي بن بكار فقلت ما يحضر به الا انت فذهبت اليه واحضرته على اتم حال وقد راقت محاسنه فلما جاء قابلته ورحبت به ثم اجلسته على مرتبة تصلح له ووضعت بين يديه شيأ من المشموم في بعض الاواني الصيني والبلور وصرت اتحدث معه نحو ساعة من الزمان ثم ان الجارية مضت وغابت الى بعد صلاة المغرب ثم عادت ومعها شمس النهار ووصيفتان لا غير فلما رأت عليا بن بكار ورأها سقطا على الارض مغشيا عليهما واستمرا ساعة زمانية ولما افاقا اقبلا على بعضهما ثم جلسا يتحدثان بكلام رقيق وبعد ذلك استعملا شيأ من الطيب ثم انهما صارا يشكران صنعي معهما فقلت لهما هل لكما في شيء من الطعام فقالا نعم فاحضرت شيأ من الطعام فاكلا حتى اكتفيا ثم غسلا ايديهما ثم نقلتهما الى مجلس آخر واحضرت لهما الشراب فشربا وسكرا ومالا على بعضهما ثم ان شمس النهار قالت لي ياسيدي كمل جميلك واحضر لنا عودا وشيأ من الات الملاهي حتى اننا نكمل حظنا في هذه الساعة فقلت على رأسي وعيني ثم اني قمت واحضرت عودا فاخذته واصلحته ثم انها وضعته في حجرها وضربت عليه ضربا بليغا ثم انشدت هذين البيتين

ارقت حتى كاني عاشق الارقا * وذبت حتى ترامى السقم في خلقا
وفاض دمعي على خدي فاحرقه * ياليت شعري هل بعد الفراق لقا

ثم انها اخذت في غناء الاشعار حتى حيرت الافكار باصوات مختلفات واشارات رايقات وكاد المجلس ان يطير من شدة الطرب بما اتت فيه من مغانيها بالعجب ثم قال الجوهري ولما استقرينا الجلوس ودارت بيننا الكؤس اطربت الجارية بالنغمات وانشدت هذه الابيات

وعد الحبيب بوصله ووفى لي * في ليلة سأعدها بليالي
ياليلة سمح الزمان لنا بها * في غفلة الواشين والعذال
بات الحبيب يضمني بيمينه * من فرحتي فضممته بشمالي
عانقته ورشفت خمرة ريقه * وحظيت بالمعسول والعسال

ثم ان الجوهري تركهما في تلك الدار وانصرف الى دار سكناه وبات فيها الى الصباح ولما اصبح الصبح صلى فرضه وشرب القهوة وجلس يفكر في المسير اليهما في داره الثانية فبينما هو جالس اذ دخل عليه جاره وهو مرعوب وقال يا اخي ما هان علي الذي جرى لك الليلة في دارك الثانية فقلت له يا اخي واي شيء جرى فاخبرني بما حصل في داري فقال له ان اللصوص الذين جاؤا الى جيراننا بالامس وقتلوا فلانا واخذوا ماله قد رأوك بالامس وانت تنقل حوايجك الى دارك الثانية فجاؤا اليها الليلة واخذوا ما عندك وقتلوا اضيافك قال الجوهري فقمت انا وجاري وتوجهنا الى تلك الدار فوجدناها خالية ولم يبق فيها شيء فصرت في امري وقلت اما الامتعة فلا ابالي بضياعها وان كنت استعرت بعض امتعة من اصحابي وضاعت فلا بأس بذلك لانهم عرفوا عذري بذهاب مالي ونهب داري واما علي بن بكار ومحظية امير المؤمنين فاخشى ان يشتهر الامر بينهما فيكون ذلك سبب رواح روحي ثم ان الجوهري التفت الى جاره وقال له انت اخي وجاري وتستر عورتي فما الذي تشير به علي من الامور فقال الرجل للجوهري الذي اشير به عليك ان تتربص فان الذين دخلوا دارك واخذوا متاعك قد قتلوا احسن جماعة من دار الخليفة وقتلوا جماعة من دار صاحب الشرطة واعوان الدولة يدورون عليهم في جميع الطرق فلعلهم يجدونهم فيحصل مرادك

بغير سعي منك فلما سمع الجوهري هذا الكلام رجع الى داره التي هو ساكن بها وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجوهري لما سمع هذا الكلام رجع الى داره التي هو ساكن بها وقال في نفسه ان الذي حصل لي هو الذي خاف منه ابو الحسن وذهب الى البصرة وقد وقعت فيه ثم ان نهب داره اشتهر عند الناس فاقبلوا اليه من كل جانب ومكان فمنهم من هو شامت به ومنهم من هو حامل همه فصار يشكو لهم ولم يأكل طعاما ولم يشرب شرابا فبينما هو جالس متندم واذا بغلام من غلمانه دخل عليه وقال له ان شخصا بالباب يدعو لك لم اعرفه فخرج اليه الجوهري وسلم عليه ووجده انسانا لم يعرفه فقال له الرجل ان لي حديثا يهمك وبينك فادخله الدار وقال له ما عندك من الحديث فقال الرجل امض معي الى دارك الثانية فقال الجوهري وهل تعرف داري الثانية فقال ان جميع خبرك عندي وعندي ايضا ما يفرج الله به همك فقلت في نفسي انا امضي معه حيث اراد ثم توجهت الى ان اتينا الدار فلما رأى الرجل الدار قال انها بغير بواب ولا يمكن القعود فيها فامض معي الى غيرها فلم يزل الرجل يدور بي من مكان الى مكان وانا معه حتى دخل علينا الليل ولم اسأله عن امر من الامور ثم انه لم يزل يمشي وانا امشي معه حتى خرجنا الى الفضاء وهو يقول اتبعني وصار يهرول في مشيه وانا اهرول وراءه حتى وصلنا الى البحر فطلع بنا في زورق وقذف بنا الملاح حتى عدانا الى البر الثاني فنزل من ذلك الزورق ونزلت خلفه ثم انه اخذ بيدي ونزل بي في درب لم ادخله طول عمري ولم اعلم هو في اي ناحية ثم ان الرجل وقف على باب دار وفتحها ودخل وادخلني معه واغلق بابها بقفل من حديد ثم مشى بي في دهليزها حتى دخلنا على عشرة رجال كانهم رجل واحد وهم اخوة فلما دخلنا عليهم سلم عليهم ذلك الرجل فردوا عليه السلام ثم امروني بالجلوس فجلست وكنت ضعفت من شدة التعب فجاؤا الى بماء وردوروشوه على وجهي وسقوني شرابا وقدموا الى طعاما فقلت لو كان في الطعام شيء مضر ما اكلوا معي فلما غسلنا ايدينا عاد كل منا الى مكانه وقالوا هل تعرفنا فقلت لا ولا عمري عرفت موضعكم بل ولا اعرف من جاء بي اليكم فقالوا اطلعنا على خبرك ولا تكذب في شيء فقلت لهم اعلموا ان حالي عجيب وامري غريب فهل عندكم شيء من خبري قالوا نعم نحن الذين اخذنا امتعتك في الليلة الماضية واخذنا صديقك والتي كانت تغني فقلت لهم اسبل الله عليكم ستره اين صديقي هو والتي كانت تغني فاشاروا الى باليديهم الى ناحية وقالوا هما هنا ولكن والله يا اخي ما ظهر على سرهما احد منا ومن حيث اتينا بهما لم نجتمع بهما ولم نسألهما عن حالهما لما رأينا عليهما من الهيبة والوقار وهذا هو الذي منعنا عن قتلهما فاخبرنا عن حقيقة امرهما وانت في امان على نفسك وعليهما فقال الجوهري فلما سمعت هذا الكلام كدت ان اهلك من الخوف والفزع وقلت لهم اعلموا ان المروءة اذا ضاعت لم توجد الا عندكم واذا كان عندي سر اخاف افشاءه فلا يخفيه الا صدوركم وصرت ابالغ في هذا المعنى ثم اني وجدت المبادرة لهم بالحديث انفع من كتمانه فحدثتهم بجميع ما وقع لي حتى انتهيت الى آخر الحديث فلما سمعوا حكايتي قالوا وهل هذا الفتى علي بن بكار وهذه شمس النهار واعتذروا لهما ثم قالوا لي ان الذي اخذناه من دارك ذهب بعضه وهذا ما بقي منه ثم ردوا الي اكثر الامتعة والتزموا انهم يعيدونها الى محلها في داري ويردون لي الباقي ولكنهم انقسموا نصفين فصار قسم منهم معي وقسم منهم على ثم خرجنا

من

من تلك الدار هذا ما كان من امرى واما ما كان من امر على بن بكار وشمس النهار فانهما قد اشرفا على الهلاك من الخوف ثم تقدمت الى على بن بكار وشمس النهار وسلمت عليهما وقلت لهما يا ترى كيف جرى بالجارية والوصيفتين واين ذهبن فقالا لا علم لنا بهن ولم نزل سائرين الى ان انتهينا الى المكان الذى فيه الزورق فاطلعونا فيه واذا هو الزورق الذى عدينا فيه بالامس فقذف بنا الملاح حتى اوصلنا الى البر الثانى فانزلونا فلما استقر بنا الجلوس على جانب البر حتى جاءت خيالة واحاطوا بنا من كل جانب فوثب الذين معنا عاجلا كالعقاب فرجع لهم الزورق فنزلوا فيه وصاروا بهم فى البحر وبقيت انا وعلى بن بكار وشمس النهار على شاطئ البحر لا نستطيع حركة ولا سكونا فقال لنا الخيالة من اين انتم فتحيرنا فى الجواب قال الجوهرى فقلت لهم ان الذين رأيتموهم معنا لا نعرفهم وانما رأيناهم هنا واما نحن فغرباء واردنا اخذنا للتغنى لهم فما تخلصنا منهم الا بالحيلة واين الكلام فافرجوا عنا فى هذه الساعة وقد كان منهم ما رأيتم من امرهم فنظر الخيالة الى شمس النهار والى على بن بكار ثم قالوا لى لست صادقا فى كلامك فان كنت صادقا فاخبرنا من انتم ومن اين انتم وما موضعكم وفى اى الحارات انتم ساكنون قال الجوهرى فلم ادر ما اقول فوثبت شمس النهار وتقدمت الى مقدم الخيالة وتحدثت معه سرا فنزل من فوق جواده واركبها عليه واخذ بزمامها وصار يقودها وكذلك فعل به على بن بكار وفعل بى ايضا ثم ان مقدم الخيالة لم يزل سائرا بنا الى موضع على جانب البحر وصاح بالرطانة فاقبل له جماعة من البرية فطلعنا المقدم فى زورق وطلع اصحابه فى زورق آخر وقذفوا بنا الى ان انتهينا الى دار الخلافة ونحن نكابد الموت من شدة الخوف ولم نزل سائرين الى ان انتهينا الى المحل الذى نتوصل منه الى موضعنا فنزلنا الى البر ومشينا ومعنا جماعة من الخيالة يؤانسوننا الى ان دخلنا الدار وحين دخلناها ودعنا من كان معنا من الخيالة ومضوا الى حال سبيلهم واما نحن فقد دخلنا مكاننا ونحن لا نقدر ان نتحرك من مكاننا ولا ندرى الصباح من المساء ولم نزل على هذه الحالة الى ان اصبح الصباح فلما جاء آخر النهار سقط على بن بكار مغشيا عليه وبكى عليه النساء والرجال وهو مطروح لم يتحرك فجاء فى بعض اهله وقالوا حدثنا بما جرى لولدنا واخبرنا بسبب الحال الذى هو فيه فقلت لهم يا قوم اسمعوا كلامى وادر لشهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والستون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجوهرى قال لهم يا قوم اسمعوا كلامى ولا تفعلوا بى مكروها واصبروا وهو يفيق ويخبركم بقصته بنفسه ثم شددت عليهم وخوفتهم من الفضيحة بينى وبينهم فبينما نحن كذلك واذا بعلى بن بكار تحرك فى فراشه ففرح اهله وانصرف الناس عنه ومنعنى اهله من الخروج من عنده ثم رشوا ماء الورد على وجهه فلما افاق وشم الهواء صاروا يسألونه عن حاله فصار يخبرهم ولسانه لا يرد جوابا بسرعة ثم اشار اليهم ان يطلقونى لاذهب الى منزلى فاطلقونى فخرجت وانا لا اصدق بالخلاص واتيت الى دارى وانا بين رجلين حتى وصلت الى اهلى فلما رأونى على تلك الحالة طفقوا يعلون على وجوههم فاومأت اليهم بيدى ان اسكتوا فسكتوا وانصرف الرجلان الى حال سبيلهما وانقلبت على فراشى بقية ليلتى ولم افق الى وقت الضحى فوجدت اهلى مجتمعين حولى يقولون ما الذى دهاك وبشره ومالك فقلت ائتونى بشئ من الشراب فجاؤا لى بشراب شربت منه حتى استكفيت ثم قلت لهم قد كان ما كان فانصرفوا الى حال

سبيلهم ثم اعتذرت الى اصحابي وسألتهم عن الذي ذهب من داري هل عاد شيء منه فقالوا عاد البعض وسببه انه جاء انسان ورماه في باب الدار ولم ننظره فسليت نفسي واقمت في مكاني يومين وانا لا اقدر على القيام من محلي ثم قويت نفسي ومشيت حتى دخلت الحمام واما قلبي مشغول من جهة ابن بكار وشمس النهار ولم اسمع لهما خبرا في تلك المدة ولم استطع الوصول الى دار علي بن بكار ولم يستقر لي قرار في مكاني خوفا على نفسي ثم تبت الى الله تعالى عن ما صدر مني وحدثته على سلامتي وبعد مدة حدثتني نفسي ان اقصد تلك الناحية وارجع في ساعة فلما اردت المسير رأيت امرأة واقفة فتأملتها واذا هي جارية شمس النهار فلما عرفتها سرت وهرولت في سيري فتبعتني فداخلني منها الفزع وصرت كلما انظرها يأخذني الرعب منها وهي تقول لي قف حتى احدثك بشيء وانا لم التفت اليها ولم ازل سائرا الى مسجد في موضع خال من الناس فقالت لي ادخل هذا المسجد لاقول لك كلمة ولا تخف من شيء وحلفتني فدخلت المسجد ودخلت خلفي فصليت ركعتين ثم تقدمت اليها واناتاوه وقلت لها ما بالك فسألتني عن حالي فحدثتها بما وقع لي واخبرتها بما جرى لعلي بن بكار وقلت لها ما خبرك فقالت اعلم اني لما رأيت الرجال كسروا باب دارك دخلوا خفت منهم وخشيت ان يكونوا من عند الخليفة فيأخذوني انا وسيدتي فتهلك من وقتنا فهربت من السطوح انا والوصيفتان ورمينا انفسنا من مكان عال ودخلنا على قوم فهربنا عندهم حتى وصلنا الى قصر الخلافة ونحن على اقبح صفة ثم اخفينا امرنا وصرنا نتقلب على الجمر الى ان جن الليل ففتحت باب البحر واستدعيت بالملاح الذي اخرجنا تلك الليلة وقلت له ان سيدتي لم تعلم لها خبرا فاحملني في الزورق حتى افتش عليها في البحر لعلي اقع على خبرها فحملني في الزورق وساربي ولم ازل سائرة في البحر حتى انتصف الليل فرأيت زورقا اقبل الى جهة الباب وفيه رجل يقدف ومعه رجل آخر وامرأة مطروحة بينهما ولا زال يقدف حتى وصل الى البر فلما زالت المرأة تأملتها فاذا هي شمس النهار فنزلت اليها وقد اندهشت من الفرحة لما رأيتها بعد ما قطعت الرجاء منها وادركني شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية قالت للجوهري فنزلت اليها وقد اندهشت من الفرح بغداني قطعت الرجاء منها فلما تقدمت بين يديها امرتني ان ادفع الى الرجل الذي جاء بها الف دينار ثم حملتها انا والوصيفتان الى ان القيناها على فراشها فاقامت تلك الليلة على حالة مكدرة فلما اصبح الصباح منعت الجواري والخدم من الدخول عليها والوصول اليها ذلك اليوم وفي ثاني يوم افاقت مما كان بها فوجدتها كأنها قد خرجت من مقبرة فرششت على وجهها ماء الورد وغيرت ثيابها وغسلت يديها ورجليها ولم ازل الاطفها حتى اطعمتها شيأ من الطعام واسقيتها شيأ من الاشربة وهي ليس لها قابلية في شيء من ذلك فلما شمت الهواء وتوجهت اليها العافية قلت لها يا سيدتي ارفقي بنفسك فقد حصل لك من المشقة ما فيه الكفاية فانك قد اشرفت على الهلاك فقالت والله يا جارية الخير ان الموت عندي اهون مما جرى لي فاني كنت مقتولة لا محالة لان اللصوص لما خرجوا بنا من دار الجوهري سألوني وقالوا من انت وما شأنك فقلت انا جارية من المغنيات قصدتوني ثم سألوا علي ابن بكار عن نفسه وقالوا له من انت وما شأنك فقال انا من عوام الناس فاخذونا وسرنا معهم الى ان انتهوا بنا الى موضعهم ونحن نسرع في السير معهم من شدة

الخوف

الخوف فلما استقروا بنا فى اماكنهم تأملونى ونظروا ما على من الملبوس والعقود والجواهر فانكروا امرى وقالوا ان هذه العقود لم تكن لواحدة من المغنيات ثم قالوا الى اصدقينا وقولى لنا الحق ما قضيتك فلم ارد عليهم جوابا بشئ وقلت فى نفسى الان يقتلونى لاجل ما على من الحلى والحلل فلم انطق بكلمة ثم التفتوا الى على ابن بكار وقالوا له ومن اين انت فان رؤيتك غير رؤية العوام فسكت وصرنا نكتم امرنا ونبكى فحنن الله علينا قلوب اللصوص فقالوا لنا من صاحب الدار التى كنتما فيها فقلنا لهم صاحبها فلان الجوهرى فقال واحد منهم انا اعرفه حق المعرفة واعرف انه ساكن فى داره الثانية وعلى ان آتيكم به فى هذه الساعه واتفقوا على ان يجعلونى فى موضع وحدى وعليا بن بكار فى موضع وحده وقالوا لنا استريحا ولا تخافا ان ينكشف خبركما وانتم فى امان منا ثم ان صاحبهم مضى الى الجوهرى واتى به وكشف امرنا لهم واجتمعنا عليه ثم ان رجلا منهم احضر لنا زورقا واطلعونا فيه وعدوا بنا الى الجانب الثانى ورمونا الى البر وذهبوا فاتت خيالة من اصحاب العسس وقالوا من تكونوا فتكلمت مع مقدم العسس وقلت له انا شمس النهار محظية الخليفة فانى سكرت وخرجت لبعض معارفى من نساء الوزراء فجاءنى اللصوص فاخذونى واوصلونى الى هذا المكان فلما رأوكم فروا هاربين وانا قادرة على مكافاتك فلما سمع كلامى قدم الخيالة عرفنى ونزل عن مركوبه واركبنى وفعل كذلك مع على بن بكار والجوهرى وفى كبدى الان من اجلهما لهيب النار لا سيما الجوهرى رفيق ابن بكار فامضى اليه وسلمى عليه واخبريه عن على بن بكار فلما تها على ما وقع منها وحذرتها وقلت لها يا سيدتى خافى على نفسك فصاحت على وغضبت من كلامى ثم قمت من عندها وجئت اليك فلم اجدك وخشيت من الرواح الى ابن بكار فصرت واقفة ارتقبك حتى اسألك عنه واعلم ما هو فيه فاسألك من فضلك ان تأخذ منى شيأ من المال فانك ربما استعرت امتعة من اصحابك وضاعت عليك فيحتاج ان تعوض على الناس ماذهب لهم من الامتعة عندك قال الجوهرى فقلت سمعا وطاعة ثم مشيت معها الى ان اتينا الى قرب محلى فقالت لى قف هنا حتى اعود اليك وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية قالت للجوهرى قف هنا حتى اعود اليك ومضت ثم عادت وهى حاملة المال فاعطته للجوهرى وقالت له يا سيدى نجتمع بك فى اى محل قال الجوهرى فقلت لها توجه الى دارى فى هذه الساعة وتحمل الصعوبة لاجل خاطرك واتدبر فيما يوصلك اليه فانه يتعذر الوصول اليه فى هذا الوقت ثم ودعتنى ومضت فحملت المال واتيت به الى منزلى وعددت المال فوجدته خمسة الاف دينار فاعطيت اهلى منه شيأ ومن كان له عندى شئ اعطيته عوضا عنه ثم انى اخذت غلمانى وذهبت الى الدار التى ضاعت منها الامتعة وجئت بالنجارين والبنايين فاعادوها الى ما كانت عليه وجعلت جاريتى فيها ونسيت ما جرى لى ثم تمشيت واتيت الى دار على بن بكار فلما وصلت اليها اقبل غلمانه على وقال لى واحد منهم ان غلمان سيدى فى طلبك ليلا ونهارا ووعدهم ان كل من اتاه بك يعتقه فهم يفتشون عليك ولم يعرفوا لك موضعا وقد رجعت الى سيدى عافيته وهو تارة يفيق وتارة يستغرق فلما يفيق يذكرك ويقول لابد ان تحضروه لى لحظة ويعود الى حال سبيله قال الجوهرى فذهبت مع الغلام الى سيده فوجدته لا يستطيع الكلام فلما رأيته جلست عند رأسه ففتح عينيه فلما رأنى بكى وقال لى

اهلا ومرحبا ثم سندته واجلسته وضممته الى صدرى فقال لى اعلم يا اخى انى من حين رقدت ما جلست الا فى هذه الساعة فالحمد لله على مشاهدتك قال الجوهرى فلم ازل اسنده حتى اوقفته على رجليه ومشيته خطوات وغيرت ثوابه وشرب شرابا فلما رأيت عليه علامة العافية حدثته بما كان من الجارية ولم يسمعنى احد ثم قلت له شد حيلك فانا اعرف مابك فتبسم فقلت له انك لا تجد الا ما يسرك ويداويك ثم ان علياً بن بكار امر باحضار الطعام فاحضروه واشار الى غلمانه فتفرقوا ثم قال لى يا اخى هل رأيت ما اصابنا واعتذر لى وسألنى عن حالى فى هذه المدة فاخبرته بجميع ما جرى لى من الاول الى الاخر فتعجب ثم قال للخدم أئتونى بكذا وكذا فاتوه بفرش نفيس وغير ذلك من تعاليق الذهب والفضة اكثر من الذى ضاع لى واعطانى جميع ذلك فارسلته الى منزلى واقمت عنده ليلتى فلما اسفر الصبح قال لى اعلم ان لكل شئ نهاية ونهاية الهوى الموت او الوصال وانا الى الموت اقرب فيا ليتنى مت قبل الذى جرى ولولا ان الله الطف بنا لافتضحنا ولا ادرى ما الذى يوصلنى الى الخلاص مما انا فيه ولولا خوفى من الله لعجلت على نفسى بالهلاك واعلم يا اخى انى كالطير فى القفص وان نفسى هالكة من الغصص ولكن لها وقت معلوم واجل محتوم ثم افاض دمع العين وانشد هذين البيتين

شكا الم الفراق الناس قبلى * وروع بالنوى حى وميت
واما مثل ما ضمت ضلوعى * فانى ما سمعت ولا رأيت

فلما فرغ من شعره قال له الجوهرى ياسيدى اعلم انى عزمت على الذهاب الى دارى فلعل الجارية ترجع الى بخبر فقال على بن بكار لا باس بذلك ولكن اسرع بالعود عندنا لاجل ان تخبرنى قال الجوهرى فودعته وانصرفت الى دارى فلم يستقر بى الجلوس حتى رأيت الجارية اقبلت وهى فى بكاء ونحيب فقلت لها ما سبب ذلك فقالت ياسيدى اعلم انه حل بنا ما حل من امر نخافه فانى لما مضيت من عندك بالامس وجدت سيدتى مغتاظة على وصيفة من الوصيفتين اللتين كانتا معنا تلك الليلة وامرت بضربها فخافت من سيدتها وهربت فلاقاها بعض الموكلين بالباب فاخذها واراد ردها الى سيدتها فلوحت له بالكلام فلاطفها واستنطقها عن حالها فاخبرته بما كان فيه فبلغ الخبر الى الخليفة فامر بنقل سيدتى شمس النهار وجميع مالها الى دار الخلافة ووكل بها عشرين خادما ولم اجتمع بها الى الان ولم اعلمها بالسبب وتوهمت انه بسبب ذلك فخشيت على نفسى واحترت ياسيدى ولم ادر كيف احتال فى امرى وامرها ولم يكن عندها احفظ لكتمان السر منى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية قالت للجوهرى ان سيدتى لم يكن عندها احفظ لكتمان السر منى فتوجه ياسيدى الى على بن بكار سريعا واخبره بذلك لاجل ان يكون على اهبة فاذا انكشف الامر تدبر فى شئ نفعله لنجاة انفسنا قال الجوهرى فاخذنى من ذلك هم عظيم وصار الكون فى وجهى ظلاما من كلام الجارية وهممت الجارية بالانصراف فقلت لها وما الرأى فقالت لى الرأى ان تبادر الى على بن بكار ان كان صديقك وتريد له النجاة وانت عليك تبليغ هذا الخبر له بسرعة واما على ان انتقيد باستئناف الاخبار ثم ودعتنى وخرجت فلما خرجت الجارية قمت وخرجت فى اثرها وتوجهت الى على بن بكار فوجدته يحدث نفسه بالوصال ويعللها بالمحال فلما رأنى رجعت اليه عاجلا قال لى انى ارانى رجعت الى فى الحال

فقلت له اقصر من التعلق المطال ودع ما انت فيه من الاشتغال فقد حدث حادث يفضي الى تلف نفسك ومالك فلما سمع هذا الكلام تغير حاله وانزعج وقال للجوهري يا اخي اخبرني بما وقع فقال له الجوهري ياسيدي اعلم انه قد جرى ما هو كذا وكذا وانك ان اقمت في دارك هذه الى آخر النهار تالف ولا محالة فهبت على ابن بكار وكاد ت روحه ان تفارق جسده ثم استرجع بعد ذلك وقال له ماذا افعل يا اخي وما عندك من الرأي قال الجوهري فقلت له الرأي ان تأخذ معك من مالك ما تقدر عليه ومن غلمانك ما تثق به وان تمضي بنا الى ديار غير هذه قبل ان ينقضي هذا النهار فقال لي سمعا وطاعة ثم وثب وهو متحير في امره فتارة يمشي وتارة يقع واخذ ما قدر عليه واعتذر الى اهله واوصاهم بمقصوده واخذ معه ثلاثة جمال محملة وركب دابته وقد فعلت انا كما فعل ثم خرجنا خفية وسرنا ولم نزل سائرين باقي يومنا وليلتنا فلما كان آخر الليل حططنا حمولنا وعقلنا جمالنا وثمنا نحن علينا التعب وغفلنا عن انفسنا واذا باللصوص احاطوا بنا واخذوا جميع ما كان معنا وقتلوا الغلمان لما ارادوا ان يمنعوا عنا ثم تركونا مكاتنا ونحن في اقبح حال بعد ان اخذوا المال وساروا فلما قمنا مشينا الى ان اصبح الصباح فوصلنا الى بلدة فدخلناها وقصدنا مسجدها ونحن عريانا وجلسنا في جنب المسجد باقي يومنا فلما جاء الليل بتنا في المسجد تلك الليلة ونحن من غير اكل ولا شرب فلما اصبح الصباح صلينا الصبح وجلسنا واذا برجل داخل فسلم علينا وصلى ركعتين ثم التفت الينا وقال يا جماعة هل انتم غرباء قلنا نعم وقطع اللصوص علينا الطريق وعرونا ودخلنا هذه البلد ولم نعرف فيها احدا نأوي عنده فقال لنا الرجل هل لكم ان تقوموا معي الى داري قال الجوهري فقلت لعلي ابن بكار قم بنا معه فنجونا من امرين الاول انا نخشى ان يدخل علينا احد يعرفنا في هذا المسجد فنفتضح والثاني اننا ناس غرباء وليس لنا مكان نأوي اليه فقال علي بن بكار افعل ما تريد ثم ان الرجل قال لنا ثانية مرة يا فقراء اطيعوني وسيروا معي الى مكاني قال الجوهري فقلت له سمعا وطاعة ثم ان الرجل خلع لنا شيأ من ثيابه والبسنا ولاطفنا فقمنا معه الى داره فطرق الباب فخرج الينا خادم صغير وفتح الباب فدخل الرجل صاحب المنزل ودخلنا خلفه ثم ان الرجل امر باحضار بقجة فيها ثياب وشاشات فالبسنا حلتين واعطانا شاشين فتعممنا وجلسنا واذا بجارية اقبلت الينا بمائدة ووضعتها بين ايدينا فاكلنا شيأ يسيرا ورفعت المائدة ثم اقمنا عنده الى ان دخل الليل فتأوه علي بن بكار وقال للجوهري يا اخي اعلم انني هالك لا محالة واريد ان اوصيك وصية وهو انك اذا رأيتني مت تذهب الى والدتي وتخبرها ان تأتي الى هذا المكان لاجل ان تأخذ عزائي وتحضر غسلي واوصها ان تكون صابرة على فراقي ثم وقع مغشيا عليه فلما افاق سمع جارية تغني من بعيد وتنشد الاشعار فصار يصغي اليها ويسمع صوتها وهو تارة يبكر وتارة يعصو وتارة يبكي شجنا وحزنا مما اصابه فسمع الجارية تطرب بالنغمات وتنشد هذه الابيات

عجل البين بيننا بالفراق * بعد الف وجيرة واتفاق
فرقت بيننا صروف الليالي * ليت شعري متى يكون التلاقي
ما امر الفراق بعد اجتماع * ليته ما اضر بالعشاق
غصة الموت ساعة ثم تقضى * وفراق الحبيب في القلب باقي
لو وجدنا الى الفراق سبيلا * لاذقنا الفراق طعم الفراق

فلما سمع ابن بكار انشاد الجارية شهق شهقة فارقت روحه جسده قال الجوهري فلما رأيته مات

اوصيت عليه صاحب الدار وقلت له اعلم انى متوجه الى بغداد لاخبر والدته واقاربه حتى يأتوا ليجهزوه ثم انى توجهت الى بغداد ودخلت دارى وغيرت ثيابى وبعد ذلك ذهبت الى دار على بن بكار فلما رأنى غلمانه اتوا الى وسألونى عنه وسألتهم ان يستأذنوا لى والدته فى الدخول عليها فاذنت لى بالدخول فدخلت وسلمت عليها وقلت ان الله اذا قضى امرا لامفر من قضائه وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا فتوهمت ام على بن بكار من هذا الكلام ان ابنها قد مات فبكت بكاء شديدا ثم قالت بالله عليك ان تخبرنى هل توفى ولدى فلم اقدر ان ارد عليها جوابا من كثرة الجزع فلما رأنى على تلك الحالة تخنقت بالبكاء ثم وقعت على الارض مغشيا عليها فلما افاقت من غشيتها قالت ما كان من امر ولدى فقلت لها اعظم الله اجرك فيه ثم انى حدثتها بما كان من امره من المبتدا الى المنتهى قالت هل اوصاك بشئ فقلت لها نعم واخبرتها بما اوصانى به وقلت لها اسرعى فى تجهيزه فلما سمعت ام على بن بكار كلامى سقطت مغشيا عليها فلما افاقت عزمت على ما اوصيتها به ثم انى رجعت الى دارى وصرت فى الطريق اتفكر فى حسن شبابه فبينما انا كذلك واذا بامرأة قد قبضت على يدى وادركنى شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجوهرى قال واذا بامرأة قبضت على يدى فتأملتها فرأيتها الجارية التى كانت تأتى من عند شمس النهار وقد علاها الانكسار فلما تعارفنا بكينا جميعا حتى اتينا الى تلك الدار فقلت لها هل علمت بخبر على بن بكار فقالت لا والله فاخبرتها بخبره وما كان من امره ثم انى قلت لها فكيف حال سيدتك فقالت لم يقبل فيها امير المؤمنين قول احد لشدة محبته لها وقد حمل جميع امورها على المحامل الحسنة وقال لها يا شمس النهار انت عندى عزيزة وانا اتحملك على رغم اعدائك ثم امر لها بفرش مقصورة مذهبة وحجرة مليحة وصارت عنده من ذلك فى قبول عظيم فاتفق انه جلس يوما من الايام على جرى عادته للشراب وحضرت المحاظى بين يديه فاجلسهن فى مراتبهن واجلسها بجانبه وقد عدمت صبرها وزاد امرها فعند ذلك امر جارية من الجوارى ان تغنى فاخذت العود وضربت به وجعلت تقول

وداع دعانى للهوى فاجبته * ودمعى يخط الوجد خطا على خدى
كأن دموع العين تخبر حالنا * فتبدى الذى اخفى وتخفى الذى ابدى
فكيف اروم السر واكتم الهوى * وفرط غرامى فيك يظهر ماعندى
وقد طاب موتى عند فقد احبتى * فيا ليت شعرى مايطيب لهم بعدى

فلما سمعت شمس النهار انشاد تلك الجارية لم تستطع الجلوس ثم سقطت مغشيا عليها فرمى الخليفة القدح وجذبها عنده وصاح وضجت الجوارى وقلبها امير المؤمنين فوجدها ميتة فحزن امير المؤمنين لموتها وامر ان يكسر جميع ما كان فى الحضرة من الالات والقوانين وحملها فى حجرة بعد موتها ومكث عندها باقى ليلته فلما طلع النهار جهزها وامر بغسلها وتكفينها ودفنها وحزن عليها حزنا كثيرا ولم يسأل عن حالها ولا عن الامر الذى كانت فيه ثم قالت الجارية للجوهرى سألتك بالله ان تعلمنى بوقت خروج جنازة على بن بكار وان تحضرنى دفنه فقال لها اما انا ففى اى محل شئت تجدينى واما انت فمن يستطيع

الوصول اليك فى المحل الذى انت فيه فقالت له ان امير المؤمنين لما مات شمس النهار اعتق جواريها من يوم موتها وانا من جملتهن ونحن مقيمات على تربتها فى المحل الفلانى فقمت معها واتيت الى المقبرة وزرت شمس النهار ثم مضيت الى حالى ولم ازل انتظر جنازة على بن بكار الى ان جاءت فخرجت له اهل بغداد وخرجت معهم فوجدت الجارية بين النساء وهى اشدهن حزنا ولم ار جنازة ببغداد اعظم من هذه الجنازة ومازلنا فى ازدحام عظيم الى ان انتهينا الى قبره ودفناه وصرت لا انقطع عن زيارته ولا عن زيارة شمس النهار هذا ما كان من حديثهما وليس هذا بعجب من حديث الملك شهرمان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للسبعين بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه كان فى قديم الزمان ملك يسمى شهرمان صاحب عسكر وخدم واعوان الا انه كبر سنه ورق عظمه ولم يرزق بولد فتفكر فى نفسه وحزن وقلق وشكا ذلك لبعض وزرائه وقال انى اخاف اذا مت ضاع الملك لانه ليس لى ولد يتولاه بعدى فقال له ذلك الوزير لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فتوكل على الله ايها الملك وتوضا وصل ركعتين ثم جامع زوجتك لعلك تبلغ مطلوبك فجامع زوجته فحملت فى تلك الساعة ولما كملت اشهرها وضعت ولدا ذكرا كانه البدر السافر فى الليل العاكر فسماه قمر الزمان وفرح به غاية الفرح وزينوا المدينة سبعة ايام ودقت الطبول واقبلت البشائر وحملته المراضع والدايات وتربى فى العز والدلال حتى صار له من العمر خمس عشرة سنة وكان فائقا فى الحسن والجمال والقد والاعتدال وكان ابوه يحبه ولا يقدر ان يفارقه ليلا ولا نهارا فشكى الملك شهرمان لاحد وزرائه فرط محبته لولده وقال ايها الوزير انى خائف على ولدى قمر الزمان من طوارق الدهر والحدثان واريد ان ازوجه فى حياتى فقال له الوزير اعلم ايها الملك ان الزواج من مكارم الاخلاق ولا بأس ان تزوج ولدك فى حياتك فعند ذلك قال الملك شهرمان على بولدى قمر الزمان فحضر واطرق رأسه الى الارض حياء من ابيه فقال له ابوه يا قمر الزمان اعلم انى اريد ان ازوجك وافرح بك فى حياتى فقال له اعلم يا ابى انى مالى فى الزواج ارب وليست نفسى تميل الى النساء لانى وجدت فى مكرهن كتبا بالروايات وبكيدهن وردت الايات وقال الشاعر

فان تسألونى بالنساء فانى * خبير باحوال النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء او قل ماله * فليس له من ودهن نصيب

وقال الاخر

اعص النساء فتلك الطاعة الحسنه * فان يفز فتى يعطى النسا رسنه
يعقبنه عن كمال فى فضائله * ولو سعى طالبا للعلم الف سنه

ولما فرغ من شعره قال يا ابى ان الزواج شئ لا افعله ابدا ولو سقيت كأس الردى فلما سمع السلطان شهرمان من ولده هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلاما واغتم غما شديدا على عدم مطاوعة ولده قمر الزمان له وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والسبعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان لما سمع من ولده هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلاما

واغتم على عدم مطاوعة ولده قمر الزمان له ومن محبته له لم يكرر عليه الكلام فى ذلك ولم يغضبه بل اقبل عليه واكرمه ولاطفه بكل مايجلب المحبة الى القلب كل ذلك وقمر الزمان يزداد كل يوم حسنا وجمالا ونظرفا ودلالا فصير الملك شهرمان على ولده سنة كاملة حتى صار كامل الفصاحة والملاحة وتهتكت فى حسنه الورى ويروى لطفه كل نسيم سرى وصار فتنة للعشاق وروضة للمشتاق عذب الكلام يخجل وجهه بدر التمام صاحب قد واعتدال وظرف ودلال كانه غصن بان اوقضيب خيزران ينوب خده عن شقائق النعمان وقده عن غصن البان ظريف الشمائل كما قال فيه القائل

بدا فقالوا تبارك الله * جل الذى صاغه وسواه
مليك كل الملاح قاطبة * فكلهم اصبحوا رعاياه
فى ريقه شهدة مذوبة * وانعقد الدر فى ثناياه
مكملا بالجمال منفردا * كل الورى فى جماله تاهو
قد كتب الحسن فوق وجنته * اشهد ان لااملح الاهو

فلما تكامل ست سنة اخرى لقمر الزمان بن الملك شهرمان دعاه والده اليه وقال له ياولدى اما تسمع منى فوقع قمر الزمان على الارض بين يدى ابيه هيبة واستحى منه وقال له يا ابى كيف لا اسمع منك وقد امرنى الله بطاعتك وعدم مخالفتك فقال له الملك شهرمان اعلم ياولدى انى اريد ان ازوجك وافرح بك فى حياتى واسلطنك فى مملكتى قبل مماتى فلما سمع قمر الزمان من ابيه هذا الكلام اطرق رأسه ساعة وبعد ذلك رفع رأسه وقال يا ابت هذا شئ لا افعله ابدا ولو سقيت كأس الردى وانا اعلم ان الله فرض على طاعتك فبحق الله عليك لا تكلفنى امر الزواج ولا تظن انى اتزوج طول عمرى لانى قرأت فى كتب المتقدمين والمتأخرين وعرفت جميع ماجرى لهم من المصائب والافات بسبب فتن النساء ومكرهن غير المتناهى ومايحدث عنهن من الدواهى وما احسن قول الشاعر

من كاد العاهرات * فلا يرى من خلاص
ولو بنى الف حصن * مشيدة بالرصاص
فليس يجدى بناها * ولا تفيد الصياصى
ان النسا خائنات * لكل دان وقاص
مخضبات بنان * مظفرات عقاص
ملحلات جفون * مجرعات غصاص

وما احسن قول الاخر

ان النساء وان دعين لعفه * رمم تقلبها النسور الحوم
فى الليل عند لسرها وحديثها * وغد لغيرك ساقها والمعصم
كالخان تسكنه وتصبح راحلا * فيحل بعدك فيه من لا تعلم

فلما سمع الملك شهرمان من ولده قمر الزمان هذا الكلام وفهم الشعر والنظام لم يرد عليه جوابا من قرط محبته له وزاده من انعامه واكرامه وانفض ذلك المجلس من تلك الساعة وبعد انفضاض ذلك المجلس طلب الملك شهرمان وزيره واختلى به وقال له ايها الوزير واد لشهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان طلب وزيره واختلى به وقال له ايها الوزير قل لى ما الذى افعله فى قضية ولدى قمر الزمان فانى استشرتك فى زواجه قبل ان اسلطنه فاشرت على بذلك واشرت على ايضا ان اذكر له امر الزواج فذكرته له فخالفنى فشر على الان بما تراه حسنا فقال له الوزير الذى اشور به عليك الان ايها الملك ان تصبر عليه سنة اخرى فاذا اردت ان تكلمه بعدها فى امر الزواج فلا تكلمه سرا ولكن حدثه فى يوم حكومة ويكون جميع الامراء والوزراء حاضرين وجميع العساكر واقفون فاذا اجتمع هولاء فارسل الى ولدك قمر الزمان فى تلك الساعة واحضره فاذا حضر فخاطبه فى امر الزواج بحضرة جميع الامراء والوزراء والحجاب والنواب وارباب الدولة والعساكر واصحاب الصولة فانه يستحى منهم وما يقدر ان يخالفك بحضرتهم فلما سمع الملك شهرمان من وزيره هذا الكلام فرح فرحا شديدا واستصوب رأى الوزير فى ذلك وخلع عليه خلعة سنية وصبر الملك شهرمان على ولده قمر الزمان سنة وكلما مضى عليه يوم من الايام يزداد حسنا وجمالا وبهجة وكمالا حتى بلغ من العمر قريبا من عشرين عاما والبسه الله حلل الجمال وتوجه بتاج الكمال وصار طرفه اسحر من هاروت وغنج الحاظه اضل من الطاغوت واشرقت خدوده بالاحمرار وازدرت جفونه بالصارم البتار وبياض غرته حكى القمر الزاهر وسواد شعره كانه الليل العاكر وخصره ارق من خيط همیان وردفه انقل من الكثبان تهيج البلابل على اعطافه ويشتكى خصره من ثقل ارداف ومحاسنه حيرت الورى كما قال فيه بعض الشعراء

قسما بوجنته وباسم ثغره * وباسهم قد راشها من سحره
وبلين عطفيه ومرهف لحظه * وبياض غرته واسود شعره
وبحاجب حجب الكرى عن صبه * وسطا عليه بنهيه وبامره
وعقارب قد ارسلت من صدغه * وسعت لقتل العاشقين بجعره
وبورد خديه وآس عذاره * وعقيق مبسمه ولولو ثغره
وبطيب نكهته وسلسال جرى * فى فيه يزرى بالرحيق وعصره
وبردفه المرتج فى حركاته * وسكونه وبرقة فى خصره
وبجود راحته وصدق لسانه * وبطيب عنصره وعالى قدره
ما المسك الا من فضالات خاله * والطيب يروى ريحه عن نشره
وكذلك الشمس المنيرة دونه * وارى الهلال قلامة من ظفره

ثم ان الملك شهرمان سمع كلام الوزير وصبر سنة اخرى حتى حصل يوم موسم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان سمع كلام الوزير وصبر سنة اخرى حتى حصل يوم موسم تكامل فيه مجلس الملك بالامراء والوزراء والحجاب وارباب الدولة والعساكر واصحاب الصولة ثم ان الملك ارسل خلف ولده قمر الزمان فلما حضر قبل الارض بين يديه ثلاث مرات ووقف مكتفا يديه وراه

ظهره قدام ابيه فقال له ابوه اعلم يا ولدى انى ما احضرتك هذه المرة قدام هذا المجلس وجميع العساكر حاضرون بين ايدينا الا لاجل ان امرك بامر فلا تخالفنى فيه وذلك ان تتزوج لانى اشتهى ان ازوجك بنت ملك من الملوك وافرح بك قبل موتى فلما سمع قمر الزمان من ابيه هذا الكلام اطرق برأسه الى الارض ساعة ثم رفع رأسه الى ابيه ولحقه فى تلك الساعة جنون الصبا وجهل الشبيبة وقال له اما انا فلا اتزوج ابدا ولو سقيت كؤس الردى واما انت فرجل كبير السن صغير العقل اليس انك سألتنى قبل هذا اليوم مرتين غير هذه المرة فى شأن الزواج وانا لا اجيبك الى ذلك ثم ان قمر الزمان فك كاف يديه وشمر عن ذراعيه قدام ابيه وهو فى غيظه فخجل ابوه واستحى حيث حصل ذلك قدام ارباب دولته والعساكر الحاضرين فى الموسم ثم ان الملك شهرمان لحقته شهامة الملك فصرخ على ولده فارعبه وصرخ على المماليك وامرهم بمسكه فمسكوه وامرهم ان يكتفوه فكتفوه وقدموه بين يدى الملك وهو مطرق رأسه من الخوف والوجل وتكلل وجهه وجبينه بالعرق واشتد به الحياء والخجل فعند ذلك شتمه ابوه وسبه وقال له ويلك يا ولد الزنا وتربية الخنا كيف يكون هذا جوابك لى بين عساكرى وجيوشى ولكن انت الى الان ما اديتك احد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان قال لولده قمر الزمان ولكن انت الان ما اديتك احدا اما تعلم ان هذا الامر الذى صدر منك لو صدر من عامى من العوام لكان ذلك قبيحا منه ثم ان الملك امر المماليك ان يحلوا كتافه ويحبسوه فى برج من ابراج القلعة فعند ذلك دخل الفراشون القاعة التى فى البرج فكنسوها ومسحوا بلاطها ونصبوا فيها سريرا لقمر الزمان وفرشوا له على السرير طراحة ونطعا ووضعوا له مخدة وفانوسا كبيرا وشمعة لان ذلك المكان كان مظلما فى النهار ثم ان المماليك ادخلوا قمر الزمان فى تلك القاعة وجعلوا على باب القاعة خادما فعند ذلك طلع قمر الزمان فوق ذلك السرير وهو منكسر الخاطر حزين الفؤاد وقد عاتب نفسه وندم على ما جرى منه فى حق ابيه حيث لا ينفعه الندم وقال خيب الله الزواج والبنات والنساء الخائنات فيا ليتنى سمعت من والدى وتزوجت فلو فعلت ذلك كان احسن لى من هذا السجن هذا ما كان من امر قمر الزمان واما ما كان من امر ابيه فانه اقام على كرسى مملكته بقية اليوم الى وقت الغروب ثم خلا بالوزير وقال له اعلم ايها الوزير انك كنت السبب فى هذا الذى جرى بينى وبين ولدى كله حيث اشرت على بما اشرت به الذى تشوريه على الان فقال له الوزير ايها الملك دع ولدك فى السجن مدة خمسة عشر يوما ثم احضره بين يديك وامره بالزواج فانه لا يخالفك ابدا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير قال للملك شهرمان دع ولدك فى السجن مدة خمسة عشر يوما ثم احضره بين يديك وامره بالزواج فانه لا يخالفك ابدا فقبل الملك رأى الوزير فى ذلك ونام تلك الليلة وهو مشتغل القلب على ولده لانه كان يحبه محبة عظيمة حيث لم يكن له ولد سواه وكان الملك شهرمان كل ليلة لم يجئه نوم حتى يجعل ذراعه تحت رقبة قمر الزمان وينام فبات الملك تلك الليلة وهو

متشوش الخاطر من اجله وصار يتقلب من جنب الى جنب كانه نائم على جمر الغضى ولحقه الوسواس ولم يأخذه نوم فى تلك الليلة بطولها وزرقت عيناه بالدموع وانشد قول الشاعر

لقد طال ليلى والوشاة هجوع * وناهيك قلبا بالفراق مروع
اقول وليلى زاد بالهم طوله * امالك ياضوء الصباح رجوع

وقول الاخر

لما رأيت النجم ساء طرفه * والقطب قد القى عليه سبانا
وبنات نعش فى الحداد سوافرا * ايقنت ان صباحهم قد مانا

هذا ما كان من امر الملك شهرمان واما ما كان من امر قمر الزمان فانه لما قدم عليه الليل قدم له الخادم الفانوس واوقد له شمعة وجعلها فى شمعدان وقدم له شيأ من المأكل فاكل قليلا وصار يعاتب نفسه حيث اساء الادب فى حق ابيه الملك شهرمان وقال لنفسه الم تعلم ان ابن آدم رهين لسانه وان لسان الادمى هو الذى يوقعه فى المهالك ولم يزل يعاتب نفسه ويلومها حتى غلبت عليه الدموع واحترق قلبه المصدوع وندم على ما خرج من لسانه فى حق الملك غاية الندم وانشد هذين البيتين

يموت الفتى من عثرة من لسانه * وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته من فيه تقضى بحتفه * وعثرته بالرجل تبرى على مهل

ثم ان قمر الزمان لما فرغ من الاكل طلب ان يغسل يديه فغسل يديه من الطعام وتوضأ وصلى المغرب والعشاء وجلس وادر لشهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان بن الملك شهرمان صلى المغرب والعشاء وجلس على السرير يقرأ القرآن فقرأ البقرة وال عمران ويسين والرحمن وتبارك الملك والمعوذتين وختم بالدعاء واستعاذ بالله ونام على السرير فوق طراحة من الاطلس المعدنى لها وجهان وهى محشوة بريش النعام وحين اراد النوم تجرد من ثيابه وخلع لباسه ونام فى قميص مشجع رفيع وكان على رأسه مقنع مروزى ازرق فصار قمر الزمان فى تلك الليلة كانه البدر فى ليلة اربعة عشر ثم تغطى بملاءة من حرير ونام والفانوس موقود تحت رجليه والشمعة موقودة فوق رأسه ولم يزل نائما الى ثلث الليل الاول ولم يعلم ما خبى له فى الغيب وما قدره عليه علام الغيوب واتفق ان القاعة والبرج كانا عتيقين مهجورين مدة سنين كثيرة وكان فى تلك القاعة بئر رومانى معمور بجنية ساكنة فيه وهى من ذرية ابليس اللعين واسم تلك الجنية ميمونة ابنة الدمرياط احد ملوك الجان المشهورين وادر لشهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان اسم تلك الجنية ميمونة ابنة الدمرياط احد ملوك الجان المشهورين فلما استقر قمر الزمان نائما الى ثلث الليل الاول طلعت تلك العفريتة من البئر الرومانى وقصدت السماء لاستراق السمع فلما صارت فى اعلى البئر رأت نورا مضيأ فى البرج على خلاف العادة وكانت تلك العفريتة مقيمة فى ذلك المكان مدة مديدة من السنين فقالت فى نفسها انا ما عهدت هنا شيأ من ذلك وتعجبت

من هذا الامر غاية العجب وخطر ببالها انه لابد لذلك من سبب ثم قصدت ناحية ذلك النور فوجدته خارجا من القاعة فدخلتها ووجدت الخادم نائما على بابها ولما دخلت القاعة وجدت سريرا منصوبا وعليه هيئة انسان نائم وشمعة مضيئة عند رأسه وفانوس مضيء عند رجليه فتعجبت العفريتة ميمونة من ذلك النور وتقدمت اليه قليلا قليلا وارخت اجفتها ووقفت على السرير وكشفت الملاءة عن وجهه ونظرت اليه واستغرت باهتة في حسنه وجماله ساعة زمانية وقد وجدت ضوء وجهه غالبا على نور الشمعة وصار وجهه يتلألأ نورا وقد غازلت عيناه واسودت مقلتاه واحمر خداه وفترجفناه وتقوس حاجباه وفاح مسكه العاطر كما قال فيه الشاعر

قبلته فاسودت المقل التي * هي فتنتي واحمرت الوجنات

يا قلب ان زعم العواذل انه * في الحسن يوجد مثله قل هات

فلما رأته العفريتة ميمونة بنت الدمرياط سبحت الله وقالت تبارك الله احسن الخالقين وكانت تلك العفريتة من الجن المؤمنين فاستغرت ساعة وهي تنظر الى وجه قمر الزمان وتوحد الله وتغبطه على حسنه وجماله وقالت في نفسها والله اني لا اضره ولا اترك احدا يؤذيه ومن كل سوء اذيه فان هذا الوجه المليح لا يستحق الا النظر اليه والتسبيح ولكن كيف هان على اهله حتى نسوه في هذا المكان الخرب فلو طلع له احد من مردة الجن في هذه الساعة لغلبه ثم ان تلك العفريتة مالت عليه وقبلته بين عينيه وبعد ذلك ارخت الملاءة على وجهه وغطته بها وفتحت اجفتها وطارت ناحية السماء وطلعت من دور تلك القاعة وصعدت ولم تزل صاعدة في الجو الى ان قربت من سماء الدنيا واذا بها سمعت خفق اجنحة طائرة في الهواء فقصدت ناحية تلك الاجنحة فلما قربت من صاحبها وجدته عفريتا يقال له دهنش فانقضت عليه انقضاض الباشق فلما احس بها دهنش وعرف انها ميمونة بنت ملك الجن خاف منها وارتعدت فرائصه واستجار بها وقال لها اقسم عليك بالاسم الاعظم والطلسم الاكرم المنقوش على خاتم سليمان ان ترفقي بي ولا تؤذيني فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الكلام حن قلبها عليه وقالت له انك اقسمت علي بقسم عظيم ولكن لا اعتقك حتى تخبرني من اين مجيئك في هذه الساعة فقال لها ايها السيدة اعلمي ان مجيئي من آخر بلاد الصين ومن داخل الجزائر واخبرك باعجوبة رأيتها في هذه الليلة فان وجدت كلامي صحيحا فاتركيني اروح الى حال سبيلي واكتبي لي بخطك في هذه الساعة اني عتيقك حتى لا يعارضني احد من ارهاط الجن الطيارة العلوية والسفلية والغواصة قالت له ميمونة فما الذي رأيته في هذه الليلة يا دهنش فاخبرني ولا تكذب علي وتريد بكذبك ان تفلت من يدي وانا اقسم بحق النقش المكتوب على فص خاتم سليمان بن داود عليهما السلام ان لم يكن كلامك صحيحا لتفت ريشك بيدي ومزقت جلدك وكسرت عظمك فقال لها العفريت دهنش ابن شمهورش الطيار ان لم يكن كلامي صحيحا فافعلي بي ما شئت يا سيدتي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان دهنش قال اني خرجت في هذه الليلة من الجزائر الداخلة في بلاد الصين وهي بلاد الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور فرأيت لذلك الملك بنتا لم يخلق الله في زمانها احسن منها ولا اعرف كيف اصفها لك وبعجز لساني عن وصفها كما ينبغي ولكن اذكر لك شيأ من صفاتها

على سبيل التقريب اما شعرها فكليالى الشهبرواة نقصان وما وجههافكايام الوصال وقد احسن في وصفها من قال

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها * في ليلة فارت ليالى اربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فارتنى القمرين في وقت معا

ولها انف كحد السيف المصقول ولها وجنتان كرحيق الارجوان ولها خد كشقائق النعمان وشفتاها كالمرجان والعقيق وريقها اشهى من الرحيق يطفئ مذاقه عذاب الحريق واسانها يحركه عقل وافر وجواب حاضر ولها صدر فتنة لمن يراه فسبحان من خلقه وسواه ومتصل بذلك الصدر عضدان مدملجان كما قال فيهما الشاعر الولهان

وزندان لولا امسكاها ساور * لسال من الاكمام سيل الجداول

ولها نهدان كانهما من العاج حقان يستمد من اشراقهما القمران ولها بطن باعكان مطوية كطى القباطى المصرية وينتهى ذلك الى خصر مختصر من وهم الخيال فوق ردف كالكثيب من رمال يقعدها اذا قامت ويوقظها اذا نامت كما قال فيه بعض واصفيه

لها كفل تعلق في ضعيف * وذاك الردف لى ولها ظلوم
فيوقفنى اذا فكرت فيه * ويقعدها اذا همت تقوم

يحمل ذلك الكفل فخذان كانهما من الدر عمودان وعلى حمله ما اقدرها الا بركه الشيخ الذى بينهما واما غير ذلك من الاوصاف فلا يحصيه نعت ولا وصاف ويحمل ذلك كله قدمان لطيفان صنعة المهيمن الديان فعجبت منهما كيف يحملان ما فوقهما واما وراء ذلك فانى تركته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العفريت دهنش ابن شمهورش قال للعفريتة ميمونة واما وراء ذلك فانى تركته لانه تقصر عنه العبارة ولا تفى به اشارة وابو تلك الصبية ملك جبار فارس كرار يخوض بحار الاقطار في الليل والنهار لا يهاب الموت ولا يخاف الفوت لانه جائر ظلوم وقاهر غشوم وهو صاحب جيوش وعساكر وافاليم وجزائر ومدن ودور واسمه الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور وكان يحب ابنته هذه التى وصفتها لك حبا شديدا ومن محبته لها جلب اموال سائر الملوك وبنى لها بذلك سبعة قصور كل قصر من جنس مخصوص القصر الاول من البلور والقصر الثانى من الرخام والقصر الثالث من الحديد الصينى والقصر الرابع من الجزع والفصوص والقصر الخامس من الفضة والقصر السادس من الذهب والقصر السابع من الجواهر وملأ السبعة قصور من انواع الفرش الفاخر واوانى الذهب والفضة وجميع الالات من كل ما تحتاج اليه الملوك وامر ابنته ان تسكن في كل قصر مدة من السنة ثم تنتقل منه الى قصر غيره واسمها الملكة بدور فلما اشتهر حسنها وشاع في البلاد ذكرها ارسل سائر الملوك الى ابيها يخطبونها منه فرادودها في امر الزواج فكرهت ذلك وقالت لابيها يا والدى ليس لى غرض في الزواج ابدا فانى سيدة وملكة احكم على الناس ولا اريد رجلا يحكم على وكلما امتنعت من الزواج زادت رغبة الخطاب فيها ثم ان جميع ملوك جزائر الصين الجوانية ارسلوا الى ابيها

الهدايا والتحف وكاتبوه فى امر زواجها فكر رعليها ابوها المشاورة فى امر الزواج مرارا عديدة فخالفته وغضبت منه وقالت له يا ابى ان ذكرت لى الزواج مرة اخرى اخذت السيف ووضعت قائمه فى الارض وذبابته فى بطنى واتكئ عليه حتى يطلع من ظهرى واقتل نفسى فلما سمع ابوها منها هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلاما واحترق قلبه عليها غاية الاحتراق وخشى ان تقتل نفسها وتحير فى امرها وفى امر الملوك الذين خطبوها منه فقال لها ان كان لابد من عدم زواجك فامتنعى من الدخول والخروج ثم ان اباها ادخلها البيت وجهها فيه واستحفظ عليها عشر عجائز قهرمانات ومنعها من ان تظهر الى السبع قصور واظهر انه غضبان عليها وارسل كاتب الملوك جميعهم واعلمهم انها اصيبت بجنون فى عقلها ولها الان سنة وهى محجوبة ثم قال العفريت دهنش للعفريتة وانا يا سيدتى اتوجه اليها فى كل ليلة فانظرها واتملى بوجهها واقبلها وهى نائمة بين عينيها ومن محبتى فيها لا اضرها ولا اركبها لان جمالها بارع كل من رأها يغار عليها من نفسه واقسمت عليك يا سيدتى ان ترجعى معى وتنظرى حسنها وجمالها وقدها واعتدالها وبعد هذا ان شئت ان تعاقبينى او تأسرينى فافعلى فان الامر امرك والنهى نهيك ثم ان العفريت دهنشا طرق رأسه الى الارض وخفض اجنحته الى الارض فقالت له العفريتة ميمونة بعد ان ضحكت من كلامه وبصقت فى وجهه اى شئ هذه البنت التى تقول عنها فما هى الا قوارة بول فكيف لو رأيت معشوقتى والله انى حسبت ان معك امرا عجيبا او خبرا غريبا يا ملعون انى رأيت انسانا فى هذه الليلة لو رأيته ولو فى المنام لانفلجت عليه وسالت ريالتك فقال لها دهنش وما حكاية هذا الغلام فقالت له اعلم يا دهنش ان هذا الغلام قد جرى له مثل ما جرى لمعشوقتك التى ذكرتها وامره ابوه بالزواج مرارا عديدة فابى فلما خالف اباه غضب عليه وسجنه فى البرج الذى انا ساكنة فيه فطلعت فى هذه الليلة فرأيته فقال لها دهنش يا سيدتى ارينى هذا الغلام لانظر هل هو احسن من معشوقتى الملكة بدور ام لا فانى ما اظن ان يوجد فى هذا الزمان مثل معشوقتى فقالت له العفريتة تكذب يا ملعون يا اتحس المردة واحقر الشياطين فانا اتحقق انه لا يوجد لمعشوقتى مثيل فى هذه الديار ودار لك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العفريتة ميمونة قالت للعفريت دهنش انا اتحقق انه لا يوجد لمعشوقتى مثيل فى هذه الديار فهل انت مجنون حتى تقيس معشوقتك بمعشوقتى فقال لها بالله عليك يا سيدتى ان تذهبى معى وتنظرى معشوقتى وارجع معك وانظر معشوقتك فقالت له ميمونة لابد من ذلك يا ملعون لانك شيطان مكار ولكن لا اجىء معك ولا تجيء معى الا برهن فان طلعت معشوقتك التى انت تحبها وتتغالى فيها احسن من معشوقتى الذى انا احبه واتغالى فيه فان ذلك الرهن يكون لك على وان طلع معشوقتى احسن فان ذلك الرهن يكون لى عليك فقال لها العفريت دهنش يا سيدتى قبلت منك هذا الشرط ورضيت به تعالى معى الى الجزائر فقالت له ميمونة فان موضع معشوقتى اقرب من موضع معشوقتك وها هو تحتنا فانزل معى لننظر معشوقتى ونروح بعد ذلك الى معشوقتك فقال لها دهنش سمعا وطاعة ثم انحدرا الى اسفل ونزلا فى دور القاعة التى فى البرج واوقفت ميمونة دهنشا بجنب السرير ومدت يدها ورفعت الملاءة عن وجه قمر الزمان بن الملك شهرمان فسطع وجهه واشرق ولمع وزهى فنظرته ميمونة

والتفتت من وقتها الى دهنش وقالت له انظر يا ملعون ولا تكن اقبح مجنون فنحن بنات وبه مفتونات فعند ذلك التفت اليه دهنش واستمر يتأمل فيه ساعة ثم حرك رأسه وقال لميمونة والله يا سيدتي انك معذورة ولكن بقي شيء آخر وهو ان حال الانثى غير حال الذكر وحق الله ان معشوقتك هذا اشبه الناس بمعشوقتي في الحسن والجمال والبهجة والكمال وهما الاثنان كانهما قد افرغا في قالب الحسن سواء فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الكلام صار الضياء في وجهها ظلاما ولطمته بجناحها على رأسه لطمة قوية كادت ان تقضي عليه من شدتها وقالت له قسما بنور وجه جلاله ان تروح يا ملعون في هذه الساعة وتحمل معشوقتك التي تحبها وتجيء بها سريعا الى هذا المكان حتى نجمع بين الاثنين ونتفرج عليهما وهما نائمان بالقرب من بعضهما فيظهر لنا ايهما املح وان لم تفعل ما امرتك به في هذه الساعة يا ملعون احرقتك بناري ورميتك بشرر اشراري ومزقتك قطعا في البراري وجعلتك عبرة للمقيم والساري فقال لها دهنش ياسيدتي لك علي ذلك وانا اعرف ان محبوبتي املح واحلى ثم ان العفريت دهنش طار من وقته وساعته وطارت ميمونة معه من اجل المحافظة عليه فغابا ساعة زمانية ثم اقبلا الاثنان بعد ذلك وهما حاملان تلك الصبية وعليها قميص بندقي رفيع بطرازين من الذهب وهو من مزركش بدائع التطريزات ومكتوب على رأس كميه هذه الابيات

ثلاثة منعتها عن زيارتنا * خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلي وما * حوت معاطفها من عنبر عبق
هب الجبين بفضل الكم تستره * والحلي تنزعه ما حيلة العرق

ثم انهما انزلا تلك الصبية ومددوها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العفريت والعفريتة نزلا تلك الصبية ومددوها بجانب الغلام وكشفا عن وجوه الاثنين فكانا اشبه الناس ببعضهما فكانهما توءمان او اخوان منفردان وهما فتنة للمتقين كما قال فيهما الشاعر المبين

يا قلب لا تعشق مليحا واحدا * تحتار فيه تدللا وتذللا
واهو الملاح جميعهم تلقاهم * ان صد هذا كان هذا مقبلا

وصار دهنش وميمونة ينظران اليهما فقال دهنش ان معشوقتي احسن قالت له ميمونة بل معشوقي احسن ويلك يا دهنش هل انت اعمى اما تنظر الى حسنه وجماله وقده واعتداله فاسمع ما اقوله في محبوبي وان كنت محبا صادقا لمن تعشقها فقل فيها مثل ما اقول في محبوبي ثم ان ميمونة قبلت قرار الزمان قبلا عديدة وانشدت هذه القصيدة

مالي وللاحى عليك يعنف * كيف السلو وانت غصن اهيف
لك مقلة كحلاء تفث سحرها * ما للهوى العذري عنها مصرف
تركية الالحاظ تفعل بالحشى * ما ليس يفعله الصقيل المرهف
حملتني ثقل الغرام وانني * بالعجز عن حمل القميص لاضعف
وجدي عليك كما علمت ولوعتي * طبع وعشقي في سواك تكلف

لو ان قلبي مثل قلبك لم ابت * والجسم مني مثل خصرك مخطف
ويلاه من قمر بكل ملاحة * بين الانام وكل حسن يوصف
قال العواذل في الهوى من ذا الذي * انت الكئيب به فقلت لهم صفوا
يا قلبه القاسي تعلم عطفة * من قده فعسى يرق ويعطف
لك يا اميري في الملاحة ناظر * يسطو على وحاجب لا ينصف
كذب الذي ظن الملاحة كلها * في يوسف كم في جمالك يوسف
الجن تخشاني اذ قابلتها * وانا اذا قابلتك قلبي يرجف
اتكلف الاغراض عنك مهابة * واليك اصبو جهد ما اتكلف
والشعر اسود والجبين مشعشع * والطرف احور والقوام مهفهف

فلما سمع دهنش شعر ميمونة في معشوقها طرب غاية الطرب وتعجب كل العجب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان دهنش لما سمع شعر ميمونة في معشوقها طرب غاية الطرب وقال انك انشدتني فيمن تعشقينه هذا الشعر الرقيق مع ان بالك مشغول به ولكن انا ابذل الجهد في انشاد الشعر على قدر فكرتي ثم ان دهنش قام الى معشوقته بدور وقبلها بين عينيها ونظر الى العفريتة ميمونة والى معشوقته بدور وجعل ينشد هذه القصيدة وهو بلا شعور

اقوت معاهدهم بشط الوادي * فبقيت مقتولا وشط الوادي
وسكرت من خمر الغرام ورقصت * عين الدموع على غناء الحادي
اسعى لاسعد بالوصال وحق لي * ان السعادة في بدور سعاد
لم ادر من اي الثلاثة اشتكي * وقد عددت فاصغ للاعداد
من لحظها السياف ام من قدها الرماح ام من صدغها الزراد
قالت وقد فتشت عنها كل من * لاقيته من حاضر وبادي
انا في فؤادك فارم طرفك نحوه * ترني فقلت لها واين فؤادي

فلما فرغ من شعره قالت العفريتة احسنت يا دهنش ولكن اي هذين الاثنين احسن فقال لها محبوبتي بدور احسن من محبوبك فقالت له كذبت يا ملعون بل معشوقتي احسن من معشوقتك ثم انهما لم يزالا يعارضان بعضهما في الكلام حتى صرخت ميمونة على دهنش واردات ان تبطش به فذل لها ورقق كلامه وقال لها لا يصعب عليك الحق فابطلي قولك وقولي فان كلامنا يشهد لمعشوقه انه احسن فنعرض عن كلام كل واحد منا ونطلب من يفصل الحكم بيننا بالانصاف ونعتمد على قوله فقالت له ميمونة وهو كذلك ثم ضربت الارض برجلها فطلع لها من الارض عفريت اعور اجرب وعيناه مشقوقتان في وجهه بالطول وفي رأسه سبعة قرون وله اربع ذوائب من الشعر مسترسلة الى الارض ويداه مثل يدي القطرب وله اظفار كاظفار الاسد ورجلان كرجلي الفيل وحوافر كحوافر الحمار فلما طلع ذلك العفريت ورأى ميمونة قبل الارض بين يديها وتكتف وقال لها ما حاجتك يا سيدتي يا بنت الملك فقالت له يا قشقش اني اريد ان تحكم بيني وبين هذا

الملعون دهنش ثم انها اخبرته بالقصة من اولها الى آخرها فعندها نظر العفريت قشقش الى وجه ذلك الصبي ووجه تلك الصبية فرأهما متعانقين وهما نائمان ومعصم كل منهما تحت عنق الاخر وهما في الحسن والجمال متشابهان وفي الملاحة متساويان فنظر وتعجب المارد قشقش من حسنهما وجمالهما والتفت الى ميمونة ودهنش بعد ان اطال الى الصبي والصبية الالتفات وانشد هذه الابيات

زر من تحب ودع مقالة حاسد * ليس الحسود على الهوى بمساعد
لم يخلق الرحمن احسن منظرا * من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضى * متوسدين بمعصم وبساعد
واذا صفا لك من زمانك واحد * فهو المراد وعش بذاك الواحد
واذا تألفت القلوب على الهوى * فالناس تضرب في حديد بارد
يا من يلوم على الهوى اهل الهوى * هل يستطاع صلاح قلب فاسد
يارب يارحمن نحسن ختمنا * قبل الممات ولو بيوم واحد

ثم ان العفريت قشقش التفت الى ميمونة والى دهنش وقال لهما والله ما فيهما احد احسن من الاخر ولا دون الاخر بل هما اشبه الناس بعضهما في الحسن والجمال والبهجة والكمال ولا يفرق بينهما بالتذكير والتأنيث وعندي حكم آخر وهو ان نثبه كل واحد منهما من غير علم الاخر وكل من التهب على رفيقه فهو دونه في الحسن والجمال فقالت ميمونة نعم هذا الرأي الذي قلته فانا رضيته وقال دهنش وانا ايضا رضيته فعند ذلك انقلب دهنش في صورة برغوثة ولدغ قمر الزمان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان دهنشا انقلب في صورة برغوث ولدغ قمر الزمان في رقبته في موضع ناءم فحك قمر الزمان يده على رقبته وهرش موضع القرصة من شدة ما احرقته فتحرك بجنبه فوجد شيأ نائما بجنبه ونفسه ازكى من المسك وجسمه ليّن من الزبد فتعجب قمر الزمان من ذلك غاية العجب ثم قام من وقته قاعدا ونظر الى ذلك الشخص الراقد بجانبه فوجدها صبية كالدرة السنية او القبة المبنية بقامة الغية خماسية القد بارزة النهد موردة الخد كما قال فيها بعض واصفها

بدت قمرا ومالت غصن بان * وفاحت عنبرا ورنت غزالا
كان الحزن مشغوف بقلبي * فساعة هجرها يجد الوصالا

فلما رأى قمر الزمان السيدة بدور بنت الملك الغيور وشاهد حسنها وجمالها وهي نائمة في طوله وجد فوق بدنها قميصا بندقيا وهي بلا سروال وعليها كوفية من ذهب مرصعة بالجواهر وفي عنقها قلادة من الفصوص المثمنة لا يقدر عليها حد من الملوك فصار مدهوش العقل من ذلك ثم انه حين شاهد حسنها تحركت فيه الحرارة الغريزية والقى الله عليه شهوة الجماع وقال في نفسه ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ثم قلبها بيده ثاني مرة وفتح طوق قميصها فبان له بطنها ونظر اليه والى نهودها فازداد فيها محبة ورغبة فصار ينبهها وهي لا تنتبه لان دهنشا اثقل نومها فصار قمر الزمان يهزها ويحركها ويقول يا حبيبتي استيقظي وانظري من اتاها قمر الزمان فلم تستيقظ ولم تحرك رأسها فعند ذلك

تفكر فى امرها ساعة زمانية وقال فى نفسه ان صدق حذرى فهذه الصبية هى التى يريد والدى زواجى بها ومضى لى ثلاث سنين وانا امتنع من ذلك فان شاء الله اذا جاء الصبح اقول لابى زوجنى بها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان قال فى نفسه ان شاء الله اذا جاء الصبح اقول لابى زوجنى بها ولا اترك نصف النهار يفوت حتى افوز بوصلها واتملى بحسنها وجمالها ثم ان قمر الزمان مال الى بدور ليقبلها فارتعدت ميمونة الجنية وخجلت واما العفريت دهنش فانه طار من الفرح ثم ان قمر الزمان لما اراد ان يقبلها فى فمها استحى من الله والتفت وجهه وقال فى نفسه انا اصبر لئلا يكون والدى لما اغضب على وحبسنى فى هذا الموضع جاء لى بهذه العروسة وامرها بالنيام جنبى ليمتحننى بها واوصاها الى اذا نبهتها لا تستيقظ وقال لها اى شئ فعل بك قمر الزمان فاعلمينى به وربما يكون والدى وانما مستخفيا فى مكان بحيث يطلع على وانا لا انظره فينظر جميع ما افعله بهذه الصبية واذا اصبح يوبخنى ويقول لى كيف تقول مالى ارب فى الزواج وانت قبلت تلك الصبية وعانقتها فانا اكف نفسى عنها لئلا يكشف امرى مع والدى فانا لا امس هذه الصبية من تلك الساعة ولا التفت لها غير انى اخذت منها شيأ يكون امارة عندى وتذكرة لها حتى يبقى بينى وبينها اشارة ثم ان قمر الزمان رفع كف الصبية واخذ خاتمها من خنصرها وهو يساوى جملة من المال لان فصه من نفيس الجواهر ومنقوش فى دائرته هذه الابيات

لا تحسبوا انى نسيت عهودكم * مهما اطلتم فى الزمان صدودكم
ياسادتى جودوا على وأعطفوا * فعسى اقبل ثغركم وخدودكم
والله انى لست ابرح عنكم * ولو اعتديتم فى الغرام حدودكم

ثم ان قمر الزمان نزع ذلك الخاتم من خنصر الملكة بدور ولبسه فى خنصره وادار ظهره اليها ونام فقرحت ميمونة الجنية لما رأت ذلك وقالت لدهنش وتشقش هل رأيتما محبوبى قمر الزمان وما فعله من العفة عن هذه الصبية فهذا من كمال محاسنه فانظرا كيف رأى هذه الصبية وحسنها وجمالها ولم يعانقها ولم يمس بيده عليها بل ادار ظهره اليها ونام فقالا لها قد رأينا ما صنع من الكمال فعند ذلك انقلبت ميمونة وجعلت نفسها برغوثا ودخلت ثياب بدور محبوبة دهنش ومشت على ساقها وطلعت على فخذها ومشت تحت سرتها مقدار اربعة قراريط ولدغتها ففتحت عينيها واستوت قاعدة فرأت شابا نائما بجانبها وهو يخطف فى نومه وله خدود كشقائق النعمان ولواحظ تخجل الحور الحسان وفم كانه خاتم سليمان وريقه حلو المذاق وانفع من الترياق كما قال فيه بعض واصفيه

سلى خاطرى عن زينب ونوارى * بوردة خد فوق آس عذار
واصبحت بالنظبى المقرطق مغرما * ولا رأى لى فى عشق ذات سوار
انيسى فى النادى وفى خلوتى معا * خلاف انيسى فى قرارة دارى
فيا لائمى فى هجر هند وزينب * وقد لاح عذرى كالصباح لسارى
ارضى بان امسى اسير اسيرة * محصنة اومن وراء جدار

ثم ان الملكة بدور لما رأت قمر الزمان اخذها الهيام والوجد والغرام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت

عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة بدور لما رأت قمر الزمان اخذها الهيام والوجد والغرام وقالت في نفسها وافضيحتاه ان هذا شاب غريب لا اعرفه ما باله راقدا بجانبي في فراش واحد ثم نظرت اليه بعيونها وحققت النظر فيه وفي ظرفه ودلاله وحسنه وجماله ثم قالت وحق الله انه شاب مليح مثل القمر الا ان كبدي تكاد ان تتمزق وجدا عليه وشغفا بحسنه وجماله فيا فضيحتي منه والله لو علمت ان هذا الشاب هو الذي خطبني من ابي ما رددته بل كنت اتزوجه واتملى بجماله ثم ان الملكة بدور تطلعت من وقتها وساعتها في وجه قمر الزمان وقالت له يا سيدي وحبيب قلبي ونور عيني انتبه من منامك وتمتع بحسني وجمالي ثم حركته بيدها فارخت عليه مجونة الجنية النوم وثقلت على رأسه بجناحها فلم يستيقظ قمر الزمان فهزته الملكة بدور بيديها وقالت له بحياتي عليك ان تطيعني فانتبه من منامك وانظر النرجس والخضرة وتمتع بيطني والسرة وهارشني وناغشني من هذا الوقت الى بكرة قم يا سيدي واتكي على المخدة ولا تنم فلم يجبها قمر الزمان بجواب ولم يرد عليها خطابا بل خط في النوم فقالت الملكة بدور مالك نائما بحسنك وجمالك وظرفك ودلالك فكما انت مليح انا الاخرى مليحة فما هذا الذي تفعله هل هم عملوك الصد عني اوابى الشيخ الخصي منعك من ان تكلمني في هذه الليلة ففتح قمر الزمان عينيه فازدادت فيه محبة والق الله محبته في قلبها ونظرته نظرة اعقبتها الف حسرة فخفق فؤادها وتقلقلت احشاؤها واضطربت جوارحها وقالت لقمر الزمان يا سيدي كلمني يا حبيبي حدثني يا معشوقي رد علي الجواب وقل لي ما اسمك فانك سلبت عقلي كل ذلك وقمر الزمان مستغرق في النوم ولم يرد عليها بكلمة فناوحت الملكة بدور وقالت مالك معجبا بنفسك ثم هزته وقلبت يده فرأت خاتمها في اصبعه الخنصر فشهقت شهقة واتبعتها بغنجة وقالت اوه اوه والله انت حبيبي وتحبني ولكن كانك تعرض عني دلالا مع انك جئتني وانا نائمة وما اعرف كيف عملت انت معي ولكن ما انا قالعة خاتمي من خنصرك ثم فتحت جيب قميصه ومالت عليه وقبلت رقبته وفتشت على شيء تأخذه منه فلم تجد معه شيأ ورأته بغير سروال فمدت يدها من تحت ذيل قميصه وجست سيفانه فزلفت يدها من نعومة جسمه وسقطت على ايره فانصدع قلبها ارتجف فؤادها لان شهوة النساء اقوى من شهوة الرجال وخجلت ثم نزعت خاتمه من اصبعه ووضعته في اصبعها عوضا عن خاتمها وقبلته في ثغره وقبلت كفيه ولم تترك فيه موضعا الا قبلته وبعد ذلك اخذته في حضنها وعانقته ووضعت احدى يديها تحت رقبته والاخرى من تحت ابطه ونامت بجانبه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة بدور نامت بجانب قمر الزمان وجرى منها ما جرى فلما رأت ذلك مجونة فرحت غاية الفرح وقالت لدهنش هل رأيت يا ملعون كيف فعلت معشوقتك من الوله بمعشوقي وكيف فعل معشوقي من التيه والدلال فلا شك ان معشوقي احسن من معشوقتك ولكن عفوت عنك ثم كتبت له ورقة بالعتق والتفتت الى قمشقش وقالت له ادخل معه واحمل معشوقته وساعده على وصولها الى مكانها الان الليل مضى وفاتني مطلوبي فتقدم دهنش وقمشقش الى الملكة بدور ودخلا

تحتها وحلاها وطاربها واوصلاها الى مكانها واعاداها الى فراشها واختلت ميمونة بالنظر الى قمر الزمان وهو نائم حتى لم يبق من الليل الا القليل ثم توجهت الى حال سبيلها فلما انشق الفجر انتبه قمر الزمان من منامه والتفت يمينا وشمالا فلم يجد الصبية عنده فقال فى نفسه ما هذا الامر كان ابى يرغبنى فى الزواج بالصبية التى كانت عندى ثم اخذها سر الاجل ان تزداد رغبتى فى الزواج ثم صرخ على الخادم الذى هو نائم على الباب وقال له ويلك يا ملعون قم فقام الخادم وهو طائش العقل من النوم ثم قدم له الطشت والابريق فقام قمر الزمان ودخل المستراح وقضى حاجته وخرج فتوضأ وصلى الصبح وجلس يسبح الله ثم نظر الى الخادم فوجده واقفا فى خدمته بين يديه فقال له ويلك يا صواب من جاء هنا واخذ الصبية من جنبى وانا نائم فقال له الخادم يا سيدى اى شئ الصبية فقال قمر الزمان الصبية التى كانت نائمة عندى فى هذه الليلة فانزعج الخادم من كلام قمر الزمان وقال له لم يكن عندك صبية ولا غيرها ومن اين دخلت الصبية وانا نائم وراء الباب وهو مقفول والله يا سيدى ما دخل علينا ذكر ولا انثى فقال له قمر الزمان تكذب يا عبد النحس وهل وصل من قدرك انت الاخر انك تخادعنى ولا تخبرنى اين راحت الصبية التى كانت نائمة عندى فى هذه الليلة ولم تخبرنى بالذى اخذها من عندى فقال الطواشى وقد انزعج منه والله يا سيدى ما رأيت صبية ولا صبيا فغضب قمر الزمان من كلام الخادم وقال له انهم عملوك الخداع يا ملعون فتعال عندى فتقدم الخادم الى قمر الزمان فاخذ باطواقه وضرب به الارض فضرط ثم برك عليه قمر الزمان ورفصه برجله وخنقه حتى غشى عليه ثم بعد ذلك ربطه فى سلبة البئر وادلاه فيه الى ان وصل الى الماء وارخاه وكانت تلك الايام ايام برد وشتاء فاطع فغطس الخادم فى الماء ثم نشله قمر الزمان وارخاه ولا زال يغطس ذلك الخادم فى الماء وينشله منه والخادم يستغيث ويصرخ ويصيح وقمر الزمان يقول له والله يا ملعون ما اطلعك من هذه البئر حتى تخبرنى بخبر هذه الصبية وقضيتها ومن الذى اخذها وانا نائم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخادم قال لقمر الزمان انقذنى من البئر يا سيدى وانا اخبرك بالصحيح فجذبه من البئر واطلعه وهو غائب عن الوجود من شدة ما قاساه من الغرق والغطاس والبرد والضرب والعذاب وصار يرتعد مثل القصبة فى الريح العاصف واشتبكت اسنانه فى بعضها وابتل ثيابه بالماء فلما رأى الخادم نفسه على وجه الارض قال له دعنى يا سيدى اروح واقلع ثيابى واعصرها وانشرها فى الشمس والبس غيرها ثم احضر اليك سريعا واخبرك بامر تلك الصبية واحكى لك حكايتها فقال له قمر الزمان والله يا عبد النحس لولا انك عاينت الموت ما اقررت بالحق فاخرج لقضاء اغراضك وعد الى بسرعة واحك لى حكاية الصبية وقصتها فعند ذلك خرج الخادم وهو لا يصدق بالنجاة ولم يزل يجرى الى ان دخل على الملك شهرمان ابى قمر الزمان فوجد الوزير بجانبه وهما يتحدثان فى امر قمر الزمان فسمع الملك يقول للوزير انى ما نمت فى هذه الليلة من اشتغال قلبى بولدى قمر الزمان واخشى ان يجرى له شئ من هذا البرج العتيق وما كان فى سجنه شئ من المصلحة فقال له الوزير لا تخف عليه والله لا يصيبه شئ ودعه مسجونا شهر زمان حتى تلين عريكته فبينما هما فى الكلام واذا بالخادم دخل عليهما وهو فى تلك الحالة وقال له يا مولانا السلطان ان ولدك حصل له جنون وقد فعل بى هذه الفعال وقال لى ان صبية باتت عندى

فى هذه الليلة وذهبت بخفية فاخبرنى بخبرها وانا لا اعرف ما شأن هذه الصبية فلما سمع السلطان شهرمان هذا الكلام عن ولده قمر الزمان صرخ قائلا واولداه وغضب على الوزير الذى كان سببا فى هذه الامور غضبا شديدا وقال له قم اكشف لى خبر ولدى قمر الزمان فخرج الوزير وهو يتعثر فى اذيال من خوفه من الملك وراح مع الخادم الى البرج وكانت الشمس قد طلعت فدخل الوزير على قمر الزمان فوجده جالسا على السرير يقرأ القرآن فسلم عليه الوزير وجلس الى جانبه وقال له ياسيدى ان هذا العبد الخصى اخبرنا بخبر شوش علينا وازعجنا فاغتاظ الملك من ذلك فقال له قمر الزمان ايها الوزير وما الذى قال لكم عنى حتى شوش على ابى وفى الحقيقة هو ما شوش الا على فقال له الوزير انه جاءنا بحالة منكرة وقال لنا قولا حاشاك منه وكذب علينا بما لا ينبغى ان يذكر فى شأنك فسلامة شبابك وعقلك الرجيح ولسانك الفصيح وحاشا ان يصدر منك شئ قبيح فقال له قمر الزمان ايها الوزير فاى شئ قال هذا العبد الخصى فقال له الوزير انه اخبرنا انك جننت وقلت له كان عندى صبية فى الليلة الماضية فهل قلت للخادم هذا الكلام فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام اغتاظ غيظا شديدا وقال للوزير تبين لى انكم علمتم الخادم الفعل الذى صدر منه وادر لشهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان بن الملك شهرمان قال للوزير تبين لى انكم علمتم الخادم الفعل الذى صدر منه ومنعتموه من ان يخبرنى بامر الصبية التى كانت نائمة عندى فى هذه الليلة وانت ايها الوزير اعقل من الخادم فاخبرنى فى هذه الساعة اين ذهبت الصبية المليحة التى كانت نائمة فى حضنى تلك الليلة فانتم الذين ارسلتموها عندى وامرتموها ان تبيت فى حضنى ونمت معها الى الصباح فلما انتبهت ما وجدتها فاين هى الان فقال الوزير ياسيدى قمر الزمان اسم الله حوالينا والله ما ارسلنا لك فى هذه الليلة احدا وقد نمت وحدك والباب مقفول عليك والخادم نائم من خلف الباب وما اتى اليك صبية ولا غيرها فارجع الى عقلك ياسيدى ولا تشغل خاطرك فقال له قمر الزمان وقد اغتاظ من كلامه ايها الوزير ان تلك الصبية معشوقتى وهى المليحة صاحبة العيون السود والخدود الحمر التى عانقتها فى هذه الليلة فتعجب الوزير من كلام قمر الزمان وقال له هل رأيت تلك الصبية فى هذه الليلة بعينك فى اليقظة او فى المنام فقال له قمر الزمان يا ايها الشيخ الخصى انظن انى رأيتها باذنى انما رأيتها بعيونى فى اليقظة وقبلتها بيدى وسهرت معها نصف ليلة كاملة وانا اتفرج على حسنها وجمالها ونظرفها ودلالها وانما انتم اوصيتموها انها لا تتكلم فى فجعلت نفسها نائمة فمت بجانبها الى الصباح ثم استيقظت من منامى فلم اجدها فقال له الوزير ياسيدى قمر الزمان ربما تكون رأيت هذا الامر فى المنام فيكون اضغاث احلام او تخيلات من اكل مختلف الطعام او وسوسة من الشياطين اللئام فقال له قمر الزمان يا ايها الشيخ الخصى كيف تهزء بى انت الاخر وتقول لى لعل هذا اضغاث احلام مع ان الخادم قد اقر لى بتلك الصبية وقال لى فى هذه الساعة اعود اليك واخبرك بقصتها ثم ان قمر الزمان قام من وقته وتقدم الى الوزير وقبض لحيته فى يده وكانت لحيته طويلة فاخذها قمر الزمان ولفها على يده وجذبه منها فرماه من فوق السرير والقاه على الارض فخس الوزير ان روحه طلعت من شدة نتف لحيته ولا زال قمر الزمان يرفس الوزير برجليه ويصفعه على قفاه بيديه حتى كاد ان يهلكه فقال الوزير فى نفسه اذا كان العبد الخادم خلص نفسه من هذا الصبى المجنون بكذبه

فانا اولى بذلك منه واخلص نفسى انا الاخر بكذبة والا يهلكنى فيها انا اكذب واخلص روحى منه فانه مجنون لاشك فى جنونه ثم ان الوزير التفت الى قمر الزمان وقال له ياسيدى لاتؤاخذنى فان والدك اوصانى ان اكتم عنك خبر هذه الصبية وانا الان عجزت وكليت من الضرب لانى بقيت رجلا كبيرا وليس لى قوة على تحمل الضرب فتحمل على قليلا حتى احدثك بقصة الصبية فعند ذلك منع عنه الضرب وقال له لاى شئ لم تخبرنى بخبر تلك الصبية الا بعد الضرب والاهانة قم يا ايها الشيخ الخمس واحك لى خبرها فقال له الوزير هل انت تسأل عن تلك الصبية صاحبة الوجه المليح والقد الرجيح فقال له قمر الزمان نعم اخبرنى ايها الوزير من الذى جاء بها الى وانا مها عندى واين هى فى هذه الساعة حتى اروح انا اليها بنفسى فان كان ابى الملك شهرمان فعل معى هذه الفعال واتحفنى بتلك الصبية الملحة من اجل زواجها فانا رضيت ان اتزوج بها فانه ما فعل معى هذا الامر كله وولع خاطرى بتلك الصبية وبعد ذلك حجبها عنى الا من اجل استنانى من الزواج فها انا رضيت بالزواج ثم رضيت بالزواج فاعلم والدى بذلك ايها الوزير واشر اليه ان يزوجنى بتلك الصبية فانى لا اريد سواها وقلبى لم يعشق الا اياها فقم واسرع الى ابى واشر اليه بتجهيل زواجى ثم عد الى قريبا فى هذه الساعة فحاصدق الوزير بالخلاص من قمر الزمان حتى خرج من البرج وهو يجرى الى ان دخل على الملك شهرمان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير خرج يجرى من البرج الى ان دخل على الملك شهرمان فلما دخل عليه قال له الملك ايها الوزير ما الى ارى الك فى ارتباك ومن الذى بشره رمالك حتى جئت مرعوبا فقال للملك انى قد جئتك ببشارة قال له الملك وما تلك البشارة قال له اعلم ان ولدك قمر الزمان قد حصل له جنون فلما سمع الملك كلام الوزير صار الضياء فى وجهه ظلاما وقال له ايها الوزير اوضح لى صفة جنون ولدى قال له الوزير سمعا وطاعة ثم اخبره بما صدر من ولده فقال له الملك ابشر ايها الوزير انى اعطيك فى تظير بشارتك اياى بجنون ولدى ضرب رقبتك وزوال النعم عنك يا انحس الوزراء واخبث الامراء لانى اعلم انك سبب جنون ولدى بمشورتك ورأيك التعيس الذى اشرت به على فى الاول والاخر والله ان كان تأتى على ولدى شئ من الضرر والجنون لاسمرنك على القبة واذيقنك النكبة ثم ان الملك نهض قائما على اقدامه واخذ الوزير معه ودخل به البرج الذى فيه قمر الزمان فلما وصلا اليه قام قمر الزمان على قدميه لوالده ونزل سريعا من فوق السرير الذى هو جالس عليه وقبل يديه ثم تأخر وراءه واطرق رأسه الى الارض وهو مكتف اليدين قدام ابيه ولم يزل كذلك ساعة زمانية وبعد ذلك رفع رأسه الى والده وفرت الدموع من عينيه وسالت على خده وانشد قول الشاعر

ان كنت قد اذنبت ذنبا سالفا * فى حقكم واتيت شيأ منكرا
انا تائب عما جنيت وعفوكم * يسع المسئ اذا اتى مستغفرا

فعند ذلك قام الملك وعانق ولده قمر الزمان وقبله بين عينيه واجلسه الى جانبه فوق السرير ثم التفت الى الوزير بعين الغضب وقال له يا كلب الوزراء كيف تقول على ولدى قمر الزمان ما هو كذا وكذا وترعب قلبى عليه ثم التفت الى ولده وقال له يا ولدى ما اسم هذا اليوم فقال له يا والدى هذا يوم السبت وغدا يوم الاحد

وبعده يوم الاثنين وبعده الثلاثا وبعده الاربعاء وبعده الخميس وبعده الجمعة فقال له الملك ياولدى ياقمر الزمان الحمد لله على سلامتك ما اسم هذا الشهر الذى علينا بالعربى فقال اسمه ذوالقعدة ويليه ذوالحجة وبعده المحرم وبعده صفر وبعده ربيع الاول وبعده ربيع الثانى وبعده جمادى الاولى وبعده جمادى الثانية وبعده رجب وبعده شعبان وبعده رمضان وبعده شوال ففرح بذلك الملك فرحا شديدا وانبسط فى وجه الوزير وقال لهياشيخ السوء كيف تزعم ان ولدى قمر الزمان قد جن والحال انه ماجن الا انت فعند ذلك حرك الوزير رأسه واراد ان يتكلم ثم خطر بباله ان يتمهل قليلا لينظر ماذا يكون ثم ان الملك قال لولده ياولدى اى شئ هذا الكلام الذى تكلمت به للخادم والوزير حيث قلت لهما انى كنت نائما انا وصبية مليحة فى هذه الليلة فحاشا أن هذه الصبية التى ذكرتها فضحك قمر الزمان من كلام ابيه وقال له ياوالدى اعلم انه مابقى لى قوة تحمل السخرية فلا تزيدوا على شيأ ولا بكلمة واحدة فقد ضاق خلقى مما تفعلونه معى واعلم ياوالدى انى رضيت بالزواج ولكن بشرط ان تزوجنى تلك الصبية التى كانت نائمة عندى فى هذه الليلة فانى اتحقق انك انت الذى ارسلتها الى وشوقتنى اليها وبعد ذلك ارسلت اليها قبل الصبح واخذتها من عندى فقال الملك اسم الله حواليك ياولدى سلامة عقلك من الجنون وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان قال لولده قمر الزمان اسم الله حواليك ياولدى سلامة عقلك من الجنون فاى شئ هذه الصبية التى تزعم انى ارسلتها اليك فى هذه الليلة ثم ارسلت اخذتها من عندك قبل الصباح فوالله ياولدى ليس لى علم بهذا الامر فبالله عليك ان تخبرنى هل ذلك اضغاث احلام او تخيلات طعام فانك بت فى هذه الليلة وانت مشغول الخاطر بالزواج وموسوس بذكره قبح الله الزواج وساعته وقبح من اشار به ولاشك انك متكدر المزاج من جهة الزواج فرأيت فى المنام ان صبية مليحة تعانقك وانت تعتقد فى بالك انك رأيتها فى اليقظة وهذا كله ياولدى اضغاث احلام فقال قمر الزمان دع عنك هذا الكلام واحلف لى بالله الخالق العلام قاصم الجبابرة ومبيد الاكاسرة انه لم يكن عندك خبر بالصبية ومحلها فقال له الملك وحق الله العظيم اله موسى وابراهيم انه لم يكن لى علم بذلك ولعله اضغاث احلام رأيته فى المنام فقال قمر الزمان لوالده انا اضرب لك مثلا بينا لك ان هذا كان فى اليقظة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان قال لوالده انا اضرب لك مثلا بينا لك ان هذا كان فى اليقظة وهو انى اسألك هل اتفق لاحدانه رأى نفسه فى المنام يقاتل وقد قاتل قتالا شديدا وبعد ذلك استيقظ من منامه فوجد فى يده سيفا ملوثا بالدم فقال له والده لا والله ياولدى لم يتفق هذا فقال له قمر الزمان اخبرك بما حصل لى وهو انى رأيت فى هذه الليلة كأنى استيقظت من منامى نصف الليل فوجدت بنتا نائمة بجانبى وقدها كقدى وشكلها كشكلى فعانقتها ومسكتها بيدى واخذت خاتمها ووضعته فى اصبعى وقلعت خاتمى ووضعته فى اصبعها وامتنعت عنها حياء منك وظننت انك ارسلتها واستخفيت فى موضع لتنظر ما افعل واستحييت من اجل ذلك ان اقبلها فى فهاحياء منك وخطر ببالى انك تمتحننى بها

حتى ترغبني في الزواج وبعد ذلك انتبهت من منامي في وجه الصبح فلم اجد الصبية اثرا ولا وقفت لها على خبر وجرى لي مع الخادم والوزير ما جرى فكيف يكون هذا الامر كذبا وامر الخاتم صحيح ولولا الخاتم كنت اظن انه منام وهذا خاتمها الذي في خنصري في هذه الساعة فانظر ايها الملك الى الخاتم كم يساوي ثم ان قمر الزمان ناول الخاتم لابيه فاخذه وقبله ثم التفت الى ولده وقال له ان لهذا الخاتم نبأ عظيما وخبرا جسيما وان الذي اتفق لك في هذه الليلة مع تلك الصبية امر مشكل ولا اعلم من اين دخل علينا هذا الدخيل وما تسبب في هذا كله الا الوزير فبالله عليك يا ولدي ان تصبر لعل الله يفرج عنك هذه الكربة ويأتيك بالفرج العظيم كما قال الشاعر

عسى ولعل الدهر يلوي عنانه * ويأتي بخير فالزمان غيور
وتسعد آمالي وتقضى حوائجي * وتحدث من بعد الامور امور

فيا ولدي قد تحققت في هذه الساعة انه ليس بك جنون ولكن قضيتك ما يجليها عنك الا الله فقال قمر الزمان لوالده بالله يا والدي انك تفحص لي عن هذه الصبية وتجهل بقدومها الامت كمدا ثم ان قمر الزمان اظهر الوجد والتفت الى ابيه وانشد هذين البيتين

ان كان وعدكم بالوصل تزوير * فني الكرى واصلوا المشتاق اوزور
قالوا وكيف يزور الطيف جفن فتى * منامه عنه ممنوع ومحجور

ثم ان قمر الزمان بعد انشاد هذه الاشعار التفت الى ابيه بخضوع وانكسار وافاض العبرات وانشد هذه الابيات

وادرك الشهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان افاض العبرات وانشد هذه الابيات

خذوا حذركم من طرفها فهو ساحر * وليس بناج من رمته المحاجر
ولا تخدعوا من رقة في كلامها * فان الحيا للعقول تخامر
منعمة لو لامس الورد خدها * بكت وبدت من مقلتيها البواتر
فلو في الكرى مر النسيم بارضها * سرى ايدا من ارضها وهو عاطر
قلايدها تشكو رنين وشاحها * وقد خرست من معصميها الاساور
اذا ما اشتهى الخلخال تقبيل قرطها * بدت لعيون الوصل منها لضمائر
ولي عاذل في حبها غير عاذر * وما تنفع الابصار لولا البصائر
عذولي لحاك الله ما انت منصف * الى مثل هذا الحسن تثني النواظر

فلما فرغ من شعره قال الوزير للملك يا ملك الزمان الى متى وانت محجوب عن العسكر عند ولدك قمر الزمان فربما يفسد عليك نظام المملكة بسبب بعدك عن ارباب دولتك والعاقل اذا المت بجسمه امراض مختلفة يجب عليه ان يبدأ بدواء اعظمها والرأي عندي ان تنقل ولدك من هذا المكان الى القصر الذي في السراية المطل على البحر وتقطع عند ولدك فيه وتجعل للموكب والديوان في كل جمعة يومين الخميس والاثنين فيدخل عليك فيهما الامراء والوزراء والحجاب والنواب وارباب الدولة وخواص المملكة واصحاب

الصولة وبقية العساكر والرعية ويعرضون عليك احوالهم فاقض حوايجهم واحكم بينهم وخذ واعط معهم وامر وانه بينهم وبقية الجمعة تكون عند ولدك قمر الزمان ولم تزل على تلك الحالة حتى يفرج الله عنك وعنه ولا تأمن ايها الملك من نوائب الزمان وطوارق الحدثان فان العاقل دائما محاذر وما احسن قول الشاعر

حسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها * وعند صفو الليالي يحدث الكدر
يا معشر الناس من كان الزمان له * مساعدا فليكن من رأيه الحذر

فلما سمع السلطان من الوزير هذا الكلام رأه صوابا ونصيحة فى مصلحته فاثر عنده وخاف ان ينفد عليه نظام الملك فنهض من وقته وساعته وامر بتحويل ولده من ذلك المكان الى القصر الذى فى السراية المطل على البحر ويمشون اليه على مشاة فى وسط البحر عرضها عشرون ذراعا وبدائر القصر شبابيك مطلة على البحر وارض ذلك القصر مفروشة بالرخام الملون وسقفه مدهون بانخر الادهان من سائر الالوان ومنقوش بالذهب واللازورد ففرشوا لقمر الزمان فيه البسط الحرير والبسوا حيطانه الديباج وارخوا عليه الستارات المكللة بالجواهر ودخل فيه قمر الزمان وصار من شدة العشق كثير السهر فاشتغل خاطره واصفر لونه وانتحل جسمه وجلس والده الملك شهرمان عند رأسه وحزن عليه وصار الملك فى كل يوم اثنين ويوم خميس يأذن فى ان يدخل عليه من شاء الدخول من الامراء والوزراء والحجاب والنواب وارباب الدولة وسائر العساكر والرعية فى ذلك القصر فيدخلون عليه ويؤدون وظائف الخدمة ويقيمون عنده الى آخر النهار ثم ينصرفون بعد ذلك الى حال سبيلهم وبعد ذلك يدخل الملك عند ولده قمر الزمان فى ذلك المكان ولا يفارقه ليلا ولا نهارا ولم يزل على تلك الحالة مدة ايام وليال من الزمان هذا ما كان من امر قمر الزمان بن الملك شهرمان واما ما كان من امر الملكة بدور بنت الملك الغيور صاحب الجزائر والسبعة قصور فان الجن لما حملوها ونيموها فى فراشها لم يبق من الليل الا ثلاث ساعات ثم طلع الفجر فاستيقظت من منامها وجلست والتفتت يمينا وشمالا فلم تر معشوقها الذى كان فى حضنها فارتجف فؤادها وزل عقلها وصرخت صرخة عظيمة فاستيقظ جميع جواريها والدايات والقهرمانات ودخلن عليها فتقدمت اليها كبيرتهن وقالت لها يا سيدتى ما الذى اصابك فقالت لها ايتها العجوز الخبيثة اين معشوقى الشاب المليح الذى كان نائما هذه الليلة فى حضنى فاخبرينى اين راح فلما سمعت منها القهرمانة هذا الكلام صار الضياء فى وجهها ظلاما وخافت من بأسها خوفا عظيما وقالت يا سيدتى بدور اى شئ هذا الكلام القبيح فقالت السيدة بدور ويلك يا عجوز الخبيثة اين معشوقى الشاب المليح صاحب الوجه الصبيح والعيون السود والحواجب المقرونة الذى كان باتا عندى من العشاء الى قرب طلوع الفجر فقالت والله ما رأيت شابا ولا غيره فبالله يا سيدتى لا تمزحى هذا المزاح الخارج عن الحد فتروح ارواحنا ورجاءنا بالله هذا المزاح فمن يخلصنا من يده وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان القهرمانة قالت للسيدة بدور بالله عليك لا تمزحى هذا المزاح الخارج

عن الحد فانه ربما بلغ بالمذهذا المزاح فمن يخاصمنا من يده فقالت لها الملكة بدور انه كان غلام باتا عندى فى هذه الليلة وهو من احسن الناس وجها فقالت لها القهرمانة سلامة عقلك ما كان احد باتا عندك فى هذه الليلة فعند ذلك نظرت بدور الى يدها فوجدت خاتم قمر الزمان فى اصبعها ولم تجد خاتمها فقالت للقهرمانة ويلك يا خائنة اتكذبين على وتقولين ما كان احد باتا عندك وتحلفين لى بالله باطلا فقالت القهرمانة والله ما كذبت عليك ولا حلفت باطلا فاغتاظت منها السيدة بدور وسحبت سيفا كان عندها وضربت القهرمانة فقتلتها فعند ذلك صاح الخادم والجوارى والسرارى عليها وراحوا الى ابيها واعلموه بحالها فاتى الملك الى ابنته السيدة بدور من وقته وساعته وقال لها يا بنتى ما خبرك فقالت يا ابى اين الشاب الذى كان نائما بجانبى فى هذه الليلة وطار عقلها من رأسها وصارت تلتفت بعينها يمينا وشمالا ثم شقت ثوبها الى ذيلها فلما رأى ابوها تلك الفعال امر الجوارى والخدم ان يمسكوها فقبضوا عليها وقيدوها وجعلوا فى رقبتها سلسلة من حديد وربطوها فى الشباك الذى فى القصر هذا ما كان من امر الملكة بدور واما ما كان من امر ابيها الملك الغيور فانه لما رأى ما جرى على ابنته السيدة بدور ضاقت عليه الدنيا لانه كان يحبها فلم يهن عليه امرها فعند ذلك احضر المنجمين والحكماء واصحاب الاقلام وقال لهم من ابرأ بنتى مما هى فيه زوجته بها واعطيته نصف مملكتى ومن لم يبرئها ضربت عنقه وعلقت رأسه على باب قصرها وصار كل من دخل عليها ولم يبرئها يضرب عنقه ويعلق رأسه على باب القصر ولم يزل يفعل ذلك الى ان قطع من اجلها اربعين رأسا فطاب سائر الحكماء فتوقفت جميع الناس عنها وعجزت جميع الحكماء عن دوائها واشكلت قضيتها على اهل العلوم وارباب الاقلام ثم ان السيدة بدور لما زاد بها الوجد والغرام واضرمها العشق والهيام اجرت العبرات وانشدت هذه الابيات

غرامى فيك يا قمرى غريمى * وذكرك فى دجى ليلى ندمى
ابيت واضلعى فيها لهيب * يحاكى حره نار الجحيم
بليت بفرط وجد واحتراق * عذابى منهما انحى اليمى

ثم انشدت ايضا

سلامى على الاحباب فى كل منزل * فانى الى نحو الحبيب اريد
سلامى عليكم لا سلام مودع * سلام كثير لا يزال يزيد
وانى لاهواكم واهوى دياركم * ولكننى عما اريد بعيد

فلما فرغت السيدة بدور من انشاد هذه الاشعار بكت حتى مرضت جفونها وتذللت وجناتها ثم انها استمرت على هذا الحال ثلاث سنين وكان لها اخ من الرضاع يسمى مرزوان وكان سافر الى اقصى البلاد وغاب عنها تلك المدة بطولها وكان يحبها محبة زيادة على محبة الاخوة فلما حضر دخل على والدته وسألها عن اخته السيدة بدور فقالت له يا ولدى ان اختك حصل لها جنون ومضى لها ثلاث سنين وفى رقبتها سلسلة من حديد وعجزت الاطباء عن دوائها فلما سمع مرزوان هذا الكلام قال لابد من دخولى عليها لعلى اعرف ما بها واقدر على دوائها فلما سمعت امه كلامه قالت لابد من دخولك عليها ولكن اصبر الى غد حتى اتحيل فى امرك ثم ان امه ترجلت الى قصر السيدة بدور واجتمعت بالخادم الموكل بالباب واهدت له هدية وقالت ان لى بنتا وقد تربت مع السيدة بدور وقد زوجتها ولما جرى لسيدتك ما جرى صار

قلبها متعلقا بها واقصد فضلك فى ان بنتى تأتى عندها ساعة لتنظرها ثم ترجع من حيث جاءت ولا يعلم بها احد فقال الخادم لا يمكن ذلك الا فى الليل فبعد ان يأتى السلطان ينظر ابنته ويخرج ادخلى انت وابنتك فقبلت العجوز يد الخادم وخرجت الى بيتها فلما جاء وقت العشاء فى الليلة القابلة قامت من وقتها وساعتها واخذت ولدها مرزوان والبسته بدلة من ثياب النساء وجعلت يده فى يدها وادخلته القصر ولا زالت تمشى به حتى اوصلته الى الخادم بعد انصراف السلطان من عند بنته فلما رأها الخادم قام واقفا وقال لها ادخلى ولا تطيلى القعود فلما دخلت العجوز بولدها مرزوان رأى السيدة بدور فى تلك الحالة فسلم عليها بعد ان كشفت عنه امه ثياب النساء فاخرج مرزوان الكتب التى معه واوقد شمعته فنظرت اليه السيدة بدور فعرفته وقالت له يا اخى انت كنت سافرت وانقطعت اخبارك عنا فقال لها الصحيح ولكن ردنى الله بالسلامة واردت السفر ثانيا فاردى عنه الا هذا الخبر الذى سمعته عنك فاحترق فؤادى عليك وجئت اليك لعلى اعرف داءك واقدر على دوائك فقالت له يا اخى هل تحسب ان الذى اعترانى جنون ثم اشارت اليه وانشدت هذين البيتين

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم * ما لذة العيش الا للمجانين
نعم جننت فهانوا من جننت به * ان كان يشفى جنونى لا تلوموني

فعلم مرزوان انها عاشقة فقال لها اخبرينى بقصتك وما اتفق لك لعل الله ان يطلعنى على ما فيه خلاصك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان مرزوان قال للسيدة بدور لعل الله ان يطلعنى على ما فيه خلاصك فقالت له السيدة بدور يا اخى اسمع قصتى وذلك انى استيقظت من منامى ليلة فى الثلث الاخير من الليل وجلست فنظرت الى جانبى شابا احسن ما يكون من الشباب يكل عن وصفه اللسان كانه غصن بان او قضيب خيزران فظننت ان ابى هو الذى امره بهذا الامر ليمتحننى به لانه راودنى عن الزواج لما خطبنى منه الملوك فابيت فهذا الظن هو الذى منعنى من ان انبهه وخشيت انى اذا عانقته ربما يخبر ابى بذلك فلما اصبحت رأيت بيدى خاتمه عوضا عن خاتمى فهذه حكايتى واما يا اخى قد تعلق قلبى به من حين رؤيته ومن كثرة عشقى والغرام لم اذق طعم المنام ومالى شغل غير بكائى بالدموع الغزار وانشاد الاشعار بالليل والنهار ثم افاضت العبرات وانشدت هذه الابيات

ابعد الحب لذاتى تطيب * وذاك الظبى مرتعه القلوب
دم العشاق اهون ما عليه * وفيه مهجة المضنى تذوب
اغار عليه من نظرى وفكرى * فمن بعضى على بعضى رقيب
واجفان له ترمى سهاما * فوائل فى القلوب لنا نصيب
فهل لى ان اراه قبل موتى * اذا ما كان فى الدنيا نصيب
واكتم سره فيبم دمعى * بما عندى ويعلمه الرقيب
قريب وصله منى بعيد * بعيد ذكره منى قريب

ثم ان السيدة بدور قالت لمرزوان انظر يا اخى ما الذى تعمل معى فى الذى اعترانى فاطرق مرزوان رأسه الى

الارض ساعة وهو يتعجب ومايدرى مايفعل ثم رفع رأسه وقال لها جميع ماجرى لك صحيح وان حكاية هذا الشاب اعيت فكرى ولكن ادور فى جميع البلاد وافتش على دوائك لعل الله يجعله على يدى فاصبرى ولا تقلقى ثم ان مرزوان ودعها ودعالها بالثبات وخرج من عندها وهى تنشد هذه الابيات

ويخطولى خيالك فى ضميرى * على بعد المكان خطى مزور
وتدنيك الامانى من فؤادى * واين البرق من لمح البصير
فلا تبعد لانك نور عينى * اذا ماغبت لم تكحل بنور

ثم ان مرزوان تمشى الى بيت والدته فنام تلك الليلة ولما اصبح الصباح تجهز للسفر فسافر ولم يزل مسافرا من مدينة الى مدينة ومن جزيرة الى جزيرة مدة شهر كامل ثم دخل مدينة يقال لها الطيرب واستنشق الاخبار من الناس لعله يجد دواء الملكة بدور وكان كلما يدخل من مدينة او يمر بها يسمع ان الملكة بدور بنت الملك الغيور قد حصل لها جنون ولم يزل يستنشق الاخبار حتى وصل الى مدينة الطيرب فسمع ان قمر الزمان ابن الملك شهرمان مريض وانه اعتراه وسواس وجنون فلما سمع مرزوان بخبره سأل بعض اهل تلك المدينة عن بلاده ومحل تخته فقالوا له جزائر خالدان وبيننا وبينها مسيرة شهر كامل فى البحر واما فى البر فستة اشهر فنزل مرزوان فى مركب الى جزائر خالدان وكانت المركب مجهزة للسفر وطاب لها الريح مدة شهر فبانت لهم المدينة ولما اشرفوا عليها ولم يبق لهم الا الوصول الى الساحل خرج عليهم ريح عاصف فرمى القرية ووقعت القلوع فى البحر وانقلبت المركب بجميع مافيها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان المركب انقلبت بجميع مافيها واشتغل كل واحد بنفسه واما مرزوان فانه جذبته قوة التيار جذبة حتى اوصلته تحت قصر الملك الذى فيه قمر الزمان وكان بالامر المقدور قد اجتمع الامراء والوزراء عنده للخدمة والملك شهرمان جالس ورأس ولده قمر الزمان فى حجره وخادم ينش عليه وكان قمر الزمان مضى له يومان وهو لم يأكل ولم يشرب ولم يتكلم وصار الوزير واقفا عند رجليه قريب الشباك المطل على البحر فرفع الوزير بصره فرأى مرزوان قد اشرف على الهلاك من التيار وبقى على اخر نفس فرق قلب الوزير اليه فتقرب الى السلطان ومد رأسه اليه وقال له استأذنك فى ان انزل الى ساحة القصر وافتح بابها لانقاذ انسانا قد اشرف على الغرق فى البحر واطلعه من الضيق الى الفرج لعل الله بسبب ذلك يخلص ولدك مما هو فيه فقال السلطان كل ما جرى على ولدى بسببك وربما انك اذا اطلعت هذا الغريق يطلع على احوالنا وينظر الى ولدى وهو فى هذه الحالة فيشمت بى ولكن اقسم بالله ان طلع هذا الغريق ونظر الى ولدى وخرج يتحدث مع احد باسرارنا لاضربن رقبتك قبله لانك ايها الوزير سبب ماجرى لنا اولا واخرا فافعل مابدا لك فنهض الوزير وفتح باب الساحة ونزل فى المشاة عشرين خطوة ثم خرج الى البحر فرأى مرزوان مشرفا على الموت فمد الوزير يده اليه ومسكه من شعر رأسه وجذبه منه فخرج من البحر وهو فى حال العدم وقد امتلأ بطنه ماء وبرزت عيناه فصبر الوزير عليه حتى ردت روحه اليه ثم نزع عنه ثيابه والبسه ثيابا غيرها وعممه بعمامة من عمائم غلمانه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير لما فعل مع مرزوان ما فعل قال له اعلم اني كنت سببا لنجاتك من الغرق فلا تكن سببا لموتي وموتك فقال مرزوان وكيف ذلك قال الوزير لانك في هذه الساعة تطلع وتشق بين امرائه ووزرائه والكل ساكتون لا يتكلمون من اجل قمر الزمان ابن السلطان فلما سمع مرزوان ذكر قمر الزمان عرفه لانه كان يسمع بحديثه في البلاد فقال مرزوان ومن قمر الزمان فقال الوزير هو ابن السلطان شهرمان وهو ضعيف ملقى على الفراش لا يقر له قرار ولا يعرف ليلا من نهار وكاد ان يفارق الحياة من تحول جسمه ويصير من الاموات فنهاره في لهيب وليله في تعذيب وقد يئسنا من حياته وايقنا بوفاته واياك ان تطيل النظر اليه او تنظر الى غير الموضع الذي تحط فيه رجلك والا فتروح روحك وروحي فقال له بالله ان تخبرني عن هذا الشاب الذي وصفته لي ما سبب هذا الامر الذي هو فيه فقال له الوزير لا اعلم له سببا الا ان والده من منذ ثلاث سنين كان يراوده عن امر الزواج وهو يابى فاصبح يزعم انه كان نائما فرأى بجنبه صبية بارعة الجمال وجمالها يحير العقول ويعجز عنه الوصف وذكر لنا انه نزع خاتمها من اصبعها ولبسه والبسها خاتمه ونحن لا نعرف باطن هذه القضية فبالله يا ولدي اطلع معي القصر ولا تنظر الى ابن الملك ثم بعد ذلك روح الى حال سبيلك فان السلطان قلبه ملان على غيظا فقال مرزوان في نفسه والله ان هذا هو المطلوب ثم طلع مرزوان خلف الوزير الى ان وصل الى القصر ثم جلس الوزير تحت رجلي قمر الزمان واما مرزوان فان لم يكن له دأب الا انه مشى حتى وقف قدام قمر الزمان ونظر اليه فمات الوزير في جلده وصار ينظر الى مرزوان ويغمزه ليروح الى حال سبيله ومرزوان يتغافل وينظر الى قمر الزمان وعلم انه هو المطلوب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان مرزوان لما نظر الى قمر الزمان وعلم انه هو المطلوب قال سبحان الله الذي جعل قده مثل قدها ولونه مثل لونها وخده مثل خدها ففتح قمر الزمان عينيه وصغى باذنيه فلما رآه مرزوان صاغيا الى ما يلقيه من الكلمات انشد هذه الابيات

ارالك طروبا ذا شجى وترنم * تميل الى ذكر المحاسن بالفم
اصابك عشق ام رميت بأسهم * فما هذه الاصبة من رمى
الا فاسقني كاسات خمر وغن لي * بذكر سليمى والرباب وتسهم
اغار على اعطافها من ثيابها * اذا لبستها فوق جسم منعم
واحسد كاسات تقبل ثغرها * اذا وضعتها موضع اللثم في الفم
فلا تحسبوا اني قتلت بصارم * ولكن لحاظ قد رمتني بأسهم
ولما تلاقينا وجدت بنانها * مخضبة تحكي عصارة عندم
فقالت والقت في الحشى لاعج الجوى * مقالة من للحب لم يتكتم
رويدك ما هذا خضاب خضبته * فلا تك بالبهتان والزور متهمي
ولكنني لما رأيتك نائما * وقد كشفت كفي وزندي ومعصمي

بكيت دما يوم النوى فمسحته * بكفى فابتلت بنانى من دمى
فلو قبل مبكاها بكيت صبابة * لكنت شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلى فهيجنى البكا * بكاها فقلت الفضل للمتقدم
فلا تعذلونى فى هواها لاننى * وحق الهوى فيها كثير التألم
بكيت على من زين الحسن وجهها * وليس لها مثل بعرب واعجم
لها علم لقمان وصورة يوسف * ونغمة داود وعفة مريم
ولى حزن يعقوب وحسرة يونس * وبلوة ايوب وقصة آدم
فلا تقتلوها ان قتلت بها جوى * بلى فاسئلوها كيف حل لها دمى

فلما انشد مرزوان هذا الشعر نزل على قلب قمر الزمان بردا وسلاما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان مرزوان لما انشد هذا الشعر نزل على قلب قمر الزمان بردا وسلاما ودار لسانه فى فمه واشار الى السلطان بيده دع هذا الشاب يجلس فى جانبى فلما سمع السلطان من ولده قمر الزمان هذا الكلام فرح فرحا شديدا بعد ان غضب على الشاب واضمر فى نفسه انه يرمى رقبته ثم قام الملك واجلس مرزوان الى جانب ولده واقبل عليه وقال له من اى البلاد انت قال من الجزائر الجوانية من بلاد الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور فقال له الملك شهرمان عسى ان يكون الفرج على يديك لولدى قمر الزمان ثم ان مرزوان اقبل على قمر الزمان وقال له فى اذنه ثبت قلبك وطب نفسا وقر عينا فان التى صرت من اجلها هكذا لا تسأل عما هى فيه من اجلك ولكنك كتمت امرك فضعفت واما هى فانها اظهرت ما بها فجنت وهى الان مسجونة باسوء حال وفى رقبتها غل من حديد وان شاء الله يكون دواؤك كما على يدى فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام ردت روحه اليه واستفاق واشار الى الملك والده ان يجلسه ففرح فرحا زائدا واجلس ولده ثم اخرج جميع الوزراء والامراء واتكى قمر الزمان بين مخدتين وامر الملك ان يطيبوا القصر بالزعفران ثم امر بزينة المدينة وقال لمرزوان والله يا ولدى ان هذه طلعة مباركة ثم اكرمه غاية الاكرام وطلب لمرزوان الطعام فقدموه له واكل واكل معه قمر الزمان وبات عنده تلك الليلة وبات الملك عندهما من فرحته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان السلطان شهرمان بات تلك الليلة عندهما من شدة فرحته بشفاء ولده فلما اصبح الصباح صار مرزوان يحدث قمر الزمان بالقصة وقال له اعلم اننى اعرف التى اجتمعت بها واسمها السيدة بدور بنت الملك الغيور ثم حدثه بما جرى للسيدة بدور من الاول الى الاخر واخبره بفرط محبتها له وقال له جميع ما جرى لك مع والدك جرى لها مع والدها وانت من غير شك حبيبها وهى حبيبتك فثبت قلبك وقو عزيمتك فيها انا اوصلك اليها واجمع بينك وبينها واعمل معكما كما قال بعض الشعراء

اذا حبيب صد عن صبه * ولم يزل فى فرط اعراض
الفت وصلا بين شخصيهما * كانى مسمار مقراض

ولم يزل مرزوان يشجع قمر الزمان حتى اكل الطعام وشرب الشراب وردت روحه اليه وتصل مما كان فيه ولم يزل مرزوان يحدثه ويسامره ويسليه وينشد له الاشعار حتى دخل الحمام وامر والده بزينة المدينة فرحا بذلك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان لما دخل ولده قمر الزمان الحمام امر بزينة المدينة فرحا بذلك وخلع الخلع وتصدق واطلق من في الحبوس ثم ان مرزوان قال لقمر الزمان اعلم انني ما جئت من عند السيدة بدور الا لهذا الامر وهو مهيب سفري لاجل ان اخلصها مما هي فيه ومابقي لنا الا الحيلة في رواحنا اليها الان والدك لا يقدر على فراقك ولكن في غد استأذن والدك في انك تخرج الى الصيد في البرية وخذ معك خرجا ملآنا من المال واركب جوادا من الخيل وخذ معك جنيبا واما الاخر مثلك وقل لوالدك اني اريد ان اتفرج في البرية واتصيد وانظر الفضاء وابيت هناك الليلة واحدة فلا تشغل قلبك علي بشيء ففرح قمر الزمان بما قاله مرزوان ودخل على والده واستأذنه في الخروج الى الصيد وقال له الكلام الذي اوصاه به مرزوان فاذن له والده في الخروج الى الصيد وقال له لا تبت غير ليلة واحدة وفي غد تحضر فانك تعلم انه ما يطيب لي عيش الا بك وانني ما صدقت انك خلصت مما كنت فيه ثم ان الملك شهرمان انشد لولده هذين البيتين

ولو انني اصبحت في كل نعمة * وكانت لي الدنيا وملك الاكاسره
لما وازنت عندي جناح بعوضة * اذا لم تكن عيني لشخصك ناظره

ثم ان الملك جهز ولده قمر الزمان هو ومرزوان وامر ان يهيئوا لهما ستة من الخيل وهجينا برسم المال وجملا يحمل الماء والزاد ومنع قمر الزمان ان يخرج معه احد في خدمته فودعه ابوه وضمه الى صدره وقال له سألتك بالله لا تغب عني الا ليلة واحدة وحرام علي المنام فيها وانشد يقول

وصالك عندي الدر نعيم * وصبري عنك امر اليم
فديتك ان كان ذنبي الهوى * اليك فذنبي اجل عظيم
اعندك مثلي نار الجوى * فاصلي بذا العذاب الجحيم

ثم خرج قمر الزمان ومرزوان وركبا فرسيهما والجمل عليه المال والجمل عليه الماء والزاد واستقبلا البر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الاولى بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان ومرزوان لما استقبلا البر سارا اول يوم الى المساء ثم نزلا واكلا وشربا واطعما دوابهما واستراحا ساعة ثم ركبا وساروا وما زالا سائرين مدة ثلاثة ايام وفي رابع يوم بان لهما مكان متسع فيه غاب فنزلا فيه ثم اخذ مرزوان جملا وفرسا وذبحهما وقطع لحمهما قطعا وبخر عظمهما واخذ من قمر الزمان قميصه ولباسه وقطعهما قطعا ولوثهما بدم الفرس واخذ ملوطة قمر الزمان ومزقها ولوثها بالدم ورماها في مفرق الطريق ثم اكلا وشربا وسافر فساله قمر الزمان عن ما فعله فقال له قمر الزمان اعلم ان والدك الملك شهرمان اذا غبت عنه ليلة ولم تحضر له ثاني ليلة يركب ويسافر في اثرنا الى ان يصل الى هذا الدم الذي فعلته ويرى قماشك مقطعا وعليه الدم فيظن في نفسه انه جرى لك شيء

من قطاع الطريق اووحش البرفينقطع رجاؤه منك ويرجع الى المدينة وتبلغ بهذه الحيلة ما تريد فقال قمر الزمان نعم ما فعلت ثم سارا اياما وليالى كل ذلك وقمر الزمان باكى العين الى ان استبشر بقرب الديار فانشد هذه الاشعار

اتجفو محبا ما سلا عنك ساعة * وتزهد فيه بعد ما كنت راغبا
حرمت الرضى ان كنت خنت فى الهوى * وعوقبت بالهجران ان كنت كاذبا
وما كان لى ذنب فاستوجب الجفا * وان كان لى ذنب فقد جئت تائبا
ومن عجب الايام انك هاجرى * ومازالت الايام تبدى العجائبا

فلما فرغ قمر الزمان من شعره بانت له جزائر الملك الغيور ففرح قمر الزمان فرحا شديدا وشكر مرزوان على فعله وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما بانت له جزائر الملك الغيور فرح فرحا شديدا وشكر مرزوان على فعله ثم دخلا المدينة وانزله مرزوان فى خان واستراحا ثلاثة ايام من السفر وبعد ذلك دخل بقمر الزمان الحمام والبسه لبس التجار وعمل له تخت رمل من ذهب وعمل له عدة وعمل له اصطرلابا من الذهب ثم قال له مرزوان قم يا مولاى وقف تحت قصر الملك ونادا انا الحاسب الكاتب المنجم فاين الطالب فان الملك اذا سمعك يرسل خلفك ويدخل بك على ابنته محبوبتك وهى لما ترى الذى نزول ما بها من الجنون ويفرح ابوها بسلامتها ويزوجها لك ويقاسمك فى ملكه لانه شرط على نفسه هذا الشرط فقبل قمر الزمان ما اشار به مرزوان وخرج من الخان وهو لابس البدلة واخذ معه العدة التى ذكرناها ومشى الى ان وقف تحت قصر الملك الغيور ونادى انا الكاتب الحاسب المنجم اكتب الكتاب واحكم الحساب واحسب الحساب واخط باقلام المطالب فاين الطالب فلما سمع اهل المدينة هذا الكلام وكان لهم مدة من الزمان ما رأوا حاسبا ولا منجما رقفوا حوله وتأملوه فتعجبوا من حسن صورته ورونق شبابه وقالوا له بالله عليك يا مولانا لا تفعل بنفسك هذه الفعال طمعا فى زواج بنت الملك الغيور وانظر بعينك الى هذه الرؤس المعلقة فان اصحابها كلهم قتلوا من اجل هذا الحال فمال بهم الطمع الى الوبال فلم يلتفت قمر الزمان الى كلامهم بل رفع صوته ونادى انا كاتب حاسب اقرب المطالب للمطالب فتداخل عليه الناس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان نهته الناس فلم يسمع كلامهم بل رفع صوته ونادى انا الكاتب الحاسب اقرب المطالب للطالب فاغتاظوا منه جميعا وقالوا له ما انت الا شاب مكابر احمق ارحم شبابك وصغر سنك وحسنك وجمالك فصاح قمر الزمان وقال انا المنجم والحاسب فهل من طالب فبينما الناس تنهى قمر الزمان عن هذه الحالة اذ سمع الملك الغيور الصياح وضجة الناس فقال للوزير انزل أأتنا بهذا المنجم فنزل الوزير واخذ قمر الزمان فلما دخل قمر الزمان على الملك قبل الارض بين يديه وانشد هذين البيتين

ثمانية فى المجد حزت جميعها * فلا زال خداما بهن لك الدهر

يقينك والتقوى ومجدك والندى * ولفظك والمعنى وعزك والنصر

فلما نظر الملك الغيور اليه اجلسه الى جانبه واقبل عليه وقال له يا ولدى بالله لا تجعل نفسك منجما ولا تدخل على شرطى فانى الزمت نفسى ان كل من دخل على بنتى ولم يبرئها مما اصابها ضربت عنقه وكل من ابرأها زوجته بها فلا يغرنك حسنك وجمالك وقدك واعتدالك والله والله ان لم تبرأها لاضربن عنقك فقال قمر الزمان قبلت منك هذا الشرط فاشهد عليه الملك الغيور القضاة وسلمه الى الخادم وقال له اوصل هذا الى السيدة بدور فاخذه الخادم من يده ومشى به فى الدهليز فصار قمر الزمان سابقه وصار الخادم يقول له ويلك لا تستعجل على هلاك نفسك فوالله ما رأيت منجما يستعجل على هلاك نفسه الا انت ولكنك لم تعرف اى شئ قدامك من الدواهى فاعرض قمر الزمان بوجهه عن الخادم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان اعرض بوجهه عن الخادم وانشد هذه الابيات

انا عارف بصفات حسنك جاهل * متحير لم ادر ما انا قائل
ان قلت شمسا كان حسنك لم يغب * عنى وعهدى بالشموس اوافل
كملت محاسنك التى فى وصفها * عجز البليغ وحار فيها القائل

ثم ان الخادم اوقف قمر الزمان خلف الستارة التى على الباب فقال له قمر الزمان اى الحالتين احب اليك كونى اداوى سيدتك وابرؤها من هنا اوادخل اليها فابرؤها من داخل الستارة فتعجب الخادم من كلامه وقال له ان ابرأتها من هنا كان ذلك زيادة فى فضلك فعند ذلك جلس قمر الزمان خلف الستارة واطلع الدواة والقلم وكتب فى ورقة هذه الكلمات من برح به الجفا * فدواؤه الوفا * والبلا لمن يئس من حياته * وايقن بحلول وفاته * ومالقلبه الحزين * من مسعف ولا معين * ومالطرفه الساهر * على الهم ناصر * فنهاره فى لهيب * وليله فى تعذيب * وقد انبرى جسمه من كثرة النحول * ولم يأته من حبيبه رسول ثم كتب هذه الابيات

كتبت ولى قلب بذكرك مولع * وجفن قريح من دمائى يدمع
وجسم كساه لاعج الشوق والاسى * قميص نحول فهو فيه مضعضع
شكوت الهوى لما اضر بى الهوى * ولم يبق عندى للتصبر موضع
اليك فجودى وارحمى وتعطفى * فان فؤادى بالهوى يتقطع

ثم كتب تحت الشعر هذه السجعات * شفاء القلوب * لقاء المحبوب * من جفاه حبيبه * فالله طبيبه من خان منكم ومنا * لا نال ما يتمنى * ولا اطرف من المحب الوافى * الى الحبيب الجافى * ثم كتب فى الامضا من الهائم الولهان * العاشق الحيران * من اقلقه الشوق والغرام * اسير الوجد والهيام * قمر الزمان ابن شهرمان * الى فريدة الزمان * ونخبة الحور الحسان * السيدة بدور * بنت الملك الغيور * اعلمى انى فى ليلى سهران * وفى نهارى حيران * زائد النحول والاسقام * والعشق والغرام * كثير الزفرات غزير العبرات * اسير الهوى * قتيل الجوى غريم الغرام * نديم السقام * فانا السهران الذى لا تجمع مقلته والمتيم الذى لا ترقأ عبرته * فنار قلبى لا تطفى ولهيب شوقى لا يخفى ثم كتب فى حاشية الكتاب

هذا البيت المستطاب

سلام من خزائن لطف ربى * على من عندها روحى وقلبى

وكتب ايضا

هبوا الى حديثا من حديثكم عسى * به ترحموني او يقر جناني
ومن شغفي فيكم ووجدي انني * اهون ما القاه وهو هواني
رعى الله قوما شط عني مزارهم * وصنت لهم سرا باي مكان
وها انا قد جاد الزمان بفضله * وفي ترب اعتاب الحبيب رماني
رأيت بدورا في الفراش بجانبي * زهاقري من شمسها بزماني

ثم ان قمر الزمان بعد ان ختم الكتاب كتب في عنوانه هذه الابيات

سلي كتابي عما خطه قلمي * فالرسم يخبر عن وجدي وعن المي
يدي تخط ودمع العين منهمل * وقد يشتكي الشوق للقرطاس من سقمي
مازال دمعي على القرطاس منسكبا * ان انقضت ادمعي اتبعتها بدمي

ثم كتب ايضا

ارسلت خاتمك الذي استبدلته * يوم التواصل فارسلي لي خاتمي

وكان قد وضع خاتم السيدة بدور في طي الكتاب ثم ناول الكتاب للخادم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما وضع الخاتم في الورقة ناولها للخادم فاخذها ودخل بها الى السيدة بدور فاخذتها من يد الخادم وفتحتها فوجدت خاتمها بعينه ثم قرأت الورقة فلما عرفت المقصود علمت ان معشوقها قمر الزمان وانه هو الواقف خلف الستارة فطار عقلها من الفرح واتسع صدرها وانشرح ومن فرط المسرات انشدت هذه الابيات

ولقد ندمت على تفرق شملنا * دهرا وفاض الدمع من اجفاني
ونذرت ان عاد الزمان بلمنا * لاعدت اذكر فرقة بلساني
هجم السرور علي حتى انه * من فرط ما قد سرني ابكاني
يا عين صار الدمع منك سجية * تبكين في فرح وفي احزان

فلما فرغت السيدة بدور من شعرها قامت من وقتها وصلبت رجليها في الحائط واتكأت بقوتها على الغل الحديد فقطعته من رقبتها وقطعت السلاسل وخرجت من خلف الستارة ورمت روحها على قمر الزمان وقبلته في فمه مثل زق الحمام وعانقته من شدة ما بها من الغرام وقالت له يا سيدي هل هذا يقظة او منام وهل قدر من الله علينا بجمع شملنا ثم حمدت الله وشكرته على جمع شملها بعد اليأس فلما رأها الخادم على تلك الحالة ذهب يجري حتى وصل الى الملك الغيور فقبل الارض بين يديه وقال له يا مولاي اعلم ان هذا المنجم اعلم المنجمين كلهم فانه داوى ابنتك وهو واقف خلف الستارة ولم يدخل عليها فقال الملك للخادم اصحيح هذا الخبر فقال الخادم يا سيدي قم وانظر اليها كيف قطعت السلاسل الحديد وخرجت

للمنجم تقبله وتعانقه فعند ذلك قام الملك الغيور ودخل على ابنته فلما رأته نهضت قائمة وغطت رأسها وانشدت هذين البيتين

لا احب السوال من اجل انى * ان ذكرت السوال قلت سواكا
واحب الاراك من اجل انى * ان ذكرت الاراك قلت اراك

ففرح ابوها بسلامتها وقبلها بين عينيها لانه كان يحبها محبة عظيمة واقبل الملك الغيور على قمر الزمان وسأله عن حاله وقال له من اى البلاد انت فاخبره قمر الزمان بشأنه واعلمه ان والده الملك شهرمان ثم ان قمر الزمان قص عليه القصة من اولها الى آخرها واخبره بجميع ما اتفق له مع السيدة بدور وكيف اخذ الخاتم من اصبعها والبسها خاتمه فتعجب الملك الغيور من ذلك وقال ان حكايتك كما لابد ان تؤرخ فى الكتب وتقرأ بعد كما جيلا بعد جيل ثم ان الملك الغيور احضر القضاة والشهود من وقته وكتب كتاب السيدة بدور على قمر الزمان وامر بتزيين المدينة سبعة ايام ثم مدوا السماط والاطعمة وزينت المدينة وجميع العساكر واقبلت البشائر ودخل قمر الزمان على السيدة بدور وفرح بعافيتها وزواجها وحمدوا الله الذى رماها فى حب شاب مليح من ابناء الملوك ثم جلوها عليه وكانا يشبهان بعضهما فى الحسن والجمال والظرف والدلال ونام قمر الزمان عندها تلك الليلة وبلغ اربه منها وتمتعت هى بحسنه وجماله وتعانقا الى الصباح وفى اليوم الثانى عمل الملك وليمة وجمع جميع اهل الجزائر الجوانية والجزائر البرانية وقدم لهم الاسمطة وامتدت الموائد مدة شهر كامل وبعد ذلك تفكر قمر الزمان اباه وراه فى المنام يقول له يا ولدى اهكذا تفعل معى هذه الفعال وانشده فى المنام هذين البيتين

لقد راعنى بدر الدجى بصدوده * ووكل اجفانى برعى كواكبه
فيا كبدى مهلا عساه يعود لى * ويا مهجتى صبرا على ما كوانبه

ثم ان قمر الزمان لما رأى والده فى المنام يعاتبه اصبح حزينا واعلم زوجته بذلك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما رأى والده فى المنام يعاتبه اصبح حزينا واخبر زوجته السيدة بدور بذلك فدخلت هى واياه على والدها واعلماه واستأذناه فى السفر فاذن له فى السفر فقالت السيدة بدور يا والدى لا اصبر على فراقه فقال لها والدها سافرى معه واذن لها بالاقامة معه سنة كاملة وبعد السنة تجىء لتزوروا والدها فى كل عام مرة فقبلت يد ابيها وكذلك قمر الزمان ثم شرع الملك الغيور فى تجهيز ابنته هى وزوجها وهيأ لهما ادوات السفر واخرج لهما الخيول والمحن واخرج لابنته محفة وحمل لهما البغال والمحن واخرج لهما ما يحتاجان اليه فى السفر وفى يوم المسير ودع الملك الغيور قمر الزمان وخلع عليه خلعة سنية من الذهب مرصعة بالجواهر وقدم له خزنة مال واوصاه على بنته بدور ثم خرج معهما الى طرف الجزائر وبعد ذلك ودع قمر الزمان ثم دخل على ابنته بدور وهى فى المحفة وصار يعانقها ويبكى وانشد هذين البيتين

يا طالبا للفراق صبرا * فتعة العاشق العناق
مهلا فطبع الزمان غدر * واخر العشرة الفراق

ثم خرج من عند ابنته واتى الى زوجها قمر الزمان فصار يودعه ويقبله ثم فارقهما وعاد الى جزائره بعسكره بعد ان امرهما بالرحيل فسار قمر الزمان هو وزوجته السيدة بدور ومن معهم من الاتباع اول يوم والثانى والثالث والرابع ولم يزالوا مسافرين مدة شهر ثم نزلوا فى مرج واسع كثير الكلاء وضربوا خيامهم فيه واكلوا وشربوا واستراحوا ونامت السيدة بدور فدخل عليها قمر الزمان فوجدها نائمة وفوق بدنها قميص مشمشى من الحرير بين منه كل شئ وفوق رأسها كوفية من الذهب مرصعة بالجواهر وقد رفع الهواء قميصها فطلع فوق سرتها عند نهودها فبان لها بطن ابيض من الثلج وكل عكنة من عكن طيانه تسع اوقية من دهن البان فزاد محبة وهياما وانشد هذين البيتين

لو قيل لى وزفير الحر متقد * والنار فى القلب والاحشاء تضطرم

اهم تريد وتهوى ان تشاهدهم * او شربة من زلال الماء قلت هم

لحظ قمر الزمان يده فى دكة لباسها فجذبها وحلها لما اشتهاها خاطره فرأى فصا احمر مثل العندم مربوطا على الدكة وعليه اسماء منقوشة سطرين بكتابة لا تقرء فتعجب قمر الزمان من تلك القصة وقال فى نفسه لولا ان هذا الفص امر عظيم عندها ما ربطته هذه الربطة على دكة لباسها وما خبأته فى اعز ما كان عندها حتى لا تفارقه فماذا اصنع بهذا وما السر الذى هو فيه ثم اخذه وخرج من الخيمة ليبصره فى النور وادرك الشهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه لما اخذ الفص ليبصره فى النور صار يتأمل فيه واذا بطائر انقض عليه وخطفه من يده وطار به وحط به على الارض فخاف قمر الزمان على الفص وجرى خلف الطائر وصار الطائر يجرى على قدر جرى قمر الزمان وصار قمر الزمان خلفه من وادى الى واد ومن تل الى تل الى ان دخل الليل وتغلس الظلام فنام الطائر على شجرة عالية فوقف قمر الزمان تحتها وصار باهتا وقد ضعف من الجوع والتعب وظن انه هالك واراد ان يرجع فما عرف الموضع الذى جاء منه وهجم عليه الظلام فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم نام تحت الشجرة التى فوقها الطائر الى الصباح ثم انتبه من نومه فوجد الطائر قد انتبه وطار من فوق الشجرة فمشى قمر الزمان خلفه وصار ذلك الطائر يطير قليلا بقدر مشى قمر الزمان فتبسم قمر الزمان وقال يا لله العجب ان هذا الطائر كان بالامس يطير بقدر جرتى وفى هذا اليوم علم انى اصبحت تعبانا لا اقدر على الجرى فصار يطير على قدر مشى ان هذا عجيب ولكن لا بد ان اتبع هذا الطائر فاما ان يعود فى الى حياتى او الى مماتى فانا اتبعه ايما يتوجه لانه على كل حال لا يقيم الا فى البلاد العمار ثم ان قمر الزمان جعل يمشى تحت الطائر والطائر يبيت فى كل ليلة على شجرة ولم يزل تابعه مدة عشرة ايام وقمر الزمان يتقوت من نبات الارض ويشرب من الانهار وبعد العشرة ايام اشرف على مدينة عامرة فطار الطائر فى تلك المدينة مثل لمح البصر وغاب عن قمر الزمان ولم يعرف اين راح فتعجب قمر الزمان وقال الحمد لله الذى سلمنى حتى وصلت الى هذه المدينة ثم جلس عند الماء وغسل يديه ورجليه ووجهه واستراح ساعة وتذكر ما كان فيه من الراحة ونظر الى ما هو فيه من الغربة والجوع والتعب فانشد يقول

اخفيت ما القاه منه وقد ظهر * والنوم من عينى تبدل بالسهر

ناديت لما اوهنت قلبى الفكر * يا دهر لا تبقى على ولا تذر

هاموجتى بين المشقة والخطر
لو كان سلطان المحبة منصفى * ما كان نومى من عيونى قد نفى
ياسادتى رفقا بصب مدنف * وتعطفوا لعزيز قوم ذل فى
شرع الهوى وغنى قوم افتقر
لحى العواذل فيك ما طاوعتهم * وسددت كل مسامعى وصممتهم
قالوا عشقت مهفهفا فاجبتهم * اخترته من بينهم وتركتهم
كفوا اذا وقع القضا عمى البصر

ثم ان قمر الزمان لما فرغ من شعره واستراح دخل باب المدينة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما فرغ من شعره واستراح دخل باب المدينة وهو لا يعلم اين يتوجه فمشى فى المدينة جميعها وقد كان دخل من باب البر ولم يزل يمشى الى ان خرج من باب البحر فلم يقابله احد من اهلها وكانت مدينة على جانب البحر ثم انه بعد ان خرج من باب البحر مشى ولم يزل ماشيا حتى وصل الى بساتين المدينة وشق بين الاشجار فاتى الى بستان ووقف على بابه فخرج اليه الخولى ورحب به وقال له الحمد لله الذى اتيت سالما من اهل هذه المدينة فادخل هذا البستان سريعا قبل ان يراك احد من اهلها فعند ذلك دخل قمر الزمان ذلك البستان وهو ذاهل العقل وقال للخولى ما حكاية اهل هذه المدينة وما خبرهم فقال له اعلم ان اهل هذه المدينة كلهم مجوس فبالله عليك ان تخبرنى كيف وصلت الى هذا المكان وما سبب دخولك فى بلادنا فعند ذلك اخبره قمر الزمان بجميع ما جرى له فتعجب الخولى من ذلك غاية العجب وقال له اعلم يا ولدى ان بلاد الاسلام بعيدة من هنا فبيننا وبينها اربعة اشهر فى البحر واما فى البر فسنة كاملة وان عندنا مركبا تقلع وتسافر كل سنة ببضائع الى اول بلاد الاسلام وتسير من هنا الى بحر جزائر الابنوس ومنه الى جزائر خالدان وملكها يقال له السلطان شهرمان فعند ذلك تفكر قمر الزمان فى نفسه ساعة زمانية وعلم انه لا اوفق له من قعوده فى البستان عند الخولى ويعمل عنده مربعا فقال للخولى هل تقبلنى عندك مربعا فى هذا البستان فقال له الخولى سمعا وطاعة ثم علمه تحويل الماء بين الاشجار فصار قمر الزمان يحول الماء ويقطع الحشيش بالفاس ويلبسه الخولى بشتا قصيرا ازرق يصل الى ركبته وصار يسقى الاشجار ويبكى بالدموع الغزار وينشد الاشعار بالليل والنهار فى معشوقته بدور فمن جملة ذلك هذه الابيات

لنا عندكم وعد فهلا وفيتم * وقلتم لنا قولا فهلا فعلتم
سهرنا على حكم الغرام ونمتم * وليس سواء ساهرون ونوتم
وكنا عهدنا انكم نكتم الهوى * فاغراكم الواشى وقال وقلتم
فيا ايها الاحباب فى السخط والرضى * على كل حال انتم اقصد انتم
ولى عند بعض الناس قلب معذب * فيا ليته يرثى لحالى ويرحم
وما كل عين مثل عينى قريحة * ولا كل قلب مثل قلبى متيم

ظلمتم وقلتم انما الحب ظالم * صدقتم كذا كان الحديث صدقتم
سلوا مغرما لا ينقض الدهر عهده * ولو كان فى احشائه النار تضرم
اذا كان خصمى فى الصبابة حاكمى * لمن اشتكى خصمى لمن اتظلم
ولولا افتقارى فى الهوى وصبابتى * لما كان لى فى العشق قلب متيم

هذا ما كان من امر قمر الزمان بن الملك شهرمان واما ما كان من امر زوجته السيدة بدور بنت الملك الغيور فانها لما استيقظت من نومها طلبت زوجها قمر الزمان فلم تجده ورأت سروالها محلولا فافتقدت العقدة فوجدتها محلولة والفص معدوما فقالت فى نفسها يا الله العجب اين معشوقى كانه اخذ الفص وراح وهو لا يعلم السر الذى هو فيه فيا ترى اين راح ولكن لا بد له من امر عجيب اقتضى رواحه فانه لا يقدر ان يفارقنى ساعة فلعن الله الفص ولعن ساعته ثم ان السيدة بدور تفكرت وقالت فى نفسها ان خرجت الى الحاشية واعلمتهم بفقد زوجى يطمعوا فى ولكن لا بد من الحيلة ثم انها لبست ثياب قمر الزمان ولبست عمامة كعمامته وضربت لها التاما وحطت فى محفتها جارية وخرجت من خيمتها وصرخت على الغلمان فقدموا لها الجواد فركبت وامرت بشد الاحمال فشدوا الاحمال وسافروا واخفت امرها لانها كانت تشبه قمر الزمان فما شك احد انها قمر الزمان بعينه وما زالت مسافرة هى واتباعها اياما وليالى حتى اشرفت على مدينة مطلة على البحر المالح فنزلت بظاهرها وضربت خيامها فى ذلك المكان لاجل الاستراحة ثم سألت عن هذه المدينة فقيل لها هذه مدينة الابنوس وملكها الملك ارمانوس وله بنت اسمها حياة النفوس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان السيدة بدور لما نزلت بظاهر مدينة الابنوس لاجل الاستراحة ارسل الملك ارمانوس رسولا من عنده يكشف له خبر هذا الملك النازل بظاهر المدينة فلما وصل اليهم الرسول سألهم فاخبروه ان هذا ابن ملك تايه عن الطريق وهو قاصد جزائر خالدان والملك شهرمان فعاد الرسول الى الملك ارمانوس واخبره بالخبر فلما سمع الملك ارمانوس هذا الكلام نزل هو وارباب دولته الى مقابلته فلما قدم على الخيام ترجلت السيدة بدور وترجل الملك ارمانوس وسلما على بعضهما واخذها ودخل بها الى مدينته وطلع بها الى قصره وامر بمد السماط وموائد الاطعمة وامر بنقل السيدة بدور الى دار الضيافة فاقامت هناك ثلاثة ايام وبعد ذلك اقبل الملك ارمانوس على السيدة بدور وكانت دخلت فى ذلك اليوم الحمام واسفرت عن وجه كانه البدر عند التمام فافتتن بها العالم وتهتكت بها الخلق عند رؤيتها فعند ذلك اقبل الملك ارمانوس عليها وهى لابسة حلة من الحرير مطرزة بالذهب المرصع بالجواهر وقال لها يا ولدى اعلم انى بقيت شيخا هرما وعمرى ما رزقت ولدا غيرك وهى على شكلك وقدك فى الحسن والجمال وعجزت عن الملك فهل لك يا ولدى ان تقيم بارضى وتكن بلادى وازوجك ابنتى واعطيك مملكتى فاطرقت السيدة بدور رأسها وعرق جبينها من الحياء وقالت فى نفسها كيف يكون العمل وانا امرأة فان خالفت امره وسرت ربما يرسل خلفى جيشا يقتلنى وان اطعته ربما افتضح وقد فقدت محبوبى قمر الزمان ولم اعرف له خبرا ومالى خلاص الا ان اجيبه الى قصده واقيم عنده حتى يقضى الله امرا كان مفعولا ثم ان السيدة بدور رفعت رأسها واذعنت للملك بالسمع والطاعة ففرح الملك بذلك وامر

المنادى ان ينادى فى جزائر الابنوس بالفرح والزينة وجمع الحجاب والنواب والامراء والوزراء وارباب دولته وقضاة مدينته وعزل نفسه من الملك وسلطن السيدة بدور والبسها بدلة الملك ودخلت الامراء جميعا على السيدة بدور وهم لا يشكون فى انها شاب وصار كل من نظر اليها منهم جميعا يبل سراويله لفرط حسنها وجمالها فلما تسلطنت الملكة بدور ودقت لها البشائر بالسرور وشرع الملك ارمانوس فى تجهيز ابنته حياة النفوس وبعد ايام قلائل ادخلوا السيدة بدور على حياة النفوس فكانتا كانهما بدران اجتمعا او شمسان فى وقت طلعا فردوا عليهما الابواب وارخوا الستائر بعد ان اوقدوا لهما الشموع وفرشوا لهما الفرش فعند ذلك جلست السيدة بدور مع السيدة حياة النفوس فتذكرت محبوبها قرة الزمان واشتدت بها الاحزان فسكبت العبرات وانشدت هذه الابيات

يا راحلين وقلبى زاد انقلق * لم يبق بينكم فى الجسم من رمق
قد كان لى مقلة تشكو السهاد وقد * اذابها الدمع يا ليت السهاد بقى
لما رحلتم اقام الصب بعدكم * لكن سلوا عنه ماذا فى البعاد لقى
لولا جفونى وقد فاضت مدامعها * لاحرقت عرصات الارض من حرقى
اشكو الى الله احبابا عدمتهم * لم يرحموا صبوتى فيهم ولا قلقى
لا ذنب لى عندهم الا الغرام بهم * والناس بين سعيد فى الهوى وشقى

ثم ان السيدة بدور لما فرغت من انشادها جلست الى جانب السيدة حياة النفوس وقبلتها فى فمها ونهضت من وقتها وساعتها وتوضأت ولم تزل تصلى حتى نامت السيدة حياة النفوس ثم دخلت السيدة بدور معها فى الفرش وادارت ظهرها لها الى الصباح فلما طلع النهار دخل الملك هو وزوجته الى ابنتهما وسألاها عن حالها فاخبرتهما بما جرى وما سمعته من الشعر هذا ما كان من امر حياة النفوس وابويها واما ما كان من امر الملكة بدور فانها خرجت وجلست على كرسى المملكة وطلعت اليها الامراء وارباب الدولة وجميع الرؤساء والجيوش وهنوها بالملك وقبلوا الارض بين يديها ودعوا لها فاقبلت عليهم وتبسمت وخلعت عليهم وزادت فى اقطاع الامراء فحبها العسكر والرعية ودعوا لها بدوام الملك وهم يعتقدون انها ذكر ثم انها امرت ونهت وحكمت وعدلت واطلقت من فى الحبوس وابطلت المكوس ولم تزل قاعدة فى مجلس الحكومة الى ان دخل الليل ثم دخلت المكان المعد لها فوجدت السيدة حياة النفوس جالسة فجلست بجانبها وطقطقت على ظهرها ولاطفتها وقبلتها بين عينيها وانشدت هذه الابيات

قد صار سرى بالدموع علانيه * وتحول جسمى فى الغرام علانيه
اخفى الهوى ويذيعه الم النوى * حالى على الواشين ليست خافيه
يا راحلين عن الحمى خلفتم * جسمى بكم مضنى ونفسى باليه
وسكنتم غور الحشى فنواظرى * تجرى مدامعها وعينى داميه
وانا فداء الغائبين بمهجتى * ابدا واشواقى اليهم باديه
لى مقلة مقروحة فى حبهم * جفت الكرى ودموعها متواليه
ظن العدى منى عليه تجلدا * هيهات ما اذنى اليهم واعيه
خابت ظنونهم لدى وانما * قهر الزمان به انال امانيه
جمع الفضائل ما حواها قبله * احد سواه فى العصور الخاليه

اندى الانام بجوده وبعفوه * كرم ابن زائدة وحلم معاويه
لولا الاطالة والقريض مقصر * عن حصر حسنك لم ادع من قافيه

ثم ان الملكة بدور نهضت قائمة على اقدامها ومسحت دموعها وتوضأت وصلت ولم تزل تصلى الى ان غلب النوم على السيدة حياة النفوس فنامت فجاءت الملكة بدور ورقدت بجانبها الى الصباح ثم قامت وصلت الصبح وجلست على كرسى المملكة وامرت ونهت وحكمت وعدلت هذا ما كان من امرها واما ما كان من امر الملك ارمانوس فانه دخل على ابنته وسألها عن حالها فاخبرته بجميع ما جرى لها وانشدته الشعر الذى قالته الملكة بدور وقالت يا ابى ما رأيت احدا اكثر عقلا وحياء من زوجى غير انه يبكى ويتنهد فقال لها ابوها يا بنتى اصبرى عليه فبقى غير هذه الليلة الثالثة فان لم يدخل بك ويزيل بكارتك لم يكن لنا معه رأى وتدبير واخلعه من الملك وانفيه من بلادنا فاتفق مع ابنته على هذا الكلام واضمر على هذا الرأى وادرك الشهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة العاشرة بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك ارمانوس اتفق مع ابنته على هذا الكلام واضمر على هذا الرأى ولما اقبل الليل قامت الملكة بدور من دست المملكة الى القصر ودخلت المكان الذى هو معد لها فرأت الشمع موقودا والسيدة حياة النفوس جالسة فتذكرت زوجها وما جرى بينهما فى تلك المدة اليسيرة فبكت ووالت الزفرات وانشدت هذه الابيات

قسما لقد ملأت احاديثى الفضا * كالشمس مشرقة على ذات الغضا
نطقت اشارته فاشكل فهمها * فلذا لك شوقى فى المزيد ومانقضى
ابغضت حسن الصبر مذ احببته * ارأيت صبا فى الصبابة مبغضا
وبمرض اللحظات صال بفتكها * واللحظ اقتل ما يكون بمرضا
الق ذوائبه وحط لثامه * فرأيت منه الحسن اسود ابيضا
سقمى وبرئى فى يديه وانما * يشفى سقام الحب من قد امرضا
هام الوشاح برقة فى خصره * والردف من حسد ابى ان ينهضا
وكأن طرته وضوء جبينه * ليل دجى فاعتاقه صبح اضا

فلما فرغت من انشادها ارادت ان تقوم الى الصلاة واذا بحياة النفوس تعلقت بذيلها وقالت لها يا سيدى اما تستحى من والدى وما فعل معك من الجميل وانت تتركنى الى هذا الوقت فلما سمعت منها ذلك جلست فى مكانها وقالت لها يا حبيبتى ما الذى تقولينه قالت الذى اقوله انى ما رأيت احدا معجبا بنفسه مثلك فهل كل من كان مليحا يهب بحسنه هكذا ولكن انا ما قلت هذا الكلام لاجل ان ارغبك فى وانما قلته خيفة عليك من الملك ارمانوس فانه اضمر ان لم تدخل بى فى هذه الليلة وتزيل بكارتى انه ينزعك من المملكة فى غد ويسفرك من بلاده وربما يزيد به الغيظ فيقتلك وانا يا سيدى رحمتك ونصحتك والرأى رأيك فلما سمعت الملكة بدور منها ذلك الكلام اطرقت برأسها الى الارض وتحيرت فى امرها ثم قالت فى نفسها ان خالفته هلكت وان اطعته افتضحت ولكن انا فى هذه الساعة ملكة على جزائر الابنوس كلها وهى تحت حكمى وما اجتمع انا وقرلزمان الا فى هذا المكان لانه ليس له طريق الى بلاده الا من جزائر

الابنوس وقد فوضت امرى الى الله فهو نعم المدبر ثم ان الملكة بدور قالت لحياة النفوس يا حبيبتى ان تركك وامتناعى عنك بالرغم منى وحكت لها ما جرى من المبتدا الى المنتهى وارتها نفسها وقالت لها سألتك بالله ان تخفى امرى وتكتمى سرى حتى يجمعنى الله بمحبوبى قمر الزمان وبعد ذلك يكون ما يكون وادر لك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية عشر بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان السيدة بدور لما اعلمت حياة النفوس بقصتها وامرتها بالكتمان تعجبت من ذلك غاية العجب ورقت لها ودعت لها بالجمع شملها على محبوبها قمر الزمان وقالت لها يا اختى لا تخافى ولا تفزعى واصبرى الى ان يقضى الله امرا كان مفعولا ثم ان حياة النفوس انشدت هذين البيتين

السر عندى فى بيت له غلق * قد ضاع مفتاحه والبيت مختوم
ما يكتم السر الا كل ذى ثقة * والسر عند خيار الناس مكتوم

فلما فرغت من شعرها قالت يا اختى ان صدور الاحرار قبور الاسرار وانا الافشى للسر ثم لعبتا ونعانقتا ونامتا الى قريب الاذان ثم قامت حياة النفوس واخذت دجاجة وذبحتها وتلطخت بدمها وقلعت سروالها وصرخت فدخل اليها اهلها وزغرتت الجوارى ودخلت عليها امها وسألتها عن حالها واقامت عندها الى المساء واما الملكة بدور فانها لما اصبحت قامت وذهبت الى الحمام واغتسلت وصلت الصبح ثم توجهت الى مجلس الحكومة وجلست على كرسى المملكة وحكمت بين الناس فلما سمع الملك ارمانوس الزغاريت سأل عن الخبر فاخبروه بافتضاض بنته ففرح بذلك واتسع صدره وانشرح واولم الولائم ولم يزالوا على تلك الحالة مدة من الزمان هذا ما كان من امرهما واما ما كان من امر الملك شهرمان فانه بعد خروج ولده الى الصيد والقنص هو ومرزوان كما تقدم صبر حتى اقبل عليه الليل فلم يجى ولده فتحير عقله ولم ينم تلك الليلة وقلق غاية القلق وزاد وجده واحترق وما صدق ان الفجر انشق حتى اصبح ينتظر ولده الى نصف النهار فلم يجى فحس قلبه بالفراق والتهب على ولده من الاشفاق ثم بكى حتى نيابه بالدموع وانشد من قلب مصدوع

ما زلت معترضا على اهل الهوى * حتى بليت بحلوه ومره
وشربت كأس مراره متجرعا * وذللت فيه لعبده وحره
نذر الزمان بان يفرق شملنا * والان قد اوفى الزمان بنذره

فلما فرغ من شعره مسح دموعه ونادى فى عسكره بالرحيل والحث على السفر الطويل فركب الجيش بجميعه وخرج السلطان وهو محترق القلب على ولده قمر الزمان وقلبه بالحزن ملآن ثم فرق جيشه يمينا وشمالا واماما وخلفا ست فرق وقال لهم الاجتماع غدا عند مفرق الطريق فتفرقت الجيوش والعسكر كما ذكرنا وسافرت الخيول ولم يزالوا مسافرين بقية النهار الى ان جن الليل فساروا جميع الليل الى نصف النهار حتى وصلوا الى مفرق اربع طرق فلم يعرفوا اى طريق سلكها ثم رأوا اثر الخشة مقطعة ورأوا اللحم مقطعا فنظروا اثر الدم باقيا وشاهدوا كل قطعة من الثياب واللحم فى ناحية فلما رأى الملك شهرمان ذلك صرخ صرخة عظيمة من صميم قلبه وقال واولداه ولطم على وجهه ونتف لحيته ومزق ثوابه

وايقن بموت ولده وزاد فى البكاء والنحيب وبكت لبكائه العساكر وكلهم ايقنوا بهلاك قمر الزمان وحثوا على رأوسهم التراب ودخل عليهم الليل وهم فى بكاء ونحيب حتى اشرفوا على الهلاك واحترق قلب الملك بلهيب الزفرات وانشد هذه الابيات

لاتعذلوا المحزون فى احزانه * فلقد كفاه الوجد من اشجانه
يبكى لفرط تأسف وتوجع * وغرامه ينبيك عن نيرانه
ياسعد من لمتيم حلف الضنى * ان لا يزيل الدمع من اجفانه
يبدى الغرام لفقد بدر زاهر * بضيائه يزهو على اقرانه
ولقد سقاه الموت كأس مترعا * يوم الرحيل فشط عن اوطانه
ترك الديار وسار عنا للبلا * لم يحظ بالتوديع من اخوانه
ولقد رمانى بالبعاد وبالجفا * والصد والتبريح من هجرانه
ولقد مضى عنا وفارقنا ضحى * لما حباه ربه بجنانه

فلما فرغ من انشاده رجع بجيوشه الى مدينته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية عشر بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان لما فرغ من انشاده رجع بجيوشه الى مدينته وايقن بهلاك ولده وعلم انه عدى عليه وافترسه اما وحش واما قاطع طريق ثم نادى فى جزائر خالدان ان يلبسوا السواد من الاحزان على ولده قمر الزمان وعمل له بيتا وسماه بيت الاحزان وصار كل يوم خميس واثنين يحكم فى مملكته بين عسكره ورعيته وبقية الجمعة يدخل بيت الاحزان ويبكى ولده ويرثيه بالاشعار فمن ذلك قوله

فيوم الامانى يوم قربكم منى * ويوم المنايا يوم اعراضكم عنى
اذا بت مرعوبا اهدد بالردى * فوصلكم عندى الذى من الامن

ومن ذلك قوله

نفسى الفداء لظاعنين رحيلهم * انكى وافسد فى القلوب وعاثا
فاليقض عدته السرور فانى * طلقت بعدهم النعيم ثلاثا

هذا ما كان من امر الملك شهرمان واما ما كان من امر الملكة بدور بنت الملك الغيور فانها صارت ملكة فى بلاد الابنوس وصار الناس يشيرون اليها بالبنان ويقولون هذا صهر الملك ارمانوس وكل ليلة تنام مع السيدة حياة النفوس وتشتكى وحشة زوجها قمر الزمان وتصف لها حسنه وجماله وتتمنى ولوفى المنام وصاله هذا ما كان من امر الملكة بدور واما ما كان من امر قمر الزمان فانه لم يزل مقيما عند الخولى فى البستان مدة من الزمان وهو يبكى بالليل والنهار ويتحسر وينشد الاشعار على اوقات الهنا والسرور والخولى يقول له فى آخر السنة تسير المركب الى بلاد المسلمين ولم يزل قمر الزمان على تلك الحالة الى ان رأى الناس مجتمعين على بعضهم فتعجب من ذلك فدخل عليه الخولى وقال له يا ولدى بطل الشغل فى هذا اليوم ولا تحول الماء الى الاشجار لان هذا اليوم عيد والناس فيه يزور بعضهم بعضا فاستريح واجعل بالك الى الغيط فانى اريدان ابصر لك مركبا فما بقى الا القليل وارسلك الى بلاد المسلمين ثم ان الخولى

خرج من البستان وبقى قمر الزمان وحده فانكسر خاطره وجرت دموعه ولم يزل يبكى حتى غشى عليه فلما افاق قام يتمشى فى البستان وهو متفكر فيما فعل به الزمان وطول البعد والهجران وعقله ولهان فعثر ووقع على وجهه فجاءت جبهته على جذر شجرة فجرى دمه واختلط بدموعه فمسح دمه ونشف دموعه وشد جبهته بخرقة وقام يتمشى فى ذلك البستان وهو ذاهل العقل فنظر بعينه الى شجرة فوقها طائران يتخاصمان فغلب احدهما على الاخر ونقره فى عنقه فخلص رقبته من جثته ثم اخذ رأسه وطار بها ووقع المقتول فى الارض قدام قمر الزمان فبينما هو كذلك واذا بطائرين كبيرين قد انقضا عليه ووقف واحد منهما عند رأسه والاخر عند ذنبه ورخيا اجنحتهما عليه ومدا اعناقهما اليه وبكيا فبكى قمر الزمان على فراق زوجته حين رأى الطائرين يبكيان على صاحبهما وادركه شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة عشر بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان بكى على فراق زوجته فرأى الطائرين يبكيان على صاحبهما ثم ان قمر الزمان رأى الطائرين حفرا حفرة ودفنا الطائر المقتول فيها وطارا الى الجو وغابا ساعة ثم عادا ومعهما الطائر القاتل فنزلا به على قبر المقتول وبركا على القاتل حتى قتلاه وشقا جوفه واخرج امعاءه واراقا دمه على قبر الطائر المقتول ثم نثرا لحمه ومزقا جلده واخرجا ما فى جوفه وفرقاه اى اماكن متفرقة هذا كله يرى قمر الزمان ينظر ويتعجب فخانت منه التفاتة الى الموضع الذى قتلا فيه الطائر فوجد شيأ يلمع فدنا منه فوجده حوصلة الطائر فاخذها وفتحها فوجد فيها الفص الذى كان سبب فراقه من زوجته فلما رأه وعرفه وقع على الارض مغشيا عليه من فرحته فلما افاق قال فى نفسه هذا علامة الخير وبشارة الاجتماع بمحبوبتى ثم تأمله ومر به على عينه وربطه على ذراعه واستبشر بالخير وقام يتمشى لينتظر الخولى ولم يزل يفتش عليه الى الليل فلم يأت فبات قمر الزمان فى موضعه الى الصباح ثم قام الى شغله وشد وسطه بحبل من الليف واخذ الفاس والقفة وشق فى البستان فاتى الى شجرة خروب وضرب الفاس فى جذرها فطنت الضربة فكشف التراب عن موضعها فوجد طابقا ففتحه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة عشر بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما فتح ذلك الطابق وجد بابا فنزل فيه فلقى قاعة قديمة من عهد ثمود وعاد وتلك القاعة واسعة وهى مملوءة ذهبا احمر فقال فى نفسه لقد ذهب انتعب وجاء الفرح والسرور ثم ان قمر الزمان طلع من المكان الى ظاهر البستان ورد الطابق كما كان ورجع الى البستان وتحويل الماء على الاشجار ولم يزل كذلك الى آخر النهار فجاء الخولى وقال يا ولدى ابشر برجوعك الى الاوطان فان التجار تجهز والسفر والمركب بعد ثلاثة ايام مسافرة الى مدينة الابنوس وهى اول مدينة من مدائن المسلمين فاذا وصلت اليها نسافر فى البرستة اشهر حتى تصل الى جزائر خالدان والملك شهرمان ففرح قمر الزمان بذلك ثم قبل يد الخولى وقال له يا والدى كما بشرتنى فانا ابشرك بشارة واخبره بامر القاعة ففرح الخولى وقال يا ولدى انا لى فى هذا البستان ثمانون عاما ما وقفت على شئ وانت لك عندى دون السنة وقد رأيت هذا الامر فهو رزقك وسبب زوال عكسك ومعين لك على وصولك الى اهلك واجتماع

شملك بمن تحب فقال قمر الزمان لابد من القسمة بيني وبينك ثم اخذ الخولي ودخل به الى تلك القاعة واراه الذهب وكان في عشرين خابية فاخذ عشرة والخولي عشرة فقال له الخولي يا ولدي عبي لك امطارا من الزيتون العصافيري الذي في هذا البستان فانه معدوم في غير بلادنا وتحمله التجار الى جميع البلاد واجعل الذهب في الامطار والزيت فوق الذهب ثم سدها وخذها في المركب فقام قمر الزمان من وقته وساعته وعبى خمسين مطرا ووضع الذهب فيها وسد عليه بعد ان جعل الزيتون فوق الذهب وحط الفص معه في مطر وجلس هو والخولي يتحدثان ويتفقان بجمع شمله وقربه من اهله وقال في نفسه اذا وصلت الى جزيرة الابنوس اسافر منها الى بلادابي واسأل عن محبوبتي بدور فيما ترى هل رجعت الى بلادها او سافرت الى بلادابي او حدث لها حادث في الطريق ثم جلس قمر الزمان ينتظر انقضاء الايام وحكى للخولي حكاية الطيور وما وقع بينهما فتعجب الخولي من ذلك ثم ناما الى الصباح فاصبح الخولي ضعيفا واستمر على ضعفه يومين وفي ثالث يوم اشتد به الضعف حتى يئسوا من حياته فحزن قمر الزمان على الخولي فبينما هو كذلك واذا بالريس والبحرية قد اقبلوا وسألوا عن الخولي فاخبرهم بضعفه فقالوا اين الشاب الذي يريد السفر معنا الى جزيرة الابنوس فقال لهم قمر الزمان هو المملوك الذي بين ايديكم ثم امرهم بتحويل الامطار الى المركب فنقلوها الى المركب وقالوا القمر الزمان اسرع فان الريح قد طاب فقال لهم سمعا وطاعة ثم نقل زوادته الى المركب ورجع الى الخولي يودعه فوجده في النزع فجلس عند رأسه حتى مات ونمضه وجهزه وواراه في التراب ثم توجه الى المركب فوجدها ارخت القلوع وسارت ولم تزل تشق البحر حتى غابت عن عينه فصار قمر الزمان مدهوشا حيران ثم رجع الى البستان وهو مهموم مغموم وحثى التراب على رأسه وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان رجع الى البستان وهو مهموم مغموم بعد ان سافرت المركب واستأجر البستان من صاحبه واقام تحت يده رجلا يعاونه على سقي الشجر وتوجه الى الطابق ونزل الى القاعة وعبى الذهب الباقي في خمسين مطرا ووضع فوقه الزيتون وسأل عن المركب فقالوا انها لا تسافر الا في كل سنة مرة واحدة فزاد به الوسواس وتحسر على ما جرى له لا سيما فقد الفص الذي للسيدة بدور فصار يبكي بالليل والنهار وينشد الاشعار هذا ما كان من امر قمر الزمان واما ما كان من امر المركب فانه طاب لها الريح ووصلت الى جزيرة الابنوس واتفق بالامير المقدور ان الملكة بدور كانت جالسة في الشباك فنظرت الى المركب وقد رست في الساحل فخفق فؤادها وركبت هي والامراء والحجاب وتوجهت الى الساحل ووقفت على المركب وقد دار النقل في البضائع الى المخازن فاحضرت الريس وسألته عما معه فقال ايها الملك ان معي في هذه المركب من العقاقير والسفوفات والاكحال والمراهم والادهان والاموال والاقمشة الفاخرة والبضائع النفيسة ما يعجز عن حمله الجمال والبغال وفيها من اصناف العطر والبهار ومن العود القاقلي والتمر الهندي والزيتون العصافيري ما يندر وجوده في هذه البلاد فاشتهت نفسها الزيتون وقالت لصاحب المركب ما مقدار الذي معك من الزيتون قال معي خمسون مطرا ملانة ولكن صاحبها ما حضر معنا والملك يأخذ ما اشتهاه منها فقالت اطلعوها في البر لانظر اليها فصاح الريس على البحرية فطلعوا بالخمسين مطرا فقتحت واحدا ونظرت الزيتون وقالت انا اخذ هذه

الخمسين مطرا واعطيكم حقها منهما كان فقال الريس هذا ماله فى بلادنا قيمة ولكن صاحبها تأخر عنا وهو رجل فقير فقالت وما مقدار ثمنها قال الف درهم قالت انا اخذها بالف درهم ثم امرت بنقلها الى القصر فلما جاء الليل امرت باحضار مطرفكشفته وما فى البيت غيرها هى وحياة النفوس ثم حطت بين يديها طبقا ووضعت فيه شيأ من المطر فنزل فى الطبق كوم من الذهب الاحمر فقالت للسيدة حياة النفوس ماهذا الا ذهبا ثم اختبرت الجميع فوجدتها كلها ذهبا والزيتون كله ما يملأ مطرا واحدا وفتشت فى الذهب فوجدت الفص فيه فاخذته وتأملته فوجدته الفص الذى كان فى دكة لباسها واخذه قمر الزمان فلما تحققته صاحت من فرحتها وخرت مغشيا عليها وادركها شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة عشر بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملكة بدور لما رأت الفص صاحت من فرحتها وخرت مغشيا عليها فلما افاقت قالت فى نفسها ان هذا الفص كان سببا فى فراق محبوبى قمر الزمان ولكنه بشير الخير ثم اعلمت السيدة حياة النفوس بان وجوده بشارة الاجتماع فلما اصبح الصباح جلست على كرسى المملكة واحضرت ريس المركب فلما حضر قبل الارض بين يديها فقالت اين خليتم صاحب هذا الزيتون قال يا ملك الزمان تركناه فى بلاد المجوس وهو خولى بستان فقالت له ان لم تأت به فلا تعلم ما يجرى عليك وعلى مركبك من الضرر ثم امرت بالختم على مخازن التجار وقالت لهم ان صاحب هذا الزيتون غريبى ولى عليه دين وان لم يأت لاقتلنكم جميعا وانهب تجارتكم فاقبلوا على الريس ووعدوه باجرة مركبه ويرجع ثانى مرة وقالوا له خلصنا من هذا الغاشم فنزل الريس فى المركب وحل قلوعها وكتب الله لها السلامة حتى دخل الجزيرة فى الليل وطلع الى البستان وكان قمر الزمان قد طال عليه الليل وتذكر محبوبته فقعد يبكى على ما جرى له وهو فى البستان ثم ان الريس دق الباب على قمر الزمان ففتح الباب وخرج اليه فحمله البحرية ونزلوا به الى المركب وحلوا القلوع وساروا ولم يرا لواسائرين اياما وليالى وقمر الزمان لا يعلم ما يوجب ذلك فسألهم عن السبب فقالوا له انت غريم الملك صاحب جزائر الابنوس صهر الملك ارمانوس وقد سرقت ماله يا مخوس فقال والله عمرى ما دخلت هذه البلاد ولا اعرفها ثم انهم ساروا به حتى اشرفوا على جزائر الابنوس وطلعوا به على السيدة بدور فلما رأته عرفته وقالت دعوه عندالخدام ليدخلوا به الحمام وافرجت عن التجار وخلعت على الريس خلعة تساوى عشرة الاف دينار ودخلت على حياة النفوس واعلمتها بذلك وقالت لها اكتمى الخبر حتى ابلغ مرادى واعمل عملا يؤرخ ويقرأ بعدنا على الملوك والرعايا وحين امرت ان يدخلوا بقمر الزمان الحمام فدخلوا به الحمام والبسوه لبس الملوك ولما طلع قمر الزمان من الحمام صار كأنه غصن بان او كوكب يخجل بطلعته القمران وردت روحه اليه ثم توجه اليها ودخل القصر فلما نظرته صبرت قلبها حتى يتم مرادها وانعمت عليه بمماليك وخدم وجمال وبغال واعطته خزانة مال ولم تزل ترقى قمر الزمان من درجة الى درجة حتى جعلته خازندار وسلمت اليه الاموال واقبلت عليه وقربته منها واعلمت الامراء بمنزلته فاحبوه جميعهم وصارت الملكة بدور كل يوم تزيده فى المرتبات وقمر الزمان لا يعرف ما سبب تعظيمها له ومن كثرة الاموال صار يهب ويكرم ويخدم الملك ارمانوس حتى احبه وكذلك احبته الامراء والخواص والعوام وصاروا يحلفون بحياته كل ذلك وقمر الزمان يتعجب من تعظيم الملكة

بدور له ويقول فى نفسه والله ان هذه المحبة لابد لها من سبب وربما يكون هذا الملك انما يكرمنى هذا الاكرام الزائد لاجل غرض فاسد فلابد ان استأذنه واسافر من بلاده ثم انه توجه الى الملكة بدور وقال لها ايها الملك انك اكرمتنى اكراما زائدا ومن تمام الاكرام ان تأذن لى فى السفر وتأخذ منى جميع ما انعمت به على فتبسمت الملكة بدور وقالت له ما حملك على طلب الاسفار واقتحام الاخطار وانت فى غاية الاكرام وتزايد الانعام فقال لها يا قمر الزمان ايها الملك ان هذا الاكرام اذا لم يكن له سبب فانه من اعجب العجب خصوصا وقد اوليتنى من المراتب ما حقه ان يكون للاختيار مع انى من الاطفال الصغار فقالت له الملكة بدور سبب ذلك انى احبك لفرط جمالك الفائق وبديع حسنك الرائق وان مكنتنى مما اريده منك ازدك اكراما وعطاء وانعاما واجعلك وزيرا على صغرسنك كما جعلنى الناس سلطانا عليهم وانا فى هذا السن ولا عجب اليوم فى رآسة الاطفال ولله در من قال

كأن زماننا من قوم لوط * له شغف بتقديم الصغار

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام حمل واحمرت خدوده حتى صارت كالضرام وقال لا حاجة لى بهذا الاكرام المودى الى ارتكاب الحرام بل اعيش فقيرا من المال غنيا بالمروة والكمال فقالت له الملكة بدور انا لا اغتر بورعك الناشئ عن التيه والدلال ولله در من قال

ذاكرته عهد الوصال فقال لى * كم ذا تطيل من الكلام المؤلم
فارأيته الدينار انشد قائلا * اين المفر من القضاء المبرم

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام وفهم الشعر والنظام قال ايها الملك انه لا عادة لى بهذه الفعال ولا طاقة لى على حمل هذه الاثقال التى يعجز عن حملها الكبر منى فكيف بى على صغرسنى فلما سمعت كلامه الملكة بدور تبسمت وقالت ان هذا الشئ عجاب كيف يظهر الخطا من خلال الصواب اذا كنت صغيرا فكيف تخشى من الحرام وارتكاب الاثام وانت لم تبلغ حد التكليف ولا مؤاخذة فى ذنب الصغير ولا تعنيف فقد الزمت نفسك الحجة بالجدال وحققت عليك كلمة الوصال فلا تظهر بعد ذلك امتناعا ولا نفورا وكان امر الله قدرا مقدورا فانا احق منك بخشية الوقوع فى الضلال وقد اجاد من قال

ايرى كبير والصغير يقول لى * اطعن به الاحشا وكن صنديدا
فاجبته ذا لا يجوز فقال لى * عندى يجوز فكنته تقليدا

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام تبدل الضياء فى وجهه بالظلام وقال ايها الملك انه يوجد عندك من النساء والجوارى الحسان ما لا يوجد له نظير فى هذا الزمان فهلا استغنيت بذلك عنى فخل الى ما شئت من هن ودعنى فقالت ان كلامك صحيح ولكن لا يشتفى بهون من عشقك الم ولا تبرح واذا فسدت الامزجة والطبيعة فهى لغير النصح جميعة مطيعة فاترك الجدال واسمع قول من قال

اما ترى السوق قد صفت فواكهه * للتين قوم وللجميز اقوام

وقول الاخر

وصامتة الخلخال رن وشاحها * فهذا قد استغنى وذا يشتكى الفقرا
تريد سلوى عنك جهلا بحسنها * وما كنت ارضى بعد ايمانى الكفرا
وحق عذار يزدرى بعقاصها * لما خدعتنى عنك غانية عذرا

وقول الاخر

يافريد الجمال حبك ديني * واختياري على جميع المذاهب
قد تركت النسا لاجلك حتى * زعم الناس انني اليوم راهب

وقول الاخر

سلا خاطري عن زينب ونوارى * بوردة خد فوق آس عذار
واصبحت بالقلبي المقرطق مغرما * ولا رأى لى فى عشق ذات سوار
انسى فى النادى وفى خلوتى معا * خلاف انسى فى قرار دارى
فيالائمى فى هجر هند وزينب * وقد لاح عذرى كالصباح المنار
ارضى بان امسى اسير اسيرة * محصنة اومن وراء جدار

وقول الاخر

لا تقس امرءا بانثى ولا تصغ لواش يقول ذلك فسق
بين انثى يقبل الوجه رجلا * وغزال يقبل الارض فرق

وقول الاخر

فديتك انما اخترناك عمدا * لانك لا تحيض ولا تبيض
ولو ملنا الى وصل الغوانى * لضاق بنا سلمنا البلد العريض

وقول الاخر

تقول لى وهى غضبى من تدللها * وقد دعتنى الى شئ فما كانا
ان لم تكنى نيك المرء زوجته * فلا تلمنى اذا اصبحت قرنانا
كان ايرك من شمع رخاوته * فكلما عركته راحتى لانا

وقول الاخر

قالت وقد اعرضت عن غشيانها * يا احمقا فى جهله يتناها
لم ترض من قبلى لوجهك قبلة * لتولينك قبلة ترضاها

وقول الاخر

جادت بكس ناعم * فقلت انى لم انك
فانصرفت قائلة * يؤفك عنه من افك
النيك من قدام فى * هذا الزمان قد ترك
ودورت لى فقحة * مثل اللجين المنسبك
احسنت يا سيدتى * احسنت لا فجعت بك
احسنت يا اوسع من * فتوح مولانا الملك

وقول الاخر

يستغفر الناس بايديهم * وهن يستغفرن بالارجل
يا له من عمل صالح * يرفعه الله الى اسفل

فلما سمع قمر الزمان منها هذه الاشعار وتحقق انه ليس له مما ارادته قرار قال يا ملك الزمان ان كان ولابد فعاهدنى على انك لا تفعل بى هذا الامر غير مرة واحدة وان كان ذلك لا يجدى فى اصلاح الطبيعة

الفاسدة وبعد ذلك لا تسألني فيه على الابد لعل الله يصلح مني ما فسد فقالت عاهدتك على ذلك راجيا ان الله علينا يتوب ويعمو بفضله عنا عظيم الذنوب فان نطاق افلاك المغفرة لا يضيق عن ان يحيط بنا ويكفر عنا ما عظم من سيأتنا ويخرجنا الى نور الهدى من ظلام الضلال وقد اجاد واحسن من قال

توهم فينا الناس شيا وصممت * عليه نفوس منهم وقلوب
تعال نحقق ظنهم لنريحهم * من الاثم فينا مرة ونتوب

ثم اعطته المواثيق والعهود وحلفت له بواجب الوجود انه لا يقع بينها وبينه هذا الفعل الا مرة في الزمان وان الجأها غرامه الى الموت والخسران فقام معها على هذا الشرط الى محل خلوتها التطفي نيران لوعتها وهو يقول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ذلك تقدير العزيز العليم ثم حل سراويله وهو في غاية الخجل وعيونه تسيل من شدة الوجل فتبسمت واطلعته معها على السر وقالت له لا ترى بعد هذه الليلة من نكير ومالت عليه بالتقبيل والعناق والتفاف ساق على ساق ثم قالت له مديدك بين فخذي الى المعهود لعله ينتصب الى القيام من السجود فبكى وقال انا لا احسن شيأ من ذلك فقالت بحياتي ان تفعل ما امرتك به مما هنالك فمديده وفؤاده في زفير فوجد فخذها لينا من الزبد وانعم من الحرير فاستلذ بلمسها وجال بيده في جميع الجهات حتى وصلت الى قبة كثيرة البركات والحركات فقال في نفسه لعل هذا الملك خنثى وليس بذكر ولا انثى ثم قال ايها الملك اني لم اجد لك آلة مثل الات الرجال فما حملك على هذه الفعال فضحكت الملكة بدور حتى استلقت على قفاها وقالت له يا حبيبي ما اسرع ما نسيت ليالينا بتناها وعرفته بنفسها فعرف انها زوجته الملكة بدور بنت الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور فاحتضنها واحتضنته وقبلها وقبلته ثم اضطجعا على فراش الوصال وتناشدا قول من قال

لما دعته الى وصالي عطفة * من معطف بتعطف متواص
وسقت قساوة قلبه من لينها * فاجاب بعد تمنع وتعاصي
خشي العواذل ان تراه اذا بدا * فاتى بعدة آمن الارهاص
شكت الخصور روادفا قد حملت * اقدامه في المشي حمل قلاص
متقلد الضمصام من الحاظه * ومن الدجى متدرعا بدلاص
وشذاه بشرني بسعد قدومه * فغررت مثل الطير من اقفاص
وفرشت خدي في الطريق لنعله * فمشى بأثمد تربها ارماص
وعقدت الوية الوصال معانقا * وفككت عقدة حظي المتعاصي
واتت افراحا اجاب ندائها * طرب صفا عن شائب الانغاص
والبدر نقط بالنجوم الثغر من * حبب على وجه الطلى رقاص
وعكفت في محراب لذتها على * مامن تعاطيه يتوب العاصي
قسما بايات الضحى من وجهه * لم انسى فيه سورة الاخلاص

ثم ان الملكة بدورا خبرت قمر الزمان بجميع ما جرى لها من الاول الى الاخر وكذلك هو اخبرها بجميع ما جرى له وبعد ذلك انتقل معها الى العتاب وقال لها ما حملك على ما فعلته بي في هذه الليلة فقالت لا تؤاخذني فان قصدي بذلك المزاح ومزيد البسط والانشراح فلما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ارسلت الملكة بدور الى الملك ارمانوس والدة الملكة حياة النفوس واخبرته بحقيقة امرها وانها زوجة قمر الزمان واخبرته بقصتهما

وبسبب افتراقهما من بعضهما واعلمته ان ابنته حياة النفوس بكر على حالها فلما سمع الملك ارمانوس صاحب جزائر الابنوس قصة الملكة بدور بنت الملك الغيور تعجب منهما غاية العجب وامر ان يكتبوها بماء الذهب ثم التفت الى قمر الزمان وقال له يا ابن الملك هل لك ان تصاهرني وتتزوج بابنتي حياة النفوس فقال له حتى اشاور الملكة بدور فان لها علي فضلا غير محصور فلما شاورها قالت له نعم هذا الرأي فتزوجها واكون انا لها جارية لان لها علي معروفا واحسانا وخيرا وامتنانا وخصوصا نحن في محلها وقد عرفنا احسان ابيها فلما رأى قمر الزمان ان الملكة بدور اماله الى ذلك ولم يكن عندها غيرة من حياة النفوس اتفق معها على هذا الامر واد لك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان اتفق مع زوجته الملكة بدور على هذا الامر واخبر الملك ارمانوس بما قالته الملكة بدور من انها تحب ذلك وتكون جارية لحياة النفوس فلما سمع الملك ارمانوس هذا الكلام من قمر الزمان فرح فرحا شديدا ثم خرج وجلس على كرسي مملكته واحضر جميع الوزراء والامراء والحجاب وارباب الدولة واخبرهم بقصة قمر الزمان وزوجته الملكة بدور من الاول الى الاخر وانه يريد ان يزوج ابنته حياة النفوس لقمر الزمان ويجعله سلطانا عليهم عوضا عن زوجته الملكة بدور فقالوا جميعا حيث كان قمر الزمان هو زوج الملكة بدور التي كانت سلطانا علينا قبله ونحن نظن انها صهر ملكنا ارمانوس فكلنا نرضاه سلطانا علينا ونكون له خدما ولا نخرج عن طاعته ففرح الملك ارمانوس بذلك فرحا شديدا ثم احضر القضاة والشهود ورؤساء الدولة وعقد عقد قمر الزمان على ابنته الملكة حياة النفوس ثم انه اقام الافراح واولم الولائم الفاخرة وخلع الخلع السنية على جميع الامراء ورؤساء العساكر وتصدق على الفقراء والمساكين واطلق جميع المحابيس واستبشر العالم بسلطنة الملك قمر الزمان وصاروا يدعون له بدوام العز والاقبال والسعادة والاجلال ثم ان قمر الزمان لما صار سلطانا عليهم ازال المكوس واطلق من بقي في الحبوس وسار فيهم سيرة حميدة واقام مع زوجته على هناء وسرور ووفاء وحبور بيت عند كل واحدة منهما ليلة ولم يزل على ذلك مدة من الزمان وقد انجلت عنه الهموم والاحزان ونسي اباه الملك شهرمان وما كان له عنده من عز وسلطان حتى رزقه الله تعالى من زوجتيه بولدين ذكرين مثل القمرين النيرين اكبرهما من الملكة بدور وكان اسمه الملك الامجد واصغرهما من الملكة حياة النفوس واسمه الملك الاسعد وكان الاسعد اجمل من اخيه الامجد ثم انهما تربيا في العز والدلال والادب والكمال وتعلما الخط والعلم والسياسة والفروسية حتى صارا في غاية الكمال ونهاية الحسن والجمال وافتتن بهما النساء والرجال وصارا بهما من العمر نحو سبعة عشر عاما وهما متلازمان فيأكلان سواء ويشربان سواء ولا يفترقان عن بعضهما ساعة من الساعات ولا وقتا من الاوقات وجميع الناس تحسدهما على ذلك ولما بلغا مبالغ الرجال واتصفا بالكمال صارا يركبان هما اذا سافر بجلسهما على التعاقب في مجلس الحكم فيحكم كل واحد منهما يوما بين الناس واتفق بالقدر المبرم والقضاء المحتم ان محبة الاسعد الذي هو ابن حياة النفوس وقعت في قلب الملكة بدور زوجة ابيه وان محبة الامجد الذي هو ابن الملكة بدور وقعت في قلب حياة النفوس زوجة ابيه فصارت كل واحدة من المرأتين تلاعب ابن ضرتها وتقبله وتضمه الى صدرها واذا رأت ذلك امه تظن انه من الشفقة ومحبة الامهات لاولادهن وتمكن العشق من قلوب المرأتين وافتتنتا بالولدين فصارت كل

واحدة منهما اذا دخل عليها ابن ضرتها تضعه الى صدرها وتوهمت انه لا يفارقها ولما طال عليهما المطال ولم يجدا سبيلا الى الوصال امتنعتا من الشراب والطعام وهجرتا لذيذ المنام ثم ان الملك توجه الى الصيد والقنص وامر ولديه ان يجلسا فى موضعه الى الحكم كل واحد منهما يوما على عادتهما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشر بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك توجه الى الصيد والقنص وامر ولديه ان يجلسا فى موضعه للحكم كل واحد يوما على عادتهما فجلس للحكم فى اليوم الاول الامجد بن الملكة بدور فامر ونهى وولى وعزل واعطى ومنع فكتبت له الملكة حياة النفوس ام الاسعد مكتوبا تستعطفه فيه وتوضح له انها متعلقة به ومتعشقة فيه وتكشف له الغطا وتعلمه انها تريد وصاله فاخذت ورقة وكتبت فيها هذه السجعات من المسكينة العاشقه * الحزينة المفارقه * التى ضاع بحبك شبابها * وطال فيك عذابها * ولو وصفت لك طول الاسف * وما اقاسيه من اللهف * وما بقلبى من الشغف * وما انا فيه من البكاء والانين * وتقطع القلب الحزين * وتوالى الغموم * وتتابع الهموم * وما اجده من الفراق * والكآبة والاحتراق * لطال شرحه فى الكتاب * وعجزت عن حصره الحساب * وقد ضاقت على الارض والسماء * ولا لى فى غيرك امل ولا رجاء * فقد اشرفت على الموت * وكابدت اهوال الفوت * وزادنى الاحتراق * والم الهجر والفراق ولو وصفت ما عندى من الاشواق * اضاقت عنه الاوراق * ثم بعد ذلك كتبت هذين البيتين

لو كنت اشرح ما القاه من حرق * ومن سقام ومن وجد ومن قلق
لم يبق فى الارض قرطاس ولا قلم * ولا مداد ولا شئ من الورق

ثم ان الملكة حياة النفوس لفت تلك الورقة فى رقعة من غالى الحرير مضمخة بالمسك والعبير ووضعت معها جدائل شعرها التى تستغرق الاموال بسعرها ثم لفتها بمنديل واعطتها الخادم وامرته ان يوصلها الى الملك الامجد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة عشر بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انها اعطت ورقة المراسلة للخادم وامرته ان يوصلها الى الملك الامجد فسار ذلك الخادم وهو لا يعلم ما خفى له فى الغيب وعلام الغيوب يدبر الامور كيف يشاء فلما دخل الخادم على الملك الامجد قبل الارض بين يديه وناوله المنديل وبلغه الرسالة فتناول الملك الامجد المنديل من الخادم وفضه فرأى الورقة ففضها وقرأها فلما فهم معناها علم ان امرأة ابيه فى عينها الخيانة وقد خانت اباه الملك قهر الزمان فى نفسها فغضب غضبا شديدا وذم النساء على فعلهن وقال لعن الله النساء الخائنات الناقصات عقلا ودينا ثم انه جرد سيفه وقال للخادم ويلك يا عبد السوء اتحمل المراسلة المشتملة على الخيانة من زوجة سيدك والله انه لا خير فيك يا اسود اللون والصحيفة يا قبيح المنظر والطبيعة السخيفة ثم ضربه بالسيف فى عنقه فعزل رأسه عن جثته وطوى المنديل على ما فيه ووضعه فى جيبه ثم دخل على امه واعلمها بما جرى وسبها وشتمها وقال كل كن انحس من بعضكن والله العظيم لولا انى اخاف اساءة الادب فى حق والدى قهر الزمان واخى الملك الاسعد لادخلن عليها واضربن عنقها كما ضربت عنق خادمها ثم انه خرج من عند امه الملكة بدور وهو فى غاية الغيظ فلما بلغ الملكة حياة النفوس

زوجة ابيه ما فعل بخادمها سبته ودعت عليه واضمرت له المكر فبات الملك الامجد فى تلك الليلة ضعيفا من الغيظ والقهر والفكر ولم يلذ له اكل ولا شرب ولا منام فلما اصبح الصباح خرج اخوه الملك الاسعد وجلس فى مجلس ابيه الملك قمر الزمان ليحكم بين الناس وقد اصبحت امه حيالة النفوس ضعيفة بسبب ما سمعته عن الملك الامجد من قتله للخادم ثم ان الملك الاسعد لما جلس للحكم فى ذلك اليوم حكم وعدل وولى وعزل وامر ونهى واعطى ووهب ولم يزل جالسا فى مجلس الحكم الى قرب العصر ثم ان الملكة بدور ام الملك الامجد ارسلت الى عجوز من العجائز الماكرات واظهرتها على ما فى قلبها واخذت ورقة لتكتب فيها مراسلة للملك الاسعد بن زوجها وتشكو اليه كثرة محبتها له ووجدها به فكتبت له هذه السجعات ممن تلفت وجدا وشوقا * الى احسن الناس خلقا وخلقا * المهجب بجماله * المتائه بدلاله * المعرض عن طالب وصاله * الزاهد فى القرب ممن خضع وذل * الى من جفا ومل * الملك الاسعد صاحب الحسن الفائق * والجمال الرايق * والوجه الازهر * والجبين الازهر * والضياء الابهر * هذا كتابى الى من حبه اذاب جسمى * ومزق جلدى وعظمى * اعلم انى قد عيل صبرى * وتحيرت فى امرى * واقلقنى الشوق والسهاد * وجفانى الصبر والرقاد * ولازمنى الحزن والسهاد * وبرح بى الوجد والغرام * وحلول الضنى والسقام * فالروح تفديك * وان كان قتل الصب يرضيك * والله يقيك * ومن كل سوء يقيك * ثم بعد تلك السجعات * كتبت هذه الابيات

حكم الزمان بانى لك عاشق * يامن محاسنه كبدر يشرق
حزن الملاحة والفصاحة كلها * وعليك من دون البرية رونق
واقد رضيت بان تكون معذبى * فعسى على بنظرة تتصدق
من مات فيك صبابة فله انهنا * لا خير فيمن لا يحب ويعشق

ثم كتبت ايضا هذه الابيات

اليك اسعد اشكو من لهيب جوى * فارحم متيمة بالشوق تلتهب
الى متى وايادى الوجد تلعب بى * والعشق والفكر والتسهيد والنصب
طورا بحر وطورا اشتكى لهبا * فى مهجتى ان ذا يامنيتى عجب
يا لائمى خل لومى والتمس هربا * من الهوى فدموع العين تنسكب
كم صحت وجدا من الهجران واحربا * فلم يفدنى بذاك الويل والحرب
امرضتنى بصدود لست احمله * انت الطبيب فاسعفنى بما يجب
يا عاذلى كف عن عذلى محاذرة * كيلا يصيبك من داء الهوى عطب

ثم ان الملكة بدور ضمخت ورقة الرسالة بالمسك الاذفر ولفتها فى جدائل شعرها وهى من الحرير العراقى وشراريبها من قضبان الزمرد الاخضر مرصعة بالدر والجوهر ثم سلمتها الى العجوز وامرتها ان تعطيها للملك الاسعد ابن زوجها الملك قمر الزمان فراحت العجوز من اجل خاطرها ودخلت على الملك الاسعد من وقتها وساعتها وكان فى خلوة عند دخولها فناولته الورقة بما فيها وقد وقفت ساعة زمانية تنتظر رد الجواب فعند ذلك قرأ الملك الاسعد الورقة وفهم ما فيها ثم بعد ذلك لف الورقة فى الجدائل ووضعها فى جيبه وغضب غضبا شديدا ما عليه من مزيد ولعن النساء الخائنات ثم انه نهض وسحب السيف من غمده وضرب رقبة العجوز فعزل رأسها عن جثتها وبعد ذلك قام وتمشى حتى دخل على امه

حياة النفوس فوجدها راقدة فى الفرش ضعيفة بسبب ما جرى لها من الملك الامجد فشتمها الملك الاسعد واعنفها ثم خرج من عندها فاجتمع باخيه الملك الامجد وحكى له جميع ما جرى له مع امه الملكة بدور واخبره بانه قتل العجوز التى جاءت له بالرسالة ثم قال له والله يا اخى لولا حيائى منك لكنت دخلت فى هذه الساعة اليها وقطعت راسها من بين كتفيها فقال له اخوه الملك الامجد والله يا اخى انه قد جرى لى بالامس لما جلست على كرسى المملكة مثل ما جرى لك فى هذا اليوم فان امك ارسلت الى رسالة بمثل مضمون هذا الكلام ثم اخبره بجميع ما جرى له مع امه الملكة حياة النفوس وقال له والله يا اخى لولا حيائى منك لدخلت اليها وفعلت بها ما فعلت بالخادم ثم انهما باتا يتحدثان بقية تلك الليلة وبلغنا النساء الخائنات ثم تواصين بكتمان هذا الامر لئلا يسمع به ابوهما الملك قمر الزمان فيقتل المرأتين ولم يزالا فى غم تلك الليلة الى الصباح فلما اصبح الصباح اقبل الملك بجيشه من الصيد وطلع الى قصره ثم صرف الامراء الى حال سبيلهم وقام ودخل القصر فوجد زوجتيه راقدتين على الفراش وهما فى غاية الضعف وقد عملتا الولد يهما مكيدة واتفقتا على تضييع ارواحهما لانهما قد فضحتا انفسهما معهما وقد خشيتا ان يصيرا تحت زاتهما فلما رأهما الملك على تلك الحالة قال لهما ما لكما فقاما اليه وقبلتا يديه وعكستا عليه المسألة وقالتا له اعلم ايها الملك ان ولديك اللذين قد تربيا فى نعمتك قد خانا الذى زوجتيك وراكبا العار فلما سمع قمر الزمان من نسائه هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلاما واغتاظ غيظا شديدا حتى طار عقله من شدة الغيظ وقال لنسائه اوضحا لى هذه القضية فقالت له الملكة بدور اعلم يا ملك الزمان ان ولدك الاسعد بن حياة النفوس له مدة من الايام وهو يراسلنى ويكاتبنى ويراودنى على الزنا وانا انهاه عن ذلك ولم ينته فلما سافرت انت هجم على وهو سكران والسيف فى يده فخفت ان يقتلنى اذا ما منعته كما قتل خادمى فقضى اربه منى غصبا وان لم تخلص حق منه ايها الملك قتلت نفسى بيدى وليس لى حاجة بالحياة فى الدنيا بعد هذا الفعل القبيح واخبرته حياة النفوس ايضا بمثل ما اخبرته به ضرتها بدور وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملكة حياة النفوس اخبرت زوجها الملك قمر الزمان بمثل ما اخبرته به الملكة بدور وقالت له انا الاخرى جرى لى مع ولدك الامجد كذلك ثم انهما اخذت فى البكاء والنحيب وقالت له ان لم تخلص لى حق منه اعملت ابى الملك ارمانوس بذلك ثم ان المرأتين بكتا قدام زوجهما الملك قمر الزمان بكا شديدا فلما رأى الملك بكاء زوجتيه الاثنتين وسمع كلامهما اعتقد انه حق فغضب غضبا شديدا مما عليه من مزيد فقام واراد ان يهجم على اولاده الاثنين ليقتلهما فلقيه صهره الملك ارمانوس وقد كان داخلا فى تلك الساعة ليسلم عليه لما علم انه قد اتى من الصيد فرأه والسيف مشهور فى يده والدم يقطر من مناخيره من شدة غيظه فسأله عما به فاخبره بجميع ما جرى من ولديه الامجد والاسعد ثم قال له وها انا داخل اليهما لاقتلهما اقبح قتلة وامثل بهما اقبح مثلة فقال له صهره الملك ارمانوس وقد اغتاظ عليهما ايضا ونعم ما تفعل يا ولدى فلا بارك الله فيهما ولا فى اولاد تفعل هذه الفعال فى حق ابيهما ولكن يا ولدى صاحب المثل يقول من لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب وهما ولداك على كل حال وينبغى ان لا تقتلهما بيدك فتشرب غصتهما وتندم بعد ذلك على قتلهما حيث لا ينفعك الندم ولكن ارسلهما مع احد من المماليك

ليقتلهما

ليقتلهما في البرية وهما غائبان عن عينك فلما سمع الملك قمر الزمان من صهره الملك ارمانوس هذا الكلام رأه صوابا فاخمد سيفه ورجع وجلس على سرير مملكته ودعا خازندار وكان شيخا كبيرا عارفا بالامور وتقلبات الدهور وقال له ادخل الى ولدي الاسجد والاسعد وكتفهما كتافا جيدا واجعلهما في صندوقين واحملهما على بغل واركب انت واخرج بهما الى وسط البرية واذبحهما واملا لي قدحين من دمهما وائتني بهما عاجلا فقال له الخازندار سمعا وطاعة ثم نهض من وقته وساعته وتوجه الى الاسجد والاسعد فصادفهما في الطريق وهما خارجان من دهليز القصر وقد لبسا قماشهما واخرثياتهما واراد التوجه الى والدهما الملك قمر الزمان ليسلما عليه ويهنياه بالسلامة عند قدومه من السفر الى الصيد فلما رآهما الخازندار قبض عليهما وقال لهما يا ولداي اعلما انني عبد مأمور وان ابا كما قد امرني بامر فهل انتما طائعان لامره قالا نعم فعند ذلك تقدم اليهما الخازندار وكتفهما ووضعهما في صندوقين وحملهما على ظهر بغل وخرج بهما من المدينة ولم يزل سائرا بهما في البرية الى قريب الظهر فانزلهما في مكان قفر موحش ونزل عن فرسه وحط الصندوقين عن ظهر البغل وفتحهما واخرج الاسجد والاسعد منهما فلما نظر اليهما بكى بكاء شديدا على حسنهما وجمالهما وبعد ذلك جرد سيفه وقال لهما والله يا سيداي انه يعز علي ان افعل بكما فعلا قبيحا ولكن انا معذور في هذه الامور لاني عبد مأمور وقد امرني والدكما الملك قمر الزمان بضرب رقابكما فقالا له ايها الامير افعل ما امرك به الملك فنحن صابرون على ما قدره الله عز وجل علينا وانت في حل من دمائنا ثم انهما تعانقا وودعا بعضهما وقال الاسعد للخازندار بالله عليك يا عم انك لا تجرعني غصة اخي ولا تسقني حسرته بل اقتلني انا قبله ليكون ذلك اهون علي وقال الاسجد للخازندار مثل ما قال الاسعد واستعطف الخازندار ان يقتله قبل اخيه وقال له ان اخي اصغر مني فلا تذقني لوعته ثم بكا كل منهما بكاء شديدا مما عليه من مزيد وبكى الخازندار لبكائهما وادركه شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخازندار بكى لبكائهما ثم ان الاخوين تعانقا وودعا بعضهما وقال احدهما للاخر ان هذا كله من كيد الخائنتين امي وامك وهذا جزاء ما جرى مني في حق امك وجزاء ما جرى منك في حق امي ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون ثم ان الاسعد اعتنق اخاه وصعد الزفرات وانشد هذه الابيات

يا من اليه المشتكى والمفزع * انت المعد لكل ما يتوقع
مالي سوى قرعي لبابك حيلة * ولئن رددت فاي باب اقرع
يا من خزائن فضله في قول كن * امنن فان الخير عندك اجمع

فلما سمع الاسجد بكاء اخيه بكى وضمه الى صدره وانشد هذين البيتين

يا من اياديه عندي غير واحدة * ومن مواهبه تغني عن العدد
ما انا بني من زماني قط نائبة * الا وجدتك فيها اخذا بيدي

ثم قال الاسجد للخازندار سألتك بالواحد القهار الملك الستار ان تقتلني قبل اخي الاسعد لعل نار قلبي تخمد ولا تدعها تتوقد فبكى الاسعد وقال ما يقتل قبل الا انا فقال الاسجد الرأي ان تعتقني واعتقك

حتى ينزل السيف علينا فيقتلنا دفعة واحدة فلما اعتنق الاثنان وجها الوجه والتزما بعضهما شدهما الخازندار وربطهما بالحبال وهو يبكي ثم جرد سيفه وقال والله ياسيداى انه يعز على قتلكما فهل لكما من حاجة فاقضيها او وصية فانفذها او رسالة فابلغها فقال الامجد ما لنا حاجة واما من جهة الوصية فانى اوصيك ان تجعل اخى الاسعد من تحت وانا من فوق لاجل ان تقع على الضربة اولا فاذا فرغت من قتلنا ووصلت الى الملك وقال لك ما سمعت منهما قبل موتهما فقل له ان ولديك يقرآنك السلام ويقولان لك انك لا تعلم هل هما بريئان او مذنبان وقد قتلتهما وما تحققت ذنبهما وما نظرت فى حالهما ثم انشده هذين البيتين

ان النساء شياطين خلقن لنا * اعوذ بالله من كيد الشياطين
فهن اصل البليات التى ظهرت * بين البرية فى الدنيا وفى الدين

ثم قال الامجد ما نريد منك الان تبلغه هذين البيتين اللذين سمعتهما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الامجد قال للخازندار ما نريد منك الان تبلغه هذين البيتين اللذين سمعتهما واسألك بالله ان تطول بالك علينا حتى انشد لاخى هذين البيتين الاخرين ثم بكى بكاء شديدا وجعل يقول

فى الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر
كم قد مضى فى ذا الطريق من الاكابر والاصاغر

فلما سمع الخازندار من الامجد هذا الكلام بكى بكاء شديدا حتى بل لحيته واما الاسعد فانه قد تغرغرت عيناه بالعبرات وانشد هذه الابيات

الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الاشباح والصور
ما الليالى اقال الله عثرتنا * من الليالى وخانتها يد الغير
قد اضرمت كيدها الابن الزبير وما * رعت اياذته بالبيت والحجر
وليتها اذ فدت عمرا بخارجة * فدت عليا بمن شاءت من البشر

ثم خضب خده بدمعه المدرار وانشد هذه الاشعار

ان الليالى والايام قد طبعت * على الخداع وفيها المكر والحيل
سراب كل بياب عندها شنب * وهول كل ظلام عندها كحل
ذنبى الى الدهر فليكره محبيته * ذنب الحسام اذا ما اجم البطل

ثم صعد الزفرات وانشد هذه الابيات

يا طالب الدنيا الدنية انها * شرك الردى وقرارة الاكدار
دار متى ما اضحكت فى يومها * ابكت غدا تبالها من دار
غاراتها لا تنقضى واسيرها * لا يفتدى بجلائل الاخطار
كم مزده بغرورها حتى بدا * متمردا متجاوز المقدار

قلبت له ظهر المجن واولغت * فيه المدى وترت لاخذ الثار
واعلم بان خطوبها تفعأولو * طال المدى وونت سرى الاقدار
فاربأ بعمرك ان يمر مضيعا * فيها سدى من غير ما استظهار
واقطع علائق حبها وطلابها * تلق الهدى ورفاهة الاسرار

فلما فرغ الاسعد من شعره اعتنق مع اخيه الامجد حتى صارا كانهما شخص واحد وسل الخازندار سيفه واراد ان يضربهما واذا بفرسه جفل فى البر وكان يساوى الف دينار وعليه سرج عظيم يساوى جملة من المال فالقى السيف من يده وذهب وراء فرسه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخازندار لما ذهب وراء فرسه وقد التهب فؤاده ومازال يجرى خلفه ليمسكه حتى دخل فى غابة فدخل وراءه فى تلك الغابة فشق الجواد فى وسط الغابة ودق الارض برجليه فعلا الغبار وارتفع وثار واما الفرس فانه شخر وتخر وصهل وازمهر وكان فى تلك الغابة اسد عظيم الخطر قبيح المنظر عيونه ترمى بالشرر له وجه عبوس وشكل يهول النفوس فالتفت الخازندار فرأى ذلك الاسد قاصدا اليه فلم يجد له مهربا من يديه ولم يكن معه سيف فقال فى نفسه لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ما حصل لى هذا الضيق الا بذنب الامجد والاسعد وان هذه السفرة مشؤمة من اولها ثم ان الامجد والاسعد قد حمى عليهما الحر فعطشا عطشا شديدا حتى نزلت السنتهما واستغاثا من العطش فلم يغثهما احد فقالا ليتنا كنا قتلنا واسترحنا من هذا ولكن ما ندرى اين جفل الحصان حتى ذهب الخازندار ورأه وخلانا ممكتفين فلو جاءنا وقتلنا كان اريح لنا من مقاساة هذا العذاب فقال الاسعد يا اخى اصبر فسوف يأتينا فرج الله سبحانه وتعالى فان الحصان ما جفل الا لاجل لطف الله بنا وما ضرنا غير هذا العطش ثم هز نفسه وتحرك يمينا وشمالا فانحل كافه فقام وحل كاف اخيه ثم اخذ سيف الامير وقال لاخيه والله لا نروح من هاهنا حتى نكشف خبره ونعرف ما جرى له وشرعا يقتصان الاثر فدلهما على الغابة فقالا لبعضهما ان الحصان والخازندار ما تجاوزا هذه الغابة فقال الاسعد لاخيه قف هنا حتى ادخل الغابة وانظرها فقال له الامجد ما اخليك تدخل فيها وحدك وما ندخل الا جميعا فان سلمنا سلمنا سواء وان عطبنا عطبنا سواء فدخل الاثنان فوجد الاسد قد هجم على الخازندار وهو تحته كأنه عصفور ولكنه صار يبتهل الى الله ويشير الى نحو السماء فلما رأه الامجد اخذ السيف وهجم على الاسد وضربه بالسيف بين عينيه فقتله ووقع الاسد مطروحا على الارض فنهض الامير وهو متعجب من هذا الامر فرأى الامجد والاسعد ولدى سيده واقفين فتراميا على اقدامهما وقال لهما والله يا سيداى ما يصلح ان افرط فيكما بقتلكما فلا كان من يقتلكما فبروحى افديكما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخازندار قال للامجد والاسعد بروحى افديكما ثم نهض من وقته وساعته واعتنقهما وسألهما عن سبب فك وثاقهما وقد ومهما فاخبراه انهما عطشا واتحل الوثاق من احدهما فقك الاخر بسبب خلوص نيتهما ثم انهما اقتصا الاثر حتى وصلا اليه فلما سمع كلامهما شكرهما على

فعلهما وخرج معهما الى ظاهر الغابة فلما صارا فى ظاهر الغابة قالا له ياعم افعل ما امرك به ابونا فقال حاشى لله ان اقربكما بضرر ولكن اعلما انى اريد ان انزع ثيابكما والبسكما ثيابى واملاء قنانيتين من دم الاسد ثم اروح الى الملك واقول له انى قتلتهما واما انتما فسيحا فى البلاد وارض الله واسعة واعلما ياسيداى ان فراقكما يعز على ثم بكى كل من الخازندار والغلامين وقد قلعا ثيابهما والبسهما ثيابه وراح الى الملك وقد اخذ ذلك وربط قماش كل واحد منهما فى بقجة معه وملأ القنانيتين من دم الاسد وجعل البقجتين قدامه على ظهر الجواد ثم ودعهما وسار متوجها الى المدينة ولم يزل سائرا حتى دخل على الملك وقبل الارض بين يديه فرأه الملك متغير الوجه وذلك مما جرى له من الاسد فظن ان ذلك من قتل اولاده ففرح وقال له هل قضيت الشغل قال نعم يامولانا ثم ناوله البقجتين اللتين فيهما الثياب والقنانيتين الممتلئتين بالدم فقال له الملك ماذا رأيت منهما وهل اوصيا بشئ قال وجدتهما صابرين محتسبين لما نزل بهما وقد قالا لى ان اباناً معذور فاقرئه منا السلام وقل له انت فى حل من قتلنا ومن دمائنا ولكن نوصيك ان تبلغه هذين البيتين وهما

ان النساء شياطين خلقن لنا ✻ نعوذ بالله من كيد الشياطين

فهن اصل البليات التى ظهرت ✻ بين البرية فى الدنيا وفى الدين

فلما سمع الملك من الخازندار هذا الكلام اطرق برأسه الى الارض مليا وعلم ان كلام ولديه هذا يدل على انهما قد قتلا ظلما ثم تفكر فى مكر النساء ودواهين واخذ البقجتين وفتحهما وصار يقلب ثياب اولاده ويبكى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك قمر الزمان لما فتح البقجتين صار يقلب ثياب اولاده ويبكى فلما فتح ثياب ولده الاسعد وجد فى جيبه ورقة مكتوبة بخط زوجته بدور ومعها جدائل شعرها ففتح الورقة وقرأها وفهم معناها فعلم ان ولده الاسعد مظلوم ولما قلب فى ثياب الامجد وجد فى جيبه ورقة مكتوبة بخط زوجته حياة النفوس وفيها جدائل شعرها ففتح الورقة وقرأها فعلم انه مظلوم فدق يدا على يد وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قد قتلت اولادى ظلما ثم صار يلطم على وجهه ويقول واولداه واطول حزناه وامر ببناء قبرين فى بيت وسماه بيت الاحزان وقد كتب على القبرين اسمى ولديه وترامى على قبر الامجد وبكى وان واشتكى وانشد هذه الابيات

ياقبر قد غاب تحت الثرى ✻ بكت عليه الانجم الزاهره

ياقضيبا لم يمس بعده ✻ معاطف للاعين الناظره

منعت عينى عنك من غيرتى ✻ عليك لا رأت الك للاخره

واغرقت بالسهد فى دمعها ✻ وانى من ذاك بالساهره

ثم ترامى على قبر الاسعد وبكى وان واشتكى وافاض العبرات وانشد هذه الابيات

قد كنت اهوى ان اشاطرك الردى ✻ لكن اراد الله غير مرادى

سودت ما بين الفضاء وناظرى ✻ ومحوت من عينى كل سواد

لا ينفد الدمع الذى ابكى به ✻ ان الفؤاد له من الامداد

اعزز علي بان ارالك بموضع * متشابه الاوتاد والاسجاد

ولما فرغ الملك من شعره هجر الاحباب والخلان وانقطع في البيت الذي سماه بيت الاحزان وصار يبكي على اولاده وقد هجر نساءه واصحابه واصدقاءه هذا ما كان من امره واما ما كان من امر الامجد والاسعد فانهما لم يزالا سائرين في البرية وهما يا كلان من نبات الارض ويشربان من متحصلات الامطار مدة شهر كامل حتى انتهى بهما المسير الى جبل من الصوان الاسود لا يعلم اين منتهاه والطريق افترقت عند ذلك الجبل طريقين طريق تشقه من وسطه وطريق صاعدة الى اعلاه فسلكا الطريق التي في اعلا الجبل واستمرا سائرين فيها خمسة ايام فلم يريا له منتهى وقد حصل لهما الاعياء من التعب وليسا معتادين على المشي في جبل ولا في غيره ولما يئسا من الوصول الى منتهاه رجعا وسلكا الطريق التي في وسط الجبل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الامجد والاسعد اولاد الملك قمر الزمان لما عادا من الطريق الصاعدة في الجبل الى الطريق المسلوكة في وسطه مشيا فيها طول ذلك النهار الى الليل وقد تعب الاسعد من كثرة السير فقال لاخيه يا اخي انا ما بقيت اقدر على المشي فاني ضعفت جدا فقال له الامجد يا اخي شد حيلك لعل الله يفرج عنا ثم انهما مشيا ساعة من الليل وقد تعب الاسعد تعبا شديدا ما عليه من مزيد وقال يا اخي اني تعبت وكليت من المشي ثم وقع في الارض وبكى فحمله اخوه الامجد ومشى به وصار ساعة يمشي وساعة يقعد ويستريح الى ان لاح الفجر حتى استراح فطلع هو واياه فوق الجبل فوجدا عينا نابعة يجري منها الماء وعندها شجرة رمان ومحراب قاعد فيها انهما يريان ذلك ثم جلسا عند تلك العين وشربا من مائها واكلا من رمان تلك الشجرة وناما في ذلك الموضع حتى طلعت الشمس ثم جلسا واغتسلا في العين واكلا من ذلك الرمان الذي في الشجرة وناما الى العصر وارادا ان يسيرا فما قدر الاسعد على السير وقد ورمت رجلاه فاقاما هناك ثلاثة ايام حتى استراح ثم صارا في الجبل مدة ايام وهما سائران فوق الجبل وقد تعبا من العطش الى ان لاحت لهما مدينة من بعيد فقرحا وسارا حتى وصلا اليها فلما قربا منها شكرا الله تعالى وقال الامجد للاسعد يا اخي اجلس هنا وانا اسير الى هذه المدينة وانظر ما شأنها واسأل عن احوالها لاجل ان نعرف اين نحن من ارض الله الواسعة ونعرف الذي قطعناه من البلاد في عرض هذا الجبل ولولا انا مشينا في وسطه ما كنا نصل الى هذه المدينة في سنة كاملة فالحمد لله على السلامة فقال له الاسعد والله يا اخي ما يذهب الى المدينة غيري وانا فداك فانك ان تركتني ونزلت وغبت عني تستغرقني الافكار من اجلك وليس لي قدرة على بعدك عني فقال له الامجد توجه ولا تبطئ فنزل الاسعد من الجبل واخذ معه دنانير وخلا اخاه ينتظره وسار ولم يزل ماشيا في اسفل الجبل حتى دخل المدينة وشق في ازقتها فلقيه في طريقه رجل وهو شيخ كبير طاعن في السن وقد نزلت لحيته على صدره وافترقت فرقتين وبيده عكاز وعليه ثياب فاخرة وعلى رأسه عمامة كبيرة حمراء فلما رأه الاسعد تعجب من لبسه وهيئته وتقدم اليه وسلم عليه وقال له اين طريق السوق يا سيدي فلما سمع الشيخ كلامه تبسم في وجهه وقال له يا ولدي كأنك غريب فقال له الاسعد نعم انا غريب يا عم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشيخ الذي اتى الاسعد تبسم في وجهه وقال له يا ولدي كانك غريب فقال له الاسعد نعم انا غريب فقال له الشيخ قد انست ديارنا يا ولدي واوحشت ديار اهلك فما الذي تريده من السوق فقال الاسعد يا عم ان لي اخا تركته في الجبل ونحن مسافرون من بلاد بعيدة وانا في السفر مدة ثلاثة شهور وقد اشرفنا على هذه المدينة فجئت الى هاهنا لاشتري طعاما واعود به الى اخي من اجل ان نقتات به فقال له الشيخ يا ولدي ابشر بكل خير واعلم انني عملت وليمة وعندي ضيوف كثيرة وجمعت فيها من اطيب الطعام واحسنه ما تشتهيه النفوس فهل لك ان تسير معي الى مكاني فاعطيك ما تريد ولا اخذ منك ثمنا واخبرك باحوال هذه المدينة والحمد لله يا ولدي حيث وقعت بك ولم يقع بك احد غيري فقال الاسعد افعل ما انت اهله وبعجل فان اخي ينتظرني وخاطره عندي فاخذ الشيخ بيد الاسعد ورجع به الى زقاق ضيق وصار يتبسم في وجهه ويقول له سبحان من نجاك من اهل هذه المدينة ولم يزل ماشيا به حتى دخل دارا واسعة وفيها قاعة وجالس في تلك القاعة اربعون شيخا طاعنون في السن وهم مصطفون حلقة وفي وسطهم نار موقدة والمشايخ جالسون حولها يعبدونها ويسجدون لها فلما رأى ذلك الاسعد اقشعر بدنه ولم يعلم ما خبرهم ثم ان الشيخ قال لهؤلاء الجماعة يا مشايخ النار فما ابركه من نهار ثم نادى قائلا يا غضبان فخرج له عبد اسود بوجه اعبس وانف افطس وقامة مائلة وصورة هائلة ثم اشار الى العبد فشد وثاق الاسعد وبعد ذلك قال له الشيخ انزل به الى القاعة التي تحت الارض واتركه هناك وقل للجارية الفلانية تتولى عذابه بالليل والنهار فاخذه العبد وانزله تلك القاعة وسلمه الى الجارية فصارت تتولى عذابه وتعطيه رغيفا واحدا في اول النهار ورغيفا واحدا في اول الليل وكوز ماء مالح في الغداة ومثله في العشي ثم ان المشايخ قالوا بعضهم لما يأتي اوان عيد النار نذبحه على الجبل ونتقرب به الى النار ثم ان الجارية نزلت اليه وضربته ضربا وجيعا حتى سالت الدماء من اعضائه وغشي عليه ثم حطت عند رأسه رغيفا وكوز ماء مالح وراحت وخلته فاستفاق الاسعد في نصف الليل فوجد نفسه مقيدا وقد آلمه الضرب فبكى بكاء شديدا وتذكر ما كان فيه من العز والسعادة والملك والسيادة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الاسعد لما رأى نفسه مقيدا وقد آلمه الضرب تذكر ما كان فيه من العز والسعادة والملك والسيادة فبكى وصعد الزفرات وانشد هذه الابيات

قفوا برسوم الدار واستخبروا عنا * ولا تحسبونا في الديار كما كنا
لقد فرق الدهر المشتت شملنا * وما تشتفي اكباد حسادنا منا
تولت عذابي بالسياط لئيمة * وقد ملأت مني جوانحها ضغنا
عسى ولعل الله يجمع شملنا * ويدفع بالتنكيل اعداءنا عنا

فلما فرغ الاسعد من شعره مد يده عند رأسه فوجد رغيفا وكوز ماء مالح فاكل قليلا ليسد رمقه وشرب قليلا من الماء ولم يزل ساهرا الى الصباح من كثرة البق والقمل فلما اصبح الصباح نزلت اليه الجارية ونزعت عنه ثيابه وكانت قد تخرقت بالدم والتصقت بجلده فقطع جلده مع القميص فصرخ وتاوه وقال

يامولاى ان كان فى هذا رضاك فزدنى منه يارب انك لست غافلا عن من ظلمنى فخذ حقى منه ثم صعد الزفرات وانشد هذه الابيات

كن عن امورك معرضا * وكل الامور الى القضا
فلرب امر مسخط * لك فى عواقبه رضى
ولربما اتسع المضيق ولربما ضاق الفضا
الله يفعل مايشاء فلا تكن متعرضا * وابشر بخير عاجل * تنسى به ماقد مضى

فلما فرغ من شعره نزلت عليه الجارية بالضرب حتى غشى عليه ورمت له رغيفا وكوز ماء مالح وطلعت من عنده وخلته وحيدا فريدا حزينا والدماء تسيل من اعضائه وهو مقيد فى الحديد بعيد عن الاحباب فتذكر اخاه والعز الذى كان فيه وادركه شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الاسعد تذكر اخاه والعز الذى كان فيه فحن وبكى وان واشتكى وسكب العبرات وانشد هذه الابيات

يادهر مهلا كم تجور وتعتدى * ولكم باحبابى تروح وتغتدى
ماآن ان ترثى لطول تشتتى * وترق يامن قلبه كالجلمدى
واساة احبابى بما اشمت بى * كل العداة بما صنعت من الردى
وقد اشتفى قلب العدو بما رأى * من غربتى وصبابتى وتوحدى
لم يكفه ماحل بى من كربة * وفراق احباب وطرف ارمد
حتى بليت بضيق سجن ليس لى * فيه انيس غير عض باليد
ومدامع تهمى كفيض سحائب * وغليل شوق ناره لم تخمد
وكآبة وصبابة وتذكر * وتحسر وتنفس وتنهد
شوق اكابده وحزن متلف * ووقعت فى وجد مقيم مقعد
لم القى لى من عاطف ذى رحمة * يحنو على بزورة المتردد
هل من صديق ذى وداد صادق * يرثى لاسقامى وطول تسهدى
اشكوا اليه ما اكابده اسى * والطرف منى ساهر لم يرقد
ويطول ليلى فى العذاب لانتى * اصلى بنار الهم ذات توقد
والبق والبرغوث قد شربا دمى * شرب الطلا من كف المى اغيد
والجسم بين القمل منى قد حكى * مال اليتيم بكف قاض ملحد
وسكنت فى سجن ثلاثة اذرع * وغدوت بين مقيد ومصفد
فدامتى دمعى وقيدى مطربى * والفكر نقلى والهموم تهدى

فلما فرغ من نظمه ونثره حن وبكى وان واشتكى وتذكر ما كان فيه وما حصل له من فراق اخيه هذا ما كان من امره واما ما كان من امر اخيه الاسعد فانه مكث ينتظر اخاه الاسعد الى نصف النهار فلم يعد اليه فخفق فؤاده واشتد به الم الفراق وافاض دمعه المهراق وادركه شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثلاثين بعد المائتين

فقالت بلغني ايها الملك السعيد ان الامجد لما مكث ينتظر اخاه الاسعد الى نصف النهار فلم يعد اليه خفق فؤاده واشتد به الم الفراق وافاض دمعه المهراق وصاح واحسرتاه ما كان اخوفني من الفراق ثم نزل من فوق الجبل ودمعه سائل على خديه ودخل المدينة ولم يزل ماشيا فيها حتى وصل الى السوق وسال الناس عن اسم المدينة وعن اهلها فقالوا له هذه تسمى مدينة المجوس واهلها يعبدون النار دون الملك الجبار ثم سأل عن مدينة الابنوس فقالوا له ان المسافة التي بيننا وبينها من البرسنة ومن البحر ستة اشهر وملكها يقال له ارمانوس وقد صار اليوم ملكا وجعله مكانه وذلك الملك يقال له قمر الزمان وهو صاحب عدل واحسان وجود وامان فلما سمع الامجد ذكر اخيه حن وبكى وان واشتكى وصار لا يعلم اين يتوجه وقد اشترى معه شيأ للاكل وذهب الى موضع يتوارى فيه ثم قعد واراد ان ياكل فتذكر اخاه فبكى ولم ياكل الا قدر سد الرمق ثم قام ومشى في المدينة ليعلم خبر اخيه فوجد رجلا مسلما خياطا في دكان فجلس عنده وقد حكى للخياط قصته فقال له الخياط ان كان وقع في يد احد من المجوس فما بقيت تراه الا بعسر ولعل الله يجمع بينك وبينه ثم قال له هل لك يا اخي ان تنزل عندي قال نعم ففرح الخياط بذلك واقام عنده اياما وهو يسليه ويصبره ويعلمه الخياطة حتى صار ماهرا ثم خرج يوما الى شاطئ البحر وغسل ثوابه ودخل الحمام ولبس ثيابا نظيفة ثم خرج من الحمام يتفرج في المدينة فصادف في طريقه امرأة ذات حسن وجمال وقد واعتدال ليس لها في الحسن مثال فلما رأته رفعت القناع عن وجهها وغمزته بحواجبها وعيونها وغازلته باللحظات وانشدت هذه الابيات

رأيتك مقبلا فغضضت طرفي * كأنك يا مهفهف عين شمس
فانك انت احسن من تبدى * وانت اليوم احسن منك امس
ولو قسم الجمال لكان خمس * ليوسف واحد او بعض خمس
وباقيه لذاتك باختصاص * فكان فدى لنفسك كل نفس

فلما سمع الامجد كلامها ارتاح خاطره لديها وحنت جوارحه اليها وقد لعبت به ايدي الصبابات فاشار لها وانشد هذه الابيات

ورد الخدود ودونه شوك القنا * فمن المحال نفسه ان يجتنى
لا نمد الايدي اليه فطالما * شنوا الحروب لان مددنا الاعين
قل للتي ظلمت وكانت فتنة * ولوانها عدلت لكانت افتن
ليزاد وجهك بالتبرقع ضلة * وارى السفور لمثل حسنك اصون
كالشمس يمتنع اجتلاء لوجهها * وان اكتست برقيق غيم امكن
غدت الخيلة في حمى من لحاظها * فلواحاة الحي عما تصدنا
ان كان قتلي قصدهم فليرفعوا * تلك الضغائن وليطلوا بيننا
ماهم باعظم فتكة لو بارزوا * من طرف ذات الخال اذ برزت لنا

فلما سمعت من الامجد هذا الشعر تنهدت بصاعد الزفرات واشارت اليه وانشدت هذه الابيات

انت الذي سلك الاعراض لست انا * جد بالوصال اذا كان الوفاء انى
يا فالق الصبح من لألاء غرته * وجاعل الليل من اصداغه سكا
بصورة الوثن استعبدتني وبها * فتنتني وقديما هجت لي فتنا

لاغروان احرقت نار الهوى كبدى * فالنار حق على من يعبد الوثن
تبيع مثلى مجانا بلا ثمن * ان كان لابد من بيع فخذ ثمنا

فلما سمع الامجد منها هذا الكلام قال لها اتجيئين عندى او اجيء عندك فاطرقت برأسها حياء الى الارض وتلت قوله تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ففهم الامجد اشارتها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثلاثون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الامجد فهم اشارة المرأة وعرف انها تريد الذهاب معه حيث يذهب فالتزم لها بالمكان وقد استحى ان يروح بها عند الخياط الذى هو عنده فمشى قدامها ومشت خلفه ولم يزل ماشيا بها من زقاق الى زقاق ومن موضع الى موضع حتى تعبت الصبية فقالت له ياسيدى اين دارك فقال لها قدام وما بقى عليها الا شئ يسير ثم انعطف بها فى زقاق مليح ولم يزل ماشيا فيه وهى خلفه حتى وصل الى آخره فوجده غير نافذ فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم التفت بعينه فرأى فى صدر الزقاق بابا كبيرا بمسطبتين ولكنه مغلوق فجلس الامجد على مسطبة وجلست الاخرى على مسطبة ثم قالت له ياسيدى ما الذى تنتظره فاطرق برأسه الى الارض مليا ثم رفع رأسه وقال لها انتظر مملوكى فان المفتاح معه وكنت قد قلت له هى علينا المأكول والمشروب وصحبة المدام حتى اخرج من الحمام ثم قال فى نفسه ربما يطول علينا المطال فتروح الى حال سبيلها او تخلينى فى هذا المكان فلما طال عليها الوقت قالت له ياسيدى ان المملوك قد ابطأ علينا ونحن قاعدون فى الزقاق ثم قامت الصبية الى الضبة بحجر فقال لها الامجد لا تعملى واصبرى حتى يجيء المملوك فلم تسمع كلامه بل ضربت الضبة بالحجر فقسمتها نصفين فانفتح الباب فقال لها واى شئ خطر لك حتى تفعلى هكذا فقالت له ياسيدى اى شئ يرى اما هو بيتك فقال نعم ولكن لا يحتاج الى كسر الضبة ثم ان الصبية دخلت البيت فصار الامجد متحيرا فى نفسه خوفا من اصحاب المنزل ولم يدر ماذا يصنع فقالت له الصبية لم لم تدخل ياسيدى يا نور عينى وحشاشة قلبى قال لها سمعا وطاعة ولكن قد ابطأ على المملوك وما ادرى هل فعل شيأ مما امرته به ام لا ثم انه دخل معها وهو فى غاية ما يكون من الهم خوفا من اصحاب المنزل ولما دخل البيت وجد فيه قاعة مليحة باربعة لواوين متقابلة وفيها خزائن وسدلات مفروشات بالفرش الحرير والديباج وفى وسط القاعة فسقية مثمنة مرصوص عليها اطباق مرصعة بفصوص الجواهر وهى مملوءة فاكهة ومشموما وفى جانبها اوانى الشراب وهناك شمعدان فيه شمعه مركبة والمكان ملان بنفيس القماش وفيه صناديق وكراسى منصوبة وعلى كل كرسى بقجة وفوقها كيس ملآن دنانير والدار تشهد لصاحبها بالسعادة لان ارضها مفروشة بالرخام فلما رأى الامجد ذلك تحير فى امره وقال فى نفسه قد راحت روحى انا لله وانا اليه راجعون واما الصبية فانها لما رأت ذلك المكان فرحت فرحا شديدا اما عليه من مزيد وقالت والله ياسيدى ما قصر مملوكك فانه مسح المكان وطبخ الطعام وهيأ الفاكهة وقد جئت انا فى احسن الاوقات فلم يلتفت اليها الامجد لاشتغال قلبه بالخوف من اصحاب المكان فقالت ياسيدى مالك واقفا هكذا ثم شهقت شهقة واعطت الامجد قبلة مثل كسر الجوز وقالت له ياسيدى ان كنت مواعد غيرى فانا اشد ظهرى واخدمها فضحك الامجد عن قلب مملوء بالغيظ ثم طلع وجلس وهو ينفخ وقال فى نفسه يا قتلة الشوم اذا جاء صاحب المنزل وقد

جلست الصبية فى جانبه وصارت تلعب وتضحك والامجد مهموم معبس يحسب فى نفسه الف حساب ويقول لابد ان يجيء صاحب هذه القاعة فاى شئ اقول له ولابد انه يقتلنى بلاشك ثم ان الصبية قامت وتشمرت واخذت خواناً وقد حطت عليه السفرة واكلت وقالت للامجد كل ياسيدى فتقدم الامجد ليأكل فلم يطب له الاكل بل صار ينظر الى ناحية الباب حتى اكلت الصبية وشبعت وقد رفعت الخوان وقدمت طبق الفاكهة وشرعت تتنقل ثم قدمت المشروب وفتحت الجرة وملأت قدحاً وناولته للامجد فاخذه منها وقال فى نفسه آه آه من صاحب هذه الدار اذا جاء ورآنى وقد صارت عينه صوب الدهليز والقدح فى يده فبينما هو كذلك واذا بصاحب الدار قد جاء وكان مملوكاً من اكابر المدينة لانه كان اميراً خور عند الملك وقد جعل تلك القاعة معدة لحظه اينشرح فيها صدره ويختلى فيها بمن يريده وكان فى ذلك اليوم قد ارسل الى معشوق يجيء له وقد جهز له ذلك المكان وكان اسم ذلك المملوك بهادر وكان مخنى اليد صاحب جود واحسان وصدقات وامتنان فلما وصل الى قريب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثلاثون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان بهادر صاحب القاعة لما وصل الى قريب القاعة وجد الباب مفتوحاً فدخل قليلاً قليلاً وطل برأسه فنظر الامجد والصبية وقد امسها طبق الفاكهة وآلة المدام وفى ذلك الوقت كان الامجد ماسك القدح وعينه الى الباب فلما صارت عينه فى عين صاحب الدار اصفر لونه وارتعدت فرائصه فلما رأى بهادر قد اصفر لونه وتغير حاله غمزه باصبعه على خده يعنى اسكت وتعال عندى فحط الامجد الكاس من يده وقام اليه فقالت الصبية الى اين تخرج رأسه واشار لها انه يريق الماء ثم خرج الى الدهليز حافياً فلما رأى بهادر علم انه صاحب الدار فاسرع اليه وقبل يديه ثم قال له بالله عليك ياسيدى قبل ان تؤذينى ان تسمع منى مقالى ثم حدثه بحديثه من اوله الى آخره واخبره بسبب خروجه من ارضه ومملكته وانه ما دخل القاعة باختياره ولكن الصبية هى التى كسرت الضبة وفتحت الباب وفعلت هذه الفعائل فلما سمع بهادر كلام الامجد وعرف انه ابن ملك حن عليه ورحمه ثم قال اسمع يا امجد كلامى واطعنى وانا اتكفل لك بالامان مما تخاف وان خالفتنى قتلتك فقال الامجد امرنى بما شئت فانا لا اخالفك ابداً انت عتيق مروءتك فقال له بهادر ادخل هذه القاعة واجلس فى المكان الذى كنت فيه واطمئن وها انا داخل اليك واسمى بهادر فاذا دخلت اليك فاشتمنى وانهرنى وقل لى ما سبب تأخرك الى هذا الوقت ولا تقبل لى عذراً بل قم اضربنى وان شققت على اعدمتك حياتك فادخل وانبسط ومهما طلبته منى تجده حاضراً بين يديك فى الوقت وبت كما تحب فى هذه الليلة وفى غد توجه الى حال سبيلك اكراماً لغربتك فانى احب الغريب وواجب على اكرامه فقبل الامجد يده ودخل وقد اكتسى وجهه حمرة وبياضاً فاول ما دخل قال للصبية ياسيدتى آنست موضعك وهذه ليلة مباركة فقالت له الصبية ان هذا عجيب منك حيث بسطت لى الانس فقال الامجد والله ياسيدتى انى كنت اعتقد ان مملوكى بهادر اخذ لى عقود جواهر كل عقد يساوى عشرة الاف دينار ثم انى خرجت الان وانا متفكر فى ذلك فتفتشت عليها فوجدتها فى موضعها ولم ادر ما سبب تأخر المملوك الى هذا الوقت ولابد لى من عقوبته فاستراحت الصبية بكلام الامجد ولعبا وشربا وانشرحا ولم يزالا فى حظ الى قريب المغرب ثم دخل عليهما بهادر وقد غير لبسه وشد وسطه وجعل

فى رجليه زربونا على عادة المماليك ثم سلم وقبل الارض وكتف يديه والطرق برأسه الارض كالمعترف بذنبه فنظر اليه الامجد بعين الغضب وقال له ما سبب تأخرك يا انحس المماليك فقال له ياسيدى انى اشتغلت بغسل ثوابى وما علمت انك هاهنا فان ميعادى وميعادك العشاء لا بالنهار فصرخ عليه الامجد وقال له تكذب يا انحس المماليك والله لابد من ضربك ثم قام الامجد وسطح بهادر على الارض واخذ عصى وضربه برفق فقامت الصبية وخلصت العصا من يده ونزلت على بهادر بضرب وجيع حتى جرت دموعه واستغاث وصار يبكى على اسنانه والامجد يصيح على الصبية لا تفعلى هكذا وهى تقول دعنى اشفى غيظى منه ثم ان الامجد خطف العصى من يدها ودفعها فقام بهادر ومسح دموعه عن وجهه ووقف فى خدمتهما ساعة ثم مسح القاعة واوقد القناديل وصارت الصبية كلما دخل بهادر اوخرج تشتمه وتلعنه والامجد يغضب منها ويقول لها بحق الله تعالى ان تتركى مملوكى فانه غير معود بهذا ومازالا يأكلان ويشربان وبهادر فى خدمتهما الى نصف الليل حتى تعب من الخدمة والضرب فنام فى وسط القاعة وشخر وشخر فسكرت الصبية وقالت للامجد قم خذ هذا السيف المعلق واضرب رقبة هذا المملوك وان لم تفعل عملت على هلاك روحك فقال الامجد واى شئ خطر لك فى قتل مملوكى قالت لا يكمل الحظ الا بقتله وان لم تقم قمت انا وقتلته فقال الامجد بحق الله عليك لا تفعلى فقالت لابد من هذا واخذت السيف وجردته وهمت بقتله فقال الامجد فى نفسه هذا رجل عمل معنا خيرا وسترنا واحسن الينا وجعل نفسه مملوكى كيف نجازيه بالقتل لا كان ذلك ابدا ثم قال للصبية ان لم يكن بد من قتل مملوكى فانا احق بقتله منك ثم اخذ السيف من يدها ورفع يده وضرب الصبية فى عنقها فاطاح رأسها عن جثتها فوقعت رأسها على صاحب الدار فاستيقظ وجلس وفتح عينيه فوجد الامجد واقفا والسيف فى يده مخضبا بالدم ثم نظر الى الصبية فوجدها مقتولة فاستخبره عن امرها فاعاد عليه حديثها وقال له انها ابت الا ان تقتلك وهذا جزاؤها فقام بهادر وقبل رأس الامجد وقال له ياسيدى ليتك عفوت عنها وما بقى فى الامر الا اخراجها فى هذا الوقت قبل الصباح ثم ان بهادر شد وسطه واخذ الصبية ولفها فى عباءة ووضعها فى فرد وحملها وقال للامجد انت غريب ولا تعرف احدا فاجلس فى مكانك وانتظرنى عند طلوع الشمس فان عدت اليك لابد ان افعل معك خيرا كثيرا واجتهد فى كشف خبر اخيك وان طلعت الشمس ولم اعد اليك فاعلم انه قد قضى على والسلام عليك وهذه الدار لك بما فيها من الاموال والقماش ثم انه حمل الفرد وخرج من القاعة وشق بها الاسواق وقصد بها طريق البحر المالح ليرميها فيه فلما صار قريبا من البحر التفت فرأى الوالى والمقدمين قد احاطوا به ولما عرفوه تعجبوا وفتحوا الفرد فوجدوا فيه قتيلة فقبضوا عليه وبيتوه فى الحديد الى الصباح ثم طلعوا به هو والفرد الى الملك واعلموه بالخبر فلما رأى الملك ذلك غضب غضبا شديدا وقال له ويلك انك تفعل هكذا دائما فتقتل القتلى وترميهم فى البحر وتأخذ جميع مالهم وكم فعلت قبل ذلك من قتل فاطرق بهادر برأسه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثلاثون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان بهادر اطرق رأسه الى الارض قدام الملك فصرخ الملك عليه وقال له ويلك من قتل هذه الصبية فقال له ياسيدى انا قتلتها ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فغضب الملك وامر بشنقه فنزل به السياف حين امره الملك ونزل الوالى بالمنادى ينادى فى ازقة المدينة بالفرجة على

بهادر اميرياخور الملك وداربه فى الازقة والاسواق هذا ما كان من امر بهادر واما ما كان من امر الامجد فانه لما طلع عليه النهار وارتفعت الشمس ولم يعد اليه بهادر قال لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم باترى اى شئ جرى له فبينما هو يتفكر واذا بالمنادى ينادى بالفرجة على بهادر فانهم يشنقونه فى وسط النهار فلما سمع الامجد ذلك بكى وقال انا لله وانا اليه راجعون قد اراد هلاك نفسه من اجلى وانا الذى قتلتها والله لا كان هذا ابدا ثم خرج من القاعة وقفلها وشق فى وسط المدينة حتى اتى الى بهادر ووقف قدام الوالى وقال له ياسيدى لا تقتل بهادر فانه برئ والله ما قتلها الا انا فلما سمع الوالى كلامه اخذه هو وبهادر وطلع بهما الى الملك واعلمه بما سمعه من الامجد فنظر الملك الى الامجد وقال له أانت قتلت الصبية قال نعم فقال له الملك احك لى ما سبب قتلك اياها واصدقنى قال له ايها الملك انه جرى لى حديث عجيب وامر غريب لو كتب بالابر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر ثم حكى للملك حديثه واخبره بما جرى له ولاخيه من المبتدا الى المنتهى فتعجب الملك من ذلك غاية العجب وقال له انى قد علمت انك معذور ولكن يا فتى هل لك ان تكون عندى وزيرا فقال له سمعا وطاعة فخلع عليه الملك وعلى بهادر خلعا سنية واعطاه دارا حسنة وخدما وحشما وانعم عليه بجميع ما يحتاج اليه ورتب له الرواتب والجرايات وامره ان يبحث على اخيه الاسعد فجلس الامجد فى مرتبة الوزير وحكم وعدل وولى وعزل واخذ واعطى وارسل المنادى فى ازقة المدينة ينادى على اخيه الاسعد فمكث مدة ايام ينادى فى الشوارع والاسواق فلم يسمع له بخبر ولم يقع له على اثر هذا ما كان من امر الامجد واما ما كان من امر الاسعد فان المجوس لازالوا يعاقبونه بالليل والنهار وفى العشى والابكار مدة سنة كاملة حتى قرب عيد المجوس فتجهز بهرام المجوسى الى السفر وهيى له مركبا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثلاثون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان بهرام المجوسى جهز مركبا للسفر ثم حط الاسعد فى صندوق وقفله عليه ونقله الى المركب وفى تلك الساعة التى حول فيها بهرام الصندوق الذى فيه الاسعد كان الامجد بالقضاء والقدر واقفا يتفرج على البحر فنظر الى الحواجر وهم ينقلونها الى المركب فخفق فؤاده وامر غلمانه ان يقدموا له فرسه ثم ركب فى جملة من جماعته وتوجه الى البحر ووقف على مركب المجوسى وامر من معه ان ينزلوا المركب ويفتشوها ففتشوا المركب جميعها فلم يجدوا فيها شيأ فطلعوا واعلموا الامجد بذلك فركب وتوجه الى بيته فلما وصل الى منزله ودخل القصر انقبض صدره فنظر بعينه فى الدار فرأى سطرين مكتوبين على حائط وهما هذان البيتان

احبابنا ان غبتم عن ناظرى * فعن الفؤاد وخاطرى ما غبتم
لكنكم خلفتمونى مدنفا * وشعتم جفنى الرقاد وغبتم

فلما قرأهما الامجد تذكر اخاه وبكى هذا ما كان من امره واما ما كان من امر بهرام المجوسى فانه نزل المركب وصاح على البحرية وامرهم ان يحلوا حبل القلوع فحلوا القلوع وسافروا ولم يزالوا مسافرين اياما وليالى وكل يومين يخرج الاسعد ويطعمه قليلا من الزاد ويسقيه قليلا من الماء الى ان قربوا من جبل النار فخرج عليهم ريح وهاج بهم البحر حتى تاهت المركب عن الطريق وسلكوا طريقا غير طريقهم ووصلوا الى مدينة مبنية على شاطئ البحر ولها قلعة بشبابيك تطل على البحر والحاكمة على تلك المدينة امرأة يقال لها

الملكة مرجانة فقال الريس لبهرام ياسيدى انشاتهنا عن الطريق ولابدلنا من دخول هذه المدينة لاجل الراحة وبعد ذلك يفعل الله مايشاء فقال له بهرام نعم مارأيت والذى تراه افعله فقال له الريس اذا ارسلت لنا الملكة تسألنا ماذا يكون جوابنا لها فقال له بهرام انا عندى هذا المملوك الذى معنا فنلبسه لبس المماليك ونخرجه معنا واذا رأته الملكة تظن انه مملوك فاقول لها انى جلاب مماليك ابيع واشترى فيهم وقد كان عندى مماليك كثيرة فبعتهم ولم يبق غير هذا المملوك فقال له الريس هذا كلام مليح ثم انهم وصلوا الى المدينة وارخوا القلوع ودقوا المراسى ووقفت المركب واذا بالملكة مرجانة نزلت اليهم ومعها عسكرها ووقفت على المركب ونادت على الريس فطلع عندها وقبل الارض بين يديها فقالت له اى شئ فى مركبك هذه ومن معك فقال لها ياملكة الزمان معى رجل تاجر يبيع المماليك فقالت على به واذا ببهرام طلع ومعه الاسعد ماش وراءه فى صفة مملوك فلما وصل اليها بهرام قبل الارض بين يديها فقالت له ماشأنك فقال لها انا تاجر رقيق فنظرت الى الاسعد وقد ظنت انه مملوك فقالت له ما اسمك فخنقه البكا وقال لها اسمى الاسعد فحن قلبها عليه وقالت اتعرفا الكتابة قال نعم فناولته دواة وقلما وقرطاسا وقالت له اكتب شيأ حتى اراه فكتب هذين البيتين

ما حيلة العبد والاقدار جارية * عليه فى كل حال ايها الراقى
القاه فى اليم مكتوفا وقال له * اياك اياك ان تبتل بالماء

فلما رأت الورقة رحمته ثم قالت لبهرام يعنى هذا المملوك فقال لها ياسيدتى لا يمكننى بيعه لانى بعت جميع مماليكى ولم يبق عندى غير هذا فقالت الملكة مرجانة لابد من اخذه منك اما ببيع واما بهبة فقال لها الا بيعه ولا اهبه فقبضت على الاسعد واخذته وطلعت به القلعة وارسلت تقول له ان لم تقلع فى هذه الليلة عن بلدنا اخذت جميع مالك وكسرت مركبك فلما وصلت اليه الرسالة اغتم غما شديدا وقال ان هذه سفرة غير محمودة ثم قام وتجهز واخذ جميع ما يريده وانتظر الليل ليسافر فيه وقال للبحرية خذوا اهبتكم واملؤا قربكم من الماء واقلعوا بنا فى آخر الليل فصار البحرية يقضون اشغالهم هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر الملكة مرجانة فانها اخذت الاسعد ودخلت به القلعة وفتحت الشبابيك المطلة على البحر وامرت الجوارى ان يقدمن الطعام فقدمن لهما الطعام فاكلا ثم امرتهن ان يقدمن المدام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثلاثون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملكة مرجانة امرت الجوارى ان يقدمن المدام فقدمنه فشربت مع الاسعد والقى الله سبحانه وتعالى محبة الاسعد فى قلبها وصارت تملأ القدح وتسقيه حتى غاب عقله فقام يريد قضاء حاجة ونزل من القاعة فرأى بابا مفتوحا فدخل فيه وتمشى فانتهى به السير الى بستان عظيم فيه جميع الفواكه والازهار فجلس تحت شجرة وقضى حاجته وقام الى الفسقية التى فى البستان فاستلقى على قفاه ولباسه محلول فضربه الهواء فنام ودخل عليه الليل هذا ما كان من امره واما ما كان من امر بهرام فانه لما دخل عليه الليل صاح على بحرية المركب وقال لهم حلوا قلوعكم وسافروا بنا فقالوا له سمعا وطاعة ولكن اصبر علينا حتى نملأ قربنا ونحمل ثم طلع البحرية بالقرب ودار واخول القلعة فلم يجدوا غير حيطان البستان فتعلقوا بها ونزلوا البستان وتتبعوا اثر الاقدام الموصلة الى الفسقية فلما

وصلوا اليها وجدوا الاسعد مستلقيا على قفاه فعرفوه وفرحوا به وحملوه بعد ان ملؤا قربهم ونطوا من الحائط واتوا به مسرعين الى بهرام المجوسى وقالوا له ابشر بحصول المراد وشفاء الاكباد فقد طبل طبلك وزمر زمرك فان اسيرك الذى اخذته الملكة مرجانه منك غصبا قد وجدناه واتينا به معنا ثم رموه قدامه فلما نظره بهرام طار قلبه من الفرح واتسع صدره وانشرح ثم خلع عليهم وامرهم ان يحملوا القلوع بسرعة فحملوا قلوعهم وسافروا قاصدين جبل النار ولم يزالوا مسافرين الى الصباح هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر الملكة مرجانه فانها بعد نزول الاسعد من عندها مكثت تنتظره ساعة فلم يعد اليها فقامت وفتشت عليه فما وجدته فاوقدت الشموع وامرت الجوارى ان يفتشن عليه ثم نزلت هى بنفسها فرأت البستان مفتوحا فعلمت انه دخل فدخلت البستان فوجدت نعله بجانب الفسقية فصارت تفتش عليه فى جميع البستان فلم تره خبرا ولم تزل تفتش عليه فى جوانب البستان الى الصباح ثم سألت عن المركب فقالوا لها قد سافرت فى ثلث الليل فعلمت انهم اخذوه معهم فصعب عليها واغتاظت غيظا شديدا ثم امرت بتجهيز عشر مراكب كبار فى الوقت وتجهزت للحرب ونزلت فى مركب من العشر مراكب ونزل معها عسكرها مهيئين بالعدة الفاخرة والات الحرب وحملوا القلوع وقالت للرؤساء متى لحقتم مركب المجوسى فلكم عندى الخلع والاموال وان لم تلحقوها قتلتكم عن آخركم فحصل للبحرية خوف ورجاء عظيم ثم سافروا بالمراكب ذلك النهار وتلك الليلة وثانى يوم وثالث يوم وفى اليوم الرابع لاحت لهم مركب بهرام المجوسى ولم ينقض النهار حتى احاطت المراكب بمركب المجوسى وكان بهرام فى ذلك الوقت قد اخرج الاسعد وضربه وصار يعاقبه والاسعد يستغيث ويستجير فلم يجد مغيثا ولا مجيرا من الخلق وقد المه الضرب الشديد فبينما هو يعاقبه اذ لاحت منه نظرة فوجد المراكب قد احاطت بمركبه ودارت حولها كما يدور بياض العين بسوادها فتيقن انه هالك لا محالة فتحير بهرام وقال ويلك يا اسعد هذا كله من تحت رأسك ثم اخذه من يده وامر البحرية ان يرموه فى البحر وقال والله لا تقتلك قبل موتى فاحتملته البحرية من يديه ورجليه ورموه فى وسط البحر فاذن الله سبحانه وتعالى لما يريد من سلامته وبقية اجله انه غطس ثم طلع وخبط بيديه ورجليه الى ان سهل الله عليه واتاه الفرج وضربه الموج وقذفه بعيدا عن مركب المجوسى ووصل الى البر فطلع وهو لم يصدق بالنجاة ولما صار فى البر قلع ثوبه وعصرها ونشرها وقعد عريانا يبكى على ما جرى له من المصائب والاسر ثم انشد هذين البيتين

الهى قل صبرى واحتيالى * وضاق الصدر وانصرمت حبالى
الى من يشتكى المسكين الا * الى مولاه يا مولى الموالى

فلما فرغ من شعره قام ولبس ثيابه ولم يعلم اين يروح ولا اين يجيء فصار يأكل من نبات الارض وفواكه الاشجار ويشرب من ماء الانهار وسافر بالليل والنهار حتى اشرف على مدينة ففرح واسرع فى مشيه نحو المدينة فلما وصل اليها ادركه المساء وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثلاثون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الاسعد لما وصل الى المدينة ادركه المساء وقد قفل بابها وكانت المدينة هى التى كان اسيرا فيها واخوه الامجد وزيره لكها فلما رأها الاسعد قفولة رجع الى جهة المقابر فلما

وصل الى المقابر وجد تربة بلا باب فدخلها ونام فيها وحط وجهه فى عبه وكان بهرام المجوسى لما وصلت اليه الملكة مرجانة بالمراكب كسرها بمكره وسحره ورجع سالما لمدينته وشار من وقته وساعته وهو فرحان فلما جاز على المقابر طلع من المركب بالقضاء والقدر ومشى بين المقابر فرأى التربة التى فيها الاسعد مفتوحة فتعجب وقال لابد ان انظر فى هذه التربة فلما نظر فيها رأى الاسعد وهو نائم ورأسه فى عبه فطل فى وجهه فعرفه فقال له هل انت تعيش الى الان ثم اخذه وذهب به الى بيته وكان له فى بيته طابق تحت الارض معد لعذاب المسلمين وكان له بنت تسمى بستانا فوضع فى رجلى الاسعد قيدا ثقيلا وانزله فى ذلك الطابق ووكل بنته بتعذيبه ليلا ونهارا الى ان يموت ثم انه ضربه الضرب الوجيع وقفل عليه الطابق واعطى المفاتيح لبنته ثم ان بنته بستانا نزلت لتضربه فوجدته شابا ظريف الشمائل حلو المنظر مقوس الحاجبين كحيل المقلتين فوقعت محبته فى قلبها فقالت له ما اسمك قال لها اسمى الاسعد فقالت له سعدت وسعدت ايامك انت ما تستاهل العذاب وقد علمت انك مظلوم وصارت تؤانسه بالكلام وفكت قيوده ثم انها سألته عن دين الاسلام فاخبرها انه هو الدين الحق القويم وان سيدنا محمد صاحب المعجزات الباهرة والايات الظاهرة وان النار تضر ولا تنفع وعرفها قواعد الاسلام فاذعنت اليه ودخل حب الايمان فى قلبها ومزج الله تعالى محبة الاسعد بفؤادها فنطقت بالشهادتين وصارت من اهل السعادة وصارت تطعمه وتسقيه وتتحدث معه وتصلى هى واياه وتصنع له المسالیق بالدجاج حتى اشتد وزال ما به من الامراض ورجع الى ما كان عليه من الصحة ثم ان بنت بهرام خرجت من عند الاسعد ووقفت على الباب واذا بالمنادى ينادى ويقول كل من كان عنده شاب مليح صفته كذا وكذا واظهره فله جميع ما طلب من الاموال ومن كان عنده وانكره فانه يشنق على باب داره ويذهب ماله ويهدر دمه وكان الاسعد قد اخبر بستانا بنت بهرام بجميع ما جرى له فلما سمعت ذلك عرفت انه هو المطلوب فدخلت عليه واخبرته بالخبر فخرج وتوجه الى دار الوزير فلما رأى الوزير قال والله ان هذا الوزير هو اخى الامجد ثم طلع وطلعت الصبية وراءه الى القصر فرأى اخاه الامجد فالقى نفسه عليه ثم ان الامجد عرفه فالقى نفسه عليه وتعانقا واحتاطت بهما المماليك وغشى على الاسعد والامجد ساعة فلما افاقا من غشيتهما اخذه الامجد وطلع به الى السلطان واخبره بقصته فامره السلطان بنهب بيت بهرام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثلاثون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان السلطان امر الامجد بنهب دار بهرام فارسل الوزير جماعة لذلك فتوجهوا الى بيت بهرام ونهبوه وطلعوا بابنته الى الوزير فاكرمها وحدث الاسعد اخاه بكل ما جرى له من العذاب وما عملت معه بنت بهرام من الاحسان فزاد الامجد فى اكرامها ثم حكى الامجد للاسعد جميع ما جرى له مع الصبية وكيف سلم من الشنق وقد صار وزيرا وصار يشكو احدهما للاخر ما وجد من فرقة اخيه ثم ان السلطان احضر المجوسى وامر بضرب عنقه فقال بهرام ايها الملك الاعظم هل صممت على قتلى قال نعم فقال بهرام اصبر على ايها الملك قليلا ثم انه اطرق برأسه الى الارض وبعد ذلك رفع رأسه وتشهد واسلم على يد السلطان ففرحوا باسلامه ثم حكى له الامجد والاسعد جميع ما جرى لهما فقال لهما ياسيداى تجهزا للسفر وانا اسافر بكما ففرحا بذلك وباسلامه وبكيا بكاء شديدا فقال لهما بهرام ياسيداى لا تبكيا

قصير كما تجتمعان كما اجتمع نعمة ونعم فقالا له وما جرى لنعمة ونعم فقال بهرام ذكروا والله اعلم انه كان بمدينة الكوفة رجل من وجوه اهلها يقال له الربيع بن حاتم وكان كثير المال مرفه الحال وكان قد رزق ولدا فسماه نعمة الله فبينما هو ذات يوم بدكة النخاسين اذ نظر جارية تعرض للبيع وعلى يدها وصيفة صغيرة بديعة فى الحسن والجمال فاشار الربيع الى النخاس وقال له بكم هذه الجارية وابنتها فقال بخمسين دينارا فقال الربيع اكتب العهد وخذ المال سلمه لمولاها ثم دفع للنخاس ثمن الجارية واعطاه دلالته وتسلم الجارية وابنتها ومضى بهما الى بيته فلما نظرت ابنة عمه الى الجارية قالت له يا ابن العم ما هذه الجارية قال اشتريتها رغبة فى هذه الصغيرة التى على يديها واعلمى انها اذا كبرت ما يكون فى بلاد العرب والعجم مثلها ولا اجمل منها فقالت لها ابنة عمه ما اسمك يا جارية فقالت يا سيدتى اسمى توفيق قالت وما اسم ابنتك قالت سعد قالت صدقت لقد سعدت وسعد من اشتراك ثم قالت يا ابن عمى ما تسميها قال ما تختارينه انت قالت نسميها نعم قال الربيع لا بأس بذلك ثم ان الصغيرة نعم تربت مع نعمة ابن الربيع فى مهد واحد الى حين بلغا من العمر عشر سنين وكان كل شخص منهما احسن من صاحبه وصار الغلام يقول لها يا اختى وهى تقول له يا اخى ثم اقبل الربيع على ولده نعمة حين بلغا هذا السن وقال له يا ولدى ليست نعم اختك بل هى جاريتك وقد اشتريتها على اسمك وانت فى المهد فلا تدعها باختك من هذا اليوم قال نعمة لابيه فاذا كان كذلك فانا اتزوجها ثم انه دخل على والدته واعلمها بذلك فقالت يا ولدى هى جاريتك فدخل نعمة بن الربيع بتلك الجارية واحبها ومضى عليهما تسع سنين وهما على تلك الحالة ولم يكن بالكوفة جارية احسن من نعم ولا احلى ولا اظرف منها وقد كبرت وقرأت القرآن والعلوم وعرفت انواع اللعب والالات وبهرت فى المغنى والات الملاهى حتى انها فاقت جميع اهل عصرها فبينما هى جالسة ذات يوم من الايام مع زوجها نعمة بن الربيع فى مجلس الشراب وقد اخذت العود وشدت اوتاره وانشدت هذين البيتين

اذا كنت لى مولى اعيش بفضله * وسيفا به افنى رقاب النوائب
فمالى الى زيد وعمرو شفاعة * سواك اذا ضاقت على مذاهبى

فطرب نعمة طربا عظيما ثم قال لها بحياتى يا نعم ان تغنى لنا على الدف والات الطرب فاطربت بالنغمات وغنت بهذه الابيات

وحياة من ملكت يداه قيادى * لا خالفن على الهوى حسادى
ولاغضبن عواذلى واطيعكم * ولاهجرن تلذذى ورقادى
ولاجعلن لكم باكناف الحشى * قبرا ولم يشعر بذاك فؤادى

فقال الغلام لله درك يا نعم فبينما هما فى اطيب عيش واذا بالحجاج فى دار نيابته يقول لابد لى ان احتال على اخذ هذه الجارية التى اسمها نعم وارسلها الى امير المؤمنين عبد الملك بن مروان لانه لم يوجد فى قصره مثلها ولا اطيب من غنائها ثم انه استدعى بعجوز قهرمانة وقال لها امضى الى دار الربيع واجتمعى بالجارية نعم وتسببى فى اخذها لانه لم يوجد على وجه الارض مثلها فقبلت العجوز من الحجاج ما قاله ولما اصبحت لبست انوابها الصوف وحطت فى رقبتها سبحة حباتها الوف وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثلاثون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العجوز قبلت ما قاله الحجاج ولما اصبحت لبست ثوبها الصوف ووضعت فى رقبتها سبحة عدد حباتها الوف واخذت بيدها عكازا وركوة يمانية وسارت وهى تقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ولم تزل فى تسبيح وابتهال وقلبها ملآن بالمكر والمحال حتى وصلت الى دار نعمة بن الربيع عند صلاة الظهر فقرعت الباب ففتح لها البواب وقال ما تريدين قالت انا فقيرة من العابدات وادركتنى صلاة الظهر واريد ان اصلى فى هذا المكان المبارك فقال لها البواب يا عجوز ان هذه دار نعمة بن الربيع وليست بجامع ولا مسجد فقالت انا اعرف انه لا جامع ولا مسجد مثل دار نعمة بن الربيع وانا قهرمانة من قصر امير المؤمنين خرجت طالبة العبادة والسياحة فقال لها البواب لا امكنك من ان تدخلى وكثر بينهما الكلام فتعلقت به العجوز وقالت له هل يمنع مثلى من دخول دار نعمة بن الربيع وانا اعبر الى ديار الامراء والاكابر فخرج نعمة وسمع كلامهما فضحك وامرها ان تدخل خلفه فدخل نعمة وسارت العجوز خلفه حتى دخل بها على نعم فسلمت عليها العجوز باحسن سلام ولما نظرت الى نعم تعجبت من فرط جمالها ثم قالت لها يا سيدتى اعيذك بالله الذى الف بينك وبين مولاك فى الحسن والجمال ثم انتصبت العجوز فى المحراب واقبلت على الركوع والسجود والدعاء الى ان مضى النهار واقبل الليل بالاعتكار فقالت الجارية يا امى اريحى قدميك ساعة فقالت العجوز يا سيدتى من طلب الاخرة اتعب نفسه فى الدنيا ومن لم يتعب نفسه فى الدنيا لم ينل منازل الابرار فى الاخرة ثم ان نعما قدمت الطعام للعجوز وقالت لها كلى من طعامى وادعى لى بالتوبة والرحمة فقالت العجوز يا سيدتى انى صائمة واما انت فصبية يصلح لك الاكل والشرب والطرب والله يتوب عليك وقد قال الله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا ولم تزل الجارية جالسة مع العجوز ساعة تحدثها ثم قالت لسيدها يا سيدى احلف على هذه العجوز ان تقيم عندنا مدة فان على وجهها اثر العبادة فقال اخلى لها مجلسا للعبادة ولا تخلى احدا يدخل عليها فلعل الله سبحانه وتعالى ينفعنا ببركتها ولا يفرق بيننا ثم باتت العجوز ليلتها تصلى وتقرأ الى الصباح فلما اصبح الصباح جاءت الى نعمة ونعم وصبحت عليهما وقالت لهما استودعتكما الله فقالت لها نعم الى اين تمضين يا امى وقد امرنى سيدى ان اخلى لك مجلسا تعتكفين فيه للعبادة فقالت العجوز الله يبقيه ويديم نعمته عليكما ولكن اريد منكما ان توصوا البواب انه لا يمنعنى من الدخول اليكما وان شاء الله تعالى ادور فى الاماكن الطاهرة وادعو لكما عقب الصلاة والعبادة فى كل يوم وليلة ثم خرجت من الدار والجارية نعم تبكى على فراقها وما تعلم السبب الذى اتت اليها من اجله ثم ان العجوز توجهت الى الحجاج فقال لها ما وراءك فقالت له انى نظرت الى الجارية فرأيتها لم تلد النساء احسن منها فى زمانها فقال لها الحجاج ان فعلت ما امرتك به يصل اليك منى خير جزيل فقالت له اريد منك المهلة شهرا كاملا فقال لها امهلتك شهرا ثم ان العجوز جعلت تتردد الى دار نعمة وجارية نعم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثلاثون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العجوز صارت تتردد الى دار نعمة ونعم وهما يزيدان فى اكرامها وما زالت العجوز تمسى وتصبح عندهما ويرحب بها كل من فى الدار حتى انها العجوز اختلت بالجارية يوما من الايام وقالت يا سيدتى والله ان حضرت الاماكن الطاهرة دعوت لك وتمنى ان تكونى معى حتى ترى

المشايخ الواصلين ويدعون لك بما تختارين فقالت لها الجارية نعم بالله يا امي ان تأخذيني معك فقالت لها استأذني حماتك وانا آخذك معي فقالت الجارية لحماتها ام نعمة ياسيدتي اسألي سيدي ان يخليني اخرج انا وانت يوما من الايام مع امي العجوز الى الصلاة والدعاء مع الفقراء في الاماكن الشريفة فلما اتى نعمة وجلس تقدمت اليه العجوز وقبلت يديه فمنعها من ذلك ودعت له وخرجت من الدار فلما كان ثاني يوم جاءت العجوز ولم يكن نعمة في الدار فاقبلت على الجارية نعم وقالت لها قد دعونا لكم البارحة ولكن قومي في هذه الساعة تفرجي وعودي قبل ان يجيء سيدك فقالت الجارية لحماتها اسألك بالله ان تأذني لي في الخروج مع هذه المرأة الصالحة لاتفرج على اولياء الله في الاماكن الشريفة واعود بسرعة قبل مجيء سيدي فقالت ام نعمة اخشى ان يدري سيدك فقالت العجوز والله لادعها تجلس على الارض بل تنظر وهي واقفة على اقدامها ولا تبطئ ثم اخذت الجارية بالحيلة وتوجهت بها الى قصر الحجاج وعرفته بمجيئها بعد ان حطتها في مقصورة فاتى الحجاج ونظر اليها فرأها اجمل اهل زمانها ولم ير مثلها فلما رأته نعم سترت وجهها فلم يفارقها حتى استدعى بحاجبه واركب معه خمسين فارسا وامره ان يأخذ الجارية على نجيب سابق ويتوجه بها الى دمشق ويسلمها الى امير المؤمنين عبد الملك بن مروان وكتب له كتابا وقال له اعطه هذا الكتاب وخذ منه الجواب واسرع الى بالرجوع فتوجه الحاجب واخذ الجارية على هجين وسافر بها وهي باكية العين من اجل فراق سيدها حتى وصلوا الى دمشق واستأذن على امير المؤمنين فاذن له فدخل الحاجب عليه واخبره بخبر الجارية فاخلى لها مقصورة ثم دخل الخليفة حريمه فرأى زوجته فقال لها ان الحجاج قد اشترى لي جارية من بنات ملوك الكوفة بعشرة الاف دينار وارسل الى هذا الكتاب وهي صحبة الكتاب فقالت له زوجته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للاربعين بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة لما اخبر زوجته بقصة الجارية قالت له زوجته زادك الله من فضله ثم دخلت اخت الخليفة على الجارية فلما رأتها قالت والله ما خاب من انت في منزله ولو كان ثمنك مائة الف دينار فقالت لها الجارية نعم يا صبيحة الوجه هذا قصر من من الملوك واي مدينة هذه المدينة قالت لها هذه مدينة دمشق وهذا قصر اخي امير المؤمنين عبد الملك بن مروان ثم قالت للجارية كائنك ما علمت هذا قالت والله ياسيدتي لا علم لي بهذا قالت والذي باعك وقبض ثمنك ما اعلمك بان الخليفة قد اشتراك فلما سمعت الجارية ذلك الكلام سكبت دموعها وبكت وقالت في نفسها قد تمت الحيلة على ثم قالت في نفسها ان تكلمت فما يصدقني احد ولكن اسكت واصبر لعلمي ان فرج الله قريب ثم انها طرقت رأسها حياء وقد احمرت خدودها من اثر السفر والشمس فتركتها اخت الخليفة في ذلك اليوم وجاءتها في اليوم الثاني بقماش وقلائد من الجواهر والبستها فدخل عليها امير المؤمنين وجلس الى جانبها فقالت له اخته انظر الى هذه الجارية التي قد كمل الله فيها الحسن والجمال فقال الخليفة لنعم ازيحي القناع عن وجهك فلم ترح القناع عن وجهها فلم يروجهها وانما رأى معاصمها فوقعت محبتها في قلبه وقال لاخته لا ادخل عليها الا بعد ثلاثة ايام حتى تستأنس بك ثم قام وخرج من عندها فصارت الجارية متفكرة في امرها ومتحسرة على افتراقها من سيدها نعمة فلما اتى الليل ضعفت الجارية بالحمى ولم تأكل ولم تشرب وتغير وجهها ومحاسنها فعرفوا الخليفة بذلك فشق عليه امرها ودخل عليها

بالاطباء واهل البصائر فلم يقف لها احد على طب هذا ما كان من امرها واما ما كان من امر سيدها نعمة فانه اتى الى داره وجلس على فراشه ونادى يا نعم فلم تجبه فقام مسرعا ونادى فلم يدخل عليه احد وكل جارية فى البيت اختفت خوفا منه فخرج نعمة الى والدته فوجدها جالسة ويدها على خدها فقال لها يا امى اين نعم فقالت له يا ولدى مع من هى اوثق منى عليها وهى العجوز الصالحة فانها خرجت معها الى الزور الفقراء وتعود فقال ومتى كان لها عادة بذلك وفى اى وقت خرجت قالت خرجت بكرة النهار قال وكيف اذنت لها بذلك فقالت له يا ولدى هى التى اشارت على بذلك فقال نعمة لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم خرج من بيته وهو غائب عن الوجود ثم توجه الى صاحب الشرطة فقال له احتل على وتأخذ جاريتى من دارى فلا بد لى ان اسافر واشتكيك الى امير المؤمنين فقال صاحب الشرطة ومن اخذها فقال عجوز صفتها كذا وكذا وعليها ملبوس من الصوف ويدها سبحة عدد حباتها الوف فقال له صاحب الشرطة اوقفنى على العجوز وانا اخلص لك جاريتك فقال ومن يعرف العجوز فقال له صاحب الشرطة ومن يعلم الغيب الا الله سبحانه وتعالى وقد علم صاحب الشرطة انها محتالة الحجاج فقال له نعمة ما اعرف جاريتى الا منك وبينى وبينك الحجاج فقال له امض الى من شئت فتوجه نعمة الى قصر الحجاج وكان والده من اكابر اهل الكوفة فلما وصل الى بيت الحجاج دخل حاجب الحجاج عليه واعلمه بالقضية فقال له على به فلما وقف بين يديه قال له الحجاج ما بالك فقال له نعمة كان من امرى ما هو كذا وكذا فقال هاتوا صاحب الشرطة وتأمره ان يفتش على العجوز فلما حضر صاحب الشرطة قال له اريد منك ان تفتش على جارية نعمة بن الربيع فقال له صاحب الشرطة لا يعلم الغيب الا الله تعالى فقال له الحجاج لا بد ان تركب الخيل وتبصر الجارية فى الطرقات وتنظر فى البلدان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والاربعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الحجاج قال لصاحب الشرطة لا بد ان تركب الخيل وتنظر فى البلدان والطرقات وتفتش على الجارية ثم التفت الى نعمة وقال له ان لم ترجع جاريتك دفعت لك عشر جوار من دارى وعشر جوار من دار صاحب الشرطة ثم قال لصاحب الشرطة اخرج فى طلب الجارية فخرج صاحب الشرطة ونعمة مغموم وقد يئس من الحياة وكان قد بلغ من العمر اربع عشرة سنة ولا نبات بعارضيه فجعل يبكى وينتحب وانعزل عن داره ولم يزل يبكى الى الصباح فاقبل والده وقال له يا ولدى ان الحجاج قد احتال على الجارية واخذها ومن ساعة الى ساعة يأتى الله بالفرج من عنده فتزايدت الهموم على نعمة وصار لا يعلم ما يقول ولا يعرف من يدخل عليه واقام ضعيفا ثلاثة اشهر حتى تغيرت احواله ويئس منه ابوه ودخلت عليه الاطباء فقالوا ما له دواء الا الجارية فبينما والده جالس يوما من الايام اذ سمع بطبيب ماهر اعجمى وقد وصفه الناس باتقان الطب والتنجيم وضرب الرمل فدعاه الربيع فلما حضر اجلسه الربيع الى جانبه واكرمه وقال له انظر حال ولدى فقال لنعمة هات يدك فاعطاه يده يجس مفاصله ونظر فى وجهه وضحك والتفت الى ابيه وقال ليس بولدك غير مرض فى قلبه فقال صدقت يا حكيم فانظر فى شأن ولدى بمعرفتك واخبرنى بجميع احواله ولا تكتم عنى شيأ من امره فقال الاعجمى انه متعلق بجارية وهذه الجارية فى البصرة او فى دمشق وما دواء ولدك غير اجتماعه بها فقال الربيع

ان جمعت بينهما فذلك عندى ما يسر لك وتعيش عمرك كله فى المال والنعمة فقال له العجمى ان هذا الامر قريب وسهل ثم التفت الى نعمة وقال له لا بأس عليك فطب نفسا وقر عينا ثم قال للربيع اخرج من مالك اربعة آلاف دينار فاخرجها وسلمها للاعجمى فقال له الاعجمى اريد ان ولدك يسافر معى الى دمشق وان شاء الله تعالى لا ارجع الا بالجارية ثم التفت العجمى الى الشاب وقال له ما اسمك قال نعمة قال يا نعمة اجلس وكن فى امان الله تعالى لقد جمع الله بينك وبين جاريتك فاستوى جالسا فقال له ثبت قلبك فنحن نسافر مثل هذا اليوم فكل واشرب وانبسط لتقوى على السفر ثم ان العجمى اخذ فى قضاء حوايجه من جميع ما يحتاج اليه واستكمل من والد نعمة عشرة الاف دينار واخذ منه الخيل والجمال وغير ذلك مما يحتاج لحمل الاثقال فى الطريق ثم ان نعمة ودع والده ووالدته وسافر مع الحكيم الى حلب فلم يقع على خبر الجارية ثم انهما وصلا الى دمشق واقاما فيها ثلاثة ايام وبعد ذلك اخذ الاعجمى دكانا وملأ رفوفها بالصينى النفيس والاغطية وزركش الرفوف بالذهب والقطع المثمنة وحط قدامه اوانى من القناني فيها سائر الادهان وسائر الاشربة ووضع حول القناني اقداحا من البلور وحط الاصطرلاب قدامه ولبس انواب الحكمة والطب وواقف بين يديه نعمة والبسه قبصا وملوطة من الحرير وفوطه فى وسطه بفوطة من الحرير مزركشة بالذهب ثم قال العجمى لنعمة يا نعمة انت من اليوم ولدى فلا تدعنى الا بابيك وانا الا ادعوك الا بالوالد فقال نعمة سمعا وطاعة ثم ان اهل دمشق اجتمعوا على دكان العجمى ينظرون الى حسن نعمة والى حسن الدكان والبضائع التى فيها والعجمى يكلم نعمة بالفارسية ونعمة يكلمه كذلك بتلك اللغة لانها كان يعرفها على عادة اولاد الاكابر واشتهر ذلك الاعجمى عند اهل دمشق وجعلوا يصفون له الاوجاع وهو يعطيهم الادوية ويأتونه بالقوارير المملوءة بيول المرضى فيبصرها ويقول ان مرض صاحب البول الذى فى هذه القارورة كذا وكذا فيقول صاحب المرض ان هذا الطبيب صادق ثم صار يقضى حاجة الناس واجتمعت عليه اهل دمشق وشاع خبره فى المدينة وفى بيوت الاكابر فبينما هو ذات يوم جالس اذا قبلت عليه عجوز راكبة على حمار بزدعته من الديباج المرصع بالجواهر فوقفت على دكان العجمى وشدت لجام الحمار واشارت للعجمى وقالت له امسك يدى فاخذ يدها فنزلت من فوق الحمار وقالت له أنت الطبيب العجمى الذى جئت من العراق قال نعم قالت اعلم ان لى بنتا وبها مرض واخرجت له قارورة فلما نظر العجمى الى ما فى القارورة قال لها يا سيدتى ما اسم هذه الجارية حتى احسب نجمها واعرف اى ساعة يوافقها فيها شرب الدواء فقالت يا انا الفرس اسمها نعم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والاربعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العجمى لما سمع اسم نعم جعل يحسب ويكتب على يده وقال لها يا سيدتى ما اصف لها دواء حتى اعرف من اى ارض هى لاجل اختلاف الهواء فعرفينى فى اى ارض تربت وكم سنة سنها فقالت العجوز سنها اربع عشرة سنة ومربا ها بارض الكوفة من العراق فقال وكم شهر لها فى هذه الديار فقالت له اقامت فى هذه الديار شهورا قليلة فلما سمع نعمة كلام العجوز وعرف اسم جاريته خفق قلبه فقال لها الاعجمى يوافقها من الادوية كذا وكذا فقالت له العجوز اعطنى ما وصفت على بركة الله تعالى ورمت له عشرة دنانير على الدكان فنظر الحكيم الى نعمة وامره ان يهيئ لها عقاقير الدواء وصارت

العجوز تنظر الى نعمة وتقول اعيذك بالله يا ولدى ان شكلها مثل شكلك ثم قالت العجوز للعجمى يا اخا الفرس هل هذا مملوكك او ولدك فقال لها العجمى انه ولدى ثم ان نعمة وضع لها الحوايج فى علبة واخذ ورقة وكتب فيها هذين البيتين

اذا انعمت نعم على بنظرة * فلا اسعدت سعدى ولا اجملت جمل

وقالوا اسل عنها تعط عشرين مثلها * وليس لها مثل واست لها اهلو

ثم دس الورقة فى داخل العلبة وختمها وكتب على غطاء العلبة بالخط الكوفى انا نعمة بن الربيع الكوفى ثم وضع العلبة قدام العجوز فاخذتها وودعتهما وانصرفت متوجهة الى قصر الخليفة فلما طلعت العجوز بالحوايج الى الجارية وضعت علبة الدواء قدامها ثم قالت لها يا سيدتى اعلمى انه قدانى الى مدينتنا طبيب عجمى ما رأيت احدا اعرف بامور الامراض منه فذكرت له اسمك بعد ان رأى القارورة فعرف مرضك ووصف دواءك ثم امر ولده فشد لك هذا الدواء وليس فى دمشق اجمل ولا اظرف من ولده ولا احسن ثيابا منه ولا يوجد لاحد دكان مثل دكانه فاخذت العلبة فرأت مكتوبا على غطائها اسم سيدها واسم ابيه فلما رأت ذلك تغير لونها وقالت لاشك ان صاحب الدكان قدانى فى شأنى ثم قالت للعجوز صفى لى هذا الصبى فقالت اسمه نعمة وعلى حاجبه الايمن اثر وعليه ملابس فاخرة وله حسن كامل فقالت الجارية ناولينى الدواء على بركة الله تعالى وعونه فاخذت الدواء وشربته وهى تضحك وقالت لها انه دواء مبارك ثم فتشت فى العلبة فرأت الورقة ففتحتها وقرأتها فلما فهمت معناها تحققت انه سيدها فطابت نفسها وفرحت فلما رأتها العجوز قد ضحكت قالت لها ان هذا اليوم يوم مبارك فقالت نعم يا قهرمانة ايريد الطعام والشراب فقالت العجوز للجوارى قدموا الموائد والاطعمة الفاخرة لسيدتكن فقدمن اليها الاطعمة وجلست للاكل واذا بعبد الملك بن مروان قد دخل عليهن ونظر الجارية جالسة وهى تاكل الطعام ففرح ثم قالت القهرمانة يا امير المؤمنين يهنيك عافية جاريتك نعم وذلك انه وصل الى هذه المدينة رجل طبيب ما رأيت اعرف منه بالامراض ودوائها فاتيت لها منه بدواء فتعاطت منه مرة واحدة فحصلت لها العافية يا امير المؤمنين فقال امير المؤمنين خذى الف دينار وقومى بابرائها ثم خرج وهو فرحان بعافية الجارية وراحت العجوز الى دكان العجمى بالالف دينار واعطتها اياها واعلمته انها جارية الخليفة وناولته ورقة كانت نعمة قد كتبتها فاخذها العجمى وناولها النعمة فلما رأها عرف خطها فوقع مغشيا عليه فلما افاق فتح الورقة فوجد مكتوبا فيها من الجارية المسلوبة من نعمتها المخدوعة فى عقلها المفارقة لحبيب قلبها اما بعد فانه قد ورد كتابكم على فشرح الصدر وسر الخاطر وكان كقول الشاعر

ورد الكتاب فلا عدمت انا ملا * كتبت به حتى تضمخ طيبا

فكان موسى قد اعيد لامه * او ثوب يوسف قد اتى يعقوبا

فلما قرأ نعمة هذا الشعر هملت عيناه بالدموع فقالت له القهرمانة ما الذى يبكيك يا ولدى لا ابكى الله لك عينا فقال العجمى يا سيدتى كيف لا يبكى ولدى وهذه جاريته وهو سيدها نعمة بن الربيع الكوفى وعافية هذه الجارية مرهونة برؤيته وليس بها علة الا الهوى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العجمى قال للبهوز كيف لا يبكى ولدى وهذه جاريته وهو سيدها نعمة بن الربيع الكوفى وعافية هذه الجارية مرهونة برؤيته وليس بها علة الا هواه فخذى انت ياسيدتى هذا الالف دينار لك ولك عندى اكثر من ذلك وانظرى لنا بعين الرحمة ولا نعرف اصلاح هذا الامر الا منك فقالت البهوز لنعمة هل انت مولاها فقال نعم قالت صدقت فانها لا تفترعن ذكرك فاخبرها نعمة بما قد جرى له من الاول الى الاخر فقالت البهوز يا غلام لا تعرف اجتماعك بها الا منى ثم ركبت وعادت من وقتها ودخلت على الجارية فنظرت فى وجهها وضحكت وقالت لها يحق لك يا بنتى ان تبكى وتمرضى من اجل فراق سيدك نعمة بن الربيع الكوفى فقالت نعم قد انكشف لك الغطا وظهر لك الحق فقالت لها البهوز طيبى نفسا وانشرحى صدرا فوالله لاجمعن بينكما ولو كان فى ذلك ذهاب روحى ثم انها رجعت الى نعمة وقالت له انى رجعت لجاريتك واجتمعت بها فوجدت عندها من الشوق اليك اكثر مما عندك لها وذلك ان امير المؤمنين يريد ان يجتمع بها وهى تمتنع منه فان كان لك جنان ثابت وقوة قلب فانا اجمع بينكما واخاطر بنفسى معكما وادبر حيلة واعمل مكيدة فى دخولك قصر امير المؤمنين حتى تجتمع بالجارية فانهما ما تقدران تخرج فقال لها نعمة جزاك الله خيرا ثم ودعته وذهبت الى الجارية وقالت لها ان سيدك قد ذهبت روحه فى هواك وهو يريد الاجتماع بك فما تقولين فى ذلك فقالت نعم وانا كذلك قد ذهبت روحى واريد الاجتماع به فعند ذلك اخذت البهوز بقجة فيها حلى ومصاغ وبدلة من ثياب النساء وتوجهت الى نعمة وقالت له ادخل بنا مكانا وحدنا فدخل معها قاعة خلف الدكان وتقشته وزينت معاصمه وزوقت شعره والبسته لباس جارية وزينته باحسن ما تتزين به الجوارى فصار كانه من حور الجنان فلما رأته القهرمانة فى تلك الصفة قالت تبارك الله احسن الخالقين والله انك لاحسن من الجارية ثم قالت له امش وقدم الشمال واخر اليمين وهز ارداف خشى قدامها كما امرته فلما رأته قد عرف مشى النساء قالت له امكث حتى انيك ليلة غد ان شاء الله تعالى فآخذك وادخل بك القصر واذا نظرت الحجاب والخدام فقو عزمك وطأطئ رأسك ولا تتكلم مع احد وانا اكفيك كلامهم وبالله التوفيق فلما اصبح الصباح اتته القهرمانة فى ثانى يوم واخذته وطلعت به القصر ودخلت قدامه ودخل هو وراءها فى اثرها فاراد الحاجب ان يمنعه من الدخول فقالت له يا انحس العبيد انها جارية تم محظية امير المؤمنين فكيف تمنعها من الدخول ثم قالت ادخلى يا جارية فدخل مع البهوز ولم يزالا داخلين الى الباب الذى يتوصل منه الى صحن القصر فقالت له البهوز يا نعمة قو نفسك وثبت قلبك وادخل القصر وخذ على شمالك وعد خمسة ابواب وادخل الباب السادس فانه باب المكان المعد لك ولا تخف واذا كلمك احد فلا تتكلم معه ثم سارت به حتى وصلت الى الابواب فقابلها الحاجب المعد لتلك الابواب وقال لها ما هذه الجارية واد رك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الحاجب قابل البهوز وقال لها ما هذه الجارية فقالت له البهوز ان سيدتى تريد اشتراءها فقال الخادم ما يدخل احد الا باذن امير المؤمنين فارجعى بها فانى لا اخليها تدخل لانى امرت بهذا فقالت له القهرمانة ايها الحاجب الكبير ان عقلك ان نعما جارية الخليفة الذى قلبه متعلق بها قد توجهت اليها العافية وما صدق امير المؤمنين بعافيتها وتريد اشتراء هذه الجارية

فلا تمنعها من الدخول لئلا يبلغها انك منعتها فتغضب عليك وان غضبت عليك تسببت فى قطع رأسك ثم قالت ادخلى يا جارية ولا تسمعى كلامه ولا تخبرى سيدتك ان الحاجب منعك من الدخول فطأطأت نعمة رأسه ودخل القصر وارادان يمشى الى جهة يساره فغلط ومشى الى جهة يمينه وارادان يعد خمسة ابواب ويدخل السادس فعدستة ودخل السابع فلما دخل فى ذلك الباب رأى موضعا مفروشا بالديباج وحيطانه عليها ستائر الحرير المرقومة بالذهب وفيه مباخر العود والعنبر والمسك الاذفر ورأى سريرا فى الصدر مفروشا بالديباج فجلس عليه نعمة ولم يعلم بما كتب له فى الغيب فبينما هو جالس متفكر فى امره اذ دخلت عليه اخت امير المؤمنين ومعها جاريتها فلما رأت الغلام جالسا ظنته جارية فتقدمت اليه وقالت له من تكونى يا جارية وما خبرك وما سبب دخولك هذا المكان فلم يتكلم نعمة ولم يرد عليها جوابا فقالت يا جارية ان كنت من محاظى اخى وقد غضب عليك فانا استعطفه عليك فلم يرد نعمة عليها جوابا فعند ذلك قالت لجاريتها قفى على باب المجلس ولا تدعى احدا يدخل ثم تقدمت اليه ونظرت الى جماله وقالت يا صبية عرفينى من تكونى وما اسمك وما سبب دخولك هنا فانى لم انظر لك فى قصرنا فلم يرد نعمة عليها جوابا فعند ذلك غضبت اخت الملك ووضعت يدها على صدر نعمة فلم تجد لها نهودا فارادت ان تكشف ثيابه لتعلم خبره فقال لها نعمة يا سيدتى انا مملوك فاشترينى وانا مستجير بك فاجيرينى فقالت له لا بأس عليك فمن انت ومن ادخلك مجلسى هذا فقال لها نعمة انا ايها الملكة اعرف بنعمة بن الربيع الكوفى وقد خاطرت بروحى لاجل جاريتى نعم التى احتال عليها الحجاج واخذها وارسلها الى هنا فقالت له لا باس عليك ثم صاحت على جاريتها وقالت لها امش الى مقصورة نعم وقد كانت القهرمانة اتت الى مقصورة نعم وقالت لها هل وصل اليك سيدك فقالت لا والله فقالت القهرمانة لعله غلط فدخل مقصورة غير مقصورتك وناء عن مكانك فقالت نعم لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قد فرغ اجلنا وهلكنا وجلسا متفكرين فبينما هما كذلك اذ دخلت عليهما جارية اخت الخليفة فسلمت على نعم وقالت لها ان مولاتى تدعوك الى ضيافتها فقالت سمعا وطاعة فقالت القهرمانة لعل سيدك عند اخت الخليفة وقد انكشف الغطاء فنهضت نعم من وقتها وساعتها حتى دخلت على اخت الخليفة فقالت لها هذا مولاك جالس عندى وكانه غلط فى المكان وليس عليك ولا عليه خوف ان شاء الله تعالى فلما سمعت نعم هذا الكلام من اخت الخليفة اطمأنت نفسها وتقدمت الى مولاها نعمة فلما نظرها قام اليها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان نعمة لما نظر الى جاريته نعم قام اليها وضم كل واحد منهما صاحبه الى صدره ثم وقعا على الارض مغشيا عليهما فلما افاقا قالت لهما اخت الخليفة اجلسا حتى نتدبر فى الخلاص من الامر الذى وقعتما فيه فقالا لها سمعا وطاعة والامر لك فقالت والله ما ينبغى لكما مناسوء قط ثم قالت لجاريتها احضرى الطعام والشراب فاحضرت ذلك فاكلوا بحسب الكفاية ثم جلسوا يشربون فدارت عليهم الاقداح وزالت عنهم الاتراح فقال نعمة ليت شعرى بعد ذلك ما يكون فقالت له اخت الخليفة يا نعمة هل تحب نعما جاريتك فقال لها يا سيدتى ان هواها هو الذى جعلنى على ما انا فيه من المخاطرة بروحى ثم قالت لنعم يا نعم هل تحبين سيدك نعمة قالت يا سيدتى ان هواه هو الذى اذاب

جسمي وغير حالي فقالت والله انكما متحابان فلا كان من يفرق بينكما فقر اعيننا وطيبا نفسا ففرحا بذلك وطلبت نعم عودا فاحضروه لها فاخذته واصلحته واطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

ولما ابى الواشون الا فراقنا * وليس لهم عندي وعندك من ثار
وشنوا علي اسماعنا كل غارة * وقلت حماتي عند ذاك انصاري
غزوتهم من مقلتيك وادمعي * ومن نفسي بالسيف والسيل والنار

ثم ان نعما اعطت العود لسيدها نعمة وقالت له غن لنا شعرا فاخذه واصلحه واطرب بالنغمات ثم انشد هذه الابيات

البدر يحكيك لولا انه كلف * والشمس مثلك لولا الشمس تكسف
اني عجبت وكم في الحب من عجب * فيه الهموم وفيه الوجد والكلف
ارى الطريق قريبا حين اسلكه * الى الحبيب بعيدا حين انصرف

فلما فرغ من شعره ملأت له قدحا وناولته اياه فاخذه وشربه ثم ملأت قدحا آخر وناولته لاخت الخليفة فشربته واخذت العود واصلحته وشدت اوتاره وانشدت هذين البيتين

غم وحزن في الفؤاد مقيم * وجوى تردد في حشاي عظيم
وتحول جسم قد تبدى ظاهرا * فالجسم مني بالغرام سقيم

ثم ناولت العود لنعمة بن الربيع فاخذه واصلح اوتاره وانشد هذين البيتين

يا من وهبت له روحي فعذبها * ورمت تخليصها منه فلم اطق
دار لك محبا بما يخبيه من تلف * قبل الممات فهذا آخر الرمق

ولم يزالوا ينشدون الاشعار ويشربون على نغمات الاوتار وهم في لذة وحبور وفرح وسرور فبينما هم كذلك اذ دخل عليهم امير المؤمنين فلما نظروه قاموا اليه وقبلوا الارض بين يديه فنظر الى نعم والعود معها فقال يا نعم الحمد لله الذي اذهب عنك الباس والوجع ثم التفت الى نعمة وهو على تلك الحالة وقال يا اختي من هذه الجارية التي في جانب نعم فقالت له اخته يا امير المؤمنين ان تلك جارية من المحافظي انيسة لاتاكل نعم ولا تشرب الا وهي معها ثم انشدت قول الشاعر

ضدان واجتمعا افترافي البها * والضد يظهر حسنه بالضد

فقال الخليفة والله العظيم انها مليحة مثلها وفي غد اخلي لها مجلسا بجانب مجلسها واخرج لها الفرش والقماش وانقل اليها جميع ما يصلح لها اكراما لنعم واستدعت اخت الخليفة بالطعام فقدمته لاخيها فاكل وجلس معهم في تلك الحضرة ثم ملأت قدحا واومى الى نعم ان تنشد له شيأ من الشعر فاخذت العود بعد ان شربت قدحين وانشدت هذين البيتين

اذا ما ندبي علني ثم علني * ثلاثة اقداح لهن هدير
ابيت اجر الذيل تيها كاني * عليك امير المؤمنين امير

فطرب امير المؤمنين وملأ قدحا آخر وناوله الى نعم وامرها ان تغني فبعد ان شربت القدح جست الاوتار وانشدت هذه الاشعار

يا اشرف الناس في هذا الزمان وما * له مثيل بهذا الامر يفتخر
يا واحدا في العلا والجود منصبه * يا سيدا ملكا في الكل مشتهر

يا مالكا للملوك الارض قاطبه ✻ تعطى الجزيل ولا من ولا حصر
ابقاك ربى على رغم العدى كدا ✻ وزان طالعك الاقبال والظفر

فلما سمع الخليفة من نعم هذه الابيات قال لها الله درك يا نعم ما افصح لسانك واوضح بيانك ولم يزالوا فى فرح وسرور الى نصف الليل ثم قالت اخت الخليفة اسمع يا امير المؤمنين انى رأيت حكاية فى الكتب عن بعض ارباب المراتب قال الخليفة وما تلك الحكاية فقالت له اختة اعلم يا امير المؤمنين انه كان بمدينة الكوفة صبى يسمى نعمة بن الربيع وكان له جارية يحبها وتحبه وكانت قد تربت معه فى فراش واحد فلما بلغا وتمكن حبهما من بعضهما رماهما الدهر بنكباته وجار عليهما الزمان باآفاته وحكم عليهما بالفراق وتحيلت عليها الوشاة حتى خرجت من داره واخذوها سرقة من مكانه ثم ان سارقها باعها لبعض الملوك بعشرة الاف دينار وكان عند الجارية لمولاها من المحبة مثل ما عنده لها ففارق اهله وداره وسافر فى طلبها وتسبب فى اجتماعه بها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والاربعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان نعمة لم يزل مفارقا لاهله ووطنه وخاطر بنفسه وبذل مهجته حتى توصل الى اجتماعه بجاريته وكان يقال لها نعم فلما اجتمع بها لم يستقر بهما الجلوس حتى دخل عليهما الملك الذى كان اشتراها من الذى سرقها فحمل عليهما وامر بقتلهما ولم ينصف من نفسه ولم يمهل عليهما فى حكمه فما تقول يا امير المؤمنين فى قلة انصاف هذا الملك فقال امير المؤمنين ان هذا لشئ عجاب فكان ينبغى لذلك الملك العفو عند المقدرة لانه يجب عليه ان يحفظ لهما ثلاثة اشياء الاول انهما متحابين والثانى انهما فى منزله وتحت قبضته والثالث ان الملك ينبغى له التأنى فى الحكم بين الناس فكيف بالامر الذى يتعلق به فهذا الملك قد فعل فعلا لا يشبه فعل الملوك فقالت له اختة يا اخى بحق ملك السموات والارض ان تأمر نعما بالغناء وتسمع ما تغنى به فقال يا نعم غنى لى فاطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

غدر الزمان ولم يزل غدارا ✻ يصمى القلوب ويورث الافكارا
ويفرق الاحباب بعد تجمع ✻ فترى الدموع على الخدود غزارا
كانوا وكنت وكان عيشى ناعما ✻ والدهر يجمع شملنا مدرارا
فلابكين دما ودمعا ساجما ✻ اسفا عليك ليا ليا ونهارا

فلما سمع امير المؤمنين هذا الشعر طرب طربا عظيما فقالت له اختة يا اخى من حكم على نفسه بشئ لزمه القيام به والعمل بقوله وانت قد حكمت على نفسك بهذا الحكم ثم قالت يا نعمة قف على قدميك وكذا قفى انت يا نعم فوقفا فقالت اخت الخليفة يا امير المؤمنين ان هذه الواقفة هى نعم المسروقة سرقها الحجاج بن يوسف الثقفى واوصلها لملك وكذب فيما ادعاه فى كتابه من انه اشتراها بعشرة الاف دينار وهذا الواقف هو نعمة بن الربيع سيدها وانا اسألك بحرمة ابائك الطاهرين ان تعفو عنهما وتهبهما لبعضهما لتغنم اجرهما فانهما فى قبضتك وقد اكلا من طعامك وشربا من شرابك وانا الشفيعة فيهما المستوهبة دمهما فعند ذلك قال الخليفة صدقت انا حكمت بذلك وما احكم بشئ وارجع فيه ثم قال يا نعم هل هذا مولاك قالت له نعم يا امير المؤمنين فقال لا باس عليكما فقد وهبتكما لبعضكما ثم قال يا نعمة وكيف عرفت بمكانها ومن

وصف لك هذا المكان فقال يا امير المؤمنين اسمع خبرى وانصت الى حديثى فوحق ابائك واجدادك الطاهرين لا اكتم عنك شيأ ثم حدثه بجميع ما كان من امره وما فعله معه الحكيم العجمى وما فعلته القهرمانة وكيف دخلت به القصر وغلط فى الابواب فتعجب الخليفة من ذلك غاية العجب ثم قال على بالعجمى فاحضروه بين يديه فجعله من جملة خواصه وخلع عليه الخلع وامر له بجائزة مليحة وقال من يكون هذا تدبيره يجب ان نجعله من خواصنا ثم ان الخليفة احسن الى نعمة ونعم وانعم عليهما وانعم على القهرمانة وقعدا عنده سبعة ايام فى سرور وحظ وارغد عيش ثم طلب نعمة منه الاذن بالسفر هو وجاريته فاذن لهما بالسفر الى الكوفة فسافروا واجتمع بوالده ووالدته واقاموا فى اطيب عيش الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات فلما سمع الامجد والاسعد هذا الحديث من بهرام تعجبا منه غاية العجب وقال ان هذا الشئ عجيب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والاربعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الامجد والاسعد لما سمعا من بهرام المجوسى الذى اسلم هذه الحكاية تعجبا منها غاية العجب وباتا تلك الليلة ولما اصبح الصباح ركب الامجد والاسعد واراد ان يدخلا على الملك فاستأذنا فى الدخول فاذن لهما فلما دخلا اكرمهما وجلسوا يتحدثون فبينما هم كذلك واذا باهل المدينة يصيحون ويتصارخون ويستغيثون فدخل الحاجب على الملك وقال له ان ملكا من الملوك نزل بعساكره على المدينة وهم شاهرون السلاح وما ندرى ما مرادهم فاخبر الملك وزيره الامجد واخاه الاسعد بما سمعه من الحاجب فقال الامجد انا اخرج اليه واكشف خبره فخرج الامجد الى ظاهر المدينة فوجد الملك ومعه عسكر كثير وما اليك راكبة فلما نظروا الى الامجد عرفوا انه رسول من عند ملك المدينة فاخذوه واحضروه قدام السلطان فلما صار قدامه قبل الارض بين يديه واذا بالملك امرأة ضاربة لها الثاما فقالت اعلم انه مالى عندكم غرض فى هذه المدينة الا مملوك امرد فان وجدته عندكم فلا باس عليكم وان لم اجده وقع بينى وبينكم القتال الشديد لانى ما جئت الا فى طلبه فقال الامجد ايتها الملكة ما صفة هذا المملوك وما خبره وما اسمه فقالت اسمه الاسعد وانا اسمى مرجانة وهذا المملوك كان جاءنى صحبة بهرام المجوسى ومارضى ان يبيعه فاخذته منه غصبا فعدا عليه واخذه من عندى بالليل سرقة واما اوصافه فانها كذا وكذا فلما سمع الامجد ذلك علم انه اخوه الاسعد فقال لها يا ملكة الزمان الحمد لله الذى جاء بالفرج ان هذا المملوك هو اخى ثم حكى لها حكايته وما جرى لهما فى بلاد الغربة واخبرها بسبب خروجهما من جزائر الابنوس فتعجبت الملكة مرجانة من ذلك وفرحت بلقاء الاسعد وخلعت على اخيه الامجد ثم بعد ذلك عاد الامجد الى الملك واعلمه بما جرى ففرحوا بذلك ونزل الملك هو والامجد والاسعد قاصدين الملكة فلما دخلوا عليها جلسوا يتحدثون فبينما هم كذلك واذا بغبار طار حتى سد الاقطار وبعد ساعة انكشف ذلك الغبار عن عسكر جرار مثل البحر الزخار وهم مهيئون بالعدد والسلاح فقصدوا المدينة ثم داروا بها كما يدور الخاتم بالخنصر وشهروا سيوفهم فقال الامجد والاسعد انا لله وانا اليه راجعون ما هذا الجيش الكبير ان هذه اعداء لا محالة وان لم نتفق مع هذه الملكة مرجانة على قتالهم اخذوا منا المدينة وقتلونا وليس لنا حيلة الا انا نخرج اليهم ونكشف خبرهم ثم قام الامجد وخرج من باب المدينة وتجاه وزجيش الملكة مرجانة فلما وصل الى العسكر وجده عسكر جده الملك الغيور ابى امه

الملكة بدور وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الامجد لما وصل الى العسكر وجده عسكر جده الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور فلما صار قدامه قبل الارض بين يديه وبلغه الرسالة قال الملك انا اسمى الملك الغيور وقد جئت عابر سبيل لان الزمان قد خدعني في ابنتي بدور فانها فارقتني وما رجعت الي وما سمعت لها ولا لزوجها قمر الزمان خبرا فهل عندكم خبرهما فلما سمع الامجد ذلك اطرق الى الارض ساعة يتفكر حتى تحقق انه جده ابو امه ثم رفع رأسه وقبل الارض بين يديه واخبره انه ابن بنته بدور فلما سمع الملك انه ابن بنته بدور رمى روحه عليه وصارا يبكيان ثم قال الملك الغيور الحمد لله يا ولدي على السلامة حيث اجتمعت بك ثم حكى له الامجد ان ابنته بدور في عافية وكذلك ابو قمر الزمان واخبره انهما في مدينة يقال لها جزيرة الابنوس وحكى له ان قمر الزمان والده غضب عليه وعلى اخيه وامر بقتلهما وان الخازندار رق لهما وتركهما بلا قتل فقال الملك الغيور انا ارجع بك وباخيك الى والدك واصلح بينكما واقيم عندكم فقبل الارض بين يديه ثم خلع الملك الغيور على الامجد بن بنته ورجع متبسما الى الملك واعلمه بقصة الملك الغيور فتعجب منها غاية العجب ثم ارسل له الالات الضيافة من الخيل والجمال والغنم والعليق وغير ذلك واخرج للملكة مرجانة كذلك واعلموها بما جرى فقالت انا اذهب معكم بعسكري واكون ساعية في الصلح فبينما هم كذلك واذا بغبار قد ثار حتى سد الاقطار واسود منه النهار وسمعوا من تحته صياحا وصراخا وصهيل الخيل ورأوا سيوفا تلمع ورماحا تشرع فلما قربوا من المدينة ورأوا العسكرين دقوا الطبول فلما رأى الملك ذلك قال ما هذا النهار الا نهار مبارك الحمد لله الذي اصلحنا مع هذين العسكرين وان شاء الله يصلحنا مع هذا العسكر ايضا ثم قال يا امجد اخرج انت واخوك الاسعد واكشفا لنا خبر هذه العساكر فانها جيش ثقيل ما رأيت اثقل منه فخرج الاثنان الامجد واخوه الاسعد بعد ان اغلق الملك باب المدينة خوفا من العسكر المحيط بها ففتحا الابواب وسارا حتى وصلا الى العسكر الذي وصل فوجداه عسكر ملك جزائر الابنوس وفيه والدهما قمر الزمان فلما نظراه قبلا الارض بين يديه وبكيا فلما رآهما قمر الزمان رمى روحه عليهما وبكى بكاء شديدا واعتذر لهما وضمهما الى صدره ثم اخبرهما بما قاساه بعدهما من الوحشة الشديدة افراقهما ثم ان الامجد والاسعد ذكرا له عن الملك الغيور انه وصل اليهم فركب قمر الزمان في خواصه واخذ ولديه الامجد والاسعد معه وساروا حتى وصلوا الى قرب عسكر الملك الغيور فسبق واحد منهم الى الملك الغيور واخبره ان قمر الزمان وصل فطلع الى ملاقاته فاجتمعوا ببعضهم وتعجبوا من هذه الامور وكيف اجتمعوا في هذا المكان وصنع اهل المدينة الولائم وانواع الاطعمة والحلويات وقدموا الخيول والجمال والضيافات والعليق وما تحتاج اليه العساكر فبينما هم كذلك واذا بغبار قد ثار حتى سد الاقطار وارتجت الارض من الخيول وصارت الطبول كعواصف الرياح والجيش جميعه بالعدد والازراد وكلهم لابسون السواد وفي وسطهم شيخ كبير وذقنه واصلة الى صدره وعليه ملابس سود فلما نظر اهل المدينة هذه العساكر العظيمة قال صاحب المدينة للملوك الحمد لله الذي اجتمعتم باذن الله تعالى في يوم واحد وطلعتم كلكم معارف فما هذا العسكر الجرار الذي قد سد الاقطار فقال له الملوك لا تخف منه فنحن ثلاثة ملوك وكل ملك له عساكر كثيرة فان كانوا اعداء نقاتلهم معك ولو زادوا ثلاثة امثالهم

فبينما هم كذلك واذا برسول من تلك العساكر قد اقبل متوجها الى هذه المدينة فقدموه بين يدى قمر الزمان والملك الغيور والملكة مرجانة والملك صاحب المدينة فقبل الارض وقال ان هذا الملك من بلاد العجم وقد فقد ولده من مدة سنين وهو دائر يفتش عليه فى الاقطار فان وجده عندكم فلا بأس عليكم وان لم يجده وقع الحرب بينه وبينكم واخرب مدينتكم فقال له قمر الزمان ما يصل الى هذا ولكن ما يقال له فى بلاد العجم فقال الرسول يقال له الملك شهرمان صاحب جزائر خالدان وقد جمع هذه العساكر من الاقطار التى مر بها وهو دائر يفتش على ولده فلما سمع قمر الزمان كلام الرسول صرخ صرخة عظيمة وشر مغشيا عليه واستمر فى غشيته ساعة ثم افاق وبكى بكاء شديدا وقال للامجد والاسعد وخواصهما امشوا يا اولادى مع الرسول وسلموا على جدكم والدى الملك شهرمان وبشروه بى فانه حزين على فقدى وهو الى الان لابس الملابس السود من اجلى ثم حكى للمملوك الحاضرين جميع ما جرى له فى ايام صباه فتعجب جميع المملوك من ذلك ثم ترلواهم وقمر الزمان وتوجهوا الى والده فسلم قمر الزمان على والده وعانقا بعضهما ووقعا مغشيا عليهما من شدة الفرح فلما افاقا حكى لابنه جميع ما جرى له ثم سلم عليه بقية المملوك وردوا مرجانة الى بلادها بعد ان زوجوها للاسعد ووصوها انها لا تقطع عنهم مراسلتها ثم زوجوا الامجد بستان بنت بهرام وسافروا كلهم الى مدينة الابنوس وخلا قمر الزمان بصهره واعلمه بجميع ما جرى له وكيف اجتمع باولاده ففرح وهنأه بالسلامة ثم دخل الملك الغيور ابو الملكة بدور على بنته وسلم عليها وبل شوقه منها وقعدوا فى مدينة الابنوس شهرا كاملا ثم سافر الملك الغيور بابنته الى بلده وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك الغيور سافر بابنته وجماعته الى بلده واخذ الامجد معهم فلما استقر فى مملكته اجلس الامجد يحكم مكان جده واما قمر الزمان فانه اجلس ابنه الاسعد يحكم مكانه فى مدينة جده ارمانوس ورضى به جده ثم تجهز قمر الزمان وسافر مع ابنه الملك شهرمان الى ان وصل الى جزائر خالدان فزينت له المدينة واستمرت البشائر تدق شهرا كاملا وجلس قمر الزمان يحكم مكان ابيه الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات والله اعلم فقال الملك يا شهرزاد ان هذه الحكاية عجيبة جدا قالت ايها الملك ليست هذه الحكاية باعجب من حكاية علاء الدين ابى الشامات قال وما حكاية علاء الدين ابى الشامات قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والاوان رجل تاجر بمصر يقال له شمس الدين وكان من احسن التجار واصدقهم مقالا وهو صاحب خدم وحشم وعبيد وجوار ومماليك ومال كثير وكان شاه بندر التجار بمصر وكان معه زوجة يحبها وتحبه الا انه عاش معها اربعين عاما ولم يرزق منها ببنت ولا ولد فقعد يوما من الايام فى دكانه فرأى التجار وكل واحد منهم له ولد او ولدان او اكثر وهم قاعدون فى دكاكين مثل اباتهم وكان ذلك اليوم يوم جمعة فدخل ذلك التاجر الحمام واغتسل غسل الجمعة ولما طلع اخذ من آلة المزين فرأى وجهه فيها وقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ثم نظر الى لحيته فرأى البياض غطى السواد وتذكر ان الشيب نذير الموت وكانت زوجته تعرف ميعاد مجيئه فتغتسل وتصلح شأنها له فدخل عليها فقالت له مساء الخير فقال لها انا ما رأيت الخير وكانت قالت للجارية هاتى سفرة العشاء فاحضرت الطعام وقالت له تعش يا سيدى فقال لها

ما آكل شيأ واعرض عن السفرة بوجهه فقالت له ما سبب ذلك واى شئ احزنك فقال لها انت سبب حزنى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان شمس الدين قال لزوجته انت سبب حزنى فقالت له لاى شئ فقال لها انى لما فتحت دكانى فى هذا اليوم رأيت كل واحد من التجار له ولد او ولدان او اكثر وهم قاعدون فى الدكاكين مثل اباءهم فقلت لنفسى ان الذى اخذ ابالسما يخليك وايله دخلت بك حلفتنى انى ما اتزوج عليك ولا اتسرى بجارية حبشية ولا رومية ولا غير ذلك من الجوارى ولا ابيت ليلة بعيدا عنك والحال انك عاقر والنكاح فيك كالنحت فى الحجر فقالت اسم الله على ان العاقة منك ماهى منى لان بيضك رائق فقال لها وما شأن الذى بيضه رائق فقالت هو الذى لا يحبل النساء ولا يجيئ باولاد فقال لها واين معكر البيض وانا اشتريه لعله يعكر بيضى فقالت له فتش عليه عند العطارين فبات التاجر واصبح متندما حيث عاير زوجته وندمت هى حيث عايرته ثم توجه الى السوق فوجد رجلا عطارا فقال له السلام عليكم فرد عليه السلام فقال له هل يوجد عندك معكر البيض فقال له كان عندى وجبر ولكن اسأل جارى فدار يسأل حتى سأل جميع العطارين وهم يضحكون عليه وبعد ذلك رجع الى دكانه وقعد فكان فى السوق نقيب الدلالين وكان رجلا حشاشا يتعاطى الافيون والبرش ويستعمل الحشيش الاخضر وكان ذلك النقيب يسمى الشيخ محمد سمسم وكان فقير الحال وكان عادته ان يصبح على التاجر فى كل يوم فجاءه على عادته وقال له السلام عليكم فرد عليه السلام وهو مغتاظ فقال له ياسيدى مالك مغتاظا فحكى له جميع ما جرى بينه وبين زوجته وقال له ان لى اربعين سنة وانا متزوج بها لم تحبل منى بولد ولا بنت وقالوا لى سبب عدم حبلها منك ان بيضك رائق فقلقت على شئ اعكر به بيضى فلم اجده فقال له ياسيدى انا عندى معكر البيض فما تقول فيمن يجعل زوجتك تحبل منك بعد هذه الاربعين سنة التى مضت قال له التاجر ان فعلت ذلك فانا احسن اليك وانعم عليك فقال له هات لى دينارا فقال له خذ هذين الدينارين فاخذهما له وقال هات لى هذه السلطانية الصينى فاعطاه السلطانية فاخذها وتوجه الى بياع الحشيش واخذ منه من المكركر الرومى قدر اوقيتين واخذ جانبا من الكبابة الصينى والقرفة والقرنفل والحبهان والزنجبيل والفاغل الابيض والسقنقور الجبلى ودق الجميع وغلاها فى زيت الطيب واخذ ثلاث اواق حصى لبان ذكر واخذ مقدار قدح من الحبة السوداء ونقعه وعمل جميع ذلك معجونا بالعسل النحل وحطه فى السلطانية ورجع بها الى التاجر واعطاها له وقال له هذا معكر البيض فينبغى ان تأخذ منه على رأس الملوق بعد ان تأكل اللحم الضانى والحمام البيتى وتكثر له الحرارات والبهارات وتتعشى وتشرب السكر المكرر فاحضر التاجر جميع ذلك وارسله الى زوجته وقال لها اطبخى ذلك طبخا جيدا وخذى معكر البيض واحفظيه عندك حتى اطلبه ففعلت ما امرها به ووضعت له الطعام فتعشى ثم انه طلب السلطانية فاكل منها فاعجبته فاكل بقيتها وواقع زوجته فعلقت منه تلك الليلة فقالت عليها اول شهر والثانى والثالث ولم ينزل عليها الدم فعلمت انها حملت ثم وفت ايام حملها ولحقها الطلق وقامت الافراح فقامت الداية المشقة فى الخلاص ورقته باسمى محمدو على وكبرت واذنت فى اذنه وانفته واعطته لامه فاعطته ثديها وارضعته فشرب وشبع ونام واقامت الداية عندهم ثلاثة ايام حتى عملوا الحلاوة ليفرقوها فى اليوم

السابع ثم رشوا طعامه ودخل التاجر وهنأ زوجته بالسلامة وقال لها ابن وديعة الله فقدمت له مولودا بديع الجمال صنع المدبر الموجود وهو ابن سبعة ايام ولكن الذى ينظره يقول عليه انه ابن عام فنظر التاجر فى وجهه فرأه بدرا مشرقا وله شامات على الخدين فقال لها ما سميته فقالت له لو كان بنتا كنت سميتها وهذا ولد فلا يسميه الا انت وكان اهل ذلك الزمن يسمون اولادهم بالفال فبينما هم يتشاورون فى الاسم واذا بواحد يقول لرفيقه يا سيدى علاء الدين فقال لها نسميه بعلاء الدين ابى الشامات ووكل به المراضع والدايات فشرب اللبن عامين وفطموه فكبروا تنشى وعلى الارض مشى فلما بلغ من العمر سبع سنين ادخلوه تحت طابق خوفا عليه من العين وقال هذا لا يخرج من الطابق حتى تطلع لحيته ووكل به جارية وعبدا فصارت الجارية تهيء له السفرة والعبد يحملها اليه ثم انه طاهره وعمل له ولية عظيمة ثم بعد ذلك احضر له فقيها يعلمه فعلمه الخط والقرأن والعلم الى ان صار ماهرا وصاحب معرفة فاتفق ان العبد اوصل اليه السفرة فى بعض الايام ونسى الطابق مفتوحا فطلع علاء الدين من الطابق ودخل على امه وكان عندها محضر من اكابر النساء فبينما النساء يتحدثون مع امه واذا هو داخل عليهن كالمملوك السكران من فرط جماله فحين رأه النسوة غطين وجوههن وقلن لامه الله يجازيك يا فلانة كيف تدخلين علينا هذا المملوك الاجنبى اما تعلمين ان الحياء من الايمان فقالت لهن معموا الله ان هذا ولدى وثمرة فؤادى وابن شاه بندر التجار شمس الدين بن الدادة والقلادة والقشفة واللبابة فقلن لها عمرنا ما رأينا لك ولدا فقالت ان اباه خاف عليه من العين فجعل مرباه فى طابق تحت الارض وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ام علاء الدين قالت للنسوان ان اباه خاف عليه من العين فجعل مرباه فى طابق تحت الارض فلما دخل الخادم نسى الطابق مفتوحا فطلع منه ولم يكن مرادنا ان يطلع منه حتى تطلع لحيته فهناها النسوة بذلك وطلع الغلام من عند النسوة الى حوش البيت ثم طلع المقعد وجلس فيه فبينما هو جالس واذا بالعبيد قد دخلوا ومعهم بغلة ابيه فقال لهم علاء الدين اين كانت هذه البغلة فقالوا له نحن وصلنا اباك الى الدكان وهو راكب عليها وجئنا بها فقال لهم اى شئ صنعة ابى فقالوا له ان اباك شاه بندر التجار بارض مصر وهو سلطان اولاد العرب فدخل علاء الدين على امه وقال لها يا امى ما صناعة ابى فقالت له يا ولدى ان اباك تاجر وهو شاه بندر التجار بارض مصر وسلطان اولاد العرب وعبيده لا تشاوره فى البيع الا على البيعة التى يكون اقل ثمنها الف دينار واما البيعة التى تكون بتسعمائة دينار فاقل فانهم لا يشاورونه عليها بل يبيعونها بانفسهم ولا يأتى متجر من بلاد الناس قليلا او كثيرا الا ويدخل تحت يده ويتصرف فيه كيف يشاء ولا ينهزم متجر ويروح الى بلاد الناس الا ويكون من تحت يد ابيك والله تعالى اعطى اباك يا ولدى مالا كثيرا لا يحصى فقال لها يا امى الحمد لله الذى انا ابن سلطان اولاد العرب ووالدى شاه بندر التجار ولاى شئ يا امى تحطوننى فى الطابق وتتركوننى محبوسا فيه فقالت له يا ولدى نحن ما حطيناك فى الطابق الا خوفا عليك من اعين الناس فان العين حق واكثر اهل القبور من العين فقال لها يا امى واين المفر من القضاء والحذر لا يمنع القدر والمكتوب ما منه مهروب وان الذى اخذ جدى لا يترك ابى فانه ان عاش اليوم ما يعيش غدا واذا مات ابى وطلعت انا وقلت انا علاء

الدين ابن التاجر شمس الدين لا يصدقني احد من الناس والاختيارية يقولون عمرنا ما رأينا شمس الدين ولدا ولا بنتا فينزل بيت المال ويأخذ مال ابي ورحم الله من قال يموت الفتى ويذهب ماله ويأخذ اقل الرجال نساءه فانت يا امي تكلمين ابي حتى يأخذني معه الى السوق ويفتح لي دكانا واقعد فيه بضائع ويعلمني البيع والشراء والاخذ والعطاء فقالت له يا ولدي لما يحضر ابوك اخبره بذلك فلما رجع التاجر الى بيته وجد ابنه علاء الدين ابا الشامات قاعدا عند امه فقال لها الاي شيء اخرجته من الطابق فقالت له يا ابن عمي انا ما اخرجته ولكن الخدم نسوا الطابق مفتوحا فبينما انا قاعدة وعندي محضر من اكابر النساء واذا به داخل علينا واخبرته بما قاله ولده فقال له يا ولدي في غد ان شاء الله تعالى آخذك معي الى السوق ولكن يا ولدي قعود الاسواق والدكاكين يحتاج الى الادب والكمال في كل حال فبات علاء الدين وهو فرحان من كلام ابيه فلما اصبح الصباح ادخله الحمام والبسه بدلة تساوي جملة من المال ولما افطروا وشربوا الشربات ركب بغلته واركب ولده بغلة واخذه وراءه وتوجه به الى السوق فنظر اهل السوق شاه بندر التجار مقبلا ووراءه غلام كان وجهه القمر في ليلة اربعة عشر فقال واحد منهم لرفيقه انظر هذا الغلام الذي وراء شاه بندر التجار قد كنا نظن به الخير وهو مثل الكرات شائب وقلبه اخضر فقال الشيخ محمد سمسم النقيب المتقدم ذكره لتجار نحن ما بقينا نرضى به ان يكون شيخا علينا ابدا وكان من عادة شاه بندر التجار انه لما يأتي من بيته في الصباح ويقعد في دكانه يتقدم نقيب السوق ويقرأ الفاتحة للتجار فيقومون معه ويأتون الى شاه بندر التجار ويقرؤن له الفاتحة ويصبحون عليه ثم ينصرف كل واحد منهم الى دكانه فلما قعد شاه بندر التجار في دكانه ذلك اليوم على عادته لم تأت اليه التجار حكم عادتهم فنادى النقيب وقال له لاي شيء لم تجتمع التجار على جري عادتهم فقال له انا ما اعرف نقل الفتن ان التجار اتفقوا على عزلك من المشيخة ولا يقرأون لك فاتحة فقال له ما سبب ذلك فقال له ما شأن هذا الولد الجالس بجانبك وانت اختيار ورئيس التجار فهل هذا الولد مملوك او يقرب لزوجتك واظن انك تعشقه وتميل الى الغلام فصرخ عليه وقال له اسكت قبح الله ذاتك وصفاتك هذا ولدي فقال له عمرنا ما رأينا لك ولدا فقال له لما جئتني بمكر البيض حملت زوجتي وولدته ولكن من خوفي عليه من العين ربيته في طابق تحت الارض وكان مرادي انه لا يطلع من الطابق حتى يمسك لحيته بيده فمارضيت امه وطلب مني ان افتح دكانا واحط عنده بضائع واعمله البيع والشراء فذهب النقيب الى التجار واخبرهم بحقيقة الامر فقاموا كلهم بصحبته وتوجهوا الى شاه بندر التجار ووقفوا بين يديه وقرأوا الفاتحة وهنوه بذلك الغلام وقالوا له ربنا يبقي الاصل والفرع ولكن الفقير منا لما يأتيه ولدا وبنت لا بد ان يصنع لاخوانه دست عصيدة ويعزم معارفه واقاربه وانت لم تعمل ذلك فقال لهم لكم على ذلك ويكون اجتماعنا في البستان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شاه بندر التجار وعد التجار بالسماط وقال لهم يكون اجتماعنا في البستان فلما اصبح الصباح ارسل الفراش للقاعة والقصر اللذين في البستان وامره بغرشهما وارسل آلة الطبخ من خرفان وسمن وغير ذلك مما يحتاج اليه الحال وعمل سماطين سماطا في القصر وسماطا في القاعة وتحزم التاجر شمس الدين وتحزم ولده علاء الدين وقال له يا ولدي اذا دخل الرجل الشائب فانا التقاه

واجلسه على السماط الذى فى القصر وانت ياولدى اذا دخل الولد الامرد فخذه وادخل به القاعة واقعده على السماط فقال له لاى شئ ابى ما سبب انك تعمل سماطين واحد للرجال وواحد للاولاد فقال ياولدى ان الامرد يستحى ان يأكل عند الرجال فاستحسن ذلك ولده فلما جاء التجار صار شمس الدين يقابل الرجال ويجلسهم فى القصر وولده علاء الدين يقابل الاولاد ويجلسهم فى القاعة ثم وضعوا الطعام فاكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا وشربوا الشربات واطلقوا البخور ثم قعدوا اختيارية فى مذاكرة العلم والحديث وكان بينهم رجل تاجر يسمى محمود البلخى وكان مسلما فى الظاهر مجوسيا فى الباطن وكان يبغى الفساد ويهوى الاولاد فنظر علاء الدين نظرة اعقبته الف حسرة وعلق له الشيطان جوهرة فى وجهه فاخذه به الغرام والوجد والهيام وكان ذلك التاجر الذى اسمه محمود البلخى يأخذ القماش والبضائع من والد علاء الدين ثم ان محمودا البلخى قام يتمشى وانعطف نحو الاولاد فقاموا للتقاه وكان علاء الدين انحصر فقام يزيل الضرورة فالتفت التاجر محمود الى الاولاد وقال لهم ان طيبتم خاطر علاء الدين على السفر معى اعطيت كل واحد منكم بدلة تساوى جملة من المال ثم توجه من عندهم الى مجلس الرجال فبينما الاولاد جالسون واذا بعلاء الدين اقبل عليهم فقاموا للتقاه واجلسوه بينهم فى صدر المقام فقام ولد منهم وقال لرفيقه ياسيدى حسن اخبرنى برأس المال الذى عندك نتبع فيه ونشترى من اين جاء لك فقال له انا لما كبرت وانتشئت وبلغت مبلغ الرجال قلت لابى ياوالدى احضر لى متجرا فقال ياولدى ما عندى شئ ولكن روح خذ لك مالا من واحد تاجر واتجر به وتعلم البيع والشراء والاخذ والعطاء فتوجهت الى واحد من التجار واقترضت منه الف دينار فاشتريت بها قماشا وسافرت به الى الشام فربحت المثل مثلين ثم اخذت متجرا من الشام وسافرت به الى بغداد وبعته ثم ربحت المثل مثلين ولم ازل اتجر حتى صار رأس مالى نحو عشرة الاف دينار وصار كل واحد من الاولاد يقول لرفيقه مثل ذلك الى ان دار الدور وجاء الكلام الى علاء الدين ابى الشامات فقالوا له وانت ياسيدى علاء الدين فقال لهم انا تربيت فى طابق تحت الارض وطلعت منه فى هذه الجمعة وانا اروح الدكان وارجع منه الى البيت فقالوا له انت متعود على قعود البيت ولا تعرف لذة السفر والسفر ما يكون الا للرجال فقال لهم انا ما لى حاجة بالسفر وليس للراحة قيمة فقال واحد منهم لرفيقه هذا مثل السمك اذا فارق الماء مات ثم قالوا له ياعلاء الدين ما نخر اولاد التجار الا بالسفر لاجل المكسب فحصل لعلاء الدين غيظ بسبب ذلك وطلع من عند الاولاد وهو باكى العين حزين الفؤاد وركب بغلته وتوجه الى البيت فرأته امه فى غيظ زائد باكى العين فقالت له ما يبكيك ياولدى فقال لها ان اولاد التجار جميعا عايروني وقالوا لى ما نخر اولاد التجار الا بالسفر لاجل ان يكسبوا الدراهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان علاء الدين قال لوالدته ان اولاد التجار عايروني وقالوا لى ما نخر اولاد التجار الا بالسفر لاجل ان يكسبوا الدراهم والدنانير فقالت له امه ياولدى هل مرادك السفر قال نعم فقالت له اتسافر الى اى البلاد فقال لها الى مدينة بغداد فان الانسان يكتسب فيها المثل مثلين فقالت له ياولدى ان ابالك عنده مال كثير وان لم يجهزك متجرا من ماله فانا اجهز لك متجرا من عندى فقال لها خير البر عاجله ان كان معروفا فهذا وقته فاحضرت العبيد وارسلتهم الى الذين يحزمون القماش وفتحت

حاصلا

حاصلا واخرجت له منه قماشا وحزموا له عشرة احمال هذا ما كان من امر امه واما ما كان من امر ابيه فانه التفت فلم يجد ابنه علاء الدين فى البستان فسأل عنه فقالوا له انه ركب بغلته وراح الى البيت فركب وتوجه خلفه فلما دخل منزله رأى احمالا محزومة فسأل عنها فاخبرته زوجته بما وقع من اولاد التجار لولده علاء الدين فقال له يا ولدى خيب الله الغربة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعادة المرء ان يرزق فى بلده وقال الاقدمون دع السفر ولو كان ميلا ثم قال لولده هل صممت على السفر ولا ترجع عنه فقال له ولده لابد لى من السفر الى بغداد بمتجر والا قلعت ثيابى ولبست ثياب الدراويش وطلعت سايحا فى البلاد فقال له ما انا محتاج ولا معدم بل عندى مال كثير واراه جميع ما عنده من المال والمتاجر والقماش وقال له انا عندى لكل بلد ما يناسبها من القماش والمتاجر واراه من جملة ذلك اربعين حملا محزومة مكتوبا على كل حمل ثمنه الف دينار ثم قال له يا ولدى خذ الاربعين حملا والعشرة احمال التى من عندامك وسافر مع سلامة الله تعالى ولكن يا ولدى اخاف عليك من غابة فى طريقك تسمى غابة الاسد ووادهنالك يقال له وادى الكلاب فانهما تروح فيهما الارواح بغير سماح فقال له لماذا يا والدى فقال من بدوى قاطع الطريق يقال له عجلان فقال له الرزق رزق الله وان كان لى فيه نصيب لم يصبنى ضرر ثم ركب علاء الدين مع والده وسارا الى سوق الدواب واذا بعكام نزل من فوق بغلته وقبل يد شاه بندر التجار وقال له والله زمان يا سيدى ما استقضيتنا فى تجارات فقال له لكل زمان دولة ورجال ورحم الله من قال

وشيخ فى جهات الارض يمشى * ولحيته تعابل ركبتيه
فقلت له لماذا انت محن * فقال وقد لوى نحوى يديه
شبابى فى الثرى قد ضاع منى * وها انا منحن بحثا عليه

فلما فرغ من شغره قال يا مقدم ما مراده السفر الا ولدى هذا فقال له العكام الله يحفظه عليك ثم ان شاه بندر التجار عاهد بين ولده وبين العكام وجعل ولده واوصاه عليه وقال له خذ هذه المائة دينار لغلمانك ثم ان شاه بندر التجار اشترى ستين بغلا وستر السيدى عبد القادر الجيلانى وقال له يا ولدى انا غائب وهذا ابوك عوضا عنى وجميع ما يقوله لك طاوعه فيه ثم توجه بالبغال والغلمان وعملوا فى تلك الليلة ختمة وسولدا للشيخ عبد القادر الجيلانى ولما اصبح الصباح اعطى شاه بندر التجار لولده عشرة الاف دينار وقال له اذا دخلت بغداد ولقيت القماش رايجا بعه وان لقيت حاله وافقا اصرف من هذه الدنانير ثم حملوا البغال وودعوا بعضهم وساروا متوجهين حتى خرجوا من المدينة وكان محمود البلخى تجهز للسفر الى جهة بغداد واخرج حموله ونصب مواوينه خارج المدينة وقال فى نفسه ما تحفظى بهذا الولد الا فى الخلاء لانه لا واش ولا رقيب يعكر عليك وكان لابى الولد الف دينار عند محمود البلخى بقية معاملة فذهب اليه وودعه وقال له اعط الالف دينار لولدى علاء الدين واوصاه عليه وقال له انه مثل ولدك فاجتمع علاء الدين بمحمود البلخى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان علاء الدين اجتمع بمحمود البلخى فقام محمود البلخى واوصى طباخ علاء الدين انه لا يطبخ شيأ وصار محمود يقدم لعلاء الدين المأكل والمشرب هو وجماعته ثم توجهوا للسفر وكان

للتاجر محمود البلخى اربعة بيوت واحد فى مصر وواحد فى الشام وواحد فى حلب وواحد فى بغداد ولم يزالوا مسافرين فى البرارى والقفار حتى اشرفوا على الشام فارسل محمود اعبده الى علاء الدين فرأه قاعدا يقرأ فتقدم وقبل اياديه فقال ما تطلب فقال له سيدى يسلم عليك ويطلبك لعزومته فى منزله فقال له لما اشاور ابى المقدم كمال الدين العكام فشاوره على الرواح فقال له لا ترح ثم سافروا من الشام الى ان دخلوا حلب فعمل محمود البلخى عزومة وارسل يطلب علاء الدين فشاور المقدم فمنعه وسافروا من حلب الى ان بقى بينهم وبين بغداد مرحلة فعمل محمود البلخى عزومة وارسل يطلب علاء الدين فشاور المقدم فمنعه فقال علاء الدين لابد لى من الرواح ثم قام وتقلد بسيف تحت ثيابه وسار الى ان دخل على محمود البلخى فقام لملتقاه وسلم عليه واحضر سفرة عظيمة فاكلوا وشربوا وغسلوا ايديهم ومال محمود البلخى على علاء الدين ليأخذ منه قبلة فلاقاها فى كفه وقال له ما مرادك ان تعمل فقال انى احضرتك ومرادى اعمل معك حظا فى هذا المجال ونفسر قول من قال

ايمكن ان تجيء الناطيفه * كلب شويهة اوشئ بيضه
وتأكل ما تيسر من خبيز * وتقبض ما تحصل من فضيضه
وتحمل ما تشاء بغير عسر * شبيرا اوقنيرا او قبيضه

ثم ان محمود البلخى هم بعلاء الدين واراد ان يفترسه فقام علاء الدين وجرد سيفه وقال له واشيبتاه اما تخشى الله وهو شديد المحال ولم تسمع قول من قال

احفظ شيبك من عيب يدنسه * ان البياض سريع الحمل للدنس

فلما فرغ علاء الدين من شعره قال لمحمود ان هذه البضاعة امانة لله لا تباع ولو بعتها الغير لك بالذهب لبعتها لك بالفضة ولكن والله يا خبيث ما بقيت ارافقك ابدا ثم رجع علاء الدين الى المقدم كمال الدين وقال له ان هذا رجل فاسق فانا ما بقيت ارافقه ابدا ولا امشى معه فى طريق فقال له يا ولدى اما قلت لك لا ترح عنده ولكن يا ولدى ان افترقنا معه نخشى على انفسنا التلف نخلنا قفلا واحدا فقال له لا يمكن ان ارافقه فى الطريق ابدا ثم حمل علاء الدين حوله وسار هو ومن معه الى ان نزلوا فى واد واراد ان يحطوا فيه فقال العكام لا تحطوا هنا واستمروا رايحين واسرعوا فى المسير لعلنا نحصل بغداد قبل ان تقفل ابوابها فانهم لا يفتحونها ولا يقفلونها الا بشمس خوفا على المدينة ان يملكها الروافض ويرموا كتب العلم فى الدجلة فقال له يا والدى انا ما توجهت بهذا المتجر الى هذه البلد لاجل السبب بل لاجل الفرجة على بلاد الناس فقال له يا ولدى نخشى عليك وعلى مالك من العرب فقال له يا رجل هل انت خادم او مخدوم انا ما ادخل بغداد الا مع الصباح لاجل ان تنظر اولاد بغداد الى متجرى ويعرفونى فقال له العكام افعل ما تريد فانا نصحتك وانت تعرف خلاصك فامرهم علاء الدين بتنزيل الاحمال عن البغال فانزلوا الاحمال ونصبوا الصيوان واستمروا مقيمين الى نصف الليل ثم طلع علاء الدين يزبل ضرورة فرأى شيأ يلمع على بعد فقال للعكام يا مقدم ما هذا الشئ الذى يلمع فتأمل العكام وحقق النظر فرأى الذى يلمع اسنة رماح وحديد سلاح وسيوف بادية واذا بهم عرب ورئيسهم يسمى شيخ العرب عجلان ابو نائب ولما قرب العرب منهم ورأوا حولهم قالوا لبعضهم بالليلة الغنيمة فلما سمعوهم يقولون ذلك قال المقدم كمال الدين العكام حاس يا اقل العرب فلطشه ابو نائب بحربته فى صدره فخرجت تلمع من ظهره فوقع على باب الخيمة قتيلا فقال السقا حاس يا اخس العرب فضربوه بسيف على عاتقه فخرج يلمع من علائقه ووقع قتيلا كل هذا جرى وعلاء الدين واقف

ينظر ثم ان العرب جالوا وصالوا على القافلة فقتلوهم ولم يبقوا احدا من طائفة علاء الدين ثم حملوا الاحمال على ظهور البغال وراحوا فقال علاء الدين لنفسه ما يقتلك الا بغلتك وبدلتك هذه فقام وقلع البدلة ورماها على ظهر البغلة وصار بالقميص واللباس فقط والتفت قدامه الى باب الخيمة فوجد بركة دم سائلة من القتلى فصار يتمرغ فيها بالقميص واللباس حتى صار كالقتيل الغريق فى دمه هذا ما كان من امره واما ما كان من امر شيخ العرب عملان فانه قال لجماعته يا عرب هذه القافلة داخلة من مصر او خارجة من بغداد والوالد داخلة من مصر الى بغداد فقالوا لهم ردوا على القتلى لانى اظن ان صاحب هذه القافلة لم يمت فرد العرب على القتلى وصاروا يزودن القتلى بالطعن والضرب الى ان وصلوا الى علاء الدين وكان قد القى نفسه بين القتلى فلما وصلوا اليه قالوا انت جعلت نفسك ميتا فنحن نكمل قتلك وسحب البدوى الحربة واراد ان يغرزها فى صدر علاء الدين فقال علاء الدين يا بركتك يا سيدى عبد القادر يا جيلانى فنظر علاء الدين الى يد حولت الحربة عن صدره الى صدر المقدم كمال الدين العكام فطعنه البدوى بها وامتنع عن علاء الدين ثم حملوا الاحمال على ظهور البغال ومشوا بها فنظر علاء الدين فرأى الطير قد طارت بارزاقها فقام يجرى واذا بالبدوى ابو نائب قال لرفقائه انا رأيت زوالا يا عرب فطلع واحد منهم فرأى علاء الدين يجرى فقال له لا تفعل الهروب ونحن وراءك واكز فرسه فاسرعت وراءه وكان علاء الدين قد رأى قدامه حوضا فيه ماء وبجانبه صهريج فطلع علاء الدين الى شبالك فى الصهريج وامتد وجعل نفسه انه نائم وقال يا جميل الستر ستر الذى لا ينكشف واذا بالبدوى وقف تحت الصهريج ومد يده ليقتنص علاء الدين فقال علاء الدين يا بركتك يا سيدى نفيسة هذا وقتك واذا به قرب لدغ البدوى فى كفه فصرخ وقال يا عرب تعالوا الى فانى لدغت ونزل من فوق ظهر فرسه فاتاه رفقاؤه واركبوه ثانيا على فرسه وقالوا له اى شئ اصابك فقال لهم لدغنى عقرب ثم اخذوا القافلة وساروا هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر علاء الدين فانه استمر نائما فى شبالك الصهريج واما ما كان من امر محمود البلخى فانه امر بتحميل الاحمال وسافر الى ان وصل الى غابة الاسد فوجد غلمان علاء الدين كلهم قتلى ففرح بذلك وترجل الى ان وصل الى الصهريج والحوض وكانت بغلته شديدة العطش فالت تشرب من الحوض فرأت خيال علاء الدين فجفلت منه فرفع محمود البلخى عينه فرأى علاء الدين نائما وهو عريان بالقميص واللباس فقط فقال له من فعل بك هذه الافعال وخلاك فى اسوء حال فقال له العرب فقال له يا ولدى فداك البغال والاموال وتمثل بقول من قال

اذا سلمت هام الرجال من الردى ✻ فما المال الا مثل قص الاظافر

ولكن يا ولدى انزل ولا تخش بأسا فنزل علاء الدين من شبالك الصهريج واركبه بغلة وسافروا الى ان دخلوا مدينة بغداد فى دار محمود البلخى فامر بدخول علاء الدين الحمام وقال له المال والاحمال فداؤك يا ولدى وان طاوعتنى اعطيك قدر مالك واحمالك مرتين وبعد طلوعه من الحمام ادخلوه قاعة مزركشة بالذهب لها اربعة لواوين ثم امر بانه ضار سفرة فيها جميع الاطعمة فاكلوا وشربوا ومال محمود البلخى على

علاء الدين ليأخذ من خده قبلة فلقيها علاء الدين بكفه وقال له هل انت الى الآن تابع لضلالك اما قلت لك انا لو كنت بعت هذه البضاعة لغيرك بالذهب لكنت ابيعها لك بالفضة فقال له انا ما اعطيك المتجر والبغلة والبدلة الا لاجل هذه القضية فانى من غرامى بك فى خبال ولله در من قال

حدثنا عن بعض اشياخه * ابو بلال شيخنا عن شريك
لا يشتفى العاشق مما به * بالضم والتقبيل حتى ينيك

فقال له علاء الدين ان هذا شئ لا يمكن ابدا فخذ بدلتك وبغلتك وافتح لى الباب حتى اروح ففتح له الباب فطلع علاء الدين والكلاب تنبح وراءه وسار فبينما هو سائر فى الظلام اذ رأى باب مسجد فدخل فى دهليز المسجد واستكن فيه واذا بثور مقبل عليه فتأمله فرأى فانوسين فى يدى عبدين قدام اثنين من التجار واحد منهما اختيار حسن الوجه والثانى شاب فسمع الشاب يقول للاختيار بالله يا عمى ان ترد لى بنت عمى فقال له اما نهيتك مرارا عديدة وانت جاعل الطلاق مصحفك ثم ان الاختيار التفت على يمينه فرأى ذلك الولد كانه فلقة قمر فقال له السلام عليك فرد عليه السلام فقال له يا غلام من انت فقال له انا علاء الدين بن شمس الدين شاه بندر التجار بمصر وتمنيت على والدى المتجر فجهز لى خمسين حملا من البضاعة وادركنا شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان علاء الدين قال فجهز لى والدى خمسين حملا من البضاعة واعطانى عشرة الاف دينار وسافرت حتى وصلت الى غابة الاسد فطلع على العرب واخذوا مالى واحمالى فدخلت هذه المدينة وما ادرى اين ابيت فرأيت هذا المحل فاستكنيت فيه فقال له يا ولدى ما تقول فى انى اعطيك الف دينار وبدلة بالف دينار فقال له علاء الدين على اى وجه تعطينى ذلك يا عمى فقال له ان هذا الغلام الذى معى ابن اخى ولم يكن لابيه غيره وانا عندى بنت لم يكن لى غيرها اسمى زبيدة العودية وهى ذات حسن وجمال فزوجتها له وهو يحبها وهى تكرهه فحنث فى يمينه بالطلاق الثلاث فاصدقت زوجته بذلك حتى افترقت منه فساق على جميع الناس انى اردها له فقلت له هذا لا يصح الا بالمستحيل واتفقت معه على ان نجعل المحل واحدا غريبا حتى لا يعايره احد بهذا الامر وحيث كنت انت غريبا فتعال معنا لنكتب كتابك عليها وتبيت عندها هذه الليلة وتصبح تطلقها ونعطيك ما ذكرته لك فقال علاء الدين فى نفسه مبيت ليلة مع عروس فى بيت على فراش احسن من مبيت فى الازقة والدهاليز فسار معهما الى القاضى فلما نظر القاضى الى علاء الدين وقعت محبته فى قلبه وقال لابى البنت اى شئ مرادكم فقال مرادنا ان نعمل هذا مستحلا لبنتنا واكن نكتب عليه حجة بمقدم الصداق عشرة الاف دينار فان بات عندها ومتى اصبح طلقها اعطيناه بدلة بالف دينار وبغلة بالف دينار واعطيناه الف دينار وان لم يطلقها يحط عشرة الاف دينار فعقدوا العقد على هذا الشرط واخذ ابو البنت حجة بذلك ثم اخذ علاء الدين معه والبسه البدلة وساروا به الى ان وصلوا دار بنته فاوقفه على باب الدار ودخل على بنته وقال لها خذى حجة صداقك فانى كتبت كتابك على شاب مليح يسمى علاء الدين ابا الشامات فتوصى به غاية الوصية ثم اعطاها الحجة وتوجه الى بيته واما ابن عم البنت فانه كان له قهرمانة تتردد على زبيدة العودية بنت عمه وكان يحسن اليها فقال لها يا امى ان زبيدة بنت عمى متى رأت هذا الشاب المليح لم تقبلنى بعد ذلك فانا

اطلب منك ان تعمل حيلة وتمنعى الصبية عنه فقالت له وحياة شبابك ما اخليه يقربها ثم انها جاءت لعلاء الدين وقالت له يا ولدى انصحك لله تعالى فاقبل نصيحتى ولا تقرب تلك الصبية ودعها تنام وحدها ولا تلمسها ولا تدن منها فقال لاى شئ فقالت له ان جسدها ملآن بالجذام واخاف عليك منها ان تعدى شبابك المليح فقال ليس لى بها حاجة ثم انتقلت الى الصبية وقالت لها مثل ما قالت لعلاء الدين فقالت لها لا حاجة لى به بل ادعه ينام وحده ولما يصبح يروح الى حال سبيله ثم دعت جارية وقالت لها خذى سفرة الطعام واعطيها له يتعشى فحملت له الجارية سفرة الطعام ووضعتها بين يديه فاكل حتى اكتفى ثم قعد وقرأ سورة يس بصوت حسن فصغت له الصبية فوجدت صوته يشبه من امير آل داود فقالت فى نفسها الله ينكد على هذه العجوز التى قالت لى عليه انه مبتل بالجذام فمن كانت به هذه الحالة لا يكون صوته هكذا وانما هذا الكلام كذب عليه ثم انها وضعت فى يديها عودا من صنعة الهنود واصلحت اوتاره وغنت عليه بصوت يوقف الطير فى كبد السماء وانشدت هذين البيتين

تعشقت ظبيا ناعس الطرف احورا * تغار غصون البان منه اذا مشى
يمانعنى والغير يحظى بوصله * وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

فلما سمعها انشدت هذا الكلام بعد ان ختم السورة غنى هو وانشد هذا البيت

سلامى على ما فى الثياب من القد * وما فى بساتين الخدود من الورد

فقامت الصبية وقد زادت محبتها له ورفعت الستارة فلما رآها علاء الدين انشد هذين البيتين

بدت قمرا ومالت غصن بان * وفاحت عنبرا ورنت غزالا
كأن الحزن مشغوف بقلبى * فساعة هجرها يجد الوصالا

ثم انها خطرت تهز ارداقها تميل باعطاف صنعة خفى الالطاف وتنظر كل واحد منهما صاحبه نظرة اعقبته الف حسرة فلما تمكن فى قلبه منها سهم اللحظين انشد هذين البيتين

رأت قمر السماء فاذكرتنى * ليالى وصلها بالرقتين
كلانا ناظر قمرا ولكن * رأيت بعينها ورأت بعينى

فلما قربت منه ولم يبق بينه وبينها الا خطوتين انشد هذين البيتين

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها * فى ليلة فارت ليالى اربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فارتنى القمرين فى وقت معا

فلما اقبلت عليه قال لها ابعدى عنى ثلاثا تعدينى فكشفت عن معصمها فانفرق المعصم فرقتين وبياضه كبياض اللبن ثم قالت له ابعد عنى فانك مبتل بالجذام ثلاثا تعدينى فقال لها من اخبرك انى مجذوم فقالت له العجوز اخبرتنى بذلك فقال لها وانا الآخر اخبرتنى العجوز انك مصابة بالبرص ثم كشف لها عن ذراعيه فوجدت بدنه كالفضة النقية فضمته الى حضنها وضمها الى صدره واعتنق الاثنان بعضهما ثم اخذته وراحت على ظهرها وفكت لباسها فتصرك عليه الذى خلفه له الوالد فقال امددك يا شيخ ذكريا يا ابا العروق وحط يديه فى خاصرتيها ووضع عرق الحلاوة فى باب الخرق ودفعه فوصل الى باب الشعرية وكان مروره من باب الفتوح وبعد ذلك دخل سوق الاثنين والثلاثا والاربعا والخميس فوجد البساط على قدر الليوان ودور الحق على غطاه حتى التقاه فلما اصبح الصباح قال لها يا فرحة ما تمت اخذها الغراب وطار فقالت له ما معنى هذا الكلام فقال لها يا سيدتى ما بقى لى قعود معك غير

هذه الساعة فقالت له من يقول ذلك فقال لها ان ابالك كتب على حجه بعشرة الاف دينار مهرك وان لم اوردها في هذا اليوم حبسوني عليها في بيت القاضي والآن يدي قصيرة عن نصف فضة واحد من العشرة الاف دينار فقالت له يا سيدي هل العصمة بيدك او بايديهم فقال لها العصمة بيدي ولكن ما معي شيء فقالت له ان الامر سهل ولا تخش شيأ ولكن خذ هذه المائة دينار ولو كان معي غيرها لاعطيتك ما تريد فان ابي من محبته لابن اخيه حول جميع ماله من عندي الى بيته حتى صيغتي اخذها كلها واذا ارسل اليك رسولا من طرف الشرع في غد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الصبية قالت لعلاء الدين واذا ارسلوا اليك رسولا من طرف الشرع في غد وقال لك القاضي وابي طلق فقل لهما في اي مذهب يجوز اني اتزوج في العشاء واطلق في الصباح ثم انك تقبل يد القاضي وتعطيه احسانا وكذا كل شاهد تقبل يده وتعطيه عشرة دنانير فكلهم يتكلمون معك فاذا قالوا لك لاي شيء ما تطلق وتأخذ الف دينار والبغلة والبدلة على حكم الشرط الذي شرطناه عليك فقل لهم انا عندي فيها كل شعرة بالف دينار ولا اطلقها ابدا ولا آخذ بدلة ولا غيرها فاذا قال لك القاضي ادفع المهر فقل له انا معسر الان وحينئذ يترفق بك القاضي والشهود ويمهلونك مدة فبينما هما في الكلام واذا برسول القاضي يدق الباب فخرج اليه فقال له الرسول كلم الافندي فان نسيبك طالبك فاعطاه خمسة دنانير وقال له يا محضر في اي شرع اني اتزوج في العشاء واطلق في الصباح فقال له لا يجوز عندنا ابدا وان كنت تجهل الشرع فانا اعمل وكيلك وصاروا الى المحكمة فقال له القاضي لاي شيء لم تطلق المرأة وتأخذ ما وقع عليه الشرط فتقدم الى القاضي وقبل يده ووضع فيها خمسين دينارا وقال له يا مولانا القاضي في اي مذهب اني اتزوج في العشاء واطلق في الصباح قهرا عني فقال القاضي لا يجوز الطلاق بالاجبار في مذهب من مذاهب المسلمين فقال ابو الصبية ان لم تطلق فادفع لي الصداق عشرة الاف دينار فقال علاء الدين امهلني ثلاثة ايام فقال القاضي لا تكفي ثلاثة ايام في المهلة بل يمهلك عشرة ايام واتفقوا على ذلك وشرطوا عليه بعد العشرة ايام اما المهر واما الطلاق وطلع من عندهم على هذا الشرط فاخذ اللحم والارز والسمن وما يحتاج اليه الامر من المأكل وتوجه الى البيت فدخل على الصبية وحكى لها جميع ما جرى له فقالت له بين الليل والنهار عجائب ولله در من قال

كن حليما اذا بليت بغيظ ✻ وصبورا اذا انتك مصيبه
ان الليالي من الزمان حبالى ✻ مثقلات يلدن كل عجيبه

ثم قامت وهيأت الطعام واحضرت السفرة فاكلا وشربا وتلذذا وطربا ثم طلب منها ان تعمل نوبة سماع فاخذت العود وعملت نوبة يطرب منها الحجر الجلمود ونادت الاوتار في الحضرة يا دود ودخلت في دارج النوبة فبينما هما في حظ ومزاح وبسط وانشراح واذا بالباب يطرق فقالت له قم انظر من بالباب فنزل وفتح الباب فوجد اربعة دراويش واقفين فقال لهم اي شيء تطلبون فقالوا له يا سيدي نحن دراويش غرباء الديار وقوت ارواحنا السماع ورقائق الاشعار ومرادنا ان نرتاح عندك هذه الليلة الى وقت الصباح ثم نتوجه الى حال سبيلنا واجرك على الله تعالى فانا نعشق السماع وما فينا واحد الا ويحفظ القصائد والاشعار والموشحات فقال لهم على مشورة ثم طلع واعلمها فقالت له افتح لهم

الباب ففتح لهم الباب واطلعهم واجلسهم ورحب بهم ثم احضر لهم طعاما فلما اكلوا وتغالوا له يا سيدى ان زادنا ذكر الله بقلوبنا وسماع المغانى باذاننا والله در من قال

وما القصد الا ان يكون اجتماعنا * وما الاكل الا سمة للبهائم

وقد كنا نسمع عندك سماعا لطيفا فلما طلعنا بطل السماع فيا هل ترى التى كانت تعمل النوبة جارية بيضاء او سوداء او بنت ناس فقال لهم هذه زوجتى وحكى لهم جميع ما جرى له وقال لهم ان نصيبى عمل على عشرة آلاف دينار مهرها واملها لونى عشرة ايام فقال له درويش منهم لا تحزن ولا تأخذ فى خاطرك الا الطيب فانا شيخ التكية وتحت يدى اربعون درويشا احكم عليهم وسوف اجمع لك العشرة الاف دينار منهم وتوفى المهر الذى عليك انا نصيبك ولكن امرها ان تعمل لنا نوبة لاجل ان نحفظ ويحصل لنا انتعاش فان السماع للقوم كالغذاء ولقوم كالدواء ولقوم كالمروحة وكان هؤلاء الدراويش الاربعة الخليفة هارون الرشيد والوزير جعفر البرمكى وابو نواس الحسن بن هانى ومسرور سياف النقمة وسبب مرورهم على هذا البيت ان الخليفة حصل له ضيق صدر فقال للوزير يا وزير ان مرادنا ان ننزل ونتسرق فى المدينة لانه حاصل عندى ضيق صدر فلبسوا لبس الدراويش ونزلوا فى المدينة فجازوا على تلك الدار فسمعوا النوبة فاحبوا ان يعرفوا حقيقة الامر ثم انهم باتوا فى حفظ ونظام ومناقلة كلام الى ان اصبح الصباح فحفظ الخليفة مائة دينار تحت السجادة ثم اخذوا خاطره وتوجهوا الى حال سبيلهم فلما رفعت الصبية السجادة رأت مائة دينار تحتها فقالت لزوجها خذ هذه المائة دينار التى وجدتها تحت السجادة فان الدراويش حطوها قبل ما يروحوا وليس لنا علم بذلك فاخذها علاء الدين وذهب الى السوق واشترى منها اللحم والارز والسمن وجميع ما يحتاج اليه وفى ثانى ليلة قاد الشمع وقال لها ان الدراويش لما باتوا بالعشرة الاف دينار التى وعدونى بها ولكن هؤلاء فقراء فبينما هما فى الكلام واذا بالدراويش قد طرقوا الباب فقالت له انزل افتح لهم ففتح لهم وطلعوا وقال لهم هل احضرتم العشرة الاف التى وعدتونى بها فقالوا له ما تيسر منها شىء ولكن لا تخش باسا ان شاء الله تعالى فى غد نطبخ لك طبخة كيماء وامر زوجتك ان تسمعنا نوبة عظيمة نتنعش بها قلوبنا فانا نحب السماع فعملت لهم نوبة على العود ترقص الحجر الجلمود فباتوا فى هناء وسرور ومسامرة وحبور الى ان طلع الصباح واضاء بنوره ولاح فحفظ الخليفة مائة دينار تحت السجادة ثم اخذوا خاطره وانصرفوا من عنده الى حال سبيلهم ولم يزالوا يأتون اليه على هذا الحال مدة تسع ليال وكل ليلة يحط الخليفة تحت السجادة مائة دينار الى ان اقبلت الليلة العاشرة فلم يأتوا وكان السبب فى انقطاعهم ان الخليفة ارسل الى رجل عظيم من التجار وقال له احضر لى خمسين حملا من الاقمشة التى تجىء من مصر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان امير المؤمنين قال لذلك التاجر احضر لى خمسين حملا من القماش الذى يجىء من مصر يكون كل حمل ثمنه الف دينار واكتب على كل حمل قدر ثمنه واحضر لى عبدا حبشيا فاحضر له التاجر جميع ما امره به ثم ان الخليفة اعطى العبد طشتا وابريقا من الذهب وهدية والخمسين حملا وكتب كتابا على لسان شمس الدين شاه بندر التجار بمصر والد علاء الدين وقال له خذ هذه الاحمال وما معها وروح بها الحارة الفلانية التى فيها بيت شاه بندر التجار وقل اين سيدى علاء الدين

ابو الشامات فان الناس يدلونك على الحارة وعلى البيت فاخذ العبد الاحمال ومامعها وتوجه كما امره الخليفة هذا ما كان من امره واما ما كان من امر ابن عم الصبية فانه توجه الى ابيها وقال له تعالى نروح لعلاء الدين لنطلق بنت عمى فنزل وسار هو واياه وتوجها الى علاء الدين فلما وصلا الى البيت وجدا خمسين بغلا وعليها خمسون حملا من القماش وعبدا راكب بغلة فقالا له لمن هذه الاحمال فقال لسيدى علاء الدين ابى الشامات فان اباه كان جهزله متجرا وسفره الى مدينة بغداد فقطع عليه العرب فاخذوا ماله واحماله فبلغ الخبر الى ابيه فارسلنى اليه باحمال عوضها وارسل له معى بغلا عليه خمسون الف دينار وبقجة تساوى جملة من المال وكرك سمور وطشت وابريق من الذهب فقال له ابو البنت هذا نسيبى وانا ادللت على بيته فبينما علاء الدين قاعد فى البيت وهو فى غم شديد واذا بالباب يطرق فقال علاء الدين يا زبيدة الله اعلم ان اباك ارسل الى رسولا من طرف القاضى اومن طرف الوالى فقالت له انزل وانظر الخبر فنزل وفتح الباب فرأى نسيبه شاه بندر التجار يا زبيدة ووجد عبدا حبشيا اسمر اللون حلو المنظر راكبا فوق بغلة فنزل العبد وقبل يديه فقال له اى شئ تريد فقال له انا عبد سيدى علاء الدين ابى الشامات ابن شمس الدين شاه بندر التجار بارض مصر وقد ارسلنى اليه ابوه بهذه الامانة ثم اعطاه الكتاب فاخذه علاء الدين وفضه وقرأه فرأى مكتوبا فيه

يا كتابى اذا رآك حبيبى * قبل الارض والنعال لديه
وتمهل ولا تكون عجولا * ان روحى وراحتى فى يديه

بعد السلام التام والتحية والاكرام من شمس الدين الى ولده علاء الدين ابى الشامات اعلم يا ولدى انه بلغنى خبر قتل رجالك ونهب اموالك واحمالك فارسلت اليك غير هذه الخمسين حملا من القماش المصرى والبدلة والكرك السمور والطشت والابريق الذهب ولا تخش باسا والمال فداك يا ولدى ولا يحصل لك حزن ابدا وان امك واهل البيت طيبون بخير وعافية وهم يسلمون عليك كثير السلام وبلغنى يا ولدى خبر انهم عملوك مستحلا للبنت زبيدة العودية وعملوا عليك مهرها خمسين الف دينار فهى واصلة اليك صحبة الاحمال مع عبدك سليم فلما فرغ من قرأة الكتاب تسلم الاحمال ثم التفت الى نسيبه وقال له يا نسيبى خذ الخمسين الف دينار مهر بنتك زبيدة وخذ الاحمال تصرف فيها ولك المكسب ورد لى رأس المال فقال له لا والله لا اخذ شيأ واما مهر زوجتك فاتفق انت واياها من جهتك فقام علاء الدين هو ونسيبه ودخلا البيت بعد ادخال الحمول فقالت زبيدة لابيها يا ابى لمن هذه الاحمال فقال لها هذه الاحمال لعلاء الدين زوجك ارسلها اليه ابوه عوضا عن الاحمال التى اخذها العرب منه وارسل اليه خمسين الف دينار وبقجة وكرك سمور وبغلة وطشتا وابريقا ذهبا واما من جهة مهرك فالرأى لك فيه فقام علاء الدين وفتح الصندوق واعطاها مهرها فقال الولد ابن عم البنت يا عمى خل علاء الدين يطلق لى امرأتى فقال له هذا شئ ما بقى يصح ابدا والعصمة بيده فراح الولد مغموما مقهورا وقد فى بيته ضعيفا فكان فيها القاضية غاب واما علاء الدين فانه طلع الى السوق بعد ان اخذ الاحمال واخذ ما يحتاج اليه من المأكل والمشرب والسمن وعمل نظاما مثل كل ليلة وقال لزبيدة انظرى هؤلاء الدراويش الكذابين قد وعدونا واخلفوا وعدهم فقالت له انت ابن شاه بندر التجار وكانت يدك قصيرة على نصف فضة فكيف بالمساكين الدراويش فقال لها اغنانا الله تعالى عنهم ولكن ما بقيت افتح لهم الباب اذا اتوا الينا فقالت له لا اى شئ والخير ما جانا الا على قدومهم وكل ليلة يحطون لنا تحت السجادة

مائة دينار فلا بد ان تفتح لهم الباب اذا جاؤا فلما ولى النهار بضيائه واقبل الليل قادوا الشمع وقال لها يا زبيدة قومى اعملى لنا نوبة واذا بالباب يطرق فقالت له قم انظر من بالباب فنزل وفتح الباب فرأهم الدراويش فقال يا مرحبا بالكذابين اطلعوا فطلعوا معه واجلسهم وجاء لهم بسفرة الطعام فاكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا وبعد ذلك قالوا له يا سيدى ان فلوسنا عليك مشغولة اى شئ جرى لك مع نسيبك فقال لهم عوض الله علينا بما فوق المراد فقالوا له والله انا كنا خائفين عليك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الدراويش قالوا لعلاء الدين والله انا كنا خائفين عليك وما منعنا عنك الا قصر اليد بنا عن الدراهم فقال لهم قد اتانى الفرج القريب من عند ربى وقد ارسل الى والدى خمسين الف دينار وخمسين حملا من القماش ثمن كل حمل الف دينار وبدلة وكرك سمور وبغلة وعبدا وطشتا وابريقا من الذهب ووقع الصلح بينى وبين نسيبى وطابت لى زوجتى والحمد لله على ذلك ثم ان الخليفة قام يزيل ضرورة فقال الوزير جعفر على علاء الدين وقال له الزم الادب فانك فى حضرة امير المؤمنين فقال له اى شئ وقع منى من قلة الادب فى حضرة امير المؤمنين ومن هو امير المؤمنين منكم فقال له ان الذى كان يكلمك وقام يزيل الضرورة هو امير المؤمنين الخليفة هارون الرشيد وانا الوزير جعفر وهذا مسرور سياف نقمته وهذا ابو النواس الحسن بن هانى فتأمل بعقلك يا علاء الدين وانظر مسافة كم يوم فى السفر من مصر الى بغداد فقال له خمسة واربعون يوما فقال له ان حوالك نهبت من منذ عشرة ايام فقط فكيف يروح الخبر لابيك ويحزم لك الاحمال وتقطع مسافة خمسة واربعين يوما فى العشرة ايام فقال له يا سيدى ومن اين اتانى هذا فقال له من عند الخليفة امير المؤمنين بسبب فرط محبته لك فبينما هم فى هذا الكلام واذا بالخليفة قد اقبل فقام علاء الدين وقبل الارض بين يديه وقال له الله يحفظك يا امير المؤمنين ويديم بقاءك ولا عدم الناس فضلك واحسانك فقال يا علاء الدين خل زبيدة تعمل لنا نوبة حلاوة السلامة فعملت نوبة على العود من غرائب الموجود الى ان طرب لها الحجر الجلمود وصاح العود فى الحضرة يا داود فبانوا على اسرحال الى الصباح فلما اصبحوا قال الخليفة لعلاء الدين فى غد اطلع الديوان فقال له سمعا وطاعة يا امير المؤمنين ان شاء الله تعالى وانت بخير ثم ان علاء الدين اخذ عشرة اطباق ووضع فيها هدية سنية وطلع بها الديوان فى ثانى يوم فبينما الخليفة قاعد على الكرسى فى الديوان واذا بعلاء الدين مقبل من باب الديوان وهو ينشد هذين البيتين

تصحبك السعادة كل يوم * يا جلال وقد رغم الحسود
ولا زالت لك الايام بيضا * وايام الذى عاداك سود

فقال له الخليفة مرحبا يا علاء الدين فقال علاء الدين يا امير المؤمنين ان النبى صلى الله عليه وسلم قبل الهدية وهذه العشرة اطباق وما فيها هدية منى اليك فقبل منه ذلك امير المؤمنين وامر له بخلعة وجعله شاه بندر التجار واقعده فى الديوان فبينما هو جالس واذا بنسيبه ابى زبيدة مقبل فوجد علاء الدين جالسا فى رتبته وعليه خلعة فقال لامير المؤمنين يا ملك الزمان لاى شئ هذا جالس فى رتبتى وعليه هذه الخلعة فقال له الخليفة انى جعلته شاه بندر التجار والمناصب تقليد لا تخليد وانت معزول فقال له انه منا والينا

ونعم ما فعلت يا امير المؤمنين الله يجعل خيارنا اولياء امورنا وكم من صغير صار كبيرا ثم ان الخليفة كتب فرمانا لعلاء الدين واعطاه للوالى والوالى اعطاه للمشاعلى ونادى فى الديوان ماشاء بندر التجار الاعلاء الدين ابو الشامات وهو مسموع الكلمة محفوظ الحرمة يجب له الاكرام والاحترام ورفع المقام فلما انفض الديوان نزل الوالى بالمنادى بين يدى علاء الدين وصار المنادى يقول ماشاء بندر التجار الاسيدى علاء الدين ابو الشامات ودار وابه فى شوارع بغداد والمنادى ينادى ويقول ماشاء بندر التجار الاسيدى علاء الدين ابو الشامات فلما اصبح الصباح فتح دكانا للعبد واجلسه فيها يبيع ويشترى واما علاء الدين فانه كان يركب ويتوجه الى مرتبته فى ديوان الخليفة وادر لنا شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للستين بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان علاء الدين كان يركب ويتوجه الى مرتبته فى ديوان الخليفة فاتفق انه جلس فى مرتبته يوما على عادته فبينما هو جالس واذا بقائل يقول للخليفة يا امير المؤمنين تعيش رأسك فى فلان النديم فانه توفى الى رحمة الله تعالى وحياتك الباقية فقال الخليفة اين علاء الدين ابو الشامات فحضر بين يديه فلما رأه خلع عليه خلعة سنية وجعله نديمه وكتب له جامكية الف دينار فى كل شهر واقام عنده يتنادم معه فاتفق انه كان جالسا يوما من الايام فى مرتبته على عادته فى خدمة الخليفة واذا بامير طالع الى الديوان بسيف وترس فقال يا امير المؤمنين تعيش رأسك فى رئيس الستين فانه مات فى هذا اليوم فامر الخليفة بخلعة لعلاء الدين ابى الشامات وجعله رئيس الستين مكانه وكان رئيس الستين لا ولد له ولا بنت ولا زوجة فنزل علاء الدين ووضع يده على ماله وقال الخليفة لعلاء الدين واره فى التراب وخذ جميع ماتركه من مال وعبيد وجوار وخدم ثم نفض الخليفة المنديل وانفض الديوان فنزل علاء الدين وفى ركابه المقدم احمد الدنف مقدم مينة الخليفة هو واتباعه الاربعون وفى يساره المقدم حسن شومان مقدم ميسرة الخليفة هو واتباعه الاربعون فالتفت علاء الدين الى المقدم حسن شومان هو واتباعه وقال لهم انتم سياق على المقدم احمد الدنف لعله يقبلنى ولده فى عهد الله فقبله وقال له انا واتباعى الاربعون نمشى قدامك الى الديوان فى كل يوم ثم ان علاء الدين مكث فى خدمة الخليفة مدة ايام فاتفق ان علاء الدين نزل من الديوان يوما من الايام وسار الى بيته وصرف احمد الدنف هو ومن معه الى حال سبيلهم ثم جلس مع زوجته زبيدة العودية وقد اوقدت الشموع وبعد ذلك قامت تزيل ضرورة فبينما هو جالس فى مكانه اذ سمع صرخة عظيمة فقام مسرعا لينظر الذى صرخ فرأى صاحب الصرخة زوجته زبيدة العودية وهى مطروحة فوضع يده على صدرها فوجدها ميتة وكان بيت ابيها قدام بيت علاء الدين فسمع صرختها فقال لعلاء الدين ما الخبر يا سيدى علاء الدين فقال له تعيش رأسك يا والدى فى بنتك زبيدة العودية ولكن يا والدى اكرام الميت دفنه فلما اصبح الصباح واروها فى التراب وصار علاء الدين يعزى اباها وابوها يعزيه هذا ما كان من امر زبيدة العودية واما ما كان من امر علاء الدين فانه لبس ثياب الحزن وانقطع عن الديوان وصار باكى العين حزين القلب فقال الخليفة لجعفر يا وزير ما سبب انقطاع علاء الدين عن الديوان فقال له الوزير يا امير المؤمنين انه حزين على امرأته زبيدة ومشغول بعزائها فقال الخليفة للوزير واجب علينا ان نعزيه فقال الوزير سمعا وطاعة ثم نزل الخليفة هو والوزير

وبعض الخدام وركبوا وتوجهوا الى بيت علاء الدين فبينما هو جالس واذا بالخليفة والوزير ومن معهما مقبلون عليه فقام لملتقاهم وقبل الارض بين يدى الخليفة فقال له الخليفة عوضك الله خيرا فقال علاء الدين اطال الله لنا بقاءك يا امير المؤمنين فقال الخليفة يا علاء الدين ما سبب انقطاعك عن الديوان فقال له حزنى على زوجتى زبيدة يا امير المؤمنين فقال له الخليفة ادفع الهم عن نفسك فانها ماتت الى رحمة الله تعالى والحزن لا يفيد لك شيأ ابدا فقال يا امير المؤمنين انا لا اترك الحزن عليها الا اذا مت ودفنونى عندها فقال له الخليفة ان فى الله عوضا من كل فائت ولا يخلص من الموت حيلة ولا مال ولله در من قال

كل ابن انثى وان طالت سلامته * يوما على آلة حدباء محمول

وكيف يلهو بعيش او يلذ به * من التراب على خديه مجعول

ولما فرغ الخليفة من تعزيته اوصاه انه لا ينقطع عن الديوان وتوجه الى محله ثم بات علاء الدين ولما اصبح الصباح ركب وسار الى الديوان فدخل على الخليفة وقبل الارض بين يديه فتحرك له الخليفة من على الكرسى ورحب به وحياه وانزله فى منزلته وقال له يا علاء الدين انت ضيفى فى هذه الليلة ثم دخل به سرايته ودعا بجارية تسمى قوت القلوب وقال لها ان علاء الدين كان عنده زوجة تسمى زبيدة العودية وكانت تسليه عن الهم والغم فماتت الى رحمة الله تعالى ومرادى ان تسمعيه نوبة على العود وادر لنا شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخليفة قال لجاريته قوت القلوب مرادى ان تسمعيه نوبة على العود من غرائب الموجود لاجل ان يتسلى عن الهم والاحزان فقامت الجارية وعملت نوبة من الغرائب فقال الخليفة ما تقول يا علاء الدين فى صوت هذه الجارية فقال له ان زبيدة احسن صوتا منها الا انها صاحبة صناعة فى ضرب العود لانها تطرب الحجر الجلمود فقال له هل هى اعجبتك فقال له اعجبتنى يا امير المؤمنين فقال الخليفة وحياة رأسى وتربة جدودى انها هبة منى اليك هى وجواريها فظن علاء الدين ان الخليفة يمزح معه فلما اصبح الخليفة دخل على جاريته قوت القلوب وقال لها انا وهبتك لعلاء الدين ففرحت بذلك لانها رأته واحبته ثم تحول الخليفة من قصر السراية الى الديوان ودعا بالحمالين وقال لهم انقلوا امتعة قوت القلوب وحطوها فى القصر ان هى وجواريها الى بيت علاء الدين فنقلوها هى وجواريها وامتعتها الى بيت علاء الدين وادخلوها القصر وجلس الخليفة فى مجلس الحكم الى آخر النهار ثم انفض الديوان ودخل قصره هذا ما كان من امره واما ما كان من امر قوت القلوب فانها لما دخلت قصر علاء الدين هى وجواريها وكانوا اربعين جارية غير الطواشية قالت لاثنين من الطواشية احدكما يقعد على كرسى فى ميمنة الباب والثانى يقعد على كرسى فى ميسرته ولما يأتى علاء الدين قبلا يديه وقولا له ان سيدتنا قوت القلوب تطلبك الى القصر فان الخليفة وهبها لك هى وجواريها فقالا لها سمعا وطاعة ثم فعلا ما امرتهما به فلما اقبل علاء الدين وجد اثنين من طواشية الخليفة جالسين بالباب فاستغرب الامر وقال فى نفسه لعل هذا ما هو بيتى والا فما الخبر فلما رأته الطواشية قاموا اليه وقبلوا يديه وقالوا نحن من اتباع الخليفة ومما لين قوت القلوب وهى تسلم عليك وتقول لك ان الخليفة قد وهبها لك هى وجواريها وتطلبك عندها فقال

لهم قولوا لها مرحبا بك ولكن طول ما انت عنده ما يدخل القصر الذى انت فيه لان ما كان للمولى لا يصلح ان يكون للخدام وقولوا لها ما مقدار مصروفك عند الخليفة فى كل يوم فطلعوا اليها وقالوا لها ذلك فقالت كل يوم مائة دينار فقال لنفسه انا ليس لى حاجة بان يهب لى الخليفة قوت القلوب حتى اصرف عليها هذا المصروف ولكن لا حيلة فى ذلك ثم انها اقامت عنده مدة ايام وهو مرتب لها فى كل يوم مائة دينار الى ان انقطع علاء الدين عن الديوان يوما من الايام فقال الخليفة يا وزير جعفر انا ما وهبت قوت القلوب لعلاء الدين الا لتسليه عن زوجته وما سبب انقطاعه عنا فقال يا امير المؤمنين اقد صدق من قال من لقى احبابه نسى اصحابه فقال الخليفة لعله ما قطعه عنا الا عذر ولكن نحن نزوره وكان قبل ذلك بايام قال علاء الدين للوزير انا شكوت للخليفة ما اجده من الحزن على زوجتى زبيدة العودية فوهب لى قوت القلوب فقال له الوزير لولا انه يحبك ما وهبها لك وهل دخلت بها يا علاء الدين فقال لا والله لا اعرف لها طولا ولا من عرض فقال له ما سبب ذلك فقال يا وزير الذى يصلح للمولى لا يصلح للخدام ثم ان الخليفة وجعفرا استخفيا وسارا لزيارة علاء الدين ولم يزالا سائرين الى ان دخلا على علاء الدين فعرفهما وقام قبل ايادى الخليفة ولما رآه الخليفة وجد عليه علامة الحزن فقال له يا علاء الدين ما سبب هذا الحزن الذى انت فيه ما دخلت على قوت القلوب فقال يا امير المؤمنين الذى يصلح للمولى لا يصلح للخدام وانى الى الان ما دخلت عليها ولا اعرف لها طولا ولا من عرض فاقلنى منها فقال الخليفة ان مرادى الاجتماع بها حتى اسألها عن حالها فقال علاء الدين سمعا وطاعة يا امير المؤمنين فدخل عليها الخليفة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخليفة دخل على قوت القلوب فلما رأته قامت وقبلت الارض بين يديه فقال لها هل دخل بك علاء الدين فقالت لا يا امير المؤمنين وقد ارسلت اطلبه للدخول فلم يرض فامر الخليفة برجوعها الى السراية وقال لعلاء الدين لا تقطع عنا ثم توجه الخليفة الى داره فبات علاء الدين تلك الليلة ولما اصبح ركب وسار الى الديوان فجلس فى رتبة رئيس الستين فامر الخليفة الخازندار ان يعطى للوزير جعفر عشرة الاف دينار فاعطاه ذلك المبلغ ثم قال الخليفة للوزير ازمتك ان تنزل الى سوق الجوارى وتشترى لعلاء الدين بالعشرة الاف دينار جارية فامتثل الوزير امر الخليفة ونزل واخذ معه علاء الدين وسار به الى سوق الجوارى فاتفق فى هذا اليوم ان والى بغداد الذى من طرف الخليفة وكان اسمه الامير خالد نزل الى السوق من اجل اشتراء جارية لولده وسبب ذلك انه كان له زوجة تسمى خاتونا وكان رزق منها بولد قبيح المنظر يسمى حبظلم بظاظه وكان بلغ من العمر عشرين سنة ولا يعرف ان يركب الحصان وكان ابوه شجاعا قرمامشاعا وكان يركب الخيل ويخوض بحار الليل فنام حبظلم بظاظه فى ليلة من الليالى فاحتلم فاخبروا والدته بذلك ففرحت واخبرت والده بذلك وقالت مرادى ان نزوجه فانه صار يستحق الزواج فقال لها هذا قبيح المنظر كريه الرايحة دنس وحش لا تقبله واحدة من النساء فقالت نشترى له جارية فلا مرد قدره الله تعالى ان اليوم الذى نزل فيه الوزير وعلاء الدين الى السوق نزل فيه الامير خالد الوالى هو وولده حبظلم بظاظه فبينما هم فى السوق واذا بجارية ذات حسن وجمال وقد واعتدال فى يد رجل دلال فقال الوزير شاوريا دلال عليها بالف دينار فقربها على الوالى فرأها

حبظلم بظاظه نظرة اعقبته النظرة الف حسرة وتولع بها وتمكن منه حبها فقال يا ابت اشترلى هذه الجارية
فنادى الدلال وسأل الجارية عن اسمها فقالت له اسمى ياسمين فقال له ابوه يا ولدى ان كانت اعجبتك
زدنى ثمنها فقال يا دلال كم معك من الثمن قال الف دينار قال على بالف دينار ودينار فجاء علاء الدين
فعملها بالفين فصار كلما يزيد الولد ابن الوالى دينارا فى الثمن يزيد علاء الدين الف دينار فاغتاظ ابن الوالى
وقال يا دلال من يزيد على فى ثمن الجارية فقال له الدلال ان الوزير جعفر يريد ان يشتريها العلاء الدين ابى
الشامات فعملها علاء الدين بعشرة الاف دينار فسمع له سيده وقبض ثمنها واخذها علاء الدين وقال لها
اعتقتك لوجه الله تعالى ثم انه كتب كتابه عليها وتوجه بها الى البيت ورجع الدلال ومعه دلالته فناداه
ابن الوالى وقال له اين الجارية فقال له اشتراها علاء الدين بعشرة الاف دينار واعتقها وكتب كتابه
عليها فانكمد الولد وزادت به الحسرات ورجع ضعيفا الى البيت من محبته لها وارتمى فى الفرش
وقطع الزاد وزاد به العشق والغرام فلما رأته امه ضعيفا قالت له سلامتك يا ولدى ما سبب ضعفك فقال لها
اشترى لى ياسمين يا امى فقالت له امه لما يفوت صاحب الرياحين اشترى لك جنية ياسمين فقال لها ليس هو
الياسمين الذى يشم وانما هى جارية اسمها ياسمين لم يشترها الى ابى فقالت لزوجها لاى شئ ما اشتريت له هذه
الجارية فقال لها الذى يصلح للمولى لا يصلح للخدام وليس لى قدرة على اخذها فانه ما اشتراها الا علاء
الدين رئيس الستين فزاد الضعف بالولد حتى جفا الرقاد وقطع الزاد وتعصبت امه بعصائب الحزن فبينما
هى جالسة فى بيتها حزينة على ولدها واذا بعجوز دخلت عليها اسمها ام احدقاقم السراق وكان
هذا السراق يثقب وسطانيا ويقف فوقانيا ويسرق الكحل من العين وكان بهذه الصفات
القبيحة فى اول امره ثم عملوه مقدم الدرك فسرق عملة فوقع بها وهجم عليه الوالى فاخذه وعرضه على
الخليفة فامر بقتله فى بقعة الدم فاستجار بالوزير وكان للوزير عند الخليفة شفاعة لا ترد فشفع فيه فقال له
الخليفة كيف تشفع فى آفة تضر الناس فقال له يا امير المؤمنين احبسه فان الذى يدخل السجن كان حكيما
لان السجن قبر الاحياء وشماتة الاعداء فامر الخليفة بوضعه فى قيد وكتب على قيده مخلد الى الممات
لا يفك الا على دكة المغسل فوضعوه مقيدا فى السجن وكانت امه تتردد على بيت الامير خالد الوالى وتدخل
لابنها فى السجن وتقول له اما قلت لك تب عن الحرام فيقول لها قدر الله على ذلك ولكن يا امى اذا دخلت
على زوجة الوالى تخليها تشفع لى عنده فلما دخلت العجوز على زوجة الوالى وجدتها معصبة بعصائب
الحزن فقالت لها ما لك حزينة فقالت على فقد ولدى حبظلم بظاظه فقالت لها سلامة ولدك ما الذى
اصابه فحكت لها الحكاية فقالت العجوز ما تقولين فيمن يلعب منصفا يكون فيه سلامة ولدك
فقالت لها وما الذى تفعلينه فقالت انا لى ولد يسمى احدقاقم السراق وهو مقيد فى السجن ومكتوب
على قيده مخلد الى الممات فانت تقومين وتلبسين الخرما عندك وتتزينين باحسن الزينة وتقابلين زوجك
بشر وبشاشه فاذا طلب منك ما يطلبه الرجال من النساء فامتنعى منه ولا تمكنيه وقولى له يا الله العجب
اذا كان للرجل حاجة عند زوجته يلح عليها حتى يقضيها منها واذا كان للزوجة عند زوجها حاجة فانه
لا يقضيها لها فيقول لك وما حاجتك فقولى له حتى تحلف لى فاذا حلف لك بحياة رأسه او بالله فقولى له
احلف لى بالطلاق منى ولا تمكنيه الا ان حلف لك بالطلاق فاذا حلف لك بالطلاق فقولى له عندك
فى السجن واحد مقدم اسمه احدقاقم وله ام مسكينة وقد وقعت على وساقتنى عليك وقالت لى خليه
يشفع له عند الخليفة لاجل ان يتوب ويحصل له الثواب فقالت لها سمعا وطاعة فلما دخل الوالى على

زوجته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوالي لما دخل على زوجته قالت له ذلك الكلام وحلف لها بالطلاق فمكثته وبات عندها ولما اصبح الصباح اغتسل وصلى الصبح وجاء الى السجن وقال يا احمد قاقم يا سراق هل تتوب عما انت فيه فقال انى تبت الى الله ورجعت واقول بالقلب واللسان استغفر الله فاطلقه الوالي من السجن واخذه معه الى الديوان وهو في القيد ثم تقدم الى الخليفة وقبل الارض بين يديه فقال له يا امير خالد اى شئ تطلب فقدم احمد قاقم يخطر في القيد قدام الخليفة فقال له يا قاقم هل انت حي الى الان فقال له يا امير المؤمنين ان عمر الشقي يطى فقال الخليفة يا امير خالد اى شئ جئت به هنا فقال له ان له اما مسكينة منقطعة وليس لها احد غيره وقد وقعت على عبدك ان يتشفع عندك يا امير المؤمنين في انك تفكه من القيد وهو يتوب عما كان فيه وتجعله مقدم الدرك كما كان اولا فقال الخليفة لاحمد قاقم هل تبت عما كنت فيه فقال له تبت الى الله يا امير المؤمنين فامر باحضار الحداد وفك قيده على دكة المغتسل وجعله مقدم الدرك واوصاه بالمشي الطيب والاستقامة فقبل يدى الخليفة ونزل بخلعة الدرك وناد وا له بالتقديم فمكث مدة من الزمان في منصبه ثم دخلت امه على زوجة الوالي فقالت لها الحمد لله الذي خلص ابنك من السجن وهو على قيد الصحة والسلامة فلاى شئ لم تقولي له ان يدبر امرا في مجيئه بالجارية ياسمين الى ولدى حبظلم بفاظه فقالت اقول له ثم قامت من عندها ودخلت على ولدها فوجدته سكران فقالت له يا ولدى ما سبب خلاصك من السجن الا زوجة الوالي وتريد منك ان تدبر لها امرا في قتل علاء الدين ابي الشامات وتجيء بالجارية ياسمين الى ولدها حبظلم بفاظه فقال لها هذا اسهل ما يكون لابد ان ادبر امرا في هذه الليلة وكانت تلك الليلة اول ليلة في الشهر الجديد وعادة امير المؤمنين ان يبيت فيها عند السيدة زبيدة لعتق جارية او مملوك او نحو ذلك وكان من عادة الخليفة انه يقلع بدلة الملك ويترك السبحة والغمشة وخاتم الملك ويضع الجميع فوق الكرسي في قاعة الجلوس وكان عند الخليفة مصباح من ذهب وفيه ثلاث جواهر منظومة في سلك من ذهب وكان ذلك المصباح عزيزا عند الخليفة ثم ان الخليفة وكل الطواشية بالبدلة والمصباح وباقي الامتعة ودخل مقصورة السيدة زبيدة فصبر احمد قاقم السراق لما انتصف الليل واضاء سهيل ونامت الخلائق وتجلى عليهم بالستر الخالق ثم سحب سيفه في يمينه واخذ ملقفه في يساره واقبل على قاعة الجلوس التي للخليفة ونصب سلم التسليك ورمى ملقفه على قاعة الجلوس فتعلق بها وطلع على السلم الى السطوح ورفع طابق القاعة ونزل فيها فوجد الطواشية نائمين فنبههم واخذ بدلة الخليفة والسبحة والغمشة والمنديل والخاتم والمصباح الذي بالجواهر ثم نزل من الموضع الذي طلع منه وسار الى بيت علاء الدين ابي الشامات وكان علاء الدين في هذه الليلة مشغولا بفرح الجارية ودخل عليها واراحت منه حاملا فنزل احمد قاقم السراق على قاعة علاء الدين وقلع لوحا خاما من درقاعة القاعة وحفر تحته ووضع بعض المصالح وابقى بعضها معه ثم جبس اللوح الرخام كما كان ونزل من الموضع الذي طلع منه وقال في نفسه انا قعد اسكر واحط المصباح قدامي واشرب الكاس على نوره ثم سار الى بيته فلما اصبح الصباح ذهب الخليفة الى القاعة فوجد الطواشية ميتين فايقظهم وحط يده فلم يجد البدلة ولا الخاتم ولا السبحة ولا الغمشة ولا المنديل ولا المصباح فاغتاظ لذلك غيظا شديدا واليس بدلة الغضب وهي بدلة

حمراء وجلس فى الديوان فتقدم الوزير وقبل الارض بين يديه وقال يكفى الله شر امير المؤمنين فقال له
يا وزير ان الشر فائض فقال له الوزير اى شئ حصل فحكى له جميع ما وقع واذا بالوالى طالع وفى ركابه احد
قماقم السراق فوجد الخليفة فى غيظ عظيم فلما نظر الخليفة الى الوالى قال له يا امير خالد كيف حال بغداد
فقال له سالمة امينة فقال له تكذب فقال له لاى شئ يا امير المؤمنين فقص عليه القصة وقال له الزمتك
ان تجيء لى بذلك كله فقال له يا امير المؤمنين دود الخل منه فيه ولا يقدر غريب ان يصل الى هذا المحل ابدا
فقال ان لم تجيء لى بهذه الامور قتلتك فقال له قبل ان تقتلنى اقتل احد قماقم السراق فانه لا يعرف الحرامى
والخائن الا مقدم الدرك فقام احد قماقم وقال للخليفة شفعنى فى الوالى وانا اضمن لك عهدة الذى سرق
واقص الاثر وراءه حتى اعرفه ولكن اعطنى اثنين من طرف القاضى واثنين من طرف الوالى فان الذى
فعل هذا الفعل لا يخشاك ولا يخشى من الوالى ولا من غيره فقال الخليفة لك ما طلبت ولكن اول التفتيش
يكون فى سرايتى وبعدها فى سراية الوزير وفى سراية رئيس الستين فقال احد قماقم صدقت يا امير المؤمنين
ربما يكون الذى عمل هذه العملة واحد قد نربى فى سراية امير المؤمنين او فى سراية احد من خواصه
فقال الخليفة وحياة رأسى كل من ظهرت عليه هذه العملة لابد من قتله ولو كان ولدى
ثم ان احد قماقم اخذ ما اراده واخذ فرمانا بالهجوم على البيوت وتفتيشها وادرك شهرزاد الصباح فكتت
عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان احد قماقم اخذ ما اراده واخذ فرمانا بالهجوم على البيوت وتفتيشها
ونزل وبيده قضيب ثلثه من الشوم وثلثه من النحاس وثلثه من الحديد وثلثه من الفولاذ وفتش سراية
الخليفة وسراية الوزير جعفر ودار على بيوت الحجاب والنواب الى ان مر على بيت علاء الدين ابى الشامات
فلما سمع الضجة علاء الدين قدام بيته قام من عند ياسمين زوجته ونزل وفتح الباب فوجد الوالى فى كركبة
فقال له ما الخبر يا امير خالد فحكى له جميع القضية فقال علاء الدين ادخلوا بيتى وفتشوه فقال الوالى
العفو يا سيدى انت امين وحاشا ان يكون الامين خائنا فقال له لابد من تفتيش بيتى فدخل الوالى والقضاة
والشهود وتقدم احد قماقم الى درقاعة القاعة وجاء الى الرخامة التى دفن تحتها الامتعة وارخى القضيب
على اللوح الرخام بعزمه فانكسرت الرخامة واذا بشئ ينور تحتها فقال المقدم بسم الله ماشاء الله على بركة
قد ومنا انفتح لنا كنز لما انزل الى هذا المطلب وانظر ما فيه فنظر القاضى والشهود الى ذلك المحل فوجدوا
الامتعة بتمامها فكتبوا ورقة مضمونها انهم وجدوا الامتعة فى بيت علاء الدين ثم وضعوا فى تلك الورقة
ختومهم وامروا بالقبض على علاء الدين واخذوا عمامته من فوق رأسه وضبطوا جميع ماله ورزقه فى قائمة
وقبض احد قماقم السراق على الجارية ياسمين وكانت حاملا من علاء الدين واعطاها لامه وقال لها سلميها
لخاتون امرأة الوالى فاخذت ياسمين ودخلت بها على زوجة الوالى فلما رأتها حبظلم بنظاظه جاءت له
العافية وقام من وقته وساعته وفرح فرحا شديدا وتقرب اليها فصبت خنجرا من حياصتها وقالت له
ابعد عنى والا اقتلك واقتل نفسى فقالت لها امه خاتون يا عاهرة خلى ولدى يبلغ منك مراده فقالت لها
يا كلبة فى اى مذهب يجوز للمرأة ان تتزوج باثنين واى شئ اوصل الكلاب ان تدخل فى موطن السباع
فزاد بالولد الغرام واضعفه الوجد والهيام وقطع الزاد ولزم الوسادة فقالت لها امرأة الوالى

يا عاهرة كيف تجسر بنى على ولدى لابد من تعذيبك واما علاء الدين فانه لابد من شنقه فقالت لها انا اموت على محبته فقامت زوجة الوالى ونزعت عنها ما كان عليها من الصيغة وثياب الحرير والبستها لباسا من الخيش وقميصا من الشعر وانزلتها فى المطبخ وعملتها من جوارى الخدمة وقالت لها جزاك الله تكسرين الحطب وتقشرين البصل وتحطين النار تحت الحلل فقالت لها ارضى بكل عذاب وخدمة ولا ارضى برؤية ولدك لعن الله عليها قلوب الجوارى وصرن يتعاطين الخدمة عنها فى المطبخ هذا ما كان من امر ياسمين واما ما كان من امر علاء الدين ابى الشامات فانهم اخذوه هو وامتعة الخليفة وساروا به الى ان وصلوا الى الديوان فبينما الخليفة جالس على الكرسى واذا بهم طالعون بعلاء الدين ومعه الامتعة فقال الخليفة اين وجدتموها فقالوا له فى وسط بيت علاء الدين ابى الشامات فامتزج الخليفة بالغضب واخذ الامتعة فلم يجد فيها المصباح فقال يا علاء الدين اين المصباح فقال انا لا سرقت ولا علمت ولا رأيت ولا معى خبر فقال له يا خائن كيف اقربك الى وتبعد فى عنك واستامنك وتخونى ثم امر بشنقه فنزل به الوالى والمنادى ينادى عليه هذا جزاء واقل من جزاء من يخون الخلفاء الراشدين فاجتمع الخلائق عند المشنقة هذا ما كان من امر علاء الدين واما ما كان من امر احمد الدنف كبير علاء الدين فانه كان قاعدا هو واتباعه فى بستان فبينما هم جالسون فى حظ وسرور واذا برجل سقاء من السقايين الذين فى الديوان دخل عليهم وقبل يد احمد الدنف وقال يا مقدم احمد يا دنف انت قاعد فى صفاء والماء تحت رجليك وما عندك علم بما حصل فقال له احمد الدنف ما الخبر فقال السقاء ان ولدك فى عهد الله علاء الدين نزلوا به الى المشنقة فقال احمد الدنف ما عندك من الحيلة يا حسن يا شومان فقال له ان علاء الدين برىء من هذا الامر وهذا لعوب عليه من واحد عدو فقال له ما الرأى عندك فقال له خلاصه علينا ان شاء المولى ثم ان حسنا شومان ذهب الى السجن وقال للسجان اعطنا واحدا يكون مستوجبا للقتل فاعطاه واحدا كان اشبه البرايا بعلاء الدين ابى الشامات فغطى رأسه واخذه احمد الدنف بينه وبين على الزيبق المصرى وكانوا قدموا علاء الدين الى الشنق فتقدم احمد الدنف وحط رجله على رجل المشاعلى فقال له المشاعلى اعطنى الوسع حتى اعمل صنعتى فقال له بالعين خذ هذا الرجل واشنقه موضع علاء الدين ابى الشامات فانه مظلوم وتفدى اسماعيل بالكبش فاخذ المشاعلى ذلك الرجل وشنقه عوضا عن علاء الدين ثم ان احمد الدنف وعليا الزيبق المصرى اخذا علاء الدين وساروا به الى قاعة احمد الدنف فلما دخلوا عليه قال له علاء الدين جزاك الله خيرا يا كبيرى فقال له يا علاء الدين ما هذا الفعل الذى فعلته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والستون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان احمد الدنف قال لعلاء الدين ما هذا الفعل الذى فعلته ورحم الله من قال من ائتمنك لا تخنه ولو كنت خائنا والخليفة مكنك عنده وعمالك بالثقة الامين كيف تفعل معه هكذا وتأخذ امتعته فقال له علاء الدين والاسم الاعظم يا كبيرى ما هى عملتى ولا لى فيها ذنب ولا اعرف من عملها فقال احمد الدنف ان هذه العملة ما عملها الا عدو مبين ومن فعل شيأ يجازى به ولكن يا علاء الدين انت ما بقى لك اقامة فى بغداد فان الملول لا تعادى يا ولدى ومن كانت الملولة فى طلبه يا طول تعبه فقال علاء الدين اين اروح يا كبيرى فقال لها انا اوصلك الى الاسكندرية فانها مباركة وعتبتها

خضراء وعيشتها هنية فقال سمعا وطاعة يا كبيرى فقال احمد الدنف لحسن شومان خل بالك واذا سأل عنى الخليفة فقل له انه راح يطوف على البلاد ثم اخذه وخرج من بغداد ولم يزلا سائرين حتى وصلا الى الكروم والبساتين فوجدا يهوديين من عمال الخليفة راكبين على بغلتين فقال احمد الدنف لليهود هاتوا الغفر فقال اليهود نعطيك الغفر على اى شئ فقال لهم انا اغفر هذا الوادى فاعطاه كل واحد منهما مائة دينار وبعد ذلك قتلهما احمد الدنف واخذ البغلتين فركب بغلة وركب علاء الدين بغلة وسارا الى مدينة اياس فادخلا البغلتين فى خان وباتا فيه ولما اصبح الصباح باع علاء الدين بغلته واوصى البواب على بغلة احمد الدنف ونزلوا فى مركب من مدينة اياس حتى وصلوا الى الاسكندرية فطلع احمد الدنف ومعه علاء الدين ومشيا فى السوق واذا بدلال يدال على دكان ومن داخل الدكان طبقة على تسعمائة وخمسين فقال علاء الدين على بالف فسمع له البائع وكانت لبيت المال فتسلم علاء الدين المفاتيح وفتح الدكان وفتح الطبقة فوجدها مفروشة بالفرش والمساند ورأى فيها حاصلا فيه قلاع وصوار وحبال وصناديق واجربة مملأنة خرزا وودعا وركابات واطبارا ودبابيس وسكاكين ومقصات وغير ذلك لان صاحبه كان سقطيا فقعد علاء الدين ابو الشامات فى الدكان وقال له احمد الدنف يا ولدى الدكان والطبقة وما فيهما صارت ملكك فاقعد فيها وبع واشتر ولا تنكر فان الله تعالى بارك فى التجارة واقام عنده ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع اخذ خاطره وقال له استقر فى هذا المكان حتى اروح واعود اليك بخبر من الخليفة بالامان عليك وانظر الذى عمل معك هذا الملعوب ثم توجه مسافرا حتى وصل الى اياس فاخذ البغلة من الخان وسار الى بغداد فاجتمع بحسن شومان واتباعه وقال له يا حسن هل الخليفة سأل عنى فقال لا ولا خطرت على باله فاقام فى خدمة الخليفة وصار يستنشق الاخبار فرأى الخليفة التفت الى الوزير جعفر يوما من الايام وقال له انظر يا وزير هذه العملة الذى فعلها معى علاء الدين فقال له يا امير المؤمنين انت جازيته بالمشنوق وجزاؤه ما حل به فقال له يا وزير مرادى ان انزل وانظره وهو مشنوق فقال الوزير افعل ما شئت يا امير المؤمنين فنزل الخليفة ومعه الوزير جعفر الى جهة المشنقة ثم رفع طرفه فرأى المشنوق غير علاء الدين ابى الشامات الثقة الامين فقال يا وزير هذا ما هو علاء الدين فقال له كيف عرفت انه غيره فقال ان علاء الدين كان قصيرا وهذا طويل فقال له الوزير ان المشنوق يطول فقال له ان علاء الدين كان ابيض وهذا وجهه اسود فقال له اما انه لم يا امير المؤمنين ان الموت له غيرات فامر بتنزيله من فوق المشنقة فلما انزلوه وجد مكتوبا على كعبيه الاثنين اسمى الشيخين فقال له يا وزير ان علاء الدين كان سنيا وهذا رافضى فقال له سبحان الله علام الغيوب ونحن لا نعلم هل هذا علاء الدين او غيره فامر الخليفة بدفنه فدفنوه وصار علاء الدين نسيا منسيا هذا ما كان من امره واما ما كان من امر حبظلم بظاظه ابن الوالى فانه قد طال به العشق والغرام حتى مات وواروه فى التراب واما ما كان من امر الجارية ياسمين فانها اوقت حملها ولحقها الطلق فوضعت ولدا ذكرا كانه القمر فقال لها الجوارى ما تسميه فقالت لو كان ابوه طيبا كان سماه ولكن انا اسميه اصلان ثم انها ارضعته الين عامين متتابعين وفطمته وحبى وهى فاتفق ان امه اشتغلت بخدمة لمطبخ يوما من الايام فمشى الغلام ورأى سلم المقعد فطلع عليه وكان الامير خالد الوالى جالسا فاخذه واقعده فى حجره وسبح مولاه فيما خلق وصور وتأمل وجهه فرأه اشبه البرايا بعلاء الدين ابى الشامات ثم ان امه ياسمين فتشت عليه فلم تجده فطلعت المقعد فرأت الامير خالد اجالسا والولد فى حجره يلعب وقد القى الله محبة الولد فى قلب الامير خالد فالتفت الولد فرأى امه فرمى نفسه عليها فزنقه الامير خالد

فى حضنه وقال لها تعالى يا جارية فلما جاءت قال لها هذا الولد ابن من فقالت له هذا ولدى وثمرة فؤادى فقال لها ومن ابوه فقالت ابوه علاء الدين ابو الشامات والان صار ولدك فقال لها ان علاء الدين كان خائنا فقالت سلامته من الخيانة حاشى وكلا ان يكون الامين خائنا فقال لها اذا كبر هذا الولد وانتشأ وقال لك من ابى فقولى له انت ابن الامير خالد الوالى صاحب الشرطة فقالت له سمعا وطاعة ثم ان الامير خالد الوالى طاهر الولد ورباه واحسن تربيته وجاء له بفقيه خطاط فعلمه الخط والقراءة فقرأ وعاد وختم وطلع يقول للامير خالد يا والدى وصار الوالى يعمل الميدان ويجمع الخيل وينزل يعلم الولد ابواب الحرب ومقام الطعن والضرب الى ان انتهى فى الفروسية وتعلم الشجاعة وبلغ من العمر اربع عشرة سنة ووصل الى درجة الامارة فاتفق ان اصلان اجتمع مع احد قاقم السراق يوما من الايام وسارا اصحابا فتبعه الى الحمارة واذا باحد قاقم السراق اطلع المصباح الجوهر الذى اخذه من امتعة الخليفة وحطه قدامه وتناول الكأس على نوره وسكر فقال له اصلان يا مقدم اعطنى هذا المصباح فقال له ما اقدر ان اعطيك اياه فقال له لاى شئ فقال له لانه راحت على شأنه الارواح فقال له اى روح راحت على شأنه فقال له كان واحد جانا هنا وعمل رئيس الستين يسمى علاء الدين ابى الشامات ومات بسبب ذلك فقال له وما حكايته وما سبب موته فقال له كان للخ يسمى حبظلم بظاظه وبلغ من العمر ستة عشر عاما حتى استحق الزواج وطلب ابوه ان يشترى له جارية واخبره بالقصة من اولها الى آخرها واعلمه بضعف حبظلم بظاظه وما وقع لعلاء الدين ظلما فقال اصلان فى نفسه لعل هذه الجارية ياسمين امى وما ابى الاعلاء الدين ابو الشامات فطلع الولد اصلان من عنده حزينا فقابل المقدم احمد الدنف فلما رأه احمد الدنف قال سبحان من لا شبيه له فقال له حسن شومان يا كبيرى من اى شئ تتعجب فقال له من خلقة هذا الولد اصلان فانه اشبه البرايا بعلاء الدين ابى الشامات فنادى احمد الدنف وقال يا اصلان فرد عليه فقال له ما اسم امك فقال له تسمى الجارية ياسمين فقال له يا اصلان طب نفسا وقر عينا فانه ما ابوك الاعلاء الدين ابو الشامات ولكن يا ولدى ادخل على امك واسألها عن ابيك فقال سمعا وطاعة ثم دخل على امه وسألها فقالت له ابوك الامير خالد فقال لها ما ابى الاعلاء الدين ابو الشامات فبكت امه وقالت له من اخبرك بهذا يا ولدى فقال المقدم احمد الدنف اخبرنى بذلك فحكت له جميع ما جرى وقالت له يا ولدى قد ظهر الحق واختفى الباطل واعلم ان ابالك علاء الدين ابو الشامات الا انه مات بالك الا الامير خالد وجعلك ولده فيا ولدى ان اجتمعت بالمقدم احمد الدنف قل له يا كبيرى سألتك بالله ان تأخذ لى ثارى من قاتل ابى علاء الدين ابى الشامات فطلع من عندها وسار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والستون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان اصلان طلع من عند امه وسار الى ان دخل على المقدم احمد الدنف وقبل يده فقال له ما لك يا اصلان فقال له انى قد عرفت وتحققت ان ابى علاء الدين ابو الشامات ومرادى انك تأخذ لى ثارى من قاتله فقال له من الذى قتل ابالك فقال له احمد قاقم السراق فقال له ومن اعلمك بهذا الخبر فقال رأيت معه المصباح الجوهر الذى ضاع من جملة امتعة الخليفة وقلت له اعطنى هذا المصباح فارضى وقال لى هذا راحت على شأنه الارواح وحكى لى انه هو الذى نزل وسرق العملة

ووضعهما فى دار ابى فقال له احمد الدنف اذا رأيت الامير خالد الوالى يلبس لباس الحرب فقل له البسنى مثلك فاذا طلعت معه واظهرت بابا من ابواب الشجاعة قدام امير المؤمنين فان الخليفة يقول لك تمن على يا اصلان فقل له اتمنى عليك ان تأخذ لى ثار ابى من قاتله فيقول لك ان اباك حى وهو الامير خالد الوالى فقل له ان ابى علاء الدين ابو الشامات وخالد الوالى له على حق التربية فقط واخبره بجميع ما وقع بينك وبين احمد قماقم السراق وقل له يا امير المؤمنين امر بتفتيشه وانا اخرجه من جيبه فقال له سمعا وطاعة ثم طلع اصلان فوجد الامير خالدا يتجهز الى طلوعه ديوان الخليفة فقال له مرادى ان تلبسنى لباس الحرب مثلك وتأخذنى معك الى ديوان الخليفة فالبسه واخذه معه الى الديوان ونزل الخليفة بالعسكر خارج البلد ونصبوا الصواوين والخيام واصطفت الصفوف وطلعوا بالاكرة والصولجان فصار الفارس منهم يضرب الاكرة بالصولجان فيردها عليه الفارس الثانى وكان بين العسكر واحد جاسوس مغرى على قتل الخليفة فاخذ الاكرة وضربها بالصولجان وحررها على وجه الخليفة واذا باصلان استلقاها عن الخليفة وضرب بها راسها فوقعت بين اكتافه فوقع على الارض فقال الخليفة بارك الله فيك يا اصلان ثم نزلوا من على ظهور الخيل وقعدوا على الكراسى وامر الخليفة باحضار الذى ضرب الاكرة فلما حضر بين يديه قال له من اغراك على هذا الامر وهل انت عدو او حبيب فقال له انا عدو وكنت مضمرا على قتلك فقال له ما سبب ذلك اما انت مسلم فقال لا وانما انا رافضى فامر الخليفة بقتله وقال لاصلان تمن على فقال له اتمنى عليك ان تأخذ لى ثار ابى من قاتله فقال له ان اباك حى وهو واقف على رجليه فقال له من هو ابى فقال له الامير خالد الوالى فقال له يا امير المومنين ما هو ابى الا فى التربية وما والدى الا علاء الدين ابو الشامات فقال له ان اباك كان خائنا فقال يا امير المؤمنين حاشى ان يكون الامين خائنا وما الذى خانك فيه فقال له سرق بدلتى ومامعها فقال يا امير المؤمنين حاشى ان يكون ابى خائنا ولكن ياسيدى لما عدمت بدلتك وعادت اليك هل رأيت المصباح رجع اليك ايضا فقال ما وجدناه فقال انا رأيته مع احمد قماقم وطلبته منه فلم يعطه لى وقال هذا راحت عليه الارواح وحكى لى عن ضعف حبظلم بفاظه ابن الامير خالد وعشقه للجارية ياسمين وخلاصه من القيد وانه هو الذى سرق البدلة والمصباح وانت يا امير المؤمنين تأخذ لى بثار والدى من قاتله فقال الخليفة اقبضوا على احمد قماقم فقبضوا عليه وقال اين المقدم احمد الدنف فحضر بين يديه فقال له الخليفة فتش قماقم فخط يديه فى جيبه فاطلع منه المصباح الجوهر فقال الخليفة تعال يا خائن من اين لك هذا المصباح قال له اشتريته يا امير المؤمنين فقال له الخليفة من اين اشتريته ومن يقدر على مثله حتى يبيعه لك وضربوه فاقر انه هو الذى سرق البدلة والمصباح فقال له الخليفة لاى شئ تفعل هذه الفعال يا خائن حتى ضيعت علاء الدين ابا الشامات وهو الثقة الامين ثم امر الخليفة باقبض عليه وعلى الوالى فقال الوالى يا امير المؤمنين انا مظلوم وانت امرتنى بشنقه ولم يكن عندى خبر هذا الملعوب فان التدبير كان بين العجوز واحد قماقم وزوجتى وليس عندى خبر وانا فى جيرتك يا اصلان فشفع فيه اصلان عند الخليفة ثم قال امير المؤمنين ما فعل الله بام هذا الولد فقال له عندى فقال امرتك ان تأمر زوجتك ان تلبسها بدلتها وصيغتها وترد ها الى سيادتها وان تفك الختم الذى على بيت علاء الدين وتعطى ابنه رزقه وماله فقال سمعا وطاعة ثم نزل الوالى وامر امرأته فالبستها بدلتها وفك الختم عن بيت علاء الدين واعطى اصلان المفاتيح ثم قال الخليفة تمن على يا اصلان فقال له تمنيت عليك ان تجمع شملى بابى فبكى الخليفة وقال الغائب ان اباك هو الذى شنق ومات ولكن وحياة جدودى كل من

بشرني بانه على قيد الحياة اعطيته جميع ما يطلبه فتقدم احمد الدنف وقبل الارض بين يديه وقال له اعطني الامان يا امير المؤمنين فقال له عليك الامان فقال ابشر لك ان علاء الدين ابا الشامات الثقة الامين طيب على قيد الحياة فقال له ما الذي تقول فقال له وحياة رأسك ان كلامي حق وفديته بغيره ممن يستحق القتل واوصلته الى الاسكندرية وفتحت له دكان سقطي فقال الخليفة الزمتك ان تجيء به وادر لك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة قال لاحمد الدنف الزمتك ان تجيء به فقال له سمعا وطاعة فامر له الخليفة بعشرة الاف دينار وسار متوجها الى الاسكندرية هذا ما كان من امر اصلان واما ما كان من امر والده علاء الدين ابي الشامات فانه باع ما كان عنده في الدكان جميعها ولم يبق في الدكان الا القليل وجراب فنفض الجراب فنزلت منه خرزة مثل الكف في سلسلة من الذهب ولها خمسة وجوه وعليها اسماء وطلاسم كدبيب النمل فدعك الخمسة وجوه فلم يجابوه احد فقال في نفسه لعلها خرزة من جزع ثم علقها في الدكان واذا بقنصل فاتت في الطريق فرفع بصره فرأى الخرزة معلقة فقعد على دكان علاء الدين وقال له ياسيدي هل هذه الخرزة للبيع فقال له جميع ما عندي للبيع فقال له ابيع لي اياها بثمانين الف دينار فقال له علاء الدين يفتح الله فقال له ابيعها بمائة الف دينار فقال بعتها لك بمائة الف دينار فاقعد في الدكانير فقال له القنصل ما اقدر ان احمل ثمنها معي والاسكندرية فيها حرامية وشرطية فانت تروح معي الى مركبي واعطي لك الثمن ورزمة صوف انجوري ورزمة اطلس ورزمة قطيفة ورزمة جوخ فقام علاء الدين وقفل الدكان بعد ان اعطى له الخرزة واعطى المفاتيح لجاره وقال له خذ هذه المفاتيح عندك امانة حتى اروح الى المركب مع هذا القنصل واجيء بثمن خرزتي فان عوقت عنك وورد عليك المقدم احمد الدنف الذي كان وطنني في هذا المكان فاعطه المفاتيح واخبره بذلك ثم توجه مع القنصل الى المركب فلما نزل به المركب نصب له كرسيا واجلسه عليه وقال هاتوا المال فدفع له الثمن والخمس رزم التي وعده بها وقال له ياسيدي اذا حد جبرى بلقمة او شربة ماء فقال ان كان عندك ماء فاسقني فامر بالشربات فاذا فيها بنج فلما شرب انقلب على ظهره فرفعوا الكراسي وحطوا المداري وحلوا الفلوع واسعفتهم الرياح حتى وصلوا الى وسط البحر فامر القبطان بطلوع علاء الدين من العنبر فطلعوه وشموه ضد البنج ففتح عينيه وقال انا اين فقال له انت معي مربوط وديعة ولو كنت تقول يفتح الله لكنت ازيدك فقال له علاء الدين ما صناعتك فقال له انا قبطان ومرادي ان اخذك الى حبيبة قلبي فبينما هما في الكلام واذا بمركب فيها اربعون من تجار المسلمين فطلع القبطان بمركبه عليهم ووضع الكلاليب في مركبهم ونزل هو ورجاله فنهبوها واخذوها وساروا بها الى مدينة جنوة فاقبل القبطان الذي معه علاء الدين الى باب قيطون قصر واذا بصبية نازلة وهي ضاربة لثاما فقالت له هل جئت بالخرزة وصاحبها فقال لها جئت بهما فقالت له هات الخرزة فاعطاها لها وتوجه الى المدينة ورمى مدافع السلامة فعلم ملك المدينة بوصول ذلك القبطان فخرج الى مقابلته وقال له كيف كانت سفرتك فقال له كانت طيبة جدا وقد كسبت فيها مركبا فيها واحد واربعون من تجار المسلمين فقال له اخرجهم الى المدينة فاخرجهم في الحديد ومن جملتهم علاء الدين وركب الملك هو والقبطان ومشوهم قدامهم الى ان وصلوا الى الديوان فجلسوا وقدموا اول واحد فقال له الملك

من اين

من اين يامسلم فقال من الاسكندرية فقال ياسياف اقتله فضربه السياف بالسيف فرمى رقبته والثانى والثالث هكذا الى تمام الاربعين وكان علاء الدين فى آخرهم فشرب حسرتهم وقال لنفسه رحمة الله عليك ياعلاء الدين فرغ عمرك فقال له الملك وانت من اى البلاد فقال من الاسكندرية فقال ياسياف ارم عنقه فرفع السياف يده بالسيف واراد ان يرمى رقبة علاء الدين واذا بعجوز ذات هيبة تقدمت بين ايادى الملك فقام اليها تعظيما لها فقالت يامالك اما قلت لك لما يجىء القبطان بالاسارى تذكر الدير باسير او باسيرين يخدمان فى الكنيسة فقال لها يا امى ليتك سبقت بساعة ولكن خذى هذا الاسير الذى فضل فالتفتت الى علاء الدين وقالت له هل انت تخدم فى الكنيسة او اخلى الملك يقتلك فقال لها انا اخدم فى الكنيسة فاخذته وطلعت به من الديوان وتوجهت الى الكنيسة فقال لها علاء الدين ما اعمل من الخدمة فقالت له تقوم فى الصبح وتأخذ خمسة بغال وتسيرها الى الغابة وتقطع ناشف الحطب وتكسره وتجىء به الى مطبخ الدير وبعد ذلك تلم البسط وتكنس وتمسح البلاط والرخام وترد الفرش مثل ما كان وتأخذ نصف اردب قمح وتغربله وتطحنه وتجنه وتعمله منينات للدير وتأخذ وبة عدس تغربلها وتدشها وتطبخها ثم تملأ الاربع فساقى ماء وتحول بالبرميل وتملأ ثلاثمائة وستة وستين قصعة وتفت فيها المنينات وتسقيها من العدس وتدخل لكل راهب او ترك قصعته فقال لها علاء الدين ردينى الى الملك وخليه يقتلنى اسهل لى من هذه الخدمة فقالت له ان خدمت ووفيت الخدمة التى عليك خلصت من القتل وان ما وفيت خليت الملك يقتلك فقعد علاء الدين حامل الهم وكان فى الكنيسة عشرة عميان مكسحين فقال له واحد منهم هات لى قصريه فاتى له بها فتغوط فيها وقال له ارم الغائط فرماه فقال له يبارك فيك المسيح باخدام الكنيسة واذا بالعجوز اقبلت وقالت له لاى شئ ما وفيت الخدمة فى الكنيسة فقال لها انا الى كم يد حتى اقدر على توفية هذه الخدمة فقالت له يامجنون انا ما جئت بك الا للخدمة ثم قالت له خذ يا ابنى هذا القضيب وكان من النحاس وفى رأسه صليب واخرج الى الشارع فاذا قابلك والى البلد فقل له انى ادعوك الى خدمة الكنيسة من اجل السيد المسيح فانه لا يخالفك فخليه يأخذ القمح ويغربله ويطحنه ويخله ويجنه ويخبزه منينات وكل من يخالفك اضربه ولا تخف من احد فقال سمعا وطاعة وعمل كما قالت ولم يزل يسخر الاكابر والاصاغر مدة سبعة عشر عاما فبينما هو قاعد فى الكنيسة واذا بالعجوز داخلة عليه فقالت له اطلع الى خارج الدير فقال لها اين اروح فقالت له بت هذه الليلة فى خمارة او عند واحد من اصحابك فقال لها لاى شئ تطردينى من الكنيسة فقالت له ان حسن مريم بنت الملك يوحنى ملك هذه المدينة مرادها ان تدخل الكنيسة للزيارة ولا ينبغى ان يقعد احد فى طريقها فامتثل كلامها وقام واراها انه رايح الى خارج الكنيسة وقال فى نفسه ياهل ترى بنت الملك مثل نسوانا او احسن منهن فانا لا اروح حتى اتفرج عليها فاستخفى فى مخدع له طاقة تطل على الكنيسة فبينما هو ينظر فى الكنيسة واذا بنت الملك مقبلة فنظر اليها نظرة اعقبته الف حسرة لانه وجدها كانها البدر اذا برغ من تحت الغمام وصحبتها صبية وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان علاء الدين لما نظر الى بنت الملك رأى صحبتها صبية وهى تقول لتلك

الصبية آنست بازبيدة فامعن علاء الدين النظر فى تلك الصبية فرأها زوجته زبيدة العودية التى كانت
ماتت ثم ان بنت الملك قالت لزبيدة قومى اعملى لنا نوبة على العود فقالت لها انا لا اعمل لك نوبة حتى
تبلغينى مرادى وتفى لى بما وعدتنى به فقالت لها ما الذى وعدتك به قالت لها وعدتنى بجمع شملى
بزوجى علاء الدين ابى الشامات الثقة الامين فقالت لها يا زبيدة طيبى نفسا وقرى عينا واعملى لنا نوبة حلاوة
اجتماع شملنا بزوجك علاء الدين فقالت لها واين هو فقالت لها انه فى هذا المخدع يسمع كلامنا فعملت نوبة
على العود ترقص الحجر الجلمود فلما سمع ذلك علاء الدين هاجت بلابله وخرج من المخدع وهجم عليهما واخذ
زوجته زبيدة العودية بالحضن وعرفته فاعتنق الاثنان بعضهما ووقعا فى الارض مغشيا عليهما
فتقدمت الملكة حسن مريم ورشت عليهما ماء الورد وصحتهما وقالت جمع الله شملكما فقال لها
علاء الدين على محبتك يا سيدتى ثم التفت علاء الدين الى زوجته زبيدة العودية وقال لها انت قد مت
يا زبيدة ودفنا لك فى القبر فكيف حييت وجئت الى هذا المكان فقالت له يا سيدى انا مت وانما اختطفنى
عون من اعوان الجان وطار بى الى هذا المكان واما التى دفنتموها فانها جنية وتصورت فى صورتى
وعملت انها ميتة وبعد ما دفنتموها شقت القبر وخرجت منه وراحت الى خدمة سيدتها حسن مريم
بنت الملك واما انا فانى صرعت وفتحت عينى فرأيت نفسى عند حسن مريم بنت الملك وهى هذه فقلت
لها لاى شئ جئت بى الى هنا فقالت لى انا موعودة بزواجى بزوجك علاء الدين ابى الشامات فهل
تقبلينى يا زبيدة ان اكون ضرتك ويكون لى ليلة ولك ليلة فقلت لها سمعا وطاعة يا سيدتى ولكن
اين زوجى فقالت انه مكتوب على جبينه ما قدره الله عليه فحتى استوفى ما على جبينه لابد ان يجىء الى هذا
المكان ولكن تسلى على فراقه بالنغمات والضرب على الآلات حتى يجمعنا الله به فمكثت عندها هذه
المدة الى ان جمع الله شملى بك فى هذه الكنيسة ثم ان حسن مريم التفتت اليه وقالت له يا سيدى علاء الدين
هل تقبلنى ان اكون لك اهلا وتكون لى بعلا فقال لها يا سيدتى انا مسلم وانت نصرانية فكيف اتزوج بك
فقالت حاش لله ان اكون كافرة بل انا مسلمة ولى ثمانية عشر عاما وانا متمسكة بدين الاسلام وانى بريئة من
كل دين يخالف دين الاسلام فقال لها يا سيدتى مرادى ان اروح الى بلادى فقالت له اعلم انى رأيت
مكتوبا على جبينك امورا لابد ان تستوفيها وتبلغ غرضك وينبغى لك يا علاء الدين انه ظهر لك ولد اسمه
اصلان وهو الان جالس فى مرتبتك عند الخليفة وقد بلغ من العمر ثمانية عشر عاما واعلم انه ظهر الحق
واختفى الباطل وربنا كشف الستر عن الذى سرق امتعة الخليفة وهو احمد دناقم السراق الخائن
وهو الان فى السجن محبوس ومقيد واعلم انى انا التى ارسلت اليك الخرزة ووضعتها لك فى داخل الجراب
الذى فى الدكان وانا التى ارسلت القبطان وجاء بك وبالخرزة واعلم ان هذا القبطان متعلق بى ويطلب منى
الوصال فما رضيت ان امكنه من نفسى بل خلت له لا امكنك من نفسى الا اذا جئت لى بالخرزة وصاحبها
واعطيته مائة كيس وارسلته فى صفة تاجر وهو قبطان ولما قدموك الى القتل بعد قتل الاربعين
الاسارى الذين كنت معهم ارسلت اليك هذه العجوز فقال لها جزاك الله عنى كل خير ثم ان حسن
مريم جددت اسلامها على يديه ولما عرف صدق كلامها قال لها اخبرينى على فضيلة هذه الخرزة
ومن اين هى فقالت له هذه خرزة من كنز مرصود وفيها خمس فضائل تنفعنا عند الاحتياج اليها
وان جدتى ام ابى كانت ساحرة تحل الرموز وتختلس ما فى الكنوز فوقعت لها هذه الخرزة من كنز
فلما كبرت انا وبلغت من العمر اربعة عشر عاما قرأت الانجيل وغيره من الكتب فرأيت اسم محمد صلى

الله

الله عليه وسلم فى الاربعة كتب التوراة والانجيل والزبور والفرقان فامنت بمحمد واسلمت وتحققت بعقلى انه لا يعبد بحق الا الله تعالى وان رب الانام لا يرضى الا دين الاسلام وكانت جدتى حين ضعفت وهبت لى هذه الخرزة وعلمتنى بما فيها من الخمس فضائل وقبل ان تموت جدتى قال لها ابى اضربى لى تخت رمل وانظرى عاقبة امرى وما يحصل لى فقالت له ان البعيد يموت قتيلا من اسير يجيء من الاسكندرية خلف ابى انه يقتل كل اسير يجيء منها واخبر القبطان بذلك وقال له لا بد ان تجعم على مراكب المسلمين وكل من رأيته من الاسكندرية تقتله وتجيء به الى فامتثل امره حتى قتل عدد شعر رأسه ثم هلكت جدتى فطلعت انا وضربت لى تخت رمل واضمرت ما فى نفسى وقلت يا هل ترى من يتزوج بى فظهر لى انه ما يتزوج بى الا واحد يسمى علاء الدين ابا الشامات الثقة الامين فتعجبت من ذلك وصبرت الى ان آن الاوان واجتمعت بك ثم انه تزوج بها وقال لها انا مرادى ان اروح الى بلادى فقالت له اذا كان الامر كذلك فتعال معى ثم اخذته وخبأته فى مخدع فى قصرها ودخلت على ابيها فقال لها يا بنتى انا عندى اليوم قبض زائد فاقعدى حتى اسكر معك فقعدت ودعا باسفرة المدام وصارت تملاه وتسقيه حتى غاب عن الوجود ثم انها وضعت له البنج فى قدح فشرب القدح وانقلب على قفاه ثم جاءت الى علاء الدين واخرجته من المخدع وقالت له ان خصمك مطروح على قفاه فافعل به ما شئت فانى اسكرته وبنجته فدخل علاء الدين فرأه مبنجا فكتفه تكتيفا وثيقا وقيده ثم اعطاه ضد البنج فافاق منه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان علاء الدين اعطى الملك ابا حسن ضد البنج فافاق فوجد علاء الدين وابنته راكبين على صدره فقال لها يا بنتى اتفعلين معى هذه الفعال فقالت له ان كنت بنتك فاسلم لانى اسلمت وقد تبين لى الحق فاتبعته والباطل فاجتنبته وقد اسلمت وجهى لله رب العالمين وانى بريئة من كل دين يخالف دين الاسلام فى الدنيا والاخرة فان اسلمت نجا وكرامة والا فقتلك اولى من حياتك ثم نصحه ايضا علاء الدين فابا وتمرد فسحب علاء الدين خنجرا ونحره من الوريد الى الوريد وكتب ورقة بصورة الذى جرى ووضعها على جبهته واخذ ما خف حمله وغلا ثمنه وطلع من القصر وتوجها الى الكنيسة فاحضرت الخرزة وحطت يدها على الوجه الذى هو منقوش عليه السرير ودعكته واذا بسرير وضع قدامها فركبت هى وعلاء الدين وزوجته زبيدة العودية فى ذلك السرير وقالت بحق ما كتب على هذه الخرزة من الاسماء والطلاسم وعلوم الاقسام ان ترتفع بنا يا سرير فارتفع بهم السرير وسار الى واد لا نبات فيه فقامت الاربعة وجوه الباقية من الخرزة الى السماء وقلبت الوجه المرسوم عليه السرير فنزل بهم الى الارض وقلبت الوجه المرسوم عليه هيئة صيوان ودعكته وقالت لينتصب صيوان فى هذا الوادى فانتصب الصيوان وجلسوا فيه وكان ذلك الوادى اقفر لا نبات فيه ولا ماء فقلبت الاربعة وجوه الى السماء وقالت بحق اسماء الله تنبت هنا اشجار ويجرى بجانبها بحر فنبتت الاشجار فى الحال وجرى بجانبها بحر عجاج متلاطم بالامواج فتوضؤا منه وصلوا وشربوا وقلبت الثلاثة وجوه الباقية من الخرزة الى الوجه الذى على هيئة سفرة الطعام وقالت بحق اسماء الله يمد السماط واذا بسماط امتد وفيه سائر الاطعمة الفاخرة فاكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر ابن الملك فانه دخل

يخبره لياه فوجده قتيلا ووجد الورقة التي كتبها علاء الدين فقرأها وعرف ما فيها ثم فتش على اخته فلم يجدها فذهب الى العجوز في الكنيسة وسألها عنها فقالت من امس ما رأيتها فعاد الى العسكر وقال لهم الخيل يا اربابها واخبرهم بالذي جرى فركبوا الخيل وسافروا الى ان قربوا من الصيوان فالتفتت حسن مريم فرأت الغبار قد سد الاقطار وبعد ان علا وطار انكشف فظهر من تحته اخوها والعسكر وهم ينادون الى اين تقصدون ونحن وراءكم فقالت الصبية لعلاء الدين كيف ثباتك في الحرب والنزال فقال لها مثل الوتد في الجبال فاني لا اعرف الحرب والكفاح ولا السيوف والرماح فسحبت الخرزة ودعكت الوجه المرسوم عليه صورة الفرس والفارس واذا بفارس ظهر من البر ولم يزل فيهم ضربا بالسيف الى ان كسرهم وطردهم ثم قالت له اسافر الى مصر او الى الاسكندرية فقال الى الاسكندرية فركبوا على السرير وعزمت عليه فساربهم في لحظة الى ان نزلوا في الاسكندرية فادخلهم علاء الدين في مغارة وذهب الى الاسكندرية فاتاهم بثياب والبسهم اياها وتوجه بهم الى الدكان والطبقة ثم طلع بجملهم بغداد واذا بالمقدم احمد الدنف قادم من بغداد فرآه في الطريق فقابله بالعناق وسلم عليه ورحب به ثم ان المقدم احمد الدنف بشره بولده اصلان وانه بلغ من العمر عشرين عاما وحكى له علاء الدين جميع ما جرى له من الاول الى الاخر واخذه الى الدكان والطبقة فتعجب احمد الدنف من ذلك غاية العجب وباتوا تلك الليلة ولما اصبحوا باع علاء الدين الدكان ووضع ثمنه على ما معه ثم ان احمد الدنف اخبر علاء الدين بان الخليفة يطلبه فقال له انا رايح الى مصر اسلم على ابي وامي واهل بيتي فركبوا السرير جميعا وتوجهوا الى مصر السعيدة ونزلوا في الدرب الاصفر لان بيتهم كان في تلك الحارة ودق باب بيتهم فقالت امه من بالباب بعد فقد الاحباب فقال لها انا علاء الدين فنزلوا واخذوه بالاحضان ثم ادخل زوجته وما معه في البيت وبعد ذلك دخل واحمد الدنف صحبته واخذوا لهم راحة ثلاثة ايام ثم طلب السفر الى بغداد فقال له ابوه يا ولدي اجلس عندي فقال ما اقدر على فراق ولدي اصلان ثم انه اخذ اباه وامه معه وسافروا الى بغداد فدخل احمد الدنف وبشر الخليفة بقدوم علاء الدين وحكى له حكايته فطلع الخليفة للتلقاه واخذ معه ولده اصلان وقابلوه بالاحضان وامر الخليفة باحضار احمد قاقم السراق فلما حضر بين يديه قال يا علاء الدين دونك وخصمك فسحب علاء الدين السيف وضرب احمد قاقم فرمى عنقه ثم ان الخليفة عمل لعلاء الدين فرحا عظيما بعد ان حضر القضاة والشهود وكتب كتابه على حسن مريم ولما دخل عليها وجدها درة لم تثقب ثم جعل ولده اصلان رئيس الستين وخلع عليهم الخلع السنية واقاموا في ارغد عيش واهناه الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات واما حكايات الكرام فانها كثيرة جدا منها ما روى عن حاتم لطائي انه لما مات دفن في رأس جبل وعملوا على قبره حوضين من حجر وصورتين من محللات الشعور من حجر وكان تحت ذلك الجبل نهر جار فاذا نزلت الوفود يسمعون الصراخ في الليل من العشاء الى الصباح فاذا اصبحوا لم يجدوا احد اغير البنات المصورة من الحجر فلما نزل ذو الكراع ملك حمير بذلك الوادي خارجا عن عشيرته بات تلك الليلة هناك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للسبعين بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ذا الكراع لما نزل بذلك الوادي بات تلك الليلة هناك وتقرب من ذلك الموضع فسمع الصراخ فقال ما هذا العويل الذي فوق هذا الجبل فقالوا له ان هذا قبر حاتم الطائي وان

عليه

عليه حوضين من حجر وصور بنات من حجر محلولات الشعور وكل ليلة يسمع النازلون فى هذا المكان هذا العويل والصراخ فقال ذو الكراع ملك حمير يهزؤ بحاتم الطائى يا حاتم شحن الليلة ضيوفك ونحن خماص فغلب عليه النوم ثم استيقظ وهو مرعوب وقال يا عرب الحقونى وادركوا راحلتى فلما جاؤه وجدوا الناقة تضطرب فنحروها وشووا لحمها واكلوا ثم سألوه عن سبب ذلك فقال انى نمت فرأيت حاتما الطائى فى المنام قد جاءنى بسيف وقال جئتنا ولم يكن عندنا شئ وعقرنا فتى بالسيف ولولم يخروها لماتت فلما اصبح الصباح ركب ذو الكراع راحلة واحد من اصحابه ثم اردفه خلفه فلما كان وسط النهار رأوا راكبا على راحلة وفى يده راحلة اخرى فقالوا له من انت قال انا عدى بن حاتم الطائى ثم قال اين ذو الكراع امير حمير فقالوا له هذا هو فقال له اركب هذه الناقة عوضا عن راحلتك فان ناقتك قد نحرها ابى لك قال ومن اخبرك قال اتانى فى المنام فى هذه الليلة وقال لى يا عدى ان ذا الكراع ملك حمير استضافنى فنحرت له ناقته فادركه بناقة يركبها فانى لم يكن عندى شئ فاخذها ذو الكراع وتعجب من كرم حاتم حيا وميتا ومن حكايات الكرام ايضا ما يروى عن معن بن زائدة انه كان يوما من الايام فى الصيد والقنص فعطش فلم يجد مع غلمانه ماء فبينما هو كذلك واذا بثلاث جوار قد اقبلن عليه حاملات ثلاث قرب ماء وادركن شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والسبعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجوارى اقبلن على معن حاملات ثلاث قرب ماء فاستقاهن فاسقينه فطلب شيأ من غلمانه ليعطيه للجوارى فلم يجد معهم مالا فدفع لكل واحدة منهن عشرة اسهم من كنانته تصولها من الذهب فقالت احداهن لصاحبتها لم تكن هذه الشمائل الا لمعن بن زائدة فتقدمت كل واحدة منكن شيأ من الشعر مدحا فيه فقالت الاولى

يركب فى السهام نصول تبر * ويرمى للعدى كرما وجودا
فلم يرض علاج من جراح * واكفان لمن سكن اللحودا

وقالت الثانية

ومحارب من فرط جود بنانه * عمت مكارمه الاحبة والعدى
صيغت نصول سهامه من عسجد * كى لا تعوقه الحروب عن الندى

وقالت الثالثة

ومن جوده يرمى العداة باسهم * من الذهب الابريز صيغت نصولها
لينفقها المجروح عند دوائه * ويشترى الاكفان منها قتيلها

وقيل ان معن بن زائدة خرج فى جماعة الى الصيد فقرب منهم قطيع ظباء فافترقوا فى طلبه وانفرد معن خلف ظبى فلما ظفر به نزل فذبحه فرأى شخصا مقبلا من البرية على حمار فركب فرسه واستقبله فسلم عليه وقال له من اين اتيت قال له اتيت من ارض قضاعة وان لها مدة من السنين مجدبة وقد اخصبت فى هذه السنة فزرعت فيها مقاثا فطرحت فى غير وقتها فجمعت منها ما استغنته من القثاء وقصدت الامير معن بن زائدة لكرمه المشهور ومعروفه المأثور فقال له كم املت منه قال الف دينار فقال له فان قال لك هذا القدر كثير قال خمسمائة دينار قال فان قال لك كثير قال ثلاثمائة دينار قال فان قال لك كثير قال

مائتا دينار قال فان قال لك كثير قال مائة دينار قال فان قال لك كثير قال خمسين دينارا قال فان قال لك كثير قال ثلاثين دينارا قال فان قال لك كثير قال ادخلت قوائم حماري في حرمه ورجعت الى اهلي صفر اليدين فضحك معن من كلامه وساق جواده حتى لحق بعسكره ونزل في منزله وقال لحاجبه اذا اتاك شخص على حمار بقشاء فادخله علي فاتى ذلك الرجل بعد ساعة فاذن له الحاجب بالدخول فلما دخل على الامير معن لم يعرف انه هو الذي قابله في البرية لهيبته وجلالته وكثرة خدمه وحشمه وهو متصدر في دست مملكته والحفدة قيام عن يمينه وعن شماله وبين يديه فلما سلم عليه قال له الامير ما الذي اتى بك يا اخا العرب قال املت الامير واتيت له بقشاء في غير اوانها فقال له كم املت منا قال الف دينار قال هذا الفدر كثير قال خمسمائة دينار قال كثير قال ثلاثمائة دينار قال كثير قال مائتا دينار قال كثير قال مائة دينار قال كثير قال خمسين دينارا قال كثير قال ثلاثين دينارا قال كثير والله لقد كان ذا الرجل الذي قابلني في البرية مشؤما افلا اقل من ثلاثين دينارا فضحك معن وبكت فعلم الاعرابي انه هو الرجل الذي قابله في البرية فقال له يا سيدي اذا لم تجيء بالثلاثين دينارا فهاهو الحمار مربوط بالباب وها معن جالس فضحك معن حتى استلقى على قفاه ثم استدعى بوكيله وقال اعطه الف دينار وخمسمائة دينار وثلاثمائة دينار ومائتا دينار ومائة دينار وخمسين دينارا وثلاثين دينارا ودع الحمار مربوطا مكانه فهبت الاعرابي وتسلم الالفين ومائة دينار وثمانين دينارا فرحمة الله عليهم اجمعين وبلغني ايها الملك السعيد ان بلدة يقال لها لبطة وكانت دار مملكة بالروم وكان فيها قصر مقفول دائما وكلما مات ملك وتولى بعده ملك آخر من الروم رمى عليه قفلا محكما فاجتمع على الباب اربعة وعشرون قفلا من كل ملك قفل ثم تولى بعدهم رجل ليس من اهل بيت المملكة فاراد فتح تلك الاقفال ليرى ما داخل ذلك القصر فمنعه من ذلك اكابر الدولة وانكروا عليه وزجروه فابى وقال لابد من فتح ذلك القصر فبذلوا له جميع ما بايديهم من نفائس الاموال والذخائر على عدم فتحه فلم يرجع وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والسبعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اهل المملكة بذلوا لذلك الملك جميع ما في ايديهم من الاموال والذخائر على فتح ذلك القصر فلم يرجع عن فتحه ثم انه ازال الاقفال وفتح الباب فوجد فيه صور العرب على خيلها وجمالها وعليهم العمائم المسبلة وهم مقلدون بالسيوف وبايديهم الرماح الطوال ووجد كتابا فيه فاخذ الكتاب وقرأه فوجد مكتوبا فيه اذا فتح هذا الباب يغلب على هذه الناحية قوم من العرب وهم على هيئة هذه الصورة فالحذر ثم الحذر من فتحه وكانت تلك المدينة بالاندلس ففتحها طارق بن زياد في تلك السنة في خلافة الوليد بن عبد الملك من بني امية وقتل ذلك الملك اقبح قتلة ونهب بلاده وسبى من بها من النساء والغلمان وغنم اموالها ووجد فيها ذخائر عظيمة فيها ما ينوف عن مائة وسبعين تاجا من الدر والياقوت ووجد فيها احجارا نفيسة وابوابا رخيمة فيها الخيل برماحهم ووجد بها من اواني الذهب والفضة ما لا يحيط به وصف ووجد بها المائدة التي كانت لنبي الله سليمان بن داود عليهما السلام وكانت على ما ذكر من زمرد اخضر وهذه المائدة الى الآن باقية في مدينة رومة واوانيها من الذهب وصحافها من الزبرجد ونفيس الجواهر ووجد بها الزبور مكتوبا بالخط يوناني في ورق من الذهب مفصص بالجواهر ووجد فيها كتابا يذكر فيه منافع الاحجار والنبات والمدائن والقرى والطلاسم وعلم الكيميا من الذهب والفضة ووجد كتابا آخر يحكى فيه

صناعة صياغة اليواقيت والاحجار وتركيب السموم والترياقات وصورة شكل الارض والبحار والبلدان والمعادن ووجد فيها قاعة كبيرة ملأنة من الاكسير الذى الدرهم منه يقلب الف درهم من الفضة ذهبا خالصا ووجد بها مرآة كبيرة مستديرة عجيبة مصنوعة من اخلاط صنعت لنبى الله سليمان بن داود عليهما السلام اذا نظر الناظر فيها راى الاقاليم السبعة عيانا ووجد فيها ليواقيت من اليواقيت البهرمانى مالا يحيط به وصف فحمل ذلك كله الى الوليد بن عبد الملك وتفرق العرب فى مدنها وهى من اعظم البلاد ومما يحكى ايضا ان هشام بن عبد الملك بن مروان كان ذهب الى الصيد فى بعض الايام فنظر الى ظبى فتبعه بالكلاب فبينما هو خلف الظبى اذ نظر الى صبى من الاعراب يرعى غنما فقال هشام لبعض غلمانه يا غلام دونك هذا الصبى فأتنى به فرفع رأسه اليه وقال ياجاهل بقدر الاخيار اقد نظرت الى بالاستصغار وكلمتنى بالاحتقار فكلامك كلام جبار وفعلك فعل حمار فقال له هشام ويلك اما تعرفنى فقال قد عرفنى بك سوء ادبك اذ بدأتنى بكلامك دون سلامك فقال له ويلك انا هشام بن عبد الملك فقال له الاعرابى لاقرب الله دارك ولا حيى مزارك فما اكثر كلامك واقل اكرامك فما استتم كلامه حتى احدقت به الجند من كل جانب وكل واحد منهم يقول السلام عليك يا امير المؤمنين فقال هشام اقصروا عن هذا الكلام واحفظوا هذا الغلام فقبضوا عليه فلما رأى الغلام كثرة الحجاب والوزراء وارباب الدولة لم يكترث بهم ولم يسأل عنهم بل جعل ذقنه على صدره ونظر حيث يقع قدمه الى ان وصل الى هشام فوقف بين يديه ونكس رأسه الى الارض وسكت عن السلام وامتنع من الكلام فقال له بعض الخدام يا كلب العرب ما منعك ان تسلم على امير المؤمنين فالتفت الى الخادم مغضبا وقال يا بزدعة الحمار منعنى من ذلك طول الطريق وصعود الدرجة والتعريق فقال هشام وقد تزايد به الغضب ياصبى لقد حضرت فى يوم حضر فيه اجلك وغاب عنك املك وانصرف عمرك فقال والله ياهشام ان كان فى المدة تأخير ولم يكن فى الاجل تقصير فما ضرنى من كلامك لا قليل ولا كثير فقال له الحاجب هل بلغ من مقامك يا اخس العرب ان تخاطب امير المؤمنين كلمة بكلمة فقال مسرعا لقيت الخيل ولا فارقك الويل والهبل اما سمعت ما قال الله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها فعند ذلك اغتاظ هشام غيظا شديدا وقال ياسياف على برأس هذا الغلام فانه اكثر الكلام ولم تخش الملام فاخذ الغلام ونزل به الى نطع الدم وسل سيفه على رأسه وقال يا امير المؤمنين هذا عبدك المدل بنفسه الصائر الى رمسه هل اضرب عنقه وانا برئ من دمه قال نعم فاستأذن ثانيا فاذن له فاستأذن ثالثا ففهم الفتى انه ان اذن له فى هذه المرة بقتله فضحك حتى بدت نواجزه فازداد هشام غضبا وقال ياصبى اظنك معتوها اما ترى انك مفارق الدنيا فكيف تضحك هزوا بنفسك فقال يا امير المؤمنين لئن كان فى العمر تأخير لا يضرنى قليل ولا كثير ولكن حضرتنى ابيات فاسمعها فان قتلى لا يفوتك فقال هشام اوبزدهات فانشد هذه الابيات

نبئت ان البازصادف مرة * عصفورة برساقه المقدور
فتكلم العصفور فى اظفاره * والباز منهمك عليه يطير
مافى مايغنى لمثلك شبعة * واين اكلات فانى لحقير
فتبسم الباز المدل بنفسه * عجبا وافلت ذلك العصفور

فتبسم هشام وقال وحق قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تلفظ بهذا اللفظ فى اول كلامه وطلب مادون الخلافة لاعطيته اياه يا خادم احش فاه جوهرا واحسن جائزته فاعطاه الخادم صلة عظيمة

فاخذها وانصرف الى حال سبيله انتهى ومن لطيف الحكايات ان ابراهيم بن المهدى اخى هارون الرشيدى لما آل امر الخلافة الى المأمون ابن اخيه هارون الرشيدى لم يبايعه بل ذهب الى الرى وادعى الخلافة لنفسه واقام على ذلك سنة واحدة واحد عشر شهرا واثنى عشر يوما وابن اخيه المأمون يتوقع منه العود الى الطاعة وانتظامه فى سلك الجماعة حتى يئس من عوده فركب بخيله ورجله وذهب الى الرى فلما بلغ ابراهيم الخبر لم يسعه الا انه ذهب الى بغداد واختفى خوفا على دمه فجعل المأمون لمن يدل عليه مائة الف دينار قال ابراهيم لما سمعت بهذه الجعالة خفت على نفسى وادرلت شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابراهيم قال لما سمعت بهذه الجعالة خفت على نفسى وتحيرت فى امرى فخرجت من دارى وقت الظهيرة وانا لا ادرى اين اتوجه فدخلت شارعا غير نافذ فرايت فى صدر الدرب رجلا حلاقا قائما على باب داره فتقدمت اليه وقلت له هل عندك موضع اختفى فيه ساعة قال نعم وفتح الباب فدخلت الى بيت نظيف ثم انه بعد ان ادخلنى اغلق على الباب ومضى فتوهمت انه سمع بالجعالة فقلت فى نفسى انه خرج يدل على فبقيت اغلى مثل القدر على النار وانا متفكر فى امرى فبينما انا كذلك اذا قبل وصحبته حمال معه كل ما يحتاج اليه ثم التفت الىّ وقال لى جعلت فداك قال ابراهيم وكان لى حاجة الى الطعام فطابت لنفسى قدر ما اذكرانى اكلت مثلها فلما قضيت اربى من الطعام قال ياسيدى ليس من قدرى انى احادثك فان اردت ان تشرف عبدك فلك علو الرأى فقلت له وما اظن انه يعرفنى ومن اين لك انى احسن المسامرة فقال سبحان الله مولانا اشهر من ذلك انت سيدى ابراهيم بن المهدى الذى جعل فيك المأمون لمن دل عليك مائة الف دينار قال ابراهيم فلما قال ذلك عظم فى عينى وثبتت مروته عندى فوافقته على بغيته وخطر ببالى ذكر ولدى وعيالى فجعلت اقول

وعسى الذى اهدى ليوسف اهله * واعزه فى السجن وهو اسير
ان يستجيب لنا ويجمع شملنا * والله رب العالمين قدير

فلما سمع ذلك منى قال ياسيدى ائذن لى ان اقول ما سنح بخاطرى فقلت له هات فانشد هذه الابيات

شكونا الى احبابنا طول ليلنا * فقالوا لنا ما اقصر الليل عندنا
وذاك لان النوم يغشى عيونهم * سريعا ولا يغشى صميم القلوبنا
اذا ما دنا الليل المضر بذى الهوى * حزنّاوهم يستبشرون اذا دنى
فلو انهم كانوا يلاقون مثل ما * نلاقى لكانوا فى المضاجع مثلنا

قال ابراهيم فقلت له لقد احسنت كل الاحسان واذهبت عنى الم الاحزان فزدنى من هذه الترهات فانشد هذه الابيات

تعيرنا انا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا انا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل
وانا لقوم لا نرى القتل سبة * اذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول

وتنكران شئنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حين نقول

قال ابراهيم فلما سمعت منه هذا الشعر تعجبت منه غاية العجب ومال بى عفايم الطرب واخذت خريطة كانت صحبتى فيها دنانير كثيرة ورميت بها اليه وقلت له استودعك الله فانى متوجه من عندك واسألك ان تصرف ما فى هذه الخريطة فى بعض مهماتك ولك عندى الجزاء الزائد اذا امنت من خوفى فرد على الخريطة وقال ياسيدى ان الصعاليك منا لا قدر لهم عندكم ولكن بمقتضى مروءتى كيف آخذ ثمنا على ما وهبته لى الزمان من قربك وحلولك عندى والله لئن راجعتنى فى هذا الكلام ورميت بالخريطة الى مرة اخرى لاقتلن نفسى قال ابراهيم فاخذت الخريطة فى كمى وقد اتقانى حملها وادركنى شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابراهيم ابن المهدى قال فاخذت الخريطة فى كمى وقد اتقانى حملها وانصرفت فلما انتهيت الى باب داره قال ياسيدى هذا المكان اخفى لك من غيره وليس على فى مؤنتك ثقل فاقم عندى الى ان يفرج الله عنك فقلت له بشرط ان تنفق من تلك الخريطة فاوهمنى الرضى بذلك الشرط ثم اقمت عنده اياما على تلك الحالة ولم يصرف من الخريطة شيأ ثم تزيت بزى النساء كالخائف والمتقلب وخرجت من داره فلما صرت فى الطريق داخلنى من الخوف امر شديد وجئت لاعبر الجسر واذا انا بموضع مرشوش فنظر الى جندى ممن كان يخدمنى فعرفنى وصاح وقال هذه حاجة المأمون ثم تعلق بى فدفعته هو وفرسه ورميتهما فى ذلك الزلق وصار عبرة لمن اعتبر وتبادرت الناس اليه فاجتهدت انا فى مشيتى حتى قطعت الجسر ثم دخلت شارعا فوجدت باب دار وامرأة واقفة فى دهليزه فقلت ياسيدتى احقنى دمى فانى رجل خائف فقالت لا باس عليك واطلعتنى الى غرفة وفرشت لى فيها وقدمت لى طعاما وقالت لى ايها اروعك فبينما هى كذلك واذا بالباب يدق دقا عنيفا فخرجت وفتحت الباب واذا بصاحبى الذى دفعته على الجسر مقبل وهو مشدود الرأس ودمه يجرى على ثيابه وليس معه فرسه فقالت له ياهذا ما دهاك فقال كنت ظفرت بالفتى وانفلت منى واخبرها بالحال فاخرجت خرقة وعصبت بها راسه وفرشت له ونام عليلا ثم طلعت الى وقالت لى اظنك صاحب القضية فقلت لها نعم فقالت لا بأس عليك ثم جددت لى الكرامة فاقمت عندها ثلاثة ايام ثم قالت انى خايفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع عليك فتقع فيما تخافه فانج بنفسك فسألتها المهلة الى الليل فقالت لا بأس بذلك فلما دخل الليل لبست زى النساء وخرجت من عندها فاتيت الى بيت مولاة كانت لنا فلما رأتنى بكت وتوجعت وحمدت الله تعالى على سلامتى وخرجت كانها تريد السوق للاهتمام بالضيافة فاشعرت الاوابراهيم الموصلى مقبل فى غلمانه وجنده وامر أة قدامهم فتأملتها فاذا هى المولاة صاحبة الدار التى اتيتها ولم تزل ماشية قدامهم حتى سلمتنى اليهم وحملت بالزى الذى انا فيه الى المأمون فعقد مجلسا عاما وادخلنى عليه فلما دخلت سلمت عليه بالخلافة فقال لا سلمك الله ولا حياك فقلت له عفى رسلك يا امير المؤمنين انك ولى الامر فتحكم فى القصاص او العفو ولكن العفو اقرب للتقوى وقد جعل الله عفوك فوق كل عفو كما جعل ذنبى فوق كل ذنب يا امير المؤمنين فان تأخذ فبحقك وان تعف فبفضلك ثم انشدت هذه الابيات

ذنبى اليك عظيم * وانت اعظم منه

خذ بحقك اولا * واصفح بحلمك عنه
ان لم اكن فى فعالى * من الكرام فكنه

قال ابراهيم فرفع المأمون الى راسه فبادرت اليه بانشاد هذين البيتين

اتيت ذنبا عظيما * وانت للعفو اهل
فان عفوت فمن * وان جزيت فعدل

فاطرق المأمون راسه وانشد هذين البيتين

وكنت اذا الصديق اراد غيظى * واشرق فى على حنق بريق
غفرت ذنوبه وعفوت عنه * مخافة ان اعيش بلا صديق

فلما سمعت منه هذا الكلام استروحت منه رايحة الرحمة ثم اقبل على ابن عمه واخيه ابى اسحاق وجميع من حضر من خاصته وقال لهم ماترون فى امره فكل اشار عليه بقتلى الا انهم اختلفوا فى كيفية القتل فقال المأمون لاحمد ابن خالد ما تقول يا احمد فقال يا امير المؤمنين ان قتلته وجدنا مثلك قتل مثله وان عفوت عنه فما وجدنا مثلك عفى عن مثله فقالت دنيازاد لاختها شهرزاد ما احسن حديثك واطيبه واحلاه واعذبه فقالت واين هذا مما احدثكم به الليلة القابلة ان عشت وابقانى الملك فقال الملك فى نفسه والله لاقتلنها حتى اسمع بقية حديثها وادر لك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان شهرزاد قالت واين هذا مما احدثكم به الليلة القابلة فقالت لها اختها يا اختى اتممى لنا حديثك فقالت حبا وكرامة ثم قالت بلغنى ايها السعيد ان امير المؤمنين المأمون لما سمع كلام احمد بن خالد نكس رأسه وانشد قول الشاعر

قومى هم قتلوا اميم اخى * فاذا رميت يصيبنى سهمى

وانشد ايضا قول الشاعر

سامح اخاك اذا خلط * منه الاصابة بالغلط
واحفظ صنيعك عنده * شكر الصنيعة ام نمط
وتجاف عن تعنيفه * ان زاغ يوما اوقسط
اوما ترى المحبوب و المكروه لذا فى نمط
ولذاذة العمر الطويل يشوبها نغص الشمط
والورد يبدو فى الغصو * ن مع الجنى الملتقط
من ذا الذى ماساء قط ومن له الحسنى فقط
ولو اختبرت بنى الزما * ن وجدت اكثرهم سقط

فلما سمعت منه هذه الابيات كشفت المقنعة عن رأسى وكبرت تكبيرة عظيمة وقلت عفا الله عنك يا امير المؤمنين فقال لا باس عليك يا عم قلت ذنبى يا امير المؤمنين اعظم من ان تعفوه معه بعذر وعفوك اعظم من ان تنطق معه بشكر واطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

ان الذى خلق المكارم حازها * فى سلب آدم للامام السابع

ملئت قلوب الناس منك مهابة * والكل تكلأهم بقلب خاشع
ما ان عصيتك والغواية غامرى * اسبابها الا بنية طامع
فعفوت عن من لم يكن عن مثله * عفو ولم يشفع اليك بشافع
ورحمت افراخا كافراخ القطا * وحنين والدة بقلب جازع

فقال المأمون اقول اقتداء بسيدنا يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين وقد رددت عليك اموالك وضياعك يا عم ولا بأس عليك فابتهلت له بصالح الدعوات وانشدت هذه الابيات

رددت مالى ولم تبخل على به * وقبل ردلك مالى قد حقنت دمى
فلو بذلت دمى ابغى رضالك به * والمال حتى اسل النعل من قدمى
فان جحدتك ما اوليت من نعم * انى الى اللوم اولى منك بالكرم

فاكرمه المأمون وانعم عليه وقال له يا عم ان ابا اسحاق والعباس اشارا على بقتلك فقلت ان ابا اسحاق والعباس نصحالك يا امير المؤمنين ولكنك اتيت بما انت اهله ودفعت ما خفت بما رجوت فقال المأمون انى امنت حقدى بحياتك وقد عفوت عنك ولم احملك منة الشافعين ثم سجد المأمون طويلا ورفع رأسه وقال يا عمى اتدرى لاى شئ سجدت قلت لعلك سجدت شكرا لله الذى ظفرك بعدولك فقال ما اردت ذلك ولكن شكرا لله الذى الهمنى العفو عنك قال ابراهيم فشرحت له صورة امرى وما جرى لى مع الحجام والجندى وزوجته والمولاة التى غمزت على فامر المأمون باحضار المولاة وهى فى دارها تنتظر ارسال الجارية اليها فلما حضرت بين يدى المأمون قال لها ما حملك على ما فعلت مع سيدك قالت الرغبة فى المال فقال هل لك ولد او زوج فقالت لا فامر بضربها مائة سوط وان تخلد فى السجن ثم احضر الجندى وامر أنه والحجام فحضروا جميعا فسأل الجندى عن السبب الذى حمله على ما فعل فقال الرغبة فى المال فقال المأمون يجب ان تكون حجاما ووكل به من يضعه فى دكان حجام ليعلمه الحجامة واكرم زوجة الجندى وادخلها القصر وقال هذه امرأة عاقلة تصلح للمهمات ثم قال للحجام قد ظهر من مروءتك ما يوجب المبالغة فى اكرامك وامر ان يسلم اليه دار الجندى واعطاه زيادة على ذلك خمسة عشر الف دينار

وحكى ان عبد الله بن ابى قلابة خرج فى طلب ابل شردت له فبينما هو سائر فى صحارى اراضى اليمن وارض سبأ اذ وقع على مدينة عظيمة وحولها حصن عظيم وحول ذلك الحصن قصور شاهقة فى الجو فلما دنا منها ظن ان بها سكانا يسألهم عن ابله فقصدها فلما وصل اليها وجدها قفرا ليس فيها انيس قال فنزلت عن ناقتى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان عبد الله ابن ابى قلابة قال فنزلت عن ناقتى وعقلتها ثم سليت نفسى ودخلت البلد ودنوت من الحصن فوجدت له بابين عظيمين لم ير فى الدنيا مثلهما فى العظم والارتفاع وهما مرصعان بانواع الجواهر واليواقيت ما بين ابيض واحمر واصفر واخضر فلما رأيت ذلك تعجبت منه غاية العجب وتعاظمنى ذلك الامر فدخلت الحصن وانا مرعوب ذاهل اللب فرأيت ذلك الحصن طويلا مديدا مثل المدينة فى السعة وبه قصور شاهقة فى كل قصر منها غرف وكلها مبنية بالذهب والفضة

ومرصعة باليواقيت والزبرجد واللؤلؤ والجواهر الملونة ومصاريع ابواب تلك القصور كمصاريع الحصن في الحسن وقد فرشت ارضها باللؤلؤ الكبار وبنادق المسك والعنبر والزعفران فلما انتهيت الى داخل المدينة لم ار بها مخلوقا من بني آدم فكدت ان اموت من الفزع ثم نظرت من اعالي الغرف والقصور فرأيت الانهار تجري من تحتها وشوارعها فيها الاشجار المثمرات والنخيل الباسقات وبناؤها لبنة من ذهب ولبنة من فضة فقلت في نفسي لاشك ان هذه هي الجنة الموعود بها في الاخرة فحملت من جواهر حصبائها ومسك ترابها ما امكنني حمله وعدت الى بلادي واعلمت الناس بذلك فبلغ الخبر الى معاوية ابن ابي سفيان وهو يومئذ خليفة بالحجاز فكتب الى عامله بصنعاء اليمن ان احضر ذلك الرجل واسئله عن حقيقة الامر فاحضرني عامله واستخبرني عن ما كان من امري وما وقع لي فاخبرته بما رأيته فارسلني الى معاوية فاخبرته ايضا بما رأيته فانكر ذلك معاوية فاظهرت له شيأ من ذلك اللؤلؤ وبنادق العنبر والمسك والزعفران وفيها بعض رايحة طيبة ولكن اللؤلؤ قد اصفر وتغير لونه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد الله ابن ابي قلابة قال ولكن اللؤلؤ قد اصفر وتغير لونه فتعجب من ذلك معاوية ابن ابي سفيان لما رأى مع ابي قلابة اللؤلؤ وبنادق المسك والعنبر وبعث الى كعب الاحبار فاحضره وقال له يا كعب الاحبار اني دعوتك لامر اطلب تحقيقه وارجو ان يكون عندك حقيقة خبره فقال له ما هو يا امير المؤمنين قال له معاوية هل عندك علم بانه يوجد مدينة مبنية بالذهب والفضة عدد انهامن الزبرجد والياقوت وحصبائها من اللؤلؤ وبنادق المسك والعنبر والزعفران قال نعم يا امير المؤمنين هي ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وقد بناها شداد بن عاد الاكبر قال معاوية حدثنا بشيء من حديثها قال كعب الاحبار ان عاد الاكبر كان له ولدان شديد وشداد فلما هلك ابوهما ملك البلاد بعده شديد واخوه شداد ولم يكن احد من ملوك الارض الا تحت طاعتهما فات شديد بن عاد فملك اخوه شداد الارض من بعده على الانفراد وكان مولعا بقراءة الكتب القديمة فلما مر به ذكر الاخرة والجنة وما فيها من القصور والغرف والاشجار والثمار وغيرها مما في الجنة دعته نفسه الى ان يبني مثلها في الدنيا على هذه الهيئة المتقدم ذكرها وكان تحت يده مائة الف ملك تحت يد كل ملك مائة الف قهرمان تحت يد كل قهرمان مائة الف عسكر فاحضر الجميع بين يديه وقال لهم اني اسمع في الكتب القديمة والاخبار بصفة الجنة التي توجد في الاخرة وانا احب ان اجعل مثلها في الدنيا فانطلقوا الى اطيب فلاة في الارض واوسعها وابنوا لي فيها مدينة من الذهب والفضة واجعلوا حصاها الزبرجد والياقوت واللؤلؤ واجعلوا تحت عقود تلك المدينة اعمدة من زبرجد واملاؤها قصورا واجعلوا فوق القصور غرفا واغرسوا تحت القصور في ازقتها وشوارعها اصناف الاشجار المختلفة الاثمار اليانعة واجروا تحتها الانهار في قنوات الذهب والفضة فقالوا باجمعهم كيف نقدر على ما وصفت لنا وكيف بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ الذي ذكرت قال السمع تعلمون ان ملوك الدنيا طوع الى ويحت يدي وكل من فيها لا يخالف لي امرا قالوا نعم اذا علمت ذلك قال فانطلقوا الى معادن الزبرجد والياقوت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شدادا قال لجماعته انطلقوا الى معادن الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة فاستخرجوها واجمعوا ما بها من الارض ولا تتقوا مجهودا ومع ذلك فخذوا لى ما بايدى العالم من اصناف ذلك ولا تتقوا ولا تذروا واحذروا المخالفة ثم كتب كتابا الى كل ملك كان فى اقطار الارض وامرهم ان يجمعوا ما كان عند الناس من اصناف ذلك وان يذهبوا الى معادنها ويستخرجوا ما فيها من الاحجار النفيسة ولو من قعور البحار فجمعوا ذلك فى مدة عشرين سنة وكان عدة الملوك المتمكنين فى الارض ثلاثمائة وستين ملكا ثم اخرج المهندسين والحكماء والفعلاء والصناع من سائر البلاد والبقاع وانتشروا فى البرارى والقفار والجهات والاقطار حتى وصلوا الى صحراء فيها فسحة عظيمة نقية خالية من الاكام والجبال وبها عيون نابعة وانهار جارية فقالوا هذه صفة الارض التى امرنا بها الملك وندبنا اليها ثم اشتغلوا بانشائها على قدر ما امرهم به الملك شداد ملك الارض فى الطول والعرض واجروا بها قنوات الانهار ووضعوا الاساسات على المقدار المذكور وارسل اليها ملوك الاقطار بالجواهر والاحجار واللؤلؤ الكبار والصغار والعقيق والنضار على الجمال فى البرارى والقفار وارسلوا بها السفن الكبار فى البحار ووصل الى العمال من تلك الاصناف ما لا يوصف ولا يحصى ولا يكيف فاقاموا فى عمل ذلك ثلاثمائة سنة فلما فرغوا من ذلك اتوا الى الملك واخبروه بالاتمام فقال لهم انطلقوا فاجعلوا عليها حصنا منيعا شاهقا رفيعا واجعلوا حول الحصن الف قصر تحت كل قصر الف علم ليكون فى كل قصر منها وزير فضوا من وقتهم وفعلوا ذلك فى عشرين سنة ثم حضروا بين يدى شداد واخبروه بحصول الغرض فامر وزراءه وهم الف وزير وكذلك امر خاصته ومن يثق به من الجنود وغيرهم ان يستعدوا للرحلة ويتهيئوا للنقلة الى ارم ذات العماد تحت ركاب ملك الدنيا شداد بن عاد وامر من اراد من نسائه وحريمه بحواريه وخدمه ان يأخذوا فى التجهيز فاقاموا فى اخذ الاهبة عشرين سنة ثم سار شداد ومن معه من الجيوش وادركه شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شدادا بن عاد سار هو ومن معه من الجيوش مسرورا يبلوغ المرام حتى بقى بينه وبين ارم ذات العماد مرحلة واحدة فارسل الله عليه وعلى من معه من الكفرة الجاحدين صيحة من سمائه قدرته فاهلكتهم جميعا بصوت عظيم ولم يفلت شداد ولا احد ممن كان معه اليها ولم يشرف عليها ومحا الله اثار محجتها فهى باقية على حالها فى مكانها الى قيام الساعة فتعجب معاوية من اخبار كعب الاحبار بهذا الخبر وقال له هل يصل احد الى تلك المدينة من البشر قال نعم رجل من اصحاب محمد عليه الصلاة والسلام وهو بصفة هذا الرجل الجالس بلا شك ولا ابهام وقال الشعبى حكى عن علماء حمير من اليمن انه لما هلك شداد ومن معه من الصيحة ملك بعده ابنه شداد الاصغر وكان ابوه شداد الاكبر خلفه على ملكه بارض حضرموت وسبأ بعد ان ارتحل بمن معه من العساكر الى ارم ذات العماد فلما بلغه خبر موت ابيه فى الطريق قبل وصوله الى مدينة ارم امر بحمل ابيه من تلك المفاوز الى حضرموت وامر ان يحفر له حفيرة فى مغارة فلما حفروا تلك الحفيرة وضعه فيها على سرير من الذهب والقى عليه سبعين حلة منسوجة بالذهب مرصعة بنفيس الجواهر ووضع عند رأسه لوحا من الذهب مكتوبا

فيه هذا الشعر

اعتبر ياايها المغرور يا لعمر المديد
انا شداد بن عاد * صاحب الحصن العميد
صاحب القدرة والقوة والبأس الشديد
كان اهل الارض طوعى * خوف قهرى ووعيدى
وملكت الشرق والغر * ب بسلطان شديد
فدعانا للهدى من * جاء بالامر الرشيد
فعصينا ه وقلنا * عنه الا هل من محيد
فاتتنا صيحة من * جانب الافق البعيد
فترا مينا كزرع * وسط بيدا في الحصيد
وانتظرنا تحت اطبا * ق الثرى يوم الوعيد

قال الثعالبي واتفق ان رجلان دخلا هذه المغارة فوجدا في صدرها دركا فنزلا فيه فوجدا حفيرة طولها مقدار مائة ذراع وعرضها اربعون ذراعا وارتفاعها مائة ذراع وفي وسط تلك الحفرة سرير من الذهب وعليه رجل عظيم الجسم قد اخذ طول السرير وعرضه وعليه الحلي والحلل المنسوجة بالذهب والفضة وعلى رأسه لوح من ذهب فيه كتابة فاخذا ذلك اللوح وحملا من ذلك الموضع ما اطاقا حمله من قضبان الذهب والفضة وغير ذلك ومما يحكى ان اسحاق الموصلي قال خرجت ليلة من عند المأمون متوجها الى بيتي فضايقني حصر البول فعمدت الى زقاق وقت ابول خوفا ان يضربني شيء اذا جلست في جانب الحيطان فرأيت شيأ معلقا من تلك الدور فلمسته لاعرف ما هو فوجدته زنبيلا كبيرا باربعة آذان ملبسا ديباجا فقلت في نفسي لابد لهذا من سبب وصرت متحيرا في امري فحملني السكر على ان اجلس فيه فجلست فيه واذا باصحاب الدار جذبوه بي وظنوا انني الذي كانوا يرتقبونه ثم رفعوا الزنبيل الى رأس الحائط واذا بارباع جوار يقلن لي انزل على الرحب والسعة ومشت بين يدي جارية بشمعة حتى نزلت الى دار فيها مجالس مفروشة لم ار مثلها الا في دار الخلافة فجلست فما شعرت بعد ساعة الا بستور قد رفعت في ناحية من الجدار واذا بوصائف يتماشين وفي ايديهن الشموع ومجامر البخور من العود الغالي وبينهن جارية كانها البدر الطالع فنهضت وقالت مرحبا بك من زائر ثم اجلستني وسألتني عن خبري فقلت لها اني انصرفت من عند بعض اخواني وغربني الوقت وحصر في البول في الطريق فملت الى هذا الزقاق فوجدت زنبيلا ملقى فاجلسني النبيذ في الزنبيل ورفع بي الزنبيل الى هذه الدار هذا ما كان من امري فقالت لا ضير عليك وارجو ان تحمد عاقبة امرك ثم قالت لي فما صناعتك فقلت تاجر في سوق بغداد فقالت هل تروي من الاشعار شيأ قلت اروي شيأ ضعيفا قالت فذاكرنا فيه وانشدنا شيأ منه فقلت ان للداخل دهشة ولكن تبدأين انت قالت صدقت ثم انشدت شعرا رقيقا من كلام القدماء والمحدثين وهو من اجود ما قاله ويلهم واما اسمع ولا ادري العجب من حسنها وجمالها ام من حسن روايتها ثم قالت هل ذهب مما كان عندك من الدهشة قلت اي والله قالت ان شئت فانشد نا شيأ من روايتك فانشدتها لجماعة من القدماء ما فيه الكفاية فاستحسنت ذلك ثم قالت والله ما ظننت ان يوجد في ابناء السوقة مثل هذا ثم امرت بالطعام فقالت لها اجتهادي ازداد ما احلى حديثك واحسنه واطيبه واعذبه فقالت واين هذا

مما احدثكم به الليلة القابلة ان عشت وابقانى الملك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انها قالت واين هذا مما احدثكم به الليلة القابلة ان عشت وابقانى الملك فقال لها الملك اتمى حديثك قالت سمعا وطاعة قد بلغنى ايها الملك السعيد ان اسحاق الموصلى قال ثم ان الجارية امرت باحضار الطعام فحضر فجعلت تأخذ وتضع قدامى وكان فى المجلس من اصناف الرياحين وغريب الفواكه مالا يكون الا عند الملوك ثم دعت بالشراب فشربت قدحا ناولتنى قدحا وقالت هذا اوان المذاكرة والاخبار فاندفعت اذاكرها وقلت بلغنى انه كان كذا وكذا وكان رجل يقول كذا حتى حكيت لها عدة اخبار حسان فانسرت بذلك وقالت انى لاعجب كيف يكون احد من التجار يحفظ مثل هذه الاخبار وانما هى احاديث ملوك فقلت كان لى جار يحادث الملوك ويسامرهم واذا تعطل حضرت بيته فربما حدث بما سمعت فقالت لعمرى لقد احسنت الحفظ ثم اخذنا فى المذاكرة وكلما سكت ابتدأت هى حتى قطعنا اكثر الليل وبخور العود يعبق وانا فى حالة لو توهمها المأمون لطار شوقا اليها فقالت لى انك من الطف الرجال واظرفهم لانك ذو ادب بارع ومابقى الا شئ واحد فقلت لها وما هو قالت لو كنت تترنم بالاشعار على العود فقلت لها انى كنت تعلقت بهذا قديما ولكن لما لم ارزق حظا فيه اعرضت عنه وفى قلبى منه حرارة وكنت احب فى هذا المجلس ان احسن شيأ منه لتكمل ليلتى قالت كأنك عرضت باحضار العود فقلت الرأى لك وانت صاحبة الفضل ولك المنة فى ذلك فامرت بعود فحضر وغنت بصوت ما سمعت بمثل حسنه مع حسن الادب وجودة الضرب والكمال الراجح ثم قالت هل تعرف هذا الصوت لمن وهل تعرف الشعر لمن قلت لا قالت الشعر لفلان والمغنى لاسحاق قلت وهل اسحاق جعلت فداك يهذه الصفة قالت يخ يخ لاسحاق بارع هذا الشان فقلت سبحان الله الذى اعطى هذا الرجل ما لم يعطه احدا سواه قالت فكيف لو سمعت هذا الصوت منه ثم لم تزل على ذلك حتى اذا كان انشقاق الفجر اقبلت عليها بحوز كانها اداية لها وقالت ان الوقت قد حضر فنهضت عند قولها وقالت لتستر ما كان منا فان المجالس بالامانات وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها السعيد ان الجارية قالت لتستر ما كان منا فان المجالس بالامانات فقلت لها جعلت فداك لم اكن محتاجا الى وصية فى ذلك ثم ودعتها وارسلت جارية تمشى بين يدى الى باب الدار ففتحت لى وخرجت متوجها الى دارى فصليت الصبح ونمت فاتانى رسول المأمون فسرت اليه واقمت نهارى عنده فلما كان وقت العشاء تفكرت ما كنت فيه البارحة وهو شئ لا يصبر عنه الا جاهل فخرجت وجئت الى الزبيل وجلست فيه ورفعت الى موضعى الذى كنت فيه البارحة فقالت لى الجارية لقد عاودت فقلت لا اظن الا انى قد غفلت ثم اخذنا فى المحادثة على عادتنا فى الليلة السالفة من المذاكرة والمناشدة وغريب الحكايات منها ومنى الى الفجر ثم انصرفت الى منزلى وصليت الصبح ونمت فاتانى رسول المأمون فمضيت اليه واقمت نهارى عنده فلما كان وقت العشاء قال لى امير المؤمنين اقسمت عليك ان تجلس حتى اذهب الى غرض واحضر فلما ذهب الخليفة وغاب عنى جالت وساوسى وتذكرت ما كنت فيه فهان على ما يحصل لى من امير المؤمنين فوثبت مدبرا وخرجت جاريا حتى وصلت الى الزبيل فجلست فيه ورفعنى الى

مجلسي فقالت لعلك صديقنا قلت اي والله قالت اجعلتنا دار اقامة قلت جعلت فداك حق الضيافة ثلاثة ايام فان رجعت بعد ذلك فانتم في حل من دمي ثم جلسنا على تلك الحالة فلما قرب الوقت علمت ان المأمون لابد ان يسألني فلا يقنع الا بشرح القصة فقلت لها ايها الثمن يجب بالغناء ولي ابن عم احسن مني وجها واشرف قدرا واكثر ادبا وهو اعرف خلق الله تعالى يا اسحاق قالت اطفيلي وتفترح قلت لها انت الحكمة في الامر فقالت اركان ابن عمك على ما تصفه فما انكره معرفته ثم جاء الوقت فنهضت وقت متوجها الى داري فلم اصل الى داري الا ورسل المأمون قد هجموا علي وحملوني حملا عنيفا وادرلنا شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اسحاق الموصلي قال فلم اصل الى داري الا ورسل المأمون قد هجموا علي وحملوني حملا عنيفا وذهبوا بي اليه فوجدته قاعدا على كرسي وهو مغتاظ مني فقال يا اسحاق اخروجا عن الطاعة فقلت لا والله يا امير المؤمنين قال فما قصتك اصدقني الخبر فقلت نعم ولكن في خلوة فاومأ الى من بين يديه فتنحوا فحدثته الحديث وقلت له اني وعدتها بحضورك قال احسنت ثم اخذنا في الحديث ذلك اليوم والمأمون متعلق القلب بها فما صدقنا بمجيء الوقت وسرنا واوصيه واقول له تجنب ان تسادني باسمي قدامها بل اقالك تبع في حضرتها واتفقنا على ذلك ثم سرنا الى ان اتينا مكان الزبيل فوجدنا زبيلين فقعدنا فيهما ورفعانا الى الموضع المعهود فاقبلت وسلمت علينا فلما رأها المأمون تحير من حسنها وجمالها واخذت تذاكره الاخبار وتناشده الاشعار ثم احضرت النبيذ فشربنا وهي مقبلة عليه مسرورة به وهو ايضا مقبل عليها مسرور بها ثم اخذت العود وغنت طريقة وبعد ذلك قالت لي وهل ابن عمك من التجار واشارت الى المأمون قلت نعم قالت انكما لقريبا الشبه من بعضكما قلت نعم فلما شرب المأمون ثلاثة ارطال داخله الفرح والطرب فصاح وقال يا اسحاق قلت لبيك يا امير المؤمنين قال غن بهذه الطريقة فلما علمت انه الخليفة مضت الى مكان ودخلت فيه فلما فرغت من الغناء قال لي المأمون انظر من رب هذا الدار فبادرت عجوز بالجواب وقالت هي للحسن بن سهل فقال علي به فغابت العجوز ساعة واذا بالحسن قد حضر فقال له المأمون اللك بنت قال نعم اسمها خديجة قال له هل هي متزوجة قال لا والله قال فاني اخطبها منك قال هي جاريتك وامرها اليك يا امير المؤمنين قال الخليفة قد تزوجتها على نقد ثلاثين الف دينار تحمل اليك صبيحة يومنا هذا فاذا قبضت المال فاحملها الينا من ليلتها قال سمعا وطاعة ثم خرجنا فقال يا اسحاق لا تقص هذا الحديث على احد فسترته الى ان مات المأمون فما اجتمع لاحد مثل ما اجتمع لي في هذه الاربعة ايام مجالسة المأمون بالنهار ومجالسة خديجة بالليل والله ما رأيت احدا من الرجال مثل المأمون ولا شاهدت امرأة من النساء مثل خديجة بل ولا تقارب خديجة فهما ولا عقلا ولا لفظا والله اعلم ومما يحكى انه كان في اوان الحج والناس في الطواف فبينما المطاف مزدحم بالناس واذا بانسان متعلق باستار الكعبة وهو يقول من صميم قلبه اسألك يا الله انها تغضب على زوجها واجامعها قال فسمعه جماعة من الحجاج فقبضوا عليه واتوا به الى امير الحاج بعد ان اشبعوه ضربا وقالوا له ايها الامير انا وجدنا هذا في الاماكن الشريفة يقول كذا وكذا فامر امير الحاج بشنقه فقال له ايها الامير بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسمع قصتي وحديثي وبعد ذلك فافعل بي ما تريد قال

تحدث

تحدث قال اعلم ايها الامير انى رجل حشاش اعمل فى مسالخ الغنم فاحمل الدم والوسخ الى الكيمان فاتفق انى رايح بحمارى يوما من الايام وهو محمل فوجدت الناس هاربين فقال واحد منهم ادخل هذا الزقاق لئلا يقتلوك فقلت مال الناس هاربين فقال لى واحد خدام هذا حريم لبعض الاكابر وصار الخدم يحوشون الناس من الطريق قدامهم ويضربون جميع الناس ولا يسالون باحد فدخلت بالحمار عطفة وادرلشهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الرجل قال فدخلت بالحمار عطفة ووقفت انتظر انقضاض الزحمة فرأيت الخدم وبايديهم العصى ومعهم نحو ثلاثين امرأة وبينهم واحدة كانها قضيب بان كاملة الحسن والظرف والدلال والجميع فى خدمتها فلما وصلت الى باب العطفة التى انا واقف بها التفتت يمينا وشمالا ثم دعت بطواشى فحضر بين يديها فسارر ته فى اذنه واذا بالطواشى جاء الى وقبض على فتهاربت الناس واذا بطواشى آخر اخذ حمارى ومضى به ثم جاء الطواشى وربطنى بحبل وجر فى خلفه وانا لم اعرف ما الخبر والناس من خلفنا يصيحون ويقولون ما يحل من الله هذا رجل حشاش فقير الحال ما سبب ربطه بالحبال ويقولون للطواشية ارحموه يرحمكم الله تعالى واطلقوه فقلت انا فى نفسى ما اخذنى الطواشية الا لان سيدتهم شمت رايحة الوسخ فاشمازت من ذلك او تكون حبلى او خصل لها ضرر فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ومازلت ماشيا خلفهم الى ان وصلوا الى باب دار كبيرة فدخلوا وانا خلفهم واستروادا خليزبى حتى وصلت الى قاعة كبيرة ما اعرف كيف اصف محاسنها وهى مفروشة بفرش عظيم ثم دخلت النساء تلك القاعة وانا مربوط مع الطواشى فقلت فى نفسى لابد انهم يعاقبونى فى هذا البيت حتى اموت ولا يدرى بموتى احد ثم بعد ذلك ادخلونى حماما الطيقان من داخل القاعة فبينما انا فى الحمام واذا بثلاث جوار دخلن وقعدن حوالى وقلن لى اقلع شراميطك فقلت ما على من الخلقان وصارت واحدة منهن تحك رجلى وواحدة منهن تغسل رأسى وواحدة منهن تكيسنى فلما فرغن من ذلك حطوا لى بقجة قماش وقالوا لى البس هذه فقلت والله ما اعرف كيف البس فتقدمن الى والبسننى وهن يتضاحكن على ثم جئن بقمقم مملوءة بماء الورد ورششن على وخرجت معهن الى قاعة اخرى والله ما اعرف كيف اصف محاسنها من كثرة ما فيها من النقش والفرش فلما دخلت تلك القاعة وجدت واحدة قاعدة على تخت من الخيزران وادرلشهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الرجل قال لما دخلت تلك القاعة وجدت واحدة قاعدة على تخت من الخيزران قوائمه من عاج وبين يديها جملة جوار فلما رأتنى قامت الى وناداتنى فجئت عندها فامرتنى بالجلوس فجلست الى جانبها وامرت الجوارى ان يقدمن الى الطعام فقدمن لى طعاما فاخرا من سائر الالوان ما اعرف اسمه ولا اعرف صفته فى عمرى فاكلت منه على قدر كفايتى وبعد رفع الزبادى وغسل الايادى امرت باحضار الفواكه فحضرت بين يديها فى الحال فامرتنى بالاكل فاكلت فلما فرغنا من الاكل امرت بعض الجوارى باحضار سلاحيات الشراب فاحضرن شيأ مختلف الالوان ثم اطلقن المباشر من جميع البخور وقامت جارية مثل القمر تسقينا على نغمات الاوتار فسكرت انا وتلك السيدة الجالسة

كل ذلك جرى وانا اعتقد انه حلم فى المنام ثم بعد ذلك اشارت الى بعض الجوارى ان يفرشن لنا فى مكان ففرشن فى المكان الذى امرت به ثم قامت واخذت بيدى الى ذلك المكان المفروش وقامت ونمت معها الى الصباح وكنت كلما ضممتها الى صدرى اشم منها رايحة المسك والطيب وما اعتقد الا انى فى الجنة اوانى احلم فى المنام فلما اصبحت سألتنى عن مكانى فقلت فى المحل الفلانى فامرت بخروجى واعطتنى منديلا مطرزا بالذهب والفضة وعليه شئ مربوط فقالت لى ادخل الحمام بهذا ففرحت وقلت فى نفسى ان كان ما عليه خمسة فلوس فهى غدائى فى هذا اليوم ثم خرجت من عندها كانى خارج من الجنة وجئت الى المخزن الذى انا فيه ففتحت المنديل فوجدت فيه خمسين مثقالا من الذهب فدفنتها وقعدت عند الباب بعد ان اشتريت بفلسين خبزا وادما وتغديت ثم صرت متفكرا فى امرى فبينما انا كذلك الى وقت العصر واذا بجارية قد اتت وقالت لى ان سيدتى تطلبك فخرجت معها الى باب الدار واستأذنت على فدخلت وقبلت الارض بين يديها فامرتنى بالجلوس وامرت باحضار الطعام والشراب على العادة ثم نمت معها على جرى العادة التى تقدمت اول ليلة فلما اصبحت ناولتنى منديلا ثانيا فيه خمسون مثقالا من الذهب فاخذتها وخرجت وجئت الى المخزن ودفنتها ومكثت على هذه الحالة مدة ثمانية ايام ادخل عندها فى كل يوم العصر واخرج من عندها فى اول النهار فبينما انا نائم عندها ليلة ثامن يوم واذا بجارية دخلت وهى تجرى وقالت لى قم اطلع الى هذه الطبقة فطلعت فى تلك الطبقة فوجدتها تشرف على وجه الطريق فبينما انا جالس واذا بضجة عظيمة ودربكة خيل فى الزقاق وكان فى الطبقة طاقة تشرف على الباب فنظرت منها فرأيت شابا راكبا كانه القمر الطالع ليلة تمامه وبين يديه مماليك وجند يمشون فى خدمته فتقدم الى الباب وترجل ودخل القاعة فرأها قاعدة على السرير فقبل الارض بين يديها ثم تقدم وقبل يديها فلم تكلمه فابرح يتخضع لها حتى صالحها ونام عندها تلك الليلة وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الصبية لما صالحها زوجها نام عندها تلك الليلة فلما اصبح الصباح اتته الجنود وركب وخرج من الباب فطلعت عندى وقالت لى ارأيت هذا قلت لها نعم قالت هو زوجى واحكى لك ما جرى لى معه انفق انى كنت انا واياه يوما قاعدين فى الجنينة داخل البيت واذا هو قد قام من جانبى وغاب عنى ساعة طويلة فاستبطأته فقلت فى نفسى لعله يكون فى بيت الخلاء فنهضت الى بيت الخلاء فلم اجده فدخلت المطبخ فرأيت جارية فسألتها عنه فاومأت الى انه وهو راقد مع جارية من جوارى المطبخ فعند ذلك حلفت يمينا عظيما انى لابد ان ازنى مع اوسخ الناس واقذرهم ويوم قبض عليك الطواشى كان لى اربعة ايام وانا ادور فى البلد على واحد يكون بهذه الصفة فما وجدت احدا اوسخ ولا اقذر منك فطلبتك وقد كان ما كان من قضاء الله علينا وقد خلصت من اليمين التى حلفتها ثم قالت فقمت وقعت زوجى على الجارية ورقد معها مرة اخرى اعد تلك الى ما كنت عليه معى فلما سمعت منها هذا الكلام ورمت قلبى من لحاظها بالسهام جرت دموعى حتى قرحت المحاجر وانشدت قول الشاعر

مكنينى من بوس يسر الدهر عشرا * واعرفى فضلها على يمينك
ان يسر الالهى اقرب عهدا * وقت غسل الخرا بمستجابك

ثم انها امرت بخروجي من عندها وقد تحصل لي منها ارزة مائة مثقال من الذهب فانا اصرف منها وجئت الى هاهنا ادعو الله سبحانه وتعالى ان زوجها يعود الى الجارية مرة اخرى لعلي اعود الى ما كنت عليه فلما سمع امير الحاج قصة ذلك الرجل اطلقه وقال للحاضرين بالله عليكم ان تدعوا له فانه معذور ومما يحكى ان الخليفة هارون الرشيد قلق ليلة من الليالي قلقا شديدا فاستدعى بوزيره جعفر البرمكي وقال له ان صدري ضيق ومرادي في هذه الليلة ان اتفرج في شوارع بغداد وانظر في مصالح العباد بشرط ان تتزيا بزي التجار حتى لا يعرفنا احد من الناس فقال له الوزير سمعا وطاعة ثم قاموا في الوقت والساعة ونزعوا ما عليهم من ثياب الافتخار ولبسوا ثياب التجار وكانوا ثلاثة الخليفة وجعفر ومسرور السياف وتمشوا من مكان الى مكان حتى وصلوا الى الدجلة فرأوا شيخا قاعدا في زورق فتقدموا اليه وسلموا عليه وقالوا له يا شيخ انا نشتهي من فضلك واحسانك ان تفرجنا في مركبك هذه وخذ هذا الدينار في اجرتك وادر لنا شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد انهم لما قالوا للشيخ انا نشتهي ان تفرجنا في مركبك وخذ هذا الدينار قال لهم من ذا الذي يقدر على الفرجة والخليفة هارون الرشيد ينزل في كل ليلة بحر الدجلة في زورق صغير ومعه مناد ينادي ويقول يا معاشر الناس كافة من كبير وصغير وخاص وعام صبي وغلام كل من نزل في مركب وشق في الدجلة ضربت عنقه اوشنقته على صاري مركبه وكانكم به في هذه الساعة وزورقه مقبل فقال الخليفة وجعفر يا شيخ خذ هذين الدينارين وادخل بنا قبة من هذه القباب الى ان يروح زورق الخليفة فقال لهم الشيخ هاتوا الذهب والتوكل على الله تعالى فاخذ الذهب وعوم بهم قليلا واذا بالزورق قد اقبل من كبد الدجلة وفيه الشموع والمشاعل مضيئة فقال لهم الشيخ اما قلت لكم ان الخليفة يشق في كل ليلة ثم ان الشيخ صار يقول يا ستار لا تكشف الاستار ودخل بهم في قبة ووضع عليهم ميزرا اسود وصاروا ينفرجون من تحت الميزر فرأوا في مقدم الزورق رجلا بيده مشعل من الذهب الاحمر وهو يشعل فيه بالعود القاقلي وعلى ذلك قبا من الاطلس الاحمر وعلى كتفه مزركش اصفر وعلى رأسه شاش موصلي وعلى كتفه الاخر مخلاة من الحرير الاخضر ملانة بالعود القاقلي يقيد منها المشعل عوضا عن الحطب ورأى رجلا آخر في مؤخر الزورق لابسا مثل لبسه وبيده مشعل مثل المشعل الذي معه ورأى في الزورق مائتا مملوك واقفين يمينا ويسارا ووجد كرسيا من الذهب الاحمر منصوبا وعليه شاب حسن جالس كالقمر وعليه خلعة سوداء بطرازات من الذهب الاصفر وبين يديه انسان كانه الوزير جعفر وعلى رأسه خادم واقف كانه مسرور وبيده سيف مشهور ورأى عشرين نديما فلما رأى الخليفة ذلك قال يا جعفر فقال لبيك يا امير المؤمنين قال لعل هذا واحد من اولادي اما المأمون واما الامين ثم تأمل الشاب وهو جالس على الكرسي فرأه كامل الحسن والجمال والقد والاعتدال فلما تأمله التفت الى الوزير وقال يا وزير قال لبيك قال والله ان هذا الجالس لم يترك شيأ من شكل الخلافة والذي بين يديه كانه انت يا جعفر والخادم الذي واقف على رأسه كانه مسرور وهؤلاء الندماء كانهم ندماني وقد حار عقلي في هذا الامر فقالت لها اختها دنيازاد ما احسن حديثك واطيبه واحلاه واعذبه فقالت واين هذا مما احدثكم به الليلة القابلة ان عشت وابقاني الملك فقال الملك في نفسه والله لا اقتلها حتى اسمع بقية حديثها

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة لما رأى هذا الامر تحير في عقله وقال والله اني تعجبت من هذا الامر يا جعفر فقال له جعفر وانا والله يا امير المؤمنين ثم ذهب الزورق حتى غاب عن العين فعند ذلك خرج الشيخ بزورقه وقال الحمد لله على السلامة حيث لم يصادفنا احد فقال الخليفة ياشيخ وهل الخليفة في كل ليلة ينزل الدجلة قال نعم ياسيدي وله على هذه الحالة سنة كاملة فقال ياشيخ تشتهي من فضلك ان تقف لنا هنا الليلة القابلة ونحن نعطيك خمسة دنانير ذهبا فاتى القوم غرباء وقصدنا النزهة ونحن نازلون في الخندق فقال له الشيخ حبا وكرامة ثم ان الخليفة وجعفر ومسرورا توجهوا من عند الشيخ الى القصر وقلعوا ما كان عليهم من لبس التجار ولبسوا ثياب الملك وجلس كل واحد في مرتبته ودخل الامراء والوزراء والحجاب والنواب وانعقد المجلس بالناس فلما انقضى النهار وتفرقت اجناس الناس وراح كل احد الى حال سبيله قال الخليفة هارون الرشيد يا جعفر انهض بنا للفرجة على الخليفة الثاني فقاموا جعفر ومسرور ولبسوا لبس التجار وخرجوا يشقون وهم في غاية الانشراح وكان خروجهم من باب السر فلما وصلوا الى الدجلة وجدوا الشيخ صاحب الزورق قاعدا لهم في الانتظار فنزلوا عنده في المركب فلما استقر بهم الجلوس مع الشيخ ساعة حتى جاء زورق الخليفة الثاني واقبل عديم فالتفتوا اليه وامعنوا فيه النظر فوجدوا فيه مائتي مملوك غير المماليك الاول والمشاعلية ينادون على عادتهم فقال الخليفة ياوزير هذا شيء لو سمعت به ما كنت اصدقه ولكني رأيت ذلك عيانا ثم ان الخليفة قال لصاحب الزورق الذي هم فيه خذ ياشيخ هذه العشرة دنانير وسر بنا في محاذاتهم فانهم في النور ونحن في الظلام فننظر هم ونتفرج عليهم وهم لا ينظروننا فاخذ الشيخ العشرة دنانير ومشى بزورقه في محاذاتهم وسار في ظلام زورقهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة هارون الرشيد قال للشيخ خذ هذه العشرة دنانير وسر بنا في محاذاتهم فقال سمعا وطاعة ثم اخذ الدنانير وساربهم ومازلوا سائرين في ظلام الزورق الى البساتين فلما وصلوا الى البساتين رؤا زربية فرسي عليها الزورق واذا بغلمان واقفين ومعهم بغلة مسرجة ملجمة فطلع الخليفة الثاني وركب البغلة وساربين الندماء وصاحت المشاعلية واشتغلت الغاشية بشأن الخليفة الثاني فطلع هارون الرشيد هو وجعفر ومسرور الى البر وشقوا بين المماليك وساروا قدامهم فلاحت من المشاعلية التفاتة فرأوا ثلاثة اشخاص لبسهم لبس تجارو هم غرباء الديار فانكروا عليهم وغمزوا عليهم واحضروهم بين يدي الخليفة الثاني فلما نظرهم قال لهم كيف وصلتم الى هذا المكان وما الذي جاء بكم في هذا الوقت فقالوا يا مولانا نحن قوم من التجار غرباء الديار وقد منا في هذا اليوم وخرجنا نتعشى الليلة واذا بكم قد اقبلتم فجاء هؤلاء وقبضوا علينا واوقفونا بين يديك وهذا خبرنا فقال الخليفة الثاني لا بأس عليكم لا تكم قوم غرباء ولو كنتم من بغداد ضربت اعناقكم ثم التفت الى وزيره وقال له خذ هؤلاء صحبتك فانهم ضيفونا في هذه الليلة فقال سمعا وطاعة لك يا مولانا ثم ساروهم معه الى ان وصلوا

الى قصر عال عظيم الشان محكم البنيان ما حوا سلطان قام من التراب وتعلق باكناف السحاب وبابه من خشب الساج مرصع بالذهب الوهاج يصل منه الداخل الى ايوان بقسية وشاذروان وبسط ومخدات ومن الديباج نمارق وطوالات وهنالك ستر مسبول وفرش يذهل العقول ويعجز من يقول وعلى الباب مكتوب هذان البيتان

قصر عليه تحية وسلام * خلعت عليه جمالها الايام
فيه العجائب والغرائب نوعت * فتحيرت فى فنها الاقلام

ثم دخل الخليفة الثانى والجماعة صحبته الى ان جلس على كرسى من الذهب مرصع بالجواهر وعلى الكرسى سجادة من الحرير الاصفر وقد جلست الندماء ووقف سيف النقمة بين يديه فغدوا السماط واكلوا ورفعت الاوانى وغسلت الايادى واحضروا آلة المدام واصطفت القناني والكاسات ودار الدور الى ان وصل الى الخليفة هارون الرشيد فامتنع من الشراب فقال الخليفة الثانى لجعفر مابال صاحبك لا يشرب فقال يا مولاى ان له مدة ما شرب من هذا فقال الخليفة الثانى عندى مشروب غير هذا يصلح لصاحبك وهو من شراب التفاح ثم امر به فاحضروه فى الحال فتقدم الخليفة الثانى بين يدى هارون الرشيد وقال له كلما وصل اليك الدور فاشرب من هذا الشراب ولا زالوا فى انشراح وتعاطى اقداح الراح الى ان تمكن الشراب من رؤسهم واستولى على عقولهم وادرك الشهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخليفة الثانى هو وجلساؤه ما زالوا يشربون حتى تمكن الشراب من رؤسهم واستولى على عقولهم فقال الخليفة هارون الرشيد لوزيره يا جعفر والله ما عندنا آية مثل هذه الاغنية فيا ليت شعرى ما شأن هذا الشاب فبينما هما يتحدثان سرا اذ لاحت من الشباب التفاتة فوجد الوزير يشاور مع الخليفة فقال ان المشاورة عريدة فقال الوزير ما ثم عريدة الا ان رفيق هذا يقول انى سافرت الى غالب البلاد ونادمت اكابر الملوك وعاشرت الاجناد فما رأيت احسن من هذا النظام ولا ابهج من هذه الليلة غير ان اهل بغداد يقولون الشراب بلا سماع ربما اورث الصداع فلما سمع الخليفة الثانى ذلك الكلام تبسم وانشرح وكان بيده قضيب فضرب به على مدورة واذا بباب فتح وخرج منه خادم يحمل كرسيا من العاج مصفحا بالذهب الوهاج وخلفه جارية بارعة فى الحسن والجمال والبهاء والكمال فنصب الخادم الكرسى وجلست عليه الجارية وهى كالشمس الضاحية فى السماء الصاحية وبيدها عود عمل صناع الهنود فوضعته فى حجرها وانحنت عليه انحناء الوالدة على ولدها وغنت عليه بعد ان طربت وقلبت اربعا وعشرين طريقة حتى اذهلت العقول ثم عادت الى طريقتها الاولى واطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

لسان الهوى فى مهجتى لك ناطق * يخبر عنى اننى لك عاشق
ولى شاهد من تحت قلب معذب * وطرف قريح والدموع سوابق
وما كنت ادرى قبل حبك ما الهوى * ولكن قضاء الله فى الخلق سابق

فلما سمع الخليفة الثانى هذا الشعر من الجارية صرخ صرخة عظيمة وشق البدلة التى كانت عليه الى الذيل وسبلت عليه الستارة واتوه ببدلة غيرها احسن منها فلبسها ثم جلس على عادته فلما وصل اليه القدح ضرب

بالقضيب على المدورة واذا بباب قد فتح وخرج منه خادم يحمل كرسيا من الذهب وخلفه جارية احسن من الجارية الاولى فجلست على ذلك الكرسى وبيدها عود يكمد قلب الحسود فغنت عليه بهذين البيتين

كيف اصطبارى ونار الشوق فى كبدى * والدمع من مقلتى طوفان للابد
والله ما طاب لى عيش امرّ به * فكيف يفرح قلب حشوه كمدى

فلما سمع الشاب هذا الشعر صرخ صرخة عظيمة وشق ما عليه من الثياب الى الذيل وانسبلت عليه الستارة واتوه ببدلة اخرى فلبسها واستوى جالسا ورجع الى حالته الاولى وانبسط فى الكلام فلما وصل القدح اليه ضرب على المدورة فخرج خادم ووراءه جارية احسن من التى قبلها ومعه كرسى فجلست الجارية على الكرسى وبيدها عود فغنت عليه بهذه الابيات

اقصروا هجركم وقلوا جفاكم * فؤادى وحقكم ما سلاكم
وارحموا مدنفا كئيبا حزينا * ذا غرام متيما فى هواكم
قد برته السقام من فرط وجد * فتمنى من الاله رضاكم
يا بدورا محلهم فى فؤادى * كيف اختار فى الانام سواكم

فلما سمع الشاب هذه الابيات صرخ صرخة عظيمة وشق ما كان عليه من الثياب فارخوا عليه الستارة واتوه بثياب غيرها ثم عاد الى حالته مع ندمائه ودارت الاقداح فلما وصل القدح اليه ضرب على المدورة فانفتح الباب وخرج منه غلام معه كرسى وخلفه جارية فنصب لها الكرسى وجلست عليه واخذت العود واصلحته وغنت عليه بهذه الابيات

حتى متى يمضى النهار والقلا * ويعود لى ما قد مضى لى اولا
من امس كنا والديار تملنا * فى انسنا ونرى الحواسد غفلا
غدر الزمان بنا وفرق شملنا * من بعد ما ترك المنازل كالخلا
اتروم منى يا عذولى سلوة * وارى فؤادى لا يطيع العذلا
فدع الملام وخلنى بصبابتى * فالقلب من انس الاحبة ما خلا
يا سادة نقضوا العهود وبدلوا * لا تحسبوا قلبى بعدكم سلا

فلما سمع الخليفة الثانى انشاد الجارية صرخ صرخة عظيمة وشق ما عليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخليفة الثانى لما سمع شعر الجارية صرخ صرخة عظيمة وشق ما عليه من الثياب وخر مغشيا عليه فاراد وا ان يرخوا عليه الستارة بحسب العادة فتوقفت حبالها فلاحت من هارون الرشيد التفاتة اليه فنظر على بدنه اثار ضرب مقارع فقال الرشيد بعد النظر والتأكيد يا جعفر والله انه شاب مليح الا انه لص قبيح فقال جعفر من اين عرفت ذلك يا امير المؤمنين فقال اما رأيت ما على جنبيه من اثر السياط ثم اسبلوا عليه الستارة واتوه ببدلة غير التى كانت عليه فلبسها واستوى جالسا على حالته الاولى مع الندماء فلاحت منه التفاتة فوجد الخليفة وجعفر يتحدثان سرا فقال لهما

ما الخبر يا فتيان فقال جعفر يا مولانا خبر غيرانه لاخفاء عليك ان رفيقى هذا من التجار وقد سافر جميع الامصار والاقطار وصحب الملوك والاخيار وهو يقول لى ان الذى حصل من مولانا الخليفة فى هذه الليلة اسراف عظيم ولم ار احدا فعل مثل فعله فى سائر الاقاليم لانه شق كذا وكذا بدلة كل بدلة بالاف دينار وهذا اسراف زائد فقال الخليفة الثانى يا هذا ان المال مالى والقماش قماشى وهذا من بعض الانعام على الخدام والحواشى فان كل بدلة شققتها لواحد من الندماء الحضار وقد رسمت لهم مع كل بدلة بخمسمائة دينار فقال الوزير جعفر نعم ما فعلت يا مولانا ثم انشد هذين البيتين

بنت المكارم وسط كفك منزلا * وجعلت مالك للانام مباحا
فاذا المكارم اغلقت ابوابها * كانت يد الفاقفلها مفتاحا

فلما سمع الشاب هذا الشعر من الوزير جعفر رسم له بالف دينار وبدلة ثم دارت بينهم الاقداح وطاب لهم الراح فقال الرشيد يا جعفر اسأله عن الضرب الذى على جنبيه حتى ننظر ما يقول فى جوابه فقال لا تعجل يا مولانا وترفق بنفسك فان الصبر اجمل فقال وحياة رأسى وتربة العباس ان لم تسأله لاخذن منك الانفاس فعند ذلك التفت الشاب الى الوزير وقال له مالك مع رفيقك تسارران فاخبرنى بشأنكما فقال خيرا فقال الشاب سألتك بالله ان تخبرنى بخبركم ولا تكتم عنى شيأ من امركم فقال يا مولاى انه ابصر على جنبيك ضربا واثر سياط ومقارع فتعجب من ذلك غاية العجب وقال كيف يضرب الخليفة وقصده ان يعلم ما السبب فلما سمع الشاب ذلك تبسم وقال اعلموا ان حديثى غريب وامرى عجيب لو كتب بالابر على اماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر ثم صعد الزفرات وانشد هذه الابيات

حديثى عجيب فاق كل العجائب * وحق الهوى ضاقت على مذاهبى
فان شئتموا ان تسمعوا لى فأنصتوا * ويسكت هذا الجمع من كل جانب
وأصغوا الى قولى ففيه اشارة * وان كلامى صادق غير كاذب
فانى قتيل من غرام ولوعة * وقاتلتى فاقت جميع الكواعب
لها مقلة كحلاء مثل مهند * وترمى سهاما عن قسى الحواجب
وقد حس قلبى ان فيكم امامنا * خليفة هذا الوقت وابن الاطايب
وثانيكم وهو المنادى بجعفر * لديه وزير صاحب وابن صاحب
وثالثكم مسرور سياف نقمة * فان كان هذا القول ليس بكاذب
اقد نلت ما ارجو من الامر كله * وجاء سرور القلب من كل جانب

فلما سمعوا منه هذا الكلام حلف له جعفر وورى فى يمينه انهم لم يكونوا المذكورين فضحك الشاب وقال اعلموا يا سادتى انى لست امير المؤمنين وانما سميت نفسى بهذا الاسم لابلغ ما اريد من اولاد المدينة وانما اسمى محمد على بن على الجوهرى وكان ابى من الاعيان نماك وخلف لى مالا كثيرا من ذهب وفضة ولؤلؤ ومرجان وياقوت وزبرجد وجواهر وعقارات وحمامات وغيطان وبساتين ودكاكين وطوابين وعبيد وجوار وغلمان فاتفق فى بعض الايام انى كنت جالسا فى دكانى وحولى الخدم والحشم واذا بجارية قد اقبلت راكبة على بغلة وفى خدمتها ثلاث جوار كانهن الاقمار فلما قربت منى نزلت على دكانى وجلست عندى وقالت لى هل انت محمد الجوهرى فقلت لها نعم هو انا المملوك وعبدك فقالت هل عندك عقد جوهر يصلح لى فقلت يا سيدتى الذى عندى اعرضه عليك واحضره بين يديك فان اعجبك منه شئ كان

بسعد المملوك وان لم يعجبك شئ فبسوء حظي وكان عندي مائة عقد من الجوهر فعرضت عليها الجميع فلم يعجبها شئ من ذلك وقالت اريد احسن مما رأيت وكان عندي عقد صغير اشتراه والدي بمائة الف دينار ولم يوجد مثله عند احد من السلاطين الكبار فقلت لها ياسيدتي بقي عندي عقد الفصوص والجواهر الذي لا يملك مثله احد من الاكابر والاصاغر فقالت لي ارني اياه فلما رأته قالت هذا مطلوبي وهو الذي طول عمري اتمناه ثم قالت لي كم ثمنه فقلت لها ثمنه علي والدي مائة الف دينار فقالت ولك خمسة الاف دينار فائدة فقلت ياسيدتي العقد وصاحبه بين يديك ولا خلاف عندي فقالت لابد من الفائدة ولك المنه الزائدة ثم قامت من وقتها وركبت البغلة بسرعة وقالت لي ياسيدي بسم الله تفضل صحبتنا لتأخذ الثمن فان نهارك اليوم يشاكل الليل فقمت وقفلت الدكان وسرت معها في امان الى ان وصلنا الى الدار فوجد تها دارا عليها اثار السعادة لائحة وبابها مزركش بالذهب والفضة واللازورد ومكتوب عليه هذين البيتين

الا يا دار لا يدخلك حزن * ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار انت لكل ضيف * اذا ما ضاق بالضيف المكان

فنزلت الجارية ودخلت الدار وامرتني بالجلوس على مصطبة الباب الى ان يأتي الصير فجلست على باب الدار ساعة واذا بجارية خرجت الي وقالت لي ياسيدي ادخل الدهليز فان جلوسك على الباب قبيح فقمت ودخلت الدهليز وجلست على الدكة فبينما انا جالس واذا بجارية خرجت الي وقالت لي ياسيدي ان سيدتي تقول لك ادخل واجلس على باب الايوان حتى تقبض مالك فقمت ودخلت البيت وجلست لحظة واذا بكرسي من الذهب وعليه ستارة من الحرير واذا بتلك الستارة قد رفعت فبان من تحتها تلك الجارية التي اشترت مني ذلك العقد وقد اسفرت عن وجه كانه دائرة القمر والعقد في عنقها فطاش عقلي واندهش لبي من رؤية تلك الجارية لفرط حسنها وجمالها فلما رأتني قامت من فوق الكرسي وسعت الى نحوي وقالت لي يا نور عيني هل كل من كان مليحا مثلك ما يرثى لمحبوبته فقلت ياسيدتي الحسن كله فيك وهو من بعض مغانيك فقالت ياجوهري اعلم اني احبك وما صدقت اني اجيء بك عندي ثم انها مالت علي فقبلتها وقبلتني والى جهتها جذبتني وعلى صدرها رمتني وادركه شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجوهري قال ثم انها مالت علي وقبلتني والى جهتها جذبتني وعلى صدرها رمتني وعلمت من حالي اني اريد وصالها فقالت ياسيدي اتريدان تجتمع بي في الحرام والله لا كان من يفعل مثل هذه الاثام ويرضى بقبيح الكلام فاني بكر عذراء ما دنا مني احد ولست مجهولة في البلد اتعلم من انا فقلت لا والله ياسيدتي فقالت انا السيدة دنيا بنت يحيى بن خالد البرمكي واخي جعفر وزير الخليفة فلما سمعت ذلك منها احجمت بخاطري عنها وقلت لها ياسيدتي مالي ذنب في التهجم عليك انت التي اطمعتيني في وصالك بالوصول اليك فقالت لا بأس عليك ولابد من بلوغك المراد بما يرضي الله فان امري بيدي والقاضي ولي عقدي والقصد ان اكون لك اهلا وتكون لي بعلا ثم انها دعت بالقاضي والشهود وبذلت المجهود فلما حضروا قالت لهم محمد علي بن علي الجوهري قد طلب زواجي ودفع لي هذا

العقد فى مهرى وانا قبلت ورضيت فكتبوا كتابها عليه ودخل بها واحضرت آلات الراح ودارت الاقداح باحسن نظام واتم احكام ولما شعشعت الخمرة فى رؤسنا امرت جارية عودة ان تغنى فاخذت العود واطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

بدا فاراني الظبي والغصن والبدرا * فتبا لقلب لا يبيت به مغرى
مليح اراد الله اطفاء فتنة * بعارضه فاستأنفت فتنة اخرى
اغالط عذالى اذا ذكروا له * حديثا كاني لا احب له ذكرا
واصغى اذا ذكروا لغير حديثه * بسمعي ولكني اذوب به فكرا
نبي جمال كل ما فيه معجز * من الحسن لكن وجهه الاية الكبرى
اقام بلال الحال فى صحن خده * يراقب من لالاء غرته الفجرا
تريد سلوتى العاذلون جهالة * وما كنت ارضى بعد ايماني الكفرا

فاطربت الجارية بما ابدته من نغمات الاوتار ورقيق الاشعار ولم تزل الجوارى تغنى جارية بعد جارية وينشدن الاشعار الى ان غنت عشر جوار وبعد ذلك اخذت السيدة دنيا العود واطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

قسما بلين قوامك المياس * انى لنار الهجر منك اقاسى
فارحم حشى بلظى هواك تسعرت * يا بدر تم فى دجى الاغلاس
انعم بوصلك لى فانى لم ازل * اجلو جمالك فى ضياء الكاس
ما بين ورد نوعت الوانه * وزهت محاسنه خلال الاس

فلما فرغت من شعرها اخذت العود منها وضربت عليه غريب الضربات وغنيت بهذه الابيات

سبحان رب جميع الحسن اعطاك * حتى بقيت انا من بعض اسراك
يا من لها ناظر تسبى الانام به * سلى الامان لنا من سهم مرماك
ضدان ماء ونار فى سنا لهب * حوتهما بغريب الشكل خداك
انت السعير بقلبي والنعيم له * فما امرك فى قلبي واحلاك

فلما سمعت منى هذا المغنى فرحت فرحا شديدا ثم انها صرفت الجوارى وقمنا الى احسن مكان قد فرش لنا فيه فرش من سائر الالوان ونزعت ما عليها من الثياب وخلوت بها خلوة الاحباب فوجدتها درة لم تثقب ومهرة لم تركب ففرحت بها ولم ار فى عمرى ليلة اطيب من تلك الليلة وادركنا شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان محمد بن على الجوهرى قال لما دخلت بالسيدة دنيا بنت يحيى بن خالد البرمكى رأيتها درة لم تثقب ومهرة لم تركب فانشدت هذين البيتين

طوقته طوق الحمام بساعدى * وجعلت كفى للثمام مباحا
هذا هو الفوز العظيم ولم نزل * متعانقين فلا نريد براحا

ثم اقمت عندها شهرا كاملا وقد تركت الدكان والاهل والاوطان فقالت لى يوما من الايام يا نور العين يا سيدى

محمد انى قد عزمت اليوم على المسير الى الحمام فاستقرانت على هذا السرير ولا تنتقل من مكانك الى ان ارجع اليك وحلفتنى على ذلك فقلت لها سمعا وطاعة ثم انها حلفتنى انى لا انتقل من موضعى واخذت جواريها وذهبت الى الحمام فوالله يا اخوانى ما لحقت ان تصل الى رأس الزقاق الا والباب قد فتح ودخلت منه عجوز وقالت ياسيدى محمد ان السيدة زبيدة تدعوك فانها سمعت بادبك وظرفك وحسن غنائك فقلت لها والله ما اقوم من مكانى حتى تأتى السيدة دنيا فقالت العجوز ياسيدى لا تخجل السيدة زبيدة تغضب عليك وتبقى عدوتك فقم كلمها وارجع الى مكانك فقمت من وقتى وتوجهت اليها والعجوز امامى الى ان وصلتنى الى السيدة زبيدة فلما وصلت اليها قالت لى يا نور العين هل انت معشوق السيدة دنيا فقلت انا مملوكك وعبدك فقالت صدق الذى وصفك بالحسن والجمال والادب والكمال فانك فوق الوصف والمقال ولكن غن لى حتى اسمعك فقلت لها سمعا وطاعة فاتتنى بعود فغنيت عليه بهذه الابيات

قلب المحب مع الاحباب متعوب ✻ وجسمه بيد الاسقام منهوب
ما فى الرحال وقد زمت ركائبهم ✻ الا محب له فى الركب محبوب
استودع الله فى اطنابكم قمرا ✻ يهواه قلبى وعن عينى محجوب
يرضى ويغضب ما احلى تدلله ✻ وكل ما يفعل المحبوب محبوب

فلما فرغت من الغنى قالت لى اصح الله بدنك وطيب انفاسك فلقد كملت فى الحسن والادب والغنى فقم وامض الى مكانك قبل ان تجىء السيدة دنيا فلم تجدك فتغضب عليك فقبلت الارض بين يديها وخرجت والعجوز امامى الى ان وصلت الى الباب الذى خرجت منه فدخلت وجئت الى السرير فوجدتها قد جاءت من الحمام وهى نائمة على السرير فقعدت عند رجليها وكبستهما فتحت عينيها فرأتنى فجمعت رجليها ورفصتنى فرمتنى من فوق السرير وقالت لى يا خائن خنت اليمين وحنثت فيه ووعدتنى انك لا تنتقل من مكانك واخلفت الوعد وذهبت الى السيدة زبيدة والله لولا خوفى من الفضيحة لهدمت قصرها على رأسها ثم قالت لعبدها يا صواب قم اضرب رقبة هذا الخائن الكذاب فلا حاجة لنا به فتقدم العبد وشرط من ذيله رقعة وعصب بها عينى واراد ان يضرب عنقى وادركنى شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان محمدا الجوهرى قال فتقدم العبد وشرط من ذيله رقعة وعصب بها عينى واراد ان يضرب عنقى فقامت اليها الجوارى الكبار والصغار وقلن لها يا سيدتنا ليس هذا اول من اخطأ وهو لا يعرف خلقك وما فعل ذنبا يوجب القتل فقالت والله لابد ان اعمل فيه اثر ما امرت بضربى فضربونى على اضلاعى وهذا الذى رأيتموه اثر ذلك الضرب وبعد ذلك امرت باخراجى فاخرجونى وابعدونى عن القصر ورمونى فحملت نفسى ومشيت قليلا قليلا حتى وصلت الى منزلى واحضرت جرايحيا واريته الضرب فلاطفنى وسعى فى مداواتى فلما شفيت ودخلت الحمام وزالت عنى الاوجاع والاسقام جئت الى الدكان واخذت جميع ما فيها وبعته وجمعت ثمنه واشتريت لى اربعمائة مملوك ما جمعهم احد من الملوك وصار يركب معى منهم فى كل يوم مائتان وعملت هذا الزورق وصرفت عليه خمسة الاف دينار من الذهب وسميت نفسى بالخليفة ورتبت من معى من الخدم كل واحد فى وظيفة واحد من اتباع الخليفة وهيأته بهيئته وناديت كل من تفرج فى الدجلة ضربت عنقه بلا مهلة ولى على هذا الحال سنة كاملة وانا لم اسمع

لها

لها خبر ولم اقف لها على اثر ثم انه بكى وافاض العبرات وانشد هذه الابيات

والله ما كنت طول الدهر ناسيها * ولا دنوت الى من ليس يدنيها
كانها البدر فى تكوين خلقتها * سبحان خالقها سبحان باريها
قد صيرتنى حزينا ساهرا دنفا * والقلب قد حار منى فى معانيها

فلما سمع هارون الرشيد كلامه وعرف وجده ولوعته وغرامه تدلله ولها وتحير عجبا وقال سبحان الله الذى جعل لكل شئ سببا ثم انهم استأذنوا الشاب فى الانصراف فاذن لهم واضمر له الرشيد على الانصاف وان يتحفه غاية الاتحاف ثم انصرفوا من عنده سائرين والى محل الخلافة متوجهين فلما استقر بهم الجلوس وغيروا ما عليهم من الملبوس ولبسوا اثواب المواكب ووقف بين يديهم مسرور سياف النقمة فقال الخليفة لجعفر يا وزير على بالشاب وادر لشهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخليفة قال للوزير على بالشاب الذى كان عنده فى الليلة الماضية فقال سمعا وطاعة ثم توجه اليه وسلم عليه وقال له اجب امير المؤمنين الخليفة هارون الرشيد فسار معه الى القصر وهو من الترسيم عليه فى حصر فلما دخل على الخليفة قبل الارض بين يديه ودعا له بدوام العز والاقبال وبلوغ الامال ودوام النعم وازالة البؤس والنقم وقد احسن ما به تكلم حيث قال السلام عليك يا امير المؤمنين وحامى حومة الدين ثم انشد هذين البيتين

لا زال بابك كعبة مقصودة * وثراب فوق الجباه رسوم
حتى ينادى فى البلاد باسرها * هذا المقام وانت ابراهيم

فتبسم الخليفة فى وجهه ورد عليه السلام والتفت اليه بعين الاكرام وقربه لديه واجلسه بين يديه وقال له يا محمد على اريد منك ان تحدثنى بما وقع لك فى هذه الليلة فانه من العجائب وبديع الغرائب فقال الشاب العفو يا امير المؤمنين اعطنى مندبل الامان ليسكن روحى ويطمئن قلبى فقال له الخليفة لك الامان من الخوف والاحزان فشرع الشاب يحدثه بالذى حصل له من اوله الى آخره فعلم الخليفة ان الصبى عاشق والمعشوق مفارق فقال له انحب ان اردها عليك قال هذا من فضل امير المؤمنين ثم انشد هذين البيتين

انى اتيت له فلست اتيت املا * لكنهن مفاتح الارزاق
واشكر صنائعه فلست صنائعا * لكنهن قلائد الاعناق

فعند ذلك التفت الخليفة الى الوزير وقال له يا جعفر احضر لى اختك السيدة دنيا بنت الوزير يحيى بن خالد فقال سمعا وطاعة يا امير المؤمنين ثم احضرها فى الوقت والساعة فلما تمثلت بين يديه قال لها الخليفة اتعرفين من هذا فقالت يا امير المؤمنين من اين للنساء معرفة الرجال فتبسم الخليفة وقال لها يا دنيا هذا حبيبك محمد على بن الجوهرى وقد عرفنا الحال وسمعنا الحكاية من اولها الى آخرها وفهمنا ظاهرها وباطنها والامر لا يخفى وان كان مستورا فقالت يا امير المؤمنين كان ذلك فى الكتاب مسطورا وانا استغفر الله العظيم مما جرى منى واسألك من فضلك العفو عنى ففصل الخليفة هارون الرشيد واحضر القاضى والشهود وجدد عقدها على زوجها محمد على بن الجوهرى وحصل لهما وله سعد السعود واكمال الحسود وجعله من جملة ندمائه واستمروا فى سرور ولذة وحبور الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق

الجماعات ومما يحكى ايضا ان الخليفة هارون الرشيد قلق ليلة من الليالى فاستدعى بوزيره فلما حضر بين يديه قال له يا جعفر انى قلقت الليلة قلقا عظيما وضاق صدرى واريد منك شيأ يسر خاطرى وينشرح به صدرى فقال له جعفر يا امير المؤمنين ان لى صديقا اسمه على العجمى وعنده من الحكايات والاخبار المطربة ما يسر النفوس ويزيل عن القلب البؤس فقال على به فقال سمعا وطاعة ثم ان جعفر خرج من عند الخليفة فى طلب العجمى فارسل خلفه فلما حضر قال له اجب امير المؤمنين فقال سمعا وطاعة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العجمى قال سمعا وطاعة ثم توجه معه الى الخليفة فلما مثل بين يديه اذن له فى الجلوس فجلس فقال له الخليفة يا على انه ضاق صدرى فى هذه الليلة وقد سمعت عنك انك تحفظ حكايات واخبارا واريد منك ان تسمعنى ما يزيل همى ويصقل فكرى فقال يا امير المؤمنين هل احدثك بالذى رأيته بعينى او بالذى سمعته باذنى فقال ان كنت رأيت شيأ فاحكه فقال سمعا وطاعة اعلم يا امير المؤمنين انى سافرت فى بعض السنين من بلدى هذه وهى مدينة بغداد وصحبتى غلام ومعه جراب لطيف ودخلنا مدينة فبيعنا وابتعنا واشترى واذا برجل كردى ظالم متعد قد هجم على واخذ منى الجراب وقال هذا جرابى وكل ما فيه متاعى فقلت يا معشر المسلمين خلصونى من يد الجبر الظالمين فقال الناس جميعا اذهبا الى القاضى واقبلا حكمه بالتراضى فتوجهنا الى القاضى وانا بحكمه راضى فلما دخلنا عليه وتمثلنا بين يديه قال القاضى فى اى شئ جئتما وما قضية خبركما فقلت نحن خصمان اليك تداعينا وبحكمك تراضينا فقال ايكما المدعى فتقدم الكردى وقال ايد الله مولانا القاضى ان هذا الجراب جرابى وكل ما فيه متاعى وقد ضاع منى ووجدته مع هذا الرجل فقال القاضى ومتى ضاع منك فقال الكردى من امس هذا اليوم وبت لفقده بلا نوم فقال القاضى ان كنت عرفته فصف لى ما فيه فقال الكردى فى جرابى هذا مردان من بلخ وفيه اكحال للعين ومنديل لليدين ووضعت فيه مشربتين مذهبتين وشمعدانين وهو مشتمل على بيتين وطبقين ومعلقتين ومخدة ونطعين وابريقين وصينية وطشتين وقدرة وزلعتين ومغرفة ومسلة ومزودين وهرة وكابيتين وقصعة وقعيدتين وجبة وفروتين وبقرة ومجلين وعنز وشاتين ونهمة وسخلين وصيوانين اخضرين وجمل وناقتين وجاموسة وثورين ولبوة وسبعين ودبة وثعلبين ومرتبة وسريرين وقصر وقاعتين ورواق ومقعدين ومطبخ ببابين وجماعة اكراد يشهدون ان الجراب جرابى فقال القاضى ما تقول انت يا هذا فتقدمت اليه يا امير المؤمنين وقد ابهتنى الكردى بكلامه فقلت اعز الله مولانا القاضى اما ما فى جرابى هذا الا دويرة خراب واخرى بلا باب ومقصورة للكلاب وفيه للصبيان كتاب وشباب يلعبون بالكعاب وفيه خيام واطناب ومدينة البصرة وبغداد وقصر شداد بن عاد وكور حداد وشبكة صياد وعصى وتاد وبنات واولاد والف قواد يشهدون ان الجراب جرابى فلما سمع الكردى هذا الكلام بكى وانتحب وقال يا مولانا القاضى ان جرابى هذا معروف وكل ما فيه موصوف فى جرابى هذا حصون وقلاع وكراكى وسباع ورجال يلعبون بالشطرنج والرقاع وفى جرابى هذا حجرة ومهران وفحل وحصانان وزرمحان طويلان وهو مشتمل على سبع وارزبين ومدينة وقريتين وقحبة وقوادين شاطرين ومخنث وعلقين واعمى وبصيرين واعرج ومكسحين وقسيس وشماسين وبترك ورهبان وقاض

وشاهدين

وشاهدين وهم يشهدون ان الجراب جرابي فقال القاضي ما تقول ياعلي فامتلأت غيظا يا امير المؤمنين وتقدمت اليه وقلت ايد الله مولانا القاضي اتاني جرابي هذا زردو صفاح وخزائن سلاح والف كبش نطاح وفيه للغنم مراح والف كاب نباح وبساتين وكروم وازهار ومشموم وتين وتفاح وصور واشباح وقناني واقداح وعرايس ملاح ومغاني وافراح وهرج وصياح وافطار فساح واخوة نجاح ورفقة صباح ومعهم سيوف ورماح وقسي ونشاب واصدقاء واحباب وخلان واصحاب ومحابس للعقاب وندماء للشراب وطنبور ونايات واعلام ورايات وصبيان وبنات وعرايس مجليات وجوار مغنيات وخمس حبشيات وثلاث هنديات واربع مدنيات وعشرون روميات وخمسون تركيات وسبعون عجميات وثمانون كرديات وتسعون جرجيات والدجلة والفرات وشبكة صياد وقداحة وزناد وارم ذات العماد والف علق وقواد وميادين واصطبلات ومساجد وحمامات وبناء ونجار وخشبة ومسمار وعبد اسود بمزمار ومقدم وركبدار ومدن وامصار ومائة الف دينار والكوفة مع الانبار وعشرون صندوقا ملآنة بالقماش وخمسون حاصلا للمعاش وغزة وعسقلان ومن دمياط الى اصوان وايوان كسرى انوشروان وملك سليمان ومن وادي نعمان الى ارض خراسان وبلخ واصبهان ومن الهند الى بلاد السودان وفيه اطال الله عمر مولانا القاضي غلائل وعراضي والف موسى ما نسي تحلق ذقن القاضي ان لم يخش عقابي ولم يحكم بان الجراب جرابي فلما سمع القاضي كلام الكردي تحير عقله من ذلك وقال ما اراكما الا شخصين نحسين او رجلين زنديقين تلعبان بالقضاة والحكام ولا تخشيان من الملام لانه ما وصف الواصفون ولا سمع السامعون بامر اعجب مما وصفتم ولا تكلم بمثل ما تكلمتم والله ان من الصين الى شجرة ام غيلان ومن بلاد فارس الى ارض السودان ومن وادي نعمان الى ارض خراسان لا يسع ما ذكرتماه ولا يصدق ما ادعيتماه فهل هذا الجراب بحر ليس له قرار او يوم العرض الذي يجمع الابرار والفجار ثم ان القاضي امر بفتح الجراب ففتحته واذا فيه خبز ولبون وجبن وزيتون ثم رميت الجراب قدام الكردي ومضيت فلما سمع الخليفة هذه الحكاية من علي البجمي استلقى على قفاه من الضحك واحسن جائزته

ومما يحكى ان جعفر البرمكي نادم الرشيد ليلة فقال الرشيد يا جعفر بلغني انك اشتريت الجارية الفلانية ولي مدة اتطلبها فانها على غاية من الجمال وقلبي يحبها في اشتغال فبعها لي فقال لا ابيعها يا امير المؤمنين فقال هبها لي فقال لا اهبها فقال الرشيد زيدة طالق ثلاثا ان لم تبعها لي او تهبها لي قال جعفر زوجتي طالق ثلاثا ان بعتها او وهبتها لك ثم افاقا من نشوتهما وعلما انهما وقعا في امر عظيم وعجزا عن تدبير الحيلة فقال الرشيد هذه واقعة ليس لها غير ابي يوسف فطلبوه وكان ذلك في نصف الليل فلما جاء الرسول قام فزعا وقال في نفسه ما طلبت في هذا الوقت الا لامر حدث في الاسلام ثم خرج مسرعا وركب بغلته وقال لغلامه خذ معك مخلاة البغلة لعلها لم تستوف عليقها فاذا دخلنا دار الخلافة فضع لها المخلاة حتى تأكل ما بقي من عليقها الى حين خروجي اذا لم تستوف عليقها في هذه الليلة فقال الغلام سمعا وطاعة فلما دخل على الرشيد قام له واجلسه على سريره بجانبه وكان لا يجلس معه احدا غيره وقال له ما طلبناك

فى هذا الوقت الا الامر مهم وهو كذا وكذا وقد عجزنا فى تدبير الحيلة فقال يا امير المؤمنين ان هذا الامر اسهل مما يكون ثم قال يا جعفر بع لامير المؤمنين نصفها وهب له نصفها وتبرا ان فى يمينكما بذلك فانسر امير المؤمنين بذلك وفعلا ما امرهما به ثم قال الرشيد احضروا الجارية فى هذا الوقت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخليفة هارون الرشيد قال احضروا الجارية فى هذا الوقت فانى شديد الشوق اليها فاحضروها وقال للقاضى ابى يوسف اريد وطئها فى هذا الوقت فانى لا اطيق الصبر عنها الى مضى مدة الاستبراء وما الحيلة فى ذلك فقال ابو يوسف ائتونى بمملوك من مماليك امير المؤمنين الذين لم يجر عليهم العتق فاحضروا مملوكا فقال ابو يوسف ائتذن لى ان ازوجها منه ثم يطلقها قبل الدخول فيحل وطؤها فى هذا الوقت من غير استبراء فاعجب الرشيد ذلك اكثر من الاول فلما حضر المملوك قال الخليفة للقاضى اذنت لك فى العقد فاوجب القاضى النكاح ثم قبله المملوك وبعد ذلك قال له القاضى طلقها ولك مائة دينار فقال لا افعل ولم يزل يزيده وهو يمتنع الى ان عرض عليه الف دينار ثم قال للقاضى هل الطلاق بيدى ام بيدك ام بيد امير المؤمنين قال بل بيدك قال والله لا افعل ابدا فاشتد غضب امير المؤمنين وقال ما الحيلة يا ابا يوسف قال القاضى ابو يوسف يا امير المؤمنين لا تجزع فان الامر هين ملك هذا المملوك للجارية قال ملكته لها قال لها القاضى قولى قبلت فقالت قبلت فقال القاضى حكمت بينهما بالتفريق لانه دخل فى ملكها فانفسخ النكاح فقام امير المؤمنين على قدميه وقال مثلك من يكون قاضيا فى زمانى واستدعى باطباق الذهب فافرغت بين يديه وقال للقاضى هل معك شئ نضعه فيه فتذكر مخلاة البغلة فاستدعى بها فملئت له ذهبا فاخذها وانصرف الى بيته فلما اصبح الصباح قال لاصحابه لا طريق الى الدين والدنيا اسهل واقرب من طريق العلم فانى اعطيت هذا المال العظيم فى مسألتين او ثلاث فانظروا ايها المتادب الى لطف هذه الواقعة فانها اشتملت على محاسن منها دلال الوزير على الرشيد وعلم الخليفة وزيادة علم القاضى فرحم الله تعالى ارواحهم اجمعين ومما يحكى ان خالدا ابن عبد الله القشيرى كان امير البصرة فجاءه جماعة متعلقون بشاب ذى جمال باهر وادب ظاهر وعقل وافر وهو حسن الصورة طيب الرايحة وعليه سكينة ووقار فقدموه الى خالد فسألهم عن قصته فقالوا هذا لص اصبناه البارحة فى منزلنا فنظر اليه خالد فاعجبه حسن هيئته ونظافته فقال اخلوا عنه ثم دنا منه وسأله عن قصته فقال ان القوم صادقون فيما قالوه والامر على ما ذكروا فقال له خالد ما حملك على ذلك وانت فى هيئة جميلة وصورة حسنة قال حملنى على ذلك الطمع فى الدنيا وقضاء الله سبحانه وتعالى فقال له خالد ثكلتك امك اما كان لك فى جمال وجهك وكمال عقلك وحسن ادبك زاجر يزجرك عن السرقة قال دع عنك هذا ايها الامير وامض الى ما امر الله تعالى به فذلك بما كسبت يداى وما الله بظلام للعبيد فسكت خالد ساعة يفكر فى امر الفتى ثم ادناه منه وقال له ان اعترافك على رؤس الاشهاد قد رابنى وانا ما اظنك سارقا ولعل لك قصة غير السرقة فاخبرنى بها قال ايها الامير لا يقع فى نفسك شئ سوى ما اعترفت به عندك وليس لى قصة اشرحها الا انى دخلت دار هؤلاء فسرقت ما امكننى فادركونى واخذوه منى وحملونى اليك فامر خالد بحبسه وامر منادیا ينادى بالبصرة الا من

احب ان ينظر الى عقوبة فلان اللص وقطع يده فليحضر من الغداة الى المحل الفلانى فلما استقر الفتى فى الحبس ووضعوا فى رجليه الحديد تنفس الصعداء وافاض العبرات وانشد هذه الابيات

هددنى خالد بقطع يدى * اذ لم ابح عنده بقصتها
فقلت هيهات ان ابوح بما * تضمن القلب من محبتها
قطع يدى بالذى اعترفت به * اهون للقلب من فضيحتها

فسمع ذلك الموكلون به فاتوا خالدا واخبروه بما حصل منه فلما جن الليل امر باحضاره عنده فلما حضر استنطقه فرأه عاقلا اديبا فطن ناظريفا لبيبا فامر له بطعام فاكل وتحدث معه ساعة ثم قال له خالد قد علمت ان لك قصة غير السرقة فاذا كان الصباح وحضر الناس وحضر القاضى وسألك عن السرقة فانكرها واذكر ما يدرء عنك حد القطع فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادرؤا الحدود بالشبهات ثم امر به الى السجن وادرك الشهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان خالدا بعد ان تحدث مع الشاب امر به الى السجن فمكث فيه ليلته فلما اصبح الصباح حضرت الناس ينظرون قطع يد الشاب ولم يبق احد فى البصرة من رجل ولا امرأة الا وقد حضر ليرى عقوبة ذلك الفتى وركب خالد ومعه وجوه اهل البصرة وغيرهم ثم استدعى بالقضاة وامر باحضار الفتى فاقبل يتحجل فى قيوده ولم ير احد من الناس الا بكى عليه وارتفعت اصوات النساء بالنحيب فامر القاضى بتسكيت النساء ثم قال له ان هؤلاء القوم يزعمون انك دخلت دارهم وسرقت مالهم لعلك سرقت دون النصاب قال بل سرقت نصابا كاملا قال له لك شريك القوم فى شئ منه قال بل هو جميعه لهم لا حق لى فيه فغضب خالد وقام اليه بنفسه وضربه على وجهه بالسوط وقال متمثلا بهذا البيت

يريد المرء ان يعطى مناه * ويابى الله الا ما يريد

ثم دعا بالجزار ليقطع يده فحضر واخرج السكين ومديده ووضع عليها السكين فبادرت جارية من وسط النساء عليها اطمار رثة فصرخت ورمت نفسها عليه ثم اسفرت عن وجه كانه القمر وارتفع للناس ضجة عظيمة وكاد ان يقع بسبب ذلك فتنة طائرة الشرر ثم نادت تلك الجارية باعلى صوتها ناشدتك الله ايها الامير لا تعجل بالقطع حتى تقرأ هذه الرقعة ثم دفعت اليه رقعة ففتحها خالد وقرأها فاذا مكتوب فيها هذه الابيات

اخالد هذا مستهام متيم * رمته لحاظى عن قسى الحمالق
فاصماه سهم اللحظ منى لانه * حليف جوى من دائه غير فائق
اقر بما لم يقترفه كانه * رأى ذا الثريا من هتيكة عاشق
فهلا عن الصب الكئيب فانه * كريم السجايا فى الورى غير سارق

فلما قرأ خالد الابيات تنحى وانفرد عن الناس واحضر المرأة ثم سألها عن القصة فاخبرته ان هذا الفتى عاشق لها وهى عاشقة له وانما اراد زيارتها فتوجه الى دار اهلها ورمى حجرا فى الدار ليعلمها بمجيئه فسمع ابوها واخوتها صوت الحجر فصعدوا اليه فلما احس بهم جمع فراش البيت كله واراهم انه سارق ستر

على معشوقته فلما رأوه على هذه الحالة اخذوه وقالوا هذا سارق واتوا به اليك فاعترف بالسرقة واصر على ذلك حتى لا يفضحني وقد ارتكب هذه الامور من رمى نفسه بالسرقة لفرط مروءته وكرم نفسه فقال خالد انه خليق بان يسعف بمراده ثم استدعى الفتى اليه فقبله بين عينيه وامر باحضار ابى الجارية وقال له ياشيخ انا كنا عزمنا على انفاذ الحكم فى هذا الفتى بالقطع ولكن الله عز وجل قد حفظنى من ذلك وقد امرت له بعشرة الاف درهم ليبذله بيده حفظا لعرضك وعرض بنتك وصيانتكما من العار وقد امرت لابنتك بعشرة الاف درهم حيث اخبرتنى بحقيقة الامر وانا اسألك ان تأذن لى فى تزويجها منه فقال الشيخ ايها الامير قد اذنت لك فى ذلك فحمد الله خالد واثنى عليه وخطب خطبة حسنة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان خالدا حمد الله واثنى عليه وخطب خطبة حسنة وقال للفتى قد زوجتك هذه الجارية فلانة الحاضرة باذنها ورضائها واذن ابيها على هذا المال وقدره عشرة الاف درهم فقال الفتى قبلت منك هذا التزويج ثم ان خالدا امر بحمل المال الى دار الفتى مزفوفا فى الصيوانى وانصرف الناس وهم مسرورون فما رأيت يوما اعجب من ذلك اليوم اوله بكاء وشرور وآخره فرح وسرور ومما يحكى ان جعفر البرمكى لما صلبه هارون الرشيد امر بصلب كل من نعاه اورثاه فكف الناس عن ذلك فاتفق ان اعرابيا كان ببادية بعيدة وفى كل سنة يأتى بقصيدة الى جعفر البرمكى المذكور فيعطيه الف دينار جائزة على تلك القصيدة فيأخذها وينصرف ويستمر ينفق منها على عياله الى آخر العام فجاءه ذلك الاعرابى بالقصيدة على عادته فلما جاء وجد جعفر مصلوبا فجاء الى المحل الذى هو مصلوب به وناح راحلته وبكى بكاء شديدا وحزن حزنا عظيما وانشد القصيدة ونام فرأى جعفر البرمكى فى المنام يقول له انك قد اتعبت نفسك وجئتنا فوجدتنا على ما رأيت ولكن توجه الى البصرة واسأل عن رجل اسمه كذا وكذا من تجار البصرة وقل له ان جعفر البرمكى يقرئك السلام ويقول لك اعطنى الف دينار بامارة الفولة فلما انتبه الاعرابى من نومه توجه الى البصرة فسأل عن ذلك التاجر واجتمع به وبلغه ما قاله جعفر فى المنام فبكى التاجر بكاء شديدا حتى كاد ان يفارق الدنيا ثم انه اكرم الاعرابى واجلسه عنده واحسن مثواه ومكث عنده ثلاثة ايام مكرما ولما اراد الانصراف اعطاه الفا وخمسمائة دينار وقال له الالف هى المأمور لك بها والخمسمائة اكرام منى اليك ولك فى كل سنة الف دينار وعند انصرافه قال للتاجر بالله عليك ان تخبرنى بخبر الفولة حتى اعرف اصلها فقال له انا كنت فى ابتداء الامر فقير الحال اطوف بالفول الحار فى شوارع بغداد وابيعه حيلة على المعاش فخرجت فى يوم بارد ماطر وليس على بدنى ما يقينى من البرد فتارة ارتعد من شدة البرد وتارة اقع فى ماء المطر وانا فى حالة كريهة تقشعر منها الجلود وكان جعفر فى ذلك اليوم جالسا فى قصر مشرف على الشارع وعنده خواصه ومحاظيه فوقع نظره على فرق حالى وارسل الى بعض اتباعه فاخذنى اليه وادخلنى عليه فلما رأنى قال لى بع ما معك من الفول على طائفتى فاخذت اكيله بمكيال كان معى فكل من اخذ كيلة فول يملاها ذهبا حتى فرغ جميع ما معى ولم يبق فى القفة شئ ثم جمعت الذهب الذى حصل لى على بعضه فقال لى هل بقى معك شئ من الفول قلت لا ادرى ثم فتشت القفة فلم اجد فيها سوى فولة واحدة فاخذها منى جعفر وفلقها نصفين

فاخذ نصفها واعطى النصف الثانى لاحدى محاظيه وقال بكم تشترين نصف هذه الغولة فقالت بقدر هذا الذهب مرتين فصرت متحيرا فى امرى وقلت فى نفسى هذا محال فبينما انا متعجب واذا بالمحظية امرت بعض جواريها فاحضرت ذهبا قدر الذهب المجتمع مرتين فقال جعفر وانا اشترى النصف الذى اخذته بقدر الجميع مرتين ثم قال لى جعفر خذ ثمن غولتك وامر بعض خدامه فجمع المال كله ووضعه فى قفتى فاخذته وانصرفت ثم جئت الى البصرة واتجرت بما معى من المال فوسع الله على ولله الحمد والمنة فاذا اعطيتك فى كل سنة الف دينار من بعض احسان جعفر ما ضر فى شئ فانظر مكارم اخلاق جعفر والثناء عليه حيا وميتا رحمة الله تعالى عليه ومما يحكى ان هارون الرشيد كان جالسا ذات يوم فى تخت الخلافة اذ دخل عليه غلام من الخواشية ومعه تاج من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر وفيه من سائر الياقوت والجواهر ما لا يفى به مال ثم ان ذلك الرجل قبل الارض بين يدى الخليفة وقال له يا امير المؤمنين ان السيدة زبيدة وادر لشهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها اختها ما احسن حديثك واطيبه واحلاه واعذبه فقالت واين هذا مما احدثكم به الليلة القابلة ان عشت وابقانى الملك فقال الملك فى نفسه والله لا اقتلها حتى اسمع بقية حديثها

فلما كانت الليلة الموفية للثلاثمائة

قالت لها اختها يا اختى اتممى لنا حديثك قالت حبا وكرامة ان اذن لى الملك فقال الملك احدثى يا شهرزاد قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الغلام قال للخليفة ان السيدة زبيدة تقبل الارض بين يديك وتقول لك انت تعرف انها قد عملت هذا التاج وانه محتاج الى جوهرة كبيرة تكون فى رأسه وفتشت دخائرها فلم تجد فيها جوهرة كبيرة على غرضها فقال الخليفة للحجاب والنواب فتشوا على جوهرة كبيرة على غرض زبيدة ففتشوا فلم يجدوا شيأ يوافقها فاعلموا الخليفة بذلك فضاق صدره وقال كيف اكون خليفة وملك ملوك الارض واعجز عن جوهرة ويلكم فاسألوا التجار فسألوا التجار فقالوا لهم لا يجد مولانا الخليفة الجوهرة الا عند رجل من البصرة يسمى ابا محمد الكسلان فاخبروا الخليفة بذلك فامر وزيره جعفر ان يرسل بطاقة الى الامير محمد الزيدى المتولى على البصرة ان يجهز ابا محمد الكسلان ويحضره بين يدى امير المؤمنين فكتب الوزير بطاقة بمضمون ذلك وارسلها مع مسرور ثم توجه مسرور بالبطاقة الى مدينة البصرة ودخل على الامير محمد الزيدى ففرح به واكرمه غاية الاكرام ثم قرأ عليه بطاقة امير المؤمنين هارون الرشيد فقال سمعا وطاعة ثم ارسل مسرورا مع جماعة من اتباعه الى ابى محمد الكسلان فتوجهوا اليه وطرقوا عليه الباب فخرج لهم بعض الغلمان فقال له مسرور قل لسيدك ان امير المؤمنين يطلبك فدخل الغلام واخبره بذلك فخرج فوجد مسرورا حاجب الخليفة ومعه اتباع الامير محمد الزيدى فقبل الارض بين يديه وقال سمعا وطاعة لامير المؤمنين ولكن ادخلوا عندنا فقالوا ما نقدر على ذلك الا على عجل كما امرنا امير المؤمنين فانه ينتظر قدومك فقال اصبروا على يسيرا حتى اجهز امرى ثم دخلوا معه الى الدار بعد استعطافه زائد فرأوا فى الدهليز ستورا من الديباج الازرق المطرز بالذهب الاحمر ثم ان ابا محمد الكسلان امر بعض غلمانه ان يدخلوا مع مسرور الحمام الذى فى الدار ففعلوا فرأى حيطانه ورخامه من الغرائب وهو مزركش بالذهب والفضة وماؤه ممزوج بماء الورد واحتفل الغلمان بمسرور ومن معه وخدموهم اتم الخدمة ولما خرجوا من الحمام البسوهم خلعا من الديباج منسوجة بالذهب ثم دخل مسرور واصحابه

فوجدوا ابا محمد الكسلان جالسا فى قصره وقد علقت على رأسه ستور من الديباج المنسوج بالذهب المرصع بالدر والجوهر والقصر مفروش بمساند مزركشة بالذهب الاحمر وهو جالس على مرتبته والمرتبة على سرير مرصع بالجواهر فلما دخل عليه مسرور رحب به وتلقاه واجلسه بجانبه ثم امر باحضار السماط فلما رأى مسرور ذلك السماط قال والله ما رأيت عند امير المؤمنين مثل ذلك السماط ابدا وكان فى ذلك السماط انواع الاطعمة وكلها موضوعة فى اطباق صينى مذهبة قال مسرور فاكلنا وشربنا وفرحنا الى آخر النهار ثم اعطانا كل واحد خمسة الاف دينار ولما كان اليوم الثانى البسونا خلعا خضرا مذهبة واكرمونا غاية الاكرام ثم قال له مسرور لا يمكننا ان نقعد زيادة على تلك المدة خوفا من الخليفة فقال له ابو محمد الكسلان يا مولانا اصبر علينا الى غد حتى نتجهز ونسير معكم فقعدوا ذلك اليوم وباتوا الى الصباح ثم ان الغلمان شدوا لابى محمد الكسلان بغلة بسرج من الذهب مرصع بانواع الدر والجواهر فقال مسرور فى نفسه يا ترى اذا حضر ابو محمد بين يدى الخليفة بتلك الصفة هل يسأله عن سبب تلك الاموال ثم بعد ذلك ودعوا ابا محمد الزبيدى وطلعوا من البصرة وساروا ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى مدينة بغداد فلما دخلوا على الخليفة ووقفوا بين يديه امره بالجلوس فجلس ثم تكلم بادب وقال يا امير المؤمنين انى جئت معى بهدية على وجه الخدمة فهل احضرها عن اذنك قال الرشيد لا باس بذلك فامر بصندوق وفتحه واخرج منه تحفا من جملتها اشجار من الذهب واوراقها من الزمرد الابيض وثمارها ياقوت احمر واصفر ولؤلؤ ابيض فتعجب الخليفة من ذلك ثم احضر صندوقا ثانيا واخرج منه خيمة من الديباج مكللة باللؤلؤ والياقوت والزمرد والزبرجد وانواع الجواهر وقوايمها من عود هندى رطب واذيال تلك الخيمة مرصعة بالزمرد الاخضر وفيها تصوير كل الصور من سائر الحيوانات كالطيور والوحوش وتلك الصور مكللة بالجواهر والياقيت والزمرد والزبرجد والبلخش وسائر المعادن فلما رأى الرشيد ذلك فرح فرحا شديدا ثم قال ابو محمد الكسلان يا امير المؤمنين لا تظن انى حملت لك هذا فزعا من شئ ولا طمعا فى شئ وانما رأيت نفسى رجلا عاميا ورأيت هذا لا يصلح الا لامير المؤمنين وان اذنت لى فرجتك على بعض ما اقدر عليه فقال الرشيد افعل ما شئت حتى تنظر فقال سمعا وطاعة ثم حرك شفتيه واومأ الى شرايف القصر فمالت اليه ثم اشار اليها فرجعت الى موضعها ثم اشار بعينه فظهرت اليه مقاصير مقفلة الابواب ثم تكلم عليها واذا باصوات طيور تجاوبه فتعجب الرشيد من ذلك غاية العجب وقال له من اين لك هذا كله وانت ما تعرف الا ابا محمد الكسلان واخبرونى ان ابالك كان حجاما يخدم فى حمام وما خلف لك شيأ فقال يا امير المؤمنين اسمع حديثى وادوك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الاولى بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابا محمد الكسلان قال للخليفة يا امير المؤمنين اسمع حديثى فانه عجيب وامره غريب لو كتب بالابر على اماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر فقال الرشيد حدث بما عندك واخبرنى به يا ابا محمد فقال اعلم يا امير المؤمنين ادام الله لك العز والتمكين ان اخبار الناس بانى اعرف بالكسلان وان ابى لم يخلف لى مالا صدق لان ابى لم يكن الا كما ذكرت فانه كان حجاما فى حمام وكنت انا فى صغرى اكسل من يوجد على وجه الارض وبلغ من كسلى انى اذا كنت نائما فى ايام الحر وطلعت على الشمس

اكسل عن ان اقوم وانتقل من الشمس الى الظل واقمت على ذلك خمسة عشر عاما ثم ان ابى توفى الى رحمة
الله تعالى ولم يخلف لى شيأ وكانت امى تخدم الناس وتطعمنى وتسقينى وانا راقد على جنبى فاتفق ان امى
دخلت على فى بعض الايام ومعها خمسة دراهم من الفضة وقالت لى يا ولدى بلغنى ان الشيخ ابا المظفر
عزم على ان يسافر الى الصين وكان ذلك الشيخ يحب الفقراء وهو من اهل الخير فقالت امى يا ولدى خذ هذه
الخمسة دراهم وامض بنا اليه ونسأله ان يشترى لك بها شيأ من بلاد الصين لعله يحصل لك فيه ربح
من فضل الله تعالى فكسلت عن القيام معها فاقسمت بالله ان لم اقم معها انها لا تطعمنى ولا تسقينى
ولا تدخل على بل تتركنى اموت جوعا وعطشا فلما سمعت كلامها يا امير المؤمنين علمت انها تفعل ذلك
لما تعلم من كسلى فقلت لها اقعدينى فاقعدتنى وانا باكى العين وقلت ائتينى بمدامعى فاتتنى به فقلت
ضعيه فى رجلى فوضعته فيهما فقلت لها الحقينى حتى ترفعينى من الارض ففعلت ذلك فقلت اسندينى
حتى امشى فصارت تسندنى ومازلت امشى وانعثر فى اذيالى الى ان وصلنا الى ساحل البحر فسلمنا على
الشيخ وقلت له يا عم انت المظفر قال لبيك قلت خذ هذه الدراهم واشتر بها الى شيأ من بلاد الصين عسى الله
ان يربحنى فيه فقال الشيخ ابو المظفر لاصحابه اتعرفون هذا الشاب قالوا نعم هذا يعرف بابى محمد الكسلان
وما رأيناه قط خرج من داره الا فى هذا الوقت فقال الشيخ ابو المظفر يا ولدى هات الدراهم على بركة الله
تعالى ثم اخذ منى الدراهم وقال بسم الله ثم رجعت مع امى الى البيت وتوجه الشيخ ابو المظفر الى السفر
ومعه جماعة من التجار ولم يزالوا مسافرين حتى وصلوا الى بلاد الصين ثم ان الشيخ باع واشترى وبعد ذلك
توجه الى الرجوع هو ومن معه بعد قضاء اغراضهم وساروا فى البحر ثلاثة ايام فقال الشيخ لاصحابه
قفوا بالمركب فقال التجار ما حاجتك فقال اعلموا ان الرسالة التى معى لابى محمد الكسلان نسيتها
فارجعوا بنا حتى نشترله بها شيأ ينتفع به فقالوا له سألناك بالله تعالى ان لا تردنا فانا قطعنا مسافة
طويلة زائدة وحصل لنا فى ذلك اهوال عظيمة ومشقة زائدة فقال لابد لنا من الرجوع فقالوا اخذ منا
اضعاف ربح الخمسة دراهم ولا تردنا فسمع منهم وجمعوا له مالا جزيلا ثم ساروا حتى اشرفوا على جزيرة فيها
خلق كثير فارسوا عليها وطلع التجار يشترون منها متجرا من معادن وجواهر ولؤلؤ وغير ذلك ثم رأى
ابو المظفر رجلا جالسا وبين يديه قرود كثيرة وبينهم قرد منتوف الشعر وكانت تلك القرود كلما غفل
صاحبهم يمسكون ذلك القرد المنتوف ويضربونه ويرمونه على صاحبهم فيقوم يضربهم ويقيدهم
ويعذبهم على ذلك فتغتاظ القرود كلها من ذلك القرد ويضربونه ثم ان الشيخ ابا المظفر لما رأى ذلك القرد
حزن عليه ورفق به فقال لصاحبه اتبيعنى هذا القرد قال اشتر قال ان معى لصبى يتيم خمسة دراهم هل
تبيعنى اياه بها قال له بعتك بارك الله لك فيه ثم تسلمه واقبضه الدراهم واخذ القرد عبيد الشيخ وربطوه
فى المركب ثم حملوا وسافروا الى جزيرة اخرى فارسوا عليها فنزل الغطاسون الذين يغطسون على المعادن
واللؤلؤ والجوهر وغير ذلك فاعطاهم التجار دراهم اجرة على الغطاس فغطسوا فرأهم القرد يفعلون
ذلك فحل نفسه من رباطه ونط من المركب وغطس معهم فقال ابو المظفر لا حول ولا قوة الا بالله العلى
العظيم قد عدم القرد منا بخت هذا المسكين الذى اخذناه له ويئسوا من القرد ثم طلع جماعة
الغطاسين واذا بالقرد طلع معهم وفى يديه نفائس الجواهر فرماها بين يدى ابى المظفر فتعجب من ذلك وقال
ان هذا القرد فيه سر عظيم ثم حملوا وسافروا الى ان وصلوا جزيرة تسمى جزيرة الزنوج وهم قوم من
السودان يأكلون لحم بنى آدم فلما رأوهم السودان ركبوا عليهم فى القوارب وانوا اليهم واخذوا كل من

فى المركب وكتفوهم واتوابهم الى الملك فامرهم بذبح جماعة من التجار فذبحوهم واكلوا لحومهم ثم ان بقية التجار باتوا محبوسين وهم فى نكد عظيم فلما كان وقت الليل قام القرد الى ابى المظفر وحل قيده فلما رأى التجار ابا المظفر قد انحل قالوا عسى الله ان يكون خلاصنا على يديك يا ابا المظفر فقال لهم اعلموا انه ما خلصنى بارادة الله تعالى الا هذا القرد وادر لك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابا المظفر قال ما خلصنى بارادة الله تعالى الا هذا القرد وقد خرجت له عن الف دينار فقال التجار ونحن كذلك كل واحد منا خرج له عن الف دينار ان خلصنا فقام القرد اليهم وصار يحل واحدا بعد واحد حتى حل الجميع من قيودهم وذهبوا الى المركب وطلعوا فيها فوجدوها سالمة ولم ينقص منها شئ ثم حلوا وسافروا فقال ابو المظفر يا تجار اوفوا بالذى قلتم عليه للقرد فقالوا سمعا وطاعة ودفع له كل واحد منهم الف دينار واخرج ابو المظفر من ماله الف دينار فاجتمع للقرد من المال شئ عظيم ثم سافروا حتى وصلوا الى مدينة البصرة فتلقاهم اصحابهم حتى طلعوا من المركب فقال ابو المظفر اين ابو محمد الكسلان فبلغ الخبر الى امى فبينما انا نائم اذا قبلت على امى وقالت يا ولدى ان الشيخ ابا المظفر قد اتى وصل الى المدينة فقم وتوجه اليه وسلم عليه واسأله عن الذى جاء به لك فلعل الله تعالى يكون قد فتح عليك بشئ فقلت لها احملينى من الارض واسندينى حتى اخرج وامشى الى ساحل البحر ثم مشيت وانا اتعثر فى اذيالى حتى وصلت الى الشيخ ابى المظفر فلما رأنى قال لى اهلا بمن كانت دراهمه سببا لخلاصى وخلاص هؤلاء التجار بارادة الله تعالى ثم قال لى خذ هذا القرد فانى اشتريته لك وامض به الى بيتك حتى اجيء اليك فاخذت القرد بين يدى ومضيت وقلت فى نفسى والله ما هذا الا متجر عظيم ثم دخلت بيتى وقلت لامى كلما انام تأمرينى بالقيام لاتجر فانظرى بعينك هذا المتجر ثم جلست فبينما انا جالس واذا بعبيد ابى المظفر قد اقبلوا على وقالوا الى هل انت ابو محمد الكسلان فقلت لهم نعم واذا بابى المظفر اقبل خلفهم فقمت اليه وقبلت يديه وقال لى سر معى الى دارى فقلت سمعا وطاعة وسرت معه الى ان دخلت الدار فامر عبيده ان يحضروا بالمال فحضروا به فقال يا ولدى لقد فتح الله عليك بهذا المال من ربح الخمسة دراهم ثم حملوه فى صناديق وقعه على رؤسهم واعطانى مفاتيح تلك الصناديق وقال لى امض قدام العبيد الى دارك فان هذا المال كله لك فمضيت الى امى ففرحت بذلك وقالت يا ولدى لقد فتح الله عليك بهذا المال الكثير فدع عنك هذا الكسل وانزل السوق وبع واشتر فتركت الكسل وفتحت دكانا فى السوق وصار القرد يجلس معى على مرتبتى فاذا اكلت يأكل معى واذا شربت يشرب معى وصار كل يوم من بكرة النهار يغيب الى وقت الظهر ثم يأتى ومعه كيس فيه الف دينار فيضعه فى جانبى ويجلس ولم يزل على هذه الحالة مدة من الزمان حتى اجتمع عندى مال كثير فاشتريت يا امير المؤمنين الاملاك والربوع وغرست البساتين واشتريت المماليك والعبيد والجوارى فاتفق فى بعض الايام انى كنت جالسا والقرد جالس معى على المرتبة واذا به التفت يمينا وشمالا فقلت فى نفسى اى شئ خبره هذا فانطق الله القرد بلسان فصيح وقال يا ابا محمد فلما سمعت كلامه فزعت فزعا شديدا فقال لى لا تفزع انا اخبرك بحالى انى مارد من الجن ولكنى جئتك بسبب ضعف حالك وانت اليوم لا تدرى قدر مالك وقد وقعت لى عندك حاجة وهى خير لك فقلت ما هى فقال اريد ان ازوجك بصبية مثل البدر فقلت له

وكيف ذلك فقال لى فى غد البس ثيابك الفاخر واركب بغلتك بالسرج الذهب وامض الى سوق العلافين واسأل عن دكان الشريف واجلس عنده وقل له انى جئتك خاطبا راغبا فى ابنتك فان قال لك انت ليس لك مال ولا حسب ولا نسب فادفع له الف دينار فان قال لك زدنى فزده ورغبه فى المال فقال سمعا وطاعة فى غد افعل ذلك ان شاء الله تعالى قال ابو محمد فلما اصبحت لبست افخر ثيابى وركبت البغلة بالسرج الذهب ثم مضيت الى سوق العلافين وسألت عن دكان الشريف فوجدته جالسا فى دكانه فنزلت وسلمت عليه وجلست عنده وادركنا شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابا محمد الكسلان قال فنزلت وسلمت عليه وجلست عنده وكان معى عشرة من العبيد والمماليك فقال الشريف لعل لك عندنا حاجة تفوز بقضائها فقلت نعم لى عندك حاجة قال وما حاجتك فقلت جئتك خاطبا راغبا فى ابنتك فقال لى انت ليس لك مال ولا حسب ولا نسب فاخرجت له كيسا فيه الف دينار ذهبا احمر وقلت له هذا حسبى ونسبى وقد قال صلى الله عليه وسلم نعم الحسب المال وما احسن قول من قال

من كان يملك درهمين تعلمت * شفتاه انواع الكلام فقالا
وتقدم الاخوان فاستعوله * ورأيته بين الورى مختالا
لولا دراهمه التى يزهو بها * لوجدته فى الناس اسوء حالا
ان الغنى اذا تكلم بالخطا * قالوا صدقت وما نطقت محالا
اما الفقير اذا تكلم صادقا * قالوا كذبت وابطلوا ما قالا
ان الدراهم فى المواطن كلها * تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهى اللسان لمن اراد فصاحة * وهى السلاح لمن اراد قتالا

فلما سمع الشريف منه هذا الكلام وفهم الشعر والنظام اطرق برأسه الى الارض ساعة ثم رفع رأسه وقال له ان كان ولابد فانى اريد منك ثلاثة الاف دينار اخرى فقلت سمعا وطاعة ثم ارسلت بعض المماليك الى منزلى فجاءنى بالمال الذى طلبه فلما رأى ذلك وصل اليه قام من الدكان وقال لغلمانه اقفلوها ثم دعا اصحابه من السوق الى داره وكتب كتابى على بنته وقال لى بعد عشرة ايام ادخل عليها ثم مضيت الى منزلى وانا فرحان فخلوت مع القرد واخبرته بما جرى لى فقال نعم ما فعلت فلما قرب ميعاد الشريف قال لى القردان لى عندك حاجة ان قضيتها لى فلك عندى ما شئت قلت وما حاجتك قال لى ان فى صدر القاعة التى تدخل فيها على بنت الشريف خزانة وعلى بابها حلقة من نحاس والمفاتيح تحت الحلقة فخذها وافتح الباب تجد صندوقا من حديد على اركانه اربع رايات من الطلسم وفى وسط ذلك طشت مملوء من المال وفى جانبه احدى عشرة حية وفى الطشت ديك افرق ابيض مربوط وهناك سكين بجنب الصندوق فخذ السكين واذبح بها الديك وقطع الرايات وكب الصندوق وبعد ذلك اخرج للعروسة وازل بكارتها فهذه حاجتى عندك فقلت له سمعا وطاعة ثم مضيت الى دار الشريف فدخلت القاعة ونظرت الى الخزانة التى وصفها لى القرد فلما خلوت بالعروسة تعجبت من حسنها وجمالها وقدها واعتدالها لانها لا تستطيع الالسن ان تصف حسنها وجمالها ثم فرحت بها فرحا شديدا فلما كان نصف الليل ونامت

العروسة تحت اخذت المفاتيح وفتحت الخزانة واخذت السكين وذبحت الديك ورميت الرايات وقلبت الصندوق فاستيقظت الصبية فرأت الخزانة قد فتحت والديك قد ذبح فقالت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قد اخذني المارد فلما استمعت كلامها الا وقد احاط المارد بالدار وخطف العروسة فعند ذلك وقعت الضجة واذا بالشريف قد اقبل وهو يلطم على وجهه وقال يا ابا محمد ما هذا الفعل الذي فعلته معنا هل هذا جزاؤنا منك وانا قد عملت هذا الطلسم في هذه الخزانة خوفا على بنتي من هذا الملعون فانه كان يقصد اخذ هذه الصبية من منذ ست سنين ولا يقدر على ذلك ولكن ما بقي لك عندنا مقام فامض الى حال سبيلك فخرجت من دار الشريف وجئت الى داري وفتشت على القرد فلم اجده ولم ار له اثرا فعلمت انه هو المارد الذي اخذ زوجتي وتحيل علي حتى فعلت ذلك بالطلسم والديك اللذين كانا يمنعانه من اخذها فندمت وقطعت انوابي واطمت على وجهي ولم تسعني ارض فخرجت من ساعتي وقصدت البرية ولم ازل سائرا الى ان امسى علي المساء ولا اعلم اين اروح فبينما انا مشغول الفكرة اذا قبل علي حيتان واحدة سمراء والاخرى بيضاء وهما يتقاتلان فاخذت حجرا من الارض وضربت به الحية السمراء فقتلتها فانها كانت باغية على البيضاء ثم ذهبت الحية البيضاء فغابت ساعة وعادت ومعها عشر حيات بيض فجاؤا الى الحية التي ماتت وقطعوها قطعا حتى لم يبق الا رأسها ثم مضوا الى حال سبيلهم واضطجعت في مكاني من التعب فبينما انا مضطجع متفكر في امري واذا انا بهاتف اسمع صوته ولم ار شخصه وهو يقول هذين البيتين

دع المقادير تجري في اعنتها * ولا تبيتن الا خالي البال
ما بين طرفة عين وانتباهتها * يغير الله من حال الى حال

فلما سمعت ذلك لحقني يا امير المؤمنين امر شديد وفكر ما عليه من مزيد واذا بصوت من خلفي اسمعه ينشد هذين البيتين

يا مسلما امامه القران * ابشر به قد جاءك الامان
ولا تخف ما سول الشيطان * فنحن قوم دينا الايمان

فقلت له بحق معبودك ان تعرفني من انت فانقلب ذلك الهاتف في صورة انسان وقال لي لا تخف فان جبلك قد وصل الينا ونحن قوم من جن المؤمنين فان كان لك حاجة فاخبرنا بها حتى نفوز بقضائها فقلت له ان لي حاجة عظيمة لاني اصبت بمصيبة جسيمة ومن الذي حصل له مثل مصيبتي فقال لي لعلك ابو محمد الكسلان فقلت نعم فقال يا ابا محمد انا اخو الحية البيضاء التي قتلت انت عدوها ونحن اربعة اخوة من اب وام وكلنا شاكرون لفضلك واعلم ان الذي كان على صورة القرد وفعل معك المكيدة مارد من مردة الجن ولولا انه تحيل بهذه الحيلة ما كان يقدر على اخذها ابدا لان له مدة طويلة وهو يريد اخذها فيمنعه من ذلك هذا الطلسم ولو بقي ذلك الطلسم ما كان يمكنه الوصول اليها ولكن لا تجزع من هذا الامر فنحن نوصلك اليها ونقتل المارد فان جبلك لا يضيع عندنا ثم انه صاح صيحة عظيمة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العفريت قال فان جبلك لا يضيع عندنا ثم انه صاح صيحة عظيمة

بصوت هائل واذا بجماعة قد اقبلوا عليه فسألهم عن الفرد فقال واحد منهم انا اعرف مستقره قال
اين مستقره قال فى مدينة النحاس التى لا تطلع عليها الشمس فقال يا ابا محمد خذ عبدا من عبيدنا وهو
يحملك على ظهره ويعلمك كيف تأخذ الصبية واعلم ان ذلك العبد مارد من المردة فاذا حملك لا تذكر اسم
الله وهو حاملك فانه يهرب منك فتقع وتهلك فقلت سمعا وطاعة واخذت عبدا من عبيدهم فانحنى
وقال اركب فركبت ثم طار بى فى الجو حتى غاب عن الدنيا ورأيت النجوم كالجبال الرواسى وسمعت
تسبيح الملائكة فى السماء كل هذا والمارد يحدثنى ويفرحنى ويلهينى عن ذكر الله تعالى فبينما انا كذلك
واذا بشخص عليه لباس اخضر وله ذوائب شعر ووجه منير وفى يده حربة يطير منها الشرر قد اقبل علىّ
وقال لى يا ابا محمد قل لا اله الا الله محمد رسول الله والا ضربتك بهذه الحربة وكانت مهجتى قد تقطعت من
سكوتى عن ذكر الله تعالى فقلت لا اله الا الله محمد رسول الله ثم ان ذلك الشخص ضرب المارد بالحربة فذاب
وصار رمادا وسقطت من فوق ظهره فصرت اهوى الى الارض حتى وقعت فى بحر عجاج متلاطم بالامواج
واذا بسفينة فيها خمسة اشخاص بحرية فلما رأونى اتوا الى وحملونى فى السفينة وجعلوا يكلمونى بكلام
لا اعرفه فاشرت لهم انى لا اعرف كلامكم فساروا الى آخر النهار ثم رموا شبكة واصطادوا حوتا وشووه
واطعمونى ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا بى الى مدينتهم فدخلوا بى الى ملكهم واوقفونى بين يديه فقبلت
الارض فخلع علىّ وكان ذلك الملك يعرف بالعربية فقال قد جعلتك من اعوانى فقلت له ما اسم هذه
المدينة قال اسمها هنادو وهى من بلاد الصين ثم ان الملك سلمنى الى وزير المدينة وامره ان يفرجنى فى المدينة
وكان اهل تلك المدينة فى الزمن الاول كفارا فمسخهم الله تعالى حجارة فتفرجت فيها ولم ار اكثر من
اشجارها واثمارها فاقمت فيها مدة شهر ثم اتيت الى نهر وجلست على شاطئه فبينما انا جالس واذا بفارس
قد اتانى وقال هل انت ابو محمد الكسلان فقلت له نعم قال لا تخف فان جميلك وصل الينا فقلت له من انت قال
انا اخو الحية وانت قريب من مكان الصبية التى تريد الوصول اليها ثم خلع ثوابه والبسنى اياها وقال لى
لا تخف فان العبد الذى حملك من تحتك بعض عبيدنا ثم ان ذلك الفارس اردفنى خلفه وسار بى الى بربة
وقال انزل من خلفى وسر بين هذين الجبلين حتى ترى مدينة النحاس فقف بعيدا عنها ولا تدخلها
حتى اعود اليك واقول لك كيف تصنع فقلت له سمعا وطاعة ونزلت من خلفه ومشيت حتى وصلت
الى المدينة فرأيت سورها من نحاس فجعلت ادور حولها لعلى اجد لها بابا فما وجدت لها بابا فبينما
انا ادور حولها واذا باخى الحية قد اقبل علىّ واعطانى سيفا مطلسما حتى لا يرانى احد ثم انه مضى الى
حال سبيله فلم يغب عنى الا قليلا واذا بصياح قد علا ورأيت خلقا كثيرا واعينهم فى صدورهم فلما رأونى
قالوا من انت وما الذى رمالك فى هذا المكان فاخبرتهم بالواقعة فقالوا ان الصبية التى ذكرتها مع المارد
فى هذه المدينة وما ندرى ما فعل بها ونحن اخوة الحية ثم قالوا امض الى تلك العين وانظر من اين يدخل
الماء وادخل معه فانه يوصلك الى المدينة ففعلت ذلك ودخلت مع الماء فى سرداب تحت الارض ثم طلعت
منه فرأيت نفسى فى وسط المدينة ووجدت الصبية جالسة على سرير من ذهب وعليها ستارة من ديباج
وحول الستارة بستان فيه اشجار من الذهب واثمارها من نفيس الجواهر كالياقوت والزبرجد
واللؤلؤ والمرجان فلما رأتنى تلك الصبية عرفتنى وابتدأتنى بالسلام وقالت لى يا سيدى من اوصلك الى هذا
المكان فاخبرتها بما جرى فقالت اعلم ان هذا الملعون من كثرة محبته لى اعلمنى بالذى يضره والذى ينفعه
واعلمنى ان فى هذه المدينة طلسما ان شاء هلاك جميع من فى المدينة اهلكهم به وسمها امر العفاريت فانهم

يمتثلون امره وذلك الطلسم فى عمود فقلت لها واين العمود فقالت فى المكان الفلانى فقلت واى شئ يكون ذلك الطلسم قالت هو صورة عقاب وعليه كتابة لا اعرفها فخذه بين يديك وخذ مجمرة نار وارم فيها شيأ من المسك فيطلع دخان يجذب العفاريت فاذا فعلت ذلك فانهم يحضرون بين يديك كلهم ولا يغيب منهم احد ويمتثلون امرك ومهما امرتهم به فانهم يفعلونه فقم وافعل ذلك على بركة الله تعالى فقلت لها سمعا وطاعة ثم قمت وذهبت الى ذلك العمود وفعلت جميع ما امرتنى به فجاءت العفاريت وحضرت بين يدى. وقالوا لبيك ياسيدى فهما امرتنا به فعلناه فقلت لهم قيدوا المارد الذى جاء بهذه الصبية من مكانها فقالوا سمعا وطاعة ثم ذهبوا الى ذلك المارد وقيدوه وشدوا وثاقه. ورجعوا الى وقالوا قد فعلنا ما امرتنا به فامرتهم بالرجوع ثم رجعت الى الصبية واخبرتها بما حصل ثم قلت يا زوجتى هل تروحين معى فقالت نعم ثم انى طلعت بها من السرداب الذى دخلت منه وسرنا حتى وصلنا الى القوم الذين كانوا دلونى عليها وادركنا شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه قال وسرنا حتى وصلنا الى القوم الذين كانوا دلونى عليها ثم قلت دلونى على طريق توصلنى الى بلادى فدلونى ومشوا معى الى ساحل البحر وانزلونى فى مركب وطاب لنا الريح وسارت بنا تلك المركب حتى وصلنا الى مدينة البصرة فلما دخلت الصبية دارا بيهار أهاها اهلها ففرحوا بها فرحا شديدا ثم انى بخرت العقار بالمسك واذا بالعفاريت قد اقبلوا على من كل مكان وقالوا لبيك نحن نريد ان تفعل فامرتهم ان ينقلوا كل ما فى مدينة النحاس من المال والمعادن والجواهر الى دارى التى فى البصرة ففعلوا ذلك ثم امرتهم ان يأتوا بالقرد فاتوا به ذليلا حقيرا فقلت له يا ملعون لاى شئ غدرت بى ثم امرتهم ان يدخلوه فى قمقم من نحاس فادخلوه فى قمقم ضيق من نحاس وسدوا عليه بالرصاص واقمت انا وزوجتى فى هناء وسرور وعندى الان يا امير المؤمنين من نفائس الذخائر وغرائب الجواهر وكثير الاموال ما لا يحيط به عد ولا يحصره حد واذا طلبت شيأ من المال او غيره امرت الجن ان يأتوا لك به فى الحال وكل ذلك من فضل الله تعالى فتعجب امير المؤمنين من ذلك غاية العجب ثم اعطاه من مواهب الخلافة عوضا عن هديته وانعم عليه انعاما يليق به وعما يحكى ان هارون الرشيد استدعى رجلا من اعوانه يقال له صالح قبل الوقت الذى تغير فيه على البرامكة فلما حضر بين يديه قال له يا صالح سر الى منصور وقل له ان لنا عندك الف الف درهم والرأى قد اقتضى انك تحمل لنا هذا المبلغ فى هذه الساعة وقد امرتك يا صالح انه ان لم يحصل لك ذلك المبلغ من هذه الساعة الى قبل المغرب ان تزيل رأسه عن جسده وتأتينى به فقال صالح سمعا وطاعة ثم سار الى منصور واخبره بما ذكره امير المؤمنين فقال منصور قد هلكت والله فان جميع تعلقاتى وما تملكه يدى اذا بيعت باغلى قيمة لا يزيد ثمنها على مائة الف فمن اين اقدر يا صالح على التسعمائة الف درهم الباقية فقال له صالح دبر لك حيلة تتخلص بها عاجلا والا هلكت فانى لا اقدر ان اتمهل عليك لحظة بعد المدة التى عينها الخليفة ولا اقدر ان افعل شيأ مما امرنى به امير المؤمنين فاسرع بحيلة تخلص بها نفسك قبل ان تتصرم الاوقات فقال منصور يا صالح اسألك من فضلك ان تحملنى الى بيتى لاودع اولادى واهلى واوصى اقاربى فقال صالح نهضت معه الى بيته فجعل يودع اهله وارتفع الضجيج فى منزله وعلا البكاء والصياح والاستغاثة بالله تعالى

فقال

فقال صالح قد خطر ببالي ان الله يجعل لك الفرج على يد البرامكة فاذهب بنا الى دار يحيى بن خالد فلما ذهبا الى يحيى بن خالد اخبره بحاله فاغتم لذلك واطرق الى الارض ساعة ثم رفع رأسه واستدعى خازن داره وقال له كم في خزنتنا من الدراهم فقال له مقدار خمسة الاف درهم فامر باحضارها ثم ارسل رسولا الى ولده الفضل برسالة مضمونها انه قد عرض علينا مبيع ضياع جليلة لا تخرب ابدا فارسل لنا شيأ من الدراهم فارسل اليه الف الف درهم ثم ارسل انسانا آخر الى ولده جعفر برسالة مضمونها انه حصل لنا شغل مهم ونحتاج فيه الى شيء من الدراهم فانفذ له جعفر في الحال الف الف درهم ولم يزل يحيى يرسل ناسا الى البرامكة حتى جمع منهم لمنصور مالا كثيرا وصالح ومنصور لا يعلمان بهذا الامر فقال منصور ليحيى يا مولاي قد تمسكت بذيلك وما اعرف هذا المال الا لك كما هو عادة كرمك فتمم لي بقية ديني واجعلني عتيقك فاطرق يحيى وبكى وقال يا غلام ان امير المؤمنين قد كان وهب لجاريتنا دنانير جوهرة عظيمة القيمة فاذهب اليها وقل لها ترسل لنا هذه الجوهرة فمضى الغلام واتى بها اليه فقال يا صالح انا ابتعت هذه الجوهرة لامير المؤمنين من التجار بمائتي الف دينار ووهبها امير المؤمنين لجاريتنا دنانير العواده واذا راها معك عرفها واكرمك وحقن دمك من اجلنا اكراما لنا وقد تم الان مالك يا منصور قال صالح فحملت المال والجوهرة الى الرشيد ومنصور معي فبينما نحن في الطريق اذ سمعته يتمثل بهذا البيت

وما حبا سعت قدمي اليهم * ولكن خفت من ضرب النبال

فعجبت من سوء طبعه ورداءته وفساده وخبث اصله وميلاده وردد ت عليه وقلت له ما على وجه الارض خير من البرامكة ولا اخبث ولا اشر منك فانهم اشتروك من الموت وانقذوك من الهلاك ومنوا عليك بالفكاك ولم تشكرهم ولم تحمدهم ولم تفعل فعل الاحرار بل قابلت احسانهم بهذا المقال ثم مضيت الى الرشيد وقصصت عليه القصة واخبرته بجميع ما جرى وادركنا شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان صالحا قال فقصصت القصة على امير المؤمنين واخبرته بجميع ما جرى فتعجب الرشيد من كرم يحيى وسخائه ومروءته وخساسة منصور ورداءته وامر ان ترد الجوهرة الى يحيى ابن خالد وقال كل شيء قد وهبناه لا يجوز ان نعود فيه وعاد صالح الى يحيى بن خالد وذكر له قصة منصور وسوء فعله فقال يحيى يا صالح اذا كان الانسان مقلا ضيق الصدر مشغول الفكر فهم ما صدر منه لا يؤاخذ به لانه ليس ناشئا عن قلبه وصار يطلب العذر لمنصور فبكى صالح وقال لا يجري انفلات الدائر بابر از رجل الى الوجود مثلك فوا اسفا كيف يتوارى من له خلق مثل خلقك وكرم مثل كرمك تحت التراب وانشد هذين البيتين

بادر الى اي معروف هممت به * فليس في كل وقت يمكن الكرم
كم مانع نفسه امضاء مكرمة * عند التمكن حتى عاقه العدم

ومما يحكى انه كان بين يحيى بن خالد وبين عبد الله بن مالك الخزاعي عداوة في السر وما كانا يظهرانها وسبب العداوة بينهما ان امير المؤمنين هارون الرشيد كان يحب عبد الله بن مالك محبة عظيمة بحيث ان يحيى

ابن خالد واولاده كانوا يقولون ان عبد الله يسحر امير المؤمنين حتى مضى على ذلك زمان طويل والحقد في قلوبهم حاقد فاتفق ان الرشيد قلد ولاية ارمينية لعبد الله بن مالك الخزاعي وسيره اليها فلما استقر في تختها قصده رجل من اهل العراق كان فيه فضل ادب وذكاء وفطنة الا انه ضاق ما بيده وفني ماله واضمحل حاله فزور كتابا على لسان يحيى بن خالد الى عبد الله بن مالك وسافر اليه في ارمينية فلما وصل الى بابه سلم الكتاب الى بعض حجابه فاخذ الحاجب الكتاب وسلمه الى عبد الله بن مالك الخزاعي فقصه وقرأه وتدبره فعلم انه مزور فامر باحضار الرجل فلما تمثل بين يديه دعا له واثنى عليه واهل مجلسه فقال له عبد الله بن مالك ما حملك على بعد المشقة ومجيئك الي بكتاب مزور ولكن طب نفسا فانا لا نخيب سعيك فقال الرجل اطال الله بقاء مولانا الوزير ان كان ثقل عليك وصولي فلا تحتج في منعي بحجة فان ارض الله واسعة والرازق حي والكتاب الذي اوصلته اليك من يحيى بن خالد صحيح غير مزور فقال عبد الله انا اكتب كتابا الى وكيلي ببغداد وآمره فيه ان يسأل عن حال هذا الكتاب الذي اتيتني به فان كان ذلك حقا صحيحا غير مزور قلدتك امارة بعض بلادي او اعطيتك مائتي الف درهم مع الخيل والقصب الجليل والتشريف ان اردت العطاء وان كان الكتاب مزورا امرت ان تضرب مائة خشبة وان تحلق لحيتك ثم امر به عبد الله ان يحمل الى حجرة وان يجعل له فيها ما يحتاج اليه حتى يتحقق امره ثم كتب كتابا الى وكيله ببغداد مضمونه انه قد وصل الي رجل ومعه كتاب يزعم انه من يحيى ابن خالد وانا اسيء الظن بهذا الكتاب فيجب ان لا تهمل هذا الامر بل تمضي بنفسك وتتحقق امر هذا الكتاب وتسرع الي برد الجواب لاجلي ان تعلم صدقه من كذبه فلما وصل اليه الكتاب ببغداد ركب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان وكيل عبد الله بن مالك الخزاعي لما وصل اليه الكتاب ببغداد ركب من ساعته ومضى الى دار يحيى بن خالد فوجده جالسا مع ندمائه وخواصه فسلم عليه وسلم اليه الكتاب فقرأه يحيى ابن خالد ثم قال للوكيل عد الي من الغد حتى اكتب لك الجواب ثم التفت الى ندمائه بعد انصراف الوكيل وقال حاجزاء من تحمل عني كتابا مزورا وذهب به الى عدوي فقال كل واحد من الندماء مقالا وجعل كل واحد منهم يذكر نوعا من العذاب فقال لهم يحيى اقد اخطأتم فيما ذكرتم وهذا الذي اشرتم به من دنائتكم وخستها وكلكم تعرفون قرب منزلة عبد الله من امير المؤمنين وتعلمون ما بيني وبينه من الغضب والعداوة وقد يجب الله تعالى هذا الرجل وجعله واسطة في اصلح بيننا ووفقه لذلك وقيضه ليخمد نارا لحقد من قلوبنا وهي تتزايد من مدة عشرين سنة وتنصلح بواسطته شؤوننا وقد وجب علي ان افي لهذا الرجل بتحقيق ظنونه واصلاح شؤونه واكتب له كتابا الى عبد الله بن مالك الخزاعي مضمونه انه يزيد في اكرامه ويستمر على اعذاره واحترامه فلما سمع الندماء ذلك دعوا له بالخيرات وتعجبوا من كرمه ووفور مروءته ثم انه طلب الورقة والدواة وكتب الى عبد الله بن مالك كتابا بخط يده مضمونه بسم الله الرحمن الرحيم وصل كتابك اطال الله بقاءك وقرأته وسررت بسلامتك وابتهجت باستقامتك وشمول سعادتك وكان ظنك ان ذلك الرجل الحر زور عني كتابا ولم يحمل مني خطابا وليس الامر كذلك فان الكتاب انا كتبته وليس بمزور وجائي من اكرامك واحسانك وحسن شيمتك ان تفي لذلك الرجل الحر الكريم بما له

وامنيته وترعى له حق حرمته وتوصله الى عرضه وان تخصه منك بغامر الاحسان وواخر الامتنان ومهما فعلته فى حقه فانا المقصود به والشاكر عليه ثم عنون الكتاب وختمه وسلمه الى الوكيل فاخذه الوكيل الى عبد الله لحين قرأه ابتهج بما حواه واحضر ذلك الرجل وقال له اى الامرين اللذين وعدتك بهما احب اليك لاحضره لك بين يديك فقال الرجل العطاء احب الى من كل شئ فامر له بمائتى الف درهم وعشرة اغراس عربية خمسة منها بالجلال الحرير وخمسة بسروج المواكب المحلاة وبعشرين تختا من الثياب وعشرة من المماليك ركاب خيل وما يليق بذلك من الجواهر الثمينة ثم خلع عليه واحسن اليه ووجهه الى بغداد فى هيئة عظيمة فلما وصل الى بغداد قصد باب دار يحيى بن خالد قبل ان يصل الى اهله وطلب الاذن فى الدخول عليه فدخل الحاجب الى يحيى وقال له يا مولاى ان بالباب رجلا ظاهر الحشمة جميل الخلقة حسن الجمال كثير الغلمان يريد الدخول عليك فاذن له بالدخول فلما دخل عليه قبل الارض بين يديه فقال له يحيى ـ ن انت فقال له الرجل ايها السيد انا الذى كنت ميتا من جور الزمان فاحييتنى من رمس النوائب وبعثتنى الى جنة المطالب انا الذى زورت كتابا عنك واوصلته الى عبد الله بن مالك الخزاعى فقال له يحيى ما الذى فعل معك واى شئ اعطاك فقال اعطانى من يدك وجميل طويتك وشمول نعمك وعموم كرمك وعلو همتك وواسع فضلك حتى اغنانى وخولنى وهادانى وقد حملت جميع عطيته وها هى بباب الدار اليك والحكم فى يديك فقال له يحيى ان صنيعك معى اجل من صنيعى معك ولك على المنة العظيمة واليد البيضاء الجسيمة حيث بدلت العداوة التى كانت بينى وبين ذلك الرجل المحتشم بالصداقة والمودة فانا اهب لك من المال مثل ما وهب لك عبد الله بن مالك ثم امر له من المال والخيل والخلع بمثل ما اعطاه عبد الله فحمدت لذلك الرجل نعمته كما كانت بمروءة هذين الكريمين وروى ان المأمون لم يكن فى خلفاء بنى العباس خليفة اعلم منه فى جميع العلوم وكان له فى كل اسبوع يومان يجلس فيهما المناظرة العلماء فتجلس المناظرون من الفقهاء والمتكلمين بحضرته على طبقاتهم ومراتبهم فبينما هو جالس معهم اذ دخل فى مجلسه رجل غريب وعليه ثياب بيض رثة فجلس فى آخر الناس وقعد من وراء الفقهاء فى مكان مجهول فلما ابتدؤا فى الكلام وشرعوا فى معضلات المسائل وكان من عادتهم انهم يديرون المسألة على اهل المجلس واحدا بعد واحد فكل من وجد زيادة لطيفة او نكتة غريبة ذكرها فدارت المسألة الى ان وصلت الى ذلك الرجل الغريب فتكلم واجاب بجواب احسن من اجوبة الفقهاء كلهم فاستحسن الخليفة كلامه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخليفة المأمون استحسن كلامه وامر ان يرفع من ذلك المكان الى اعلا منه فلما وصلت اليه المسألة الثانية اجاب بجواب احسن من الجواب الاول فامر المأمون ان يرفع الى اعلى من تلك الرتبة فلما دارت المسألة الثالثة اجاب بجواب احسن واصوب من الجوابين الاولين فامر المأمون ان يجلس قريبا منه فلما انقضت المناظرة احضروا الماء وغسلوا ايديهم واحضروا الطعام فاكلوا ثم نهض الفقهاء فخرجوا ومنع المأمون ذلك الشخص من الخروج معهم وادناه منه ولاطفه ووعده بالاحسان اليه والانعام عليه ثم تهيأ مجلس الشراب وحضر الندماء للملاح ودارت الراح فلما وصل الدور الى ذلك الرجل وثب قائما على قدميه وقال ان اذن لى امير المؤمنين تكلمت كلمة واحدة قال له قل

ما تشاء فقال قد علم الرأى العالى زاده الله علوا ان العبد كان اليوم فى هذا المجلس الشريف من مجاهيل الناس ووضعاء الجلاس وان امير المؤمنين قربه وادناه بيسير من العقل الذى ابداه وجعله مرفوعا على درجة غيره وبلغ به الغاية التى لم تسم اليها همته والان يريد ان يفرق بينه وبين ذلك القدر اليسير من العقل الذى اعزه بعد الذلة وكثره بعد القلة وحاشى وكلا ان يحسده امير المؤمنين على هذا القدر الذى معه من العقل والنباهة والفضل لان العبد اذا شرب الشراب تباعد عنه العقل وقرب منه الجهل وسلب ادبه وعاد الى تلك الدرجة الحقيرة كما كان وصار فى اعين الناس حقيرا مجهولا فارجو من الرأى العالى انه لا يسلب منه هذه الجوهرة بفضله وكرمه وسيادته وحسن شيمه فلما سمع الخليفة المأمون منه هذا القول مدحه وشكره واجلسه فى رتبته ووقره وامر له بمائة الف درهم وحمله على فرس واعطاه ثيابا فاخرة وكان فى كل مجلس يرفعه ويقربه على جماعة الفقهاء حتى صار ارفع منهم درجة واعلى مرتبة والله اعلم وحكى انه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والاوان تاجر من التجار فى بلاد خراسان اسمه مجد الدين وله مال كثير وعبيد ومماليك وغلمان الا انه بلغ من العمر ستين سنة ولم يرزق ولدا وبعد ذلك رزقه الله تعالى ولدا فسماه عليا فلما انشى ذلك الغلام صار كالبدر ليلة التمام ولما بلغ مبلغ الرجال وحاز صفات الكمال ضعف والده بمرض الموت فدعا بولده وقال له يا ولدى انه قد قرب وقت المنية واريد ان اوصيك وصية فقال له وما هى يا والدى فقال له اوصيك انك لا تعاشر احدا من الناس وتجتنب ما يجلب الضر والباس واياك وجليس السوء فانه كالحداد ان لم تحرقك ناره يضربك دخانه وما احسن قول الشاعر

ما فى زمانك من ترجو مودته * ولا صديق اذا خان الزمان وفى
فعش فريدا ولا تركن الى احد * ها قد نصحتك فيما قلته وكفى

وقول الاخر

الناس داء دفين * لا تركنن اليهم
فيهم خداع ومكر * لو اطلعت عليهم

وقول الاخر

لقاء الناس ليس بفيد شيأ * سوى الهذيان من قيل وقال
فاقلل من لقاء الناس الا * لاخذ العلم او اصلاح حال

وقول الاخر

اذا ما الناس جربهم لبيب * فانى قد كاتهم ووذقا
فلم ار ودهم الا خداعا * ولم ار دينهم الا نفاقا

فقال يا ابى سمعت واطعت ثم ماذا افعل فقال افعل الخير اذا قدرت عليه ودم على صنع الجميل مع الناس واغتنم بذل المعروف فانى كل وقت ينجح الطلب وما احسن قول الشاعر

ليس فى كل ساعة واوان * فتتأنى صنائع الاحسان
فاذا امكنتك بادر اليها * حذرا من تعذر الامكان

فقال سمعت واطعت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الصبى قال لابيه سمعت واطعت ثم ماذا قال ياولدى احفظ الله يحفظك وصن مالك ولا تفرط فيه فانك ان فرطت فيه تحتاج الى اقل الناس واعلم ان قيمة المرء ما ملكت يمينه وما احسن قول الشاعر

ان قل مالى قلا خل يصاحبنى * اوزاد مالى فكل الناس خلانى
فكم عدو لاجل المال صاحبنى * وكم صديق لفقد المال عادانى

فقال ثم ماذا قال ياولدى شاور من هو اكبر منك سنا ولا تعجل فى الامر الذى تريده وارحم من هو دونك يرحمك من هو فوقك ولا تظلم احدا فيسلط الله عليك من يظلمك وما احسن قول الشاعر

اقرن برأيك رأى غيرك واستشر * فالرأى لا يخفى على الاثنين
فالمرء مرأة تريه وجهه * ويرى قفاه بجمع مرأتين

وقول الاخر

تأن ولا تعجل لامر تريده * وكن راحما للناس تبلى براحم
فما من يد الا يد الله فوقها * ولا ظالم الا سيبلى بظالم

وقول الاخر

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا * ان المظلوم على حد من النقم
تنام عينك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

واياك وشرب الخمر فهو رأس كل شر وشر به مذهب للعقول ويزرى بصاحبه وما احسن قول الشاعر

تالله لا خامر تنى الخمر ما علقت * روحى بجسمى واقوالى بافصاحى
ولا صبوت الى مشمولة ابدا * يوما ولا اخترت ندمانا سوى الصاحى

فهذه وصيتى لك فاجعلها بين عينيك والله خليفتى عليك ثم غشى عليه فمكث ساعة واستفاق فاستغفر الله وتشهد ووفى الى رحمة الله تعالى فبكى عليه ولده وانتحب ثم اخذ فى تجهيزه على ما يجب ومشت فى جنازته الاكابر والاصاغر وصار القراء يقرؤن حول تابوته وما تركوا من حقه شيأ حتى فعله ثم صلوا عليه ووارود فى التراب وكتبوا على قبره هذين البيتين

خلقت من التراب فصرت حيا * وعلمت الفصاحة فى الخطاب
وعدت الى التراب فصرت ميتا * كانك ما برحت من التراب

وحزن عليه ولده على شار حزنا شديدا وعمل عزاءه على عادة الاعيان واستمر حزينا على ابيه الى ان ماتت امه بعده بمدة يسيرة ففعل بوالدته مثل ما فعل بابيه ثم بعد ذلك جلس فى الدكان يبيع ويشترى ولا يعاشر احدا من خلق الله تعالى عملا بوصية ابيه واستمر على ذلك مدة سنة وبعد السنة دخلت عليه اولاد النساء الزوانى بالحيل وصاحبوه حتى مال معهم الى الفساد واعرض عن طريق الرشاد وشرب الراح بالاقداح والى الملاح غدا وراح وقال فى نفسه ان والدى جمع لى هذا المال وانا ان لم انصرف فيه فلمن اخليه والله لا افعل الا كما قال الشاعر

ان كنت دهرك كله * تحوى اليك وتجمع
فحى بما حصلته * وحوينه تتمتع

وما زال على شار يبذر فى المال اناء الليل واطراف النهار حتى اذهب ماله كله وافتقر فساء حاله وتكدر

بالله وباع المكان والاماكن وغيرها ثم بعد ذلك باع ثيابه بدنه ولم يترك لنفسه غير بدلة واحدة فلما ذهبت السكرة وجاءت الفكرة وقع فى الحسرة وقعد يوما من الصبح الى العصر بغير افطار فقال فى نفسه انا ادور على الذين كنت انفق مالى عليهم لعل احدا منهم يطعمنى فى هذا اليوم فدار عليهم جميعا وكلما طرق باب احد منهم ينكر نفسه ويتوارى منه حتى احرقه الجوع ثم ذهب الى سوق التجار وادركه الشهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة العاشرة بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان عليا شار احرقه الجوع فذهب الى سوق التجار فوجد حلقة ازدحام والناس مجتمعون فيها فقال فى نفسه يا ترى ما سبب اجتماع هؤلاء الناس والله لا انتقل من هذا المكان حتى انفرج على هذه الحلقة ثم تقدم الى الحلقة فوجد جارية خماسية معتدلة القد موردة الخد قاعدة النهد قد فاقت اهل زمانها فى الحسن والجمال والبهاء والكمال كما قال فيها بعض واصفيها

كما اشتهت خلقت حتى اذا كملت * فى قالب الحسن لا طول ولا قصر
والحسن اصبح مشغوفا بصورتها * والصد يعذلها والتيه والخفر
فالبدر طلعتها والغصن قامتها * والمسك نكهتها ما مثلها بشر
كانها افرغت من ماء لؤلؤة * فى كل جارحة من حسنها قمر

وكانت تلك الجارية اسمها زمرد فلما نظرها على شار تعجب من حسنها وجمالها وقال والله ما ابرح حتى انظر القدر الذى يبلغه ثمن هذه الجارية واعرف الذى يشتريها ثم وقف بجملة التجار فظنوا انه يشترى لما يعلمون من غناه بالمال الذى ورثه من والديه ثم ان الدلال قد وقف على رأس الجارية وقال يا تجار يا ارباب الاموال من يفتح باب السعر فى هذه الجارية سيدة الاقطار الدرة السنية زمرد الستورية بغية الطالب ونزهة الراغب فافتحوا الباب فليس على من فتحه لوم ولا عتاب فقال بعض التجار على بخمسمائة دينار قال آخر وعشرة فقال شيخ يسمى رشيد الدين وكان ازرق العين قبيح المنظر وما ئة فقال اخر وعشرة قال الشيخ بالف دينار فحبس التجار السنتهم وسكتوا فشاور الدلال سيدها فقال انا حالف انى ما ابيعها الا لمن تختاره فشاورها فجاء الدلال اليها وقال يا سيدة الاقطار ان هذا التاجر يريد ان يشتريك فنظرت اليه فوجدته كما ذكرنا فقالت للدلال انا لا ابا ع لشيخ اوقعه الهرم فى سوء حال ولله در من قال

سألتها قبلة يوما وقد نظرت * شيبى وقد كنت ذا مال وذا نعم
فاعرضت بالصد عنى وهى قائلة * لا والذى خلق الانسان من عدم
ما كان لى فى بياض الشيب من ارب * انى الحيا ئى يكون القطن حشو فمى

فلما سمع الدلال قولها قال لها والله انك معذورة وقيمتك عشرة الاف دينار ثم اعلم سيدها انها ما رضيت بذلك الشيخ فقال شاورها على غيره فتقدم انسان آخر وقال على بما اعطى فيها الشيخ الذى لم ترض به فنظرت الى ذلك الرجل فوجدته مصبوغ اللحية فقالت ما هذا العيب والريب وسواد وجه الشيب ثم اكثرت التعجبات وانشدت هذه الابيات

بدا لى من فلان ما بدا لى * فقاوا لله يصفع بالنعال

وذقن للبعوض بها مجال * وقرن مال من ربط الحبال
ايا مفتون فى خدى وقدى * تز ور بالمحال ولا تبالى
وتصبغ بالعيوب بياض شيب * وتخفى مابدا للاحتيال
تروح بلحية وتجى باخرى * كانك بعض صناع الخيال

وما احسن قول الشاعر

قالت اراك خضبت الشيب قلت لها * سترته عنك ياعمى ويابصرى
فقهقهت ثم قالت ان ذا عجب * تكاثر الغش حتى صار فى الشعر

فلما سمع الدلال شعرها قال لها والله انك صدقت فقال التاجر ما الذى قالت فاعاد عليه الابيات فعرف ان الحق على نفسه وامتنع من اشترائها فتقدم تاجر آخر وقال شاورها على بالثمن الذى سمعته فشاورها عليه فنظرت اليه فوجدته اعور فقالت هذا اعور وقد قال فيه الشاعر

لاتصحب الاعور يوما وكن * فى حذر من شره ومينه
لو كان فى الاعور من خيرة * ما اوجد الله العمى بعينه

فقال لها الدلال اتباعى لذلك التاجر فنظرت اليه فوجدته قصيرا وذقنه سابلة الى سرته فقالت هذا الذى قال فيه الشاعر

قلى صديق وله لحية * ابتها الله بلا فائده
كانها بعض ليالى الشتا * طويلة مظلمة بارده

فقال لها الدلال ياسيدتى انظرى من يعجبك من الحاضرين وقولى عليه حتى ابيعك له فنظرت الى حلقة التجار وتفرستهم واحدا بعد واحد فوقع نظرها على على شار وادر لشهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية عشر بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية لما وقع نظرها على على شار نظرته نظرة اعقبها الف حسرة وتعلق قلبها به لانه كان بديع الجمال واللطف من نسيم الشمال فقالت يادلال انا لا اباع الا لسيدى هذا صاحب الوجه المليح والقد الرجيح الذى قال فيه بعض واصفيه

ابرزوا وجهك الجميل * ثم لاموا من افتتن
لو اراد وا صيانتى * ستروا وجهك الحسن

فلا يملكنى الا هو لانه خده اسيل ورضابه سلسبيل وريقه يشفى العليل ومحاسنه تحير الناظم والناثر كما قال فيه الشاعر

فريقه خمر وانفاسه * مسك وذاك الثغر كافور
اخرجه رضوان من داره * مخافة ان تفتن الحور
يلومه الناس على تيهه * والبدر مهما تاه معذور

صاحب الشعر الاجعد والخد المورد واللحظ الساحر الذى قال فيه الشاعر

وشادن بوصال منه واعدنى * فالقلب فى قلق والعين منتظره

اجفانه ضمنت لى صدق موعده * فكيف توفى ضمانا وهى منكسره

وقال الاخر

قالوا بدا خط العذار بخده * كيف التعشق فيه وهو معذر

فاجبتهم كفوا الملامة واقصروا * ان صح ذالك الخط فهو مزور

جنات عدن فى جنى وجناته * ودليل ذان المراشف كوثر

فلما سمع الدلال ما انشدته من الاشعار فى محاسن على شار تعجب من فصاحتها واشراق بهجتها فقال له صاحبها لا تعجب من بهجتها التى تفضح شمس النهار ولا من حفظها لرقائق الاشعار فانها مع ذلك تقرأ القرآن العظيم بالسبع قرآت وتروى الاحاديث الشريفة بصحيح الروايات وتكتب بالسبعة اقلام وتعرف من العلوم ما لا يعرفه العالم العلام وبداها احسن من الذهب والفضة فانها تعمل الستور الحرير وتبيعها فتكسب فى كل واحد خمسين دينارا وتشتغل الستر فى ثمانية ايام فقال الدلال ياسعادة من تكون هذه فى داره ويجعلها من ذخائر اسراره ثم قال له سيدها بعها لكل من اراد ته فرجع الدلال الى على شار وقبل يديه وقال ياسيدى اشتر هذه الجارية فانها اختارتك وذكر له صفتها وما تعرفه وقال له هنيأ لك اذا اشتريتها فانه قد اعطاك الثمن لا بخل بالعطاء فاطرق على شار برأسه ساعة الى الارض وهو يضحك على نفسه وقال فى سره انى الى هذا الوقت من غير افطار ولكن اخشى من التجار ان اقول ما عندى مال اشتريها به فنظرت الجارية الى اطراقه وقالت للدلال خذ بيدى وامض بى اليه حتى اعرض نفسى عليه وارغبه فى اخذى فانى ما اباع الا له فاخذها الدلال واوقفها قدام على شار وقال له ما رأيك ياسيدى فلم يرد عليه جوابا فقالت الجارية ياسيدى وحبيب قلبى مالك لا تشترينى فاشترنى بما شئت واكون سبب سعادتك فرفع رأسه اليها وقال هل الشراء بالغصب انت غالية بالف دينار فقالت له ياسيدى اشترنى بتسعمائة قال لا قالت بثمانمائة قال لا فما زالت تنقص من الثمن الى ان قالت له بمائة دينار قال ما معى مائة كاملة فضحكت وقالت له كم تنقص مائتك قال ما معى لا مائة ولا غيرها انا والله لا املك ابيض ولا احمر من درهم ولا دينار فانظرى لك زبونا غيرى فلما علمت انه ما معه شئ قالت له خذ بيدى على انك تقلبنى فى عطفة ففعل ذلك فاخرجت من جيبها كيسا فيه الف دينار وقالت زن منه تسعمائة فى ثمنى وابق المائة معك تنفعنا ففعل ما امرته به واشتراها بتسعمائة دينار ودفع ثمنها من ذلك الكيس ومضى بها الى الدار فلما وصلت الى الدار وجدتها قاعا صفصفا لا فرش بها ولا اوانى فاعطته الف دينار وقالت له امض الى السوق واشترلنا بثلاثمائة دينار فرشا واوانى للبيت ففعل ثم قالت له اشترلنا ما كولا ومشروبا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية عشر بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية قالت له اشترلنا ما كولا ومشروبا بثلاثة دنانير ففعل ثم قالت له اشترلنا خرقة حرير قد ستر واشتر قصبا اصفر وابيض وحريرا ملونا سبعة الوان ففعل ثم انها فرشت البيت واوقدت الشمع وجلست تأكل وتشرب هى واياه وبعد ذلك قاموا الى الفرش وقضوا الغرض من بعضهما ثم باتا معتنقين خلف الستائر وكانا كما قال الشاعر

زر من تحب ودع كلام الحاسد * ليس الحسود على الهوى بمساعد

انى

انى نظرتك فى المنام فضاجعى * والثمت من شفتيك احلى بارد
حقا صحيحا كل ماعاينته * ولسوف ابلغه برغم الحاسد
لم تنظر العينان احسن منظرا * من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضى * متوسدين بمعصم وبساعد
واذا تألفت القلوب لبعضها * فالناس تضرب فى حديد بارد
يامن يلوم على الهوى اهل الهوى * هل تستطيع صلاح قلب فاسد
واذا صفا لك من زمانك واحد * فهو المراد وعش بذاك الواحد

واستمرا متعانقين الى الصباح وقد سكنت محبة كل واحد منهما فى قلب صاحبه ثم اخذت الستر وطرزته بالحرير الملون وزركشته بالقصب وجعلت فيه منتطقة بصور طيور وصورت فى دائرها صور الوحوش ولم تترك وحشا فى الدنيا الا وصورت صورته فيه ومكثت تشتغل فيه ثمانية ايام فلما فرغ قطعته وصقلته ثم اعطته لسيدها وقالت له اذهب به الى السوق وبعه بخمسين دينارا للتاجر واحذران تبيعه لاحد عابر طريق فان ذلك يكون سببا للفراق بينى وبينك لان لنا اعداء لا يغفلون عنا فقال لها سمعا وطاعة ثم ذهب به الى السوق وباعه لتاجر كما امرته وبعد ذلك اشترى الخرقة والحرير والقصب على العادة وما يحتاجان اليه من الطعام واحضر لها ذلك واعطاها بقية الدراهم فصارت كل ثمانية ايام تعطيه سترا يبيعه بخمسين دينارا ومكثت على ذلك سنة كاملة وبعد السنة راح الى السوق بالستر على العادة واعطاه للدلال فعرض له نصرانى فدفع له ستين دينارا فامتنع فلا زال يزيده حتى عمله بمائة دينار وبرطل الدلال بعشرة دنانير فرجع الدلال على على شار واخبره بالثمن وتحيل عليه فى ان يبيع الستر للنصرانى بذلك المبلغ وقال له ياسيدى لا تخف من هذا النصرانى وما عليك منه بأس وقامت النجار عليه فباعه للنصرانى وقلبه مرعوب ثم قبض المال ومضى الى البيت فوجد النصرانى ماشيا خلفه فقال له يانصرانى مالك ماشيا خلفى فقال له ياسيدى ان لى حاجة فى صدر الزقاق الله لا يحوجك فما وصل على شار الى منزله الا والنصرانى لاحقه فقال له يالعون مالك تتبعنى اين ما اسير فقال ياسيدى اسقينى شربة ماء فانى عطشان واجرك على الله تعالى فقال على شار فى نفسه هذا رجل ذمى وقصدنى فى شربة ماء فوالله لا اخيبه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة عشر بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان على شار قال فى نفسه هذا رجل ذمى وقصدنى فى شربة ماء فوالله لا اخيبه ثم دخل البيت واخذ كوز ماء فرأته جاريته زمرد فقالت له ياحبيبى هل بعت الستر قال نعم قالت لتاجر او لعابر سبيل فقد حس قلبى بالفراق قال ما بعته الا للتاجر قالت اخبرنى بحقيقة الامر حتى اتدارك شأنى وما بالك اخذت كوز الماء قال لاسقى الدلال فقالت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم انشدت هذين البيتين

ياطالبا للفراق مهلا * فلا يغرنك العناق
مهلا فطبع الزمان غدر * واخر الصحبة الفراق

ثم خرج بالكوز فوجد النصرانى داخلا فى دهليز البيت فقال له هل وصلت الى هنا يا كلب كيف

تدخل منزلي بغير اذني فقال ياسيدي لا فرق بين الباب والدهليز وما بقيت انتقل من مكاني هذا الا للخروج وانت لك الفضل والاحسان والجود والامتنان ثم انه تناول كوز الماء وشرب ما فيه وبعد ذلك نازله الى على شار فاخذه وانتظره ان يقوم فما قام فقال له لاي شيء لم تقم وتذهب الى حال سبيلك فقال يا مولاي لا تكن ممن فعل الجميل ومن به ولا من الذين قال فيهم الشاعر

ذهب الذين اذا وقفت ببابهم * كانوا القصد لذا كرم الكرماء

واذا وقفت بباب قوم بعدهم * منوا عليك بشربة من ماء

ثم قال يا مولاي اني قد شربت ولكن اريد منك ان تطعمني مهما كان من البيت سواء كان كسرة او قرقوشة وبصلة فقال له قم بلا عما حكمة ما في البيت شيء فقال يا مولاي ان لم يكن في البيت شيء فخذ هذه المائة دينار واتنا بشيء من السوق ولو برغيف واحد لصيرني وبينك خبز وملح فقال على شار في سره ان هذا النصراني مجنون فانا اخذ منه المائة دينار واجيء له بشيء يساوي درهمين واضحك عليه فقال له النصراني ياسيدي انما اريد شيأ يطرد الجوع ولو رغيفا يابسا وبصلة فخير الزاد ما دفع الجوع لا الاطعام الفاخر وما احسن قول الشاعر

الجوع يطرد بالرغيف اليابس * فعلى م تعظم حسرتي ووساوسي

والموت اعدل حين اصبح منصفا * بين الخليقة والفقير البائس

فقال له على شار اصبر هنا حتى اقفل القاعة وآتيك بشيء من السوق فقال له سمعا وطاعة ثم خرج وقفل القاعة وحط على الباب كيلونا واخذ المفتاح معه وذهب الى السوق واشترى جبنا مقليا وعسلا ابيض وموزا وخبزا واتى به اليه فلما نظر النصراني الى ذلك قال يا مولاي هذا شيء كثير يكفي عشرة رجال وانا وحدي فلعلك تأكل معي فقال له كل وحدك فاني شبعان فقال له يا مولاي قالت الحكماء من لم يأكل مع ضيفه فهو ولد زنا فلما سمع على شار من النصراني هذا الكلام جلس واكل معه شيأ قليلا واراد ان يرفع يده وادر لشهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة عشر بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان على شار جلس واكل معه شيأ قليلا واراد ان يرفع يده فاخذ النصراني موزة وقشرها وشقها نصفين وجعل في نصفها بنجا مكررا ممزوجا بافيون الدرهم منه يرمي الفيل ثم غمس نصف الموزة في العسل وقال له يا مولاي وحق ديني ان تأخذ هذه فاستحى على شار ان يحنثه في يمينه فاخذها منه وابتلعها فاستقرت في بطنه حتى سبقت رأسه رجليه وصار كانه لعسنة وهو راقد فلما رأى النصراني ذلك قام على قدميه كانه ذئب امعط او قضاء مسلط واخذ معه مفتاح القاعة وتركهم ميا وذهب يجري الى اخيه واخبره بالخبر وسبب ذلك ان اخا النصراني هو الشيخ الهرم الذي اراد ان يشتريها بالف دينار فلم ترض به وهجته بالشهر وكان كافرا في الباطن مسلما في الظاهر وسمى نفسه رشيد الدين ولما هجته ولم ترض به شكا الى اخيه النصراني الذي تحيل في اخذها من سيدها على شار وكان اسمه برسوم فقال له لا تحزن من هذا الامر فانا التحيل لك في اخذها بلا درهم ولا دينار لانه كان كاهنا ماكرا محتالا عافرا جرائم انه لم يزل يمكر ويتحيل حتى عمل الحيلة التي ذكرناها واخذ المفتاح وذهب الى اخيه واخبره بما حصل فركب بغلته واخذ غلمانه وتوجه مع اخيه الى بيت على شار

واخذ

واخذ معه كيسا فيه الف دينار اذا صادفه الوالى فيعطيه اياه ففتح القاعة وهجمت الرجال الذين معه على زمرد واخذوها قهرا وهددوها بالقتل ان تكلمت وتركوا المنزل على حاله ولم يأخذوا منه شيأ وتركوا على شاروا قفدا فى الدهليز ثم ردوا الباب عليه وتركوا مفتاح القاعة فى جانبه ومضى بها النصرانى الى قصره ووضعها بين جواريه وسراريه وقال لها يا فاجرة انا الشيخ الذى ما رضيت بى وهجوتنى وقد اخذت تلك بلا درهم ولا دينار فقالت له وقد تغرغرت عيناها بالدموع حسبك الله يا شيخ السوء حيث فرقت بينى وبين سيدى فقال لها يا فاجرة يا عشانة سوف تنظرين ما افعل بك من العذاب وحق المسيح والعذراء ان لم تطاوعينى وتدخلى فى دينى لاعذبنك بانواع العذاب فقالت له والله لو قطعت لحمى قطعا ما افارق دين الاسلام ولعل الله تعالى ان يأتيني بالفرج القريب انه على ما يشاء قدير وقد قالت العقلاء مصيبة فى الابدان ولا مصيبة فى الاديان فعند ذلك صاح على الخدم والجوارى وقال لهم اطرحوها فطرحوها ولا زال يضربها ضربا عنيفا وصارت تستغيث فلا تغاث ثم اعرضت عن الاستغاثة وصارت تقول حسبى الله وكفى الى ان انقطع نفسها وخفى انينها فلما اشتفى قلبه منها قال للخدم اصعدوها من رجليها وارموها فى المطبخ ولا تطعموها شيأ ثم بات الملعون تلك الليلة ولما اصبح الصباح طلبها وكرر عليها الضرب وامر الخدم ان يرموها فى مكانها ففعلوا فلما برد عليها الضرب قالت لا اله الا الله محمد رسول الله حسبى الله ونعم الوكيل ثم استغاثت بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وادركها زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة عشر بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان زمردا استغاثت بالنبى صلى الله عليه وسلم هذا ما كان من امرها واما ما كان من امر على شار فانه لم يزل راقدا الى ثانى يوم ثم طار البنج من رأسه ففتح عينيه وصاح قائلا يا زمرد فلم يجبه احد فدخل القاعة فوجد الجو قفرا والمزار بعيدا فعلم انه ما جرى عليه هذا الامر الا من النصرانى فحن وبكى وان واشتكى وافاض العبرات وانشد هذه الابيات

يا وجد لا تبق على ولا تذر * ها مهجتى بين المشقة والخطر
يا سادتى رقوا لعبد زل فى * شرع الهوى وغنى قوم افتقر
ما حيلة الرامى اذا النقت العدى * وارادرمى السهم فانقطع الوتر
واذا تكاثرت الهموم على الفتى * وتراكمت اين المفر من القدر
واسكم احاذر من تفرق شملنا * لكن اذا نزل القضا عمى البصر

فلما فرغ من شعره صعد الزفرات وانشد ايضا هذه الابيات

خلعت هيا كلها بجرعاء الحمى * فصبا لمغناها الكئيب تشوقا
وتلفتت نحو الديار فشاقها * ربع عفت اطلاله فتمزقا
وقفت تسائله فرد جوابها * رجع الصدا ان لا سبيل الى اللقا
فكانه برق تألق بالحمى * ومضى فما يبدى اليك تالقا

وندم حيث لا ينفعه الندم وبكى ومزق ثوابه واخذ بيده حجرين ودار حول المدينة وصار يدق بهما فى صدره ويصيح قائلا يا زمرد فدارت الصغار حوله وقالوا مجنون مجنون فكان كل من عرفه يبكى عليه

ويقول هذا فلان ما الذى جرى له ولم يزل على هذه الحالة الى آخر النهار فلما جن عليه الليل نام فى بعض الازقة الى الصباح ثم اصبح دائرا بالاحجار حول المدينة الى آخر النهار وبعد ذلك رجع الى قاعته ليبيت فيها فنظرته جارية وكانت امرأة عجوز من اهل الخير فقالت له يا ولدى سلامتك متى جننت فاجابها بهذين البيتين

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم * ما لذة العيش الا للمجانين
دعوا جنونى وهاتوا من جننت به * ان كان يشفى جنونى لا تلومونى

فعلمت جارته العجوز انه عاشق مفارق فقالت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم يا ولدى اشتهى منك ان تحكى لى خبر مصيبتك عسى الله ان يقدرنى على مساعدتك عليها بمشيئته فحكى لها جميع ما وقع له مع برسوم النصرانى اخى الكاهن الذى سمى نفسه رشيد الدين فلما علمت ذلك قالت له يا ولدى انك معذور ثم افاضت دمع العين وانشدت هذين البيتين

كفى المحبين فى الدنيا عذابهم * تالله لا عذبتهم بعدها سقر
لانهم هلكوا عشقا وقد كتموا * مع العفاف بهذا يشهد الخبر

فلما فرغت من شعرها قالت له يا ولدى قم الان واشتر قفصا مثل اقفاص اهل الصاغة واشتر اساور وخواتم وحلقانا وحليا يصلح للنساء ولا تبخل بالمال وضع جميع ذلك فى القفص وهات القفص وانا اضعه على رأسى فى صورة دلالة واطوف عليها فى البيوت حتى اقع على خبرها ان شاء الله تعالى ففرح على شارب كلامها وقبل يديها ثم ذهب بسرعة واتى لها بما طلبته فلما حضر ذلك عندها قامت ولبست مرقعة ووضعت على رأسها ازارا عسليا واخذت فى يدها عكازا وحملت القفص ودارت فى العطف والبيوت ولم تزل دائرة من مكان الى مكان ومن حارة الى حارة ومن درب الى درب الى ان دلها الله تعالى على قصر الملعون رشيد الدين النصرانى فسمعت من داخله انينا فطرقت الباب وادركت شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة عشر بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العجوز لما سمعت من داخل البيت انينا طرقت الباب فتزات لها جارية ففتحت لها الباب وسلمت عليها فقالت لها العجوز ان معى هذه الحويجات للبيع هل عندكم من يشترى منها شيأ فقالت لها الجارية نعم ثم ادخلتها الدار واجلستها وجلس الجوارى حولها واخذت كل واحدة شيأ منها فصارت العجوز تلاطف الجوارى وتتساهل معهن فى الثمن ففرح بها الجوارى بسبب معروفها واين كلامها وهى تتأمل فى جهات المكان على صاحبة الانين فلاحت منها التفاتة اليها فخابتهم واحسنت اليهم وتأملت فوجدتها زمردا مطروحة فعرفتها فبكت وقالت لهم يا اولادى ما بال هذه الصبية فى هذا الحال فحكى لها الجوارى جميع القصة وقلن لها هذا الامر ليس باختيارنا ولكن سيدنا امرنا بهذا وهو مسافر الان فقالت لهم يا اولادى لى عندكم حاجة وهى انكم تحملوا هذه المسكينة من الرباط الى ان تعلموا بمجيء سيدكم فتربطوها كما كانت وتكسبوا الاجر من رب العالمين فقالن لها سمعا وطاعة ثم انهم حلوها واطعموها واسقوها ثم قالت العجوز يا ليت رجلى انكسرت ولا دخلت لكم منزلا وبعد ذلك ذهبت الى زمرد وقالت لها يا بنتى سلامتك سيفرج الله

عنك

عنك ثم ذكرت لها انها جاءت من عند سيدها على شار وواعدتها انها فى ليلة غد تكون حاضرة وتلقى سمعها للحس وقالت لها ان سيدك يأتى اليك تحت مسطبة القصر وبصفر لك فاذا سمعت ذلك فاصفرى له وتدلى له من الطاقة بحبل وهو يأخذك ويمضى فشكرتها على ذلك ثم خرجت العجوز وذهبت الى على شار واعلمته وقالت له توجه فى الليلة القابلة نصف الليل الى الحارة الفلانية فان بيت الملعون هناك وعلامته كذا وكذا فقف تحت قصره واصفر فانها تتدلى اليك فخذها وامض بها حيث شئت فشكرها على ذلك ثم انه افاض العبرات وانشد هذه الابيات

كف العواذل عن قيل وعن قال * قلبى معنى وجسمى ناحل بالى
ولى دموع احاديث مسلسلة * عن الصحيح باعضال وارسال
ياخالى البال من همى ومن همى * اقصر عنالك عن السؤال عن حالى
عذب المراشف لدن القد معتدل * سبى فؤادى بمعسول وعسال
ماقر قلبى مذ غبتم ولاهجعت * عينى ولا نجعت فى الصبر آمالى
تركتمونى رهين الشوق مكتئبا * مذبذبا بين حساد وعذال
اما السلو فشئ لست اعرفه * وغيركم قط لم يخطر على بالى

فلما فرغ من شعره تنهد وافاض دمع العين وانشد هذين البيتين

لله در مبشرى بقدومكم * فلقد اتى بلطائف المسموع
لو كان يقنع بالطليع مخته * قلبا تمزق ساعة التوديع

ثم انه صبر الى ان جن الليل وجاء وقت الميعاد فذهب الى تلك الحارة التى وصفتها له جارته ورأى القصر فعرفه وجلس على مسطبة تحته وغلب عليه النوم فنام وجل من لا ينام وكان له مدة لم ينم من الوجد الذى به فصار كالسكران فبينما هو نائم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة عشر بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد فبينما هو نائم واذا بلص من اللصوص خرج تلك الليلة فى اطراف المدينة ليسرق شيأ فرمته المقادير تحت قصر ذلك النصرانى فدار حوله فلم يجد له سبيلا الى الصعود اليه فصار دائرا حوله الى ان وصل الى المسطبة فرأى عليا شار نائما فاخذ عمامته وبعد ان اخذها لم يشعر الا وزمرد طلت فى ذلك الوقت فرأته واقفا فى الظلام فحسبته سيدها فصفرت له فصفر لها الحرامى فتدلت له بالحبل وصعبتها خرج ملأن ذهبا فلما رأه اللص قال فى نفسه ما هذا الا امر عجيب له سبب غريب ثم حمل الخرج وحملها على اكتافه وذهب بهما مثل البرق الخاطف فقالت له ان العجوز اخبرتنى انك ضعيف بسببى وها انت اقوى من الفرس فلم يرد عليها جوابا فحست على وجهه فوجدت لحيته مثل مقشة الحمام كانه خنزير ابتلع ريشا فطلع زغبه من حلقه فقزعت منه وقالت له اى شئ انت فقال لها يا عاهرة انا الشاطر جوان الكردى من جماعة احمد الدنف ونحن اربعون شاطرا كلهم فى هذه الليلة يسهرون فى رحلك من العشاء الى الصباح فلما سمعت كلامه بكت ولطمت على وجهها وعلمت ان القضاء غلب عليها وانه لا حيلة لها الا التفويض الى الله تعالى فصبرت وسلمت لحكم الله تعالى وقالت لا اله الا الله كلما خلصنا من

هم وقعنا فى هم اكبر منه وكان السبب فى مجيء جوان الى هذا المحل انه قال لاحد الدنف ياشاطر انا دخلت هذه المدينة قبل الان واعرف فيها غارا خارج البلد يسع اربعين نفسا وانا اريد ان اسبقكم اليه وادخل امى فى ذلك الغار ثم ارجع الى المدينة واسرق منها شيأ على بختكم واحفظه على اسمكم الى ان تحضروا فيكون ضيافتكم فى ذلك النهار من عندى فقال له احد الدنف افعل ماتريد فخرج قبلهم وسبقهم الى ذلك المحل ووضع امه فى ذلك الغار ولما خرج من الغار وجد جنديا راقدا وعنده فرس مربوط فذبحه واخذ ثيابه واخذ فرسه وسلاحه وثيابه واخفاها فى الغار عند امه وربط الحصان هناك ثم رجع الى المدينة ومشى حتى وصل الى قصر النصرانى وفعل ماتقدم ذكره من اخذ عمامة على شار ومن اخذ زمرد جاريته ولم يزل يجرى بها الى ان حطها عند امه وقال لها احتفظى عليها الى حين ارجع اليك فى بكرة النهار ثم ذهب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشر بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان جوان الكردى قال لامه احتفظى عليها حتى ارجع اليك فى بكرة النهار ثم ذهب فقالت زمرد فى نفسها وما هذه الغفلة عن خلاص روحى بالحيلة كيف اصبر الى ان يجيء هؤلاء الاربعون رجلا فيتعاقبون على حتى يجعلونى كالمركب الغريقة فى البحر ثم انها التفتت الى العجوز ام جوان الكردى وقالت لها ياخالتى اما تقومين بنا الى خارج الغار حتى اظيك فى الشمس فقالت اى والله يابنتى فان فى مدة وانا بعيدة عن الحمام لان هؤلاء الخناز برلم يزالوا داثرين بى من مكان الى مكان فخرجت معها فسارت تفليها وتقتل القمل من رأسها الى ان استلذت بذلك ورقدت فقامت زمرد ولبست ثياب الجندى الذى قتله جوان الكردى وشدت سيفه فى وسطها وتعممت بعمامته حتى صارت كانها رجل وركبت الفرس واخذت الخرج الذهب معها وقالت ياجميل الستر استرنى بجاه محمد صلى الله عليه وسلم ثم انها قالت فى نفسها ان رحت الى البلد ربما ينظرنى احد من اهل الجندى فلا يحصل لى خير ثم اعرضت عن دخول المدينة وسارت فى البر الاقفر ولم تزل سائرة بالخرج والفرس وتأكل من نبات الارض وتطعم الفرس منه وتشرب وتسقيها من الانهار مدة عشرة ايام وفى اليوم الحادى عشر اقبلت على مدينة طيبة امينة بانظير مكينة قد ولى عنها فصل الشتاء ببرده واقبل عليها فصل الربيع بزهره وورده فزهت ازهارها وتدفقت انهارها وغردت اطيارها فلما وصلت الى المدينة وقربت من بابها وجدت العساكر والامراء واكابر اهل المدينة فتعجبت لما نظرتهم على هذه الحالة وقالت فى نفسها ان اهل هذه المدينة كلهم مجتمعون بباب لا بد لذلك من سبب ثم انها قصدتهم فلما قربت منهم تسابق اليها العساكر وترجلوا وقبلوا الارض بين يديها وقالوا الله ينصرك ياسلطاننا السلطان واصطفت بين يديها ارباب المناصب فصارت العساكر يرتبون الناس ويقولون الله ينصرك ويجعل قدومك مباركا على المسلمين ياسلطان العالمين ثبتك الله ياملك الزمان يافريد العصر والاوان فقالت لهم زمرد ما خبركم ياهل هذه المدينة فقال الحاجب انه اعطى الثمن لا يجهل بالعطا وجعلك سلطانا على هذه المدينة وحاكما على رقاب جميع من فيها واعلم ان عادة اهل هذه المدينة انه دامت ملكهم ولم يكن له ولد تخرج العساكر الى ظاهر المدينة ويمكثون ثلاثة ايام فاى انسان جاء من طريق التى جئت

منها

منها يجعلونه سلطانا عليهم والحمد لله الذى ساق لنا انسانا من اولاد الترك جميل الوجه فلو طلع علينا اقل منك كان سلطانا وكانت زمرد صاحبة رأى فى جميع افعالها فقالت لا تحسبوا انى من اولاد عامة الاتراك بل انا من اولاد الاكابر لكننى غضبت من اهلى فخرجت من عندهم وتركتهم وانظروا الى هذا الخرج الذهب الذى جئت به تحتى لا تصدق منه على الفقراء والمساكين طول الطريق فدعوا لها وفرحوا بها غاية الفرح وكذلك زمرد فرحت بهم ثم قالت فى نفسها بعد ان وصلت الى هذا الامر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة عشر بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان زمرد قالت فى نفسها بعد ان وصلت الى هذا الامر لعل الله يجمعنى بسيدى فى هذا المكان انه على ما يشاء قدير ثم سارت فسار العسكر بسيرها حتى دخلوا المدينة وترجل العسكر بين يديها حتى ادخلوها القصر فنزلت واخذها الامراء والاكابر من تحت ابطيها حتى اجلسوها على الكرسى وقبلوا الارض جميعا بين يديها فلما جلست على الكرسى امرت بفتح الخزائن ففتحت وانفقت على جميع العسكر فدعوا لها بدوام الملك واطاعها العباد وسائر اهل البلاد واستمرت على ذلك مدة من الزمان وهى تأمر وتنهى وقد صار لها فى قلوب الناس هيبة عظيمة من اجل الكرم والعفة وابطلت المكوس واطلقت من فى الحبوس ورفعت المظالم فاحبها جميع الناس وكلما تذكرت سيدها تبكى وتدعو الله ان يجمع بينها وبينه واتفق انها تذكرته فى بعض الليالى وتذكرت ايامها التى مضت لها معه فافاضت دمع العين وانشدت هذين البيتين

شوقى اليك على الزمان جديد * والدمع قرح مقلتى ويزيد
واذا بكيت بكيت من الم الجوى * ان الفراق على المحب شديد

فلما فرغت من شعرها مسحت دموعها وطلعت القصر ودخلت الحريم وافردت للجوارى والسرارى معازل ورتبت لهن الرواتب والجرايات وزعمت انها تريد ان تجلس فى مكان وحدها عاكفة على العبادة وصارت تصوم وتصلى حتى قالت الامراء ان هذا السلطان له ديانة عظيمة ثم انها لم تدع عندها احدا من الخدم غير طواشيين صغيرين لاجل الخدمة وجلست فى تخت الملك سنة وهى لم تسمع لسيدها خبرا ولم تقف له على اثر فقلقت من ذلك فلما اشتد قلقها دعت بالوزراء والحجاب وامرتهم ان يحضروا لها المهندسين والبنايين وان يبنوا لها تحت القصر ميدانا طوله فرسخ وعرضه فرسخ ففعلوا ما امرتهم به فى اسرع وقت فجاء الميدان على طبق مرادها فلما تم ذلك الميدان نزلت فيه وضربت لها فيه قبة عظيمة وصفت فيه كراسى الامراء وامرت ان يمدوا سماطا من سائر الاطعمة الفاخرة فى ذلك الميدان ففعلوا ما امرتهم به ثم امرت ارباب الدولة ان يأكلوا فاكلوا ثم قالت للامراء اريد اذا هل الشهر الجديد ان تفعلوا هكذا رتادوا فى المدينة انه لا يفتح احد دكانه بل يحضرون جميعا ويأكلون من سماط الملك وكل من خالف منهم يشنق على باب داره فلما هل الشهر الجديد فعلوا ما امرتهم به واستمروا على هذه العادة الى ان هل اول الشهر فى السنة الثانية فنزلت الى الميدان ونادى المنادى يا معاشر الناس كافة كل من فتح دكانه او حاصله او منزله شنق فى الحال على باب مكانه بل يجب عليكم انكم تحضرون جميعا لتأكلوا من سماط الملك فلما فرغت المناداة وقد وضعوا السماط جاءت الخلق افواجا فامرتهم بالجلوس على السماط ليأكلوا

حتى يشبعوا من سائر الالوان فجلسوا يأكلون كما امرتهم وجلست على كرسي المملكة تنظر اليهم فصار كل من جلس على البساط يقول في نفسه ان الملك لا ينظر الا الي وجعلوا يأكلون وصار الامراء يقولون للناس كلوا ولا تستحوا فان الملك يحب ذلك فاكلوا حتى شبعوا وانصرفوا داعين للملك وصار بعضهم يقول لبعض عمرنا ما رأينا سلطانا يحب الفقراء مثل هذا السلطان ودعوا له بطول البقاء وذهبت الى قصرها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد المئتين ثمانية

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة زمرد ذهبت الى قصرها وهي فرحانة بمارتبته وقالت في نفسها ان شاء الله تعالى بسبب ذلك اقع على خبر سيدي على شار ولما هل الشهر اتاني فعلت ذلك الامر على جرى العادة ووضعوا البساط ونزلت زمرد وجلست على كرسيها وامرت الناس ان يجلسوا ويأكلوا فبينما هي جالسة على رأس البساط والناس يجلسون عليه جماعة بعد جماعة وواحدا بعد واحد اذ وقعت عينها على برسوم النصراني الذي كان اشترى الستر من سيدها فعرفته وقالت هذا اول الفرج وبلوغ المنى ثم ان برسوم تقدم وجلس مع الناس يأكل فنظر الى صحن ارز حلو مرشوش عليه سكر وكان بعيدا عنه فزاحم عليه ومد يده اليه وتناوله ووضعه قدامه فقال له رجل بجانبه لم لا تأكل من قدامك اما هذا عيب عليك كيف تمد يدك الى شيء بعيد عنك اما تستحي فقال له برسوم ما أكل الا منه فقال له الرجل كل لا هنالك الله به فقال رجل حشاش دعه يأكل منه حتى أكل انا الاخر معه فقال له الرجل يا نحس الحشاشين هذا ما هو مأكولكم وانما هو مأكول الامراء فاتركوه حتى يرجع الى اصحابه فيأكلوه فخالفه برسوم واخذ منه لقمة وحطها في فمه واراد ان يأخذ الثانية والملكة تنظر اليه فصاحت على بعض الجند وقالت لهم هاتوا هذا الذي قدامه الصحن الارز الحلو ولا تدعوه يأكل اللقمة التي في يده بل ارموها من يده فجاء اربعة من العساكر وجبوه على وجهه بعد ان رموا اللقمة من يده واوقفوه قدام زمرد فامتنعت الناس عن الاكل وقال بعضهم لبعض والله انه ظالم لانه لم يأكل من طعام امثاله فقال واحد انا قنعت بهذا الكشك الذي قدامي فقال الحشاش الحمد لله الذي منعني ان آكل من الصحن الارز الحلو شيأ لاني كنت انتظر ان يستقر قدامه ويتهنى عليه ثم آكل معه فحصل له ما رأينا فقالت الناس لبعضهم اصبروا حتى ننظر ما يجري عليه فلما قدموه بين يدي الملكة زمرد قالت له ويلك من ازرق العينين ما اسمك وما سبب قدومك الى بلادنا فانكر الملعون اسمه وكان متعمما بعمامة بيضاء فقال يا ملكة اسمي علي وصنعتي حبال وجئت الى هذه المدينة من اجل التجارة فقالت زمرد ائتوني بتخت رمل وقلم من نحاس فجاؤا بما طلبته في الحال فاخذت التخت الرمل والقلم وضربت تخت رمل وخطت بالقلم صورة مثل صورة قرد ثم بعد ذلك رفعت رأسها وتأملت في برسوم ساعة زمانية وقالت له يا كاب كيف تكذب على الملوك اما انت نصراني واسمك برسوم وقد اتيت الى حاجة تفتش عليها فاصدقني الخبر والا وعزة الربوبية اضرب عنقك فتلجلج النصراني فقال الامراء والحاضرون ان هذا الملك يعرف ضرب الرمل سبحان من اعطاه ثم صاحت على النصراني وقالت له اصدقني الخبر والا اهلكتك فقال النصراني العفو يا ملك الزمان انك صادق في ضرب الرمل فان الابعد نصراني وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان النصراني قال العفو يا ملك الزمان انك صادق في ضرب الرمل فان الابعد نصراني فتعجب الحاضرون من الامراء وغيرهم من اصابة الملك في ضرب الرمل وقالوا ان هذا الملك معجم ما في الدنيا مثله ثم ان الملكة امرت بان يسلخ النصراني ويحشى جلده تبنا ويعلق على باب الميدان وان يحفر حفرة في خارج البلد ويحرق فيها لحمه وعظمه وترمى عليه الاوساخ والاقذار فقالوا سمعا وطاعة وفعلوا جميع ما امرتهم به فلما نظر الخلق ما حل بالنصراني قالوا جزاؤه ما حل به فما كان اشأمها لقمة عليه فقال واحد منهم على البعيد الطلاق عمري ما بقيت آكل ارزا حلوا فقال الحشاش الحمد لله الذي عافاني مما حل بهذا حيث حفظني من اكل ذلك الارز ثم خرج الناس جميعهم وقد حرموا الجلوس على الارز الحلو في موضع ذلك النصراني ولما كان الشهر الثالث مدوا السماط على جرى العادة وملؤه بالاصحن وقعدت الملكة زمرد على الكرسي ووقف العسكر على جرى العادة وهم خائفون من سطوتها ودخلت الناس من اهل المدينة على العادة ودار واحول السماط ونظروا الى موضع الصحن فقال واحد منهم للاخر ياخ خلف قال له لبيك ياخ خالد قال تجنب الصحن الارز الحلو واحذر ان تأكل منه فان اكلت منه تصبح مشنوقا ثم انهم جلسوا حول السماط للاكل فبينما هم يأكلون والملكة زمرد جالسة اذ حانت منها التفاتة الى رجل داخل يهرول من باب الميدان فتأملته فوجدته جوان الكردي اللص الذي قتل الجندي وسبب مجيئه انه كان ترك امه ومضى الى رفقائه وقال لهم اني كسبت البارحة كسبا طيبا وقتلت جنديا واخذت فرسه وحصل لي في تلك الليلة خرج ملآن ذهبا وصبية قيمتها اكثر من الذهب الذي في الخرج ووضعت جميع ذلك في الغار عند والدتي ففرحوا بذلك وتوجهوا الى الغار في آخر النهار ودخل جوان الكردي قدامهم وهم خلفه واراد ان يأتي لهم بما قال لهم عليه فوجد المكان قفرا فسأل امه عن حقيقة الامر فاخبرته بجميع ما جرى فعض على كفيه ندما وقال والله لادورن على هذه الفاجرة وآخذها من المكان الذي هي فيه ولو كانت في قشور الفستق واشفي غليلي منها وخرج يفتش عليها ولم يزل دائرا في البلاد حتى وصل الى مدينة الملكة زمرد فلما دخل المدينة لم يجد فيها احدا فسأل بعض النساء الناظرات من الشبابيك فاعلمنه ان اول كل شهر يمد السلطان سماطا وتروح الناس وتأكل منه ودلوه على الميدان الذي يمد فيه السماط فجاء وهو يهرول فلم يجد مكانا خاليا يجلس فيه الا عند الصحن المتقدم ذكره فقعد وصار الصحن قدامه فمد يده اليه فصاحت عليه الناس وقالوا له يا اخانا ماتريد ان تعمل قال اريد ان آكل من هذا الصحن حتى اشبع فقال له واحد ان اكلت منه تصبح مشنوقا فقال له اسكت ولا تنطق بهذا الكلام ثم مد يده الى الصحن وجره قدامه وكان الحشاش المتقدم ذكره بالسافي جنبه فلما رأه جر الصحن قدامه هرب من مكانه وطارت الحشيشة من رأسه وجلس بعيدا وقال انا مالي حاجة بهذا الصحن ثم ان جوان الكردي مد يده الى الصحن وهي في صورة رجل الغراب وغرف بها واطلعها منه وهي في صورة خف الجمل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان جوان الكردي اطلع يده من الصحن وهي في صورة خف الجمل ودور

اللقمة فى كفه حتى صارت مثل النارنجة الكبيرة ثم رماها فى فمه بسرعة فانحدرت فى حلقه ولها فرقعة مثل الرعد وبان قعر الصحن من موضعها فقال له من بجانبه الحمد لله الذى لم يجعلنى طعاما بين يديك لانك خسفت الصحن بلقمة واحدة فقال الحشاش دعوه يأكل فانى تخيلت فيه صورة المشنوق ثم التفت اليه وقال له كل لا هنالك الله فمد يده الى اللقمة الثانية واراد ان يدورها فى يده مثل اللقمة الاولى واذا بالملكة صاحت على بعض الجند وقالت لهم هاتوا ذلك الرجل بسرعة ولا تدعوه يأكل اللقمة التى فى يده فتجارت عليه العساكر وهو مكب على الصحن وقبضوا عليه واخذوه واوقفوه قدام الملكة زمرد فشمتت الناس به وقالوا لبعضهم انه يستاهل لانا نصحناه فلم ينتصح وهذا المكان موعود بقتل من جلس فيه وذلك الارز مشئوم على كل من يأكل منه ثم ان الملكة زمرد قالت له ما اسمك وما صنعتك وما سبب مجيئك مدينتنا فقال يا مولانا السلطان اسمى عثمان وصنعتى خولى بستان وسبب مجيئى الى هذه المدينة انى دائر افتش على شئ ضاع منى فقالت الملكة على بتخت الرمل فاحضروه بين يديها فاخذت القلم وضربت تخت رمل ثم تأملت فيه ساعة وبعد ذلك رفعت رأسها وقالت له ويلك يا خبيث كيف تكذب على الملوك هذا الرمل يخبرنى ان اسمك جوان الكردى وصنعتك انك اص تأخذ اموال الناس بالباطل وتقتل النفس التى حرم الله قتلها الا بالحق ثم صاحت عليه وقالت له يا خنزير اصدقنى بخبرك والا قطعت رأسك فلما سمع كلامها اصفر لونه وضحكت اسنانه وظن انه ان نطق بالحق ينجو فقال صدقت ايها الملك ولكننى اتوب على يديك من الآن وارجع الى الله تعالى فقالت له الملكة لا يحل لى ان اترك آفة فى طريق المسلمين ثم قالت لبعض اتباعها خذوه واسحلوا جلده وافعلوا به مثل ما فعلتم بنظيره فى الشهر الماضى ففعلوا ما امرتهم به ولما رأى الحشاش العسكر حين قبضوا على ذلك الرجل ادار ظهره الى الصحن الارز وقال ان استقبالك بوجهى حرام ولما فرغوا من الاكل تفرقوا وذهبوا الى اماكنهم وطلعت الملكة قصرها واذنت للمماليك بالانصراف ولما هل الشهر الثالث نزلوا الى الميدان على جرى العادة واحضروا الطعام وجلس الناس ينتظرون الاذن واذا بالملكة قد اقبلت وجلست على الكرسى وهى تنظر اليهم فوجدت موضع الصحن الارز خاليا وهو يسع اربعة انفس فتعجبت من ذلك فبينما هى تجول بنظرها اذ حانت منها التفاتة فنظرت انسانا داخلا من باب الميدان يهرول وما زال يهرول حتى وقف على السماط فلم يجد مكانا خاليا الا عند الصحن فجلس فيه فتأملته فوجدته الملعون النصرانى الذى سمى نفسه رشيد الدين فقالت فى نفسها اما ابرك هذا الطعام الذى وقع فى حبائل هذا الكافر وكان لمجيئه سبب عجيب وهو انه لما رجع من سفره وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملعون الذى سمى نفسه رشيد الدين لما رجع من سفره اخبره اهل بيته ان زمرد قد فقدت ومعها خرج مال فلما سمع ذلك الخبر شق ثوابه ولطم على وجهه ونتف لحيته وارسل اخاه برسوما يفتش عليها فى البلاد فلما ابطأ عليه خبره خرج هو بنفسه ليفتش على اخيه وعلى زمرد فى البلاد فرمته المقادير الى مدينة زمرد ودخل تلك المدينة فى اول يوم من الشهر فلما مشى فى شوارعها وجدها خالية ورأى الدكاكين مقفولة ونظر النساء فى الطيقان فسأل بعضهن عن هذا الحال فقلن له ان الملك يعمل سماطا لجميع الناس فى اول كل شهر وتأكل منه الخلق جميعا وما يقدر احد ان يجلس فى بيته ولا فى دكانه

ودلوه على الميدان فلما دخل الميدان وجد الناس مزدحمين على الطعام ولم يجد موضعا خاليا الا الموضع الذى فيه الصحن الارز المعهود فجلس فيه ومديده ليأكل منه فصاحت الملكة على بعض العسكر وقالت هاتوا الذى قعد على الصحن الارز فعرفوه بالعادة وقبضوا عليه واوقفوه قدام الملكة زمرد فقالت له ويلك ما اسمك وما صنعتك وما سبب مجيئك الى مدينتنا فقال يا ملك الزمان اسمى رستم ولا صنعة لى لانى فقير درويش فقالت لجماعتها هاتوا الى تخت رمل والقلم النحاس فاتوها بما طلبته على العادة فاخذت القلم وخطت به تخت رمل ومكثت تتأمل فيه ساعة ثم رفعت رأسها اليه وقالت يا كلب كيف تكذب على الملوك انت اسمك رشيد الدين النصرانى وصنعتك انك تنصب الحيل لحوارى المسلمين وتأخذهن وانت مسلم فى الظاهر نصرانى فى الباطن فانطق بالحق وان لم تنطق بالحق فانى اضرب عنقك فتلجلج فى كلامه ثم قال صدقت يا ملك الزمان فامرت به ان يمد ويضرب على كل رجل مائة سوط وعلى جسده الف سوط وبعد ذلك يسلخ ويحشى جلده سياسا ثم تحفر له حفرة فى خارج المدينة ويحرق وبعد ذلك يضعون عليه الاوساخ والاقذار ففعلوا ما امرتهم به ثم اذنت للناس بالاكل فاكلوا ولما فرغ الناس من الاكل وانصرفوا الى حال سبيلهم طلعت الملكة زمرد الى قصرها وقالت الحمد لله الذى اراح قلبى من الذين آذونى ثم انها شكرت فاطر الارض والسموات وانشدت هذه الابيات

تحكموا فاستطالوا فى تحكمهم * وبعد حين كأن الحكم لم يكن
لو انصفوا انصفوا لكن بغوا فاتى * عليهم الدهر بالافات والمحن
فاصبحوا ولسان الحال ينشدهم * هذا بذاك ولا عتب على الزمن

ولما فرغت من شعرها خطر ببالها سيدها على شار فبكت بالدموع الغزار وبعد ذلك رجعت الى عقلها وقالت فى نفسها لعل الله الذى مكننى من اعدائى يمن على برجوع احبائى فاستغفرت الله عز وجل وادرلنشهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملكة استغفرت الله عز وجل وقالت لعل الله يجمع شملى بحبيبى على شار قريبا انه على ما يشاء قدير وبعباده لطيف خبير ثم حمدت الله ووالت الاستغفار وسلمت لمواقع الاقدار وايقنت انه لابد لكل اول من آخر وانشدت قول الشاعر

هون عليك فان الامور * بكف الاله مقاديرها
فليس بآتيك منهيها * ولا قاصر عنك مأمورها

وقول الاخر

درج الايام تدرج * وبيوت الهم لا تلج
رب امر عز مطلبه * قربته ساعة الفرج

وقول الاخر

كن حليما اذا بليت بغيظ * وصبورا اذا انتك مصيبه
ان ليالى من الزمان حبالى * منقلات بلدن كل عجيبه

وقول الاخر

اصبر فنى الصبر خير لو علمت به ✻ لطبت نفسا ولم تجزع من الالم
واعلم بانك لولم تصطبر كرما ✻ صبرت رغما على ماخط بالقلم

فلما فرغت من شعرها مكثت بعد ذلك شهرا كاملا وهى بالنهار تحكم بين الناس وتأمر وتنهى وبالليل تبكى وتنحب على فراق سيدها على شار ولما هل الشهر الجديد امرت بمد السماط فى الميدان على جرى العادة وجلست فوق الناس وصاروا ينتظرون الاذن فى الاكل وكان موضع الصحن الارز خاليا وجلست هى على رأس السماط وجعلت عينها قبال باب الميدان لتنظر كل من يدخل منه وصارت تقول فى سرها يا من رد يوسف على يعقوب وكشف البلاء عن ايوب امنن على برد سيدى على شار بقدرتك وعظمتك انك على كل شئ قدير يا رب العالمين يا هادى الضالين يا سامع الاصوات يا مجيب الدعوات استجب منى يا رب العالمين فلم يتم دعاؤها الا وشخص داخل من باب الميدان كأن قوامه غصن بان الا انه نحيل البدن يلوح عليه الاصفرار وهو احسن ما يكون من الشباب كامل العقل والادب فلما دخل لم يجد موضعا خاليا الا الموضع الذى عند الصحن الارز فجلس فيه ولما رأته زمرد خفق قلبها فخفقت النظر فيه فتبين لها انه سيدها على شار فاراد ت ان تصرخ من الفرح فنبهت نفسها وخشيت من الفضيحة بين الناس ولكن تقلقلت احشاؤها واضطرب قلبها فكتمت ما بها وكان السبب فى مجيء على شار انه لما رقد على المسطبة ونزلت زمرد واخذها جوان الكردى استيقظ بعد ذلك فوجد نفسه مكشوف الرأس فعرف ان انسانا تعدى عليه واخذ عمامته وهو نائم فقال الكلمة التى لا يخجل قائلها وهى انا لله وانا اليه راجعون ثم انه رجع الى العجوز التى كانت اخبرته بمكان زمرد وطرق عليها الباب فخرجت اليه فبكى بين يديها حتى وقع مغشيا عليه فلما افاق اخبرها بجميع ما حصل له فلامته وعنفته على ما وقع منه وقالت له ان مصيبتك وداهيتك من نفسك ولا زالت تلومه حتى طفح الدم من مخاريه ووقع مغشيا عليه فلما افاق من غشيته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان عليا شارا لما افاق من غشيته رأى العجوز تبكى من اجله وتفيض دمع العين فتضجر وانشد هذين البيتين

ما امر الفراق للاحباب ✻ والذ الوصال للعشاق
جمع الله شمل كل محب ✻ ورعانى لانى فى السياق

فحزنت عليه العجوز وقالت له اقعد هنا حتى اكشف لك الخبر واعود بسرعة فقال سمعا وطاعة ثم تركته وذهبت وغابت عنه الى نصف النهار ثم عادت اليه وقالت يا على ما اظن الا انك تموت بحسرتك لانك ما بقيت تنظر محبوبتك الا على الصراط وذلك ان اهل القصر لما اصبحوا وجدوا الشباك الذى يطل على البستان مخلوعا ووجدوا زمرد مفقودة ومعها اخرج مال للنصرانى ولما وصلت هنالك وجدت الوالى واقفا على باب القصر هو وجماعته فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فلما سمع على شار منها هذا الكلام تبدل الضياء فى وجهه بالظلام ويئس من الحياة وايقن بالوفاة ومازال يبكى حتى وقع مغشيا عليه فلما افاق اشربه العشق والفراق ومرض مرضا شديدا ولزم داره فمازالت العجوز تأتيه بالاطباء وتسقيه الاشربة وتعمل له المسالق مدة سنة كاملة حتى ردت له روحه فتذكر ما فات

وانشد هذه الابيات

الهم مجتمع والشمل مفترق * والدمع مستبق و القلب محترق
زاد الغرام على من لا قرار له * وقد ضناه الهوى والشوق والقلق
يارب ان كان شئ فيه لى فرج * فامنن على به مادام لى رمق

ولما دخلت عليه السنة الثانية قالت له الجوزيا ولدى هذا الذى انت فيه من الكآبة والحزن لا برد عليك محبوبتك فقم وشد حيلك وفتش عليها فى البلاد لعلك ان تقع على خبرها ولم تزل تجلده وتقويه حتى نشطته وادخلته الحمام واسقته الشراب واطعمته الدجاج وصارت كل يوم تفعل معه كذلك مدة شهر حتى تقوى وسافر ولم يزل مسافرا الى ان وصل الى مدينة زمردود خل الميدان وجلس على الطعام ومديده ليأكل فحزنت عليه الناس وقالوا له ياشاب لا تأكل من هذا الصحن لان من اكل منه يحصل له ضرر فقال دعونى آكل منه ويفعلون بى ما يريدون لعلى استريح من هذه الحياة المتعبة ثم اكل اول لقمة وارادت زمردان تحضره بين يديها خطر ببالها انه جائع فقالت فى نفسها المناسب انى ادعه يأكل حتى يشبع فصار يأكل والخلق باهتة له ينتظرون الذى يجرى له فلما اكل وشبع قالت لبعض الطواشية امضوا الى ذلك الشاب الذى يأكل من الارز وهاتوه برفق وقولوا له كلم الملك لسؤال لطيف وجواب فقالوا سمعا وطاعة ثم ذهبوا اليه حتى وقفوا على رأسه وقالوا له ياسيدى تفضل كلم الملك وانت منشرح الصدر فقال سمعا وطاعة ثم مضى مع الطواشية وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان على شار قال سمعا وطاعة ثم ذهب مع الطواشية فقال الخلق لبعضهم لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم باترى ما الذى يفعله به الملك فقال بعضهم لا يفعل به الا خيرا لانه لو كان يريد ضرره ما كان تركه ياكل حتى يشبع فلما وقف قدام زمردسلم وقبل الارض بين يديها فردت عليه السلام وقابلته بالاكرام وقالت له ما اسمك وما صنعتك وما سبب مجيئك الى هذه المدينة فقال لها يا ملك اسمى على شار وانا من اولاد التجار وبلدى خراسان وسبب مجيئى الى هذه المدينة التفتيش على جارية ضاعت منى وكانت عندى اعز من سمعى وبصرى فروحى متعلقة بها من حين فقدتها وهذه قصتى ثم بكى حتى غشى عليه فامرت ان يرشوا على وجهه ماء الورد فرشوا على وجهه ماء الورد حتى افاق فلما افاق من غشيته قالت على بتخت الرمل والقلم النحاس فجاؤا به فاخذت القلم وضربت تخت رمل وتأملت فيه ساعة من الزمان ثم بعد ذلك قالت له صدقت فى كلامك الله يجمعك عليها قريبا فلا تقلق ثم امرت الحاجب ان يمضى به الى الحمام ويلبسه بدلة حسنة من ثياب الملوك وركبه فرسا من خواص خيل الملك ويمضى به بعد ذلك الى القصر فى آخر النهار فقال الحاجب سمعا وطاعة ثم اخذه من قدامها وتوجه به فقال الناس لبعضهم ما بال السلطان لاطف الغلام هذه الملاطفة وقال بعضهم اما قلت لكم انه لا يسيئه فان شكله حسن ومن حين صبر عليه لما شبع عرفت ذلك وصار كل واحد منهم يقول مقالة ثم تفرق الناس الى حال سبيلهم وما صدقت زمردان الليل يقبل حتى تخلى بمحبوب قلبها فلما اتى الليل دخلت محل مبيتها واظهرت انه غلب عليها النوم ولم يكن لها عادة بان ينام عندها احد غير خادمين

صغير بن برسم الخدمة فلما استقرت فى ذلك المحل ارسلت الى محبوبها على شار وقد جلست على السرير والشمع يضئ فوق رأسها وتحت رجليها والتعاليق الذهب مشرقة فى ذلك المحل فلما سمع الناس بارسالها اليه تعجبوا من ذلك وصار كل واحد منهم يظن ظنا ويقول مقالة وقال بعضهم ان الملك على كل حال تعلق بهذا الغلام وفى غد يجعله قائد عسكر فلما دخلوا به عليها قبل الارض بين يديها ودعالها فقالت فى نفسها لابد ان امزح معه ساعة ولا اعلمه بنفسى ثم قالت يا على هل ذهبت الحمام قال نعم يا مولاى قالت قم كل من هذا الدجاج واللحم واشرب من هذا السكر والشراب فانك تعبان وبعد ذلك تعال هنا فقال سمعا وطاعة ثم فعل ما امرته به ولما فرغ من الاكل والشرب قالت له اطلع عندى على السرير وكبسنى فشرع يكبس رجليها وسيقانها فوجدها انعم من الحرير فقالت له اطلع بالتكبيس الى فوق فقال العفو يا مولاى من عند الركبة ما اتعدى قالت اتخالفنى فتكون ليلة مشئومة عليك وادركها شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان زمرد قالت لسيدها على شار اتخالفنى فتكون ليلة مشئومة عليك بل ينبغى لك ان تطاوعنى وانا اعملك معشوقى واجعلك اميرا من امرائى فقال على شار يا ملك الزمان ما الذى اطيعك فيه قالت حل لباسك ونم على وجهك فقال هذا شئ عمرى ما فعلته وان قهرتنى على ذلك فانى اخاصمك فيه عند الله يوم القيامة تخذ كل شئ اعطيتنى اياه ودعنى اروح من مدينتك ثم بكى وانتحب فقالت له حل لباسك ونم على وجهك والا ضربت عنقك ففعل فطلعت على ظهره فوجدت شيأ ناعما انعم من الحرير واليّن من الزبد فقال فى نفسه ان هذا الملك خير من جميع النساء ثم انها صبرت ساعة وهى على ظهره وبعد ذلك انقلبت على الارض فقال على شار الحمد لله كأن ذكره لم ينتصب فقالت يا على ان من عادة ذكرى انه لا ينتصب الا اذا عركوه بايديهم فقم واعركه بيدك حتى ينتصب والا قتلتك ثم رقدت على ظهرها واخذت يده ووضعتها على فرجها فوجد فرجا انعم من الحرير وهو ابيض مربرب كبير محكى فى السخونة حرارة الحمام او قلب صب ضناه الغرام فقال على شار فى نفسه ان الملك له كس فهذا من العجب العجاب وادركته الشهوة فصار ذكره فى غاية الانتصاب فلما رأت منه ذلك ضحكت وقهقهت وقالت يا سيدى قد حصل هذا كله وما تعرفنى فقال ومن انت ايها الملك قالت انا جاريتك زمرد فلما علم ذلك قبلها وعانقها وانقض عليها مثل الاسد على الشاه وتحقق انها جاريته بلا اشتباه فاغمد قضيبه فى جرابها ولم يزل بوابا لبابها واما ما لحرابها وهى معه فى ركوع وسجود وقيام وقعود الا انها صارت تتبع التسبيحات بغنج فى ضمنه حركات حتى سمع الطواشية لجاؤا ونظروا من خلف الاستار فوجدوا الملك راقدا وفوقه على شار وهو يرصع ويرهز وهى تشخر وتغنج فقالت الطواشية ان هذا الغنج ما هو غنج رجل لعل هذا الملك امرأة ثم كتموا امرهم ولم يظهروه على احد فلما اصبحت زمرد رملت الى كامل العسكر وارباب الدولة واحضرتهم وقالت لهم انا اريد ان اسافر الى بلد هذا الرجل فاختاروا لكم نائبا يحكم بينكم حتى احضر عندكم فاجابوا زمردا بالسمع والطاعة ثم شرعت فى تجهيز آلة السفر من زاد واموال وارزاق وتحف وجمال وبغال وسافرت من المدينة ولم تزل مسافرة الى ان وصلت الى بلد على شار ودخل منزله واعطى وتصدق ووهب ورزق منها الاولاد

وعاشا فى احسن المسرات الى ان اتاهما هادم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان الباقى بلا زوال والحمد لله على كل حال ومما يحكى ان امير المؤمنين هارون الرشيد ارق ليلة من الليالى وتعذر عليه النوم ولم يزل يتقلب من جنب الى جنب لشدة ارقه فلما اعياه ذلك احضر مسرورا وقال له يا مسرور انظر لى من يسلينى على هذا الارق فقال له يا مولاى هل لك ان تدخل البستان الذى فى الدار وتتفرج على ما فيه من الازهار وتنظر الى الكواكب وحسن ترصيعها والقمر بينها مشرق على الماء فقال له يا مسرور ان نفسى لا تهفو الى شئ من ذلك قال يا مولاى ان فى قصرك ثلاثمائة سرية لكل سرية مقصورة فامر كل واحدة منهن ان تختلى بنفسها فى مقصورتها وتدور انت تتفرج عليهن وهن لا يدرين قال يا مسرور القصر قصرى والجوارى ملكى غير ان نفسى لا تهفو الى شئ من ذلك قال يا مولاى أأمر العلماء والحكماء والشعراء ان يحضروا بين يديك ويفيضون فى المباحث وينشدون لك الاشعار ويقصون عليك الحكايات والاخبار قال ما تهفو نفسى الى شئ من ذلك قال يا مولاى أأمر الغلمان والندماء والظرفاء ان يحضروا بين يديك ويتحفوك بغريب النكات قال يا مسرور ما تهفو نفسى الى شئ من ذلك قال يا مولاى فاضرب عنق وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان مسرورا قال للخليفة يا مولاى فاضرب عنقى لعله يزيل ارقك ويذهب القلق الذى عندك فضحك الرشيد من قوله وقال له يا مسرور انظر من بالباب من الندماء فخرج مسرور ثم عاد وقال يا مولاى الذى على الباب على بن منصور الخليعى الدمشقى قال على به فذهب واتى به فلما دخل قال السلام عليك يا امير المؤمنين فرد عليه السلام وقال يا ابن منصور حدثنا بشئ من اخبارك فقال يا امير المؤمنين هل احدثك بشئ رأيته عيانا او بشئ سمعت به فقال امير المؤمنين ان كنت عاينت شيأ غريبا فحدثنا به فانه ليس الخبر كالعيان قال يا امير المؤمنين اخل لى سمعك وقلبك قال يا ابن منصور ها انا سامع لك باذنى ناظر لك بعينى مصغ لك بقلبى قال يا امير المؤمنين اعلم ان لى كل سنة رسما على محمد ابن سليمان الهاشمى سلطان البصرة فخضت اليه على عادتى فلما وصلت اليه وجدته متهيئا للركوب الى الصيد والقنص فسلمت عليه وسلم على وقال لى يا ابن منصور اركب معنا الى الصيد فقلت له يا مولاى ما لى قدرة على الركوب فاجلسنى فى دار الضيافة ووصى على الحجاب والنواب ففعل ثم توجه الى الصيد فاكرمونى غاية الاكرام وضيفونى احسن الضيافة فقلت فى نفسى يا لله العجب ان لى مدة اقدم من بغداد الى البصرة ولم اعرف فى البصرة سوى من القصر الى البستان ومن البستان الى القصر ومتى يكون لى فرصة انتهزها فى الفرجة على جهات البصرة مثل هذه النوبة فانا اقوم فى هذه الساعة واتمشى وحدى لاتفرج وانهضم عنى الاكل فلبست الخز ثيابى وتمشيت فى جانب البصرة ومعلوم لك يا امير المؤمنين ان فيها سبعين درباطول كل درب سبعون فرسخا بالعراقى فتهت فى ازقتها ولحقنى العطش فبينما انا ماش يا امير المؤمنين واذا بباب كبير له حلقتان من النحاس الاصفر ومرخى عليه ستور من الديباج الاحمر وفى جانبيه مسطبتان وفوقه مكعب لدوالى العنب وقد ظللت على ذلك الباب فوقفت اتفرج على هذا المكان فبينما انا واقف اذ سمعت صوت انين ناشئ عن قلب حزين يقلب النغمات وينشد هذه الابيات

جسمي غدا منزل الاسقام والمحن * من اجل ظبي بعيد الدار والوطن
فيا نسيما زرود هيجا شجني * بالله ربكما عوجا على سكني
وعاتباه لعل العتب يعطفه
وحسنا القول اذ يصغى لقولكما * واستدرجا خبر العشاق بينكما
واوليا في جميلا من صنيعكما * وعرضا بي وقولا في حديثكما
ما بال عبدك بالهجران تتلفه
من غير ذنب جناه او مخالفة * او ميل قلب لغير او محارفة
او نقض عهد وثيق او معاسفة * فان تبسم قولا في ملاطفة
ماضر لو بوصال منك تسعفه
فانه بك مشغوف كما يجب * وطرفه ساهر يبكي وينتحب
فان ابان الرضى فالقصد والارب * وان بدا لكما في وجهه غضب
فغالطاه وقولا ليس نعرفه

فقلت في نفسي ان كان صاحب هذه النعمة مليحا فقد جمع بين الملاحة والفصاحة وحسن الصوت ثم دنوت من الباب وجعلت ارفع الستر قليلا قليلا واذا انا بجارية بيضاء كانها البدر اذا بدر في ليلة اربعة عشر بحاجبين مقرونين وجفنين ناعسين ونهدين كرمانتين ولها شفتان رقيقتان كانهما الحوانتان وفم كانه خاتم سليمان ونضيد اسنان يلعب بعقل الناظم والناثر كما قال فيه الشاعر

يا درثغر الحبيب من نظمك * واردع الراح والاقاح فمك
ومن اعار الصباح مبتسمك * ومن بقفل العقيق قد ختمك
اصبح من رأك من طرب * يتيه عجبا فكيف من لثمك

وقول الاخر

يا درثغر حبيبي * كن بالعقيق رحيما
ولا تعال عليه * الم يجدك يتيما

وبالجملة فقد حازت انواع الجمال وصارت فتنة للنساء والرجال لا يشبع من رؤية حسنها الناظر وهي كما قال فيها الشاعر

ان اقبلت قتلت وان هي ادبرت * جعلت جميع الناس من عشاقها
شمسية بدرية لكنها * ليس الجفا والصد من اخلاقها
جنات عدن فتحت بقميصها * والبدر في فلك على اطواقها

فبينا انا انظر اليها من خلال الستارة واذا هي التفتت فرأتني واقفا على الباب فقالت لجاريتها انظري من بالباب فقامت الجارية واتت الي وقالت يا شيخ اليس عندك حياء وهل شيب وعيب فقلت لها ياسيدتي اما الشيب فقد عرفناه واما العيب فما اظن اني اتيت بعيب فقالت سيدتها واي عيب اكبر من تجسمك على دار غير دارك ونظرك الى حريم غير حريمك فقلت لها ياسيدتي ان لي عذرا في ذلك فقالت وما عذرك فقلت لها اني انا رجل غريب عطشان وقد قتلني العطش فقالت قبلنا عذرك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية قالت قبلنا عذرك ثم نادت بعض جواريها وقالت يا لطف اسقيه شربة بالكوز الذهب فجأتني بكوز من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر ملآن ماء ممزوجا بالمسك الاذفر وهو مغطى بمنديل من الحرير الاخضر فجعلت اشرب واطيل في شربي وانا اسارق النظر اليها حتى طال وقوفي ثم رددت الكوز على الجارية ووقفت فقالت ياشيخ امض الى حال سبيلك فقلت لها ياسيدتي انا مشغول الفكر فقالت فيما ذا فقلت في تقلب الزمان وتصرف الحدثان قالت يحق لك لان الزمان ذو عجائب ولكن ما الذي رأيت من عجائبه حتى تفكر فيه فقلت لها افكر في صاحب هذه الدار لانه كان صديقي في حال حياته فقالت لي ما اسمه فقلت محمد بن علي الجوهري وكان ذا مال جزيل فهل خلف اولادا قالت نعم خلف بنتا يقال لها بدور وقد ورثت اموالها جميعها فقلت لها كانك ابنته قالت نعم وضحكت ثم قالت ياشيخ قد اطلت الخطاب فاذهب الى حال سبيلك فقلت لها لابد من الذهاب ولكني ارى محاسنك متغيرة فاخبريني بشأنك لعل الله يجعل لك على يدي فرجا فقالت لي ياشيخ ان كنت من اهل الاسرار كشفنا لك سرنا فاخبرني من انت حتى اعرف هل انت محل للسر اولا فقد قال الشاعر

لا يكتم السر الا كل ذي ثقة * والسر عند خيار الناس مكتوم
قد صنت سري في بيت له غلق * قد ضاع مفتاحه والباب مختوم

فقلت لها ياسيدتي ان كان قصدك ان تعلمي من انا فانا علي بن منصور الخليعي الدمشقي نديم امير المؤمنين هارون الرشيد فلما سمعت باسمي نزلت من على كرسيها وسلمت علي وقالت لي مرحبا بك يا ابن منصور الان اخبرك بحالي واستأمنك على سري انا عاشقة مفارقة فقلت لها ياسيدتي انت ملجحة وما تعشقين الا كل ملجح فمن الذي تعشقينه قالت اعشق جبير بن عمير الشيباني امير بني شيبان وقد وصفت لي شابا لم يكن بالبصرة احسن منه فقلت لها ياسيدتي هل جرى بينكما مواصلة او مراسلة قالت نعم الا انه قد عشقنا عشقا باللسان لا بالقلب والجنان لانه لم يف بوعد ولم يحافظ على عهد فقلت لها ياسيدتي وما سبب الفراق بينكما قالت سببه اني كنت يوما جالسة وجاريتي هذه تسرح شعري فلما فرغت من تسريحه جدلت ذوائبي فاعجبها حسني وجمالي فطأطأت علي وقبلت خدي وكان في ذلك الوقت داخلا على غفلة فرأى ذلك فلما رأى الجارية تقبل خدي ولى من وقته غضبان عازما على دوام البين وانشد هذين البيتين

اذا كان لي في من احب مشارك * تركت الذي اهوى وعشت وحيدا
فلا خير في المعشوق ان كان في الهوى * لغير الذي يرضى المحب مريدا

ومن حين ولى معرضا عني الى الان لم يأتنا من عنده كتاب ولا جواب يا ابن منصور فقلت لها كم تريدين قالت اريد ان ارسل اليه معك كتابا فان اتيتني بجوابه فلك عندي خمسمائة دينار وان لم تأتني بجوابه فلك حتى مشيك مائة دينار فقلت لها افعلي ما بدا لك فقالت سمعا وطاعة ثم نادت بعض جواريها وقالت ائتيني بدواة وقرطاس فاتتها بدواة وقرطاس فكتبت هذه الابيات

حبيبي ما هذا التباعد والقلا * فاين التغاضي بيننا والتعطف
ومالك بالهجران عني معرضا * فاوجهك الوجه الذي كنت اعرف

نعم نقل الواشون عنى باطلا * خلت لما قالوا فزادوا واسرفوا
فان تك قد صدقتهم فى حديثهم * فحاشاك من هذا ورأيك اعرف
بعيشك قل لى ما الذى قد سمعته * فانك تدرى ما يقال وتصنف
فان كان قولا صح انى قلته * فللقول تأويل وللقول مصرف
وهب انه قول من الله منزل * فقد بدل التوراة قوم وحرفوا
وبالزور كم قد قيل فى الناس قبلنا * فها عند يعقوب تلوم يوسف
وها انا والواشى وانت جميعنا * يكون لنا يوم عظيم وموقف

ثم بعد ذلك ختمت الكتاب وناولتنى اياه فاخذته ومضيت الى دار جبير بن عمير الشيبانى فوجدته فى الصيد فجلست انتظره فبينما انا جالس واذا به قد اقبل من الصيد فلما رأيته يا امير المؤمنين على فرسه ذهل عقلى من حسنه وجماله فالتفت فرأنى جالسا بباب داره فلما رأنى نزل عن جواده واتى الى واعتنقنى وسلم على فخيل لى انى اعتنقت الدنيا وما فيها ثم دخل بى الى داره واجلسنى على فراشه وامر بتقديم المائدة فقدموا مائدة من الخولنج الخراسانى وقوائمها من الذهب عليها جميع الاطعمة وانواع اللحم من مقلى ومشوى وما اشبه ذلك فلما جلست على المائدة امعنت اليها الالتفات فوجدت مكتوبا عليها هذه الابيات وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثلاثين بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان عليا بن منصور قال لما جلست على مائدة جبير بن عمير الشيبانى فامعنت اليها الالتفات فوجدت مكتوبا عليها هذه الابيات

عج بالغرانيق فى ربع السكاريج * وانزل بحى القلايا والسكايج
واندب بنات الغطا مازات اندبها * مع المحر فى وسط الغراريج
يا لهف قلبى على لونين من سمك * لذى رغيف طرى فى المعاريج
لله در العشا ما كان احسنه * والبقل يغمس فى خل الدكاكيج
كذا الارز بالبان الجموس غدت * فيه الاكف الى حد المدماليج
يا نفس صبرا فان الله ذوكرم * ان ضقت ذرعا اتاك بالتفاريج

ثم ان جبير ابن عمير قال مد يدك الى طعامنا واجبر خاطرنا باكل زادنا فقلت له والله ما اكل من طعامك لقمة واحدة حتى تقضى حاجتى قال فما حاجتك فاخرجت اليه الكتاب فلما قراه وفهم ما فيه مزقه ورماه فى الارض وقال لى يا ابن منصور مهما كان لك من الحوايج قضيناه الا هذه الحاجة التى تتعلق بصاحبة هذا الكتاب فان كتابها ليس له عندى جواب فقمت من عنده غضبان فتعلق باذيالى وقال لى يا ابن منصور انا اخبرك بالذى قالته لك وان لم اكن حاضرا معكما فقلت له ما الذى قالته لى قال اما قالت لك صاحبة هذا الكتاب ان اتيتنى بجوابه فلك عندى خمسمائة دينار وان لم تاتنى بجوابه فلك عندى حق مشيك ماية دينار قلت نعم قال اجلس عندى اليوم وكل واشرب وتلذذ واطرب وخذ لك خمسمائة دينار فجلست عنده واكلت وشربت وتلذذت وطربت وسامرته ثم قلت يا سيدى ما فى دارك سماع قال لى ان لنا مدة نشرب من غير سماع ثم نادى بعض جواريه وقال يا شجرة الدر فاجابته جارية من مقصورتها

ومعها عود من صنع الهنود ملفوف فى كيس من الابريسم ثم جاءت وجلست ووضعته فى حجرها وضربت عليه احدى وعشرين طريقة ثم عادت الى الطريقة الاولى واطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

من لم يذق حلو الغرام ومره * لم يدر وصل حبيبه من هجره
وكذا لمن قد حاد عن سنن الهوى * لم يدر سهل طريقه من وعره
مازلت معترضا على اهل الهوى * حتى بليت بحلوه ومره
وشربت كاس مراره متجرعا * وخضعت فيه لعبده ولحره
كم ليلة بات الحبيب منادمى * ورشفت حلو رضابه من ثغره
ما كان اقصر عمر ليل وصالنا * فجاء وقت عشائه مع فجره
نذر الزمان بان يفرق شملنا * والان قد اوفى الزمان بنذره
حكم الزمان فلا مرد لحكمه * من ذا يعارض سيدا فى امره

فلما فرغت الجارية من شعرها صرخ سيدها صرخة عظيمة ووقع مغشيا عليه فقالت الجارية لا آخذ لك الله ايها الشيخ ان لنا مدة ونحن نشرب بلا سماع مخافة على سيدنا من مثل هذه الصرعة ولكن اذهب الى تلك المقصورة وتم فيها فتوجهت الى المقصورة التى اشارت اليها ونمت فيها الى الصباح واذا انا بغلام اتانى ومعه كيس فيه خمسمائة دينار وقال هذا الذى وعدك به سيدى ولكنك لا تعد الى الجارية التى ارسلتك وكانك لا سمعت بهذا الخبر ولا سمعنا فقلت له سمعا وطاعة ثم اخذت الكيس ومضيت الى حال سبيلى وقلت فى نفسى ان الجارية فى انتظارى من امس والله لابد ان ارجع اليها واخبرها بما جرى بينى وبينه لانى ان لم اعد اليها يعتقد وتشتمنى وتشتم كل من طلع من بلادى فمضيت اليها فوجدتها واقفة خلف الباب فلما رأتنى قالت يا ابن منصور انك ما قضيت لى حاجة فقلت لها من اعلمك بهذا فقالت يا ابن منصور ان معى مكاشفة اخرى وهى انك لما اولتك الورقة مزقتها ورماها وقال لك يا ابن منصور مهما كان لك من الحوايج قضيناه لك الا حاجة صاحبة هذه الورقة فانها ليس لها عندى جواب فقمت انت من عنده مغضبا فتعلق باذيالك وقال لك يا ابن منصور اجلس عندى اليوم فانك ضيفى فكل واشرب والتذ واطرب وخذ لك خمسمائة دينار فجلست عنده واكلت وشربت وتلذذت وطربت وسامرته وغنت الجارية بالصوت الفلانى والشعر الفلانى فوقع مغشيا عليه فقلت لها يا امير المؤمنين هل انت كنت معنا فقالت لى يا ابن منصور اما سمعت قول الشاعر

قلوب العاشقين لها عيون * ترى ما لا يراه الناظرون

ولكن يا ابن منصور ما تعاقب الليل والنهار على شئ الا وغيراه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثلاثون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية قالت يا ابن منصور ما تعاقب الليل والنهار على شئ الا وغيراه ثم رفعت طرفها الى السماء وقالت الهى وسيدى ومولاى كما بليتنى بمحبة جبير ابن عمير ان تبليه بمحبتى وان تنقل المحبة من قلبى الى قلبه ثم انها اعطتنى مائة دينار حق طريق فاخذتها ومضيت الى سلطان البصرة فوجدته قد جاء من الصيد فاخذت رسمى منه ورجعت الى بغداد فلما اقبلت السنة الثانية توجهت الى

مدينة البصرة لاطلب رسمي على عادتي ودفع السلطان الى رسمي ولما اردت الرجوع الى بغداد تفكرت في نفسي امر الجارية بدور وقلت والله لابد ان اذهب اليها وانظر ما جرى بينها وبين صاحبها فجئت الى دارها فرأيت على بابها كنسا ورشا وخدما وحشما وغلمانا فقلت لعل الجارية طفح الهم على قلبها فماتت ونزل في دارها امير من الامراء فتركتها ورجعت الى دار جبير بن عمير الشيباني فوجدت مساطبها قد هدمت ولم اجد على بابه غلمانا مثل العادة فقلت في نفسي لعله مات ثم وقفت على باب داره وجعلت افيض العبرات واندبها بهذه الابيات

ياسادة رحلوا والقلب يتبعهم * عودوا تعد لي اعيادي بعودكم
وقفت في داركم انعى مساكنكم * والدمع يدفق والاجفان تلتطم
اسائل الدار والاطلال باكية * اين الذي كان منه الجود والنعم
اقصد سبيلك فالاحباب قد رحلوا * من الربوع وتحت الترب قد رمموا
لا اوحش الله من رؤيا محاسنهم * طولا وعرضا ولا غابت لهم شيم

فبينما انا اندب اهل هذه الدار بهذه الابيات يا امير المؤمنين واذا بعبد اسود قد خرج علي من الدار فقال ياشيخ اسكت ثكلتك امك مالي ارالك تندب هذه الدار بهذه الابيات فقلت له اني كنت اعهدها الصديق من اصدقائي فقال وما اسمه قلت جبير ابن عمير الشيباني قال واي شيء جرى له الحمد لله هاهو على حاله من الغنى والسعادة والملك ولكن ابتلاه الله بمحبة جارية يقال لها السيدة بدور وهو في محبتها مغمور ومن شدة الوجد والتبريح فهو كالحجر الجلمود الطريح فان جاع لا يقول لهم اطعموني وان عطش لا يقول اسقوني فقلت استأذن لي في الدخول عليه فقال ياسيدي اتدخل على من يفهم او على من لا يفهم فقلت لابد ان ادخل اليه على كل حال فدخل الدار مستأذنا ثم عاد الي آذنا فدخلت عليه فوجدته كالحجر الطريح لا يفهم باشارة ولا تصريح وكلمته فلم يكلمني فقال لي بعض اتباعه ياسيدي ان كنت تحفظ شيأ من الشعر فانشده اياه وارفع صوتك به فانه يتنبه لذلك ويخاطبك فانشدت هذين البيتين

اسلوت حب بدور ام تتجلد * وسهرت ليلك ام جفونك ترقد
ان كان دمعك سائلا مهمولة * فاعلم بانك في الجنان مخلد

فلما سمع هذا الشعر فتح عينه وقال لي مرحبا ابن منصور قد صار الهزل جدا فقلت له ياسيدي الك بي حاجة قال نعم اريد ان اكتب لها ورقة وارسلها معك اليها فان اتيتني بجوابها فلك علي الف دينار وان لم تاتني بجوابها فلك علي حق مشيك مائتا دينار فقلت له افعل مايدالك وادر لك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثلاثون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابن منصور قال فقلت له افعل مايدالك فنادى بعض جواريه وقال ائتني بدواة وقرطاس فاتته بما طلبه فكتب هذه الابيات

سالتكم بالله ياسادتي مهلا * علي فان الحب لم يبق لي عقلا
تمكن مني حبكم وهواكم * فالبسني سقما واورثني ذلا
لقد كنت قبل اليوم استصغر الهوى * واحسبه ياسادتي هينا سهلا
فلما ارتاني الحب امواج بحره * رجعت لحكم الله اعذر من يبلى

فان

فان شئتم ان ترحموني بوصلكم * وان شئتم قتلي فلا تفسوا الفضلا

ثم ختم الكتاب وناولني اياه فاخذته ومضيت به الى داربدور وجعلت ارفع الستر قليلا قليلا على العادة واذا انا بعشر جوار نهد ابكار كانهن الاقمار والسيدة بدور جالسة في وسطهن كانها البدر في وسط النجوم او الشمس اذا خلت عن الغيوم وليس بها الم ولا وجع فبينما انا انظر اليها واتعجب من هذا الحال اذ لاحت منها التفاتة الى فراتني واقفا بالباب فقالت لي اهلا وسهلا ومرحبا بك يا ابن منصور ادخل فدخلت وسلمت عليها وناولتها الورقة فلما قراتها وفهمت ما فيها ضحكت وقالت لي يا ابن منصور ما كذب الشاعر حيث قال

فلا صبر لي على هوالك تجلدا * حتى يجيء الي منك رسول

يا ابن منصور ها انا اكتب لك جوابا حتى يعطيك الذي وعدك به فقلت لها جزاك الله خيرا فنادت بعض جواريها وقالت ائتيني بدواة وقرطاس فلما اتتها بما طلبت كتبت اليه هذه الابيات

مالي وفيت بعهدكم فغدرتمو * ورايتموني منصفا فظلمتمو
بادرتموني بالقطيعة والجفا * وغدرتمو والغدر بادمنكمو
مازلت احفظ في البرية عهدكم * واصون عرضكمو واحلف عنكمو
حتى رايت بناظري ماساني * وسمعت اخبار القبايح عنكمو
ايهون قدري حين ارفع قدركم * والله لو اكرمتموا كرمتمو
فلاصرفن القلب عنكم سلوة * ولانفضن يدي يأسا منكمو

فقلت لها والله يا سيدتي انه ما بينه وبين الموت الا حتى يقرأ هذه الورقة ثم مزقتها وقلت لها اكتبي اليه غير هذه الابيات فقالت سمعا وطاعة ثم انها كتبت اليه هذه الابيات

انا قد سلوت ولذ في طرفي الكرى * وسمعت من قول العواذل ما جرى
واجابني قلبي الى سلوانكم * ورأت جفوني بعدكم ان تسهرا
كذب الذي قال البعاد مرارة * ماذقت طعم البعد الا اسكرا
قد صرت اكره من يمر بذكركم * متعرضا واراه شيأ منكرا
ها قد سلوتكمو بكل جوارحي * فليعلم الواشي ويدري من درى

فقلت لها والله يا سيدتي انه ما يقرأ هذه الابيات الا وتفارق روحه جسده فقالت لي يا ابن منصور قد بلغ بي الوجد الى هذا الحد حتى قلت ما قلت فقلت لها لو قلت اكثر من ذلك لحق لك ولكن العفو من شيم الكرام فلما سمعت كلامي تغرغرت عيناها بالدموع وكتبت اليه رقعة والله يا امير المؤمنين ما في دواتك من يحسن ان يكتب مثلها وكتبت فيها هذه الابيات

الى كم ذا الدلال وذا التجني * شفيت وحقك الحساد مني
لعلي قد اسأت واست ادري * فقل لي ما الذي بلغت عني
مرادي لو وضعتك يا حبيبي * مكان النوم من عيني وجفني
وكيف شربت كاس الحب صرفا * فان ترني سكرت فلا تلمني

فلما فرغت من كتابة المكتوب وادرلته شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثلاثون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان بدورا لما فرغت من كتابة المكتوب وختمته ناولتني اياه فقلت لها يا سيدتي ان هذه الرقعة تداوي العليل وتشفي الغليل ثم اخذت المكتوب وخرجت فنادتني بعد ما خرجت من عندها وقالت لي يا ابن منصور قل له انها في هذه الليلة ضيفتك ففرحت انا بذلك فرحا شديدا ومضيت بالكتاب الى جبير بن عمير فلما دخلت عليه وجدت عينه شاخصة الى الباب ينتظر الجواب فلما ناولته الورقة فتحها وقرأها وفهم معناها فصاح صيحة عظيمة ووقع مغشيا عليه فلما افاق قال يا ابن منصور هل كتبت هذه الرقعة بيدها ولمستها بانامل قلت يا سيدي وهل الناس يكتبون بارجلهم فوالله يا امير المؤمنين ما استتم كلامي انا واياه الا وقد سمعنا شن خلا خلها في الدهليز وهي داخلة فلما راها قام على اقدامه كانه لم يكن به المقط وعانقها عناق اللام للالف وزالت عنه علة الذي لا ينصرف ثم جلس ولم تجلس هي فقلت لها يا سيدتي لاي شيء لم تجلسي قالت يا ابن منصور ما اجلس الا بالشرط الذي بيننا فقلت لها وما ذلك الشرط الذي بيننا قالت ان العشاق لا يطلع احدا على اسرارهم ثم وضعت فمها على اذنه وقالت له كلاما سرا فقال لها سمعا وطاعة ثم قام جبير ووشوش بعض عبيده فغاب العبد ساعة ثم اتى ومعه قاض وشاهدان فقام جبير واتى بكيس فيه مائة الف دينار وقال ايها القاضي اعقد عقدي على هذه الصبية بهذا المبلغ فقال لها القاضي قولي رضيت بذلك فقالت رضيت بذلك فعقدوا العقد ثم فتحت الكيس وملأت يدها منه واعطت القاضي والشهود ثم ناولته بقية الكيس فانصرف القاضي والشهود وقعدت انا واياهما في بسط وانشراح الى ان مضى من الليل اكثره فقلت في نفسي انهما عاشقان ومضت عليهما مدة من الزمان وهما متهاجران فانا اقوم في هذه الساعة لانام في مكان بعيد عنهما واتركهما يختليان ببعضهما ثم قمت فتعلقت باذيالي وقالت لي ما الذي حدثتك به نفسك فقلت ما هو كذا وكذا فقالت اجلس واذا اردنا الانصراف صرفناك فجلست معهما الى ان قرب الصبح فقالت يا ابن منصور امض الى تلك المقصورة لانا فرشناها لك وهي محل نومك فقمت ونمت فيها الى الصباح فلما اصبحت جاءني غلام بطشت وابريق فتوضأت وصليت الصبح ثم جلست فبينما انا جالس واذا بجبير ومحبوبته خرجا من حمام في الدار وكل منهما يعصر ذوائبه فصحت عليهما وهنيتهما بالسلامة وجمع الشمل ثم قلت له الذي اوله شرط آخره رضى فقال لي صدقت وقد وجب لك الاكرام ثم نادى خازن داره وقال له ائتني بثلاثة الاف دينار فاتاه بكيس فيه ثلاثة الاف دينار فقال لي تفضل علينا بقبول هذا فقلت له لا اقبله حتى تحكي لي ما سبب انتقال المحبة منها اليك بعد ذلك الصد العظيم قال سمعا وطاعة اعلم ان عندنا عيدا يقال له عيد النوارز يخرج الناس فيه وينزلون في الزوارق ويتفرجون في البحر فخرجت اتفرج انا واصحابي فرايت زورقا فيه عشر جوار كانهن الاقمار والسيدة بدور هذه في وسطهن وعودها معها فضربت عليه احدى عشرة طريقة ثم عادت الى الطريقة الاولى وانشدت هذين البيتين

النار ابرد من نيران احشاي * والصخر الين من قلب لمولاتي

اني لاعجب من تاليف خلقته * قلب من الصخر في جسم من الماء

فقلت لها اعيدي البيتين والطريقة فاعادت وادركها شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثلاثون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان جبيرا قال فقلت لها اعيدي البيتين والطريقة فاعادت فامرت النوائبة

ان يرجموها فرجموها بالنار بج حتى خشينا الغرق على الزورق الذى هى فيه ثم مضت الى حال سبيلها وهذا سبب انتقال المحبة من قلبها الى قلبى فهنيئا لهما بجمع الشمل واخذت الكيس بما فيه وتوجهت الى بغداد فانشرح صدر الخليفة وزال عنه ما كان يجده من الارق وضيق الصدر ومما يحكى ان امير المؤمنين المأمون جلس يوما من الايام فى قصره واحضر رؤساء دولته واكابر مملكته جميعا وكذلك احضر الشعراء والندماء بين يديه وكان من جملة ندمائه نديم يسمى محمد البصرى فالتفت اليه المأمون وقال له يا محمد اريد منك فى هذه الساعة ان تحدثنى بشئ ما سمعته قط فقال له يا امير المؤمنين اتريد ان احدثك بحديث سمعته باذنى او بامر عاينته ببصرى فقال المامون حدثنى يا محمد بالاغرب منهما فقال اعلم يا امير المؤمنين انه كان فى الايام الماضية رجل من ارباب النعم وكان موطنه باليمن ثم انه ارتحل من اليمن الى مدينة بغداد هذه فطاب له مسكنها فنقل اهله وماله وعياله اليها وكان له ست جوار كانهن الاقمار الاولى بيضاء والثانية سمراء والثالثة سمينة والرابعة هزيلة والخامسة صفراء والسادسة سوداء وكن حسان الوجوه كاملات الادب عارفات بصناعة الغناء وآلات الطرب فاتفق انه احضر هؤلاء الجوارى بين يديه يوما من الايام وطلب الطعام والمدام فاكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا ثم ملأ الكاس واخذه فى يده واشار للجارية البيضاء وقال لها يا وجه الهلال اسمعينا من لذيذ المقال فاخذت العود واصلحته ورجعت عليه الالحان حتى رقص المكان ثم اطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

لى حبيب خياله نصب عينى * واسمه فى جوارحى مكنون
ان تذكرته فكلى قلوب * اوتاملته فكلى عيون
قال لى عاذلى اتسلو هواه * قلت مالا يكون كيف يكون
قلت ياعاذلى امض عنى ودعنى * لاتهون علىّ مالا يهون

فطرب مولاهن وشرب قدحه وسقى الجوارى ثم ملأ الكأس واخذه فى يده واشار الى الجارية السمراء وقال لها يا نور المقباس وطيبة الانفاس اسمعينا صوتك الحسن الذى من سمعه افتتن فاخذت العود ورجعت عليه الالحان حتى طرب المكان واخذت القلوب بالفتات وانشدت هذه الابيات

وحياة وجهك لا احب سواك * حتى اموت ولا اخون هواك
يا بدر تم بالجمال مبرقعا * كل الملاح تسير تحت لواك
انت الذى فقت الملاح لطافة * والله رب العالمين حباك

فطرب مولاهن وشرب كأسه وسقى الجوارى ثم ملأ القدح واخذه فى يده واشار الى الجارية السمينة وامرها بالغناء وتقليب الاهواء فاخذت العود وضربت عليه ضربا يذهب الحسرات وانشدت هذه الابيات

ان صح منك الرضى يا من هو الطلب * فلا ابالى بكل الناس ان غضبوا
وان تبدى محياك الجميل فلم * اعبأ بكل ملوك الارض ان حجبوا
قصدى رضاك من الدنيا باجمعها * يا من اليه جميع الحسن ينتسب

فطرب مولاهن واخذ الكأس وسقى الجوارى ثم ملأ الكأس واخذه فى يده واشار الى الجارية الهزيلة وقال يا حور الجنان اسمعينا الالفاظ الحسان فاخذت العود واصلحته ورجعت عليه الالحان وانشدت هذين البيتين

الا فى سبيل الله ما حل بى منك * بصدك عنى حيث لا صبر لى عنك
الا حاكم فى الحب يحكم بيننا * فيأخذ لى حقى وينصفنى منك

فطرب مولاهن وشرب القدح وسقى الجوارى ثم ملأ القدح واخذه بيده واشار الى الجارية الصفراء وقال ياشمس النهار اسمعينا من لطيف الاشعار فاخذت العود وضربت عليه احسن الضربات وانشدت هذه الابيات

لى حبيب اذا ظهرت اليه * سل سيفا على من مقلتيه
اخذ الله بعض حقى منه * اذ جفانى ومهجتى فى يديه
كلما قلت يا فؤادى دعه * لا يميل الفؤاد الا اليه
هو سؤلى من الانام ولكن * حسدتنى عين الزمان عليه

فطرب مولاهن وشرب وسقى الجوارى ثم ملأ الكأس واخذه فى يده واشار الى الجارية السوداء وقال ياسوداء العين اسمعينا ولو كلمتين فاخذت العود واصلحته وشدت اوتاره وضربت عليه عدة طرق ثم رجعت الى الطريقة الاولى واطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

الا ياعين بالعبرات جودى * فوجدى قد عدمت به وجودى
اكابد كل وجد من حبيب * الفت به ويشمت بى حسودى
وتمنعنى العواذل ورد خد * ولى قلب يحن الى الورود
لقد دارت هنالك كؤوس راح * بافراح لدى ضرب وعود
ووافانى الحبيب فهمت فيه * واشرق بالوفى نجم السعود
تصدى للصدود بغير ذنب * وهل شئ امر من الصدود
وفى وجناته ورد جنى * فيا لله من ورد الخدود
فلو ان السجود يحل شرعا * لغير الله كان له سجودى

ثم بعد ذلك قامت الجوارى وقبلن الارض بين يدى مولاهن وقلن له انصف بيننا ياسيدى فنظر مولاهن الى حسنهن وجمالهن واختلاف الوانهن فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال لهن ما منكن الا وقد قرأت القرأن وتعلمت الالحان وعرفت اخبار المتقدمين واطلعت على سير الامم الماضين وقد اشتهيت ان تقوم كل واحدة منكن وتشير بيدها الى ضرتها يعنى تشير البيضاء الى السمراء والسمينة الى الهزيلة والصفراء الى السوداء وتمدح كل واحدة منكن نفسها وتذم ضرتها ثم تقوم ضرتها وتفعل معها مثلها ولكن يكون ذلك بدليل من القرآن الشريف وشئ من الاخبار والاشعار لتنظر ادبكن وحسن الفاظكن فقلن له سمعا وطاعة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثلاثون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الرجل اليمنى قالت له جواريه سمعا وطاعة ثم قامت اولاهن وهى البيضاء واشارت الى السوداء وقالت لها ويحك ياسوداء قد ورد ان البياض قال انا النور اللامع انا البدر الطالع لونى ظاهر وجبينى زاهر وفى حسنى قال الشاعر

بيضاء مصقولة الخدين ناعمة * كانها الولؤ فى الحسن مكنون

فقدها الف يزهو ومبسمها * ميم وحاجبها من فوقه نون
كان الحاظها نبل وحاجبها * قوس على انه بالموت مقرون
بالخد والقدان تبدو فوجنتها * وردوآس وريحان ونسرين
والغصن يعهد فى البستان مغرسه * وغصن قدلك كم فيه بستانين

فلونى مثل النهار الهنى والزهر الجنى والكوكب الدرى وقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز لنبيه موسى عليه السلام ادخل يدلك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء وقال الله تعالى واما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون فلونى آية وجمالى غاية وحسنى نهاية وعلى مثلى يحسن الملبوس واليه تميل النفوس وفى البياض فضائل كثيرة منها ان الثلج ينزل من السماء ابيض وقد وردان احسن الالوان البياض وتفتخر المسلمون بالعمائم البيض ولو ذهبت اذكر ما فيه من المدح لطال الشرح ولكن ما قل وكفى خير مما كثر وما وفى وسوف ابتدى بذمك ياسوداء يالون المداد وهباب الحداد ووجه الغراب المفرق بين الاحباب وقد قال الشاعر يمدح البياض ويذم السواد

الم تران الدر يغلو بلونه * وان سواد الفحم حل بدرهم
وان الوجوه البيض تدخل جنة * وان الوجوه السود حشو جهنم

وقد ورد فى بعض الاخبار المروية عن الاخيار ان نوحا عليه السلام نام فى بعض الايام وولداه سام وحام جالسان عند راسه فجاءت ريح فرفعت ثوبه وانكشفت عورته فنظر اليه حام وضحك ولم يغطه فقام سام وغطاه فانتبه ابوهما من منامه وقد علم بما جرى من ولديه فدعا السام ودعا على حام فابيض وجه سام وجاءت الانبياء والخلفاء الراشدون والملوك من اولاده واسود وجه حام وخرج هاربا الى بلاد الحبشة وجاءت السودان من نسله وقد اجمعت الناس على قلة عقل السودان وفى المثل يقول القائل كيف يوجد اسود عاقل فقال لها سيدها اجلسى فنى هذا القدر كفاية فقد اسرفت ثم اشار الى السوداء فقامت واشارت بيدها الى البيضاء وقالت اما علمت انه ورد فى القرآن المنزل على نبيه المرسل قول الله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى ولولا ان الليل اجل لما اقسم الله به وقدمه على النهار وقبلته الوا البصائر والابصار اما علمت ان السواد زينة الشباب فاذا نزل المشيب ذهبت اللذات ودنت اوقات الممات ولم يكن اجل الاشياء ما جعله الله فى حبة القلب والناظر وما احسن قول الشاعر

لم اعشق السمر الا من حيازتهم * لون الشباب وحب القلب والحدق
ولا سلوت بياض البيض عن غلط * انى من الشيب والاكفان فى فرق

وقول الاخر

السمر دون البيض هم * اولى بعشقى واحق
السمر فى لون اللمى * والبيض فى لون البهق

وقول الاخر

سوداء بيضاء الفعال كانها * مثل العيون تخص بالاضواء
انا ان جننت بحبها لاتعجبوا * اصل الجنون يكون بالسوداء
فكان لونى فى الدياجى غيهب * لولاه ما غمراتى بضياء

وايضا فهل يحسن اجتماع الاحباب الا فى الليل فيكفيك هذا الفضل والنيل فما ستر الاحباب

عن الواشين واللوام مثل سواد الظلام ولا خوفهم من الافتضاح مثل بياض الصباح فكم للسواد من مآثر وما احسن قول الشاعر

ازورهم وسواد الليل يشفع لى * وانثنى وبياض الصبح يغرى بى

وقول الاخر

وكم ليلة بات الحبيب موانسى * وقد سترتنا من دجاها ذوائب
فلما بدا نور الصباح اراعنى * فقلت له ان المجوس كواذب

وقول الاخر

وزارنى فى قميص الليل مستترا * يستجهل الخطو من خوف ومن حذر
وقد افرش خدى فى الطريق له * ذلا واسحب اذيالى على اثرى
ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا * مثل القلامة قد قدت من الظفر
وكان ما كان مما لست اذكره * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

وقول الاخر

لا تلق الا بليل من تواصله * فالشمس نمامة والليل قواد

وقول الاخر

لا اعشق الابيض المنفوخ من سمن * لكننى اعشق السمر المهازيلا
انى امرء اركب المهر المضمر فى * يوم الرهان وغيرى يركب الفيلا

وقول الاخر

زارنى المحبوب ليلا * فتعانقنا جميعا
ثم بتنا واذا قد * طلع الصبح سريعا
اسئل الله الهى * يجمع الشمل رجوعا
ويديم الليل لى ما * دام لى الالف ضجيعا

ولو ذهبت اذكر ما فى السواد من المدح لطال الشرح ولكن ما قل وكفى خير مما كثر وما وفى واما انت يا بيضاء فلونك لون البرص ووصالك من الغصص وقد ورد ان البرد والزمهرير فى جهنم لعذاب اهل النكير ومن فضيلة السواد ان منه المداد الذى يكتب به كلام الله ولولا سواد المسك والعنبر ما كان الطيب يحمل للملوك ولا يذكر وكم للسواد من مفاخر وما احسن قول الشاعر

الم تران المسك يعظم قدره * وان بياض الجير حط بدرهم
وان بياض العين يقبح بالفتى * وان سواد العين يرمى باسهم

فقال لها سيدها اجلسى فقد اقدرك كفاية فجلست ثم اشار الى السمينة فقامت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثلاثون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان اليمانى سيد الجوارى اشار الى الجارية السمينة فقامت واشارت بيدها الى الهزيلة وكشفت سيقانها ومعاصمها وكشفت عن بطنها فبانت طيباته وظهر تدوير سرتها

ثم لبست قميصا رفيعا فبان منه جميع بدنها وقالت الحمد لله الذى خلقنى فاحسن صورتى وسمنى فاحسن سمنى وشبهنى بالاغصان وزادنى حسنى وبهجتى فله الحمد على ما اولانى وشرفنى اذ ذكرنى فى كتابه العزيز فقال تعالى وجاء بعجل سمين وجعلنى كالبستان المشتمل على خوخ ورمان وان اهل المدن يشتهون الطير السمين فيأكلون منه ولا يحبون طير اهزيلا وبنوا آدم يشتهون اللحم السمين ويأكلونه وكم للسمن من مفاخر وما احسن قول الشاعر

ودع حبيبك ان الركب مرتحل ✻ وهل تطيق وداعا ايها الرجل
كأن مشيتها فى بيت جارتها ✻ مشى السمينة لا عيب ولا ملل

وما رايت احدا يقف على الجزار الا ويطلب منه اللحم السمين وقالت الحكماء الاذة فى ثلاثة اشياء اكل اللحم والركوب على اللحم وادخال اللحم فى اللحم واما انت يا رفيعة فسيقانك كسيقان العصفور ومحراك التنور وانت خشبة المصلوب ولحم المعيوب وليس فيك شئ يسر الخاطر كما قال فيك الشاعر

اعوذ بالله من اشياء تحوجنى ✻ الى مضاجعة كالدلك بالمسد
فى كل عضو لها اقرن يناطحنى ✻ عند المنام فامسى وهى الجسد

فقال لها سيدها اجلسى ففى هذا القدر كفاية فجلست ثم اشار الى الهزيلة فقامت كانها غصن بان او قضيب خيزران او عود ريحان وقالت الحمد لله الذى خلقنى فاحسننى وجعل وصلى غاية المطلوب وشبهنى بالغصن الذى تميل اليه القلوب فان قمت قمت خفيفة وان جلست جلست ظريفة فانا خفيفة الروح عند المزاح طيبة النفس من الارتياح وما رأيت احدا وصف حبيبه فقال حبيبى قدر الفيل ولا مثل الجبل العريض الطويل وانما حبيبى له قد اهيف وقوام مهفهف فاليسير من الطعام يكفينى والقليل من الماء يروينى لعبى خفيف ومزاجى ظريف فانا انشط من العصفور واخف حركة من الزرزور ووصلى منية الراغب ونزهة الطالب وانا ملحة القوام حسنة الابتسام كانى غصن بان او قضيب خيزران او عود ريحان وليس لى فى الجمال مماثل كما قال فى القائل

شبهت قدك بالقضيب ✻ وجعلت شكلك من نصيبى
وغدوت خلفك هائما ✻ خوفا عليك من الرقيب

وفى مثلى تهيم العشاق وتوله المشتاق وان جذبنى حبيبى انجذبت اليه وان استمالنى ملت له لا عليه وها انت يا سمينة البدن فان اكلك اكل الفيل ولا يشبعك كثير ولا قليل وعند الاجتماع لا يستريح معك خليل ولا يوجد لراحته معك سبيل فكبر بطنك يمنعه من جماعك وعن التمكن من فرجك يدفعه غلظ الخاذك اى شئ فى غلفك من الملاحة او فى فظاظتك من اللطف والسماحة ولا يليق باللحم السمين غير الذبح وليس فيه شئ من موجبات المدح ان مازحك احد غضبت وان لاعبك حزنت فان غضبت شخرت وان مشيت لهثت وان اكلت ما شبعت وانت اثقل من الجبال واقبح من الخبال والوبال مالك حركة ولا فيك بركة وليس لك شغل الا الاكل والنوم وان بلت شرشرت وان تغوطت بطبطت كانك زق منفوخ او فيل ممسوخ ان دخلت بيت الخلا تريدين من يغسل لك فرجك وينتف من فوقه شعرك وهذا غاية الكسل وعنوان الخبل وبالجملة ليس فيك شئ من المفاخر وقد قال فيك الشاعر

ثقيلة مثل زق البول منتفخ ✻ اوراكها كعوامير من الجبل
اذا مشت فى بلاد الغرب او خطرت ✻ سرى الى الشرق ما تبدى من الهبل

فقال لها سيدها اجلسي ففي هذا القدر كفاية فجلست ثم اشار الى الصفراء فقامت على قدميها وحمدت الله تعالى واثنت عليه وانت بالصلاة والسلام على خير خلقه لديه ثم اشارت بيدها الى السمراء وقالت وادر لنا شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثلاثون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية الصفراء قامت على قدميها وحمدت الله تعالى واثنت عليه ثم اشارت بيدها الى السمراء وقالت لها انا المنعوتة في القرآن ووصف لونى الرحمن وفضله على سائر الالوان بقوله تعالى في كتابه المبين صفراء فاقع لونها تسر الناظرين فلوني آية وجمالي غاية وحسني نهاية لان لوني لون الدينار ولون النجوم والاقمار ولون التفاح وشكلي شكل الملاح ولون الزعفران يزهو على سائر الالوان فشكلي غريب ولوني عجيب وانا ناعمة البدن غالية الثمن وقد حويت كل معنى حسن ولوني في الوجود عزيز مثل الذهب الابريز وكم لي من مآثر وفي مثلي قال الشاعر

لها اصفرار كلون الشمس مبتهج * وكالدنانير في حسن من النظر
ما الزعفران يحاكي بعض بهجتها * كلا ومنظرها يعلو على القمر

وسوف ابتدي بذمك يا سمراء اللون فلونك لون الجاموس تشمئز عند رؤيتك النفوس ان كان لونك في شيء فهو مذموم وان كان في طعام فهو مسموم فلونك لون الذباب وفيه بشاعة الكلاب وهو محير بين الالوان ومن علامات الاحزان وما سمعت قط بذهب اسمر ولا در ولا جوهر ان دخلت الخلاء يتغير لونك وان خرجت ازددت قبحا على قبحك فلا انت سوداء فتعرفي ولا انت بيضاء فتوصفي وليس لك شيء من المآثر كما قال فيك الشاعر

لون الهباب لها لون فغيرتها * كاثر تدهس في اقدام قصاد
فانظرت لها بالعين ارمقها * الا تزايد بي همي وانكادي

فقال لها سيدها اجلسي ففي هذا القدر كفاية فجلست ثم اشار الى السمراء وكانت ذات حسن وجمال وقد واعتدال وبهاء وكمال لها جسم ناعم وشعر فاحم معتدلة القد موردة الخد ذات طرف كحيل وخد اسيل ووجه مليح ولسان فصيح وخصر نحيل وردف ثقيل ثم قالت الحمد لله الذي خلقني لا سمينة مذمومة ولا هزيلة مهضومة ولا بيضاء كالبرص ولا صفراء كالمغص ولا سوداء بلون الهباب بل جعل لوني معشوقا لاولي الالباب وسائر الشعراء يمدحون السمر بكل لسان ويفضلون الوانهم على سائر الالوان فاسمر اللون حميد الخصال ولله در من قال

وفي السمر معنى لو علمت بيانه * لما نظرت عيناك بيضا ولا حمرا
لباقة الفاظ وغنج لواحظ * يعلمن هاروت الكهانة والسحرا

وقول الاخر

من لي باسمر تروى عن معاطفه * السمر الرشاق عوال سمهريات
ساجي الجفون حريري العذار له * في قلب عاشقه المضنى مقامات

وقول الاخر

بالروح اسمر نقطة من لونه * تدع البياض يفاخر الاقمارا

ولو استقل من البياض بمثلها * لتبدلت منه الملاحة عارا
ما من سلافته سكرت وانما * تركت سوالفه الانام سكارى
جمد المحاسن بعضها حتى اشتهت * كل المحاسن ان تكون عذارا

وقوله

لم لا اميل الى العذار اذا بدا * من امرك الصعدة السمراء
مع انه قصص المحاسن كلها * فى نمله الانفال للشعراء
ورأيت كل العاشقين تهتكوا * فى الخال تحت المقلة السوداء
اتلومنى العذال فى من كله * خال تخلونى من السفهاء

فشكلى مليح وقدى رجيح ولونى ترغب فيه الملوك ويعشقه كل غنى وصعلوك وانا الطيفة خفيفة ملمحة ظريفة ناعمة البدن غالية الثمن وقد كملت فى الملاحة والادب والفصاحة فظاهرى مليح ولسانى فصيح ومزاجى خفيف ولعبى ظريف واما انت فمثل ملوخية باب اللوق صفراء وكلها عروق فتعسا لك يا قدرة الرواس ويا صدأ النحاس وطلعة البوم وطعام الزقوم فقبحك بضيق الانفاس مقبور فى الارماس وليس لك فى الحسن ماثر وفى مثلك قال الشاعر

عليها اصفرار زاد من غير علة * يضيق له صدرى وتوجعنى راسى
اذا لم تطب نفسى فانى اذابها * بلثم محياها فتقلع ادراسى

فلما فرغت من شعرها قال لها سيدها اجلسى فى هذا القدر كفاية ثم بعد ذلك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثلاثون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية لما فرغت من شعرها قال لها سيدها اجلسى فى هذا القدر كفاية ثم بعد ذلك اصلح بينهن والبسهن الخلع السنية وتقطهن بنفيس الجواهر البرية والبحرية فغارت يا امير المؤمنين فى مكان ولا زمان احسن من هؤلاء الجوارى الحسان فلما سمع المأمون هذه الحكاية من محمد البصرى اقبل عليه وقال له يا محمد هل تعرف لهؤلاء الجوارى وسيدهن محلا وهل يمكنك ان تشتريهن لنا من سيدهن فقال له محمد يا امير المؤمنين قد بلغنى ان سيدهن مغرم بهن ولا يمكنه مفارقتهن فقال المأمون خذ معك الى سيدهن فى كل جارية عشرة الاف دينار فيكون مبلغ ذلك الثمن ستين الف دينار فاحملها صحبتك وتوجه الى منزله واشترهن منه فاخذ محمد البصرى منه ذلك القدر وتوجه به فلما وصل الى سيد الجوارى اخبره بان امير المؤمنين يريد اشتراءهن منه بذلك المبلغ فسمح ببيعهن لاجل خاطر امير المؤمنين وارسلهن اليه فلما وصلت الجوارى الى امير المؤمنين هيأ لهن مجلسا لطيفا وصار يجلس فيه معهن ويناد منه وقد تعجب من حسنهن وجمالهن واختلاف الوانهن وحسن كلامهن وقد استمر على ذلك مدة من الزمان ثم ان سيدهن الاول الذى باعهن لما لم يكن له صبر على فراقهن ارسل كتابا الى امير المؤمنين المأمون يشكو اليه فيه ما عنده للجوارى من الصبابات ومن ضمنه هذه الابيات

سلبتنى ست ملاح حسان * فعلى الستة الملاح سلامى
هن سمعى وناظرى وحياتى * وشرابى ونزهتى وطعامى

لست اسلو من حسنهن وصالا * ذاهب بعدهن طيب منامى
آه ياطول حسرتى وبكائى * ليتنى ماخلقت بين الانام
وعيون قد زانهن جفون * كقسى رمينني بسهام

فلما وقع ذلك الكتاب فى يد الخليفة المأمون كسا الجوارى من الملابس الفاخرة واعطاهن ستين الف دينار وارسلهن الى سيدهن فوصلن اليه وفرح بهن غاية الفرح اكثر مما اتى اليه من المال واقام معهن فى اطيب عيش واهناه الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات وممايحكى ان الخليفة امير المؤمنين هارون الرشيد قلق ذات ليلة قلقا شديدا وتفكر فكرا عظيما فقام يمشى فى جوانب قصره حتى انتهى الى مقصورة عليها ستر فرفع ذلك الستر فراى فى صدرها تختا وعلى ذلك التخت شئ اسود كانه انسان نائم وعلى يمينه شمعة وعلى يساره شمعة فبينما هو ينظر الى ذلك ويتعجب منه واذا بيا طية مملوءة خمرا عتيقا والكاس عليها فلما رأى ذلك امير المؤمنين تعجب فى نفسه وقال اتكون هذه الصبية لمثل هذا الاسود ثم دنا من التخت فرأى الذى فوقه صبية نايمة وقد تجللت بشعرها فكشف عن وجهها فرأها كانها البدر ليلة تمامه فملأ الخليفة الكاس من الخمر وشربه على وردخدها ومالت نفسه اليها فقبل اثرا كان بوجهها فانتبهت من منامها وهى قائلة ياامين الله ماهذا الخبر فقال ضيف طارق فى حيكم كى تضيفونه الى وقت السحر قالت نعم بالسمع منى والبصر ثم قدمت الشراب فشربا معا ثم اخذت العود واصلحت اوتاره وضربت عليه احدى وعشرين طريقة ثم عادت الى الطريقة الاولى واطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

لسان الهوى فى مهجتى لك ناطق * يخبر عنى انى لك عاشق
ولى شاهد عن فرط سقمى معرب * وقلب جريح من فراقك خافق
ولم اكتم الحب الذى قد اذابنى * ووجدى مزيد والدموع سوابق
وما كنت ادرى قبل حبك ما الهوى * ولكن قضاء الله فى الخلق سابق

فلما فرغت من شعرها قالت انا مظلومة ياامير المؤمنين وادر لك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثلاثون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية قالت انا مظلومة ياامير المؤمنين قال ولم ذلك ومن ظلمك قالت ان ولدك اشترانى من مدة بعشرة الاف درهم واراد ان يهبنى لك فارسلت اليه ابنة عمك الثمن المذكور وامرته ان يحجبنى عنك فى هذه المقصورة فقال لها تمنى على قالت تمنيت عليك ان تكون ليلة غد عندى فقال ان شاء الله تعالى ثم تركها ومضى فلما اصبح الصباح توجه الى مجلسه وارسل الى ابى نواس فلم يجده فارسل الحاجب يسأل عنه فراه مر تهنا فى بعض الخمارات على الف درهم انفقها على بعض المرد فسأله الحاجب عن حاله فقص عليه قصته وماوقع له مع امرد مليح انفق عليه الالف درهم فقال له ارنى اياه فان كان يستحق ذلك فانت معذور فقال له اصبر وانت تراه فى هذه الساعة فبينما هما فى الحديث واذا بالامرد قد اقبل ودخل عليهما وعليه ثوب ابيض ومن تحته ثوب احمر ومن تحته ثوب اسود فلما شاهده ابو نواس صعد الزفرات وانشد هذه الابيات

تبدى فى قميص من بياض * باحداق واجفان مراض
فقلت له عبرت ولم تسلم * وانى منك بالتسليم راض

تبارك من كسا خديك وردا * ويخلق مايشاء بلا اعتراض
فقال دع الجدال فان ربى * بديع الصنع من غير انتقاض
ثوبى مثل وجهى مثل حظى * بياض فى بياض فى بياض

فلما سمع الامر هذا الكلام نزع الثوب الابيض من فوق الثوب الاحمر فلما رأه ابو نواس اكثر التعجبات وانشد هذه الابيات

تبدى فى قميص من شقيق * عدولى يلقب بالحبيب
فقلت من التعجب انت بدر * وقد اقبلت فى زى عجيب
احمرة وجنتيك كستك هذا * ام انت صبغته بدم القلوب
فقال الشمس اهدت لى قميصا * قريب العهد من شفق المغيب
ثوبى والمدام ولون خدى * شقيق فى شقيق فى شقيق

فلما فرغ ابو نواس من شعره خلع الامر الثوب الاحمر وبقى فى الثوب الاسود فلما رأه ابو نواس اكثر اليه الالتفات وانشد هذه الابيات

تبدى فى قميص من سواد * تجلى فى الظلام على العباد
فقلت له عبرت ولم تسلم * واشمت الحواسد والاعادى
فثوبك مثل شعرك مثل حظى * سواد فى سواد فى سواد

فلما راى ذلك الحاجب علم بحال ابى نواس وغرامه فرجع الى الخليفة واخبره بحاله فاحضر الخليفة الف درهم وامر الحاجب ان يأخذها ويرجع بها الى ابى نواس ويدفعها عنه ويخلصه من الرهن فرجع بها الحاجب الى ابى نواس وخلصه وتوجه به الى الخليفة فلما وقف بين يديه قال له الخليفة انشدنى شعرا يكون فيه يا امين الله ما هذا الخبر فقال سمعا وطاعة يا امير المؤمنين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للاربعين بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابا نواس قال سمعا وطاعة يا امير المؤمنين ثم انشد هذه الابيات

طال ليلى بالعوادى والسهر * فاضنى جسمى واكثرت الفكر
فقمت امشى فى محلى تارة * ثم طورا فى مقاصير الحجر
فرات عيناى شخصا اسودا * وهو بيضا قد تغطت بالشعر
يالها من بدر تم زاهر * كقضيب البان يغشاه الخفر
فشربت الكاس منها جرعة * ثم اقبلت وقبلت الاثر
فاستفاقت وهى فى غشيتها * تتثنى كالغصن فى وقت المطر
ثم قامت وهى لى قائلة * يا امين الله ما هذا الخبر
قلت ضيف طارق فى حيكم * يرتجى المأوى الى وقت السحر
قاجابت بسرور سيدى * اكرم الضيف بسمعى والبصر

فقال له الخليفة قاتلك الله كانك كنت حاضرا معنا ثم اخذه الخليفة من يده وتوجه به الى الجارية فلما رأها

ابو نواس وكان عليها بدله زرقاء وقناع ازرق اكثر التعجبات وانشد هذه الابيات

قل للمليحة فى القناع الازرق * فاشدتك بالله ان تترفقى
ان المحب اذا جفاه حبيبه * هاجت به زفرات كل تشوق
فبحق حسنك مع بياض زانه * الا رثيت لقلب صب محرق
حتى عليه وساعديه على الهوى * لا تقبلى فيه كلام الاحمق

فلما فرغ ابو نواس من شعره قدمت الجارية الشراب للخليفة ثم اخذت العود بيدها واطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

اتصف غيرى فى هواك وتظلم * وتعدنى والغير فيك منعم
ولو كان للعشاق قاض شكوتكم * اليه محاه بالحقيقة يحكم
فان تمنعونى ان اهر بيابكم * فانى عليكم من بعيد اسلم

ثم ان امير المؤمنين امر باكثار الشراب على ابى نواس حتى غاب عن رشده ثم ناوله قدحا فشرب منه جرعة واستدامه فى يده فامرها الخليفة ان تأخذ القدح من يده وتخفيه فاخذت القدح من يده واخفته بين الخاذها ثم ان الخليفة سحب سيفه فى يده ووقف على رأس ابى نواس ووكزه بالسيف فاستفاق فوجد السيف مسلولا فى يد الخليفة فطار السكر من رأسه فقال له الخليفة انشدنى شعرا واخبرنى فيه عن قدحك والا ضربت عنقك فانشد هذه الابيات

قصتى اعظم قصه * صارت الطيبة لصه
سرقت كاس مدامى * وامتصاصى منه مصه
سترته فى مكان * فؤادى منه غصه
لا اسميه وقارا * للخليفة فيه حصه

قال له امير المؤمنين قاتلك الله من اين علمت ذلك ولكن قد قبلنا ما قلت وامرله بخلعة والف دينار وانصرف مسرورا. ومما يحكى ان رجلا كثرت عليه الديون وضاق عليه الحال فترك اهله وعياله وخرج هائما على وجهه ولم يزل سائرا الى ان اقبل بعد مدة على مدينة عالية الاسوار عظيمة البنيان فدخلها وهو فى حالة الذل والانكسار وقد اشتد به الجوع وانعبه السفر فرفى بعض شوارعها فراى جماعة من الاكابر متوجهين فذهب معهم الى ان دخلوا فى محل يشبه محل الملوك فدخل معهم ولم يزالوا داخلين الى ان انتهوا الى رجل جالس فى صدر المكان وهو فى هيئة عظيمة وجلالة جسيمة وحوله الغلمان والخدم كانه من ابناء الوزراء فلما راهم قام اليهم واكرم مثواهم فاخذ الرجل المذكور الوهم من ذلك الامر واندهش مما راه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والاربعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الرجل المذكور اخذه الوهم من ذلك الامر واندهش مما رأه من حسن البنيان والخدم والحشم فتأخر الى ورائه وهو فى حيرة وكرب خائفا على نفسه حتى جلس فى محل وحده بعيدا عن الناس بحيث لا يراه احد فبينما هو جالس اذا قبل رجل ومعه اربعة كلاب من كلاب الصيد وعليهم انواع القز والديباج وفى اعناقهم اطواق من الذهب بسلاسل الفضة فربط كل واحد منهم

فى محل

محل منفرد له ثم غاب وأتى لكل كلب بصحن من الذهب ملان طعاما من الاطعمة الفاخرة ووضع لكل واحد صحنه على انفراده ثم مضى وتركهم فصار هذا الرجل ينظر الى الطعام من شدة جوعه ويريد ان يتقدم الى كلب منهم ويأكل معه فيمنعه الخوف منهم ثم ان كلبا منهم نظر اليه فالهمه الله تعالى معرفة حاله فتأخر عن الصحن واشار اليه فاقبل واكل حتى اكتفى واراد ان يذهب فاشار اليه الكلب ان يأخذ الصحن بما فيه من الطعام لنفسه والقاه له بيده فاخذه وخرج من الدار وسار ولم يتبعه احد ثم سافر الى مدينة اخرى فباع الصحن واخذ بثمنه بضائع وتوجه بها الى بلده فباع ما معه وقضى ما كان عليه من الديون وكثر رزقه وصار في نعمة زائدة وبركة عميمة ولم يزل مقيما في بلده مدة من الزمان وبعد ذلك قال في نفسه لابد انني اسافر الى مدينة صاحب الصحن وآخذ له هدية مليحة لائقة وادفع له ثمن الصحن الذي انعم علي به كلب من كلابه ثم انه اخذ هدية تليق به واخذ معه ثمن الصحن وسافر ولم يزل مسافرا ياما وليالي حتى وصل الى تلك المدينة فدخلها واراد الاجتماع به فمشى في شوارعها حتى اقبل على محله فلم ير الا طللا باليا وغرابا ناعبا وديارا قد اقفرت واحوالا قد تغيرت وحالا قد تنكرت فارتجف منه القلب والبال وانشد قول من قال

خلت الزرايا من خبايا ها كما * خلت القلوب من المعارف والتقى
وتنكر الوادي فما غزلانه * تلك الظباء ولا النقى ذاك النقى

وقول الاخر

سرى طيف سعدى طارقا يستفزني * مصيرا وصحبي بالفلاة رقود
فلما انتبهنا الخيال الذي سرى * ارى الجو قفرا والمزار بعيد

ثم ان ذلك الرجل لما شاهد تلك الاطلال البالية ورأى ما صنعت بها يدي الدهر علانية ولم يجد بعد العين الا الاثر اغناه الخبر عن النظر والنفت فرأى رجلا مسكينا في حالة تقشعر منها الجلود ويحن اليها الحجر الجلمود فقال يا هذا ما صنع الدهر والزمان بصاحب هذا المكان واين بدوره السافرة ونجومه الزاهرة وما سبب الحادث الذي حدث على بنيانه حتى لم يبق فيه غير جدرانه فقال له هو هذا المسكين الذي تراه وهو بناؤه مما عراه ولكن اما تعلم ان في كلام الرسول عبرة لمن به اقتدى وموعظة لمن اهتدى حيث قال صلى الله عليه وسلم ان حقا على الله تعالى ان لا يرفع شيأ من هذه الدنيا الا وضعه فان كان سؤالك عن مال هذا الامر من سبب فليس مع انقلاب الدهر عجب انا صاحب هذا المكان ومنشئه ومالكه وبانيه وصاحب بدوره السافرة واحواله الفاخرة وتحفه الزاهيه وجواريه الباهيه لكن الزمان قد مال فاذهب الخدم والمال وصيرني في هذه الحالة الراهنة ودهمني بحوادث ما كنت عنده كامنة لكن لابد ان سؤالك هذا من سبب فاخبرني عنه وانزل العجب فاخبره الرجل بجميع القصة وهو في الم وغصة وقال له قد جئتك بهدية فيها النفوس ترغب وثمن صحنك الذي اخذته من الذهب فانه كان سببا لغناي بعد الفقر ولعمار ربعي وهو وقفر ولزوال ما كان عندي من الهم والحصر فهز الرجل رأسه وبكى وان وتاشتكى وقال يا هذا اظنك مجنونا فان هذا الامر لا يكون من عاقل كيف يتكرم عليك كلب من كلابنا بصحن من الذهب وارجع انا فيه فرجوعي فيما تكرم به كلبي من العجب ولو كنت في اشد الهم والوصب والله لا يصل الى منك شيء يساوي فلامة فاعرض من حيث جئت بالعصمة والسلامة فقبل الرجل قدميه وانصرف راجعا يثني عليه ثم انه عند فراقه وودعه انشد هذا البيت

ذهب الناس والكلاب جميعا * فعلى الناس والكلاب السلام

والله اعلم ومما يحكى انه كان بثغر الاسكندرية وال يقال له حسام الدين فبينما هو جالس
فى دسته ذات ليلة اذا قبل عليه رجل جندى وقال له اعلم يا مولانا الوالى انى دخلت هذه المدينة فى هذه
الليلة ونزلت فى خان كذا فنمت فيه الى ثلث الليل فلما انتبهت وجدت خرجى مشروطا وقد سرق منه كيس
فيه الف دينار فلم يتم كلامه حتى ارسل الوالى واحضر المقدمين وامرهم باحضار جميع من فى الخان وامر
بسجنهم الى الصباح فلما جاء الصبح امر باحضار آلة العقوبة واحضر هؤلاء الناس بحضرة الجندى صاحب
الدراهم واراد عقابهم واذا برجل قد اقبل وشق الناس حتى وقف بين يدى الوالى وادر لشهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثمانية والاربعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوالى اراد عقابهم واذا برجل قد اقبل وشق الناس حتى وقف بين يدى
الوالى والجندى فقال ايها الامير اطلق هؤلاء الناس كلهم فانهم مظلومون وانا الذى اخذت مال هذا الجندى
وهاهو الكيس الذى اخذته من خرجه ثم اخرجه من كمه ووضعه بين يدى الوالى والجندى فقال الوالى
للجندى خذ مالك وتسلمه فما بقى للك على الناس سبيل وصار الناس وجميع الحاضرين يثنون على ذلك
الرجل ويدعون له ثم ان الرجل قال ايها الامير ما الشطارة انى جئت اليك بنفسى واحضرت هذا الكيس
وانما الشطارة فى اخذ هذا الكيس ثانيا من هذا الجندى فقال له الوالى وكيف فعلت يا شاطر حين اخذته
فقال ايها الامير انى كنت واقفا فى مصر فى سوق الصيارف اذ رأيت هذا الجندى لما صرف هذا الذهب
ووضعه فى هذا الكيس فتبعته من زقاق الى زقاق فلم اجد لى الى اخذ المال منه سبيلا ثم انه سافر فتبعته
من بلد الى بلد وصرت احتال عليه فى اثناء الطريق فما قدرت على اخذه منه فلما دخل هذه المدينة
تبعته حتى دخل فى هذا الخان فنزلت الى جانبه ورصدته حتى نام وسمعت خطيطه فمشيت اليه قليلا قليلا
وقطعت الخرج بهذه السكين واخذت الكيس هكذا ومديده واخذ الكيس من بين ايادى الوالى والجندى
وتأخر الى خلف الوالى والجندى والناس ينظرون اليه ويعتقدون انه يريهم كيف اخذ الكيس من الخرج
واذا به قد جرى ورمى نفسه فى بركة فصاح الوالى على حاشيته وقال الحقوه وانزلوا اخلفه فنازعوا ثيابهم
ونزلوا فى الدرج حتى كان الشاطر مضى الى حال سبيله وفتشوا عليه فلم يجدوه وذلك ان ازقة الاسكندرية
كلها تنفذ الى بعضها ورجع الناس ولم يحصلوا الشاطر فقال الوالى للجندى لم يبق لك عند الناس حق
لانك عرفت غريمك وتسلمت مالك وما حفظته فقام الجندى وقد ضاع عليه ماله وخلصت الناس من
يدى الجندى والوالى وكل ذلك من فضل الله تعالى ومما يحكى ان الملك الناصر احضر الولاة
الثلاثة فى بعض الايام والى القاهرة ووالى بولاق ووالى مصر القديمة وقال اريد ان كل واحد منكم يخبرنى
باعجب ما وقع له فى مدة ولايته وادر لشهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك الناصر قال للولاة الثلاثة اريد ان كل واحد منكم يخبرنى باعجب
ما وقع له فى مدة ولايته فاجابوه بالسمع والطاعة ثم قال والى القاهرة اعلم يا مولانا السلطان ان اعجب
ما وقع لى فى مدة ولايتى انه كان بهذه المدينة عدلان يشهدان على الدماء والجراحات وكانا مولعين بحب
النساء وشرب الشراب والفساد وما قدرت عليهما بحيلة لانتقم منهما بها وعجزت عن ذلك فاوصيت

الخمارين والنقليين والفكهانيين والشماعين وارباب البيوت المعدة للفساد ان يخبروني بهذين الشاهدين متى كانا في مكان يشربان او يفسدان سواء كانا مع بعضهما او متفرقين وان اشتريا واشترى احدهما منهم شيأ من الاشياء المعدة للشراب فلا يخفوه عني فقالوا سمعا وطاعة فاتفق في بعض الايام انه حضر الى رجل ليلا وقال يا مولانا اعلم ان الشاهدين في المكان الفلاني في الدرب الفلاني في دار فلان وانهما في منكر عظيم فقمت وتخفيت انا وغلامي ومضيت اليهما منفردا من غير احد معي غير غلامي ولم ازل ماشيا حتى وقفت على الباب وطرقته فاتت الي جارية وفتحت لي الباب وقالت من انت فدخلت ولم ارد عليها جوابا فرأيت الشاهدين وصاحب الدار جلوسا وعندهم نساء بغايا ومن الشراب شيء كثير فلما رأوني قاموا الي وعظموني واجلسوني في صدر المقام وقالوا لي مرحبا بك من ضيف عزيز ونديم ظريف واستقبلوني من غير خوف مني ولا فزع وبعد ذلك قام صاحب الدار من عندنا وغاب ساعة ثم عاد ومعه ثلاثمائة دينار وليس عنده من الخوف شيء وقالوا اعلم يا مولانا الوالي انك تقدر على اكثر من هتيكتنا وفي يديك تعزيرنا واكن لا يعود عليك من ذلك الا التعب فالرأي ان تأخذ هذا القدر وتستر علينا فان الله تعالى اسمه الستار ويحب من عباده الستيرين وذلك الاجر والثواب فقلت في نفسي خذ هذا الذهب منهم واستر عليهم في هذه المرة واذا قدرت عليهم مرة اخرى فانتقم منهم فطمعت في المال واخذته منهم وتركتهم وانصرفت ولم يشعر بي احد منهما اشعر في ثاني يوم الا ورسول القاضي جاء الي وقال ايها الوالي تفضل كلم القاضي فانه يدعوك فقمت معه ومضيت الى القاضي ولا اعلم ما سبب ذلك فلما دخلت عليه رأيت الشاهدين وصاحب الدار الذي اعطاني الثلاثمائة دينار جالسين عنده فقام صاحب الدار وادعى علي بثلاثمائة دينار فاوسعني الانكار فاخرج مسطورا وشهد فيه هذان الشاهدان العدلان علي بثلثمائة دينار فثبت ذلك عند القاضي بشهادة الشاهدين فامرني بدفع ذلك المبلغ فاخرجت من عندهم حتى اخذوا مني الثلاثمائة دينار فاغتظت وتوبيت لهم كل سوء وندمت على عدم تكيلهم وانصرفت وانا في غاية الخجل وهذا اعجب ما وقع لي في مدة ولايتي فقام الي بولاق وقال واما انا يا مولانا السلطان فاعجب ما وقع لي في مدة ولايتي انه كان علي من الدين ثلاثمائة الف دينار فاضربي ذلك وبعت ما ورائي وما قدامي وما كان بيدي فجمعت مائة الف دينار من غير زيادة وادركني شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان والي بولاق قال بعت ما ورائي وما قدامي فجمعت مائة الف دينار من غير زيادة وبقيت في حيرة عظيمة فبينما انا جالس في داري ليلة من الليالي وانا في هذا الحال واذا بطارق يطرق الباب فقلت لبعض الغلمان انظر من بالباب فخرج ثم عاد الي وهو مصفر الوجه متغير اللون من شدة الفرائص فقلت له ما دهاك فقال ان بالباب رجلا عريانا وعليه ثياب من الجلد ومعه سيف وفي وسطه سكين ومعه جماعة على هيئته وهو يطلبك فاخذت السيف في يدي وخرجت لانظر من هؤلاء واذا بهم كما قال الغلام فقلت لهم ما شأنكم فقالوا انا الصوص وغنمنا في هذه الليلة غنيمة عظيمة وجعلناها برسمك لتستعين بها على هذه القضية التي انت مهموم بسببها وتسدبها الدين الذي عليك فقلت لهم واين الغنيمة فاحضروا الي صندوقا كبيرا ممتلئا اوانى من ذهب وفضة فلما رأيته فرحت وقلت في نفسي

اسد الدين الذى على ثمن هذا ويفضل لى قدر الدين مرة اخرى فاخذته ودخلت الدار وقلت فى نفسى ليس من المروة ان ادعهم يذهبون من غير شئ فاخذت المائة الف دينار التى كانت عندى ودفعتها اليهم وشكرت صنعهم فاخذوا الدنانير ومضوا تحت الليل الى حال سبيلهم ولم يعلم بهم احد فلما اصبح الصباح رأيت ما فى الصندوق نحاسا مطليا بالذهب والقزبر يساوى كله خمسمائة درهم فعظم على ذلك وضاعت الدنانير التى كانت معى وازددت غما على غمى وهذا اعجب ما جرى لى فى زمن ولايتى فقام والى مصر القديمة وقال يا مولانا السلطان واما انا فاعجب ما جرى لى فى مدة ولايتى انى شنقت عشرة لصوص وجعلت كل واحد على خشبة وحده واوصيت الحراسين انهم يحفظونهم ولا يتركون الناس يأخذون احدا منهم فلما كان من الغد جئت لانظرهم فنظرت مشنوقين على خشبة واحدة فقلت للحراسين من فعل هذا واين الخشبة التى كان عليها المشنوق الثانى فانكروا ذلك فاردت ان اضربهم فقالوا اعلم ايها الامير انا تمنا البارحة فلما انتبهنا وجدنا مشنوقا واحدا سرق هو والخشبة التى كان عليها فخفنا منك واذا برجل فلاح مسافر قد اقبل علينا ومعه حمار فقبضنا عليه وقتلناه وشنقناه مكان الذى سرق على هذه الخشبة فتعجبت من ذلك وقلت لهم وما كان مع الفلاح فقالوا كان معه خرج على الحمار قلت لهم وما فيه قالوا لا ندرى فقلت لهم على به فاحضروه بين يدى فامرت بفتحه واذا فيه رجل مقتول مقطع فلما رأيته تعجبت من ذلك وقلت فى نفسى سبحان الله ما كان سبب شنق هذا الفلاح الا ذنب هذا المقتول وما ربك بظلام للعبيد ومما يحكى ان رجلا من الصيارف كان معه كيس ملان من ذهب وقد مر على اللصوص فقال واحد من الشطار انا اقدر على اخذ هذا الكيس فقالوا له كيف تصنع فقال انظروا ثم تبعه الى منزله فدخل الصيرفى ورمى الكيس على الصفة وكان حافنا فدخل بيت الراحة لازالة الضرورة وقال للجارية هاتى ابريق ماء فاخذت الجارية الابريق وتبعته الى بيت الراحة وتركت الباب مفتوحا فدخل اللص واخذ الكيس وذهب الى اصحابه واعلمهم بما جرى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان اللص اخذ الكيس وذهب الى اصحابه واعلمهم بما جرى له مع الصيرفى والجارية فقالوا له والله ان الذى عملته شطارة وما كل انسان يقدر عليه ولكن فى هذا الوقت يخرج الصيرفى من بيت الراحة فلم يجد الكيس فيضرب الجارية ويعذبها عذابا اليما فكانك ما عملت شيأ تشكر عليه فان كنت شاطرا تخلص الجارية من الضرب والعذاب فقال لهم ان شاء الله تعالى اخلص الجارية والكيس ثم ان اللص رجع الى دار الصيرفى فوجده يعاقب الجارية لاجل الكيس فدق عليه الباب فقال له من هذا فقال له انا غلام جارك الذى فى القيسرية تخرج اليه وقال له ما شأنك فقال له ان سيدى يسلم عليك ويقول لك قد تغيرت احوالك كلها كيف ترمى بمثل هذا الكيس على باب الدكان وتروح وتخليه ولو لقيه احد غريب كان اخذه وراح ولولا ان سيدى رآه وحفظه لكان ضاع عليك ثم اخرج الكيس واراه اياه فلما رآه الصيرفى قال هذا كيسى بعينه ومديده ليأخذه منه فقال له والله ما اعطيك اياه حتى تكتب ورقة لسيدى انك تسلمت الكيس منى فانى اخاف ان لا يصدقنى فى انك اخذت الكيس وتسلمته حتى تكتب لى ورقة وتختمها بختمك فدخل الصيرفى ليكتب له ورقة بوصول الكيس كما ذكر له

فذهب

فذهب اللص بالكيس الى حال سبيله وخلصت الجارية من العذاب ومما يحكى ان علاء الدين والى قوص كان جالسا ذات ليلة من الليالى فى بيته واذا بشخص حسن الصورة والمنظر كامل الهيئة قد اتاه فى الليل ومعه صندوق على رأس خادم ووقف على الباب وقال لبعض غلمان الامير ادخل واعلم الامير انى اريد الاجتماع به من اجل سر فدخل الغلام واعلمه بذلك فامره بادخاله فلما دخل رأه الامير عظيم الهيئة حسن الصورة فاجلسه الى جانبه واكرم مثواه وقال له ما حاجتك فقال له انا رجل من قطاع الطريق واريد التوبة والرجوع الى الله تعالى على يديك واريد ان تساعدنى على ذلك لانى صرت فى طرقك وتحت نظرك ومعى هذا الصندوق فيه شئ قيمته نحو اربعين الف دينار فانت اولى بها واعطنى من خالص مالك الف دينار حلالا اجعلها رأس مال واستعين بها على التوبة واستغنى بها عن الحرام واجرك على الله تعالى ثم انه فتح الصندوق ليرى الوالى ما فيه واذا به مصاغ وجواهر ومعادن وفصوص ولؤلؤ فادهشه ذلك وفرح به فرحا شديدا وصاح على خازندار وقال له احضر الكيس الفلانى وكان فيه الف دينار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والاربعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوالى صاح على خازندار وقال له احضر الكيس الفلانى وكان فيه الف دينار فلما احضر الخازندار ذلك الكيس اعطاه لذلك الرجل فاخذه منه وشكره على فعله ومضى الى حال سبيله تحت الليل فلما اصبح الصباح احضر الوالى قيم الصاغة فلما حضر اراه ذلك الصندوق وما فيه من المصاغ فوجد جميع ذلك من القزير والنحاس ورأى الجواهر والفصوص واللؤلؤ كلها من الزجاج فعظم ذلك على الوالى وارسل فى طلبه فلم يقدر احد على تحصيله ومما يحكى ان امير المؤمنين المأمون قال لابراهيم بن المهدى حدثنا بعجب ما رأيت قال سمعا وطاعة يا امير المؤمنين اعلم انى خرجت يوما للنزهة فانتهى بى المشى الى موضع فشممت فيه رايحة الطعام فاشتاقت نفسى اليه ووقفت يا امير المؤمنين متحيرا لا اقدر على المضى ولا على دخول ذلك الموضع فرفعت بصرى واذا انا بشباك ومن خلفه كف ومعصم ما رأيت احسن منهما وطار عقلى عند رؤيتهما ونسيت رايحة الطعام بذلك الكف والمعصم واخذت فى الحيلة على الوصول الى ذلك الموضع واذا بخياط قريب من ذلك الموضع فتقدمت اليه وسلمت عليه فرد على السلام فقلت لمن هذه الدار فقال لرجل من التجار فقلت له ما اسمه قال اسمه فلان بن فلان وهو لا ينادم الا التجار فبينما نحن فى الكلام اذا قبل رجلان نبيلان ذكيان فاعلمنى انهما اخص الناس بصحبته واخبرنى باسمهما فحركت دابتى حتى لقيتهما وقلت لهما جعلت فداكما قد استبطأكما ابو فلان وساير تهما حتى وصلنا الى الباب فدخلت ودخل الرجلان فلما رأنى صاحب الدار معهما لم يشك فى اننى صاحبهما فرحب بى واجلسنى فى ارفع المواضع ثم جاؤا بالمائدة فقلت فى نفسى قد من الله على ببلوغ الغرض من هذه الاطعمة وبقى الكف والمعصم ثم انتقلنا الى المنادمة فى موضع آخر فرأيته محفوفا باللطائف وجعل صاحب المنزل يتلطف بى ويتمحل على بالحديث لظنه انى ضيف لاضيافه وهم كذلك يلاطفوننى غاية الملاطفة لظنهم اننى صاحب رب المنزل ولم يزل جميعهم فى ملاطفتى حتى شربنا اقداحا ثم خرجت علينا جارية كانها غصن بان وهى فى غاية الظرف وحسن الهيئة فاخذت العود واطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

اليس عجيبا ان بيتا يضمنا * واياك لا تدنوا ولا تتكلم
سوى اعين تبدى سرائر انفس * وتقطيع اكباد على النار تضرم
اشارة الحاظ وغمز حواجب * وتكسير اجفان وكف تسلم

فهبت بلابل يا امير المؤمنين واخذ فى الطرب من فرط جمالها ورقة شعرها الذى غنت به فحسدتها على حسن صنعتها وقلت بقى عليك شئ يا جارية فرمت العود من يدها غضبا وقالت متى كنتم تحضرون السفهاء فى مجالسكم فندمت على ما كان منى ورأيت القوم قد انكروا على فقلت قد فاتنى جميع ما املت ولم ار حيلة لدفع اللوم عنى الا انى طلبت عودا وقلت اما ابين ما فاتها من الطريقة التى ضربت بها فقال القوم سمعا وطاعة ثم احضروا لى عودا فاصلحت منه الاوتار وغنيت بهذه الاشعار

هذا محبك مطويا على كمده * صب تدامعه تجرى على جسده
له يد تسأل الرحمن راجية * آماله ويد اخرى على كبده
يا من يرى هالكا من عشقه تلفا * كانت منيته من عينه ويده

فوثبت الجارية وانكبت على رجلى تقبلها وقالت المعذرة اليك يا سيدى والله ما علمت بمكانك ولا سمعت بمثل هذه الصناعة ثم اخذ القوم فى اكرامى وتبجيلى بعد ما طربوا غاية الطرب وسألنى كل منهم الغناء ففنيت نوبة مطربة فصار القوم سكارى وذهبت عقولهم فحملوا الى منازلهم وبقى صاحب المنزل هو والجارية فشرب معى اقداحا ثم قال يا سيدى ذهب عمرى مجانا حيث لم اعرف مثلك قبل ذلك الوقت فبالله يا سيدى من انت حتى اعرف نديمى الذى من الله على به فى هذه الليلة فاخذت اورى ولم اصرح له باسمى وهو يقسم على فاعلمته فلما عرف اسمى وثب قائما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والاربعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابراهيم بن المهدى قال فلما عرف اسمى صاحب الدار وثب قائما على قدميه وقال عجبت من ان يكون هذا الفضل الا لمثلك ولقد اهدى الزمان الى يدا لا اقوم بشكرها ولعل هذا منام والا فمتى طمعت ان تزورنى الخلافة فى منزلى وتنادمنى ليلتى هذه فاقسمت عليه ان يجلس فجلس واخذ يسألنى عن السبب فى حضورى عنده بالطف معنى فاخبرته بالقصة من اولها الى آخرها وما سترت منها شيأ وقلت اما الطعام فقد نلت منه بغيتى واما الكف والمعصم فلم انل مرادى منهما فقال والكف والمعصم تنال مرادك منهما ان شاء الله تعالى ثم قال يا فلانة قولى لفلانة ان تنزل ثم جعل يستدعى جواريه واحدة بعد واحدة ويعرض الجميع على وانا لا ارى صاحبتى الى ان قال والله يا سيدى ما بقى الا امى واختى ولكن والله لابد من انزالهما اليك وعرضهما عليك حتى تراهما فعجبت من كرمه وسعة صدره فقلت جعلت فداك فابدأ بالاخت قال حبا وكرامة ثم نزلت اخته فاراني يدها فاذا هى صاحبة الكف والمعصم اللذين رأيتهما فقلت جعلت فداك هذه الجارية هى التى رأيت كفها ومعصمها فامر الغلمان ان يحضروا الشهود فى الوقت والساعة فاحضروا الشهود ثم احضر بدرتين من الذهب وقال للشهود هذا مولانا سيدى ابراهيم بن المهدى عم امير المؤمنين يخطب اختى فلانة واشهدكم انى قد

زوجتها له وقد امهرها بيدرة ثم قال زوجتك اختي فلانة على المهر المسمى فقلت قبلت ذلك ورضيته ثم دفع احدى البدرتين الى اخته والاخرى الى الشهود ثم قال يا مولانا اريد ان امهد لك بعض البيوت لتنام مع اهلك فاحشمني ما رأيت من كرمه واستحييت ان اخلو بها في داره فقلت له جهزها الى منزلي فوحقك يا امير المؤمنين لقد حمل الي من الجهاز ما ضاقت عنه بيوتي مع سعتها ثم اولدتها هذا الغلام القائم بين يديك فتعجب المأمون من كرم هذا الرجل وقال لله دره ما سمعت قط بمثله وامر ابراهيم ابن المهدي باحضار الرجل ليشاهده فاحضره بين يديه واستنطقه فاعجبه ظرفه وادبه فصيره من جملة خواصه والله هو المعطي الوهاب

ومما يحكى ان ملكا من الملوك قال لاهل مملكته لئن تصدق احد منكم بشيء لاقطعن يده فامسكت الناس جميعا عن الصدقة ولم يقدر احد ان يتصدق على احد فاتفق ان سائلا جاء الى امرأة يوما من الايام وقد اضر به الجوع وقال لها تصدقي علي بشيء وادر لك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الرجل السائل قال للمرأة تصدقي علي بشيء فقالت كيف اتصدق عليك والملك يقطع يد كل من تصدق فقال اسألك بالله تعالى ان تتصدقي علي فلما سألها بالله رقت له وتصدقت عليه برغيفين فوصل الخبر الى الملك فامر باحضارها فلما حضرت قطع يديها وتوجهت الى دارها ثم ان الملك بعد حين قال لامه اني اريد الزواج فزوجيني امرأة جميلة قالت ان في جوارنا امرأة لم يوجد احسن منها ولكن بها عيب شديد قال وما هو قالت مقطوعة اليدين قال اريد ان انظرها فاتت بها اليه فلما نظرها افتتن بها فتزوجها ودخل بها وكانت تلك المرأة هي التي تصدقت على السائل برغيفين وقطع يديها من اجل ذلك فلما تزوج بها حسدها ضرائرها وكتبن الى الملك يخبرنه عنها بانها فاجرة وقد ولدت غلاما فكتب الملك الى امه كتابا وامرها فيه ان تخرج بها الى الصحراء وتتركها هناك ثم ترجع ففعلت امه ذلك وخرجت بها الى الصحراء ثم رجعت فصارت تلك المرأة تبكي على ما جرى لها وتنتحب انتحابا شديدا مما عليه من مزيد فبينما هي تمشي والولد على عنقها اذ مرت على نهر فبركت لتشرب من شدة العطش الذي لحقها من مشيها وتعبها وحزنها فعند ما طأطأت سقط الولد في الماء فجلست تبكي على ولدها بكاء شديدا فبينما هي تبكي اذ مر عليها رجلان فقالا لها ما يبكيك قالت لهما كان لي ولد على عنقي فسقط في الماء فقالا لها اتحبين ان نخرجه لك قالت نعم فدعوا الله تعالى فخرج الولد اليها سالما لم يصبه شيء ثم قالا لها اتحبين ان يرد الله يديك كما كانتا قالت نعم فدعوا الله سبحانه وتعالى فرجعت يداها احسن ما كانتا عليه ثم قالا لها اتدرين من نحن قالت الله اعلم قالا نحن رغيفاك اللذان تصدقت بهما على السائل وكانت الصدقة سببا لقطع يديك فاحمدي الله تعالى الذي رد عليك يديك وولدك فحمدت الله تعالى واثنت عليه

ومما يحكى انه كان في بني اسرائيل رجل عابد له عيال يغزلون القطن فكان كل يوم يبيع الغزل ويشتري قطنا وما خرج من الكسب يشتري به طعاما لعياله يأكلونه في ذلك اليوم فخرج ذات يوم وباع الغزل فلقيه اخ له فشكا اليه الحاجة فدفع له ثمن الغزل ورجع الى عياله من غير قطن ولا طعام فقالوا له اين القطن والطعام فقال لهم استقبلني فلان فشكا الي الحاجة فدفعت اليه ثمن الغزل قالوا وكيف نصنع وليس عندنا شيء نبيعه وكان عندهم قصعة مكسورة وجرة فذهب

بهما الى السوق فلم يشترهما احد منه فبينما هو فى السوق اذ مر به رجل ومعه سمكة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الرجل اخذ القصعة والجرة وذهب بهما الى السوق فلم يشترهما احد منه فبينما هو فى السوق اذ مر به رجل ومعه سمكة منتنة منفوخة لم يشترها احد منه فقال له صاحب السمكة اتبيعنى كاسدك بكاسدى قال نعم فدفع له القصعة والجرة واخذ منه السمكة وجاء بها الى عياله فقالوا له ما تفعل بهذه السمكة قال نشويها وناكلها الى ان يشاء الله تعالى لنا برزقنا فاخذوها وشقوا بطنها فوجدوا فيه حبة لؤلؤ فاخبروا بها الشيخ فقال انظروا ان كانت منقوبة فهى لبعض الناس وان كانت غير منقوبة فانها رزق رزقكم الله تعالى به فنظروا فاذا هى غير منقوبة فلما اصبح الصباح غدا بها الى بعض اخوانه من اصحاب المعرفة بذلك فقال يا فلان من اين لك هذه اللؤلؤة قال رزق رزقنا الله تعالى به قال انها تساوى الف درهم وانا اعطى لك ذلك ولكن اذهب بها الى فلان فانه اكثر منى مالا ومعرفة فذهب بها اليه فقال انها تساوى سبعين الف درهم لا اكثر من ذلك ثم دفع له سبعين الف درهم ودعا بالخمالين فحملوا له المال حتى وصل الى باب منزله فجاءه سائل وقال له اعطنى مما اعطاك الله تعالى فقال للسائل قد كنا بالامس مثلك خذ نصف هذا المال فلما قسم المال شطرين واخذ كل واحد شطره قال له السائل امسك عليك مالك وخذه بارك الله لك فيه وانما انا رسول ربك بعثنى اليك لاختبرك فقال الله الحمد والمنة ومازال فى ارغد عيش هو وعياله الى الممات

ومما يحكى ان ابا حسان الزيادى قال ضاق على الحال فى بعض الايام ضيقا شديدا حتى انه قد الح على البقال والخباز وسائر المعاملين فاشتد على الكرب ولم اجد لى حيلة فبينما انا على تلك الحالة لا ادرى كيف اصنع اذ دخل على غلام لى فقال ان بالباب رجلا حاجبيا يطلب الدخول عليك فقلت ائذن له فدخل فاذا هو رجل خراسانى فسلم على فرددت عليه السلام ثم قال لى هل انت ابو حسان الزيادى قلت نعم وما حاجتك قال انى رجل غريب واريد الحج ومعى جملة من المال وانه قد انثقلنى حمله واريد ان ادع عندك هذه العشرة آلاف درهم الى ان اقضى حجى وارجع فان رجع الركب ولم ترنى فاعلم اننى قدمت فالمال هبة منى اليك وان رجعت فهى لى فقلت له لك ذلك ان شاء الله تعالى فاخرج جرابا فقلت للغلام ائتنى بميزان فاتى بميزان فوزنها وسلمها الى وذهب الى حال سبيله فاحضرت المعاملين وقضيت دينى وادركنى شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابا حسان الزيادى قال احضرت المعاملين وقضيت ما كان على من الدين وانفقت واتسعت وقلت فى نفسى الى ان يرجع يفتح الله علينا بشئ من عنده فلما كان بعد يوم دخل الغلام على وقال لى ان صاحبك الخراسانى بالباب فقلت ائذن له فدخل ثم قال انى كنت عازما على الحج فجاءنى خبر بوفاة والدى وقد عزمت على الرجوع فاعطنى المال الذى اودعتك اياه بالامس فلما سمعت منه هذا الكلام حصل لى هم عظيم لم يحصل لاحد مثله قط وتحيرت فلم ارد جوابا فان جحدته استحلفنى وكانت الفضيحة فى الاخرة وان اخبرته بالتصرف فيه صاح وهتكنى فقلت له عافاك الله

ان منزلى هذا ليس بحصين ولا حرز لذلك المال وانى لما اخذت جرابك ارسلته الى من هو عنده الان فعد علينا فى الغد لنأخذه ان شاء الله تعالى فانصرف عنى وبت متحيرا من اجل رجوع الخراسانى الى فلم يأخذنى نوم فى تلك الليلة ولم اقدر على غمض عينى فقمت للغلام وقلت له اسرج لى البغلة قال يا مولاى ان هذا الوقت عتمة ولم يمض من الليل شئ فرجعت الى فراشى فاذا النوم ممتنع فلم ازل ايقظ الغلام وهو يردنى حتى طلع الفجر فاسرج لى البغلة فركبت وانا لا ادرى اين اذهب فطرحت عنان البغلة على عاتقها وصرت مشغولا بالفكر والهموم وهى تسير الى الجانب الشرقى من بغداد فبينما انا سائر واذا انا بقوم قد رأيتهم فانحرفت عنهم وعدلت عن طريقهم الى طريق اخرى فتبعونى فلما رأونى بطيلسان تبادروا الى وقالوا الى اتعرف منزل ابى حسان الزيادى فقلت لهم هو انا فقالوا اجب امير المؤمنين فسرت معهم حتى دخلت على المأمون فقال لى من انت قلت رجل من اصحاب القاضى ابى يوسف من الفقهاء واصحاب الحديث فقال باى شئ تكنى قلت بابى حسان الزيادى قال اشرح لى قصتك فشرحت له خبرى فبكى بكاء شديدا وقال ويحك ماتركنى رسول الله صلى الله عليه وسلم انام فى هذه الليلة بسببك فانى لما نمت اول الليل قال لى اغث اباحسان الزيادى فانتبهت ولم اعرفك ثم نمت فاتانى وقال لى ويحك اغث اباحسان الزيادى فانتبهت ولم اعرفك ثم نمت فاتانى ولم اعرفك ثم نمت فاتانى وقال لى ويحك اغث اباحسان الزيادى فما تجاسرت على النوم بعد ذلك وسهرت الليل كله وقد ايقظت الناس وارسلتهم فى طلبك من كل جانب ثم اعطانى عشرة الاف درهم وقال هذه للخراسانى ثم اعطانى عشرة الاف درهم وقال اتسع بهذه واصلح بها امرك ثم اعطانى ثلاثين الف درهم وقال جهز نفسك بهذه واذا كان يوم الموكب فائتنى حتى اقلدك عملا فخرجت والمال معى فجئت الى منزلى فصليت فيه الغداة واذا بالخراسانى قد حضر فادخلته البيت واخرجت له بدرة وقلت له هذا مالك قال ليس هذا عين مالى فقلت نعم فقال ما سبب هذا فقصصت عليه القصة فبكى وقال والله لاصدقتنى من اول الامر ما طلبتك وانا الان والله لا اقبل شيأ وادرك الشهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخراسانى قال للزيادى والله لواصدقتنى من اول الامر ما طلبتك وانا الان والله لا اقبل شيأ من هذا المال وانت فى حل منه وانصرف من عندى ثم اصلحت امرى وذهبت فى يوم الموكب الى باب المأمون فدخلت عليه وهو جالس فلما مثلت بين يديه استدنانى واخرج لى عهدا من تحت مصلاه وقال هذا عهدك بقضاء المدينة الشريفة من الجانب الغربى من باب السلام الى مال نهاية له وقد اجريت لك كذا وكذا فى كل شهر فاتق الله عز وجل وحافظ على عناية رسول الله صلى الله عليه وسلم بك فتعجب الناس من كلامه وسألونى عن معناه فاخبرتهم بالقصة من اولها الى آخرها فشاع الخبر بين الناس ومازال ابو حسان الزيادى قاضيا فى المدينة الشريفة الى ان مات فى ايام المأمون رحمة الله عليه

ومما يحكى ان رجلا كان ذا مال كثير فافتقد منه وصار لا يملك شيأ فاشارت عليه زوجته ان يقصد بعض اصدقائه فيما يصلح به حاله فقصد صديقا له وذكر له ضرورته له فاقرضه خمسمائة دينار على انه يتجر فيها وكان فى ابتداء حاله جوهريا فاخذ الذهب ومضى الى سوق الجواهر وفتح دكانه ليشترى ويبيع فلما قعد فى الدكان اتاه ثلاثة رجال وسألوه عن والده فذكر لهم وفاته فقالوا له هل خلف احدا من الذرية قال خلف

العبد الذى بين ايديكم قالوا ومن يعرف انك ولده قال اهل السوق فقالوا له اجمعهم لنا حتى يشهدوا انك ولده فجمعهم وشهدوا بذلك فخرج الثلاثة رجال خرجا فيه مقدار ثلاثين الف دينار وفيه جواهر ومعادن ثمينه وقالوا هذا كان عندنا امانة لابيك ثم انصرفوا فاتته امرأة وطلبت منه شيأ من ذلك الجوهر يساوى خمسمائة دينار فاشترته منه بثلاثة الاف دينار فباعه لها ثم قام واخذ الخمسمائة دينار التى كان اقترضها من صديقه وحملها اليه وقال له خذ الخمسمائة دينار التى اقترضتها منك فقد فتح الله على ويسر لى فقال له صديقه انى اعطيتك اياها وخرجت عنها لله فخذها وخذ هذه الورقة ولا تقرأها الا وانت فى دارك واعمل بما فيها فاخذ المال والورقة وذهب الى بيته فلما فتحها وجد مكتوبا فيها هذه الابيات

ان الرجال الاولى جاءوا لمن نسبى * ابى وعمى وخالى صالح بن على
كذالك ما بعثه نقدا لوالدتى * والمال والجوهر المبعوث من قبلى
وما اردت بهذا منك منقصة * لكن لاكفيك منى ورطة الخجل

ومما يحكى ان رجلا من بغداد كان صاحب نعمة وافرة ومال كثير فنفد ماله وتغير حاله وصار لا يملك شيأ ولا ينال قوته الا بجهد جهيد فنام ذات ليلة وهو مغموم مقهور فرأى فى منامه قائلا يقول له ان رزقك بمصر فاتبعه وتوجه اليه فسافر الى مصر فلما وصل اليها ادركه المساء فنام فى مسجد وكان بجوار المسجد بيت فقدر الله تعالى ان جماعة من اللصوص دخلوا المسجد وتوصلوا منه الى ذلك البيت فانتبه اهل البيت على حركة اللصوص وقاموا بالصياح فاغاثهم الوالى باتباعه فهربت اللصوص ودخل الوالى المسجد فوجد الرجل البغدادى نائما فى المسجد فقبض عليه وضربه بالمقارع ضربا مؤلما حتى اشرف على الهلاك وسجنه فمكث ثلاثة ايام فى السجن ثم احضره الوالى وقال له من اى البلاد انت قال من بغداد قال له وما حاجتك التى هى سبب فى مجيئك الى مصر قال انى رأيت فى منامى قائلا يقول لى ان رزقك بمصر فتوجه اليه فلما جئت الى مصر وجدت الرزق الذى اخبرنى به تلك المقارع التى نلتها منك فضحك الوالى حتى بدت نواجذه وقال له ياقليل العقل انا رأيت ثلاث مرات فى منامى قائلا يقول لى ان بيتا فى بغداد بخط كذا ووصفه كذا بجوشه جنينة تحتها فسقية بها مال له جرم عظيم فتوجه اليه وخذه فلم اتوجه وانت من قلة عقلك سافرت من بلدة الى بلدة من اجل رؤيا رأيتها وهى اضغاث احلام ثم اعطاه دراهم وقال له استعن بها على عودك الى بلدك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوالى اعطى البغدادى دراهم وقال له استعن بها على عودك الى بلدك فاخذها وعاد الى بغداد وكان البيت الذى وصفه الوالى ببغداد هو بيت ذلك الرجل فلما وصل الى منزله حفر تحت الفسقية فرأى مالا كثيرا ووسع الله عليه رزقه وهذا اتفاق عجيب ومما يحكى انه كان فى قصر امير المؤمنين المتوكل على الله اربعة الاف سرية مائتان روميات ومائتان مولدات وحبش وقد اهدى عبيد ابن طاهر الى المتوكل اربعمائة جارية مائتان بيض ومائتان حبش ومولدات وكان من جملة ذلك جارية من مولدات البصرة يقال لها محبوبة وكانت فايقة فى الحسن والجمال والظرف والدلال وكانت تضرب بالعود وتحسن الغناء وتنظم الشعر وتكتب خطا جيدا فافتتن بها المتوكل وكان لا يصبر عنها ساعة واحدة فلما رأت ميله اليها تكبرت عليه وبطرت النعمة فغضب عليها غضبا شديدا وهجرها ومنع اهل القصر

من كلامها فمكثت على ذلك اياما وكان المتوكل له ميل اليها فاصبح ذات يوم قال لجلسائه انى رأيت فى هذه الليلة فى منامى كانى صالحت محبوبة فقالوا له نرجو من الله تعالى ان يكون ذلك بقظة فبينما هو فى الكلام واذا بخادمة قد اقبلت واسرت الى المتوكل حديثا فقام من المجلس ودخل دار الحريم وكان الذى اسرته اليه انها قالت له سمعنا من حجرة محبوبة غناء وضربا بالعود وما ندرى سبب ذلك فلما وصل الى حجرتها سمعها تغنى على العود وتحسن الضربات وتنشد هذه الابيات

ادور فى القصر لا ارى احدا * اشكو اليه ولا يكلمنى
حتى كأنى ارتكبت معصية * ليس لها توبة تخلصنى
فهل لنا شافع الى ملك * قد زارنى فى الكرى وصالحنى
حتى اذا ما الصباح لاح لنا * عاد الى هجره وقاطعنى

فلما سمع المتوكل كلامها تعجب من هذه الابيات ومن هذا الاتفاق الغريب حيث رأت محبوبة منامها موافقا لمنامه فدخل عليها فى الحجرة فلما دخل حجرتها واحست به بادرت بالقيام اليه وانكبت على اقدامه وقبلتها وقالت والله ياسيدى لقد رأيت هذه الواقعة فى منامى ليلة البارحة فلما انتبهت من النوم نظمت هذه الابيات فقال لها المتوكل والله انى رأيت منامك مثل ذلك ثم انهما تعانقا واصطلحا واقام عندها سبعة ايام بليليها وكانت محبوبة قد كتبت على خدها بالمسك اسم المتوكل وكان اسمه جعفر فلما راى المتوكل اسمه مكتوبا على خدها بالمسك انشأ يقول

وكاتبة بالمسك فى الخد جعفرا * بنفسى من قد خط فى الخد ما ارى
لئن كتبت فى الخد سطرا بنانها * لقد اودعت قلبى من الخط اسطرا
فيا من حواها فى البرية جعفر * سقى الله من سقيا ثراك جعفرا

ولما مات المتوكل سلاه جميع من كان له من الجوارى الا محبوبة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه لما مات المتوكل سلاه جميع من كان له من الجوارى الا محبوبة فانها لم تزل حزينة عليه حتى ماتت ودفنت بجانبه رحمة الله عليهم اجمعين ومما يحكى انه كان فى زمن الحاكم بامر الله رجل بمصر يسمى وردان وكان جزارا فى اللحم الضانى وكانت امرأة تاتيه كل يوم بدينار يقارب وزنه وزن دينارين ونصف من الدنانير المصرية وتقول له اعطنى خروفا وتحضر معها حمالا يقفص فيأخذ منها الدينار ويعطيها خروفا فتحمله الى الحمال وتاخذه وتروح به الى مكانها وفى ثانى يوم وقت الضحى تأتى وكان ذلك الجزار يكتسب منها كل يوم دينارا واقامت مدة طويلة على ذلك فتفكر وردان الجزار ذات يوم فى امرها وقال فى نفسه هذه المرأة كل يوم تشترى منى بدينار ولم تغلط يوما واحدا وتشترى منى بدراهم فهذا امر عجيب ثم ان وردان سأل الحمال فى غيبة المرأة فقال له الى اين تروح كل يوم مع هذه المرأة فقال له انا فى غاية العجب منها فانها كل يوم تحملنى الظروف من عندك وتشترى حوايج الطعام والفاكهة والشمع والنقل بدينار آخر وتأخذ من شخص نصرانى مرة وقتين بيذا وتعطيه دينارا وتحملنى الجميع واسير معها الى بساتين الوزير ثم تعصب عينى بحيث انى لا انظر موضعا من الارض احط

فيه قدمي وتأخذ بيدي فما اعرف اين تذهب بي ثم تقول حط هنا وعندها نفص آخر فتعطيني الفارغ ثم تمسك يدي وتعود بي الى الموضع الذي شدت عيني فيه بالعصابة فتحلها وتعطيني عشرة دراهم فقال له الجزار الله يكون في عونها ولكن ازداد فكرا في امرها وكثرت عنده الوساوس وبات في قلق عظيم قال وردان الجزار فلما اصبحت اتتني على العادة واعطتني الدينار واخذت الخروف وحملته الى الجمال وراحت فاوصيت صبي على الدكان وتبعتها بحيث لا تراني وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان وردان الجزار قال فاوصيت صبي على الدكان وتبعتها بحيث لا تراني ولم ازل اعاينها الى ان خرجت من مصر وانا اتواري خلفها حتى وصلت الى بساتين الوزير فاختفيت حتى عصبت عيني الجمال وتبعتها من مكان الى مكان الى ان اتت الجبل فوصلت الى مكان فيه حجر كبير وحطت القفص عن الجمال فصبرت الى ان عادت بالجمال ورجعت ونزعت جميع ما كان بالقفص وغابت ساعة فاتيت الى ذلك الحجر فزحزحته ودخلت فوجدت خلفه طابقا من نحاس مفتوحا ودرجا نازلة فنزلت في تلك الدرج قليلا قليلا حتى وصلت الى دهليز طويل كثير النور فمشيت فيه حتى رأيت هيئة باب قاعة فارتكنت في زوايا الباب فوجدت صفة بها سلام خارج باب القاعة فتعلقت فيها فوجدت صفة صغيرة بها طاقة تشرف على قاعة فنظرت في القاعة فوجدت المرأة قد اخذت الخروف وقطعت منه مطابيه وعملته في قدر ورمت الباقي الى دب كبير عظيم الخلقة فاكله عن آخره وهي تطبخ فلما فرغت اكلت كفايتها وضعت الفاكهة والنقل وحطت النبيذ وصارت تشرب بقدح وتسقي الدب بطاسة من ذهب حتى حصل لهما نشوة السكر فنزعت ثيابها ونامت فقام الدب وواقعها وهي تعاطيه من احسن ما يكون لبني آدم حتى فرغ وجلس ثم وثب اليها وواقعها ولما فرغ جلس واستراح ولم يزل كذلك حتى فعل ذلك عشر مرات ثم وقع كل منهما مغشيا عليه وصار لا يتحرك فقلت في نفسي هذا وقت انتهاز الفرصة فنزلت ومعي سكين تبري العظم قبل اللحم فلما صرت عندهما وجدتهما لا يتحرك فيهما عرق لما حصل لهما من المشقة فجعلت السكين في منحر الدب واتكأت عليه حتى خلصته وانعزلت رأسه عن بدنه فصار له شخير عظيم مثل الرعد فانتبهت المرأة مرعوبة فلما رأت الدب مذبوحا وانا واقف والسكين في يدي زعقت زعقة عظيمة حتى ظننت ان روحها قد خرجت وقالت لي يا وردان ايكون هذا جزاء الاحسان فقلت لها يا عدوة نفسها هل عدمت الرجال حتى تفعلي هذا الفعل الذميم فاطرقت رأسها الى الارض لا ترد جوابا وتأملت الدب وقد نزعت رأسه عن جثته ثم قالت يا وردان اي شيء احب اليك ان تسمع الذي اقوله لك ويكون سببا لسلامتك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان المرأة قالت يا وردان اي شيء احب اليك ان تسمع الذي اقوله لك ويكون سببا لسلامتك وغناك الى اخر الدهر او تخالفني ويكون سببا لهلاكك قلت اختار ان اسمع كلامك فحدثيني بما شئت فقالت اذبحني كما ذبحت هذا الدب وخذ من هذا الكنز حاجتك وتوجه الى حال سبيلك فقلت لها انا خير من هذا الدب فارجعي الى الله تعالى وتوبي واتزوج بك ونعيش باقي عمرنا بهذا الكنز قالت يا وردان ان هذا بعيد كيف اعيش بعده والله ان لم تذبحني لا تلفن روحك فلا تراجعني تتلف وهذا ما عندي من الرأي

والسلام

والسلام فقلت اذبحك وتروحين الى لعنة الله ثم جذبتها من شعرها وذبحتها وراحت الى لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وبعد ذلك نظرت فى المحل فوجدت فيه من الذهب والفصوص واللؤلؤ مالا يقدر على جمعه احد من الملوك فاخذت قفص الحمال وملأته على قدر ما اطيق ثم سترته بقماشى الذى كان على وحملته وطلعت من الكنز وسرت ولم ازل سائرا الى باب مصر واذا به عشرة من جماعة الحاكم بامر الله مقبلون والحاكم خلفهم فقال لى ياوردان قلت لبيك ايها الملك قال هل قتلت الدب والمرأة قلت نعم قال حط عن رأسك وطب نفسا بجميع ما معك من المال لك لا ينازعك فيه احد فحطيت القفص بين يديه فكشفه ورآه وقال حدثنى بخبرهما وان كنت اعرفه كانى حاضر معكم فحدثته بجميع ما جرى وهو يقول صدقت فقال ياوردان قم سر بنا الى الكنز فتوجهت معه اليه فوجد الطابق مغلقا فقال ارفعه ياوردان فان هذا الكنز لا يقدر احد ان يفتحه غيرك فانه مرصود باسمك وصفتك فقلت والله لا اطيق فتحه فقال تقدم انت على بركة الله فتقدمت اليه وسميت الله تعالى ومددت يدى الى الطابق فارتفع كانه اخف ما يكون فقال الحاكم انزل واطلع ما فيه فانه لا ينزله الا من هو باسمك وصورتك وصفاتك من حين وضع وقتل هذا الدب وهذه المرأة على يديك وهو عندى مؤرخ وكنت انتظر وقوعه حتى وقع قال وردان فنزلت ونقلت له جميع ما فى الكنز ثم دعا بالدواب وحمله واعطانى قفصى بما فيه فاخذته وعدت به الى بيتى وفتحت لى دكانا فى السوق وهذا السوق موجود الى الان ويعرف بسوق وردان ومما يحكى ايضا انه كان لبعض السلاطين ابنة وقد تعلق قلبها بحب عبد اسود فافتض بكارتها واولعت بالنكاح فكانت لا تصبر عنه ساعة واحدة فشكت امرها الى بعض القهرمانات فاخبرتها انه لا شئ ينكح اكثر من القرد فاتفق ان قرادا مر تحت طاقتها بقرد كبير فاسفرت عن وجهها ونظرت الى القرد وغمزته بعيونها فقطع القرد وثاقه وسلاسله وطلع اليها فاخبأته فى مكان عندها وصار ليلا ونهارا على اكل وشرب وجماع فقطن ابوها بذلك واراد قتلها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان السلطان لما فطن بامر ابنته واراد قتلها اشعرت بذلك فتزيت بزى المماليك وركبت فرسا واخذت لها بغلا وحملته من الذهب والمعادن والقماش ما لا يوصف وحملت القرد معها وسارت حتى وصلت الى مصر فنزلت فى بعض بيوت الصحراء وصارت كل يوم تشترى لحما من شاب بزاز ولكن لا تأتيه الا بعد الظهر وهى مصفرة اللون متغيرة الوجه فقال الشاب فى نفسه لابد لهذا المملوك من سبب عجيب فلما جاءت على العادة واخذت اللحم تبعها من حيث لا تراه قال ولم ازل خلفها من حيث لا تراانى من محل الى محل حتى وصلت الى مكانها الذى بالصحراء ودخلت هناك فنظرت اليها من بعض جهاته فرأيتها استقرت بمكانها واوقدت النار وطبخت اللحم واكلت كفايتها وقدمت باقيه الى القرد الذى معها فاكل كفايته ثم انها نزعت ما عليها من الثياب ولبست الخز ما عندها من ملابس النساء فعلمت انها انثى ثم انها احضرت خمرا وشربت منه وسقت القرد ثم واقعها القرد نحو عشر مرات حتى غشى عليها وبعد ذلك نشر القرد عليها ملاءة من حرير وراح الى محله فنزلت الى وسط المكان فاحس بى القرد واراد فترامى فبادرته بسكين كانت معى ففريت بها كرشه فانتبهت الصبية فزعة مرعوبة فرأت القرد على هذه الحالة فصرخت صرخة عظيمة حتى كادت ان تزهق روحها ثم وقعت مغشيا عليها فلما افاقت من غشيتها قالت

لى ما حملك على ذلك ولكن بالله عليك ان تلحقنى به فلازلت الاطفها واضمن لها انى اقوم بما قام به القرد من كثرة النكاح الى ان سكن روعها وتزوجت بها فعجزت عن ذلك ولم اصبر عليه فشكوت حالى الى بعض العجائز وذكرت لها ما كان من امرها فالتزمت لى بتدبير هذا الامر وقالت لى لابد ان تأتينى بقدر وتملأه من الخل البكر وتأتينى بقدر رطل من العود القرح فاتيت لها بما طلبته فوضعته فى القدر ووضعت القدر على النار وغلته غليانا قويا ثم امرتنى بنكاح الصبية فنكحتها الى ان غشى عليا فحملتها العجوز وهى لا تشعر والقت فرجها على فم القدر فصعد دخانه حتى دخل فرجها فنزل من فرجها شئ فتأملته فاذا هو دودتان احداهما سوداء والاخرى صفراء فقالت العجوز الاولى تربت من نكاح العبد والثانية تربت من نكاح القرد فلما افاقت من غشيتها استمرت معى مدة وهى لم تطلب النكاح وقد صرف الله عنها تلك الحالة وتعجبت من ذلك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب قال وقد صرف الله عنها تلك الحالة وتعجبت من ذلك فاخبرتها بالقصة واستمرت معه فى ارغد عيش واحسن لذة واتخذت عندها العجوز مكان والدتها ومازالت هى وزوجها والعجوز فى هناء وسرور الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان الحى الذى لا يموت وبيده الملك والملكوت ومما يحكى انه كان فى قديم الزمان ملك عظيم ذو خطر جسيم وكان له ثلاث بنات مثل البدور الساخرة والرياض الزاهرة وولد ذكر كانه القمر فبينما الملك جالس على كرسى مملكته يوما من الايام اذ دخل عليه ثلاثة من الحكماء مع احدهم طاووس من ذهب ومع الثانى بوق من نحاس ومع الثالث فرس من عاج وابنوس فقال لهم الملك ما هذه الاشياء وما منفعتها فقال صاحب الطاووس ان منفعة هذا الطاووس انه كلما مضت ساعة من ليل او نهار يصفق باجنحته ويزعق وقال صاحب البوق انه اذا وضع هذا البوق على باب المدينة يكون كالمحافظ عليها فاذا دخل من تلك المدينة عدو يزعق عليه هذا البوق فيعرف ويمسك باليد وقال صاحب الفرس يا مولاى ان منفعة هذه الفرس انه اذا ركبها انسان فانها توصله الى اى بلاد اراد فقال الملك لا انعم عليكم حتى اجرب منافع هذه الصور ثم انه جرب الطاووس فوجده كما قال صاحبه وجرب البوق فوجده كما قال صاحبه فقال الملك للحكيمين تمنيا على فقالا نتمنى عليك ان تزوج كل واحد منا بنتا من بناتك فانعم الملك عليهما بنتين من بناته ثم تقدم الحكيم الثالث صاحب الفرس وقبل الارض بين يدى الملك وقال له يا ملك الزمان انعم على كما انعمت على اصحابى فقال له الملك حتى اجرب ما اتيت به فعند ذلك تقدم ابن الملك وقال يا والدى انا اركب هذه الفرس واجربها واختبر منفعتها فقال الملك يا ولدى جربها كما تحب فقام ابن الملك وركب الفرس وحرك رجليه فلم تتحرك من مكانها فقال يا حكيم اين الذى ادعيته من سرعة سيرها فعند ذلك جاء الحكيم الى ابن الملك واراه لولب الصعود وقال له افرك هذا اللولب ففركه ابن الملك واذا بالفرس قد تحركت وطارت بابن الملك الى عنان السماء ولم يزل طائرا به حتى غاب عن الاعين فعند ذلك استار ابن الملك فى امره وندم على ركوبه الفرس ثم قال ان الحكيم قد عمل حيلة على هلاكى فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم انه جعل يتأمل فى جميع اعضاء الفرس فبينما هو يتأمل فيها اذ نظر الى شئ مثل رأس الديك على كتف الفرس الايمن وكذلك الايسر فقال ابن الملك ما ارى فيه اثرا غير هذين الزرين ففرك الزر الذى على الكتف الايمن فازدادت به الفرس سيرا

طالعة الى الجو فتركه ثم نظر الى الكتف الايسر فرأى ذلك الزر فحركه فتناقصت حركات الفرس من الصعود الى الهبوط ولم تزل هابطة به الى الارض قليلا قليلا وهو محترس على نفسه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابن الملك لما فرك الزر الايسر تناقصت حركات الفرس من الصعود الى الهبوط ولم تزل هابطة به الى الارض قليلا قليلا محترسا على نفسه فلما نظر ابن الملك ذلك وعرف منافع الفرس امتلاء قلبه فرحا وسرورا وشكر الله تعالى على ما انعم به عليه حيث انقذه من الهلاك ولم يزل هابطا طول نهاره لانه كان في حال صعوده بعدت عنه الارض وجعل يدور وجه الفرس كما يريد وهي هابطة به واذا شاء نزل بها واذا شاء طلع بها قلما تم له من الفرس ما يريد اقبل بها الى جهة الارض وصار ينظر الى ما فيها من البلاد والمدن التي لا يعرفها لانه لم يرها طول عمره وكان من جملة ما رآه مدينة مبنية باحسن البنيان وهي في وسط ارض خضراء ناضرة ذات اشجار وانهار فتفكر في نفسه وقال يا ليت شعري ما اسم هذه المدينة وفي اي الاقاليم هي ثم انه جعل يطوف حول تلك المدينة ويتأملها يمينا وشمالا وكان النهار قد ولى ودنت الشمس للمغيب فقال في نفسه اني لم اجد موضعا للمبيت احسن من هذه المدينة فانا ابيت فيها هذه الليلة وعند الصباح اتوجه الى اهلي ومحل ملكي واعلم اهلي ووالدي بما جرى لي واخبره بما نظرت عيناي وصار يفتش على موضع يأمن فيه على نفسه وعلى فرسه ولا يراه احد فبينما هو كذلك واذا به قد نظر في وسط المدينة قصرا شاهقا في الهواء وقد احاط بذلك القصر صور مرتفعة بشرفات عاليات فقال ابن الملك في نفسه ان هذا الموضع مليح وجعل يحرك الزر الذي يهبط به الفرس ولم يزل هابطا به حتى نزل مستويا على سطح القصر ثم نزل من فوق الفرس وحمد الله تعالى وجعل يدور حول الفرس ويتأملها ويقول والله ان الذي عملك بهذه الصفة لحكيم ماهر فان مد الله تعالى في اجلي ورد لي الى بلادي واهلي سالما وجمع بيني وبين والدي لاحسنن الى هذا الحكيم كل الاحسان ولانعمن عليه غاية الانعام ثم جلس فوق سطح القصر حتى علم ان الناس قد ناموا وكان قد اضر به الجوع والعطش لانه منذ فارق والده لم يأكل طعاما فقال في نفسه ان مثل هذا القصر لا يخلو من الرزق فترك الفرس في مكان ونزل يتمشى لينظر شيأ يأكله فوجد سلما فنزل منه الى اسفل فوجد ساحة مفروشة بالرخام فتعجب من ذلك المكان ومن حسن بنيانه ولكنه لم يجد في ذلك القصر حس ولا انس فوقف متحيرا وصار ينظر يمينا وشمالا وهو لا يعرف اين يتوجه ثم قال في نفسه ليس لي احسن من ان ارجع الى المكان الذي فيه فرسي واميت عندها فاذا اصبح الصباح ركبتها وسرت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابن الملك قال في نفسه ليس لي احسن من المبيت عند فرسي فاذا اصبح الصباح ركبتها وسرت فبينما هو واقف يحدث نفسه بهذا الكلام اذ نظر الى نور مقبل الى ذلك المحل الذي هو فيه فتأمل ذلك النور فوجده مع جماعة من الجواري وبينهن صبية بهية بقامة الفية تحاكي البدر الزاهر كما قال فيها الشاعر

جاءت بلا موعد فى ظلمة الغسق * كانها البدر فى داج من الافق
هيفاء ما فى البرايا من يشابهها * فى بهجة الحسن اوفى رونق الخلق
نادیت لما رأت عينى محاسنها * سبحان من خلق الانسان من علق
اعيذها من عيون الناس كلهم * بقل اعوذ برب الناس والفلق

وكانت تلك الصبية بنت ملك هذه المدينة وكان ابوها يحبها حبا شديدا ومن محبته اياها بنى لها هذا القصر فكانت كلما ضاق صدرها تجيء اليه هى وجواريها وتقيم فيه يوما او يومين او اكثر ثم تعود الى سرايتها فاتفق انها اقدمت تلك الليلة من اجل الفرجة والانشراح وصارت ماشية بين الجوارى ومعها خادم مقلد بسيف فلما دخلوا ذلك القصر فرشوا الفرش واطلقوا مجامر البخور ولعبوا وانشرحوا فبينما هم فى لعب وانشراح اذ هجم ابن الملك على ذلك الخادم واطعمه لطمة فبطحه واخذ السيف من يده وهجم على الجوارى اللاتى مع ابنة الملك فشتتهن يمينا وشمالا فلما نظرت ابنة الملك الى حسنه وجماله قالت لعلك انت الذى خطبتنى من والدى بالامس ورد لك وزعم انك قبيح المنظر والله لقد كذب ابى حيث قال ذلك الكلام فما انت الا مليح وكان ابن ملك الهند قد خطبها من ابيها فرده لانه كان بشع المنظر فظنت انه هو الذى خطبها ثم اقبلت عليه وعنقته وقبلته ورقدت هى واياه فقالت لها الجوارى ياسيدتى هذا ما هو الذى خطبك من ابيك لان ذاك قبيح وهذا مليح وما يصلح الذى خطبك من ابيك ورده ان يكون خادما لهذا ولكن ياسيدتى ان هذا الفتى له شأن عظيم ثم توجهت الجوارى الى الخادم المبطوح وايقظته فوثب مرعوبا وفتش على سيفه فلم يجده بيده فقالت له الجوارى ان الذى اخذ سيفك وبطحك جالس مع ابنة الملك وكان ذلك الخادم قد وكله الملك بالمحافظة على ابنته خوفا عليها من نوائب الزمان وطوارق الحدثان فقام ذلك الخادم وتوجه الى الستر ورفعه فرأى ابنة الملك جالسة مع ابن الملك وهما يتحدثان فلما نظرهما الخادم قال لابن الملك ياسيدى هل انت انسى اوجنى فقال له ابن الملك ويلك يا نحس العبيد كيف تجعل اولاد الملوك الاكاسرة من الشياطين الكافرة ثم انه اخذ السيف بيده وقال له انا صهر الملك وقد زوجنى بابنته وامرنى بالدخول عليها فلما سمع الخادم منه ذلك الكلام قال له ياسيدى ان كنت من الانس كما زعمت فانها ما تصلح الا لملك وانت احق بها من غيرك ثم ان الخادم توجه الى الملك وهو صارخ وقد شق ثيابه وحثى التراب على رأسه فلما سمع الملك صياحه قال له ما الذى دهاك فقد ارجفت فؤادى اخبرنى بسرعة واوجز فى الكلام فقال له ايها الملك ادرك ابنتك فانه قد استولى عليها شيطان من الجن فى زى الانس مصور بصورة اولاد الملوك فدونك واياه فلما سمع الملك منه ذلك الكلام هم بقتله وقال له كيف تغافلت عن ابنتى حتى لحقها هذا العارض ثم ان الملك توجه الى القصر الذى فيه ابنته فلما وصل اليه وجد الجوارى قائمات فقال لهن ما الذى جرى لابنتى فقلن له ايها الملك بينما نحن جالسات معها فلم نشعر الا وقد هجم علينا هذا الغلام الذى كانه بدر التمام ولم نر قط احسن منه وجها وبيده سيف مسلول فسألناه عن حاله فزعم انك قد زوجته ابنتك ونحن لا نعلم شيأ غير هذا ولا نعرف هل هو انسى اوجنى ولكنه عفيف اديب لا يتعاطى القبيح فلما سمع الملك مقالتهن بردما به ثم انه رفع الستر قليلا قليلا ونظر فرأى ابن الملك جالسا مع ابنته يتحدثان وهو فى احسن التصوير ووجهه كالبدر المنير فلم يقدر الملك ان يمسك نفسه من غيرته على ابنته فرفع الستر ودخل وبيده سيف مسلول وقد هجم عليهما كانه الغول فلما نظره ابن الملك قال لها اهذا ابوك قالت نعم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما

فلما كانت الليلة الموفية للستين بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابن الملك لما رأى الملك بيده سيف مسلول وقد هجم عليهما كانه الغول قال لها اهذا ابوك قالت له نعم فعند ذلك وثب قائما على قدميه وتناول سيفه بيديه وصاح على الملك صيحة منكرة فادهشه وهم ان يحمل عليه بالسيف فعلم الملك انه اوثب منه فاغمد سيفه ثم وقف حتى انتهى اليه ابن الملك فقابله بملاطفة وقال له يا فتى هل انت انسي ام جني فقال له ابن الملك لولا اني ارعى زمامك وحرمة ابنتك لسفكت دمك كيف تنسبني الى الشياطين وانا من اولاد الملوك الاكاسرة الذين لو شاؤا اخذ ملكك لزالوك عن عزك وسلطانك وسلبوا عنك جميع ما في اوطانك فلما سمع الملك كلامه هابه وخاف على نفسه منه وقال له ان كنت من اولاد الملوك كما زعمت فكيف دخلت قصري بغير اذني وهتكت حرمتي ووصلت الى بنتي وزعمت انك بعلها وادعيت انى قد زوجتك بها وانا قد قتلت الملوك ابناء الملوك حين خطبوها مني ومن يخيبك من سطوتي وانا ان صحت على عبيدي وغلماني وامرتهم بقتلك قتلوك في الحال فمن يخلصك من يدي فلما سمع ابن الملك منه ذلك الكلام قال للملك اني لا اعجب منك ومن قلة بصيرتك هل تطمع لابنتك في بعل احسن مني وهل رأيت احدا انبت جنانا واكثر مكافأة واعز سلطانا وجنودا واعوانا مني فقال له الملك لا والله ولكن وددت يا فتى ان تكون خاطبا لها على رؤس الاشهاد حتى ازوجك بها واما اذا زوجتك بها خفية فانك تفضحني فيها فقال له ابن الملك لقد احسنت في قولك ولكن ايها الملك اذا اجتمعت عبيدك وخدمك وجنودك علي وقتلوني كما زعمت فانك تفضح نفسك وتبقى الناس فيك بين مصدق ومكذب ومن الرأي عندي ان ترجع ايها الملك الى ما اشير به عليك فقال له الملك هات حديثك فقال له ابن الملك الذي احدثك به اما ان تبارزني انا وانت خاصة فمن قتل صاحبه كان احق واولى يا الملك واما ان تتركني في هذه الليلة واذا كان الصباح فاخرج الى عسكرك وجنودك وغلمانك واخبرني بعدتهم فقال له الملك ان عدتهم اربعون الف فارس غير العبيد الذين لي وغير اتباعهم وهم مثلهم في العدد فقال ابن الملك اذا كان طلوع النهار فاخرجهم الي وقل لهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والستون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابن الملك قال لي اذا كان طلوع النهار فاخرجهم الي وقل لهم هذا قد خطب مني ابنتي على شرط ان يبارزكم جميعا وادعا انه يغلبكم ويقهركم وانكم لا تقدرون عليه ثم اتركني معهم ابارزهم فاذا قتلوني فذلك اخفى لسرك واصون لعرضك وان غلبتهم وقهرتهم فمثلي يرغب الملك في مصاهرته فلما سمع الملك كلامه استحسن رأيه وقبل رايه مع ما استعظمه من قوله وما اهاله من امره في عزمه على مبارزة جميع عسكره الذين وصفهم له ثم جلسا يتحدثان وبعد ذلك دعا الملك بالخادم وامره ان يخرج من وقته وساعته الى وزيره ويأمره ان يجمع جميع العساكر ويأمرهم بحمل اسلحتهم وان يركبوا خيولهم فسار الخادم الى الوزير واعلمه بما امره به الملك فعند ذلك طلب الوزير نقباء الجيش واكابر الدولة وامرهم ان يركبوا خيولهم ويخرجوا لابسين الات الحرب هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر الملك فانه لا زال يتحدث مع الغلام حيث اعجبه حديثه وعقله ولدبه فبيناهما

يتحدثان واذا بالصباح قد اصبح فقام الملك وتوجه الى تخته وامر جيشه بالركوب وقدم لابن الملك فرسا جيدا من خيار خيله وامر ان تسرج له بعدة حسنة فقال له ايها الملك انى ما اركب حتى اشرف على الجيش واشاهدهم فقال له الملك الامر كما تحب ثم سار الملك والفتى بين يديه حتى وصلا الى الميدان فنظر الغلام الى الجيش وكثرته ثم نادى الملك يامعاشر الناس انه قد وصل الى غلام يخطب ابنتى ولم ار قط احسن منه ولا اشد قلبا ولا اعظم بأسا منه وقد زعم انه يغلبكم ويقهركم وحده ويدعى انكم ولو بلغتم مائة الف ما انتم عنده الا القليل فاذا بارزكم فخذوه على اسنة رماحكم واطراف صفاحكم فانه قد تعاطى امرا عظيما ثم ان الملك قال له يا ابنى دونك وما تريد منهم فقال له ايها الملك انك ما انصفتنى كيف ابارزهم وانا مترجل واصحابك ركاب خيل فقال له قد امرتك بالركوب فابيت فدونك والخيل فاختر منها ما تريد فقال له لا يعجبنى شئ من خيلك ولا اركب الا الفرس التى جئت راكبا عليها فقال له الملك واين فرسك فقال له هى فوق قصرك فقال له فى اى موضع فى قصرى فقال على سطح القصر فلما سمع الملك كلامه قال له هذا اول ما ظهر من خبالك يا ويلك كيف تكون الفرس فوق السطح ولكن فى هذا الوقت يظهر صدق من كذبك ثم ان الملك التفت الى بعض خواصه وقال له امض الى قصرى واحضر الذى تجده فوق السطح فصار الناس متعجبين من قول الفتى ويقول بعضهم لبعض كيف ينزل هذا الفرس من سلالم السطح ان هذا شئ ما سمعنا بمثله ثم ان الذى ارسله الملك الى القصر صعد الى اعلاه فرأى الفرس قائما ولم ير احسن منه فتقدم اليه وتأمله فوجده من الابنوس والعاج وكان بعض خواص الملك طلع معه ايضا فلما نظروا الى الفرس تضاحكوا وقالوا على مثل هذا الفرس يكون ماذكره الفتى فما نظنه الا مجنونا ولكن سوف يظهر لنا امره وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان خواص الملك لما نظروا الى الفرس تضاحكوا وقالوا على مثل هذا الفرس يكون ماذكره الفتى فما نظنه الا مجنونا ولكن سوف يظهر لنا امره وربما يكون له شأن عظيم ثم انهم رفعوا الفرس على ايديهم ولم يزالوا حاملين لها حتى وصلوا الى قدام الملك واوقفوها بين يديه فاجتمع عليها الناس ينظرون اليها ويتعجبون من حسن صنعتها وحسن سرجها ولجامها واستحسنها الملك ايضا وتعجب منها غاية العجب ثم قال لابن الملك يا فتى اهذه فرسك فقال نعم ايها الملك هذه فرسى وسوف ترى منها العجب فقال له الملك خذ فرسك واركبها قال لا اركبها الا اذا بعد عنها العساكر فامر الملك العسكر الذين حوله ان يبعدوا عنه لمقدار رمية السهم فقال له ايها الملك ها انا رايح اركب فرسى واحمل على جيشك فافرقهم يمينا وشمالا واصدع قلوبهم فقال له الملك افعل ما تريد ولا تبق عليهم فانهم لا يبقون عليك ثم ان ابن الملك توجه الى فرسه وركبها واصطفت له الجيوش وقال بعضهم لبعض اذا وصل الغلام بين الصفوف نأخذه باسنة الرماح وشفار الصفاح فقال واحد منهم والله انها مصيبة كيف نقتل هذا الغلام صاحب الوجه المليح والقد الرجيح فقال واحد آخر والله لئن تصلوا اليه لابعدامر عظيم وما فعل الفتى هذه الافعال الا لما علم من شجاعة نفسه وبراعته فلما استوى ابن الملك على فرسه فر لثوب الصعود فتطاولت اليه الابصار لينظروا ماذا يريد ان يفعل فجاشت فرسه واضطربت حتى عملت اغرب حركات تعملها الخيل وامتلأ جوفها بالهواء ثم ارتفعت وصعدت الى الجو فلما رأه الملك قد ارتفع وصعد نادى على جيشه

وقال

وقال ويلكم خذوه قبل ان يفوتكم فعند ذلك قال له وزراؤه ونوابه ايها الملك هل احد يلحق الطير الطائر وماهذا الا ساحر عظيم قد نجاك الله منه فاحمد الله تعالى على خلاصك من يده فرجع الملك الى قصره بعد ما رأى من ابن الملك ما رأى ولما وصل الى قصره ذهب الى ابنته واخبرها بما جرى له مع ابن الملك فى الميدان فوجدها كثيرة التأسف عليه وعلى فراقها له ثم انها مرضت مرضا شديدا ولزمت الوساد فلما رأها ابوها على تلك الحالة ضمها الى صدره وقبلها بين عينيها وقال لها يا بنتى احمدى الله تعالى واشكريه حيث خلصنا من هذا الساحر الماكر وجعل يكرر عليها ما رأه من ابن الملك ويذكرها صفة صعوده فى الهواء وهى لا تصغى الى شئ من قول ابيها واشتد بكاؤها وتحيبها ثم قالت فى نفسها والله لا آكل طعاما ولا اشرب شرابا حتى يجمع الله بينى وبينه فحصل لابيها الملك هم عظيم من اجل ذلك وشق عليه حال ابنته وصار حزين القلب عليها وكلما يلاطفها لا تزداد الا شغفا به وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك صار حزين القلب على ابنته وكلما يلاطفها لا تزداد الا شغفا به هذا ما كان من امر الملك وابنته واما ما كان من امر ابن الملك فانه لما صعد فى الجو اختلى بنفسه وتذكر حسن الجارية وجمالها وكان قد سأل اصحاب الملك عن اسم المدينة واسم الملك واسم ابنته وكانت تلك المدينة مدينة صنعاء ثم انه جد فى السير حتى اشرف على مدينة ابيه ودار حول المدينة ثم توجه الى قصر ابيه ونزل فوق السطح وترك فرسه هناك ونزل الى والده ودخل عليه فوجده حزينا كئيبا لاجل فراقه فلما رأه والده قام اليه واعتنقه وضمه الى صدره وفرح به فرحا شديدا ثم انه لما اجتمع بوالده سأله عن الحكيم الذى عمل الفرس وقال يا والدى ما فعل الدهر به فقال له والده لا بارك الله فى الحكيم ولا فى الساعة التى رأيته فيها لانه هو الذى كان سببا لفراقك منا وهو مسجون يا ولدى من يوم غبت عنا فامر ابن الملك بالافراج عنه واخرجه من السجن واحضاره بين يديه فلما حضر بين يديه خلع عليه خلعة الرضى واحسن اليه غاية الاحسان الا انه لم يزوجه ابنته فغضب الحكيم من اجل ذلك غضبا شديدا واندم على ما فعل وعلم ان ابن الملك قد عرف سر الفرس وكيفية سيرها ثم ان الملك قال لابنه الرأى عندى انك لا تقرب هذه الفرس بعد ذلك ولا تركبها ابدا بعد يومك هذا لانك لا تعرف احوالها فانت منها على غرور وكان ابن الملك حدث اباه بما جرى له مع ابنة الملك صاحب تلك المدينة وما جرى له مع ابيها فقال له ابوه لو اراد الملك قتلك لقتلك ولكن فى اجلك تأخير ثم ان ابن الملك هاجت بلابله بحب الجارية ابنة الملك صاحب صنعاء فقام الى الفرس وركبها وفرك لولب الصعود فطارت به فى الهواء وعلت به الى عنان السماء فلما اصبح الصباح افتقده ابوه فلم يجده فطلع الى اعلى القصر وهو ملهوف فنظر الى ابنه وهو صاعد فى الهواء فتأسف على فراقه وندم كل الندم حيث لم يأخذ الفرس ويخفى امرها ثم قال فى نفسه والله ان رجع الى ولدى ما بقيت اخلى هذه الفرس لاجل ان يطمئن قلبى على ولدى ثم انه عاد الى بكائه وتحيبه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك عاد الى بكائه وتحسبه من حزنه على ولده هذا ما كان من امره واما ما كان من امر ابنه فانه لم يزل سائرا في الجو حتى وقف على مدينة صنعاء ونزل في المكان الذي نزل فيه اولا ومشى مستخفيا حتى وصل الى محل ابنة الملك فلم يجدها لاهي ولا جواريها ولا الخادم الذي كان محافظا عليها فعظم ذلك عليه ثم انه دار يفتش عليها في القصر فوجدها في مجلس آخر غير محلها الذي اجتمع معها فيه وقد لزمت الوساد وحولها الجواري والدايات فدخل عليهن وسلم عليهن فلما سمعت الجارية كلامه قامت اليه واعتنقته وجعلت تقبله بين عينيه وتضمه الى صدرها فقال لها ياسيدتي لو حشتيني هذه المدة فقالت له انت الذي اوحشتني ولو طالت غيبتك عني لكنت هلكت بلا شك فقال لها ياسيدتي كيف رأيت حالي مع ابيك وما صنع بي ولولا محبتك يا فتنة العالمين لقتلته وجعلته عبرة للناظرين ولكن احببته من اجلك فقالت له كيف تغيب عني وهل تطيب حياتي بعدك فقال لها اطيعيني وتصغي الى قولي فقالت له قل ما شئت فاني اجيبك الى ما تدعوني اليه ولا اخالفك في شئ فقال لها سيري معي الى بلادي وملكي فقالت له حبا وكرامة فلما سمع ابن الملك كلامها فرح فرحا شديدا واخذ بيدها وعاهدها بعهد الله تعالى على ذلك ثم صعد بها الى اعلى سطح القصر وركب فرسه واركبها خلفه ثم ضمها اليه وشدها شدا وثيقا وحل لواب الصعود الذي في كتف الفرس فصعدت بهما الى الجو فعند ذلك زعقت الجواري واعلمن الملك اباها وامها فصعدا مبادرين الى سطح القصر والتفت الملك الى الجو فرأى الفرس الابنوس وهي طائرة بهما في الهواء فعند ذلك انزعج الملك وزاد انزعاجه وصاح وقال يا ابن الملك سألتك بالله ان ترحمني وترحم زوجتي ولا تفرق بيننا وبين بنتنا فلم يجبه ابن الملك ثم ان ابن الملك ظن في نفسه ان الجارية ندمت على فراق امها وابيها فقال لها يا فتنة الزمان هل لك ان اردك الى امك وابيك فقالت له ياسيدي والله ما مرادي ذلك انما مرادي ان اكون معك اينما تكون لاني مشغولة بمحبتك عن كل شئ حتى عن ابي وامي فلما سمع ابن الملك كلامها فرح بذلك فرحا شديدا وجعل يسير الفرس بهما سيرا لطيفا لكي لا يزعجها ولم يزل يسير بهما حتى نظر الى مرج اخضر وفيه عين ماء جارية فنزلا هناك واكلا وشربا ثم ان ابن الملك ركب فرسه وارد فيها خلفه واوثقها بالرباط خوفا عليها وساربها ولم يزل سائرا بها في الهواء حتى وصل الى مدينة ابيه فاشتد فرحه ثم اراد ان يظهر للجارية محل سلطانه وملك ابيه ويعرفها ان ملك ابيه اعظم من ملك ابيها فانزلها في بعض البساتين التي يتفرج فيها والده وادخلها في المقصورة المعدة لابيه واوقف الفرس الابنوس على باب تلك المقصورة واوصى الجارية بالمحافظة على الفرس وقال لها اقعدي هاهنا حتى ارسل اليك رسولي فاني متوجه الى ابي لاهيء لك قصرا واظهر لك ملكي ففرحت الجارية عند ما سمعت منه هذا الكلام وقالت له افعل ما تريد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية فرحت عند ما سمعت من ابن الملك هذا الكلام وقالت له افعل ما تريد ثم خاطبت بها انها لا تدخل الا بالتبجيل والتشريف كما يصلح لامثالها ثم ان ابن الملك تركها وسار حتى وصل الى المدينة ودخل على ابيه فلما رأه ابوه فرح بقدومه وتلقاه ورحب به ثم ان ابن الملك قال لوالده اعلم اني قد اتيت ببنت الملك التي كنت اعلمتك بها وقد تركتها خارج المدينة في بعض البساتين وجئت

اعلمك بها لاجل ان تهيء الموكب وتخرج لملاقاتها وتظهر لها ملكك وجنودك واعوانك فقال له الملك حبا وكرامة ثم امر من وقته وساعته اهل المدينة ان يزينوا المدينة بالزينة الحسنة وركب في اكمل هيئة واحسن زينة هو وجميع عساكره واكابر دولته وسائر مملكته وخدمه واخرج ابن الملك من قصره الحلي والحلل وما تذخره الملوك وهي لها عمارة من الديباج الاخضر والاحمر والاصفر واجلس على تلك العمارة الجواري الهنديات والروميات والحبشيات واظهر من الذخائر شيأ عجيبا ثم ان ابن الملك ترك العمارة بمن فيها وسبق الى البستان ودخل المقصورة التي تركها فيها ففتش عليها فلم يجدها ولم يجد الفرس فعند ذلك لطم على وجهه ومزق ثيابه وجعل يطوف في البستان وهو مدهوش العقل ثم بعد ذلك رجع الى عقله وقال في نفسه كيف عملت بسر هذه الفرس وانا لم اعلمها بشيء من ذلك ولعل الحكيم الفارسي الذي عمل الفرس قد وقع عليها واخذها جزاء بما عمله والدي معه ثم ان ابن الملك طلب حراس البستان وسألهم عن من مر بهم وقال لهم هل نظرتم احدا مر بكم ودخل هذا البستان فقالوا ما رأينا احدا دخل هذا البستان سوى الحكيم الفارسي فانه دخل ليجمع الحشايش النافعة فلما سمع كلامهم صح عنده ان الذي اخذ الجارية هو ذلك الحكيم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والستون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابن الملك لما سمع كلامهم صح عنده ان الذي اخذ الجارية هو ذلك الحكيم وكان بالامر المقدر ان ابن الملك لما ترك الجارية في المقصورة التي في البستان وذهب الى قصر ابيه ليهيء امره دخل الحكيم الفارسي الى البستان ليجمع شيأ من الحشيش النافع فشم رايحة المسك والطيب التي عبق منها المكان وكان ذلك الطيب من رايحة ابنة الملك فقصد الحكيم صوب تلك الرايحة حتى وصل الى تلك المقصورة فرأى الفرس التي صنعها بيده واقفة على باب المقصورة فلما رأى الحكيم الفرس امتلاء قلبه فرحا وسرورا لانه كان كثير التأسف على الفرس حيث خرجت من يده فتقدم الى الفرس وافتقد جميع اجزائها فوجدها سالمة ولما اراد ان يركبها ويسير قال في نفسه لا بد ان انظر الى ما جاء به ابن الملك وتركه مع الفرس ها هنا فدخل المقصورة فوجد الجارية جالسة وهي كالشمس الضاحية في السماء الصاحية فلما نظرها علم انها جارية لها شأن عظيم وقد اخذها ابن الملك واتى بها على الفرس وتركها في تلك المقصورة ثم توجه الى المدينة ليجيء لها بموكب ويدخلها المدينة بالتجميل والتشريف فعند ذلك دخل الحكيم اليها وقبل الارض بين يديها فرفعت اليه طرفها ونظرت اليه فوجدته قبيح المنظر جدا بشع الصورة فقالت له من انت فقال لها يا سيدتي انا رسول ابن الملك قد ارسلني اليك وامرني ان انقلك الى بستان آخر قريب من المدينة فلما سمعت الجارية منه ذلك الكلام قالت له واين ابن الملك قال لها هو في المدينة عند ابيه وسيأتي اليك في هذه الساعة بموكب عظيم فقالت له يا هذا وهل ابن الملك لم يجد احدا يرسله الى غيرك فضحك الحكيم من كلامها وقال لها يا سيدتي لا يغرنك قبح وجهي وبشاعة منظري فلو نلت مني ما ناله ابن الملك لحدث امري وانما خصني ابن الملك بالارسال اليك لقبح منظري ومهول صورتي غيرة منه عليك ومحبة لك والا فعنده من المماليك والعبيد والغلمان والخدم والحشم ما لا يحصى فلما سمعت الجارية كلامه دخل في عقلها وصدقته وقامت معه وادركت شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الحكيم الفارسي لما اخبر الجارية باحوال ابن الملك صدقت كلامه ودخل في عقلها وقامت معه ووضعت يدها في يده ثم قالت له يا والدي ما الذي جئت لي به معك حتى اركبه فقال يا سيدتي الفرس الذي جئت عليها تركبينها فقالت له انا لا اقدر على ركوبها وحدي فتبسم الحكيم عند ما سمع منها ذلك وعلم انه قد ظفر بها فقال لها انا اركب معك بنفسي ثم انه ركب واركب الجارية خلفه وضمها اليه وشد وثاقها وهي لا تعلم ما يريد بها ثم انه حرك لولب الصعود فامتلا جوف الفرس بالهواء وتحركت وماجت ثم ارتفعت صاعدة الى الجو ولم تزل سائرة بهما حتى غابت عن المدينة فقالت له الصبية يا هذا ابن الذي قلته عن ابن الملك حيث زعمت انه ارسلك الي فقال لها الحكيم قبح الله ابن الملك فانه خبيث لئيم فقالت له يا ويلك كيف تخالف امر مولاك فيما امرك به فقال لها ليس هو مولاي فهل تعرفين من انا فقالت له لا اعرفك الا بما عرفتني به عن نفسك فقال لها انما كان اخباري لك بهذا الخبر حيلة مني عليك وعلى ابن الملك ولقد كنت متأسفا طول عمري على هذه الفرس التي تحتك فانها صناعتي وكان استولى عليها والآن قد ظفرت بها وبك ايضا وقد احرقت قلبه كما احرق قلبي ولا يتمكن منها بعد ذلك ابدا فطيبي قلبا وقري عينا فانا لك انفع منه فلما سمعت الجارية كلامه لطمت على وجهها ونادت يا اسفاه لا حصلت حبيبي ولا بقيت عند ابي وامي وبكت بكاء شديدا على ما حل بها ولم يزل الحكيم سائرا بها الى بلاد الروم حتى نزل بها في مرج اخضر ذي انهار واشجار وكان ذلك المرج بالقرب من مدينة وفي تلك المدينة ملك عظيم الشان فاتفق في ذلك اليوم ان ملك تلك المدينة خرج الى الصيد والنزهة فجاز على ذلك المرج فرأى الحكيم واقفا والفرس والجارية بجانبه فلم يشعر الحكيم الا وقد هجم عليه عبيد الملك واخذوه هو والجارية والفرس واوقفوا الجميع بين يدي الملك فلما نظر الى قبح منظره وبشاعته ونظر الى حسن الجارية وجمالها قال لها يا سيدتي ما نسبة هذا الشيخ منك فبادر الحكيم بالجواب وقال هي زوجتي وابنة عمي فكذبته الجارية عند ما سمعت قوله وقالت ايها الملك والله لا اعرفه ولا هو بعلي بل اخذني قهرا بالحيلة فلما سمع الملك مقالها امر بضربه فضربوه حتى كاد ان يموت ثم امر الملك ان يحملوه الى المدينة ويطرحوه في السجن ففعلوا به ذلك ثم ان الملك اخذ الجارية والفرس منه ولكنه لم يعلم بامر الفرس ولا بكيفية سيرها هذا ما كان من امر الحكيم والجارية واما ما كان من امر ابن الملك فانه لبس ثياب السفر واخذ ما يحتاج اليه من المال وسافر وهو في اسوء حال وصار مسرعا يقتص الاثر في طلبهما من بلد الى بلد ومن مدينة الى مدينة ويسأل عن الفرس الابنوس وكل من سمع منه خبر الفرس الابنوس يتعجب منه ويستعظم قوله فاقام على هذا الحال مدة من الزمان ومع كثرة السؤال والتفتيش عليهما لم يقع لهما على خبر ثم انه سار الى مدينة ابي الجارية وسأل عنها هناك فلم يسمع لها بخبر ووجد اباها حزينا على فقدها فرجع وقصد بلاد الروم وجعل يقتص اثرهما ويسأل عنهما واذا لك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابن الملك قصد بلاد الروم وجعل يقتص اثرهما ويسأل عنهما فاتفق انه نزل في خان من الخانات فرأى جماعة من التجار جالسين يتحدثون فجلس قريبا منهم فسمع احدهم يقول يا اصحابي لقد رأيت عجبا من العجائب فقالوا له وما هو قال انى كنت في بعض الجهات في مدينة كذا وذكر اسم المدينة التي فيها الجارية فسمعت اهلها يتحدثون بحديث غريب وهو ان ملك المدينة خرج يوما من الايام

الى الصيد والقنص ومعه جماعة من اصحابه واكابر دولته فلما طلعوا الى البرية جازوا على مرج اخضر فوجدوا هناك رجلا واقفا والى جانبه امرأة جالسة ومعه فرس من ابنوس فاما الرجل فانه قبيح المنظر مهول الصورة جدا واما المرأة فانها صبية ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وقد واعتدال واما الفرس الابنوس فانها من العجائب التي لم ير الراؤن احسن منها ولا اجمل من صنعتها فقال له الحاضرون فما فعل الملك بهم فقال اما الرجل فانه اخذه الملك وسأله عن الجارية فادعى انها زوجته وابنة عمه واما الجارية فانها كذبته في قوله فاخذها الملك منه وامر بضربه وطرحه في السجن واما الفرس الابنوس فما لي بها علم فلما سمع ابن الملك هذا الكلام من التاجر دنا منه وصار يسأله برفق وتلطف حتى اخبره باسم المدينة واسم ملكها فلما عرف ابن الملك اسم المدينة واسم ملكها بات ليلته مسرورا فلما اصبح الصباح خرج وسافر ولم يزل مسافرا حتى وصل الى تلك المدينة فلما اراد ان يدخلها اخذه البوابون واراد وا احضاره قدام الملك ليسأله عن حاله وعن سبب مجيئه الى تلك المدينة وعن ما يحسنه من الصنائع وكانت هذه عادة الملك من سؤال الغرباء عن احوالهم وصناعاتهم وكان وصول ابن الملك الى تلك المدينة في وقت المساء وهو وقت لا يمكن الدخول فيه على الملك ولا المشاورة عليه فاخذه البوابون واوتوا به الى السجن ليضعوه فيه فلما نظر السجانون الى حسنه وجماله لم يهن عليهم ان يدخلوه في السجن بل اجلسوه معهم خارج السجن فلما جاءهم الطعام اكل معهم بحسب الكفاية فلما فرغوا من الاكل جعلوا يتحدثون ثم اقبلوا على ابن الملك وقالوا له من اي البلاد انت فقال انا من بلاد فارس بلاد الاكاسرة فلما سمعوا كلامه ضحكوا وقال له بعضهم يا كسروي لقد سمعت حديث الناس واخبارهم وشاهدت احوالهم فما رأيت ولا سمعت اكذب من هذا الكسروي الذي عندنا في السجن فقال آخر ولا رايت اقبح من خلقته ولا ابشع من صورته فقال لهم ابن الملك ما الذي بان لكم من كذبه فقالوا يزعم انه حكيم وكان الملك قد رآه في طريقه وهو ذاهب الى الصيد ومعه امرأة بديعة الحسن والجمال والبهاء والكمال والقد والاعتدال ومعه ايضا فرس من الابنوس الاسود ما رأينا قط احسن منها فاما الجارية فهي عند الملك وهو لها محب ولكن تلك المرأة مجنونة ولو كان ذلك الرجل حكيما كما يزعم لداواها والملك مجتهد في علاجها وغرضه مداواتها بما هي فيه واما الفرس الابنوس فانها في خزانة الملك واما الرجل القبيح المنظر الذي كان معها فانه عندنا في السجن فاذا جن عليه الليل يبكي وينتحب اسفا على نفسه ولا يدعنا ننام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الموكلين بالسجن لما اخبروه بخبر الحكيم الفارسي الذي عندهم في السجن وبما هو فيه من البكاء والنحيب خطر بباله انه يدبر تدبيرا يبلغ به غرضه فلما اراد البوابون النوم ادخلوه السجن واغلقوا عليه الباب فسمع الحكيم يبكي وينوح على نفسه بالفارسية ويقول في نوحه الويل لي بما جنيت على نفسي وعلى ابن الملك وبما فعلت بالجارية حيث لم اتركها ولم اظفر بمرادي وذلك كله من سوء تدبيري فاني طلبت لنفسي ما لا استحقه ولا يصلح لمثلي ومن طلب ما لا يصلح له وقع في مثل ما وقعت فيه فلما سمع ابن الملك كلام الحكيم كله بالفارسية وقال له الى كم هذا البكاء والعويل هل ترى انه اصابك ما لم يصب غيرك فلما سمع الحكيم كلامه انس به وشكا اليه حاله وما يجده من المشقة فلما اصبح

الصباح اخذ البوابون ابن الملك واتوا به الى ملكهم واعلموه انه وصل الى المدينة بالامس فى وقت لا يمكن الدخول فيه على الملك فسأله الملك وقال له من اى البلاد انت وما اسمك وما صنعتك وما سبب مجيئك الى هذه المدينة فقال ابن الملك اما اسمى فانه بالفارسية حرجة واما بلادى فهى بلاد فارس وانا من اهل العلم وخصوصا علم الطب فانى اداوى المرضى والمجانين وانا هذا اطوف فى الاقاليم والمدن لاستفيد علما على علمى واذا رأيت مريضا فانى اداويه فهذه صنعتى فلما سمع الملك كلامه فرح به فرحا شديدا وقال له ايها الحكيم الفاضل لقد وصلت الينا فى وقت الحاجة اليك ثم اخبره بخبر الجارية وقال له ان داويتها وابرأتها من جنونها فلك عندى جميع ما تطلبه فلما سمع كلام الملك قال له اعز الله الملك صف لى كل شئ رأيته من جنونها واخبرنى منذ كم يوم عرض لها هذا الجنون وكيف اخذتها هى والفرس والحكيم فاخبره بالخبر من اوله الى آخره ثم قال له ان الحكيم فى السجن فقال له ايها الملك السعيد فاعملت بالفرس التى كانت معهما فقال له باقية عندى الى الان محفوظة فى بعض المقاصير فقال ابن الملك فى نفسه ان من الرأى عندى ان اتفقد الفرس وانظرها قبل كل شئ فان كانت سالمة لم يحدث فيها امر فقد تم لى كل ما اريده وان رأيتها قد بطلت حركاتها تحيلت بحيلة فى خلاص مهجتى ثم التفت الى الملك وقال له ايها الملك ينبغى ان انظر الفرس المذكورة لعلى اجد فيها شيأ يعيننى على برء الجارية فقال له الملك حبا وكرامة ثم قام الملك واخذ بيده ودخل معه الى الفرس فجعل ابن الملك يطوف حول الفرس ويتفقدها وينظر احوالها فوجدها سالمة لم يعبها شئ ففرح ابن الملك بذلك فرحا شديدا وقال اعز الله الملك انى اريد الدخول الى الجارية حتى انظر ما يكون منها وارجو الله ان يكون برؤها على يدى بسبب الفرس ان شاء الله تعالى ثم امر بالمحافظة على الفرس ومضى به الملك الى البيت الذى فيه الجارية فلما دخل عليها ابن الملك وجدها تخبط وتنصرع على عادتها ولم يكن بها جنون وانما تفعل ذلك حتى لا يقربها احد فلما رأها ابن الملك على هذه الحالة قال لها لا بأس عليك يا فتنة العالمين ثم انه جعل يرفق بها ويلاطفها الى ان عرفها بنفسه فلما عرفته صاحت صيحة عظيمة حتى غشى عليها من شدة ما حصل لها من الفرح فظن الملك ان هذه الصرعة من فزعها منه ثم ان ابن الملك وضع فمه على اذنها وقال لها يا فتنة العالمين احقنى دمى ودمك واصبرى وتجلدى فان هذا موضع نحتاج فيه الى الصبر واتقان التدبير فى الحيل حتى نتخلص من هذا الملك الجائر ومن الحيلة انى اخرج اليه واقول له ان المرض الذى بها عارض من الجنون وانا اضمن لك برءها واشرط عليه ان يفك عنك القيد ويزول هذا العارض عنك فاذا دخل اليك فكلميه بكلام مليح حتى يرى انك برئت على يدى فيتم لنا كل ما نريد فقالت له سمعا وطاعة ثم انه خرج من عندها وتوجه الى الملك فرحا مسرورا وقال ايها الملك السعيد قد عرفت بسعادتك دائها ودواءها وقد داويتها لك فقم الان وادخل اليها ولين كلامك لها وترفق بها وعدها بما يسرها فانه يتم لك كل ما تريد منها وادر لك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للسبعين بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابن الملك لما جعل نفسه حكيما ودخل على الجارية واعلمها بنفسه اخبرها بالتدبير الذى يدبره فقالت له سمعا وطاعة ثم خرج من عندها وتوجه الى الملك وقال له قم ادخل اليها ولين لها الكلام وعدها بما يسرها فانه يتم لك كل ما تريد منها فقام الملك ودخل عليها فلما رأته قامت اليه وقبلت

الارض بين يديه ورحبت به ففرح الملك بذلك فرحا شديدا ثم امر الجوارى والخدم ان يقوموا بخدمتها ويدخلوها الحمام ويجهزوا لها الحلى والحلل فدخلوا اليها وسلموا عليها فردت عليهم السلام بالطف منطق واحسن كلام ثم البسوها حللا من ملابس الملوك ووضعوا فى عنقها عقدا من الجواهر وساروا بها الى الحمام وخدموها ثم اخرجوها من الحمام كأنها البدر التمام ولما وصلت الى الملك سلمت عليه وقبلت الارض بين يديه فحصل للملك بها سرور عظيم وقال لابن الملك كل ذلك ببركاتك زادنا الله من فضائلك فقال له ايها الملك ان تمام بركتها وكمال امرها انك تخرج انت وكل من معك من اعوانك وعسكرك الى المحل الذى كنت وجدتها فيه وتكون صحبتك الفرس الابنوس التى كانت معها لاجل ان اعقد عنها العارض هناك واسجنه واقتله فلا يعود اليها ابدا فقال له الملك حبا وكرامة ثم اخرج الفرس الابنوس الى المرج الذى وجدها فيه هى والفرس والحكيم الفارسى وركب الملك مع جيشه واخذ الجارية صحبته وهم لا يدرون ما يريد ان يفعل فلما وصلوا الى ذلك المرج امر ابن الملك الذى جعل نفسه حكيما ان توضع الجارية والفرس بعيدا عن الملك والعساكر بمقدار مدى البصر وقال للملك دستور عن اذنك انا اريد ان اطلق البخور واتلو العزيمة واسجن العارض هنا حتى لا يعود اليها ابدا ثم بعد ذلك اركب الفرس الابنوس واركب الجارية خلفى فاذا فعلت ذلك فان الفرس تضطرب وتمشى حتى تصل اليك فعند ذلك يتم الامر فافعل بها بعد ذلك ما تريد فلما سمع الملك كلامه فرح فرحا شديدا ثم ان ابن الملك ركب الفرس ووضع الصبية خلفه وصار الملك وجميع عسكره ينظرون اليه ثم انه ضمها اليه وشد وثاقها وبعد ذلك قرأ ابن الملك لولب الصعود فصعدت بهما الفرس فى الهواء والعساكر تنتظر اليه حتى غاب عن اعينهم ومكث الملك نصف يوم ينتظر عوده اليه فلم يعد فيئس منه وندم ندما عظيما وتأسف على فراق الجارية ثم اخذ عسكره وعاد الى مدينته هذا ما كان من امره واما ما كان من امر ابن الملك فانه قصد مدينة ابيه فرحا مسرورا ولم يزل سائرا الى ان نزل على قصره وانزل الجارية فى القصر وامن عليها ثم ذهب الى ابيه وامه فسلم عليهما واعلمهما بقدوم الجارية ففرحا بذلك فرحا شديدا هذا ما كان من امر ابن الملك والفرس والجارية واما ما كان من امر ملك الروم فانه لما عاد الى مدينته احتجب فى قصره حزينا كئيبا فدخل عليه وزراؤه وجعلوا يسلونه ويقولون له ان الذى اخذ الجارية ساحر والحمد لله الذى نجانا من سحره ومكره ولا زال الوالد حتى تسلى عنها واما ابن الملك فانه عمل الولائم العظيمة لاهل المدينة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والسبعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابن الملك عمل الولائم العظيمة لاهل المدينة واقاموا فى الفرح شهرا كاملا ثم دخل على الجارية وفرحا بعضهما فرحا شديدا هذا ما كان من امره واما ما كان من امر والده فانه كسر الفرس الابنوس وابطل سركاتها ثم ان ابن الملك كتب كتابا الى ابى الجارية وذكر له فيه حالها واخبره انه تزوج بها وهى عنده فى احسن حال وارسله اليه مع رسول وصحبته هدايا وتحفا نفيسة فلما وصل الرسول الى مدينة ابى الجارية وهى صنعاء اليمن اوصل الكتاب والهدايا الى ذلك الملك فلما قرأ الكتاب فرح فرحا شديدا وقبل الهدايا واكرم الرسول ثم جهز هدية سنية لصهره ابن الملك وارسلها اليه مع ذلك الرسول فرجع بها الى ابن الملك واعلمه بفرح الملك ابى الجارية حين بلغه خبر ابنته فحصل له سرور عظيم وصار ابن الملك فى كل سنة يكاتب صهره ويهاديه ولم يزالوا كذلك حتى توفى الملك ابو الغلام وتولى هو بعده

في المملكة فعدل في الرعية وسار فيهم بسيرة مرضية فدانت له البلاد واطاعته العباد واستمروا على هذه الحالة في الذ عيش واهناه وارغده وامراه الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب القصور ومعمر القبور فسبحان الحي الذي لا يموت وبيده الملك والملكوت ومما يحكى ايضا انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان ملك عظيم الشان ذو عز وسلطان وكان له وزير يسمى ابراهيم وكانت له ابنة بديعة في الحسن والجمال غايقة في البهجة والكمال ذات عقل وافر وادب باهر الا انها تهوى المنادمة والراح والوجوه الملاح ورقايق الاشعار ونوادر الاخبار تدعو العقول الى الهوى رقة معانيها كما قال فيها بعض واصفيها

كانت بها فتانة الترك والعرب * تجادلني في الفقه والنحو والادب
تقول انا المفعول بي وخفضتني * لماذا وهذا فاعل فلم انتصب
فقلت لها نفسي وروحي لك الفدا * الم تعلمي ان الزمان قد انقلب
وان كنت يوما تسكرين انقلابه * فها فانظري ما عقدة الرأس في الذنب

وكان اسمها الورد في الاكمام وسبب تسميتها بذلك فرط رقتها وكمال بهجتها وكان الملك محبا لها شديد الكمال اديبها ومن عادة الملك انه في كل عام يجمع اعيان مملكته ويلعب الكرة فلما كان ذلك اليوم الذي يجمع فيه الناس للعب الكرة جلست ابنة الوزير في الشباك لتتفرج فبينما هم في اللعب اذ لاحت منها التفاتة فرأت بين العسكر شابا لم يكن احسن منه منظرا ولا ابهى طلعة نير الوجه ضاحك السن طويل الباع واسع المنكب فكررت فيه النظر مرارا فلم تشبع منه نظرا فقالت لدايتها ما اسم هذا الشاب المليح الشمائل الذي بين العسكر فقالت لها يا بنتي الكل ملاح فمن هو فيهم فقالت لها اصبري حتى اشير لك اليه ثم اخذت تفاحة ورمتها عليه فرفع رأسه فرأت ابنة الوزير في الشباك كأنها البدر في الاحلاك فلم يرتد اليه طرفه الا وهو بعشقها مشغول الخاطر فانشد قول الشاعر

ارماني القواس ام جفنك * فذكت بقلب الصب حين رأك
واتاني السهم المفوق برهة * من جفنك ام جاء من شباك

فلما فرغ اللعب قالت لدايتها ما اسم هذا الشاب الذي اريته لك قالت اسمه انس الوجود فهزت رأسها ونامت في مرتبتها وقدحت فكرتها ثم صعدت الزفرات وانشدت هذه الابيات

ما خاب من سماك انس الوجود * يا جامعا ما بين انس وجود
يا طلعة البدر الذي وجهه * قد نور الكون وعم الوجود
ما انت الا مفرد في الورى * سلطان حسن وعندي شهود
حاجبك النون التي حررت * ومقلة كالصاد صنع الودود
وقدك لفظ الرطيب الذي * اذا دعى في كل شئ يجود
قد وقفت فرسان لوري سطوة * وفقتهم انسا وحسنا وجود

فلما فرغت من شعرها كتبته في قرطاس ولفته في خرقة من الحرير مطرزة بالذهب ووضعته تحت المخدة وكانت واحدة من دايتها تنتظر اليها لتجاذبها وصارت تمازحها في الحديث حتى نامت وسرقت الورقة من تحت المخدة وقرأتها فعرفت انها حصل لها وجد بانس الوجود وبعد ان قرأت الورقة وضعتها في مكانها فلما استفاقت سيدتها الورد في الاكمام من نومها قالت لها يا سيدتي اني لك من الناصحات وعليك

من الشقيقات اعلمي ان الهوى شديد وكتمانه يذيب الحديد ويورث الامراض والاسقام وما على من بوح بالهوى ملام فقالت لها الورد فى الاكمام يادايتى وماداء الغرام قالت دواؤه الوصال قالت وكيف يوجد الوصال قالت ياسيدتى يوجد بالمراسلة وابن الكلام واكثار التحيات والسلام فهذا يجمع بين الاحباب وبه تسهل الامور الصعاب وان كان لك امر يامولاتى فانا اولى بكتم سرك وقضاء حاجتك وحمل رسالتك فلما سمعت منها الورد فى الاكمام ذلك الكلام طار عقلها من الفرح لكن امسكت نفسها عن الكلام حتى تنظر عاقبة امرها وقالت فى نفسها ان هذا الامر ما عرفه احد منى فلا ابوح به لهذه المرأة الا بعد اختبارها فقالت لها المرأة ياسيدتى انى رأيت فى منامى كان رجلا جانى وقال لى ان سيدتك وانس الوجود متحابان فخاربى امرهما واحملى رسائلهما واقضى حوايجهما واكتمى امرهما واسرارهما يحصل لك خير كثير وها انا قد قصصت ما رأيت عليك والامر اليك فقالت الورد فى الاكمام لدايتها لما اخبرتها بالمنام وادرلك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثمانية والسبعون بعد المائتين ثمانية

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الورد فى الاكمام قالت لدايتها لما اخبرتها بالمنام الذى رأته هل تكتمين الاسرار يادايتى فقالت كيف لا اكتم الاسرار وانا من خلاصة الاحرار فاخرجت لها الورقة التى كتبت فيها الشعر وقالت لها اذهبى برسالتى هذه الى انس الوجود وائتينى بجوابها فاخذتها وتوجهت بها الى انس الوجود فلما دخلت عليه قبلت يديه وحيته بالطف كلام ثم اعطته القرطاس فقرأه وفهم معناه ثم كتب فى ظهره هذه الابيات

اعلل قلبى فى الغرام واكتم * ولكن حالى عن هواى يترجم
وان فاض دمعى قلت جرح بمقلتى * لئلا يرى حالى العذول فيفهم
وكنت خليا انت اعرف ما الهوى * فاصبحت صبا والفؤاد متيم
رفعت اليكم قصتى اشتكى بها * غرامى ووجدى كى ترقوا وترحموا
وصيرتها من دمع عينى لعلها * بما حل بى منكم اليكم تترجم
دعا الله وجها بالجمال مبرقعا * له البدر عبد والكواكب تخدم
على حسن ذات ما رأيت مثيلها * ومن ميلها الاغصان عطفا تعلم
واسألكم من غير حمل مشقة * زيارتنا ان الوصال معظم
وهبت لكم روحى عسى تقبلونها * فلى الوصل خلدا والصدود جهنم

ثم طوى الكتاب وقبله واعطاه لها وقال لها يادايتى استعطفى خاطر سيدتك فقالت له سمعا وطاعة ثم اخذت منه المكتوب ورجعت الى سيدتها واعطتها القرطاس فقبلته ورفعته فوق راسها ثم فضته وقرأته وفهمت معناه وكتبت فى اسفله هذه الابيات

يامن توالع قلبه بجمالنا * اصبر لعلك فى الهوى تحظى بنا
لما علمنا ان حبك صادق * واصاب قلبك ما اصاب فؤادنا
زدناك فوق الوصل وصلا مثله * لكن منع الوصل من عجزنا
لما يجن الليل من فرط الهوى * تتوقد النيران فى احشائنا

وجفت مضاجعنا المنام وربما * قد برّح التبريح فى اجسامنا
الفرض فى شرع الهوى كتم الهوى * لا ترفعوا المسبول من استارنا
وقد انحشى منى الحشى بهوى الرشا * ناليته ما غاب عن اوطاننا

فلما فرغت من شعرها طوت القرطاس واعطته للدايه فاخذته وخرجت من عند الورد فى الاكمام بنت الوزير فصادفها الحاجب وقال لها اين تذهبين فقالت الى الحمام وقد انزعجت منه فوقعت منها الورقة حين خرجت من الباب وقت انزعاجها هذا ما كان من امرها واما ما كان من امر الورقة فان بعض الخدم رآها مرمية فى الطريق فاخذها ثم ان الوزير خرج من الحريم وجلس على سريره فقصده الخادم الذى التقط الورقة فبينما الوزير جالس على سريره واذا بذلك الخادم تقدم اليه وفى يده الورقة وقال له يا مولاى انى وجدت هذه الورقة مرمية فى الدار فاخذتها فتناولها الوزير من يده وهى مطوية ففتحها فرأى مكتوبا فيها الاشعار التى تقدم ذكرها فقرأها وفهم معناها ثم تأمل كتابتها فرأها بخط ابنته فدخل على امها وهو يبكى بكاء شديدا حتى ابتلت لحيته فقالت له زوجته ما ابكاك يا مولاى فقال لها خذى هذه الورقة وانظرى ما فيها فاخذت الورقة وقرأتها فوجدتها مشتملة على مراسلة من بنتها الورد فى الاكمام الى انس الوجود فجاءها البكاء لكنها غلبت على نفسها وكفكفت دموعها وقالت للوزير يا مولاى ان البكاء لا فائدة فيه وانما الرأى الصواب ان تتبصر فى امر يكون فيه صون عرضك وكتمان امر بنتك وصارت تسليه وتخفف عنه الاحزان فقال لها انى خائف على ابنتى من العشق اما تعلمين ان السلطان يحب انس الوجود محبة عظيمة ونخوفى من هذا الامر سببان الاول من جهتى وهو انها بنتى والثانى من جهة السلطان وهو ان انس الوجود محظية عند السلطان وربما يحدث من هذا امر عظيم فما رأيك فى ذلك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير لما اخبر زوجته بخبر بنته وقال لها فما رأيك فى ذلك قالت له اصبر على حتى اصلى صلاة الاستخارة ثم انها صلت ركعتين سنة الاستخارة فلما فرغت من صلاتها قالت لزوجها ان فى وسط بحر الكنوز جبلا يسمى جبل الشكلا وسبب تسميته بذلك سيأتى وذلك الجبل لا يقدر على الوصول اليه احد الا بالمشقة فاجعل لها موضعا هناك فاتفق الوزير مع زوجته على انه يبنى فيه قصرا منيعا ويجعلها فيه ويضع عندها مؤنتها عاما بعد عام ويجعل عندها من يؤانسها ويخدمها ثم جمع النجارين والبنايين والمهندسين وارسلهم الى ذلك الجبل وقد بنوا لها قصرا منيعا لم يرمثله الراؤن ثم هيأ الزاد والراحلة ودخل على ابنته فى الليل وامرها بالسير فحس قلبها بالفراق فلما خرجت ورأت هيئة الاسفار بكت بكاء شديدا وكتبت على الباب تعرف انس الوجود بما جرى لها من الوجد الذى تقشعر منه الجلود ويذيب الجلود ويجرى العبرات والذى كتبته هذه الابيات

بالله يا دار ان مر الحبيب ضحى * مسلما باشارات المحبينا
اهديه منا سلاما زاكيا عطرا * لانه ليس ندرى اين امسينا
ولست ادرى الى اين الرحيل بنا * لما مضوا بى سريعا مستخفينا
فى جنح ليل وطير الايك قد عكفت * على الغصون تباكينا وتعينا

وقال عنها لسان الحال واحربا * من التفرق مابين المحبينا
لما رأيت كؤوس البعد قد ملئت * والدهر من صرفها بالقهر يسقينا
مزجتها بجميل الصبر معتذرا * وعنكم الان ليس الصبر يسلينا

فلما فرغت من شعرها ركبت وساروا بها يقطعون البراري والقفار والسهول والاوعار حتى وصلوا الى بحر الكنوز ونصبوا الخيام على شاطئ البحر ومدوا لها مراكب عظيمة وانزلوها فيها هي وعايلتها وقد امرهم انهم اذا وصلوا الى الجبل وادخلوها في القصر هي وعايلتها يرجعون بالمركب وبعد ان يطلعوا من المركب يكسرونها فذهبوا وفعلوا جميع ما امرهم به ثم رجعوا وهم يبكون على ما جرى هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر انس الوجود فانه قام من نومه وصلى الصبح ثم ركب وتوجه الى خدمة السلطان فمر في طريقه على باب الوزير على جرى العادة فلم يرى احدا من اتباع الوزير الذين كان يراهم وينظر الى الباب فرأى الشعر المتقدم ذكره مكتوبا عليه فلما رأه غاب عن وجوده واشتعلت النار في احشائه ورجع الى داره ولم يقر له قرار ولم يطاوعه اصطبار ولم يزل في قلق ووجد الى ان دخل الليل فكتم امره وتسكر وخرج في جوف الليل هائما على غير طريق وهو لا يدري اين يسير فسار الليل كله وثاني يوم الى ان اشتد حر الشمس وتلهبت الجبال واشتد عليه العطش فنظر الى شجرة فوجد بجانبها جدول ماء يجري فقصد تلك الشجرة وجلس في ظلها على شاطئ ذلك الجدول واراد ان يشرب فلم يجد للماء طعما في فمه وقد تغير لونه واصفر وجهه وتورمت قدماه من المشي والمشقة فبكى بكاء شديدا وسكب العبرات وانشد هذه الابيات

سكر العاشق في حب الحبيب * كلما زاد غراما فيطيب
هايم في الحب صب تايه * ماله ماوى ولا زاد يطيب
كيف يهنى العيش للصب الذى * فارق الاحباب ذا شئ عجيب
ذبت لما ان ذكا وجدى بهم * وجرى دمعى على خدى صبيب
هل اراهم اوارى من ربعهم * احدا يبرى به القلب الكئيب

فلما فرغ من شعره بكى حتى بل الثرى ثم قام من وقته وساعته وسار من ذلك المكان فبينما هو سائر في البراري والقفار اذ خرج عليه سبع رقبته مختنقة بشعره ورأسه قدر القبة وفمه اوسع من الباب وانيابه مثل انياب الفيل فلما رأه انس الوجود ايقن بالموت واستقبل القبلة وتشهد واستعد للموت وكان قد قرأ في الكتب ان من خادع السبع انخدع له لانه ينخدع بالكلام الطيب وينثني بالمديح فشرع يقول له يا اسد الغابة يا ليث الفضا يا ضرغام يا ابا الفتيان يا سلطان الوحوش انى عاشق مشتاق وقد اتلفني العشق والفراق وحين فارقت الاحباب غبت عن الصواب فاسمع كلامي وارحم لوعتي وغرامي فلما سمع الاسد مقالته تأخر عنه وجلس مقعيا على ذنبه ورفع رأسه اليه وصار يلعب له بذنبه ويديه فلما رأى انس الوجود هذه الحركات انشد هذه الابيات

اسد البيداء هل تقتلني * قبل ما القى الذى تعنى
لست صيدا لاولابى سمن * فقدمن اهواه قد اسقمنى
وفراق الحب اضنى مهجتى * فخيالى صورة فى كفنى
يا ابا الحارث يا ليث الونى * لا تشمت العذال بى فى شجنى

انا صب مدمعي غرقني * وفراق الحب قد اقلقني
واشتغالي في دجى الليل بهم * عن وجودي في الهوى غيبني

فلما فرغ من شعره قام الاسد ومشى نحوه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان انس الوجود لما فرغ من شعره قام الاسد ومشى نحوه بلطف وعيناه مغرورقتان بالدموع ولما وصل اليه لحسه بلسانه ومشى قدامه واشار اليه ان اتبعني فتبعه ولم يزل سائرا وهو خلفه ساعة من الزمان حتى طلع به فوق جبل ثم نزل به من فوق ذلك الجبل فرأى آثار المشي في البراري فعرف ان ذلك اثر مشي القوم بالورد في الاكمام فتبع الاثر ومشى فيه فلما راه الاسد تبع الاثر عرف انه اثر مشي القوم بمحبوبته رجع الاسد الى حال سبيله واما انس الوجود فانه لم يزل ماشيا في الاثر ليالي ما وليالي حتى اقبل على بحر بحاج متلاطم بالامواج ووصل الاثر الى شاطئ البحر وانقطع فعلم انهم ركبوا البحر وساروا فيه وانقطع رجاؤه منهم هنالك فسكب العبرات وانشد هذه الابيات

شط المزار وعنهم قل مصطبري * وكيف امشي لهم في لجة البحر
او كيف اصبر والاحشاء قد تلفت * في حبهم وتركت النوم بالسهر
من يوم غابوا عن الاوطان وارتحلوا * ومهجتي في لهيب اي مستعر
سيحون جيحون دمعي كالفرات جرى * فيضه فائق الطوفان والمطر
تقرح الجفن من جرى الدموع به * واحرق القلب بالنيران والشرر
جيوش وجدي والاشواق قد هجمت * وجيش صبري في ادبار منكسر
خاطرت بالروح بذلا في محبتهم * وكانت الروح عندي اسهل الخطر
لا آخذ الله عينا في الحمى نظرت * ذاك الجمال الذي ابهى من القمر
اصبحت منطرحا من اعين نجل * سهامها رشقت قلبي بلا وتر
وخاد عتني بلين من معاطفها * كما تلين غصون البان في الشجر
طمعت منهم بوصل استعين به * على امور الهوى والغم والكدر
وصرت فيهم كما امسيت مكتئبا * وكل ما حل بي من فتنة النظر

فلما فرغ من شعره بكى حتى وقع مغشيا عليه واستمر في غشيته مدة مديدة ثم افاق من غشيته والتفت يمينا وشمالا فلم ير احدا في البرية تخشى على نفسه من الوحوش فصعد على جبل عال فبينما هو في ذلك الجبل اذ سمع صوت آدمي يتكلم في مغارة فصغى اليه واذا هو عابد قد ترك الدنيا واشتغل بالعبادة فطرق عليه باب المغارة ثلاث مرات فلم يجبه العابد ولم يخرج اليه فصعد الزفرات وانشد هذه الابيات

كيف السبيل الى ان ابلغ الارب * وازلة الهم والتكدير والتعبا
وكل هول من الاهوال شيبني * قلبا ورأسا مشيبا في زمان صبى
ولم اجد لي معينا في الغرام ولا * خلا يخفف عني الوجد والنصب
وكم اكابد في الاشواق من ولهٍ * كأن دهري على الانام قد قلب
وارحمتاه لصب عاشق قلق * كأس التفرق والهجران قد شرب

فالنار فى القلب ولا حشاه قد محيت * والعقل من لوعة التفريق قد سلب
ما كان اعظم يوما جئت منزلهم * وقد رأيت على الابواب ما كتب
بكيت حتى بقيت الارض من وله * لكن كتمت عن الدانين والغربا
يا عابدا قد تغاضى فى مغارته * كأنه ضاق طعم العشق وانسلب
وبعد هذا وهذا كله فاذا * بلغت قصدى فلاهما ولا تعبا

فلما فرغ من شعره واذا بباب المغارة قد انفتح وسمع قائلا يقول وارحتاه فدخل الباب وسلم على العابد فرد عليه السلام وقال له ما اسمك قال اسمى انس الوجود فقال له ما سبب مجيئك الى هذا المكان فقص عليه قصته من اولها الى آخرها واخبره بجميع ما جرى له فبكى العابد وقال له يا انس الوجود ان لى فى هذا المكان عشرين عاما ما رأيت فيه احدا الا بالامس فانى سمعت بكاء وغواثاه فنظرت الى جهة الصوت فرأيت ناسا كثيرين وخياما منصوبة على شاطئ البحر واقواما مركبا ونزل فيها قوم منهم وساروا بها فى البحر ثم رجع بالمركب بعض من نزل فيها وكسروها وتوجهوا الى حال سبيلهم واظن ان الذين ساروا على ظهر البحر ولم يرجعوا هم الذين انت فى طلبهم يا انس الوجود وحينئذ همك عظيم وانت معذور ولكن لا يوجد محب الا وقاسى الحسرات ثم انشد العابد هذه الابيات

انس الوجود خلى البال تحسبنى * والشوق والوجد يطوينى وينشرنى
انى عرفت الهوى والعشق من صغرى * من حين كنت صبيا راضع اللبن
مارسته زمنا حتى عرفت به * ان كنت تسأل عنى فهو يعرفنى
شربت كاس الجوى من لوعة وضنى * فصرت محوا به من رقة البدن
قد كنت ذا قوة لكن وهى جلدى * وجيش صبرى باسياف اللحاظ فنى
لا ترتجى فى الهوى وصلا بغير جفا * فالضد بالضد مقرون مدى الزمن
قضى الغرام على العشاق اجمعهم * ان السلو حرام بدعة المتن

فلما فرغ العابد من انشاد شعره قام الى انس الوجود وعانقه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العابد لما فرغ من انشاد شعره قام الى انس الوجود وعانقه وبكيا حتى دوت الجبال من بكائهما ولم يزالا يبكيان حتى وقعا مغشيا عليهما ثم افاقا وتعاهدا على انهما اخوان فى الله تعالى ثم قال العابد لانس الوجود انا فى هذه الليلة اصلى واستخير الله تعالى فى شئ تعمله فقال له انس الوجود سمعا وطاعة هذا ما كان من امر انس الوجود واما ما كان من امر الورد فى الاكمام فانها لما وصلوا بها الى الجبل وادخلوها القصر ورأته ورأت ترتيبه بكت وقالت والله انك مكان ملبح غير انك ناقص وجود الحبيب فيك ورأت فى تلك الجزيرة اطيارا فامرت بعض اتباعها ان ينصب لها فخا ويصطاد به منها وكلما اصطاده يضعه فى اقفاص من داخل القصر ففعل ما امرته به ثم انها قعدت فى شباك القصر وتذكرت ما جرى لها وزادها الغرام والوجد والهيام فسكبت العبرات وانشدت هذه الابيات

يالمن اشتكى الغرام الذى بى * وشجو فى وفرقتى عن حبيبى
ولهيب بين الضلوع ولكن * لست ابديه خيفة من رقيبى
ثم اصبحت رق عود خلال * من بعاد وحرقة وتحيب
اين عين الحبيب حتى ترانى * كيف اصبحت مثل حال السليب
قد تعدوا على اذ حجبونى * فى مكان لم يستطعه حبيبى
اسأل الشمس حمل الف سلام * عند وقت الشروق ثم الغروب
لحبيب قد اخجل البدر حسنا * مذ تبدى وفاق قد القضيب
ان حكى الورد خده قلت فيه * لست تحكى ان لم تكن من نصيبى
ان فى ثغره لسلسال ريق * يجلب البرد عند حر اللهيب
كيف اسلوه وهو قلبى وروحى * مسقمى ممرضى حبيبى طبيبى

فلما جن عليها الظلام اشتد بها الغرام وتذكرت ما فات فانشدت هذه الابيات

جن الظلام وهاج الوجد بالسقم * والشوق حرك ما عندى من الالم
ولوعة البين فى الاحشاء قد سكنت * والفكر صيرنى فى حالة العدم
والوجد افلقنى والشوق احرقنى * والدمع باح بسراى مكتتم
وليس لى حالة فى العشق اعرفها * من رق عودى ومن ضعفى ومن المى
جحيم قلبى من النيران قد سعرت * ومن لظى حرها الاكباد فى نقم
ما كنت أملك نفسى ان اودعهم * يوم الفراق فياقهرى ويا ندمى
يامن يبلغهم ما حل بى وكفى * انى صبرت على ما خط بالقلم
والله لا حلت عنهم فى الهوى ابدا * يمين شرع الهوى مبرورة القسم
ياليل سلم على الاحباب مخبرهم * واشهد بعلمك انى فيك لم انم

هذا ما كان من امر الورد فى الاكمام واما ما كان من امر انس الوجود فان العابد قال له انزل الى الوادى واتنى من النخيل بليف فنزل وجاءه بليف فاخذه العابد وفتله وجعله شفا مثل اشناف التبن وقال يا انس الوجود ان فى جوف الوادى فرعا يطلع وينشف على اصوله فانزل اليه واملأ هذا الشنف منه واربطه وارمه فى البحر واركب عليه وتوجه به الى وسط البحر لعلك تبلغ قصدك فان من لم يخاطر بنفسه لم يبلغ المقصود فقال سمعا وطاعة ثم ودعه وانصرف من عنده الى ما امره به بعد ان دعا له العابد ولم يزل انس الوجود سائرا الى جوف الوادى وفعل كما قال له العابد ولما وصل بالشنف الى وسط البحر خرج عليه ريح فزفه بالشنف حتى غاب عن عين العابد ولم يزل سابحا فى لجة البحر ترفعه موجة وتحطه اخرى وهو يرى ما فى البحر من العجائب والاهوال الى ان رمته المقادير على جبل النكلا بعد ثلاثة ايام فنزل الى البر مثل الفرخ الدايخ لهفان من الجوع والعطش فوجد فى ذلك المكان انهارا جارية واطيارا مغردة على الاغصان واشجارا مثمرة صنوانا وغير صنوان فاكل من الاثمار وشرب من الانهار وقام يمشى فرأى بياضا على بعد فمشى جهته حتى وصل اليه فوجده قصرا منيعا حصينا فاتى الى باب القصر فوجده مقفولا فجلس عنده ثلاثة ايام فبينما هو جالس واذا بباب القصر قد فتح وخرج منه شخص من الخدم فرأى انس الوجود قاعدا فقال له من اين اتيت ومن اوصلك الى هنا فقال من اصبهان وكنت مسافرا فى البحر بتجارة فانكسرت

المركب التى كنت فيها فرمتنى الامواج على ظهر هذه الجزيرة فبكى الخادم وعانقه وقال حيالك الله يا وجه الاحباب ان اصبهان بلادى وفيها بنت عم كنت احبها واما صغير وكنت متولعا بها فغزانا قوم اقوى منا واخذونى فى جملة الغنم ثم كنت صغيرا فقطعوا احليلى ثم باعونى خادما وها انا فى تلك الحالة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخادم الذى خرج من قصر الورد فى الاكمام حدث انس الوجود بجميع ما حصل له وقال له ان القوم الذين اخذونى قطعوا احليلى وباعونى خادما وها انا فى تلك الحالة وبعد ما سلم عليه وحياه ادخله ساحة القصر فلما دخل رأى بحيرة عظيمة وحولها اشجار واغصان وفيها الطيار فى اقفاص من فضة وابوابها من الذهب وتلك الاقفاص معلقة على اغصان والاطيار فيها تسابح وتسبح الملك الديان فلما وصل الى اراها تأله فاذا هو قمرى فلما رأه الطير مد صوته وقال يا كريم فغشى على انس الوجود فلما افاق من غشيته صعد الزفرات وانشد هذه الابيات

ايها القمرى هل مثلى تهيم * فاسأل المولى وغرد يا كريم
يا ترى نوحك هذا طرب * او غرام مثلك فى القلب مقيم
ان تنح وجدا لاحباب مضوا * او تخلفت بهم مضى سقيم
او فقدت الحب مثلى فى الهوى * فالنصافى يظهر الوجد القديم
يا رعى الله محبا صادقا * لست اسلاه ولو عظمى رميم

فلما فرغ من شعره بكى حتى وقع مغشيا عليه وحين افاق من غشيته مشى حتى وصل الى ثانى قفص فوجده فاختا فلما رأته الفاخت غرد وقال يا دايم اشكرك فصعد انس الوجود الزفرات وانشد هذه الابيات

وفاخت قد قال فى نوحه * يا دايما شكرا على بلوتى
عسى لعل الله من فضله * يقضى بوصل الحب فى سفرتى
ورب معسول اللمى زارنى * فزاد فى عشقا على صبوتى
فقلت والنيران قد اضرمت * فى القلب حتى احرقت مهجتى
والدمع مسفوح يحاكى دما * قد فاض جاريه على وجنتى
ما ثم مخلوق بلا محنة * لكن لى صبرا على محنتى
بقدرة الله متى لمنى * وقت الصفا يوما على سادتى
جعلت للعشاق مالى قرى * لانهم قوم على سنتى
واطلق الاطيار من سجنها * واترك الاحزان من فرحتى

فلما فرغ من شعره تمشى الى ثالث قفص فوجده هزارا فزعق الهزار عند رؤيته فلما سمعه انشد هذه الابيات

ان الهزار لطيف الصوت يعجبنى * كانه صوت صب فى الغرام فنى
وارحمتاه على العشاق كم قلقوا * من ليلة بالهوى والشوق والمحن
كانهم من عظيم الشوق قد خلقوا * بلا صباح ولا نوم من الشجن
لما جننت بمن اهواه قيدنى * فيه الغرام وما فيه قيدنى

تسلسل الدمع من عيني فقلت له * سلاسل الدمع قد طالت فسلسلني
زاد اشتياقي وطال البعد وانعدمت * كنوز صبري وفرط الوجد اتلفني
ان كان في الدهر انصاف ويجمعني * بمن احب وستر الله يشملني
قلعت ثوبي لحبي كي يرى جسدي * بالصد والبعد والهجران كيف ضنى

فلما فرغ من شعره تمشى الى رابع قفص فرأه بلبلا فتاح وغرد عندرؤية انس الوجود فلما سمع تغريده سكب العبرات وانشد هذه الابيات

ان للبلبل صوتا في السحر * اشغل العاشق عن حسن الوتر
في الهوى انس الوجود المشتكي * من غرام قدمحا منه الاثر
كم سمعنا صوت الحان محت * طربا صلد حديد وحجر
ونسيم الصبح قد يروى لنا * عن رياض يانعات بالزهر
فطر بن بسماع وشذا * من نسيم وطيور في السحر
وتذكرنا حبيبا غائبا * فجرى الدمع سيولا ومطر
ولهيب النار في احشائنا * مضرم ذا الكجمر بالشرر
متع الله محبا عاشقا * من حبيب بوصال ونظر
ان للعشاق عذرا واضحا * لايعرف الاعذار الاذو النظر

فلما فرغ من شعره مشى قليلا فرأى قفصا حسنا لم يكن هنالك احسن منه فلما قرب منه وجده حمام الايك وهو الحمام المشهور من بين الطيور ينوح بالغرام وفي عنقه عقد من جوهر بديع النظام وتأمله فوجده ذاهلا باهتا في قفصه فلما رأه بهذه الحالة افاض العبرات وانشد هذه الابيات

ياحمام الايك اقريك السلام * ياأخا العشاق من اهل الغرام
انني اهوى غزالا اهيفا * لحظه اقطع من حد الحسام
في الهوى اسرق قلبي والحشى * وعلا جسمي نحولي والسقام
ولذيذ الزاد قد حرمته * مثل ماحرمت من طيب المنام
واصطباري وسلوي رحلا * والهوى بالوجد عندي قد اقام
كيف يهنى العيش لي من بعدهم * وهمو روحي وقصدي والمرام

فلما فرغ انس الوجود من شعره وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان انس الوجود لما فرغ من شعره كان حمام الايك قد انتبه من ذهوله وسمع انشاده فصاح وناح واكثر التغريد والنواح حتى كاد ان ينطق بالترنمات وانشد عنه لسان الحال هذه الابيات

ايها العاشق قد ذكرتني * زمنا فيه شبابي قد فنى
وحبيبا كنت اهوى شكله * ذا جمال فائق ومغتنى
صوته من فوق اغصان النقى * عن سماع الناي وجدا ردني

نصب الصياد لخاصاده * قائلا لولا لغضا يتركنى
كنت ارجوانه ذو رأفة * اويرانى عاشقا يرحمنى
فرماه الله لما انه * من حبيبى بالجفا افرقنى
وغرامى فيه اضحى زائدا * ونيار البعد قد احرقنى
يارعى الله محبا عاشقا * مارس الحب وقاسى شجنى
حين يرانى لا بشاشى قضى * لحبيبى رحمة يطلقنى

ثم ان انس الوجود التفت الى صاحبه الاصبهانى وقال له ما هذا القصر وما فيه ومن بناه قال له بناه وزير الملك الفلانى لابنته خوفا عليها من عوارض الزمان وطوارق الحدثان واسكنها فيه هى واتباعها ولا تفقده الا فى كل سنة مرة لما تأتى اليهم مؤنتهم فقال فى نفسه قد حصل المقصود ولكن المدة طويلة هذا ما كان من امر انس الوجود واما ما كان من امر الورد فى الاكمام فانها لم يبن لها شراب ولا طعام ولا قعود ولا منام فقامت وقد زاد بها الغرام والوجد والهيام ودارت فى اركان القصر فلم تجد لها مصرفا فكبت العبرات وانشدت هذه الابيات

حبسونى عن حبيبى قسوة * واذاقونى بسجنى لوعتى
احرقوا قلبى بنيران الهوى * حيث ردوا عن حبيبى نظرتى
حبسونى فى قصور شيدت * فى جبال خلقت فى لجة
ان يكونوا قد اراد واسلونى * لم تزد فى الحب الا محنتى
كيف اسلو والذى بى كله * اصله فى وجه حبى نظرتى
فنهارى كله فى اسف * اقطع الليل بهم فى فكرة
وانيسى ذكرهم فى وحدتى * حين القى من لقاهم وحشتى
يارى هل بعد هذا كله * يرتضى الدهر لقلبى منيتى

فلما فرغت من شعرها طلعت الى سطح القصر واخذت ثوبا بعلبكية وربطت نفسها فيها وتدلت حتى وصلت الى الارض وقد كانت لابسة الخرما عندها من اللباس وفى عنقها عقد من الجواهر وسارت فى تلك البرارى والقفار حتى وصلت الى شاطئ البحر فرأت صيادا فى مركب دائر فى البحر يصطاد فرماه الريح على تلك الجزيرة فالتفت فرأى الورد فى الاكمام فى تلك الجزيرة فلما رأها فزع منها وخرج بالمركب هاربا فنادته واكثرت اليه الاشارات وانشدت هذه الابيات

يا ايها الصياد لا تخشى الكدر * فانى انسية مثل البشر
اريد منك ان تجيب دعوتى * وتسمعن قولى باسناد الخبر
فارحم وقال الله حرصبونى * ان ابصرت عينا لمحبوبا نفر
فانى اهوى ملبسا وجهه * قد فاق وجه الشمس نورا والقمر
والقلب لما ان رأى الحاظه * قد قال انى عبده ثم اعتذر
قد كتب الحسن على وجنته * سطرا بديعا فى المعانى مختصر
فمن رأى نور الهوى قد اهتدى * اما الذى ضل تعدى وكفر
ان شاء تعذيبى به يا حبذا * فكلما القاه اجر اواجر

من يواقيت وما اشبهها * ولؤلؤ رطب وانواع الدرر
عسى حبيبي ان يوفي بالمنى * فان قلبي ذاب شوقا وانفطر

فلما سمع الصياد كلامها بكى وان واشتكى وتذكر ما مضى له فى ايام صباه حين غلب عليه هواه واشتد به الغرام وزاد به الوجد والهيام واحرقته نيران الصبابات فانشد هذه الابيات

بغرامي اى عذر واضح * سقيم اعضاه بدمع سافح
وعيون فى الدجى ساهرة * وقلوب كزناد قادح
قد بلونا العشق من نشأتنا * وعرفنا ناقصا من راجح
ثم بعنا فى الهوى انفسنا * بوصال من حبيب نازح
ثم بالارواح خاطرنا عسى * ان يكون البيع بيع الرابح
مذهب العشاق ان المشترى * وصل محبوب سماعن رابح

فلما فرغ من شعره ارسى مركبه على البر وقال لها انزلى فى المركب حتى اعدى بك الى اى موضع تريدين فنزلت فى المركب وعوم بها فلما فارق البر بقليل هبت على المركب ريح من خلفها فسارت المركب بسرعة حتى غاب البر عن اعينهما وصار الصياد لا يعرف اين يذهب ومكث اشتداد الريح مدة ثلاثة ايام ثم سكت الريح باذن الله تعالى ولم تزل المركب تسير بهما حتى وصلت الى مدينة على شاطى البحر وادركه شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان المركب لما وصلت بالصياد والورد فى الاكمام الى مدينة على شاطئ البحر اراد الصياد ان يرمى مركبه على تلك المدينة وكان فيها ملك عظيم السطوة يقال له درباس وكان فى ذلك الوقت جالسا هو وابنه فى قصر مملكته وصارا ينظران من شباك القصر فالتفتا الى جهة البحر فرأيا تلك المركب فتأملاها فوجدا فيها صبية كانها البدر فى افق السماء وفى اذنيها حلق من البلخش النفيس وفى عنقها عقد من الجوهر النفيس فعرف الملك انها من بنات الاكابر والملوك فنزل الملك من قصره وخرج من باب القيطون فرأى المركب قد رست على الشاطى وكانت البنت نائمة والصياد مشغولا بربط المركب فايقظها الملك من منامها فاستيقظت وهى تبكى فقال لها الملك من اين انت وابنة من انت وما سبب مجيئك هنا فقالت له الورد فى الاكمام انا ابنة ابراهيم وزير الملك شامخ وسبب مجيئى هنا امر عجيب وشأن غريب وحكت له جميع قصتها من اولها الى آخرها ولم تخف عنه شيأ ثم صعدت الزفرات وانشدت هذه الابيات

قد قرح الدمع جفنى فاقتضى عجبا * من التكدر لما فاض وانسكبا
من اجل خل نوى فى مهجتى ابدا * ولم انل فى الهوى من وصله اربا
له محيا جميل باهر نضر * وفى الملاحة فاق الترك والعرب
والشمس والبدر قد مالا لطلعته * كالصب والتزما فى حبه الادب
وطرفه بجميب السحر مكتحل * يريك قوسا لرمى السهم منتصبا
يا من له حالتى اوضحت معتذرا * ارحم محبا به صرف الهوى لعب

ان الهوى قد رمانى وسط ساحتكم * ضعيف عزم ومنكم ارتجى حسبا
ان الكرام اذا ما حل ساحتهم * مستحسب فخماهم يرفع الحسبا
فاسترفضا يح اهل العشق يا املى * وكن لوصلتهم ياسيدى سببا

فلما فرغت من شعرها حكت للملك قصتها من اولها الى آخرها ثم افاضت العبرات وانشدت هذه الابيات

عشنا الى ان رأينا فى الهوى عجبا * كل الشهور روى الامثال عش رجبا
اليس من عجب انى ضحى ارتحلوا * اوقدت من ماء دمعى فى الحشى لهبا
وان اجفان عينى امطرت ورقا * وان ساحة خدى انبتت ذهبا
كأن ما اذرق عنه من معصفره * قميص يوسف غشوه دما كذبا

فلما سمع الملك كلامها تحقق وجدها وغرامها فاخذته الشفقة عليها وقال لها لا تخوف عليك ولا فزع قد وصلت الى مرادك فلا بد ان ابلغك ما تريدين واوصل اليك ما تطلبين فاسمعى منى هذه الكلمات ثم انشد هذه الابيات

بنت الكرام بلغت القصد والارب * لك البشارات لا تخشى هنا نصبا
اليوم اجمع اموالا وارسلها * لشاغ صحبة الغرسان والخببا
نوافح المسك والديباج ارسلها * وارسل الفضة البيضاء والذهبا
ثم وتخبره عنى مكاتبتى * انى مريد له صهرا ومنتسبا
وابذل اليوم جهدى فى معاونة * حتى يكون الذى تهوين مقتربا
قد ذقت طعم الهوى دهرا واعرفه * واعذر اليوم من كأس الهوى شربا

فلما فرغ من شعره خرج الى عسكره ودعا بوزيره وحزم له مالا لا يحصى وامره ان يذهب بذلك الى الملك شاغ وقال له لا بد ان تأتينى بشخص عنده اسمه انس الوجود وقل له انه يريد مصاهرتك بان يزوج ابنته لانس الوجود تابعك فلا بد من ارساله معى حتى نعقد عقده عليها فى مملكة ابيها ثم ان الملك درياس كتب مكتوبا للملك شاغ بمضمون ذلك واعطاه لوزيره واكد عليه فى الاتيان بانس الوجود وقال له ان لم تأتنى به تكن معزولا من مرتبتك فقال له سمعا وطاعة ثم توجه بالهدية الى الملك شاغ فلما وصل اليه بلغه السلام عن الملك درياس واعطاه المكاتبة والهدية التى معه فلما رأها الملك شاغ وقرأ المكاتبة ونظر اسم انس الوجود بكى بكاء شديدا وقال للوزير المرسل اليه واين انس الوجود فانه ذهب ولا نعلم مكانه فاتنى به وانا اعطيك اضعاف ما جئت به من الهدية ثم بكى وان واشتكى وافاض العبرات وانشد هذه الابيات

رد وا على حبيبى * لا حاجة لى بمال
ولا ارید هدایا * من جوهر ولآلى
قد كان عندى بدرا * سما بافق جمال
وفاق حسا ومعنى * ولم يقس بغزال
وقده غصن بان * اثماره من دلال
وليس فى الغصن طبع * يسبى عقول الرجال

ربيته وهو طفل * على مهاد الدلال
وانني لحزين * عليه مشغول بال

ثم التفت الى الوزير الذى جاء بالهدية والرسالة وقال له اذهب الى سيدك واخبره ان انس الوجود مضى له عام وهو غائب وسيده لم يدر اين ذهب ولا يعرف له خبر فقال له الوزير يا مولاى ان سيدى قال لى ان لم تأتنى به تكن معزولا عن الوزارة ولا تدخل مدينتى فكيف اذهب اليه بغير فقال الملك شاهخ لوزيره ابراهيم اذهب معه صحبة جماعة وفتشوا على انس الوجود فى سائر الاماكن فقال له سمعا وطاعة ثم اخذ جماعة من اتباعه واستصحب وزير الملك درباس وساروا فى طلب انس الوجود وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابراهيم وزير الملك شاهخ اخذ جماعة من اتباعه واستصحب وزير الملك درباس وساروا فى طلب انس الوجود فكانوا كلما مروا بعرب او قوم يسألونهم عن انس الوجود فيقولون لهم هل مر بكم شخص اسمه كذا وصفته كذا وكذا فيقولون لا نعلمه ومازالوا يسألون فى المدائن والقرى ويفتشون فى السهل والاوعار والبرارى والقفار حتى وصلوا الى شاطئ البحر وطلبوا مركبا ونزلوا فيها وساروا بها حتى اقبلوا على جبل الثكلا فقال وزير الملك درباس لوزير الملك شاهخ لاى شئ سمى هذا الجبل بذلك الاسم فقال له لانه نزلت به جنية فى قديم الزمان وكانت تلك الجنية من جن الصين وقد حبت انسانا ووقع له فيها غرام وخافت على نفسها من اهلها فلما زاد بها الغرام فتشت فى الارض على مكان تخفيه فيه عن اهلها فوجدت هذا الجبل منقطعا عن الانس والجن بحيث لا يهتدى الى طريقه احد من الانس ولا من الجن فاختطفت محبوبها ووضعته فيه وصارت تذهب الى اهلها وتأتيه فى خفية ولم تزل على ذلك زمنا طويلا حتى ولدت منه فى ذلك الجبل اطفالا متعددة وكان كل من يمر على هذا الجبل من التجار المسافرين فى البحر يسمع بكاء الاطفال كبكاء المرأة التى ثكلت اولادها اى فقدتهم فيقول هل هنا ثكلا فتعجب وزير الملك درباس من ذلك الكلام ثم انهم ساروا حتى وصلوا الى القصر وطرقوا الباب فانفتح الباب وخرج لهم خادم فعرف ابراهيم وزير الملك شاهخ فقبل يديه ثم دخل القصر فوجد فى صحنه رجلا فقيرا بين الخدامين وهو انس الوجود فقال لهم من اين هذا فقالوا له انه رجل تاجر غرق ماله ونجى بنفسه وهو مجذوب فتركه ثم مشى الى داخل القصر فلم يجد لابنته اثرا فسأل الجوارى التى هناك فقلن له ما عرفنا كيف راحت ولا اقامت معنا سوى مدة يسيرة فسكب العبرات وانشد هذه الابيات

ايها الدار التى اطيارها * قد تغنت وازدهت اعنابها
حين اناها الصب ينعى شوقه * ورأها فتحت ابوابها
ليت شعرى اين ضاعت مهجتى * عند دار قد نأت اربابها
كان فيها كل شئ فاخر * واستطابت واعتلت حجابها
وكسوها حللا من سندس * يا ترى اين غدت اصحابها

فلما فرغ من شعره بكى وان واشتكى وقال لا حيلة فى قضاء الله ولا مفر مما قدره وقضاه ثم طلع الى سطح القصر فوجد الثياب البعلبكية مربوطة فى شرافات القصر واصلة الى الارض فعرف انها قد نزلت من

ذلك المكان وراحت كالهائم الولهان والتفت فرأى هناك طيرين غرابا وبومة فتشاءم من ذلك وصعد الزفرات وانشد هذه الابيات

اتيت الى دار الاحبة راجيا * باثارهم اطفاء وجدى ولوعتى
فلم اجد الاحباب فيها ولم اجد * بها غير مشؤمى غراب وبومة
وقال لسان الحال قد كنت ظالما * وفرقت بين المغرمين الاحبة
فذق طعم ما اذاقوه من الم الجوى * وعش كمدا ما بين دمع وحرقة

ثم نزل من فوق القصر وهو يبكى وتدامر الخدام ان يخرجوا الى الجبل ويفتشوا على سيدتهم ففعلوا ذلك فلم يجدوها هذا ما كان من امرها واما ما كان من امر انس الوجود فانه لما تحقق ان الورد فى الاكمام قد ذهبت صاح صيحة عظيمة ووقع مغشيا عليه واستمر فى غشيته فظنوا انه اخذته جذبة من الرحمن واستغرق فى جمال هيئة الديان ولما يئسوا من وجود انس الوجود واشتغل قلب الوزير ابراهيم بفقد بنته الورد فى الاكمام اراد وزير الملك درباس ان يتوجه الى بلاده وان لم يفز من سفره بمراده فاخذ يودعه الوزير ابراهيم والد الورد فى الاكمام فقال له وزير الملك درباس انى اريد ان آخذ هذا الفقير معى عسى الله تعالى ان يعطف على قلب الملك ببركته لانه مجذوب ثم بعد ذلك ارسله الى بلاد اصبهان لانها قريبة من بلادنا فقال له افعل ما تريد ثم انصرف كل منهما متوجها الى بلاده وقد اخذ وزير الملك درباس انس الوجود معه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان وزير الملك درباس اخذ انس الوجود معه وهو مغشى عليه وسار به ثلاثة ايام وهو فى غشيته محمول على البغال ولا يدرى هل هو محمول اولا فلما افاق من غشيته قال فى اى مكان انا فقالوا له انت صحبة وزير الملك درباس ثم ذهبوا الى الوزير واخبروه انه قد افاق فارسل اليه ماء الورد والسكر فسقوه وانعشوه ولم يزالوا مسافرين حتى قربوا من مدينة الملك درباس فارسل الملك الى الوزير يقول له ان لم يكن انس الوجود معك فلا تأتنى ابدا فلما قرأ مرسوم الملك عسر عليه ذلك وكان الوزير لا يعلم ان الورد فى الاكمام عند الملك ولا يعلم ما سبب ارسال الملك اياه الى انس الوجود ولا يعلم ما سبب رغبته فى مصاهرته وانس الوجود لا يعلم اين يذهبون به ولا يعلم ان الوزير مرسل فى طلبه والوزير لا يعلم ان هذا هو انس الوجود فلما رأى الوزير ان انس الوجود قد استفاق قال له ان الملك ارسلنى فى حاجة وهى لم تقض ولما علم بقدومى ارسل الى مكتوبا يقول لى فيه ان لم تكن الحاجة قد قضيت فلا تدخل مدينتى فقال له وما حاجة الملك فحكى له جميع الحكاية فقال له انس الوجود لا تخف واذهب الى الملك وخذنى معك وانا اضمن لك مجيء انس الوجود ففرح الوزير بذلك وقال له احق ما تقول فقال نعم فركب واخذه معه وسار به الى الملك فلما وصلا الى الملك قال له اين انس الوجود فقال انس الوجود ايها الملك انا اعرف مكان انس الوجود فقربه اليه وقال له فى اى مكان هو قال فى مكان قريب جدا ولكن اخبرنى ماذا تريد منه وانا احضره بين يديك فقال له حبا وكرامة ولكن هذا الامر يحتاج الى خلوة ثم امر الناس بالانصراف ودخل معه خلوة واخبره الملك بالقصة من اولها الى اخرها فقال له انس الوجود ائتنى بثياب فاخرة والبسنى اياها وانا آتيك بانس الوجود سريعا فاتاه ببدلة فاخرة فلبسها وقال انا انس الوجود وكما الحسود ثم رمى

القلوب بالملحظات وانشد هذه الابيات

يؤانسنى ذكر الحبيب بخلوتى * ويطردعنى فى التباعد وحشتى
ومالى غير الدمع عين وانما * اذا فاض من عينى يخفف زفرتى
وشوقى شديد ليس يوجد مثله * وامرى عجيب فى الهوى والمحبة
فاقطع ليلى ساهر الجفن لم انم * وفى العشق اسعى بين نار وجنة
وقد كان لى صبر جميل عدمته * وما مضنى فى الحب الا بمحنتى
وقد رق جسمى من اليم بعادهم * وغيرت الاشواق وصفى وصورتى
واجفان عينى بالدموع تقرحت * ولم استطع انى ارجع دمعتى
وقد قل حيلى والفؤاد عدمته * وكم ذا الاقى لوعة بعد لوعة
وقلبى ورأسى فى المشيب تشابها * على سادة فى الحسن احسن سادة
على رغمهم كان التفرق بيننا * وما قصدهم الا لقائى ووصلتى
فيا هل ترى بعد التقاطع والنوى * يمتعنى دهرى بوصل احبتى
ويطوى كتاب البعد من بعد نشره * وتمحى براحات الوصال مشقتى
ويبقى حبيبى فى الديار منادمى * وتبدل احزان بصفو سررتى

فلما فرغ من شعره قال له الملك والله انكما لمحبان صادقان وفى سماء الحسن كوكبان نيران وامركما عجيب وشأنكما غريب ثم حكى له حكاية الورد فى الاكمام الى آخرها فقال له واين هى يا ملك الزمان قال هى عندى الان ثم احضر الملك القاضى والشهود وعقد عقدها عليه واكرمه واحسن اليه ثم ارسل الملك دربان الى الملك شامخ واخبره بجميع ما اتفق له من امر انس الوجود والورد فى الاكمام ففرح الملك شامخ بذلك غاية الفرح وارسل اليه مكتوبا مضمونه حيث حصل عقد العقد عندك ينبغى ان يكون الفرح والدخول عندى ثم جهز الجمال والخيل والرجال وارسل فى طلبهما فلما وصلت الرسالة الى الملك دربان مدهما بمال عظيم وارسلهما مع جملة من عسكره فساروا بهما حتى دخلوا مدينتهما وكان يوما مشهودا لم ير اعظم منه وجمع الملك شامخ سائر المطربات من الات المغانى وعمل الولائم ومكثوا على ذلك سبعة ايام وفى كل يوم يخلع الملك شامخ على الناس الخلع السنية ويحسن اليهم ثم ان انس الوجود دخل على الورد فى الاكمام فعانقها وجلسا يبكيان من فرط الفرح والمسرات فانشدت الورد فى الاكمام هذه الابيات

جاء السرور ازال الهم والحزنا * ثم اجتمعنا واكدنا حواسدنا
ونسمة الوصل قد هبت معطرة * فاحيت القلب والاحشاء والبدنا
وبهجة الانس قد لاحت مخلقة * وفى الخوافق قد دقت بشائرنا
لا تحسبوا انا بكون من حزن * لكن من فرح فاضت مدامعنا
فكم رأينا من الاهوال وانصرفت * وقد صبرنا على ما هيج الشجنا
فساعة من وصال قد نسيت بها * ما كان من شدة الاهوال شيبنا

فلما فرغت من شعرها تعانقا ولم يزالا متعانقين حتى وقعا مغشيا عليهما وادرك شهرزاد الصباح فكفت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان انس الوجود والورد في الاكمام لما اجتمعا تعانقا ولم يزالا متعانقين حتى وقعا مغشيا عليهما من لذة الاجتماع فلما افاقا من غشيتهما انشد انس الوجود هذه الابيات

ما احيلاها ليبلات الوفا * حيث امسى لي حبيبي منصفا
و توالى الوصل فيما بيننا * وانفصال الهجر عنا قد وفى
والينا الدهر يسعى مقبلا * بعد ما مال وعنا انحرفا
نصب السعد لنا اعلامه * وشربنا منه كاسا قد صفا
واجتمعنا وتشاكينا الاسى * وليبلات تقضت بالجفا
ونسينا ما مضى ياسادتي * وعفا الرحمن عما سلفا
ما الذ العيش ما اطيبه * لم يزدني الوصل الا شغفا

فلما فرغ من شعره تعانقا واضطجعا في خلوتهما ولم يزالا في منادمة وشعار ولطيف حكايات واخبار حتى غرقا في بحر الغرام ومضت عليهما سبعة ايام وهما لا يدريان ليلا من نهار لفرط ما هما فيه من لذة وسرور وصفو وحبور فكأن السبعة ايام يوم واحد ليس له ثاني وما عرفا يوم الاسبوع الا بمجيء الات المغاني فاكثرت الورد في الاكمام التعجبات ثم انشدت هذه الابيات

على غيظ الحواسد والرقيب * بلغنا ما نريد من الحبيب
واسعفنا التواصل باعتناق * على الديباج والفز القشيب
وفرش من اديم قد حشونا * بريش الطير من شكل غريب
وعن شرب المدام قد اغتنينا * بريق الحب جل عن الضريب
ومن طيب الوصال فليس ندري * باوقات البعيد من القريب
ليال سبعة مرت علينا * ولم نشعر بها كم من عجيب
فهنونا باسبوع وقولوا * ادام الله وصلك يا الحبيب

فلما فرغت من شعرها قبلها انس الوجود ما ينوف عن المئات ثم انشد هذه الابيات

اياليوم السرور مع التهاني * وجاء الحب من صدق وفاني
فانسني بطيب الوصل منه * ونادمني بالطاف المعاني
واسقاني شراب الانس حتى * ذهلت عن الوجود بما سقاني
طربنا وانشرحنا واضطجعنا * وصرنا في شراب مع اغاني
ومن فرط السرور فليس ندري * من الايام اولها وثاني
هنيئا للحبب بطيب وصل * ووافاه السرور كما وفاني
ولا يدري لمر الصد طعما * وربي قد حباه كما حباني

فلما فرغ من شعره قاما وخرجا من مكانهما وانعما على الناس بالمال والخلع واعطيا ووهبا ثم امرت الورد في الاكمام ان يخلوا لها الحمام وقالت لانس الوجود يا قرة عيني قصدي ان ارا لذة الحمام ونكون بمفردنا من غير احد معنا وزادت بها المسرات فانشدت هذه الابيات

ايامن قد تملكنى قديما * ولم يغن الحديث عن القديم
ويامن ليس لى عنه غناء * ولا ارجو سواه من نديم
الى الحمام قم يانور عينى * نرى الفردوس فى وسط الجحيم
ونعبقها بعود الندحتى * يفوح الطيب فى القطر العميم
ونصفح عن ذنوب الدهر طرا * ونشكر فضل مولانا الرحيم
وانشد اذ ارالك هنالك فيها * هنيأ يا حبيبى بالنعيم

فلما فرغت من شعرها قاما وذهبا الى الحمام وتنعما فيه ثم عادا الى قصرهما واقاما به فى اللذات والمسرات الى ان اتاهما هادم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان من لا يحول ولا يزول واليه كل الامور تؤول

ومما يحكى ان ابانواس خلا بنفسه يوما من الايام وهيأ مجلسا فاخرا وجمع فيه من انواع الاطعمة وسائر الالوان كل ما تشتهى الشفة واللسان ثم انه خرج يتمشى فى طلب محبوب لايق بذلك المجلس وقال يا الهى وسيدى ومولاى اسألك ان تسوق لى من يناسب ذلك المجلس ويصلح للمنادمة معى فى هذا اليوم فما استتم كلامه الا وقد رأى ثلاثة من المرد الحسان كانهم من ولدان الجنان الا ان الوانهم مختلفة ومحاسنهم فى الابداع مؤتلفة وفى تثنى معاطفهم تطمع الامال على حد قول من قال

مررت بامردين فقلت انى * احبكما فقال الامردان
اذو مال فقلت وذو مضاء * فقال الامردان الامردان

وكان ابونواس يذهب هذا المذهب ومع الملاح يلهو ويطرب ويجتنى ورد كل خد ناضر كما قال الشاعر

وشيخ كبير له صبوة * يحب الملاح ويهوى الطرب
غدا موصليا بارض النقا * فما ان تذكر الا حلب

فذهب الى هؤلاء الغلمان وحياهم بالسلام فقابلوه باوفى تحية واكرام ثم ارادوا الانصراف الى بعض الجهات فحجزهم ابونواس وانشد هذه الابيات

فلا تسعوا الى غيرى * فعندى معدن الخيرى
وعندى قهوة تجلى * سباها راهب الدير
وعندى اللحم من ضأن * واصناف من الطير
كلوا ذا واشربوا اخرا * عتيقا مذهب الضير
وبيكوا بعضكم بعضا * ودسوا بينكم ابرى

فلما خدع الغلمان بابيانه مالوا الى مرضاته واجابوه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابانواس لما خدع الغلمان بابيانه مالوا الى مرضاته واجابوه بالسمع والطاعة وذهبوا معه الى منزله فوجدوا جميع ما وصفه فى شعره حاضرا فى المجلس فجلسوا واكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا وتحاكموا عند ابى نواس فى ايهم احسن بهجة وجمالا واقوم قدا واعتدالا فاشار الى احدهم بعد تقبيله مرتين ثم انشد هذين البيتين

بروحى افدى خاله فوق خده * ومن اين هذا الخال افديه بالمال

تبارك من اخلى من الشعر خده * واسكن كل الحسن فى ذلك الخال

ثم اشار الى الثانى بعد ان شم النفتين وانشد هذين البيتين

ومعشوق له فى الخد خال * كمسك فوق كافور نقى

تعجب ناظرى لما رأه * فقال الخال صلى على النبى

ثم اشار الى الثالث بعد تقبيله عشر مرات وانشد هذه الابيات

اذاب التبر فى كاس اللجين * فتى بالراح مخضوب اليدين

وطاف مع السقاة بكاس راح * وطافت مقلتاه باخرين

مليح من بنى الاتراك طبى * يجاذب خصره جبلى حنين

لئن سكنت الى الزوراء نفسى * فان القلب بين محركين

هو يقتاده لديار بكر * واخر نحو ارض الجامعين

وكان كل واحد من الغلمان قد شرب قدحين فلما وصل الدور الى ابى نواس اخذ القدح وانشد هذين البيتين

لا تشرب الراح الا من يدى رشأ * تحكيه فى رقة المعنى ويحكيها

ان المدامة لا يلتذ شاربها * حتى يكون نقى الخد ساقيها

ثم شرب كاسه ودار الدور فلما وصل الدور الى ابى نواس ثانيا غلبت عليه المسرات فانشد هذه الابيات

اجعل نديمك اقداحا تواصلها * من المدام وأتبعها باقداح

من كف المى بديع الحسن رقيقته * بعد الهجوع كمسك او كتفاح

لا تشرب الراح الا من يدى رشأ * تقبيل وجنته اشهى من الراح

فلما غلب السكر على ابى نواس ولم يعرف له يدا من راس مال على الغلمان بالبوس والعناق والتفاف الساق على الساق ولم يبال باثم ولا عار وانشد هذه الاشعار

ما استكمل اللذات الا فتى * يشرب والملاح ندماه

هذا يغنيه وهذا اذا * انعشه بالكاس حياه

وكلما احتاج الى قبلة * من واحد ارشفه فاه

سقيا لهم قد طاب يومى بهم * واعجبا ما كان احلاه

ونشربها صرفا وممزوجة * وشرطنا من نام نكناه

فبينما هم كذلك واذا بطارق يطرق الباب فاذنوا له فى الدخول فلما دخل وجدوه امير المؤمنين هارون الرشيد فقام له الجميع وقبلوا الارض بين يديه واستفاق ابو نواس من سكره لهيبة الخليفة فقال له امير المؤمنين يا ابا نواس فقال لبيك يا امير المؤمنين ايد الله قال له ما هذا الحال قال يا امير المؤمنين لا شك ان الحال يغنى عن السؤال فقال له الخليفة يا ابا نواس قد استضرت الله تعالى ووليتك قاضى المعرصين فقال ابو نواس وهل تحب لى هذه الولاية يا امير المؤمنين قال نعم فقال يا امير المؤمنين هل لك من دعوة تدعيها عندى فاغتاظ منه امير المؤمنين ثم رلى وتركهم وهو ممزوج بالغضب فلما جن الليل بات امير المؤمنين فى غيظ شديد من ابى نواس وبات ابو نواس فى اسر الليالى بما هو فيه من البسط والانشراح فلما اصبح الصباح واضاء كوكبه ولاح فض ابو نواس المجلس وصرف الغلمان ولبس لبس الموكب وخرج من بيته متوجها الى امير المؤمنين وكان من عادة امير المؤمنين انه اذا فض الديوان يدخل قاعة الجلوس ثم يحضر فيها الشعراء والندماء

وارباب الالات ويجلس كل منهم فى مرتبته لا يتعداها فاتفق انه كان فى ذلك اليوم نزل من الديوان الى القاعة واحضر ندمائه واجلسهم فى مراتبهم فلما جاء ابو نواس واراد ان يجلس فى موضعه دعا امير المؤمنين بمسرور السياف وامره ان ينزع عن ابى نواس ثيابه ويشد على ظهره برذعة حمار ويجعل فى رأسه مقودا وفى دبره طفرا ويدور به على مقاصير الجوارى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان امير المؤمنين امر مسرور السياف ان ينزع عن ابى نواس ثيابه ويشد على ظهره برذعة ويجعل فى رأسه مقودا وفى دبره طفرا ثم يدور به على مقاصير الجوارى وعلى منازل الحريم وسائر المحلات ليحضروا به وبعد ذلك يقطع رأسه ويأتيه بها فقال مسرور سمعا وطاعة واخذ يفعل ما امره به الخليفة ودار به على المقاصير وكان عددها بعدد ايام السنة وكان ابو نواس مضحكا وكل من رآه يعطيه مالا فارجع الا وجيبه ملآن مالا فبينما هو على هذه الحالة واذا بجعفر البرمكى مقبل فدخل على الخليفة وكان غايبا فى امر مهم لامير المؤمنين فرأى ابا نواس فى هذه الحالة فعرفه فقال له يا ابا نواس فقال له لبيك يا مولانا قال له اى ذنب فعلت حتى حصلت لك هذه العقوبة فقال له ابو نواس ما فعلت ذنبا الا انى هديت مولانا الخليفة بمحاسن اشعارى فهدانى بمحاسن ملبوسه فلما سمع امير المؤمنين ذلك ضحك ضحكا ناشئا عن قلب مملوء بالغيظ وعفا عنه وامر له بصرة من المال ومما يحكى ان بعض اهل البصرة اشترى جارية فاديبها واحسن ادبها وتعليمها وكان يحبها غاية المحبة وانفق جميع ماله على البسط والانشراح وهو معها ولم يبق عنده شىء وقد اصابه الفقر الشديد فقالت له الجارية يا سيدى يعنى لانك محتاج الى ثمنى وقد شققت على حالك مما ارى بك من الفقر فلو بعتنى وانفقت ثمنى لكان ذلك اصلح لك من بقائى عندك ولعل الله تعالى يوسع عليك رزقك فاجابها الى ذلك من ضيق حاله ثم اخذها ونزل بها السوق فعرضها الدلال على امير البصرة وكان اسمه عبد الله بن معمر التيمى فاعجبته فاشتراها بخمسمائة دينار ودفع ذلك المبلغ الى سيدها فلما قبضه سيدها واراد الانصراف بكت الجارية وانشدت هذين البيتين

هنيئا لك المال الذى قد حويته * ولم يبق لى غير الاسى والتفكر
اقول لنفسى وهى فى سوء كربها * اقلى فقد بان الحبيب او اكثرى

فلما سمعها سيدها صعد الزفرات وانشد هذه الابيات

اذا لم يكن للامر عندك حيلة * ولم تجدى شيأ سوى الموت فاعذرى
اروح واغدو والمؤانس ذكرهم * اناجى به قلبا شديد التفكر
عليك سلام لا زيارة بيننا * ولا وصل الا ان يشاء ابن معمر

فلما سمع عبد الله بن معمر شعرهما ورأى كآبتهما قال والله لا كنت معينا على فراقكما وقد ظهر لى انكما متحابان نخذ المال والجارية ايها الرجل بارك الله لك فيهما فان افتراق الحبيبين من بعضهما صعب عليهما فقبل الانسان يده وانصرفا ومازالا مجتمعين الى ان فرق بينهما الموت فسبحان من لا يدرك فوت

ومما يحكى انه كان فى بنى عذرة رجل ظريف وكان لا يخلو من العشق يوما واحدا فاتفق له انه احب امرأة جميلة من الحى فراسلها اياما وهى لا تزال تجفوه وتصد عنه الى ان اضرب به الغرام والوجد والهيام فمرض مرضا شديدا ولزم الوساد وجفا الرقاد وظهر للناس امره واشتهر بالعشق ذكره وادرك شهرزاد

الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الرجل لزم الوساد وجفا الرقاد وظهر للناس امره واشتهر بالعشق ذكره وازداد سقمه وعظم المه حتى كاد ان يموت ولم تزل اهله واهلها يسألونها ان تزوره وهي تأبى الى ان اشرف على الموت فاخبروها بذلك فرقت له وانعمت عليه بالزيارة فلما نظرها تحدرت عيناه بالدموع وانشد عن قلب مصدوع

يعيشك ان مرت عليك جنازتي * وقد رفعت من فوق اعناق اربع
اما تتبعين النعش حتى تسلمي * على قبر ميت في الحفيرة مودع

فلما سمعت كلامه بكت بكاء شديدا وقالت له والله ما كنت اظن انه بلغ بك الغرام الى ان يلقيك بين ايدي الحمام ولو علمت بذلك لساعدتك على حالك وتمتعت بوصالك فلما سمع كلامها صارت دموعه كالسحاب الماطر وانشد قول الشاعر

دنت حين حال الموت بيني وبينها * وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل

ثم شهق شهقة فظات فوقعت عليه تلثمه وتبكي ولم تزل تبكي حتى وقعت عنده مغشيا عليها فلما افاقت اوصت اهلها انهم يدفنوها في قبره اذا مات ثم اجرت دمع العين وانشدت هذين البيتين

كأني على ظهرها والعيش في رغد * والحي يزهو بنا والدار والوطن
ففرق الدهر والتصريف اقتنا * وصار يجمعنا في بطنها الكفن

فلما فرغت من شعرها بكت بكاء شديدا ولم تزل تبكي وتنوح حتى وقعت مغشيا عليها واستمرت في غشيتها ثلاثة ايام وماتت ودفنت في قبره وهذا من عجيب الاتفاق في المحبة ومما يحكى ان الصاحب بدر الدين وزير اليمن كان له اخ بديع الجمال وكان شديد الحرص عليه فالتمس له من يعلمه فوجد شيخا ذا هيبة ووقار وعفة وديانة فاسكنه بمنزل بجانب منزله واقام على ذلك مدة ايام وهو كل يوم يذهب من بيته الى بيت الصاحب بدر الدين ليعلم اخاه ثم ينصرف الى منزله ثم ان الشيخ تعلق قلبه بحب ذلك الشاب وقوى به غرامه وهاجت بلابله فشكا حاله يوما الى الشاب فقال له الشاب ما حيلتي وانا لا استطيع مفارقة اخي ليلا ولا نهارا فهو ملازم لي كما ترى فقال له الشيخ ان منزلي بجانب منزلكم فيمكن اذا نام اخوك ان تقوم انت تدخل الخلوة وتظهر للناس انك تنام ثم تأتي الى حائط السطح وانا اتيك من وراء الجدار فتجلس عندي لحظة ثم تعود من غير ان يشعر بك اخوك فقال الشاب سمعا وطاعة فجهز الشيخ من التحف ما يليق بمقامه هذا ما كان من امره واما ما كان من امر الشاب فانه دخل الخلوة وصبر حتى اخذ اخوه في مضجعه ومضت ساعة من الليل حتى استغرق اخوه في النوم ثم قام وتمشى الى الحائط فوجد الشيخ واقفا ينتظره فناوله يده فاخذه ودخل به المجلس وكانت تلك الليلة ليلة البدر فجلسا وتساقيا ودارت بينهما كاسات الراح فاخذ الشيخ في الغناء وقد القى البدر شعاعه عليهما فبينما هما في فرح وسرور ولذة وحبور وحظ يدهش العقل والطرف ويجل عن الوصف اذا تنبه الصاحب بدر الدين من منامه فلم يجد اخاه فقام فزعا فوجد الباب مفتوحا فطلع منه فسمع همس الكلام فصعد من الحائط الى السطح فوجد نورا ساطعا بالبيت فنظر من خلف جدار فوجدهما والكاس دائر بينهما فحس به الشيخ والكاس في يده فاطرب بالنغمات

وانشد هذه الابيات

سقاني خمرة من ريق فيه * وحيي بالعذار وما بليه
وبات معانقي خد الخد * مايج في الانام بلاشبيه
وبات البدر مطلعا علينا * سلوه لا يتم على اخيه

فكان من لطافة الصاحب بدر الدين انه لما سمع هذه الابيات قال والله لا اتم عليكما ومضى وتركهما في اتم سرور ومما يحكى ان غلاما وجارية كانا يقرأن في مكتب فتعلق الغلام بحب الجارية وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الغلام تعلق بحب الجارية واحبها حبا شديدا فلما كان في بعض الايام في ساعة غفلة الصبيان اخذ الغلام لوح الجارية وكتب فيه هذين البيتين

ماذا تقولين فيمن شفه سقم * من فرط حبك حتى صار حيرانا
يشكو الصبابة من وجد ومن الم * لا يستطيع لما في القلب كتمانا

فلما اخذت الجارية لوحها رأت هذا الشعر مكتوبا فيه فلما قرأته وفهمت معناه بكت رحمة له وكتبت تحت خط الغلام هذين البيتين

اذا رأينا محبا قد اضر به * حال الصبابة اولينا له احسانا
ويبلغ القصد منا في محبته * ولو يكون علينا كل ما كانا

فاتفق ان الفقيه دخل عليهما فوجد اللوح على حين غفلة فاخذه وقرأ ما فيه فرق لحالهما وكتب في اللوح تحت كتابتهما هذين البيتين

صلي محبك لا تخشي معاقبة * ان الحب غدا في الحب حيرانا
اما الفقيه فلا تخشي مهابته * فانه قد بلي بالعشق ازمانا

فاتفق ان سيد الجارية دخل المكتب في تلك الساعة فوجد لوح الجارية فاخذه وقرأ ما فيه من كلام الجارية وكلام الشاب وكلام الفقيه فكتب الاخر في اللوح تحت كتابة الجميع هذين البيتين

لا فرق الله طول الدهر بينكما * وظل واشيكما حيران تعبانا
اما الفقيه فلا والله ما نظرت * عيناي اعرص منه قط انسانا

ثم ان سيد الجارية ارسل خلف القاضي والشهود وكتب كتابها على الشاب في المجلس وجعل لهما وليمة واحسن اليهما احسانا عظيما ومازالا مجتمعين في هناء وسرور الى ان ادركهما هادم اللذات ومفرق الجماعات ومما يحكى ان المتلمس هرب من النعمان بن المنذر وغاب غيبة طويلة حتى ظنوا انه مات وكان له زوجة جميلة تسمى اميمة فشار عليها اهلها بالزواج فابت فالحوا عليها لكثرة خطابها وغصبوها على الزواج فاجابتهم الى ذلك وهي كارهة فزوجوها رجلا من قومها وكانت تحب زوجها المتلمس محبة عفيفة فلما كانت ليلة زفافها على ذلك الرجل الذي غصبوها على الزواج به قدم زوجها المتلمس في تلك الليلة فسمع في الحي صوت المزامر والدفوف ورأى علامات الفرح فسأل من بعض الصبيان عن هذا الفرح فقالوا له ان اميمة زوجة المتلمس زوجوها لفلان وهاهو داخل بها في هذه الليلة فلما سمع المتلمس

ذلك الكلام تحيل فى الدخول مع جملة النساء فوجدهما على منصتهما وقد تقدم اليها العريس فتنفست الصعداء وبكت وانشدت هذا البيت

ا ياليت شعرى والحوادث جمة * باى بلاد انت يامتلمس

وكان زوجها المتلمس من الشعراء المشهورين فاجابها بقوله

باقرب داريا اميمة فاعلمى * ومازلت مشتاقا اذا الركب عرسوا

فعند ذلك فطن العريس بهما فخرج من بينهما بسرعة وهو ينشد قوله

فكنت بخير ثم بت بضده * وضمكما بيت رحيب ومجلس

ثم تركهما وذهب واختلى بها زوجها المتلمس ومازالا فى اطيب عيش واصفاه وارغده واهناه الى ان فرق بينهما المميت فسبحان من تقوم بامره الارض والسموات ومما يحكى ان الخليفة هارون الرشيد كان يحب السيدة زبيدة محبة عظيمة وبنى لها مكانا للتنزه وعمل فيه بحيرة من الماء وعمل لها سياجا من الاشجار وارسل اليها الماء من كل جانب فالتفت عليها الاشجار حتى لو دخل احد يغتسل فى تلك البحيرة لم يره احد من كثرة اوراق الشجر فاتفق ان السيدة زبيدة دخلت ذلك المكان يوما واتت الى البحيرة وادركها شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان السيدة زبيدة لما دخلت ذلك المكان يوما واتت الى البحيرة وتفرجت على حسنها فاعجبها رونقها والتفاف الاشجار عليها وكان ذلك فى يوم شديد الحر فقلعت ثوبها ونزلت فى البحيرة ووقفت وكانت البحيرة لا تستر من يقف فيها فجعلت تملأ الماء بابريق من بلين وتصب الماء على بدنها فعلم الخليفة بذلك فنزل من قصره يتجسس عليها من خلف اوراق الاشجار فرأها عريانة وقد بان منها ما كان مستورا فلما احست بامير المؤمنين من خلف اوراق الاشجار وعرفت انه راها عريانة التفتت اليه ونظرته فاستحت منه ووضعت يديها على فرجها فغاض من بين يديها الفرط كبره وغلظه فولى من ساعته وهو يتعجب من ذلك وينشد هذا البيت

نظرت عينى لحينى * وذكى وجدى لبينى

ولم يدر بعد ذلك ما يقول فارسل خلف ابى نواس يحضره فلما حضر بين يديه قال له الخليفة انشد فى شعرا فى اوله نظرت عينى لحينى وذكى وجدى لبينى فقال ابو نواس سمعا وطاعة وارتجل فى اقرب اللحظات وانشد هذه الابيات

نظرت عينى لحينى * وذكى وجدى لبينى
من غزال قد سبانى * تحت ظل السدرتين
سكب الماء عليه * بابا ريق اللجين
نظرتنى ستر ته * فاض من بين اليدين
ليتنى كنت عليه * ساعة او ساعتين

فتبسم امير المؤمنين من كلامه واحسن اليه وانصرف من عنده مسرورا ومما يحكى ان امير المؤمنين الرشيد قلق ذات ليلة قلقا شديدا فقام يتمشى فى جوانب قصره فوجد جارية تقابل من السكر وكان

يهوى تلك الجارية ويحبها محبة عظيمة فلاعبها وجذبها اليه فسقط رداؤها وانحل ازارها فسألها الوصل فقالت امهلني الى ليلة غد يا امير المؤمنين فاني غير متهيئة لك لانه لم يكن لي علم بحضورك فتركها ومضى فلما اقبل النهار واشرقت من شمسه الانوار ارسل اليها غلاما يعرفها ان امير المؤمنين حاضر الى حجرتها فارسلت تقول له كلام الليل يمحوه النهار فقال الرشيد لندمائه انشدوني شعرا فيه كلام الليل يمحوه النهار فقالوا سمعا وطاعة ثم تقدم الرقاشي وانشد هذه الابيات

اما والله لو تجدين وجدي * لولى معرضا عنك القرار
وقد تركتك صبا مستهاما * فتاة لا تزور ولا تزار
اذا وعدتك صدت ثم قالت * كلام الليل يمحوه النهار

وبعد ذلك تقدم ابو مصعب وانشد هذه الابيات

متى تعصو وقلبك مستطار * ولم تهجع وقد منع القرار
اما يكفيك ان العين عبرى * وفي الاحشاء من ذكر النار
تبسم ضاحكا ذا قال عجبا * كلام الليل يمحوه النهار

ثم تقدم ابو نواس وانشد هذه الابيات

تمادى الحب وانقطع المزار * وجاهرنا فلم يغن الجهار
وليلة اقبلت في القصر سكرى * ولكن زين السكر الوقار
وقد سقط الرداء عن منكبيها * من التغميش وانحل الازار
وهز الريح اردافا ثقالا * وغصنا فيه رمان صغار
فقلت عدي محبك وعد صدق * فقالت في غد يصفو المزار
فجئت غدا وقلت الوعد قالت * كلام الليل يمحوه النهار

فامر الخليفة لكل واحد من الشعراء ببدرة من المال الا ابا نواس فانه امر بضرب عنقه وقال له انت كنت حاضرا معنا في القصر ليلا فقال والله ما تممت الا في بيتي وانما استدللت بكلامك على مضمون الشعر وقد قال الله تعالى وهو اصدق القائلين والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون فعفا عنه وامر له ببدرتين من المال ثم انصرفوا من عنده

ومما يحكى عن مصعب بن الزبير انه وجد عزة في المدينة وكانت من اعقل النساء فقال لها اني عزمت على زواج عائشة بنت طلحة وانا احب منك ان تسيري اليها متأملة لخلقها فسارت اليها ثم رجعت الى مصعب وقالت له رأيت وجها احسن من العافية لها عينان نجلاوان من تحتهما انف اقنى وخدان اسيلان وفم كفم الرمانة وعنق كابريق فضة وتحت ذلك صدر فيه نهدان كانهما رمانتان وتحت ذلك بطن اقب فيه سرة كانها حق عاج ولها عجيزة كدعص الرمل وفخذان ملفوفتان وساقان كانهما من المرمر عمودان غير اني رأيت في رجلها كبرا وانت تغيب عندها وقت الحاجة فلما وصفتها عزة بتلك الصفات تزوجها مصعب ودخل بها وادر لها شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون بعد الثلاثمائة

قالت

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عزة لما وصفت عائشة بنت طلحة بتلك الصفات تزوجها مصعب ودخل بها ثم ان عزة دعت عائشة ونساء قريش الى بيتها فغنت عزة ومصعب قائم بهذين البيتين

وثغر البنات له نكهة * لذيذ المقبل والمبتسم
وماذقته غير ظني به * وبالظن يحكم فينا الحكم

وليلة دخول مصعب بها لم ينصرف عنها الا بعد سبع مرات فلقيته مرلاة له حين اصبح فقال له قد بتك كملت في كل شئ حتى في هذا وقالت امرأة كنت عند عائشة بنت طلحة فدخل زوجها فحنت اليه فوقع عليها فشخرت ونخرت واتت من الحركات بالعجائب وبدايع الغرائب وانا اسمع فلما خرج من عندها قلت لها كيف تفعلين هذا وانا في بيتك مع شرفك ونسبك وحسبك فقالت ان المرأة تأتي لزوجها بكل ما تقدر عليه من المهيجات وغريب الحركات فما الذي تكرينه من ذلك فقلت احب ان يكون ذلك ليلا فقالت ذلك هكذا بالنهار وبالليل افعل اعظم منه لانه حين يراني تنصر لشهوته وتهيج عليه باءته فيمد يده الى فاطاوعه فيكون ماترين وبلغني ان ابا الاسود اشترى جارية حولاء مولدة فاعجب بها فذمها اهله عنده فتعجب منهم وقلب الكفين وانشد هذين البيتين

يعيبونها عندي ولا عيب عندها * سوى ان في العينين بعض المآزر
فان يك في العينين عيب فانها * مهفهفة الاعلى وزاح المآزر

ومما يحكى ان امير المؤمنين هارون الرشيد كان ليلة بين جاريتين مدنية وكوفية فجعلت الكوفية تكبس يديه والمدنية تكبس رجليه وجعلت ترفع البضاعة فقالت لها الكوفية ارالنقد انفردت دوننا برأس المال وحدك فاعطيني نصيبي منه فقالت المدنية حدثني مالك عن هشام ابن عروة عن ابيه عن النبي انه قال من احيى موانا فهو له ولعقبه فاستغفلتها الكوفية ثم دفعتها واخذته بيديها جميعا وقالت حدثنا الاعمش عن خيثمة عن عبد الله بن مسعود ان النبي قال الصيد لمن صاده لا لمن اثاره وحكي ايضا ان هارون الرشيد وقد مع ثلاث جوار مكية ومدنية وعراقية فحدث المدنية يدها الى ذكره وانه قتله فقام فوثبت المكية وجذبته اليها فقالت لها المدنية ما هذا التعدي حدثني مالك عن الزهري عن عبد الله ابن سالم عن سعيد بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احيى ارضا ميتة فهي له فقالت المكية حدثنا سفيان عن ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصيد لمن صاده لا لمن اثاره فدفعتها العراقية عنه وقالت هذا الى حتى تنقضي مخاصمتكما ومما يحكى ان رجلا كان عنده طاحون وله حمار يطحن عليه وكان له زوجة سوء وهو يحبها وهي تكرهه وكانت تحب جارا لها وهو يبغضها ويمتنع منها فرأى زوجها في النوم قائلا يقول له احفر في الموضع الفلاني من مدار الحمار بالطاحون تجد كنزا فلما انتبه من منامه حدث زوجته برؤياه وامرها بكتمان السر فاخبرت بذلك جارها وادرلت شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زوجة الطحان اخبرت جارها الذي تهواه بذلك لاجل ان تتقرب اليه فعاهدها ان يأتيها ليلا فاتاها ليلا وحفر في مدار الطاحون فوجد الكنز فاستخرجاه فقال لها الجار كيف نصنع بهذا فقالت نقسمه نصفين بالسوية ونفارق انت زوجتك وانا احتال في فراق زوجي

ثم تتزوج بى فاذا اجتمعنا جمعنا المال كله على بعضه فيصير بايدينا فقال لها جارها انا اخاف ان يطغيك الشيطان فتأخذى غيرى فان الذهب فى المنزل كالشمس فى الدنيا والرأى السديد ان يكون المال كله عندى لتحرصى انت على الخلاص من زوجك والاتيان الى فقالت له انى ايضا اخاف مثل ما تخاف انت ولا اسلم اليك نصيبى من هذا المال فانى انا التى قد دللتك عليه فلما سمع منها هذا الكلام دعاه البغى الى قتلها فقتلها والقاها فى موضع الكنز ثم ادركه النهار فعوقه عن مداراتها لحمل المال وخرج فاستيقظ الطحان من النوم فلم يجد زوجته فدخل الطاحون وعلق حماره فى الطاحون وصاح عليه فمشى ووقف فضربه الطحان ضربا شديدا وكلما ضربه يتأخر لانه قد جفل من المرأة الميتة وصار لا يمكنه التقدم كل ذلك والطحان لا يدرى ما سبب توقف الحمار فاخذ سكينا ونخسه نخسا كثيرا فلم ينتقل من موضعه فغضب منه وطعنه بها فى خاصرته فسقط الحمار ميتا فلما طلع النهار رأى الطحان الحمار ميتا ورأى زوجته ميتة ووجدها فى موضع الكنز اشتد غيظه على ذهاب الكنز وهلاك زوجته والحمار وحصل له هم عظيم فهذا كله من اظهار سره لزوجته وعدم كتمانها له ومما يحكى ان بعض المغفلين كان سائرا وبيده مقود حماره وهو يجره خلفه فنظره رجلان من الشطار فقال واحد منهما لصاحبه انا آخذ هذا الحمار من هذا الرجل فقال له كيف تأخذه فقال له اتبعنى وانا اريك فتبعه فتقدم ذلك الشاطر الى الحمار وفك منه المقود واعطاه لصاحبه وحط المقود فى رأسه ومشى خلف المغفل حتى علم ان صاحبه ذهب بالحمار ثم وقف فجره المغفل بالمقود فلم يمش فالتفت اليه فرأى المقود فى رأس رجل فقال له اى شئ انت فقال له انا حمارك ولى حديث عجيب وهو انه كان لى والدة عجوز صالحة جئت اليها فى بعض الايام وانا سكران فقالت لى يا ولدى تب الى الله تعالى من هذه المعاصى فاخذت العصا وضربتها بها فدعت على فمسخنى الله تعالى حمارا واوقعنى فى يدك فمكثت عندك هذا الزمان كله فلما كان هذا اليوم تذكرتنى امى وحنن الله قلبها على فدعت لى فاعادنى الله آدميا كما كنت فقال الرجل لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم بالله عليك يا اخى ان تجعلنى فى حل مما فعلته بك من الركوب وغيره ثم خلى سبيله ومضى ورجع صاحب الحمار الى داره وهو سكران من الهم والغم فقالت له زوجته ما الذى دهاك واين الحمار فقال لها انت ما عندك خبر بامر الحمار فانا اخبرك به ثم حكى لها الحكاية فقالت يا ويلنا من الله تعالى كيف مضى لنا هذا الزمان كله ونحن نستخدم بنى آدم ثم انها تصدقت واستغفرت وجلس الرجل فى الدار مدة وهو من غير شغل فقالت له زوجته الى متى هذا القعود فى البيت من غير شغل فامض الى السوق واشتر لنا حمارا واشتغل عليه فمضى الى السوق ووقف عند الخمر واذا هو بحماره يباع فلما عرفه تقدم اليه ووضع فمه على اذنه وقال له ويلك يا مشئوم لعلك رجعت الى السكر وضربت املك والله ما بقيت اشتريك ابدا ثم تركه وانصرف ومما يحكى ان امير المؤمنين هارون الرشيد آوى الى فراشه ذات يوم فى وقت الظهيرة فلما رفع السرير الذى ينام عليه وجد منيا طريا فى فراشه فهاله ذلك وانحرف مزاجه انحرافا شديدا وحصل له غم زائد فدعا السيدة زبيدة فلما حضرت بين يديه قال لها ما هذا الملقى على الفراش فنظرت اليه ثم قالت له هذا منى يا امير المؤمنين فقال لها اصدقينى عن سبب هذا المنى والا بطشت بك فى هذا الوقت فقالت له يا امير المؤمنين والله لا اعلم لذلك سببا وانى بريئة مما توهمته فى فطلب القاضى ابا يوسف وذكر له القصة واراه المنى فرفع القاضى ابو يوسف رأسه الى السقف فرأى فيه فرجة فقال يا امير المؤمنين ان للخفاش منيا كمنى الرجال وهذا منى خفاش

وطلب رمحا فاخذه بيده وطعن به فى الفرجة فوقع الخفاش فاندفع الوهم عن هارون الرشيد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان القاضى ابا يوسف لما اخذ الرمح بيده وطعن به فى الفرجة وقع الخفاش فاندفع الوهم عن هارون الرشيد وظهرت برأة زبيدة ثم انها تفوهت بلسانها فرحا ببرأتها واقرت لابى يوسف بجائزة وافرة وكان عندها فاكهة عظيمة فى غير اوانها وتعلم بفاكهة اخرى فى غير اوانها ايضا فى البستان فقالت له يا امام الدين اى الفاكهتين احب اليك الفاكهة الحاضرة او الغائبة فقال مذهبنا لا يحكم على غائب فاذا حضر يحكم عليه فاحضرت له الفاكهتين فاكل من هذه ومن هذه فقالت ما الفرق بينهما فقال كلما اردت ان اشكر احداهما قامت على الاخرى بحجتها فلما سمع الرشيد كلامه ضحك واعطاه الجائزة واعطته ايضا زبيدة الجائزة التى وعدته بها وانصرف من عندهما مسرورا فانظر فضيلة هذا الامام وما حصل على يديه من برأة السيدة زبيدة واظهار السبب

ومما يحكى ان الحاكم بامر الله كان راكبا فى موكبه يوما من الايام فمر على بستان فرأى رجلا هناك وحوله عبيد وخدم فاستسقاه ماء فسقاه ثم قال لعل امير المؤمنين ان يكرمنى بنزوله عندى فى هذا البستان فنزل الملك ونزل جيشه فى ذلك البستان فاخرج الرجل المذكور مائة بساط ومائة نطع ومائة وسادة ومائة طبق من الفاكهة ومائة جام ملآن حلوى ومائة زبدية ملآى بالشربات السكرية فاندهش عقل الحاكم بامر الله من ذلك وقال له ايها الرجل ان خبرك عجيب فهل عملت بجميعنا فاعددت لنا هذا قال لا والله يا امير المؤمنين ما عملت بجميعكم وانما انا تاجر من جملة رعيتك ولكن لى مائة محظية فلما اكرمنى امير المؤمنين بنزوله عندى ارسلت الى كل واحدة منهن ان ترسل لى الغداء البستان فارسلت كل واحدة منهن شيأ من فراشها وزائدا كلها وشربها فان كل واحدة منهن ترسل لى فى كل يوم طبق طعام وطبق مبردات وطبق فاكهة وجاما ممتلئا حلوى وزبدية شراب وهذا غدائى فى كل يوم لم ازد لك فيه شيأ فسجد امير المؤمنين الحاكم بامر الله شكرا لله تعالى وقال الحمد لله الذى جعل فى رعايانا من وسع الله عليه حتى يطعم الخليفة وعسكره من غير استعداد لهم بل من فاضل طعامه ثم امر له بما فى بيت المال من الدراهم المضروبة فى تلك السنة فكانت ثلاثة الاف الف وسبعمائة الف ولم يركب حتى احضرها واعطاها لذلك الرجل وقال له استعن بها على حالك فان مروتك اكبر من ذلك ثم ركب الملك وانصرف

ومما يحكى ان الملك العادل كسرى انوشيروان ركب يوما الى الصيد فانفرد عن عسكره خلف ظبى فبينما هو ساع خلف الظبى اذ رأى ضيعة قريبة منه وكان قد عطش عطشا شديدا فتوجه الى تلك الضيعة وقصد باب دار قوم فى طريقه فطلب ماء ليشرب فخرجت له صبية فابصرته ثم عادت الى البيت وعصرت له عودا واحدا من قصب السكر ومزجت ما عصرته منه بالماء ووضعته فى قدح ووضعت عليه شيأ من الطيب يشبه التراب ثم سلمته الى انوشيروان فنظر فى القدح فرأى فيه شيأ يشبه التراب فجعل يشرب منه قليلا حتى انتهى الى آخره ثم قال للصبية اتيتها الصبية نعم الماء ما احلاه لولا ذلك القذى الذى فيه فانه كدره فقالت الصبية ايها الضيف انا عمدا القيت فيه ذلك القذى الذى كدره فقال الملك ولم فعلت ذلك فقالت لانى ارانى شديد العطش وخفت ان تشربه نهلة واحدة فيضرك فلو لم يكن فيه قذى لكنت شربته

بسرعة نهلة واحدة وكان يضرك شربه على هذه الطريقة فتعجب الملك العادل انوشيروان من كلامها وذكاء عقلها وعلم ان ما قالته ناشئ عن ذكاء وفطنة وجودة عقل فقال لها من كم عود عصرت ذلك الماء فقالت من عود واحد فتعجب انوشيروان وطلب جريدة الخراج الذى يحصل من تلك القرية فرأى خراجها قليلا فاضمر فى نفسه انه اذا عاد الى محله يزيد فى خراج تلك القرية وقال قرية يكون فى عود واحد منها هذا الماء كيف يكون خراجها هذا القدر القليل ثم انه انصرف عن تلك القرية الى الصيد وفى آخر النهار رجع اليها واجتاز على ذلك الباب منفردا وطلب الماء ليشرب فخرجت له تلك الصبية بعينها فرأته فعرفته ثم عادت لتخرج له الماء فابطأت عليه فاستعجلها آنوشيروان وقال لاى شئ ابطأت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك آنوشيروان لما استعجل الصبية قال لها لاى شئ ابطأت فقالت له لانه لم يخرج من عود واحد قدر حاجتك فعصرت ثلاثة اعواد ولم يخرج منها مثل ما كان يخرج من عود واحد فقال الملك انوشيروان ما سبب ذلك فقالت سببه ان نية السلطان قد تغيرت فقال لها من اين جاءك هذا فقالت سمعنا من العقلاء انه اذا تغيرت نية السلطان على قوم زالت بركتهم وقلت خيراتهم فضحك آنوشيروان وازال من نفسه ما كان اضمره عليه وتزوج بتلك الصبية حالا حيث اعجبه فرط ذكائها وفطنتها وحسن كلامها ومما يحكى انه كان بمدينة بخارى رجل سقاء يحمل الماء الى دار رجل صائغ ومضى له على تلك الحالة ثلاثون سنة وكان لذلك الصائغ زوجة فى غاية الحسن والجمال والبهاء والكمال موصوفة بالديانة والحفظ والصيانة فجاء السقاء على عادته يوما وصب الماء فى الجباب وكانت المرأة قائمة فى وسط الدار فدنا منها السقاء واخذ يدها وفركها وعصرها ثم مضى وتركها فلما جاء زوجها من السوق قالت انى اريد ان تعرفنى اى شئ صنعت هذا اليوم فى السوق مما يغضب الله تعالى فقال الرجل ما صنعت شيأ يغضب الله تعالى فقالت المرأة بلى والله انك فعلت شيأ يغضب الله تعالى وان لم تحدثنى بما صنعت وتصدقنى فى حديثك لا اقعد فى بيتك ولا ترانى ولا ارالك فقال اخبرك بما فعلته فى يومى هذا على وجه الصدق اتفق اننى جالس فى الدكان على عادتى اذ جاءتنى امرأة الى دكانى وامرتنى ان اصوغ لها سوارا وانصرفت فصغت لها سوارا من ذهب ورفعته فلما حضرت اتيتها به فاخرجت يدها ووضعت السوار فى ساعدها فتحيرت من بياض يدها وحسن زندها الذى يسبى الناظر وتذكرت قول الشاعر

وساعد تزهو بحسن اساور * كالنار تضرم فوق ماء جار
فكأنها والتبر يحتاط بها * ماء تعلق مجببا بالنار

فاخذت يدها وعصرتها ولويتها فقالت له المرأة الله اكبر لم فعلت هذا الاجرم ان ذلك الرجل السقاء الذى كان يدخل بيتنا منذ ثلاثين سنة ولم نر فيه خيانة اخذ اليوم يدى وعصرها ولواها فقال الرجل نسأل الله الامان اينها المرأة انى تائب مما كان منى فاستغفرى الله لى فقالت المرأة غفر الله لنا ولك ورزقنا حسن العاقبة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون بعد الثلاثمائة

قالت

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زوجة الصائغ قالت غفر الله لنا ولك ورزقنا حسن العاقبة فلما كان من الغد جاء الرجل السقاء والقى نفسه بين يدى المرأة وتمرغ على التراب واعتذر اليها وقال ياسيدتى اجعليني فى حل مما اغراني به الشيطان حيث اضلني واغواني فقالت له المرأة امض الى حال سبيلك فان ذلك الخطأ لم يكن منك وانما كان سببه من زوجى حيث فعل ما فعل فى الدكان فاقتص الله منه فى الدنيا وقيل ان الرجل الصائغ لما اخبرته زوجته بما فعل السقاء معها قال دقة بدقة ولو زدت لزاد السقاء فصار هذا الكلام مثلا سائرا بين الناس فينبغي للمرأة ان تكون مع زوجها ظاهرا وباطنا وتقنع منه بالقليل ان لم يقدر على الكثير وتقتدى بعائشه الصديقة وفاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنهما لتكون من حواشي السلف ومما يحكى ان خسرو وهو ملك من الملوك كان يحب السمك فكان يوما جالسا فى قاعته هو وشيرين زوجته فجاء صياد ومعه سمكة كبيرة فاهداها لخسرو فاعجبته تلك السمكة فامر له باربعة الاف درهم فقالت له شيرين بئس ما فعلت فقال ولم قالت لانك بعد هذا اذا اعطيت احدا من حشمك هذا القدر يحتقره ويقول انما اعطاني مثل القدر الذى اعطاه للصياد وان اعطيته اقل منه يقول قد احتقرني واعطاني اقل مما اعطى الصياد فقال خسرو لقد صدقت ولكن يقبح بالملوك ان يرجعوا فى هباتهم وقد فات هذا فقالت شيرين انا ادبر لك امرا فى استرجاع العطية منه فقال لها وكيف ذلك قالت له اذا اردت ذلك فادع الصياد وقل له هل هذه السمكة ذكر او انثى فان قال ذكر فقل له انما اردنا انثى وان قال انثى فقل له انما اردنا ذكرا فارسل خلف الصياد فعاد وكان الصياد صاحب ذكاء وفطنة فقال له الملك خسرو هل هذه السمكة ذكر او انثى فقبل الصياد الارض وقال هذه السمكة خنثى لا ذكر ولا انثى فضحك خسرو من كلامه وامر له باربعة الاف درهم اخرى فمضى الصياد الى الخازن دار وقبض منه ثمانية الاف درهم ووضعها فى جراب كان معه وحملها على عنقه وهم بالخروج فوقع منه درهم واحد فوضع الصياد الجراب عن كاهله وانحنى على الدرهم فاخذه والملك وشيرين ينظران اليه فقالت شيرين ايها الملك ارأيت خسة هذا الرجل وسفالته حيث سقط منه درهم لم يسهل عليه ان يتركه ليأخذه بعض غلمان الملك فلما سمع الملك كلامها اشمأز من الصياد وقال لقد صدقت ياشيرين ثم انه امر باعادة الصياد وقال له ياساقط الهمة لست بانسان كيف وضعت هذا المال عن كاهلك وانحنيت لاجل درهم وبخلت ان تتركه فى مكانه فقبل الصياد الارض وقال اطال الله بقاء الملك انى لم ارفع ذلك الدرهم عن الارض لخطره عندى وانما رفعته عن الارض لان على احد وجهيه صورة الملك وعلى وجهه الاخر اسمه فخشيت ان يضع احد رجله عليه بغير علم فيكون ذلك استخفافا باسم الملك وصورته فاكون انا المؤاخذ بهذا الذنب فتعجب الملك من قوله واستحسن ماذكره فامر له باربعة الاف درهم اخرى وامر الملك منادیا ان ينادى فى مملكته ويقول لا ينبغي لاحد ان يقتدى برأى النساء فمن اقتدى برأيهن خسر مع درهمه درهمين

ومما يحكى ان يحيى بن خالد البرمكي خرج من دار الخلافة متوجها الى داره فرأى على باب الدار رجلا فلما قرب منه نهض الرجل فاتمأ وسلم عليه وقال له ياسيدى انا محتاج الى ما فى يدك وقد جعلت الله وسيلتى اليك فامر يحيى ان يفرد له موضع فى داره وامر خازن داره ان يحمل اليه فى كل يوم الف درهم وان يكون طعامه من خاص طعامه فاستمر الرجل على ذلك الحال شهرا كاملا فلما انقضى الشهر كان قد وصل اليه ثلاثون الف درهم فخاف الرجل ان يحيى يأخذ منه الدراهم لكثرتها فانصرف خفية وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثمانية والتسعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الرجل اخذ الدراهم وانصرف خفية فاخبروا يحيى بذلك فقال والله لو اقام عندي عمره وطول دهره ما منعته صلتي ولا قطعت عنه اكرام ضيافتي وفضائل البرامكة لا تحصى ومناقبهم لا تستقصى وخصوصا يحيى بن خالد فانه جم المفاخر كما قال فيه الشاعر

سألت الندى هل انت حر فقال لا * ولكنني عبد ليحيى بن خالد

فقلت شراء قال حاشى وانما * توارثني من والد بعد والد

ومما يحكى ان جعفر بن موسى الهادي كانت له جارية عوادة اسمها البدر الكبير ولم يكن في زمانها احسن منها وجها ولا اعدل قدا ولا الطف معنى ولا اعرف بصناعة الغناء وضرب الاوتار وكانت في غاية الجمال ونهاية الظرف والكمال فسمع بخبرها محمد الامين بن زبيدة والتمس من جعفر ان يبيعها له فقال له جعفر انت تعلم انه لا يليق بمثلي بيع الجواري والمساومة على السراري ولولا انها تربية داري لارسلتها هدية اليك ولم ابخل بها عليك ثم ان محمدا الامين بن زبيدة توجه يوما لقصد الطرب الى دار جعفر فاحضر له ما يحسن حضوره بين الاحباب وامر جاريته البدر الكبير ان تغني له وتطربه فاصلحت الالات وغنت باطيب النغمات فاخذ محمد الامين بن زبيدة في الشراب والطرب وامر السقاة ان يكثر الشراب على جعفر حتى يسكروه ثم اخذ الجارية معه وانصرف الى داره ولم يمد اليها يده فلما اصبح الصباح امر باستدعاء جعفر فلما حضر قدم بين يديه الشراب وامر الجارية ان تغني له من داخل الستارة فسمع جعفر صوتها فعرفها فاغتاظ لذلك ولكن لم يظهر غيظا لشرف نفسه وعلو همته ولم يبد تغيرا في منادمته فلما انقضى مجلس الشراب امر محمد الامين بن زبيدة بعض اتباعه ان يملأ الزورق الذي ركب فيه جعفر آلية من الدراهم والدنانير واصناف الجواهر واليواقيت والثياب الفاخرة والاموال الباهرة ففعل ما امره به حتى انه وضع في الزورق الف بدرة والف درة قيمة الدرة عشرون الف درهم ولم يزل يضع فيه اصناف التحف حتى استغاث الملاحون وقالوا ما يقدر الزورق ان يحمل شيأ آخر وامر بحمله الى دار جعفر وهكذا هم الاكابر رحمهم الله ومما يحكى ان سعيد ابن سالم الباهلي قال اشتد بي الحال في زمن هارون الرشيد واجتمع علي ديون كثيرة اثقلت ظهري وعجزت عن قضائها وضاقت حيلي وبقيت متحيرا لا ادري ما اصنع حيث عسر علي اداؤها اعسارا عظيما واحتاطت بي ارباب الديون وتزاحم علي المطالبون ولازمني الغرماء فضاقت حيلتي وازدادت فكرتي فلما رأيت الامور متعسرة والاحوال متغيرة قصدت عبد الله بن مالك الخزاعي والتمست منه ان يمدني برأيه ويرشدني الى باب الفرج بحسن تدبيره فقال عبد الله ابن مالك الخزاعي لا يقدر احد على خلاصك من محنتك وهمك وضيقك وغمك غير البرامكة فقلت ومن يقدر على احتمال تكبرهم ويصبر على تجبرهم فقال تحمل ذلك لاجل اصلاح حالك وادراك شهرزاد الصباح فسكت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد الله ابن مالك الخزاعي قال لسعيد بن سالم تحمل ذلك لاجل اصلاح حالك فنهضت من عنده ومضيت الى الفضل وجعفر ولدي يحيى ابن خالد وقصصت عليهما قصتي

وابديت

وابديت لهما حالتي فقالا ساعدك الله بعونه واغناك عن خلقه بمنه واجزل لك عقديم خير وقام لك بالكفاية دون غيره انه على ما يشاء قدير وبعباده لطيف خبير فانصرفت من عندهما ورجعت الى عبد الله ابن مالك ضيق الصدر متحير الفكر منكسر القلب واعدت عليه ما قالاه فقال ينبغي ان تقيم اليوم عندنا لننظر ما يقدره الله تعالى فجلست عنده ساعة واذا بغلامي قد اقبل وقال يا سيدي ان ببابنا بغالا كثيرة باحمالها ومعها رجل يقول انا وكيل الفضل بن يحيى وجعفر بن يحيى فقال عبد الله بن مالك ارجو ان يكون الفرج قد اقبل عليك فقم وانظر ما الشأن فنهضت من عنده واسرعت عدوا الى بيتي فرأيت ببابي رجلا معه رقعة مكتوب فيها انك لما كنت عندنا وسمعنا كلامك توجهنا بعد خروجك الى الخليفة وعرفناه انه اقضى بك الحال الى ذل السؤال فامرنا ان نحمل اليك من بيت المال الف الف درهم فقلنا له هذه الدراهم يصرفها الى غرمائه ويؤدي بها دينه ومن اين يقيم وجه نفقاته فامر لك بثلاثمائة الف درهم اخرى وقد حمل اليك كل واحد منا من خالص ماله الف الف درهم فصارت الجملة ثلاثة الاف الف وثلاثمائة الف درهم تصلح بها احوالك وامورك فانظر الى هذا الكرم من هؤلاء الكرام رحمهم الله تعالى

ومما يحكى ان امرأة فعلت مع زوجها مكيدة وهي ان زوجها اتى لها بسمكة يوم الجمعة وامرها بطبخها واحضارها عقب صلاة الجمعة وانصرف الى اشغاله فجاءها صديقها وطلبها لحضور عرس عنده فامتثلت ووضعت السمكة في زير عندها وذهبت معه وقعدت غائبة عن بيتها الى الجمعة الثانية وزوجها يفتش في البيوت ويسأل عنها فلم يخبره احد بخبرها ثم حضرت يوم الجمعة الثانية واخرجت له السمكة بالحياة وجمعت عليه الناس واخبرتهم بالقصة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان المرأة لما جاءت لزوجها في الجمعة الثانية اخرجت السمكة من الزير حية وجمعت عليه الناس فاخبرهم بالقصة فكذبوه وقالوا له لا يمكن ان السمكة تقعد بالحياة هذه المدة واثبتوا جنونه وسجنوه وصاروا يضحكون عليه فاوضرد مع العين وانشد هذين البيتين

بجوز تولت في القبايح منصبا * على وجهها للفاحشات شهود
اذا طهرت قادت وان طهرت زنت * مدى الدهر تزني تارة وتقود

ومما يحكى انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان امرأة صالحة في بني اسرائيل وكانت تلك المرأة دينة عابدة تخرج كل يوم الى المصلى وكان بجانب تلك المصلى بستان فاذا خرجت الى المصلى تدخل ذلك البستان وتتوضأ منه وكان في البستان شيخان يحرسانه فتعلق الشيخان بتلك المرأة وراوداها عن نفسها فابت فقالا لها ان لم تمكنينا من نفسك لنشهدن عليك بالزنا فقالت لهما الجارية الله يكفيني شركما ففتحا باب البستان وصاحا فاقبل عليهما الناس من كل مكان وقالوا ما خبركما فقالا انا وجدنا هذه الجارية مع شاب يفجر بها وانفلت الشاب من ايدينا وكان الناس في ذلك الوقت ينادون بفضيحة الزاني ثلاثة ايام ثم يرجمونه فنادوا عليها ثلاثة ايام من اجل الفضيحة وكان الشيخان في كل يوم يدنوان منها ويضعان ايديهما على رأسها ويقولان لها الحمد لله الذي انزل بك نقمته فلما اراد وا رجمها تبعهم دانيال وهو ابن اثني عشر سنة وهذا اول معجزة له على نبينا وعليه الصلاة والسلام ولم يزل تابعا لهم حتى لحقهم وقال لا تعجلوا عليها بالرجم حتى اقضي بينهم فوضعوا له كرسيا ثم جلس وفرق بين الشيخين وهو اول

من فرق بين الشهود فقال لاحدهما مارأيت فذكر له ماجرى فقال له حصل ذلك فى اى مكان فى البستان فقال فى الجانب الشرقى تحت شجرة الكمثرى ثم سأل الثانى على مارأى فاخبره بما جرى فقال له فى اى مكان فى البستان فقال فى الجانب الغربى تحت شجرة التفاح كل هذا والجارية واقفة رافعة رأسها ويديها الى السماء وهى تدعو الله بالخلاص فانزل الله تعالى صاعقة من العذاب فاحرقت الشيخين واظهر الله تعالى براءة الجارية وهذا اول ماجرى من المعجزات لنبى الله دانيال عليه السلام

ومما يحكى ان امير المؤمنين هارون الرشيد خرج يوما من الايام هو وابو يعقوب النديم وجعفر البرمكى وابو نواس وساروا فى الصحراء فرأوا شيخا متكئا على حماره فقال هارون الرشيد لجعفر اسأل هذا الشيخ من اين هو فقال له جعفر من اين جئت قال من البصرة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان جعفر البرمكى لما سأل الرجل وقال له من اين جئت قال من البصرة فقال له جعفر والى اين سيرك قال الى بغداد قال له وما تصنع فيها قال التمس دواء لعينى فقال هارون الرشيد يا جعفر مازحه فقال اذا مازحته اسمع منه ما اكره فقال بحق على ان تمازحه فقال جعفر للشيخ ان وصفت لك دواء ينفعك ما الذى تكافئنى به فقال له الله تعالى يكافئك عنى بما هو خير لك من مكافئتى فقال انصت الى حتى اصف لك هذا الدواء الذى لا اصفه لاحد غيرك فقال له وما هو قال له جعفر خذ لك ثلاث اواق من هبوب الريح وثلاث اواق من شعاع الشمس وثلاث اواق من زهر القمر وثلاث اواق من نور السراج واجمع الجميع وضعها فى الريح ثلاثة اشهر ثم بعد ذلك ضعها فى هون بلاقعر ودقها ثلاثة اشهر فاذا دققتها فضعها فى جفنة مشقوقة وضع الجفنة فى الريح ثلاثة اشهر ثم استعمل هذا الدواء فى كل يوم ثلاثة دراهم عند النوم واستمر على ذلك ثلاثة اشهر فانك تعافى ان شاء الله تعالى فلما سمع الشيخ كلام جعفر انسطح على حماره وضرط ضرطة منكرة وقال خذ هذه الضرطة مكافاة لك على وصفك هذا الدواء فاذا استعملته ورزقنى الله العافية اعطيتك جارية تخدمك فى حياتك خدمة يقطع الله بها اجلك فاذا مت وعجل الله بروحك الى النار سخمت وجهك بخراها من حزنها عليك وتندب وتلطم وتنوح وتقول فى نياحتها يا ساقط الذقن ما اسقع ذقنك فضحك هارون الرشيد حتى استلقى على قفاه وامر لذلك الرجل بثلاثة الاف درهم وحكى الشريف حسين بن ريان ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب كان جالسا فى بعض الايام للقضاء بين الناس والحكم بين الرعايا وعنده اكابر اصحابه من اهل الرأى والاصابة فبينما هو جالس اذا قبل عليه شاب من احسن الشباب نظيف الثياب وقد تعلق به شابان من احسن الشباب وقد جذبه الشابان من طوقه واوقفاه بين يدى امير المؤمنين عمر بن الخطاب فنظر امير المؤمنين اليهما واليه فامرهما بالكف عنه وادناه منه وقال للشابين ما قصتكما معه فقالا يا امير المؤمنين نحن اخوان شقيقان وباتباع الحق حقيقان كان لنا اب شيخ كبير حسن التدبير معظم فى القبائل منزه عن الرذائل معروف بالفضائل ربانا صغارا واولانا منا كبارا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والتسعون بعد الثلاثمائة

قالت

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشابين قالا لامير المؤمنين عمر بن الخطاب ان ابانا كان معظما فى القبائل منزها عن الرذائل معروفا بالفضائل ربانا صغارا وانمانا كبارا جم المناقب والمفاخر حقيقا بقول الشاعر

قالوا ابوالصقر من شيبان قلت لهم ✻ كلا لعمرى ولكن منه شيبان
فكم اب قد علا بابن ذرى شرف ✻ كما علت برسول الله عدنان

فخرج يوما الى حديقة له ليتنزه فى اشجارها ويقتطف يانع اثمارها فقتله هذا الشاب وعدل عن طريق الرشاد ونسألك القصاص بما جناه والحكم فيه بما امر الله فنظر عمر الى الشاب نظرة مرهبة وقال له قد سمعت من هذين الغلامين الخطاب فما تقول انت فى الجواب وكان ذلك الغلام ثابت الجنان جرى اللسان قد خلع ثياب الهلع ونزع لباس الجزع فتبسم وتكلم بافصح لسان وحيى امير المؤمنين بكلمات حسان ثم قال والله يا امير المؤمنين لقد وعيت ما ادعياه وصدقا فيما قالاه حيث اخبرا بما جرى وكان امر الله قدرا مقدورا ولكن سأذكر قصتى بين يديك والامر فيها اليك اعلم يا امير المؤمنين انى من صميم العرب العرباء الذين هم اشرف من تحت الخربا نشأت فى منازل البادية فاصابت قومى سود السنين العادية فاقبلت الى ظاهر هذه البلد بالاهل والمال والولد وسلكت بعض طرايقها الى المسير بين حدائقها بنياق كريمات لدى عزيزات على بينهن فحل كريم الاصل كثير النسل مليح الشكل به يكثر منهن النتاج ويمشى بينهن كانه ملك عليه تاج فمددت بعض النياق الى حديقة ابيهم وقد ظهر من الحائط شجرها فتناولته بمشفرها فطردتها عن تلك الحديقة واذا بشيخ من خلال الحائط قد ظهر وزفير غيظه يرمى بالشرر وفى يده اليمنى حجر وهو يتهادى كالليث اذا حضر فضرب الفحل بذلك الحجر فقتله لانه اصاب مقتله فلما رأيت الفحل قد سقط بجانبى آنست ان قلبى قد توقدت فيه جمرات الغضب فتناولت ذلك الحجر بعينه وضربته به فكان سببا لخمينه ولقى سوء منقلبه والمرء مقتول بما قتل به وعند اصابته بالحجر صاح صيحة عظيمة وصرخ صرخة اليمة فاسرعت بالسير من مكانى فاسرع هذان الشابان وامسكانى واليك احضرانى وبين يديك اوقفانى فقال عمر رضى الله تعالى عنه قد اعترفت بما اقترفت وتعذر الخلاص ووجب القصاص ولات حين مناص فقال الشاب سمعا وطاعة لما حكم به الامام ورضيت بما اقتضته شريعة الاسلام ولكن لى اخ صغير كان له اب كبير خصه قبل وفاته بمال جزيل وذهب جليل وسلم امره الى وشهد الله على وقال هذا الاخ عندك فاحفظه جهدك فاخذت ذلك المال منه ودفنته ولا احد يعلم به الا انا فان حكمت الآن بقتلى ذهب المال وكنت انت السبب فى ذهابه وطالبك الصغير بحقه يوم يقضى الله بين خلقه وان انت انظرتنى ثلاثة ايام اتيت من يتولى امر الغلام وعدت وافيا بالذمام ولى من يضمننى على هذا الكلام فاطرق امير المؤمنين رأسه ثم نظر الى من حضر وقال من يقوم لى بضمانه والعود الى مكانه فنظر الغلام الى وجوه من فى المجلس واشار الى ابى ذر دون الحاضرين وقال هذا يكفلنى ويضمننى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب لما اشار الى ابى ذر وقال هذا يكفلنى ويضمننى قال عمر رضى الله تعالى عنه يا اباذر اسمعت هذا الكلام وتضمن لى حضور هذا الغلام قال نعم يا امير المؤمنين اضمنه

الى ثلاثة ايام فرضى بذلك واذن للغلام فى الانصراف فلما انقضت مدة الامهال وكاد وقتها ان يزول اوزال ولم يحضر الشاب الى مجلس عمر والصحابة حوله كالنجوم حول القمر وابوذر قد حضر والخصمان ينتظران فقالا اين الغريم يا اباذر كيف رجوع من قرواكن نحن لانبرح من مكاننا حتى تأتينا به للاخذ بثارنا فقال ابوذر وحق الملك العلام ان انقضت الثلاثة ايام ولم يحضر الغلام وفيت بالضمان وسلمت نفسى للامام فقال عمر رضى الله عنه والله ان تأخر الغلام لاقضين فى ابى ذر ما اقتضته شريعة الاسلام فوجلت عبرات الحاضرين وارتفعت زفرات الناظرين وعظم الضجيج فعرض اكابر الصحابة على الشابين اخذ الدية واغتنام الاثنية فابيا ولم يقبلا شيأ الا الاخذ بالثار فبينما الناس يموجون ويضجون تأسفا على ابى ذر اذا قبل الغلام ووقف بين يدى الامام وسلم عليه باحسن سلام ووجهه مشرق يتهلل وبالعرق يتكلل وقال له قد اسلمت الصبى الى اخواله وعرفتهم بجميع احواله واطلعتهم على ما كان من ماله ثم اقتحمت هاجرة الحر ووافيت وفاء الحر فتعجب الناس من صدقه ووفائه واقدامه على الموت واجترائه فقال له بعضهم ما اكرمك من غلام واوفاك بالعهد والذمام فقال الغلام اما تحققتم ان الموت اذ حضر لا يخبو منه احد وانما وفيت كى لا يقال ذهب الوفاء من الناس فقال ابوذر والله يا امير المؤمنين لقد ضمنت هذا الغلام ولم اعرفه من اى قوم ولا رأيته قبل ذلك اليوم ولكن لما اعرض عمن حضر وقصدنى وقال هذا يضمننى ويكفلنى لم استحسن رده وابت المروءة ان تخيب قصده اذ ليس فى اجابة القصد من بأس كى لا يقال ذهب الفضل من الناس فعند ذلك قال الشباب يا امير المؤمنين قد وهبنا لهذا الشاب دم ابينا حيث بدل الوحشة بالايناس كى لا يقال ذهب المعروف من الناس واستبشر الامام بالعفو عن الغلام وصدقه ووفائه بالذمام واستكبر مروءة ابى ذر دون جلسائه واستحسن اعتماد الشابين فى اصطناع المعروف واثنى عليهما ثناء الشاكر وتمثل بقول الشاعر

من يصنع الخير بين الخلق يجزبه * لا يذهب الخير بين الله والناس

ثم عرض عليهما ان يصرف اليهما دية ابيهما من بيت المال فقالا انما عفونا عنه ابتغاء وجه الله الكريم المتعال ومن نيته كذا لا يتبع احسانه منا ولا اذى ومما يحكى ان المأمون بن هارون الرشيد لما دخل مصر المحروسة اراد هدم الاهرام ليأخذ ما فيها فلما حاول هدمها لم يقدر على ذلك مع انه اجتهد فى هدمها وانفق على ذلك اموالا وادركه شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان المأمون اجتهد فى هدم الاهرام وانفق على ذلك اموالا عظيمة ولم يقدر على هدمها وانما فتح فى احدها طاقة صغيرة ويقال ان المأمون وجد فى الطاقة التى فتحها من الاموال قدر الذى انفقه على فتحها لا يزيد ولا ينقص فتعجب المأمون من ذلك ثم اخذ ما هنالك ورجع عن تلك النية والاهرام ثلاثة وهى من عجائب الدنيا لم يكن على وجه الارض مثلها فى احكامها واتقانها وعلوها وذلك انها مبنية بالصخور العظام وكان البناؤن الذين بنوها ينقبون الحجر من طرفيه ويجعلون فيه القضبان الحديد قائمة وينقبون الحجر الثانى وينزلونه فيه ويذيبون الرصاص ويجعلونه فوق القضيب بترتيب الهندسة حتى اذا كمل بناؤها وصار ارتفاع كل هرم فى الهواء مائة ذراع بالذراع المعهود فى ذلك الوقت وهى مربعة الاطراف من كل جانب منحدرة الاعالى من اواخرها مقدار الواحد منها ثلاثمائة ذراع

وتقول القدماء ان فى داخل الهرم الغربى ثلاثين مخزنا من حجارة الصوان المملوة بالجواهر النفيسة والاموال الجمة والتماثيل الغريبة والآلات والاسلحة الفاخرة التى دهنت بالدهان المدبر بالحكمة فلا تصدأ الى يوم القيامة وفيها الزجاج الذى ينطوى ولا ينكسر واصناف العقاقير المركبة والمياه المدبرة وفى الهرم الثانى اخبار الكهنة مكتوبة فى الواح من الصوان لكل كاهن لوح من الواح الحكمة ومرسوم فى ذلك اللوح بجانب صناعته واعماله وفى الحيطان صور اشخاص كالاصنام تعمل بايديها جميع الصناعات وهى قاعدة على المراتب ولكل هرم منها خازن حارس عليها وتلك الحراس يحفظونها على ممر الزمان من طوارق الحدثان وعجائب الاهرام حيرت ارباب البصائر والابصار وقد كثرت فى وصفها الاشعار ولم تحصل منه على طائل فمن ذلك قول القائل

هم الملوك اذا اراد واذكرها * من بعدهم فبألسن البنيان
اوما ترى الهرمين قد بقيا ولم * يتغيرا بطوارق الحدثان

وقول الاخر

انظر الى الهرمين واسمع منهما * ما يرويان عن الزمان الغابر
لو ينطقان لاخبرانا بالذى * فعل الزمان باول وباخر

وقول الاخر

خليلى هل تحت السماء بنية * تضارع فى اتقانها هرمى مصر
بناء يخاف الدهر منه وكلما * على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر
تنزه طرفى بديع بنائها * ولم يتنزه فى المراد بها فكرى

وقول الاخر

اين الذى الهرمان من بنيانه * ما قومه ما يومه ما المصرع
تختلف الانار عن اصحابها * حينا ويدركها الممات فتصرع

ومما يحكى ان رجلا كان اصاب تابا الى الله تعالى وحسنت توبته وفتح له دكانا يبيع فيها القماش ولم يزل على ذلك مدة من الزمان فاتفق فى بعض الايام انه اغلق دكانه ومضى الى بيته فجاء اللصوص المحتالين وتزايروا صاحب الدكان واخرج من كمه مفاتيح وكان ذلك ليلا وقال لحارس السوق اشعل لى هذه الشمعة فاخذها منه الحارس ومضى ليشعلها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الحارس اخذ منه الشمعة ومضى ليشعلها ففتح اللص الدكان واشعل شمعة اخرى كانت معه فلما جاء الحارس وجده جالسا فى الدكان ودفتر الحساب فى يده وهو ينظر اليه ويحسب باصابعه ولم يزل على تلك الحالة الى وقت السحر ثم قال للحارس انثنى بجمال وجله ليحمل لى بعض البضائع فاتاه بجمال وجله فتناول اربع رزم من القماش وناولها له فحملها على الجمل ثم اغلق الدكان واعطى الحارس درهمين ومضى خلف الجمال والحارس معتقد انه صاحب الدكان فلما اصبح الصباح واتضح النهار جاء صاحب الدكان فجعل الحارس يدعوله لاجل الدرهمين فانكر صاحب الدكان مقالته وتعجب منها فلما فتح الدكان وجد سيلان الشمع ودفتر الحساب مطروحا وتأمل فى الدكان

فوجد اربع رزم من القماش مفقودة فقال للحارس ما الخبر فحكى له ما صنع بالليل ومقاولة الجمال على الرزم فقال له ائتنى بالجمال الذى حمل القماش معك سحرا فقال سمعا وطاعة ثم اتاه به فقال له الى اين حملت القماش سحرا فقال له الى الموردة الفلانية ووضعته فى مركب فلان فقال له سر معى اليها فمضى معه اليها وقال له هذه المركب وهذا صاحبها فقال للمراكبى الى اين حملت التاجر والقماش فقال له الى المكان الفلانى واتانى بجمال فحمل القماش على جمله ومضى ولم اعرف الى اين ذهب فقال له ائتنى بالجمال الذى حمل من عندك القماش فاتاه به فقال له الى اين حملت القماش من المركب مع التاجر فقال الى موضع كذا فقال له سر معى اليه وارنى اياه فمضى معه الجمال الى مكان بعيد عن الشاطئ وعرفه الخان الذى وضع فيه القماش واراه حاصل التاجر فتقدم الى الحاصل وفتحه فوجد الاربع رزم القماش بحالها لم تنفك فناولها الى الجمال وكان اللص قد وضع كساءه على القماش فناوله صاحب القماش الى الجمال ايضا فحمل الجميع على الجمل ثم اغلق الحاصل وذهب مع الجمال واذا باللص واجهه فتبعه الى ان نزل القماش فى المركب فقال له يا اخى انت فى وداعة الله وقد اخذت قماشك وما ضاع منه شئ فاعطنى الكساء فضحك منه التاجر واعطاه الكساء ولم يشوش عليه وانصرف كل منهما الى حال سبيله ومما يحكى ان امير المؤمنين هارون الرشيد قلق ليلة من الليالى قلقا شديدا فقال لوزيره جعفر بن يحيى البرمكى انى ارقت فى هذه الليلة وضاق صدرى ولم اعرف كيف اصنع وكان خادمه مسرور واقفا امامه فضحك فقال له الخليفة مم تضحك اتضحك استخفافا بى ام جنونا منك فقال لا والله يا امير المؤمنين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان هارون الرشيد قال لمسرور السياف اتضحك استخفافا بى ام جنونا منك فقال لا والله يا امير المؤمنين وحق قرابتك من سيد المرسلين ما فعلت ذلك باختيارى ولكننى خرجت بالامس اتمشى بظاهر القصر حتى وصلت الى شاطئ الدجلة فرأيت الناس مجتمعين فوقفت فرأيت رجلا يضحك الناس يقال له ابن القارىء فتذكرت الان كلامه فغلب على الضحك واطلب منك العفو يا امير المؤمنين فقال الخليفة على به فى هذه الساعة فخرج مسرور مسرعا الى ان وصل الى ابن القارىء وقال له اجب امير المؤمنين فقال سمعا وطاعة فقال له مسرور ولكن بشرط انك اذا دخلت عليه وانعم عليك بشئ يكون لك فيه الربع والبقية لى فقال له ابن القارىء بل لك النصف ولى النصف فقال له مسرور لا فقال له ابن القارىء لك الثلث ولى الثلثان فاجابه مسرور الى ذلك بعد جهد جهيد ثم قام معه فلما دخل على امير المؤمنين حياه بتحية الخلافة ووقف بين يديه فقال له امير المؤمنين اذا انت لم تضحكنى ضربتك بهذا الجراب ثلاث مرات فقال ابن القارىء فى نفسه وما عسى ان تكون ثلاث ضربات بهذا الجراب مع ان ضرب السياط لا يضرنى وظن ان الجراب فارغ ثم تكلم بكلام يضحك المغتاظ واتى بانواع السخرية فلم يضحك امير المؤمنين ولم يتبسم فتعجب ابن القارىء منه وضجر وخاف فقال له امير المؤمنين الان استحقيت الضرب ثم اخذ الجراب وضربه مرة وكان فيه اربع زلطات كل زلطة زنتها رطلان فوقعت الضربة فى رقبته فصرخ صرخة عظيمة وتذكر الشرط الذى بينه وبين مسرور فقال العفو يا امير المؤمنين اسمع منى كلمتين قال له قل ما بدا لك فقال ان مسرورا شرط على شرطا واتفقت معه عليه وهو ان ما حصل لى

من انعام امير المؤمنين يكون لى منه الثلث وله الثلثان وما اجابنى الى ذلك الا بعد جهد عظيم فالان لم تبق على الا بالضرب وهذه الضربة نصيبى والضربتان الباقيتان نصيبه فانا قد اخذت نصيبى وها هو واقف يا امير المؤمنين فادفع له نصيبه فلما سمع امير المؤمنين كلامه ضحك حتى استلقى على قفاه ودعا بمسرور فضربه ضربة فصاح وقال يا امير المؤمنين يكفينى الثلث واعطه الثلثين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الاولى بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان مسرورا قال يا امير المؤمنين يكفينى الثلث واعطه الثلثين فضحك عليهما وامر لكل واحد منهما بالف دينار وانصرفا مسرورين بما انعم عليهما الخليفة ومما يحكى ان امير المؤمنين هارون الرشيد كان له ولد قد بلغ من العمر ستة عشر عاما وكان معرضا عن الدنيا وسالكا طريقة الزهاد والعباد فكان يخرج الى المقابر ويقول قد كنتم تملكون الدنيا فاذا ذلك بمنجيكم وقد صرتم الى قبوركم فيا ليت شعرى ما قلتم وما قيل لكم ويبكى بكاء الخائف الواجل وينشد قول القائل

تروعنى الجنائز كل وقت * ويحزننى بكاء النائحات

فاتفق ان اباه مرض عليه فى بعض الايام وهو فى موكبه وحوله وزراؤه وكبراء دولته واهل مملكته فرأوا ولد امير المؤمنين وعلى جسده جبة من صوف وعلى رأسه مئزر من صوف فقال بعضهم لبعض لقد فضح هذا الولد امير المؤمنين بين الملوك فلو عاتبه لرجع عما هو فيه فسمع امير المؤمنين كلامهم فكلمه فى ذلك وقال له يا بنى لقد فضحتنى بما انت عليه فنظر اليه ولده ولم يجبه ثم نظر الى طائر على شرافة من شرافات القصر فقال له ايها الطائر بحق الذى خلقك ان تسقط على يدى فانقض الطائر على يد الغلام ثم قال له ارجع موضعك فرجع الى موضعه ثم قال له اسقط على يد امير المؤمنين فابى ان يسقط على يده فقال الغلام لابيه امير المؤمنين انت الذى فضحتنى بين الاولياء بحبك الدنيا وقد عزمت على مفارقتك مفارقة لا اعود اليك بعدها الا فى الاخرة ثم انحدر الى البصرة فكان يعمل مع الفعلة فى الطين وكان لا يعمل فى كل يوم الا بدرهم ودانق فيتقوت بالدانق ويتصدق بالدرهم قال ابو عامر البصرى وكان قد وقع فى دارى حائط فخرجت الى موقف الفعلة لانظر رجلا يعمل لى فيه فوقعت عينى على شاب مليح ذى وجه صبيح فجئت اليه وسلمت عليه وقلت له يا حبيبى اتريد الخدمة فقال نعم فقلت قم معى الى بناء حائط فقال لى بشروط اشترطها عليك قلت يا حبيبى ما هى قال الاجرة درهم ودانق واذا اذن المؤذن تتركنى حتى اصلى مع الجماعة قلت نعم ثم اخذته وذهبت به الى المنزل فخدم خدمة لم ار مثلها وذكرت له الغداء فقال لا فعلمت انه صائم فلما سمع الاذان قال لى قد عملت الشرط فقلت نعم فخلع حزامه وتفرغ للوضوء فتوضأ وضوأ لم ار احسن منه ثم خرج الى الصلاة فصلى مع الجماعة ثم رجع الى خدمته فلما اذن العصر توضأ وذهب الى الصلاة ثم عاد الى الخدمة فقلت له يا حبيبى قد انتهى وقت الخدمة فان خدمة الفعلة الى العصر فقال سبحان الله انما خدمتى الى الليل ولم يزل يخدم الى الليل فاعطيته درهمين فلما رأهما قال ما هذا قلت له والله ان هذا بعض اجرتك لاجتهادك فى خدمتى فرمى بهما الى وقال لا اريد زيادة على ما كان بينى وبينك فرغبته فلم اقدر عليه فاعطيته درهما ودانقا وسار فلما اصبح الصباح بكرت الى الموقف

فلم اجده فسألت عنه فقيل لى انه لا يأتى هاهنا الا فى يوم السبت فقط فلما كان يوم السبت الثانى ذهبت الى ذلك المكان فوجدته فقلت له بسم الله تفضل الى الخدمة فقال لى على الشروط التى تعلمها قلت نعم فذهبت به الى دارى ووقفت انظره وهو لا يرانى فاخذ كفا من الطين ووضعه على الحائط فاذا الحجارة يتركب بعضها على بعض فقلت هكذا اولياء الله نخدم يومه ذلك وزاد فيه على ما تقدم فلما كان الليل دفعت له اجرته فاخذها وسار فلما جاء يوم السبت الثالث اتيت الى الموقف فلم اجده فسألت عنه فقيل لى هو مريض وراقد فى خيمة فلانة وكانت تلك المرأة عجوزا مشهورة بالصلاح ولها خيمة من قصب فى الجبانة فسرت الى الخيمة ودخلتها فاذا هو مضطجع على الارض وليس تحته شئ وقد وضع رأسه على لبنة ووجهه يتهلل نورا فسلمت عليه فرد على السلام فجلست عند رأسه ابكى على صغر سنه وغربته وتوفيقه لطاعة ربه ثم قلت له الك حاجة قال نعم قلت وما هى قال اذا كان الغد تجيء الى فى وقت الضحى فتجدنى ميتا فتغسلنى وتحفر قبرى ولا تعلم بذلك احدا وتكفننى فى هذه الجبة التى على بعد ان تفتقها تفتش جيبها وتخرج ما فيه وتحفظه عندك فاذا صليت على ووارتنى فى التراب فاذهب الى بغداد وارتقب الخليفة هارون الرشيد حتى يخرج وادفع له ما تجده فى جيبى واقرئه منى السلام ثم تشهد واثنى على ربه بابلغ الكلمات وانشد هذه الابيات

بلغ امانة من وافت منيته * الى الرشيد فان الاجر فى ذاكا
وقل غريب له شوق لرؤيتكم * على تمادى الهوى والبعد لباكا
ما صده عنك بغض لا ولا ملل * لان قربته من لثم يمناكا
وانما ابعدته عنك يا ابتى * نفس لها غفة عن نيل دنياكا

ثم ان الغلام بعد ذلك اشتغل بالاستغفار وادر لك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الغلام بعد ذلك اشتغل بالاستغفار والصلاة والسلام على سيد الابرار وتلاوة بعض الايات ثم انشد هذه الابيات

يا والدى لا تغترر بتنعم * فالعمر ينفد والنعيم يزول
واذا حملت بحال قوم ساءهم * فاعلم بانك عنهم مسؤل
واذا حملت الى القبور جنازة * فاعلم بانك بعدها محمول

قال ابو عامر البصرى فلما فرغ الغلام من وصيته وانشاده ذهبت عنه وتوجهت الى بيتى فلما اصبح الصباح ذهبت اليه من الغد وقت الضحى فوجدته قد مات رحمة الله عليه فغسلته وفتقت جبته فوجدت فى جيبها ياقوتة تساوى الاف من الدنانير فقلت فى نفسى والله ان هذا الفتى لقد زهد فى الدنيا غاية الزهد ثم بعد ان دفنته توجهت الى بغداد ووصلت الى دار الخلافة وصرت ارقب خروج الرشيد الى ان خرج فتعرضت له فى بعض الطرق ودفعت اليه الياقوتة فلما رأها عرفها وخر مغشيا عليه فقبض على الخدمة فلما افاق قال للخدمة افرجوا عنه وارسلوه برفق الى القصر ففعلوا ما امرهم به فلما دخل قصره طلبنى وادخلنى محله وقال لى ما فعل صاحب هذه الياقوتة فقلت له قد مات ووصفت له حاله فجعل يبكى ويقول انتفع الولد وخاب الوالد ثم نادى يا فلانة تخرجت امرأة فلما رأتنى ارادت ان ترجع فقال لها تعالى وما عليك منه فدخلت وسلمت

فرمى اليها الياقوتة فلما رأتها صرخت صرخة عظيمة ووقعت مغشيا عليها فلما افاقت من غشيتها قالت يا امير المؤمنين ما فعل الله بولدى فقال لى اخبرها بشأنه واخذته العبرة فاخبرتها بشأنه فجعلت تبكى وتقول بصوت ضعيف ما اشوقنى الى لقائك يا قرة عينى ليتنى كنت اسقيك اذا لم تجد ساقيا ليتنى كنت اؤانسك اذا لم تجد مؤانسا ثم سكبت العبرات وانشدت هذه الابيات

ابكى غريبا اتاه الموت منفردا * لم يلق الفاله يشكو الذى وجدا
من بعد عز وشمل كان مجتمعا * اضحى فريدا وحيدا لا يرى احدا
بين للناس ما الايام تضمره * لم يترك الموت منا واحدا ابدا
يا غائبا قد قضى ربى بغربته * وصار منى بعد القرب مبتعدا
ان اياس الموت من لقياك يا ولدى * فانا نلتقى يوم الحساب غدا

فقلت يا امير المؤمنين اهو ولدك قال نعم وقد كان قبل ولايتى هذا الامر يزور العلماء ويجالس الصالحين فلما وليت هذا الامر نفر منى وباعد نفسه عنى فقلت لامه ان هذا الولد منقطع الى الله تعالى وربما تصيبه الشدائد ويكابد بالامتحان فادفعى اليه هذه الياقوتة لتجدها وقت الاحتياج اليها فدفعتها اليه وعزمت عليه ان يمسكها فامتثل امرها واخذها منها ثم ترك الناس وانقطع عنا ولم يزل غائبا عنا حتى لقى الله عز وجل تقيا نقيا ثم قال قم فارنى قبره فخرجت معه وجعلت اسير الى ان اريته اياه فجعل يبكى وينتحب حتى وقع مغشيا عليه فلما افاق من غشيته استغفر الله وقال انا لله وانا اليه راجعون ردعاله بخير ثم سألنى الصحبة فقلت له يا امير المؤمنين ان لى فى ولدك اعظم العظات ثم انشأت هذه الابيات

انا الغريب فلا آوى الى احد * انا الغريب وان امسيت فى بلدى
انا الغريب فلا اهل ولا ولد * وليس لى احد يأوى الى احد
الى المساجد اوى بل واعمرها * فلن يفارقنى الى مدى الابد
فالحمد لله رب العالمين على * افضاله ببقاء الروح فى الجسد

ومما يحكى عن بعض الفضلاء انه قال مررت بفقيه فى كتاب وهو يقرئ الصبيان فوجدته فى هيئة حسنة وقماش مليح فاقبلت عليه فقام الى واجلسنى معه فارسته فى القرآن والنحو والشعر واللغة فاذا هو كامل فى كل ما يراد منه فقلت له قوى الله عزمك فانك عارف بكل ما يراد منك ثم عاشرته مدة وكل يوم يظهر لى فيه حسن فقلت فى نفسى ان هذا شئ عجيب من فقيه يعلم الصبيان مع ان العقلاء اتفقوا على نقص عقل معلم الصبيان ثم فارقته وكنت كل ايام قلائل انفقده وازوره فاتيت اليه فى بعض الايام على عادتى من زيارته فوجدت الكتاب مغلوتا فسألت جيرانه فقالوا انه مات عنده ميت فقلت فى نفسى وجب علينا ان نعزيه فجئت الى بابه وطرقته فخرجت لى جارية وقالت ما تريد فقلت اريد مولاك فقالت ان مولاى قاعد فى العزاء وحده فقلت لها قولى له ان صديقك فلان يطلب ان يعزيك فراحت واخبرته فقال ايها عليه يدخل فاذنت لى فى الدخول فدخلت اليه فرأيته جالسا وحده ومعصبا رأسه فقلت له عظم الله اجرك وهذا سبيل لابد لكل احد منه فعليك بالصبر ثم قلت له من الذى مات لك فقال اعز الناس على واحبهم الى فقلت لعله والدك فقال لا قلت والدتك قال لا قلت اخوك قال لا قلت احد من اقاربك قال لا قلت فما نسبته اليك قال حبيبتى فقلت فى نفسى هذا اول المباحث فى قلة عقله ثم قلت له قد يوجد غيرها مما هو احسن منها فقال انا ما رأيتها حتى اعرف ان كان غيرها احسن منها ولا فقلت فى نفسى وهذا مجنث

ثان فقلت له وكيف عشقت من لا تراها فقال اعلم انى كنت جالسا فى الطاقة واذا برجل عابر طريق يغنى بهذا البيت

يا ام عمرو جزاك الله مكرمة ❊ ردى على فؤادى اينما كانا

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الفقيه قال لما غنى الرجل المار فى الطريق بالشعر الذى سمعته منه قلت فى نفسى لولا ان ام عمرو هذه ما فى الدنيا مثلها ما كان الشعراء يتغزلون فيها فتعلقت بحبها فلما كان بعد يومين عبر ذلك الرجل وهو ينشد هذا البيت

اذ ذهب الحمار يا ام عمرو ❊ فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت انها ماتت فحزنت عليها ومضى لى ثلاثة ايام واما فى العزاء فتركته وانصرفت بعد ما تحققت قلة عقله ومما يحكى من قلة عقل معلم الصبيان انه كان رجل فقيه فى مكتب فدخل عليه رجل ظريف وجلس عنده ومارسه فرأه فقيها نحويا لغويا شاعرا اديبا فهما لطيفا فتعجب من ذلك وقال ان الذين يعلمون الصبيان فى المكاتب ليس لهم عقل كامل فلما هم بالانصراف من عنده الفقيه قال له انت ضيفى فى هذه الليلة فاجابه الى الضيافة وتوجه صحبته الى منزله فاكرمه واتى له بالطعام فاكلا وشربا ثم جلسا بعد ذلك يتحدثان الى ثلث الليل وبعد ذلك جهز له الفراش وطلع الى حريمه فاضطجع الضيف واراد النوم واذا بصراخ كثير فى حريمه فسأل ما الخبر فقالوا له ان الشيخ حصل له امر عظيم وهو فى آخر رمق فقال طلعونى له فطلعوه له ودخل عليه فرأه مغشيا عليه ودمه سائل فرش الماء على وجهه فلما افاق قال له ما هذا الحال انت طلعت من عندى فى غاية ما يكون من الحظ وانت صحيح البدن خالصا بك فقال له يا اخى انى بعد ما طلعت من عندك جلست اتذكر فى مصنوعات الله تعالى وقلت فى نفسى كل شئ خلقه الله للانسان فيه نفع لان الله سبحانه خلق اليدين للبطش والرجلين للمشى والعينين للنظر والاذنين للسماع والذكر للجماع وهلم جرا الا هذين البيضتين ليس بهما نفع فاخذت موسى كان عندى وقطعتهما فحصل لى هذا الامر فنزل من عنده وقال صدق من قال ان كل فقيه يعلم الصبيان ليس له عقل كامل ولو كان يعرف جميع العلوم وحكى ايضا ان بعض المجاورين كان لا يعرف الخط ولا القراءة وانما كان يحتال على الناس بحيل يأكل منها الخبز فخطر بباله يوما من الايام انه يفتح له مكتبا ويقرى فيه الصبيان فجمع الواحا واوراقا سكنوبة وعلقها فى مكان وكبر عمامته وجلس على باب المكتب فصار الناس يمرون عليه وينظرون الى عمامته والى الالواح والاوراق فيظنون انه فقيه جيد فيأتون اليه باولادهم فصار يقول لهذا اكتب ولهذا اقرأ فصار الاولاد يعلم بعضهم بعضا فبينما هو ذات يوم جالس فى باب المكتب على عادته واذا بامرأة مقبلة من بعيد وبيدها مكتوب فقال فى باله لا بد ان هذه المرأة تقصدنى لاقرأ لها المكتوب الذى معها فكيف يكون عملى معها واما لا اعرف قراءة الخط وهم بالنزول ليهرب منها فلحقته قبل ان ينزل وقالت له الى اين فقال لها اريد ان اصلى الظهر واعود فقالت له الظهر بعيد فاقرأ لى هذا الكتاب فاخذه منها وجعل اعلاه اسفله وصار ينظر اليه ويهز عمامته تارة ويرقص حواجبه تارة اخرى ويظهر غيظا وكان زوج المرأة غائبا والكتاب مرسل اليها من عنده فلما رأت الفقيه على تلك الحالة قالت فى نفسها لا شك أن زوجى مات وهذا الفقيه يستحى ان يقول لى

لى انه مات فقالت له يا سيدى ان كان مات قل لى فهز رأسه وسكت فقالت له المرأة هل اشق ثيابى فقال لها شقى فقالت له هل الطم وجهى فقال لها الطمى فاخذت الكتاب من يده وعادت الى منزلها وصارت تبكى هى واولادها فسمع بعض جيرانها البكاء فسألوا عن حالها فقيل لهم انه جاءها كتاب بموت زوجها فقال الرجل ان هذا كلام كذب لان زوجها ارسل لى مكتوبا بالامس يخبر فيه انه طيب بخير وعافية وانه بعد عشرة ايام يكون عندها فقام من ساعته وجاء الى المرأة وقال لها اين الكتاب الذى جاءك فجاءت به اليه فاخذه منها وقرأه واذا فيه اما بعد فانى طيب بخير وعافية وبعد عشرة ايام اكون عندكم وقد ارسلت اليكم ملحفة ومكمرة فاخذت الكتاب وعادت به الى الفقيه وقالت له ما حملك على الذى فعلته معى واخبرته بما قال جارها من سلامة زوجها وانه ارسل اليها ملحفة ومكمرة فقال لها صدقت ولكن يا حرمة اعذرينى فانى كنت فى تلك الساعة مغتاظا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان المرأة لما قالت للفقيه ما حملك على الذى فعلته معى فقال لها انى كنت فى تلك الساعة مغتاظا مشغول الخاطر ورأيت المكمرة ملفوفة فى الملحفة فظننت انه مات وكفنوه وكانت المرأة لا تعرف الحيلة فقالت له انت معذور واخذت الكتاب منه وانصرفت وحكى ان ملكا من الملوك خرج مستخفيا ليطلع على احوال رعيته فوصل الى قرية عظيمة فدخلها منفردا وقد عطش فوقف بباب دار من دور القرية وطلب ماء فخرجت اليه امرأة جميلة بكوز ماء فناولته اياه فشرب فلما نظر اليها افتتن بها فراودها عن نفسها وكانت المرأة عارفة به فدخلت به بيتها واجلسته واخرجت له كتابا وقالت انظر فى هذا الى ان اصلح لعبى وارجع اليك فجلس يطالع فى الكتاب واذا فيه الزجر عن الزنا وما اعده الله لاهله من العذاب فاقشعر جلده وتاب الى الله تعالى وصاح بالمرأة واعطاها الكتاب وذهب وكان زوج المرأة غائبا فلما حضر اخبرته بالخبر فتغير وقال فى نفسه اخاف ان يكون وقع غرض الملك فيها فلم يتجاسر على وطئها بعد ذلك ومكث على ذلك مدة فاعملت المرأة افاربها بما حصل لها مع زوجها فرفعوه الى الملك فلما مثلوا بين يديه قال اقارب المرأة اعز الله الملك ان هذا الرجل استأجر منا ارضا للزراعة فزرعها مدة ثم عطلها فلا هو يتركها حتى نؤاجرها لمن يزرعها ولا هو يزرعها وقد حصل الضرر للارض فنخاف فسادها بسبب التعطيل لان الارض اذا لم تزرع فسدت فقال الملك ما الذى يمنعك من زرع ارضك فقال اعز الله الملك انه قد بلغنى ان الاسد قد دخل الارض فهبته ولم اقدر على الدنو منها العلى انه لا طاقة لى بالاسد واخاف منه ففهم الملك القصة وقال له يا هذا ان ارضك لم يطأها الاسد وارضك طيبة الزرع فازرعها بارك الله لك فيها فان الاسد لا يعد وعليها ثم انه امر له ولزوجته بصلة حسنة وصرفهم وبما يحكى ان رجلا من اهل المغرب كان سافر الاقطار وجاب القفار والبحار فالقته المقادير فى جزيرة واقام فيها مدة طويلة ثم رجع الى بلده ومعه قصبة ريشة من جناح فرخ الرخ وهو فى البيضة ولم يخرج منها الى الوجود وكانت تلك القصبة تسع قربة ماء وقيل ان طول جناح فرخ الرخ حين خروجه من البيضة الف باع وكان الناس يتعجبون من تلك القصبة حين رؤها وكان هذا الرجل اسمه عبد الرحمن المغربى واشتهر بالصينى لكثرة اقامته هناك وكان يحدث بالعجائب منها ما ذكره من انه سافر فى بحر الصين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد الرحمن المغربي الصيني كان يحدث بالعجائب منها ما ذكره من انه سافر في بحر الصين مع جماعة فراوا جزيرة على بعد فرست بهم المركب على تلك الجزيرة فراوها عظيمة واسعة فخرج اليها اهل تلك السفينة ليأخذوا ماء وحطبا ومعهم الفوس والحبال والقرب وذلك الرجل معهم فراوا في الجزيرة قبة عظيمة بيضاء لماعة طولها ماءة ذراع فلما راوها قصدوها ودنوا منها فوجدوها بيضة الرخ فجعلوا يضربونها بالفوس والحجارة والخشب حتى انشقت عن فرخ الرخ فوجدوه كالجبل الراسخ فتنفوا ريشة من جناحه ولم يقدروا على نتفها منه الا بتعاونهم مع انه لم يتكامل خلق الريش في ذلك الفرخ ثم اخذوا ما قدروا عليه من لحم الفرخ وحملوه معهم وقطعوا اصل الريشة من حد القصبة وحملوا فلوع المركب وسافروا طول الليل الى طلوع الشمس وكانت الريح مسعفة لتلك السفينة وهي سائرة بهم فبينما هم كذلك اذا قبل الرخ كالسحابة العظيمة وفي رجليه صخرة كالجبل العظيم اكبر من السفينة فلما حاذى السفينة وهو في الجو الق الصخرة عليها وعلى من بها من الناس وكانت السفينة مسرعة في الجري فسبقت فوقعت الصخرة في البحر وكان لوقوعها هول عظيم وكتب الله لهم السلامة ونجاهم من الهلاك وطبخوا ذلك اللحم واكلوه وكان فيهم مشايخ بيض اللحى فلما اصبحوا وجدوا لحاهم قد اسودت ولم يشب بعد ذلك احد من القوم الذين اكلوا من ذلك اللحم وكانوا يقولون ان سبب عود شبابهم اليهم وامتناع المشيب عنهم ان العود الذي حركوا به القدر كان من شجرة النشاب وبعضهم يقول سبب ذلك لحم فرخ الرخ وهذا من اعجب العجب ومما يحكى ان النعمان ابن المنذر ملك العرب كان له بنت تسمى هندا وقد خرجت في يوم الفصح وهو عيد النصارى لتتقرب في البيعة البيضاء ولها من العمر احد عشر عاما وكانت اجمل نساء عصرها وزمانها وفي ذلك اليوم كان عدي بن زيد قد قدم الى الحيرة من عند كسرى بهدية الى النعمان فدخل البيعة البيضاء ليتقرب وكان مديد القامة حلو الشمائل حسن العينين نقي الخد ومعه جماعة من قومه وكان مع هند بنت النعمان جارية تسمى مارية وكانت مارية تعشق عديا ولكنها لا يمكنها الوصول اليه فلما رأته في البيعة قالت لهند انظري الى هذا الفتى فهو والله احسن من كل من ترين قالت هند ومن هو قالت عدي بن زيد قالت هند بنت النعمان اخاف ان يعرفني ان دنوت منه حتى اراه من قريب قالت مارية ومن اين يعرفك ومارآك قط فدنت منه وهو يمازح الفتيان الذين معه وقد برع عليهم بجماله وحسن كلامه وفصاحة لسانه وما عليه من الثياب الفاخرة فلما نظرت اليه افتتنت به واندهش عقلها وتغير لونها فلما عرفت مارية ميلها اليه قالت لها كلميه فكلمته وانصرفت فلما نظر اليها وسمع كلامها افتتن بها واندهش عقله وارتجف قلبه وتغير لونه حتى انكر عليه الفتيان فاسر الى بعضهم انه يتبعها ويكشف له خبرها فمضى خلفها ثم عاد اليه واخبره انها هند بنت النعمان فخرج من البيعة وهو لا يدري اين الطريق من شدة عشقه ثم انشد هذين البيتين

يا خليلي زدنا تيسيرا * ان تؤما الى البقاع مسيرا
عرجا لي على ديار لهند * ثم روحا وخبرا تخبيرا

فلما فرغ من شعره ذهب الى مكانه وبات ليلته قلقا لم يذق طعم النوم وادركه شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عديا لما فرغ من شعره ذهب الى بيته وبات ليلته قلقا لم يذق طعم النوم فلما اصبح تعرضت له مارية فلما رآها هش لها وكان قبل ذلك لا يلتفت اليها ثم قال لها ما مرادك قالت ان لي حاجة اليك قال اذكريها فوالله لا تسألني شيأ الا اعطيتك اياه فاخبرته انها تهواه وان حاجتها اليه الخلوة فسمح لها بذلك بشرط ان تحتال في هند وتجمع بينها وبينه وادخلها حانوت خمار في بعض دروب الحيرة وواقعها ثم خرجت واتت هندا فقالت لها اما تشتهين ان ترى عديا قالت وكيف لي بذلك وقد اقلقني الشوق اليه ولا يقر لي قرار من البارحة فقالت انا اعده بمكان كذا وكذا وتنظرين اليه من القصر فقالت هند افعلي ما شئت واتفقت معها على ذلك الموضع فاتى عدي فاشرفت عليه فلما رأته كادت ان تسقط من اعلاه ثم قالت يا مارية ان لم تدخليه علي في هذه الليلة هلكت ثم وقعت مغشيا عليها فحملتها وصائفها وادخلتها القصر فبادرت مارية الى النعمان واخبرته بخبرها واصدقته الحديث وذكرت له انها هامت بعدي واعلمته انه ان لم يزوجها به افتضحت وماتت من عشقه ويكون ذلك عارا عليه بين العرب وانه لا حيلة في ذلك الامر الا تزويجها به فاطرق النعمان ساعة يفكر في امرها واسترجع مرارا ثم قال ويلك وكيف الحيلة في تزويجها به وانا لا احب ان ابتدئه بذلك الكلام فقالت هو اشد عشقا منها واكثر رغبة فيها فانا احتال في ذلك من حيث لا يعلم انك عرفت امره ولا تفضح نفسك ايها الملك ثم انها ذهبت الى عدي واخبرته بالخبر وقالت له اصنع طعاما ثم ادع الملك اليه فاذا اخذ منه الشراب فاخطبها منه فانه غير رادك فقال اخشى ان يغضبه ذلك فيكون سببا للعداوة بيننا فقالت له ما جئتك الا بعد ما فرغت من الحديث معه وبعد ذلك رجعت الى النعمان وقالت له اطلب منه ان يضيفك في بيته فقال لها لا باس بذلك ثم ان النعمان بعد ذلك بثلاثة ايام سأله ان يتغدى عنده هو واصحابه فاجابه الى ذلك ثم ذهب اليه النعمان فلما اخذ منه الشراب مأخذه قام عدي فخطبها منه فاجابه وزوجه اياها وضمها اليه بعد ثلاثة ايام فمكثت عنده ثلاث سنين وهما في ارغد عيش واهناه وادر لشهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عديا مكث مع هند بنت النعمان بن المنذر ثلاث سنين وهما في ارغد عيش واهناه ثم ان النعمان بعد ذلك غضب على عدي وقتله فوجدت عليه هند وجدا عظيما ثم انها بنت لها ديرا في ظاهر الحيرة وترهبت فيه وجلست تندبه وتبكيه حتى ماتت وديرها معروف الى الان في ظاهر الحيرة وعما يحكى ان دعبلا الخزاعي قال كنت جالسا بباب الكرخ اذ مرت بي جارية لم ار احسن منها ولا اعدل قدا وهي تتثنى في مشيتها وتسبي الناظرين بتثنيها فلما وقع بصري عليها افتتنت بها وارتجف فؤادي وآنست انه قد طار قلبي من صدري فانشدت معرضا لها هذا البيت

دموع عيني بها انفضاض ✻ ونوم جفني به انقباض

فنظرت الي واستدارت بوجهها واجابتني سرعة بهذا البيت

وذا قليل لمن دعته ✻ بلحظها الاعين المراض

فادهشتني بسرعة جوابها وحسن منطقها فانشدتها ثانيا هذا البيت

فهل لمولاي عطف قلب ✻ على الذي دمعه مفاض

فاجابتنى بسرعة من غير توقف بهذا البيت

ان كنت تهوى الوداد منا * فالود ما بيننا تراض

فما دخل فى اذنى قط احلى من كلامها ولا رأيت اهيج من وجهها فعدلت بالشعر عن القافية امتحانا لها وعجبا بكلامها فقلت لها هذا البيت

ارى الزمان يسرنا بتلاق * ويضم مشتاقا الى مشتاق

فتبسمت فما رأيت احسن من ثغرها ولا احلى من ثغرها واجابتنى بسرعة من غير توقف بهذا البيت

ما للزمان وللتحكم بيننا * انت الزمان فسرنا بتلاق

فنهضت مسرعا وصرت اقبل يديها وقلت لها ما كنت اظن ان الزمان يسمح لى بمثل هذه الفرصة فاسعى اثرى غير مأمورة ولا مستكرهة بل بفضل منك تعطفا على ثم وليت وهى خلفى ولم يكن لى فى ذلك الوقت منزل ارضاه لمثلها وكان مسلم بن الوليد صديقا لى وله منزل حسن فقصدته فلما قرعت عليه الباب خرج الى فسلمت عليه وقلت له مثل هذا الوقت تدخر الاخوان فقال حبا وكرامة ادخلا فدخلنا فصادفنا عنده عسرة فدفع لى منديلا وقال اذهب به الى السوق وبعه وخذ ما تحتاج اليه من طعام وغيره فمضيت مسرعا الى السوق وبعته واخذت ما تحتاج اليه من طعام وغيره ثم رجعت فرأيت مسلما قد خلا بها فى سرداب فلما احس بى وثب الى وقال لى كافأك الله يا اباعلى على جميل ما صنعت معى ولقاك ثوابه وجعله حسنة فى حسناتك يوم القيامة ثم تناول منى الطعام والشراب واغلق الباب فى وجهى فغاظنى قوله ولم ادر ما اصنع وهو قائم خلف الباب يهتز سرورا فلما رأنى على تلك الحالة قال بحياتى يا اباعلى من الذى انشأ هذا البيت

بت فى درعها وبات رقيبى * جنب الثوب طاهر الاطراف

فاشتد غيظى منه وقلت هو منشئ هذا البيت

من له فى حزامه الف قرن * قد اناخت على علو مناف

ثم جعلت اشتمه واسبه على قبيح فعله وقلة مروته وهو ساكت لا يتكلم فلما فرغت من سبى له تبسم وقال ويلك يا احمق انما دخلت منزلى وبعت منديلى وانفقت دراهمى فعلى من تغضب يا قواد ثم تركنى وانصرف اليها فقلت له اما والله لقد صدقت فى نسبتى الى الحماقة والقوادة وانصرفت عن بابه وانا فى هم شديد اجد اثره فى قلبى الى يومى هذا ولم اظفر بها ولا سمعت لها خبرا ومما يحكى ان اسحاق بن ابراهيم الموصلى قال اتفق انى ضجرت من ملازمة دار الخليفة والخدمة بها فركبت وخرجت بكرة النهار وعزمت على ان اطوف الصحراء واتفرج وقلت لغلمانى اذا جاء رسول الخليفة او غيره فعرفوه انى بكرة فى بعض مهماتى وانكم لا تعرفون اين ذهبت ثم مضيت وحدى وطفت فى المدينة وقد حمى النهار فوقفت فى شارع يعرف بالحرم وادركنى شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان اسحاق بن ابراهيم الموصلى قال لما حمى النهار وقفت فى شارع يعرف بالحرم لاستظل من حر الشمس وكان للدار جناح رحب بارز على الطريق فلم البث حتى جاء خادم اسود يقود حمارا فرأيت عليه جارية راكبة وتحتها منديل مكلل بالجواهر وعليها من اللباس الفاخر ما لا غاية بعده ورأيت لها قواما حسنا وطرفا فاترا وشمائل ظريفة فسألت عنها بعض المارين فقال لى انها مغنية وقد تعلق

بحبها قلبي عند نظري اليها وما قدرت ان استقر على ظهر دابتي ثم انها دخلت الدار التي كنت واقفا على بابها فجعلت اتفكر في حيلة اتوصل بها اليها فبينما انا واقف اذا قبل رجلان شابان جميلان فاستاذنا فاذن لهما صاحب الدار فنزلا ونزلت معهما ودخلت صحبتهما فظننا ان صاحب الدار دعاني فجلسنا ساعة فاتي بالطعام فاكلنا ثم وضع الشراب بين ايدينا ثم خرجت الجارية وفي يدها عود فغنت وشربنا وقت لاقضي حاجة فسأل صاحب المنزل الرجلين عني فاخبراه انهما لا يعرفاني فقال هذا ظريف لي ولكنه ظريف فاجملوا عشرته ثم جئت فجلست في مكاني فغنت الجارية بلحن لطيف وانشدت هذين البيتين

قل للغزالة وهي غير غزالة * والجؤذر المكحول غير الجؤذر
لمذكر الحلوات غير مؤنث * ومؤنث الخطوات غير مذكر

فاذته اداء حسنا وشرب القوم واعجبهم ذلك ثم غنت طرقاشتي بالحان غريبة وغنت من جملتها طريقة هي لي وانشدت هذين البيتين

الطلول الدوارس * قارقتها الاوانس
اوحشت بعد انسها * فهي قفر طامس

فكان امرها اصلح فيها من الاولى ثم غنت طرقاشتي بالحان غريبة من القديم والحديث وغنت في اثنائها طريقة هي لي بهذين البيتين

قل لمن صد عاتبا * ونأى عنك جانبا
قد بلغت الذي بلغت * وان كنت لاعبا

فاستعدته منها لاصحه لها فاقبل علي احد الرجلين وقال ما رأينا طفيليا اصفق وجها منك اما ترضى بالتطفل حتى اقترحت وقد صح فيك المثل طفيلي ومقترح فاطرقت حياء ولم اجبه فجعل صاحبه يكفه عني فلا يكف ثم قاموا الى الصلاة فتأخرت قليلا واخذت العود وشددت طرفيه واصلحته اصلاحا محكما وعدت الى موضعي فصليت معهم ولما فرغنا من الصلاة رجع ذلك الرجل الى اللوم علي والتعنيف ولج في عربدته وانا صامت فاخذت الجارية العود وجسته فانكرت حاله وقالت من جس عودي فقالوا ما جسه احد منا قالت بلى والله لقد جسه حاذق متقدم في الصناعة لانه احكم اوتاره واصلحه اصلاح حاذق في صنعته فقلت لها انا الذي اصلحته فقالت بالله عليك ان تأخذه وتضرب عليه فاخذته وضربت عليه طريقة عجيبة صعبة تكاد ان تميت الاحياء وتحيي الاموات وانشدت عليه هذه الابيات

كان لي قلب اعيش به * فاكتوى بالنار واحترق
انا لم ارزق محبتها * انما للعبد ما رزق
ان يكن ماذقت طعم هوى * ذاقه لاشك من عشق

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اسحاق بن ابراهيم الموصلي لما فرغ من شعره لم يبق احد من الجماعة

الارنب من موضعه وجلسوا بين يدى وقالوا بالله عليك يا سيدنا ان تغنى لنا صوتا آخر فقلت لهم حبا وكرامة ثم احكمت الضربات وغنيت بهذه الابيات

الا من لقلب ذئب بالنوائب * اناخت به الاحزان من كل جانب
حرام على راعى فؤادى بسهمه * دم صبه بين الحشى والترائب
تبين يوم البين ان اقترابه * على البين من ضمن الظنون الكواذب
اراق دما لولا الهوى ما اراقه * فهل لدمى من ثائر ومطالب

فلما فرغ من شعره لم يبق احد منهم الا وقام على قدميه ثم رمى بنفسه على الارض من شدة ما اصابه من الطرب فرميت العود من يدى فقالوا بالله عليك ان لا تفعل بنا هذا وزدنا صوتا آخر زادك الله تعالى من نعمته فقلت لهم ياقوم ازيدكم صوتا آخر وآخر وآخر واعرفكم من انا انا اسحاق بن ابراهيم الموصلى والله انى لاتيه على الخليفة اذا طلبنى وانتم قد اسمعتمونى غليظ ما اكره فى هذا اليوم فوالله لا نطقت بحرف ولا جلست معكم حتى تخرجوا هذا العربيد من بينكم فقال له صاحبه من هذا حذرتك وخفت عليك ثم اخذوا بيده واخرجوه فاخذت العود وغنيت الاصوات التى غنتها الجارية من صنعتى ثم اسرعت الى صاحب الدار ان الجارية قد وقعت فى قلبى ولا صبر لى عنها فقال الرجل هى لك بشرط فقلت وما هو قال ان تقيم عندى شهرا والجارية وما يتعلق بها من حلى وحلل فقلت نعم افعل ذلك فاقمت عنده شهرا لا يعرف احد اين انا والخليفة يفتش على فى كل موضع ولا يعرف لى خبرا فلما انقضى الشهر سلم الى الجارية وما يتعلق بها من الامتعة النفيسة واعطانى خادما آخر فخرجت بذلك الى منزلى وكأنى قد حزت الدنيا بأسرها من شدة فرحى بالجارية ثم ركبت الى المأمون من وقتى فلما حضرت بين يديه قال لى ويحك يا اسحاق واين كنت فاخبرته بخبرى فقال على بذلك الرجل فى هذه الساعة فدلهم على داره فارسل اليه الخليفة فلما حضر سأله عن القصة فاخبره بها فقال له انت رجل ذو مروءة ولرأى ان تعان على مروءتك فامر له بمائة الف درهم وقال لى يا اسحاق احضر الجارية فاحضرتها فغنت له واطربته فحصل له منها سرور عظيم فقال قد جعلت عليها نوبة فى كل يوم خميس فتحضر وتغنى من وراء الستارة ثم امر لها بخمسين الف درهم فوالله لقد ربحت وربحت فى تلك الركبة ومما يحكى ان العتبى قال جلست يوما وعندى جماعة من اهل الادب فتذاكرنا اخبار الناس ونزع بنا الحديث الى اخبار المحبين فجعل كل منا يقول شيأ فى الجماعة شيخ ساكت ولم يبق عندا حد منهم شئ الا اخبر به فقال ذلك الشيخ هل احدثكم حديثا لم تسمعوا مثله فقلنا نعم قال اعلموا انه كانت لى ابنة وكانت تهوى شابا ونحن لا نعلم بها وكان الشاب يهوى قينة وكانت القينة تهوى ابنتى فحضرت فى بعض الايام مجلسا فيه ذلك الشاب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة العاشرة بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشيخ قال فحضرت فى بعض الايام مجلسا فيه ذلك الشاب والقينة فغنت القينة بهذين البيتين

علامات ذل الهوى * على العاشقين البكا
ولاسيما عاشق * اذا لم يجد مشتكى

فقال لها الشاب احسنت والله يا سيدتي افتأذنين لي ان اموت فقالت القينة من وراء الستر نعم ان كنت عاشقا فمت فوضع الشاب رأسه على وسادة واغمض عينه فلما وصل الفدح اليه حركاه فاذا هو ميت فاجتمعنا عليه وتكدر علينا السرور وتنكدنا وافترقنا من ساعتنا فلما سرت الى منزلي نكرت على اهلي حيث انصرفت اليهم في غير الوقت المعتاد فاخبرتهم بما كان من امر الشاب لاعجبهم بذلك فسمعت ابنتي كلامي فقامت من المجلس الذي انا فيه ودخلت مجلسا آخر فقمت خلفها ودخلت ذلك المجلس فوجدتها متوسدة على مثال ما وصفت من حال الشاب فحركتها فاذا هي ميتة فاخذنا في تجهيزها وغدونا بجنازتها وغدوا بجنازة الشاب فلما صرنا في طريق الجبانة واذا نحن بجنازة ثالثة فسألناهم فاذا هي جنازة القينة فانها حين بلغها موت ابنتي فعلت مثل ما فعلت فماتت فدفنا الثلاثة في يوم واحد وهذا اعجب ما سمع من اخبار العشاق ومما يحكى ان القاسم بن عدي حكى عن رجل من بني تميم انه قال خرجت في طلب ضالة فوردت على مياه بني طي فرأيت بفريقين احدهما قريب من الآخر واذا في احد الفريقين كلام مثل كلام اهل الفريق الآخر فتأملت فرأيت في احد الفريقين شابا قد نهكه المرض وهو مثل الشن البالي فبينما انا تأمله واذا هو ينشد هذه الابيات

الا ما للمليحة لا تعود ✻ ايخجل بالمليحة ام صدود
مرضت فعادني اهلي جميعا ✻ فمالك لم ترى فيمن يعود
فلو كنت المريضة جئت اسعى ✻ اليك ولم ينهنهني الوعيد
عدمتك منهم وفقدت وحدي ✻ وفقد الالف ياسكني شديد

فسمعت كلامه جارية من الفريق الآخر فبادرت نحوه وتبعها اهلها وجعلت تضاربهم فاحس بها الشاب فوثب نحوها فبادر اليه اهل فريقه وتعلقوا به فجعل يجذب نفسه منهم وهي تجذب نفسها من فريقها حتى تخلصا وقصد كل واحد منهما صاحبه حتى التقيا بين الفريقين وتعانقا ثم خرا الى الارض ميتين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية عشر بعد الار بعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب والشابة لما التقيا بين الفريقين وتعانقا خرا الى الارض ميتين فخرج شيخ من تلك الاخبية ووقف عليهما واسترجع وبكى بكاء شديدا ثم قال رحمكما الله تعالى والله لئن كنتما لم تجمعا في حال حياتكما لاجمعن بينكما بعد الموت ثم امر بتجهيزهما فغسلا وكفنا في كفن واحد وحفر لهما حفرة واحدة وصلى عليهما الناس ودفنوهما في ذلك القبر ولم يبق في الفريقين ذكر ولا انثى الا رأيته يبكي عليهما ويلطم فسألت الشيخ عنهما فقال لي هذه ابنتي وهذا ابن اخي قد بلغ بهما الحب الى ما رأيت فقلت اصلحك الله فهلا زوجتهما البعض هما فقال خشيت من العار والفضيحة وقد وقعت الان فيهما وهذا من عجائب اخبار العشاق ومما يحكى ان ابا العباس المبرد قال قصدت البريد مع جماعة الى حاجة فررنا بدير فنزلنا في ظله لنجاء نا رجل وقال ان في الدير مجانين فيهم رجل مجنون ينطق بالحكمة فلو رأيتموه لتعجبتم من كلامه فنهضنا جميعا ودخلنا الدير فرأينا رجلا جالسا في مقصورة على نطع وقد كشف رأسه وهو شاخص ببصره الى الحائط فسلمنا عليه فرد علينا السلام من غير ان ينظر الينا بطرفه فقال رجل انشده شعرا فانه اذا سمع الشعر يتكلم فانشدت هذين البيتين

يا خير من ولدت حواء من بشر * لولاك لم تحسن الدنيا ولم تطب
انت الذى من اراك الله صورته * فال الخلود فلم يهرم ولم يشب

فلما سمع ذلك منى استدار نحونا وانشد هذه الابيات

الله يعلم انى كد * لاستطيع ابث ما اجد
نفسان لى نفس يضم لها * بلد واخرى يضمها بلد
واظن غائبتى كشاهدتى * واظنها تجد الذى اجد

ثم قال أحسنت فى قولى ام اسأت قلنا له ما اسأت بل احسنت واجملت فمديده الى حجر عنده فتناوله فظننا انه يريد ان يقهرنا منه فجعل يضرب به صدره ضربا قويا ويقول لا تخافوا وادنوا منى واسمعوا الى شيأ خذوه عنى فدنونا منه فانشد هذه الابيات

لما اناخوا قبيل الصبح عيسهم * تركوها وسارت بالهوى الابل
ومقلتى من خلال السجن تنظرها * فقلت من لوعتى والدمع ينهمل
يا حادى العيس عرج كى اودعها * فى الفراق وفى توديعها الاجل
انى على العهد لم انقض مودتها * يا ليت شعرى بذاك العهد ما فعلوا

ثم انه نظر الى وقال هل عندك علم بما فعلوا قلت نعم انهم ماقوا رحمهم الله تعالى فتغير وجهه ووثب قائما على قدميه وقال كيف علمت موتهم قلت لو كانوا احياء ما تركوك هكذا فقال صدقت والله ولكننى ايضا الاحب الحياة بعدهم ثم ارتعدت فرائصه وسقط على وجهه فتبادرنا اليه وحركناه فوجدناه ميتا رحمة الله تعالى عليه فتعجبنا من ذلك واسفنا عليه اسفا شديدا ثم جهزناه ودفناه وادركنا شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية عشر بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان المبرد قال لما سقط الرجل ميتا اسفنا عليه وجهزناه ودفناه فلما رجعت الى بغداد دخلت على المتوكل فنظر اثار الدموع على وجهى فقال ما هذا فذكرت له القصة فصعب عليه وقال ما حملك على ذلك والله لو علمت انك غير حزين عليه لاخذتك به ثم انه حزن عليه بقية يومه

ومما يحكى ان ابا بكر بن محمد الانبارى قال خرجت من الانبار فى بعض الاسفار الى عمورية من بلاد الروم فنزلت فى اثناء الطريق بدير الانوار فى قرية قريبة من عمورية فخرج الى صاحب الدير الرئيس على الرهبان وكان اسمه عبد المسيح فادخلنى الدير فوجدت فيه اربعين راهبا فاكرمونى فى تلك الليلة باضافة حسنة ثم رحلت عنهم من الغد وقد رأيت من كثرة اجتهادهم وعبادتهم مالم اره من غيرهم فقضيت اربى من عمورية ثم رجعت الى الانبار فلما كان فى العام المقبل حججت الى مكة فبينما انا اطوف حول البيت اذ رأيت عبد المسيح الراهب يطوف ايضا ومعه خمسة نفر من اصحابه الرهبان فلما تحققت معرفته تقدمت اليه وقلت له هل انت عبد المسيح الراهب قال بل انا عبد الله الراغب فجعلت اقبل شيبته وابكى ثم اخذت بيده وملت الى جانب الحرم وقلت له اخبرنى عن سبب اسلامك فقال انه من اعجب العجائب وذلك ان جماعة من زهاد المسلمين مروا بالقرية التى فيها ديرنا فارسلوا شابا يشترى لهم طعاما فرأى فى السوق جارية نصرانية تبيع الخبز وهى من احسن النساء

صورة فلما نظر اليها افتتن بها وسقط على وجهه مغشيا عليه فلما افاق رجع الى اصحابه واخبرهم بما اصابه وقال امضوا الى شأنكم فلست بذاهب معكم فعذلوه ووعظوه فلم يلتفت اليهم فانصرفوا عنه ودخل القرية وجلس عند باب حانوت تلك المرأة فسألته عن حاجته فاخبرها انه عاشق لها فاعرضت عنه فمكث فى موضعه ثلاثة ايام لم يطعم طعاما بل صار شاخصا الى وجهها فلما رأته لا ينصرف عنها ذهبت الى اهلها واخبرتهم بخبره فسلطوا عليه الصبيان فرموه بالحجارة حتى رضوا اضلاعه وشجوا رأسه وهو مع ذلك لا ينصرف فعزم اهل القرية على قتله فجاء فى رجل منهم واخبرنى بحاله فخرجت اليه فرأيته طريحا فمسحت الدم عن وجهه وحملته الى الدير وداويت جراحته واقام عندى اربعة عشر يوما فلما قدر على المشى خرج من الدير وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة عشر بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الراهب عبد الله قال فحملته الى الدير وداويت جراحته واقام عندى اربعة عشر يوما فلما قدر على المشى خرج من الدير الى باب حانوت الجارية وجلس ينظر اليها فلما ابصرته قامت اليه وقالت له والله لقد رحمتك فهل لك ان تدخل فى دينى وانا اتزوجك فقال معاذ الله ان انسلخ من دين التوحيد وادخل فى دين الشرك فقالت قم وادخل معى دارى واقض منى اربك وانصرف راشدا فقال لا ما كنت لاذهب عبادة اثنتى عشرة سنة بشهوة لحظة واحدة فقالت انصرف عنى حينئذ فقال لا يطاوعنى قلبى فاعرضت عنه بوجهها ثم فطن به الصبيان فاقبلوا عليه يرمونه بالحجارة فسقط على وجهه وهو يقول ان ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين فخرجت من الدير وطردت عنه الصبيان ورفعت رأسه عن الارض فسمعته يقول اللهم اجمع بينى وبينها فى الجنة فحملته الى الدير فمات قبل ان اصل به اليه فخرجت به عن القرية وحفرت له قبر اودفنته فلما دخل الليل وذهب نصفه صرخت تلك المرأة وهى فى فراشها صرخة فاجتمع اليها اهل القرية وسألوها عن قصتها فقالت بينما انا نائمة اذ دخل على هذا الرجل المسلم فاخذ يدى وانطلق بى الى الجنة فلما صار بى الى بابها منعنى خازنها من دخولها وقال انها محرمة على الكافرين فاسلمت على يديه ودخلت معه فرأيت فيها من القصور والاشجار ما لا يمكن ان اصفه لكم ثم انه اخذنى الى قصر من الجوهر وقال لى ان هذا القصر لى ولك وانا لا ادخله الا بك وبعد خمس ليال تكونين عندى فيه ان شاء الله تعالى ثم مد يده الى شجرة على باب ذلك القصر فقطف منها تفاحتين واعطانيهما وقال كلى هذه واخفى الاخرى حتى يراها الرهبان فاكلت واحدة فما رأيت اطيب منها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة عشر بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية قالت لما قطف التفاحتين اعطانيهما وقال كلى هذه واخفى الاخرى حتى يراها الرهبان فاكلت واحدة فما رأيت اطيب منها ثم انه اخذ يدى وخرج بى حتى اوصلنى الى دارى فلما استيقظت من منامى وجدت طعم التفاح فى فمى والتفاحة الثانية عندى ثم اخرجت التفاحة فاشرقت فى ظلام الليل كانها كوكب درى فجاؤا بالمرأة الى الدير ومعها التفاحة فقصت علينا

الرؤيا واخرجت لنا التفاحة فلم نر شيأ مثلها فى سائر فواكه الدنيا فاخذت سكينا وشقتها على عدد اصحابى فما رأينا الذ من طعمها ولا اطيب من ريحها فقلنا لعل هذا شيطان تمثل اليها ليغويها عن دينها فاخذها اهلها وانصرفوا ثم انها امتنعت من الاكل والشرب فلما كانت الليلة الخامسة قامت من فراشها وخرجت من بيتها وتوجهت الى قبر ذلك المسلم والقت نفسها عليه وماتت ولم يعلم بها اهلها فلما كان وقت الصباح اقبل على القرية شيخان مسلمان عليهما ثياب من الشعر ومعهما امرأتان كذلك فقالا يا اهل القرية ان الله تعالى عندكم ولية من اوليائه قد ماتت مسلمة ونحن نتولاها دونكم فطلب اهل القرية تلك المرأة فوجدوها على القبر ميتة فقالوا هذه صاحبتنا قد ماتت على ديننا ونحن نتولاها وقال الشيخان بل ماتت مسلمة ونحن نتولاها واشتد الخصام والنزاع بينهم فقال احد الشيخين ان علامة اسلامها ان يجتمع رهبان الدير الاربعون ويجذبوها عن القبر فان قدروا على حملها من الارض فهى نصرانية وان لم يقدروا على ذلك يتقدم واحدمنا ويجذبها فان جاءت معه فهى مسلمة فرضى اهل القرية بذلك واجتمع الاربعون راهبا وقوى بعضهم بعضا واتوا ليحملوها فلم يقدروا على ذلك فربطنا فى وسطها حبلا عظيما وجذبناها فانقطع الحبل ولم تتحرك فتقدم اهل القرية ففعلوا كذلك فلم تتحرك من موضعها فلما عجزنا عن حملها بكل حيلة قلنا لاحد الشيخين تقدم انت واحملها فتقدم اليها احدهما ولفها فى ردائه وقال بسم الله الرحمن الرحيم وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حملها فى حضنه وانصرف بها المسلمون الى ديارهم الى قرية فوضعوها فيه وجاءت المرأتان فغسلتاها وكفنتاها ثم حملها الشيخان وصليا عليها ودفناها الى جانب قبره وانصرفا ونحن نشاهد هذا كله فلما خلا بعضنا ببعض قلنا ان الحق احق ان يتبع وقد وضح الحق لنا بالمشاهدة والعيان ولا برهان لنا على صحة الاسلام اوضح لنا مما رأيناه باعيننا ثم اسلمنا واسلم رهبان الدير بجميعهم وكذلك اهل القرية ثم انا بعثنا الى اهل الجزيرة نستدعى فقيها يعلمنا شرائع الاسلام واحكام الدين فجاءنا رجل فقيه صالح فعلمنا العبادة واحكام الاسلام ونحن اليوم على خير كثير ولله الحمد والمنة

ومما يحكى ان عمرو بن مسعدة قال كان ابو عيسى ابن الرشيد اخو المأمون عاشقا لقرة العين جارية على بن هشام وكانت هى ايضا عاشقة له ولكن كان ابو عيسى كاتما لهواه فلا يبوح به ولا يشكوه الى احد ولم يطلع احدا على سره وكل ذلك من نخوته ومروءته وكان يجتهد فى ابتياعها من مولاها بكل حيلة فلم يقدر على ذلك فلما عيل صبره واشتد وجده وعجز عن الحيلة فى امرها دخل على المأمون فى يوم موسم بعد انصراف الناس من عنده وقال يا امير المؤمنين انك لو امتحنت فؤادك فى هذا اليوم على حين غفلة منهم لتعرف اهل المروءة من غيره ومحل كل واحد منهم وقدر همته وانما قصد ابو عيسى بهذا الكلام ان يتصل بذلك الى الجلوس مع قرة العين فى دار مولاها فقال المأمون ان هذا الرأى صواب ثم امر ان يشتد واله زورقا اسمه الطيار فقدموه له فركبه ومعه جماعة من خواصه فاول قصر دخله قصر جيد الطويل الطوسى ودخلوا عليه فى القصر على حين غفلة منه فوجدوه جالسا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة عشر بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان المأمون ركب هو وخواصه وساروا حتى وصلوا الى قصر جيد الطويل الطوسى فدخلوا قصره على حين غفلة فوجدوه جالسا على حصير وبين يديه المغنيون وبايديهم الات

المغانى من العيدان والنايات وغيرها فجلس المأمون ساعة ثم حضر بين يديه طعام من لحوم الدواب ليس فيه شئ من لحوم الطير فلم يلتفت المأمون الى شئ من ذلك فقال ابو عيسى يا امير المؤمنين اما دخلنا هذا المكان على حين غفلة وصاحبه لم يعلم بقدومك فقم بنا الى مجلس هو معد لك يليق بك فقام الخليفة هو وخواصه وصحبته اخوه ابو عيسى وتوجهوا الى دار على ابن هشام فلما علم بمجيئهم قابلهم احسن مقابلة وقبل الارض بين يدى الخليفة ثم ذهب بهم الى القصر وفتح مجلسا لم تر الراؤن احسن منه ارضه واساطينه وحيطانه مرخمة بانواع الرخام وهو منقوش بانواع النقوش الرومية وارضه مفروشة بالحصر السندية وعليها فرش بصرية وتلك الفرش متخذة على طول المجلس وعرضه فجلس المأمون ساعة وهو يتامل البيت والسقف والحيطان ثم قال اطعمنا شيأ فاحضر اليه من وقته وساعته قريبا من مائة لون من الدجاج سوى ما معها من الطيور والتوابل والقلايا والبوارد فلما اكل قال اسقنا يا على شيأ فاحضر اليه نبيذا مثلثا مطبوخا بالفواكه والابازير الطيبة فى اوانى الذهب والفضة والبلور والذى حضر بذلك النبيذ فى المجلس غلمان كانهم الاقمار عليهم الملابس الاسكندرانية المنسوجة بالذهب وعلى صدورهم بواط من البلور فيها ماء الورد الممسك فتعجب المأمون مما رأى عجبا شديدا وقال يا ابا الحسن فوثب الى البساط وقبله ثم وقف بين يدى الخليفة وقال لبيك يا امير المؤمنين فقال اسمعنا شيأ من المغانى المطربة فقال سمعا وطاعة يا امير المؤمنين ثم قال لبعض اتباعه احضر الجوارى المغنيات فقال له سمعا وطاعة ثم غاب الخادم لحظة وحضر ومعه عشرة من الخدم يحملون عشرة كراسى من الذهب فنصبوها وبعد ذلك جاءت عشر وصائف كانهن البدور السافرة والرياض الزاهرة وعليهن الديباج الاسود وعلى رؤسهن تيجان الذهب ومشين حتى جلسن على الكراسى وغنين بانواع الالحان فنظر المأمون الى جارية منهن فاعتنى بنظرها وحسن منظرها فقال لها ما اسمك يا جارية قالت اسمى سجاح يا امير المؤمنين فقال لها غنى لنا يا سجاح فاطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

اقبلت امشى على خوف مجالسة * مشى الذليل رأى شبلين قد وردا
سبنى خضوعى وقلبى مشغف وجل * اخشى العيون من الاعداء والرصدا
حتى دخلت على خود منعمة * كظبية الدعص لما تفقد الولدا

فقال لها المأمون لقد احسنت يا جارية لمن هذا الشعر قالت لعمرو بن معدى كرب الزبيدى والغناء لمعبد فشرب المأمون وابو عيسى وعلى بن هشام ثم انصرفت الجوارى وجاءت عشر جوار اخرى على كل واحدة منهن الوشى اليمانى المنسوج بالذهب فجلسن على الكراسى وغنين بانواع الالحان فنظر المأمون الى وصيفة منهن كانها مهاة رمل فقال لها ما اسمك يا جارية فقالت اسمى ظبية يا امير المؤمنين فقال غنى لنا يا ظبية فغردت بالشدقين وانشدت هذين البيتين

حور حرائر ما هممن بريبة * كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الحديث زوانيا * وبصدهن عن الخنى الاسلام

فلما فرغت من شعرها قال لها المأمون لله درك وادر لك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة عشر بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية لما فرغت من انشادها قال لها المأمون لله درك لمن هذا الشعر

قالت لجرير والغناء لابن سريج فشرب المأمون ومن معه ثم انصرفت الجوارى وجاءت بعدهن عشر جوار اخرى كأنهن البواقيت وعليهن الديباج الاحمر المنسوج بالذهب المرصع بالدر والجوهر وهن مكشوفات الرؤس فجلسن على الكراسى وغنين بانواع الالحان فنظر الى جارية منهن كأنها شمس النهار فقال لها ما اسمك يا جارية قالت اسمى فاتن يا امير المؤمنين فقال لها غنى لنا يا فاتن فاطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

انعم بوصلك لى فهذا وقته * يكفى من الهجران ما قد ذقته
انت الذى جمع المحاسن وجهه * لكن عليه تصبرى فرقته
انفقت عمرى فى هواك وليتنى * اعطى وصولا بالذى انفقته

فقال لله درك يا فاتن لمن هذا الشعر فقالت لعدى ابن زيد والطريقة قديمة فشرب المأمون وابو عيسى وعلى ابن هشام ثم انصرفت الجوارى وجاءت بعدهن عشر من الجوارى كأنهن الدوارى عليهن الوشى المنسوج بالذهب الاحمر وفى اوساطهن المناطق المرصعة بالجوهر فجلسن على الكراسى وغنين بانواع الالحان فقال المأمون لجارية منها كأنها قضيب بان ما اسمك يا جارية قالت اسمى رشأ يا امير المؤمنين فقال غنى لنا يا رشأ فاطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

واحور كالغصن يشفى الجوى * ويحكى الغزال اذا مارنا
شربت المدام على خده * ونازعته الكأس حتى انثنا
فبات ضجيعى وبتنا معا * وقلت لنفسى هذا المنى

فقال لها المأمون احسنت يا جارية زيدينا فقامت الجارية وقبلت الارض بين يديه وغنت بهذا البيت

خرجت تشهد الرفاق رويدا * فى قميص مضمخ بالعبير

فطرب المأمون لذلك البيت طربا عظيما فلما رأت الجارية طرب المأمون صارت ترّدد الصوت بهذا البيت ثم ان المأمون قال قدموا الطيار واراد ان يركب ويتوجه فقام على بن هشام وقال يا امير المؤمنين عندى جارية اشتريتها بعشرة الاف دينار وقد اخذت بمجامع قلبى واريد ان اعرضها على امير المؤمنين فان اعجبته ورضيها فهى له والا فيسمع منها شيأ فقال الخليفة على بها فخرجت جارية كأنها قضيب بان لها عينان فتانتان وحاجبان كأنهما قوسان وعلى رأسها تاج من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر تحته عصابة مكتوب عليها بالزبرجد هذا البيت

جنية واها جن تعلمها * رمى القلوب بقوس ما لها وتر

ومشت تلك الجارية كأنها غزال شارد وهى تفتن العابد ولم تزل ماشية حتى جلست على الكرسى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة عشر بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية مشت كأنها غزال شارد وهى تفتن العابد ولم تزل ماشية حتى جلست على الكرسى فلما رأها المأمون تعجب من حسنها وجمالها وجعل ابو عيسى يتوجع من فؤاده واصفر لونه وتغير حاله فقال له المأمون مالك يا ابا عيسى قد تغير حالك فقال يا امير المؤمنين بسبب علة تعتريني فى بعض الاوقات فقال له الخليفة اتعرف هذه الجارية قبل اليوم قال نعم يا امير المؤمنين وهل يخفى

القمر ثم قال لها المأمون ما اسمك يا جارية قالت اسمى قرة العين يا امير المؤمنين قال لها غنى لنا يا قرة العين فغنت بهذين البيتين

ظعن الاحبة عنك بالادلاج * واقد سروا سحرا مع الحجاج
ضربوا خيام العز حول قبابهم * وتستروا باكلة الديباج

فقال لها الخليفة لله درك لمن هذا الشعر قالت لدعبل الخزاعى والطريقة لزرزور الصغير فنظر اليها ابو عيسى وخنقته العبرة حتى تعجب منه اهل المجلس فالتفتت الجارية الى المأمون وقالت له يا امير المؤمنين اتأذن لى فى ان اغير الكلام فقال لها غنى بما شئت فاطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

اذا كنت ترضيه ويرضيك صاحب * جهارا فكن فى الغيب احفظ للود
والغ احاديث الوشاة فقلما * يحاول واش غير هجران ذى ود
وقد زعموا ان المحب اذا دنا * يمل وان البعد يشفى من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد
على ان قرب الدار ليس بنافع * اذا كان من تهواه ليس بذى ود

فلما فرغت من شعرها قال ابو عيسى يا امير المؤمنين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشر بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قرة العين لما فرغت من شعرها قال ابو عيسى يا امير المؤمنين اذا افتضحنا استرحنا اتأذن لى فى جوابها فقال له الخليفة نعم قل لها ما شئت فكفكف دمع العين وانشد هذين البيتين

سكت ولم اقل انى محب * واخفيت المحبة عن ضميرى
فان ظهر الهوى فى العين منى * فدانية من القمر المنير

فاخذت العود قرت العين واطربت بالنغمات وغنت هذه الابيات

لو كان ما تدعيه حقا * لما تعللت بالامانى
ولا تصبرت عن فتاة * بديعة الحسن والمعانى
لكن دعواك ليس منها * شئ سوى القول باللسان

فلما فرغت قرة العين من شعرها جعل ابو عيسى يبكى وينتحب ويتوجع ويضطرب ثم رفع رأسه اليها وصعد الزفرات وانشد هذه الابيات

تحت ثيابى جسد ناحل * وفى فؤادى شغل شاغل
ولى فؤاد داؤه دائم * ومقلة تمدمعها هاطل
وكلما سالنى عاقل * قام لحينى فى الهوى عاذل
يارب لا اقوى على كل ذا * موت والا فرج عاجل

فلما فرغ ابو عيسى من شعره وثب على ابن هشام الى رجله فقبلها وقال له يا سيدى قد استجاب الله دعاءك وسمع نجواك واجابك الى اخذها بجميع متعلقاتها من التحف واللطائف ان لم يكن لامير المؤمنين غرض

فيها فقال المأمون ولو كان لنا غرض فيها لاثرنا اباعيسى على انفسنا وساعدناه على قصده ثم قام المأمون وركب فى الطيار وتخلف ابوعيسى لاخذ قرة العين ثم اخذها وانصرف بها الى منزله وهو منشرح الصدر فانظر الى مروءة على ابن هشام ومما يحكى ان الامين اخا المأمون دخل دار عمه ابراهيم ابن المهدى فرأى بها جارية تضرب بالعود وكانت من احسن النساء فمال قلبه اليها فظهر ذلك عليه لعمه ابراهيم فلما ظهر له ذلك من حاله بعثها اليه مع ثياب فاخرة وجواهر نفيسة فلما رأها الامين ظن ان عمه ابراهيم بنى بها فكره الخلوة بها من اجل ذلك وقبل ما كان معها من الهدية وردها اليه فعلم ابراهيم بذلك الخبر من بعض الخدم فاخذ قميصا من الوشى وكتب على ذيله بالذهب هذين البيتين

لا والذى سجد الجباه له * مالى بما تحت ذيلها خبر
ولا بفيها ولا هممت به * ما كان الا الحديث والنظر

ثم البسها القميص وناولها عودا وبعثها اليه ثانيا فلما دخلت عليه قبلت الارض بين يديه واصلحت العود وغنت عليه بهذين البيتين

هتكت الضمير برد التحف * وقد بان هجرك لى وانكشف
فان كنت تحقد شيأ مضى * فهب للخلافة ما قد سلف

فلما فرغت من شعرها نظر اليها الامين فراى ما على ذيل القميص فلم يملك نفسه وادرك الشهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة عشر بعد الربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الامين لما نظر الى الجارية رأى ما على ذيل القميص فلم يملك نفسه بل ادناها منه وقبلها وافرد لها مقصورة من المقاصير وشكر عمه ابراهيم على ذلك وانعم عليه بولاية الرى-

ومما يحكى ان المتوكل شرب دواء فجعل الناس يهدون اليه طرائف التحف وانواع الهدايا واهدى اليه الفتح بن خاقان جارية بكرا ناهدا من احسن نساء زمانها وارسل معها اناء بلور فيه شراب احمر وجاما احمر متكوبا عليه بالسواد هذه الابيات

اذا خرج الامام من الدواء * واعقب بالسلامة والشفاء
فليس له دواء غير شرب * بهذا الجام من هذا الطلاء
وفض الخاتم المهدى اليه * فهذا صالح بعد الدواء

فلما دخلت الجارية بما معها على الخليفة كان عنده يوحنى الطبيب فلما رأى الطبيب الابيات تبسم وقال والله يا امير المؤمنين ان الفتح اعرف منى بصناعة الطب فلا يخالفه امير المؤمنين فيما وصفه له فقبل الخليفة رأى الطبيب واستعمل ذلك الدواء على مقتضى مضمون الابيات فشافاه الله وحقق ما رجاه

ومما يحكى ان بعض الفضلاء قال ما رأيت فى النساء اذكى خاطرا واحسن فطنة واغزر علما واجود قريحة واظرف اخلاقا من امرأة واعظة من اهل بغداد يقال لها سيدة المشايخ اتفق انها جاءت الى مدينة حماه سنة احدى وستين وخمسمائة فكانت تعظ الناس على الكرسى وعظا شافيا وكان يتردد على منزلها جماعة من المتفقهين وذوى المعارف والاداب يطارحونها مسائل الفقه ويناظرونها فى الخلاف فحضيت اليها ومعى رفيق من اهل الادب فلما جلسنا عندها وضعت بين ايدينا طبقا من الفاكهة وجلست

هى خلف ستر وكان لها الخ حسن الصورة قائما على رؤسنا فى الخدمة فلما اكملنا شرعنا فى مناظرة الفقه فسألتها مسألة فقهية مشتملة على خلاف بين الائمة فشرعت تتكلم فى جوابها وانا اصغى اليها وجعل رفيقى ينظر الى وجه اخيها ويتأمل فى محاسنه ولا يصغى اليها وهى تلحظه من وراء الستر فلما فرغت من كلامها التفتت اليه وقالت اظنك ممن يفضل الرجال على النساء قال اجل قالت ولم ذلك قال لان الله فضل الذكر على الانثى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشيخ اجابها بقوله لان الله فضل الذكر على الانثى وانا احب الفاضل واكره المفضول ففحكت ثم قالت اتنصفنى فى المناظرة ان ناظرتك فى هذا المبحث قال نعم قالت فما الدليل على تفضيل الذكر على الانثى قال المنقول والمعقول اما المنقول فالكتاب والسنة اما الكتاب فقوله تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وقوله تعالى فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان وقوله تعالى فى الميراث وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين فالله سبحانه وتعالى فضل الذكر على الانثى فى هذه المواضع واخبر ان الانثى على النصف من الذكر لانه افضل منها واما السنة فما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه جعل دية المرأة على النصف من دية الرجل واما المعقول فان الذكر فاعل والانثى مفعول بها والفاعل افضل من المفعول بها فقالت له احسنت ياسيدى لكنك والله اظهرت حجتى عليك من لسانك ونطقت ببرهان هو عليك لا لك وذلك ان الله سبحانه وتعالى انما فضل الذكر على الانثى بمجرد وصف الذكورية وهذا لا نزاع فيه بينى وبينك وقد يستوى فى هذا الوصف الطفل والغلام والشاب والكهل والشيخ لا فرق بينهم فى ذلك واذا كانت الفضيلة انما حصلت له بوصف الذكورية فينبغى ان يميل طبعك وترتاح نفسك الى الشيخ كما ترتاح الى الغلام اذ لا فرق بينهما فى الذكورية وانما وقع الخلاف بينى وبينك فى الصفات المقصودة من حسن العشرة والاستمتاع وانت لم تأت ببرهان على فضل الغلام على الانثى فى ذلك فقال لها ياسيدتى اما علمت ما اختص به الغلام من اعتدال القد وتورد الخد وملاحة الابتسام وعذوبة الكلام فالغلمان بهذا الاعتبار افضل من النساء والدليل على ذلك ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا تديموا النظر الى المرد فان فيهم لمحة من الحور العين وتفضيل الغلام على الجارية لا يخفى على احد من الناس وما احسن قول ابى نواس

اقل ما فيه من فضائله * امنك من طمثه ومن حبله

وقول الشاعر

قال الامام ابو نواس وهو فى * شرع الخلاعة والمجون يقلد

يا امة تهوى العذار تمتعوا * من لذة فى الخلد ليست توجد

ولان الجارية اذا بالغ الواصف فى وصفها واراد تزويجها يذكر محاسن اوصافها شبهها بالغلام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشيخ قال ولان الجارية اذا بالغ الواصف فى وصفها واراد تزويجها يذكر

محاسن اوصافها شبهها بالغلام لما له من المآثر كما قال الشاعر

غلامية الارداف تهتز فى الصبا * كما اهتز فى ريح الشمال قضيب

فلولا ان الغلام افضل واحسن لما شبهت به الجارية واعلمى صانك الله تعالى ان الغلام سهل القياد موافق على المراد حسن العشرة والاخلاق مائل عن الخلاف للوفاق ولاسيما ان تمم عذاره واخضر شاربه وجرت حمرة الشبيبة فى وجنته حتى صار كالبدر التمام وما احسن قول ابى تمام

قال الوشاة بدا فى الخد عارضه * فقلت لا تكثروا ماذا لكم عابه
لما استقل بارداف تجاذبه * واخضر فوق جمان الدر شاربه
واقسم الورد ايمانا مغلظة * ان لا تفارق خديه جحافله
كلمته بجفون غير ناطقة * فكان من رده ما قال حاجبه
الحسن منه على ما كنت تعهده * والشعر احرزه ممن يطالبه
احلى واحسن ما كانت شمائله * اذ لاح عارضه واخضر شاربه
وصار من كان يلحى فى محبته * ان يحك عنى وعنه قال صاحبه

وقول الاخر واجاد

قال العواذل ما هذا الغرام به * اما ترى الشعر فى خديه قد نبت
فقلت والله لو ان المفند لى * تأمل الرشد فى عينيه ما ثبت
ومن اقام بارض لا نبات بها * فكيف يرحل عنها والربيع اتى

وقول الاخر

قال العواذل عنى قد سلا كذبوا * من مسه الشوق لا يعروه سلوان
ما كنت اسلو وورد الخد منفرد * فكيف اسلو وحول الورد ريحان

وقول الاخر

ومهفهف الحاظه وعذاره * يتعاضدان على قتال الناس
سفك الدماء بصارم من نرجس * كانت حمائل غمده من آس

وقول الاخر

ما من سلافته سكرت وانما * تركت سوالفه الانام سكارى
حسد المحاسن بعضها حتى اشتهت * كل المحاسن ان تكون عذارا

فهذه فضيلة فى الغلمان لم تعطها النساء وكفى بذلك للغلمان علينهن فخرا ومزية فقالت له عافاك الله تعالى انك قد شرطت على نفسك المناظرة وقد تكلمت وما قصرت واستدللت بهذه الادلة على ما ذكرت ولكن الآن قد حصص الحق فلا تعدل عن سبيله وان لم تقنع باجمال الدليل فانا آتيك بتفصيله بالله عليك اين الغلام من الفتاة ومن يقيس السهل على المهات انما الفتاة رخيمة الكلام حسنة القوام فهى كقضيب الريحان بثغر كالاقحوان وشعر كالارسان وخد كشقايق النعمان ووجه كتفاح وشفة كالراح وثدى كالرمان ومعاطف كالاغصان وهى ذات قد معتدل وجسم منجدل وخد كالسيف اللامع وجبين واضح وحاجبين مقرونين وعينين كحلاوين ان نطقت فاللؤلؤ الرطب يتناثر من فيها وتجذب القلوب برقة معانيها وان تبسمت ظننت البدر يتلألأ من بين شفتيها وان رنت فالسيوف تسل

من

من مقلتيها اليها تنتهي المحاسن وعليها مدار الظباء عن والقاطن ولها شفتان حمراوان الين من الزبد واحلى مذاقا من الشهد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان المرأة الواعظة لما وصفت الفتاة قالت ولها شفتان حمراوان الين من الزبد واحلى مذاقا من الشهد ثم قالت بعد ذلك ولها صدر كجادة العاج فيه ثديان كانهما حقان من عاج وبطن لطيف الكشح كالزهر الغض وعكن قد انعطفت وانطوى بعضها على بعض وفخذان ملتفان كانهما من الدر عمودان ورداف تموج كانها بحر من بلور واوجال من نور ولها قدمان لطيفان وكفان كانهما سبائك العقيان فيا مسكين اين الانس من الجان اما علمت ان الملوك القادة والاشراف السادة ابدا للنساء خاضعون وعليهن في التلذذ معتمدون وهن بقلن قد ملكنا الرقاب وسلبنا الالباب فالانثى كم غنى افقرته وعزيز اذلته وشريف استخدمته فالنساء قد فتن الادباء وهتكن الاتقياء وافقرن الاغنياء وصيرن اهل النعيم اشقياء ومع ذلك لا تزداد العقلاء لهن الا محبة واجلالا ولا يعدون ذلك ضيما ولا اذلالا فكم عبد قد عصى فيهن ربه واحفظ اباه وامه كل ذلك لغلبة هواهن على القلوب اما علمت يا مسكين ان لهن تبنى القصور وعليهن ترخى الستور ولهن تشترى الجواري وعليهن الدمع جار ولهن يتخذ المسك الاذفر والحلي والعنبر ولاجلهن تجمع العساكر وتعقد المساكر وتجمع الارزاق وتضرب الاعناق ومن قال ان الدنيا عبارة عن النساء كان صادقا واما ما ذكرت من الحديث الشريف فهو حجة عليك لا لك لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تديموا النظر الى المرد فان فيهم لمحة من الحور العين فشبه المرد بالحور العين ولا شك ان المشبه به افضل من المشبه فلولا ان النساء افضل واحسن لما شبه بهن غيرهن واما قولك ان الجارية تشبه بالغلام فليس الامر كذلك بل الغلام يشبه بالجارية فيقال هذا الغلام كانه جارية واما ما استدللت به من الاشعار فهي ناشئة عن شذوذ الطبيعة عند الاعتبار واما اللاطة العادون والفسقة المخالفون الذين ذمهم الله تعالى في كتابه العزيز وانكر عليهم فعلهم الشنيع فقال اتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم بل انتم قوم عادون فهؤلاء الذين يشبهون الجارية بالغلام لغلوهم في الفسق والعصيان واتباع النفس والشيطان حتى قالوا انها تصلح للامرين جميعا عدولا منهم عن سلوك طريق الحق عند الناس كما قال كبيرهم ابو نواس

ممشوقة المصر غلامية * تصلح للوطي والزاني

واما ما ذكرته من حسن نبات العذار واخضرار الشارب وان الغلام يزداد به حسنا وجمالا فوالله لقد عدلت عن الطريق وقلت غير التحقيق لان العذار يدل حسنات الجمال بالسيأت ثم انشدت هذه الابيات

بدا الشعر في وجهه فانتقم * لعاشقه منه لما ظلم
ولم ار في وجهه كالذعا * ر الا وسالفه كالحمم
اذا السود فاضل قرطاسه * لحاظتكم بمكان القلم
فان فضلوه على غيره * فاذا لا لجهل الحكم

فلما فرغت من شعرها قالت للرجل سبحان الله العظيم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان المرأة الواعظة لما فرغت من شعرها قالت للرجل سبحان الله العظيم كيف يخفى عليك ان كمال اللذة فى النساء وان النعيم المقيم لا يكون الا بهن وذلك ان الله سبحانه وتعالى وعد الانبياء والاولياء فى الجنة بالحور العين وجعلهم جزاً لاعمالهن الصالحة ولو علم الله تعالى ان فى غيرهن لذة الاستمتاع لجزاهم به ووعدهم اياه وقال صلى الله عليه وسلم حبب الىّ من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرة عينى فى الصلاة وانما جعل الله الولدان خدما للانبياء والاولياء فى الجنة لان الجنة دار نعيم وتلذذ ولا يكمل ذلك الا بخدمة الولدان واما استعمالهم لغير الخدمة فهو من الخبال والوبال وما احسن قول الشاعر حيث قال

لحاجة المرء فى الادبار ادبار * والمائلون الى الاحرار احرار
كم من ظريف لطيف بات ممتطيا * ردف الغلام فاضحى وهو عطار
تصغر انوابه من ورس فقحته * فيستبين لذاك الخزى والعار
لا يستطيع جحودا اذ تقذره * يوما وفى ثوبه للسلح آثار
كم بين ذاك ومن باتت مطيته * حوراء ناظرها باللحظ سحار
يقوم عنها وقد اهدت له ارجا * تضوعت من غو الى طيبه الدار
ليس الغلام لها عدلا يقاس بها * وهل يقاس بعود الند افذار

ثم قالت يا قوم لقد اخرجتمانى عن قانون الحياء ودائرة احرار النساء الى ما لا يليق بالعلماء من اللغو والفحشاء ولكن صدور الاحرار قبور الاسرار والمجالس بالامانات وانما الاعمال بالنيات وانا استغفر الله العظيم لى ولكم ولسائر المسلمين انه هو الغفور الرحيم ثم سكتت فلم نجبها عن شئ بعد ذلك فخرجنا من عندها مسرورين بما استفدناه من مناظرتها متأسفين على مفارقتها ومما يحكى ان اباسويد قال اتفق انى انا وجماعة من اصحابى دخلنا بستانا يوما من الايام لنشترى شيأ من الفاكهة فرأينا فى جانب ذلك البستان عجوزا صبيحة الوجه غير ان شعر رأسها ابيض وهى تسرحه بمشط من العاج فوقفنا عندها فلم تحتفل بنا ولم تغط رأسها فقلت لها يا عجوز لو صبغت شعرك اسود لكنت احسن من صبية فما منعك من ذلك فرفعت رأسها الى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان اباسويد قال لما قلت للعجوز ذلك الكلام رفعت رأسها الى حملقت العينين وانشدت هذين البيتين

وصبغت ما صبغ الزمان فلم يدم * صبغى ودامت صبغة الايام
ايام ارفل فى ثياب شبيبتى * وانا الذى من خلفى ومن قدامى

فقلت لها الله درك من عجوز ما اصدقك فى اللهج بالحرام واكذبك فى دعوى التوبة من الاثام

ومما يحكى ان عليا بن محمد بن عبد الله بن طاهر استعرض جارية اسمها مؤنس للشراء وكانت فاضلة اديبة شاعرة فقال لها ما اسمك يا جارية قالت اعز الله الامير اسمى مؤنس وكان قد عرف اسمها قبل ذلك فاطرق ساعة ثم رفع رأسه اليها وانشد هذا البيت

ماذا تقولين فيمن شفه سقم * من اجل حبك حتى صار حيرانا

فقالت اعز الله الامير وانشدت هذا البيت

اذا رأينا محبا قد اضر به ✻ داء الصبابة اوليناه احسانا

فاعجبته فاشتراها بسبعين الف درهم واولدها عبيد الله بن محمد صاحب المأثر وقال ابو العيناء كان عندنا فى الدرب امرأتان احداهما تعشق رجلا والاخرى تعشق امرد فاجتمعتا ليلة على سطح احداهما وهو قريب من دارى وهما لا يعلمان بى فقالت صاحبة الامرد للاخرى يا اختى كيف تصبرين على خشونة اللحية حين تقع على صدرك وقت لثمك وتقع شواربه على شفتيك وخديك فقالت ايها يا رعناء وهل يزين الشجر الا ورقه وخيار الازغبه وهل رأيت فى الدنيا اقبح من اقرع منتوف اما علمت ان اللحية للرجل مثل الذوائب للمرأة وما الفرق بين الخد واللحية اما علمت ان الله سبحانه وتعالى خلق فى السماء ملكا يقول سبحان من زين الرجال باللحى والنساء بالذوائب فلولا ان اللحى كالذوائب فى الجمال لما قرن بينهما يا رعناء مالى افرش نفسى تحت الغلام الذى يعاجلنى انزاله ويسابقنى انحلاله واترك الرجل الذى اذا نام ضم واذا ادخل امهل واذا افرغ رجع واذا هزاجاد وكلما خلص عاد فاتعظت صاحبة الغلام بمقالها وقالت سلوت صاحبى ورب الكعبة ومما يحكى انه كان بمدينة مصر رجل تاجر وكان عنده شئ كثير من مال ونقود وجواهر ومعادن واملاك لا تحصى وكان اسمه حسن الجوهرى البغدادى وقد رزقه الله بولد حسن الوجه معتدل القد مورد الخد ذو بهاء وكمال وبهجة وجمال فسماه عليا المصرى وقد علمه القرآن والعلم والفصاحة والادب وصار يارعانى كامل العلوم وكان تحت يد والده فى التجارة فحصل لوالده مرض وزاد عليه الحال فايقن بالموت واحضر ولده وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد الار بعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان التاجر الجوهرى البغدادى لما مرض وايقن بالموت احضر ولده الذى اسمه على المصرى وقال له يا ولدى ان الدنيا فانية والاخرة باقية وكل نفس ذائقة الموت والان يا ولدى قد قربت وفاتى واريد ان اوصيك وصية ان عملت بها لم تزل آمنا سعيدا الى ان تلقى الله تعالى وان لم تعمل بها فانه يحصل لك تعب زائد وتندم على ما فرطت فى وصيتى فقال له يا ابت كيف لا اسمع ولا اعمل بوصيتك مع ان طاعتك فرض على وسماع قولك على واجب فقال له يا ولدى انى خلفت لك اماكن ومحلات وامتعة ومالا لا يحصى بحيث اذا كنت تنفق منه فى كل يوم خمسمائة دينار لم ينقص عليك شئ من ذلك ولكن يا ولدى عليك بتقوى الله واتباع ما امر به من الفرائض وباتباع المصطفى صلى الله عليه وسلم فيما ورد عنه مما امر به ونهى عنه فى سنته وكن مواظبا على فعل الخيرات وبذل المعروف وصحبة اهل الخير والصلاح والعلم وعليك بالوصية بالفقراء والمساكين وتجنب الشح والبخل وصحبة الاشرار وذوى الشبهات وانظر لخدمك وعيالك بالرأفة ولزوجتك ايضا فانها من بنات الاكابر وهى حامل منك لعل الله يرزقك منها بالذرية الصالحة ومازال يوصيه ويبكى ويقول له يا ولدى اسال الله الكريم رب العرش العظيم ان يخلصك من كل ضيق يحصل لك ويدركك بالفرج القريب منه فبكى الولد بكاء شديدا وقال يا والدى والله انى ذبت من هذا الكلام كانك تقول قول مودع فقال له نعم يا ولدى انا عارف بحالى فلا تنس وصيتى ثم ان الرجل صار يتشهد ويقرأ الى ان حضر الوقت المعلوم فقال لولده ادن منى يا ولدى فدنا منه فقبل له وضمه ففارقت روحه جسده وتوفى الى رحمة الله تعالى فحصل لولده غاية الحزن وعلا النحيب فى بيته واجتمعت

عليه اصحاب والده فاخذ فى تجهيزه وتشهيله واخرجه خرجة عظيمة وحملوا جنازته الى الصلاة فصلوا عليه وانصرفوا بجنازته الى المقبرة فدفنوه وقرأوا عليه ما تيسر من القرآن العظيم ثم رجعوا الى المنزل فعزوا ولده وانصرف كل واحد منهم الى حال سبيله وعمل له ولده الجمع والختمات الى تمام اربعين يوما وهو مقيم فى البيت لا يخرج الا الى المصلى ومن يوم الجمعة الى الجمعة يزور والده ولم يزل فى صلاته وقرائته وعبادته مدة من الزمان حتى دخل عليه اقرانه من اولاد التجار وسلموا عليه وقالوا له الى متى هذا الحزن الذى انت فيه وترك شغلك وتجارتك واجتماعك على اصحابك وهذا امر يطول عليك ويحصل لجسدك منه ضرر زائد وحين دخلوا عليه كان صحبتهم ابليس اللعين يوسوس لهم فصاروا يحسنون له ان يخرج معهم الى السوق وابليس يغريه بموافقتهم الى ان وافقهم على الخروج معهم من البيت وادر لك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان اولاد التجار لما دخلوا على التاجر على المصرى ابن التاجر حسن الجوهرى حسنوا له ان يخرج معهم الى السوق فوافقهم على ذلك لامر يريده الله سبحانه وتعالى وخرج معهم من البيت فقالوا له اركب بغلتك ونوجه بنا الى البستان الفلانى لنتفرج فيه ويذهب عنك الحزن والفكر فركب بغلته واخذ عبده معه وتوجه معهم الى البستان الذى قصدوه فلما صاروا فى البستان ذهب واحد منهم وعمل لهم الغداء واحضره فى البستان فاكلوا وانبسطوا وجلسوا يتحدثون الى آخر النهار ثم ركبوا وانصرفوا وسار كل منهم الى منزله وباتوا فلما اصبح الصباح جاؤا اليه وقالوا له قم بنا فقال لهم الى اين فقالوا الى البستان الفلانى فانه احسن من الاول وانزه فركب وتوجه معهم الى البستان الذى قصدوه فلما صاروا فى البستان ذهب واحد منهم وعمل لهم الغداء واحضره الى البستان واحضر صحبته المدام المسكر فاكلوا ثم احضروا الشراب فقال لهم ما هذا فقالوا له هذا الذى يذهب الحزن ويجلى السرور ولم يزالوا يحسنونه له حتى غلبوا عليه فشرب معهم واستمروا فى حديث وشرب الى اخر النهار ثم توجهوا الى منازلهم ولكن على المصرى حصل له دوخة من الشراب فدخل على زوجته وهو بهذا الحال فقالت له ما بالك متغيرا فقال نحن اليوم كنا فى حظ وانبساط ولكن بعض اصحابنا جاء لنا بماء فشرب اصحابى وشربت معهم فحصلت لى هذه الدوخة فقالت له زوجته ياسيدى هل نسيت وصية والدك وفعلت ما نهاك عنه من معاشرة اصحاب الشبهات فقال لها ان هؤلاء من اولاد التجار ولم يكونوا اصحاب شبهات وانما هم اصحاب حظ وانبساط ومازال كل يوم مع اصحابه على هذه الحالة يتوجهون الى محل بعد محل وهم فى اكل وشرب الى ان قالوا له قد فرغ دورنا وصار الدور عليك فقال لهم اهلا وسهلا ومرحبا ولما اصبح احضر كامل ما يحتاج اليه الحال من المأكل والمشرب اضعاف ما فعلوه واخذ معه الطباخين والفراشين والقهوجيه وتوجهوا الى الروضة والمقياس ومكثوا فيها شهرا كاملا على اكل وشرب وسماع وانبساط فلما مضى الشهر رأى نفسه قد صرف جملة من المال لها صورة ففكره ابليس اللعين وقال له لو صرفت كل يوم قدر الذى صرفته لم ينقص مالك فلم يبال بصرف المال واستمر على هذا الحال مدة ثلاث سنوات وزوجته تنصحه وتذكره بوصية والده فلم يسمع كلامها الى ان نفد المال الذى كان عنده من النقود جميعه فصار يأخذ من الجواهر ويبيع ويصرف اثمانها الى ان انفدها ثم اخذ فى بيع البيوت والعقارات حتى لم يبق منها شئ فلما نفدت صار يبيع فى الضياع والبساتين واحدا بعد واحد الى ان ذهبت

جميعها

جميعها ولم يبق عنده شئ يملكه الا البيت الذى هو فيه فصار يقلع رخامه واخشابه ويتصرف فيها الى ان افناها جميعها ونظر فى نفسه فلم يجد عنده شيأ يصرفه فباع البيت وتصرف فى ثمنه ثم بعد ذلك جاءه الذى اشترى منه البيت وقال له انظر لك محلا فانى محتاج الى بيتى فنظر فى نفسه فلم يجد عنده شيأ يحتاج الى بيع غير زوجته وقد ولدت منه ولدا وبنتا ولم يبق عنده خدم غير نفسه وعياله فاخذله قاعة فى بعض الحيشان وسكن فيها بعد العز والدلال وكثرة الخدم والمال وصار لم يملك قوت يوم فقالت له زوجته من هذا حصكنت اعذرك واقول لك احفظ وصية والدك فلم تسمع قولى فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ومن اين تاكل الاولاد الصغار فقم وطف على اصحابك اولاد التجار لعلهم يعطونك شيأ تقوت به فى هذا اليوم فقام وتوجه الى اصحابه واحد بعد واحد وكل من توجه اليه منهم يوارى وجهه منه ويسمعه ما يكره من الكلام المؤلم ولم يعطه احد منهم شيأ فرجع الى زوجته وقال لها لم يعطونى شيأ فقامت الى جيرانها تطلب منهم شيأ وادركه شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان زوجة على المصرى بن التاجر حسن الجوهرى لما رجع اليها زوجها من غير شئ قامت الى جيرانها تطلب شيأ يقوتون به فى ذلك اليوم فتوجهت الى امرأة كانت تعرفها فى الايام السابقة فلما دخلت عليها ورأت حالها قامت واخذتها بقبول وبكت وقالت لها ما الذى اصابكم فحكت لها جميع ما كان من زوجها فقالت لها مرحبا بك واهلا وسهلا فجميع ما تحتاجين اطلبيه منى من غير مقابل فقالت لها يجزيك الله خيرا ثم اعطتها ما يكفيها هى وعيالها مؤنة شهر كامل فاخذته وتوجهت الى محلها فلما رأها زوجها بكى وقال لها من اين لك ذلك فقالت له من فلانة فانى لما اخبرتها بما حصل لم تقصر فى شئ وقالت لى جميع ما تحتاجين اليه اطلبيه منى فعند ذلك قال لها زوجها حيث صار عندك هذا فانا متوجه الى محل اقصده لعل الله تعالى يفرج عنا واخذ بخاطرها وقبل اولاده ثم خرج ولم يعرف اين يقصد ومازال ماشيا حتى وصل الى بولاق فرأى مركبا مسافرة الى دمياط فرأه رجل كان بينه وبين ابيه صحبة فسلم عليه وقال له اين تريد قال اريد دمياط فقال لى اصحابا اسأل عنهم وازورهم ثم ارجع فاخذه الى بيته واكرمه وعمل له زادا واعطاه شيأ من الدنانير وانزله فى المركب المتوجهة الى دمياط فلما وصلوا اليها طلع من المركب ولم يعرف اين يقصد فبينما هو ماش اذ رأه رجل من التجار فحن عليه واخذه معه الى منزله فمكث عنده مدة وبعد ذلك قال فى نفسه والى متى هذا القعود فى بيوت الناس ثم طلع من بيت ذلك التاجر فرأى مركبا مسافرة الى الشام فعمل له الرجل الذى كان نازلا عنده زادا وانزله فى تلك المركب وتوجهت بهم حتى وصلوا الى ساحل الشام فنزل من المركب وسافر حتى دخل دمشق فبينما هو ماش فى شوارعها اذ رأه رجل من اهل الخير فاخذه الى منزله فاقام عنده مدة ثم بعد ذلك خرج فرأى قافلة متوجهة الى بغداد فخطر بباله ان يسافر مع تلك القافلة ثم رجع الى التاجر الذى كان مقيما عنده فى منزله واخذ خاطره وطلع مع القافلة فحن الله سبحانه وتعالى عليه رجل من التجار فاخذه عنده وصار يأكل ويشرب معه الى ان بقى بينهم وبين بغداد مسافة يوم واحد فطلع على القافلة جماعة من قطاع الطريق فاخذوا كامل ما معهم ولم ينج منهم الا القليل فسار كل واحد من القافلة يقصد محلا يأوى اليه واما على المصرى فانه قصد بغداد ثم وصل اليها عند غروب الشمس وما حصل باب المدينة حتى

رأى البوابين مرادهم ان يقفلوا الباب فقال لهم دعوني ادخل عندكم فادخلوه عندهم وقالوا له من اين اتيت والى اين تسير فقال انا رجل من مدينة مصر ومعي تجارة وبغال واحمال وعبيد وغلمان فسبقتهم لكي انظر لي محلا احط فيه تجارتي فلما سبقتهم ونا راكب على بغلتي قابلني جماعة من قطاع الطريق فاخذوا بغلتي وحوايجي وما نجوت منهم الا وانا على آخر رمق فاكرموه وقالوا له مرحبا بك فبت عندنا الى الصباح ثم تنظر لك محلا يليق بك ففتش في جيبه فرأى دينارا كان باقيا من الدنانير التي اعطاها له التاجر في بولاق فاعطى ذلك الدينار لواحد من البوابين وقال له خذ هذا واصرفه واشتر لنا شيئا نأكله فاخذه وذهب الى السوق وصرفه وجاء له بخبز ولحم مطبوخ فاكل هو واياهم ونام عندهم الى الصباح ثم اخذه رجل من البوابين وتوجه به الى رجل من تجار بغداد وحكى له حكايته فصدقه ذلك الرجل وظن انه تاجر ومعه احمال فاطلعه دكانه واكرمه وارسل الى منزله فاحضر له بدلة عظيمة من ملبوسه وادخله الحمام قال علي المصري بن التاجر حسن الجوهري فدخلت معه الحمام وعند خروجنا اخذني وتوجه بي الى منزله واحضر لنا الغداء فاكلنا وانبسطنا وقال لواحد من عبيده يا مسعود خذ سيدك واعرض عليه البيتين اللذين في المكان الفلاني والذي يعجبه منهما اعطه مفتاحه وتعال فتوجهت انا والعبد حتى وصلنا الى درب فيه ثلاثة بيوت بجانب بعضها جديدة مقفولة ففتح اول بيت وتفرجت عليه وخرجنا وتوجهنا الى الثاني فتفرجت عليه فقال لي ايهما اعطيك مفتاحه فقلت له وهذا البيت الكبير لمن قال انا فقلت له افتحه لاجل ان تفرج عليه فقال ليس لك به حاجة فقلت له لم ذلك فقال لانه معمور ولم يسكنه احد الا وصح ميتا ولا نفتح بابه لاخراج الميت منه بل نطلع على سطح احد البيتين ونخرجه منه فمن ذلك تركه سيدي وقال انا ما بقيت اعطيه لاحد فقلت افتحه لي حتى اتفرج عليه وقلت في نفسي هذا هو المطلوب فابيت فيه واصبح ميتا وارتاح من هذا الحال الذي انا فيه ففتحه ودخلته فرأيته بيتا عظيما لا مثيل له فقلت للعبد انا ما اختار الا هذا البيت فاعطني مفتاحه فقال لي العبد لا اعطيك المفتاح حتى اشاور سيدي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العبد قال لي لا اعطيك المفتاح حتى اشاور سيدي ثم توجه الى سيده وقال له ان التاجر المصري يقول ما اسكن الا في البيت الكبير فقام وجاء الى علي المصري وقال له يا سيدي ليس لك بهذا البيت حاجة فقال له علي المصري ما اسكن الا فيه ولا ابالي بهذا القول فقال له اكتب بيني وبينك حجة انه اذا حصل لك شيء لا علاقة لي بك فقال كذلك فاحضر شاهدا من المحكمة وكتب عليه حجة واخذها عنده واعطاه المفتاح فاخذه ودخل البيت فارسل اليه التاجر فرشا مع عبد ففرشه له على المسطبة التي خلف الباب ورجع ثم بعد ذلك قام علي المصري ودخل فرأى بئرا في حوش البيت وعليها منطال فانزله في البئر ملأه وتوضأ منه وصلى فرضه وجلس قليلا فجاءه العبد بالعشاء من بيت سيده وجاءه بقنديل وشمعة وشمعدان وطشت وابريق وقله ثم تركه وتوجه الى بيت سيده فقاد الشمعة وتعشى وانبسط وصلى العشاء وقال في نفسه قم اطلع فوق وخذ الفرش ونم هنالك احسن من هنا فقام واخذ الفرش واطلعه فوق فرأى قاعة عظيمة سقفها مذهب وارضها وحيطانها بالرخام الملون ففرش فرشه وجلس يقرأ شيأ من القرآن العظيم فلم يشعر الا وشخص ينادي ويقول له يا علي يا ابن

حسن هل انزل عليك الذهب قال له واين الذهب الذى تنزله فما قال له ذلك حتى صب عليه ذهبا كالمنجنيق ولم يزل الذهب منصبا حتى ملأ القاعة فلما فرغ انصباب الذهب قال له اعتقنى حتى اتوجه الى حال سبيلى فقد فرغت خدمتى فقال له على المصرى اقسمت عليك بالله العظيم ان تخبرنى عن سبب هذا الذهب فقال له ان هذا الذهب كان مرصودا عليك من قديم الزمن وكان كل من دخل هذا البيت تأتيه وتقول له يا على يا ابن حسن هل تنزل الذهب فيضاف من كلامنا ويصرخ فتنزل له وتكسر رقبته وتروح فلما جئت انت وناديتنا باسمك واسم ابيك وقلنا لك هل تنزل الذهب قلت لنا واين الذهب فعرفتنا انك صاحبه فانزلناه وبقى لك كنز فى بلاد اليمن فاذا سافرت واخذته واتيت الى هنا كان اولى لك واريد منك ان تعتقنى حتى اروح الى حال سبيلى فقال والله ما اعتقك الا اذا اتيتنى بالذى فى بلاد اليمن الى هنا فقال له اذا اتيتك به هل تعتقنى وتعتق خادم ذلك الكنز فقال نعم قال له احلف لى فحلف له واراد ان يتوجه فقال له على المصرى بقى لى عندك حاجة قال وما هى قال لى زوجة واولاد بمصر فى المحل الفلانى ينبغى ان تأتينى بهم على راحة من غير ضرر فقال له آتيك بهم فى موكب وتختروان وخدم وحشم مع الكنز الذى تأتيك به من بلاد اليمن ان شاء الله تعالى ثم اخذ منه اجازة على ثلاثة ايام ويكون جميع ذلك عنده وتوجه فاصبح على يدور فى القاعة على محل يأوى فيه الذهب فرأى رخامة على طرف ليوان القاعة وفيها الولب ففرك اللولب فانزاحت الرخامة وبان له باب ففتحه ودخل فرأى خزنة كبيرة وفيها اكياس من القماش مخيطة فصار يأخذ الاكياس ويملوها من الذهب ويدخلها فى الخزنة الى ان حول الذهب جميعه وادخله الخزنة وقفل الباب وفرك اللولب فرجعت الرخامة محلها ثم قام ونزل وقعد على المسطبة التى وراء الباب فبينما هو قاعد واذا بطارق يطرق عليه الباب فقام وفتحه فرأه عبد صاحب البيت فلما رأه العبد جا سار رجع بسرعة الى سيده وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان عبد صاحب البيت لما جاه وطرق الباب على على المصرى ابن التاجر حسن فتح له الباب فلما رأه جا سار رجع بسرعة الى سيده ليبشره فلما وصل الى سيده قال له ياسيدى ان التاجر الذى سكن فى البيت المعمور بالجن طيب بخير وهو جالس على المسطبة التى وراء الباب فقام سيده وهو فرحان وتوجه الى ذلك البيت ومعه القطور فلما رأه عانقه وقبله بين عينيه وقال له ما فعل الله بك قال خيرا وما تمت الا فوق فى القاعة المرخمة فقال له هل اتاك شئ او نظرت شيأ قال لا وانما قرأت ما تيسر من القرآن العظيم ونمت الى الصباح ثم قمت وتوضأت وصليت ونزلت وجلست على هذه المسطبة فقال الحمد لله على السلامة ثم قام من عنده وارسل اليه عبيدا ومماليك وجوارى وفرشا فكنسوا البيت من فوق وتحت وفرشوه له فرشا عظيما وبقى عنده ثلاثة مماليك وثلاثة عبيد واربع جوار للخدمة والباقى توجهوا الى بيت سيدهم ولما سمع بخبره التجار ارسلوا اليه هدايا من كل شئ نفيس حتى من المأكول والمشروب والملبوس واخذوه عندهم فى السوق وقالوا له متى تجيى محلتك فقال لهم بعد ثلاثة ايام تدخل فلما مضت الثلاثة ايام جاه له خادم الكنز الاول الذى انزل له الذهب من البيت وقال له قم لاق الكنز الذى جئت لك به من اليمن وحريمك وصحبتهم من جملة الكنز مال على صورة المتجر العظيم وجميع ما معه من البغال

والخيل والجمال والخدم والمماليك كلهم من الجان وكان ذلك الخادم قد توجه الى مصر فرأى زوجة على واولاده فى هذه المدة صاروا فى عرى وجوع زائد فحملهم من مكانهم فى تخت وان خارجا عن مصر والبسهم خلعا عظيمة من الخلع التى فى كنز اليمن فلما جاءه واخبره بذلك الخبر قام وتوجه الى التجار وقال لهم قوموا بنا نطلع خارج المدينة لنلاقى القافلة التى فيها متجرنا وتشرفونا بحريمكم لاجل ملاقاة حريمنا فقالوا له سمعا وطاعة ثم ارسلوا احضروا حريمهم وطلعوا جميعا وقعدوا فى بستان من بساتين المدينة وجلسوا يتحدثون فبينما هم فى الحديث واذا بغبار قد ثار من كبد البر فقاموا ينظرون ما سبب ذلك الغبار فانكشف وبان عن بغال ورجال وعكامة وفراشين وضويه وهم مقبلون فى غناء ورخص الى ان اقبلوا فتقدم مقدم العكامة الى على المصرى ابن التاجر حسن الجوهرى وقبل يده وقال له ياسيدى اننا تعوقنا فى الطريق لاننا اردنا الدخول بالامس فخفنا من قطاع الطريق فحكثنا اربعة ايام ونحن مقيمون فى محطنا لى ان صرفهم الله تعالى عنا فقام التجار وركبوا بغالهم وساروا مع القافلة وتأخرت الحريمات عند حريم التاجر على المصرى الى ان ركبوا معهم ودخلوا فى موكب عظيم وصار التجار يتعجبون من البغال المحملة بالصناديق ونساء التجار يتعجبن من ملبس زوجة التاجر على وملبس اولادها ويقلن ان هذه الملابس لا يوجد مثلها عند ملك بغداد ولا غيره من سائر الملوك والاكابر والتجار ولم يزالوا سائرين فى موكبهم الرجال مع التاجر على المصرى والنساء مع حريمه الى ان دخلوا المنزل وادرك الشهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثلاثين بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انهم لم يزالوا سائرين فى موكبهم الرجال مع الرجال والنساء مع حريمه حتى دخلوا المنزل ونزلوا وادخلوا البغال باحمالها فى وسط الحوش ثم نزلوا الاحمال وخزنوها فى الحواصل وطلع الحريمات مع الحريم الى القاعة فرؤها مثل الروضة الغناء مفروشة بالفرش العظيم فجلسوا فى حظ وسرور واستمروا جالسين الى وقت الظهر فطلع للغداء لهم على احسن ما يكون من انواع الاطعمة والحلويات فاكلوا وشربوا الشربات العظيمة وتطيبوا بعدها بماء الورد والبخور ثم اخذوا خاطره وانصرفوا الى محلاتهم رجالا ونساء ولما رجع التجار الى اماكنهم صاروا يرسلون اليه الهدايا على قدر احوالهم وصار الحريمات يهادين الحريم الى ان جاءلهم شئ كثير من جوار وعبيد ومماليك ومن كامل الاصناف كالحبوب والسكر وغير ذلك من الخير الذى لا يحصى واما التاجر البغدادى صاحب البيت الذى هو فيه فانه استمر مقيما عنده ولم يفارقه وقال له خل العبيد والخدم يدخلون البغال وغيرها من البهائم فى بيت من البيوت لاجل الراحة فقال له انهم مسافرون فى هذه الليلة الى محل كذا واعطاهم اجازة بان يخرجوا الى خارج المدينة حتى يأتى الليل يسافرون فقاصدوا ان يعطيهم الاجازة بذلك حتى اخذوا خاطره وانصرفوا الى ظاهر المدينة وطاروا فى الهواء الى اماكنهم وقعد التاجر على مع صاحب البيت الذى هو فيه الى ثلث الليل ثم انفض مجلسهما وذهب صاحب البيت الى محله وطلع التاجر على الى حريمه وسلم عليهم وقال لهم ما الذى جرى لكم بعدى فى هذه المدة فاخبرته زوجته بما قاسوه من الجوع والعرى والتعب فقال لها الحمد لله على السلامة وكيف جئتم فقالت ياسيدى انا نائمة مع اولادى ليلة البارحة فلم اشعر الا والذى يدعى عن الارض انا واولادى الى ان صرنا طائرين فى الهواء ولكن لم يحصل لنا ضرر ولم نزل طائرين

حتى نزلنا على الارض فى مكان على شكل حلة العرب فرأينا هناك بغالا محملة وتختروانا على بغلتين كبيرتين وحوله خدم من غلمان ورجال فقلت لهم من انتم وماهذه الاحمال ونحن فى اى مكان فقالوا نحن خدام التاجر على المصرى ابن التاجر حسن الجوهرى وقد ارسلنا نأخذكم ونوصلكم اليه فى مدينة بغداد فقلت لهم وهل المسافة التى بيننا وبين بغداد بعيدة او قريبة فقالوا لى قريبة فما بيننا وبينها غير سواد الليل ثم اركبونا فى التختروان فما اصبح الصباح الا ونحن عندكم ولم يحصل لنا ضرر ابدا فقال لها ومن اعطاكم هذا الملبس فقالت مقدم القافلة فتح صندوقا من الصناديق التى على البغال واخرج منه هذه الحلل فالبسنى حلة والبس اولادك كل واحد حلة ثم قفل الصندوق الذى اخذ منه الحلل واعطانى مفتاحه وقال لى احرصى عليه حتى تعطيه لزوجك وها هو محفوظ عندى ثم اخرجته له فقال لها هل تعرفين الصندوق قالت نعم اعرفه فقام ونزل معها الى الحواصل واراها الصناديق فقالت له هذا هو الصندوق الذى اخذ منه الحلل فاخذ المفتاح منها وحطه فى القفل وفتحه فرأى فيه حللا كثيرة ورأى فيه مفاتيح كامل الصناديق فاخذها منه وصار يفتح الصناديق صندوقا بعد صندوق ويتفرج على ما فيها من الجواهر والمعادن الكنوزية التى لم يوجد عند احد من الملوك نظيرها ثم قفلها واخذ مفاتيحها وطلع هو وزوجته الى القاعة وقال لها هذا من فضل الله تعالى ثم بعد ذلك اخذها وتوجه بها الى الرخامة التى فيها اللولب وفركه وفتح باب الخزنة ودخل هو واياها وفرجها على الذهب الذى وضعه فيها فقالت له من اين جاءك هذا كله فقال لها جاءنى من فضل ربى فانى خرجت من عندك بمصر وادركنى شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثلاثون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه لما فرج التاجر على المصرى زوجته على الذهب قالت له من اين جاءك هذا كله فقال لها جاءنى من فضل ربى فانى خرجت من عندك بمصر وطلعت واتالا ادرى اين اذهب فمشيت حتى وصلت الى بولاق فوجدت مركبا مسافرة الى دمياط فنزلت فيها فلما وصلت الى دمياط قابلنى رجل تاجر كان يعرف والدى فاخذنى واكرمنى وقال لى الى اين تسافر فقلت له اريد ان اسافر الى دمشق الشام فان لى فيها اصحابا وحكى لها على ما وقع له من اوله الى آخره فقالت له ياسيدى هذا كله ببركة دعاء والدك حين كان يدعو لك قبل موته ويقول اسأل الله ان لا يوقعك فى شدة الا ويدركك بالفرج القريب فالحمد لله تعالى حيث اتاك بالفرج وعوض عليك باكثر مما ذهب منك فبالله عليك ياسيدى لا تعد الى ما كنت فيه من عشرة اصحاب الشبه وعليك بتقوى الله تعالى فى السر والعلانية وصارت توصيه فقال لها قبلت وصيتك واسأل الله تعالى ان يبعدنا اقران السوء وان يوفقنا لطاعته واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وصار هو وزوجته واولاده فى ارغد عيش ثم انه اخذ له دكانا فى سوق التجار ووضع فيه شيأ من الجواهر والمعادن الثمينة وجلس فى الدكان وعنده اولاده ومماليكه وصار اجل التجار فى مدينة بغداد فسمع بخبره ملك بغداد فارسل اليه رسولا يطلبه فلما جاءه الرسول قال له اجب الملك فانه يطلبك فقال سمعا وطاعة ثم جهز هدية للملك فاخذ اربع صوانى من الذهب الاحمر وملأها من الجواهر والمعادن التى لا يوجد مثلها عند الملوك واخذ الصوانى وطلع بها الى الملك فلما دخل عليه قبل الارض بين يديه ودعا له بدوام العز والنعم واحسن ما به تكلم فقال له الملك يا تاجر قد آنست بلادنا فقال له

يا ملك الزمان ان العبد اتاك بهدية ويرجو من فضلك قبولها ثم قدم الاربع صوانى بين يديه فكشف عنها الملك وتأملها فرأى فيها شيأ من الجواهر لم يكن عنده مثله وقيمته تساوى خزائن مال فقال له هديتك مقبولة يا تاجر وان شاء الله تعالى نجازيك بمثلها فقبل يدى الملك وانصرف من عنده فاحضر الملك اكابر دولته وقال لهم كم ملك من الملوك خطب ابنتى قالوا له كثير فقال لهم هل احد منهم هاداني بمثل هذه الهدية فقالوا جميعا لا لانه لا يوجد عند احد منهم مثل هذا قط فقال الملك استخرت الله تعالى فى ان ازوج ابنتى لهذا التاجر فما تقولون فقالوا له الامر كما ترى فامر الطواشية ان يحملوا الاربع صوانى بما فيها ويدخلوها الى سرايته ثم اجتمع بزوجته ووضع الصوانى بين يديها فكشفت عنها فرأت فيها شيأ لم يكن عندها مثله ولا قطعة واحدة فقالت له من اى الملوك هذا العله من احد الملوك الذين خطبوا بنتك فقال لا وانما هذا من رجل تاجر مصرى جاء عندنا فى هذه المدينة فلما سمعت بقدومه ارسلت اليه رسولا يحضره لنا كى نصاحبه لعلنا نجد عنده شيأ من الجواهر فنشتريه منه من اجل جهاز بنتنا فامتثل امرنا وجاء لنا بهذه الاربع صوانى وقدمها لنا هدية فرأيته شابا حسنا ذا مهابة وعقل كامل وشكل ظريف يكاد ان يكون من ابناء الملوك فلما رأيته مال اليه قلبى وانشرح له صدرى واحببت ان ازوجه بنتى وقد عرضت الهدية على ارباب دولتى وقلت لهم كم واحد من الملوك خطب ابنتى فقالوا كثير فقلت لهم وهل جاء فى احد منهم بمثل ذلك فقالوا كلهم لا والله يا ملك الزمان انه لا يوجد عند احد منهم مثل ذلك فقلت لهم انى استخرت الله تعالى فى ان ازوجه ابنتى فما تقولون قالوا الامر كما تراه فما تقولين انت فى جوابك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثلاثون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ملك مدينة بغداد لما عرض الهدية على زوجته واخبرها بشمائل التاجر على الجوهرى وانه يريد ان يزوجه ابنته قال لها فما تقولين انت فى جوابك قالت له الامر لله ولك يا ملك الزمان والذى يريده الله هو الذى يكون فقال ان شاء الله تعالى لا نزوجها الا لهذا الشاب وبات تلك الليلة فلما اصبح الصباح طلع الى ديوانه وامر باحضار التاجر على المصرى وكامل تجار بغداد فحضروا جميعا فلما تمثلوا بين يدى الملك امرهم بالجلوس فجلسوا ثم قال احضروا قاضى الديوان فحضر بين يديه فقال له يا قاضى اكتب كتاب ابنتى على التاجر على المصرى فقال على المصرى العفو يا مولانا السلطان لا يصح ان يكون صهر الملك تاجر مثلى فقال الملك قد انعمت عليك بذلك وبالوزارة ثم خلع عليه خلعة الوزارة فى الحال فعند ذلك جلس على كرسى الوزارة وقال يا ملك الزمان انت انعمت على بذلك وقد تشرفت بانعامك ولكن اسمع لى كلمة اقولها لك فقال قل ولا تخف قال حيث صدر امرك الشريف بزواج ابنتك فينبغى ان يكون زواجها لولدى فقال هل لك ولد قال نعم فقال الملك ارسل اليه فى هذه الساعة فقال سمعا وطاعة ثم ارسل واحدا من مماليكه الى ولده واحضره فلما حضر بين يدى الملك قبل الارض بين يديه ووقف متأدبا فنظر اليه الملك فرأه اجمل من بنته واحسن منها قدا واعتدالا وبهجة وكمالا فقال له ما اسمك يا ولدى فقال يا مولانا السلطان اسمى حسن وكان عمره حينئذ اربعة عشر عاما فقال الملك للقاضى اكتب كتاب بنتى حسن الوجود على حسن بن التاجر على المصرى فكتب كتابه عليها وتم الامر على احسن حال وانصرف كل من فى الديوان الى حال سبيله ونزل التجار خلف الوزير

على

على المصرى الى ان وصل الى منزله وهو فى منصب الوزارة ثم هنوه بذلك وانصرفوا الى حال سبيلهم ثم دخل الوزير على المصرى على زوجته فرأته لابسا خلعة الوزارة فقالت له ما هذا فحكى لها الحكاية من اولها الى آخرها وقال لها ان الملك زوج ابنته لحسن ولدى ففرحت بذلك فرحا زائدا ثم بات على المصرى تلك الليلة ولما اصبح الصباح طلع الديوان فلاقاه الملك ملاقاة حسنة واجلسه الى جانبه وقربه منه وقال له ياوزير قصدنا اتمام الفرح وندخل ابنك على بنتى فقال يامولانا السلطان ماتراه حسنا فهو حسن فامر الملك بقيام الفرح وزينوا المدينة واستمروا فى اقامة الفرح ثلاثين يوما وهم فى هناء وسرور وفى تمام الثلاثين يوما دخل حسن بن الوزير على بنت الملك وتمتع بحسنها وجمالها واما زوجة الملك فانها حين رأت زوج ابنتها احبته حبا شديدا وكذلك فرحت باسمه فرحا زائدا ثم ان الملك امر لحسن ابن الوزير بسراية فبنوا له سراية عظيمة بسرعة وسكن فيها ابن الوزير وصارت امه تقعد عنده اياما ثم تنزل الى بيتها فقالت زوجة الملك لزوجها يا ملك الزمان ان والدة حسن لا يمكنها ان تقعد عند ولدها وتترك الوزير ولا يمكنها ان تقعد عند الوزير وتترك ولدها فقال صدقت وامر ان تبنى سراية ثالثة بجنب سراية حسن ابن الوزير فبنوا سراية ثالثة فى ايام قلائل وامر الملك ان ينقلوا حوايج الوزير الى السراية فنقلوها وسكن بها الوزير وصارت الثلاث سرايات نافذات لبعضها فاذا اراد الملك ان يتحدث مع الوزير يمشى له ليلا او يرسل اليه يحضره وكذلك حسن وامه وابوه ومازالوا مع بعضهم فى حالة مرضية وعيشة هنية وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثلاثون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك والوزير وابنه مازالوا مع بعضهم فى حالة مرضية وعيشة هنية مدة من الزمان ثم ان الملك حصل له ضعف وزاد سقمه فاحضر اكابر دولته وقال لهم انه حصل لى مرض شديد وربما كان مرض الموت وقد احضرتكم لاشاوركم فى امر فشوروا على بما ترونه حسنا فقالوا ما الرأى الذى تشاورنا فيه ايها الملك فقال انى صرت كبيرا وقد مرضت واخاف على المملكة بعدى من الاعداء وقصدى ان تتفقوا انتم الجميع على واحد حتى ابايعه على المملكة فى حياتى لكى ترتاحوا فقالوا جميعا نحن نرضى كلنا بزوج ابنتك حسن ابن الوزير على فاشار بناعقله وكماله وفهمه وهو يعرف مقام الكبير والصغير فقال لهم الملك وهل رضيتم بذلك قالوا نعم قال لهم ربما تقولون ذلك بين يدى حياتى وفى خلفى تقولون غير ذلك فقالوا جميعا والله ان كلامنا ظاهرا وباطنا واحدا لا يتغير وقد ارتضيناه بطيب قلوبنا وانشراح صدورنا فقال لهم ان كان الامر كذلك فاحضروا قاضى الشرع الشريف وسائر الحجاب والنواب وارباب الدولة جميعا بين يدى فى غد وتتم الامر على احسن حال فقالوا له سمعا وطاعة ثم انصرفوا من عنده ونبهوا على كامل العلماء ووجهاء الناس من الامراء فلما اصبح الصباح طلعوا الى الديوان وارسلوا الى الملك يستأذنونه فى الدخول عليه فاذن لهم فدخلوا وسلموا عليه وقالوا نحن الجميع قد حضرنا بين يديك فقال لهم الملك يا امراء بغداد من ترضونه يكون عليكم ملكا بعدى لاجل ان ابايعه فى حياتى قبل مماتى فى حضوركم جميعا فقالوا كلهم قد اتفقنا على حسن ابن الوزير على زوج ابنتك فقال لهم ان كان الامر كذلك فقوموا جميعا واحضروه بين يدى فقاموا جميعا ودخلوا سرايته وقالوا له قم بنا الى الملك فقال لهم لاى شئ فقالوا له لامر فيه صلاح لنا ولك فقام معهم حتى دخلوا

على الملك فقبل حسن الارض بين يديه فقال له الملك اجلس يا ولدى فجلس فقال له يا حسن ان الامراء جميعا استرضوا عنك واتفقوا على ان يجعلوك ملكا عليهم من بعدى وقصدى ان ابايعك فى حياتى لاجل انفضاض الامر فعند ذلك قام حسن وقبل الارض بين يدى الملك وقال له يا مولانا الملك ان فى الامراء من هو اكبر منى سنا واعلا قدرا فاقيلونى من ذلك الامر فقالت الامراء جميعا لا نرضى الا ان تكون ملكا علينا فقال لهم ان ابى اكبر منى وانا وابى شئ واحد ولا يصح تقديمى عليه فقال له ابوه انا لا ارضى الا بما ارضى به اخوانى وقد رضوا بك واتفقوا عليك فلا تخالف امر الملك ولا امر اخوانك فاطرق حسن برأسه الى الارض حياء من الملك ومن ابيه فقال لهم الملك هل رضيتم به قالوا رضينا به فقرأوا جميعا على ذلك فواتح سبع ثم قال الملك يا قاضى اكتب حجة شرعية على هؤلاء الامراء انهم اتفقوا على سلطنة حسن زوج بنتى وانه يكون عليهم ملكا فكتب الحجة بذلك وامضاها بعد ان بايعوه جميعا على الملك وبايعه الملك وامره بالجلوس على كرسى المملكة فقاموا جميعا وقبلوا ايادى الملك حسن ابن الوزير وابدوا له الطاعة فحكم فى ذلك النهار حكما عظيما وخلع على ارباب الدولة الخلع السنية ثم انفض الديوان ودخل حسن على والد زوجته وقبل يديه فقال له يا حسن عليك بتقوى الله فى الرعية وادر لى شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثلاثون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك حسن لما فرغ من الديوان دخل على والد زوجته وقبل يديه فقال له يا ولدى عليك بتقوى الله فى الرعية فقال له بدعائك لى يا والدى يحصل لى التوفيق ثم دخل سرايته فلاقته زوجته هى وامها واتباعهما وقبلوا يديه وقالوا له يوم مبارك وهنوه بالمنصب ثم قام من سرايته ودخل سراية والده وفرحوا فرحا زائدا بما انعم الله به عليه من تقليد الملك واوصاه والده بتقوى الله والشفقة على الرعية وبات تلك الليلة فى فرح وسرور الى الصباح ثم صلى فرضه وختم ورده وطلع الى الديوان وطلع اليه كامل العسكر وارباب المناصب فحكم بين الناس وامر بالمعروف ونهى عن المنكر وولى وعزل ولم يزل فى الحكومة الى آخر النهار ثم انفض الديوان على احسن حال وانصرف العسكر وسار كل واحد منهم الى حال سبيله ثم قام ودخل السراية فراى والد زوجته قد ثقل عليه الضعف فقال له لا باس عليك ففتح عينيه وقال له يا حسن قال لبيك يا سيدى قال له انا الان قد قرب اجلى فكن متوصيا بزوجتك ووالدتها وعليك بتقوى الله وبر والديك واخش مهابة الملك الديان واعلم بان الله يأمر بالعدل والاحسان فقال له الملك حسن سمعا وطاعة ثم ان الملك القديم اقام ثلاثة ايام بعد ذلك وتوفى الى رحمة الله تعالى فجهزوه وكفنوه وعملوا له القرأت والختمات الى تمام الاربعين يوما واستقل الملك حسن ابن الوزير بالملك وفرحت به الرعية وكانت ايامه كلها سرورا وما زال والده وزيرا كبيرا على يمينه واتخذه وزيرا اخر على يسرته واستقامت به الاحوال ومكث ملكا فى بغداد مدة مستطيلة ورزق من بنات الملك ثلاثة اولاد ذكور وتوارثوا المملكة من بعده وصاروا فى ارغد عيش واهناه الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان من له الدوام وبيده النقض والابرام ومما يحكى ان رجلا من الحجاج نام نومة طويلة ثم انتبه فلم ير للحجاج اثرا فقام يمشى فضل عن الطريق وصار يسير الى ان رأى خيمة ورأى امرأة عجوزا على باب الخيمة ووجد عندها كلبا نائما فدخل من الخيمة ثم سلم على العجوز وطلب منها طعاما فقالت امض الى ذلك الوادى واصطد من الحيات

بقدر كفايتك لاشوى لك منها واطعمك فقال لها الرجل انا لا اجسر على ان اصطاد الحيات وما اكلتها قط فقالت العجوز انا امضي معك واتصيد منها فلا تخف ثم انها مضت معه وتبعها الكلب فاصطادت من الحيات بقدر الكفاية وجعلت تشوي منها فلما رأى الرجل الحاج من الاكل بدا وخاف من الجوع والهزال فاكل من تلك الحيات ثم انه عطش فطلب من العجوز ماء ليشرب فقالت له دونك والعين فاشرب منها فمضى الى العين فوجد ماءها مرا ولم يجد له من شربه بدا مع شدة مرارته لما لحقه من العطش فشرب ثم عاد للعجوز وقال لها عجبا منك ايتها العجوز ومن مقامك بهذا الموضع ومكثك في هذا المكان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثلاثون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الرجل الحاج لما شرب من ماء العين المر لكثرة ما لحقه من العطش ثم عاد للعجوز وقال لها اعجب ايتها العجوز منك ومن مقامك بهذا الموضع واعتذرت بهذا الطعام وشربك من هذا الماء قالت له العجوز فكيف تكون بلادكم قال لها ان في بلادنا الدور الواسعة الرحبة والفواكه اليانعة اللذيذة والمياه الغزيرة العذبة والاطعمة الطيبة واللحوم السمينة والغنم الكثيرة وكل شيء طيب والخيرات الحسان اللاتي لا يكون مثلهن الا في الجنة التي وصفها الله تعالى لعباده الصالحين فقالت العجوز قد سمعت هذا كله فقل لي هل يكون لكم من سلطان يحكم عليكم ويجور في حكمه وانتم تحت يده وان اذنب احد منكم اخذ ماله واتلفه واذا اراد اخرجكم من بيوتكم واستأصل شأفتكم فقال لها الرجل قد يكون ذلك فقالت العجوز اذا والله يكون ذلك الطعام اللطيف والعيش الظريف والنعم اللذيذة مع الجور والظلم سماناقعا وتعودا طعمتنا مع الامن دريافا نافعا اما سمعت ان اجل النعم بعد الاسلام الصحة والامن وانما يكون هذا من عدل السلطان خليفة الله في ارضه وحسن سياسته وكان من تقدم من السلاطين يجب ان يكون له ادنى هيبة بحيث اذا رأته الرعية خافوه وسلطان هذا الزمان يجب ان يكون له اوفى سياسة واتم هيبة لان الناس الان ليسوا كالمتقدمين وزماننا هذا زمان ذوي الوصف الذميم والخطب الجسيم حيث اتصفوا بالسفاهة والقساوة وانطووا على البغضاء والعداوة واذا كان السلطان والعياذ بالله تعالى بينهم ضعيفا او غير ذي سياسة وهيبة فلا شك في ان ذلك يكون سببا لخراب البلاد وفي الامثال جور السلطان مائة سنة ولا جور الرعية بعضهم على بعض سنة واحدة واذا جارت الرعية سلط الله عليهم سلطانا جائرا وملكا قاهرا كما ورد في الاخبار ان الحجاج بن يوسف رفعت اليه في بعض الايام قصة مكتوب فيها اتق الله ولا تجر على عباد الله كل الجور فلما قرأ القصة رقى المنبر وكان فصيحا فقال ايها الناس ان الله تعالى سلطني عليكم باعمالكم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثلاثون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الحجاج بن يوسف لما قرأ القصة رقى المنبر وكان فصيحا فقال ايها الناس ان الله تعالى سلطني عليكم باعمالكم فان اقمت فانتم لا تخلصون من الجور مع هذه الاعمال السيئة لان الله تعالى خلق امثالي خلقا كثيرا واذا لم اكن انا كان من هو اكثر مني شرا واعظم جورا واشد سطوة كما قال الشاعر في معنى ذلك

ومامن يد الا يد الله فوقها * ومامظالم الاسيبلى بظالم

والجور يخاف منه والعدل اصلح كل شئ نسأل الله ان يصلح احوالنا ومما يحكى انه كان ببغداد رجل ذو مقدار وكان موسرا بالمال والعقار وهو من التجار الكبار وقد وسع الله عليه دنياه ولم يبلغه من الذرية ما يتمناه ومضت عليه مدة من الزمان ولم يرزق بانات ولا ذكران فكبر سنه ورق عظمه وانحنى ظهره وكثر وهنه وهمه خوف ذهاب ماله ونشبه اذا لم يكن له ولد يرثه ويذكر به فتضرع الى الله تعالى وصام النهار وقام الليل ونذر النذور لله تعالى الحى القيوم وزار الصالحين واكثر التضرع الى الله تعالى فاستجاب الله له وقبل دعاه ورحم تضرعه وشكواه فما كان الا قليل من الايام حتى جامع احدى نسائه فحملت منه فى ليلتها ووقتها وساعتها واتمت اشهرها ووضعت حملها وجاءت بذكر كانه فلقة قمر فاوفى بالنذر شكرا لله عزوجل واخرج الصدقات وكسا الارامل والايتام وليلة سابع الولادة سماه ابا الحسن فارضعته المراضع وحضنته الحواضن وحملته المماليك والخدم الى ان كبر ونشأ وترعرع وانتشأ وتعلم القرآن العظيم وفرائض الاسلام وامور الدين القويم والخط والشعر والحساب والرمى بالنشاب فكان فريد دهره واحسن اهل زمانه وعصره ذا وجه مليح ولسان فصيح يتهادى تمايلا واعتدالا ويتزاهى تدللا واختيالا بخد احمر وجبين ازهر وعذار اخضر كما قال فيه بعض واصفيه

بدا ربيع العذار للعدق * والورد بعد الربيع كيف بقى

اما ترى النبت فوق عارضه * ينفسجا طالعا من الورق

فاقام مع ابيه برهة من الزمن فى احسن حال وابوه به فرح مسرور الى ان بلغ مبالغ الرجال فاجلسه ابوه بين يديه يوما من الايام وقال له يا ولدى انه قد قرب الاجل وحانت وفاتى ولم يبق غير لقاء الله عزوجل وقد خلفت لك ما يكفيك الى ولد الولد من المال المتين والضياع والاملاك والبساتين فاتق الله تعالى يا ولدى فيما خلفته لك ولا تتبع الامن رفد لك فلم يكن الا قليل حتى مرض الرجل ومات فجهزه ولده احسن تجهيز ودفنه ورجع الى منزله وقعد للعزاء اياما وليالى واذا باصحابه قد دخلوا عليه وقالوا له من خلف منلك ما مات وكل مافات فقد فات وما يصلح العزاء الا للبنات والنساء المخدرات ولم يزالوا به حتى دخل الحمام ودخلوا عليه وفكوا حزنه وادرلك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثلاثون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابا الحسن ابن الخواجا لما دخل عليه اصحابه الحمام وفكوا حزنه نسى وصية ابيه وذهل لكثرة المال وظن ان الدهر يبقى معه على حال وان المال ليس له زوال فاكل وشرب ولذ وطرب وخلع ووهب وجاد بالذهب ولازم اكل الدجاج وفض ختام الزجاج وقهقهة القنانى واستماع الاغانى ولم يزل على هذا الحال الى ان مال المال وقعد الحال وذهب ما كان لديه وسقط فى يديه ولم يبق له بعد ان اتلف ما اتلف غير وصيفة خلفها له والده من جملة ما خلف وكانت الوصيفة هذه ليس لها نظير فى الحسن والجمال والبهاء والكمال والقد والاعتدال وهى ذات فنون وآداب وفضائل تستطاب قد فاقت اهل عصرها واوانها وصارت اشهر من علم فى اقتنائها وزادت على الملاح بالعلم والعمل والتثنى والميل مع كونها خماسية القد مقارنة للسعد بجبينين كانهما هلال شعبان وحاجبين ازجين وعينين كعيون غزلان وانف كحد الحسام وخد كانه شقايق النعمان وفم كخاتم سليمان واسنان كانها عقود الجمان وسرة تسع اوقية

دهن بان وخصر انحل من جسم من اضناه الهوى واسقمه الكتمان ورد ف اثقل من الكثبان وبالجملة فهي في . والجمال جديرة بقول من قال

ان اقبلت فتنت بحسن قوامها * اوادبرت قتلت بصد فراقها
شمسية بدرية غصنية * ليش الجفا والبعد من اخلاقها
جنات عدن تحت جيب قميصها * والبدر في فلك على اطواقها

كانها البدر الطالع والغزال الرائع بنت تسع وخمس تخجل القمر والشمس كما قال الشاعر البليغ الماهر

شبيهة البدر اذا ما مضى * خمس وخمس بعدها اربع
ما كان ذنبي حين صيرتني * شبيه اول ما يطلع

صافية الاديم عاطرة النسيم كانها خلقت من النور وتكونت من البلور تورد منها الخد واعتدل القوام والقد كما قال فيها بعض واصفيها

تختال بين معصفر ومدنر * ومفضض وموردومصندل
هي زهرة في روضة او درة * في شمسة اوصورة في هيكل
هيفاء ان قال القوام لها انهضي * قالت روادفها قفي وتمهلي
واذا طلبت الوصل قال جمالها * جودي وقال دلالها لا تفعلي
سبحان من جعل الملاحة حظها * ونصيب عاشقها كلام العذل

تسلب من يراها بحسن جمالها وبريق ابتسامها وترميه من عيونها بنبل سهامها وهي مع هذا كله فصيحة الكلام حسنة النظام فلما نفد جميع ماله وتبين سوء حاله ولم يبق معه غير هذه الجارية اقام ثلاثة ايام وهو لم يذق طعم طعام ولم يستر ح في منام فقالت له الجارية ياسيدي احملني الى امير المؤمنين هارون الرشيد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثلاثون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية قالت لسيدها ياسيدي احملني الى هارون الرشيد الخامس من بني العباس واطلب ثمني منه عشرة الاف دينار فان استغلاني فقل له يا امير المؤمنين وصيفتي اكثر من ذلك فاختبرها بعظم قدرها في عينك لان هذه الجارية ليس لها نظير ولا تصلح الا للملك ثم قالت له اياك ياسيدي ان تبيعني بدون ما قلت للثمن فانه قليل في مثلي وكان سيد الجارية لا يعلم قدرها ولا يعرف انها ليس لها نظير في زمانها ثم انه حملها الى امير المؤمنين هارون الرشيد وقدمها له وذكر ما قالت فقال لها الخليفة ما اسمك قالت اسمي تودد قال يا تودد ما تحسنين من العلوم قالت ياسيدي اني اعرف النحو والشعر والفقه والتفسير واللغة واعرف فن الموسيقى وعلم الفرائض والحساب والقسمة والمساحة واساطير الاولين واعرف القرآن العظيم وقد قرأته للسبع وللعشر وللاربع عشرة واعرف عدد سوره وآياته واحزابه وانصافه وارباعه واثمانه واعشاره وسجداته وعدد احرفه واعرف ما فيه من الناسخ والمنسوخ والمدنية والمكية واسباب التنزيل واعرف الحديث الشريف دراية ورواية المسند منه والمرسل ونظرت في علوم الرياضة والهندسة والفلسفة وعلم الحكمة والمنطق والمعاني والبيان وحفظت كثيرا من العلم وتعاملت بالشعر وضربت العود وعرفت مواضع النغم فيه وواقع حركات اوتاره وسكناتها

فان غنيت ورقصت فتنت وان تزينت وتطيبت قتلت وبالجملة فانى وصلت الى شئ لم يعرفه الا الراسخون فى العلم فلما سمع الخليفة هارون الرشيد كلامها على صغر سنها تعجب من فصاحة لسانها والتفت الى مولاها وقال انى احضر من يناظرها فى جميع ما ادعته فان اجابت دفعت لك ثمنها وزيادة وان لم تجب فانت اولى بها فقال مولاها يا امير المؤمنين حبا وكرامة فكتب امير المؤمنين الى عامل البصرة بان يرسل اليه ابراهيم بن سيار النظام وكان اعظم اهل زمانه فى الحجة والبلاغة والشعر والمنطق وامره ان يحضر القراء والعلماء والاطباء والمنجمين والحكماء والمهندسين والفلاسفة وكان ابراهيم اعلم من الجميع فما كان الا قليل حتى حضروا دار الخلافة وهم لا يعلمون الخبر فدعاهم امير المؤمنين الى مجلسه وامرهم بالجلوس فجلسوا ثم امر ان تحضر الجارية فوددت فحضرت واظهرت نفسها وهى كانها كوكب درى فوضع لها كرسى من ذهب فسلمت ونطقت بفصاحة لسان وقالت يا امير المؤمنين مر من حضر من العلماء والقراء والاطباء والمنجمين والحكماء والمهندسين والفلاسفة ان يناظرونى فقال لهم امير المؤمنين اريد منكم ان تناظروا هذه الجارية فى امر دينها وان تدحضوا حجتها فى كل ما ادعته فقالوا السمع والطاعة لله ولك يا امير المؤمنين فعند ذلك اطرقت الجارية وقالت ايكم الفقيه العالم المقرى المحدث فقال احدهم انا ذلك الرجل الذى طلبت قالت له اسأل عما شئت قال لها انت قرأت كتاب الله العزيز وعرفت ناسخه ومنسوخه وتدبرت آياته وحروفه قالت نعم فقال لها اسألك عن الفرائض الواجبة والسنن القائمة فاخبرنى ايتها الجارية عن ذلك وما ربك وما نبيك وما امامك وما قبلتك وما اخوانك وما طريقتك وما منهاجك قالت الله ربى ومحمد صلى الله عليه وسلم نبى والقرآن امامى والكعبة قبلتى والمؤمنون اخوانى والخير طريقتى والسنة منهاجى فتعجب الخليفة من قولها ومن فصاحة لسانها على صغر سنها ثم قال لها ايتها الجارية اخبرينى بم عرفت الله تعالى قالت بالعقل قال وما العقل قالت العقل عقلان عقل موهوب وعقل مكسوب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثلاثون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية قالت العقل عقلان موهوب ومكسوب فالعقل الموهوب هو الذى خلقه الله عز وجل يهدى به من يشاء من عباده والعقل المكسوب هو الذى يكسبه المرء بتأديبه وحسن معرفته فقال لها احسنت ثم قال اين يكون العقل قالت يقذفه الله فى القلب فيصعد شعاعه فى الدماغ حتى يستقر قال لها احسنت ثم قال اخبرينى بم عرفت النبى صلى الله عليه وسلم قالت بقراءة كتاب الله تعالى وبالايات والدلالات والبراهين والمعجزات قال احسنت فاخبرينى عن الفرائض الواجبة والسنن القائمة قالت اما الفرائض الواجبة فخمس شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام من استطاع اليه سبيلا واما السنن القائمة فهى اربع الليل والنهار والشمس والقمر وهن بينين العمر والامل وليس يعلم ابن آدم انهن يهدمن الاجل قال احسنت فاخبرينى ما شعائر الايمان قالت شعائر الايمان الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد واجتناب الحرام قال احسنت فاخبرينى باى شئ تقومين الى الصلاة قالت بنية العبودية مقرة بالربوبية قال فاخبرينى كم فرض الله عليك قبل قيامك الى الصلاة قالت الطهارة وستر العورة واجتناب الثياب المتنجسة والوقوف على مكان طاهر والتوجه للقبلة والقيام والنية وتكبيرة الاحرام

قال احسنت فاخبرينى بم تخرجين من بيتك الى الصلاة قالت بنية العبادة قال فباى نية تدخلين المسجد قالت بنية الخدمة قال فبماذا تستقبلين القبلة قالت بثلاث فرائض وسنة قال احسنت فاخبرينى ما مبدأ الصلاة وما تحليلها وما تحريمها قالت مبدأ الصلاة الطهور وتحريمها تكبيرة الاحرام وتحليلها السلام من الصلاة قال فماذا يجب على من تركها قالت روى فى الصحيح من ترك الصلاة عامدا متعمدا من غير عذر فلا حظ له فى الاسلام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للاربعين بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية لما ذكرت الحديث الشريف قال لها الفقيه احسنت فاخبرينى عن الصلاة ما هى قالت الصلاة صلة بين العبد وربه وفيها عشر خصال تنور القلب وتضئ الوجه وترضى الرحمن وتغضب الشيطان وتدفع البلاء وتكفى شر الاعداء وتكثر الرحمة وتدفع النقمة وتقرب العبد من مولاه وتنهى عن الفحشاء والمنكر وهى من الواجبات المفروضات المكتوبات وهى عماد الدين قال احسنت فاخبرينى ما مفتاح الصلاة قالت الوضوء قال فما مفتاح الوضوء قالت التسمية قال فما مفتاح التسمية قالت اليقين قال فما مفتاح اليقين قالت التوكل قال فما مفتاح التوكل قالت الرجاء قال فما مفتاح الرجاء قالت الطاعة قال فما مفتاح الطاعة قالت الاعتراف لله تعالى بالوحدانية والاقرار له بالربوبية قال احسنت فاخبرينى عن فروض الوضوء قالت ستة اشياء على مذهب الامام الشافعى محمد بن ادريس رضى الله عنه النية عند غسل الوجه وغسل الوجه وغسل اليدين مع المرفقين ومسح بعض الرأس وغسل الرجلين مع الكعبين والترتيب وسننه عشرة اشياء التسمية وغسل الكفين قبل ادخالهما الاناء والمضمضة والاستنشاق ومسح جميع الرأس ومسح الاذنين ظاهرهما وباطنهما بماء جديد وتخليل اللحية الكثة وتخليل اصابع اليدين والرجلين وتقديم اليمنى على اليسرى والطهارة ثلاثا ثلاثا والموالاة فاذا فرغ من الوضوء قال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك فقد جاء فى الحديث الشريف عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من قالها عقب كل وضوء فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء قال احسنت فاذا اراد الانسان الوضوء ماذا يكون عنده من الملائكة والشياطين قالت اذا تهيأ الانسان للوضوء اتت الملائكة عن يمينه والشياطين عن شماله فاذا ذكر الله تعالى فى ابتداء الوضوء فرت منه الشياطين واستولت عليه الملائكة بخيمة من نورلها اربعة اطناب مع كل طنب ملك يسبح الله تعالى ويستغفر له مادام فى انصات اوذكر فان لم يذكر الله عزوجل عند ابتداء الوضوء ولم ينصت استولت عليه الشياطين وانصرفت عنه الملائكة ووسوس له الشيطان حتى يدخل عليه الشك والنقص فى وضوئه فقد قال عليه الصلاة والسلام الوضوء الصالح يطرد الشيطان ويؤمن من جور السلطان وقال ايضا من نزلت عليه بلية وهو على غير وضوء فلا يلومن الا نفسه قال احسنت فاخبرينى عما يفعل الشخص اذا استيقظ من منامه قالت اذا استيقظ الشخص من منامه فليغسل يديه ثلاثا قبل ادخالهما الاناء قال احسنت فاخبرينى عن فروض الغسل وعن سننه قالت فروض الغسل النية وتعميم البدن بالماء اى ايصال الماء الى جميع الشعر والبشرة واما سننه فالوضوء قبله والتدليك وتخليل الشعر وتاخير غسل الرجلين فى قول الى آخر الغسل قال احسنت وادرك شهر

زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والاربعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما اخبرت الفقيه عن فروض الغسل وسننه قال احسنت فاخبرني عن اسباب التيمم وفروضه وسننه قالت اما اسبابه فسبعة فقد الماء والخوف والحاجة اليه واضلاله في رحله والمرض والجبيرة والجراح واما فروضه فاربعة النية والتراب وضربة للوجه وضربة لليدين واما سننه فالتسمية وتقديم اليمنى على اليسرى قال احسنت فاخبرني عن شروط الصلاة وعن اركانها وعن سننها قالت اما شروطها فخمسة اشياء طهارة الاعضاء وستر العورة ودخول الوقت يقينا او ظنا واستقبال القبلة والوقوف على مكان طاهر واما اركانها فالنية وتكبيرة الاحرام والقيام مع القدرة وقراءة الفاتحة وبسم الله الرحمن الرحيم آية منها على مذهب الامام الشافعي والركوع والطمأنينة فيه والاعتدال والطمأنينة فيه والسجود والطمأنينة فيه والجلوس بين السجدتين والطمأنينة فيه والتشهد الاخير والجلوس له والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه والتسلمة الاولى ونية الخروج من الصلاة في قول واما سننها فالاذان والاقامة ورفع اليدين عند الاحرام ودعاء الافتتاح والتعوذ والتأمين وقراءة السورة بعد الفاتحة والتكبيرات عند الانتقالات وقول سمع الله لمن حمده وربنا لك الحمد والجهر في موضعه والاسرار في موضعه والتشهد الاول والجلوس له والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه والصلاة على الآل في التشهد الاخير والتسلمة الثانية قال احسنت فاخبرني فيما تجب الزكاة قالت تجب في الذهب والفضة والابل والبقر والشاء والحنطة والشعير والدخن والذرة والفول والحمص والارز والزبيب والتمر قال احسنت فاخبرني في كم تجب الزكاة في الذهب قالت لا زكاة فيما دون عشرين مثقالا فاذا بلغت العشرين ففيها نصف مثقال وما زاد فبحسابه قال فاخبرني في كم تجب الزكاة في الورق قالت ليس فيما دون مائتي درهم زكاة فاذا بلغت المائتين ففيها خمسة دراهم وما زاد فبحسابه قال احسنت فاخبرني في كم تجب الزكاة في الابل قالت في كل خمس شاة الى خمس وعشرين ففيها بنت مخاض قال احسنت فاخبرني في كم تجب الزكاة في الشياه قالت اذا بلغت اربعين ففيها شاة قال احسنت فاخبرني عن الصوم وفروضه قالت اما فروض الصوم فالنية والامساك عن الاكل والشرب والجماع وتعمد القيء وهو واجب على كل مكلف خال عن الحيض والنفاس ويجب برؤية الهلال او باخبار عدل يقع في قلب المخبر صدقه ومن واجباته تبييت النية واما سننه فتعجيل الفطر وتأخير السحور وترك الكلام الا في الخير والذكر وتلاوة القرآن قال احسنت فاخبرني عن شيء لا يفسد الصوم قالت الادهان والاكتحال وغبار الطريق وابتلاع الريق وخروج المني بالاحتلام او النظر لامرأة اجنبية والفصادة والحجامة هذا كله لا يفسد الصوم قال احسنت فاخبرني عن صلاة العيدين قالت ركعتان وهما سنة من غير اذان ولا اقامة ولكن يقول الصلاة جامعة ويكبر في الاولى سبعا سوى تكبيرة الاحرام وفي الثانية خمسا سوى تكبيرة القيام على مذهب الامام الشافعي رحمه الله تعالى ويتشهد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والاربعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما اخبرت الفقيه عن صلاة العيدين قال لها احسنت فاخبرني

عن صلاة كسوف الشمس وخسوف القمر قالت ركعتان بغير اذان ولا اقامة يأتى فى كل ركعة بقيامين وركوعين وسجودين ويجلس ويتشهد ويسلم قال احسنت فاخبرنى عن صلاة الاستسقاء قالت ركعتان بغير اذان ولا اقامة ويتشهد ويسلم ثم يخطب ويستغفر الله تعالى مكان التكبير فى خطبتى العيدين ويحول رداءه بان يجعل اعلاه اسفله ويدعو ويتضرع قال احسنت فاخبرنى عن صلاة الوتر قالت الوتر أقله ركعة واحدة واكثره احدى عشرة قال احسنت فاخبرنى عن صلاة الضحى قالت صلاة الضحى اقلها ركعتان واكثرها ثنتا عشرة ركعة قال احسنت فاخبرنى عن الاعتكاف قالت هو سنة قال فما شرطه قالت النية وان لا يخرج من المسجد الا لحاجة ولا يباشر النساء وان يصوم ويترك الكلام قال احسنت فاخبرنى بما ذا يجب الحج قالت بالبلوغ والعقل والاسلام والاستطاعة وهو واجب فى العمر مرة واحدة قبل الموت قال فما فروض الحج قالت الاحرام والوقوف بعرفة والطواف والسعى والحلق او التقصير قال فما فروض العمرة قالت الاحرام بها وطوافها وسعيها قال فما فروض الاحرام قالت التجرد من المخيط واجتناب الطيب وترك حلق الرأس وتقليم الاظافر وقتل الصيد والنكاح قال فما سنن الحج قالت التلبية وطواف القدوم والوداع والمبيت بالمزدلفة وبمنى ورمى الجمار قال احسنت فما الجهاد وما اركانه قالت اما اركانه فخروج الكفار علينا ووجود الامام والعدة والثبات عند لقاء العدو واما سننه فهو التحريض على القتال لقوله تعالى يا ايها النبى حرض المؤمنين على القتال قال احسنت فاخبرنى عن فروض البيع وسننه قالت اما فروض البيع فالايجاب والقبول وان يكون المبيع مملوكا منتفعا به مقدورا على تسليمه وترك الربا واما سننه فالاقالة والخيار قبل التفريق لقوله صلى الله عليه وسلم البيعان بالخيار ما لم يتفرقا قال احسنت فاخبرنى عن شئ لا يجوز بيع بعضه ببعض قالت حفظت فى ذلك حديثا صحيحا عن نافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى عن بيع التمر بالرطب والتين الرطب باليابس والقديد باللحم والزبد بالسمن وكل ما كان من صنف واحد مأكول فلا يجوز بيع بعضه ببعض فلما سمع الفقيه كلامها وعرف انها ذكية فطنة حاذقة عالمة بالفقه والحديث والتفسير وغير ذلك قال فى نفسه لا بد من ان اتحيل عليها حتى اغلبها فى مجلس امير المؤمنين فقال لها يا جارية ما معنى الوضوء فى اللغة قالت الوضوء فى اللغة النظافة والخلوص من الادناس قال فما معنى الصلاة فى اللغة قالت الدعاء بخير قال فما معنى الغسل فى اللغة قالت التطهير قال فما معنى الصوم لغة قالت الامساك قال فما معنى الزكاة لغة قالت الزيادة قال فما معنى الحج لغة قالت القصد قال فما معنى الجهاد قالت الدفاع فانقطعت حجة الفقيه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الفقيه لما انقطعت حجته قام قائما على قدميه وقال اشهد على يا امير المؤمنين بان الجارية اعلم منى بالفقه فقالت له الجارية اسألك عن شئ فاتنى بجوابه سريعا ان كنت عارفا قال اسألى قالت فما سهام الدين قال هى عشرة الاول الشهادة وهى الملة الثانى الصلاة وهى الفطرة الثالث الزكاة وهى الطهارة الرابع الصوم وهى الجنة الخامس الحج وهى الشريعة السادس الجهاد وهى الكفاية السابع والثامن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وهما الغيرة التاسع الجماعة وهى الالفة العاشر طلب العلم وهو الطريق الحميدة قالت احسنت وقد بقيت عليك مسألة فما اصول الاسلام قال هى اربعة صحة

العقد وصدق القصد وحفظ الحد والوفاء بالعهد قالت بقى مسألة اخرى فان اجبت والا اخذت ثيابك قال قولى ياجارية قالت فعاد فروع الاسلام فسكت ساعة ولم يجب بشئ فقالت انزع ثيابك وانا افسرها لك قال امير المؤمنين فسريها وانا انزع لك ما عليه من الثياب قالت هى اثنان وعشرون فرعا التمسك بكتاب الله تعالى والاقتداء برسوله صلى الله عليه وسلم وكف الاذى واكل الحلال واجتناب الحرام ورد المظالم الى اهلها والتوبة والفقه فى الدين وحب الخليل واتباع التنزيل وصدق المرسلين وخوف التبديل والتأهب للرحيل وقوة اليقين والعفو عند القدرة والقوة عند الضعف والصبر عند المصيبة ومعرفة الله تعالى ومعرفة ما جاء به نبيه صلى الله عليه وسلم ومخالفة اللعين ابليس ومجاهدة النفس ومخالفتها والاخلاص لله فلما سمع امير المؤمنين ذلك منها امر بنزع ثياب الفقيه وطيلسانه فنزعها ذلك الفقيه وخرج مقهورا منها خجلا من بين يدى امير المؤمنين ثم قام لها رجل آخر وقال ياجارية اسمعى منى مسائل قليلة قالت له قل قال فما صحة التسليم قالت القدر المعلوم والجنس المعلوم والاجل المعلوم قال احسنت فما فروض الاكل وسننه قالت فروض الاكل الاعتراف بان الله تعالى رزقه واطعمه وسقاه والشكر لله تعالى على ذلك قال فما الشكر قالت صرف العبد جميع ما انعم الله به عليه فيما خلق لاجله قال فما سنن الاكل قالت التسمية وغسل اليدين والجلوس على الورك الايسر والاكل بثلاث اصابع والاكل مما يليك قال احسنت فاخبرنى ما آداب الاكل قالت ان تصغر اللقمة وتقل النظرة الى جليسك قال احسنت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية لما سئلت عن اداب الاكل وذكرت الجواب قال لها الفقيه السائل احسنت فاخبرنى عن عقائد القلب واضدادها قالت هى ثلاث واضدادها ثلاث الاولى اعتقاد الايمان وضدها مجانبة الكفر والثانية اعتقاد السنة وضدها مجانبة البدعة والثالثة اعتقاد الطاعة وضدها مجانبة المعصية قال احسنت فاخبرنى عن شروط الوضوء قالت الاسلام والتمييز وطهور الماء وعدم المانع الحسى وعدم المانع الشرعى قال احسنت فاخبرنى عن الايمان قالت الايمان ينقسم الى تسعة اقسام ايمان بالمعبود وايمان بالعبودية وايمان بالخصوصية وايمان بالقبضتين وايمان بالقدر وايمان بالناسخ وايمان بالمنسوخ وان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره قال احسنت فاخبرنى عن ثلاث تمنع ثلاثا قالت نعم روى عن سفيان الثورى انه قال ثلاث تذهب ثلاثا الاستخفاف بالصالحين يذهب الاخرة والاستخفاف بالملوك يذهب الروح والاستخفاف بالنفقة يذهب المال قال احسنت فاخبرنى عن مفاتيح السموات وكم لها من باب قالت قال الله تعالى وفتحت السماء فكانت ابوابا وقال عليه الصلاة والسلام ليس يعلم عدة ابواب السماء الا الذى خلق السماء وما من احد من بنى آدم الا وله بابان فى السماء باب ينزل منه رزقه وباب يصعد منه عمله ولا يغلق باب رزقه حتى ينقطع اجله ولا يغلق باب عمله حتى تصعد روحه قال احسنت فاخبرنى عن شئ وعن نصف شئ وعن لاشئ قالت الشئ هو المؤمن ونصف الشئ هو المنافق واللاشئ هو الكافر قال احسنت فاخبرنى عن القلوب قالت قلب سليم وقلب مقيم وقلب منيب وقلب نذير وقلب منير فالقلب السليم هو قلب الخليل والقلب المقيم هو قلب الكافر والقلب المنيب هو قلب المتقين الخائفين والقلب النذير هو قلب سيدنا محمد صلى الله

عليه

عليه وسلم والقلب المنير هو قلب من يتبعه وقلوب العلماء ثلاثة قلب متعلق بالدنيا وقلب متعلق بالاخرة وقلب متعلق بمولاه وقيل ان القلوب ثلاثة قلب معلق وهو قلب الكافر وقلب معدوم وهو قلب المنافق وقلب ثابت وهو قلب المؤمن وقيل هي ثلاثة قلب مشروح بالنور والايمان وقلب مجروح من خوف الهجران وقلب خائف من الخذلان قال احسنت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما سألها الفقيه الثاني عن المسائل واجابته وقال لها احسنت قالت يا امير المؤمنين انه قد سألني حتى عيي وانا اسأله مسئلتين فان اتى بجوابهما فذاك والا اخذت ثيابه وانصرف بسلام فقال لها الفقيه سليني عما شئت قالت فما تقول في الايمان قال الايمان اقرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح قال عليه الصلاة والسلام لا يكمل المرء من الايمان حتى يكمل فيه خمس خصال التوكل على الله والتفويض الى الله والتسليم لامر الله والرضى بقضاء الله وان تكون اموره لله فانه من احب لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان قالت فاخبرني عن فرض الفرض وعن فرض في ابتداء كل فرض وعن فرض يحتاج اليه كل فرض وعن فرض يستغرق كل فرض وعن سنة داخلة في الفرض وعن سنة يتم بها الفرض فسكت ولم يجب بشيء فامرها امير المؤمنين بان تفسرها وامره بان ينزع ثيابه ويعطيها اياها فعند ذلك قالت يا فقيه اما فرض الفرض فمعرفة الله تعالى واما الفرض في ابتداء كل فرض فهي شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واما الفرض الذي يحتاج اليه كل فرض فهو الوضوء واما الفرض المستغرق كل فرض فهو الغسل من الجنابة واما السنة الداخلة في الفرض فهي تخليل الاصابع وتخليل اللحية الكثيفة واما السنة التي يتم بها الفرض فهو الاختتان فعند ذلك تبين عجز الفقيه وقام على قدميه وقال اشهد الله يا امير المؤمنين ان هذه الجارية اعلم مني بالفقه وغيره ثم نزع ثيابه وانصرف مقهورا واما حكايتها مع المقرى فانها التفتت الى من بقي من العلماء الحاضرين وقالت ايكم الاستاذ المقرى العالم بالقراآت السبع والنحو واللغة فقام اليها المقرى وجلس بين يديها وقال لها هل قرأت كتاب الله تعالى واحكمت معرفة آياته وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومكيه ومدنيه وفهمت تفسيره وعرفته على الروايات والاصول في القراآت قالت نعم قال اخبرني عن عدد سور القرآن وكم فيه من عشر وكم فيه من آية وكم فيه من حرف وكم فيه من سجدة وكم فيه من نبي مذكور وكم فيه من سورة مدنية وكم فيه من سورة مكية وكم فيه من طير قالت يا سيدي اما سور القرآن فمائة واربع عشرة سورة المكي منها سبعون سورة والمدني اربع واربعون سورة واما اعشاره فستمائة عشر واحد وعشرون عشرا واما الايات فستة آلاف ومائتان وست وثلاثون آية واما كلماته فتسعة وسبعون الف كلمة واربعمائة وتسع وثلاثون كلمة واما حروفه فثلاثمائة الف وثلاثة وعشرون الفا وستمائة وسبعون حرفا وللقاري بكل حرف عشر حسنات واما السجدات فاربع عشرة سجدة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والاربعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما سألها المقرى عن القرآن اجابته وقالت له واما الانبياء

الذين ذكرت اسماؤهم فى القرءان خمسة وعشرون نبيا وهم آدم ونوح وابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ويوسف واليسع ويونس ولوط وصالح وهود وشعيب وداود وسليمان وذوالكفل وادريس والياس ويحيى وزكريا وايوب وموسى وهارون وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين واما الطير فهن تسع قال ما اسمهن قالت البعوض والنحل والذباب والنمل والهدهد والغراب والجراد والابابيل وطير عيسى عليه السلام وهو الخفاش قال احسنت فاخبرينى اى سورة فى القرءان افضل قالت سورة البقرة قال فاى آية اعظم قالت آية الكرسى وهى خمسون كلمة مع كل كلمة خمسون بركة قال فاى آية فيها تسع آيات قالت قوله تعالى ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس الى آخر الاية قال احسنت فاخبرينى اى آية اعدل قالت قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى قال فاى آية اطمع قالت قوله تعالى ايطمع كل امرء منهم ان يدخل جنة نعيم قال فاى آية ارجى قالت قوله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم قال احسنت فاخبرينى باى قراءة تقرئين قالت بقراءة اهل الجنة وهى قراءة نافع قال فاى آية كذب فيها الانبياء قالت قوله تعالى وجاؤا على قميصه بدم كذب وهم اخوة يوسف قال فاخبرينى اى آية صدق فيها الكفار قالت قوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب وهم صدقوا جميعا قال فاى آية قالها الله لنفسه قالت قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال فاى آية فيها قول الملائكة قالت قوله تعالى ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال فاخبرينى عن اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وما جاء فيها قالت التعوذ واجب امر الله به عند القراآت والدليل عليه قوله تعالى فاذا قرأت القرءان فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم قال فاخبرينى ما لفظ الاستعاذة وما الخلاف فيها قالت منهم من يستعيذ بقوله اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ومنهم من يقول اعوذ بالله القوى والاحسن ما نطق به القرءان العظيم ووردت به السنة وكان صلى الله عليه وسلم اذا استفتح القرءان قال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروى عن نافع عن ابيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام يصلى فى الليل قال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ثم يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن همزات الشياطين ونزغاتهم وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال اول ما نزل جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم علمه الاستعاذة وقال له قل يا محمد اعوذ بالله السميع العليم ثم قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق فلما سمع المقرى كلامها تعجب من لفظها وفصاحتها وعلمها وفضلها ثم قال لها يا جارية ما تقولين فى قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم هل هى آية من آيات القرءآن قالت نعم آية من القرءان فى النمل وآية بين كل سورتين والاختلاف فى ذلك بين العلماء كثير قال احسنت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والاربعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية لما اجابت المقرى وقالت ان بسم الله الرحمن الرحيم فيها اختلاف كثير بين العلماء قال احسنت فاخبرينى لم لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم فى اول سورة براءة قالت

لما نزلت سورة براءة بنقض العهد الذى كان بينه صلى الله عليه وسلم وبين المشركين وجه لهم النبى صلى الله عليه وسلم عليا بن ابى طالب كرم الله وجهه فى يوم موسم بسورة براءة فقرأها عليهم ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم قال فاخبرنى عن فضل بسم الله الرحمن الرحيم وبركتها قالت روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما قرئت بسم الله الرحمن الرحيم على شئ الا كان فيه البركة وعنه صلى الله عليه وسلم حلف رب العزة بعزته لا تسمى بسم الله الرحمن الرحيم على مريض الا عوفى من مرضه وقيل لما خلق الله العرش اضطرب اضطرابا عظيما فكتب عليه بسم الله الرحمن الرحيم فسكن اضطرابه ولما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امنت من ثلاثة من الخسف والمسخ والغرق وفضلها عظيم وبركتها كثيرة يطول شرحها وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يؤتى برجل يوم القيامة فيحاسب فلا يبقى له حسنة فيؤمر به الى النار فيقول الهى ما انصفتنى فيقول الله عز وجل ولم ذلك فيقول يا رب لانك سميت نفسك الرحمن الرحيم وتريد ان تعذبنى بالنار فيقول الله جل جلاله اما سميت نفسى الرحمن الرحيم امضوا بعبدى الى الجنة برحمتى وانا ارحم الراحمين قال احسنت فاخبرنى عن اول بدء بسم الله الرحمن الرحيم قالت لما انزل الله تعالى القرءان كتبوا باسمك اللهم فلما انزل الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى كتبوا بسم الله الرحمن فلما نزل الهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم كتبوا بسم الله الرحمن الرحيم فلما سمع المقرى كلامها طرق وقال فى نفسه ان هذا العجب بعجيب وكيف تكلمت هذه الجارية فى اول بدء بسم الله الرحمن الرحيم والله لابد من ان اتحيل عليها العلى اعلم ثم قال لها يا جارية هل انزل الله القرءان جملة واحدة او انزله متفرقا قالت نزل به جبريل الامين عليه السلام من عند رب العالمين على نبيه محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين بالامر والنهى والوعد والوعيد والاخبار والامثال فى عشرين سنة آيات متفرقات على حسب الوقائع قال احسنت فاخبرنى عن اول سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فى قول ابن عباس سورة العلق وفى قول جابر بن عبد الله سورة المدثر ثم انزلت السور والايات بعد ذلك قال فاخبرنى عن آخر آية نزلت قالت اخر آية نزلت عليه آية الربا وقيل اذا جاء نصر الله والفتح وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية لما اجابت المقرى عن آخر آية نزلت فى القرءان قال لها احسنت فاخبرنى عن عدة الصحابة الذين جمعوا القرءان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت هم اربعة ابى بن كعب وزيد بن ثابت وابو عبيدة عامر بن الجراح وعثمان بن عفان رضى الله عنهم اجمعين قال احسنت فاخبرنى عن القراء الذين تؤخذ عنهم القرآءة قالت هم اربعة عبد الله بن مسعود وابى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم بن عبد الله قال فما تقولين فى قوله تعالى وما ذبح على النصب قالت هى الاصنام التى تنصب وتعبد من دون الله تعالى والعياذ بالله تعالى قال فما تقولين فى قوله تعالى تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك قالت تعلم حقيقتى وما عندى ولا اعلم ما عندك والدليل على هذا قوله انك انت علام الغيوب وقيل تعلم عينى ولا اعلم عينك قال فما تقولين فى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم قالت حدثنى الشيخ رحمه الله تعالى عن الضحاك انه قال هم قوم من المسلمين قالوا نقطع مذاكيرنا ونلبس المسوح فنزلت هذه الاية وقال قتادة انها نزلت فى جماعة

من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم على بن ابى طالب وعثمان بن مصعب وغيرهما فالوا نخفى انفسنا ونلبس الشعر ونترهب فنزلت هذه الاية قال فما تقولين فى قوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا قالت الخليل المحتاج الفقير وفى قول آخر هو المحب المنقطع الى الله تعالى الذى ليس لانقطاعه اختلال فلما رأها المقرى تمرفى كلامها مر السحاب ولم تتوقف فى الجواب قام قائما على قدميه وقال اشهد الله يا امير المؤمنين ان هذه الجارية اعلم منى بالقرآت وغيرها فعند ذلك قالت الجارية انا اسألك مسألة واحدة فان اتيت بجوابها فذالك والا نزعت ثيابك قال امير المؤمنين سليه فقالت ما تقول فى آية فيها ثلاثة وعشرون كافا وآية فيها ستة عشر ميما وآية فيها مائة واربعون عينا وحزب ليس فيه جلالة فعجز المقرى عن الجواب فقالت انزع ثيابك فنزع ثيابه ثم قالت يا امير المؤمنين ان الاية التى فيها ستة عشر ميما فى سورة هود وهى قوله تعالى قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك الاية وان الاية التى فيها ثلاثة وعشرون كافا فى سورة البقرة وهى آية الدين وان الاية التى فيها مائة واربعون عينا فى سورة الاعراف وهى قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا لكل رجل عينان وان الحزب الذى ليس فيه جلالة هو سورة اقتربت الساعة وانشق القمر والرحمن والواقعة فعند ذلك نزع المقرى ثيابه التى عليه وانصرف خجلا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية لما غلبت المقرى ونزع ثيابه وانصرف خجلا تقدم اليها الطبيب الماهر وقال فرغنا من علم الاديان فتيقظى لعلم الابدان وخبرينى عن الانسان وكيف خلقه وكم فى جسده من عرق وكم من عظم وكم من فقارة واين اول العروق ولم سمى آدم آدم قالت سمى آدم لادمته اى سمرة لونه وقيل لانه خلق من اديم الارض اى ظاهرها وجهها صدره من تربة الكعبة ورأسه من تربة المشرق ورجلاه من تربة المغرب وخلق له سبعة ابواب فى رأسه وهى العينان والاذنان والمنخران والفم وجعل له منفذين قبله ودبره فجعل العينين حاسة النظر والاذنين حاسة السمع والمنخرين حاسة الشم والفم حاسة الذوق وجعل اللسان ينطق بما فى ضمير الانسان وخلق آدم مركبا من اربعة عناصر وهى الماء والتراب والنار والهواء فكانت الصفراء طبع النار وهى حارة يابسة والسوداء طبع التراب وهو بارد يابس والبلغم طبع الماء وهو بارد رطب والدم طبع الهواء وهو حار رطب وخلق فى الانسان ثلاثمائة وستين عرقا ومائتين واربعين عظما وثلاثة ارواح حيوانى ونفسانى وطبيعى وجعل لكل منها حكما وخلق الله له قلبا وطحالا ورئة وستة امعاء وكبدا وكليتين واليتين ومخا وعظما وجلدا وخمس حواس سامعة وباصرة وشامة وذائقة ولامسة وجعل القلب فى الجانب الايسر من الصدر وجعل المعدة امام القلب وجعل الرئة مروحة للقلب وجعل الكبد فى الجانب الايمن محاذية للقلب وخلق ما دون ذلك من الحجاب والامعاء وركب ترائب الصدر وشبكها بالاضلاع قال احسنت فاخبرينى كم فى رأس ابن آدم من بطن قالت ثلاثة بطون وهى تشتمل على خمس قوى تسمى الحواس الباطنية وهى الحس المشترك والخيال والمتصرفة والواهمة والحافظة قال احسنت فاخبرينى عن هيكل العظام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية لما قال لها الطبيب اخبرينى عن هيكل العظام قالت هو مؤلف

من

من مائتين واربعين عظما وينقسم الى ثلاثة اقسام رأس وجذع واطراف اما الرأس فتنقسم الى جمجمة ووجه فالجمجمة مركبة من ثمانية عظام ويضاف اليها عظيمات السمع الاربع والوجه ينقسم الى فك علوى وفك سفلى فالعلوى يشتمل على احد عشر عظما والسفلى عظم واحد ويضاف اليه الاسنان وهى اثنتان وثلاثون سنا وكذا العظم اللامى واما الجذع فينقسم الى سلسلة فقارية وصدر وحوض فالسلسلة مركبة من اربعة وعشرين عظما تسمى الفقار والصدر مركب من القص والاضلاع التى هى اربع وعشرون ضلعا فى كل جانب اثنتا عشرة والحوض مركب من العظمين الحرقفيين والعجز والعصعص واما الاطراف فتنقسم الى طرفين علويين وطرفين سفليين فالعلويان ينقسم كل منهما اولا الى منكب مركب من الكتف والترقوة وثانيا الى عضد وهو عظم واحد وثالثا الى ساعد مركب من عظمين هما الكعبرة والزند ورابعا الى كف ينقسم الى رسغ ومشط واصابع فالرسغ مركب من ثمانية عظام مصفوفة صفين كل منهما يشتمل على اربعة عظام والمشط يشتمل على خمسة عظام والاصابع عدتها خمس كل منها مركب من ثلاثة عظام تسمى السلاميات الا الابهام فانها مركبة من اثنين فقط والطرفان السفليان ينقسم كل منهما اولا الى فخذ وهو عظم واحد وثانيا الى ساق مركب من ثلاثة عظام القصبة والشظية والرضفة وثالثا الى قدم ينقسم كالكف الى رسغ ومشط واصابع فالرسغ مركب من سبعة عظام مصفوفة صفين الاول فيه عظمان والثانى فيه خمسة والمشط مركب من خمسة عظام والاصابع عدتها خمس كل منها مركب من ثلاث سلاميات الا الابهام فمن سلاميين فقط قال احسنت فاخبرنى عن اصل العروق قالت ان اصل العروق الوتين ومنه تتشعب العروق وهى كثيرة لا يعلم عددها الا الذى خلقها وقيل انها ثلاثمائة وستون عرقا كما سبق وقد جعل الله اللسان ترجمانا والعينين سراجين والمنخرين منشقين واليدين جناحين ثم ان الكبد فيه الرحمة والطحال فيه الضحك والكليتين فيهما المكر والرئة مروحة والمعدة خزانة والقلب عماد الجسد فاذا صلح القلب صلح الجسد كله واذا فسد فسد الجسد كله قال اخبرنى عن الدلالات والعلامات الظاهرة التى يستدل بها على المرض فى الاعضاء الظاهرة والباطنة قالت نعم اذا كان الطبيب ذا فهم نظر فى احوال البدن واستدل بجس اليدين على الصلابة والحرارة واليبوسة والبرودة والرطوبة وقد توجد فى المحسوس دلالات على الامراض الباطنة كصفرة العينين فانها تدل على اليرقان وتحقف الظهر فانه يدل على ذات الرئة قال احسنت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية لما وصفت للطبيب العلامات الظاهرة قال لها احسنت فما العلامات الباطنة قالت ان الوقوف على الامراض بالعلامات الباطنة يؤخذ من ستة قوانين الاول من الافعال والثانى مما يستفرغ من البدن والثالث من الوجع والرابع من الموضع والخامس من الورم والسادس من الاعراض قال اخبرنى بما ذا يصل الاذى الى الرأس قالت بادخال الطعام على الطعام قبل هضم الاول والشبع على الشبع فهو الذى افنى الامم فمن اراد البقاء فليباكر بالغدا ولا يتمش بالعشا وليقل من مجامعة النساء وليخفف الردى اى لا يكثر الفصد ولا الحجامة وان يجعل بطنه ثلاثة اثلاث ثلث للطعام وثلث للماء وثلث للنفس لان مصران بنى آدم ثمانية عشر شبرا يجب ان يجعل ستة للطعام

وسنة للشراب وسنة للنفس واذا مشى برفق كان اوفق له واجمل لبدنه واكمل لقوله تعالى ولا تمش في الارض مرحا قال احسنت فاخبرني ما علامة الصفراء وماذا يخاف منها قالت تعرف بصفرة اللون ومرارة الفم والجفاف وضعف الشهوة وسرعة النبض ويخاف صاحبها من الحمى المحرقة والسرسام والجمرة والبرقان والورم وقروح الامعاء وكثرة العطش فهذه علامات الصفراء قال احسنت فاخبرني عن علامات السوداء وماذا يخاف على صاحبها اذا غلبت على البدن قالت انها تولد منها الشهوة الكاذبة وكثرة الوسوسة والهم والغم فينبغي حينئذ ان تستفرغ والا تولد منها المالخوليا والجذام والسرطان واوجاع الطحال وقروح الامعاء قال احسنت فاخبرني الى كم جزء ينقسم الطب قالت ينقسم لي جزئين احدهما علم تدبير الابدان المريضة والاخر كيفية ردها الى حال صحتها قال فاخبرني عن وقت يكون شرب الادوية فيه انفع منه في غيره قالت اذا جرى الماء في العود وانعقد الحب في العنقود وطلع سعد السعود فقد دخل وقت نفع شرب الدواء وطرد الداء قال فاخبرني عن وقت اذا شرب فيه الانسان من اناء جديد يكون شرابه هنأ وامرأ منه في غيره وتصعد له رائحة طيبة زكية قالت اذا صبر بعد اكل الطعام ساعة فقد قال الشاعر

لا تشربن من بعد اكلك عاجلا * فتسوق جسمك للذي برزام
واصبر قليلا بعد اكلك ساعة * فعسالك تظفر يا اخي بمرام

قال فاخبرني عن طعام لا تتسبب عنه اسقام قالت هو الذي لا يطعم الا بعد الجوع واذا طعم لا تمتلئ معنه الضلوع لقول جالينوس الحكيم من اراد ادخال الطعام فليبطئ ثم لا يخطئ ولنختم بقوله عليه الصلاة والسلام المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء واصل كل داء البردة يعني التخمة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما قالت للحكيم المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء الحديث قال لها فما تقولين في الحمام قالت لا يدخله شبعان وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم البيت الحمام ينظف الجسد ويذكر النار قال فاي الحمامات احسن ماء قالت ما عذب ماؤه واتسع فضاؤه وطاب هواؤه بحيث تكون اهويته اربعة خريفي وصيفي وشتوي وربيعي قال فاخبرني اي الطعام افضل قالت ما صنعت النساء وقل فيه الغناء واكلته بالهناء وافضل الطعام الثريد لقوله عليه الصلاة والسلام فضل الثريد على الطعام كفضل عائشة على سائر النساء قال فاي الادم افضل قالت اللحم لقوله عليه الصلاة والسلام افضل الادم اللحم لانه لذة الدنيا والاخرة قال فاي اللحم افضل قالت الضأن ويجتنب القديد لانه لا فائدة فيه قال فاخبرني عن الفاكهة قالت كلها في اقبالها واتركها اذا انقضى زمانها قال فما تقولين في شرب الماء قالت لا تشربه شربا ولا تعبه عبا فانه يؤذيك صداعه ويشوش عليك من الاذى انواعه ولا تشربه عقب خروجك من الحمام ولا عقب الجماع ولا عقب الطعام الا بعد مضي خمس عشرة درجة للشاب وللشيخ بعد اربعين درجة ولا عقب يقظتك من المنام قال احسنت فاخبرني عن شرب الخمر قالت افلا يكفيك زاجرا ما جاء في كتاب الله تعالى حيث قال انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون وقال تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما وقد قال الشاعر

ياشارب الخمر اما تستحي * تشرب شيأ حرم الله
نحله عنك ولا تأته * ففيه حقا عنف الله

وقال اخر في المعنى

شربت الاثم حتى زال عقلي * فليس الشرب حيث العقل زالا

واما المنافع التي فيها فانها تفتت حصى الكلى وتقوى الامعاء وتنفي الهم وتحرك الكرم وتحفظ الصحة وتعين على الهضم وتصح البدن وتخرج الامراض من المفاصل وتنقي الجسم من الاخلاط الفاسدة وتولد الطرب والفرح وتقوى الغريزية وتشد المثانة وتقوى الكبد وتفتح السدد وتحمر الوجه وتنقي الفضلات من الرأس والدماغ وتبطئ بالمشيب ولولا الله عزوجل حرمها لم يكن على وجه الارض ما يقوم مقامها واما الميسر فهو القمار قال فاي شئ من الخمر احسن قالت ما كان بعد ثمانين يوما او اكثر وقد اعتصر من عنب ابيض ولم يشبه ماء ولا شئ على وجه الارض مثلها قال فما تقولين في الحجامة قالت ذلك لمن كان ممتلئا من الدم وليس به نقصان في دمه فمن اراد الحجامة فليحتجم في نقصان الهلال في يوم هو بلا غيم ولا ريح ولا مطر ويكون في السابع عشر من الشهر وان وافق يوم الثلاثا كان ابلغ في النفع ولا شئ انفع من الحجامة للدماغ والعينين وتصفية الذهن وادرار الشهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما وصفت منافع الحجامة قال لها الحكيم اخبريني عن احسن الحجامة قالت احسنها على الريق فانها تزيد في العقل وفي الحفظ لما روي عنه عليه الصلاة والسلام انه كان ما اشتكى اليه احد وجعا في رأسه او رجليه الا قال له احتجم واذا احتجم لا يأكل على الريق ما لحا فانه يورث الجرب ولا يأكل على اثرها مضا قال فاي وقت تكره فيه الحجامة قالت يوم السبت والاربعاء ومن احتجم فيهما فلا يلومن الا نفسه ولا يحتجم في شدة الحر ولا في شدة البرد وخيارا يامه ايام الربيع قال اخبريني عن الجماعة فلما سمعت ذلك اطرقت وطأطأت رأسها واستحيت اجلالا لامير المؤمنين ثم قالت والله يا امير المؤمنين ما عجزت بل خجلت وان جوابه على طرف لساني قال لها يا جارية تكلمي قالت له ان النكاح فيه فضائل مزيده وامور حميده منها انه يخفف البدن الممتلئ بالسوداء ويسكن حرارة العشق ويجلب المحبة ويبسط القلب ويقطع الوحشة والاكثار منه في ايام الصيف والخريف اشد ضررا منه في ايام الشتاء والربيع قال فاخبريني عن منافعه قالت انه يزيل الهم والوسواس ويسكن العشق والغضب وينفع القروح هذا اذا كان الغالب على الطبع البرودة واليبوسة ولا فالاكثار منه يضعف النظر ويولد منه وجع الساقين والرأس والظهر واما الثاني من مجامعة العجوز فانها من القراتل قال الامام علي كرم الله وجهه اربع يقتلن ويهرمن البدن دخول الحمام على الشبع واكل المالح والمجامعة على الامتلاء ومجامعة المريضة فانها تضعف قوتك وتسقم بدنك والعجوز سم قاتل قال بعضهم اياك ان تتزوج عجوزا ولو كانت اكثر من قارون كنوزا قال فما الطيب الجماع قالت اذا كانت المرأة صغيرة السن مليحة القد حسنة الخد كريمة الجار بارزة النهد فهي تزيد لك قوة في صحة بدنك وتكون كما قال فيها بعض واصفيها

مهما لحظت تعلمت ما بتغي * وحيا بدون اشارة وبيان
واذا نظرت الى بديع جمالها * اغنت محاسنها عن البستان

قال فاخبرني عن اى وقت يطيب فيه الجماع قالت اذا كان ليلا فبعد هضم الطعام واذا كان نهارا فبعد الغداء قال فاخبرني عن افضل الفواكه قالت الرمان والاترج قال فاخبرني عن افضل البقول قالت الهندبا قال فما افضل الرياحين قالت الورد والبنفسج قال فاخبرني عن قرار مني الرجل قلت ان في الرجل عرقا يسقي سائر العروق فيجتمع الماء من ثلاثمائة وستين عرقا ثم يدخل في البيضة اليسرى دما احمر فينضج من حرارة مزاج بني ادم ماء غليظا ابيض رائحته مثل رائحة الطلع قال احسنت فاخبرني عن طير يمني ويحيض قلت هو الخفاش اى الوطواط قال فاخبرني عن شئ اذا حبس عاش واذا شم الهواء مات قالت هو السمك قال فاخبرني عن شجاع يبيض قالت الثعبان فعجز الطبيب من كثرة سؤاله وسكت فقالت الجارية يا امير المؤمنين انه سألني حتى عيي وانا اسأله مسألة واحدة فان لم يجب اخذت ثيابه حلالا لي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما قالت لامير المؤمنين انه سألني حتى عيي وانا اسأله مسألة واحدة فان لم يجب اخذت ثيابه حلالا لي قال لها الخليفة سليه فقالت له ما تقول في شئ يشبه الارض استدارة ويوارى عن العيون فقاره وقراره قليل القيمة والقدر ضيق الصدر والنحر مقيد وهو غير آبق موثق وهو غير سارق مطعون لا في القتال مجروح لا في النضال يأكل الدهر مره ويشرب الماء كدره وتارة يضرب من غير جناية ويستخدم لا كفاية بمجموع بعد تفرقه متواضع لا من تملقه حامل لا لولد في بطنه مائل لا يستقيم الى ركنه يتسخ فيتطهر ويصلى فيتغير بجامع بلا ذكر ويصارع بلا حذر يربح ويستريح ويعض فلا يصيح اكرم من الذيم وابعد من الحميم يفارق زوجته ليلا ويعانقها نهارا مسكنه الاطراف في مساكن الاشراف فحكت الطبيب ولم يجب بشئ يتحير في امره ويتغير لونه ويطرق برأسه ساعة ولم يتكلم فقالت ايها الطبيب تكلم والا فانزع ثيابك فقام وقال يا امير المؤمنين اشهد على ان هذه الجارية اعلم مني بالطب وغيره ولا الى عليها طاقة ونزع ما عليه من الثياب وخرج هاربا فعند ذلك قال لها امير المؤمنين فسري لنا ما قلته فقالت يا امير المؤمنين هذا الزر والعروة واما ما كان من امر هامع المنجم فانها قالت من كان منكم منجما فليقم فنهض اليها المنجم وجلس بين يديها فلما رأته ضحكت وقالت انت المنجم الحاسب الكاتب قال نعم قالت اسأل عما شئت وبالله التوفيق قال اخبريني عن الشمس وطلوعها وافولها قالت اعلم ان الشمس تطلع من عيون وتأفل من عيون فعيون الطلوع اجزاء المشارق وعيون الافول اجزاء المغارب وكانتا هما مائة وثمانون جزأ قال الله تعالى فلا اقسم برب المشارق والمغارب وقال تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب فالقمر سلطان الليل والشمس سلطان النهار وهما مستبقان متداركان قال الله تعالى لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون قال فاخبريني اذا جاء الليل كيف يكون النهار واذا جاء النهار كيف يكون الليل قالت يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل قال فاخبريني عن منازل القمر قالت منازل القمر ثمان وعشرون منزلة وهن الشرطان والبطين

والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبره والصرفة والعواء والسماك والغفر والزبانى والاكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية والفرغ المقدم والفرغ المؤخر والرشاء وهى مرتبة على حروف ابجد هوز الى آخرها وفيها سر غامض لا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى والراسخون فى العلم واما قسمتها على البروج الاثنى عشر فهى ان تعطى كل برج منزلتين وثلث منزلة فتجعل الشرطين والبطين وثلث الثريا للحمل وثلثى الثريا مع الدبران وثلثى الهقعة للثور وثلث الهقعة مع الهنعة والذراع للجوزا والنثرة والطرف وثلث الجبهة للسرطان وثلثيها مع الزبرة وثلثى الصرفة للاسد وثلثيها مع العواء والسماك للسنبلة والغفر والزبانى وثلث الاكليل للميزان وثلثى الاكليل مع القلب وثلثى الشولة للعقرب وثلثيها مع النعائم والبلدة للقوس وسعد الذابح وسعد بلع وثلث سعد السعود للجدى وثلثى سعد السعود مع سعد الاخبية وثلثى المقدم للدلو وثلث المقدم مع المؤخر والرشا للحوت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية لما عدت المنازل وقسمتها على البروج قال لها المنجم احسنت فاخبرينى عن الكواكب السيارة وعن طبائعها وعن مكثها فى البروج والسعد منها والنحس واين بيوتها وشرفها وسقوطها قالت المجلس ضيق ولكن ساخبرك اما الكواكب فسبعة وهى الشمس والقمر وعطارد والزهرة والمريخ والمشترى وزحل فالشمس حارة يابسة نحسة بالمقارنة سعيدة بالنظر تمكث فى كل برج ثلاثين يوما والقمر بارد رطب سعيد يمكث فى كل برج يومين وثلث يوم وعطارد ممتزج سعد مع السعود نحس مع النحوس يمكث فى كل برج سبعة عشر يوما ونصف يوم والزهرة معتدلة سعيدة تمكث فى كل برج من البروج خمسة وعشرين يوما والمريخ نحس يمكث فى كل برج عشرة اشهر والمشترى سعد يمكث فى كل برج سنة وزحل بارد يابس نحس يمكث فى كل برج ثلاثين شهرا والشمس بيتها الاسد وشرفها الحمل وهبوطها الدلو والقمر بيته السرطان وشرفه الثور وهبوطه العقرب وباله الجدى وزحل بيته الجدى والدلو وشرفه الميزان وهبوطه الحمل وباله السرطان والاسد والمشترى بيته الحوت والقوس وشرفه السرطان وهبوطه الجدى وباله الجوزا والاسد والزهرة بيتها الثور وشرفها الحوت وهبوطها الميزان وباليها الحمل والعقرب وعطارد بيته الجوزا والسنبلة وشرفه السنبلة وهبوطه الحوت وباله الثور والمريخ بيته الحمل والعقرب وشرفه الجدى وهبوطه السرطان وباله الميزان فلما نظر المنجم الى حذقها وعلمها وحسن كلامها وفهمها ابتغى له حيلة يخجلها بها بين يدى امير المؤمنين فقال لها يا جارية هل ينزل فى هذا الشهر مطر فاطرقت ساعة ثم تفكرت طويلا حتى ظن امير المؤمنين انها عجزت عن جوابه فقال لها المنجم لم لم تتكلمى فقالت لا اتكلم الا ان اذن لى فى الكلام امير المؤمنين فقال لها امير المؤمنين وكيف ذلك قالت اريد ان تعطينى سيفا اضرب به عنقه لانه زنديق فضحك امير المؤمنين وضحك من حوله ثم قالت يا منجم خمسة لا يعلمها الا الله تعالى وقرأت ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باى ارض تموت ان الله عليم خبير قال لها احسنت وانى والله ما اردت الا اختبارك فقالت له اعلم ان اصحاب التقويم لهم اشارات وعلامات ترجع الى الكواكب بالنظر الى دخول السنة وللناس فيها

تجاريب قال وما هي قالت ان لكل يوم من الايام كوكبا يملكه فاذا كان اول يوم من السنة يوم الاحد فهو للشمس ويدل ذلك والله اعلم على الجور من الملوك والسلاطين والولاة وكثرة الوخم وقلة المطر وان تكون الناس في هرج عظيم وتكون الحبوب طيبة الا العدس فانه يعفن ويفسد العنب ويغلو الكتان ويرخص القمح من اول طوبه الى آخر برمهات ويكثر القتال بين الملوك ويكثر الخير في تلك السنة والله اعلم قال فاخبريني عن يوم الاثنين قالت هو للقمر ويدل ذلك على صلاح ولاة الامور والعمال وان تكون السنة كثيرة الامطار وتكون الحبوب طيبة ويفسد بزر الكتان ويرخص القمح في شهر كيهك ويكثر الطاعون ويموت نصف الدواب من الضان والمعز ويكثر العنب ويقل العسل ويرخص القطن والله اعلم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما فرغت من بيان يوم الاثنين قال لها اخبريني عن يوم الثلاثا قالت هو للمريخ ويدل ذلك على موت كبار الناس وكثرة الفناء واهراق الدماء والغلاء في الحب وقلة الامطار وان يكون السمك قليلا ويزيد في ايام وينقص في ايام ويرخص العسل والعدس ويغلو بزر الكتان في تلك السنة وفيها يقطع الشعير دون سائر الحبوب ويكثر القتال بين الملوك ويكون الموت بالدم ويكثر موت الحمير والله اعلم قال فاخبريني عن يوم الاربعا قالت هو لعطارد ويدل ذلك على هرج عظيم يقع في الناس وعلى كثرة العدو وان تكون الامطار معتدلة وان يفسد بعض الزرع وان يكثر موت الدواب وموت الاطفال ويكثر القتل في البحر ويغلو القمح من برمودة الى مسرى وترخص بقية الحبوب ويكثر الرعد والبرق ويغلو العسل ويكثر طلع النخل ويكثر الكتان والقطن ويغلو الفجل والبصل والله اعلم قال اخبريني عن يوم الخميس قالت هو للمشتري ويدل ذلك على العدل في الوزراء والصلاح في القضاة والفقراء واهل الدين وان يكون الخير كثيرا وتكثر الامطار والثمار والاشجار والحبوب ويرخص الكتان والقطن والعسل والعنب ويكثر السمك والله اعلم قال اخبريني عن يوم الجمعة قالت هو للزهرة ويدل ذلك على الجور في كبار الجن والتحدث بالزور والبهتان وان يكثر الندا ويطيب الخريف في البلاد ويكون الرخص في بلاد دون بلاد ويكثر الفساد في البر والبحر ويغلو بزر الكتان ويغلو القمح في هاتور ويرخص في امشير ويغلو العسل ويفسد العنب والبطيخ والله اعلم قال فاخبريني عن يوم السبت قالت هو لزحل ويدل ذلك على ايثار العبيد والروم ومن لا خير فيه ولا في قربه وان يكون الغلاء والقحط كثيرا ويكون الغيم كثيرا ويكثر الموت في بني آدم والويل لاهل مصر والشام من جور السلطان وتقل البركة من الزرع وتفسد الحبوب والله اعلم ثم ان المنجم اطرق وطأطأ رأسه فقالت يا منجم اسألك مسألة واحدة فان لم تجب اخذت ثيابك قال لها قولي قالت أين يكون مسكن زحل قال في السماء السابعة قالت فالمشتري قال في السماء السادسة قالت فالمريخ قال في السماء الخامسة قالت فالشمس قال في السماء الرابعة قالت فالزهرة قال في السماء الثالثة قالت فعطارد قال في السماء الثانية قالت فالقمر قال في السماء الاولى قالت احسنت وبقي عليك مسألة واحدة قال اسألي قالت فاخبرني عن النجوم الى كم جزء تنقسم فسكت ولم يحر جوابا قالت انزع ثيابك فنزعها ولما اخذتها قال لها اميرة المؤمنين فسري لنا هذه المسئلة فقالت يا امير المؤمنين هم ثلاثة اجزاء جزء معلق بسماء الدنيا كالقناديل وهو بنير الارض وجزء يرمى به الشياطين

اذا استرقوا السمع قال الله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين والجزء الثالث معلق بالهواء وهو سير البحار وما فيها قال المنجم بقي انا مسألة واحدة فان اجبت اقررت لها قالت قل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه قال اخبرني عن اربعة اشياء متضادة مترتبة على اربعة اشياء متضادة قالت هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة خلق الله من الحرارة النار وطبعها حار يابس وخلق من اليبوسة التراب وطبعه بارد يابس وخلق من البرودة الماء وطبعه بارد رطب وخلق من الرطوبة الهواء وطبعه حار رطب ثم خلق الله اثني عشر برجا وهي الحمل والثور والجوزا والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وجعلها على اربع طبائع ثلاثة نارية وثلاثة ترابية وثلاثة هوائية وثلاثة مائية فالحمل والاسد والقوس نارية والثور والسنبلة والجدي ترابية والجوزا والميزان والدلو هوائية والسرطان والعقرب والحوت مائية فقام المنجم وقال اشهدوا على انها اعلم مني وانصرف مغلوبا ثم قال امير المؤمنين ابن الفيلسوف فنهض اليها رجل وتقدم وقال اخبرني عن الدهر وحده وايامه وما جاء فيه قالت ان الدهر هو اسم واقع على ساعات الليل والنهار وانما هي مقادير يجري الشمس والقمر في افلاكهما كما اخبر الله تعالى حيث قال وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم قال فاخبرني عن ابن آدم كيف يصل اليه الكفر قالت روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الكفر في بني آدم يجري كما يجري الدم في عروقه حيث يسب الدنيا والدهر والليلة والساعة وقال عليه الصلاة والسلام لا يسب احدكم الدهر فان الدهر هو الله ولا يسب احدكم الدنيا فتقول لا اعان الله من يسبني ولا يسب احدكم الساعة فان الساعة آتية لا ريب فيها ولا يسب احدكم الارض فانها آية لقوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى قال فاخبرني عن خمسة اكلوا وشربوا وما خرجوا من ظهر ولا بطن قالت هم آدم وشمعون وناقة صالح وكبش اسماعيل والطير الذي رآه ابو بكر الصديق في الغار قال فاخبرني عن خمس في الجنة لا من الانس ولا من الجن ولا من الملائكة قالت ذئب يعقوب وكلب اصحاب الكهف وحمار العزير وناقة صالح ودلدل النبي صلى الله عليه وسلم قال اخبرني عن رجل صلى صلاة لا في الارض ولا في السماء قالت هو سليمان حين صلى على بساطه وهو على الريح قال اخبرني عن من صلى صلاة الصبح فنظر الى امة فحرمت عليه فلما كان الظهر حلت له فلما كان العصر حرمت عليه فلما كان المغرب حلت له فلما كان العشاء حرمت عليه فلما كان الصبح حلت له قالت هذا رجل نظر الى امة غير محمد الصبح وهي حرام عليه فلما كان الظهر اشتراها فحلت له فلما كان العصر اعتقها فحرمت عليه فلما كان المغرب تزوجها فحلت له فلما كان العشاء طلقها فحرمت عليه فلما كان الصبح راجعها فحلت له قال اخبرني عن قبر مشى بصاحبه قالت هو حوت يونس بن متى حين ابتلعه قال اخبرني عن بقعة واحدة طلعت عليها الشمس مرة واحدة ولا تطلع عليها بعد الى يوم القيامة قالت البحر حين ضربه موسى بعصاه فانفلق اثني عشر فرقا على عدد الاسباط وطلعت عليه الشمس ولم تعد له الى يوم القيامة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الفيلسوف قال بعد ذلك للجارية اخبريني عن اول ذيل سحب على وجه الارض قالت ذيل هاجر حيام من سارة فصارت سنة في العرب قال اخبريني عن شيء يتنفس بلا روح قالت قوله تعالى والصبح اذا تنفس قال اخبريني عن حمام طار اقبل على شجرة عالية فوقع بعضه فوقها وبعضه تحتها فقالت التي فوق الشجرة للتي تحتها ان طلعت منكن واحدة صرتن الثلث وان نزلت منا واحدة كنا مثلكن في العدد قالت الجارية كان الحمام اثنتي عشرة حمامة فوقع منهن فوق الشجرة سبع وتحتها خمس فاذا طلعت واحدة صار الذي فوق قدر الذي تحت مرتين ولو نزلت واحدة صار الذي تحت مساويا للذي فوق والله اعلم فتجرد الفيلسوف من ثيابه وخرج هاربا واما حكايتها مع النظام فان الجارية التفتت الى العلماء الحاضرين وقالت ايكم المتكلم في كل فن وعلم فقام اليها النظام وقال لها لا تحسبيني كغيري فقالت له الاصح عندي انك مغلوب لانك مدعي والله لانصرن عليك حتى اجرد لك من ثيابك فلو ارسلت من يأتيك بشيء تلبسه لكان خيرا لك فقال والله لاغلبنك واجعلنك حديثا يتحدث بك الناس جيلا بعد جيل فقالت له الجارية كفر عن يمينك قال اخبريني عن خمسة اشياء خلقها الله تعالى قبل خلق الخلق قالت له الماء والتراب والنور والظلمة والنهار قال اخبريني عن شيء خلقه الله بيد القدرة قالت العرش وشجرة طوبى وآدم وجنة عدن فهؤلاء خلقهم الله بيد قدرته وسائر المخلوقات قال لهم الله كونوا فكانوا قال اخبريني عن ابيك في الاسلام قالت محمد صلى الله عليه وسلم قال فمن ابو محمد قالت ابراهيم خليل الله قال فما دين الاسلام قالت شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قال فاخبريني ما اولك وما اخرك قالت اولي نطفة مذرة وآخري جيفة قذرة واولي من التراب وآخري التراب قال الشاعر

خلقت من التراب فصرت شخصا * فصيحا في السؤال وفي الجواب
وعدت الى التراب فصرت فيه * لاني قد خلقت من التراب

قال فاخبريني عن شيء اوله عود وآخره روح قالت هي عصا موسى حين القاها في الوادي فاذا هي حية تسعى باذن الله تعالى قال فاخبريني عن قوله تعالى ولي فيها مآرب اخرى قالت كان يغرسها في الارض فتزهر وتثمر وتظله من الحر والبرد وتحمله اذا عيي وتحرس له الغنم اذا نام من السباع قال اخبريني عن انثى من ذكور ومن انثى قالت حوآ من آدم وعيسى من مريم قال فاخبريني عن اربع نيران نارتأكل وتشرب ونارتأكل ولا تشرب ونار تشرب ولا تأكل ونار لا تأكل ولا تشرب قالت اما النار التي تأكل ولا تشرب فهي نار الدنيا واما النار التي تأكل وتشرب فهي نار جهنم واما النار التي تشرب ولا تأكل فهي نار الشمس واما النار التي لا تأكل ولا تشرب فهي نار القمر قال اخبريني عن المفتوح وعن المغلق قالت يا نظام المفتوح هو المسنون والمغلق هو المفروض قال اخبريني عن قول الشاعر

وما كن رمس طعمه عند رأسه * اذا ذاق من ذاك الطعام تكلما
يقوم ويمشي صامتا متكلما * ويرجع في القبر الذي منه قوما
وليس بحي يستحق كرامة * وليس بميت يستحق الترحما

قالت له هو القلم قال فاخبريني عن قول الشاعر حيث قال

ململمة الجبينين مورودة الدم * مخرة الاذنين مفتوحة الفم
لها صنم كالديك يقرجوفها * تساوى اذا قومتها نصف درهم

قالت هى الدواة قال فاخبرنى عن قول الشاعر حيث قال

الا قل لاهل العلم والعقل والادب * وكل فقيه ساد فى الفهم والرتب
الا تبـؤنى أى شئ رأيتموا * من الطير فى ارض الاعاجم والعرب
وليس له لحم وليس له دم * وليس له ريش وليس له زغب
ويؤكل مطبوخا ويؤكل باردا * ويؤكل مشويا اذا دس فى اللهب
ويبدو له لونان لون كفضة * ولون ظريف ليس يشبهه الذهب
وليس يرى حيا وليس بميت * الا اخبرونى ان هـذا من العجب

قالت لقد اطلت السؤال فى بيضة قيمتها فلس قال اخبرنى كم كلمة كلم الله موسى قالت روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كلم الله موسى الف كلمة وخمسمائة وخمس عشرة كلمة قال اخبرنى عن اربعة عشر كلموا رب العالمين قالت السموات السبع والارضون السبع لما قالتا اتينا طائعين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية لما قالت له الجواب قال لها اخبرينى عن آدم واول خلقته قالت خلق الله آدم من طين والطين من زبد والزبد من بحر والبحر من ظلمة والظلمة من نور والنور من حوت والحوت من صخرة والصخرة من ياقوتة والياقوتة من ماء والماء من القدرة لقوله تعالى انما امره اذا اراد شيأ ان يقول له كن فيكون قال فاخبرنى عن قول الشاعر حيث قال

وآكلة بغير فم وبطن * لها الاحجار والحيوان قوت
فان اطعمتها التعشت وعاشت * وان اسقيتها ماء تموت

قالت هى النار قال فاخبرنى عن قول الشاعر حيث قال

خليلان ممنوعان من كل لذة * بيتان طول الليل يعتنقان
هما يحفظان الاهل من كل آفة * وعند طلوع الشمس يفترقان

قالت هما مصراعا الباب قال فاخبرنى عن ابواب جهنم قالت سبعة وهم ضمن بيتين من الشعر

جهنم والظى ثم الحطيم كذا * عد السعير وكل القول فى سقر
وبعد ذلك جحيم ثم هاوية * فذا لعدتهم فى قول مختصر

قال فاخبرنى عن قول الشاعر حيث قال

وذات ذوائب تخبر طولا * وراءها فى المجئ وفى الذهاب
بعين لم تذق للنوم طعما * ولا ذرفت لدمع ذى انسكاب
ولا لبست مدى الايام ثوبا * وتكسو الناس انواع الثياب

قالت هى الابرة قال فاخبرنى عن الصراط ما هو وما طوله وما عرضه قالت اما طوله فثلاثة آلاف عام الف هبوط والف صعود والف استواء وهو احد من السيف وارق من الشعر وادرك شهرزاد الصباح

فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية ثلثمين بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما وصفت له الصراط قال اخبريني كم لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم من شفاعة قالت له ثلاث شفاعات قال لها هل كان ابو بكر اول من اسلم قالت نعم قال ان عليا اسلم قبل ابي بكر قالت ان عليا اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن سبع سنين فاعطاه الله الهداية على صغر سنه فما سجد لصنم قط قال فاخبريني اعلى الافضل ام العباس قال النظام فعلمت ان هذه مكيدة لها فان قالت على افضل من العباس فالها من عذر عند امير المؤمنين فاطرقت ساعة وهي تارة تحمر وتارة تصفر ثم قالت تسألني عن اثنين فاضلين لكل واحد منهما فضل فارجع بنا الى ما كنا فيه فلما سمعها الخليفة هارون الرشيد استوى قائما على قدميه وقال لها احسنت ورب الكعبة يا تودد فعند ذلك قال لها ابراهيم النظام اخبريني عن قول الشاعر حيث قال

مهفهفة الاذيال عذب مذاقها * تحاكي القنا لكن بغير سنان

ويأخذ كل الناس منها منافعا * وتؤكل بعد العصر في رمضان

قالت قصب السكر قال فاخبريني عن مسائل كثيرة قالت وما هي قال ما احلى من العسل وما احد من السيف وما اسرع من السم وما لذة ساعة وما سرور ثلاثة ايام وما اطيب يوم وما فرحة جمعة وما الحق الذي لا ينكره صاحب الباطل وما سجن القبر وما فرحة القلب وما كيد النفس وما موت الحياة وما الداء الذي لا يداوى وما العار الذي لا يخلى وما الدابة التي لا تأوي الى العمران وتسكن الخراب وتبغض بني آدم وخلق فيها خلق من سبعة جبابرة قالت له اسمع جواب ما قلت ثم انزع ثيابك حتى افسر لك ذلك قال لها امير المؤمنين فسري وهو ينزع ثيابه قالت اما ما هو احلى من العسل فهو حب الاولاد البارين بوالديهم واما ما هو احد من السيف فهو اللسان واما ما هو اسرع من السم فهو عين المعيان واما لذة ساعة فهو الجماع واما سرور ثلاثة ايام فهو النورة للنساء واما ما هو اطيب يوم فهو يوم الربح في التجارة واما فرحة جمعة فهو العروس واما الحق الذي لا ينكره صاحب الباطل فهو الموت واما سجن القبر فهو الولد السوء واما فرحة القلب فهي المرأة المطيعة لزوجها وقيل اللحم حين ينزل على القلب فانه يفرح بذلك واما كيد النفس فهو العبد العاصي واما موت الحياة فهو الفقر واما الداء الذي لا يداوى فهو سوء الخلق واما العار الذي لا يخلى فهو البغت السوء واما الدابة التي لا تأوي الى العمران وتسكن الخراب وتبغض بني آدم وخلق فيها خلق من سبعة جبابرة فانها الجرادة رأسها كرأس الفرس وعنقها كعنق الثور وجناحها جناح النسر ورجلها رجل الجمل وذنبها ذنب الحية وبطنها بطن العقرب وقرنها قرن الغزال فتعجب الخليفة هارون الرشيد من حذقها وفهمها ثم قال للنظام انزع ثيابك فقام وقال اشهد على جميع من حضر هذا المجلس انها اعلم مني ومن كل عالم ونزع ثيابه وقال لها خذيهم لا بارك الله لك فيهم فامر له امير المؤمنين بثياب يلبسها ثم قال امير المؤمنين يا تودد بقي عليك شيء مما وعدت به وهو الشطرنج وامر باحضار معلى الشطرنج والكنجفة والنرد فحضروا وجلس الشطرنجي معها وصفت بينهما الصفوف ونقل ونقلت فما نقل شيأ الا افسدته عن قليل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والستون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما لعبت الشطرنج مع المعلم بحضرة امير المؤمنين هارون الرشيد صارت كلما نقل نقلا افسدته حتى غلبته ورأى الشاه مات فقال انا اردت ان اطعمك حتى تظني انك عارفة لكن صبرني حتى اريك فلما صفت الثانية قال في نفسه افتح عينك والا غلبتك وصار ما يخرج قطعة الا بحساب ومازال يلعب حتى قالت له الشاه مات فلما رأى ذلك منها دهش من حذقها وفهمها ففحك وقالت له يا معلم انا اراهنك في هذه المرة الثالثة على ان ارفع لك الفرزان ورخ الميمنة وفرس الميسرة وان غلبتني فخذ ثيابي وان غلبتك اخذت ثيابك قال رضيت بهذا الشرط ثم صفا الصفين ورفعت الفرزان والرخ والفرس وقالت له انقل يا معلم فنقل وقال مالي لا اغلبها بعد هذه الحطيطة وعقد عقدا واذا هي نقلت نقلا قليلا الى ان صيرت له فرزانا ودنت منه وقربت البيادق والقطع وشغلته واطعمته قطعة فقطعها فقالت الكيل كيل وافى والرز رز صافى فكل حتى تزيد على الشبع ما يقتلك يا ابن آدم الا الطمع اما تعلم اني اطعمك لاخدعك انظر فهذا الشاه مات ثم قالت له انزع ثيابك فقال لها اتركي لي السراويل واجر لك على الله وحلف بالله ان لا ينظر احدا ما دامت تودد بمملكة بغداد ثم نزع ثيابه وسلمها لها وانصرف بخفي يلاعب النرد فقالت له ان غلبتك في هذا اليوم فماذا تعطيني قال اعطيك عشرة ثياب من الديباج القسطنطيني المطرز بالذهب وعشرة ثياب من المخمل والف دينار وان غلبتك فما اريد منك الا ان تكتبي لي درجا بانك غلبتك قالت له دونك وما عولت عليه فلعب فاذا هو قد خسر وقام وهو يرطن بالافرنجية ويقول ونعمة امير المؤمنين انها لم يوجد مثلها في سائر البلاد ثم ان امير المؤمنين دعا بارباب الات الطرب فحضروا فقال لها امير المؤمنين هل تعرفين شيأ من الات الطرب قالت نعم فامر باحضار عود محكول مدعول مجرود صاحبه بالهجران مكدود قال فيه بعض واصفيه

سقى الله ارضا انبتت عود مطرب * زكت منه اغصان وطابت مغارس
تغنت عليه الطير والعود اخضر * وغنت عليه الغيد والعود يابس

فجيء بعود في كيس من الاطلس الاحمر له شرابة من الحرير المزعفر فخلت الكيس واخرجت العود فاذا هو عليه منقوش

وغصن رطيب عاد عود القينة * تحن الى اترابها في المحافل
تغنى فيتلو لحنها وكانه * يلقنها اعراب لحن البلابل

فوضعته في حجرها وارخت عليه نهدها وانحنت انحناء والدة ترضع ولدها وضربت عليه اثني عشر نغما حتى ماج المجلس من الطرب وانشدت تقول

اقصروا هجركم وقلوا جفاكم * فؤادي وحقكم ما سلاكم
وارحموا باكيا حزينا كئيبا * ذا غرام متيما في هواكم

فطرب امير المؤمنين وقال بارك الله فيك ورحم من علمك فقامت وقبلت الارض بين يديه ثم ان امير المؤمنين امر باحضار المال ودفع لمولاها مائة الف دينار وقال لها يا تودد تمني علي قالت تمنيت عليك ان تردني الى سيدي الذي باعني فقال لها نعم فردها اليه واعطاها خمسة الاف دينار لنفسها وجعل سيدها نديمه على طول الزمان وادر لشهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة اعطى الجارية خمسة الاف دينار وردها الى مولاها وجعله نديمه على طول الزمان واطلق له في كل شهر الف دينار وقعد مع جاريته تودد في ارغد عيش فاعجب ايها الملك من فصاحة هذه الجارية ومن غزارة علمها وفهمها وفضلها في كامل العلوم وانظر الى مروءة امير المؤمنين هارون الرشيد حيث اعطى سيدها هذا المال وقال لها تمنى علي فتمنت عليه ان يردها الى سيدها فردها اليه واعطاها خمسة الاف دينار لنفسها وجعل سيدها نديمه فاين يوجد هذا الكرم بعد الخلفاء العباسيين رحمة الله تعالى عليهم اجمعين وعما يحكى ايها الملك السعيد ان ملكا من الملوك المتقدمين اراد ان يركب يوما في جملة اهل مملكته وارباب دولته ويظهر للخلائق عجائب زينته فامر اصحابه وامراء دولته ان يأخذوا اهبة الخروج معه وامر خازن الثياب بان يحضر له من اخر الثياب ما يصلح للملك في زينته وامر باحضار خيله الموصوفة العتاق المعروفة ففعلوا ذلك ثم انه اختار من الثياب ما اعجبه ومن الخيل ما استحسنه ثم لبس الثياب وركب الجواد وسار بالموكب والطوق المرصع بالجواهر واصناف الدر واليواقيت وجعل يركض الحصان في عسكره ويفتخر بتيهه وتجبره فاتاه ابليس فوضع يده على منخره ونفخ في انفه نفخة الكبر والعجب فزهاه وقال في نفسه من في العالم مثلي وطفق يتيه بالعجب والكبر ويظهر الابهة ويزهو بالخيلا ولا ينظر الى احد من تيهه وكبره وعجبه ونخره فوقف بين يديه رجل عليه ثياب رثة فسلم عليه فلم يرد عليه السلام فقبض على عنان فرسه فقال له الملك ارفع يدك فانك لا تدري بعنان من قد امسكت فقال له ان لي اليك حاجة فقال اصبر حتى انزل واذكر حاجتك فقال انها سر ولا اقولها الا في اذنك فمال بسمعه اليه فقال له انا ملك الموت واريد قبض روحك فقال امهلني بقدر ما اعود الى بيتي واودع اهلي واولادي وجيراني وزوجتي فقال كلا لا تعود ولن تراهم ابدا فانه قد مضى اجل عمرك فاخذ روحه وهو على ظهر فرسه فخر ميتا ومضى ملك الموت من هناك فاتى رجلا صالحا قد رضي الله تعالى عنه فسلم عليه فرد عليه فقال ملك الموت ايها الرجل الصالح ان لي اليك حاجة وهي سر فقال له الرجل الصالح اذكر حاجتك في اذني فقال انا ملك الموت فقال الرجل مرحبا بك الحمد لله على مجيئك فاني كنت كثيرا اترقب وصولك الي واقد طالت غيبتك عن المشتاق الى قدومك فقال له ملك الموت ان كان لك شغل فاقضه فقال له ليس لي شغل اهم عندي من لقاء ربي عز وجل فقال كيف تحب ان اقبض روحك فاني امرت ان اقبضها كيف اردت واخترت فقال امهلني حتى اتوضأ واصلي فاذا سجدت فاقبض روحي وانا ساجد فقال ملك الموت ان ربي عز وجل امرني ان لا اقبض روحك الا باختيارك كيف اردت وانا افعل ما قلت فقام الرجل وتوضأ وصلى فقبض ملك الموت روحه وهو ساجد ونقله الله تعالى الى محل الرحمة والرضوان والمغفرة وحكي ان ملكا من الملوك كان قد جمع مالا عظيما لا يحصى عدده واحتوى على اشياء كثيرة من كل نوع خلقه الله تعالى في الدنيا ليرفه نفسه حتى اذا اراد ان يتفرغ لما جمعه من النعم الطائلة بنى له قصرا عاليا مرتفعا شاهقا يصلح للملوك ويكون بهم لائقا ثم ركب عليه بابين محكمين ورتب له الغلمان والاجناد والبوابين كما اراد وامر الطباخ في بعض الايام ان يصنع له شيأ من اطيب الطعام وجمع اهله وحشمه واصحابه وخدمه ليأكلوا عنده ويناولوا فرده وجلس على سرير مملكته وسيادته واتكأ على وسادته وخاطب نفسه وقال يا نفس قد جمعت لك نعم الدنيا بأسرها فالآن تفرغي وكلي من هذه النعم مهنأة بالعمر الطويل والحظ الجزيل وادر لك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد الاربعمائة

قالت

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك لما حدث نفسه وقال لها كلي من هذه النعم مهناة بالعمر الطويل والحظ الجزيل لم يفرغ مما حدث به نفسه حتى اتاه رجل من ظاهر القصر عليه ثياب رثة وفي عنقه مخلاة معلقة على هيئة سائل يسأل الطعام فجاء وطرق حلقة باب القصر طوقة عظيمة هائلة كادت تزلزل القصر وتزعج السرير فخاف الغلمان فوثبوا الى الباب وصاحوا بالطارق وقالوا له ويحك ما هذه الفعلة وسوء الادب اصبر حتى يأكل الملك ونعطيك مما يفضل فقال للغلمان قولوا لصاحبكم يخرج الي حتى يكلمني فلي اليه حاجة وشغل مهم وامر ملم فقالوا اتفخ ايها الضعيف من انت حتى نأمر صاحبنا بالخروج اليك فقال لهم عرفوه ذلك فجاؤا اليه وعرفوه فقال هلا زجرتموه وجردتم عليه ونهرتموه ثم طرق الباب اعظم من الطرقة الاولى فنهض الغلمان اليه بالعصى والسلاح وقصدوه ليضاربوه فصاح بهم صيحة وقال الزموا اماكنكم فانا ملك الموت فرعبت قلوبهم وذهبت عقولهم وطاشت حلومهم وارتعدت فرائصهم وبطلت عن الحركة لجوارحهم فقال لهم الملك قولوا له يأخذ بدلا مني وعوضا عني فقال ملك الموت لا اخذ بدلا ولا اتيت الا من اجلك لافرق بينك وبين النعم التي جمعتها والاموال التي حويتها وخزنتها فعند ذلك تنفس الصعداء وبكى وقال لعن الله المال الذي غرني واضرني ومنعني عن عبادة ربي وكنت اظن انه ينفعني فبقي اليوم حسرة علي ووبالا لدي وها انا اخرج صفر اليدين منه وبقي لاعدائي قال فانطق الله المال وقال لاي سبب تلعنني العن نفسك فان الله تعالى خلقني واياك من تراب وجعلني في يدك لتتزود مني لاخرتك وتتصدق بي على الفقراء والمساكين والضعفاء وتعمر بي الربط والمساجد والجسور والقناطر لا كون عونا لك في الدار الاخرة وانت جمعتني وخزنتني وفي هوائك انفقتني ولم تشكر لحقي بل كفرتني فالان تركتني لاعدائك وانت بحسرتك وندامتك فاي ذنب لي حتى تسبني ثم ان ملك الموت قبض روحه وهو على سريره قبل ان يأكل الطعام فخر ميتا ساقطا من فوق سريره قال الله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ومما يحكى ان ملكا جبارا من ملوك بني اسرائيل كان في بعض الايام جالسا على سرير مملكته فرأى رجلا قد دخل عليه باب الدار وله صورة منكرة وهيئة هائلة فاغما من هجومه عليه وفزع من هيئته فوثب في وجهه وقال من انت ايها الرجل ومن اذن لك في الدخول علي وامرك بالمجيء الى داري فقال امرني صاحب الدار وانا لا يحجبني حاجب ولا احتاج في دخولي على الملوك الى اذن ولا ارهب سياسة سلطان ولا كثرة اعوان انا الذي لا يقرعني جبار ولا لاحد من قبضتي فرار انا هادم اللذات ومفرق الجماعات فلما سمع الملك هذا الكلام خر على وجهه ودبت الرعدة في بدنه ووقع مغشيا عليه فلما افاق قال انت ملك الموت قال نعم قال اقسمت عليك بالله الا ما امهلتني يوما واحدا لاستغفر من ذنبي واطلب العذر من ربي واورد الاموال التي في خزائني الى اربابها ولا اتحمل مشقة حسابها وويل عقابها فقال ملك الموت هيهات هيهات لا سبيل لك الى ذلك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ملك الموت قال للملك هيهات هيهات لا سبيل لك الى ذلك وكيف امهلك وايام عمرك محسوبة وانفاسك معدودة واوقاتك مثبوتة مكتوبة فقال امهلني ساعة فقال ان الساعة في الحساب وقد مضت وانت غافل وانقضت وانت ذاهل وقد استوفيت انفاسك ولم يبق لك الا نفس واحد

فقال من يكون عندى اذا نقلت الى لحدى قال لا يكون عندك الا عملك فقال مالى عمل قال لا جرم انه يكون مقيلك فى النار ومصيرك الى غضب الجبار ثم قبض روحه فخر ساقطا عن سريره ووقع الى الارض فحصل الضجيج فى اهل مملكته وارتفعت الاصوات وعلا الصياح والبكاء ولو علموا ما يصير اليه من سخط ربه لكان بكاؤهم عليه اكثر وعويلهم اشد وافر ومما يحكى ان اسكندر ذا القرنين اجتاز فى سفره بقوم ضعفاء لا يملكون شيأ من اسباب الدنيا وقد حفروا قبورهم وتاهم على ابواب دورهم وكانوا فى كل وقت يتعهدون تلك القبور ويكنسون التراب عنها وينظفونها ويزورونها ويعبدون الله تعالى فيها وليس لهم طعام الا الحشيش ونبات الارض فبعث اليهم اسكندر ذو القرنين رجلا يستدعى ملكهم اليه فلم يجبه وقال مالى اليه حاجة فسار ذو القرنين اليه وقال كيف حالكم وما انتم عليه فانى لا ارى لكم شيأ من ذهب ولا فضة ولا اجد عندكم شيأ من نعيم الدنيا فقال له ان نعيم الدنيا لا يشبع منه احد فقال له اسكندر لم حفرتم القبور على ابوابكم فقال لتكون نصب اعيننا فننظر اليها ونجدد ذكر الموت ولا ننسى الاخرة ويذهب حب الدنيا من قلوبنا فلا نشتغل بها عن عبادة ربنا تعالى فقال اسكندر كيف تأكلون الحشيش قال لانا نكره ان نجعل فى بطوننا قبور الحيوانات ولان لذة الطعام لا تجاوز الحلق ثم مديده فاخرج خفقا من رأس ادمى فوضعه بين يدى اسكندر وقال له ايها القرنين أتعلم من كان صاحب هذا قال لا قال كان صاحبه ملكا من ملوك الدنيا فكان يظلم رعيته ويجور عليهم وعلى الضعفاء ويستفرغ زمانه فى جمع حطام الدنيا فقبض الله روحه وجعل النار مقره وهذا رأسه ثم مديده ووضع خفقا آخر بين يديه وقال له أتعرف هذا قال لا قال هذا كان ملكا من ملوك الارض وكان عادلا فى رعيته شفوقا على اهل ولايته وملكه فقبض الله روحه واسكنه جنته ورفع درجته ووضع يده على رأس ذى القرنين وقال ترى انت اى هذين الرأسين فبكى ذو القرنين بكاء شديدا وضمه الى صدره وقال له ان انت رغبت فى صحبتى سلمت اليك وزارتى وقاسمتك فى مملكتى فقال الرجل هيهات هيهات مالى رغبة فى هذا فقال له اسكندر ولم ذلك قال لان الخلق كلهم اعدائى بسبب المال والملك الذى اعطيته وجميعهم اصدقائى فى الحقيقة بسبب القناعة والصعلكة لانى ليس لى ملك ولا طمع فى الدنيا ولا الى اليها طلب ولا فيها ارب وليس لى الا القناعة حسب نضمه اسكندر الى صدره وقبله بين عينيه وانصرف ومما يحكى ان الملك العادل انوشروان اظهر يوما من الايام انه مريض وانفذ ثقاته وامناءه وامرهم ان يطوفوا اقطار مملكته واكناف ولايته وان يتطلبوا له لبنة عتيقة من قرية خربة ليتداوى بها وذكر لاصحابه ان الاطباء وصفوا له ذلك فطافوا اقطار مملكته وجميع ولايته وعادوا اليه فقالوا ما وجدنا فى جميع المملكة مكانا خربا ولا لبنة عتيقة ففرح انوشروان بهذا وشكر الله وقال انما اردت ان اجرب ولا يبقى واختبر مملكتى لاعلم هل بقى فيها موضع خرب لاعمره وحيث انه الآن لم يبق فيها مكان الا وهو عامر فقد تمت امور المملكة وانتظمت الاحوال ووصلت العمارة الى درجة الكمال وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والستون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك لما رجع اليه ارباب دولته وقالوا له ما وجدنا فى جميع المملكة مكانا خربا شكر الله وقال الآن قد تمت امور المملكة وانتظمت الاحوال ووصلت العمارة الى درجة الكمال فاعلم ايها الملك ان اولئك الملوك القدماء ما كانت همتهم واجتهادهم فى عمارة ولايتهم الا لعلمهم انه كلما

كانت

كانت الولاية اعمر كانت الرغبة اوفر لانهم كانوا يعلمون ان الذى قالته العلماء ونطقت به الحكماء صحيح لا ريب فيه حيث قالوا ان الدين بالملك والملك بالجند والجند بالمال والمال بعمارة البلاد وعمارة البلاد بالعدل فما كانوا يوافقون احدا على الجور والظلم ولا يرضون لحشمهم بالتعدى علما منهم ان الرعية لا تثبت على الجور وان البلاد والاماكن تخرب اذا استولى عليها الظالمون وتتفرق اهلها ويهربون الى ولايات غيرها ويقع النقص فى الملك ويقل فى البلاد الدخل وتخلو الخزائن من الاموال ويتكدر عيش الرعايا لانهم لا يحبون جائرا ولا يزال دعاؤهم عليه متواترا فلا يتمتع الملك بمملكته وتسرع اليه دواعى مهلكته ومما يحكى انه كان فى بنى اسرائيل قاض من قضاتهم وكان له زوجة بديعة الجمال كثيرة الصون والصبر والاحتمال فاراد ذلك القاضى التهوض الى زيارة بيت المقدس فاستخلف اخاه على القضاء واوصاه بزوجته وكان اخوه قد سمع بحسنها وجمالها فكلف بها فلما سار القاضى توجه اليها وراودها عن نفسها فامتنعت واعتصمت بالورع فاكثر الطلب عليها وهى تمتنع فلما يئس منها خاف ان تخبر اخاه بصنيعه اذا رجع فاستدعى بشهود زور يشهدون عليها بالزناء ثم رفع مسألتها الى ملك ذلك الزمان فامر برجمها فحفروا لها حفرة واقعدوها فيها ورجمت حتى غطتها الحجارة وقال تكون الحفرة قبرها فلما جن الليل صارت تئن من شدة ما نالها فمر بها رجل يريد قرية فلما سمع انينها قصدها فاخرجها من الحفرة واحتملها الى زوجته وامرها بمداواتها فداوتها حتى شفيت وكان للمرأة ولد فدفعته اليها فصارت تكفله وتبيت معها فى بيت ثان فرأها احد الشطار فطمع فيها وارسل يراودها عن نفسها فامتنعت فعزم على قتلها فجاءها بالليل ودخل عليها البيت وهى نائمة ثم هوى بالسكين اليها فوافق الصبى فذبحه فلما علم انه ذبح الصبى ادركه الخوف فخرج من البيت وعصمها الله منه ولما اصبحت وجدت الصبى عندها مذبوحا وجاءت امه وقالت انت التى ذبحته ثم ضربتها ضربا موجعا واردت ذبحها فجاء زوجها وانتذها منها وقال والله لم تفعل ذلك فخرجت المرأة فارة بنفسها لا تدرى اين تتوجه وكان معها بعض دراهم فمرت بقرية والناس مجتمعون ورجل مصلوب على جذع الا انه فى قيد الحياة فقالت ياقوم ماله قالوا لها اصاب ذنبا لا يكفره الا قتله او صدقة كذا وكذا من الدراهم فقالت خذوا الدراهم واطلقوه فتاب على يديها ونذر على نفسه ان يخدمها لله تعالى حتى يتوفاه الموت ثم بنى لها صومعة اسكنها فيها وصار يحتطب ويأتيها بقوتها واجتهدت المرأة فى العبادة حتى كان لا يأتيها مريض او مصاب فتدعو له الا شفى من وقته وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والستون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان المرأة لما صارت مقصودة للناس وهى مقبلة على عبادتها فى الصومعة كان من قضاء الله تعالى انه نزل باخى زوجها الذى رجمها عاهة فى وجهه واصاب المرأة التى ضربتها برص وابتلى الشاطر بوجع اقعده وقد جاء القاضى زوجها من حجه وسأل اخاه عنها فاخبره بما ماتت فاسف عليها واحتسبها عند الله ثم تسامعت الناس بالمرأة حتى كانوا يقصدون صومعتها من اطراف الارض ذات الطول والعرض فقال القاضى لاخيه يا اخى هلا قصدت هذه المرأة الصالحة لعل الله يجعل لك على يديها شفاء قال يا اخى احملنى اليها وسمع زوج المرأة التى نزل بها البرص فسار بها اليها وسمع

اهل الشاطر المقعد بخبرها فساروا به اليها ايضا واجتمع الجميع عند باب صومعتها وكانت ترى جميع من يأتى صومعتها من حيث لا يراها احد فانتظروا خادمها حتى جاء ورغبوا اليه فى ان يستأذن لهم فى الدخول عليها ففعل فتنقبت واستترت ووقفت عند الباب تنظر زوجها واخاه واللص والمرأة وعرفتهم وهم لا يعرفونها فقالت لهم ياهؤلاء انكم ما تستريحون مما بكم حتى تعترفوا بذنوبكم فان العبد اذا اعترف بذنبه تاب الله عليه واعطاه ما هو متوجه فيه اليه فقال القاضى لاخيه يا اخى تب الى الله ولا تصر على عصيانك فانه انفع لخلاصك ولسان الحال يقول هذا المقال

اليوم يجمع مظلوم ومن ظلما * ويظهر الله سرا كان قد كتما
هذا مقام تذل المذنبون له * ويرفع الله من طاعاته لزما
ويظهر الحق مولانا وسيدنا * هذا وان حظ العاصى وان رغما
ياويح من جاهر المولى وحظه * كانه بعقاب الله ما علما
ياطالب العز ان العز يطلبك فى * تقوى الاله فكن بالله معتصما

قال فعند ذلك قال اخو القاضى الان اقول الحق فعلت بزوجتك ما هو كذا وكذا وهذا ذنبى فقالت البرصاء وانا كانت عندى امرأة فنسبت اليها ما لم اعلمه وضربتها عمدا وهذا ذنبى فقال المقعد وانا دخلت على امرأة لاقتلها بعد مرادتها عن نفسها وامتناعها من الزنا فذبحت صبيا كان بين يديها وهذا ذنبى فقالت المرأة اللهم كما اريتهم ذل المعصية فارهم عز الطاعة انك على كل شئ قدير فشفاهم الله عز وجل وجعل القاضى ينظر اليها ويتأملها فسألته عن سبب النظر فقال كانت لى زوجة ولولا انها ماتت لقلت انها انت فعرفته بنفسها وجعلا يحمدان الله عز وجل على ما من عليهما به من جمع شملهما ثم طفق كل من اخى القاضى واللص والمرأة يسألونها المسامحة فسامحت الجميع وعبدوا الله فى ذلك المكان مع لزوم خدمتها الى ان فرق الموت بينهم

ومما يحكى ان بعض السادة قال بينما انا اطوف بالكعبة فى ليلة مظلمة اذ سمعت صوت ذى حنين ينطق عن قلب حزين وهو يقول يا كريم لطفك القديم فان قلبى على العهد مقيم فتطاير قلبى لسماع ذلك الصوت تطايرا اشرفت منه على الموت فقصدت نحوه فاذا صاحبته امرأة فقلت السلام عليك يا امة الله فقالت وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقلت اسألك بالله العظيم ما العهد الذى قلبك عليه مقيم فقالت لولا قسمك بالجبار ما اطلعتك على الاسرار انظر ما بين يدى فنظرت فاذا بين يديها صبى نائم يحظ فى نومه فقالت خرجت وانا حامل بهذا الصبى لاحج هذا البيت فركبت فى سفينة فهالت علينا الامواج واختلفت علينا الرياح وانكسرت بنا السفينة فنجوت على لوح منها ووضعت هذا الصبى وانا على ذلك اللوح فبينما هو فى مجرى والامواج تضربنى وادركنى شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية قالت لما انكسرت السفينة نجوت على لوح منها ووضعت هذا الصبى وانا على ذلك اللوح فبينما هو فى مجرى والامواج تضربنى اذ وصل الى رجل من ملاحى السفينة وحصل معى وقال لى والله لقد كنت اهوالك وانت فى السفينة والآن قد حصلت معك فمكنينى من نفسك والا قذفتك فى هذا البحر فقلت ويحك اما كان لك مما رأيت تذكرة وعبرة فقال انى رأيت مثل ذلك

مرارا ونحوت وانا لا ابالى فقلت يا هذا نحن فى بلية نرجو السلامة منها بالطاعة لا بالمعصية فألح على فخفت منه واردت ان اخادعه فقلت له مهلا حتى ينام هذا الطفل فاخذه من حجرى وقذفه فى البحر فلما رأيت جرأته وما فعل بالصبى طار قلبى وزاد كربى فرفعت رأسى الى السماء وقلت يا من يحول بين المرء وقلبه حل بينى وبين هذا الاسد انك على كل شئ قدير فوالله ما فرغت من كلامى الا ودابة قد طلعت من البحر فاختطفته من فوق اللوح وبقيت وحدى وزاد كربى وحزنى اشفاقا على ولدى فانشدت وقلت

قرة العين حبيبى ولدى * ضاع حيث الوجد اوهى جلدى
وارى جسمى غريقا وغدت * بالتياع الوجد تشوى كبدى
ليس لى فى ربتى من فرج * غير الطائف يا معتمدى
انت يا ربى ترى ما حل بى * من غرامى بفراقى ولدى
فاجمع الشمل وكن لى راحما * فرجائى فيك اقوى عددى

فبقيت على تلك الحالة يوما وليلة فلما كان الصباح بصرت بقلاع سفينة تلوح من بعد فازالت الامواج تقذفنى والرياح تسوقنى حتى وصلت الى تلك السفينة التى كنت ارى قلاعها فاخذنى اهل السفينة ووضعونى فيها فنظرت فاذا ولدى بينهم فترامیت عليه وقلت يا قوم هذا ولدى فمن اين كان لكم قالوا بينما نحن نسير فى البحر اذ حبست السفينة فاذا دابة كانها المدينة العظيمة وهذا الصبى على ظهرها يمص ابهامه فاخذناه فلما سمعت منهم ذلك حدثتهم بقصتى وما جرى لى وشكرت لربى على ما اولانى وعاهدته على ان لا ابرح بيته ولا انثنى عن خدمته وما سألته بعد ذلك شيأ الا اعطانيه فمددت يدى الى كيس النفقة واردت ان اعطيها فقالت اليك عنى يا بطال أفاحدثك بافضاله وكرم فعاله واخذ الرزق على يد غيره فلم اقدر على ان تقبل منى شيأ فتركتها وانصرفت من عندها وانا انشد واقول هذه الابيات

وكم لله من لطف خفى * يدق خفاه عن فهم الذكى
وكم يسر اتى من بعد عسر * وفرج لوعة القلب الشجى
وكم هم تعانيه صباحا * فتعقبه المسرة بالعشى
اذا ضاقت بك الاسباب يوما * فثق بالواحد الصمد العلى
تشفع بالنبى فكل عبد * ينال اذا تشفع بالنبى

ومازالت فى عبادة ربها ملازمة بيته الى ان ادركها الموت ومما يحكى ان مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال انحبس عنا المطر بالبصرة فخرجنا نستقى مرارا فلم نر اثر الاجابة فخرجت انا وعطاء السلمى وثابت البنانى ويحيى البكاء ومحمد بن واسع وايوب السختيانى وحبيب الفارسى وحسان ابن ابى سنان وعتبة الغلام وصالح المزنى حتى صرنا الى المصلى وخرجت الصبيان من المكاتب واستقينا فلم نر اثر الاجابة فانتصف النهار وانصرف الناس وبقيت انا وثابت البنانى بالمصلى فلما اظلم الليل بصرنا باسود ملیح الوجه رقيق الساقين عظيم البطن قد اقبل عليه مئزر من صوف اذا قوم جميع ما كان عليه لا يساوى درهمين فجاء بماء فتوضأ ثم اتى المحراب فصلى ركعتين خفيفتين كان قيامه وركوعه وسجوده فيهما سواء ثم رفع طرفه الى السماء وقال الهى وسيدى ومولاى الى كم ترد عبادك فيما لا ينقص ملكك أنفد ما عندك ام فنيت خزائن ملكك اقسمت عليك بحبك لى الا سقيتنا غيثك الساعة قال فما تم الكلام حتى تغيمت السماء وجاءت بمطر كافواه القرب ولم نخرج من المصلى الا ونحن نخوض فى الماء للركب وادرك شهرزاد

الصباح فسكت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه قال فما تم كلامه حتى تغيمت السماء وجاءت بمطر كافواه القرب ولم نخرج من المصلى الا ونحن نخوض في الماء الراكب وبقينا نتهيب من الاسود قال مالك فتعرضت له وقلت ويحك يا اسود اما تستحي مما قلت فالتفت الي وقال ماذا قلت فقلت له قولك بحبك لي وما يدريك انه يحبك قال فقال لي تنح عني يا من اشتغل عن نفسه فاين كنت انا حين ايدني بالتوحيد وخصني بمعرفته أفتراه ايدني بذلك الا لمحبته لي ثم قال محبته لي على قدر محبتي له فقلت له قف علي قليلا يرحمك الله فقال اني مملوك وعلي فرض من طاعة مالكي الصغير قال لجعلنا نتفوا ثره على البعد حتى دخل دار نخاس وقد مضى من الليل نصفه فطال علينا النصف الثاني فذهبنا فلما كان الصباح اتينا النخاس وقلنا له أعندك غلام تبيعه لنا لاجل الخدمة قال نعم عندي نحو مائة غلام كلهم للبيع قال وجعل يعرض علينا غلاما بعد غلام حتى عرض سبعين غلاما ولم ار صاحبي فيهم فقال ما عندي غير هؤلاء فلما اردنا الخروج دخلت حجرة خربة خلف داره فاذا الاسود قائم فقلت هو ورب الكعبة فرجعت الى النخاس وقلت يعني هذا الغلام قال يا ايها انه غلام مشؤوم نكد ليس له في الليل همة الا البكاء وفي النهار الا الندم فقلت لذلك اريده قال فدعاه فخرج وهو يتناعس فقال لي خذه بما شئت بعد ان تبرئني من عيوبه كلها قال واشتريته بعشرين دينارا وقلت ما اسمه قال ميمون فاخذت بيده وانطلقنا نريد به المنزل فالتفت الي وقال لي يا مولاي الصغير لماذا اشتريتني فاما والله لاصلحن خدمة المخلوقين فقلت له انما اشتريتك لاخدمك بنفسي وعلى رأسي فقال لي ولم ذلك فقلت الست صاحبنا البارحة بالمصلى فقال وهل اطلعت علي قلت انا الذي اعترضتك البارحة في الكلام قال فجعل يمشي حتى دخل مسجدا فصلى ركعتين ثم قال الهي وسيدي ومولاي سر كان بيني وبينك اطلعت عليه المخلوقين وفضحتني فيه بين العالمين فكيف بطيب الآن عيشي وقد وقف على ما كان بيني وبينك غيرك اقسمت عليك الا ما قبضت روحي الساعة ثم سجد فانتظرته ساعة فلم يرفع رأسه فحركته فاذا هو قد مات رحمة الله تعالى عليه فمددت يديه ورجليه ونظرت اليه فاذا هو ضاحك وقد غلب البياض على السواد ووجهه يستنير ويبتهل فبينما نحن نعجب من امره اذ بشاب قد اقبل من الباب وقال السلام عليكم عظم الله اجرنا واياكم في اخينا ميمون هاتوا الكفن فكفنوه فيه فناولني ثوبين ما رأيت مثلهما فكفناه فيهما قال مالك فقبره الآن يستسقى به وتطلب الحوائج من الله عز وجل لديه وما احلى ما قال بعضهم في هذا المعنى

مجال قلوب العارفين بروضة * سماوية من دونها حجب الرب
اذا شربوا فيها الرحيق مزاجه * بتسنيم راح الانس بالله من قرب
سرى سرهم بين الحبيب وبينهم * فاضحى مصونا عن سوى ذلك القلب

ومما يحكى انه كان في بني اسرائيل رجل من خيارهم وقد اجتهد في عبادة ربه وزهد في دنياه وازال الهم عن قلبه وكانت له زوجة مساعدة له على شأنه مطيعة له في كل زمانه وكانا يعيشان من عمل الاطباق والمراوح يعملان النهار كله فاذا كان آخر النهار خرج الرجل بما عملاه في يده ومشى به يمر على الازقة والطرق يلتمس مشتريا يبيع له ذلك وكانا يديمان الصوم فاصبحا في يوم من الايام وهما صائمان وقد عملا يومهما ذلك فلما كان آخر النهار خرج الرجل على عادته وبيده ما عملاه يطلب من يشتريه منه فمر بباب احد ابناء الدنيا

واهل الرفاهية والجاه وكان الرجل رضي الوجه جميل الصورة فرأته امرأة صاحب الدار فشقته ومال قلبها اليه ميلا شديدا وكان زوجها غائبا فدعت خادمتها وقالت لها الملك تعالي على ذلك الرجل لتأتي به عندنا فخرجت الخادمة اليه ودعته لتشتري منه ما بيده وردته من طريقه وادرلته شهرزاد اصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخادمة خرجت الى الرجل ودعته وقالت ادخل فان سيدتي تريد ان تشتري من هذا الذي بيدك شيأ بعد ان تختبره وتنظر اليه فتخيل الرجل انها صادقة في قولها ولم يرفي ذلك باسا فدخل وقعد كما مرته فاغلقت الباب عليه وخرجت سيدتها من بيتها راما مسكت بجلابيبه وجذبته وادخلته وقالت له كم ذا اطاب خلوة منك وقد عيل صبري من اجلك وهذا البيت مجزر والطعام محضر وصاحب الدار غائب في هذه الليلة وانا قد وهبت لك نفسي ولطالما طلبتني الملوك والرؤساء واصحاب الدنيا ولم التفت لاحد منهم وطال امرها في القول والرجل لا يرفع رأسه من الارض حياء من الله تعالى وخوفا من اليم عقابه كما قال الشاعر

وربّ كبيرة ما حال بيني * وبين ركوبها الا الحياء
وكان هو الدواء لها ولكن * اذا ذهب الحياء فلا دواء

قال وطمع الرجل في ان يخلص نفسه منها فلم يقدر فقال اريد منك شيأ قالت وما هو قال اريد ماء طاهرا اصعد به الى اعلى موضع في دارك لاقضي به امرا واغسل به درنا مما لا يمكنني ان اطلعك عليه فقالت الدار متسعة ولها خبايا رزوايا بيت الطهرة بعد قال ما غرضي الا الارتفاع فقالت لخادمتها اصعدي به الى المنظرة العليا من الدار فصعدت به الى اعلى موضع فيها ودفعت له آنية الماء ونزلت فتوضأ الرجل وصلى ركعتين ونظر الى الارض ليلقي نفسه فرأها بعيدة فخاف ان لا يصل اليها الا وقد تمزق ثم تفكر في معصية الله وعقابه فهان عليه بذل نفسه وسفك دمه فقال الهي وسيدي ترى ما نزل بي ولا يخفى عليك حالي انك على كل شيء قدير ولسان الحال ينشد ويقول في المعنى

اشار القلب نحوك والضمير * وسر السر انت به خبير
واني ان نسقت بكم انادي * وفي وقت السكوت لكم اشير
ايا من لا يضاف اليه ثان * اتاك الواله الصب الفقير
ولي امل تحققه ظنوني * ولي قلب كما تدري يطير
وبذل النفس اصعب ما يلاقى * فان قدرته فهو اليسير
وان تمنن وتمحني خلاصي * فانت عليه يا املي قدير

ثم ان الرجل القى نفسه من اعلى المنظرة فبعث الله اليه ملكا احتمله على جناحه وانزله الى الارض سالما دون ان يناله ما يؤذيه فلما استقر بالارض حمد الله عز وجل على ما اولاه من عصمته وما اناله من رحمته وسار دون شيء الى زوجته وكان قد ابطأ عنها فدخل وليس معه شيء فسألته عن سبب بطئه وعن ما خرج به في يده وما فعل به وكيف رجع بدون شيء فاخبرها بما عرض له من الفتنة وانه القى نفسه من ذلك الموضع فنجاه الله فقالت زوجته الحمد لله الذي صرف عنك الفتنة وحال بينك وبين المحنة ثم قالت يا رجل ان الجيران

قد تعودوا منا ان نوقد تنورنا فى كل ليلة فان راونا الليلة دون نار علموا اننا بلا شئ ومن شكر الله كتم ما نحن فيه من الخصاصة ووصال صوم هذه الليلة باليوم الماضى وقيامها لله تعالى فقامت الى التنور وملأته حطبا واضرمته لتغالط به الجارات وانشدت تقول هذه الابيات

ساكتم ما بى من غرامى واشجانى * واضرم نارى كى اغالط جيرانى
وارضى بما امضى من الحكم سيدى * عساه يرى ذلى اليه فيرضانى

وادركها شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للسبعين بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان المرأة لما اضرمت النار تغالط الجيران نهضت هى وزوجها وتوضئا وقاما الى الصلاة فاذا امرأة من جاراتها تستاذن فى ان توقد من تنورهما فقالا لها شأنك والتنور فلما دنت المرأة من التنور لتأخذ النار نادت يا فلانة ادركى خبزك قبل ان يحترق فقالت امرأة الرجل لزوجها اسمعت ما تقول هذه المرأة فقال قومى وانظرى فقامت وتوجهت للتنور فاذا هو قد امتلأ من خبز ابيض فاخذت المرأة الارغفة ودخلت على زوجها وهى تشكر الله عز وجل على ما اولى من الخير العميم والمن الجسيم فاكلا من الخبز وشربا من الماء وحمدا الله تعالى ثم قالت المرأة لزوجها تعال ندع الله تعالى عساه ان يمن علينا بشئ يغنينا عن كد المعيشة وتعب العمل ويعيننا به على عبادته والقيام بطاعته قال لها نعم فدعا الرجل ربه وامنت المرأة على دعائه فاذا السقف قد انفرج ونزلت ياقوتة اضاء البيت من نورها فزادا شكرا وثناء وسرا بتلك الياقوتة سرورا كثيرا وصليا ما شاء الله تعالى فلما كانا آخر الليل ناما فرأت المرأة فى منامها كانها دخلت الجنة وشاهدت منابر كثيرة مصفوفة وكراسى منصوبة فقالت ما هذه المنابر وما هذه الكراسى فقيل لها هذه منابر الانبياء وهذه كراسى الصديقين والصالحين فقالت واين كرسى زوجى فلان فقيل لها هذا فنظرت اليه فاذا فى جانبه ثلم فقالت وما هذا الثلم فقيل لها هو ثلم الياقوتة النازلة عليكما من سقف بيتكما فانتبهت من منامها وهى باكية حزينة على نقصان كرسى زوجها بين كراسى الصديقين فقالت ايها الرجل ادع ربك ان يرد هذه الياقوتة الى موضعها فكابدا الجوع والمسكنة فى الايام القلائل اهون من ثلم كرسيك بين اصحاب الفضائل فدعا الرجل ربه فاذا الياقوتة قد طارت صاعدة الى السقف وهما ينظران اليها ومازال الاعلى فقرهما وعبادتهما حتى لقيا الله عز وجل

ومما يحكى ان الحجاج بن يوسف الثقفى كان يتطلب رجلا من الاكابر فلما حضر بين يديه قال اى عدو الله قد امكن الله منك ثم قال احملوه الى السجن وقيدوه بقيد ضيق ثقيل وابنوا عليه بيتا لا يخرج منه ولا يدخل اليه فيه احد فامر بالرجل الى السجن واحضر الحداد والقيد وكان الحداد اذا ضرب بمطرقته يرفع الرجل رأسه وينظر الى السماء ويقول الا له الخلق والامر فلما فرغ عنه بنى السجان عليه البيت وتركه فيه وحيدا فريدا فدخله الوجد والذهول ولسان حاله ينشد ويقول

يا مراد المريد انت مرادى * وعلى فضلك العميم اعتمادى
ليس يخفى عليك ما انا فيه * لحظة منك بغيتى واقتصادى
محنونى وبالغوائى امتحانى * ومع نفسى لغربتى وانفرادى

انا كن مفردا فذ كرلذ انسى * وسميرى اذا منعت رقادى
اوتكن راضيا فلست ابالى * انت تدرى بما تزى فى فؤادى

فلما جن الليل ابقى السجان حرسه عنده وذهب الى بيته ولما اصبح جاء وتفقد الرجل فاذا القيد مطروح والرجل ليس له خبر فخاف السجان وايقن بالموت فسار الى منزله وودع اهله واخذ كفنه وحنوطه فى كمه ودخل على الحجاج فلما وقف بين يديه نثر الحجاج رايحة الحنوط فقال ما هذا قال يا مولاى اناجئت به قال وما حملك على هذا فاخبره بخبر الرجل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والسبعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان السجان لما اخبر الحجاج بخبر الرجل قال للرجل ويحك هل سمعته يقول شيأ قال نعم كان اذا ضرب الحداد بالمطرقة ينظر الى السماء ويقول الاله الخلق والامر فقال الحجاج اوما علمت ان الذى ذكره وانت حاضر سرحه وانت عنه غائب وقد انشد لسان الحال فى هذا المعنى وقال

يارب كم من بلاء قد ذهبت به * عنى ولولاك لم اقعد ولم اقم
فكم وكم من امور لست احصرها * تجيقنى من بلاها كم وكم وكم

وحكى ان رجلا من الصالحين بلغه ان بمدينة كذا وكذا حدادا يدخل يده فى النار ويأخذ الحديدة المحماة منها بها فلا تعد وعليه النار فقصد الرجل تلك البلدة يسأل عن الحداد فدل عليه فلما نظره وتأمله رآه يصنع ما قد وصف له فامهله حتى فرغ من عمله واتاه وسلم عليه وقال له انى اريد ان اكون الليلة ضيفك فقال حبا وكرامة فاحتمله الى منزله وتعشى معه وناما جميعا فلم يره اثر قيام ولا عبادة فقال فى نفسه لعله يستترمنى فبات عنده ثانية وثالثة فرآه لا يزيد على الفرض الا السنن ولا يقوم من الليل الا القليل فقال له يا اخى انى سمعت عما اكرمك الله به ورأيته باديا عليك ثم نظرت الى اجتهادك فلم ار منك عمل من تظهر عليه الكرامات فمن اين لك هذا قال انى احدثك بسببه وذلك انى كنت تزوجت بجارية وكنت بها كلفا فراودتها عن نفسها كثيرا فلم اقدر عليها لاعتصامها بالورع فجاءت سنة قحط وجوع وشدة فعدم الطعام وعظم الجوع فبينما انا قاعد اذ قرع الباب قارع فخرجت فاذا هى واقفة فقالت يا اخى اصابنى جوع شديد وقد رفعت اليك رأسى لتطعمنى لله فقلت لها اما تعلمين ما كان من حبك وما قاسيته من اجلك فما لا اطعمك شيأ حتى تمكنينى من نفسك فقالت الموت ولا معصية الله ثم رجعت وعادت بعد يومين فقالت لى مثل مقالتها الاولى وقلت مثل جوابى الاول فدخلت وقعدت فى البيت وقد اشرفت على الهلاك فلما جعلت الطعام بين يديها ذرفت عيناها وقالت اطعمنى لله عز وجل فقلت لا والله الا ان تمكنينى من نفسك فقالت الموت خير لى من عذاب الله تعالى وقامت وتركت الطعام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والسبعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان المرأة قالت للرجل حين اتاها بالطعام اطعمنى لله عز وجل فقال لا الا ان تمكنينى من نفسك فقالت الموت ولا عذاب الله ثم قامت وتركت الطعام وخرجت ولم تأكل

شيأ وجعلت تقول هذه الابيات

اياواحدا احسانه شمل الخلقا * بسمعك ما اشكو بعينك ما الق
فقد صدمتني شدة وخصاصة * ونازلني ما بعضه يمنع النطقا
كاني ظمان ترى الماء عينه * فلا عينه تروى ولا شربة يسقى
تنازعني نفسي الى نيل اكلة * لذاذتها تفنى وعصيانها يبقى

ثم انها غابت يومين وانت تقرع الباب فخرجت فاذا الجوع قد قطع صوتها فقالت لي يا اخي قد اعيتني الحيل ولا اقدر على ابداء وجهي لاحد من الناس غيرك فهل تطعمني لله تعالى فقلت لا الا ان تمكنيني من نفسك فدخلت وقعدت في البيت ولم يكن عندي طعام حاضر فلما نضج الطعام وجعلته في القصعة تداركني الله تعالى بلطفه وقلت لنفسي ويحك هذه امرأة ناقصة عقل ودين تمتنع من الطعام ولا قدرة لها على الصبر دونه لما نالها من الجوع وهي ترد المرة بعد الاخرى وانت لا تثنى عن معصية الله تعالى فقلت اللهم اني اتوب اليك مما خطر بنفسي فقمت بالطعام ودخلت عليها وقلت لها كلي ولا باس عليك فانه لله عز وجل فرفعت عينيها الى السماء وقالت اللهم ان كان هذا صادقا فحرم عليه النار في الدنيا والاخرة انك على كل شئ قدير وبالاجابة جدير قال فتركتها وقت لا تزيل النار من الكانون وكان الوقت وقت فصل الشتاء والبرد فوقعت جمرة على يدي فلم اجد لها المابقدرة الله عز وجل فوقع في نفسي ان دعوتها اجيبت فاخذت الجمرة بكفي فلم تحرقني فدخلت عليها وقلت ابشري فان الله قد اجاب دعوتك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الحداد قال دخلت عليها وقلت لها ابشري فان الله قد اجاب دعوتك فالقت اللقمة من يدها وقالت اللهم كما اريتني مرادي فيه واجبت دعوتي له فاقبض روحي انك على كل شئ قدير فقبض الله روحها تلك الساعة رحمة الله عليها وانشد لسان الحال في هذا المعنى وقال

دعت فاجاب مولاها دعاها * وتاب على غوى قد دعاها
أراها سؤلها فيه امتنانا * وآتاها كما شاءت مناها
اتته لبابه ترجو نوالا * وتقصده لكرب قد عراها
فمال الى غوايته واهوى * لشهوته وامل منتهاها
ولم يعلم مراد الله فيه * وتوبته اتته ومانواها
قضايا الله ارزاق فمن لا * تتاح له وتاتيه اتاها

وحكي انه كان في بني اسرائيل رجل من العباد المشهورين بالعبادة المعصومين الموصوفين بالزهادة وكان اذا دعا ربه اجابه واذا سأل اعطاه وآتاه منه وكان سياحا في الجبال قوام الليل وكان الله سبحانه وتعالى قد سخر له سحابة تسير معه حيث يسير وتسكب عليه ماء منهمرا فيتوضأ منه ويشرب فازال على ذلك الى ان اعتراه فتور في بعض الاوقات فازال الله عنه سحابته وحجب عنه اجابته فكبر لذلك حزنه وطال كمده ومازال يشتاق الى زمن الكرامة المامون بها عليه ويتحسر ويتأسف ويتلهف فنام ليلة من الليالي فقيل له

فى نومه ان شئت ان يرد الله عليك مصابتك فاقصد الملك الفلانى فى بلد كذا وكذا واسأله ان يدعو لك فان الله سبحانه وتعالى يردها عليك ويسوقها اليك ببركة دعواته الصالحات وانشد يقول هذه الابيات

اقصد الى الصالح الامير * فى خطبك الواقع الكبير
فان دعا الله جاء ما قد * سألت من وابل همير
لقد سما فى الملوك قدرا * وجل فيهم عن النظير
وسوف تلقى لديه امرا * يؤذن بالبشر والسرور
فاقطع له البيد والفيافى * وواصل السير بالمسير

قال فسار الرجل يقطع الارض حتى دخل البلدة التى ذكرت له فى المنام فسأل عن الملك فدل عليه فسار الى قصره فاذا عند باب القصر غلام قاعد على كرسى عظيم وعليه كسوة هائلة فوقف الرجل وسلم فرد عليه السلام وقال ما حاجتك قال انا رجل مظلوم وقد جئت الملك ارفع قصتى اليه قال لا سبيل لك اليوم عليه لانه قد جعل لاهل المسائل فى الاسبوع يوما يدخلون عليه فيه وهو يوم كذا وكذا فسر راشدا حتى يأتى ذلك اليوم فانكر الرجل عليه تحجبه عن الناس وقال كيف يكون هذا وليا من اولياء الله عز وجل وهو على مثل هذا الحال وذهب ينتظر اليوم الذى قيل له عليه فلما كان ذلك اليوم الذى ذكره البواب دخلت فوجدت عند الباب اناسا ينتظرون الاذن لهم فى الدخول فوقفت معهم الى ان خرج وزير عليه ثياب هائلة وبين يديه خدم وعبيد فقال لتدخل ارباب المسائل فدخلوا ودخلت فى الجملة فاذا الملك قاعد وبين يديه ارباب مملكته على قدر مقاديرهم ومراتبهم فوقف الوزير وجعل يقدم واحدا بعد واحد حتى وصلت النوبة الى فلما قدمنى الوزير نظر الملك الى وقال مرحبا بصاحب السحابة اقعد حتى افرغ لك فتحيرت من قوله واعترفت بمرتبته وفضله فلما قضى بين الناس وفرغ منهم قام وقام الوزير وارباب المملكة ثم اخذ الملك بيدى وادخلنى الى قصره فوجدت عند باب القصر عبدا اسود وعليه ثياب هائلة وفوق رأسه اسلحة وعن يمينه وشماله دروع وقسى فقام الى الملك وسارع لامره وقضاء حوايجه ثم فتح باب القصر فدخل الملك ويدى فى يده فاذا بين يديه باب قصير ففتحه الملك بنفسه ودخل الى خربة وبناء هائل ثم دخل الى بيت ليس فيه الا سجادة وقدح للوضوء وشئ من الخوص ثم جرد ثيابه التى كانت عليه ولبس جبة خشنة من الصوف الابيض وجعل على رأسه قلنسوة من لبد ثم قعد واقعدنى ونادى ان يا فلانة لزوجته فقالت له لبيك قال لها اتدرين من ضيفنا فى هذا اليوم قالت نعم هو صاحب السحابة فقال لها اخرجى لا عليك منه قال فاذا هى امرأة كانها الخيال ووجهها يتلالا كالهلال وعليها جبة صوف وقناع وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك لما نادى زوجته خرجت ووجهها يتلالا كالهلال وعليها جبة خشنة من صوف وقناع فقال الملك يا اخى اتريد ان تعرف خبرنا او ندعو لك وتنصرف قال بل اريد اسمع خبركما فانه الاشوق الى فقال له انه كان آباؤى واجدادى يتداولون المملكة ويتوارثونها كابرا عن كابر الى ان ما توا ووصل الامر الى فبغض الله ذلك لى فاردت ان اسيح فى الارض واترك امر الناس لانفسهم ثم انى خفت عليهم من دخول الفتنة وتضييع الشرائع وتشتيت شمل الدين فتركت الامر على ما كان عليه

وجعلت لكل رأس منهم جراية بالمعروف ولبست ثياب الملك واقعدت العبيد على الابواب ارهبا بالاهل الشر وذبا عن اهل الخير واقامة للحدود فاذا فرغت من ذلك كله دخلت منزلى وازلت هذه الثياب ولبست ماترى وهذه ابنة عمى وافقتنى على الزهادة وساعدتنى على العبادة فنعمل من هذا الخوص بالنهار مانفطر به عند الليل وقد مضى علينا ونحن على هذه الحالة نحو اربعين سنة فاقم معنا يرحمك الله حتى نبيع خوصنا ونفطر معنا وتبيت عندنا ثم تصرف بحاجتك ان شاء الله تعالى قال فلما كان آخر النهار اتى غلام خماسى ودخل فاخذ ما عملاه من الخوص وسار به الى السوق فباعه بقيراط واشترى به خبزا وفولا واتى بهما فافطرت معهما وبتت عندهما فقاما من نصف الليل يصليان ويبكيان فلما كان السحر قال الملك اللهم ان هذا عبدك يطلب منك ان ترد صحابته عليه وانت على ذلك قدير اللهم اره اجابته واردد عليه صحابته قال وامنت المرأة فاذا السحابة قد نشأت فى السماء فقال لى البشارة فودعتهما وانصرفت والسحابة تسير معى كما كانت فما بعد ذلك لا اسأل الله تعالى بحرمتهما شيأ الا اجابنى وانشأت اقول هذه الابيات

وان لربى صفوة من عبيده * قلوبهم وفى روض حكمته تجرى
وابدانهم قد اسكنت حركاتها * لما فى صدور القوم من خالص السر
تراهم صموتا خاشعين لربهم * بحيث يرون الغيب بالغيب كالجهر

وحكى ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه جهز جيشا من المسلمين تجاه العدو قبل الشام فحاصروا حصنا من حصونهم حصارا شديدا وكان فى المسلمين رجلان اخوان قد آتاهما الله جدة وجرأة على العدو وكان امير ذلك الحصن يقول لاقياله ومن بين يديه من ابطاله لوان هذين المسلمين خطلا اوقتلا لكفيتكم من سواهما من المسلمين قال فجاز الوا ينصبون لهما المصايد ويحتالون عليهما بالمكايد ويجعلون المكامن ويكثرون الكوامن الى ان اخذ احدهما اسيرا وقتل الاخر شهيدا فاحتمل المسلم الاسير الى امير ذلك الحصن فلما نظر اليه قال ان قتل هذا لمصيبة وان رجوعه الى المسلمين لكريهة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العدو لما حملوا المسلم الاسير الى امير ذلك الحصن ونظر اليه قال ان قتل هذا لمصيبة ورجوعه الى المسلمين لكريهة ووددت لو يدخل فى دين النصرانية عونا وعضدا فقال بطريق من بطارقته ايها الامير انا افتنه حتى يرتد عن دينه وذلك ان العرب تكثر الصبوة الى النساء ولى بنت لها جمال وكمال فلو رأها افتتن بها فقال هو مسلم اليك فاحمله فحمله الى منزله والبس الصبية من الثياب ما زاد فى زينتها وجمالها وجاء بالرجل وادخله المنزل واحضر الطعام ووقفت الصبية النصرانية بين يديه كالخادمة المطيعة لسيدها تنتظر ان يأمرها بامر تمتثله فلما رأى المسلم ما نزل به اعتصم بالله تعالى وغض بصره واشتغل بعبادة ربه وقراءة القرآن وكان له صوت حسن وقريحة مؤثرة فى النفس فاحبته الصبية النصرانية حبا شديدا وكانت به كلفا عظيما ومازال كذلك سبعة ايام حتى صارت تقول ليته يرضى بدخولى فى الاسلام ولسان حالها ينشد هذه الابيات

اتعرض عنى والفؤاد لكم يصبو * فداؤكم نفسى ومثواكم القلب

وانى لارضى ان افارق فرقتى * واترك ديناً دونه الصارم العضب
واشهد ان الله لارب غيره * بذا ثبت البرهان وارتفع الريب
عسى انه يقضى بوصلة معرض * ويبرد قلبا شفه الشوق والحب
فقد تفتح الابواب بعد تغلق * ويعطى الامانى من تداوله الكرب

فلما عيل صبرها وضاق صدرها ترامت بين يديه وقالت اسألك بدينك الا ما سمعت كلامى فقال وما كلامك قالت اعرض على الاسلام فعرضه عليها واسلمت ثم تطهرت وعلمها كيف تصلى فلما فعلت ذلك قالت يا اخى انما كان دخولى فى الاسلام بسببك وابتغاء قربك فقال لها ان الاسلام يمنع من النكاح الا بشاهدين عدلين ومهر وولى وانا لا اجد الشاهدين ولا الولى ولا المهر فلو تحيلت فى خروجنا من هذا الموضع لرجوت الوصول الى دار الاسلام واعاهدك على ان لا يكون لى زوجة فى الاسلام غيرك فقالت انا احتال لذلك ثم دعت اباها وامها وقالت لهما ان هذا المسلم قد لان قلبه ورغب فى الدخول الى الدين وانا اوصله الى ما يريد من نفسى فقال ان هذا لا يتفق لى فى بلد قتل فيه اخى فلو خرجت منه لتسلى قلبى فعلت ما هو المراد منى ولا باس ان تخرجا فى معه الى بلد اخرى فانى ضامنة لكما وللملك ما تريدونه قال فمشى والدها الى اميرهم وعرفه فسر بذلك سرورا كبيرا وامر باخراجهما معه الى القرية التى ذكرت فخرجا فلما وصلا الى القرية وبقيا يومهما وجن الليل عليهما اخذا فى الرحيل وقطع السبيل كما قال بعضهم شعرا

وقالوا قد دنا منا رحيل * فقلت وكم اهدد بالرحيل
ومالى غير جوب القفر شغل * وقطع الارض ميلا بعد ميل
لئن ظعن الاحبة نحو ارض * رجعت بهم من ابناء السبيل
واجعل نحوهم شوقى دليلا * فتهدينى الطريق بلا دليل

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان المسلم الاسير والصبية اقاما بتلك القرية التى دخلاها بقية يومهما ولما جن عليهما الليل اخذا فى الرحيل وقطع السبيل وسار اليلتهما تلك وكان الشاب قد ركب جوادا سابقا واردفها خلفه فما زال يقطع الارض حتى قرب الصباح فمال بها عن الطريق وانزلها وتوضئا وصليا الصبح فبينما هما كذلك اذ سمعا قعقعة السلاح وصهيل اللجم وكلام الرجال وحوافر الخيل فقال لها يا فلانة هذا اتبع النصارى قد ادركنا فما تكون الحيلة والفرس قد كل ومل حتى لا يقدر ان يخطو باعا فقالت له ويحك افزعت وخفت قال نعم قالت فاين ما كنت تحدثنى به من قدرة ربك وغيائته ونحن مستغيثين تعالى نتضرع اليه وندعه لعله يغيثنا بغيائه ويتدارکنا بلطفه سبحانه وتعالى فقال نعم والله ما قلت فاخذا فى التضرع الى الله تعالى وجعل ينشد ويقول هذه الابيات

انى اليك مدى الساعات محتاج * لو كان فى مفرق الاكليل والتاج
وانت حاجتى الكبرى فلو ظفرت * بما اردت يدى لم يبق لى حاج
وليس عندك شئ انت مانعه * بل سيل جودك سيال وثجاج

لكننى انا محجوب بمعصيتى * ونور عفوك ياذا الحلم وهاج
ياقاريح الهم فرج مابليت به * فمن سوالك لهذا الهم فراج

قال فبينما هو يدعو والجارية تؤمن على دعائه ووجيف الخيل يقرب منهما اذ سمع الفتى كلام اخيه الشهيد المقتول وهو يقول يا اخى لا تخف ولا تحزن فالوفد وفد الله وملائكته ارسلهم الينا ليشهدوا علينا فى التزويج وان الله تعالى قد باهى بنا ملائكته واعطانا اجر السعداء والشهداء وطوى لنا الارض وانك تصبح بجبال المدينة فاذا اجتمعت بعمر بن الخطاب رضى الله عنه فاقرأ عليه السلام منى وقل له جزاك الله عن الاسلام خيرا فلقد نصحت واجتهدت ثم رفعت الملائكة اصواتها بالسلام عليه وعلى زوجته وقالوا ان الله تعالى زوجها منك قبل ان يخلق ابا كما آدم عليه السلام بالفى عام فغشيهما البشر والسرور والامن والحبور وزاد اليقين وثبتت هداية المتقين ولما طلع الفجر وصليا الصبح وكان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه يغلس بصلاة الصبح وربما دخل المحراب وخلفه رجلان فيبتدى بسورة الانعام او بسورة النساء فينتبه الراقد ويتوضأ المتوضى ويأتى البعيد فما يتم الركعة الاولى الا والمسجد قد امتلأ من الناس فيصلى الركعة الثانية بسورة خفيفة ويوجز فيها فلما كان ذلك اليوم صلى فى اول ركعة بسورة خفيفة اوجز فيها وفى الثانية كذلك فلما سلم نظر الى اصحابه وقال اشرجوا لنا لتلقى العروسين فتعجب اصحابه ولم يفهموا كلامه فتقدم وهم خلفه حتى خرج الى باب المدينة وكان الشاب عند ما ظهر له النور ورأى اعلام المدينة اقبل نحو الباب وزوجته خلفه فلقيه عمر والمسلمون فسلموا عليه فلما دخلوا المدينة امر عمر رضى الله عنه ان تصنع وليمة فحضر المسلمون واكلوا ودخل الشاب بعروسه ورزقه الله تعالى منها الاولاد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه امر ان تصنع وليمة فحضر المسلمون واكلوا ودخل الشاب بعروسه ورزقه الله منها اولادا يقاتلون فى سبيل الله ويحفظون انسابهم لفخرهم وما احسن ما قيل فى هذا المعنى

ارالذ على الابواب تبكى وتشتكى * ومالك دون الطالبين جواب
اصابتك عين ام دهتك ملمة * فصدك عن باب الحبيب حجاب
صح اليوم يامسكين والهج بذكره * وتب مثل ماتاب الورى وانابوا
عسى مطر الغفران يغسل مامضى * ويحمى بارباب الذنوب ثواب
فقد يفلت المأسور وهو مقيد * ويعتق من سجن العقاب رقاب

وما زالوا فى ارغد عيش واتم سرور الى ان اتاهم هاذم اللذات ومفرق الجماعات

ومما يحكى ان سيدى ابراهيم بن الخواص رحمة الله عليه قال طالبتنى نفسى فى وقت من الاوقات بالخروج الى بلاد الكفار فكففتها فلم تكف وتكتفت وعملت على نفى هذا الخاطر فلم ينتف فخرجت اخترق ديارها راجول اقطارها والعناية تكنفنى والرعاية تطفنى لا القى نصرانيا الا غض ناظره عنى وتباعد منى الى ان اتيت مصرا من الامصار فوجدت عند بابها جماعة من العبيد عليهم الاسلحة وبايديهم مقامع الحديد فما راونى

قاموا

قاموا على القدم وقالوا لى أطبيب انت قلت نعم فقالوا اجب الملك واحتملونى اليه فاذا هو ملك عظيم ذو وجه وسيم فلما دخلت عليه نظر الى وقال اطبيب انت قلت نعم فقال احملوه اليها وعرفوه بالشرط قبل دخوله عليها فاخرجونى وقالوا لى ان للملك ابنة قد اصابها اعلال شديد وقد اعيى الاطباء علاجها وما من طبيب دخل عليها وعالجها ولم يفد طبه الا قتله الملك فانظر ماذا ترى فقلت لهم ان الملك ساقنى اليها فادخلونى عليها واحتملونى الى بابها فلما وصلت قرعوه فاذا هى تنادى من داخل الدار ادخلوا على الطبيب صاحب السر العجيب وانشدت تقول

افتحوا الباب فقد جاء الطبيب * وانظروا نحوى فلى سر عجيب
فلكم مقترب مبتعد * ولكم مبتعد وهو قريب
كنت فيما بينكم فى غربة * فاراد الحق انسى بقريب
جمعتنا نسبة دينية * فترا أينا محب وحبيب
ودعانى للتلاقى اذ دعا * حجب العاذل عنا والرقيب
فاتركوا عذلى وخلوا لومكم * انى باويحكم لست اجيب
لست الوى نحو فانى غائب * انما قصدى باق لا يغيب

قال فاذا شيخ كبير قد فتح الباب بسرعة وقال ادخل فدخلت فاذا بيت مبسوط بانواع الرياحين وستر مضروب فى زاويته ومن خلفه انين ضعيف يخرج من هيكل نحيف فجلست بازاء الستر واردت ان اسلم فتذكرت قوله صلى الله عليه وسلم لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام واذا لقيتموهم فى طريق فاضطروهم الى اضيقه فامسكت فنادت من داخل الستر اين سلام التوحيد والاخلاص يا خواص قال فتعجبت من ذلك وقلت من اين عرفتنى فقالت اذا صفت القلوب وانطوا طراعرت الالسن عن مخبأت الضمائر وقد سألته البارحة ان يبعث الى وليا من اوليائه يكون لى على يديه الخلاص فنوديت من زوايا بيتى لا تحزنى انا نرسل اليك ابراهيم الخواص فقلت لها ما خبرك فقالت لى انا منذ اربع سنين قد لاح لى الحق المبين فهو المحدث والانيس والمقرب والجليس فرمقنى قومى بالعيون وظنوا بى الظنون ونسبونى الى الجنون فما دخل على طبيب منهم الا اوحشنى ولا زائر الا ادهشنى فقلت ومن دلك على ما وصلت اليه قالت براهينه الواضحة وآياته اللائحة واذا وضح لك السبيل شاهدت المدلول والدليل قال فبينما انا اكلمها اذ جاء الشيخ الموكل بها وقال لها ما فعل طبيبك قالت عرف العلة واصاب الدواء وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشيخ الموكل بها لما دخل عليها قال لها ما فعل طبيبك قالت عرف العلة واصاب الدواء فظهر لى منه البشر والسرور وقال انى بالبر والحبور وسار الى الملك واخبره فخصه الملك على اكرامى فبقيت اختلف اليها سبعة ايام فقالت يا ابا اسحاق متى تكون الهجرة الى دار الاسلام فقلت كيف يكون خروجك ومن يتجاسر عليه فقالت الذى ادخلك على وساقك الى فقلت نعم ما قلت فلما كان الغد خرجنا على باب الحصن وحجب عنا العيون من امره اذا اراد شيأ ان يقول له كن فيكون قال فما رأيت اصبر منها على الصيام والقيام فجاورت بيت الله الحرام سبعة اعوام ثم قضت نحبها وكانت ارض مكة

تربها انزل الله عليها الرحمات ورحم من قال هذه الابيات

ولما اتونى بالطبيب وقد بدت * دلايل من دمع سفوح ومن سقم
نضا الثوب عن وجهى فلم ير تحته * سوى نفس من غير روح ولا جسم
فقال لهم ذاقد تعذر برؤه * والحب سر ليس يدرك بالوهم
فقالوا اذالم تعلم الناس مابه * ولم يك تعريف بحد ولا رسم
فكيف يكون الطب فيه مؤثرا * دعونى فانى لست احكم بالوهم

وحكى ان نبيا من الانبياء كان يتعبد فى جبل مرتفع وتحته عين ماء تجرى فكان بالنهار يقعد فى اعلى الجبل من حيث لا تراه الناس وهو يذكر الله تعالى وينظر الى من يرد العين من الناس فبينما هو ذات يوم قاعد ينظر الى العين اذ بصر بفارس قد اقبل ونزل عن فرسه ووضع جرابا كان فى عنقه واستراح وشرب من الماء ثم راح وترك الجراب وكان فيه دنانير واذا رجل قد اقبل وارد العين فاخذ الجراب بالمال وشرب من الماء وانصرف سالما فجاء بعده رجل حطاب وهو حامل حزمة حطب ثقيلة على ظهره وقعد على العين يشرب من الماء فاذا الفارس الاول قد اقبل لهفان وقال للحطاب اين الجراب الذى كان هنا فقال لا ادرى له خبرا فجذب الفارس سيفه وضرب الحطاب قتله وفتش فى ثيابه فلم يجد شيأ فتركه وسار الى حال سبيله فقال ذلك النبى يارب واحد اخذ الف دينار وآخر قتل مظلوما فاوحى الله اليه ان اشتغل بعبادتك فان تدبير المملكة ليس من شأنك ان ولد هذا الفارس كان قد غصب الف دينار من مال والد هذا الرجل فكنت الولد من مال ابيه وان الحطاب كان قد قتل والد هذا الفارس فكنت الولد من القصاص فقال ذلك النبى لا اله الا انت سبحانك انت علام الغيوب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان النبى لما اوحى الله اليه ان اشتغل بعبادتك واخبره بحقيقة الامر قال لا اله الا انت سبحانك انت علام الغيوب وانشد بعضهم فى هذا المعنى شعرا

راى النبى الذى قد كان بالبصر * فصار يسأل عما كان من خبر
اذ شاهدت عينه ما ليس يفهمه * فقال يارب ماذا والقتيل برى
هذا اصاب الغنى من دون ماتعب * وكان لما بدا فى زى مفتقر
وذاك قد صار مبتاعا بعد عيشته * من غير ذنب جنى يا خالق البشر
ان الدراهم كانت مال والد من * رأيته فخدانى ارثا بلا كدر
وكان قد قتل الحطاب والدذا * فاقتص منه ابنه اذ فاز بالظفر
دع عنك يا عبدنا هذا فان لنا * فى الخلق سرا خفى عن حدة النظر
سلم لاحكامنا واخضع لعزتنا * فحكمنا قد جرى بالنفع والضرر

ومما يحكى ان رجلا من الصالحين قال كنت ملاحا بنيل مصر اعبر من الجانب الشرقى الى الجانب الغربى فبينما انا ذات يوم من الايام قاعد فى الزورق اذا بشيخ ذى وجه مشرق قد وقف على وسلم فرددت عليه السلام فقال تحملنى لله تعالى قلت نعم قال وتطعمنى لله قلت نعم فصعد الزورق وعبرت به الى الجانب الشرقى وكان عليه مرقعة وبيده ركوة وعصا فلما اراد النزول قال لى انى اريد ان احملك امانة قلت وما هى

قال

قال اذا كان الغد والهمت ان تأتيني وقت الظهر واتيت ووجدتني تحت تلك الشجرة ميتا فغسلني وكفني في الكفن الذي تجده تحت رأسي وادفني بعد الصلاة علي في هذا الرمل وامسك المرقعة والركوة والعصا فاذا جاء لسمن يطلبهن فادفعهن له قال فتعجبت من قوله وبت ليلتي تلك ثم اصبحت انتظر الوقت الذي ذكره لي فلما جاء وقت الظهر نسيت كما قال ثم الهمت قريب العصر فسرت بسرعة فوجدته تحت الشجرة ميتا ووجدت كفنا جديدا عند رأسه تفوح منه رايحة المسك فغسلته وكفنته وصليت عليه وحفرت له قبرا ودفنته ثم عبرت النيل وجئت الجانب الغربي ليلا ومعي المرقعة والركوة والعصا فلما لاح الصباح وفتح باب البلد بصرت بشاب اصله شاطر كنت اعرفه عليه ثياب رقيقة وفي يده اثر حناء فاتى حتى وصل الي فقال انت فلان قلت نعم قال هات الامانة قلت وما هي قال المرقعة والركوة والعصا فقلت ومن لك بهن قال لا ادري غير اني بت البارحة في عرس فلان ومهرت اغني الى ان جاء وقت الصبح فنمت لاستريح فاذا شخص قد وقف علي وقال لي ان الله تعالى قد قبض روح فلان الولي واقامك مقامه فسر الى فلان المعدي وخذ منه مرقعته وركوته وعصاه فانه قد وضعها لك عنده قال فاخرجتها ودفعتها له فنضا ثيابه ثم لبسها وسار وتركني فبكيت لما حرمت من ذلك فلما جن الليل علي نمت فرأيت رب العزة تبارك وتعالى في المنام فقال يا عبدي أثقل عليك اني مننت على عبد من عبادي بالرجوع الي انما هو فضلي اوتيه من اشاء وانا على كل شيء قدير فانشدت هذه الابيات

ما للمحب مع الحبيب مرام * كل اختيارك لو عرفت حرام
ان شاء وصلك منة وتعطفا * اوصد عنك فما عليه ملام
ان لم تكن بصدوده متلذذا * فادرج فمالك في المقام مقام
اولم تميز قربه من بعده * فلانت خلف والهوى قدام
ان كان ملكك الغرام حشاشتي * اوقادني للقتل فيك زمام
فاهجر وصد وصل فذلك واحد * ليس الوقوف مع الحظوظ بلام
ما القصد في حبي اليك سوى الرضى * فاذا رأيت البعد فهو قوام

ومما يحكى ان رجلا من خيار بني اسرائيل كان كثير المال وله ولد صالح مبارك فحضرت الرجل الوفاة فقعد ولده عند رأسه وقال يا سيدي اوصني فقال يا بني لا تحلف بالله بارا ولا فاجرا ثم مات الرجل وبقي الولد بعده يبيع فتسامع به فساق بني اسرائيل فكان الرجل يأتيه فيقول لي عند والدك كذا وكذا وانت تعلم بذلك اعطني ما في ذمته والا فاحلف فيقف الولد مع الوصية ويعطيه جميع ما طلبه فما زال لوالده حتى فنى ماله واشتد اقلاله وكان للولد زوجة صالحة مباركة وله منها ولدان صغيران فقال لها ان الناس قد اكثروا طلبي ومادام معي ما ادفع به عن نفسي بذلته والآن لم يبق لنا شيء فان طالبني مطالب امتحنت انا وانت فالاولى ان نفوز بانفسنا ونذهب الى موضع لا يعرفنا فيه احد ونتعيش بين اظهر الناس قال فركب بها البحر وبولديه وهو لا يعرف اين يتوجه والله يحكم لا معقب لحكمه ولسان الحال يقول

يا خارجا خوف العدى من داره * واليسر قد وافاه عند فراره
لا تجزعن من البعاد فربما * عز الغريب بطول بعد مزاره
لو قد اقام الدر في اصدافه * ما كان تاج الملك بيت قراره

قال فانكسرت السفينة وخرج الرجل على لوح وخرجت المرأة على لوح وخرج كل ولد على لوح وفرقتهم

الامواج فحصلت المرأة على بلدة وحصل احد الولدين على بلدة اخرى والتقط الولد الاخر اهل سفينة فى البحر واما الرجل فقذفته الامواج الى جزيرة منقطعة وخرج اليها فتوضأ من البحر واذن واقام الصلاة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الرجل لما خرج الى الجزيرة توضأ من البحر واذن واقام الصلاة فاذا قد خرج من البحر اشخاص بالوان مختلفة فصلوا معه ولما فرغ قام الى شجرة فى الجزيرة فاكل من ثمرها فزال عنه جوعه ثم وجد عين ماء فشرب منها وحمد الله عزوجل وبقى ثلاثة ايام يصلى وتخرج اقوام يصلون مثل صلاته وبعد مضى الايام الثلاثة سمع مناديا ينادى ان يا ايها الرجل الصالح البار بابيه المجل قدر ربه لا تحزن ان الله عزوجل مخلف عليك ما خرج من يدك فان فى هذه الجزيرة كنوزا واموالا ومنافع يريد الله ان تكون لها وارثا وهى فى موضع كذا وكذا من هذه الجزيرة فاكشف عنها وانا نسوق اليك السفن فاحسن الى الناس وادعهم اليك فان الله عزوجل يميل قلوبهم اليك فقصد ذلك الموضع من الجزيرة وكشف الله له عن تلك الكنوز وصارت اهل السفن ترد عليه فيحسن اليهم احسانا عظيما ويقول لهم لعلكم تدلون على الناس فانى اعطيهم كذا وكذا واجعل لهم كذا وكذا فصار الناس يأتونه من الاقطار والاماكن ومامضت عليه عشر سنين الا والجزيرة قد عمرت والرجل قد صار ملكها الا يأوى اليه احد الا احسن اليه وشاع ذكره فى الارض بالطول والعرض وكان ولده الاكبر قد وقع عند رجل علمه وادبه والاخر قد وقع عند رجل رباه واحسن تربيته وعلمه طرق التجارة والمرأة قد وقعت عند رجل من التجار ائتمنها على ماله وعاهدها على ان لا يخونها وان يعينها على طاعة الله عزوجل وكان يسافر بها فى السفينة الى البلاد و يستصحبها فى اى موضع اراد فسمع الولد الكبير بصيت ذلك الملك فقصده وهو لا يعلم من هو فلما دخل عليه اخذه وائتمنه على سره وجعله كاتبا له وسمع الولد الاخر بذلك الملك العادل الصالح فقصده وصار اليه وهو لا يعلم من هو ايضا فلما دخل عليه وكله على النظر فى اموره وبقيا مدة من الدهر فى خدمته وكل واحد منهم لا يعلم بصاحبه وسمع الرجل التاجر الذى عنده المرأة بذلك الملك وبره للناس واحسانه اليهم فاخذ جانبا من الثياب الفاخرة ومما يستظرف من تحف البلاد واتى بسفينة والمرأة معه حتى وصل الى شاطئ الجزيرة ونزل الى الملك وقدم له هديته فنظرها الملك وسر بها سرورا كثيرا وامر للرجل بجائزة سنية وكان فى الهدية عقد قيراط فاراد الملك من التاجر ان يعرفها له باسمائها ويخبره بمصالحها فقال الملك للتاجر اقم الليلة عندنا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان التاجر لما قال له الملك اقم الليلة عندنا قال ان لى فى السفينة وديعة عاهدتها ان لا اكل امرها الى غيرى وهى امرأة صالحة تيمنت بدعائها وظهرت لى البركة فى آرائها فقال الملك سأبعث اليها امناء يبيتون عليها ويحرسون كل ما لديها قال فاجابه لذلك وبقى عند الملك ووجه الملك كاتبه ووكيله اليها وقال لهما اذهبا فاحرسا سفينة هذا الرجل الليلة ان شاء الله تعالى قال فسارا

وصعدا الى السفينة وقعد هذا على مؤخرها وهذا على مقدمها وذكرا الله عز وجل برهة من الليل ثم قال احدهما للاخر يا فلان ان الملك قد امر نا بالحراسة ونخاف النوم فتعال نتحدث باخبار الزمان وما رأيناه من الخير والامتحان فقال الاخر يا اخي اما انا فمن امتحاني ان فرق الدهر بيني وبين ابي وامي واخ لي كان اسمه كاسمك والسبب في ذلك انه ركب والدنا البحر من بلد كذا وكنا فهاجت علينا الرياح واختلفت فكسرت السفينة وفرق الله شملنا فلما سمع الاخر بذلك قال وكيف كان اسم والدتك يا اخي قال فلانة قال وما اسم والدك قال فلان فترامى الاخ على اخيه وقال له انت اخي والله حقا وجعل كل واحد منهما يحدث اخاه بما جرى عليه في صغره والام تسمع الكلام ولكنها كتمت امرها وصبرت نفسها فلما طلع الفجر قال احدهما للاخر سرا يا اخي تحدث في منزلي قال نعم فسارا وفي الرجل فوجد المرأة في كرب شديد فقال لها ما مادهاك وما اصابك قالت بعثت الى الليلة من اراد اني بالسوء وكنت منهما في كرب عظيم فغضب التاجر وتوجه للملك واخبره بما فعل الامينان فاحضرهما الملك بسرعة وكان يحبهما لما تحقق فيهما من الامانة والديانة ثم امر باحضار المرأة حتى تذكر ما كان منهما مشافهة فجيء بها واحضرت وقال لها ايتها المرأة ماذا رأيت من هذين الامينين فقالت ايها الملك اسألك بالله العظيم رب العرش الكريم الا ما امرتهما ان يعيدا كلامهما الذي تكلما به البارحة فقال لهما الملك قولا ما قلتماه ولا تكتما منه شيأ فاعادا كلامهما واذا الملك قد قام من فوق سريره وصاح صيحة عظيمة وترامى عليهما واعتنقهما وقال والله انتما ولداي حقا فكشفت المرأة عن وجهها وقالت انا والله امهما فاجتمعوا جميعا وصاروا في اهنا عيش واهناه الى ان اباد هم الموت فسبحان من اذا قصده العبد نجاه ولم يخيب ما امله فيه ورجاه وما احسن ما قيل في المعنى

لكل شئ من الاشياء ميقات * والامر فيه اخي محو واثبات
لا تجزعن لامر قد دهيت به * فقد اتانا بيسر العسر آيات
ورب ذي كربة باتت مضرتها * تبدو وباطنها فيه المسرات
وكم مهان عيون الناس تشنؤه * من الهوان تغشته الكرامات
هذا الذي نالة كرب وكابده * ضر وحلت به في الوقت آفات
وفرق الدهر منه شمل الفته * فكلهم بعد طول الجمع اشتات
اعطاه مولاه خيرا ثم جاءهم * وفي الجميع الى المولى اشارات
سبحان من عمت الاكوان قدرته * وا خبرت بتدانيه الدلالات
فهو القريب ولكن لا يكيفه * عقل وليست تدانيه المسافات

ومما يحكى ان ابا الحسن الدراج قال كنت كثيرا ما آتي مكة زادها الله شرفا وكان الناس يتبعونني لمعرفتي بالطريق وحفظ المناهل فاتفق في عام من الاعوام اني اردت الوصول الى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام وقلت في نفسي انا عارف بالطريق فاذهب وحدي ومشيت حتى وصلت الى القادسية فدخلتها واتيت المسجد فرايت رجلا مجذوما قاعدا في المحراب فلما رأني قال يا ابا الحسن اسألك الصحبة الى مكة فقلت في نفسي اني فررت من الاصحاب وكيف اصحب المجذومين ثم قلت له اني لا اصحب احدا فسكت عني فلما اصبح الصباح مشيت في الطريق وحدي ولم ازل منفردا حتى وصلت الى العقبة ودخلت المسجد فلما دخلته وجدت الرجل المجذوم في المحراب فقلت في نفسي سبحان الله كيف

سبقني هذا الى ها هنا فرفع رأسه الي وتبسم وقال يا ابا الحسن يصنع للضعيف ما يتعجب منه القوي فبت تلك الليلة متحيرا مما رأيت فلما اصبحت سلكت الطريق وحدي فلما وصلت الى عرفات وقصدت المسجد اذا الرجل قاعد في المحراب فترامیت عليه وقلت له ياسيدي اسألك الصحبة وجعلت اقبل قدميه فقال ليس لي الى ذلك سبيل فجعلت ابكي وانتحب لما حرمت من صحبته فقال لي هون عليك فانه لا ينفعك البكاء وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثمانية والثمانون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابا الحسن قال لما رأيت الرجل المجذوم قاعدا في المحراب ترامیت عليه وقلت له ياسيدي اسألك الصحبة وجعلت اقبل قدميه فقال لي ليس لي الى ذلك سبيل فجعلت ابكي وانتحب لما حرمته من صحبته فقال لي هون عليك فانه لا ينفعك البكاء واجرا العبرات ثم انشد هذه الابيات

ابكي على بعدي ومنك جرى البعد * وتطلب رد احين لا يمكن الرد
نظرت الى ضعفي وظاهر علتي * وقلت سقيم لا يروح ولا يغدو
الم تر ان الله جل جلاله * يمن بلطف ما تخيله العبد
لئن كنت في رأي العيون كما ترى * وبالجسم من فرط الزمانة ما يبدو
وليس معي زاد يوصلني الى * محل به يأتي الى سيدي الوفد
فلي خالق الطافه بي خفية * وليس له ند ولا منه لي بد
فسر سالما عني ودعني وغربتي * فان الغريب الفرد يؤنسه الفرد

فانصرفت من عنده وكنت بعد ذلك لا آتي منزلا الا وجدته قد سبقني فلما وصلت الى المدينة غاب عني اثره وعمي على خبره فلقيت ابا يزيد البسطامي وابا بكر الشبلي وطوائف الشيوخ واخبرتهم بقصتي وشكوت اليهم قضيتي فقالوا هيهات ان تنال بعد ذلك صحبته هذا ابو جعفر المجذوم بحرمته تستسقى الانواء وببركته يستجاب الدعاء فلما سمعت منهم هذا الكلام زاد شوقي الى لقائه وسألت الله ان يجمعني عليه فبينما انا واقف بعرفات اذا بجاذب يجذبني من خلفي فالتفت اليه فاذا هو ذلك الرجل فلما رأيته صحت صيحة عظيمة ووقعت مغشيا علي فلما افقت ما وجدته زاد وجدي لذلك وضاقت علي المسالك وسألت الله تعالى رؤيته فلم يكن الا ايام قلائل واذا به يجذبني من خلفي فالتفت اليه فقال عزمت عليك ان تأتيني وتسأل حاجتك فسألته ان يدعو لي ثلاث دعوات الاولى ان يحبب الله الي الفقر والثانية ان لا ابيت على رزق معلوم والثالثة ان يرزقني النظر الى وجهه الكريم فدعا لي هذه الدعوات وغاب عني وقد استجاب الله دعاءه لي اما الاولى فان الله حبب الي الفقر فوالله ما في الدنيا شيء هو احب الي منه واما الثانية فاني منذ كذا سنة مابت على رزق معلوم ومع ذلك لا يحوجني الله الى شيء واني لارجو ان يمن الله علي بالثالثة ويكون قد اجاب فيها كما اجاب في الاثنتين قبلها انه كريم مفضال ورحم الله من قال

زي الفقير تبتل ووقار * ولباسه الخلقان والاطمار
والاصفرار يزينه ولربما * بسرارها تتزين الاقمار
قد شفه طول القيام بليله * ودموعه من جفنه مدرار

فانيه في داره تذكاره * وجليسه في ليله الجبار
ان الفقير به يغاث الملتجي * وكذلك الانعام والاطيار
ولاجله يجري الاله بلاءه * وبفضله تتنزل الامطار
واذا دعا يوما بكشف سلمة * هلك الظلوم وعطل الجبار
فلخلق اجمعهم مريض مدنف * وهو الطبيب المشفق المدرار
سيماه تبدو ان نظرت لوجهه * صفت القلوب ولاحت الانوار
يارا غبا عنهم و لم تر فضلهم * حجبتك ويحك عنهم الاوزار
ترجو لحاقهم وانت مقيد * قد اخرتك عن المنى اوزار
لو كنت تعرف قدرهم لاحبتهم * وبرت لهم من جفنك الانهار
انى الى المذكوم ثم ازاهر * الثوب يعرف قدره السمسار
فاسرع الى مولاك واسأل وصله * فعسى تساعد سعيك الاقدار
وتراح من فرط التباعد والقلى * وتنال ماتهوى وما تختار
جئنا به رحب لكل مؤمل * وهو الاله الواحد القهار

ومما يحكى انه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والاوان حكيم من حكماء اليونان وكان ذلك الحكيم يسمى دانيال وكان له تلامذة وجنود وكانت حكماء اليونان يذعنون لامره ويعولون على علومه ومع هذا لم يرزق ولدا ذكرا فبينما هو ذات ليلة من الليالى يتفكر فى نفسه ويبكى على عدم ولد يرثه فى علومه من بعده اذ خطر بباله ان الله سبحانه وتعالى يجيب دعوة من اليه اناب وانه ليس على باب فضله بواب ويرزق من يشاء بغير حساب ولا يرد سائلا اذا سأله بل يجزل الخير والاحسان له فسأل الله تعالى الكريم ان يرزقه ولدا يخلفه من بعده ويجزل له الاحسان من عنده ثم رجع الى بيته وواقع زوجته فحملت منه تلك الليلة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الحكيم اليونانى رجع الى بيته وواقع زوجته فحملت منه تلك الليلة ثم بعد ايام سافر الى مكان فى مركب فانكسرت به المركب وراحت كتبه فى البحر وطلع هو على لوح من تلك السفينة وكان معه خمس ورقات بقيت من الكتب التى وقعت منه فى البحر فلما رجع الى بيته وضع تلك الاوراق فى صندوق وقفل عليها وكانت زوجته قد ظهر حملها فقال لها اعلمى انه قد دنت وفاتى وقرب انتقالى من دار الفناء الى دار البقاء وانت حامل فربما تلدين بعد موتى صبيا ذكرا فاذا وضعته فسميه حاسبا كريم الدين وربيه احسن التربية فاذا كبر وقال لك ما خلف لى ابى من الميراث فاعطيه هذه الخمس ورقات فاذا قرأها وعرف معناها يصير اعلم اهل زمانه ثم انه ودعها وشهق شهقة فارق الدنيا وعافيها رحمة الله تعالى عليه فبكى عليه اهله واصحابه ثم غسلوه واخرجوه خرجة عفيفة ودفنوه ورجعوا ثم ان زوجته بعد ايام قلائل وضعت ولدا مليحا فسمته حاسبا كريم الدين كما اوصاها به ولما ولدته احضرت له المنجمون فحسبوا طالعه وناظره من الكواكب ثم قالوا لها اعلمى ايتها المرأة ان هذا المولود يعيش اياما كثيرة ولكن بعد شدة تحصل له فى مبدء عمره فاذا نجا منها فانه يعطى بعد ذلك علم الحكمة

ثم مضت المنجمون الى حال سبيلهم فارضعته اللبن سنتين وفطمته فلما بلغ خمس سنين حطته فى المكتب
ايتعلم شيأ من العلم فلم يتعلم فاخرجته من المكتب وحطته فى الصنعة فلم يتعلم شيأ من الصنعة ولم يطلع
من يده شئ من الشغل فبكت امه من اجل ذلك فقال لها الناس زوجيه لعله يحمل هم زوجته ويتخذله
صنعة فقامت وخطبت بنتا وزوجته بها ومكث على ذلك الحال مدة من الزمان وهو لم يتخذله صنعة
ابدا ثم انهم كان لهم جيران حطابون فاتوا الى امه وقالوا لها اشترى لابنك حمارا وحبلا وفاسا ويروح
معنا الى الجبل فنحتطب نحن واياه ويكون ثمن الحطب له ولنا وينفق عليكم مما يخصه فلما سمعت امه ذلك
من الحطابين فرحت فرحا شديدا واشترت لابنها حمارا وحبلا وفاسا واخذته وتوجهت به الى الحطابين
وسلمته اليهم واوصتهم عليه فقالوا لها لا تحملى هم هذا الولد ربنا يرزقه وهذا ابن شيخنا ثم اخذوه معهم
وتوجهوا الى الجبل فقطعوا الحطب وحملوا حميرهم واتوا الى المدينة وباعوا الحطب وانفقوا على عيالهم
ثم انهم شدوا حميرهم ورجعوا الى الاحتطاب فى ثانى يوم وثالث يوم ولم يزالوا على هذه الحالة مدة من الزمان
فاتفق انهم ذهبوا الى الاحتطاب فى بعض الايام فنزلت عليهم مطرة عظيمة فهربوا الى مغارة عظيمة ليداروا
انفسهم فيها من ذلك المطرة فقام من عندهم حاسب كريم الدين وجلس وحده فى مكان من تلك المغارة
وصار يضرب الارض بالفاس فسمع حس الارض خالية من تحت الفاس فلما عرف انها خالية مكث يحفر
ساعة فرأى بلاطة مدورة وفيها حلقة فلما رأى ذلك فرح ونادى جماعته الحطابين وادركه شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان حاسب كريم الدين لما رأى البلاطة التى فيها الحلقة فرح ونادى جماعته
فحضروا اليه فرأوا تلك البلاطة فتسارعوا اليها وقلعوها فوجدوا تحتها بابا ففتحوا الباب الذى تحت
البلاطة فاذا هو جب ملآن عسل نحل فقال الحطابون لبعضهم هذا جب ملآن عسلا ومالنا الا
ان نروح المدينة ونأتى بظروف ونعبى هذا العسل فيها ونبيعه ونقتسم حقه وواحد منا يقعد عنده ليحفظه
من غيرنا فقال حاسب انا اقعد واحرسه حتى تروحوا وتأتوا بالظروف فتركوا حاسبا كريم الدين يحرس لهم
الجب وذهبوا الى المدينة واتوا بظروف وعبوها من ذلك العسل وحملوا حميرهم ورجعوا الى المدينة وباعوا
ذلك العسل ثم عادوا الى الجب ثانى مرة ومازالوا على هذه الحالة مدة من الزمان وهم يبيعون فى المدينة
ويرجعون الى الجب يعبون من ذلك العسل وحاسب كريم الدين قاعد يحرس لهم الجب فقالوا لبعضهم
يوما من الايام ان الذى لقى جب العسل حاسب كريم الدين وفى غد ينزل الى المدينة ويدعى علينا ويأخذ ثمن
العسل ويقول انا الذى لقيته ومالنا خلاص من ذلك الا ان نتزله فى الجب ليعبى العسل الذى بقى فيه ونتركه
هنالك فيموت كمدا ولا يدرى به احد فاتفق الجميع على هذا الامر ثم ساروا ومازالوا سائرين حتى اتوا
الى الجب فقالوا له يا حاسب انزل الجب وعب لنا العسل الذى بقى فيه فنزل حاسب فى الجب وعبى لهم العسل
الذى بقى فيه وقال لهم اصبروا فى فما بقى فيه شئ فلم يرد عليه احد منهم جوابا وحملوا حميرهم وساروا الى
المدينة وتركوه فى الجب وحده وصار يستغيث ويبكى ويقول لا حول ولا قوة الا بالله العظيم قدمت كمدا
هذا ما كان من امر حاسب كريم واما ما كان من امر الحطابين فانهم لما وصلوا الى المدينة باعوا العسل
وراحوا الى ام حاسب وهم يبكون وقالوا لها نعيش رأسك فى ابنك حاسب فقالت لهم ما سبب موته فقالوا

لها انا كنا قاعدين فوق الجبل فامطرت علينا السماء مطرا عظيما فاوينا الى مغارة لنتداوى فيها من ذلك المطر فلم نشعر الا وحمار ابنك هرب فى الوادى فذهب خلفه ليرده من الوادى وكان فيه ذئب عظيم فافترس ابنك واكل الحمار فلما سمعت امه كلام الخطابين لطمت على وجهها وحثت التراب على رأسها واقامت عزاءه وصار الخطابون يجيئون لها بالاكل والشرب فى كل يوم هذا ما كان من امر امه واما ما كان من امر الخطابين فانهم فتحوا لهم دكاكين وصاروا تجارا ولم يزالوا فى اكل وشرب وضحك ولعب واما ما كان من امر حاسب كريم الدين فانه صار يبكى وينتحب فبينما هو قاعد فى الجب على هذه الحالة واذا بعقرب كبير وقع عليه فقام وقتله ثم تفكر فى نفسه وقال ان الجب كان ملآنا عسلا فمن اين اتى هذا العقرب فقام ينظر المكان الذى وقع منه العقرب وصار يلتفت يمينا وشمالا فى الجب فرأى المكان الذى وقع منه العقرب يلوح منه النور فاخرج سكينا كانت معه ووسع ذلك المكان حتى صار قدر الطاقة وخرج منه وتمشى ساعة فى داخله فرأى دهليزا عظيما فمشى فيه فرأى بابا عظيما من الحديد الاسود وعليه قفل من الفضة وعلى ذلك القفل مفتاح من الذهب فتقدم الى ذلك الباب ونظر من خلاله فرأى نورا عظيما يلوح من داخله فاخذ المفتاح وفتح الباب وعبر الى داخله وتمشى ساعة حتى وصل الى بحيرة عظيمة فرأى فى تلك البحيرة شيأ يلمع مثل الماء فلم يزل يمشى حتى وصل اليه فرأى تلا عاليا من الزبرجد الاخضر وعليه تخت منصوب من الذهب مرصع بانواع الجواهر والدر فلما اشهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان حاسبا كريم لما وصل الى التل ووجده من الزبرجد الاخضر وعليه تخت منصوب من الذهب مرصع بانواع الجواهر وحول ذلك التخت كراسى منصوبة بعضها من الذهب وبعضها من الفضة وبعضها من الزمرد الاخضر فلما اتى الى تلك الكراسى تنهد ثم عدها فرأها اثنى عشر الف كرسى فطلع على ذلك التخت المنصوب فى وسط تلك الكراسى وقعد عليه وصار يتعجب من تلك البحيرة وتلك الكراسى المنصوبة ولم يزل متعجبا حتى غلب عليه النوم فنام ساعة واذا هو يسمع نفخا وصفيرا وهرجا عظيما ففتح عينه وقعد فرأى على الكراسى حيات عظيمة طول كل حية منها مائة ذراع فحصل له من ذلك فزع عظيم ونشف ريقه من شدة خوفه ويئس من الحياة وخاف خوفا عظيما ورأى عين كل حية تتوقد مثل الجمر وهن فوق الكراسى والتفت الى البحيرة فرأى فيها حيات صغارا لا يعلم عددها الا الله تعالى وبعد ساعة اقبلت عليه حية عظيمة مثل البغل وعلى ظهر تلك الحية طبق من الذهب وفى وسط ذلك الطبق حية تضئ مثل البلور ووجهها وجه انسان وهى تتكلم بلسان فصيح فلما قربت من حاسب كريم الدين سلمت عليه فرد عليها السلام ثم اقبلت حية من تلك الحيات التى فوق الكراسى الى ذلك الطبق وحملت الحية التى فوقه وحطتها على كرسى من تلك الكراسى ثم ان تلك الحية زعقت على تلك الحيات بلغاتها فخرت جميع الحيات من فوق كراسيها ودعين لها واشارت اليهن بالجلوس فجلسن ثم ان الحية قالت لحاسب كريم الدين لا تخف منا يا ايها الشاب فانى انا ملكة الحيات وسلطانتهم فلما سمع حاسب كريم الدين ذلك الكلام من الحية اطمأن قلبه ثم ان الحية اشارت الى تلك الحيات ان يأتوا بشئ من الاكل فاتوا بتفاح وعنب ورمان وفستق وبندق وجوز ولوز وموز وحطوه قدام حاسب كريم الدين ثم قالت له ملكة الحيات مرحبا بك يا شاب ما اسمك فقال لها اسمى حاسب كريم الدين فقالت له

يا حاسب كل من هذه الفواكه فما عندنا طعام غيرها ولا تخف منا ابدا فلما سمع حاسب هذا الكلام من الحية اكل حتى اكتفى وحمد الله تعالى فلما اكتفى من الاكل رفعوا السماط من قدامه ثم بعد ذلك قالت له ملكة الحيات اخبرني يا حاسب من اين انت ومن اين اتيت الى هذا المكان وما جرى لك فحكى لها حاسب جميع ما جرى لابيه وكيف ولدته امه وحطته في المكتب وهو ابن خمس سنين ولم يتعلم شيأ من العلم وكيف حطته في الصنعة وكيف اشترت امه له الحمار وصار حطابا وكيف القى الجب العسل وكيف تركه رفقاؤه الحطابون في الجب وراحوا وكيف نزل عليه العقرب وقتله وكيف وسع الشق الذي نزل منه العقرب وطلع من الجب واتى الى الباب الحديد وفتحه حتى وصل الى ملكة الحيات التي يكلمها ثم قال لها وهذه حكايتي من اولها الى آخرها والله اعلم بما يحصل لي بعد هذا كله فلما سمعت ملكة الحيات حكاية حاسب كريم الدين من اولها الى آخرها قالت له ما يحصل لك الا كل خير وادر لك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ملكة الحيات لما سمعت حكاية حاسب كريم الدين من اولها الى آخرها قالت له ما يحصل لك الا كل خير ولكن اريد منك يا حاسب ان تقعد عندي مدة من الزمان حتى احكي لك حكايتي واخبرك بما جرى لي من العجائب فقال لها سمعا وطاعة فحينئذ تأمرني به فقالت له اعلم يا حاسب انه كان بمدينة مصر ملك من بني اسرائيل وكان له ولد اسمه بلوقيا وكان هذا الملك عالما عابدا ناسكا على قرأة كتب العلم فلما ضعف واشرف على الموت طلعت له اكابر دولته ليسلموا عليه فلما جلسوا عنده وسلموا عليه قال لهم يا قوم اعلموا انه قد دنا رحيلي من الدنيا الى الاخرة ومالي عندكم شيء اوصيكم به الا ابني بلوقيا فاستوصوا به ثم قال اشهد ان لا اله الا الله وشهق شهقة ففارق الدنيا رحمة الله عليه فجهزوه وغسلوه ودفنوه واخرجوه خرجة عظيمة وجعلوا ولده بلوقيا سلطانا عليهم وكان ولده عادلا في الرعية واستراحت الناس في زمانه فاتفق في بعض الايام انه فتح خزائن ابيه ليتفرج فيها ففتح خزانة من تلك الخزائن فوجد فيها صورة باب ففتحه ودخل فاذا هي خلوة صغيرة وفيها عمود من الرخام الابيض وفوقه صندوق من الابنوس فاخذه بلوقيا وفتحه فوجد فيه صندوق آخر من الذهب ففتحه فرأى فيه كتابا ففتح الكتاب وقرأه فرأى فيه صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانه يبعث في آخر الزمان وهو سيد الاولين والاخرين فلما قرأ بلوقيا هذا الكتاب وعرف صفات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تعلق قلبه بحبه ثم ان بلوقيا جمع اكابر بني اسرائيل من الكهان والاحبار والرهبان واطلعهم على ذلك الكتاب وقرأه عليهم وقال لهم يا قوم ينبغي ان اخرج ابي من قبره واحرقه فقال له قومه لاي شيء تحرقه فقال لهم بلوقيا لانه اخفى عني هذا الكتاب ولم يظهره لي وقد كان استخرجه من التورات ومن صحف ابراهيم ووضع هذا الكتاب في خزانة من خزائنه ولم يطلع عليه احدا من الناس فقالوا له يا ملكنا ان ابانا قد مات وامره مفوض الى ربه وهو الان في التراب ولا تخرجه من قبره فلما سمع بلوقيا هذا الكلام من اكابر بني اسرائيل عرف انهم لا يمكنونه من ابيه فتركهم ودخل الى امه وقال لها يا امي اني رأيت في خزائن ابي كتابا فيه صفة محمد صلى الله عليه وسلم وهو نبي يبعث في آخر الزمان وقد تعلق قلبي بحبه وانا اريد ان اسيح في البلاد حتى اجتمع به فانني ان لم اجتمع به مت غراما في حبه ثم نزع ثيابه ولبس عباءة وزربونا وقال لا تنسيني يا امي من الدعاء فبكت عليه امه وقالت له كيف يكون حالنا بعدك فقال بلوقيا ما بقي لي صبر ابدا

وقد فوضت امري وامري الى الله تعالى ثم خرج سايحا نحو الشام ولم يدر به احد من قومه وسار حتى وصل الى ساحل البحر فرأى مركبا فنزل فيها مع الركاب وسارت بهم الى ان اقبلوا على جزيرة فطلع الركاب من المركب الى تلك الجزيرة وطلع معهم ثم انفرد عنهم في الجزيرة وقعد تحت شجرة فغلب عليه النوم فنام ثم انه افاق من نومه وقام الى المركب لينزل فيها فرأى المركب قد اقلعت ورأى في تلك الجزيرة حيات مثل الجمال ومثل النخل وهم يذكرون الله عز وجل ويصلون على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويصيحون بالتهليل والتسبيح فلما رأى ذلك بلوقيا تعجب غاية العجب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان بلوقيا لما رأى الحيات يسبحون ويهللون تعجب من ذلك غاية العجب ثم ان الحيات لما رأت بلوقيا اجتمعت عليه وقالت له حية منهم من تكون انت ومن اين اتيت وما اسمك والى اين رايح فقال لها اسمي بلوقيا وانا من بني اسرائيل وخرجت هائما في حب محمد صلى الله عليه وسلم وفي طلبه فما تكونون انتم ايها الخليقة الشريفة فقال له الحيات نحن من سكان جهنم وقد خلقنا الله تعالى نقمة على الكافرين فقال لهم بلوقيا وما الذي جاء بكم الى هذا المكان فقالوا له الحيات اعلم يا بلوقيا ان جهنم من كثرة غليانها تتنفس في السنة مرتين مرة في الشتاء ومرة في الصيف واعلم ان كثرة الحر من شدة فيحها ولما تخرج نفسها ترمينا من بطنها ولما تسحب نفسها ترد نا اليها فقال لهم بلوقيا هل في جهنم اكبر منكم فقال له الحيات انتا ما نخرج الا مع تنفسها الصغرنا فان في جهنم كل حية لو عبرا كبر ما فينا الى انفها لم تحس به فقال لهم بلوقيا انتم تذكرون الله وتصلون على محمد ومن اين تعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا يا بلوقيا ان اسم محمد مكتوب على باب الجنة ولولاه ما خلق الله المخلوقات ولا جنة ولا نارا ولا سماء ولا ارضا لان الله لم يخلق جميع الموجودات الا من اجل محمد صلى الله عليه وسلم وقرن اسمه باسمه في كل مكان ولاجل هذا نحن نحب محمدا صلى الله عليه وسلم فلما سمع بلوقيا هذا الكلام من الحيات زاد غرامه في حب محمد صلى الله عليه وسلم وعظم اشتياقه اليه ثم ان بلوقيا ودعهم وصار حتى وصل الى شاطئ البحر فرأى مركبا راسية في جنب الجزيرة فنزل فيها مع ركابها وسارت بهم وماز الوا سائرين حتى وصلوا الى جزيرة اخرى فطلع عليها وتمشى ساعة فرأى فيها حيات كبارا وصغارا لا يعلم عددها الا الله تعالى وبينها حية بيضاء ابيض من البلور وهي جالسة في طبق من الذهب وذلك الطبق على ظهر حية مثل الفيل وتلك الحية ملكة الحيات وهي انا يا حاسب ثم ان حاسب سأل ملكة الحيات وقال لها اي شئ جوابك مع بلوقيا فقالت الحية يا حاسب اعلم اني لما نظرت الى بلوقيا سلمت عليه فرد علي السلام وقلت له من انت وما شأنك ومن اين اقبلت والى اين تذهب وما اسمك فقال انا من بني اسرائيل واسمي بلوقيا وانا سايح في حب محمد صلى الله عليه وسلم وفي طلبه فاني رأيت صفاته في الكتب المنزلة ثم ان بلوقيا سألني وقال لي اي شئ انت وما شأنك وما هذه الحيات التي حولك فقلت له يا بلوقيا انا ملكة الحيات واذا اجتمعت بمحمد صلى الله عليه وسلم فاقرئه مني السلام ثم ان بلوقيا ودعني ونزل في المركب وسار حتى وصل الى بيت المقدس وكان في بيت المقدس رجل عالم من جميع العلوم وكان متقنا في علم الهندسة وعلم الفلك والحساب والسيمياء والروحاني وكان يقرأ التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وكان يقال له عفان وقد وجد في كتاب علمه

ان كل من لبس خاتم سيدنا سليمان انقادت له الانس والجن والطير والوحش وجميع المخلوقات ورأى
في بعض الكتب انه لما توفى سيدنا سليمان حطوه في تابوت وعدوا به سبعة ابحر وكان الخاتم في اصبعه
ولا يقدر احد من الانس ولا من الجن ان يأخذ ذلك الخاتم ولا يقدر احد من اصحاب المراكب ان يروح
بمركبه الى ذلك المكان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عفان وجد في بعض الكتب انه لا يقدر احد من الانس ولا من الجن ان
يأخذ الخاتم من اصبع سيدنا سليمان ولا يقدر احد من اصحاب المراكب ان يسافر بمركبه في السبعة ابحر
التي عدوها بتابوته ووجد في بعض الكتب ايضا ان بين الاعشاب عشبا كل من اخذ منه شيأ وعصره
واخذ ماءه ودهن به قدميه فانه يمشي على اي بحر خلقه الله تعالى ولم تبتل قدماه ولا يقدر احد على تحصيل
ذلك العشب الا اذا كانت معه ملكة الحيات ثم ان بلوقيا لما دخل بيت المقدس جلس في مكان يعبد الله
تعالى فبينما هو جالس يعبد الله اذا قبل عليه عفان وسلم عليه فرد عليه السلام ثم ان عفان نظر الى
بلوقيا فرأه يقرأ في التوراة وهو جالس يعبد الله تعالى فتقدم اليه وقال له ايها الرجل ما اسمك ومن اين
اتيت والى اين تذهب فقال له اسمي بلوقيا وانا من مدينة مصر وخرجت سائحا في طلب محمد صلى الله
عليه وسلم فقال عفان لبلوقيا قم معي الى منزلي حتى اضيفك فقال سمعا وطاعة فأخذ عفان بيد بلوقيا
وذهب به الى منزله واكرمه غاية الاكرام وبعد ذلك قال له اخبرني يا اخي بخبرك ومن اين عرفت محمدا صلى
الله عليه وسلم حتى تعلق قلبك بحبه وذهبت في طلبه ومن دلك على هذه الطريق فحكى له بلوقيا حكايته
من الاول الى الاخر فلما سمع عفان كلامه كاد ان يذهب عقله وتعجب من ذلك غاية العجب ثم ان عفان قال
لبلوقيا اجمعني على ملكة الحيات وانا اجمعك على محمد صلى الله عليه وسلم لان زمان مبعث محمد صلى الله
عليه وسلم بعيد واذا ظفرنا بملكة الحيات نحطها في قفص ونروح بها الى الاعشاب التي في الجبال وكل
عشب جزنا عليه وهي معنا ينطق ويخبرنا بمنفعته بقدرة الله تعالى فاني قد وجدت عندي في الكتب ان في
الاعشاب عشبا كل من اخذه ودقه واخذ ماءه ودهن به قدميه ومشى على اي بحر خلقه الله تعالى لم يبتل
له قدم فاذا اخذنا ملكة الحيات تدلنا على ذلك العشب واذا وجدناه نأخذه وندقه ونأخذ ماءه ثم نطلقها
الى حال سبيلها وندهن بذلك الماء اقدامنا ونعدي السبعة ابحر ونصل الى مدفن سيدنا سليمان ونأخذ
الخاتم من اصبعه ونحكم كما حكم سيدنا سليمان ونصل الى مقصودنا وبعد ذلك ندخل بحر الظلمات ونشرب
من ماء الحياة فيمهلنا الله الى آخر الزمان ونجتمع بمحمد صلى الله عليه وسلم فلما سمع بلوقيا هذا الكلام من
عفان قال له يا عفان انا اجمعك بملكة الحيات واريك مكانها فقام عفان وصنع له قفصا من حديد واخذ معه
قدحين وملأ احدهما خمرا وملأ الاخر لبنا وسار عفان هو وبلوقيا اياما وليالي حتى وصلا الى الجزيرة التي
فيها ملكة الحيات فطلع عفان وبلوقيا الى الجزيرة وتمشيا فيها وبعد ذلك وضع عفان القفص ونصب فيه
نخاوة وضع فيه القدحين المملوءين خمرا ولبنا ثم تباعدا عن القفص واستخفيا ساعة فاقبلت ملكة الحيات
على القفص حتى قربت من القدحين فتأملت فيهما ساعة فلما شمت رائحة اللبن نزلت من فوق ظهر الحية
التي هي فوقها وطلعت من الطبق ودخلت القفص واتت الى القدح الذي فيه الخمر وشربت منه فلما
شربت من ذلك القدح داخت رأسها ونامت فلما رأى ذلك عفان تقدم الى القفص وقفله على ملكة الحيات

ثم اخذها هو وبلوقيا وسارا فلما افاقت رأت روحها فى قفص من حديد والقفص على رأس رجل وبجانبه بلوقيا فلما رأت ملكة الحيات بلوقيا قالت له هذا جزاء من لا يؤذى بنى آدم فرد عليها بلوقيا وقال لها لا تخافى منا يا ملكة الحيات فانا لا نؤذيك ابدا واكن نريد منك ان تدلينا على عشب بين الاعشاب كل من اخذه ودقه واستخرج ماءه ودهن به قدميه ومشى على اى بحر خلقه الله تعالى لا تبتل قدماه فاذا وجدنا ذلك العشب اخذناه ونرجع بك الى مكانك ونطلقك الى حال سبيلك ثم ان عفان وبلوقيا سارا بملكة الحيات نحو الجبال التى فيها الاعشاب ودارا بها على جميع الاعشاب فصار كل عشب ينطق ويخبر بمنفعته باذن الله تعالى فبينما هما فى هذا الامر والاعشاب تنطق يمينا وشمالا وتخبر بمنافعها واذا بعشب نطق وقال انا العشب الذى كل من اخذنى ودقنى واخذ ماءى ودهن به قدميه وجاز على اى بحر خلقه الله تعالى لم تبتل قدماه فلما سمع عفان كلام العشب حط القفص من فوق رأسه واخذ من ذلك العشب ما يكفيهما وداوقاه وعصراه واخذا ماءه وجعلاه فى قزازتين وحفظاهما والذى فضل منهما دهنا به اقدامهما ثم ان بلوقيا وعفان اخذا ملكة الحيات وسارا بها ليالى واياما حتى وصلا الى الجزيرة التى كانت فيها ففتح عفان باب القفص وخرجت منه ملكة الحيات فلما خرجت قالت لهما فما تصنعان بهذا الماء فقالا لها مرادنا ان ندهن به اقدامنا حتى نتجاوز السبعة ابحر ونصل الى مدفن سيدنا سليمان ونأخذ الخاتم من اصبعه فقالت لهما ملكة الحيات هيهات ان تقدرا على اخذ الخاتم فقالا لها الا اى شئ فقالت لهما الا ان الله تعالى من على سليمان باعطاء ذلك الخاتم وخصه بذلك لانه قال رب هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى انك انت الوهاب فالكما لذلك الخاتم ثم قالت لهما والخذتما من العشب الذى كل من اكل منه لا يموت الى النفخة الاولى وهو بين تلك الاعشاب لكان انفع لكما من هذا الذى اخذتماه فانه لا يحصل لكما منه مقصود كما فلما سمعا كلامها ندما ندما عظيما وسارا الى حال سبيلهما وادركهما الشهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان بلوقيا وعفان لما سمعا كلام ملكة الحيات ندما ندما عظيما وسارا الى حال سبيلهما هذا ما كان من امرهما واما ما كان من امر ملكة الحيات فانها اتت الى عساكرها فرأتهم قد ضاعت مصالحهم وضعف قويهم وضعيفهم مات فلما رأى الحيات ملكتهم بينهم فرحوا والتموا حولها وقالوا لها ما خبرك واين كنت فحكت لهم جميع ما جرى لها مع عفان وبلوقيا ثم بعد ذلك جمعت جنودها وتوجهت بهم الى جبل قاف لانها كانت تشتى فيه وتصيف فى المكان الذى رأها فيه حاسب كريم الدين ثم ان الحية قالت يا حاسب هذه حكايتى وما جرى لى فتعجب حاسب من كلام الحية ثم قال لها اريد من فضلك ان تأمرى احدا من اعوانك ان يخرجنى الى وجه الارض واروح الى اهلى فقالت له ملكة الحيات يا حاسب ليس لك رواح من عندنا حتى يدخل الشتاء وتروح معنا الى جبل قاف وتتفرج فيه على تلال ورمل واشجار واطيار تسبح الواحد القهار وتتفرج على مردة وعفاريت وجان ما يعلم عددهم الا الله تعالى فلما سمع حاسب كريم الدين كلام ملكة الحيات صار مهموما مغموما ثم قال لها اعلمينى بعفان وبلوقيا لما فارقانى وسارا هل عديا السبعة بحور ووصلا الى مدفن سيدنا سليمان اولا واذا كان وصلا الى مدفن سيدنا سليمان هل قدرا على اخذ الخاتم اولا فقالت له اعلم ان عفان وبلوقيا لما فارقانى وسارا دهنا اقدامهما

من ذلك الماء ومشيا على وجه البحر وصارا يتفرجان على عجائب البحر ومازالا سائرين من بحر الى بحر حتى عديا السبعة ابحر فلما عديا تلك البحار وجدا جبلا عظيما شاهقا فى الهواء وهو من الزمرد الاخضر وفيه عين تجرى وترابه كله من المسك فلما وصلا الى ذلك المكان فرحا وقالا قد بلغنا مقصودنا ثم صارا حتى وصلا الى جبل عال فمشيا فيه فرايا مغارة من بعيد فى ذلك الجبل وعليها قبة عظيمة والنور يلوح منها فلما رايا تلك المغارة قصداها حتى وصلا اليها فدخلا فرأيا فيها تختا منصوبا من الذهب مرصعا بانواع الجواهر وحوله كراسئ منصوبة لا يحصى لها عددا الا الله تعالى ورايا السيد سليمان نائما فوق ذلك التخت وعليه حلة من الحرير الاخضر مزركشة بالذهب مرصعة بنفيس المعادن من الجواهر ويده اليمنى على صدره والخاتم فى اصبعه ونور الخاتم يغلب على نور تلك الجواهر التى فى ذلك المكان ثم ان عفان علم بلوقيا اقساما وعزائم وقال له اقرأ هذه الاقسام ولا تترك قراءتها حتى آخذ الخاتم ثم تقدم عفان الى التخت حتى قرب منه واذا بحية عظيمة طلعت من تحت التخت وزعقت زعقة عظيمة فارتعد ذلك المكان من زعقتها وصار الشرر يطير من فمها ثم ان الحية قالت لعفان ان لم ترجع هلكت فاشتغل عفان بالاقسام ولم ينزعج من تلك الحية فنفخت عليه الحية نفخة عظيمة كادت ان تحرق ذلك المكان وقالت يا ويلك ان لم ترجع احرقتك فلما سمع بلوقيا هذا الكلام من الحية طلع من المغارة واما عفان فانه لم ينزعج من ذلك بل تقدم الى السيد سليمان ومديده ولمس الخاتم واراد ان يسحبه من اصبع السيد سليمان واذا بالحية نفخت على عفان فاحرقته فصار كوم رماد هذا ما كان من امره واما ما كان من امر بلوقيا فانه وقع مغشيا عليه من هذا الامر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان بلوقيا لما رأى عفان احترق وصار كوم رماد وقع مغشيا عليه وامر الرب جل جلاله جبريل ان يهبط الى الارض قبل ان تنفخ الحية على بلوقيا فهبط الى الارض بسرعة فرأى بلوقيا مغشيا عليه ورأى عفان احترق من نفخة الحية فاتى جبريل الى بلوقيا وايقظه من غشيته فلما افاق سلم عليه جبريل وقال له من اين اتيتم الى هذا المكان فحكى له بلوقيا جميع حكايته من الاول الى الاخر ثم قال له اعلم انى ما اتيت الى هذا المكان الا بسبب محمد صلى الله عليه وسلم فان عفان اخبرنى انه يبعث فى آخر الزمان ولا يجتمع به الا من يعيش الى ذلك الوقت ولا يعيش الى ذلك الوقت الا من شرب من ماء الحياة ولا يمكن ذلك الا بحصول خاتم سليمان عليه السلام فصحبته الى هذا المكان وحصل له ما حصل وها هو قد احترق وانا لم احترق ومرادى ان تخبرنى بمحمد اين يكون فقال له جبريل يا بلوقيا اذهب الى حال سبيلك فان زمان محمد بعيد ثم ارتفع جبريل الى السماء من وقته واما بلوقيا فانه صار يبكى بكاء شديدا وندم على ما فعل وتفكر قول ملكة الحيات هيهات ان يقدر احد على اخذ الخاتم وتحير بلوقيا فى نفسه وبكى ثم انه نزل من الجبل وسار ولم يزل سائرا حتى قرب من شاطئ البحر وقعد هناك ساعة يتعجب من تلك الجبال والبحار والجزائر ثم بات تلك الليلة فى ذلك الموضع ولما اصبح الصباح دهن قدميه من الماء الذى كانا اخذاه من العشب ونزل البحر وسار ماشيا فيه اياما وليالى وهو يتعجب من اهوال البحر وعجائبه وغرائبه ومازال سائرا على وجه الماء حتى وصل الى جزيرة كانها الجنة فطلع بلوقيا الى تلك الجزيرة وصار يتعجب منها ومن حسنها وساح فيها فرأها جزيرة عظيمة ترابها الزعفران وحصاها من الياقوت

والمعادن الفاخرة وسياجها الياسمين وزرعها من احسن الاشجار وابهج الرياحين واطيبها وفيها عيون جارية وحطبها من العود القمارى والعود لقاقلى وبوصها قصب السكر وحوالها الورد والنرجس والعبهر والقرنفل والاقحوان والسوسن والبنفسج وكل ذلك فيها اشكال والوان واطيارها تتاتى على تلك الاشجار وهى مليحة الصفات واسعة الجهات كثيرة الخيرات قد حوت جميع الحسن والمعانى وتفريد اطيارها الطف من رنات المثانى واشجارها باسقة واطيارها ناطقة وانهارها دافقة وعيونها جارية ومياهها حالية وفيها الغزلان تمرح والجآذر تسنح والاطيار تتاتى على تلك الاغصان وتسلى العاشق الواله فتعجب بلوقيا من هذه الجزيرة وعلم انه قد تاه عن الطريق التى قد اتى منها اول مرة حين كان معه عفان فساح فى تلك الجزيرة وتفرج فيها الى وقت المساء فلما امسى عليه الليل طلع على شجرة عالية لينام فوقها وصار يتفكر فى حسن تلك الجزيرة فبينما هو فوق الشجرة على تلك الحالة واذا بالبحر قد اختبط وطلع منه حيوان عظيم وصاح صياحا عظيما حتى ارتجت حيوانات تلك الجزيرة من صياحه فنظر اليه بلوقيا وهو جالس على الشجرة فرأه حيوانا عظيما فصار يتعجب منه فلم يشعر بعد ساعة الا وطلع خلفه من البحر وحوش مختلفة الالوان وفى يد كل وحش منها جوهرة تضيء مثل السراج حتى صارت الجزيرة مثل النهار من ضياء الجواهر وبعد ساعة اقبلت من الجزيرة وحوش لا يعلم عددها الا الله تعالى فنظر اليها بلوقيا فرأها وحوش الفلاة من سباع ونمور وفهود وغير ذلك من حيوانات البر ولم تزل وحوش البر مقبلة حتى اجتمعت مع وحوش البحر فى جانب الجزيرة وصاروا يتحدثون الى الصباح فلما اصبح الصباح افترقوا من بعضهم ومضى كل واحد منهم الى حال سبيله فلما رآهم بلوقيا خاف ونزل من فوق الشجرة وسار الى شاطئ البحر ودهن قدميه من الماء الذى معه ونزل البحر الثانى وسار على وجه الماء ليالى واياما حتى وصل الى جبل عظيم وتحت ذلك الجبل وادى ماله آخر وذلك الوادى حجارته من المغناطيس ووحوشه سباع وارانب ونمور فطلع بلوقيا الى ذلك الجبل وساح فيه من مكان الى مكان حتى امسى عليه المساء فجلس تحت قنة من قنن ذلك الجبل بجانب البحر وصار يأكل من السمك الناشف الذى يقذفه البحر فبينما هو جالس يأكل من ذلك السمك واذا بنمر عظيم اقبل على بلوقيا واراد ان يفترسه فالتفت بلوقيا الى ذلك النمر فرأه حاطما عليه ليفترسه فدهن قدميه من الماء الذى معه ونزل البحر الثالث هربا من ذلك النمر وسار على وجه الماء فى الظلام وكانت ليلة سوداء ذات ريح عظيم ومازال سائرا حتى اقبل على جزيرة فطلع عليها فرأى فيها اشجارا رطبة وياسه فاخذ بلوقيا من ثمر تلك الاشجار واكل وحمد الله تعالى ودار فيها يتفرج الى وقت المساء ادركه شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان بلوقيا دار يتفرج فى تلك الجزيرة ولم يزل دائرا يتفرج فيها الى وقت المساء فنام فى تلك الجزيرة ولما اصبح الصباح صار يتأمل فى جهاتها ولم يزل يتفرج فيها مدة عشرة ايام وبعد ذلك توجه الى شاطئ البحر ودهن قدميه ونزل فى البحر الرابع ومشى على وجه الماء ليلا ونهارا حتى وصل الى جزيرة فرأى ارضها من الرمل الناعم الابيض وليس فيها شئ من الشجر ولا من الزرع فتمشى فيها ساعة فوجد وحشها الصقور وهى معششة فى ذلك الرمل فلما رأى ذلك دهن قدميه ونزل البحر الخامس وسار فوق الماء ومازال سائرا ليلا ونهارا حتى اقبل على جزيرة صغيرة ارضها وجبالها مثل البلور

وفيها العروق التي يصنع منها الذهب وفيها اشجار غريبة ما رأى مثلها في سياحته وازهارها كاون الذهب فطلع بلوقيا الى تلك الجزيرة وصار يتفرج فيها الى وقت المساء فلما جن عليه الظلام صارت الازهار تضيء في تلك الجزيرة كالنجوم فتعجب بلوقيا من هذه الجزيرة وقال ان الازهار التي في هذه الجزيرة هي التي تيبس من الشمس وتسقط على الارض فتضربها الرياح فتجتمع تحت الحجارة وتصير اكسيرا فيأخذونها ويصنعون منها الذهب ثم ان بلوقيا نام في تلك الجزيرة الى وقت الصباح وعند طلوع الشمس دهن قدميه من الماء الذي معه ونزل البحر السادس وسار اليالى واياما حتى اقبل على جزيرة فطلع عليها وتمشى فيها ساعة فرأى فيها جبلين وعليهما اشجار كثيرة وثمار تلك الاشجار كرؤس الآدميين وهي معلقة من شعورها ورأى فيها اشجارا اخرى اثمارها طيور خضر معلقة من ارجلها وفيها اشجار تتوقد مثل النار واوراقها فواكه مثل الصبر وكل من سقطت عليه نقطة من تلك الفواكه احترق بها ورأى بها فواكه تبكي وفواكه تضحك ورأى بلوقيا في تلك الجزيرة عجائب كثيرة ثم انه تمشى الى شاطئ البحر فرأى شجرة عظيمة فجلس تحتها الى وقت العشاء فلما اظلم الظلام طلع فوق تلك الشجرة وصار يتفكر في مصنوعات الله فبينما هو كذلك واذا بالبحر قد اختبط وطلع منه بنات البحر وفي يد كل واحدة منهن جوهرة تضيء مثل الصباح وصرن حتى اتين تحت تلك الشجرة وجلسن ولعبن ورقصن وطربن فصار بلوقيا يتفرج عليهن وهن في هذه الحالة ولم يزلن في لعب الى الصباح فلما اصبح الصباح نزلن البحر فتعجب منهن بلوقيا ونزل من فوق الشجرة ودهن قدميه من الماء الذي معه ونزل البحر السابع وسار ولم يزل سائرا مدة شهرين وهو لا ينظر جبلا ولا جزيرة ولا برا ولا واديا ولا ساحلا حتى قطع ذلك البحر وقاسى فيه جوعا عظيما حتى صار يخطف السمك من البحر ويأكله نيأ من شدة جوعه ولم يزل سائرا على هذه الحالة حتى انتهى الى جزيرة اشجارها كثيرة وانهارها غزيرة فطلع الى تلك الجزيرة وصار يمشي فيها ويتفرج يمينا وشمالا وكان ذلك في وقت الضحى ومازال يتمشى حتى اقبل على شجرة تفاح فمد يده ليأكل من تلك الشجرة واذا بشخص صاح عليه من تلك الشجرة وقال له ان تقربت الى هذه الشجرة واكلت منها شيأ قسمتك نصفين فنظر بلوقيا الى ذلك الشخص فرأه طويلا طوله اربعون ذراعا بذراع اهل ذلك الزمان فلما رأه بلوقيا خاف منه خوفا شديدا وامتنع عن تلك الشجرة ثم قال له بلوقيا لاى شيء تمنعني من الاكل من هذه الشجرة فقال له لانك ابن آدم وابوك آدم نسي عهد الله فعصاه واكل من الشجرة فقال له بلوقيا اى شيء انت ولمن هذه الجزيرة وهذه الاشجار وما اسمك فقال له الشخص انا اسمي شراهيا وهذه الاشجار والجزيرة للملك صخر وانا من اعوانه وقد وكاني على هذه الجزيرة ثم ان شراهيا سأل بلوقيا وقال له من انت ومن اين اتيت الى هذه البلاد فحكى له بلوقيا حكايته من الاول الى الآخر فقال له شراهيا لا تخف ثم جاءه بشيء من الاكل فاكل بلوقيا حتى اكتفى ثم ودعه وسار ولم يزل سائرا مدة عشرة ايام فبينما هو سائر في جبال ورمال اذ نظر غبرة عاقدة في الجو فقصد بلوقيا صوب تلك الغبرة فسمع صياحا وضربا وهرجا عظيما فمشى بلوقيا نحو تلك الغبرة حتى وصل الى واد عظيم طوله مسيرة شهرين ثم تأمل بلوقيا في جهة ذلك الصياح فرأى فارسا راكبين على خيل وهم يقتتلون مع بعضهم وقد جرى الدم بينهم حتى صار مثل النهر ولهم اصوات مثل الرعد وفي ايديهم رماح وسيوف واعمدة من الحديد وقسي ونبال وهم في قتال عظيم فاخذه خوف شديد وادركه شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان بلوقيا لما رأى هؤلاء الناس بايديهم السلاح وهم فى قتال عظيم اخذه خوف شديد وتحير فى امره فبينما هو كذلك واذا هم رأوه فلما رأوه امتنعوا عن بعضهم وتركوا الحرب ثم اتت اليه طائفة منهم فلما قربوا منه تعجبوا من خلقته ثم تقدم اليه فارس منهم وقال له اى شئ انت ومن اين اتيت والى اين رايح ومن دلك على هذه الطريق حتى وصلت الى بلادنا فقال له بلوقيا انا من بنى آدم وجئت هائما فى حب محمد صلى الله عليه وسلم ولكنى تهت عن الطريق فقال له الفارس نحن ما رأينا ابن آدم قط ولا اتى الى هذه الارض وصاروا يتعجبون منه ومن كلامه ثم ان بلوقيا سألهم وقال لهم اى شئ انتم ايها الخليقة فقال له الفارس نحن من الجان فقال له بلوقيا يا ايها الفارس ما سبب القتال الذى بينكم واين مسكنكم وما اسم هذا الوادى وهذه الاراضى فقال له الفارس نحن مسكننا الارض البيضاء وفى كل عام يأمرنا الله تعالى ان نأتى الى هذه الارض ونغازى الجان الكافرين فقال له بلوقيا واين الارض البيضاء فقال له الفارس خلف جبل قاف بمسيرة خمسة وسبعين سنة وهذه الارض يقال لها ارض شداد بن عاد ونحن اتينا اليها للغازى فيها وما لنا شغل سوى التسبيح والتقديس ولنا ملك يقال له الملك صخر وما يمكن الا ان تروح معنا اليه حتى ينظرك ويتفرج عليك ثم انهم ساروا وبلوقيا معهم حتى اتوا منزلهم فنظر بلوقيا خياما عظيمة من الحرير الاخضر لا يعلم عددها الا الله تعالى ورأى بينها خيمة منصوبة من الحرير الاحمر واتساعها مقدار الف ذراع واطنابها من الحرير الازرق واوتادها من الذهب والفضة فتعجب بلوقيا من تلك الخيمة ثم انهم ساروا به حتى اقبلوا على الخيمة فاذا هى خيمة الملك صخر ثم دخلوا به حتى اتوا قدام الملك صخر فنظر بلوقيا الى الملك فرأه جالسا على تخت عظيم من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر وعلى يمينه لمولك الجان وعلى يساره الحكماء والامراء وارباب الدولة وغيرهم فلما رأه الملك صخر امر ان يدخلوا به عنده فدخلوا به عند الملك فتقدم بلوقيا وسلم عليه وقبل الارض بين يديه فرد عليه الملك صخر السلام ثم قال له ادن منى ايها الرجل فدنا منه بلوقيا حتى صار بين يديه فعند ذلك امر الملك صخر ان ينصبوا له كرسيا بجانبه فنصبوا له كرسيا بجانب الملك ثم امره الملك صخر ان يجلس على ذلك الكرسى فجلس بلوقيا عليه ثم ان الملك صخر سأل بلوقيا وقال له اى شئ انت فقال له انا من بنى آدم من بنى اسرائيل فقال له الملك صخر احك لى حكايتك واخبرنى بما جرى لك وكيف اتيت الى هذه الارض فحكى له بلوقيا جميع ما جرى له فى سياحته من الاول الى الاخر فتعجب الملك صخر من كلامه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان بلوقيا لما اخبر الملك صخر بجميع ما جرى له فى سياحته من الاول الى الاخر تعجب من ذلك ثم امر الفراشين ان يأتوا بسماط فاتوا بسماط ومدوه ثم انهم اتوا بصوان من الذهب الاحمر وصوان من الفضة وصوان من النحاس وبعض الصوانى فيها خمسون جملا مملوءة وبعضها فيه عشرون جملا وبعضها فيه خمسون رأسا من الغنم وعدد الصوانى الف وخمسمائة صينية فلما رأى بلوقيا ذلك تعجب منه غاية العجب ثم انهم اكلوا واكل بلوقيا معهم حتى اكتفى وحمد الله تعالى وبعد ذلك رفعوا الطعام واتوا بفواكه فاكلوا ثم بعد ذلك سبحوا الله تعالى وصلوا على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم

فلما سمع بلوقيا ذكر محمد تعجب وقال للملك صخر اريد ان اسألك بعض مسائل فقال له الملك صخر سل ما تريد فقال له بلوقيا يا ملك اى شئ انتم ومن اين اصلكم ومن اين تعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم حتى تصلوا عليه وتحبوه فقال له الملك صخر يا بلوقيا ان الله تعالى خلق النار سبع طبقات بعضها فوق بعض وبين كل طبقة وطبقة مسيرة الف عام وجعل اسم الطبقة الاولى جهنم واعدها لعصاة المؤمنين الذين يموتون من غير توبة واسم الطبقة الثانية لظى واعدها للكفار واسم الطبقة الثالثة الجحيم واعدها لياجوج وماجوج واسم الرابعة السعير واعدها لقوم ابليس واسم الخامسة سقر واعدها لنار الصلاة واسم السادسة الحطمة واعدها لليهود والنصارى واسم السابعة الهاوية واعدها للمنافقين فهذه السبع طبقات فقال له بلوقيا لعل جهنم اهون عذابا من الجميع لانها هى الطبقة الفوقانية قال الملك صخر نعم هى اهون الجميع عذابا ومع ذلك فيها الف جبل من النار وفى كل جبل سبعون الف واد من النار وفى كل واد سبعون الف مدينة من النار وفى كل مدينة سبعون الف قلعة من النار وفى كل قلعة سبعون الف بيت من النار وفى كل بيت سبعون الف تخت من النار وفى كل تخت سبعون الف نوع من العذاب وما فى جميع طبقات النار يا بلوقيا اهون عذابا من عذابها لانها هى الطبقة الاولى واما الباقى فلا يعلم عددما فيه من انواع العذاب الا الله تعالى فلما سمع بلوقيا هذا الكلام من الملك صخر وقع مغشيا عليه فلما افاق من غشيته بكى وقال يا ملك كيف يكون حالنا فقال له الملك صخر يا بلوقيا لا تخف واعلم ان كل من كان يحب محمدا لم تحرقه النار وهو معتوق لاجل محمد صلى الله عليه وسلم وكل من كان على ملته نهرب منه النار واما نحن فخلقنا الله تعالى من النار واول ما خلق الله المخلوقات فى جهنم خلق شخصين من جنوده احدهما اسمه خليت والاخر اسمه مليت وجعل خليت على صورة اسد ومليت على صورة ذئب وكان ذئب مليت على صورة الانثى ولونها ابلق وذئب خليت على صورة ذكر وهو فى هيئة حية وذئب مليت فى هيئة سلحفاة وطول ذئب خليت مسيرة عشرين سنة ثم امر الله تعالى ذئبيهما ان يجتمعا مع بعضهما وينا كحا فتولد منهما حيات وعقارب ومسكنها فى النار ليعذب الله بها من يدخلها ثم ان تلك الحيات والعقارب تناسلوا وتكاثروا ثم بعد ذلك امر الله تعالى ذئبى خليت ومليت ان يجتمعا وينا كحا ثانى مرة فاجتمعا وتناكحا فحمل ذئب مليت من ذئب خليت فلما وضعت ولدت سبعة ذكور وسبع اناث فتربوا حتى كبروا فلما كبروا تزوج الاناث بالذكور واطاعوا الدهم الا واحدا منهم عصى والده فصار ودودة وتلك الودودة هى ابليس لعنه الله تعالى وكان من المقربين فانه عبد الله تعالى حتى ارتفع الى السماء وتقرب من الرحمن وصار رئيس المقربين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابليس كان عبد الله تعالى وصار رئيس المقربين ولما خلق الله تعالى آدم عليه السلام امر ابليس بالسجود له فامتنع من ذلك فطرده الله تعالى ولعنه فلما تناسل جاءت منه الشياطين واما الستة الذكور الذين قبله فهم الجان المؤمنون ونحن من نسلهم وهذا اصلنا يا بلوقيا فتعجب بلوقيا من كلام الملك صخر ثم انه قال يا ملك اريد منك ان تأمر واحدا من اعوانك ليوصلنى الى بلادى فقال له الملك صخر ما نقدر ان نفعل شيأ من ذلك الا ان امرنا الله تعالى ولكن يا بلوقيا ان شئت الذهاب من عندنا فانى احضر لك فرسا من خيلى واركبك على ظهرها وآمرها ان تسيرك الى آخر حكمى

فاذا

فاذا وصلت الى آخر حكمي يلاقيك جماعة ملك اسمه براخيا فينظرون الفرس فيعرفونها وينزلونك من فوقها ويرسلونها الينا وهذا الذي نقدر عليه لا غير فلما سمع بلوقيا هذا الكلام بكى وقال للملك افعل ما تريد فامر الملك ان يأتوا له بالفرس فاتوا له بالفرس واركبوه على ظهرها وقالوا له احذران تنزل من فوق ظهرها او تضربها او تصيح في وجهها فان فعلت ذلك اهلكتك بل استمر راكبا عليها مع السكون حتى تقف بك فانزل عن ظهرها وروح الى حال سبيلك فقال له بلوقيا سمعا وطاعة ثم ركب الفرس وسار في الخيام مدة طويلة ولم ير في سيره الا على مطبخ الملك صخر فنظر بلوقيا الى قدور معلقة في كل قدر خمسون جملا والنار تلتهب من تحتها فلما رأى بلوقيا تلك القدور وكبرها تأملها وتعجب منها واكثر التعجب والتأمل فيها فنظر اليه الملك فرأه متعجبا من المطبخ فظن الملك في نفسه انه جائع فامر ان يجيئوا له بجملين مشويين فجاؤا له بجملين مشويين وربطوهما خلفه على ظهر الفرس ثم انه ودعهم وسار حتى وصل الى آخر حكم الملك صخر فوقف الفرس فنزل عنها بلوقيا ينفض تراب السفر من ثيابه واذا برجال اتوا اليه ونظروا الفرس فعرفوها فاخذوها وساروا وبلوقيا معهم حتى وصلوا الى الملك براخيا فلما دخل بلوقيا على الملك براخيا سلم عليه فرد عليه السلام ثم ان بلوقيا نظر الى الملك فرأه جالسا في صيوان عظيم وحوله عساكر وابطال وملوك الجان على يمينه وشماله ثم ان الملك امر بلوقيا ان يدنو منه فتقدم بلوقيا اليه فاجلسه الملك بجانبه وامر ان يأتوا بالسماط فنظر بلوقيا الى حال الملك براخيا فرأه مثل حال الملك صخر ولما حضرت الاطعمة اكلوا واكل بلوقيا حتى اكتفى وحمد الله تعالى ثم انهم رفعوا الاطعمة واتوا بالفاكهة فاكلوا ثم ان الملك براخيا سأل بلوقيا وقال له متى فارقت الملك صخر فقال له من مدة يومين فقال الملك براخيا لبلوقيا اتدري مسافة كم يوم سافرت في هذين اليومين قال لا قال مسيرة سبعين شهرا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك براخيا قال لبلوقيا انك سافرت في هذين اليومين مسيرة سبعين شهرا ولكنك لما ركبت الفرس فزعت منك وعلمت انك ابن آدم واردت ان ترميك عن ظهرها فانقلوها بهذين الجملين فلما سمع بلوقيا ذلك الكلام من الملك براخيا تعجب وحمد الله تعالى على السلامة ثم ان الملك براخيا قال لبلوقيا اخبرني بما جرى لك وكيف اتيت الى هذه البلاد فبكى له بلوقيا جميع ما جرى له وكيف ساح واتى الى هذه البلاد فلما سمع الملك كلامه تعجب منه ومكث بلوقيا عنده مدة شهرين فلما سمع حاسب كلام ملكة الحيات تعجب منه غاية العجب ثم قال لها اريد من فضلك واحسانك ان تأمري احدا من اعوانك ان يخرجني الى وجه الارض حتى اروح الى اهلي فقالت له ملكة الحيات ياحاسب كريم الدين اعلم انك متى خرجت الى وجه الارض تروح الى اهلك ثم تدخل الحمام وتقتل وبمجرد ما تفرغ من غسلك اموت انا الان ذلك يكون سببا لموتي فقال حاسب انا احلف لك ما ادخل الحمام طول عمري واذا وجب علي الغسل اغتسل في بيتي فقالت له ملكة الحيات لو حلفت لي مائة يمين ما صدقتك ابدا فان هذا امر لا يكون واعلم انك ابن آدم مالك عهد لان ابا لك آدم قد عاهد الله ونقض عهده وكان الله تعالى خمر طينته اربعين صباحا وسجد له ملائكته وبعد ذلك نكث العهد ونسيه وخالف امر ربه فلما سمع حاسب ذلك الكلام سكت وبكى ومكث يبكي مدة عشرة ايام ثم قال لها حاسب اخبريني بالذي جرى

لبلوقيا بعد قعوده شهرين عند الملك براخيا فقالت له اعلم ياحاسب ان بلوقيا بعد قعوده عند الملك براخيا ودعه وسار فى البرارى ليلا ونهارا حتى وصل الى جبل عال فطلع ذلك الجبل فرأى فوقه ملكا عظيما جالسا على ذلك الجبل وهو يذكر الله تعالى ويصلى على محمد وبين يدى ذلك الملك لوح مكتوب فيه شئ ابيض وشئ اسود وهو ينظر فى اللوح وله جناحان احدهما ممدود بالمشرق والاخر ممدود بالمغرب فاقبل عليه بلوقيا وسلم عليه فرد عليه السلام ثم ان الملك سأل بلوقيا وقال له من انت ومن اين اتيت والى اين رايح وما اسمك فقال بلوقيا انا من بنى آدم من قوم بنى اسرائيل وانا سايح فى حب محمد صلى الله عليه وسلم واسمى بلوقيا فقال ما الذى جرى لك فى مجيئك الى هذه الارض فحكى له بلوقيا جميع ما جرى له وما رأى فى سياحته فلما سمع الملك من بلوقيا ذلك الكلام تعجب منه ثم ان بلوقيا سأل الملك وقال له اخبرنى انت الاخر بهذا اللوح واى شئ مكتوب فيه وما هذا الامر الذى انت فيه وما اسمك فقال له الملك انا اسمى مخاييل وانا موكل بتصريف الليل والنهار وهذا شغلى الى يوم القيامة فلما سمع بلوقيا ذلك الكلام تعجب منه ومن صورة ذلك الملك ومن هيبته وعظم خلقته ثم ان بلوقيا ودع ذلك الملك وسار ليلا ونهارا حتى وصل الى مرج عظيم فتمشى فى ذلك المرج فرأى فيه سبعة انهر ورأى اشجارا كثيرة فتعجب بلوقيا من ذلك المرج العظيم وسار فى جوانبه فرأى فيه شجرة عظيمة وتحت تلك الشجرة اربعة ملائكة فتقدم اليهم بلوقيا ونظر الى خلقتهم فرأى واحدا منهم صورته صورة بنى آدم والثانى صورته صورة وحش والثالث صورته صورة طير والرابع صورته صورة نور وهم مشغولون بذكر الله تعالى وبقول كل منهم الهى وسيدى ومولاى بحقك وبجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ان تغفر لكل مخلوق خلقته على صورتى وتسامحه انك على كل شئ قدير فلما سمع بلوقيا منهم ذلك الكلام تعجب وسار من عندهم ليلا ونهارا حتى وصل الى جبل قاف فطلع فوقه فرأى هناك ملكا عظيما وهو جالس يسبح الله تعالى ويقدسه ويصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ورأى ذلك الملك فى قبض وبسط وطى ونشر فبينما هو فى هذا الامر اذ اقبل بلوقيا وسلم عليه فرد الملك عليه السلام وقال له اى شئ انت ومن اين اتيت والى اين رايح وما اسمك فقال بلوقيا انا من بنى اسرائيل من بنى آدم واسمى بلوقيا وانا سايح فى حب محمد صلى الله عليه وسلم ولكن تهت فى طريق وحكى له جميع ما جرى له فلما فرغ بلوقيا من حكايته سأل الملك وقال له من انت وما هذا الجبل وما هذا الشغل الذى انت فيه فقال له الملك اعلم يا بلوقيا ان هذا جبل قاف المحيط بالدنيا وكل ارض خلقها الله فى الدنيا قبضتها فى يدى فاذا اراد الله تعالى بتلك الارض شيأ من زلزلة او خسف او خصب او قحط اوصلح امرنى ان افعله فافعله وانا فى مكانى واعلم ان يدى قابضة بعروق الارض وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والتسعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك قال لبلوقيا واعلم ان يدى قابضة بعروق الارض فقال بلوقيا للملك هل خلق الله فى جبل قاف ارضا غير هذه الارض التى انت فيها قال الملك نعم خلق ارضا بيضا مثل الفضة وما يعلم قدر اتساعها الا الله تعالى واسكنها ملائكة اكاهم وشرابهم التسبيح والتقديس والاكثار من الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وفى كل ليلة جمعة يأتون الى هذا الجبل ويجتمعون ويدعون الله تعالى طول الليل الى وقت الصباح ويهدون ثواب ذلك التسبيح والتقديس والعبادات

للمذنبين من امة محمد صلى الله عليه وسلم ولكل من اغتسل غسل الجمعة وهذا حالهم الى يوم القيامة ثم ان بلوقيا سأل الملك وقال له هل خلق الله جبلا اخلف جبل قاف فقال الملك نعم خلف جبل قاف جبل قدره مسيرة خمسمائة عام وهو من الثلج والبرد وهو الذى رد حر جهنم عن الدنيا ولولا ذلك الجبل لاحترقت الدنيا من حر نار جهنم وخلف جبل قاف اربعون ارضا كل ارض منها قدر الدنيا اربعين مرة منها ما هو من الذهب ومنها ما هو من الفضة ومنها ما هو من الياقوت ولكل ارض من تلك الاراضى لون واسكن الله فى تلك الاراضى ملائكة لا شغل لهم سوى التسبيح والتقديس والتهليل والتكبير ويدعون الله تعالى الى امة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يعرفون حواء ولا آدم ولا ليلا ولا نهارا واعلم يا بلوقيا ان الاراضى سبع طباق فوق بعض وخلق الله ملكا من الملائكة لا يعلم اوصافه ولا قدره الا الله عز وجل وهو حامل السبع اراضى على كاهله وخلق الله تعالى تحت ذلك الملك صخرة وخلق الله تعالى تحت تلك الصخرة نورا وخلق الله تعالى تحت ذلك الثور حوتا وخلق الله تحت ذلك الحوت بحرا عظيما وقد اعلم الله تعالى عيسى عليه السلام بذلك الحوت فقال له يا رب ارنى ذلك الحوت حتى انظر اليه فامر الله تعالى ملكا من الملائكة ان يأخذ عيسى ويروح به الى الحوت حتى ينظره فاتى ذلك الملك الى عيسى عليه السلام واخذه واتى به الى البحر الذى فيه الحوت وقال له انظر يا عيسى الى الحوت فنظر عيسى الى الحوت فلم يره فخر الحوت على عيسى مثل البرق فلما رأى ذلك عيسى وقع مغشيا عليه فلما افاق اوحى الله الى عيسى وقال له يا عيسى هل رأيت الحوت وهل علمت طوله وعرضه فقال عيسى وعزتك وجلالك يا رب ما رأيته ولكن مر على نور عظيم قدره مسافة ثلاثة ايام ولم اعرف ما شأن ذلك الثور فقال الله له يا عيسى ذلك الذى مر عليك وقدره مسافة ثلاثة ايام انما هو رأس الثور واعلم يا عيسى انى فى كل يوم اخلق اربعين حوتا مثل ذلك الحوت فلما سمع ذلك الكلام تعجب من قدرة الله تعالى ثم ان بلوقيا سأل الملك وقال له اى شئ خلق الله تحت البحر الذى فيه الحوت فقال له الملك خلق الله تحت البحر هواء عظيما وخلق الله تحت الهواء نارا وخلق الله تحت النار حية عظيمة اسمها فلق ولولا خوف تلك الحية من الله تعالى لابتلعت جميع ما فوقها من الهواء والنار والملك وما حمله ولم تحس بذلك الملك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك قال لبلوقيا فى وصف الحية ولولا خوفها من الله تعالى لابتلعت جميع ما فوقها من الهواء والنار والملك وما حمله ولم تحس بذلك ولما خلق الله تعالى تلك الحية اوحى اليها انى اريد منك ان اودع عندك امانة فاحفظيها فقالت الحية افعل ما تريد فقال الله لتلك الحية افتحى فاك ففتحت فاها فادخل الله جهنم فى بطنها وقال لها احفظى جهنم الى يوم القيامة فاذا جاء يوم القيامة يأمر الله ملائكته ان يأتوا ومعهم سلاسل يقودون بها جهنم الى المحشر ويأمر الله تعالى جهنم ان تفتح ابوابها فتفتحها وتطير منها شرر كالاكثر من الجبال فلما سمع بلوقيا ذلك الكلام من الملك بكى بكاء شديدا ثم انه ودع الملك وسار الى ناحية الغرب حتى اقبل على شخصين فرأهما جالسين وعندهما باب عظيم مقفول فلما قرب منهما رأى احدهما صورته صورة اسد والآخر صورته صورة نور فسلم عليهما بلوقيا فرد اعليه السلام ثم انهما سألاه وقالا له اى نبى انت ومن اين اتيت والى اين رايح فقال لهما بلوقيا انا

من بنى آدم وانا سايح فى حب محمد صلى الله عليه وسلم ولكن تهت عن طريقى ثم ان بلوقيا سألهما وقال لهما اى شئ انتما وما هذا الباب الذى عندكما فقالا له نحن حراس هذا الباب الذى تراه وما لنا شغل سوى التسبيح والتقديس والصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم فلما سمع بلوقيا هذا الكلام تعجب وقال لهما اى شئ داخل هذا الباب فقالا لا ندرى فقال لهما بحق ربكما الجليل ان تفتحا لى هذا الباب حتى انظر اى شئ داخله فقالا له ما نقدر ان نفتح هذا الباب ولا يقدر على فتحه احد من المخلوقين الا الامين جبريل عليه السلام فلما سمع بلوقيا ذلك تضرع الى الله تعالى وقال يارب ائتينى بالامين جبريل ليفتح لى هذا الباب حتى انظر ما داخله فاستجاب الله دعاءه وامر الامين جبريل ان ينزل الى الارض ويفتح باب مجمع البحرين حتى ينظره بلوقيا فنزل جبريل الى بلوقيا وسلم عليه واتى الى ذلك الباب وفتحه ثم ان جبريل قال لبلوقيا ادخل الى هذا الباب فان الله امرنى ان افتحه لك فدخل بلوقيا وسار فيه ثم ان جبريل قفل الباب وارتفع الى السماء ورأى بلوقيا فى داخل الباب بحرا عظيما نصفه مالح ونصفه حلو وحول ذلك البحر جبلان من ذهب الجبلان من الياقوت الاحمر وسار بلوقيا حتى اقبل على هذين الجبلين فرأى فيهما ملائكة مشغولين بالتسبيح والتقديس فلما رأهم بلوقيا سلم عليهم فردوا عليه السلام فسألهم بلوقيا عن البحر وعن هذين الجبلين فقال له الملائكة ان هذا مكان تحت العرش وان هذا البحر يمد كل بحر فى الدنيا ونحن نقسم هذا الماء ونسوقه الى الاراضى المالح للارض المالحة والحلو للارض الحلوة وهذان الجبلان خلقهما الله ليحفظا هذا الماء وهذا امرنا الى يوم القيامة ثم انهم سألوه وقالوا له من اين اقبلت والى اين رايح فحكى لهم بلوقيا حكايته من الاول الى الاخر ثم ان بلوقيا سألهم عن الطريق فقالوا له اطلع هناك على ظهر هذا البحر فاخذ بلوقيا من الماء الذى معه ودهن قدميه وودعهم وسار على ظهر البحر ليلا ونهارا فبينما هو سائر واذا هو بشاب مليح سائر على ظهر البحر فاتى اليه وسلم عليه فرد عليه السلام ثم ان بلوقيا لما فارق الشاب رأى اربعة ملائكة سائرين على وجه البحر وسيرهم مثل البرق الخاطف فتقدم بلوقيا ووقف فى طريقهم فلما وصلوا اليه سلم عليهم بلوقيا وقال لهم اريد ان اسألكم بحق العزيز الجليل ما اسمكم ومن اين انتم والى اين تذهبون فقال واحد منهم انا اسمى جبريل والثانى اسمه اسرافيل والثالث اسمه ميكائيل والرابع اسمه عزرائيل وقد ظهر فى المشرق ثعبان عظيم وذلك الثعبان خرب الف مدينة واكل اهلها وقد امرنا الله تعالى ان نروح اليه ونمسكه ونرميه فى جهنم فتعجب منهم بلوقيا ومن عظمهم وسار على عادته ليلا ونهارا حتى وصل الى جزيرة فطلع عليها وتمشى فيها ساعة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان بلوقيا طلع الى الجزيرة وتمشى فيها ساعة فرأى شابا مليحا والنور يلوح من وجهه فلما قرب منه بلوقيا رأه جالسا بين قبرين مبنيين وهو ينوح ويبكى فاتى اليه بلوقيا وسلم عليه فرد عليه السلام ثم ان بلوقيا سأل الشاب وقال له ما شانك وما اسمك وما هذان القبران المبنيان اللذان انت جالس بينهما وما هذا البكاء الذى انت فيه فالتفت الشاب الى بلوقيا وبكى بكاء شديدا حتى بل ثيابه من دموعه وقال لبلوقيا اعلم يا اخى ان حكايتى عجيبة وقصتى غريبة واحب ان تجلس عندى حتى تحكى لى ما رأيت فى عمرك وما سبب مجيئك الى هذا المكان وما اسمك والى اين رايح واحكى لك انا الاخر حكايتى فجلس بلوقيا عند الشاب واخبره بجميع ما وقع له فى سياحته من الاول الى الاخر واخبره كيف مات

والده

والده وخلفه وكيف فتح الخلوة ورأى فيها الصندوق وكيف رأى الكتاب الذى فيه صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكيف تعلق قلبه به وطلع سايحا فى حبه واخبره بجميع ما وقع له الى ان وصل اليه ثم قال له وهذه حكايتى بتمامها والله اعلم وما ادرى بالذى يجرى على بعد ذلك فلما سمع الشاب كلامه تنهد وقال له يا مسكين اى شئ رأيت فى عمرك اعلم يا بلوقيا انى رأيت السيد سليمان فى زمانه ورأيت شيأ لا يعد ولا يحصى وحكايتى عجيبة وقصتى غريبة واريد منك ان تقعد عندى حتى احكى لك حكايتى واخبرك بسبب قعودى هنا فلما سمع حاسب هذا الكلام من الحية تعجب وقال يا ملكة الحيات بالله عليك ان تعتقينى وتأمرى احد خدمك ان يخرجنى الى وجه الارض واحلف لك يمينا انى لا ادخل الحمام طول عمرى فقالت له ان هذا امر لا يكون ولا اصدقك فى يمينك فلما سمع منها ذلك بكى وبكت الحيات جميعا لاجله وصارت تستشفع له عند الملكة وتقول لها نريد منك ان تأمرى احدا ان تخرجه الى وجه الارض ويحلف لك بيمينا انه لن يدخل الحمام طول عمره وكانت ملكة الحيات اسمها بلوقيا فلما سمعت بلوقيا منهن ذلك الكلام اقبلت على حاسب وحلفته فحلف لها ثم امرت حية ان تخرجه الى وجه الارض فاتته واردات ان تخرجه فلما انت تلك الحية لتخرجه قال لملكة الحيات اريد منك ان تحكى لى حكاية الشاب الذى قعد عنده بلوقيا ورأه جالسا بين القبرين فقالت اعلم يا حاسب ان بلوقيا جلس عند الشاب وحكى له حكايته من اولها الى آخرها لاجل ان يحكى له الاخر قصته ويخبره بما جرى له فى عمره ويعرفه بسبب قعوده بين القبرين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان بلوقيا لما حكى للشاب حكايته قال له الشاب واى شئ رأيت من العجائب يا مسكين انا رأيت السيد سليمان فى زمانه ورأيت عجائب لا تعد ولا تحصى واعلم يا اخى ان ابى كان ملكا يقال له الملك طيغموس وكان يحكم على بلاد كابل وعلى بنى شهلان وهم عشرة الاف بهلوان كل بهلوان منهم يحكم على مائة مدينة ومائة قلعه باسوارها وكان يحكم على سبعة سلاطين ويحمل له المال من المشرق الى المغرب وكان عادلا فى حكمه وقد اعطاه الله تعالى كل هذا ومن عليه بذلك الملك العظيم ولم يكن له ولد وكان مراده فى عمره ان يرزقه الله ولدا ذكرا يخلفه فى ملكه بعد موته فاتفق انه طلب العلماء والمنجمين وارباب المعرفة والتقويم يوما من الايام وقال لهم انظروا طالعى وهل يرزقنى الله فى عمرى ولدا ذكرا يخلفنى فى ملكى ففتح المنجمون الكتب وحسبوا طالعه وناظروا من الكواكب ثم قالوا له اعلم ايها الملك انك ترزق ولدا ذكرا ولا يكون ذلك الولد الا من بنت ملك خراسان فلما سمع طيغموس ذلك منهم فرح فرحا شديدا واعطى المنجمين والحكماء مالا كثيرا لا يعد ولا يحصى وذهبوا الى حال سبيلهم وكان عند الملك طيغموس وزير كبير وكان بهلوانا عظيما مقوما بالف فارس وكان اسمه عين زار فقال له يا وزير اريد منك ان تتجهز للسفر الى بلاد خراسان وتخطب لى بنت الملك بهروان ملك خراسان وحكى الملك طيغموس لوزيره عين زار ما اخبره به المنجمون فلما سمع الوزير ذلك الكلام من الملك طيغموس ذهب من وقته وساعته وتجهز للسفر ثم برز الى خارج المدينة بالعساكر والابطال والجيوش هذا ما كان من امر الوزير واما ما كان من امر الملك طيغموس فانه جهز الفا وخمسمائة حمل من الحرير والجواهر واللؤلؤ واليواقيت والذهب والفضة والمعادن وجهز شيأ كثيرا من آلة العرس وحملها على الجمال والبغال وسلمها الى وزيره

عين زار وكتب له كتابا مضمونه اما بعد فالسلام على الملك بهروان واعلم انا قد جمعنا المنجمين والحكماء وارباب
التقاويم فاخبرونا انا نرزق ولدا ذكرا ولا يكون ذلك الولد الا من بنتك وها انا قد جهزت لك الوزير عين
زار ومعه اشياء كثيرة من آلة العرس وانى قد اقمت وزيرى مقامى فى هذه المسألة ووكلته فى قبول العقد واريد
من فضلك ان تقضى للوزير حاجته فانها حاجتى ولا تبدى فى ذلك اهما الا ولا امها الا وما فعلته من الجميل
فهو مقبول منك والحذر من المخالفة فى ذلك واعلم ايها الملك بهروان ان الله قد من على بملكة كابل وملكنى
على بنى شهلان واعطانى ملكا عظيما واذا تزوجت بنتك اكون انا وانت فى الملك شيأ واحدا وارسل
اليك فى كل سنة ما يكفيك من المال وهذا قصدى منك ثم ان الملك طيغموس ختم الكتاب وناوله لوزيره
عين زار وامره بالسفر الى بلاد خراسان فسافر الوزير حتى وصل الى قرب مدينة الملك بهروان فاعلموه
بقدوم وزير الملك طيغموس فلما سمع الملك بهروان بذلك الكلام جهز امرآء دولته للملاقاة وجهز معهم
اكلا وشربا وغير ذلك واعطاهم عليقا لاجل الخيل وامرهم بالسير الى ملاقاة الوزير عين زار فحملوا
الاحمال وساروا حتى اقبلوا على الوزير وحطوا الاحمال ونزلت الجيوش والعساكر وسلم بعضهم على بعض
ومكثوا فى ذلك المكان مدة عشرة ايام وهم فى اكل وشرب ثم بعد ذلك ركبوا وتوجهوا الى المدينة
وطلع الملك بهروان الى مقابلة وزير الملك طيغموس وعانقه وسلم عليه واخذه وتوجه به الى القلعة ثم ان
الوزير قدم الاحمال والتحف وجميع الاموال للملك بهروان واعطاه الكتاب فاخذه الملك بهروان وقرأه
وعرف ما فيه وفهم معناه وفرح فرحا شديدا ورحب بالوزير وقال له ابشر بما تريد ولو طلب الملك طيغموس
روحى لاعطيته اياها وذهب الملك بهروان من وقته الى بنته وامها واقاربه واعلمهم بذلك الامر
واستشارهم فيه فقالوا له افعل ما شئت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك بهروان استشار البنت وامها واقاربها فقالوا له افعل ما تريد
ثم ان الملك بهروان رجع الى الوزير عين زار واعلمه بقضاء حاجته ومكث الوزير عند الملك بهروان
مدة شهرين ثم بعد ذلك قال الوزير للملك انا نريد منك ان تنعم علينا بما اتينا لاجله ونروح الى بلادنا فقال
الملك للوزير سمعا وطاعة ثم امر باقامة العرس وتجهيز الجهاز ففعلوا ما امرهم به وبعد ذلك امر باحضار
وزرآئه وجميع الامرا من اكابر دولته فحضروا جميعا ثم امر باحضار الرهبان والقسيسين فحضروا
وعقدوا عقد البنت للملك طيغموس وهيأ الملك بهروان آلة السفر واعطى بنته من الهدايا والتحف
والمعادن ما يكل عنه الوصف وامر بفرش ازقة المدينة وزينتها باحسن زينة وسافر الوزير عين زار ببنت
الملك بهروان الى بلاده فلما وصل الخبر الى الملك طيغموس امر باقامة الفرح وزينة المدينة ثم ان الملك
طيغموس دخل على بنت الملك بهروان وازال بكارتها فحاضت عليها ايام قلائل حتى علقت منه ولما
تمت اشهرها وضعت ولدا ذكرا مثل البدر فى ليلة تمامه فلما علم الملك طيغموس ان زوجته وضعت
ولدا ذكرا ملحا فرح فرحا شديدا وطلب الحكماء والمنجمين وارباب التقاويم وقال لهم اريد منكم ان تنظروا
طالع هذا المولود وناظره من الكواكب وتخبرونى بما يلقاه فى عمره فحسب الحكماء والمنجمون طالعه وناظره
فرأوا الولد سعيدا ولكنه يحصل له فى اول عمره تعب وذلك عند بلوغه خمس عشرة سنة فان عاش بعدها
رأى خيرا كثيرا وصار ملكا عظيما اعظم من ابيه واعظم سعده وهلك ضده وعاش عيشا هنيا وان مات

فلا سبيل الى ما فات والله اعلم فلما سمع الملك ذلك الخبر فرح فرحا شديدا وسماه جانشاه وسلمه للمراضع والدايات واحسن تربيته فلما بلغ من العمر خمس سنين علمه ابوه القرآءة وصار يقرا في الانجيل وعلمه الحرب والطعن والضرب في اقل من سبع سنين وجعل يركب للصيد والقنص وصار بهلوانا عظيما كاملا في جميع آلات الفروسية وصار ابوه كلما سمع بفروسيته في جميع الات الحرب فرح فرحا شديدا اتفق في يوم من الايام ان الملك طيغموس امر عسكره ان يركبوا للصيد والقنص فطلعت العسكر والجيوش وركب الملك طيغموس هو وابنه جانشاه وساروا الى البراري والقفار واشتغلوا بالصيد والقنص الى عصر اليوم الثالث فسنحت لجانشاه غزالة عجيبة اللون وشردت قدامه فلما نظر جانشاه الى تلك الغزالة وهي شاردة قدامه تبعها واسرع في الجري وراءها وهي هاربة فاتبع سبعة مماليك من مماليك طيغموس وذهبوا في اثر جانشاه فلما نظروا الى سيدهم وهو مسرع وراء تلك الغزالة راحوا مسرعين وراءه وهم على خيل سوابق ومازالوا سائرين حتى وصلوا الى بحر فتهاجم الجميع على الغزالة ليمسكوها فنصا فرت منهم الغزالة والقت نفسها في البحر وادركها شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان جانشاه هو ومماليكه لما هجموا على الغزالة ليمسكوها قنصا فرت منهم ورمت نفسها في البحر وكان في ذلك البحر مركب صياد فنطت فيها الغزالة فنزل جانشاه ومماليكه عن خيلهم الى المركب وقنصوا الغزالة واراد وان يرجعوا الى البر واذا بجانشاه ينظر الى جزيرة عظيمة فقال للمماليك الذين معه انى اريد ان نذهب الى الجزيرة فقالوا له سمعا وطاعة وساروا بالمركب الى ناحية الجزيرة حتى وصلوا اليها فلما وصلوا اليها طلعوا فيها وصاروا يتفرجون عليها ثم بعد ذلك عادوا الى المركب ونزلوا فيها وساروا والغزالة معهم قاصدين البر الذى اتوا منه فامسى عليهم المساء وتاهوا في البحر فهبت عليهم الريح واجرت المركب في وسط البحر وناموا الى وقت الصباح ثم انتبهوا وهم لا يعرفون الطريق ولم يزالوا سائرين في البحر هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر الملك طيغموس والد جانشاه فانه تفقد ابنه فلم يره فامر العسكر ان يروح كل جماعة منهم الى طريق فصاروا دائرين يفتشون عن ابن الملك طيغموس وذهب جماعة منهم الى البحر فرأوا المملوك الذى خلوه عند الخيل فانوه وسألوه عن سيده وعن الستة المماليك فاخبرهم المملوك بما جرى لهم فاخذوا المملوك والخيل ورجعوا الى الملك واخبروه بذلك الخبر فلما سمع الملك بذلك الكلام بكى بكاء شديدا ورمى التاج من فوق رأسه وعض يديه ندما وقام من وقته وكتب كتبا وارسلها الى الجزائر التى في البحر وجمع مائة مركب وانزل فيها عساكرهم ان يدوروا في البحر ويفتشوا عن ولده جانشاه ثم ان الملك اخذ بقية العساكر والجيوش ورجع الى المدينة وصار في نكد شديد ولما علمت والدة جانشاه بذلك لطمت وجهها واقامت عزاه هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر جانشاه والمماليك الذين معه فانهم لم يزالوا تائهين في البحر ولم يزل الرواد دائرين يفتشون عنهم في البحر مدة عشرة ايام فما وجدوهم فرجعوا الى الملك واعلموه بذلك ثم ان جانشاه والمماليك الذين معه هب عليهم ريح عاصف وساق المركب التى هم فيها حتى اوصلها الى جزيرة وطلع جانشاه والستة المماليك من المركب وتمشوا في تلك الجزيرة حتى وصلوا الى عين ماء جارية في وسط تلك الجزيرة فراوا رجلا جالسا على بعد قريبا من العين فانوه وسلموا عليه فرد عليهم السلام ثم ان الرجل كلمهم بكلام مثل صفير الطير

فلما سمع جانشاه كلام ذلك الرجل تعجب ثم ان الرجل التفت يمينا وشمالا وبينما هم يتعجبون من ذلك الرجل اذا هوة دانقسم نصفين وراح كل نصف فى ناحية وبينما هم كذلك اذا قبل عليهم اصناف رجال لا تحصى ولا تعد واتوا من جانب الجبل وساروا حتى وصلوا الى العين وصار كل واحد منهم منقسما نصفين ثم انهم اتوا جانشاه والمماليك ليأكلوهم فلما رأهم جانشاه يريدون اكلهم هرب منهم وهربت معه المماليك فتبعهم هؤلاء الرجال فاكلوا من المماليك ثلاثة وبقى ثلاثة مع جانشاه ثم ان جانشاه نزل الى المركب ومعه الثلاثة المماليك ودفعوا المركب الى وسط البحر وساروا ليلا ونهارا وهم لا يعرفون اين تذهب بهم المركب ثم انهم ذبحوا الغزالة وصاروا يقتاتون منها فضربتهم الرياح فالقتهم الى جزيرة اخرى فنظروا الى تلك الجزيرة فرأوا فيها اشجارا وانهارا واثمارا وبساتين وفيها من جميع الفواكه والانهار تجرى من تحت تلك الاشجار وهى كأنها الجنة فلما رأى جانشاه تلك الجزيرة اعجبته وقال للمماليك من فيكم يطلع هذه الجزيرة وينظر لنا خبرها فقال مملوك منهم انا اطلع واكشف لكم عن خبرها وارجع اليكم فقال جانشاه هذا امر لا يكون وانما تطلعون انتم الثلاثة وتكشفون لنا عن خبر هذه الجزيرة وانا قاعد لكم فى المركب حتى ترجعوا ثم ان جانشاه انزل الثلاثة المماليك ليكشفوا عن خبر الجزيرة فطلع المماليك الى الجزيرة وادركهم الشهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان المماليك لما طلعوا الى الجزيرة داروا فيها شرقا وغربا فلم يجدوا فيها احدا ثم مشوا فيها الى وسطها فرأوا على بعد قلعة من الرخام الابيض وبيوتها من البلور الصافى وفى وسط تلك القلعة بستان فيه من جميع الفواكه اليابسة والرطبة ما يكل عنه الوصف وفيه جميع المشموم وراوا فى تلك القلعة اشجارا واثمارا واطيارا تناغى على تلك الاشجار وفيها بحيرة عظيمة وبجانب البحيرة ايوان عظيم وعلى ذلك الايوان كراسى منصوبة وفى وسط تلك الكراسى تخت منصوب من الذهب الاحمر مرصع بانواع الجواهر واليواقيت فلما رأى المماليك حسن تلك القلعة وذلك البستان داروا فى تلك القلعة يمينا وشمالا فلم يجدوا فيها احدا ثم طلعوا من القلعة ورجعوا الى جانشاه واعلموه بما راوه فلما سمع جانشاه ابن الملك منهم ذلك الخبر قال لهم انى لا بد لى من ان اتفرج فى هذه القلعة ثم ان جانشاه طلع من المركب وطلعت معه المماليك وساروا حتى اتوا القلعة ودخلوا فيها فتعجب جانشاه من حسن ذلك المكان ثم داروا يتفرجون فى البستان ويأكلون من تلك الفواكه ولم يزالوا دائرين الى وقت المساء ولما امسى عليهم المساء اتوا الى الكراسى المنصوبة وجلس جانشاه على التخت المنصوب فى الوسط وصارت الكراسى منصوبة عن يمينه وشماله ثم ان جانشاه لما جلس على ذلك التخت صار يتفكر ويبكى على فراق تخت والده وعلى فراق بلاده واهله واقاربه وبكت حوله الثلاثة المماليك فبينما هم فى ذلك الامر اذا بصيحة عظيمة من جانب البحر فالتفتوا الى جهة تلك الصيحة فاذا هم قردة كالجراد المنتشر وكانت تلك القلعة والجزيرة للقردة ثم ان هؤلاء القردة لما رأوا المركب التى اتى فيها جانشاه خسفوها على شاطئ البحر واتوا جانشاه وهو جالس فى القلعة ثم قالت ملكة الحيات كل هذا ياحاسب مما يحكيه الشاب الجالس بين القبرين لبلوقيا فقال لها احاسب وما فعل جانشاه مع القردة بعد ذلك قالت له ملكة الحيات لما طلع جانشاه وجلس على التخت والمماليك عن يمينه وشماله اقبل عليهم القردة فافزعوهم واخافوهم خوفا عظيما ثم دخلت

جماعة من القردة وتقدموا الى ان قربوا من التخت الجالس عليه جانشاه وقبلوا الارض قدامه ووضعوا ايديهم على صدورهم ووقفوا قدامه ساعة وبعد ذلك اقبلت جماعة منهم ومعهم غزلان فذبحوها وانوا بها الى القلعة وسلخوها وقطعوا لحمها وشووها حتى طابت للاكل وحطوها فى صوان من الذهب والفضة ومدوا الاسماط واشاروا الى جانشاه وجماعته ان يأكلوا فنزل جانشاه من فوق التخت واكل واكلت معه القرود والمماليك حتى اكتفوا من الاكل ثم ان القرود رفعوا اسماط الطعام وانوا بفاكهة فاكلوا منها وحمدوا الله تعالى ثم ان جانشاه اشار الى اكابر القرود وقال لهم ما شأنكم ولمن هذا المكان فقال له القرود بالاشارة اعلم ان هذا المكان كان لسيدنا سليمان بن داود عليهما السلام وكان يأتى اليه فى كل سنة مرة يتفرج فيه ويروح من عندنا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان جانشاه اخبره القرود عن القلعة وقالوا له ان هذا المكان كان لسيدنا سليمان بن داود وكان يأتى اليه فى كل سنة يتفرج فيه ويروح من عندنا ثم قال له القرود واعلم ايها الملك انك بقيت علينا سلطانا ونحن فى خدمتك وكل واشرب وكلما امرتنا به نفعله ثم قام القرود وقبلوا الارض بين يديه وانصرف كل واحد منهم الى حال سبيله ونام جانشاه فوق التخت ونام المماليك حوله على الكراسى الى وقت الصباح ثم دخل عليه الاربعة وزراء الرؤساء على القرود وعساكرهم حتى امتلأ ذلك المكان وصاروا حوله صفا بعد صف واتت الوزراء واشاروا الى جانشاه ان يحكم بينهم بالصواب ثم صاح القرود على بعضهم وانصرف قراوبقى منهم جانب قدام الملك جانشاه من اجل الخدمة ثم بعد ذلك اقبل قرود معهم كلاب فى صورة الخيل وفى رأس كل كلب منهم سلسلة فتعجب جانشاه من هؤلاء الكلاب ومن عظم خلقتها ثم ان وزراء القرود اشاروا لجانشاه ان يركب ويسير معهم فركب جانشاه والثلاثة مماليك وركب معهم عسكر القرود وصاروا مثل الجراد المنتشر وبعضهم راكب وبعضهم ماش فتعجب من امورهم ولم يزالوا سائرين الى شاطئ البحر فلما رأى جانشاه المركب التى كان راكبا فيها قد خسفت التفت الى وزرائه من القرود وقال لهم اين المركب التى كانت هنا فقالوا له اعلم ايها الملك انكم لما اتيتم الى جزيرتنا علمنا انك تكون سلطانا علينا وخفنا ان تهربوا منا اذا اتينا عندكم وتنزلوا المركب فمن اجل ذلك خسفناها فلما سمع جانشاه هذا الكلام التفت الى المماليك وقال لهم ما بقى لنا حيلة فى الرواح من عند هؤلاء القرود ولكن نصبر لما قدره الله تعالى ثم ساروا ومازالوا سائرين حتى وصلوا الى شاطئ نهر وفى جانب ذلك النهر جبل عال فنظر جانشاه الى ذلك الجبل فرأى فيه غيلانا كثيرة فالتفت الى القرود وقال لهم ما شأن هؤلاء الغيلان فقال له القرود اعلم ايها الملك ان هؤلاء الغيلان اعدا ؤنا ونحن اتينا لنقاتلهم فتعجب جانشاه من هؤلاء الغيلان ومن عظم خلقتهم وهم راكبون على الخيل ورؤس بعضهم على صورة رؤس البقر وبعضهم على صورة الجمال فلما رأى الغيلان عسكر القرود هجموا عليهم ووقفوا على شاطئ النهر وصاروا يرجمونهم بشئ من الحجارة فى صورة العوامير وحصل بينهم حرب عظيم فلما رأى جانشاه الغيلان غلبوا القرود زعق على المماليك وقال لهم اطلعوا التمى والنشاب وارموا عليهم بالنبال حتى تقتلوهم وتردوهم عنا ففعل المماليك ما امرهم به جانشاه حتى حصل للغيلان كرب عظيم وقتل منهم خلق كثير وانهزموا وولوا هاربين فلما رأى القرود من جانشاه هذا الامر نزلوا فى النهر وعدوه

وجانشاه معهم وطردوا الغيلان حتى غابوا عن اعينهم وانهزموا وقتل منهم كثير ولم يزل جانشاه والقرود سائرين حتى وصلوا الى جبل عال فنظر جانشاه الى ذلك الجبل فوجد فيه لوحا من المرمر مكتوبا فيه اعلم يا من دخل هذه الارض انك تصير سلطانا على هؤلاء القرود وما يتأتى لك رواح من عندهم الا ان رحت من الدرب الشرقي بناحية الجبل وطوله ثلاثة اشهر وانت سائر بين الوحوش والغيلان والمردة والعفاريت وبعد ذلك تنتهي الى البحر المحيط بالدنيا او رحت من الدرب الغربي وطوله اربعة اشهر وفي رأسه وادي النمل فاذا وصلت الى وادي النمل ودخلت فيه فاحترز على نفسك من هذا النمل حتى تنتهي الى جبل عال وذلك الجبل يتوقد مثل النار ومسيرته عشرة ايام فلما رأى جانشاه ذلك اللوح وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان جانشاه لما رأى ذلك اللوح قرأه ورأى فيه ما ذكرناه ورأى في اخر الكلام ثم تنتهي الى نهر عظيم وهو يجري وجريانه يخطف البصر من شدة عزمه وذلك النهر في كل سبت يبس وبجانبه مدينة اهلها كلهم يهود ولدين محمد يحمد ما فيهم مسلم ابدا وما في هذه الارض الا هذه المدينة وما دمت مقيما عند القرود هم منصورون على الغيلان واعلم ان هذا اللوح كتبه السيد سليمان ابن داود عليهما السلام فلما قرأه جانشاه بكى بكاء شديدا ثم التفت الى مماليكه واعلمهم بما هو مكتوب على اللوح وبعد ذلك ركب وركب حوله عساكر القرود وصاروا فرحانين بالنصر على اعدائهم ورجعوا الى قلعتهم ومكث جانشاه في القلعة سلطانا على القرود سنة ونصفا ثم بعد ذلك امر جانشاه عساكر القرود ان يركبوا للصيد والقنص فركبوا وركب معهم جانشاه ومماليكه وساروا في البراري والقفار ولم يزالوا سائرين من مكان الى مكان حتى عرف وادي النمل ورأى الامارة المكتوبة في اللوح المرمر فلما رأى ذلك امرهم ان ينزلوا في ذلك المكان فنزلوا ونزلت عساكر القرود ومكثوا في اكل وشرب مدة عشرة ايام ثم اختلى جانشاه بمماليكه ليلة من الليالي وقال لهم اني اريد ان اهرب واروح الى وادي النمل وانسير الى مدينة اليهود لعل الله ينجينا من هؤلاء القرود ونروح الى حال سبيلنا فقالوا له سمعا وطاعة ثم انه صبر حتى مضى من الليل شيء قليل وقام وقامت معه المماليك وتسلحوا باسلحتهم وحزموا اوساطهم بالسيوف واخذوا جروما اشبه ذلك من الات الحرب وخرج جانشاه هو ومماليكه وساروا من اول الليل الى وقت الصبح فلما انتبه القرود من نومهم لم يروا جانشاه ولا مماليكه فعلموا انهم هربوا منهم فقامت جماعة من القرود وركبوا وساروا الى ناحية الدرب الشرقي وجماعة ركبوا وساروا الى وادي النمل فبينما القرود سائرون اذ نظروا جانشاه والمماليك معه وهم مقبلون على وادي النمل فلما رأوهم اسرعوا وراءهم فلما نظرهم جانشاه هرب وهربت معه المماليك ودخلوا وادي النمل فما مضت ساعة من الزمان الا والقرود قد هجمت عليهم واراد وا ان يقتلوا جانشاه هو ومماليكه واذا هم بنمل قد خرج من تحت الارض مثل الجراد المنتشر كل نملة منه قدر الكلب فلما رأى النمل القرود هجم عليهم واكل منهم جماعة وقتل من النمل جماعة كثيرة لكن حصل النصر للنمل وصارت النملة تأتي الى القرد وتضربه فتقسمه نصفين وصار العشرة قرود يركبون النملة الواحدة ويمسكونها ويقسمونها نصفين ووقع بينهم حرب عظيم الى وقت المساء ولما امسى الوقت هرب جانشاه هو والمماليك في بطن الوادي وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه لما اقبل المساء هرب جانشاه هو ومماليكه في بطن الوادي الى الصباح فلما اصبح الصباح اقبل القرود على جانشاه فلما رأهم زعق على مماليكه وقال لهم اضربوهم بالسيوف فسحب المماليك سيوفهم وجعلوا يضربون القرود يمينا وشمالا فتقدم قرد عظيم له اناب مثل اناب الفيل واتى الى واحد من المماليك وضربه فقسمه نصفين وتكاثرت القرود على جانشاه فهرب الى اسفل الوادي ورأى هناك نهرا عظيما وبجانبه تل عظيم فلما رأى التل جانشاه مقبلا عليه احتاط به واذا بمملوك ضرب تلة بالسيف فقسمها نصفين فلما رأت عساكر التل ذلك تكاثروا على المملوك وقتلوه فبينما هم في هذا الامر واذا بالقرود قد اقبلوا من فوق الجبل وتكاثروا على جانشاه فلما رأى جانشاه اندفاعهم عليه نزع ثيابه ونزل النهر ونزل معه المملوك الذي بقي وعاما في الماء الى وسط النهر ثم ان جانشاه رأى شجرة في شاطئ النهر من الجهة الاخرى فديده الى غصن من اغصانها وتناوله وتعلق به وطلع الى البر واما المملوك فانه غلب عليه التيار فاخذه وقطعه في الجبل وصار جانشاه واقفا وحده في البر بعصر ثيابه وينشفهما في الشمس ووقع بين القرود والتل قتال عظيم ثم رجع القرود الى بلادهم هذا ما كان من امر القرود والتل واما ما كان من امر جانشاه فانه صار يبكي الى وقت المساء ثم دخل مغارة واستكن فيها وقد خاف خوفا شديدا واستوحش لفقد مماليكه ثم نام في تلك المغارة الى الصباح ثم سار ولم يزل سائرا ليالي واياما وهو يأكل من الاعشاب حتى وصل الى الجبل الذي يتوقد مثل النار فلما اتى اليه سار فيه حتى وصل الى النهر الذي ينشف في كل يوم سبت فلما وصل الى ذلك النهر رأه نهرا عظيما وبجانبه مدينة عظيمة وهي مدينة اليهود التي رأها مكتوبة في اللوح فاقام هناك الى ان اتى يوم السبت ونشف النهر ثم مشى من النهر حتى وصل الى مدينة اليهود فلم ير فيها احدا فمشى فيها حتى وصل الى باب بيت ففتحه ودخله فرأى اهله ساكتين لا يتكلمون ابدا فقال لهم اني رجل غريب جائع فقالوا له بالاشارة كل واشرب ولا تتكلم فقعد عندهم واكل وشرب ونام تلك الليلة فلما اصبح الصباح سلم عليه صاحب البيت ورحب به وقال له من اين اتيت والى اين رايح فلما سمع جانشاه كلام ذلك اليهودي بكى بكاء شديدا وحكى له قصته واخبره بمدينة ابيه فتعجب اليهودي من ذلك وقال له ما سمعنا بهذه المدينة قط غير اننا كنا نسمع من قوافل التجار ان هناك بلادا تسمى بلاد اليمن فقال جانشاه لليهودي هذه البلاد التي تخبر بها التجار لا تبعد عن هذا المكان فقال له اليهودي ان تجار تلك القوافل يزعمون ان مدة سفرهم من بلادهم الى هنا سنتان وثلاثة اشهر فقال جانشاه لليهودي ومتى تأتي القافلة فقال له تأتي في السنة القابلة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان جانشاه لما سأل اليهودي عن مجيء القافلة قال له تأتي في السنة القابلة فلما سمع جانشاه كلامه بكى بكاء شديدا وحزن على نفسه وعلى مماليكه وعلى فراق امه وابيه وعلى ما جرى له في سفره فقال له اليهودي لا تبك يا شاب واقعد عندنا حتى تأتي القافلة ونحن نرسلك معها الى بلادك فلما سمع جانشاه ذلك الكلام قعد عند اليهودي مدة شهرين وصار في كل يوم يخرج الى ازقة المدينة ويتفرج فيها فاتفق انه خرج على عادته يوما من الايام ودار في شوارع المدينة يمينا وشمالا فسمع رجلا ينادي ويقول من يأخذ الف دينار وجارية حسناء بديعة الحسن والجمال ويعمل لي شغلا من وقت الصبح

الى وقت الظهر فلم يجبه احد فلما سمع جانشاه كلام المنادى قال فى نفسه لولا ان هذا الشغل خطر ما كان صاحبه يعطى الف دينار وجارية حسناء فى شغل من الصبح الى الظهر ثم ان جانشاه تمشى الى المنادى وقال له انا اعمل هذا الشغل فلما سمع المنادى من جانشاه هذا الكلام اخذه واتى به الى بيت عال فدخل هو وجانشاه ذلك البيت فوجده بيتا عظيما ووجد هناك رجلا يهوديا تاجرا جالسا على كرسى من الابنوس فوقف المنادى قدامه وقال له ايها التاجر ان لى ثلاثة شهور وانا انادى فى المدينة فلم يجبنى احد الا هذا الشاب فلما سمع التاجر كلام المنادى رحب بجانشاه واخذه ودخل به الى مكان نفيس واشار الى عبيده ان يأتوا له بالطعام فمدوا السماط واتوا بانواع الاطعمة فاكل التاجر وجانشاه وغسلا ايديهما واتوا بالمشروب فشربا ثم ان التاجر قام واتى لجانشاه بكيس فيه الف دينار واتى له بجارية بديعة الحسن والجمال وقال له خذ هذه الجارية وهذا المال فى الشغل الذى تعمله فاخذ جانشاه الجارية والمال واجلس الجارية بجانبه وقال له التاجر فى غد اعمل لنا الشغل ثم ذهب التاجر من عنده ونام جانشاه هو والجارية فى تلك الليلة ولما اصبح الصباح راح الى الحمام فامر التاجر عبيده ان يأتوا اليه ببدلة من الحرير فاتوا له ببدلة نفيسة من الحرير وصبروا حتى خرج من الحمام والبسوه البدلة واتوا به الى البيت فامر التاجر عبيده ان يأتوا بالجنك والعود والمشروب فاتوا اليهما بذلك فشربا ولعبا وضحكا الى ان مضى من الليل نصفه وبعد ذلك ذهب التاجر الى حريمه ونام جانشاه مع الجارية الى وقت الصباح ثم راح الى الحمام فلما رجع من الحمام جاء اليه التاجر وقال انى اريد ان تعمل لنا الشغل فقال جانشاه سمعا وطاعة فامر التاجر عبيده ان يأتوا ببغلتين فاتوه ببغلتين فركب بغلة وامر جانشاه ان يركب البغلة الثانية فركبها ثم ان جانشاه والتاجر سارا من وقت الصباح الى وقت الظهر حتى وصلا الى جبل عال ماله حد فى العلو فنزل التاجر من فوق ظهر البغلة وامر جانشاه ان ينزل فنزل جانشاه ثم ان التاجر ناول جانشاه سكينا وحبلا وقال له اريد منك ان تذبح هذه البغلة فشمر جانشاه ثيابه واتى الى البغلة ووضع الحبل فى اربع قوائمها ورماها على الارض واخذ السكين وذبحها وسلخها وقطع اربعتها ورأسها وصارت كرم لحم فقال له التاجر امر تلك ان تشق بطنها وتدخل فيه واخيط عليك وتقعد هناك ساعة من الزمان ومهما تراه فى بطنها فاخبرنى به فشق جانشاه بطن البغلة ودخل وخاطه عليه التاجر ثم تركه وبعد عنه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان التاجر لما خاط بطن البغلة على جانشاه تركه وبعد عنه واختفى فى ذيل الجبل وبعد ساعة نزل على البغلة طائر عظيم فاختطفها وطار ثم حط بها على اعلا الجبل واراد ان يأكلها فحس جانشاه بالطائر فشق بطن البغلة وخرج منها فلما رأى الطائر ما رأى جانشاه وطار وراح الى حال سبيله فقام جانشاه على قدميه وصار ينظر يمينا وشمالا فلم ير احدا الا رجالا ميتة يابسة من الشمس فلما رأى ذلك قال فى نفسه لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم انه نظر الى اسفل الجبل فرأى التاجر واقفا تحت الجبل ينظر الى جانشاه فلما رآه قال له ارم لى من الحجارة التى حولك حتى ادلك على طريق تنزل منها فرمى جانشاه من تلك الحجارة نحو مائتى حجر وكانت تلك الحجارة من الياقوت والزبرجد والجواهر الثمينة ثم ان جانشاه قال للتاجر دلنى على الطريق وانا ارمى لك مرة اخرى فلم التاجر تلك الحجارة وحملها

على

على البغلة التى كان راكبها وسار ولم يرد له جوابا وبقى جانشاه فوق الجبل وحده فصار يستغيث ويبكى ثم مكث فى الجبل ثلاثة ايام وبعد الثلاثة ايام قام وسار فى عرض الجبل مدة شهرين وهو يأكل من اعناب الجبل ومازال سائرا حتى وصل فى سيره الى طرف الجبل فلما وصل الى ذيل الجبل رأى واديا على بعد وفيه اشجار واثمار واطيار تسبح الله الواحد القهار فلما رأى جانشاه ذلك الوادى فرح فرحا شديدا فقصده ولم يزل ماشيا ساعة من الزمان حتى وصل الى شرم فى الجبل ينزل منه السيل فنزل منه وسار حتى وصل الى الوادى الذى رأه وهو على الجبل فنزل الوادى وصار يتفرج فيه يمينا وشمالا ومازال يمشى ويتفرج حتى وصل الى قصر عال شاهق فى الهواء فتقرب جانشاه من ذلك القصر حتى وصل الى بابه فرأى شيخا مليح الهيئة بلمع النور من وجهه ويده عكاز من الياقوت وهو واقف على باب القصر فمشى جانشاه حتى قرب منه وسلم عليه فرد عليه السلام ورحب به وقال له اجلس يا ولدى فجلس جانشاه على باب ذلك القصر ثم ان الشيخ سأله وقال له من اين اتيت الى هذه الارض وابن آدم ما داسها قط والى اين رايح فلما سمع جانشاه كلام الشيخ بكى بكاء شديدا من كثرة ما قاساه وخنقه البكاء فقال له الشيخ يا ولدى اترك البكاء فقد اوجعت قلبى ثم قام الشيخ واتى اليه بشئ من الاكل وحطه قدامه وقال له كل من هذا فاكل جانشاه حتى اكتفى وحمد الله تعالى ثم ان الشيخ بعد ذلك سأل جانشاه وقال له يا ولدى اريد منك ان تحكى لى حكايتك وتخبرنى بما جرى لك فحكى له حكايته واخبره بجميع ما جرى له من اول الامر الى ان وصل اليه فلما سمع كلامه تعجب منه عجبا شديدا فقال جانشاه للشيخ اريد منك ان تخبرنى بصاحب هذا الوادى ولمن هذا القصر العظيم فقال الشيخ لجانشاه اعلم يا ولدى ان هذا الوادى وما فيه وذلك القصر وما حواه للسيد سليمان بن داود عليهما السلام وانا اسمى الشيخ نصر ملك الطيور واعلم ان السيد سليمان وكانى بهذا القصر وادر لك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشيخ نصر ملك الطيور قال لجانشاه واعلم ان السيد سليمان وكانى بهذا القصر وعلمنى منطق الطير وجعلنى حاكما على جميع الطير الذى فى الدنيا وفى كل سنة يأتى الطير الى هذا القصر وتنظره ويرح وهذا سبب قعودى فى هذا المكان فلما سمع جانشاه كلام الشيخ نصر بكى بكاء شديدا وقال له يا والدى كيف تكون حيلتى حتى اروح الى بلادى فقال له الشيخ اعلم يا ولدى انك بالقرب من جبل قاف وليس لك رواح من هذا المكان الا اذا اتت الطيور واوصى عليك واحدا منها فيوصلك الى بلادك فاقعد عندى فى هذا القصر وكل واشرب وتفرج فى هذه المقاصير حتى تأتى الطيور فقعد جانشاه عند الشيخ وصار يدور فى الوادى ويأكل من تلك الفواكه ويتفرج ويضحك ويلعب ولم يزل مقيما فى اذ العيش مدة من الزمان حتى قرب مجيء الطيور من اماكنها لزيارة الشيخ نصر فلما علم الشيخ نصر بمجيء الطيور قام على قدميه وقال لجانشاه يا جانشاه خذ هذه المفاتيح وافتح المقاصير التى فى هذا القصر وتفرج على ما فيها الا المقصورة القلانية فاحذر ان تفتحها ومتى خالفتنى وفتحتها ودخلتها لا يحصل لك خير ابدا ووصى جانشاه بهذه الوصية واكد عليه فيها وسار من عنده لملاقاة الطيور فلما نظرت الطيور الشيخ نصر اقبلت عليه وقبلت يديه جنسا بعد جنس هذا ما كان من امر الشيخ نصر واما ما كان من امر جانشاه فانه قام على قدميه وصار دائرا يتفرج على القصر يمينا وشمالا وفتح جميع المقاصير التى فى القصر حتى وصل الى

المقصورة التى حذره الشيخ نصر من فتحها فنظر الى باب تلك المقصورة فاعجبه ورأى عليه قفلا من الذهب فقال فى نفسه ان هذه المقصورة احسن من جميع المقاصير التى فى القصر ياترى ما يكون فى هذه المقصورة حتى منعنى الشيخ نصر من الدخول فيها فلا بد لى من ان ادخل هذه المقصورة وانظر الذى فيها وما كان مقدرا على العبد لابد ان يستوفيه ثم مد يده وفتح المقصورة ودخلها فرأى فيها بحيرة عظيمة وبجانب البحيرة قصر صغير وهو مبنى من الذهب والفضة والبلور وشبابيكه من الياقوت ورخامه من الزبرجد الاخضر والبلخش والزمرد والجواهر مرصعة فى الارض على هيئة الرخام وفى وسط ذلك القصر فسقية من الذهب ملانة بالماء وحول تلك الفسقية وحوش وطيور مصنوعة من الذهب والفضة يخرج من بطونها الماء واذا هب النسيم يدخل فى اذانها فتصفر كل صورة بلغتها وبجانب الفسقية ليوان عظيم وعليه تخت عظيم من الياقوت مرصع بالدر والجواهر وعلى ذلك التخت خيمة منصوبة من الحرير الاخضر مزركشة بالفصوص والمعادن الفاخرة ومقدار سعتها خمسون ذراعا ودخل تلك الخيمة مخدع فيه البساط الذى كان للسيد سليمان عليه السلام ورأى جانشاه حول ذلك القصر بستانا عظيما وفيه اشجار واثمار وانهار وفى دائر القصر مزارع من الورد والريحان والنسرين ومن كل مشموم واذا هبت الرياح على الاشجار تمايلت تلك الاغصان ورأى جانشاه فى ذلك البستان من جميع الاشجار رطبا ويابسا وكل ذلك فى تلك المقصورة فلما رأى جانشاه هذا الامر تعجب منه غاية العجب وصار يتفرج فى ذلك البستان وفى ذلك القصر على ما فيهما من العجائب والغرائب ونظر الى البحيرة فرأى حصاها من الفصوص النفيسة والجواهر الثمينة والمعادن الفاخرة ورأى فى تلك المقصورة شيأ كثيرا وادرك الشهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان جانشاه رأى فى تلك المقصورة شيأ كثيرا فتعجب منه ثم تمشى حتى دخل القصر الذى فى تلك المقصورة وطلع على التخت المنصوب على الليوان بجانب الفسقية ودخل الخيمة المنصوبة فوقه ونام فى تلك الخيمة مدة من الزمان ثم افاق وقام يتمشى حتى خرج من باب القصر وجلس على كرسى قدام باب القصر وهو يتعجب من حسن ذلك المكان فبينما هو جالس اذ اقبل عليه من الجو ثلاثة طيور فى صفة الحمام ثم ان الطيور حطوا بجانب البحيرة ولعبوا ساعة وبعد ذلك نزعوا ما عليهم من الريش فصاروا ثلاث بنات كانهن الاقمار ليس لهن فى الدنيا شبيه ثم نزلن البحيرة وسبحن فيها ولعبن وضحكن فلما رأهن جانشاه تعجب من حسنهن وجمالهن واعتدال قدودهن ثم طلعن الى البر ودرن يتفرجن فى البستان فلما رأهن جانشاه طلعن الى البر كاد عقله ان يذهب وقام على قدميه وتمشى حتى وصل اليهن فلما قرب منهن سلم عليهن فردد عليه السلام ثم انه سألهن وقال لهن من انتن ايها السيدات الفاخرات ومن اين اقبلتن فقالت له الصغيرة نحن اتينا من ملكوت الله تعالى لنتفرج فى هذا المكان فتعجب من حسنهن ثم قال للصغيرة ارحمينى وتعطفى على وارثى لحالى وما جرى لى فى عمرى فقالت له دع عنك هذا الكلام واذهب الى حال سبيلك فلما سمع جانشاه منها هذا الكلام بكى بكاء شديدا واشتدت به الزفرات وانشد هذه الابيات

بدت لى فى البستان بالحلل الخضر * مفككة الازرار محلولة الشعر

فقلت

فقلت لها ما الاسم قالت انا التى * كويت قلوب العاشقين على الجمر
شكوت اليها ما لقيت من الهوى * فقالت الى صخر شكوت ولم تدر
فقلت لها ان كان قلبك صخرة * فقد اتبع الله الزلال من الصخر

فلما سمع البنات هذا الشعر من جانشاه ضحكن ولعبن وغنين وطربن ثم ان جانشاه اتى اليهن بشئ من الفواكه فاكان وشربن وغنى مع جانشاه تلك الليلة الى الصباح فلما اصبح الصباح لبسن البنات ثيابهن الريش وصرن فى هيئة الحمام وطرن ذاهبات الى حال سبيلهن فلما رأهن جانشاه طايرات وقد غبن عن عيونه كاد عقله ان يطير معهن وزعق زعقة عظيمة ووقع مغشيا عليه ومكث فى غشيته طول ذلك اليوم فبينما هو طريح على الارض واذا بالشيخ نصر قد اتى من ملاقاة الطيور وقتش على جانشاه ليرسله مع الطيور ويروح الى بلاده فلم يره فعلم الشيخ نصر انه دخل المقصورة وقد كان الشيخ نصر قال للطيور ان عندى ولدا صغيرا جاءت به المقادير من بلاد بعيدة الى هذه الارض واريد منكم ان تحملوه وتوصلوه الى بلاده فقالوا له سمعا وطاعة ولم يزل الشيخ نصر يفتش على جانشاه حتى اتى الى باب المقصورة التى نهاه عن فتحها فوجده مفتوحا فدخل فرأى جانشاه مرميا تحت شجرة وهو مغشى عليه فاتاه بشئ من المياه العطرية ورشه على وجهه فافاق من غشيته وصار يلتفت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة العاشرة بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشيخ نصر لما رأى جانشاه مرميا تحت شجرة اتاه بشئ من المياه العطرية ورشه على وجهه فافاق من غشيته وصار يلتفت يمينا وشمالا فلم ير عنده احدا سوى الشيخ نصر فزادت به الحسرات وانشد هذه الابيات

تبدت كبدر التم فى ليلة السعد * منعمة الاطراف ممشوقة القد
لها مقلة تسبى العقول بسحرها * وثغر حكى الياقوت فى حمرة الورد
تحدر فوق الردف اسود شعرها * فاياك اياك الحباب من الجعد
لقد رقت الاعطاف منها وقلبها * على صبها اقسى من الحجر الصلد
وترسل سهم اللحظ من قوس حاجب * يصيب ولم يخطئ ولو كان من بعدى
فيا حسنها قد فاق كل ملاحة * وليس لها بين البرية من ند

فلما سمع الشيخ نصر من جانشاه هذه الاشعار قال له يا ولدى اما قلت لك لا تفتح هذه المقصورة ولا تدخلها ولكن اخبرنى يا ولدى بما رأيت فيها واحك لى حكايتك وعرفنى ما جرى لك فحكى له جانشاه حكايته واخبره بما جرى له مع الثلاث بنات وهو جالس فلما سمع الشيخ نصر كلامه قال له اعلم يا ولدى ان هذه البنات من بنات الجان وفى كل سنة يأتين الى هذا المكان فيلعبن وينشرحن الى وقت العصر ثم يذهبن الى بلادهن فقال له جانشاه واين بلادهن فقال له الشيخ نصر والله يا ولدى ما اعلم اين بلادهن ثم ان الشيخ نصر قال له قم معى وقو نفسك حتى ارسلك الى بلادك مع الطيور وخل عنك هذا العشق فلما سمع جانشاه كلام الشيخ نصر صرخ صرخة عظيمة ووقع مغشيا عليه فلما افاق قال له يا والدى انا لا اريد الرواح الى بلادى حتى اجتمع بهذه البنات واعلم يا والدى انى ما بقيت اذكر اهلى ولو اموت بين يديك ثم بكى وقال انا رضيت بان انظر وجه

من عشقتها ولو فى السنة مرة واحدة ثم صعد الزفرات وانشد هذه الابيات

ليت الخيال على الاحباب ما طرق * وليت هذا الهوى للناس ما خلق
لولا حرارة قلبى من تذكركم * ما سال دمعى على خدى ولا اندفق
اصبر القلب فى يومى وليلته * وصار جسمى بنار الحب محترقا

ثم ان جانشاه وقع على رجلى الشيخ نصر وقبلهما وبكى بكاء شديدا وقال له ارحمنى يرحمك الله واعنى على بلوتى يعينك الله فقال له الشيخ نصر يا ولدى والله لا اعرف هذه البنات ولا ادرى اين بلادهن ولكن يا ولدى حيث توليت باحداهن فاقعد عندى الى مثل هذا العام لانهن يأتين فى السنة القابلة مثل هذا اليوم فاذا قربت الايام التى يأتين فيها فكن مستخفيا فى البستان تحت شجرة ولما ينزلن البحيرة ويسبحن فيها ويلعبن ويبعدون عن ثيابهن فخذ ثياب التى تريدها منهن فاذا انقارنك يطلعن الى البر ليلبسن ثيابهن وتقول لتلك التى اخذت ثيابها بعذوبة كلام وحسن ابتسام اعطنى ثيابى يا اخت حتى البسها واستترها ومتى قبلت كلامها واعطيتها ثيابها فانك لا تبلغ مرادك منها ابدا بل تلبس ثيابها وتروح الى اهلها ولا تنظرها بعد ذلك ابدا فاذا ظفرت بثيابها فاحفظها وحطها تحت ابطك ولا تعطها اياها حتى ارجع من ملاقاة الطيور واوفق بينك وبينها وارسلك الى بلادك وهى معك وهذا الذى اقدر عليه يا ولدى لا غير وادر لك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية عشر بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشيخ نصر قال لجانشاه احفظ ثياب التى تريدها ولا تعطها اياها حتى ارجع من ملاقات الطيور وهذا الذى اقدر عليه يا ولدى لا غير فلما سمع جانشاه كلام الشيخ نصر اطمأن قلبه وقعد عنده الى ثانى عام وصار بعد الماضى من الايام التى تأتى الطيور عقبها فلما جاء ميعاد مجىء الطيور اتى الشيخ نصر الى جانشاه وقال له اعمل بالوصية التى اوصيتك بها من امر ثياب البنات فانى ذاهب الى ملاقاة الطيور فقال جانشاه سمعا وطاعة لامرك يا والدى ثم ذهب الشيخ نصر الى ملاقاة الطيور وبعد ذهابه قام جانشاه وتمشى حتى دخل البستان واختفى تحت شجرة بحيث لا يراه احد وقعد اول يوم وثانى يوم وثالث يوم فلم تأت اليه البنات فقلق وصار فى بكاء وانين ناشئ عن قلب حزين ولم يزل يبكى حتى اغمى عليه ثم بعد ساعة افاق وجعل ينظر تارة الى السماء وتارة ينظر الى الارض وتارة ينظر الى البحيرة وتارة ينظر الى البر وقلبه يرتجف من شدة العشق فبينما هو على هذه الحالة اذا قبل عليه من الجو ثلاث طيور فى صفة الحمام ولكن كل حمامة قدر النسر ثم انهن نزلن بجانب البحيرة وتلفتن يمينا وشمالا فلم يرين احدا من الانس ولا من الجن فنزعن ثيابهن ونزلن البحيرة وصرن يلعبن ويضحكن وينشرحن وهن عرايا كسبايك الفضة ثم ان الكبيرة فيهن قالت لهن اخشى يا اخواتى ان يكون احد مختفيا فى هذا القصر فقالت الوسطى منهن يا اختى ان هذا القصر من عهد سليمان ما دخله انس ولا جن فقالت الصغيرة منهن وهى تضحك والله يا اخواتى ان كان احد مختفيا فى هذا المكان فانه لا يأخذ الا انا ثم انهن لعبن وضحكن وقلب جانشاه يرتجف من فرط الغرام وهو مختف تحت الشجرة ينظرهن وهن لا ينظرنه ثم انهن سبحن فى الماء حتى وصلن الى وسط البحيرة وبعدن عن ثيابهن فقام جانشاه على قدميه وهو يجرى كالبرق الخاطف واخذ ثياب البنت الصغيرة وهى التى تعلق قلبه بها وكان اسمها شمسه فلما التفتت رأت

جانشاه فارتجفت قلوبهن واستترن منه بالماء واتين الى قرب البر ثم نظرن الى وجه جانشاه فرأينه كانه البدر فى ليلة تمامه فقلن له من انت وكيف اتيت الى هذا المكان واخذت ثياب السيدة شمسة فقال لهن تعالين عندى حتى احكى لكن ماجرى لى فقالت السيدة شمسة ماخبرك ولاى شئ اخذت ثيابى وكيف عرفتنى من دون اخواتى فقال لها جانشاه يانور عينى اطلعى من الماء حتى احكى لك حكايتى واخبرك بماجرى لى واعلمك بسبب معرفتى بك فقالت له ياسيدى وقرة عينى وثمرة فوادى اعطنى ثيابى حتى البسها واستترها واطلع عندك فقال لها جانشاه ياسيدة الملاح ما يمكن انى اعطيك ثيابك واقتل نفسى من الغرام فلا اعطيك ثيابك الا اذا اتى الشيخ نصر ملك الطيور فلما سمعت السيدة شمسة كلام جانشاه قالت له ان كنت لا تعطينى ثيابى فتاخر عنا قليلا حتى يطلع اخواتى الى البر ويلبسن ثيابهن ويعطينى شيأ استتر به فقال لها جانشاه سمعا وطاعة ثم تمشى من عندهن الى القصر ودخله فطلعت السيدة شمسة هى واخواتها الى البر ولبسن ثيابهن ثم ان اخت السيدة شمسة الكبيرة اعطتها ثوبا من ثيابها لا يمكنها الطيران به والبستها اياه ثم قامت السيدة شمسة وهى كالبدر الطالع والغزال الراتع وتمشت حتى وصلت الى جانشاه فرأته جالسا فوق التخت فسلمت عليه وجلست قريبا منه وقالت له ياملیح الوجه انت الذى قتلتنى وقتلت نفسك ولكن اخبرنا بماجرى لك حتى ننظر ماخبرك فلما سمع جانشاه كلام السيدة شمسة بكى حتى بل ثيابه من دموعه فلما علمت انه مغرم بحبها قامت على قدميها واخذته من يده واجلسته بجانبها ومسحت دموعه بكمها وقالت له ياملیح الوجه دع عنك هذا البكاء واحك لى ماجرى لك فحكى لها جانشاه ماجرى له واخبرها بمارأه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية عشر بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان السيدة شمسة قالت لجانشاه احك لى ماجرى لك لاحكى لها جميع ماجرى له فلما سمعت السيدة شمسة منه ذلك الكلام تنهدت وقالت له ياسيدى اذا كنت مغرما بى فاعطنى ثيابى حتى البسها واروح انا واخوانى الى اهلى واعلمهم بماجرى لك فى محبتى ثم ارجع اليك واحملك الى بلادك فلما سمع جانشاه منها ذلك الكلام بكى بكاء شديدا وقال لها ايحل لك من الله ان تقتلينى ظلما فقالت له ياسيدى باى سبب اقتلك ظلما فقال لها لانك متى لبست ثيابك ورحت من عندى فانى اموت من وقتى فلما سمعت السيدة شمسة كلامه ضحكت وضحك اخواتها ثم قالت له طب نفسا وقر عينا فلابد ان اتزوج بك ومالت عليه وعانقته وضمته الى صدرها وقبلته بين عينيه وفى خده وتعانقت هى واياه ساعة من الزمان ثم افترقا وجلسا فوق ذلك التخت فقامت اختها الكبيرة وخرجت من القصر الى البستان فاخذت شيأ من الفواكه والمشموم واتت به اليهم فاكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا وضحكوا ولعبوا وكان جانشاه بديع الحسن والجمال رشيق القد والاعتدال فقالت له السيدة شمسة ياحبيبى والله انى احبك محبة عظيمة وما بقيت افارقك ابدا فلما سمع جانشاه كلامها انشرح صدره وضحك سنه واستمروا يضحكون ويلعبون فبينما هم فى حظ وسرور واذا بالشيخ نصر قد اتى من ملاقاة الطيور فلما اقبل عليهم نهض الجميع اليه قائمين على اقدامهم وسلموا عليه وقبلوا يديه فرحب بهم الشيخ نصر وقال لهم اجلسوا فجلسوا ثم ان الشيخ نصر قال للسيدة شمسة ان هذا الشاب يحبك محبة عظيمة فبالله عليك ان تتوصى به فانه من اكابر الناس ومن ابناء الملوك وابوه يحكم على بلاد كابل وقد حوى ملكا عظيما فلما سمعت السيدة شمسة كلام الشيخ نصر قالت له سمعا

وطاعة لامرك ثم انها قبلت يدى الشيخ نصر ووقفت قدامه فقال لها الشيخ نصر ان كنت صادقة فى قولك فاحلفى لى بالله انك لا تخونينه مادمت فى قيد الحياة فحلفت يمينا عظيما انها لا تخونه ابدا ولا بد ان تتزوج به وبعد ان حلفت قالت اعلم ياشيخ نصر انى لا افارقه ابدا فلما حلفت السيدة شمسة للشيخ نصر صدق يمينها وقال لجانشاه الحمد لله الذى وفق بينك وبينها ففرح جانشاه بذلك فرحا شديدا ثم قعد جانشاه هو والسيدة شمسة عند الشيخ نصر مدة ثلاثة اشهر فى اكل وشرب ولعب وضحك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة عشر بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان جانشاه هو والسيدة شمسة قعدا عند الشيخ نصر ثلاثة اشهر فى اكل وشرب ولعب وحظ عظيم وبعد الثلاثة اشهر قالت السيدة شمسة لجانشاه انى اريد ان نروح الى بلادك وتتزوج بى ونقيم فيها فقال لها سمعا وطاعة ثم ان جانشاه شاور الشيخ نصر وقال له اننا نريد ان نروح الى بلادى واخبره بما قالته السيدة شمسة فقال له الشيخ نصر اذهبا الى بلادك وتوصى بها فقال جانشاه سمعا وطاعة ثم انها طلبت ثوبها وقالت ياشيخ نصر مره ان يعطينى ثوبى حتى البسه فقال له ياجانشاه اعطها ثيابها فقال سمعا وطاعة ثم قام بسرعة ودخل القصر واتى بثوبها واعطاها لها فاخذته منه ولبسته وقالت له ياجانشاه اركب فوق ظهرى وغمض عينيك وسد اذنيك حتى لا تسمع دوى الفلك الدوار وامسك فى ثوبى الريش وانت على ظهرى بيديك واحترس على نفسك من الوقوع فلما سمع جانشاه كلامها ركب على ظهرها ولما ارادت الطيران قال لها الشيخ نصر قفى حتى اصف لك بلاد كابل خوفا عليكما ان تغلطا فى الطريق فوقفت حتى وصف لها البلاد واوصاها بجانشاه ثم ودعهما وودعت السيدة شمسة اختيها وقالت لهما ارجعا الى اهليكما واعلماهم بما جرى لى مع جانشاه ثم انها طارت من وقتها واساعتها وصارت فى الجو مثل هبوب الريح والبرق اللامع وبعد ذلك طارا اختاها وذهبا الى اهلهما واعلماهم بما جرى للسيدة شمسة مع جانشاه ومن حين طارت السيدة شمسة لم تزل طائرة من وقت الضحى الى وقت العصر وجانشاه راكب على ظهرها وفى وقت العصر لاح لها على بعد وادى اشجار وانهار فقالت لجانشاه قصدى ان تنزل فى هذا الوادى لنتفرج على ما فيه من الاشجار والنباتات هذه الليلة فقال لها جانشاه افعلى ما تريدين فنزلت من الجو وحطت فى ذلك الوادى ونزل جانشاه من فوق ظهرها وقبلها بين عينيها ثم جلسا بجانب نهر ساعة من الزمان وبعد ذلك قاما على اقدامهما وصارا دائرين فى الوادى يتفرجان على ما فيه ويأكلان من تلك الاثمار ولم يزالا يتفرجان فى الوادى الى وقت المساء ثم اتيا الى شجرة وناما عندها الى الصباح ثم قامت السيدة شمسة واخبرت جانشاه ان يركب على ظهرها فقال جانشاه سمعا وطاعة ثم ركب على ظهرها وطارت به من وقتها وساعتها ولم تزل طائرة من الصبح الى وقت الظهر فبينما هما سائران اذ نظرا الامارات التى اخبرهما بها الشيخ نصر فلما رأت السيدة شمسة تلك الامارات نزلت من اعلا الجو الى مرج فسيح ذى زرع مليح فيه غزلان رائعة وعيون نابعة واثمار يانعة وانهار واسعة فلما نزلت فى ذلك المرج نزل جانشاه من فوق ظهرها وقبلها بين عينيها فقالت له ياحبيبى وقرة عينى اتدرى المسافة التى سرناها قال لا قالت مسافة ثلاثين شهرا فقال لها جانشاه الحمد لله على السلامة ثم جلس وجلست بجانبه وقعدا فى اكل وشرب ولعب وضحك فبينما هما فى هذا

الامر اذا اقبل عليهما مملوكان احدهما الذى كان عند الخيل لما نزل جانشاه فى مركب الصيد والثانى من المماليك الذين كانوا معه فى الصيد والقنص فلما رأيا جانشاه عرفاه وسلما عليه وقالا له عن اذنك نتوجه الى والدك ونبشره بقدومك فقال لهما جانشاه اذهبا الى ابى واعلماه بذلك واتيانا بالخيام ونحن نقعد فى هذا المكان سبعة ايام لاجل الراحة حتى يجيء الموكب الملاقاتنا وندخل فى موكب عظيم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة عشر بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان جانشاه قال للمملوكين اذهبا الى ابى واعلماه بى واتيانى بالخيام ونحن نقعد فى هذا المكان سبعة ايام لاجل الراحة حتى يجيء الموكب الملاقاتنا وندخل فى موكب عظيم فركب المملوكان خيلهما وذهبا الى ابيه وقالا له البشارة يا ملك الزمان فلما سمع الملك طيغموس كلام المملوكين قال لهما باى شىء تبشرانى هل قدم ابنى جانشاه فقالا نعم ان ابنك جانشاه اتى من غيبته وهو بالقرب منك فى مرج الكرانى فلما سمع الملك كلام المملوكين فرح فرحا شديدا ووقع مغشيا عليه من شدة الفرح فلما افاق امر وزيره ان يخلع على المملوكين كل واحد خلعة نفيسة ويعطى كل واحد منهما قدرا من المال فقال له الوزير سمعا وطاعة ثم قام من وقته واعطى المملوكين ما امره به الملك وقال لهما خذا هذا المال فى نظير البشارة التى اتيتما بها اسواصدقتما فقال المملوكان نحن ما نكذب وكنا فى هذا الوقت قاعدين عنده وسلمنا عليه وقبلنا يديه وامرنا ان نأتى له بالخيام وهو بقعد فى مرج الكرانى سبعة ايام حتى تذهب الامراء والوزراء واكابر الدولة لملاقاته ثم ان الملك قال لهما كيف حال ولدى فقالا له ان ولدك معه حورية كانه خرج بها من الجنة فلما سمع الملك ذلك الكلام امر بدق الكاسات والبوقات فدقت البشائر وارسل الملك طيغموس المبشرين فى جهات المدينة ليبشروا ام جانشاه ونساء الامراء والوزراء واكابر الدولة فانتشر المبشرون فى المدينة واعلموا اهلها بقدوم جانشاه ثم تجهز الملك طيغموس بالعساكر والجيوش وتوجه الى مرج الكرانى فبينما جانشاه جالس والسيدة شمسة بجانبه واذا بالعساكر قد اقبلت عليهما فقام جانشاه على قدميه وتمشى حتى قرب منهم فلما رأته العساكر عرفوه ونزلوا عن خيلهم وترجلوا اليه وسلموا عليه وقبلوا يديه ومازال جانشاه سائرا والعساكر خدامه واحدا بعد واحد حتى وصل الى ابيه فلما نظر الملك طيغموس ولده رمى نفسه عن ظهر الفرس وحضنه وبكى بكاء شديدا ثم ركب وركب ابنه والعساكر عن يمينه وشماله ومازالوا سائرين حتى اتوا الى جانب النهر فنزلت العساكر والجيوش ونصبوا الخيام والصواوين والبيارق ودقت الطبول وزمرت الزمور وضربت الكاسات وزعقت البوقات ثم ان الملك طيغموس امر الفراشين ان يأتوا بخيمة من الحرير الاحمر وينصبوها للسيدة شمسة ففعلوا ما امرهم به وقامت السيدة شمسة وقلعت ثوبها الريش وتمشت حتى وصلت الى تلك الخيمة وجلست فيها فبينما هى جالسة واذا بالملك طيغموس وابنه جانشاه بجانبه اقبلا عليها فلما رأت السيدة شمسة الملك طيغموس قامت على قدميها وقبلت الارض بين يديه ثم جلس الملك واخذ ولده جانشاه عن يمينه والسيدة شمسة عن شماله ورحب بالسيدة شمسة وسأل ابنه جانشاه وقال له اخبرنى بالذى وقع لك فى هذه الغيبة فحكى له جميع ما جرى له من الاول الى الاخر فلما سمع الملك من ابنه هذا الكلام تعجب عجبا شديدا والتفت الى السيدة شمسة وقال الحمد لله الذى

وفقك حتى جمعت بيني وبين ابني ان هذا لهو الفضل العظيم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة عشر بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك طيغموس قال للسيدة شمسة الحمد لله الذي وفقك حتى جمعت بيني وبين ولدي ان هذا لهو الفضل العظيم ولكن اريد منك ان تتمني على ما تشتهينه حتى افعله اكراما لك فقالت له السيدة شمسة تمنيت عليك عمارة قصر في وسط بستان والماء يجري من تحته فقال سمعا وطاعة فبيناهما في الكلام واذا بام جانشاه اقبلت ومعها جميع نساء الامراء والوزراء ونساء اكابر المدينة جميعا فلما رأتها ولدها جانشاه خرج من الخيمة وقابلها وتعانقا ساعة من الزمان ثم ان امه من فرط الفرح اجرت دمع العين وانشدت هذين البيتين

هجم السرور علي حتى انه * من فرط ما قد سر في ابكاني
يا عين صار الدمع منك سجية * تبكين من فرح ومن احزان

ثم شكا لبعضهما ما قاسياه من البعد والم الشوق ثم انتقل والده الى خيمته وانتقل جانشاه هو وامه الى خيمته وجلسا يتحدثان مع بعضهما فبيناهما جالسان اذا قبلت المبشرون بقدوم السيدة شمسة وقالوا لام جانشاه ان شمسة اتت اليك وهي ماشية تريد ان تسلم عليك فلما سمعت ام جانشاه ذلك الكلام قامت على قدميها وقابلتها وسلمت عليها وقعدتا ساعة من الزمان ثم قامت ام جانشاه مع السيدة شمسة وسارت هي واياها ونساء الامراء وارباب الدولة وما زالن سائرات حتى وصلن الى خيمة السيدة شمسة فدخلتها وجلسن فيها ثم ان الملك طيغموس اجزل العطايا واكرم الرعايا وفرح بابنه فرحا شديدا ومكثوا في ذلك المكان مدة عشرة ايام وهم في اكل وشرب واهنى عيش وبعد ذلك امر الملك عساكره ان يرحلوا ويتوجهوا الى المدينة ثم ركب الملك وركبت حوله العساكر والجيوش وصارت الوزراء والحجاب عن يمينه وعن شماله يسايرونه سائرين حتى دخلوا المدينة وذهبت ام جانشاه هي والسيدة شمسة الى منزلهم وتزينت المدينة باحسن زينة ودقت البشائر والكاسات وزوقوا المدينة بالحلي والحلل وفرشوا تحت سنابك الخيل وفرحت ارباب الدولة واظهروا التحف وانبهرت المتفرجون واطعموا الفقراء والمساكين وعملوا فرحا عظيما مدة عشرة ايام وفرحت السيدة شمسة فرحا شديدا لما رأت ذلك ثم ان الملك طيغموس ارسل الى لبنايين والمهندسين وارباب المعرفة وامرهم ان يعملوا له قصرا في ذلك البستان فاجابوه بالسمع والطاعة وشرعوا في تجهيز ذلك القصر ثم انهم اتموه على احسن حال وحين علم جانشاه بصدور الامر ببناء القصر امر الصناع ان يأتوا بعمود من الرخام الابيض وان ينقروه ويجوفوه ويجعلوه على صورة صندوق ففعلوا ما امرهم به ثم ان جانشاه اخذ ثوب السيدة شمسة الذي تطير به وحطه في ذلك العمود ودفنه في اساس القصر وامر البنايين ان يبنوا فوقه القناطر التي عليها القصر ولما تم القصر فرشوه وصار قصرا عظيما في وسط ذلك البستان والانهار تجري من تحته ثم ان الملك طيغموس بعد ذلك عمل عرس جانشاه في تلك المدة وصار فرحا عظيما لم يبق له نظير وزفوا السيدة شمسة الى ذلك القصر وذهب كل واحد منهم الى حال سبيله ولما دخلت السيدة شمسة في ذلك القصر شمت رايحة ثوبها الريش وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة عشرة بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان السيدة شمسة لما دخلت ذلك القصر شمت رايحة ثوبها الريش الذي تطير به وعرفت مكانه وارادت اخذه فصبرت الى نصف الليل حتى استغرق جانشاه في النوم ثم قامت وتوجهت الى العمود الذي عليه القناطر وحفرت بجانبه حتى وصلت الى العمود الذي فيه الثياب وازالت الرصاص الذي كان مسبوكا عليه واخرجت الثوب منه ولبسته وطارت من وقتها وجلست على اعلى القصر وقالت لهم اريد منكم ان تحضروا الى جانشاه حتى اودعه فاخبروا جانشاه بذلك فذهب اليها فرأها فوق سطح القصر وهي لابسة ثوبها الريش فقال لها كيف فعلت هذه الفعال فقالت له ياحبيبي وقرة عيني وثمرة فؤادي والله اني احبك محبة عظيمة وقد فرحت فرحا شديدا حيث اوصلتك الى ارضك وبلادك ورايت اهلك وابالك فان كنت تحبني كما احبك فتعال عندي الى قلعة جوهر تكني ثم طارت من وقتها وساعتها ومضت الى اهلها فلما سمع جانشاه كلام السيدة شمسة وهي فوق سطح القصر كاد يموت من الجزع ووقع مغشيا عليه فحضوا الى ابيه واعلموه بذلك فركب ابوه وتوجه الى القصر ودخل على ولده فرأه مطروحا على الارض فبكى الملك طيغموس وعلم ان ابنه مغرم بحب السيدة شمسة فرش على وجهه ماء ورد فافاق فرأى اباه عند رأسه فبكى من فراق زوجته فقال له ابوه ما الذي جرى لك ياولدي فقال اعلم يا ابي ان السيدة شمسة من بنات الجان وانا احبها ومغرم بها وقد عشقت جمالها وكان عندي ثوب لها وهي ما تقدر ان تطير بدونه وقد كنت اخذت ذلك الثوب واخفيته في عمود على هيئة الصندوق وسبكت عليه الرصاص ووضعته في اساس القصر فحفرت ذلك الاساس واخذته ولبسته وطارت ثم نزلت على سطح القصر وقالت اني احبك وقد اوصلتك الى ارضك وبلادك واجتمعت بابيك وامك فان كنت انت تحبني فتعال عندي في قلعة جوهر تكني ثم طارت من سطح القصر وراحت الى حال سبيلها فقال الملك طيغموس ياولدي لا تحمل هما فاننا نجمع ارباب التجارة والسياحين في البلاد ونستخبرهم عن تلك القلعة فاذا عرفناها نسير اليها ونذهب الى اهل السيدة شمسة ونرجو من الله تعالى ان يعطوكها وتتزوج بها ثم خرج الملك من وقته وساعته واحضر وزراءه الاربعة وقال لهم اجمعوا لي كل من في المدينة من التجار والمسافرين واسألوهم عن قلعة جوهر تكني وكل من عرفها ودل عليها فاني اعطيه خمسين الف دينار فلما سمع الوزراء ذلك الكلام قالوا له سمعا وطاعة ثم ذهبوا من وقتهم وساعتهم وفعلوا ما امر به الملك وصاروا يسألون التجار والسياحين في البلاد عن جوهر تكني فما اخبرهم بها احد فاتوا الملك واخبروه بذلك فلما سمع الملك كلامهم قام من وقته وساعته وامر ان يأتوا اليه بجانشاه من السراري الحسان والجواري ربات الالات والمحاظي المطربات بما لا يوجد مثله الا عند الملوك لعله يتسلى عن حب السيدة شمسة فاتوه بما طلبه ثم بعد ذلك ارسل الملك رواده وجواسيس الى جميع البلاد والجزائر والاقاليم ليسألوا عن قلعة جوهر تكني فسألوا عنها مدة شهرين فما اخبرهم بها احد فرجعوا الى الملك واعلموه بذلك فبكى بكاء شديدا وذهب الى ابنه فوجده جالسا بين السراري والمحاظي وربات الآلات الطرب من الجنك والسنطير وغيرهما وهو لا يتسلى بهن عن السيدة شمسة فقال له ياولدي ما وجدت من يعرف هذه القلعة وقد اتيتك باجمل منها فلما سمع جانشاه من ابيه ذلك الكلام بكى وافاض دمع العين وانشد هذين البيتين

ترحل صبرى والغرام مقيم * وجسمى من فرط الغرام سقيم
متى تجمع الايام شملى بشمسة * وعظمى من حر الفراق رميم

ثم ان الملك طيغموس كان بينه وبين ملك الهند عداوة عظيمة فان الملك طيغموس كان عدا عليه وقتل رجاله وسلب امواله وكان ملك الهند يقال له الملك كفيد وله جيوش وعساكر وابطال وكان له الف بهلوان كل بهلوان منهم يحكم على الف قبيلة وكل قبيلة من تلك القبائل تشتمل على اربعة الاف فارس وكان عنده اربعة وزراء وتحته ملوك واكابر وامراء وجيوش كثيرة وكان يحكم على الف مدينة لكل مدينة الف قلعة وكان ملكا عظيما شديد الباس وعساكره قد ملأت جميع الارض فلما علم الملك كفيد ملك الهند ان الملك طيغموس اشتغل بحب ابنه وترك الحكم والملك وقلت من عنده العساكر وصار فى هم ونكد بسبب اشتغاله بحب ابنه جمع الوزراء والامراء وارباب الدولة وقال لهم اما تعلمون ان الملك طيغموس قد هجم على بلادنا وقتل ابى واخوتى ونهب اموالنا وما منكم احد الا وقد قتل له قريبا واخذ له مالا ونهب رزقه واسر اهله وانى سمعت اليوم انه مشغول بحب ابنه جانشاه وقد قلت من عنده العساكر وهذا وقت اخذ ثارنا منه فتأهبوا للسفر اليه وجهزوا آلات الحرب للهجوم عليه ولا تتهاونوا فى هذا الامر بل نسير اليه ونهجم عليه ونقتله هو وابنه ونملك بلاده وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة عشرة بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك كفيد ملك الهند امر جيوشه وعساكره ان يركبوا على بلاد الملك طيغموس وقال لهم تأهبوا للسفر اليه وجهزوا آلات الحرب للهجوم عليه ولا تتهاونوا فى هذا الامر بل نسير اليه ونهجم عليه ونقتله هو وابنه ونملك بلاده فلما سمعوا منه ذلك الكلام قالوا له سمعا وطاعة واخذ كل واحد منهم فى تجهيز عدته واستمروا فى تجهيز العدد والسلاح وجمع العساكر ثلاثة اشهر ولما تكاملت العساكر والجيوش والابطال دقوا الكاسات ونفخوا فى البوقات ونصبوا البيارق والرايات ثم ان الملك كفيد خرج بالعساكر والجيوش وسار حتى وصل الى اطراف بلاد كابل وهى بلاد الملك طيغموس ولما وصلوا الى تلك البلاد نهبوها وفسقوا فى الرعية وذبحوا الكبار واسروا الصغار فوصل الخبر الى الملك طيغموس فلما سمع بذلك الخبر اغتاظ غيظا شديدا وجمع اكابر دولته ووزراءه وامراءه مملكته وقال لهم اعلموا ان كفيد قد اتى ديارنا ونزل بلادنا ويريد قتالنا ومعه جيوش وابطال وعساكر لا يعلمهم الا الله تعالى فما الراى عندكم فقالوا له يا ملك الزمان الرأى عندنا اننا نخرج اليه ونقاتله ونرده عن بلادنا فقال لهم الملك طيغموس تجهزوا الى القتال ثم اخرج لهم من الزرد والدروع واخذوا السيوف وجميع آلات الحرب ما يردى الابطال ويتلف صناديد الرجال فاجتمعت العساكر والجيوش والابطال وتجهزوا للقتال ونصبوا الرايات ودقت الكاسات ونفخ فى البوقات وضربت الطبول وزمرت الزمور وسار الملك طيغموس بعساكره الى ملاقاة الملك كفيد ومازال الملك طيغموس سائرا بالعساكر والجيوش حتى قربوا من الملك كفيد ثم نزل الملك طيغموس على واد يقال له وادى زهران وهو فى اطراف بلاد كابل ثم ان الملك طيغموس كتب كتابا وارسله مع رسول من عسكره الى الملك كفيد مضمونه اما بعد فالذى نعلم به الملك كفيد انك ما فعلت الا فعل الاوباش ولو كنت ملكا ابن ملك ما فعلت هذه الافعال

ولا كنت لمجيء بلادى وتنهب اموال الناس وتفسق فى رعيتى اما علمت ان هذا كله جور منك ولو علمت بانك تتجارى على مملكتى لكنت اتيتك قبل مجيئك بمدة ومنعتك عن بلادى ولكن ان رجعت وتركت الشر بيننا وبينك فيها ونعمت وان لم ترجع فابرز الىّ فى حومة الميدان وتجلد لدى فى موقف الحرب والطعان ثم انه ختم الكتاب وسلمه لرجل عامل من عسكره وارسل معه جواسيس يتجسسون له على الاخبار ثم ان الرجل اخذ الكتاب وسار به حتى وصل الى الملك كفيد فلما قرب من مكانه رأى خياما منصوبة على بعد وهى مصنوعة من الحرير الاطلس ورأى رايات من الحرير الازرق ورأى بين الخيام خيمة عظيمة من الحرير الاحمر وحول تلك الخيمة عسكر عظيم ومازال سائرا حتى وصل الى تلك الخيمة فسأل عنها فقيل له انها خيمة الملك كفيد فنظر الرجل الى وسط الخيمة فرأى الملك كفيد جالسا على كرسى مرصع بالجواهر وعنده الوزراء والامراء وارباب الدولة فلما رأى ذلك اظهر الكتاب فى يده فذهب اليه جماعة من عسكر الملك كفيد واخذوا الكتاب منه واتوا به الملك فاخذه الملك فلما قرأه وعرف معناه كتب له جوابا مضمونه اما بعد فالذى نعلم به الملك طيغموس انه لابد من اننا ناخذ الثار ونكشف العار ونخرب الديار ونهتك الاستار ونقتل الكبار ونأسر الصغار وفى غد ابرز الى القتال فى الميدان حتى اريك الحرب والطعان ثم ختم الكتاب وسلمه لرسول الملك طيغموس فاخذه وسار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشرة بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك كفيد سلم جواب الكتاب الذى ارسله اليه الملك طيغموس لرسوله فاخذه ورجع فلما وصل اليه قبل الارض بين يديه ثم اعطاه الكتاب واخبره بما رأه وقال له يا ملك انى رأيت فرسانا وابطالا ورجالا لا يحصى لهم عدد ولا ينقطع لهم مدد فلما قرأ الكتاب وفهم معناه غضب غضبا شديدا وامر وزيره عين زاران يركب ومعه الف فارس ويهجم على عسكر الملك كفيد فى نصف الليل وان يخوضوا فيهم ويقتلوهم فقال له الوزير عين زار سمعا وطاعة ثم ركب وركبت معه العساكر والجيوش وساروا نحو الملك كفيد وكان للملك كفيد وزير يقال له غطرفان فامره ان يركب ويأخذ معه خمسة الاف فارس ويذهب بهم الى عسكر الملك طيغموس ويجمعوا عليهم ويقتلوهم فركب الوزير غطرفان وفعل ما امره به الملك كفيد وسار بالعسكر نحو الملك طيغموس ومازالوا سائرين الى نصف الليل حتى قطعوا نصف الطريق فاذا الوزير غطرفان وقع فى الوزير عين زار فصاحت الرجال على الرجال ووقع بينهم شديد القتال ومازال يقاتل بعضهم بعضا الى وقت الصباح فلما اصبح الصباح انهزمت عساكر الملك كفيد وولوا هاربين اليه فلما رأى ذلك غضب غضبا شديدا وقال لهم يا ويلكم ما الذى اصابكم حتى فقدتم ابطالكم فقالوا له يا ملك الزمان انه لما ركب الوزير غطرفان وسرنا نحو الملك طيغموس لم نزل سائرين الى ان نصف منا الليل وقطعنا نصف الطريق فقابلنا عين زار وزير الملك طيغموس واقبل علينا ومعه جيوش وابطال وكانت المقابلة بجنب وادى زهران فانشعر الا ونحن فى وسط العسكر ووقعت العين فى العين وقاتلنا قتالا شديدا من نصف الليل الى الصباح وقد قتل خلق كثير وصار الوزير عين زار يصيح فى وجه الفيل ويضربه فيجفل الفيل من شدة الضربة ويدوس الفرسان ويولى هاربا وما بقى احد ينظر احدا من كثرة ما يطير من الغبار وصار الدم يجرى كالتيار ولولا اننا انهزمنا هاربين لكنا قتلنا عن آخرنا

فلما سمع الملك كفيد هذا الكلام قال لا باركت فيكم الشمس بل غضبت عليكم غضبا شديدا ثم ان الوزير عين زار رجع الى الملك طيغموس واخبره بذلك فهناه الملك طيغموس بالسلامة وفرح فرحا شديدا وامر بدق الكاسات والنفخ فى البوقات ثم تفقد عسكره فاذا هم قد قتل منهم مائتا فارس من الشجعان الشداد ثم ان الملك كفيد هيأ عسكره وجنوده وجيوشه واتى الميدان واصطفوا صفا بعد صف فكملوا خمسة عشر صفا فى كل صف عشرة الاف فارس وكان معه ثلاثمائة بهلوان يركبون على الافيال وقد انتخب الابطال وصناديد الرجال ونصب البيارق والرايات ودقت الكاسات ونفخ فى البوقات وبرز الابطال طالبين القتال واما الملك طيغموس فانه صف عسكره صفا بعد صف فاذا هم عشرة صفوف فى كل صف عشرة الاف فارس وكان معه مائة بهلوان يركبون عن يمينه وشماله ولما اصطفت الصفوف تقدم كل فارس موصوف وتصادمت الجيوش وضاق رحب الارض عن الخيل وضربت الطبول وزمرت الزمور ودقت الكاسات ونفخ فى البوقات وصاح النفير وصمت الاذان من صهيل الخيل فى الميدان وصاحت الرجال باصواتهم وانعقد الغبار على رؤسهم واقتتلوا قتالا شديدا من اول النهار الى ان اقبل الظلام ثم افترقوا وذهبت العساكر الى منازلهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة عشرة بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العساكر افترقوا وذهبوا الى منازلهم فتفقد الملك كفيد عسكره فاذا هم قتل منهم خمسة الاف فغضب غضبا شديدا وتفقد الملك طيغموس عسكره فاذا هم قتل منهم ثلاثة الاف فارس من خواص شجعانه فلما رأى ذلك غضب غضبا شديدا ثم ان الملك كفيد برز الى الميدان ثانيا وفعل كما فعل اول مرة وكل واحد منهما يطلب النصر لنفسه وصاح الملك كفيد على عسكره وقال لهم هل فيكم من يبرز الى الميدان ويفتح لنا باب الحرب والطعان فاذا بطل يقال له بركيك قد اقبل راكبا على فيل وكان بهلوانا عظيما ثم تقدم ونزل من فوق ظهر الفيل وقبل الارض بين يدى الملك كفيد واستأذنه فى البراز ثم ركب الفيل وساقه الى الميدان وصاح وقال هل من مبارز هل من مناجز هل من مقاتل فلما سمع ذلك الملك طيغموس التفت الى عسكره وقال لهم من يبرز الى هذا البطل منكم فاذا فارس قد برز من بين الصفوف راكبا على جواد عظيم الخلقة وسار حتى اقبل على الملك طيغموس وقبل الارض قدامه واستأذنه فى المبارزة ثم توجه الى بركيك فلما اقبل عليه قال له من تكون انت حتى تستهزأ بى وتبرز الى وحدك وما اسمك فقال له اسمى غضنفر بن كحفيل فقال له بركيك كنت اسمع بك وانا فى بلادى فدونك والقتال بين صفوف الابطال فلما سمع غضنفر كلامه سحب العود الحديد من تحت فخذه وقد اخذ بركيك السيف فى يده وتقاتلا قتالا شديدا ثم ان بركيك ضرب غضنفر بالسيف فاتت الضربة فى خوذته ولم يصبه منها ضرر فلما رأى ذلك غضنفر ضربه بالعود فاستوى لحمه بلحم الفيل فاتاه شخص وقال له من انت حتى تقتل اخى ثم اخذ نبلة فى يده وضرب بها غضنفر فاصابت فخذه فسمرت الدرع فيه فلما رأى ذلك غضنفر جرد السيف فى يده وضربه فقسمه نصفين فنزل الى الارض يخور فى دمه ثم ان غضنفر ولى هاربا نحو الملك طيغموس فلما رأى ذلك الملك كفيد صاح على عسكره وقال لهم انزلوا الميدان وقاتلوا الفرسان ونزل الملك طيغموس بعسكره وجيوشه وقاتلوا قتالا شديدا وقد صهلت الخيل على الخيل وصاحت الرجال على الرجال وتجردت السيوف وتقدم كل فارس

موصوف وحملت الفرسان على الفرسان وفر الجبان من موقف الطعان ودقت الكاسات ونفخ
فى البوقات فاتسمع الناس الاضجة صياح وقعقعة سلاح وهلك فى ذلك الوقت من الابطال من هلك
ومازالوا على هذا الحال الى ان صارت الشمس فى قبة الفلك ثم ان الملك طيغموس انفرق بعسكره وجيوشه
وعاد لخيامه وكذلك الملك كفيد ثم ان الملك طيغموس تفقد رجاله فوجدهم قد قتل منهم خمسة آلاف
فارس وانكسرت منهم اربعة يبارق فلما علم الملك طيغموس ذلك غضب غضبا شديدا واما الملك كفيد
فانه تفقد عسكره فوجدهم قد قتل منهم ستمائة فارس من خواص شجعانه وانكسرت منهم تسعة
يبارق ثم ارتفع القتال من بينهم مدة ثلاثة ايام وبعد ذلك كتب الملك كفيد كتابا وارسله مع رسول من
عسكره الى ملك يقال له فاقون الكلب فذهب الرسول اليه وكان كفيد يدعى انه قريبه من جهة امه فلما
علم الملك فاقون بذلك جمع عسكره وجيوشه وتوجه الى الملك كفيد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت
عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية تلاثين بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك فاقون جمع عساكره وجيوشه وتوجه الى الملك كفيد فبينما الملك
طيغموس جالس فى خلوته ذا تاه شخص وقال له انى رأيت غبرة ثائرة على بعد قد ارتفعت الى الجو فامر
الملك طيغموس جماعة من عسكره ان يكشفوا عن خبر تلك الغبرة فقالوا سمعا وطاعة ثم ذهبوا ورجعوا
وقالوا ايها الملك قد رأينا الغبرة وبعد ساعة شربها الهواء وقطعها وبان من تحتها سبعة يبارق تحت كل بيرق
ثلاثة الاف فارس وساروا الى ناحية الملك كفيد ولما وصل الملك فاقون الكلب الى الملك كفيد سلم عليه
وقال له ما خبرك وما هذا القتال الذى انت فيه فقال له الملك كفيد اما تعلم ان الملك طيغموس عدوى
وقاتل اخوتى وابى وانا قد جئته لاقاتله وآخذ بثارى منه فقال الملك فاقون باركت الشمس فيك ثم ان
الملك كفيد اخذ الملك فاقون الكلب وذهب به الى خيمته وفرح فرحا شديدا هذا ما كان من امر الملك
طيغموس والملك كفيد واما ما كان من امر الملك جانشاه فانه استمر شهرين وهو لم ينظر اباه ولم يأذن
بالدخول عليه لاحد من الجوارى اللاتى كن فى خدمته فحصل له بذلك قلق عظيم فقال لبعض اتباعه ما
خبر ابى حتى انه لم يأتنى فاخبروه بما جرى لابيه مع الملك كفيد فقال ائتونى بجوادى حتى اذهب الى ابى
فقالوا له سمعا وطاعة واتوه بالجواد فلما حضر جواده قال فى نفسه اما مشغول بنفسى فالرأى ان آخذ
فرسى واسير الى مدينة اليهود واذا وصلت اليها يهون الله على بذلك التاجر الذى استأجرنى للعمل لعله
يفعل بى مثل ما فعل اول مرة وما يدرى احد اين تكون الخيرة ثم انه ركب واخذ معه الف فارس وسار حتى
صار الناس يقولون ان جانشاه ذاهب الى ابيه ليقاتل معه ومازالوا سائرين الى وقت المساء ثم نزلوا فى مرج
عظيم وباتوا بذلك المرج فلما ناموا وعلم جانشاه ان عسكره ناموا كلهم قام فى خفية وشد وسطه وركب جواده
وسار الى طريق بغداد لانه كان سمع من اليهود انه تأتيهم فى كل سنتين قافلة من بغداد وقال فى نفسه
اذا وصلت الى بغداد اسير مع القافلة حتى اصل الى مدينة اليهود وصممت نفسه على ذلك وسار الى حال
سبيله فلما استيقظ العساكر من نومهم ولم يروا جانشاه ولا جواده ركبوا وساروا يفتشون على جانشاه
يمينا وشمالا فلم يجدوا له خبرا فرجعوا الى ابيه واعلموه بما فعل ابنه فغضب غضبا شديدا وكاد الشرار يطلع
من فيه ورمى بتاجه من فوق رأسه وقال لا حول ولا قوة الا بالله قد فقدت ولدى والعدو قبالتى فقال له

الملوك والوزراء اصبر يا ملك الزمان فما بعد الصبر الا الخير ثم ان جانشاه صار من اجل ابيه وفراق محبوبته حزينا مهموما جريح القلب قريح العين سهران الليل والنهار واما ابوه فانه لما علم بفقد جميع عساكره وجيوشه رجع عن حرب عدوه وتوجه الى مدينته ودخلها وغلق ابوابها وحصن اسوارها وصار هاربا من الملك كفيد وصار كفيد فى كل شهر يجيء المدينة طالبا القتال والخصام ويقعد عليها سبع ليالى وثمانية ايام وبعد ذلك يأخذ عسكره ويرجع بهم الى الخيام ليداووا الجرحى من الرجال فاما اهل مدينة الملك طيغموس فانهم عند انصراف العدو عنهم يشتغلون باصلاح السلاح وتحصين الاسوار وتهيئة المنجنيقات ومكث الملك طيغموس والملك كفيد على هذه الحالة سبع سنين والحرب مستمرة بينهما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك طيغموس مكث هو والملك كفيد على هذه الحالة سبع سنين هذا ما كان من امرهما واما ما كان من امر جانشاه فانه لم يزل سائرا يقطع البرارى والقفار وكلما وصل الى بلد من البلاد سأل عن قلعة جوهر تكنى فلم يخبره احد بها وانما يقولون له انا لم نسمع بهذا الاسم اصلا ثم انه سأل عن مدينة اليهود فاخبره رجل من التجار انها فى اطراف بلاد المشرق وقال له فى هذا الشهر سر معنا الى مدينة مزرقان وهى فى الهند ومن تلك المدينة تذهب الى خراسان ثم تسافر من هناك الى مدينة شمعون ومنها الى خوارزم وتبقى مدينة اليهود قريبة من خوارزم فان بينها وبينها مسافة سنة وثلاثة اشهر فصبر جانشاه حتى سافرت القافلة وسافر معها الى ان وصل الى مدينة مزرقان ولما دخل تلك المدينة صار يسأل عن قلعة جوهر تكنى فلم يخبره بها احد وسافرت القافلة وسافر معها الى الهند. ودخل المدينة وسأل عن قلعة جوهر تكنى فلم يخبره بها احد وقالوا له ما سمعنا بهذا الاسم اصلا وقاسى فى الطريق شدة عظيمة واهوالا صعبة وجوعا وعطشا ثم سافر من الهند ولم يزل مسافرا حتى وصل الى بلاد خراسان وانتهى الى مدينة شمعون ودخلها وسأل عن مدينة اليهود فاخبروه عنها ووصفوا له طريقها فسافر اياما وليالى حتى وصل الى المكان الذى هرب فيه من القردة ثم مشى اياما وليالى حتى وصل الى النهر الذى بجانب مدينة اليهود وجلس على شاطئه وصبر الى يوم السبت حتى نشف بقدرة الله تعالى فعدى منه وذهب الى بيت اليهودى الذى كان فيه اول مرة فسلم عليه هو واهل بيته وفرحوا به واتوه بالاكل والشرب ثم قالوا له اين كنت غيبتك فقال لهم فى ملك الله تعالى ثم بات تلك الليلة عندهم ولما كان الغد دار فى المدينة يتفرج فرأى منادا ينادى ويقول يا معاشر الناس من يأخذ الف دينار وجارية حسنة ويعمل عندنا شغل نصف يوم فقال جانشاه انا اعمل هذا الشغل فقال له المنادى اتبعنى فتبعه حتى وصل الى بيت اليهودى التاجر الذى وصل اليه اول مرة ثم قال المنادى لصاحب البيت ان هذا الولد يعمل الشغل الذى تريد فرحب به التاجر وقال له مرحبا بك واخذه ودخل به الى الحريم واتاه بالاكل والشرب فاكل جانشاه وشرب ثم ان التاجر قدم له الدنانير والجارية الحسنة وبات معها تلك الليلة ولما اصبح الصباح اخذ الدنانير والجارية وسلمهما لليهودى الذى بات فى بيته اول مرة ثم رجع الى التاجر صاحب الشغل فركب معه وسارا حتى وصلا الى جبل عال شاهق فى العلو ثم ان التاجر اخرج حبلا وسكينا وقال لجانشاه اوم هذا الفرس على الارض فرماها وكتفها بالحبل وذبحها وسلخها وقطع قوائمها

ورأسها وشق بطنها كما امره التاجر ثم قال التاجر لجانشاه ادخل بطن هذه الفرس حتى اخيطه عليك ومهما رأيته فيه فقل لى عليه فهذا الشغل الذى اخذت اجرته فدخل جانشاه بطن الفرس وخاطه عليه التاجر ثم ذهب الى محل بعيد عن الفرس واختفى فيه وبعد ساعة اقبل طير عظيم ونزل من الجو وخطف الفرس وارتفع بها الى عنان السماء ثم نزل على رأس الجبل فلما استقر على رأس الجبل اراد ان يأكل الفرس فلما احس به جانشاه شق بطن الفرس وخرج فخفل الطير منه وطار الى حال سبيله فطلع جانشاه ونظر الى التاجر فرأه واقفا تحت الجبل مثل العصفور فقال له ماتريد ايها التاجر فقال له ارم لى بشئ من هذه الجارة التى حواليك حتى ادلك على الطريق التى تنزل منها فقال له جانشاه انت الذى فعلت بى كيت وكيت من مدة خمس سنين وقد قاسيت جوعا وعطشا وحصل لى تعب عظيم وشر كثير وها انت عدت بى الى هذا المكان واردت هلاكى والله لا ارمى لك بشئ ثم ان جانشاه سار وقصد الطريق التى توصل الى الشيخ نصر ملك الطيور وادر لك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان جانشاه سار وقصد الطريق التى توصل الى الشيخ نصر ملك الطيور ولم يزل سائرا اياما وليالى وهو باكى العين حزين القلب واذا جاع يأكل من نبات الارض واذا عطش يشرب من انهارها حتى وصل الى قصر السيد سليمان فرأى الشيخ نصر جالسا على باب القصر فاقبل عليه وقبل يديه فرحب به الشيخ نصر وسلم عليه ثم قال له يا ولدى ما خبرك حتى جئت هذا المكان وكنت قد توجهت من هنا مع السيدة شمسة وانت قرير العين منشرح الصدر فبكى جانشاه وحكى له ما جرى من السيدة شمسة لما طارت وقالت له ان كنت تحبنى تعال عندى فى قلعة جوهر تكنى فتعجب الشيخ نصر من ذلك وقال والله يا ولدى ما اعرفها وحق السيد سليمان ولا سمعت بهذا الاسم طول عمرى فقال جانشاه كيف اعمل وقد مت من العشق والغرام فقال له الشيخ نصر اصبر حتى تأتى الطيور ونسألهم عن قلعة جوهر تكنى لعل احدا منهم يعرفها فاطمأن قلب جانشاه ودخل القصر وذهب الى المقصورة المشتملة على البحيرة التى رأى فيها البنات الثلاث ومكث عند الشيخ نصر مدة من الزمان فبينما هو جالس على عادته اذ قال له الشيخ نصر يا ولدى انه قد قرب مجيء الطير ففرح جانشاه بذلك الخبر ولم يمض الا ايام قلائل حتى اقبلت الطيور فجاء الشيخ نصر جانشاه وقال له يا ولدى تعلم هذه الاسماء واقبل على الطيور فجاءت الطيور وسلمت على الشيخ نصر نوعا بعد نوع ثم سألها عن قلعة جوهر تكنى فقال كل منها ما سمعت بهذه القلعة طول عمرى فبكى جانشاه وتحسر ووقع مغشيا عليه فطلب الشيخ نصر طيرا عظيما وقال له اوصل هذا الشاب الى بلاد كابل ووصف له البلاد وطريقها فقال له سمعا وطاعة ثم ركب جانشاه على ظهره وقال له احترس على نفسك واياك ان تميل فتنقطع فى الهواء وسد اذنيك من الريح لئلا يضر لك جرى الا فلاك ودوى البحار فقبل جانشاه ما قاله الشيخ نصر ثم ائتلع به الطير وعلا الى الجو وسار به يوما وليلة ثم نزل به عند ملك الوحوش واسمه شاه بدرى فقال الطير لجانشاه قد تهنا عن البلاد التى وصفها لنا الشيخ نصر واراد ان يأخذ جانشاه ويطير به فقال له جانشاه اذهب الى حال سبيلك واتركنى فى هذه الارض حتى اموت فيها او اصل الى بلادى فتركه الطير عند ملك الوحوش شاه بدرى وذهب الى حال سبيله ثم ان شاه بدرى سأله وقال له يا ولدى من انت ومن اين اقبلت مع هذا الطير العظيم

وما حكايتك فحكى له جميع ما جرى له من الاول الى الاخر فتعجب ملك الوحوش من حكايته وقال له وحق السيد سليمان انى ما اعرف هذه القلعة وكل من دلنا عليها نكرمه ونرسلك اليها فبكى جانشاه بكاء شديدا وصبر مدة قليلة وبعدها اتاه ملك الوحوش وهوشاه بدرى وقال له قم ياولدى وخذ هذه الالواح واحفظ الذى فيها واذا اتت الوحوش نسألها عن تلك القلعة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان شاه بدرى ملك الوحوش قال لجانشاه احفظ ما فى هذه الالواح واذا جاءت الوحوش نسألها عن تلك القلعة فما مضى غير ساعة حتى اقبلت الوحوش نوعا بعد نوع وصاروا يسلمون على الملك شاه بدرى ثم انه سالهم عن قلعة جوهر تكنى فقالوا له جميعا ما نعرف هذه القلعة ولا سمعنا بها فبكى جانشاه وتاسف على عدم ذهابه مع الطير الذى اتى به من عند الشيخ نصر فقال له ملك الوحوش ياولدى لا تحمل هما ان لى اخا اكبر منى يقال له الملك شماخ وكان اسيرا عند السيد سليمان لانه كان عاصيا عليه وليس احد من الجن اكبر منه هو والشيخ نصر فلعله يعرف هذه القلعة وهو يحكم على الجان الذين فى هذه البلاد ثم ركبه ملك الوحوش على ظهر وحش منها وارسل معه كتابا الى اخيه بالوصية عليه ثم ان ذلك الوحش سار من وقته وساعته ولم يزل سائرا بجانشاه اياما وليالى حتى وصل الى الملك شماخ فوقف ذلك الوحش فى مكان وحده بعيدا من الملك ثم نزل جانشاه من فوق ظهره وصار يمشى حتى وصل الى حضرة الملك شماخ فقبل يديه وناوله الكتاب فقرأه وعرف معناه ورحب به وقال له والله ياولدى ان هذه القلعة عمرى ما سمعت بها ولا رأيتها فبكى جانشاه وتحسر فقال له الملك شماخ احك لى حكايتك واخبرنى من انت ومن اين اتيت والى اين تذهب فاخبره بجميع ما جرى له من الاول الى الاخر فتعجب شماخ من ذلك وقال له ياولدى ما اظن ان السيد سليمان فى عمره سمع بهذه القلعة ولا رآها ولكن ياولدى انا اعرف راهبا فى الجبل وهو كبير فى العمر وقد اطاعته جميع الطيور والوحوش والجان من كثرة اقسامه لانه مازال يتلو الاقسام على ملوك الجن حتى اطاعوه قهرا عنهم من شدة تلك الاقسام والسحر الذى عنده وجميع الطيور والوحوش تسير الى خدمته وها انا قد كنت عصيت السيد سليمان فهو اسرنى عنده وما غلبنى سوى هذا الراهب من شدة مكره واقسامه وسحره وقد بقيت فى خدمته واعلم انه ساح فى جميع البلاد والاقاليم وعرف جميع الطرق والجهات والاماكن والقلاع والمدائن وما اظن انه يخفى عليه مكان فانا ارسلك اليه لعله يدلك على هذه القلعة وان لم يدلك هو عليها فما يدلك عليها احد لانه قد اطاعته الطيور والوحوش والجان وكلهم يأتونه ومن شدة سحره قد اصطنع له عكازة ثلاث قطع فيغرزها فى الارض ويتلو القسم على القطعة الاولى من العكازة فيخرج منها لحم ويخرج منها دم ويتلو القسم على القطعة الثانية فيخرج منها لبن حليب ويتلو القسم على القطعة الثالثة فيخرج منها قمح وشعير وبعد ذلك يخرج العكازة من الارض ثم يذهب الى ديره وديره يسمى دير الماس وهذا الراهب الكاهن يخرج من يده اختراع كل صنعة غريبة وهو ساحر كاهن ماكر مخادع خبيث واسمه يغموس وقد حوى جميع الاقسام والعزايم ولابد من ان ارسلك اليه مع طير عظيم له اربعة اجنحة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك شماخ قال لجانشاه ولابد من ان ارسلك الى الراهب مع طير عظيم له اربعة اجنحة ثم ركبه على ظهر طير عظيم له اربعة اجنحة طول كل جناح منها ثلاثون ذراعا يا الهاشمي وله ارجل مثل ارجل الفيل لكنه لا يطير في السنة الا مرتين وكان عند الملك شماخ عون يقال له طمشون كل يوم يختطف لهذا الطير بختيتين من بلاد العراق ويفسخهما له ليأكلهما فلما ركب جانشاه على ظهر ذلك الطير امره الملك شماخ ان يوصله الى الراهب يغموس فاخذه على ظهره وسار به ليالي واياما حتى وصل الى جبل القلع ودير الماس فنزل جانشاه عند ذلك الدير فرأى يغموس الراهب داخل الكنيسة وهو يتعبد فيها فتقدم جانشاه اليه وقبل الارض ووقف بين يديه فلما رآه الراهب قال له مرحبا بك يا ولدي يا غريب الديار وبعيد المزار اخبرني ما سبب مجيئك هذا المكان فبكى جانشاه وحكى له حكايته من الاول الى الاخر فلما سمع الراهب الحكاية تعجب منها غاية العجب وقال له والله يا ولدي عمري ما سمعت بهذه القلعة ولا رأيت من سمع بها ولا رأها مع اني كنت موجودا على عهد نوح نبي الله وحكمت من عهد نوح الى زمن السيد سليمان بن داود على الوحوش والطيور والجن وما اظن ان سليمان سمع بهذه القلعة ولكن اصبر يا ولدي حتى تأتي الطيور والوحوش واعوان الجان ولعل احدا منهم يخبرنا بها ويأتينا بخبر عنها ويهون الله تعالى عليك فقعد جانشاه مدة من الزمان عند الراهب فبينما هو قاعد اذ اقبلت عليه الطيور والوحوش والجان اجمعون وصار جانشاه والراهب يسألونهم عن قلعة جوهر تكنى فما احد منهم قال انا رأيتها او سمعت بها بل كان كل منهم يقول لا رأيت هذه القلعة ولا سمعت بها فصار جانشاه يبكي وينوح ويتضرع الى الله تعالى وبينما هو كذلك اذا بطير قد اقبل آخر الطيور وهو اسود اللون عظيم الخلقة ولما نزل من اعلى الجو جاء وقبل يدي الراهب فسأله الراهب عن قلعة جوهر تكنى فقال له الطير ايها الراهب انا كاسا كنين خلف جبل قاف بجبل البلور في بر عظيم وكنت انا واخوتي فراخا صغارا وابي وامي كانا يسرحان في كل يوم ويجيئان برزقنا فاتفق انهما سرحا يوما من الايام وغابا عنا سبعة ايام فاشتد علينا الجوع ثم اتيا في اليوم الثامن وهما يبكيان فقلنا لهما ما سبب غيابكما عنا فقالا انه خرج علينا مارد فخطفنا وذهب بنا الى قلعة جوهر تكنى واوصلنا الى الملك شهلان فلما رأنا الملك شهلان اراد قتلنا فقلنا له ان ورآنا فراخا صغارا فاعتقنا من القتل ولو كان ابي وامي في قيد الحياة لكانا اخبراكم عن القلعة فلما سمع جانشاه هذا الكلام بكى بكاء شديدا وقال للراهب اريد منك ان تأمر هذا الطير ان يوصلني الى نحو وكر ابيه وامه في جبل البلور خلف جبل قاف فقال الراهب للطير ايها الطير اريد منك ان تطيع هذا الولد في جميع ما يأمرك به فقال الطير للراهب سمعا وطاعة لما تقول ثم ان ذلك الطير اركب جانشاه على ظهره وطار ولم يزل طائرا به اياما وليالي حتى اقبل على جبل البلور ثم نزل به هناك ومكث برهة من الزمان ثم اركبه على ظهره وطار ولم يزل طائرا به مدة يومين حتى وصل الى الارض التي فيها الوكر والدرشهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الطير لم يزل طائرا بجانشاه مدة يومين حتى وصل به الى الارض التي فيها

الوكر ونزل به هنالك ثم قال له يا جانشاه هذا الوكر الذى كنا فيه فبكى جانشاه بكاء شديدا وقال للطير اريد منك ان تحملنى وتوصلنى الى الناحية التى كان ابوك واملك يذهبان اليها ويجيئان منها بالرزق فقال له الطير سمعا وطاعة يا جانشاه ثم حمله وطار به ولم يزل طائرا سبع ليال وثمانية ايام حتى وصل به الى جبل عال ثم انزله من فوق ظهره وقال له ما بقيت اعرف ورآء هذا المكان ارضا فغلب على جانشاه النوم فنام فى رأس ذلك الجبل فلما افاق من النوم رأى بريقا على بعد يملأ نوره الجو فصار متحيرا فى نفسه من ذلك اللمعان والبريق ولم يدر انه لمعان القلعة التى هو يفتش عنها وكان بينه وبينها مسيرة شهرين وهى مبنية من الياقوت الاحمر وبيوتها من الذهب الاصفر ولها الف برج مبنية من المعادن النفيسة التى تخرج من بحر الظلمات ولهذا سميت قلعة جوهر تكنى لانها من نفيس الجواهر والمعادن وكانت قلعة عظيمة واسم ملكها شهلان وهو ابو البنات الثلاث هذا ما كان من امر جانشاه واما ما كان من امر السيدة شمسة فانها لما هربت من عند جانشاه وراحت عند ابيها وامها واهلها اخبرتهم بما جرى لها مع جانشاه وحكت لهم حكايته واعلمتهم انه ساح فى الارض ورأى العجائب وعرفتهم بمحبته لها ومحبتها له وبما وقع بينهما فلما سمع ابوها وامها منها ذلك الكلام قالا لها ما يحل لك من الله ان تفعلى معه هذا الامر ثم ان اباها حكى هذه المسألة لاعوانه من مردة الجان وقال لهم كل من رأى منكم انسيا فليأتنى به وكانت السيدة شمسة اخبرت امها ان جانشاه مغرم بها وقالت لها ولا بد من انه يأتينا لانى لما طرت من فوق قصر ابيه قلت له ان كنت تحبنى فتعال فى قلعة جوهر تكنى ثم ان جانشاه لما راى ذلك البريق واللمعان قصد نحوه ليعرف ما هو وكانت السيدة شمسة قد ارسلت عونا من الاعوان فى شغل بناحية جبل قرموس فبينما ذلك العون سائر اذا هو ينظر من بعيد الى شخص انسى فلما رأه اقبل نحوه وسلم عليه فخاف جانشاه من ذلك العون ولكنه رد عليه السلام فقال له العون ما اسمك فقال له اسمى جانشاه وكنت قبضت على جنية اسمها السيدة شمسة لانى تعلقت بحسنها وجمالها وكنت احبها محبة عظيمة ثم انها هربت منى بعد دخولها فى قصر والدى وحكى له جميع ما جرى له معها وصار جانشاه يكلم المارد وهو يبكى فلما نظر العون الى جانشاه وهو يبكى احرق قلبه وقال له لا تبك فانك قد وصلت الى مرادك واعلم انها تحبك محبة عظيمة وقد اعلمت اباها وامها بمحبتك لها وكل من فى القلعة يحبك لاجلها فطب نفسا وقر عينا ثم ان المارد حمله على كاهليه وسار به حتى وصل الى قلعة جوهر تكنى وذهبت المبشرون الى الملك شهلان والى السيدة شمسه والى امها يبشرونهم بمجيء جانشاه ولما جاءتهم البشائر بذلك فرحوا فرحا عظيما ثم ان الملك شهلان امر جميع الاعوان ان يلاقوا جانشاه وركب هو وجميع الاعوان والعفاريت والمردة الى ملاقاة جانشاه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك شهلان ركب هو وجميع الاعوان والعفاريت والمردة الى ملاقاة جانشاه فلما اقبل الملك شهلان ابو السيدة شمسة على جانشاه عانقه ثم ان جانشاه قبل يدى الملك شهلان وامر له الملك بخلعة عظيمة من الحرير مختلفة الالوان مطرزة بالذهب مرصعة بالجوهر ثم البسه التاج الذى ما رأى مثله احد من ملوك الانس ثم امر له بفرس عظيمة من خيل ملوك الجان فركبها ثم ركب والاعوان عن يمينه وشماله وسار هو والملك فى موكب عظيم حتى اتوا باب القصر فنزل الملك ونزل

جانشاه فى ذلك القصر فرأه قصرا عظيما حيطانه مبنية بالجواهر واليواقيت ونفيس المعادن واما البلور والزبرجد والزمرد فرصع فى الارض فصار يتعجب من ذلك ويبكى والملك وام السيدة شمسة يمسحان دموعه ويقولان له قليل من البكاء ولا تحمل هما واعلم انك قد وصلت الى مرادك ثم انه لما وصل الى وسط المكان لاقته الجوارى الحسان والعبيد والغلمان واجلسوه فى احسن مكان ووقفوا فى خدمته وهو متحير فى حسن ذلك المكان وحيطانه التى بنيت من جميع المعادن ونفيس الجواهر وانصرف الملك شهلان الى محل جلوسه وامر الجوارى والغلمان ان يأتوه بجانشاه ليجلس عنده فاخذوه ودخلوا به عليه فقام الملك اليه واجلسه على تخته بجانبه ثم انهم اتوا بالسماط فاكلوا وشربوا ثم غسلوا ايديهم وبعد ذلك اقبلت عليه ام السيدة شمسة فسلمت عليه ورحبت به وقالت له قد بلغت المقصود بعد التعب ونامت عينك بعد السهر والحمد لله على سلامتك ثم ذهبت من وقتها الى بنتها السيدة شمسة فاتت بها جانشاه فلما اقبلت عليه السيدة شمسة سلمت عليه وقبلت يديه واطرقت برأسها خجلا منه ومن امها وابيها واتى اخوتها الذين كانوا معها فى القصر وقبلوا يديه وسلموا عليه ثم ان ام السيدة شمسة قالت له مرحبا بك يا ولدى ولكن بنتى شمسة قد اخطأت فى حقك ولا تؤاخذها بما فعلت معك لاجلنا فلما سمع جانشاه منها ذلك الكلام صاح ووقع مغشيا عليه فتعجب الملك منه ثم انهم رشوا وجهه بماء الورد الممزوج بالمسك والزباد فافاق ونظر الى السيدة شمسة وقال الحمد لله الذى بلغنى مرادى واطفأ نارى حتى لم يبق فى قلبى نار فقالت له السيدة شمسة سلامتك من النار ولكن يا جانشاه اريد ان تحكى لى على ما جرى لك بعد فراقى وكيف اتيت هذا المكان مع ان اكثر الجان لا يعرفون قلعة جوهر تكنى ونحن عاصون على جميع الملوك وما احد عرف طريق هذا المكان ولا سمع به فاخبرها بجميع ما جرى له وكيف اتى واعلمهم بما جرى لابيه مع الملك كفيد واخبرهم بما قاساه فى الطريق وما رأه من الاهوال والعجائب وقال لها كل هذا كان من اجلك يا سيدتى شمسة فقالت له امها قد بلغت المراد والسيدة شمسة جارية تهديها اليك فلما سمع ذلك جانشاه فرح فرحا شديدا فقالت له بعد ذلك ان شاء الله تعالى فى الشهر القابل تنصب الفرح ونعمل العرس وتزوجك بها ثم تذهب بها الى بلادك وتعطيك الف مارد من الاعوان لو اذنت لاقل من فيهم فى ان يقتل الملك كفيد هو وقومه لفعل ذلك فى لحظة وفى كل عام نرسل اليك قوما اذا امرت واحدا منهم باهلاك اعدائك جميعا اهلكهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ام السيدة شمسة قالت له وفى كل عام نرسل اليك قوما اذا امرت واحدا منهم باهلاك اعدائك جميعا اهلكهم عن اخرهم ثم ان الملك شهلان جلس فوق التخت وامر ارباب الدولة ان يعملوا فرحا عظيما وزينوا المدينة سبعة ايام وليالها فقالوا له سمعا وطاعة ثم ذهبوا فى ذلك الوقت واخذوا فى تجهيز الاهبة للفرح ومكثوا فى التجهيز مدة شهرين وبعد ذلك عملوا عرسا عظيما للسيدة شمسة حتى صار فرحا عظيما لم يكن مثله ثم ادخلوا جانشاه على السيدة شمسة واستمر معها مدة سنتين فى اهنا عيش واهناه واكل وشرب ثم بعد ذلك قال للسيدة شمسة ان ابى قد وعدنا بالذهاب الى بلادى وان نقعد هناك سنة وهنا سنة فقالت السيدة شمسة سمعا وطاعة ولما امسى المساء دخلت على ابيها وذكرت له ما قاله جانشاه فقال لها سمعا وطاعة ولكن اصبرا الى اول الشهر حتى نجهز لكما الاعوان فاخبرت جانشاه

بمائة له ابوها وصبر المدة التى عينها وبعد ذلك اذن الملك شهلان للاعوان ان يخرجوا فى خدمة السيدة شمسة وجانشاه حتى يوصلوهما الى بلاد جانشاه وقد جهز لهما تختا عظيما من الذهب الاحمر مرصعا بالدر والجوهر فوقه خيمة من الحرير الاخضر منقوشة بسائر الالوان مرصعة بنفيس الجواهر يحار فى حسنها الناظر فطلع جانشاه هو والسيدة شمسة فوق ذلك التخت ثم انتخب من الاعوان اربعة ليحملوا ذلك التخت فحملوه وصار كل واحد منهم فى جهة من جهاته وجانشاه والسيدة شمسة فوقه ثم ان السيدة شمسة ودعت امها واباها واخوتها واهلها وقد ركب ابوها وسار مع جانشاه وسارت الاعوان بذلك التخت ولم يزل الملك شهلان سائرا معهم الى وسط النهار ثم حطت الاعوان ذلك التخت ونزلوا وودعوا بعضهم وصار الملك شهلان يوصى جانشاه على السيدة شمسة ويوصى الاعوان عليهما ثم امر الاعوان بان يحملوا التخت فودعت السيدة شمسة اباها وكذلك ودعه جانشاه وسار اورجع ابوها وكان ابوها قد اعطاها ثلاثمائة جارية من السراري الحسان واعطى جانشاه ثلاثمائة مملوك من اولاد الجان ثم انهم ساروا من ذلك الوقت بعد ان طلعوا باجمعهم على ذلك التخت والاعوان الاربعة قد حملته وطارت به بين السماء والارض وصاروا يسيرون فى كل يوم مسيرة ثلاثين شهرا ولم يزالوا سائرين على هذه الحالة مدة عشرة ايام وكان فى الاعوان عون يعرف ببلاد كابل فلما رأها امرهم ان ينزلوا على المدينة الكبيرة فى تلك البلاد وكانت تلك المدينة مدينة الملك طيغموس فنزلوا عليها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الاعوان نزلوا على مدينة الملك طيغموس ومعهم جانشاه والسيدة شمسة وكان الملك طيغموس قد انهزم من الاعداء وهرب فى مدينة وصار فى حصر عظيم وضيق عليه الملك كفيد وطلب الامان من الملك كفيد فلم يؤمنه فلما علم الملك طيغموس انه لم يبق له حيلة فى الخلاص من الملك كفيد اراد ان يخنق روحه حتى يموت ويستريح من ذلك الهم والحزن وقام وودع الوزراء والامراء ودخل بيته ليودع الحريم وصارت اهل مملكته فى بكاء ونواح وعزاء وصياح فبينما هو فى ذلك الامر اذا بالاعوان قد اقبلوا على القصر الذى فى داخل القلعة وامرهم جانشاه ان ينزلوا بالتخت فى وسط الديوان ففعلوا ما امرهم به جانشاه ونزلت السيدة شمسة مع جانشاه والجوارى والمماليك فرأوا جميع اهل المدينة فى حصر وضيق وكرب عظيم فقال جانشاه للسيدة شمسة يا حبيبة ابى وقرة عينى انظرى الى ابى كيف هو فى اسوء حال فلما رأت السيدة شمسة اباها واهل مملكته فى ذلك الحال امرت الاعوان ان يضربوا العسكر الذين حاصروهم ضربا شديدا ويقتلوهم وقالت للاعوان لا تبقوا منهم احدا ثم ان جانشاه اوما الى عون من الاعوان شديد البأس اسمه قراطش وامره ان يجئ بالملك كفيد مقيدا فلما ان الاعوان ساروا اليه واخذوا ذلك التخت معهم وما زالوا سائرين حتى حطوا التخت فوق الارض ونصبوا الخيمة على التخت وصبروا الى نصف الليل ثم هجموا على الملك كفيد وعساكره وصاروا يقتلونهم وصار الواحد يأخذ عشرة او ثمانية وهم على ظهر الفيل ويطيرهم الى الجو ثم يقيم فيتمزقون فى الهواء وكان بعض الاعوان يضرب العساكر بالعمد الحديد ثم ان العون الذى اسمه قراطش ذهب من وقته الى خيمة الملك كفيد فهجم عليه وهو جالس فوق السرير واخذه وطار به الى الجو فزعق من هيبة ذلك العون ولم يزل طائرا به حتى وضعه

على

على التخت قدام جانشاه فامر الاعوان الاربعة ان يقتلعوا التخت وينصبوه فى الهوآء فلم يتنبه الملك كفيد الا وقد رأى نفسه ما بين السماء والارض فصار يلطم وجهه ويتعجب من ذلك هذا ما كان من امر الملك كفيد واما ما كان من امر الملك طيغموس فانه لما رأى ابنه كاد يموت من شدة الفرح وصاح صيحة عظيمة ووقع مغمى عليه فرشوا وجهه بماء الورد فلما افاق تعانق هو وابنه وبكيا بكاء شديدا ولم يعلم الملك طيغموس بان الاعوان فى قتال الملك كفيد وبعد ذلك قامت السيدة شمسة ومشت حتى وصلت الى الملك طيغموس ابى جانشاه وقبلت يديه وقالت له ياسيدى اصعد الى اعلى القصر وتفرج على قتال اعوان ابى فصعد الملك الى اعلى القصر وجلس هو والسيدة شمسة يتفرجان على حرب الاعوان وذلك انهم صاروا يضربون فى العساكر طولا وعرضا وكان منهم من ياخذ العمود الحديد ويضرب به الفيل فينهرس الفيل والذى على ظهره حتى صارت الفيلة لا تميز من الادميين ومنهم من يجيء جماعة وهم هاربون فيصيح فى وجوههم فيسقطون ميتين ومنهم من يقبض على نحو العشرين فارسا ويقتلع بهم الى الجو ويلقيهم الى الارض فيتقطعون قطعا هذا وجانشاه ووالده والسيدة شمسه ينظرون اليهم ويتفرجون على القتال وادرك الشهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان طيغموس هو وابنه جانشاه وزوجته السيدة شمسه ارتقوا الى اعلى القصر وصاروا يتفرجون على قتال الاعوان مع عسكر الملك كفيد وصار الملك كفيد ينظر اليهم وهو فوق التخت ويبكى ومازال القتل فى عسكره مدة يومين حتى قطعوا عن اخرهم ثم ان جانشاه امر الاعوان ان يأتوا بالتخت وينزلوا به الى الارض فى وسط قلعة الملك طيغموس فاتوا به وفعلوا ما امرهم به سيدهم الملك جانشاه ثم ان الملك طيغموس امر عونا من الاعوان يقال له شموال ان يأخذ الملك كفيد ويجعله فى السلاسل والاغلال ويسجنه فى البرج الاسود ففعل شموال ما امره به ثم ان الملك طيغموس امر بضرب الكاسات وارسل المبشرين الى ام جانشاه فذهبوا واعلموها بان ابنها اتى وفعل هذه الافعال ففرحت بذلك وركبت واتت فلما رأها جانشاه ضمها الى صدره فوقعت مغشية عليها من شدة الفرح فرشوا وجهها بماء الورد فلما افاقت عانقته وبكت من فرط السرور ولما علمت السيدة شمسة بقدومها قامت تمشى حتى وصلت اليها وسلمت عليها وعانق بعضهما بعضا ساعة من الزمان ثم جلسا تتحدثان وفتح الملك طيغموس ابواب المدينة وارسل المبشرين الى جميع البلاد فنشروا البشاير فيها ووردت عليه الهدايا والتحف وصار الامراء والعساكر والملوك الذين فى البلدان يأتون ليسلموا عليه ويهنوه بتلك النصرة وبسلامة ابنه ومازالوا على هذا الحال والناس يأتونهم بالهدايا والتحف العظيمة مدة من الزمان ثم ان الملك عمل عرسا عظيما للسيدة شمسة مرة ثانية وامر بزينة المدينة وجلاها على جانشاه بالحلى والحلل الفاخرة ودخل جانشاه عليها واعطاها مائة جارية من السراري الحسان خدمتها ثم بعد ذلك بايام توجهت السيدة شمسة الى الملك طيغموس وتشفعت عنده فى الملك كفيد وقالت له اطلقه ليرجع الى بلاده وان حصل منه شر امرت احد الاعوان ان يخطفه ويأتيك به فقال لها سمعا وطاعة ثم ارسل الى شموال ان يحضر اليه بالملك كفيد فاتى به فى السلاسل والاغلال فلما قدم عليه وقبل الارض بين يديه امر الملك ان يحلوه من تلك الاغلال فحلوه منها ثم اركبه على فرس عربى وقال له ان

الملك شمسة قد تشفعت فيك فاذهب الى بلادك وان عدت لما كنت عليه فانها ترسل اليك عونا من الاعوان فيأتي بك فسار الملك كفيد الى بلاده وهو فى اسوء حال وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثلاثين بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك كفيد سار الى بلده وهو فى اسوء حال ثم ان جانشاه قعد هو وابوه والسيدة شمسه فى الذعيش واهناه واطيب سرور واوفاه وكل هذا يحكيه الشاب الجالس بين القبرين لبلوقيا ثم قال له وهذا جانشاه الذى رأيت هذا كله يا اخى يا بلوقيا فتعجب بلوقيا من حكايته ثم ان بلوقيا السايح فى حب محمد صلى الله عليه وسلم قال لجانشاه يا اخى وما شان هذين القبرين وما سبب جلوسك بينهما وما سبب بكائك فرد عليه جانشاه وقال له اعلم يا بلوقيا اننا كنا فى الذعيش واهناه واطيب سرور واوفاه وكنا نقيم ببلادنا سنة وبقلعة جوهر تكنى سنة ولا نسير الا ونحن جالسون فوق التخت والاعوان تحمله وتطير به بين السماء والارض فقال له بلوقيا يا اخى يا جانشاه ما كان طول المسافة التى بين تلك القلعة وبين بلادكم فرد عليه جانشاه وقال له كنا نقطع فى كل يوم مسافة ثلاثين شهرا وكنا نصل الى القلعة فى عشرة ايام ولم نزل على هذه الحالة مدة من السنين فاتفق اننا سافرنا على عادتنا حتى وصلنا الى هذا المكان فنزلنا فيه بالتخت لنتفرج على هذه الجزيرة فجلسنا على شاطئ النهر واكلنا وشربنا فقالت السيدة شمسة انى اريد ان اغتسل فى هذا النهر ثم نزعت ثيابها ونزع الجوارى ثيابهن ونزلن فى النهر وسبحن فيه ثم انى تمشيت على شاطئ النهر وتركت الجوارى يلعبن فيه مع السيدة فاذا بقرش عظيم من دواب البحر ضربها فى رجلها من دون الجوارى فصرخت ووقعت ميتة من وقتها وساعتها فطلعت الجوارى من النهر هاربات الى الخيمة من ذلك القرش ثم ان بعض الجوارى حملها واتى بها الخيمة وهى ميتة فلما رأيتها ميتة وقعت مغشيا على فرشوا وجهى بالماء فلما افقت بكيت عليها وامرت الاعوان ان يأخذوا التخت ويروحوا به الى اهلها ويعلموهم بما جرى لها فراحوا الى اهلها واعلموهم بما جرى لها فلم يغب اهلها الا قليلا حتى اتوا هذا المكان فغسلوها وكفنوها وفى هذا المكان دفنوها وعملوا عزآءها وطلبوا ان يأخذونى معهم الى بلادهم فقلت لا بيها اريد منك ان تحفر لى حفرة بجانب قبرها واجعل تلك الحفرة قبرا لى لعلى اذا مت ادفن فيها بجانبها فامر الملك شهلان عونا من الاعوان بذلك ففعل لى ما اردته ثم راحوا من عندى وخلونى هنا انوح وابكى عليها وهذه قصتى وسبب قعودى بين هذين القبرين ثم انشد هذين البيتين

ما الدار مذ غبتم ويا سادتى دار ✻ كلا ولا ذلك الجار الرضى جار
ولا الانيس الذى قد كنت اعهده ✻ فيها انيس ولا الانوار انوار

فلما سمع بلوقيا هذا الكلام من جانشاه تعجب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثلاثون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان بلوقيا لما سمع هذا الكلام من جانشاه تعجب وقال والله انى كنت اظن انى سحت ودرت طايفا فى الارض والله انى نسيت الذى رأيته بما سمعته من قصتك ثم انه قال لجانشاه اريد من فضلك واحسانك يا اخى ان تدلنى على طريق السلامة فدله على الطريق ثم ودعه وسار وكل هذا الكلام

تحكيه ملكة الحيات لحاسب كريم الدين فقال لها حاسب كريم الدين كيف عرفت هذه الاخبار فقالت له اعلم
ياحاسب انى كنت ارسلت الى بلاد مصر حية عظيمة من مدة خمسة وعشرين عاما وارسلت معها كتابا
بالسلام على بلوقيا لتوصله اليه فراحت تلك الحية واوصلته الى بنت شموخ وكان لها بنت فى ارض مصر
فاخذت ذلك الكتاب وسارت حتى وصلت الى مصر وسألت الناس عن بلوقيا فدلوها عليه فلما اتت
ورأته سلمت عليه واعطته ذلك الكتاب فقرأه وفهم معناه ثم قال للحية هل انت اتيت من عند ملكة
الحيات قالت نعم فقال لها اريد ان اروح معك الى ملكة الحيات لان لى عندها حاجة فقالت له سمعا وطاعة
ثم اخذته وسارت به الى بنتها وسلمت عليها ثم ودعتها وخرجت من عندها وقالت له انحض عينيك فانحض
عينيه وفتحهما فاذا هو فى الجبل الذى انا فيه فسارت به الى الحية التى اعطتها الكتاب وسلمت عليها وقالت
لها هل اوصلت الكتاب الى بلوقيا قالت نعم اوصلته اليه وقد جاء معى وها هو فتقدم بلوقيا وسلم على تلك
الحية وسألها عن ملكة الحيات فقالت له انها راحت الى جبل قاف بجنودها وعساكرها وانها حين يأتى
الصيف تعود الى هذه الارض وكلما ذهبت الى جبل قاف وضعتنى فى موضعها حتى تأتى فان كان لك
حاجة فانا اقضيها لك فقال لها بلوقيا اريد منك ان تجيئى بالنبات الذى كل من دنته وشرب ماءه لا يضعف
ولا يشيب ولا يموت فقالت له تلك الحية ما اجيء به حتى تخبرنى بما جرى لك بعد مفارقتها حيث رحت انت
وعفان الى مدفن السيد سليمان فاخبرها بلوقيا بقصته من اولها الى آخرها واعلمها بما جرى لجانشاه وحكى
لها حكايته ثم قال لها اقضى لى حاجتى حتى اروح الى بلادى فقالت الحية وحق السيد سليمان ما اعرف
طريق ذلك العشب ثم انها امرت الحية التى جاءت به وقالت لها اوصليه الى بلاده فقالت لها سمعا وطاعة
ثم قالت له انحض عينيك فانحض عينيه وفتحهما فرأى نفسه فى الجبل المقطب فسار حتى اتى منزله
ثم ان ملكة الحيات لما عادت من جبل قاف توجهت اليها الحية التى اقامتها مقامها وسلمت عليها وقالت لها
ان بلوقيا يسلم عليك وحكت لها جميع ما اخبرها به بلوقيا مما رأه فى سياحته ومن اجتماعه بجانشاه
ثم قالت ملكة الحيات لحاسب كريم الدين وهذا الذى اخبرنى بهذا الخبر ياحاسب فقال لها حاسب يا ملكة
الحيات اخبرينى بما جرى لبلوقيا حيث عاد الى مصر فقالت له اعلم ياحاسب ان بلوقيا لما فارق جانشاه سار
ليالى واياما حتى وصل الى بحر عظيم ثم انه دهن قدميه من الماء الذى معه ومشى على وجه الماء حتى وصل
الى جزيرة ذات اشجار وانهار وثمار كأنها الجنة ودار فى تلك الجزيرة فرأى شجرة عظيمة ورقها مثل ثلوع
المراكب فقرب من تلك الشجرة فرأى تحتها سماطا ممدودا وفيه جميع الالوان الفاخرة من الطعام ورأى
على تلك الشجرة طيرا عظيما من اللؤلؤ والزمرد الاخضر ورجلاه من الفضة ومنقاره من الياقوت الاحمر
وريشه من نفيس المعادن وهو يسبح الله تعالى ويصلى على محمد صلى الله عليه وسلم وادرك الشهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثلاثون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان بلوقيا لما طلع الجزيرة ووجدها كالجنة تمشى فى جوانبها ورأى
ما فيها من العجائب ومن جملتها الطير الذى هو من اللؤلؤ والزمرد الاخضر وريشه من نفيس المعادن
على تلك الحالة وهو يسبح الله تعالى ويصلى على محمد صلى الله عليه وسلم فلما رأى بلوقيا ذلك الطائر
العظيم قال له من انت وما شأنك فقال له انا من طيور الجنة واعلم يا اخى ان الله تعالى اخرج آدم من

الجنة واخرج معه اربع ورقات تستر بها فسقطن فى الارض فواحدة منهن اكلها الدود فصار منها الحرير والثانية اكلها الغزلان فصار منها المسك والثالثة اكلها النحل فصار منها العسل والرابعة وقعت فى الهند فصار منها البهار واما انا فانى مكثت فى جميع الارض الى ان من الله على بهذا المكان فمكثت فيه وانه فى كل ليلة جمعة ويومها تأتى الاولياء والاقطاب الذين فى الدنيا هذا المكان ويزورونه ويأكلون من هذا الطعام وهو ضيافة الله تعالى لهم يضيفهم بها فى كل ليلة جمعة ويومها ثم بعد ذلك يرتفع السماط الى الجنة ولا ينقص ابدا ولا يتغير فاكل بلوقيا ولما فرغ من الاكل وحمد الله تعالى فاذا الخضر عليه السلام قد اقبل فقام بلوقيا اليه وسلم عليه واراد ان يذهب فقال له الطير اجلس يا بلوقيا فى حضرة الخضر عليه السلام فجلس بلوقيا فقال له الخضر اخبرنى بشأنك واحك لى حكايتك فاخبره بلوقيا بجميع ما جرى له من الاول الى الاخر الى ان اتاه ووصل الى المكان الذى هو جالس فيه بين يدى الخضر ثم قال له يا سيدى ما مقدار الطريق من هنا الى مصر فقال له مسيرة خمسة وتسعين عاما فلما سمع بلوقيا هذا الكلام بكى ثم وقع على يد الخضر وقبلها وقال له انقذنى من هذه الغربة واجرلى على الله لانى قد اشرفت على الهلاك وما بقيت لى حيلة فقال له الخضر ادع الله تعالى ان يأذن لى فى ان اوصلك الى مصر قبل ان تهلك فبكى بلوقيا وتضرع الى الله تعالى فتقبل الله دعاءه والهم الخضر عليه السلام ان يوصله الى اهله فقال الخضر عليه السلام لبلوقيا ارفع رأسك فقد تقبل الله دعاءك والهمنى ان اوصلك الى مصر فتعلق بى واقبض على يديك واغمض عينيك فتعلق بلوقيا بالخضر عليه السلام وقبض عليه بيديه واغمض عينيه وخطا الخضر عليه السلام خطوة ثم قال لبلوقيا افتح عينيك ففتح عينيه فرأى نفسه واقفا على باب منزله ثم انه التفت ليودع الخضر عليه السلام فلم يجد له اثرا واد رك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثلاثون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان بلوقيا لما اوصله الخضر عليه السلام الى باب منزله فتح عينيه ليودعه فلم يجده فدخل بيته فلما رأته امه صاحت صيحة عظيمة ووقعت مغشية عليها من شدة الفرح فرشوا وجهها بالماء حتى افاقت فلما افاقت عانقته وبكت بكاء شديدا وصار بلوقيا تارة يبكى وتارة يضحك واتاه اهله وجماعته وجميع اصحابه وصاروا يهنونه بالسلامة وشاعت الاخبار فى البلاد وجاءته الهدايا من جميع الاقطار ودقت الطبول وزمرت الزمور وفرحوا فرحا شديدا ثم بعد ذلك حكى لهم بلوقيا حكايته واخبرهم بجميع ما جرى له وكيف اتى به الخضر واوصله الى باب منزله فتعجبوا من ذلك وبكوا حتى ملوا من البكاء وكل هذا تحكيه ملكة الحيات لحاسب كريم الدين فتعجب حاسب كريم الدين من ذلك وبكى بكاء شديدا ثم قال لملكة الحيات انى اريد الذهاب الى بلادى فقالت له ملكة الحيات انى اخاف يا حاسب اذا وصلت الى بلادك ان تنقض العهد وتحنث فى اليمين الذى حلفته وتدخل الحمام فحلف ايمانا اخرى وثيقة انه لن يدخل الحمام طول عمره فامرت حية وقالت لها اخرجى حاسب كريم الدين الى وجه الارض فاخذته الحية وسارت به من مكان الى مكان حتى اخرجته على وجه الارض من سطح جب مهجور ثم مشى حتى وصل الى المدينة وتوجه الى منزله وكان ذلك اخر النهار وقت اصفرار الشمس ثم طرق الباب فخرجت امه وفتحت الباب فرأت ابنها واقفا فلما رأته صاحت من شدة فرحتها والقت نفسها عليه وبكت فلما سمعت زوجته بكاها خرجت اليها فرأت زوجها فسلمت عليه وقبلت يديه وفرح بعضهم ببعض فرحا عظيما ودخلوا البيت

فلما

فلما استقر بهم المجلوس وقعد بين اهله سأل عن الخطابين الذين كانوا يخطبون معه وراحوا وخلوه فى الجب
فقالت له امه انهم اتونى وقالوا لى ان ابنك اكله الذئب فى الوادى وقد صاروا تجارا واصحاب املاك
ودكاكين واتسعت عليهم الدنيا وهم فى كل يوم يجيئوننا بالاكل والشرب وهذا دأبهم الى الان فقال
لامه فى غد روحى اليهم وقولى لهم قد جاء حاسب كريم الدين من سفره فتعالوا وقابلوه وسلموا عليه
فلما اصبح الصباح راحت امه الى بيوت الخطابين وقالت لهم ما وصاها به ابنها فلما سمع الخطابون ذلك
الكلام تغيرت الوانهم وقالوا لها سمعا وطاعة وقد اعطاها كل واحد منهم بدلة من الحرير مطرزة بالذهب
وقالوا لها اعط ولدك هذه ليلبسها وقولى له انهم فى غد يأتون عندك فقالت لهم سمعا وطاعة ثم رجعت
من عندهم الى ابنها واعلمته بذلك واعطته الذى اعطوها اياه هذا ما كان من امر حاسب كريم الدين وامه واما
ما كان من امر الخطابين فانهم جمعوا جماعة من التجار واعلموهم بما حصل منهم فى حق حاسب كريم الدين
وقالوا لهم كيف نصنع معه الان فقال لهم التجار ينبغى لكل منكم ان يعطيه نصف ماله ومما لديكم فاتفق
الجميع على هذا الرأى وكل واحد اخذ نصف ماله معه وذهبوا اليه جميعا وسلموا عليه وقبلوا يديه واعطوه
ذلك وقالوا له هذا من بعض احسانك وقد صرنا بين يديك فقبله منهم وقال لهم قد راح الذى راح وهذا
مقدور من الله تعالى والمقدور يغلب المحذور فقالوا له قم بنا نتفرج فى المدينة وندخل الحمام فقال لهم انا
قد صدر منى يمين اننى لا ادخل الحمام طول عمرى فقالوا له قم بنا الى بيوتنا حتى نضيفك فقال لهم سمعا
وطاعة ثم قام وراح معهم الى بيوتهم وصار كل واحد منهم يضيفه ليلة ولم يزالوا على هذه الحالة مدة سبع
ليال وقد صار صاحب اموال واملاك ودكاكين واجتمعت به تجار المدينة واخبرهم بجميع ما جرى له
وما رأه وصار من اعيان التجار ومكث على هذا الحال مدة من الزمان فاتفق انه خرج يوما من الايام
يتمشى فى المدينة فرأه صاحب حمامى وهو جالس على باب الحمام ووقعت العين فى العين فسلم عليه وعانقه
وقال له تفضل على بدخول الحمام وتكيس حتى اعمل لك ضيافة فقال له انه صدر منى يمين اننى لا ادخل
الحمام مدة عمرى فحلف الحمامى وقال له نسائى الثلاث طالقات ثلاثا ان لا تدخل معى الحمام وتغتسل فيه
فتحير حاسب كريم الدين فى نفسه وقال له اتريد يا اخى انك تيتم اولادى وتخرب بيتى وتجعل الخطيئة فى رقبتى
فارتمى الحمامى على رجل حاسب كريم الدين وقبلها وقال له انا فى جيرتك ان تدخل معى الحمام وتكون
الخطيئة فى رقبتى انا واجتمع عملة الحمام وكل من فيه على حاسب كريم الدين وتداخلوا عليه ونزعوا عنه
ثيابه وادخلوه الحمام فبجمرد ما دخل الحمام وقعد بجانب الحائط وسكب على رأسه من الماء اقبل
عليه عشرون رجلا وقالوا له قم يا ايها الرجل من عندنا فانك غريم السلطان وارسلوا واحدا منهم الى وزير
السلطان فراح الرجل واعلم الوزير فركب الوزير وركب معه ستون مملوكا وساروا حتى اتوا الحمام
واجتمعوا بحاسب كريم الدين وسلم عليه الوزير ورحب به واعطى الحمامى مائة دينار وامر ان يقدموا
لحاسب حصانا ليركبه ثم ركب الوزير وحاسب وكذلك جماعة الوزير واخذوه معهم وساروا به حتى وصلوا
الى قصر السلطان فنزل الوزير ومن معه ونزل حاسب وجلسوا فى القصر واتوا بالسماط فاكلوا وشربوا
ثم غسلوا ايديهم وخلع عليه الوزير خلعتين كل واحدة تساوى خمسة الاف دينار وقال له اعلم ان الله
قد من علينا بك ورحمنا بمجيئك فان السلطان كان اشرف على الموت من الجذام الذى به وقد دات
عندنا الكتب على ان حياته على يديك فتعجب حاسب من امرهم ثم تمشى الوزير وحاسب وخواص الدولة
من ابواب القصر السبعة الى ان دخلوا على الملك وكان يقال له الملك كرزدان ملك العجم وقد ملك

الاقاليم السبعة وكان فى خدمته مائة سلطان يجلسون على كراسى من الذهب الاحمر وعشرة الاف بهلوان كل بهلوان تحت يده مائة نائب ومائة جلاد وبايديهم السيوف والاطبار فوجدوا ذلك الملك نائما ووجهه ملفوف فى منديل وهو يئن من شدة الامراض فلما راى حاسب هذا الترتيب دهش عقله من هيئة الملك كرزدان وقبل الارض بين يديه ودعا له ثم اقبل عليه وزيره الاعظم وكان يقال له الوزير شمهور ورحب به واجلسه على كرسى عظيم عن يمين الملك كرزدان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثلاثون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير شمهور اقبل على حاسب واجلسه على كرسى عن يمين الملك كرزدان واحضروا السماط فاكلوا وشربوا وغسلوا ايديهم ثم بعد ذلك قام الوزير شمهور وقام لاجله كل من فى المجلس هيبة له وتمشى الى نحو حاسب كريم الدين وقال له نحن فى خدمتك وكلما طلبت نعطيك ولو طلبت نصف الملك اعطيناك اياه لان شفاء الملك على يديك ثم اخذه من يده وذهب به الى الملك فكشف حاسب عن وجه الملك ونظر اليه فرآه فى نهاية المرض فتعجب من ذلك ثم ان الوزير نزل على يد حاسب وقبلها وقال له نريد منك ان تداوى هذا الملك والذى تطلبه نعطيك اياه وهذه حاجتنا عندك فقال حاسب نعم انى ابن دانيال نبى الله لكننى ما اعرف شيأ من العلم فانهم وضعونى فى صنعة الطب ثلاثين يوما ولم اتعلم شيأ من تلك الصنعة وكنت اود لو عرفت شيأ من العلم واداوى هذا الملك فقال الوزير لا تطل علينا الكلام فلو جمعنا حكماء المشرق والمغرب ما يداوى الملك الا انت فقال له حاسب كيف اداويه وانا ما اعرف داءه ولا دواءه فقال الوزيران دواء الملك عندك قال له حاسب لو كنت اعرف دواءه لداويته فقال له الوزير انت تعرف دواءه معرفة جيدة فان دواءه ملكة الحيات وانت تعرف مكانها ورأيتها وكنت عندها فلما سمع حاسب هذا الكلام عرف ان سبب ذلك دخول الحمام وصار يتندم حيث لا ينفعه الندم وقال لهم كيف ملكة الحيات وانا لا اعرفها ولا سمعت طول عمرى بهذا الاسم فقال الوزير لا تنكر معرفتها فان عندى دليلا على انك تعرفها وانت عندها سنتين فقال حاسب انا لا اعرفها ولا رأيتها ولا سمعت بهذا الخبر الا فى هذا الوقت منكم فاحضر الوزير كتابا وفتحه وصار يحسب ثم قال ان ملكة الحيات تجتمع برجل ويمكث عندها سنتين ويرجع من عندها ويطلع على وجه الارض فاذا دخل الحمام تسود بطنه ثم قال لحاسب انظر الى بطنك فنظر اليها فرآها سوداء فقال لهم حاسب ان بطنى سوداء من يوم ولدتنى امى فقال له الوزير انا كنت وكلت على كل حمام ثلاثة مماليك لاجل ان يتعهدوا كل من يدخل الحمام وينظروا الى بطنه ويعلموني به فلما دخلت انت الحمام نظروا الى بطنك فوجدوها سوداء فارسلوا الى خبرا بذلك وما صدقنا اننا نجتمع بك فى هذا اليوم ومالنا عندك حاجة الا ان ترينا الموضع الذى طلعت منه وتروح الى حال سبيلك ونحن نقدر على امساك ملكة الحيات وعندنا من يأتينا بها فلما سمع حاسب هذا الكلام ندم على دخول الحمام ندما عظيما حيث لا ينفعه الندم وصار الامراء والوزراء يتدخلون على حاسب فى ان يخبرهم بملكة الحيات حتى عجزوا وهو يقول لا رأيت هذا الامر ولا سمعت به فعند ذلك طلب الوزير الجلاد فاتوه به فامره ان ينزع ثياب حاسب عنه ويضربه ضربا شديدا ففعل ذلك حتى عاين الموت من شدة العذاب وبعد ذلك قال له الوزير ان عندنا دليلا على انك تعرف مكان ملكة الحيات فلاى شئ انت تنكره ارنا الموضع

الذى

الذى خرجت منه وابعد عنا وعندنا الذى يمسكها ولا ضرر عليك ثم لاطفه واقامه وامر له بخلعة من ركشة بالذهب والمعادن فامتثل حاسب امر الوزير وقال له انا اريكم الموضع الذى خرجت منه فلما سمع الوزير كلامه فرح فرحا شديدا وركب هو والامراء جميعا وركب حاسب وسار قدام العساكر ومازالوا سائرين حتى وصلوا الى الجبل ثم انه دخل بهم الى المغارة وبكى وتحسر ونزلت الامراء والوزراء وتمشوا وراء حاسب حتى وصلوا الى البئر الذى طلع منه ثم تقدم الوزير وجلس واطلق البخور واقسم وقلا العزائم ونفث وهمهم فانه كان ساحرا ماكرا كاهنا يعرف علم الروحانى وغيره ولما فرغ من عزيمته الاولى قرأ عزيمة ثانية وعزيمة ثالثة وكلما فرغ البخور وضع غيره على النار ثم قال اخرجى يا ملكة الحيات فاذا البئر قد غاض ماؤه وانفتح فيه باب عظيم وخرج منه صراخ عظيم مثل الرعد حتى ظنوا ان ذلك البئر قد انهدم ووقع جميع الحاضرين فى الارض مغشيا عليهم ومات بعضهم وخرج من ذلك البئر حية عظيمة مثل الفيل يطير من عينيها ومن فيها الشرر مثل الجمر وعلى ظهرها طبق من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر وفى وسط ذلك الطبق حية تضيء المكان ووجهها كوجه انسان وتتكلم بافصح لسان وهى ملكة الحيات والتفتت يمينا وشمالا فوقع بصرها على حاسب كريم الدين فقالت له اين العهد الذى عاهدتنى به واليمين الذى حلفته لى من انك لا تدخل الحمام ولكن لا تنفع حيلة من قدر والذى على الجبين مكتوب ما منه مهروب وقد جعل الله اخر عمرى على يديك وبهذا حكم الله واراد ان اقتل انا والملك كرزدان يشفى من مرضه ثم ان ملكة الحيات بكت بكاء شديدا وبكى حاسب لبكائها ولما رأى الوزير شمهور الملعون ملكة الحيات مديده اليها ليمسكها فقالت له امنع يدك يا ملعون والا نفخت عليك وصيرتك كوم رماد اسود ثم صاحت على حاسب وقالت له تعال عندى وخذنى بيدك وحطنى فى هذه الصينية التى معكم واحملها على رأسك فان موتى على يدك مقدور من الازل ولا حيلة لك فى دفعه فاخذها حاسب وحطها فى الصينية وحملها على رأسه وعادت البئر كما كانت ثم ساروا وحاسب حامل الصينية التى هى فيها على رأسه فبينما هم فى اثناء الطريق اذ قالت ملكة الحيات لحاسب كريم الدين سرا يا حاسب اسمع ما اقوله لك من النصيحة ولو كنت نقضت العهد وحنثت فى اليمين وفعلت هذه الافعال لان ذلك مقدور من الازل فقال لها سمعا وطاعة ما الذى تأمرينى به يا ملكة الحيات فقالت له اذا وصلت الى بيت الوزير فانه يقول لك اذبح ملكة الحيات وقطعها ثلاث قطع فامتنع من ذلك ولا تفعل وقل له انا ما اعرف الذبح لاجل انى بحنى هو بيده ويعمل فى ما يريد فاذا ذبحنى وقطعنى يأتيه رسول من عند الملك كرزدان ويطلبه الى الحضور عنده فيضع لحمى فى قدر من النحاس ويضع القدر فوق الكانون قبل الذهاب الى الملك ويقول لك اوقد النار على هذا القدر حتى تطلع رغوة اللحم فاذا طلعت الرغوة فخذها وحطها فى قنينة واصبر عليها حتى تبرد واشربها انت فاذا شربتها لا يبقى فى بدنك وجع فاذا طلعت الرغوة الثانية فحطها عندك فى قنينة ثانية حتى اجى من عند الملك واشربها من اجل مرض فى صلبى ثم انه يعطيك القنينتين ويروح الى الملك فاذا راح اليه اوقد النار على القدر حتى تطلع الرغوة الاولى فخذها وحطها فى قنينة واحفظها عندك واياك ان تشربها فان شربتها لم يحصل لك خير واذا طلعت الرغوة الثانية فحطها فى القنينة الثانية واصبر حتى تبرد واحفظها عندك حتى تشربها فاذا جاء من عند الملك وطلب منك القنينة الثانية فاعطه الاولى وانظر ما يجرى له وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثلاثون بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ملكة الحيات اوصت حاسب كريم الدين بعدم الشرب من الرغوة الاولى والمحافظة على الرغوة الثانية وقالت له اذا رجع الوزير من عند الملك وطلب منك القنينة الثانية فاعطه الاولى وانظر ما يجرى له ثم بعد ذلك اشرب انت الثانية فاذا شربتها يصير قلبك بيت الحكمة ثم بعد ذلك اطلع اللحم وحطه فى صينية من النحاس واعط الملك اياه ليأكله فاذا اكله واستقر فى بطنه استر وجهه بمنديل واصبر عليه الى وقت الظهر حتى تبرد بطنه وبعد ذلك اسقه شيأ من الشراب فانه يعود صحيحا كما كان ويبرا من مرضه بقوة الله تعالى واسمع هذه الوصية التى وصيتك بها وحافظ عليها كل المحافظة ومازالوا سائرين حتى اقبلوا على بيت الوزير فقال الوزير لحاسب ادخل معى البيت فلما دخل الوزير وحاسب وتفرق العساكر وراح كل منهم الى حال سبيله وضع حاسب الصينية التى فيها ملكة الحيات من فوق رأسه ثم قال له الوزير اذبح ملكة الحيات فقال له حاسب انا لا اعرف الذبح وعمرى ما ذبحت شيأ فان كان لك غرض فى ذبحها فاذبحها انت بيدك فقام الوزير شمهور واخذ ملكة الحيات من الصينية التى هى فيها وذبحها فلما رأى حاسب ذلك بكى بكاء شديدا فضحك شمهور منه وقال له يا ذاهب العقل كيف تبكى من اجل ذبح حية وبعد ان ذبحها الوزير قطعها ثلاث قطع ووضعها فى قدر من النحاس ووضع القدر على النار وجلس ينتظر نضج لحمها فبينما هو جالس اذا بعبد لولى اقبل عليه من عند الملك وقال له ان الملك يطلبك فى هذه الساعة فقال له الوزير سمعا وطاعة ثم قام واحضر قنينتين لحاسب وقال له اوقد النار على هذا القدر حتى تخرج رغوة اللحم الاولى فاذا خرجت فاكشطها من فوق اللحم وحطها فى احدى هاتين القنينتين واصبر عليها حتى تبرد واشربها انت فاذا شربتها اصح جسمك ولا يبقى فى جسدك وجع ولا مرض واذا طلعت الرغوة الثانية فضعها فى القنينة الاخرى واحفظها عندك حتى ارجع من عند الملك واشربها الان فى صلبى وجعا عساه يبرأ اذا شربتها ثم توجه الى الملك بعد ان اكد على حاسب فى تلك الوصية فصار حاسب يوقد النار تحت القدر حتى طلعت الرغوة الاولى فكشطها وحطها فى قنينة من الاثنتين ووضعها عنده ولم يزل يوقد النار تحت القدر حتى طلعت الرغوة الثانية فكشطها وحطها فى القنينة الاخرى وحفظها عنده ولما استوى اللحم انزل القدر من فوق النار وقعد ينتظر الوزير فلما اقبل الوزير من عند الملك قال لحاسب اى شئ فعلت فقال له حاسب قد انقضى الشغل فقال له الوزير ما فعلت فى القنينة الاولى قال له شربت ما فيها فى هذا الوقت فقال له الوزير ارى جسدك لم يتغير منه شئ فقال له حاسب ان جسدى من فرقى الى قدمى احس منه بانه يشتعل مثل النار فكتم الماكر الوزير شمهور الامر عن حاسب خداعا ثم انه قال له هات القنينة الباقية لاشرب ما فيها العلى اشفى وابرؤ من هذا المرض الذى فى صلبى ثم انه شرب ما فى القنينة الاولى وهو يظن انها الثانية فلم يتم شربها حتى سقطت من يده وتورم من ساعته وصح فيه قول صاحب المثل من حفر بئرا لاخيه وقع فيه فلما رأى حاسب ذلك الامر تعجب منه وصار خائفا من شرب القنينة الثانية ثم تفكر وصية الحية وقال فى نفسه لو كان ما فى القنينة الثانية مضرا ما كان الوزير اختارها لنفسه ثم انه قال توكلت على الله تعالى وشرب ما فيها ولما شربه فجر الله تعالى فى قلبه ينابيع الحكمة وفتح له عين العلم وحصل على الفرح والسرور واخذ اللحم الذى كان فى القدر ووضعه فى صينية من نحاس وخرج به من بيت الوزير ورفع

رأسه الى السماء فرأى السموات السبع وما فيهن الى سدرة المنتهى ورأى كيفية دوران الفلك وكشف الله له عن جميع ذلك ورأى النجوم السيارة والثوابت وعلم كيفية مسير الكواكب وشاهد هيئة البر والبحر واستنبط من ذلك علم الهندسة وعلم التنجيم وعلم الهيئة وعلم الفلك وعلم الحساب وما يتعلق بذلك كله وعرف ما يترتب على الكسوف والخسوف وغير ذلك ثم نظر الى الارض فعرف ما فيها من المعادن والنبات والاشجار وعلم جميع ما لها من الخواص والمنافع واستنبط من ذلك علم الطب وعلم السيميا وعلم الكيميا وعرف صنعة الذهب والفضة ولم يزل سائرا بذلك اللحم حتى وصل الى قصر الملك كرزدان ودخل عليه وقبل الارض بين يديه وقال له تسلم رأسك فى وزير لك شهور فاغتاظ الملك غيظا شديدا بسبب موت وزيره وبكى بكاء شديدا وبكت عليه الوزراء والامراء واكابر الدولة ثم بعد ذلك قال الملك كرزدان ان الوزير شهور كان عندى فى هذا الوقت وهو فى غاية الصحة ثم ذهب ليأتينى باللحم ان كان طاب طبخه فلعله سبب موته فى هذه الساعة واى شئ عرض له من العوارض فحكى حاسب للملك جميع ما جرى لوزيره من انه شرب القنينة وتورم وانتفخ بطنه ومات فحزن عليه الملك حزنا شديدا ثم قال لحاسب كيف حالى بعد شهور فقال حاسب لا تحمل هما يا ملك الزمان فانا ادا ويك فى ثلاثة ايام ولا اترك فى جسمك شيأ من الامراض فانشرح صدر الملك كرزدان وقال لحاسب اقام ادى ان اعافى من هذا البلاء ولو بعد مدة من السنين فقام حاسب واتى بالقدر وحطه قدام الملك فاخذ قطعة من لحم ملكة الحيات واطعمها للملك كرزدان وغطاه ونشر على وجهه منديلا وقعد عنده وامره بالنوم فنام من وقت الظهر الى وقت المغرب حتى دارت قطعة اللحم فى بطنه ثم بعد ذلك ايقظه وسقاه شيأ من الشراب وامره بالنوم فنام الليل الى وقت الصبح ولما طلع النهار فعل معه مثل ما فعل بالامس حتى اطعمه القطع الثلاث على ثلاثة ايام فقلب جلد الملك وانتشر جميعه فعند ذلك عرق الملك حتى جرى العرق من رأسه الى قدمه وتعافى وما بقى فى جسده شئ من الامراض وبعد ذلك قال له حاسب لابد من دخول الحمام ثم ادخله الحمام وغسل جسده واخرجه فصار جسمه مثل قضيب الفضة وعاد لما كان عليه من الصحة وردت له العافية احسن ما كانت اولا ثم انه لبس احسن ملبوسه وجلس على التخت واذن لحاسب كريم الدين فى ان يجلس معه فجلس بجانبه ثم امر الملك بمد السماط فمدفا كلا وغسلا ايديهما وبعد ذلك امر ان يأتوا بالمشروب فاتوا بما طلب فشربا ثم بعد ذلك اتى جميع الامراء والوزراء والعسكر واكابر الدولة وعظماء رعيته وهنوه بالعافية والسلامة ودقوا الطبول وزينوا المدينة من اجل سلامة الملك ولما اجتمعوا عنده للتهنئة قال لهم الملك يا معشر الوزراء والامراء وارباب الدولة هذا حاسب كريم الدين الذى داوانى من مرضى اعلموا انى قد جعلته وزيرا اعظم مكان الوزير شهور وادر لشهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثلاثون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك قال لوزرائه واكابر دولته ان الذى داوانى من مرضى هو حاسب كريم الدين وقد جعلته وزيرا اعظم مكان الوزير شهور فمن احبه فقد احبنى ومن اكرمه فقد اكرمنى ومن اطاعه فقد اطاعنى فقال له الجميع سمعا وطاعة ثم قاموا كلهم وقبلوا يد حاسب كريم الدين وسلموا عليه وهنوه بالوزارة ثم بعد ذلك خلع عليه الملك خلعة سنية منسوجة بالذهب الاحمر مرصعة بالدر

والجوهر اقل جوهرة فيها تساوى خمسة الاف دينار واعطاه ثلاثمائة مملوك وثلاثمائة سرية تضى مثل الاقمار وثلاثمائة جارية من الحبش وخمسمائة بغلة تحمل من المال واعطاه من المواشى والغنم والجاموس والبقر ما يكل عنه الوصف وبعد هذا كله امر وزراءه وامراءه وارباب دولته واكابر مملكته وعمالیکه وعموم رعيته ان يهادوه ثم ركب حاسب كريم الدين وركبت خلفه الوزراء والامراء وارباب الدولة وجميع العساكر وساروا الى بيته الذى اخلاه له الملك ثم جلس على كرسى وتقدمت اليه الامراء والوزراء وقبلوا يده وهنوه بالوزارة وصاروا كلهم فى خدمته وفرحت امه بذلك فرحا شديدا وهنته بالوزارة وجاءه اهله وهنوه بالسلامة والوزارة وفرحوا به فرحا شديدا ثم بعد ذلك اقبل عليه اصحابه الحطابون وهنوه بالوزارة وبعد ذلك ركب وسار حتى وصل الى قصر الوزير شمهور فختم على بيته ووضع يده على ما فيه وضبطه ثم نقله الى بيته وبعد ان كان لا يعرف شيأ من العلوم ولا قرأ مقدار الخط صار عالما بجميع العلوم بقدرة الله تعالى وانتشر علمه وشاعت حكمته فى جميع البلاد واشتهر بالتبحر فى علم الطب والهيئة والهندسة والتنجيم والكيميا والسيميا والروحانى وغير ذلك من العلوم ثم انه قال لامه يوما من الايام يا والدتى ان ابى دانيال كان عالما فاضلا فاخبرينى بما خلفه من الكتب وغيرها فلما سمعت امه كلامه اتته بالصندوق الذى كان ابوه قد وضع فيه الورقات الخمس الباقية من الكتب التى غرقت فى البحر وقالت له ما خلف ابوك شيأ من الكتب الا الورقات الخمس التى فى هذا الصندوق ففتح الصندوق واخذ منه الورقات الخمس وقرأها وقال لها يا امى ان هذه الاوراق من جملة كتاب واين بقيته فقالت له ان ابالك كان قد سافر بجميع كتبه فى البحر فانكسرت به المركب وغرقت كتبه وانجاه الله تعالى من الغرق ولم يبق من كتبه الا هذه الورقات الخمس ولما جاء ابوك من السفر كنت حاملا بك فقال لى ربما تلد ين ذكرا فخذى هذه الاوراق واحفظيها عندك فاذا كبر الغلام وسأل عن تركتى فاعطيه اياها وقولى له ان ابالك لم يخلف غيرها وهذه اياها ثم ان حاسب كريم الدين تعلم جميع العلوم ثم بعد ذلك قعد فى اكل وشرب واطيب معيشة وارغد عيش الى ان اتاه هاذم اللذات ومفرق الجماعات وهذا آخر ما انتهى الينا من حديث حاسب بن دانيال رحمه الله تعالى والله اعلم

٢

قد تم بعون الله تعالى طبع هذا الجزء الاول ويليه الجزء الثانى وبالله التوفيق

ALIF LAILA WA LAILA

THE BOOK OF A THOUSAND AND ONE NIGHT REPRINTED ON AN ORIGINAL COPY OF THE BULAQ EDITION

OF 1252 A.H.

DUE DATE

FEB 15 1992

FEB 15 1994

OCT 02 1995

NOV 21 1995

MAY 31 2002

MAY 07 2002

Printed
in USA

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0114908719